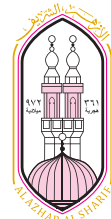




مجلس الشورى
مجلس الشورى
مجلس الشورى



مَجَلَّةُ الْأَنْهَرِ

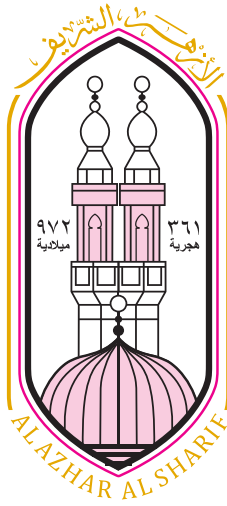
مَجَلَّةُ شَهْرِيَّةِ جَامِعَةِ

تَصَدَّرَ عَنْ شَيْخِ الْأَنْهَرِ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرٍ عَرَبِيٍّ



المجلد الثلاثون

السنة ١٣٧٨ هـ



مشيخة الأزهر الشريف

تليفون : 25907497 / 25899823

فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123

www.azhar.eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

سقيفة الصفا العلمية

SAQIFAT AL-SAFAT TRUST

لبوان - ماليزيا

www.saqifat-alsafa.org

E-mail : info@saqifat-alsafa.org

مَدِيرُ الْمَجَلَّةِ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَيْشِي

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية بجامعة
تصدر عن شيخ الأزهر في أول كل شهر عربي

مَدِيرُ التَّحْقِيرِ
مُحَمَّدُ الدِّينُ الْخَطِيبُ

الإشراف السنيوي

٤٠٠	في وادي النيل
٤٠٠	لطباعة وادي النيل
٣٠٠	للعمارة والمسرح بالازهر
٥٠٠	مخارج المراسم
٣٠٠	للطباعة مخارج المراسم
٤٠٠	للعمارة والمسرح مخارج المراسم

الجزء الأول - القاهرة : المحرم سنة ١٣٧٨ - يوليو (تموز) سنة ١٩٥٨ - المجلد الثلاثون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٢
مصر

٢٢٢٢
درجات

في عامنا الجديد



ونسماه «عاما» تبعا لما اصطالح الناس عليه من قياس أعمار الأمم بدورات ألفك ولو أنصفنا العهد الذي نعيش فيه من ستة أعوام ، معتبرين السنة بما تنطوي عليه من أحداث ، وما تقطعه الأمة فيها من مفاوز نحو الهدف الأعظم ، لا اعتبرنا العام الذي مضى كاملا . وكَم من أمة تفتنى لو تقدمت نحو أهدافها العظمى في عصر كامل ، ما تقدمنا نحن نحو هدفنا الأعظم في العام الهجري الذي ودعناه ، للمستقبل آمنا الذي احتفلنا بمولده ، وبذكرى هجرة قدوتنا الأعلى صلوات الله وسلامه عليه . تواترت علينا نعم الله وآلاؤه في العام المنصرم كالعين الثرة الدافقة بالحياة والبركة والقوة ، وكان من أبرك هذه النعم امتداد يد الشام ليد مصر - بصدق وإخلاص وإيمان - للاتحاد والتعاون على تحقيق رسالة العروبة والإسلام والتعايش الكريم . وكان المتمردون على الله من صنائع الاستعمار في العراق يريدون أن يظهروا العراق بمظهر المعوق لتلك الرسالة الإلهية ، فقصم الله ظهورهم ، وجعلهم عبدة ونكالا لكل متمرّد جبار . وها قد امتدت يد العراق الأصيلة ، للتعاون مع يد مصر والشام ، على توجيه القافلة في صراط الله المستقيم ، فكان لنا من نعم الله السابغة في يوم واحد ، ما كنا نرجو أن يكون في أعوام طويلة ، وإن تمدّوا نعمة الله لا تحصوها ...

وفي فاتحة العام الجديد نضرب إلى الله سبحانه أن يديم علينا آلاءه متوالية نامية ، وليذكر بعضنا بعضا بأن النعم تدوم بالشكر عليها ، وأصدق أساليب الشكر على النعم حسن استعمالها ، والتقرب إلى الله بطاعته والتمسك مرضاته . وإلى اللقاء على هذه الصفحة في العام الآتي إن شاء الله ما

« المجلة »

صاحب ذكرى الهجرة

في بعض ما امتاز به على جميع رسل الله

امتازت الرسالة المحمدية ، على جميع ما تقدمها من رسالات الله إلى الناس ، بامتيازات لا تزال العقول تقف منها على الشيء بعد الشيء ، ما تعاقب التفكير ، وما تجددت ذكريات صدر الإسلام ، وما تحزى البشم حقائق الأشياء معترفين بها ومغتبطين .

وقد سبق لي في مقال « الجليل المثالي [١] » أن استعرضت شعوب التاريخ ، وتلاميذ الأنبياء والحكماء والمصلحين : من موسى ، إلى كونغ فوتس (الذي يسميه الإفرنج كونفوشيوس) ، إلى حواربي المسيح ، فأنتهت المقارنة بين تلك الأجيال والجيل المحمدي إلى أن الإنسانية - من أقدم أزمانها ، وفي مختلف أوطانها - لم تشهد « الجليل المثالي » إلا مرة واحدة حين فوجئت بأقبال تلاميذ محمد عليها من صحارى أرض العرب ، يدعون إلى الحق والخير ، بالقوة والرحمة - قوة الأخلاق وهي من عناصر إيمانها ، ودعوة الرحمة وهي روح ذلك الإيمان - فكانت المفاجأة عجيبة بمصدرها ، وكيفيتها ، وأطوارها . ثم كانت عجيبة العجائب بنتائجها التي لا تزال إلى اليوم من معجزات التاريخ . وإن الإنسانية وقد وقفت يومئذ تتساءل ، ولا تزال إلى اليوم تتساءل : أين كان هؤلاء ، وكيف تكونوا على حين غفلة من الأنم ؟ وما هذه الرسالة التي يحملونها ، وكيف نجحت ، وما هي وسائل نجاحها ؟ سلسلة من الأسئلة ، لا يكاد الناس يتساءلون بأولها ، حتى يفاجئوا بما ينسبهم تاليه أوله . . .

إن تلاميذ صاحب هذه الهجرة وحدهم - دون غيرهم من أهل الكتب السماوية في رسالات الله - قد حفظوا للإنسانية كتابهم الإلهي كما أوحى به إلى رسولهم ، فكانوا يذخرونه في صدورهم : الآية مع الآية ، والسورة بعد السورة ، ويكتبون ذلك في الرقاع والعصب والخفاف ، ثم يجمعونه ويرتبون آياته في سورها كما كان يعلمهم الهادي الأعظم .

فكان للإنسانية مصحف التنزيل الإلهي بخارج حروفه يومئذ ونبراتها ، وإمالاتها ومدودها ، وغتها وإشمامها وإدغامها ، بدقة وأمانة لم يسبق لها نظير في أمة من الأمم . ثم تناقلوا ذلك بالتلقي والتلقين ؛ حافظا عن حافظ ، من الفهم إلى الفهم ، كما لا يزال نرى بأعيننا ونسمع بأذاننا إلى زماننا هذا ، وسيبقى ذلك ما دام في الأرض بشر ، حتى لقد اعترف أشنا الشائنين - فضلا عن جماهير المسلمين - بأنه لم يحفظ « نص » على تعاقب الأجيال ، من آدم إلى الآن ، كما حفظ هذا القرآن الحكيم . ولا تستطيع ملة من الملل التي كانت قبل الإسلام أن تدعى لسكتاتها مثل هذه المزية ، ولا قريبا منها ، ولا أدنى من ذلك ؛ ما دامت للتاريخ مقاييس ، وللعقول أنظمة وقواعد ، وللعلم سنن وضوابط .

وكما كانت للقرآن هذه العناية الدقيقة من نفوس الجليل المحمدي ، كذلك كان لهم الشغف العظيم بحفظ كل ما يتصل برسالة الهادي الأعظم من سيرته وأحواله وأقواله وأفعاله وتوجيهاته وتصرفاته . وإن سيرته - صلوات الله عليه - وأحواله ، وأقواله ، وتوجيهاته ، وتصرفاته خزينة وثائق ونصوص كان من أعظم الخير للإنسانية أن تحفظ ، وأن يتواصى الناس بالعمل بها . وقد بلغ من اهتمام (غير المسلمين) بهذه الخزانة الثمينة من وثائق الإنسانية أن عمدوا إلى كل لفظة من ألفاظها بفعلوا لمجموعها معجما مفهرسا سيكون بأضعاف حجم (النهاية) لأبى السعادات بن الأثير ، لا يذكروا معاني الغريب من ألفاظ السنة ، بل ليدلوا على مكان كل لفظ من ألفاظها بالجزء والصفحة ، أو بالكتاب والباب ، من صحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ومسند الدارمي وموطأ مالك ومسند أحمد . فاذا كشف الباحث عن أى لفظة من أى حديث فسيجد في هذا المعجم مكان استعمالها في هذه الأمهات العظيمة من كتب السنة المعتمدة . وقد بدأ بتأليف هذا المعجم المفهرس أ . ب . ي . ونسك الهولندي إلى أن مات ، فقام على المضي فيه صديقه وتلميذه ب . ب . منسك إلى أن مات ، فواصل عملهما من بعدهما ك . أدريانسي و . و . ب . دي هاس و . ب . فن ، ويساعدهم على إكمال طبعه بالإعانات المالية المجامع العلمية البريطانية والدنمركية والسويدية واليونسكو والهيئة الهولندية للبحث العلمي البحت والاتحاد الأسمى للمجامع العلمية . وآخر ما علمت قد طبع منه بمطبعة بريل في ليدن بهولندا سنة ١٩٥٦ الجزء الثالث والعشرون إلى حرف العين (مادة : عدو) ، وهذا المعجم شهادة عملية من الإنسانية على أهمية هذا التراث المخلد في تاريخ العلم والتشريع والتوجيه الإنساني .

إن كتاب الله المنزل على خاتم رسوله ، والذخيرة الإنسانية التي أذخرها لتلاميذ محمد لأجيال المسلمين من أقوال الهادى الأعظم وأفعاله وتوجيهاته ، تتألف منها رسالة الإسلام . ولتحقيق هذه الرسالة وتعميمها وتخليدها ، هاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى دار الهجرة والنصرة ، وسرى في اللحاحات الآتية - وهى لحاحات - وبخزة خاطفة بقدر ما يتحمله المقام - كيف عنى الصحابة بحفظ السنة المحمدية وتحميل أماناتها لتلاميذهم من التابعين ، إلى أن تولى رجال التدوين تسجيلها فى أصح ما يمكن للبشر أن يدونوه من تراث الإنسانية التاريخى والأدبى .

روى أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى فى صحيحه (كتاب المظالم ٤٦ ، الباب ٢٥) عن عبد الله بن عباس أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قال له : « كنت وجارى من الأنصار فى بنى أمية بن زيد - وهى من عوالى المدينة - نتناوب النزول على النبي صلى الله عليه وسلم ، فينزل هو يوما وأنزل يوما ، فإذا نزلت جئته من خبر ذلك اليوم من الأمر وغيره ، وإذا نزل فعل مثله » .

وقال البراء بن عازب الأوسى : « ما كل حديث سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يحدثنا أصحابنا وكنا مشتغلين برعاية الإبل ، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يطلبون ما فاتهم سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيسمعون من أقرانهم ومن هو أحفظ منهم ، وكانوا يشددون على من كانوا يسمعون منه » .

وكان من حرص الصحابة على حفظ السنة المحمدية والتثبت منها وتعميم العلم بها ، أن الواحد منهم لا يقتصر على ما سمعه بنفسه ، بل ينشر ما حدثه به إخوانه - وقد رأيت كيف كان عمر يتناوب مع جاره الأنصارى النزول من عوالى المدينة إلى مجالس الرسول صلوات الله عليه ، ورأيت قول البراء بن عازب إن الصحابة كانوا يطلبون ما فاتهم سماعه من رسول الله فيسمعون من أقرانهم ومن هو أحفظ منهم ويشددون على من كانوا يسمعون منه - وأورد الحافظ ابن حجر فى ترجمة عبد الله بن أنيس من كتاب الإصابة عن الإمامين أحمد والبخارى وغيرهما أن الصحابى ابن الصحابى جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنهما قال : بلغنى حديث فى القصاص وصاحبه بغزة ، فرحلت إليه مسيرة شهر -

وروى الإمام النووى شارح صحيح مسلم فى كتابه (بستان العارفين) ص ٤٣ بسنده إلى جابر بن عبد الله أنه خرج على بعير له يجوب الآفاق فى البحث عن صحابى بلغه أنه سمع

من النبي صلى الله عليه وسلم حديث « من ستر على أخيه المؤمن فكأنما أحياه » ولما دخل البلد الذي قيل له إن ذلك الصحابي مقيم فيه أرشده بعضهم إلى منزل أحد الصحابة ، فلما سأله عن الحديث قال له : لست أنا ذاك ، ولكن ذاك رجل يقال له شهاب ، فخطر على بال جابر أن يسأل حاكم البلد - واسمه مسلمة - عن شهاب هذا ، فأتى بيت الحاكم وقال للبواب : قل للامير ينزل إلى - . فدخل البواب على الأمير وهو يبتسم ، فقال له الأمير : ما شأنك ؟ قال : رجل على بعير قال « قل للامير ينزل إلى - » . فقال الأمير : ألا سألته من هو ؟ فرجع البواب فسأله ، فقال له : أنا جابر بن عبد الله الأنصاري . فرجع إلى الأمير وأخبره . فوثب الأمير من مجلسه فأشرف عليه وقال : اصعد . فقال جابر : ما أريد أن أصعد ، ولكن حدثني أين منزل شهاب ؟ قال : اصعد فأرسل إليه فيقضي حاجتك . قال : لا أريد أن يأتيه رسولك ، فإن رسول الأمير إذا جاء رجلا راعه ذلك ، وأنا أكره أن يروح رجل من المسلمين بسببي . فنزل الأمير يمشي مع جابر بن عبد الله حتى أتى شهابا فسمع منه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ستر على أخيه فكأنما أحياه » .

هذه صورة من عناية أصحاب رسول الله في حفظ أمانة السنة ، والسفر في الصحارى وقطع المفاوز لتلقى الحديث الواحد من فم الذي سمعه مباشرة من رسول الله . ومثل هذه الجهود للحصول على الحديث الواحد قبل أن يضيع بوفاة صاحبه ، دليل على عظيم عناية الصحابة بالنصوص الصادرة عن نبيهم صلوات الله عليه ، وبذل الجهد في نشرها وتعميمها .

قال الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (٣٢١ - ٤٠٥) في كتابه (المدخل إلى كتاب الإكليل في أصول الحديث ص ٧ - ٨) وقد ألف قبل أكثر من ألف سنة : « روى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة أربعة آلاف رجل وامرأة محبوبه نيفا وعشرين سنة : بمكة قبل الهجرة ، ثم بالمدينة بعد الهجرة ، حفظوا عنه أقواله وأفعاله ، ونومه ويقظته ، وحركته وسكونه ، وقيامه وقعوده ، واجتهاده ، وعبادته ، وسيرته ، وسراياه ، ومغازيه ، ومراحه وزجره ، وخطبته ، وأكله وشربه ، ومشيه ، وسكونه ، وملاعبته أهله ، وتأديبه فرسه ، وكتبه إلى المسلمين والمشركين ، وعهوده وبواثيقه ، وألحاظه ، وأنفاسه ، وصفاته . هذا سوى ما حفظوا عنه من أحكام الشريعة ، وما سألوه عن العبادات والحلال والحرام ، أو تحاكوا فيه إليه » .

وفي عصرنا هذا ، ألقى علامة مسلمي الهند السيد سليمان الندوي رحمه الله ثمانين محاضرات على الجامعيين من جميع الأديان في جامعة مدراس الهندية ، قارن فيها بين الرسالة المحمدية ورسالات جميع الأنبياء والمصلحين ، وأعلن أن محمدا وحده هو (الإنسان

التاريخي) الذي صرف الناس دخائله ومظاهره وجميع أحواله، وحفظوا عنه ما لم تحفظه أمة عن أحد غيره من الأنبياء والقادة . ومما قاله (الرسالة المحمدية ص ٧٧ - ٧٨) : « إن النبي صلى الله عليه وسلم أذن لأصحابه ولمن يحضر مجالسه أن يبلغوا عنه لمن غاب عنها ، وهذا الإذن عام لما يكون عنه في بيته وبين أهله وعياله ، أو ما يصدر عنه في حلقاته مع أصحابه ، أو ما يقفون عليه من أعماله وأقواله ، عند تعبه في مسجده ، أو قيامه على منبره خطيباً ، أو جهاده في ساحة الحرب تجاه أعدائه وهو يسوق صفوف المجاهدين في سبيل الله ، أو إذا خلا إلى ربه في حجرة منعزلة في بيته يعبد الله ويتضرع إليه ، فكان أزواجه وأصحابه يتحدثون جميعاً بكل ما يصدر عنه من قول أو عمل . ثم إنه كان تجاه مسجده صفة يأوى إليها فقراء الصحابة ، ولم يكن لسائرهم عمل غير صحبة النبي ولزوم مجالسه ليحفظوا عنه ما يقول وما يعمل ، ثم يروونه للناس بعناية وأمانة . وقد بلغ عدد أهل الصفة هؤلاء سبعين رجلاً كان منهم أبو هريرة الذي لم يكن صحابي أكثر منه حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهؤلاء السبعون كانوا كأنهم جواسيس الحكومة وعيونها في نشاطهم وإخلاصهم لما يسرهم الله له من حفظ كل ما يستطيعون حفظه مما يدخل في موضوع الحديث النبوي . وإذا ارتحل الرسول عن المدينة في غزوة أو حج كانوا معه ، وكذلك غيرهم من الصحابة ، حتى لم تخف عنهم خافية من أمره . ولما كان فتح مكة كان معه من أصحابه عشرة آلاف ، ولما سار إلى تبوك كان في معسكره ثلاثون ألفاً ، ولما حج حجة الوداع حج معه في تلك السنة مائة ألف مسلم ينطبق عليهم عنوان « الصحابة » . وما منهم إلا من يحرص على الوقوف على شيء من هداية نبيه صلى الله عليه وسلم أو أي أمر من أموره فيتحدث عنه . بل هو الذي أمرهم أن يبلغوا عنه ما يسمعون منه أو يرون من تصرفاته . فما ظنكم به بعد ذلك ، هل يخفى عن التاريخ وجهه من وجوه حياته أو ناحية من نواحيها ؟ هذان جهة أصحابه ، وأما أعداؤه فأنهم أفرغوا جهدهم واستنفدوا سعيهم ليقفوا على دخيلة من دخائله وليؤاخذوه بحقيقة يعلمونها عنه ، فلم يستطع أحد منهم أن يجد له ناحية ضعف . وأقصى ما استطاع أعداؤه في كل زمان أن يقولوه : إنه سل سيفه للقتال ، وإنه كان كثير الأزواج ، وقد تبين لم أن حياته الطاهرة هي العصمة من كل نقص . »

إن محمداً صلى الله عليه وسلم هو النبي الوحيد من أنبياء الله الذي كانت حياته كلها مكشوفة للتاريخ : في منزله ، وفي المجتمع . ويقول المؤرخ الانجليزي جيبون إن محمداً كان من حياته في امتحان نجح فيه النجاح الأعلى دون غيره من عظماء الأرض . والمنصفون من غير المسلمين قالوا في نبينا مثل هذا وأكثر منه . وقد كان من رسالته صلوات الله عليه أن يبين القرآن للناس ، فالسنة والحديث مجال هذا البيان ، ومن كمال هذا البيان

الوضوح البليغ في عرضه وتبليغه . روى الإمام أحمد عن وكيع عن سفيان عن أسامة عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : « كان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلا ، يفهمه كل أحد ، ولم يكن يسرد سردا » . ورواه أبو داود عن أبي شعبة عن وكيع . وكان ذلك ليحسنوا وعيه منه ، وتبليغه للناس ، وقد كانت أوامره قطعية في حجة الوداع : « ليبليغ الشاهد الغائب ، فان الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه » ، « فليبلغ الشاهد الغائب ، فرب مبلغ أوعى من سامع » .

من هنا نشأ الحديث النبوى ، فيما بين صاحب الرسالة والذين أرسله الله إليهم . ومن هنا كان لصاحب هذه الهجرة الامتياز على جميع رسل الله في حفظ تراثه العظيم الذى لو اعتبرناه مادة من مواد التاريخ لما رأينا في مواد التاريخ الأخرى ما يدانيه في الصحة وتحرى الأمانة في نقله من جيل إلى جيل . وإذا كان الذين يطيلون ألسنتهم بالتشكيك فيما صح عند المسلمين من حديث نبهم يحاربون مواد التاريخ الأخرى ، فلا يلمزونها بما يلمزون به الحديث النبوى ، فلا شك أن ذلك منهم إما عن جهل بما امتاز به تمحيص الحديث النبوى على كل حديث غيره ، والجاهل لا ينبغى له أن يتعرض لما هو جاهل به . أو لأنهم مدفوعون إلى ذلك بإحنة أو سخيمة ينطوون عليها للإسلام وصاحب رسالته وجبهود أمته ، فهم إذن أعداء ، والعدو لا يقبل قوله فيمن يعاديه . أما المدسوس فعلا على رسالة الإسلام من الأحاديث الموضوعية والواهية ، فعلماء هذا الشأن من أسلافنا وأئمتنا هم الذين فضحوه وأعلنوا سقوطه وألقوا السكتب فيه وفي الذين اجترأوا على وضعه من أعداء أو جهلاء ، فالتذرع بالموضوعات والأحاديث الواهية للتشكيك في الأحاديث الصحيحة والحسنة لا يجوز صدوره عن رجل يحترم التاريخ ، لأن حظ الحديث النبوى والسنة المحمدية من التمحيص والتحرى أسنى من حظ كل ما يحترمه الناس ويعتمدون عليه من مراجع التاريخ في جميع أمم الأرض . والفضل في تمحيص الحديث ، وتمييز الطيب منه عن الحديث يرجع إلى أئمتنا وعلماء حديث نبينا ، وإنهم قد أحاطوا بذلك واستقصوه ولم يتركوا بعدهم مقالا لقائل ، من عالم أو جاهل .

ومما لغطوا به ولا كتبه ألسنتهم من أساليب التشكيك أن الحديث نقل من جيل الصحابة إلى تلاميذهم من التابعين بالحفظ والتلقى والتلقين ، لا بالكتابة والتدوين . وهل اختار الله لحفظ القرآن إلا طريقة التلقى والتلقين قبل الكتابة والتدوين ؟ وليخجل هؤلاء من مصداقى صادق الرافعى وهو يقول لهم : كانت العرب أمة أمية لا يقرءون إلا ما تحطه

الطبيعة ، ولا يكتبون إلا ما يلقنون من معانيها . فيأخذون عنها بالحس ، ويكتبون باللسان في لوح الحافظة ، فكان كل عربي - على قدر وعيه وحفظه - كتاباً أو جزءاً من كتاب . وكانت كل قبيلة بذلك كأنها سجل زمني في إحصاء الأخبار والآثار . ولو أن الكتابة كانت فاشية فيهم ما عدلوا إليها ، ولا استغنوا بها عن الحفظ . لأن سبيل تلك المعاني الطبيعية أن تجئ من أداة طبيعية أيضاً ، حتى تكون عند الخاطر إذا خطر ، والهاجس إذا بدر . وليس لذلك غير اللسان .

وقال أبو عمر بن عبد البر في جامع بيان العلم (١ : ٦٩) بعد أن استعرض أقوال الذين كانوا يمتنعون من كتابة الحديث في الصدر الأول : ومن ذكرنا قوله في هذا الباب فانما ذهب في ذلك مذهب العرب ، لأنهم كانوا مطبوعين على الحفظ ، مخصوصين في ذلك . والذين كرهوا الكتابة - كابن عباس والشعبي وابن شهاب والبخي وقنادة ومن ذهب مذهبهم ، وجبل جبلتهم - كانوا قد طبعوا على الحفظ ، فكان أحدهم يجترأ بالسمعة (أى يحفظ من السماع مرة واحدة . وبعد أن ضرب المثل على ذلك قال) : وهؤلاء كلهم عرب ، وقال : النبي صلى الله عليه وسلم : « نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب » . وهذا مشهور أن العرب قد خصت بالحفظ : كان أحدهم يحفظ أشعار بعض من سمعة واحدة . ومن أقوالهم « حرف في تامورك خير من عشرة في كتبك » . والتامور : علة القلب .

وروى أبو حاتم عن الأصمعي أن يونس بن حبيب سمع رجلاً يثمد :

استودع العلم قوطاساً فضيعه وبئس مستودع العلم القراطيسا

فقال يونس : فاته الله ما أشد صيانتك للعلم إن علمك من روحك ، وإن مالك من بدنك ، فصن علمك صيانتك روحك ، وصن مالك صيانتك بدنك .

وأنشد عمر بن أبي ربيعة المخزومي عبد الله بن عباس قصيدته :

أمن آل نعم أنت غاد فبكر غداة غمد ، أم رائح فهير ؟

وهي تقرب من سبعين بيتاً ، وكان نافع بن الأزرق الخارجي يسمع ، فلما انتهى عمر بن أبي ربيعة من إنشاد قصيدته قال ابن الأزرق : لله أنت يا ابن عباس ، يضرب الناس إليك أكد الإبل يسألونك عن الدين . ويأتبك غلام من قریش يثمدك سفها

فقسمعه ؟ قال ابن عباس : تالله ما سمعت سفها . قال ابن الأزرقي : أما أنشدك :

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت فيخزي ، وأما بالعشى فيخسر ؟

قال ابن عباس : ما هكذا قال ، إنما قال « ... فيضحى ، وأما بالعشى فيخسر »

فقال ابن الأزرقي : وتحفظ الذي قال ؟ قال ابن عباس : والله ما سمعتها إلا صاعتي هذه ، ولو شئت أن أردّها لرددتها . قل نافع : فارددها . فأنشده ابن عباس القصيدة وهي مبعون بيتا . قال الحافظ بن عبد البر : وليس أحد اليوم على هذا ، ولولا الكتابة لضاع كثير من العلم .

وهكذا لما كان الصحابة ومن لهم منزلة الحفظ من تلاميذهم يكتفون بالحفظ ، كان من مصلحة السنة والحديث النبوي أن يتلقى الراوي عن يثق به وبأخلاقه من الحافظين ، وأن يلقن الأستاذ من يثق بأمانته ووعيه من المتعلمين . فلما ضعف الحفظ حل محله التدوين والكتابة . ومع ذلك فإنه في الدور الذي امتاز أهله بالحفظ كانت توجد الكتابة ، وفي الدور الذي غلبت فيه الكتابة بقي كثيرون من الممتازين بالحفظ إلى زماننا هذا ، ولولا أن يتسع بنا القول لضربنا الأمثال والشواهد التاريخية على ذلك .

أما الكتابة في العصر النبوي فالشواهد عليها كثيرة ، منها ما رواه الإمام أحمد في مسنده (٢ : ١٩٢ الطبعة الأولى) ومثله في ١٦٣ ، وأبو داود في سننه (٢ : ٢٢) والحافظ ابن عبد البر في جامع بيان العلم (١ : ٧١) عن يوسف بن ماهك عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : كنت أكتب كل شيء أسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه فنهتني قریش عن ذلك وقالوا : تكتب ورسول الله يقول في الغضب والرضا ؟ فأمسكت حتى ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « اكتب ، فوالذي نفسي بيده ما أخرج منه إلا حق » وأوماً بإصبعه إلى فيه .

وكان ابن فاتح مصر يسمى ما كتبه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (الصادقة) ، انظر طبقات ابن سعد (٢ : ١٢٥ القسم الثاني طبعة ليدن) وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (ص ٩٣) وجامع بيان العلم لابن عبد البر (١ : ٧٢) . ومن الصادقة كان يروي عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . والذين يرون الحفظ أثبت من الكتابة كانوا يرون أحاديث عمرو بن شعيب دون المحفوظ .

وكان عبد الله بن مسعود يكتب ، أخرج الحافظ ابن عبد البر في جامع بيان العلم (١ : ٧٢)

عن مسعر عن معن قال : أخرج لى عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود كتابا وحلف لى أنه بخط أبيه بيده . وكان لسعد بن عباد كتاب أو كتب . روى الإمام أحمد فى المسند (٥ : ٢٨٥ الطبعة الأولى) عن اسماعيل بن عمرو بن قيس بن سعد بن عباد عن أبيه (عمرو بن قيس بن سعد) أنهم وجدوا فى كتب - أو فى كتاب - سعد بن عباد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى باليمين مع الشاهد . وفى ترجمة عبد الله بن عباس من كتاب الإصابة للحافظ ابن حجر : روى محمد بن هارون الرويانى فى مسنده عن عبيد الله بن على ابن أبى رافع قال : كان ابن عباس يأتى أبا رافع فيقول : ما صنع النبى صلى الله عليه وسلم يوم كذا ؟ ومع ابن عباس من يكتب ما يقوله أبو رافع . وفى طبقات ابن سعد (٥ : ٢١٦ طبعة ليدن) عن موسى بن عقبة (صاحب المغازى المتوفى سنة ١٤١) قال : وضع عندنا ابن كريب مولى ابن عباس حمل بعير من كتب ابن عباس . قال : فكان على بن عبد الله ابن عباس إذا أراد الكتاب بعث إليه : ابعث لى بصحيفة كذا . والصحيفة عندهم الكتاب المحتوى على كرارىس . وفى كتاب الأدب المفرد للبخارى (رقم ١١٣١ طبع السلفية) صورة كتاب من زيد بن ثابت إلى معاوية فى خلافته عن ميراث الجد والجدة ، وأورده البخارى لبيان آداب المراسلة بين الصحابة رضوان الله عليهم . وتاريخ كتاب زيد بن ثابت إلى معاوية يوم الخميس لثنتى عشرة بقيت من رمضان سنة ٤٢ . وفى (توجيه النظر) لشيخنا الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله (ص ٨) أن زيد بن ثابت ألف كتابا فى علم الفرائض . ولجابر بن عبد الله مذسك صغير أورده مسلم فى كتاب الحج من صحيحه مطولا . وله صحيفة (كتاب) ذكرها ابن سعد (٥ : ٣٤٤ طبع ليدن) فى ترجمة مجاهد ، وذكر أنه كان يحدث عنها . وفى جامع بيان العلم لابن عبد البر عن الربيع بن سعد قال : رأيت جابرا يكتب عند ابن سابط فى ألواح . ونقل ابن القيم فى كتاب القياس فى الشرع الإسلامى (آخر ص ٨ طبع السلفية سنة ١٣٧٥) عن الترمذى أن قتادة كان يحدث عن صحيفة سليمان اليشكرى التى كتبها عن جابر بن عبد الله . وأبو هريرة صار يكتب ما حفظه قبل أن يذساه ، وكان قبل ذلك لا يكتب حتى أنه قال « لم يكن أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر حديثا منى ، إلا عبد الله بن عمرو بن العاص فإنه كتب ولم أكتب » (جامع بيان العلم ١ : ٧٠) . فلما صار أبو هريرة يكتب بعد ذلك جعل يعتمد على كتابته . قال الفضل بن حسن بن عمرو الضمهرى : تحدثت عند أبى هريرة بحديث فأنكره ، فقلت له : إنى سمعته منك ، فقال : إن كنت سمعته منى فهو مكتوب عندى . فأخذ بيدى إلى بيته فأرانا كتبنا كثيرة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :

قد أخبرتك أنى إن كنت حدثتك به فهو مكتوب عندى . والذين يشككون أمة محمد صلى الله عليه وسلم بما حفظه عنه أبو هريرة من الحديث النبوى يتجاهلون أن الذين روى عن أبي هريرة كان فيهم أقطاب التابعين وأعلام الإسلام كسعيد بن المسيب والحسن البصرى ومحمد بن سيرين وهذه الطبقة ، وهؤلاء ممن خالطوا أبا هريرة وعرفوه فى السراء والضراء ، وكانوا أحرص على حديث نبيهم وشريعتهم من أن يستقوها إلا من أصفى وأطهر ينابيعها ، وهم - بمعاصرتهم وواسع علمهم بالسنة المحمدية ، وصدق أمانتهم للإسلام - أعرف بصدق أبي هريرة من كل من يعصى الله - بعد أربعة عشر قرناً - بالبغى على هذا الصحابى الحافظ الصادق الذى يريد منا هؤلاء أن نعطل ما حفظه رضى الله عنه من سنة نبيينا وأحكام شريعتنا ، فالله حسبهم ... ورأينا من يطعن فى أحاديث أبي هريرة يتابع أهواء مؤلف يسىء القول فى من هو أعظم من أبي هريرة ، فهل يريد مقلده أن يلقى الله بقالة السوء فى أبي هريرة وحده ، أم بمن هو أعظم منه أيضاً ؟

إن صاحب ذكرى الهجرة صلوات الله عليه إنما عاش ما عاش بمكة ، ثم تجمش ما تجمش للهجرة بأصحابه منها إلى المدينة ، ليحفظ للانسانية أمانة القرآن الحكيم ، وأمانة بيانه بالسنة المطهرة والحديث النبوى . وقد كان الصحابة والتابعون والتابعون لهم بإحسان يبذلون من مهجهم وجهودهم لحفظ هاتين الأمانتين كما كانوا يبذلون منهما فى مواقف الجهاد ، ولا نعرف فى كل ما نعرفه من محفوظ الخلف عن الساف - فى تاريخ أو أدب أو علم أو سياسة - شيئاً حيط بالصيانة والعناية كما حاط بهما علماء الإسلام هذه الشريعة المطهرة ونصوصها الأولى . وهذه الميزة من أهم ما امتاز به صاحب ذكرى الهجرة على جميع أنبياء الله ، ومن أهم ما امتاز به الجليل الذى تولى تربيته - هذا الرسول الكريم . وإذا شك أحد فى صحة ما صح عند أئمتنا من حديث نبيينا فأجدر به أن يشك فى صحة كل ما نقلته الأئمة من تاريخها وحكمتها وتراثها الإنسانى ، ولا يجرؤ على ذلك إلا معتوه ، أو عذوق لا يستحي .

العام الهجرى

فى آخر لحظة من شهر ذى الحجة ، وأول لحظة من شهر المحرم ، يطوى سجل خاص لعام من أعوام التاريخ الهجرى ويفتح سجل آخر ، هذا السجل الذى طوى قد حوى أحداثاً للأمة العربية يقرؤها منهم المبصر والكفيف ويطالعها الأعمى والقارئ ، ويتأمل فيها العالم والجاهل ، وقد صار هذا السجل الخاص جزءاً من ألف وثلاثمائة وسبعة وسبعين جزءاً من السجل العام للتاريخ الهجرى ولن تمتد إلى هذا السجل يد المحو والإثبات لا من الخالق القوى القادر ولا من المخلوق الضعيف العاجز ، فهو أشبه باللوح المحفوظ عند الله وكل ما يستطيعه المخلوق أن يعتبر بما فيه خاصة العقلاء المطاعين عليه ، فإن رأوا الفساد والشرفيات ، أمكن أن يمنعوا حصوله فيما هوأت ، وتلك حكمة الحكماء والأثر الصحيح لتفكير العقلاء ، يستعرضون الأحداث ، ويبحثون بتدقيق ما دعا إليها وما نتج عنها وما يعود عليهم وعلى شعوبهم من بقائها ، كما يبحثون أنجع السبل للملاقاة ما قد يكون لها من أخطار ويسارعون لوضع الخطط الكفيلة للتخلص من شرورها ويعملون على تجنب البشر ويلاتها ، وبمقدار حظ الأمة من هؤلاء العقلاء يكون حظها من الخير والرقى والفلاح ، ولنا أعظم الرجاء عند الله أن يكون للمسلمين عامة وللعرب خاصة من هؤلاء الأخيار العدد الوفير ، وأن يوفقه الله ويوفق الأمة معهم لبلوغ أعلى الدرجات فى العلم والقوة وإسداء الخير للمسلمين والناس أجمعين .

ويجدر بنا قبل أن نستعرض بعض ما قد سطر فى سجل العام الذى انقضى من أحداث ، أن نذكر الناس بحدثى الهجرة والتاريخ الهجرى فنقول :

أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة من أول نبوته ثلاث سنين يدعو إلى الإسلام سرا ثم أعلن الدعوة فى الرابعة فدعا الناس إلى الإسلام عشر سنين يوافى موسم الحج كل عام ومواسم عكاظ ومجنة وذى الحجاز ، يدعو الناس إلى الإيمان بالله ، وأن يمنعه حتى يبلغ رسالات ربه ولهم الجنة ، ويعرض نفسه على القبائل فلم يجد من ينصره ، وكان الأوس والخزرج يسمعون من حلفائهم من يهود المدينة أن نبيا من الأنبياء مبعوث فى هذا الزمان وسيخرج فنتبعه . فلما قدموا للحج ورأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى الله عز وجل وتأمّلوا أحواله قال بعضهم لبعض والله إن هذا الذى توعدكم به يهود المدينة فلا يسبقكم إليه فلقبهم النبي صلى الله عليه وسلم عند العقبة فى الموسم وكانوا ستة من الخرج فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا ، ثم رجعوا إلى المدينة فدعوا إلى الإسلام فيها حتى لم يبق

بها دار إلا كان فيها ذكر للإسلام ، وفى العام التالى أقبل منهم اثنا عشر رجلا فبايعوا رسول الله على السمع والطاعة وأن ينصروه إذا قدم عليهم ويمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأزواجهم وأبناءهم ولهم الجنة . وفى العام الثالث قدم منهم سبعون أو خمسة وسبعون فبايعوا رسول الله على مثل ما تقدم بيعة العقبة الكبرى ، وأمر رسول الله بعدها المسلمين بالهجرة إلى المدينة ومكث ينتظر الإذن له ، وأذن له بالهجرة وأن يستصحب معه أبا بكر رضى الله عنه وكانت المدة التى أقامها بمكة بعد الرسالة ثلاثة عشر عاما .

فخرج من مكة لسلال ربيع الأول ووصل المدينة لائتلى عشرة خلت منه ، فتلقاه الأنصار بسلامهم وكبروا فرحا بقدومه وأحذقوا به فى مسيره حتى نزل بقاء ، فأقام أربع عشرة ليلة أسس فيها مسجد قباء ، ثم ركب إلى المدينة ، ولم تزل ناقته سائرة لا تمر بدار من دور الأنصار إلا رغبوا إليه فى النزول عليهم وأمسكوا بخطام الناقة فيقول دعوها فإنها مأمورة حتى وصلت إلى موضع مسجده وبركت ، ولم ينزل عنها فنهضت وسارت قليلا ثم التفتت فرجعت وبركت فى موضعها الأول فنزل عنها وكان سرور الأنصار بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحيط به الوصف وفى ذلك يقول قائلهم :

نوى فى قریش بضع عشرة حجة	يذكر لا يلقى حبيبا مواليا
ويعرض فى أهل المواسم نفسه	فلم ير من يؤوى ولم ير داعيا
فلما أتانا واستقرت به النوى	وأصبح مسرورا بطيبة راضيا
وأصبح لا يخشى ظلامه ظالم	بعيد ولا يخشى من الناس باغيا
بذلنا له الأموال من جل مالنا	وأفلسنا عند الوغى والتأسيا
نعادى الذى عادى من الناس كلهم	جميعا وإن كان الحبيب المصافيا
ونعلم أن الله لا رب غيره	وإن كتاب الله أصبح هاديا

ويفيض المؤرخون فى حديثهم عن الهجرة ، والباعث عليها ، وما كان لها من آثار

سياسية وغير سياسية .

وإنما الذى يعنيننا كرجال دين أن نبين أن هجرة رسول الله وأصحابه ما كانت فرارا بالدين فما كان مجد وخيرة أصحابه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وغيرهم من النخبة الطاهرة يخشون أن يقتلوا فى دينهم أو أن تزيع قلوبهم بالاضطهاد والعذاب بعد إذ هداهم الله للإسلام فيفروا بدينهم فرقا وفرقا ، أجل ما كان مجد والمضطهدون الأخيار من صحابته قد هاجروا فرارا بدينهم ولسكنهم هاجروا ليكونوا فى موضع المهاجم بدعوة الإسلام حتى تكتسح أرض الجزيرة العربية ، ثم تذفى فتعبر البحار والمحيطات إلى ما شاء الله من الأقطار

والآفاق ، وكان عهد وأصحابه يرون بنور الله فهو أعينهم التي بها يبصرون وآذانهم التي بها يسمعون وأطرافهم التي بها يبطنون ويمشون ، وقد حقق الله كل ما كانوا يرجون فبعد أن كان يدخل الإسلام الفرد أو الاثنان والمتخفي الخائف أو الظاهر المستجير بدل الله كل ذلك وجاء نصر الله والفتح ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، وانتشر نور الإسلام مع نور الشمس فأضاء العامر والخراب ، وانبسط سلطان التوحيد حتى على معابد الأوثان وبيوت النيران وتجر الشرك في الهواء ونضب معين الضلال في الأرض وزلزل المضلون والجاحدون وبطل ما كانوا يعملون ، فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ، وقالوا آمنا برب العالمين .

ذلك حدث الهجرة - أما حدث التاريخ الهجرى فنتجمله فيما يأتى :-

روى الثقات من المؤرخين أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه رفع إليه صك محله (أى وقت حلوله) شعبان فقال عمر أى شعبان هو - الذى مضى أم الذى هو - وأت أم الذى نحن فيه ، ثم جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لهم ضعوا للناس شيئا يعرفونه (أى يعرفون به التاريخ) فقال قائل اكتبوا على تاريخ الروم ف قيل إنه يطول فإنهم يكتبون من عهد ذى القرنين وقال قائل اكتبوا على تاريخ الفرس كلما قام ملك طرح ما كان قبله وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه نكتب منذ خرج النبي صلى الله عليه وسلم من أرض الشرك فاجتمع رأيهم رضوان الله عليهم على هذا مع اختيار اللفظ الجزل المختصر : من الهجرة : ثم نظروا كم أقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فوجدوه قد أقام بها عشر سنين فكتب أول التاريخ على هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك لسنتين ونصف من خلافة عمر رضى الله عنه ، وكانت مدة خلافة أبى بكر رضى الله عنه سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال ، فيكون أصحاب رسول الله قد بدءوا التاريخ الهجرى بعد الهجرة بمدة أربعة عشر عاما وتسعة أشهر وعشر ليال .

والتاريخ الهجرى المنسوب إلى الهجرة لا يبدأ من الهجرة وإنما يبدأ من عامها لأن الهجرة كانت في ربيع الأول كما قدمنا ، ومبدأ العام هو المحرم .

ويحذر بنا بعد أن ذكرنا حدثى الهجرة ، والتاريخ الهجرى أن نذكر بعض أحداث العام الماضى لنأخذ منها العظة والعبرة ، ونسترشد بها في العام الآتى وما بعد الآتى فنقول : أخطر أحداث العام الماضى وأعظمها الوحدة بين مصر وسوريا وما أفاء الله عليهما من نعمة الاستقلال بعلم واحد والاندماج في جمهورية إسلامية واحدة تتآزر على النهوض بالإسلام والعروبة وتبذل النفس والنفيس لتحقيق كرامتها وعزتها ، ولما لعل يقين بأن الشعب السورى عريق التدين قوى الإيمان شديد الحفاظ على الأعراض يعطى الأسرة

حقها من العناية والرعاية ، كما يمنح المتجرو المصنع كل ما يحتاجان من مجهود ونصب ، وهو مع هذا عزيز الجانب قوى الشكيمة لا يرضى بالضم كما لا يرتضى الجور ، فهو بحق شعب للدنيا والدين .

وكم حمدنا الله على التوفيق لهذه الوحدة ودعوانه مخلصين أن تكون خيرا ويمنا للشعبين العظميين ومبعث عز وكرامة للإسلام والعروبة ، وتباشير الصباح الصبوح قد ظهرت لذى عينين .

ولنا هنا رغبات نسأل الله أن يوفقنا فيها وأن يمنح أولى الأمر التوفيق لتحقيقها ولكن قبل أن نذكرها يجدر بنا أن نذكر ماصرح به الرئيس العاهل الحازم جمال عبد الناصر أن الثورة لا تدعى العصمة بالنسبة للجميع ما باشرته من أعمال وأن علينا أن نصصح ما قد يكون من أخطاء ويكفى الثورة ورجالها أنه خطأ كذلك نذكر ما أعلنه السيد أنور السادات في المؤتمر الشعبي بقنا أن الرئيس : جمال عبد الناصر يطلب من كل مواطن أن يبلغه عن الخطأ ويقترح طريق الإصلاح وعلى ذلك بقوله لأن الرئيس ورفاقه في الحكم لا يمكنهم الإحاطة بكل شيء .

وقد رأينا رجال الدولة في مصر وسوريا يبذلون الجهود في سبيل توحيد القوانين ولو على سبيل التدرج ، وتوحيد القوانين بين القطرين اللذين أصبحا يكونان جسما واحدا هو الجمهورية العربية المتحدة أمر طبعى وسنن سياسى ممتاز ، ولكن هل المراد بتوحيد القوانين أن تسرى قوانين مصر على سوريا أم قوانين سوريا على مصر . المنطق والعقل والحزم في السياسة أن يبحث ذوو البصيرة والنور والعرفان في القانون فما كان خيرا من غيره اتبع في القطرين سواء أ كان مصر يا أم سوريا بل من الحزم أنه إذا ظهر في القانون المختار بعض النقص أن يعدل بما يتلافى ذلك النقص .

ولهذا نرجو ورائدنا الإخلاص لله وللدن والوطن أن يعاد النظر في قانون توحيد القضاء الذى هو فى الواقع إلغاء للمحاكم الشرعية وتحويل للفصل فى الأحوال الشخصية إلى جهة غير جهة رجال الدين وقطع لصلة الأزهر بهذا الفرع من القضاء وهو به أجدر .

وقد امتلأت المجالس بالاعتراف بأنه لا يحسن القضاء فى الأحوال الشخصية غير رجال كلية الشريعة من الأزهر ولهذا جرى العمل فى وزارة العدل على أن القضاء المنفرد فى المحاكم الجزئية لا يباشره إلا القاضى الشرعى وفى القضاء الكلى والعالى يباشره القاضى

الشرعى بجوار القاضى الوطنى مع الاستعانة بمذكرات عضو النيابة الذى يجب أن يكون من رجال القضاء الشرعى ، وهذا يعطى صورة قوية الوضوح للشعور بضعف القاضى الوطنى فى ناحية الأحوال الشخصية وإن رجال القضاء الشرعى كأنما يقومون الآن بدور الأستاذ لتعليم القاضى الوطنى هذا الفرع من القضاء - ولكن الواقع من ناحية أخرى أن هذا الدرس فى المحكمة لا يخرج القاضى الذى يجب أن يكون فى مستوى القاضى الذى درس هذه الناحية فى التعليم الابتدائى والثانوى والعالى وفى تخصص القضاء فى مدة خمسة عشر عاما .

وإنا نهيىب بلجنة التنظيم للقضاء وعلى رأسها رئيس محكمة النقض وهو رجل عليم بالقوانين محنك فى القضاء دقيق فى البحث والتحرى عن أحكم السبل الموصلة للعدالة أن تختار القاضى ذا القدرة البارزة على الفصل فيما يرفع إليه من قضايا الناس فى الأحوال الشخصية ، ونحن مطمئنون إلى أنها لن تجد ذلك القاضى إلا فى كلية الشريعة بالأزهر أو كلية الشريعة بسوريا .

ونعود من ناحية أخرى فنقول : إن الأزهر يرحب بكل إصلاح وتنظيم يرفع من شأن هذا القضاء ويدعم أركانه ويفسح المجال للعدالة .

وإذا كان للجانبات دائرة وللجنح دائرة وللأحوال المدنية دائرة وللأحوال التجارية دائرة ، فلماذا لا يكون للأحوال الشخصية دائرة يباشر الفصل فيها القضاة من كلية الشريعة ليسجلوا كما سجل أسلافهم من الأزهر تاريخاً قضائياً مجيداً وليظهروا كما أظهر أسلافهم أفكاراً متزنة نيرة تعتبر نبراً سافى العدل والإنصاف وقديماً قيل أعط القوس بارها - على أنه إذا كان أولو الأمر قد ارتاحوا إلى الوضع الحالى الذى يسير على أن يباشر هذا الفرع من القضاء القاضى الشرعى وحده فى القضاء المنفرد ويباشره مع غيره فى القضاء المشترك فلا مانع من بقاء هذا النظام واستمراره وذلك إنما يكون ببقاء تخصيص القضاء بكلية الشريعة .

ولا يصح الاكتفاء بهذا النظام على أن ينتهى بانهاء مدة الخدمة لرجال القضاء الشرعى الحاليين ثم ينفرد بالقضاء بعدهم القضاة من خريجي كلية الحقوق فاز فى ذلك هدم صرح شامخ من العلم والفقه الإسلامى يقدره حق قدره علماء القانون وفى مقدمتهم رئيس لجنة تنظيم القضاء ، كما أن فى ذلك تعريض العدالة لخطر وشيك الوقوع .

ورئيس لجنة تنظيم القضاء الذى يرى تخصيص القاضى بناحية فى جميع مراحل القضاء لاشك أنه يرى أن من مصلحة العدالة تخصيص قاض بالأحوال الشخصية وأنه لا يصح

أن يملأ ذلك المركز إلا من مارس الأحوال الشخصية فى الدراسة خمسة عشر عاما ثم فى الكتابة بالمحاكم ثم فى عمل الموظف القضائى .

بهذا نتوجه إلى رجال الثورة وإلى الضائرا الحرة لرجال تذبذب القضاء بين مصر وسوريا ، وإلى كل ذى رأى حروا لله الغيور على دينه وعلى العدالة نسأله أن يهتم الجميع الصواب ويوفقههم لإعلان كلمة الحق إنه سميع مجيب .

ومن أهم أحداث العام الماضى وأخطرها زيارة الرئيس جمال عبد الناصر لجمهوريات الاتحاد السوفيتى تلك الزيارة التى زادت أواصر الصداقة بين الجمهورية العربية وجمهوريات الاتحاد السوفيتى توثقا وقوة ، وأعلن فيها كل منهما لصاحبه الحب وبإدله الود والإخلاص ، ووقعت بينهما اتفاقات تجارة وتصنيع ، وبدأت فعلا ترد إلى مصر آلات المصانع وتلاحق ، ويفد الخبراء والفنيون على الجمهورية العربية وفى تقدير رجال المال والأعمال أنه لا تمضى فترة وجيزة إلا وتكون الجمهورية العربية قد شغلت المركز اللائق بها فى التصنيع والتجارة والزراعة ، وتصيح من الدول الكبرى فى الشرق ، وهذه بعض آثار تلك الصداقة هذا إلى مساندة روسيا التى تعتبر الدولة الأولى فى العالم لجمهوريتنا فى ميادين السياسة وفى مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة وفى ميادين الحرب الباردة وفى كل موطن تحتاج فيه الجمهورية العربية بشطريها إلى سند قوى ومعين مخلص يساعدها فى درء قوى الشر والعدوان عنها .

ولست هذه الزيارة السكرية تستدعى التجرد عن مبادئنا وخلع ديننا والتقمص بالمبادئ الشيوعية بل ولا تستدعى الصداقة بيننا وبينهم ذلك ولكن أثارها كما قلنا مبادلة الحب والإخلاص ، ولكل مبادئه وعقيدته بل ولكل سياسته ، ولهذا ما ترك الرئيس جمال عبد الناصر فرصه تمر إلا أعلن فيها سياسته الحيادية ورفع صوته جهوريا فى خطبه باستمساكه الشديد بسياسة الحياد الإيجابى على رؤوس الأشهاد وعلى العالم أجمع ، تحمت سمع وبصر أصدقائه الروسين ، وقد عظم بذلك فى نظر ساستهم وقدره حق قدره بشخصيته الفذة المستقلة ، فهو والحق يقال ، سافر إلى روسيا وقلبه يفيض بالإيمان بربه والتمسك بدينه ومذهبه فى سياسة الحياد الإيجابى والحرية التامة فى الرأى والاستقلال فى السياسة ، ثم عاد كما ذهب وقلبه مطمئن بالإيمان ومذهبه السياسى أقوى وأوثق وصلاته برجال السياسة فى العالم أوسع وأشمل .

فله الحمد أعظم الحمد على هذه النتيجة الباهرة السعيدة ، فقل للذين يخشون علينا الشيوعية من اتصالنا بروسيا ، اطمئنوا فالرئيس الحازم ورفاقه من رجال الثورة أقوياء الإيمان برهم وثيقو التمسك بدينهم ويحتفظون لجميع الأديان السماوية بحقوقها ، ويمنحون الحرية لمن يدين بها كما يسمح بذلك الإسلام ، قل للذين يخشون علينا الشيوعية من اتصالنا

بروسيا اطمئنوا على دينكم ودولتكم ، فبدأ دأماً الأزهر قويا يؤدي رسالته ، وما دام الأزهر عزيز الجانب فلا خوف على الجمهورية العربية بشرطها ولا على سائر بلاد العروبة من الشيوعية والمذاهب الهدامة وإني أسأل الله من أعماق قلبي أن يديم الأزهر في مصر قويا على المسكاة وضاء يشع نوره على جميع الأقطار الإسلامية والعربية إن ربى لجميع لدعاء . وآخر الأحداث الخطيرة فى العام الهجرى المنقضى حدث الثورة العراقية فنهز بحق مسك الختام لحوادث هذا العام .

ففى الساعة الثالثة صباحا من يوم الاثنين المبارك السادس والعشرين من ذى الحجة سنة ١٣٧٧ هـ (١٤ يولية سنة ١٩٥٨ م) بدأ زحف الجيش العراقى الباسل بقيادة فريق من الضباط الأحرار يتقدمهم الزعيم الركن عبد الكريم قاسم ولم تمض أكثر من ساعة حتى كانت الثورة قد سيطرت على جميع المرافق الهامة . وفى الساعة الرابعة أعلن مذياع محطة بغداد ما يأتى :

فى ليلة ١٤ يولية سنة ١٩٥٨ م بدأ الزحف المقدس - الجيش العراقى الباسل - نفض عبء الاستعمار عن كاهله - أفاق العرب من نومهم - سطعت أنوار الحرية - عمت الابتسامات أبناء الشعب - كان تحرير العراق حلما أصبح الآن حقيقة .

ثم أعلنت إذاعة بغداد أن الجيش قرر انتهاء عهد الملكية وبدء الحكم الجمهورى - وتأليف مجلس سيادة برئاسة الفريق الركن نجيب الربيعى ويتتبع هذا المجلس بسلاطات الجمهورية ويقوم بانتخاب الرئيس - وتألف مجلس وزراء برئاسة الزعيم الركن عبد الكريم قاسم - واستمرت الثورة تمتد إلى بلاد العراق وتستولى على المرافق ودور الحكومة وثكنات الجيش وما أن انتصف النهار حتى كانت جميع بلاد العراق قد سيطرت الثورة بدها على جميع ما فيها واستقرت فيها الحال وتبادل الناس التهانى وبدأ سبل التهانى من هيئات الشعب وأفرادهم من جميع الطبقات ينساب على قائد الثورة ومجلس السيادة ، وباركت الشعوب العربية كلها ثورة العراق وعمها السرور بتأييد الله لها ونجاحها لأن فى نجاحها انتصارا رائعا للقومية العربية . ولكن دول الاستعمار أذهلها النبأ وكانت تظن أنها ستحقق فى العراق حركة التحرر الوطنى وخيل لآلها أن السكون الذى ساد العراق هو سكون الخضوع والاستسلام وليسكن خاب ظنهم فقد كان هذا السكون سكون التحفز والانتفاض لإزالة الأحكام الذين وضعهم الاستعمار لحكم الشعب لمصلحته فى سبيل المنافع الشخصية والذين جهدوا لإخراج الشعب العراقى من محيط القومية العربية المتحدة فدالت دولة عملاء الاستعمار فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء وتذل من تشاء ، بيدك الخير إناك على كل شىء قدير » .

أجل إن هذا الحادث من أخطر أحداث هذا العام ، وهو منها كما قد قدمنا مسك الختام إذ تألق في تاج القومية العربية نجم جديد ، ورجاؤنا في فضل الله أن يتلوه نجم بعد نجم للدول العربية حتى تتم وحدتها ويرتفع علمها الموحد مرصعا بالنجوم لسكل دولة منها نجم يتألق في الأفق وكما بدأ الإسلام غربيا حيث قام على أفراد قلائل ثم أخذ يزداد شأنه إلى أن انبسط سلطانه في مدة وجيزة على كثير من آفاق المعمورة كذلك تعود جدته ويقوى شأنه ثانيا شيئا فشيئا ولا تزال دويلاته ودوله تتحرر وتقوى وتتجمع وتتحد حتى يعود في مدة وجيزة سلطانه وينبسط على ما كان ينبسط في المعمورة أو يزيد ويضئ نوره في الآفاق على ما كان يضيئ أو يزيد وتحقق بذلك غرابة الإسلام في عودته كما تحققت في مبدئه ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول بدأ الإسلام غربيا وسيعود غربيا كما بدأ .

وبعد : فإن مجلة الأزهر تفتتح باسم الله عامها الثلاثين في الدعوة إلى الله ودرء الشبهات عن الدين وهدم ما يشيده الملحدون حتى يظهر وجه الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها ، كما خلقه الله صبوحا وضياء يجذب قلوب العالمين ويهديهم الصراط المستقيم ، وذلك أول واجبات مجلة الأزهر لتطمئن إلى دخول الناس في الإسلام أفواجا إذ هو الدين عند الله ، ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه .

وكذلك تحرص مجلة الأزهر في أداء الواجب المقدس نحو هداية الناس إلى الدين على إرشادهم للتخلق بالخلق الإسلامي الكريم ، وبذل المستطاع في تهذيب النفوس وتكميلها بالفضائل وتطهيرها من الرذائل حتى يتحقق بعد توحيد الله المقصد الأسنى الذي صرح به صاحب الرسالة في قوله (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) .

وكما تؤدي ذلك مجلة الأزهر ، تؤدي معه بدقة واجبا نحو اللغة العربية لغة الكتاب والسنة ، ومفتاح كنوز الدين .

ولا تندر جهدا في القصص الحق عن رجال التاريخ الإسلامي ونشر كل ما ترى في نشره مصلحة تعود على الإسلام والمسلمين .

ونحمد الله جزيل الحمد على توفيق مجلة الأزهر لأداء واجبها كاملا ، ونرجوه أن يديم لها التوفيق في المستقبل من أيامها ، وأن يمدّها بعونه حتى نرى صورتها أتم وأكمل وأبهج وأجمل . ونزجى جزيل الشكر لمن وفقهم الله لمساعدة المجلة على أداء رسالتها بأقلامهم وعلمهم وثقاتهم ، ونرجو الله أن يوفقهم في المستقبل للمشاركة في حل ألوية الدعوة إلى دين الله ، والله المستعان .

عبد الرحمن عيسى

مدير المجلة

نِجَاحُ الْقُرْآنِ

- ٦١ -

موقف الحق من الباطل الحاضر أشبه بالماضي

« وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر : أتتخذ أصناما آلهة ؟ إني أراك وقومك في ضلال مبين . »

إبراهيم الخليل كان في الطبقة العاشرة من أحفاد نوح عليهما السلام .

وبعد الطوفان بفترة غير وجيزة ، عمرت الأرض ثانيا بذريرة كثرة لمن كانوا مع نوح في سفينه الناجية من الغرق ، وظهر عمرانها كذلك بكائنات أخرى من حيوان وأطياف ، كانت مع نوح في السفينة ، ثم عاشت برعاية الله بعد ذلك ، تغدو وتروح في فجاج الأرض وسمائها .

وقد شاء الله لخليله إبراهيم ، أن يكون كالدوحة اليانعة ، تنفح الناس بنسباتها في الجو الهجير .

بعث الله إبراهيم ليجدد الحياة الروحية في معشره ، ولينشر من ضوء المعرفة ما يبدد جهالة قائمة وقائمة فيهم ، وليحتاج وثنية ناجمة فيهم .

والدعوة إلى الحق لا يسهل ترويحها ، ولا تستغنى أبداً عن جهود شاقة في سبيلها ، ولا عن مصابرة للغواة الذين يخاصمونها ، ويتبجحون في مقاومتها ، ويؤثرون أن يرتعوا دائماً في وادي الباطل .

وإذا كانت الأنفس غير مطبوعة من أول أمرها على المعرفة ، ولا جانحة إلى الزهادة في شهواتها ، فلا عذر لها في العكوف على الغي بعد أن يجيئها الناصح الأمين يستنضها إلى الخير ، دون أجر على هذا ، ويصبرها في التوجيه والإرشاد دون حرج عليها : إلا أنه تهذيب لهم ، وتطهير لدخائلهم ، وتقويم لحياتهم في ضوء المعالم التي يحملها من عند الله .

وهذا إبراهيم عليه السلام - يرى من قومه ومن أبيه - آزر - شركا بالله ، وعبادة للكواكب أو الأصنام في إصرار على ذلك .

فيوجه إلى أبيه كما وجه إلى غيره ، ويخص أباه بشيء من الإقناع ليكون في ذلك استدراجاً للآخرين إذا لحظوا أن تمسح الوثنية أمر يشملهم كما يشمل أباً إبراهيم أو لحظوا أن وراء الدعوة خيراً يريد لهم كما أراد له لأبيه « آزر » .

دعا إبراهيم أباه إلى توحيد الله ، وساجله الحديث غير مرة حتى داخله اليأس من مطاوعته ، ولمس منه الزهادة فيما نصح به ، اشتد عليه في الجدل وأغلظ في الإنكار ، وقال له : « أتتخذ أصناماً آلهة ؟ » وكأنه سمع جواباً غير حميد ، وصادف نقاشاً غير لين ، فقال له : « إني أراك وقومك في ضلال مبين » .

ومن سنن الأنبياء والمصلحين أن يترفقوا بالناس في دعوتهم ، ليتألفوهم ، ويهونوا عليهم ترك ما اعتادوا ، والأخذ بما لم يعهدوا ، ولكن إذا لقيت الدعوة مكاره ، وصادفت جموداً ، واقتضى الحال أن يصارح الداعي أهل الباطل بباطلهم في أعنف ما يكون من القول حينذاك لا يتم : إن الداعي أغلظ في دعوته ، أو قسا في لهجته ، فإن الداء الدفين يحتاج إلى استئصال ، ولا يتملعه غير العلاج الحاسم بعد أن يكون الرفق غير مجد فيه .

وهنا لا يكون إبراهيم إلا داعياً رفيقاً بأبيه حينما صارحه بقوله : « إني أراك وقومك في ضلال مبين » ، ! والرفق في الدعوة ، مع الأخذ بجانب من الشدة حين الحاجة إليها هو المنهج المشروع في تبليغ الرسالات ، وهو المنهج المفروض على كل ذي دعوة يواجه الناس في شأن ديني أو دنيوي .

وهو المنهج الذي يلائم الفطرة ؛ لأن الإنسان إذا نشأ على نزعة ، أو شب على عادة فهي أحب إليه من سواها حتى يردعه عنها رادع في لين أو قسوة ، وذلك مفروغ منه . . . هذا : وقد كانت محاولة إبراهيم أن يجارى قومه في تمديس الكواكب ، حتى يبدو من شأنها ما لا يتفق مع صفات الألوهية المزعومة عاد بالإنكار على قومه فيما اعتقدوا من باطل نحو هذه الكواكب : رأى بالليل كوكبا واضحا ، فقال هذا ربي ، فما لبث الكوكب أن أفل ، وخبا نوره فسارع إبراهيم وقال على مسمع من القوم « لا أحب الآفلين » يعني لا يصلح هذا أن يكون ربا . .

ثم رأى القمر ساطع النور فقال « هذا ربى » فما لبث القمر أن تضائل . وأفل ، فأعلن إبراهيم أنه بحاجة إلى الهداية للحق وأن القمر لا يصلح أن يكون ربا .

وقال « لئن لم يهدنى ربى ، لأكونن من القوم الضالين » وفى هذا الندم إشعار للناس بما هم عليه من باطل واستدراج إلى الصواب الذى يغيب عنهم فى زحمة الخواطر الفاسدة . ثم يرى إبراهيم الشمس بازغة فى ضوئها وبهجتها فيقول : « هذا ربى . هذا أكبر » ولكنها أفلت آخر النهار ، كما هو شأنها ، وكما يعلم القوم ، وحينذاك نهضت حجته وصارحهم بالبراءة من معتقدهم ، ومن شركهم ، وقال فى رفق « يا قوم ! إني برىء مما تشركون » . ثم اتجه إلى تعريفهم بالله الذى خلق تلك السكواكب ، بقدرته ، وسخرها بحكمته ، وأخضعها لأمره وإرادته « إني وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض ، خفيفا - مائلا عن الباطل - وما أنا من المشركين » .

يعنى أنه لا يتابع قومه فى تركهم ، وأنه يتجه بقلبه فى إيمانه ، ويتجه بقلبه فى عبادته إلى الله حالة كونه خفيفا آخذنا بالحق فيما هو عليه مائلا عن الباطل كله .

وبهذا وصل إبراهيم فى جدال أبيه وقومه إلى دحض مفترياتهم ، وإقامة الحججة عليهم فى بيان الحق ، فمن كانت وجهته الاهتداء فقد وضحت سبيله ، ومن كانت وجهته العناد فليس بعد الحق إلا الضلال .

هذه شرعة إبراهيم فيما عليه ربه ، وهى شرعة النبيين من بعده وشرعة الإسلام فى الدعوة إلى الخير كله .

وإبراهيم هو الشجرة المورقة التى تفرعت عنها النبوة من بعده فى إسماعيل ومحمد ، وفى إسحاق وبنيه من أنبياء بنى إسرائيل عليهم جميعا صلوات الله وسلامه .

والقصص عن إبراهيم وغيره من الأنبياء قصص حق لا مرية فيه . . وقد لا يراه البعض جديداً ، ولا حديثا ذا بال .

ولكن اتوجه الدين الذى يساق لأجله القصص يرسم لنا طريق العبرة ويضع لنا تعاليم الهداية .

وما دمنا نعيش فى دنيانا ، ونختلط فى مجتمعاتنا أو نستقبل أزمنا متجددة ، أو أحداثاً طارئة ، وتطالعنا الحياة فى ألوان متعاقبة ونستهدف لأوضاع ، وشئون نحتاج فيها إلى أسباب

السلامة من المسكاره ، والاستغلال بظلال النعيم والطمانينة ، فلا يعتبر القصص الذي نتلوه وتسمعه حديثاً معاداً ، ولا تعليماً مفروغاً منه .

بل هو جديد دائماً ، بتجدد الحياة ، مخافة أن تستبد بنا الحياة الدنيا ، وتشغلنا عن الأخذ بما رسمت لنا سياسة السماء ، فتقطع الصلة بين الناس وربهم .

والله تعالى قد أقام دنيانا على مقتضى علمه وحكمته ، وتعهدها فيها بالإرشاد ، ونهنا إلى أن ذلك الإرشاد ضروري لنا كأنا لم قدر عند ربهم ، ولهم ميزة على سواهم من خلق ، وفي هذا يقول سبحانه « أychسب الإنسان أن يترك سدى ؟ » « ألم نجعل له عينين ، ولساناً وشفيتين ، وهديناه النجدين » - طريق الخير وطريق الشر - « ولقد كرنا بنى آدم . . وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً » .

وهل يعتبر القصص لمجرد التذكير بما سلف ، دون أن يكون له واقع بيننا ، فنأخذ من ماضينا لحاضرنا ، وننتقل في ضوءه من حاضرنا إلى مستقبلنا ؟ ؟ .

ربما ظن بعض الأغرار أن القصص تاريخ محض لا صلة له بحياتنا ، ولكن نظرة يسيرة تكشف عن قرب الشبه بيننا وبين أولئك الأسلاف القدامى .

وربما وجدت كثرة مثقفة تقف من القصص هذا الموقف عينه فهم تعلوا ، ولم يتعلوا . . تعلوا هوس الملاحظة ، وتبجح بعض المتفلسفة وطربوا لما هناك من نزعات طائشة هدامة ، ولم يتعلوا شيئاً مما يكفل سعادة ، أو يهذب روحاً ، أو يربي ضميراً .

تركوا الأدب المشروع ، والثقافة الخالدة ، واتجهوا نحو الأدب الموضوع ، وأدخلوا فيه كل موبقة ، وحسبوا منه المجاهرة بالإباحية التي تأبها الفطرة حتى فطرة الحيوان الأعجم . كان الانحراف قديماً أثراً من آثار الجاهلية التي حاربها الأنبياء ثم أصبح في عهدنا هذه أثراً من آثار التعليم المدني الذي اقتاد الناس إلى العدوان على موملمات الإنسانية باسم الفلسفة والحرية ونحو هذا مما لا يصح أن يدخل في نطاق الترية ، ولا يجوز أن يحمل اسم العلم إطلاقاً ، وإلا كان هذا استهتاراً بالعلم ووضعاً من قدره .

فليت نفحة من نفحات الله ترطب تلك العقول التي ألهبها وساوس الشياطين ، وتقف بتلك الأفكار عند حـد الاعتدال ، فتكون الدعوة إلى الصواب مقبولة عند أولئك المعاصرين الذين يعارضون الحق بالباطل ، وتكون دعوة المصلحين منهجاً يأخذون به ،

ويؤازرونه في اتوجهيه . والله يهدينا ويهدي الجميع ؟
عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفيتش بالأزهر

الهجرة الميمنة

لقد دار الفلك دورته ، وأعاد العام الهجرى سابغ نعمته وسيرته . وأظننا عام هجرى جديد . راحته ذكية ، وشذاه يملأ جميع البقاع الإسلامية ، يحمل معه أجماد الإسلام الخالدة ، ومفاخره السامقة . التى لها أصل ثابت وفرع فى السماء . وهو حادث يذكرنا بما أفاء الله على خاتم رسله من الخير لسائر الأنام ؛ رحمة وذكرى لأولى العقول والأحلام ! وإنا لنضرع إلى الله مخلصين فى الدعاء أن يهل علينا هذا العام الجديد حاملا بين طياته الأمن والطمأنينة لبني الإنسان ، فى كل بقعة من بقاع الأرض وفى كل مكان ، كما نسأله أن يتم على الأمم المستعمرة نعمة الحرية والكرامة والعزة ، وأن يرفع عن أعناقها نير العبودية ، ويمزها بفخر الحرية ، وأن ينجب العالم ويلات الدمار والفناء ، ويجمع قلوب البشر على شرعة من المساواة والإخاء والعدل والسلام .

ولئن عدت الحوادث الجسام التى هزت الإنسانية فى تاريخها الطويل منذ وجدت ، لجاء حادث الهجرة فى الصدارة وفى الذروة منها ، فهو الحادث الذى غير وجه التاريخ ، وأنقذ العالم من ظلمات الجهل والفوضى والاضطراب ، وطهره من فساد العقيدة ، ووصل به إلى نور العلم والاستقرار ، وسلامة العقيدة التى أنارت القلوب وطهرت النفوس ، فأحكمت سير الجوارح وأقامتها على الطريق القويم ، والصراط المستقيم ، صراط من أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

لحادث الهجرة يبعث فى النفوس ذكريات البطولة والعظمة ، بطولة فى أجلى مظاهرها ، وعظمة فى أعز سلطاتها ، كما يبعث ذكرى الصبر فى أكمل معانيه ، والتضحية فى مثبها العليا ، والإيثار فى أوضح صورته ، وإنكار الذات فى أرفع مثله ، وعزة النفس فى بليغ ثقتها . فقد ظل الرسول عليه السلام بمكة ثلاثة عشر عاما يئثر ويئثر ، ويدعو قومه سرا وجهرا ، فما لانت لهم قناة ولا رق لأكثرهم قلب ، ولا انشرح لدعوته صدر ؛ لأن الحفاظ على القديم والاعتصام بالوثنية التى وجنوا عليها آباءهم لم تزدهم إلا عنادا لهذا الدين الجديد ، ولم تبلغ بهم إلا فرارا واستكبارا ، وكلما أمعن الداعى فى تبليغ رسالته أمعنوا فى المكربه ، وصدق الله تعالى إذ يقول : « وإذ يمسرك بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمسكون ويمسك الله والله خير الماكرين » .

فالهجرة أمر محتوم استدعته الظروف والملايسات ؛ لأن الموقف أصبح محصوراً في أمرين إما نزول الداعي عن دعوته والرجوع عن التبشير بهذا الدين الجديد ، أو الخروج إلى مكان يطمئن فيه إلى نشر دعوته ، وأداء رسالته ، في بلد طيب يتقبل أهله هذه الدعوة بالقبول الحسن . وكيف يكون النزول عن الدعوة من مصلح ، بله رسول صمم على القيام بواجبه والجهاد في سبيل دعوته ، وهو الذي صور دعوته أروع تصوير حينما دعاه عمه أبو طالب للكف عما هو سائر عليه من تبليغ الرسالة ، فقال عليه السلام قوله ملأت سمع الدنيا « والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري ، على أن أترك هذا الأمر ما فعلت حتى يظهره الله أو أهلك دونه » . وإذا ما أردنا الانتفاع بعظمت الهجرة وجب علينا أن نتعلم منها كيف يكون الحفاظ على العقيدة ، وكيف يكون البذل في القيام بواجبها ، فصاحب العقيدة الحققة يجب عليه ألا يتقيد بزمان ولا بمكان ، بل بقاع الأرض كلها ميدان له يركض أنى استطاع أن يركض ، ويوجف حيث استطاع الإيجاف ، فسيره يتكيف تبعاً للظروف والأحوال ، فأنت ترى النبی عليه السلام حينما أمر بالجهر بالدعوة بعد أن نزل عليه قوله تعالى : « وأنذر عشيرتك الأفرين » يشعر بعظم الأمر ويقول لوجه خديجة رضي الله عنها : (يا خديجة قد انقضى زمن النوم والراحة ، فقد أمرني جبريل أن أنذر الناس ، وأن أدعوهم إلى الله تعالى وإلى عبادته ، فمن ذا أدعو ومن ذا يستجيب لي ؟) . فهذه المقالة تدل على كل ما جال بخاطره عليه السلام مما تستلزمه دعوته من جد وعمل مع من أرسل إليهم من عباد الأصنام والأوثان ، وما هم عليه من فوضى واضطراب في العقيدة الباطلة التي ورثوها ، وأصبحت طبيعة لهم لا يتزحزون عنها ، وإن أروع مثال للتضحية في سبيل المبدأ والعقيدة ما قام به في عرض دعوته على ثقيف بالطائف ، ورجوعه منها بشر جواب ؛ إذا أغروا به سفهاء هم يضربونه ويسبونونه ، فلبجأ إلى بستان لعقبة وشيبة ابني ربيعة فاحتسبوا به من شر هؤلاء السفهاء ، وتحمل ذلك الإيذاء بصبر وجلد ، وجعل تلك الهزيمة وسيلة لمضاعفة الجهد ومضاء العزيمة .

وإن محاصرة محمد ومن تبعه في شعب أبي طالب ، وقطع موارد التوكل عنهم حتى يموتوا جوعاً أو يرجعوا إلى دين آبائهم وأسلافهم ، تلك المحاصرة التي استمرت ثلاث سنوات ، قاطع فيها المشركون محمداً وصحبه فلم تلق لهم قناه ، ولم تضعف لهم عزيمة ، ولم تتزعزع لهم عقيدة ، رغمًا من أكلهم أوراق الشجر ، فلم تزد هم الشدة إلا صلابة ولم يزد هم التعذيب إلا ثباتاً . ففي الهجرة وفي مقدماتها وفي آثارها عضات تنبئ عليها دعائم أقوى الأمم وأعز الشعوب ، ومن الهجرة يجب أن نتعلم واجب الجندي مع قائده ، فالجندي يفتدى قائده بماله وروحه ، ولنا في الحديث عن أبي بكر

رضى الله عنه وعما أداه للجندية من وفاء وإخلاص أعظم عبرة ، فهو الذى ترك ماله بمكة ليفر بدينه ، ويكون بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم مقتدياً له بأعاً نفسه بيع السباح : فقد وصل الرسول عليه السلام وأبو بكر إلى الغار ، فدخل أبو بكر يفتش الغار مخافة أن يكون فيه ما يؤذى من الحشرات ، فقال له الرسول : مالك يا أبا بكر؟ فقال بأبى أنت وأمى! الغيران مأوى السباع والهوام ، فإن كان فيه شيء من الأذى كان على لا عليك ، وقد وضع عقبه على حجر فى الغار خشية أن يخرج منه ما يؤذى الرسول عليه السلام . وفى الإيثار الذى ظهر من الأنصار فى المدينة عظة وأى عظة ! فهؤلاء الأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبل ، يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، وهم الذين قال لهم النبي إن شئتم قسمتم للمهاجرين من دوركم وأموالكم ، وقسمت لكم من النوى كما قسمت لهم ، وإن شئتم كان لهم القسمة ولكم دياركم وأموالكم . فقالوا : لا بل نقسم لهم من ديارنا وأموالنا ونؤثرهم بالنوى ولا نشاركهم فيه ، فأى سخاء يعلو على هذا السخاء ! وأى جود يصل إلى هذا الجود ! وليس عجيباً أن يكون الأنصار على هذا السمو الخاقى ، وهم الذين ارتضعوا من ثدى التعاليم الإسلامية وأشرق قلوبهم بنورها ، ومعلمهم الرسول الأكرم ! الذى كان أجود بالخير من الريح المرسلة ! فقد عمل الإخاء الإسلامى الذى وضع الرسول أساسه بين المهاجرين والأنصار ، ما لا تعمله وسائل القهر والاضطهاد ؛ لأن الإخاء التابع من القلوب ينبت أطيب الثمار من المودة والألفة والمحبة ، فإذا سميننا عيد الهجرة عيد الحرية والنصر ، فذلك قول الصدق وكلمة الحق قال تعالى : «إلا تنصروه فقد نصره الله ، إذ أخرجه الذين كفروا ثانياً اثنين إذ هما فى الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » .

ولقد صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده . فى العام التاسع من الهجرة خفقت راية الإسلام على أكثر بلاد العرب ، وأمن أهلها على أنفسهم ، وخرج النبي عليه السلام إلى غزوة تبوك يقود جيشاً عدته ثلاثون ألفاً ، وصالح أهلها على الجزية ، وقد كانت هذه البقاع تابعة للروم ، وفى السنة العاشرة حج النبي مع أصحابه حجة الوداع ، وخطب خطبته الجامعة التى ضمنها من التعاليم ما يكفل للمسلمين نظاماً ثابتاً لدينهم ودنياهم ، فيها الخير والرشد وقد نزل عليه فى يوم الحج الأكبر قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الإسلام ديناً) ولم يكن خاتم الرسل عليه السلام أول من هاجر فراراً بدينه ودعوته من بيئة الظلم والشرك والاضطهاد والأذى ، فالقرآن الكريم يحدثننا عن كثير من الرسل

هاجروا بعد أن أبلوا وجاهدوا في دعوة قومهم وأهلهم إلى الإيمان بأقوم حجة ، وأنصح منطق ، وأبلغ قول . وكلهم كانت هجرته تخلصاً من الأمكنة التي عميت أبصار أهلها عن رؤية الحق ، وصمت آذانهم عن سماع دعوة الصدق ، وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ، ومن بيننا وبينك حجاب . وأي تضحية تصل إلى تضحية على وأبي بكر رضى الله عنهما لنجاح هذه الهجرة ، فكما كان الرسول صلى الله عليه وسلم حريصاً على تبليغ دعوته ورسالته ، كان على وأبو بكر حريصين على حياة الرسول وسلامته مهما لقياً في سبيل ذلك من الشدائد والمخاطر ؛ فقد نام على رضى الله عنه في موضع يعلم المشركون أن النبي عليه السلام ينام فيه ، وكان على يعتقد أن المشركين لا يغفلون طريقة عين عن محاصرة الرسول وعدم تمكنه من الخروج من مكة ، ومع ذلك فقد استعد للتضحية والفداء ، وأدى هذه المهمة التي تحيطها الأخطار والأهوال .

ولقد كان أبو بكر يتقدم الرسول أحياناً في السير ، ويتأخر عنه أحياناً أخرى . فقال له النبي لم تفعل ذلك يا أبا بكر؟ فقال أتذكر الرصد الذي أمامك فأقدم عليك دفعا لمسكروه يلحقك ، وأتذكر الطالبين لك فأتأخر عنك مواجهة للأخطار قبل أن تصل إليك . فقصه الهجرة رهية في بدايتها ، جلية في نهايتها . فقد كانت الدعامة القوية في بناء الدعوة الإسلامية .

ولقد أدرك أمير المؤمنين الفاروق عمر رضى الله عنه بشاقب حكمته - وهو الملمهم بشهادة الرسول عليه السلام - أدرك رضى الله عنه ما للهجرة من فضل وخير على الإسلام والمسلمين . فاختار الهجرة مبدأ للتاريخ الإسلامى ؛ لأنها أروع حوادث الإسلام ، وأحفها بجلالات الأعمال . ولما نزل النبي عليه السلام يثرب سرعان ما ألف بين قلوب أهلها من الأوس والخزرج وكانوا متباغضين فأصبحوا بنعمة الله إخواناً . ثم آخى بين الأنصار والمهاجرين أخوة في الدين ربطت الأرواح ، وجمعت القلوب ، وكانت السبيل إلى إعلاء كلمة الإسلام . ولم تطل الأيام التي قضاه الرسول عليه السلام بالمدينة ، فقد كانت ما يقرب من عشر سنوات ، عاد المسلمون في أواخرها إلى فتح مكة ؛ ليظهروها من الشرك ، ويزيحوا عنها دنس الأصنام ، وليرفعوا كلمة الله في بيت الله . والمشركون لا يطيقون لهم رداً ولا دفعاً ، ولا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً : ودخل الرسول عليه السلام مكة ظافراً قاهراً ، مع أنه خرج منها قبل ذلك فاراً بدينه ، ولقد جمع خصومه المشركين من أهل مكة وسألهم ما يظنون أنه يفعل بهم؟ فقالوا . خيراً أخ كريم وابن أخ كريم . فعفا عنهم وقال لهم : (اذهبوا فأنتم الطلقاء) : وإن الحفاظ على العروبة والإسلام في هذه المحنة الحاضرة هو أنجع علاج لهذه الشرور وتلك المخاطر . فقد عمل الاستعمار على

نحن والصيف

لقد مضى الربيع وأقبل الصيف « يقلب الله الليل والنهار » ، « يوج الليل في النهار ويوج النهار في الليل » ، « وتلك الأيام نداؤها بين الناس » . . . وإذا كان الربيع يذكر الإنسان بموسم الورود والرياحين ، واعتدال الجو ولطف النسيم ، فإن الصيف يذكره بفترة من فترات الاختبار والابتلاء ؛ لما في الصيف من شدة وعنف . ولقد كان الصيف يمر على أجدادنا فيرحبون به ويفرحون فيه ، ويتخذونه فرصة من فرص التدريب للعزائم على الثبات ، والتمرين للنفوس على الاحتمال ، فكانوا يحبون الصوم فيه راضين بما يدوقونه خلاله من شدة وظمأ ، ولذلك نسبوا إلى الإمام على رضي الله عنه أن من أحب الأشياء إليه أن يصوم في الصيف . . . وكانوا يرحبون بالجهاد فيه ، ويرون في العرق المتصب من جباههم أثناء كفاحهم طهوراً يذهب ذنوبهم وضراءهم ، ويحقق سعادتهم وسراءهم ، وهذه غزوة تبوك تأتي في وقت الحر والجوع معاً ، فيسارع إليها أبناء الإيمان مستخفين بالتعب والنصب معرضين عن الراحة والهدوء ، ويخرجون في الظمأ واللظى ليؤدبوا أعداء الله وأعداء الإسلام . وكان المنافقون يحرضون المسلمين حينئذ على عدم التفرير في الحر ، ويغروهم بالبقاء في الظلال والرياش ، فلا يصغون إليهم ، ولا يسمعون منهم ؛ لأنهم يعلنون أن ما عند الله خير وأبقى ، وأن عقاب الله على التفرير والتعاس أشد وأنكى : « وقالوا لا تنفروا في الحر ، قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون » .

تفريق الدول الإسلامية بعضها عن بعض ؛ ليقوى سلطانه ويشد نفوذه ، ويسيطر على ميزان القوى في جميع البلاد العربية والإسلامية . وإنا لندرجو للخلصين في هذه البلاد توفيقاً وعوناً من الشعوب التي استيقظت بعد سبات طويل ، وانتفضت انتفاضة قوية بعد رقاد ؛ بتخدير المستعمرين . فليس أطيب لنفس المستعمر من جهل الأمم المغلوبة وضعفها وذلتها ؛ لأنه بمقدار ضعفها وذلتها يزداد عزه وقوته وسلطانه فيها . وكلما رأى المستعمر يقظة من الشعوب المستعبدة خفق قلبه واصططكت أسنانه ، وضاعت عليه الأرض بما رحبت ، فسكر مكرأ بهذه الأمم ليفوت عليها فرص اغتنام حريتها وعزتها وسلطانها . وإن في الحركات القوية المتعددة في الشعوب المستعمرة لتباشير قوية ، تؤذن بانبثاق فجر جديد بعد ليل طويل اشتدت ظلمته ، حتى كادت النفوس أن تيأس من انتهائه ، وأيس على الله بعزير أن يبدل عز المستعمر ذلاً ، وسلطانه ضعفاً ، إنه على ما يشاء قدير .

وهذا هو الصحابي « أبو خيشمة » يتأخر قليلا عن الخروج مع رسول الله عليه صلوات الله في غزوة تبوك ، ويعود أبو خيشمة إلى بيته فيجد امرأتين له في عريشين بداخل حديقته وكل منهما قد رشت عريشها ، وبردت له ماء ، وهيات طعاما ، والجو حار ، والرحلة عسيرة فنظر أبو خيشمة إلى امرأته وما صنعتا ثم قال : « رسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح (الشمس) والريح والحر ، وأبو خيشمة في ظل بارد ، وطعام مهيا ، وامرأة حسناء !! ما هذا بالانصاف (الإنصاف) والله لا ادخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهيثا لي زادا » . وخرج حتى لحق بالرسول الذي قال له : أولى لك يا أبا خيشمة ! ولما قص عليه أبو خيشمة أمره . قال له الرسول خيرا ودعا له بخير . . .

* * *

نعم جاء الصيف وفيه ترتفع درجة الحرارة ، وتمتد الأشياء ، فتتحرك الجرائم من مراقدها ، وتكثر الحشرات والهوام ، مما يستلزم الحيلة والحذر ، ويدعو إلى النظافة والوقاية والحرص على التطهر والنقاء . . . وبجوار هذه الحشرات والقاذورات الحسية الحقيمة تنطلق في الصيف جرائم بشرية وحشرات أخرى من الخلق ، لها خبثها ونجسها ، ولها شرها وضرها ، فمن هذه الحشرات طوائف من النساء يتهنزن موسم الصيف للتعري من الثياب والحياء معا ، ويتبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، ويبدن من الزينة والأطراف والعورات ما يثير ويفتن ، ويلبسن تلك الملابس المحزنة ، الضيقة الملتصقة ، التي يعجب الناس منها ويتساءلون عنها : كيف استطاعت هذه المرأة المتبرجة أن تحشر جسمها حثرا في ذلك الثوب الشفيف الضيق ؟ ولأى غرض أبدت من جسمها ما أبدت ، وضغطت ما ضغطت وحددت ما حددت ؟ . . . إنما فعلت ذلك لتزيد العيون الجائعة نهما وشرها ، وتعري الذئاب المترصدة بالهجوم والاعتداء ، وتثير فتنة جنسية ليست دواعيها قليلة . . . والأزواج ساكتون ، والآباء غافلون ، والأمهات لاهيات ، وولادة الأمور لا يتدخلون ، وليكن ما يكون !! . . .

وإذا وجهت اللوم أو النقد إلى فريق من هؤلاء أجاوبك بقولهم : « إن للصيف حكمة » . فلا كان هذا الصيف الذي يفتح علينا أبواب البلاء بهذه الصورة ، ولا كان هؤلاء الذين يسيئون استغلال الصيف ، ، فيجعلونه موسم تحلل وجفور ، لا موسم راحة وهدوء . . .

* * *

ويقبل علينا الصيف فتقبل معه مأساة المصايف على الشواطئ ، حيث يفتح الشيطان

اللعين عند كل شاطئ^١ ملعباً خطيراً خبيثاً من ملاعب الإثم والفتنة ، يمرض فيه لحوم النساء المسلوخة من صيانتها وعفتها أمام أنظار الرجال المتجردين من ثيابهم وغيرتهم ، وهناك يكون ما يكون مما أصبح الحديث عنه موصوفاً بالتكرار والسأم والملل ، وإن كان الواجب على دعاة الخير ألا يستموا من معاودة النصيح وتكرار التذكير ، وخصوصاً أن البلاء يزداد عاماً بعد عام ... ففي الماضي كان الناس يقصدون المصايف على خجل واستحياء ، ويخلعون ثيابهم في نوع من التستر والمواراة ، وأما اليوم فلا خجل ولا حياء .

وبالأمس كان هناك من علماء الإسلام من يقاومون وباء المصايف ، ويناهضون مانها من فجور ، وكان هؤلاء العلماء يلقون التقدير والإعجاب من الكثرين ، وأما من يفكر اليوم في مقاومة المصايف وفجورها فإنه يكون موضع السخرية والاستهزاء ، وهكذا أصبح الحق غريباً مهضوماً في دنيا الباطل العريض الأثيم ... وبالأمس كانوا يخصصون في الشواطئ^٢ أما كن أو أوقاتا للنساء ، فأصبح النساء اليوم حريصات على ترك أوقاتهن وأما كنهن ليمتزجن بكثرة الرجال العراة ، وانقلب بعض الرجال إلى تيوس ، حتى سمعنا بمن حمل زوجته حملاً على التجرد من ثيابها لتنزل البحر مع مجموعة من أصدقائه ، ولما تمتعت بحكم حياتها الموروثة وصفها بأنها لا تصلح لحياته الراقية ما دامت متأخرة بهذه الصورة !! ...

ليت الذين يهرعون إلى المصايف في اختلاط فاحش ، وتحلل واضح ، وفجور وقبح ، يستمعون إلى القصيدة المنشورة التي صاغها الراقى وفيها يخاطب النساء على الشاطئ فيقول فيما يقول :

« يا لحوم البحر ، سلخك جزار من ثيابك .. جزار لا يذبح بألم ولكن بلدة ، ولا يحز بالسكين ولكن بالعاطفة ، ولا يمت الحى إلا موتاً أدبياً ... إلى الهيجاء يا أبطال معركة الرجال والنساء ، فهنا تلتحم نوااميس الطبيعة ، ونوااميس الأخلاق ؛ للطبيعة أسلحة العرى والمخالطة والنظر والأنس والتضاحك ، ونزوع المعنى إلى المعنى ، وللأخلاق المهزومة سلاح من الدين قد صدئ^٣ ، وسلاح من الحياء مكسور .. يا لحوم البحر سلخك من ثيابك جزار . الشاطئ كبير كبير يسع الآلاف والآلاف ، ولكنه للرجل والمرأة صغير صغير حتى لا يكون إلا خلوة ، وتقضى الفتاة سنتها تتعلم ، ثم تأتي هنا تتذكر جهلها وتعرف ما هو ؛ وتمضى المرأة عامها كريمة ، ثم تجيء لتجد هنا مادة اللؤم الطبيعي ... لو كانت حياجة صوامع للعتبة الكعبة لوجودها في (استانلي) ... الفتاة ترى في الرجال العريانيين أشباح أحلامها ، وهذا معنى من السقوط ... والمرأة تسارقهم النظر تنويعاً لرجلها الواحد وهذا معنى من المواخير ... أين

تكون النية الصالحة لفتاة أو امرأة بين رجال عريانيين ؟ ... يا لحوم البحر سلخك من ثيابك جزار ... !

هناك التربة وهنا إعلان الإغفال والطيش، وهناك الدين، وهنا أسباب الإغراء والزلل ؛ هناك تكلف الأخلاق ، وهنا طبيعة الحرية منها ، وهناك العزيمة بالقهر يوماً بعد يوم ، وهنا إفسادها بالترخص يوماً بعد يوم ، والبحر يعلم اللأى والذين يسبحون فيه كيف يفرقون في البر ... لو درى هؤلاء وهؤلاء معرة اغتسلهم معاً في البحر لاغتسلوا من البحر ، فقطرة الماء التي نجستها الشهوات قد انسكبت في دمائهم ، وذرة الرمل النجسة في الشاطئ ستسكب حتى تصير بيتاً نجساً لأب وأم ... يا لحوم البحر سلخك من ثيابك جزار ...

يحيئون للشمس التي تقوى بها صفات الجسم ، ليجد كل من الجنسين شمسها التي تضعف بها صفات القلب ؛ يحيئون للهواء الذي تتجدد به عناصر الدم ، ليجدوا الهواء الآخر الذي تفسد به معاني الدم .. يحيئون للبحر الذي يأخذون منه القوة والعافية ، ليأخذوا عنه أيضاً شريعته الطبيعية : سمكة تطارد سمكة ؛ ويقولون : ليس على المصيف حرج ؛ أى لأنه أعمى الأدب ، وليس على الأعمى حرج ! .. يا لحوم البحر سلخك من ثيابك جزار ، !! .

إن فوضى الاختلاط بين الرجال والنساء - وبخاصة في الشواطئ والحمامات - يجب أن يوضع لها حد ، وأن تعالج بما يحفظ الحرامات والأعراض ، فبالأمس كان في الناس خجل وحياء ، فيستحي الرجل من المرأة ، وتستحي المرأة من الرجل ، وأما اليوم فيصل الأمر إلى أن رواد أحد الحمامات في فندق كبير مشهور يحتجون على صاحب الفندق ويشاجرونه ، لأنهم يريدون سيدات لتدليكهم أثناء الاستحمام في الحمام ؛ ولما أحضر لهم صاحب الفندق رجالاً أمثالهم ليقوموا بهذا التدليك رفضوا وتشاجروا مع صاحب الفندق وتضاربوا ، وانتهى الجميع إلى دار الشرطة ، ونشرت الصحف القصة الخزية المخجلة على الناس . .

وليس ببعيد أن نسمع أن النساء في الحمامات النسائية يتشاجرون ؛ لأنهن يطالبن برجال ليقوموا بتدليكهن في هذه الحمامات !! .

إن بعض مراجع الحديث تنسب إلى رسول الله عليه صلوات الله حديثاً يصور - برغم ما فيه من مقال - ما بلغته الحال من سوء الحال ، فيقول : « كيف أتم إذا طغى نساؤكم ، وفسق شبانكم ، وتركتم ؟ قالوا : وإن ذلك لكائن يا رسول الله ؟ قال : نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون . قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ؟ قال : كيف أتم إذا لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر ؟ قالوا : وإن ذلك لكائن يا رسول الله . قال : نعم والذي

نفسى بيده وأشد منه سيكون . قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ؟ قال : كيف أتم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً ؟ قالوا : وإن ذلك لكائن يا رسول الله . قال : نعم والذي نفسى بيده وأشد منه سيكون . قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ؟ قال : كيف أتم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ؟ قالوا : وإن ذلك لكائن يا رسول الله ؟ قال : نعم والذي نفسى بيده وأشد منه سيكون . قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ؟ قال : يقول الله تعالى : نى حلفت لأتيجن لهم فتنة يصير الحليم فيها حيران » !! ...

وأحب أن أسأل : هل بقى حليم عاقل ولم يشعر بمرارة الخيرة والحسرة مما صار إليه أمر الأمة الإسلامية من خروج على قواعد العفة والتجمل والحياء ؟ ! .

وأيّن حالنا اليوم فى هذا المجال من حال أسلافنا ؟ .. وهذا مثلاً هو الحاكم العادل عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليه يتزوج فاطمة بنت عبد الملك ربيبة القصور والترف ، وبنت الخلفاء العظام ، ومع ذلك يحملها على منهج الصيانة والعفاف والبعد عن الشبهات وعن الاختلاط فلا تعارض ولا تقاوم ، ويأخذ أولاده وبناته بالحزم والعزم ، فلا تبرج ولا تحلل ولا اختلاط ولا اظهار لما حرم الله أن يظهر ؛ وكان عمر فى هذا المنهج قويا صارما ، حتى تريد إحدى بناته أن تتجمل فترسل إليه لؤلؤة ليرسل إليها بأختها حتى تجعلها قرطا ، فيضع بين يديها جمرتين من النار ويقول لها : إن استطعت أن تجعلى هاتين الجمرتين فى أذنيك بعثت إليك بأخت لها !! .. وكأنما كان يريد أن يبعد بيته عن كل ريبة حتى يصير مثلاً أعلى لبيوت المسلمين ! .

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام ... إن الله تبارك وتعالى قد هيا لنا أثناء الصيف أشياء يمكننا التمتع بها والتمتع بخيراتها فى طهارة وصفاء ... هيا لنا البحار والأنهار ، والأشجار والأزهار ، والهواء الرقيق والنسيم العليل فى الأصائل والأمسيات ، ومن الممكن للبسلم أن يأخذ من كل هذه الأشياء نصيبه الملائم فى اعتدال واستقامة وعائشة الصديقة بنت الصديق رضوان الله عليهما تخبرنا بأنه ما تمتع الأشجار بشيء إلا تمتع به الأخيار وزادوا عليه رضا الله ... فلتقف على أبواب الصيف متدبرين مفكرين ، متذكرين أن لنا ديناً ، وأن لنا أخلاقاً ، وأن لنا حرماً ، وأن كلاً منا راع ، وكل راع مسئول عن رعيته ، والله يقول الحق وهو يهتدى السبيل ؟

أحمد الشرى باعى

المدرس بالأزهر الشريف

الاسلام والطب الحديث

على هامش المؤتمر الطبي للسرطان

يتقدم العلم كل يوم خطوات تكشف من أسرار الكون ما يبهر ويدهش ، وتفتح من مغاليق الغيب ونواميس الوجود ما يسوق النفوس إلى الإيمان بوحدة الديان .

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد
وفي كثير مما يكشفه العلم من الحقائق والأسرار ما يطاق ما قرره الإسلام وكان محجبا
بالأستار حتى فض العلم خاتمه وأوضح مبهمه .

وهذه الحقائق جديدة أن يتدبرها المنصفون وبخاصة الماديين الذين أخلدوا إلى الأرض
ودانوا بالحسيات ؛ فلا يؤمنون إلا بما يرون ويسمعون ، وتخبطوا في ظلمات الشك وتشعبت
بهم مسالك الضلال .

لقد نهج الإسلام بالبشرية مناهج تحوطها بالرعاية والعناية ، وقرر لها أحكاما ظهرت
الحكمة في كثير منها وخفيت علينا في بعضها ، وكان ذلك الخفاء مثار تشكك وجدل من
مدخولى الإيمان وذوى الأغراض والأهواء والمفتونين ببعض المعارف . ولطالما نادى
المؤمنون هؤلاء المغرورين أن يقتصدوا في الحكم ، وياتزموا جانب الحيطة والحذر والأدب
فيما لا يفقهون من علل الأحكام ، حتى تواتر عليهم آيات الله وتستبين لهم مقاصدها وحكمها ، ولكن
سائق الغرور كان يلهب ظهورهم فيمعنون في الغي ثم لا يقصرون .

لقد جاء الإسلام بتعاليم تتصل بالطب ، التقت في غاياتها بما قرره الطب وأثبت فائدته ،
فلم تعد مجالا للنقاش والجدال ، وكان يكفي في تقدير الإنصاف أن يقاس عليه ما لم تستنب فائدته ،
فيعتد المنصف بما فيه من خير ، وما يدعو إليه من رشاد ، مادام المصدر واحدا ومبعث النور
والهدى واحدا . لقد حرم الإسلام الميتة والدم والخمر ولحم الخنزير ، وظل الناس أحقبا
يجهلون البواعث على ذلك والسر فيه حتى جلاها العلم ، وكشف عن وجه الأذى فيها ، فزاد
المؤمنون بها إيمانا ، وأقصر من في قلوبهم مرض عن التشكك في جدواها والمكابرة في مزايها ،
ومنع الإسلام من تلويث المياه بالفضلات ، وظللنا نجعل السبب في ذلك أيضا حتى كشف
العلم من مقدار الخطر فيها ، وأن الماء الملوث مباءة الجراثيم لأمراض البلهارسيا والإنكلستوما

وغيرهما ، فكان ذلك التوافق مبعث الدهش والإعجاب من العلماء والأطباء ، ومن يصدعون بالحق ولا يعاندون الحقائق .

وفي تعاليم الإسلام مما يتصل بالطب ما لم يصل العلماء بعد إلى تبيان وجه المصلحة في تقريره ، وما زال العلم يواصل الخطى فيه ، ويأتى كل يوم بجديد يثلج النفس ، ويشرح الصدر ، ويقرر وجه الإعجاز في تعاليم أتى بها نبي أمى لم يتل من قبلها من كتاب ولم يدرس في جامعة ولا كتاب .

لقد انعقد في القاهرة في شهر مايو من هذه السنة المؤتمر الأول للجمعية العلمية للسرطان ؛ للبحث في شئون مرض السرطان وما يتعلق به من وقاية وعلاج ، وهذا المرض - ونسأل الله العافية - من الأمراض المستعصية، التي لم يتوصل العلم والعلماء رغم الجهد المتواصل إلى كشف حاسم في علاجه ولا إلى الأسباب التي تحدثه وكشف المؤتمر في هذا الصدد عن حقائق خطيرة تتلاقى مع نظر الإسلام في بعض تعاليمه، وإنها لحقائق ما كانت تدور في خاطر الأطباء ورجال الدين وعلماء النفس من قبل لولا هذه الصدف العلمية الموفقة ، وكثيراً ما كانت الصدف خيراً ، على الإنسانية، فأفادت منها وجنت من ثمارها .

لقد كشف هذا المؤتمر عن وجه الحكمة في امتداد إرضاع الطفل حولين كاملين ، فقرر « أن في هذا الامتداد وقاية في كثير من الأحيان من سرطان الثدي في النساء ، لكثرة امتصاص الطفل لثدي أمه ، وأنه لهذا يرى أن من أكبر الخطأ أن ترضى الأم على طفلها بالإرضاع ، وهي بهذا تعرض نفسها لهذا المرض الخطير ، وقد ثبت من الإحصاء في اليابان أن اليابانيات من أقل نساء العالم المتحضر إصابة بهذا النوع من السرطان ؛ لأن الأم اليابانية ترضع ابنها حولين كاملين ، ولعل في هذا ما يعلل ازدياد حالات سرطان الثدي في بلادنا - مصر - لرضع الأمهات الملحوظ في العصر الحديث على أولادهن بالرضاعة الطبيعية أو تعجلن بالنظام » .

وقد التقي المؤتمر في هذه الحقيقة بما قرره الإسلام من جعل مدة الرضاع عامين حيث جاء في الكتاب الكريم : « ووصينا الإنسان بوالديه ؛ حملته أمه وهنا على وهن ، وفصاله في عامين » . ومما كشفه المؤتمر في هذا الصدد « أن ختان الصبيان واق من سرطان القلفة وهي الجلدة التي تزال بالختان ، فقد اتضح أن الفضول التي تتجمع في هذه القلفة بها مادة لذاعة قادرة على إحداث السرطان » .

وأدعى من ذلك إلى التأمل أن وجود القلفة بما فيها من الفضول يزيد من احتمال إصابة الزوجة بسرطان عنق الرحم من تأثير هذه الفضول . وقد التقي المؤتمر في هذه الحقائق بما سنه الإسلام من الختان دفعا لما أسفر عنه الكشف العلوي من الأضرار ، وقد أقرس المؤتمر بما قرره ألسنة الذين كانوا يجادلون في جدوى هذه السنة ، تأثرا بما جرت به العادة في بعض الأمم وفي بعض الأديان ، حتى كابر بعضهم فزعم أن في تلك الشعيرة أضرارا صحية ينبغي لها الإقلاع عنها .

ومما كشفه المؤتمر أيضا ، أن عامل النظافة للجهاز التناسلي في المرأة يقلل كثيرا من احتمال تعرضها لسرطان عنق الرحم . وقد تلاقى في هذا مع تعاليم الإسلام التي شرعت الاستنجاء للمرأة والرجل كمقدمة للصلاة .

هذه بعض الحقائق الطبية التي كشف عنها مؤتمر السرطان ، قرأناها مبهورين مأخوذين بما تلاقى فيه مع تعاليم الإسلام ، ويلاحظ أنه مؤتمر خاص في فرع من فروع الطب ، كشف ما كشف من هذه الحقائق الخطيرة . فكيف إذا تظاهرت مؤتمرات لعرض ماتمخضت عنه عقول العلماء في سائر نواحي السكون ، ونواحي النفس الإنسانية ، وما يعرض لها من شئون فظمتها تعاليم الإسلام مرشدة مرة ، وآمرة أخرى ، وناهية مرة ثالثة ، إنها إذن بما تكشف عنه مما يتفق وتعاليم الإسلام ستأخذ بيد الحيارى من يؤمنون بالعلم ، ويحافون دعوة الدين إلى النهج المستقيم ، وتطامن من غرورهم ، وتجديفهم في الحقائق التي أسدلت حجبها دون أهل المعرفة الحقة ، وتدعوهم إلى التسليم فيما لا يعرفون إلى من يعرفون ، وخاصة في حقائق الأديان التي ثبتت ثبوتا قاطعا بما كشفه العلم وحققته التجربة .

إننا إذ نرحب بالمسكتشفات التي أسفر عنها مؤتمر السرطان ، لانغنى بذلك أن نلتمس منها الأدلة على صحة ما جاء به الإسلام من تعاليم ، وحاشانا ذلك فهو دين الله الذي ارتضاه ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ، وإنما نرحب بها لنضعها أمام الحائرين وذوى القلوب المريضة ، تجلية لمصالح البشر في بعض ما شرع الإسلام ، عسى أن يكون ذلك داعيا إلى تعديل مناهجهم في البحث العلوي ، والتخلي بشيم العلماء ، والوقوف دون ما لا يعرفون ، وتسليمه إلى أهل الذكر ممن يعلمون .

حصونا مهددة من داخلها

في الجامعة العربية

— ٤ —

كنت في الجزء الماضي من هذه المجلة على موعد مع قراءها بتقديم الأمثلة على الدعوة الهدامة في كتاب (مختارات من إمرسون) الذي ترجمته جامعة الدول العربية بمشورة السفارة الأمريكية ، و (قصة الحضارة) الذي أوصت به اليونسكو .

يقول إمرسون مخاطبا قراءه (وإني أنصحكم قبل كل شيء أن تسبروا وحدكم وأن ترفضوا النماذج الطيبة ، حتى تلك التي يقدسها الناس في خيالهم . وتشجعوا على محبة الله بغير وسيط أو حجاب . وسوف تجدون من الأصدقاء من يكفي لأن يطلعكم على أمثال وزلي وأوبراين والقديسين والأنبياء — وتأمل أين يضع هذا المالحد الهدام الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه — لكي تقتدوا بهم . اشكروا الله على هؤلاء الرجال الأخيار ، ولكن ليقل كل منكم « أنا كذلك إنسان » ... إن التقليد لا يمكن أن يرتفع فوق النموذج ... كل منكم منشد من منشدى الروح القدس ولد حديثا . فلينبذ وراءه كل تقليد وليعرف الناس مباشرة بالله — ص ٨٥) . وواضح من هذا الكلام أن ذلك المفسد المضل يريد أن يجعل كل الناس أنبياء ، معتمدا على ضعف المعرورين والمفتونين ، الذين يريد أن يخيل إليهم أنهم لا يثبتون وجودهم إلا عن طريق نبذ الدين ، ويزعم لهم أنهم جميعا على صلة صحيحة وثيقة بالله — سبحانه وتعالى — تمكنهم من معرفته ومن تعريف الناس به .

ومن أمثلة هذه الآراء الهدامة التي تستر وراء الدعوة الخلافة إلى التحرر الفكرى كذلك قوله : (من أراد أن يكون رجلا ينبغى أن ينشق على السائد المألوف . ومن أراد أن يجمع ثمر النخيل الخالد ينبغى أن لا يعوقه ما يسميه الناس خيرا . بل يجب عليه أن يكتشف إن كان ذلك خيرا حقا . لا شيء في النهاية مقدس سوى نزاهة عقلك . حرر

نفسك لنفسك يؤيدك العالم . . . الخير والشر اسمان يمكن في سهولة شديدة أن ينتقلا إلى هذا أو ذاك ، والشئ الوحيد الصحيح هو ما يتبع تكويني ، والشئ الوحيد الخطأ هو ما يقاومه (ص ١٣٢) .

ومن سفسطة ذلك المفسد الهدام قوله (إن الثبات على رأى واحد هو غول العقول الصغيرة الذى يقدره صغار السياسيين والفلاسفة ورجال الدين . أما الروح العظيمة فليس لها ألبتة شأن بهذا الثبات ، وإلا فإنها تأبه لظلمها فوق الحائط . انطق بما تفكر فيه الآن فى ألفاظ قوية . وانطق بما تفكر فيه غدا فى ألفاظ قوية كذلك ، حتى إن ناقض ما قلته اليوم . وإذن فتق أنك سوف يساء فهمك . وهل من شر الأمور أن يساء فهمك ؟ لقد أسى فهم فيثاغورس وكذلك سقراط ويسوع وكوبرنكس وغاليليو ونيوتن وكل روح طاهرة عاقلة تجسدت . لكى تكون عظيما لابد أن يساء فهمك - ص ١٣٩) .

فليُنظر القارئ أى دعوة هذه إلى التخبط والغرور ، وإغراء ضعاف العقول بما يجرهم على خوض كل مجهول ، وتناول كل مغيب مستور ، وهتك كل مقدس مصون والخبط فى كل تيه واعتساف كل طريق ، بما يفسد عليهم وعلى الناس الحياة ويحولها إلى جحيم لا سكن فيه ولا قرار ، يتناذب أهلها ويتدابرون ويعتكرون ولا يتفقون على رأى ولا يسكنون ولا يطمئنون ، حتى لكأنهم أهل جهنم (كلما دخلت أمة لعنت أختها) .

على مثل هذا الغرور الشديد الفاسد المفسد فى تقدير الفرد يقوم الكتاب كله . ويبلغ هذا الفساد وهذا الغرور حد الكفر المجنون فى بعض الأحيان . وذلك فى مثل قوله (إن من ينبذ الدوافع العامة الإنسانية ويجرؤ على الثقة العامة فيما تمليه عليه نفسه لابد أن يتميز ببعض صفات الآلهة ص - ١٥٤) .

فهل تعرف خرفا وراء هذا الخرف ؟ ومع ذلك فقد يظن بعض صغار العقول وضعاف النفوس هذا الجنون ضربا من ضروب الفلسفة ؛ لأنهم لا ينسبون عجزهم عن فهمه إلى فساده ، ولكنهم ينسبونه إلى ضعف عقولهم عن إدراكه . وهذا الكاتب وأمثاله يعتمدون على أن الأذكىاء سوف يجدون فى كلامه ما يرضى غرورهم .

أما الأغبياء فسوف يقفون أمامه مشدوهين كأنهم أمام معجزة . أما الشباب فسوف يجدون فيما يتضمنه من الثورة التي تحطم ولا تبقى ولا تذر مجالا للتنفيس عن نشاطهم ونزوعهم إلى إثبات وجودهم من كل وجه .

ويتعقب ذلك الصهيوني الهدام شعائر الدين كلها بالتسفيه والسخرية اللاذعة . فالصلاة عنده وهم ليس فيه من الشجاعة أو الرجولة بمقدار ما فيه من القداسة (ص ١٥٦) . والتوبة والندم نوع آخر من الصلاة الزائفة ونقص في الاعتماد على النفس وعجز في الإرادة ، والرحمة والعطف لا تقل عن الندم وضاعة (ص ١٥٧) ، و (العقائد الدينية الشائعة قد تفوقت على الخرافات التي حلت محلها في الظاهر فقط لا في المبدأ - ص ١٧٣) . ألا ترى من ذلك كله أن هذا المفسد يريد ثورة تقلب موازين الدين والخلق وكل شيء ؟ بلى . وهو نفسه يعرف ذلك ، فهو يفسد ويعلم أنه يفسد ، أى أنه هدام محترف يفسد عن وعى منه وقصد ، والدليل على ذلك قوله (نريد رجالا ونساء يحددون الحياة ويجددون حالتنا الاجتماعية . ولكننا نجد أن أكثر المطابع مملوءة - ص ١٥٤) وقوله (إن تدميرنا المنزلى ضعيف ، وفنوننا ، وأعمالنا ، وزواجنا ، وديننا ، لم نختره لأنفسنا . وإنما نحن جنود في غرفة الاستقبال ، نتحاشى معركة القدر الحامية التي تتولد فيها القوة - ص ١٥٥) . وقوله (ومن اليسير أن نرى أن مزيداً من الثقة بالنفس لا بد أن يحدث انقلاباً في جميع وظائف الناس وعلاقاتهم ودياناتهم ، وفي تربيتهم ، وفي أهدانهم وأساليب عيشتهم واجتماعهم وفي أمثالهم وفي آرائهم التي يتدبرون - ص ١٥٦) .

ذلك هو لب الكتاب الذى أوحى به السفارة الأمريكية لطاه حسين ، فترجمه بأموال العرب ، وأهداه إلى شبابهم ومنكرهم . ولعنة الله على شياطين الجن والإنس « يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا » .

وقد يبدو فى بعض مقالات الكتاب - كما هى العادة فى كل نشرات الهدامين - صورة خداعة للإيمان ، فى مثل مقالات (الحب) و (الصداقة) . ولكن هذا الإيمان الزائف ليس إلا الشرك الخداع الذى يجذب الأغرار ، إذ يوهم القارىء أن الرجل صادق الإيمان ، وأن ضلالاته وإلحاده ليست إلا ضرباً من التصوف ، وأن سخطه على الأديان وطموسها

هو ضرب من السمو الروحي الذي يستهدف إصلاحها وتنقيتها من الشوائب كما يزعم كل أمثاله من الهدامين .

أما (قصة الحضارة) لول ديورانت (Will durant) فقد أصدرت منه اللجنة الثقافية حتى الآن ستة عشر جزءاً ، ويكفي أن نراجع من هذه الأجزاء العديدة الجزءين اللذين تناولوا حياة سيدنا عيسى وحياة سيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام لتبين أن اختيار هذا الكتاب للترجمة جريمة دبرتها الصهيونية الهدامة المتخفية في زوايا اليونسكو ونفذتها بيد طه حسين وأمثاله في جامعة الدول العربية .

يتساءل مؤلف الكتاب إن كان المسيح عليه السلام قد وجد حتماً (١١ : ٢٠٢ - ٢٠٥) ويشير حول الأناجيل مختلف الشبهات (١١ : ٢٠٦ - ٢١١) ، ويشكك في نسبه وفي أنه ولد من عذراء (ص ٢١٤) . وينسكركل معجزاته فينسبها جميعاً إلى الكذب والتلفيق ، أو يردّها إلى خداع الحواس والوهم أو ما سماه « العلاج النفسي » (ص ٢٢١-٢٢٢) ويتناول شخص المسيح عليه السلام وكمالاته وروايات الأناجيل بالسخرية ، فيقول مثلاً (إن الإنسان ليجد في الأناجيل فقرات قاسية مريرة لا توائم قط ما يقال لنا عن المسيح في مواضع أخرى منها ، ويبدو أنه قبل دون بحث وتمحيص أقوى ما كان يؤمن به معاصروه عن جهنم البرمدية التي يعذب فيها من لا يتوبون من الكفار والمذنبين بالنار التي لا تنطفئ أبداً والديدان التي لا تشبع من نهش أجسامهم .

وهو يقول دون أن يحتج عليه أحد إن رجلاً فقيراً في الجنة لم يسمح له بأن يترك نقطة واحدة من الماء تسقط على لسان غني في الجحيم ويلعن شجرة التين التي لم تكن تحمل ثمراً ، ولعله كان قاسياً بعض القسوة على أمه ، وكان يتصف بجهاشة النبي العبراني المتزمت أكثر من اتصافه بالهدوء الشامل الذي يمتاز به الحكيم اليوناني - ص ٢١٩) . وأكثر هذه المفتريات التي حشدّها ذلك الصهيوني الهدام في كتابه ، مروية عن المؤرخ اليهودي يوسفوس .

وبمثل هذا الأسلوب الإلحادي الهدام عالج المؤلف حياة نبينا عليه الصلاة والسلام في الجزء الثالث عشر . ففي هذا الجزء من الكتاب أخبرت أساليب السكيد والدس للإسلام . والمؤلف

لا يلجأ هنا إلى الهجوم البذى الصريح كما فعل مع شخص المسيح الكريم عليه السلام . ولكنّه يتظاهر هنا بالإلصاف ، بل يبدو في بعض الأحيان كأنه معجب بشخص النبي عليه الصلاة والسلام . فيقول مثلاً (وكان محمد ، كما كان كل داع ناجح في دعوته ، الناطق بلسان أهل زمانه والمعبّر عن حاجاتهم وآمالهم - ص ٢٤) . ويقول في موضع آخر (ذلك أن النبي كان ينشئ حكومة مدنية في المدينة . واضطر بحكم الظروف أن يخصص جزءاً متزايداً من وقته للشا كل العملية المتصلة بالتنظيم الاجتماعي والأخلاق والعلاقات السياسية بين القبائل (ص ٣٣) ويقول (وحتى شؤون الحياة العادية كانت أوامره فيها تعرض في بعض الأحيان كأنها موحى بها من عند الله) .

وكان اضطراره إلى تسكييف هذه الوسيلة السامية بحيث تتفق مع الشؤون الدنيوية مما أفقد أسلوبه بعض ما كان يتصف به من بلاغة وشاعرية . ولكن لعله كان يشعر بأنه بهذه التضحية القليلة جعل كل تشريعاته تصطبغ بالصبغة الدينية الرهيبة - (ص ٤٢) . وهو في هذه المواضع كلها يتحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثه عن أي مصلح سياسي تصدر دعوته عن حاجات عصره وتشكلها ظروفه . ومع ذلك فإن كلامه هذا قد يخدع ضعاف المسلمين وأغراهم حين يرون الكاتب - وهو غير مسلم - يبدى ميلاً مصطنعاً إلى إنصاف نبي لا يدين هو دينه . فهذا الكلام المشبع في ظاهره بروح المودة يخدع كثيراً من المسلمين فيقبلونه بقبول حسن . وينتهى بهم ذلك إلى اعتبار نبيهم واحداً من الزعماء والفلاسفة والمفسرين والمصلحين الذين يزخر بهم تاريخ الشرق والغرب في العصور القديمة والحديثة ، فيخرجهم ذلك عن إسلامهم لا شك ، لأنهم لا يسلمون حتى يعتقدوا اعتقاداً خالصاً لا يدخله ريب أن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانت بوحى يلاحقه ويقوده ويصحح كل أعماله . ولست أبالغ ولا أدعى غير الحق حين أقول إن هذه الروح اللادينية - مع شديد الأسف - قد أصبحت هي التي تسود دراسات التاريخ الإسلامي في الجامعات . وذلك شيء يلبسه كل من تخرج في كليات الآداب أو اتصل بها عن قريب . ومالي أذهب بعيداً وهذا هو محمد بدران - مترجم هذا الجزء - يقدم لي الدليل نفسه على صدق ما أقول ، حين يقرر في مقدمته أن (المؤلف قد أنصف الحضارة الإسلامية فشاد بفصلها) .

يقرر المترجم المسلم ذلك في سداجة تبلغ حد الغفلة والبله ، مع أن ذلك الصهيوني الخبيث لا يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا الغرائب التي يخلعها من سياقها وظروفها حتى تبدو

لغير الخبير بالتاريخ الإسلامى فى صورة تثير السخط وتدعو إلى الاشتمزاز ، كالذى يصف المجرم وهو يساق إلى القتل ويعلق فى الحبل ، ويخفى ما اجترح من مفساد وما أزهق من أرواح بريئة . تجد ذلك فى مثل كلامه عن قتله صلى الله عليه وسلم امرأة ، وعن قتله شيخا ناهز المائة ، لأنهما هجواه (ص ٣٥) . وهو يسوق ذلك فى أسلوب هادى رزين كأنه يسوق خبرا من الأخبار العادية دون أن يعلق عليه أو يحتفل به ، فلا يكاد القارىء المسلم يتنبه إلى غرضه الخبيث الذى هو فى حقيقة الأمر التشنيع بالنبي عليه الصلاة والسلام عند المخدوعين بما تزوره الصهيونية الهدامة من كلمات براقة ، حين تدعو إلى (حرية الهدم) وإلى (حرية الإفساد) وتسمى ذلك (حرية الرأى) ، وليوهم أنه - عليه الصلاة والسلام - لم يكن يرمى حرمة للنساء ولا للشيوخ . ومثل ذلك أيضا قوله (وضمت صفية - وهى فتاة يهودية فى السابعة عشرة من عمرها كانت مخطوبة لـكنانة - إلى نساء النبي - ص ٣٩) .

فمثل هذه الألغام التى يدسها الرجل فى ثنايا سطورة تترك أسوأ الأثر فى نفوس القراء من الغربيين ومن ضعاف الإيمان من المسلمين ، والمتحليين منهم للحضارة الغربية المتخلفين بها خاصة . شيخ جاوز الخمسين يتزوج فتاة فى السابعة عشرة ! وليس هذا فحسب . بل إنها كانت مخطوبة لرجل يهودى من بنى جندها فأضافها إلى نسائه العديديات ! هل هذا تاريخ ؟ أم أنه تشنيع فى أخطر صوره ، لأن صاحبه يتصنع الهدوء ويتظاهر بالاتزان والإنصاف ، ويخدع الناس بمثل كلامه عن براءة النبي فى القيادة وفى شئون الحكم وفى التنظيم الاجتماعى .

ومن أمثلة هذا الأسلوب الخبيث وصفه النبي صلوات الله وسلامه عليه بأنه كان (يعنى بمظهره الشخصى ويقضى فى تلك العناية كثيرا من الوقت . فكان يتعطر ويكتحل ويصبغ شعره ويلبس خاتما نقش عليه « محمد رسول الله » . وربما كان الغرض من هذا الخاتم هو توقيع الوثائق والرسائل . وكان صوته موسيقيا حلوا يأسر القلوب . وكان مرهف الحس إلى أقصى حد ، لا يطيق الروائح الكريهة ولا صلصلة الأجراس والأصوات العالية . . . وكان قلقل عصب المزاج ، يرى أحيانا كاسف البال ، ثم يتقلب فجأة مرحا كثير الحديث - (ص ٤٥) . فهذا الأسلوب المسموم فى التصوير إنما يريد أن يصور النبي صلى الله عليه وسلم فى صورة المتصابى وفى صورة العصبى المزاج المريض الأعصاب المصاب بالصرع . ويؤكد هذا الصهيونى الهدام تلك الصورة المفتراة بعد ذلك بقوله (وقد أعانه نشاطه وصحته على أداء واجبات الحب والحرب . ولكنه أخذ يضعف حين بلغ التاسعة والخمسين من عمره . وظن

أن يهود خيبر قد دسوا له السم في اللحم قبل عام من ذلك الوقت^(١) ، فأصبح بعد ذلك الحين عرضة لحيات ونوبات غريبة . وتقول عائشة إنه كان يخرج من بيته في ظلام الليل ، ويזור القبور ، ويطلب المغفرة للأموات ، ويدعو الله لهم جهرة ، ويهنئهم على أنهم موتى . ولما بلغ الثالثة والستين من عمره اشتدت عليه الحيات - (ص ٤٦) .

وجاء في هذا الجزء من الكتاب أيضا (وهاجرت إلى المدينة مائتا أسرة من مكة فنشأت فيها من جراء هذه الهجرة مشكلة الحصول على ما يكفي أهلها من الطعام . وحل محمد هذه المشكلة كما يحلها كل الأقوام الجياع بالحصول على الطعام أنى وجد . ومن ذلك أنه أمر أتباعه بالإغارة على القوافل المارة بالمدينة - (ص ٣٤) . ويحاول المؤلف أن يلبس هذه الأكاذيب وهذا التشنيع المفترى ثوب العلم فيقول (واجتمعت أسباب عدة عملت كلها على اتساع ملك العرب . فمن الأسباب الاقتصادية أن ضعف الحكومة النظامية في القرن السابق لظهور النبي قد أدى إلى انهيار نظم الري في جزيرة العرب فضعفت من جراء ذلك غلات الأرض الزراعية وحاقت بالسكان المتزايدين أشد الأخطار . ولهذا فقد تكون الحاجة إلى أرض صالحة للزراعة والرعى من العوامل التي دفعت جيوش المسلمين إلى الفتح والغزو - (ص ٧١ ، ٧٢) .

أترى إلى هذا الكلام المسموم الذي يصور المسلمين الأولين - وعلى رأسهم النبي صلى الله عليه وسلم - في صورة عصابات اللصوص وقطاع الطرق ، والذي ينزل بدوافع الفتح النبيلة إلى أغراض مادية ، فينقلب ذلك النفر الكريم من المجاهدين الأولين في نثر كلمة الله ، الذين لم يكونوا يبالون بحياتهم الدنيا في سبيل ما أعدده الله لهم من ثواب الجهاد في نثر دينه ، ينقلب ذلك النفر الكريم إلى جماعة من اللصوص وقطاع الطرق . لماذا تؤذى جامعة الدول العربية المسلمين والعرب بجماعه ؟ لماذا تنفق على نقله إليهم من أموالهم ، كأن مهمتها هي إسماعهم ما يكرهون وإحصاء ما قيل فيهم من الشتائم وإذاعته على الناس ؟ إن الحكومات تمنع شعوبها من الاستماع إلى الدعايات التي تفتري عليهم والتي تثبط عزائمهم وتفرق كلمتهم ، وتتفق في مقاومة مثل هذه الإذاعات الآلاف والملايين في بعض الأحيان . فهل دين الناس أقل قداسة وأهون مقاما ؟ .

لا يكتفى في دفع ضرر هذا الكتاب وأمثاله أن تكلف الإدارة الثقافية الدكتور الشيخ محمد يوسف موسى بالتعليق على ما يراه مستحقاً للتعليق ، فيعلق على بعض ويهمل بعضاً ،

١ - تأمل حرص هذا العميد على تبرئة اليهود من التهمة الماترة إذ يقول « وظن أن يهود خيبر » .

لأن السذج والغافلين وقليل الخبرة بتاريخ المسلمين - و ليست لدينا وسيلة لمنع وصول الكتاب إلى أيديهم - إن قرءوا ما في هذه الحواشي واقتنعوا به مرة فقد يهلونها وقد تستغريهم أباطيل الكتاب مرات . فما هي حاجتنا أصلاً إلى ترجمة مثل هذه المفتريات ؟ أى فائدة تعود على العرب من نقل مثل هذا الكلام ، حتى يفضوا الطرف عما فيه من الأذى ؟ هل هذا مما يزيد العرب تماسكاً ؟ أم هو مما يعينهم على النهوض ؟ لماذا تنقل إلى لغتنا هذه الكتب التي تتكلم عن نبينا عليه الصلاة والسلام بوصفه مصلحاً لا نبياً ، وقد كان من آثار مثل هذه الدعايات - ولا أقول البحوث - أن افتتن بها جماعة من المسلمين فاتخذوها نموذجاً لبحوثهم الإسلامية ، وظنوا أن تجردهم من إسلامهم شرط لسلامة البحث وعلنيته ، كما زعم لهم طه حسين في كتابه (الشعر الجاهلي) الذي سبق بسببه إلى المحاكمة . وقد أصبح التاريخ الإسلامى ، بل الدراسات الإسلامية فى كل فروعها ، لا تدرس فى الجامعات العربية الآن على اختلافها إلا على هذا النمط الفاسد المفسد الهدام . إن طه حسين الذى بدأ حياته العلمية متهماً فى دينه ، يتسلق إلى الشهرة بمخالفة كل مقدس مصون وكل مقرر ثابت ، حين كان الإلحاد بدع العصر يجاهر به الملحدون ويتظاهر به صغار النفوس والعقول من الأدعياء ، هذا الرجل نفسه هو الذى يشرف على اختيار مثل هذه الكتب لترجم على نفقة العرب ، وليشتف بها ناشئتهم ويشد بها أزر جامعتهم . وأى جامعة قد بقيت للعرب ، ولجنهم الثقافية تؤذى إيمان المؤمنين مسلمهم ومسيحيهم ؟ تؤذى المسيحيين مرة وتؤذى المسلمين مرتين ، تؤذيهم فى نبيهم عليه الصلاة والسلام مرة وتؤذيهم فى شخص المسيح الكريم عليه السلام مرة أخرى ، ثم تعتذر لهم عن جرأة المؤلف على الإسلام وافتراءه على نبيه الكريم بجرأته على اليهودية والمسيحية وافتراءه على رسوليهما الكريمين (ص ٢١) . فهل سمع الناس عذراً أقبح من هذا العذر الذى لا يصدر إلا عن جهول ؟ هل يعتذر عن رجل سب أبى بأنه لم يسب أبى وحده ، ولكنه سب آبائى كلهم أجمعين ؟ !

وبعد فإني أستغفر الله سبحانه وتعالى لهنى ولقارى هذه المفتريات ، فإنما قصدت أن أضع بين يديه جرم الجريمة ؛ ليرى رأى العين طه حسين يحمل أوزاره فوق ظهره ، وليطالب الناس المسؤولين بكف أذاه إن كان فيهم بقية من غيرة على إسلامهم وعلى شخص

نبيهم الطاهر الكريم .

الدكتور محمد محمد حسين

أستاذ الأدب العربى الحديث بجامعة الإسكندرية

صلوات مصر الثقافية ببلاد آسيا وغيرها

ادخر الله - جلّت قدرته ، وسمت حكمته - مصر لتكون معقلا لدين الإسلام ومنازة للهدى والعرفان ، منها تشع أضواء التوحيد ، وتنتشر تعاليم الشريعة السمحة إلى ربوع الأرض في كل مكان ، كما حملت في القديم مشعل الحضارة ، والعلم للإنسانية جمعاء . ففيها الأزهر . تلك الجامعة العتيقة ، تأذن الله أن يجعلها نبع العلوم والمعارف ، وحصن الإسلام الخالد ، ومعقل لغة الضاد من قديم الزمن ، وعلبأؤه قدوة الشرق والغرب ، وهم الهداة الذين لا يشق لهم غبار ، وعلى رأسهم فضيلة الأستاذ الأكبر الدكتور عبد الرحمن تاج شيخ الأزهر ، الذي لا يألو جهدا في العمل على رفع شأن الأزهر والإسلام ، والدعوة إلى السلام ، لإسعاد الإنسانية .

والذي يعيننا في هذه السكلمة هو أن نبين حاجة العالم الإسلامى إلى هذا المعهد العظيم ، وأثره في حياة الأمم الإسلامية عموما ، والآسيوية خصوصا ، وعناية رجاله بأحوال هذه الأمم .

فإذا كانت مكة المكرمة بكعبتها المباركة ، مهوى أئمة المسلمين للعبادة والنسك ، فيها المثابة والأمن ، فسكذلك أضحت مصر بأزهرها محط الرحال ، وقبلة رواد العلوم والمعارف ، ومركزاً للثقافة الفكرية والإسلامية ، بعد أن قضى التتار على التراث الإسلامى في بغداد .

لذلك اتجه العالم الإسلامى على اختلاف ألسنته وألوانه ، منذ قرون عديدة ، فأخذ يرسل فلفذات أكباده إلى الأزهر ، إذعاناً لقوله تعالى : « فلولاً نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » .

ذلك الأزهر الذى قام على حفظ اللغة والدين آماداً طويلة ، ونيف على الألف عام وهو يؤدى رسالته الخطيرة إلى الإنسانية فى الشرق والغرب ، رغم ما يتعرض له فى كثير من الأحيان ، من عواصف وأحداث على مر الزمن . وفى كلمة اللورد كرومر حين عاد إلى « بريطانيا » : « ما دام الأزهر فى مصر فلن يثبت قدم الاستعمار فى بلاد الشرق » ما يدل على ذلك .

والأزهر لم يخلق لمصر وحدها ، بل هو الدعامة الكبرى التي ترتكز عليها الحياة الروحية والحلقية للعالم الإسلامى ، فلقد عنى أشد العناية بخدمة هذا الجانب من الحياة الإنسانية فى آسيا وفى غيرها .

فأنشأ لذلك « مراقبة البحوث والثقافة » التى تقوم بإرسال المصاحف والمؤلفات العلمية إلى المكتبات فى كثير من الدول ، وترسل مناهج الدراسة إلى المؤسسات العلمية وتقوم بالفصل فى كثير من المشاكل الدينية والثقافية الدراسية ، التى تتعلق بحياة الناس التعبدية والعملية ، وتقوم باستقبال وفود الزائرين من كبار الشخصيات الإسلامية وبعثات المعاهد العلمية من سائر الأقطار ، وتقوم بالإشراف على المعاهد الدينية فى البلاد الإسلامية : بإرسال المبعوثين إليها ، مثل معهد الكويت وغيره .

وأنشأ الأزهر « مراقبة البحوث الإسلامية » وتقوم بالإشراف الإدارى على الطلاب الوافدين على الأزهر ، وترعاهم من الناحية النظامية والمادية ، وتسهر على راحتهم . كما أنشأت مشيخة الأزهر « مجلة » تحمل رسالة تلك الجامعة إلى بلاد الإسلام المختلفة لتكون حلقة اتصال فكري وثقافى ، بين الأزهر وتلك البلاد التى تدين بدين الإسلام ، ومراة صافية يرى فيها المسلمون أسرار دينهم ، ومحاسن تشريعهم ، ومدى اتساع أفق هذا الدين لكل مما يجد فى السكون من المستحدثات ، التى تعود بالخير والصلاح على الإنسانية ، ولتحمل ما تنتجه قرائح أعلام العلماء ، وحفاظ الشريعة من الأحكام والآراء ، فى مختلف شؤون الحياة ، مما ينصب للناس معالم الهداية ، ويرسم لهم طريق الخير والشر .

كما تعنى « مجلة الأزهر » بدفع الشبه والمفتريات والأفكار الهدامة ، التى تدهسها أقلام الملاحدة ، وذوو الأهواء والبدع ، باسم حرية الفكر تارة ، وباسم التجديد والإصلاح تارة أخرى ، مما يفسد على الناس عقائدهم ، ويشككهم فى دينهم .

وتعتبر المجلة معيناً صافياً ، يتنطف منه العلماء والكتاب شذرات لترجمتها ، ونشرها فى أمهات الصحف والمجلات .

وأنشأ الأزهر « لجنة للفتوى » مكونة من جهازة العلماء على المذاهب الأربعة وغيرها ، تقوم بالإجابة على الاستفتاءات الكثيرة المتنوعة ، بفتاوى مستفيضة على جانب كبير من الأهمية ، يتلقى المسلمون حكمها فى إذعان وتسليم ، لثقتهم العظيمة فى رجال الأزهر .

وفي شهر رمضان من كل عام ، يقوم الأزهر بإرسال أفاضل الهداة والمرشدين إلى مختلف البلاد الإسلامية ، الآسيوية وغيرها ، لإحياء ليالي هذا الشهر المبارك ، بالمحاضرات التي تدعم الحياة الروحية ، وتزكي الجوانب الخلقية في نفوس المسالين .

والأزهر يستقبل الوافدين من الطلاب ، من مختلف بلدان العالم ، وقد بلغ عددهم خمسة آلاف طالب من بلدان آسيا وغيرها ، واسكل جماعة من عنصر واحد رواق يعين له شيخ منهم يرعى مصالحهم ، وعدد الأروقة ٢٢ رواقا ، تمثل البلاد الإسلامية المتعددة ، كأندونيسيا والصين والفليبين والملايو والهند وسيلان ومالديف وأفغانستان ، وغيرها من البلاد العربية والإسلامية ، وقد أنشأت حكومة الثورة لهم مدينة ، تعتبر أضخم مدينة لطلاب العلم .

وقد تخرج من هؤلاء الطلاب في ربع القرن الأخير ما يقرب من ألف متخرج من آسيا وحدها ، وكثير منهم يشغلون مناصب خطيرة ، في بلادهم وغيرها ، فمنهم الوزراء والسفراء ومديرو الجامعات ، وعمداء الكليات ، والمستشارون والمفتون ، والقضاة والأساتذة في الجامعات ، وغير ذلك من المناصب الدينية والعلمية والسياسية والاجتماعية ، ويضيق المجال عن ذكر أسمائهم وبلادهم .

هذا ولم يكتف الأزهر بتلقي البعثات الوافدة ، والقيام بتعليمها ، بل أوفد كذلك بعثات من خيرة أساتذته إلى بلاد آسيا وغيرها منذ سنوات عدة ، تشاركه في ذلك وزارة التربية والتعليم ، والجامعات المصرية .

فأوفد بعثة إلى الصين عام ١٩٣٣ م ، مكثت هناك أربع سنوات ، قامت فيها بأعمال جليلة فأنشأت مكتبة بكين الإسلامية الكبرى ، وأوفد بعثة إلى اليابان عام ١٩٣٦ م ، وأوفد بعثة إلى الهند عام ١٩٣٦ م لدراسة أحوال المسلمين هناك ، والتوفيق بين طوائفهم . ويقوم الآن بإرسال مبعوثيه إلى معظم البلاد الإسلامية ، ولا سيما الآسيوية لمثل هذه المهمة . هذا هو الأزهر بثقافته ، وعلمه ومعارفه وجهوده ، يلم شعث المسلمين ، ويوجههم إلى خير الدنيا والآخرة .

ومن العجب أنه مع هذا كله يدور في أذهان بعض دعاة الاستعمار ، فكرة يريدون بها انتزاع الزعامة الدينية ، والثقافة الفكرية والإسلامية من مصر . وأنى لهم ذلك ! فقد توفر للأزهر العتيق ما لم يتوفر لغيره ، فهو جامعة مصر الكبرى ، التي تزعمت العالم في القديم بحضارتها التاريخية الخالدة ، وفي الحديث بثقافتها الإسلامية المتمثلة في الأزهر .

وأنى لغبر مصر بآظ القرآن عن ظهر قلب ، وأأائه فى طلاقة وفصاحة ، من مئآت الألوؑ على هذه الصورة من الالال والالال ، الة ىتنظرها ملاين المسلين فى الصبال والمساء من إذاعة مصر ، والقرآن هو الالور اللى أأور علىه زعامة الإسلام .

ولا آروؑ فآق آبا الله مصر موقعا جأرافيا ىأبر فى قلب الالنا ، ومناآا طيبا آمبلا ىناسب آممع الوافالين من مآآلف الأآار ، لم ىأوفر لبلأ آبر مصر .

وإزاء تلك الآآماء الة أأآها مصر عن طرأق الأزهر للالام الإسلامى قرونا عأبأة ، كان الواآب على هؤلاء الالاة أن ىعملوا على أأعم الأزهر ، وعلى مسانأة مصر فى آآص لأزهر ، ولعلوا أن زعامة مصر للالام الإسلامى وراثبة ، ورأآها آبلا بعأ آبل وفىا الآبر كل الآبر للإسلام والمسلبين ، وسآآآها الوقاآع الأارآبآة ، فآق سآآها صلاح الال برأ الصلبببن عن بلاد العروبة والإسلام ، كما سآآها من بعأه الملك المظفر سبف الال قطر ، والظاهر بببرس بصد آآافل المآول وأآار كذلك ، والأارآ آافل بمواقف آآبرة لمصر فى الالور عن ببضة الإسلام ضأ أعدائه فى آآبر من البلاد الإسلامبة .

وقأ أآآت هذه الزعامة بإنشاء المؤآمر الإسلامى ، لمؤازرة الأزهر فى انآقام برسائآه ، فى صبانة العقبأة الإسلامبة ، وأأفع آطر الاسآعمار السباسب والالنبى واحآضان البعوث الإسلامبة ، الوافأة على مصر من أربع وآمسبن أولة .

وقأ آآآت مظاهر هذه الزعامة فى الآفاف المسلببن ، ومؤازرآهم لمصر إبان الالآوم الألائى انأار علها . وقأ ازأاأ آبعات هذه الزعامة بعأ أن اسآآآلت مصر أسباب القوة ، وظآآ آفبظة على مآأساأ الإسلام مآ زوأ آآافآه من آممع البلاد ، واحآضآآها مصر ، وصانها الأزهر هذه الآقبة الطوبلة .

فمصر آعآبر بآآق أسآاأ الالام الإسلامى ، منذ أنآى الأزهر ، وعمرآ آلقاآه بأأروس الالبن والفسكر واللغة .

وإن على آآومة الآورة فى عهأها الزاهر ، وعلى رأسها آآرر مصر وآامى القومية العرببة « الرأبس آمال عبأ الأناصر » .

أن آؤكد هذه الزعامة ، وآعمل على إبقاآها بما آآآلبسه تلك الزعامة من آأبم للأزهر ومسانأة له فىما ىرأ من إصلاآ ، والله ولى الأوفبق ؟

آآأ آآسن أروبش

شبآ معآه البعوث الإسلامبة بالأزهر

حرية الفكر

كما قررها الاسلام

لقد أتى على جماهير الناس حين من الدهر ، كان مبلنهم من العلم بالدين أنه مجموعة من العقائد والأعمال التي لا مجال فيها للعقل ، ولا تمتنع فيها للبحث والنظر ؛ لأن القادة الدينيين الذين استمدوا قيادتهم من وحى الأهواء وطغيان الشهوات ، كانوا يقولون لمن يلقيونهم هذه العقائد والأعمال ، « أظني مصباح عقلك ثم اعتمد وأنت أعمى » ، فلا يباح له أن ينظر فيها بعقله وفكره ، وإنما عليه أن يتلقاها بالتسليم المطلق والتقليد الأعمى ، وبذلك سيطروا على عقولهم وأفهامهم ، وسلبوهم حرية الفكر واستقلال الإرادة ، وفرضوا عليهم ماشاءوا من العقائد التي اختلقوها بأهوائهم ، والشرائع التي ابتدعوها بجهلهم وضلالهم ، وبقي هذا الضلال شائعا في عقائدهم وأعمالهم ، حتى جاءهم الإسلام في جلال الحق وصفاء النبع ، ليضع عنهم تلك الأغلال التي كانت جاثمة على عقولهم وأفكارهم ، ويزيل هذه الأكنة التي كانت مضروبة على قلوبهم وأبصارهم ، فنادى بصوت ملا الخافقين وأسمع الثقلين ، أنه الدين الذي يسائر الفطرة والوجدان ، ويحكم الحجة والبرهان ، ويطالب الاعتلاء بالبحث والنظر ، وتحكيم العقول ومراجعة الضمائر ، والاهتداء بنور العلم والمعرفة ، وأقام صرح هذه الدعوة التحريرية على الدعائم الآتية : —

الدعامة الأولى : تحرير الإنسان من الحجر العقلي والكتب الفسكري ؛ لكي يكمل بذلك عقله ويستقيم تفكيره ، وتكتمل له شخصيته وإنسانيته ، فإن كمال العقل هو الدعامة الأولى لصحة العقائد وكمال الأخلاق وصلاح الأعمال ، كما يشير إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « إن الأحق يصيب بجهله أكثر من فجور الفاجر ، وإنما يرتفع العباد غداً في الدرجات الزلفي عند ربهم على قدر عقولهم » ، « ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه إلى هدى ويرده عن ردى ، وما تم إيمان عبد ولا استتمام دينه حتى يكمل عقله » .

ولقد عنى القرآن ببناء هذه الدعامة عناية كبرى ، فاستنهض العقول والأفهام ، وأيقظ

الحواس ونبه المشاعر ، وطالب العقلاء بالنظر في ملكوت السموات والأرض ، والتعرف على أسرار العوالم الكونية ونواميسها ، وما فيها من الدلائل على وجود الله ووحدانيته في ألوهيته وربوبيته ، كما قال جل شأنه « أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء » ، « افلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ، أو آذان يسمعون بها ، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » ، « وفي الأرض آيات للبوقين وفي أنفسكم أفلا تبصرون » وأكثر من ذكر الآيات الكونية ومطالبة العقول بالنظر فيها ، كما يتجلى ذلك في التعقيب عليها بمثل قوله جل جلاله « لقوم يعقلون » ، « لقوم يتفكرون » ، « أفلا تعقلون » ، « أفلا تبصرون » وذم الغافلين ونعى عليهم غفلتهم وإعراضهم عن دلائل هذه الآيات ، كما في قوله تعالى « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون » ، « وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون » وبشر الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه ، ومدحهم وأثنى عليهم ، كما قال تعالى « فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب » .

الدعامة الثانية : تحرير الإنسان من رق التقليد الأعمى ، وتربيته على حرية الفكر واستقلال الإرادة ، واحتقار التقليد والتبعية العمياء ؛ فإن التقليد الأعمى من شر ما تبلى به الأفراد والجماعات ، فإنه هو السبب الأول في الجود على الأباطيل الموروثة ، وإهمال مواهب الفكر والنظر ، وعدم التمييز بين الحق والباطل ، وفي ذلك جناية على الحق وتدسية للنفس ، وقتل للبواهب وامتهان للعقول ؛ وهو الباعث القوي على الوقوف في طريق الإصلاح والمصلحين ، وقيام التعصب الجماعي لحماية المعتقدات والعادات الموروثة ، ومحاربة كل جديد يكشف عن زيغها وباطلها ؛ لأن العقائد والمذاهب إذا قامت على أساس الوراثة وتقليد الآباء والأجداد ، فإن ذلك يضفي عليها قداسة تستحوذ على عواطف الوارثين لها ، وتصرفهم عن التفكير في مدى صحتها أو بطلانها ، وتحملهم على التعصب الجماعي لحمايتها والإبقاء عليها ومعارضة كل جديد يخالفها أو ينتقص من قداستها ، ولو كان ذلك الجديد أهدى منها سبيلاً وأقوم طريقاً ، وقد قرر القرآن هذه الحقيقة في آيات كثيرة ، كقوله تعالى : « وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم

مقتدون ، قال أولو جثثكم بأهدى ، ما وجدتم عليه آباءكم ، قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون ، « وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب ، أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب ، وانطلق الملائم منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد ، فانظر كيف يفعل التعصب الجماعى بأهله ، فقد كانت صناديد قريش يعرفون رسولهم كل المعرفة ويعلمون صدقه وأمانته حق العلم ، ولكن التعصب القائم على تقديس ما وجدوا عليه آباءهم ، هو الذى حمىهم على التسكر لنبوته ورسالاته ، ورميه بأنه ساحر كذاب ، ووصف التوحيد الذى جاءهم به بأنه شيء عجاب ، والتواصى بالصبر والثبات على شركهم وضلالهم ، ولو أنهم سلكوا طريق التحرر من سلطان التعصب الجماعى ، الذى أرشدهم إليه القرآن بقوله « قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفردى ثم تفكروا ، ما بصاحبكم من جنة ، إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد » وقاموا لله مثنى وفردى ، وخلا كل منهم بصاحبه أو بنفسه ، يستطلع رأيه ويستكشف سره ، ويستوحى عقله ويستفتى قلبه ، لزال تلك الغشاوة التى عقدتها التعصب على القلوب والأبصار ، ولعلوا أن صاحبهم صلوات الله وسلامه عليه ، ليس به من جنة كما يفترون ، وما هو إلا نذير لهم بين يديه عذاب شديد .

ومن هنا يتجلى لنا السر فى تمسك الأمم بالعقائد والمذاهب الموروثة ، وإن كانت لا تقوم على أساس من الحق ، ولا تعتمد على نظر صحيح ، ولا تتفق مع ما بلغته من الرقى العقلى والتقدم العلى ، وفى أن التقليد الأعمى من شر ما تبتلى به الأفراد والجماعات كما قلنا ، ولهذا كان لابد للإسلام وهو يقيم دعائم التحرير ويبنى قواعد الإصلاح ، أن يحمل حملة قوية على التقليد والمقلدين ، فعاب على المقلدين إعراضهم عن الحق ، وجودهم على متابعة ما وجدوا عليه آباءهم من الضلال والانحراف ، ونعى عليهم جهلهم وافتراءهم على الله الكذب ، كما قال تعالى « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أولو كان آبائهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » « وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ، قل إن الله لا يأمر بالفحشاء ، أنقولون على الله ما لا تعلمون » وسجل عليهم ما يقع منهم فى الدار الآخرة ، من الاعتراف بما جنته عليهم الطاعة العمياء لساداتهم وكبرائهم ، كما قال تعالى « يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول ، وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ، ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا » .

وهكذا كشف الإسلام عن مدى جناية التبعية العمياء على الأتباع والمتبوعين ، وقضى على سلطة المتألهين من ذوى القيادة الضالة والزعامة الزائفة ، وخلع عنهم رداء القداسة التي انتحلوها لأنفسهم ، واتى جعلتهم فى نظر المخدوعين فيهم أربابا من دون الله تعالى ، وأهاب بأسرى التقليد والتبعية العمياء ، أن يحرروا أنفسهم من هذه العبودية التي أهدرت كرامتهم وإنسانيتهم ، وأن يعلوا أن الإشقاء والإسعاد ، وربوبية التشريع والعبادة ، أمور خالصة لله ملكا واستحقاقا ، وأن أساس الإيمان الصادق والدين الخالص ، هو التسليم السكلى لشرع الله الذى أنزله على رسوله ، كما يشير إلى ذلك قول الله عز وجل « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » ، « ألحكم الجاهلية ييغون . ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون » ، « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلبوا تسليما . »

الدعامة الثالثة : تحرير الإنسان من عبادة الأهواء والخضوع لسلطانها ، فإن الهوى مضلة للعقل ، ومضیعة للحق ، لا يستقيم لصاحبه رأى ، ولا يعتد له قصد ، ولا تسلم له طوية ، ولا يخضع لحق ليس فى جانبه ، ولهذا عنى القرآن بتحرير الإنسان من عبودية الأهواء عناية كبرى ، فندد بالعاكفين على تأليه الأهواء وعبادتها ، كما قال تعالى « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون » ، « فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين » ، ونعى عليهم أخلاقهم وسوء طوياتهم ، كما فى قوله تعالى « وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم ، إذا فريق منهم معرضون ، وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين ، أفى قلوبهم مرض ، أم ارتابوا ، أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله ، بل أولئك هم الظالمون » ، هذه هى أخلاقهم فى الماضى وفى الحاضر ، يستفتونك فى الأمر وصدورهم منطوية على رأى دفين ، فإن أفتيتهم بما فى أنفسهم فرحوا ورضوا ، وإن أفتيتهم بغيره سخطوا وأعرضوا ، وسخروا منك ما شاءوا وشاءت أخلاقهم ، وإذا دعوتهم إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجدلتهم بالتى هى أحسن ، ركبوا رؤسهم ولجوا فى عتو ونفور ، وخاضوا فى جدال عنيف ونقاش عقيم ، لأنهم ليسوا طلاب حق وهدى ، وإنما هم أصحاب غرض وهوى ، لأن طالب الحق يطلب ما يطلب من رأى وهو مجرد عن كل هوى يطاوعه أو غرض

يتابعه ، ومستعد لقبول الحق والتسليم به متى ظهر له ، وذلك هو منطق العقل وطريق الوصول إلى الحق ، أما أن يضع المستفتى نصب عينيه رأيا معيناً ، ويطوى نفسه على هوى دفين ، ويأبى إلا أن يكون الحق تابعا لرأيه وهواه ، فذلك هو منطق القلوب المريضة ، ومسلك النفوس العلية ، ووحى الأهواء المؤهلة ، « ولو اتبع الحق أهواءهم ، لفسدت السموات والأرض ومن فيهن » .

الدعامة الرابعة : تحرير الإنسان من مرض الجهل وظلمته ، فإن الجهل يطفىء نور القلب ، ويقتل مواهب الفكر ، ويميت في الأمم عناصر الحياة والقوة ، ويفقدها قوة الإرادة وصدق العزيمة ، وقد عنى الإسلام بهذه الدعامة عناية كبرى ، ورفع شأن العلم وحث على طلبه ، وعظم شأن العلماء وأعلى منزلتهم ، وجعلهم رواد الحق ودلائل الهدى ، كما في قوله تعالى : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، إنما يتذكر أولو الألباب » « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » وقوله صلى الله عليه وسلم « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة » . « الحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنى وجدها ، ولا يضره من أى وعاء خرجت » .

وأنهى باللائمة على الذين يتبعون الظنون والأوهام ، ويجادلون في الله بغير علم ، كما قال عز وجل « وما يتبع أكثرهم إلا ظنا ، إن الظن لا يغنى من الحق شيئا » « ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » وبذلك فتح الإسلام لأهله طريق المعرفة وأعد قلوبهم للحياة بنور العلم ، ووجه عقولهم للبحث والنظر ، وأرشدهم إلى أن العلم هو سبيل سعادتهم في الدنيا والآخرة ، فإن الإسلام إذ يمتدح العلم ويرفع من شأنه ، ويحث المسلمين على طلبه والاهتداء بنوره ، إنما يريد به العلم الذى يوضح لهم معالم السعادة في المعاش وفى المعاد ، ويكشف لهم عن أسرار الكائنات ، ويعد لهم وسائل الحياة والقوة ، ويبين لهم قواعد السيادة والمجد ، ولقد عمل المسلمون الأولون بهذا التوجيه الإسلامى ، فكانوا رسل الهداية وقادة الإصلاح وأساتذة العالم بلا منازع .

هذه هى الدعائم التى رفع الإسلام قواعدها ، وفتح بها للإنسان طريق التحرر الفكري والاستقلال الإرادى ، وبوأه المنزلة اللاتقة بكرامته ، وعرفه أن الله لم يخلقه عبدا يقاد كما تقاد الأنعام ، ولم يجعل لأحد حق السيطرة على عقله وقلبه ، وإنما خلقه حرا مالكا

لأمره ، يفكر بعقله ويعمل بإرادته ، ويستمع إلى دعوة الحق ، ويهتدى بنور العلم ، ويسترشد بدلائل الكائنات ، ويعتبر بما يجري فيها من الحادثات ، « وبعد » فقد تبين لنا من كل ما تقدم .

(١) أن التقليد الذى ذمه الإسلام وشدد النكير على أهله ، إنما هو التقليد الذى يقوم على العصبية الوراثية والنصرة الطائفية ، والذى لا يميز بين الحق الذى أنزله الله على رسوله ، والباطل الذى أوحى به الشياطين إلى أوليائهم ، ولا يفرق بين التقليد فى الخير والتقليد فى الشر ، وأما تقليد الأئمة الذين استنارت قلوبهم بهدى الكتاب والسنة ، وامتألت نفوسهم برهبة الخوف من القول فى دين الله بغير حجة ، فليس من قبيل التقليد والتبعية العمياء ، وإنما هو من قبيل القدوة الصالحة المستبصرة ، والأسوة الحسنة الواعية ، ومتابعة غير العالم لأهل العلم والمعرفة ، لقوله تعالى « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » وقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث العرباض بن سارية « فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين » فالاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله ، والسير على سنن الخلفاء الراشدين والأئمة الراشدين فى العلم ، هما سبيل النجاة من شرور الفتن والاختلاف ، وطريق العصمة من ضلال الرأى وطغيان الهوى .

(٢) أن حرية الفكر التى قررها الإسلام وجعلها حقا للإنسان ، هى التى تنبثق من نضوج العقل ونور العلم واستقامة التفكير ، وتقوم على قضايا الحق والمنطق ، وتحكيم الحجة والبرهان ، واحترام النصوص الشرعية وتقديمها ، والزام قواعد الاستدلال التى جرى عليها أئمة المسلمين فى فهمها والاستنباط منها ، اذ لو وكل أمر الدين إلى الناس يحكمون فيه أهواءهم وأفهامهم كما يشاءون ، ويقبلون ويردون منه كما يشتهون ، لصار أمر الدين فوضى لا ضوابط له ولا حدود ، واختلت موازين الحق والباطل ، فإن العقول والأفهام متفاوتة ، والنوازع والأهواء متحركة ، والكلمة من أهل الحق فى كل زمان ومكان قليلون ، وبالجملة هى الحرية التى تصلح العقائد ولا تفسدها ، وتبنى المجتمعات الصالحة ولا تهدمها ، وتجعل من أهل الرأى قادة مصلحين لا قادة مضللين .

أما الحرية الفكرية التى لا تتقيد بقضايا الحق والمنطق ، ولا تلتزم قواعد النظر والاستدلال ، ولا تعبا بجرمة النصوص الشرعية وقداستها ، ولا تبالى بالخروج على الأصول

الإسلامية المقررة ، ولا تعتمد إلا على الجهل والفسسطة ، والغرور والغطرسة ، إذ ليس لها رائد من الحق تلتزم طريقه ، ولا هدف من الإصلاح تسلك سبيله ، وإنما رائدها مرض القلوب وطاعة الأهواء ، وهدفها الإفساد والهدم والإغراق في الفجور والتحلل ، فتلك حرية متحللة فاجرة ، لا يبيحها الإسلام ولا يرضاها لأهلها ، لأنها سبة للعقل وعار على العلم ، وضلال في التفكير وفساد في الأرض .

فيامن أوسعتم حرية الرأي مجالا غير محدود ، واصطنعتم لها معنى غير معقول ، وأطلقتهم ألسنتكم وأقلامكم تتهجم على قدسية الدين وتعاليمه ، وتشكك الناس في أصوله ومصادره ، وتهدم صروح الفضائل باسم الإصلاح والتجديد ، راجعوا عقولكم وضمائرکم فيما تصنعون ، فما هكذا تكون حرية الفكر وقيادة الرأي ، وما هكذا يكون الإصلاح والتجديد ، واتقوا الله في أنفسكم وأممكم وأوطانكم ، فإن الدنيا متاع قليل وإن جل في أعينكم ، والرحيل عنها قريب وإن بعد في أمانيتكم ، وساعة الحساب آتية لا ريب فيها ، ولا مفر من الحساب ولا مهرب من الجزاء ، « يأيها الناس إن وعد الله حق ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور » ؟

يس سويلم طه
المفتش بالأزهر

من وحي الهجرة

هجرة كان بها أسمى الظفر لك يامن رمت تحرير البشر
جمعت كل عظمات وعبر تملأ النفس بأنوار اليقين
من قصيدة للأستاذ

عبد الرحمن نجما

نقد كتاب

« أضواء على السنة المحمدية »

في رمضان من عام ١٣٦٤ أغسطس عام ١٩٤٥ نشر الأستاذ محمود أبو رية مقالا بالرسالة العدد « ٦٣٣ » تحت عنوان « الحديث المحمدي » ضمنه آراءه في بعض مباحث الحديث وذكر أنها خلاصة كتاب سينشر ، فلما قرأته وجدت فيه عزوفا عن الحق والصواب في بعض ما كتب ، فأخذت بالقلم وكتبت ردا أرسلت به إلى « الرسالة » فنشر بالعدد « ٦٤٢ » وقلت في ختام الرد « وحيث أن المقال خلاصة كتاب سينشر ، فإنني لأهيب بالأستاذ أن يراجع نفسه في بعض هذه الحقائق التي تسكشفت له ، وليكر على الكتاب من جديد بالتمحيص والتدقيق ، وعلم الحديث ليس بالأمر الهين ، والبحث فيه يحتاج إلى صبر وأناة وتمحيص وتدقيق » وقد أبى الكاتب أن يسلم بكل ما أخذته عليه فكتب ردا على ردي نشر بالرسالة العدد « ٦٥٤ » وذكر في مقدمة رده أن مقالتي « ينزع إلى الحق ويطلبه ، وأنه يستحق العناية ويستأهل الرد » ؛ ثم تريت الأستاذ في نشر ما عن له من فصول هذا الكتاب فقلت : لعله راجع نفسه .

وفي عامنا هذا « ١٣٧٧ - ١٩٥٨ » طلع علينا الأستاذ أبو رية بكتاب تحت عنوان « أضواء على السنة المحمدية » فقرأت الكتاب قراءة باحث متثبت مستبصر فإذا هو صورة مكبرة لما أوجز في مقاله القديم ، وإذا بالمؤلف لم يغير من أفكاره إلا في القليل النادر ، فعزمت على الرد عليه ردا مسهبا ، ولا سيما وأن الكتاب أحدث بلبلة في الأفكار عند من لم يتعمقوا في دراسة السنة ، وقوى عزمي على الرد رغبات الكثيرين من الفضلاء ، الذين لا يزالون يذكرون ردي الموجز القديم وحسن ظنهم بي .

وقد رأيت أن أنشر هذه الردود على صفحات مجلة الأزهر « الزهراء » وأى مجلة أحق بمثل هذه البحوث من مجلة الأزهر ؟ وهي لسان الأزهر وحاملة لواء الإسلام والتعريف به والذب عنه ، وإليها يسكن المسلمون في جميع أقطار الأرض ؛ وقد آثرت أن أقدم بين يدي

النقد التفصيلي للكتاب صورة موجزة ، وإن شئت فقل خطوطا عريضة تعطينا فكرة عن الكتاب وطريقة مؤلفه ومنهجه في البحث ، وإليك البيان :

(١) إن المؤلف يدعى دعاوى عريضة ولا يدل عليها ، أو يحاول أن يدل عليها ، فيعوزه الدليل ، أو يستدل فيأتي الدليل قاصرا عن الدعوى . . . وذلك مثل ما ذكره في ص ٥ من (أن علماء الحديث قد بذلوا أقصى جهدهم في دراسة علم الحديث من حيث روايته . . . على حين أهملوا جميعا أمرا خطيرا كان يجب أن يعرف قبل النظر في هذا العلم ودرس كتبه - ذلك هو البحث عن حقيقة النص الصحيح لما تحدث به النبي صلوات الله وسلامه عليه ، وهل أمر بكتابة هذا النص بلفظه عند إلقائه أو تركه ونهى عن كتابته ؟ وهل دونه الصحابة ومن بعدهم أو انصرفوا عن تدوينه ؟

وهل ما روى منه قد جاء مطابقا لحقيقة ما نطق به النبي - لفظا ومعنى - أو كان مخالفا له ؟ ... ويعلم الله والراسخون في العلم أن كل ما ادعى أنهم أهملوه جميعا قد قتلوه بحثا وبذلوا فيه غاية الوسع ومثل ما ذكره في ص ٧ من (أنه وجد أنه لا يكاد يوجد في كتب الحديث كلها مما سموه صحيحا أو حسنا - حديث قد جاء على حقيقة لفظه ومحكم تركيبه . .) ومثل قوله في ص ١٣ « ولما كان هذا البحث لم يعن به أحد من قبل . . رأيت أن أسوى منه كتابا محبوبا جامعا أذيعه على الناس حتى يكونوا على بينة من أمر الحديث المحمدي ، وفي الحق أنه ما من بحث عرض له إلا قد أشجع العلماء فيه القول ، ولتدع التذليل إلى مقام التفصيل . . .

(٢) إن المؤلف اعتمد في التذليل على بعض ما ذهب إليه على كلام المستشرقين !!! أي والله المستشرقين ، وذلك كما فعل في ص ٨١ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، وكيف خفي على المؤلف الحصيف أن المستشرقين - إلا القليل منهم - يحملون الضغن للإسلام والمسلمين ، وأنهم نقشوا سمومهم في بحوث ادعوا أنها حرة نزيهة ؟ - وما هي من النزاهة في شيء - وأن من مقاصدهم تقويض صرح الإسلام الشاخص ، وذلك بتقويض دعائمه - القرآن والسنة ؟ - وأنهم لما عز عليهم التشكيك في القرآن - على كثرة ما حاولوا - ركزوا معظم جهودهم في السنة بحجة عدم تواترها في تفصيلها ؟ فلبسوا الأمر على بعض الناس حتى كان من أثر ذلك ما يطلع علينا به بعض الباحثين في الأحاديث النبوية بين الحين والحين ومنهم الأستاذ المؤلف من

آراء مبتدرة جائرة ، ويشهد الله أنها مصنوعة في معامل المستشرقين ثم استوردوها هؤلاء فيما استوردوا من أفكار وادعواها لأنفسهم زورا وبهتانا .

(٣) إن المؤلف أفاض في بعض المباحث وأكثر من النقول وذلك لكي يرتب عليها ما يريد من نتائج هي أبعد ما تكون مرتبة عليها ، وذلك كما صنع في مبحثي الرواية بالمعنى وضررها الديني واللغوي والأدبي ، بينما أوجز إيجازا مخرلا في بعضها كما فعل في مبحثي العدالة والضبط !! وهل تعلم أن هذين المبحثين اللذين يتوم عليهما علم الرواية ونقد المرويات في الإسلام لم يحظيا من الكتاب إلا ببضعة أسطر ؟ والذي يظهر لي أنه أمر مقصود من المؤلف ، ذلك أنه لو ذكر شروط العدالة والضبط على ما أصلها وقعدها أئمة الحديث وصيارفته ، لعاد ذلك بالتمتص على كثير مما ذكره المؤلف في كتابه من استنتاجات لا تسلم له . ولا أكون مغاليا أو متعصبا إذا قلت : إن الأصول التي وضعها علماء أصول الحديث لتمتد المرويات ، هي أرقى وأدق ما وصل إليه العقل البشري في القديم والحديث وسأفيض في بيان ذلك عند النقد الموضوعي إن شاء الله .

(٤) من عجيب أمر هذا المؤلف أنه يستشهد بأحاديث موضوعة ما دامت تساعد على ما يريد ويهوى من آراء .

وذلك مثل ما فعل في ص ٢٩ من استشهاده بما روى أن عمر حبس ابن مسعود وأبا موسى وأبا الدرداء في المدينة على الإكثار من الحديث فإنه خبر ظاهر الكذب والتوليد - كما قال ابن حزم - ونسبته روايته إلى ابن حزم ليس من الأمانة العلمية في النقل . ومثل حديث عرض السنة على القرآن فهو موضوع باتفاق الأئمة على حين حاول أن يشكك في أحاديث صحيحة ثابتة مثل حديث « ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه » فقد نقده من ناحية متنه موهما اختلاقه ص ٢٥٢ . وطعن في حديث الإسراء والمعراج وحمل موسى محمداً عليهم الصلاة والسلام على مراجعة ربه ، واعتبر ذلك من الإسرائيليات ص ١٢٣ . كما اعتبر ذكر المسجد الأقصى في حديث « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد . . » من الإسرائيليات ص ١٢٩ . والإمام ابن تيمية وهو من أئمة المنقول والمعقول وينقل عنه المؤلف كثيراً في كتابه ، احتج بهذا الحديث ولم يبد عليه أى مأخذ من المآخذ ، وهو من الأحاديث التي اتفق عليها الشيخان البخاري ومسلم إلى غير ذلك مما ستعلم الكثير منه عند ما نتعرض للنقد التفصيلي ، ولا أكاد أعلم لل المؤلف سلفاً في الطعن في هذه الأحاديث من الأئمة اللهم إلا أن يكون

السادة المستشرقون وهى شنشنة نعرفها من أخزم ؛ ولعل مما يؤسف ويدهش أنه اعتبر حديث عبد الله بن عمرو بن العاص الذى رواه البخارى وغيره « إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن » خرافة من خرافات كعب الأحبار امتدت إلى تلميذه عبد الله بن عمرو (ص ١١٤) . ولا أدرى كيف يتفق هذا وقول الحق تبارك وتعالى « الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل الآية » الأعراف ١٥٧ .

٥ — جارى المؤلف المستشرقين حينما تكلم عن العصبية المذهبية والسياسية فى فصل الوضع فحكم على كل ما يدل على فضيلة لصحابى أو يشهد لفكرة أو رأى بأنه موضوع وهو تصرف لا يرتضيه المنصفون المثبتون ، ولا ترتضيه قواعد البحث النزيه المستقيم ، فمن ثم طعن فى كثير من الأحاديث الصحيحة فى الفضائل ، وغير معقول ألا يكون لصحابة النبى الذين مثلهم فى التوراة والإنجيل - فضائل فى جملتهم وألا يكون لبعضهم من الفضيلة والمزية ما ليس للآخر . فادعاء أن كل ماورد فى الفضائل أو كل ما يشهد لفكرة أو رأى موضوع - إفراط وإسراف فى الحكم بغير دليل . وكذلك ادعاء أن كل ما ورد فى الفضائل ونحوها صحيح ، تفریط وتقصير فى البحث ، فلم يبق إلا الطريق الوسط العدل وهو الطريق الذى يتهدى فيه الباحث بصحيح النقد وصريح العقل إلى التمييز بين الصحيح وغير الصحيح ، وبيان المقبول من المردود ، وهذا هو ما صنعه جهازة الحديث وأئمة النقد فى موقفهم من أحاديث الفضائل ونحوها .

٦ — لقد تحامل المؤلف تحاملاً لا يرتضيه المنصفون لذى دين وخلق - على صحابى من صحابة رسول الله وهو أبو هريرة رضى الله عنه ، ونحن لا ندعى العصمة لأحد من البشر حاشا الأنبياء ، ولسكننا نريد أن نزل الناس منازلهم فى الفضل والعلم ؛ ولا نحجر على العقول فلكل باحث أن ينتقد ويبدى ما يشاء من آراء فى حدود قواعد النقد الصحيحة ، ولسكننا نحب للتاقد أن يأخذ نفسه بأدب النقد ، وأن يراعى النصفة ، وأن يكون عفيف القول ، كريم التعبير مترفعاً عن الإسفاف ، كما هو الشأن فى العلماء ، وقد كان سلفنا الصالح يختلفون ويتجادلون ، ولسكنهم كانوا يخلقون فى سموات من العفسة والترف عن الهجر من القول ، والإلصاف وعدم التجنى .

ولا أدرى كيف استباح المؤلف لقلبه فضلاً عن أدبه أن يرمى أبا هريرة بكل جارحة

من القول تعليقاً على كلمة لسيدنا أبي هريرة قالها تحدثاً بنعمة الله عليه (١) . قال المؤلف ما نصه ص ١٨٧ « ولقد استخفه أشره وزهوه - يعنى أبا هريرة - ونم عليه أصله ونحيزته فخرج عن حدود الأدب والوقار ! مع هذه السيدة الكريمة ، فكان يقول بعد هذا الزواج الذى ما كان يحلم به : إني كنت أجيراً للبصرة بنت غزوان بطعام بطنى ، فكنت إذا ركبوا سقت بهم وإذا نزلوا خدمتهم والآن تزوجتها ، فأنا الآن أركب فإذا نزلت خدمتى .. الخ . ومما أخرجه ابن سعد أنه قال : أكريت نفسى من ابنة غزوان على طعام بطنى وعقبة رجلى ، فكانت تسكفنى أن أركب قائماً وأورد حافيا ، فلما كان بعد ذلك زوجنيها الله ، فكلفتها أن تركب قائمة وأن تورده حافية .

ويعلق الباحث الأديب على هذه العبارة ، فيقول بالهامش ما نصه : انظر إلى هذا الكلام الذى تعرى عن كل مروءة وكرم ، واتسم بكل دناءة ولؤم ، فتجده يباهى بامتهان زوجته والتشفي منها ، وهل يفعل مثل ذلك رجل كريم خرج من أصل عريق (٢) ! . وبحسبى أن أضع هذه العبارات ، التى نضحت بها نفس المؤلف الأديب بين يدي القراء ، وسأدع الحكم عليه ، لمحكمة الأدب السامى ، والضمير الإنسانى ، وسيكون الحكم - ولا ريب - قاسياً .

هذا إلى ما جاء فى تضاعيف كتابه من رعى المتصرين للسنة المخالفين له فى آرائه بالحشوية حيناً ، وبالمقلدة والجامدين حيناً آخر ، إلى غير ذلك مما ينبغى أن ينزه التأليف والنقد عنه . هذا وليطمئن المؤلف أبو رية ، أنى لن أتعرض لعقيدته ومذهبه ونشأته ، ولا لسكرم أصله أو عدم كرمه ، ولا لمروءته أو عدم مروءته ، إلى غير ذلك مما تناول به السيد الجليل أبا هريرة ، فقد أخذت نفسى منذ أمسكت بالقلم أن أترفع عن مثل هذه السفاسف ... ! والسباب والشتم إنما هما بضاعة العاجز الذى لا يسعفه المنطق السليم والحجة الدامغة ، ولن يرى منى إلا النقد الموضوعى للكتاب . ومن الله أستمد العون والتوفيق . فاللهم أعن وسددم

محمد محمد أبو شهبة

الأستاذ بكلية أصول الدين

[١] فى الإصابة عن مضارب قال : كنت أبيع من الليل فإذا رجل يكبر فقلت ما هذا قال : كثر شكر الله على أن كنت أجيراً للبصرة بنت غزوان ثم ذكر القصة .

٢ هذا ما قاله أبو رية فى السيد أبى هريرة . وقال الامام ابن إسحق فيه : كاذب - يبطا فى دوس - فانظر فرق ما بين الماتنين !

زین العابدین

علی بن الحسین

۳۸ - ۵۹۴

اللهم صلی علی محمد وعلی آل محمد كما صلیت علی ابراهیم وعلی آل ابراهیم وبارک علی محمد وعلی آل محمد كما بارکت علی ابرهیم وعلی آل ابراهیم فی العالمین إنک حمید مجید . ولعمر الله العظیم لقد کانت المسلمون الصادقون یتوارثون حب النبی صلی الله علیه وسلم وقرابته وتکریمهم ، والنظر إلیهم نظرة التقدير لأنهم بضعة من رسول الله صلی الله علیه وسلم یرضیه ما یرضیهم ، ویؤذیه ما یؤذیهم فمن آذى واحدا منهم فقد آذى الله ورسوله إلا أن یکون بحق الإسلام .

خدیج بکل مسلم أن يعرف لهؤلاء حقهم وأن یتقدرهم قدرهم .

یروی عن أبی بکر الصدیق رضی الله عنه أنه کان یقول ! ارقبوا محمدا فی أهل بینه ، وكان یقول والذی نفسى بیده لقرابة محمد صلی الله علیه وسلم أحب إلی من قرابتی .

ویقال : إن الخلیفة المهدی عمر بن عبد العزیز لما وفد علیه عبد الله بن حسن بن علی فی حاجة قال له : إذا كانت لك حاجة فأرسل إلی أحضر أو اکتب إلی فانی أستحی من الله أن یراک علی بابی .

وما لا مجال لتحقیقه فی هذا المقام ولا داعی للخوض فی تفصیله أنهم كانوا یظفرون بهذه المنزلة السکریمة فی نفوس الصدیقین ومن خلصت نفوسهم من الشوائب والأغراض لأنهم متمسکون بسنة جدھم النبی صلوات الله علیه معتمضون بدینه محتفظون بمزایاه الی خص بها الله سبحانه هذا البیت السکریم من التعرف إلی الله والاعتزاز به واللجوء إلی حماه والمروءة والکرم والفداء والتضحية وما إلی ذلك من معانی الإسلام الی اختارها الله للصفوة من عباده .

ومما لا مجال لتحقيقه أيضاً والخوض في تفاصيله أننا لا ننشد لهم بذلك تعظيماً لم يأذن به الله ، مما يتشبه به كثير من العامة الذين يفرط كثير منهم في أصول الإسلام وأسسها ، فلا يقيم صلاة ولا يؤدي زكاة ولا يتورع عن الخوض في أعراض الناس ومظالمهم ، ثم يزعم أنه يجب آل البيت ، وحسبه من ذلك أن يطوف حول قبر أو يمسك بحلقة مقصورة أو يدعو أحداً منهم بما خص الله سبحانه به نفسه .

كل هذا هراء وباطل وانحراف عن الجادة وسبيل محمد صلى الله عليه وسلم وآل بيته الأكرمين .

وبعد فقد كان علي زين العابدين وذو الثغفات الزكي الأمين^(١) صفوة هذا البيت الكريم بعد آبائه ، وانحصرت فيه ذرية السبط الكريم حسين بن علي رضي الله عنهم أجمعين .

ومن حديث هذه الذرية الكريمة أن الحسين رضي الله عنه كان له ستة أولاد علي بن الحسين الأصغر وهو هذا الذي تتحدث عنه اليوم وأمه شاه زنان بنت يزيد جرد بن كبرى أنوشروان ملك الفرس .

وقد تربى في حجر أبيه الحسين بن علي يأخذ عنه ما ورث عن أبيه وجده من آيات الله والحكمة ويحاكيه في أدبه وسخائه وكرمه وحله حتى كان مضرب المثل والمورد العذب وما زال هذا الإمام العابد الزاهد يأخذ نفسه بما تركه أبوه عليه من المعارف والمكارم فهو عالم فقيه ومحدث جليل وزاهد مبذال ورع .

وقد عده الحافظ الذهبي من الطبقة الوسطى من التابعين في رجال الحديث وقال إنه روى عن أبيه وعمه الحسن وعائشة وأبي هريرة وابن عباس والمسور بن عمر وغيرهم . وأخذ عنه بنوه أبو جعفر محمد بن علي وزيد وعمر وزيد أسلم وعاصم بن عمر والزهرى ويحيى بن سعيد وأبو الزناد وآخرون .

(١) هذه الأربعة ألقاب كان يدعى بها .

وذو الثغفات على التشبيه بثغنة البعير وهي ركبته وذلك أن مساجده كانت كثيفة البعير من كثرة صلاته ذكره شارح القاموس .

قال الزهرى : ما رأيت أفقه من على بن الحسين إلا أنه كان قليل الحديث وكان من أفضل أهل بيته وأعظمهم طاعة وأحبهم إلى عبد الملك وفى حب عبد الملك إياه ما يدل على أنه كان يؤثر التقية ويتجنب الخلاف إبقاء على جماعة المسلمين كعمه الحسن رضى الله عنه ولأنه يرى فيما هو فيه من الصلة بالله والتوجيه الصالح لامة محمد صلى الله عليه وسلم ما يشغله عن ذلك الخلاف الذى يرى أن الله سبحانه يفصل فيه بعدله ، ويقضى فيه بحكمه ، على أنه كان مهيبا شجاعا لا يبالى ما يواجهه فى الحق .

ويروى الذهبي عن مالك أنه قال : بلغنى أنه كان يصلى فى اليوم والليلة ألف ركعة إلى أن مات . وقد يكون فى ذلك شئ من المبالغة على أنه يلقى ضوءا على ما كان فيه من طول القنوت والإقامة إلى دار الخلود .

وكان يسمى زين العابدين لعبادته .

وكانت وفاة على بن الحسين سنة ٤٤ هـ ودفن بالبقيع فى خلافة الوليد بن عبد الملك فى قبر عمه الحسن رضى الله عنه فى القبة التى فوق قبر العباس رضى الله عنه كما رواه ابن خلكان فى وفياته .

وقد نصت جميع الكتب التى رأيت فى تاريخ الإمام على بن الحسين أن وفاته كانت فى سنة ٤٤ هـ منها تواريخ ابن خلكان والذهبي والشبلنجي فى كتابه نور الأبصار ومعنى ذلك أنه توفى فى خلافة الوليد بن عبد الملك كما رأيت .

وإذا كان ذلك فلا صحة لما يشاع فى كتب الأدب وبعض الكتب التى لا تحقيق فى رواياتها من أنه حج مع هشام بن عبد الملك وأن هشاما جهد أن يصل إلى الحجر الأسود فلم يصل إليه لكثرة الزحام وأن الناس تنحوا لزين العابدين حين رأوه وأن هشاما سئل عنه فادعى أنه لا يعرفه وأن الفرزدق كان حاضرا فقال أنا أعرفه وأشد :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا التقى النقى الطاهر العلم
إذا رأته قریش قال قائلها	إلى مكرم هذا ينتهى الكرم

ونحن لا ننكر أن يكون ابن الحسين جديرا بهذا الشعر ولا بما هو أروع منه ، وإنما نذكره للتحقيق التاريخي . فإن سياق القصة يدل على أن هشاما يومها كان خليفة ، ونحن نعم

أن خلافته بتبدي منذ سنة ١٠٥ للهجرة أى بعد وفاة السيد زين العابدين بما يجاوز عشر سنوات .

فإن تكن الحادثة صحيحة أولها أصل فلعلها كانت مع غير هشام من الخلفاء ، أو مع غير زين العابدين من آل البيت ، أو بينهما فى غير خلافة هشام .

وإليك بعض صفات زين العابدين وأخباره وطرفا مما نقل من أقواله مما له دلالة على مبلغ بصره ومعرفته ومزاياه الكريمة .

١ — كان على بن الحسين رضى الله عنه يخاف الله ويخشاه خشية من أيقن بالموت ، ورأى الدار الآخرة . وعرف الله حق المعرفة ، وورث صفات النبوة فكان مصليا صواما ، معرضاً عن الفضول مشتغلا بما يعنيه وحده ، وقد رأيت ما نقل عن مالك رحمه الله من أنه كان يصلى ألف ركعة ، وذلك عمل من لا يجد فراغا لغير الله . ولا يعرف وجهه سواه . وروى أن رجلا لقيه فسيبه فقال : يا هذا ؛ بينى وبين جهنم عقبة إن أنا جزتها فما أبالى ما قلت ، وإن لم أجزها فأنا أكثر مما تقول . وروى أنه كان إذا حضرت الصلاة اصفر لونه فيقال : ما هذا الذى نراه يعتريك عند الوضوء فيقول : أما تدرؤن بين يدى من أقف . . !

ولعلك أيها القارىء الكريم تعرف من هذا وأمثاله كيف كان هؤلاء الصديقون من أهل بيت النبوة ؟ وأنهم لم يغتروا يوما بالصلة بالله ورسوله ، ولكنهم كانوا أشد الناس خوفا من الله ، وإشفاقا من غضبه ، واقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وصحابته فى معرفة حق الله وهضم نفوسهم وتهذيبها .

٢ — كان على بن الحسين يعرف حق الله والإنسانية فى السائل والمحروم ، والعاثر والمكدود فيتعهد الفقير وينفق مما آتاه الله سبحانه بالليل والنهار سرا وعلانية ، ويجهد نفسه ويعنيها فى تحمل أعباء الناس . عن ابن عائشة قال : سمعت أهل المدينة يقولون ما فقدنا صدقة السر إلا بعد موت على بن الحسين .

وعن محمد بن اسحق قال : كان ناس من أهل المدينة يعيشون ولا يدرون من أين معاشهم وما كلهم . فلما مات على بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به ليلا إلى منازلهم . وكان يحمل

جرب الخبز على ظهره يتصدق به ، فلما غسلوه جعلوا ينظرون إلى سواد في ظهره فقيل :
ما هذا ؟ قالوا : كان يحمل جراب الدقيق ليلا على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة .

وعن سفيان قال : أراد علي بن الحسين الحج فأنفذت إليه أخته سكينه ألف درهم ،
فلحقوه بها بظهر الحرة فلما نزل فرقها على المساكين .

وهكذا يتجلى الإسلام على حقيقته في آل البيت النبوي الكريم ، والإسلام بذل وتضحية
وإيثار وجهاد في سبيل الله بالمال والنفس ، وبذل لكل ما عند المرء في سبيل الإنسانية
طاعة لله وليس مجرد صلاة وصوم ودعاء وذكر .

٣ — كان زين العابدين أديبا مهذبا عفا اللسان حليما متواضعا متسامحا ، يتصدق بعرضه
على المسلمين ، كما يتصدق بماله على المعوزين .

وقد مر بك ما كان من إعراضه عن مجازاة من سبه ومجازاته وعن سفيان قال : جاء
رجل إلى علي بن الحسين فقال : إن فلانا وقع فيك بحضوري فانطلق إليه معه وهو يرى
أنه سينتصر لنفسه منه ، فلما أتاه قال : يا هذا إن كان ما قته حتما فأنا أسأل الله أن يغفر لي ،
وإن كان باطلا فالله تعالى يغفره لك ثم ولى عنه .

وهكذا كان الأدب والحكمة في العلماء الراشخين من هذه الأمة السكرية ، فلم يكن فراغ
نفوسهم يدفعهم إلى الكبرياء ويوقعهم في الخماقة الرعناء ؛ ليسكتروا خصوصهم في الناس
وليضاعفوا مشاكلهم في الحياة . وما أجمل البساطة وسلامة الصدر ونسيان السيئات ! والصفح
عن الزلات تحية لما لى الأخوة ، وحرصا على إشاعة السلام ! وفي الحديث الشريف :
والذى نقى يده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنون حتى تحابوا .

٤ — على أن زين العابدين لم يكن جبانا فى الحق ولا ضعيفا أمام الجبارة من
الأمراء والمسلطين .

وكانت تعرض له مشاكل منذ حادثته يطير فيها فؤاد النكس ويخشع لها قلب الصنديد ،
فما يبالي ما يصيبه إذا قال الحق وشق نفسه لله .

روى فى عدة مصادر أن ملك الروم ، كتب إلى عبد الملك بن مروان يهدده ، فرأى أن
يهدد على بن الحسين ليرى ما يقول فيبعث به إلى ملك الروم فكتب إلى الحجاج أن تواعد
على بن الحسين واكتب إلى بما يقول :

فكتب الحجاج إليه يتوعده .

وكان جواب علي بن الحسين أن قال :

إن لله عز وجل لوحا محفوظا يلحظه كل يوم ثلثمائة لحظة ليس منها لحظة إلا يحيي ويميت ويعز ويذل . ويفعل ما يشاء ، وإنى لأرجو أن يكفلك منها بلحظة واحدة . فأرسله الحجاج إلى عبد الملك ، ثم كتب به عبد الملك إلى ملك الروم ردأ على تهديده ، فلما قرأه ملك الروم قال : ما خرج هذا إلا من كلام النبوة .

فانظر كيف كان ثبات زين العابدين ، ثم تأمل كيف احتاج كل من عبد الملك والحجاج - مع غزير علمهما ووافر ثقافتهما وفصاحتهما - إلى الانتفاع بما يكتب زين العابدين في موقف الإثارة .

٥ — أما علمه ومعرفته ، وأما إحاطته بشئون الدين ، فقد كان إماما ومرجعا يقىء الناس إلى ظله ، ويتداوون به من الجهل ، ويشعون به ظلمات الحرمان ، وقد بالغ فيه بعض الصوفية ، فادعوا أن لديه من علوم الكشف وما لا يطلع عليه الناس الشيء العجيب .
٦ — ولكن حسبنا أن تنتقل إليك بعض فقرات من كلامه لترى فيها صورا من علمه وأدبه إلى صور من بيانه وبلاغته .

روى أنه كان يقول لابنه : يا بني إن الله لم يرضك لى فأوصاك بى ، ورضينى لك فحذرنى منك ، واعلم أن خير الآباء للأبناء من لم تدعه المودة إلى التفريط فيه ، وخير الأبناء للآباء من لم يدعه التقصير إلى العفوله ، وكان يقول له يا بني اصبر على النوائب ، ولا تعرض للنون ، ولا تجب أخاك من الأمر إلى ما مضرتك عليك أكثر من منفعتك لك .

ومن كلامه : إذا نصح العبد لله تعالى فى سره أطلع الله على مساوىء عمله فتشاغل بذنوبه عن معائب الناس . عبادة الأحرار لا تكون إلا شكراً لله لا خوفاً ولا رغبة . عجمت لمن يحتذى من الطعام لمضرتة ، ولا يحتذى من الذنب لمعرتة . أربع عزهن ذل : البنات ولو مريم ، والدين ولو درهم ، والغربة ولو ليلة ، والسؤال ولو أين الطريق .

وفى الفصول المهمة أن جماعة من البادية دخلوا عليه ، فقالوا فى أبى بكر وعمر وعثمان فقال لهم : ألا تجربونى من أتم ؟ ، أأتم المهاجرون الأولون الذين أخرجوا من ديارهم

وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله؟ قالوا : لا ، قال : فأتتم الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة؟ قالوا : لا ، قال : أما أتم الذين قد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين؟ ، وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله تعالى فيهم « والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا » اخرجوا عنى فعل الله بكم وصنع .
رحم الله زين العابدين وجعل فيه مثالا للصالحين ؟

محمود النواوى

«حنين»

سما بى شوق للحجاز شديد	فانى محب ، والمحب مرید ! !
أحب رسول الله حبا إخاله	حنينا ، وهل بعد الحنين مزيد ؟ !
وأهفو إلى البيت الحرام وزمزم	وطيبة ، والمولى على شهيد !
مواطن حفت بالجلال وهيبة	ومجد لنا فى العالمين تليد !
بنفسى أفنديها ، ونفسى عزيزة	وكل محب بالعزير يحدود ! !
لقد طال شوقى للحبيب محمد	وطال انتظارى والحبيب بعيد !
إليك رسول الله أشكو تخلفا	كأنى به عبر الزمان طريد ! !
أحاول أن أسعى ولكن حالتى	تعوقنى عما لديك أريد !
وفى كل عام للحجيج قوافل	تزور ، وإنى دونها لقميد !
وتلك - لعمري - حالة لا أطيقها	بروعنى منها أسى ، وجود ! !
فجدلى بقرب منك يا سيد الورى	فأشعر أنى فى الرحاب سعيد !

محمود طيره

رئيس بعثة الأزهر بالصومال

الاسلام فى غانا

على الساحل الشرقى للبحيط الأطلسى ، وفى جنوب الصحراء الكبرى الإفريقية ، تقع دولة صغيرة تبلغ مساحتها حوالى ٩٢ ألف ميل مربع ، كانت تعرف فى المصورات الجغرافية باسم « ساحل الذهب » ، ثم عرفت بعد استقلالها فى ٦ من مارس سنة ١٩٥٧ م باسم « غانا » ، وهو الاسم الجغرافى للمناطق الساحلية فى غربى إفريقيا ، والاسم التاريخى لمملكة قديمة كانت قائمة بين أعلى نهر النيجر ونهر السنغال منذ ٨٠٠ سنة . وظهرت هذه الدولة ، رغم حداثة استقلالها ، على مسرح الحياة السياسية بشكل بارز ، واشتركت فى المؤتمرات التى عقدت لصالح الشعوب الإفريقية والآسيوية ، وتوطيد أركان السلام العالمى .

وبمناسبة زيارة رئيس وزرائها الدكتور كوامى نكرومه Kwame Nkrumah لمصر ، وإعجابه بالدور الكبير الذى يقوم به الأزهر فى توثيق الروابط بين مصر والعالم الإسلامى ، أود أن أعرض لقراء مجلة الأزهر الغراء صورة مبسطة ، توضح لنا بعض معالم هذه البلاد ، وتكشف لنا بها أحوال المسلمين هناك ، قىما بواجب التعارف بين الجماعة الإسلامية ، ولنسكون على بيئة من الأمر فىما تقدمه من خدمات لإخواننا فى هذه المناطق التى باعد بيننا وبينها المستعمرون .

عرف العرب والمسلمون هذه البلاد منذ القرن الأول للهجرة ، فبعد أن وطدوا دعائم الحكم الإسلامى فى شمالى إفريقية - اتجهت قوافلهم نحو الجنوب ، واخترقت صحراء فزان والواحات ، ووصلت قبيلة « بنى حسن » إحدى قبائل « بنى هلال » إلى داخل بلاد السودان حاملة معها رسالة الإسلام مع ما يحملون من تجارة . ومن الشمال الغربى توجه المرابطون إلى داخل القارة لنشر الدعوة الإسلامية ، وغزوا مملكة « غانا » التى كانت قائمة بين أعلى نهر النيجر ونهر السنغال ، وأسس هناك أبو بكر بن عمر اللتوى مملكة « السونغاى » ، وأصبحت مدينة « تمبكتو » التى اختطها الطوارق سنة ١٠٧٧ م ملتقى الوافدين من الشمال والشرق والغرب ، وصارت مركز الدعوة الإسلامية فى هذه الجهات . ولم يمت أبو بكر ابن عمر سنة ١١٢٠ م إلا بعد أن وصلت قبائل الديولا حاملة رسالة الإسلام إلى ساحل

الذهب « غانا » وساحل العاج وسيراليون والمناطق الساحلية الأخرى . ثم جاء رجال الطرق الصوفية الكبرى : الجبلانية والشاذلية والتيجانية ، وتابعوا نشر الدعوة حتى وصلوا بها إلى حدود الكونغو .

ولم يعرف الغربيون ساحل الذهب « غانا » إلا بعد منتصف القرن الخامس عشر ، عندما قام الأسبانيون والبرتغاليون يتأرون من العرب الذين حكموا عدة قرون ، فطاردوهم وتبعوا بلادهم فاتحين ، وتحركت أساطيلهم بزعامة الأمير هنرى ابن الملك جوان الأول ، متبعة ساحل إفريقية الغربى حتى وصلت سيراليون ، وتابعت سيرها بعد وفاة الأمير حتى وصلت حدود الكونغو .

وكان نزول البرتغاليين إلى ساحل الذهب سنة ١٤٧١ م . فاشغلوا هناك بالتجارة ، التي أسالت لعاب بقية الأوروبيين ، فوفدوا إليها جماعات من كل منطقة ، وتنافسوا في تجارة الرقيق إلى جانب التجارة في منتجات البلاد المعدنية والنباتية ، ثم انسحب هؤلاء جميعا ، ولم يبق إلا البريطانيون الذين بسطوا سلطانهم على البلاد ، وتم لهم إخضاعها سنة ١٩٠٠ م بعد حروب دامية استمرت سنين عديدة ، وظلت البلاد ترزح تحت نير الحكم البريطانى ، يطبق فيها سياسته الاستعمارية التقليدية ، القائمة على الاستغلال والاستئثار بخيرات البلاد ، وإهمال شئونها وإحباط كل مجهود يرمى إلى النهوض ، وكبت الحريات والقضاء على كل حركة تحريرية ، حتى كانت الانتفاضات الأخيرة التي اشترك فيها الدكتور نكروماه بعد عودته سنة ١٩٤٧ م من أمريكا وإنجلترا ، حيث كان يكمل تعليمه هناك ، وبعد جهاد عنيف حصلت البلاد على استقلالها في ٦ من مارس سنة ١٩٥٧ م ضمن الممتلكات البريطانية وسيكون الحكم فيها ديمقراطيا جمهوريا في هذا العام .

* * *

تسكون « غانا » الآن من أربع مناطق : منطقة الساحل حيث توجد عاصمة البلاد « أكرا » ومنطقة « أشانتى » شمالها ، ثم المناطق الشمالية بعد ذلك ، وأخيراً الجزء الانجليزى من « توجولاند » الألمانية القديمة . ويبلغ السكان حوالى خمسة ملايين ، معظمهم من الزوج ، ليس فيهم إلا نحو مائة ألف أوروبي ونحو عشرة آلاف عربى من سوريا ولبنان . وهم خليط من عدة قبائل ، أشهرها : الأشانتى والفانتى ، وكل قبيلة لها لغتها الخاصة

التي تنفرع إلى عدة لهجات تبلغ جهتها نحو ٥٠ ، واللغات الرئيسية أربع ، تسود كل منها في منطقة من مناطق الدولة .

وغالب السكان يدينون بدين الآباء والأجداد وهو الوثنية ، ونسبتهم أكثر من ٦٠ ٪ . ويوجد هناك مسيحيون تنصروا على يد الإرساليات التبشيرية التي وفدت مع الفاتحين والمكتشفين الغربيين ، ويبلغون حوالى ٣٠ ٪ . كما تتول نشراتهم الدينية الرسمية ، ويدعو أن هذا التمدد مبالغ فيه ، يراد به إبراز نشاط المبشرين للجهات التي يعملون لحسابها حتى تقوى بذلك مراكرهم ، كما أكد ذلك كثير من المراقبين للشئون الدينية . أما المسلمون فقد اضطربت الأقوال في تقديرهم ، نظراً لعدم وجود إحصاءات دقيقة للسكان . وتزعم المصادر الأجنبية أنهم لا يتجاوزون ٤ ٪ . من السكان ولكن يؤكد أحد كبار المسلمين الذين تخرجوا في الأزهر وله مكان محترم في الأوساط الرسمية هناك أن عددهم لا يقل عن مليون نسمة . وأن المستعمرين والمبشرين الذين يعملون لحسابهم يحاولون جهدهم أن يتملوا من شأن المسلمين تنفيذاً لحطة مرسومة . ويكثر المسلمون في المناطق الشمالية ، ومظهر الإسلام هناك واضح جداً ، إذ يفوق عدد المسلمين هناك كل الطوائف الأخرى . ثم يقل عددهم في أشاتى وغيرها .

وأكثر المسلمين غرباء وفدوا من غرب إفريقية وشرقيها والمناطق المجاورة ؛ للعمل في الزراعة والمناجم والتجارة ، وتعتبر مدينة « كوماسى » عاصمة إقليم أشاتى ، ومدينة « أكرا » عاصمة البلاد ، من أكبر المراكز لاستقبال هؤلاء العمال الوافدين . ويلاحظ أنه لا تخلو أية مدينة كبيرة من وجود حى إسلامى فيها ، كما لا تخلو أية قرية من القرى من وجود أحد التجار المسلمين ، وكل جماعة من المسلمين لهم زعيم يرعى شئونهم ، والزعيم الأكبر مقره مدينة « كوماسى » ، وتكاد تنحصر الزعامة في أسرة « بريماه » التي يرجع أصلها إلى قبيلة جاويوروبا ، وثلاثة أرباع المسلمين من أهل السنة والجماعة ، ويوجد نحو اثنين وعشرين ألفاً يتحلون نحلة القديانية ، ولهم نشاط بارز في كافة النواحي ، ومدارسهم ناجحة بالرغم من أن تلاميذها لا يدينون جميعاً بمذهبهم . ومذهب أهل السنة مالكى ، نظراً لأن الوافدين قديماً وحديثاً هم من شمالي إفريقية وشرقيها وغربيها حيث يسود المذهب المالكى هناك . كما أن أكثر المسلمين ينتمون إلى الطريقة الصوفية التيجانية ، التي أسسها بالمغرب أحمد بن محمد التيجانى المتوفى سنة ١٧٨٢ م .

والخرافات منتشرة في البلاد بشكل واضح ، والعادات الوثنية القديمة راسخة في نفوسهم مهيمنة على تصرفاتهم ، والسحر والشعوذة والاعتقاد في الأرواح الخفية والأسرار والألغاز يكاد يكون قدراً مشتركاً بين المواطنين جميعاً ، والسحرة هناك لهم مكانتهم واحترامهم ، ويخشى الناس بأسهم فيتوددون إليهم بإقامة الحفلات وتقديم القرابين ، لأنهم يؤمنونهم أن لهم صلة قوية بالله ، أطلعت أيديهم في السكون تتصرف كما تشاء .

ومستوى التعليم في البلاد ضعيف جداً ، فكانت نسبة الأمية قبل خمس سنوات ٨٥ ٪ . ولم يبدأ النشاط العلمي إلا بعد سنة ١٩٥١ م ، فأنشئت المدارس الابتدائية والثانوية ومعاهد لتخريج المعلمين وبعض مدارس فنية ، وتوجد الآن كلتيان جامعتان ، إحداها قرب أكرا ، وهي تؤهل الطلاب للحصول على الدرجات العلمية والأدبية من جامعة لندن ، والأخرى في كوماسي وهي للتكنولوجيا والعلوم والآداب . غير أن حظ المسلمين من التعليم ضئيل ، وأكثرهم مهتم بالناحية المادية مشغول بالزراعة والتجارة ، والكتاتيب التي تعلم القرآن ومبادئ الدين لا تكفي لتثقيف المسلم ثقيفاً صحيحاً ، فالتائمون على أمرها تنقصهم الكفاية العلمية ، كما أن الموارد المالية ضئيلة .

وكانت مصر بفضل الأزهر أسبق الدول إلى تقديم الخدمات للمسلمين في غانا ، ففي كل عام يفد إليها كثير من الطلاب يتلقون العلم في الأزهر ، في معهد أنشي للطلاب الوافدين من أطراف العالم ، ويلقبون في رحابه كل عناية ورعاية ، وقد عاد كثير من هؤلاء الطلاب إلى بلادهم رسل هداية وثقافة ، وألسنة خير تشيد بمصر والأزهر كعبة العلم ، ومنبع الثقافة الإسلامية ، ومركز الإشعاع الديني والروحي للمسلمين في كافة أنحاء العالم .

* * *

هذا والمسلمون هناك يعيشون في وفاق مع باقي المواطنين ، ويشاركون في كل نشاط ، وكل حركة إصلاحية في البلد ، وهم يسعون جاهدين لتحسين أحوالهم . وقد أنشئوا لهم اتحاداً في أوائل القرن العشرين ، يشرف عليه كبار المسلمين من كل أنحاء البلاد ، الغرض منه رعاية مصالحهم وتحسين وضعهم ، والقضاء على فوارق الجنس واللون والمذهب بينهم ، وقد أفاد هذا الاتحاد في توحيد جميع العناصر الإسلامية ، وإيقاظ قبائل غانا للعمل والنشاط والاشتراك في المؤسسات المختلفة ، وقد تحول أخيراً إلى حزب سياسي ، مع الأحزاب الستة الأخرى ، وخاض المسلمون غمار المعارك الانتخابية . ولهم ممثلون في المجالس البلدية ، وعضو في برلمان غانا .

والواجب أن توجه عناية كبيرة إلى المسلمين في هذه البلاد ، فهم في حاجة ماسة إلى من يصبرهم بواجبهم في وسط هذا العراق ، وإلى من يعطف قلوبهم نحو الشرق ويربطهم بالعرب ، ويقرب بينهم وبين إخوانهم في الأقطار الإسلامية ، وذلك قبل أن توقعهم في شركائها أمريكا ، التي تبذل جهودها لسد الفراغ في هذه المناطق التي تقلص عنها نفوذ الانجليز ، ويكفي أن نعلم أن أمريكا تستورد ٣٩ ٪ من محصول الكاكاو في غانا ، وفي حاجة ماسة إلى المنجنيز والمعادن التي تسكر بها . كما أن مجامعها ١٤٠ طالبا يصنعون هناك صناعة خاصة ، لها أثرها بعد عودتهم إلى بلادهم وتلدهم المناصب الكبيرة .

والغريون عموما حريصون على أن يربطوا هذه البلاد بعجلتهم ، والمبشرون وهم دعاة الاستعمار يخشون تزايد عدد المسلمين لأن باب الهجرة الذي جاهدوا لإغلاقه ما زال مفتوحا ، وسيكون مشروع توليد الكهرباء من نهر الفلنا وما يتبعه من التقدم الصناعي ، مدعاة لجلب عدد كبير من المسلمين المهاجرين فيزداد بذلك نفوذ المسلمين . وهناك عبارات شائعة متوارثة : الإسلام دين السود ، وعند ما يرحل البيض فإن المسلمين هم الذين سيحكمون البلاد . وهم يخشون جميعا ضعف النظام الاجتماعي الذي يؤازره نفوذ الزعماء الوثنيين في المجالس البلدية ، لأن هذا النفوذ أخذ في الضعف ، وبالتالي سينهار النظام الاجتماعي ، وهنا تكون الفرصة سانحة لتدخل الإسلام وبسط نفوذه بين الوثنيين كنظام اجتماعي يتناسب وطبيعة البلاد وعقلية السكان ، وتكون الطامة الكبرى على التبشير والمبشرين وعلى الاستعمار والمستعمرين .

فجدير بالمسلمين شعوبا وحكومات ألا يدعوا هذه الفرصة تفلت من أيديهم ، وأن يكونوا على حذر ويقظة وسط هذه الدوامات والتيارات السياسية التي يثيرها ويوجهها قوم يكيّدون للشرق ، ويتربصون الدوائر بالمسلمين .

فلينزلوا إلى الميدان مسلحين بأسلحة العصر ، وليثبتوا وجودهم كأمة لها كيائها واعتبارها ، ولها مجدها الغابر وطاقتها الحية القوية التي تغالب الزمان ، وتنهض أعظم قوة في الوجود . إن أحسنوا استغلالها واعتصموا بها ، والله سبحانه ناصر عباده المؤمنين ، ولا يهدي كيد الخائنين .

عطية صفر

المدير الصحفي لمكتب شيخ الأزهر

آمال متواضعة

هل تتحقق خلال العام الجديد؟؟

وندع الآمال الكبرى من تحقيق الاستقلال التام والوحدة الكاملة لبلاد العرب ، إلى قيام التعاون والتضامن بين ديار الإسلام . . . ندع هذه الآمال الكبرى فهي محل الإجماع ، وهي مما يتطلب اليقظة الدائمة ، والعمل الدائب الذي لا يقف عند سنة واحدة من السنين ، بل ولا يقف عند جيل بعينه من الأجيال .

ندع هذه الآمال الكبرى التي يلتقي عليها العرب والمسلمون ، وتتناول تخطيط آمال محدودة في نواح جزئية متواضعة ، يمكن أن تتحقق بدايتها وتوضع أسسها في خلال عام ، ثم لا تزال تؤتي أكلها بعد ذلك كل حين بإذن ربها .

ولن نتناول من هذه الآمال القريبة إلا ما يتعلق بالفكر والثقافة ، وهو مجال حيوى له أثره وخطره في السلوك والأخلاق والتقاليد ، وفي العمل والإنتاج والنشاط .

* * *

ونبدأ بآمالنا في أزهرنا العتيق . . .

نريد أن نرى الأزهر مقبلا على الشطر الثقافي من رسالته العلمية ، لا يقصر نشاطه على الشطر التعليمي وحده .

ففي الأزهر مراقبة للبحوث والثقافة ، لا بد أن تكون لها خطتها السنوية في الترجمة والتأليف ، ولا بد أن تكون لها نشراتها ومطبوعاتها وإنتاجها .

هذه كلها أمور مفهومة بداهة من وجود مراقبة للبحوث والثقافة ، والذي أومله اليوم أن يتضمن نشاط هذه المراقبة إنشاء قسم خاص « لنشر المخطوطات وإحياء التراث العربى » وهذا القسم له دور أساسى فى أى تخطيط يتناول ثقافتنا الإسلامية .

والمواد الخام لهذا القسم موجودة كلها : وأولها أن مكتبة الأزهر نفسها عامرة بالمخطوطات التي منها ما تنفرد به ، والتي منها ما لم يحقق وينشر بعد . . فضلا عن المخطوطات الموجودة بدور الكتب الأخرى والجامعات .

والأساتذة الذين يباشرون تحقيق هذه المخطوطات موجودون في الأزهر ، وبعضهم يحقق فعلاً بعض المخطوطات لحساب دور النشر المختلفة ، وبعض خريجي الأزهر الذين يعملون في جهات أخرى لهم مثل هذا النشاط المحمود ، على أنه لا حرج بعد ذلك في أن يتعاون الأزهر - في هذا العمل العلى الضخم - مع المشتغلين بالتأليف والتحقيق أيا كانوا . وأنا طبعاً لا أريد أن توقف الجهود الفردية ، ويكون هذا النشاط العلى مقصوراً على الجهات الرسمية ، فإن هذا يؤدي إلى التعويق والتجميد بل ينبغي ألا نحول بين الأفراد ودور النشر وبين بذل الجهود الممكنة في هذا الميدان ، بل ينبغي أن نشجع مثل هذه الجهود بكل قوة ، وفي الوقت نفسه تتولى تجميع وتنسيق قوائمها كلها ، فيما تقصر عنه جهود الأفراد والمؤسسات الخاصة ، وما يحتاج إلى جهود وأموال الدولة ذاتها . ويكون البدء بأن يتخصص مجلس معين من قبل الأزهر لهذا العمل ، ويتفرع إلى لجان ، بعضها للعقائد ، وبعضها للفقه ، وبعضها للتاريخ ، وبعضها للغة والأدب ، وتتولى هذه اللجان حصر المخطوطات الموجودة وتحديد خطة نشرها .

فهل هذا أمل عزيز على التحقيق ؟ ؟

إنه ممكن جداً ، ولن يحتاج لكثير من المال في أول مراحل المشروع ؛ فإن المجلس بلجانه سيقضى فترة في الحصر والدراسة ، والاختيار والتوزيع .

وفي مراحل التنفيذ العمل يكفى البدء بكتاب واحد في كل فرع من الفروع ، وبالتدرج تزايد القوى المرصودة لتحقيق المشروع .

إن تكوين المجلس الأعلى للفنون والآداب ، وتخصيص وزارة للثقافة والإرشاد ، يذكرنا بواجب الأزهر في هذا السبيل . وعلى رأس الأزهر اليوم شيخ له دراساته وتآليفه ، ووكيل له دراساته وتآليفه ، وجماعة من كبار العلماء الذين اشتغلوا بالتدريس والتأليف ، وأساتذة جمعوا إلى ثقافتهم الأزهرية أرقى الدرجات العلية من الجامعات الغربية . فهلا يقرب هذا كله لتحقيق أملنا المتواضع ؟ ؟

* * *

وثاني الآمال القرية ، التي نعقدها على أزهرنا العتيد ، أن ية قوم - تحقيقاً للجانب الثقافي من رسالته العلية - بإصدار مجلة (أكاديمية) ضخمة ، تصدر كل ثلاثة شهور مثلاً . بجانب المجلة الحالية التي تصدر للقراء عموماً من الجمهور .

إن هيئات الاستشراق الغربية لها مجلاتها ومطبوعاتها . . . والمجمع العلمي في دمشق ، وزميله في بغداد لهما مطبوعاتهما الدورية وغير الدورية ذات الطابع العلمي العميق . وليس في مصر أولى من الأزهر بإصدار مثل هذه المجلة (الأكاديمية) التي تخصص في الدراسات الإسلامية ، والتي تفسح في صفحاتها مجالاً لأساندة التاريخ الإسلامي والفلسفة الإسلامية والأدب العربي في الجامعات ، ولغيرهم من المتخصصين في أمثال هذه الدراسات ، ثم ترسل العلماء الشرقيين والمشرقيين ، لتستكتبهم أبحاثاً في مختلف الموضوعات . ومثل هذه المجلة تكون رابطة بين هؤلاء العلماء والباحثين ، وتكون نوراً تكشف عن أهم المخطوطات والمطبوعات المتناثرة بين مكتبات العالم والتي تتناول جوانب الثقافة الإسلامية المتعددة المتنوعة . فهل هذا مطلب بعيد ؟ ؟

لا أظنه كذلك . . فإن تزويد مجلة كل ثلاثة شهور بالمواد اللازمة ليس مما يعز على الأزهر والأزهريين وغيرهم من العلماء المتخصصين ، وأما تكاليف الورق والطباعة ، فما أزهدها إذا قيس بالنفع المتحقق من وراء هذا الأمل القريب .

* * *

ونحن نؤمل في قسم (نشر التراث القديم) بإدارة الثقافة ، الذي كان تابعاً لوزارة التربية وأظنه ألحق بوزارة الثقافة والإرشاد في تصميمها الجديد - نؤمل في هذا القسم القائم ، أو في زميله بالأزهر إذا أنشئ ، أو في مجلس الفنون والآداب ، أو في الجامعة العربية . . نؤمل في أحد هؤلاء ، أو في هؤلاء معاً متعاونين - أن يخرجوا لنا الموسوعة الآمنة في تاريخنا الإسلامي ، التي ما فتئ المخلصون يلحون في الاهتمام بها والارتكاز عليها ، ونعني (تاريخ الأمم والملوك) لابن جرير الطبري .

هذا الكتاب يحتاج إلى جهود من نوع جديد ، غير الجهود التي بذلت في طبعة ليدن تحت إشراف المستشرق الهولندي دي غويه . . . الجهود المرتقبة لا يفهمها ولا يهضمها غير العرب والمسلمين ، فهم الذين يعرفون مهمة الرواية والإسناد في نقل تراثنا من السلف إلى الخلف ، ويعرفون قيمة التعديل والتجريح ، ويستطيعون أن يلحقوا بتحقيق كتاب الطبري بتعريف بالرجال الذين نقلت خلاصهم الروايات ، ثم يوازنون بين الروايات المختلفة في الكتب التاريخية الأخرى الأصيلة - مثل ابن عبد الحكم في فتح مصر ، أو ابن عذاري في فتح المغرب - في إشارات مجملة ، وهكذا .

هذا الجهد أساس وهام بالنسبة للتاريخ الإسلامى بل بالنسبة للثقافة الإسلامية عموماً... وهو إذا بذل فى كتاب كتارىخ الطبرى فإنما لىكون نموذجا ودليلا ، للسير على هديه فى تحقيق ونشر سائر المخطوطات العربية ... وأمامى تجربة نثر (تاريخ ابن عساكر) الذى تولاه المجمع العلمى فى دمشق ، يمكن أن نستلهم منها الخطة . ومن أهم ما ظهر لنا من دروس فى هذه التجربة ، أن مثل هذه التواريخ الموسوعية الضخمة ينوء بأعباء نشرها عالم واحد مهما كان عليه وفضله . فتاريخ ابن عساكر لم يظهر منه إلا مجلدتان خلال سنوات ، والكتاب كله فى ثمانين مجلدة ... فهل يتسع عمر فرد لظهور هذه المجلدات الضخام ؟؟

إن من الواجب أن تتعاون لجنة من العلماء فى هذا المضمار فهذا أعون على إحكام الخطة وتبادل الرأى وتوزيع العمل ، وإذا كثر العدد استطاع العلماء أن يتجاوزوا التحقيق البحت فيضيفوا إلى ذلك شيئا من التعليق اللازم ، فقد رأيت فى (تاريخ ابن عساكر) أن التعليق - وفقا للخطة التى وضعها مجمع دمشق - تحصره حدود ضيقة ، فى حين أن بعض الكتب - خاصة الكتب الأمهات - تحتاج إلى التوسع فى التعليقات ، فإن طالت التعليقات ألحقت بالكتاب فى صورة ذبول وملاحق .

إن هذه الجواهر النفائس من تاريخنا ، بيننا وبينها زمان طويل ، ولكى نفهمها حق الفهم لابد من أن يراعى فى نشرها أن تسلط عليها الأضواء ، وأن تدرج فى صجة طائفة من الدراسات والشروح والتوضيحات تعين على فهم المقصود .

وإن لمصر دورها التاريخى بالنسبة لتاريخ الإسلام... وينبغى أن تصون مصر الحاضرة بالعلم ، ما حققته مصر الماضية بالعرق والدم . فدور مصر فى صد الصليبيين والتتار دور حاسم ، ولكن معظم المؤلفات التى تدور حول هذا الدور من أقلام الأوربيين . ونحن نحتاج إلى تحقيق ونشر ما لدينا من تراث تلك الحقبة ، ونحتاج كذلك إلى إصدار الدراسات العميقة الجادة من المتخصصين فى هذه الموضوعات .

بقى فى الصدر أمل آخر ، نشهد تحقيقه فى انعام الجديد ...

إن القرآن والسنة ، والمغازى والفتوح ، تحتاج إلى عرض جغرافى يقدم البيئة التى أشارت بها النصوص ، ويوضح طبيعتها ويكشف عن سكانها . والدراسات الغربية حافلة بالكتابات المستفيضة عن جغرافية الكتاب المقدس وبخاصة

التوراة وهذه الدراسات تقدم شرحاً لجغرافية فلسطين الطبيعية، ولجغرافيتها التاريخية والجنسية والاجتماعية، حتى يطالع القارئ الكتاب المقدس وهو مغمور بالنور. فلا يكاد يمر بذكر مكان من الأرض أو قوم من البشر حتى يعرف ما يستبين به ما ذكر في كتابه المقدس. فعل الغريون هذا وهم في بيئة غير البيئة التي نزل فيها الكتاب، وهم يعيشون في حضارة مادية ما أبعدھا في الكثير عن روح الدين. ولعل مما أثر في هذا المضمار العروق اليهودية في العقل الأوروبي والأمريكي، فانھا دفعت إلى الاهتمام بهذا التراث (السامى) بين الآريين، وهذا الأصل (الدينى) بين الماديين !!

ونحن في الشرق العربى نعيش في بيئة النبي والصحابة، وفي أيدينا الكثير من مواقع الأرض وسلالة القوم الذين كانوا أعلام التاريخ، فأين جهودنا العلية الأصلية في شرح ماجاء في آيات القرآن عن البيئة العربية، وعن رحلة الشتاء والصيف، وعن رحلة ذى القرنين، وقصة أهل الكهف، وعن رحلة الرسول في هجرته ومواقع مغازيه، وعن قبائل العرب وهجراتها ومسالكها وعلاقاتها في أرجاء العالم العربى منذ زمن الفتوح بل منذ ما قبل الفتوح.

إن بين يدي القارئ العربى نموذجاً لمثل هذه الدراسة عن (شمال الحجاز) قد كتبه المستشرق موسل وترجمه الدكتور عبد المحسن الحسينى (اسكندرية ١٩٥٢ م)، والمؤلف وإن كان تناول مراجعه بصفة عامة بما فيها المراجع الإسلامية إلا أن اهتمامه بالتوراة أظهر وأبرز ومعلوماته عنها أدق وأوضح، وقد طالمت مع المطالعين كتاب الأستاذ مظفر الندوى عن (التاريخ الجغرافى للقرآن) الذى ترجمه الدكتور عبد الشافى غنيم ضمن مطبوعات (الألف كتاب) والذى أثير حوله ما أثير، والكتاب عموماً لا يعد إلا بداية يسيرة. ولن يستطيع التعريف (بالجغرافيا الإسلامية) على وجهها إلا من يهضم العربية، ويحسن الرجوع إلى شعر العرب فيما تحدثوا به عن الديار والأطلال جاهلية وإسلاماً. أنا أعلم أن الدكتور عبد العزيز كامل مدرس الجغرافيا بمعهد الدراسات الإفريقية بجامعة القاهرة، لديه مشروع كتاب أعد مسوداته في هذا الموضوع، وأعرف عن الدكتور دأبه العلى ومثابرته على التحقيق، ولعله بكتابته يشجع غيره على ارتياد هذا السبيل.

هذه آمالى... لم أسرف فيها ولم أغتر، فاللهم حقق الآمال

فتحي عثمان

حق الجوار

فى تقدير الشريعة الإسلامية

لقد وضع الإسلام نظاماً للاجتماع يجعل من الأمة الإسلامية جمعاء أسرة واحدة مترابطة الآحاد ، ترابطاً لا تنفصم له عروة ، ولا تنحل له لحمة . فشرع شرعة التعاون فى الحياة لتندليل عقباتها ، وقطع مفازاتها ، وجعل ذلك أساساً لمدينته الفاضلة فقال تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » . ثم لم يدع فضيلة من الفضائل التى تحقق معنى هذا التعاون إلا دعا إليها وحث عليها ، ولا مشاحة فى أن مراعاة حقوق الجوار من أمهات تلك الفضائل ، بل لو تحققت هى وحدها لجعلت الأمة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، لا يحدد التداعى سبيلاً إليه بحال من الأحوال - لذلك جاء فى وجوب مراعاة هذه الحقوق من الأوامر ما يتفق وعظم خطره . فأول حجر وضعه النبي صلى الله عليه وسلم فى بناء صرح حقوق الجوار قوله بين رهط من صحابته فى مسجد يثرب « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن . قال قائل منهم : من هو يا رسول الله ؟ قال الذى لا يأمن جاره بوائقه » رواه مسلم فى صحيحه . والمراد أنه لا يتم له إيمان ولا تنمو له عقيدة حتى يتحقق هذا الشرط ، وهو الحفاظ على مبدأ الجوار ومميزاته وشروطه ، فإن الإيمان غاية كل متدين وعليه يتوقف استحقاقه للكرامة فى الدنيا والآخرة . فإذا كان اكتمال هذا الإيمان يتوقف على أن يأمن جار المؤمن أذاه ، فإنه لا شك منصرف بكليته للقيام بهذا الشرط ضداً بنفسه وطلباً لنجاتها .

والجيران ثلاثة : جار له حق واحد ، وجار له حقان ، وجار له ثلاثة حقوق . فالجار الذى له ثلاثة حقوق : الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم . والذى له حقان : الجار المسلم له حق الجوار وحق الإسلام . والذى له حق واحد : الجار المشرك . . حقاً إن هذا سمو فى الآداب الاجتماعية ليس وراءه مذهب ، فإن ثبوت حقوق الجوار حتى للمشركين لم يقل بها قبل الإسلام مصلح فى الأرض . وفيهم من هذا أن الإسلام

إنما يراعى في الآداب الاجتماعية ما يشمل الإنسانية كلها ، وهذا غاية ما يرمى إليه أعلى نمط من أنماط الإنسانية الفاضلة . فالإنسان لا يخلو وهو يعيش في الحواضر أو البوادي أن يكون له جيران من ذوى نحل مختلفة يبادلهم التعامل ، فهل أبيضحت للسلم معاملتهم أو حرمت عليه معاملتهم ؟ كلا كلا ، بل أوجب عليهم الإسلام أن يسوى بينهم وبين إخوانه المسلمين فيها ، وقد حث النبي على مبادلة أهل الكتاب الزيارة وحضور أعراسهم ومآتمهم ومواكبتهم حتى الإصهار إليهم . وقد وجد أصحاب الأديان الأخرى من مجاورة المسلمين ما تلقاه القلة من العطف وحسن المعاملة في وسط كثرة قائمة على أحكم أصول المدنية ، وأقدم سبل الإنسانية .

قال مجاهد : كنت ذات يوم عند عبد الله بن عمر وله غلام يسلم شاة فقال : يا غلام ، إذا سلخت فأبدأ بجارنا اليهودى ، حتى قال ذلك مراراً . فقال الغلام : كم تقول هذا ؟ فقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أن يورثه . فانظر كيف اعتبر ابن عمر اليهودى جاراً ولم يفرق بينه وبين إخوانه في الدين ، بل انظر كيف أمر خادمه أن يبدأ به قبلهم . لا شك في أنه فعل ذلك حتى لا يسبق إلى ذهن خادمه أن ليس له شيء من حقوق الجوار ليهوديته ، فأمره أن يبدأ به ثم ذكر للخادم ما ورد عن النبي من التشديد في وجوب مراعاة هذه الآداب الاجتماعية .

وفي السنن عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أتدرون ما حق الجار ؟ إن استعان بك أعنته ، وإن استنصرك نصرته ، وإن استقرضك أقرضته ، وإن افتقر عدت إليه ، وإن مرض عدته ، وإن مات تبعت جنازته ، وإن أصابه خير هنأته ، وإن أصابته مصيبة عزيته ، ولا تستظل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه ، ولا تؤذنه ، وإذا اشتريت فاكهة فاهد له ، فإن لم تفعل فأدخلها سراً ، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ، ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تعرف له منها ، ثم قال أتدرون ما حق الجار ؟ والذي نفسى بيده لا يبلغ حق الجار إلا من رحمه الله » .

إن هذا الأثر جامع في حقوق الجوار لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، فلعل من الناس من يخيل إليه قياساً على حالة أهل المدنية اليوم أن هذه الحقوق لا تتفق والحياة الاجتماعية الراهنة ، وهو وهم باطل ، فإن هذه الحقوق طبيعية يؤدى إليها العقل لو ترك وشأنه ، وتقضى بها الإنسانية لو تجردت من شبح الحيوانية وأثرة البهيمية .

وكما بين الإسلام ما يجب للجار من الإحسان والعطف على جاره على أتم وجه كما رأيت ،
 حرم إيذاء الجيران أشد تحريم وأبلغه ، حتى جعل هذا الإيذاء مبطلا للأعمال الصالحة .
 فقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذى جيرانها
 فقال عليه السلام : هي في النار . ومن أبلغ ما يؤثر من الزجر عن إيذاء الجار قول النبي
 صلى الله عليه وسلم « إن أنت رميت كلب جارك فقد آذيته » ، فأخذ المسلمون بهذا الأدب
 وجروا على سنته ، فكانوا يتخرجون حتى من مقابلة أذى جيرانهم بمثله .

روى أن رجلا جاء إلى ابن مسعود رضي الله عنه فقال له : إن لي جارا يؤذيني ويشتني
 ويضيق علي . فقال له : اذهب فإن هو عصى الله فيك فأطع الله فيه . ولم يشر عليه بالانتصاف
 لنفسه ، فإن التغاى عن أذى الجار ربما أداه للنادم والاعتذار مصداقا لقوله تعالى :
 « ادفع بالتي هي أحسن ؛ فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » . ولكن لو قابل
 جاره بالمثل كان ذلك صدعا في بناء المجتمع لا يلبث أن يتوسع بانضمام بعض الجيران إلى
 أحدهما والبعض الآخر إلى الثاني ، فخبها هذه المادة هذا التصدع رأى ابن مسعود أن يحصر الشر
 في أصغر دائرة فينصح المجنى عليه بالصبر ، وقد اقتدى المسلمون فيه بالنبي صلى الله عليه وسلم
 فقد روى أنه جاءه رجل يشكو جاره فقال له النبي : اصبر ، فجاءه ثانية وثالثة فكان يأمره
 بالصبر ، فلما جاءه الرابعة قال له : أخرج متاعك في الطريق . ففعل الرجل ما أمره به ،
 فجعل الناس يرمون به ويسألونه عما نابه ، فيقال لهم : له جار يؤذيه ، فكانوا يقولون :
 لعنة الله ! فأثر ذلك في قلب جاره المشاكس فأتى صاحبه وقال له : رد متاعك فوالله لا أعود !

وفي تاريخ المسلمين أغرب الحوادث وأدعها للاعتبار في مراعاة حقوق الجوار ، فقد
 روى أنه بلغ ابن المقفع أن جاراً له يبيع داره في دين ركه ، وكان يجلس هو في ظل داره
 فقال : ما قت إذن بحرمة ظل داره إن باعها معدا ، ودفع إليه ابن المقفع ثمن الدار
 قائلاً له : لا تبعها .

روى العلامة السيد عبد المغنى الضرير الأندلسي المشهور صاحب كتاب « زهر الآداب »
 هذه القصة الطريفة فقال « كان للإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان جار ملاصق وكان الإمام يقوم
 هزيعاً من الليل للتهجد والإستسار فيسمع جاره يقول :

أضاعوني وأى قتي أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

استمر هذا الرجل ينشد هذا البيت من الشعر ويسمعه الإمام بضع ليال ثم اختفى هذا الصوت فجأة ، فلما أصبح الصباح سأل الإمام عن هذا الرجل الذى كان ينشد هذا البيت ، فقليل له إن هذا الرجل كان مديناً لأحد الناس فشكاه الدائن للوالى ، فأمر الوالى بحبسه حتى يقضى دينه ، وما أسرع أن امتطى الإمام بغلته ثم ذهب إلى الوالى فبعد أن حياه الوالى وأكرم مشواه سأل الإمام ما حاجتك ؟ فقال أبو خيفة لنا جار ملاصق كنت أسمعه ينشد هذا البيت :

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كرهية وسداد ثغر
واليوم أفتقده فلا أجده ، فقليل لى إنكم حبستموه لدين عليه ، فضحك الوالى حتى بدت
نواجذه فقال : يا مولاي الإمام سأرسل إلى دائته ليسأحه فى دينه ، وكان عشرين ديناراً ،
فلم يقبل الإمام هذا العرض فدفع من خالص ماله دين الدائن ، وما أسرع أن أحضر إليه
المدين من السجن وأخذه معه ، ثم أردفه على بغلته وهو يردد « والله يا فتى ما أضعنك ،
ولن نضيعك إن شاء الله » .

هذا بعض ما يقال فى حقوق الجوار فى الإسلام وحرمة ، فلعل القارىء يلقى عليه
نظرة فاحصة ثم يقارن بين ذلك العهد الداير وعهده الحاضر ليتبين الفرق الشاسع بين عهدين
عهد كانت أواصر الجوار فيه قائمة ، وعهد انزوت فيه حرمة الجار ، بل برزت فيه مساوئه
ومعابه ، ولعل سواد المعاصرين فى عهدنا الحاضر يساكن منهم أسراً أخرى فى مبنى
واحد ، فلا يحدث بينهم تعارف ولا تواجد ، وتنقطع علائق الجوار انقطاعاً لا هوادة فيه ،
وذلك مجاف لروح الشريعة الغراء ، ومناف لأبسط قواعد الحنيفية البيضاء :

إن دام هذا ولم تحدث له غير لم يبك ميت ولم يفرح بمولود
عباس طه المحامى

« مسئولية الإنسان »

جاوز بطرفك عالم الإنسان ، ثم ارجع البصر كرتين مصعداً منحدراً ، فيما شئت من
العوالم التى تشاهدها فى السماء والأرض ، وانظر هل ترى من بينها مسئولاً واحداً عن حاله
فضلاً عن حال غيره ؟ أما الإنسان ذو العقل والإرادة والاختيار ، فهو الذى رشحته
فطرته لهذه الأعباء فأصبح ذا مسئولية ، وموضع أمانة .

الدكتور محمد عبد الله دراز

أبو هريرة

حافظ الصحابة ، وأكثرهم رواية عن رسول الله

في صباح يوم السبت الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة سنة ١٣٧٧ هـ انتقل إلى رحمة الله العلامة الكبير الشيخ أحمد شاكر أعلم علماء السنة المحمدية بمصر في هذا العصر ، وأوسعهم إحاطة بأطرافها ، وتحقيقاً لمآثرها ، ووقفاً على دخائل رجالها وتراجم رواياتها ، حتى كأنه كان يعيش معهم . وقد رأينا أن ننشر من عليه الغزير هذا الفصل عن حافظ الصحابة أبي هريرة رضي الله عنه ، لمناسبة ما وقع أخيراً من التشويه الذميم لمجهود هذا الصحابي الجليل ، والتشكيك في مروياته . قال رحمه الله يتحدث عن أعداء السنة بجديته العذب بعد أن صار في العالم الآخر :

لهج أعداء السنة ، أعداء الإسلام ، في نصرتنا ، ويشغفوا بالطعن في أبي هريرة وتشكيك الناس في صدقه وفي روايته . وما إلى ذلك ، أرادوا ، وإنما أرادوا أن يصلوا - زعموا - إلى تشكيك الناس في الإسلام ، تبعاً لاسادتهم المبشرين ، وإن تظاهروا بالقصد إلى الاختصار على الأخذ بالقرآن ، أو الأخذ بما صح من الحديث في رأيهم . وما صح من الحديث في رأيهم إلا ما وافق أهواءهم ، وما يتبعون من شعائر أوربة وشرائعها . ولن يتورع أحدهم عن تأويل القرآن ، إلى ما يخرج الكلام عن معنى اللفظ في اللغة التي نزل بها القرآن ، ليوافق تأويلهم هوائهم وما إليه يقصدون !

وما كانوا بأول من حارب الإسلام في هذا الباب ، ولهم في ذلك سلف من أهل الأهواء قديماً . والإسلام يسير في طريقه قدماً ، وهم يصيحون ما شاءوا ، لا يكاد الإسلام يسمعه ، بل هو إما يتخطاهم لا يشعر بهم ، وإما يدمرهم تدميراً ،

ومن عجب أن تجد ما يتول هؤلاء المعاصرون ، يكاد يرجع في أصوله ومعناه إلى ما قاله أولئك الأقدمون ! بفرق واحد فقط : أن أولئك الأقدمين - زائعين كانوا أم ملحدين - كانوا علماء مطلعين ، أكثرهم من أضله الله على علم .

أما هؤلاء المعاصرون ، فليس إلا الجهل والجرأة ، وامتضاغ ألفاظ لا يحسنونها ، يقلدون في الكفر ، ثم يتعالون على كل من حاول وضعهم على الطريق القويم !

ولقد رأيت الحاكم أبا عبد الله - المتوفى سنة ٤٠٥ هـ - حكى في كتابه المستدرك (٥١٣:٣) كلام شيخ شيوخه إمام الأئمة أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة - المتوفى سنة ٣١١ هـ - في الرد على من تكلم في أبي هريرة فكأنما هو يرد على أهل عصرنا هؤلاء . وهذا نص كلامه :
« وإنما يتكلم في أبي هريرة - لدفع أخباره - من قد أعمى الله قلوبهم ، فلا يفهمون معاني الأخبار :

إما معطل جهمي ، يسمع أخباره التي يرونها خلاف مذهبهم - الذي هو كفر - فيشتمون أبا هريرة ، ويرمونه بما الله تعالى قد نزهه عنه ، تمويهاً على الرعاء والسفل ، أن أخباره لا تثبت بها الحجة !

وإما خارجي ، يرى السيف على أمة محمد ولا يرى طاعة خليفة ولا إمام ، إذا سمع أخبار أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم خلاف مذهبهم الذي هو ضلال لم يجد حيلة في دفع أخباره بحجة وبرهان ، كان مفزعه الواقعة في أبي هريرة !

أو قدرى اعتزل الإسلام وأهله ، وكفر أهل الإسلام الذين يتبعون الأقدار الماضية التي قدرها الله تعالى وقضاها قبل كسب العباد لها ، إذا نظر إلى أخبار أبي هريرة التي قد رواها عن النبي صلى الله عليه وسلم في إثبات القدر ، لم يجد حجة تزيد صحة مقالته التي هي كفر وشرك كانت حجته عند نفسه أن أخبار أبي هريرة لا يجوز الاحتجاج بها !

أو جاهل يتعاطى الفقه ويطلبه من غير مظانه ، إذا سمع أخبار أبي هريرة فيما يخالف مذهب من اجتبي مذهبه واختاره ، تمليدا بلا حجة ولا برهان ، تكلم في أبي هريرة ، ودفع أخباره التي تخالف مذهبه ، ويحتج بأخباره على مخالفه ، إذ كانت أخباره موافقة لمذهبه !
وقد أنكر بعض هذه الفرق على أبي هريرة أخبارا لم يفهموا معناها ، أنا ذا كر بعضها بمشيئة الله عز وجل ... الخ »

وقال الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله تعليقا على حديث الذباب :

وهذا الحديث مما لعب به بعض معاصرينا ، ممن علم وأخطأ ، ومن علم وعمد إلى عداء السنة ، ومن جهل وتجراً :

فمنهم من حمل على أبي هريرة ، وطعن في رواياته وحفظه ، بل منهم من جرؤ على الطعن في صدقه فيما يروى ! حتى غلا بعضهم فزعم أن في الصحيحين أحاديث غير صحيحة ، إن لم يزعم أنها لا أصل لها ! بما رأوا من شبهات في تمتد بعض الأئمة لأسانيد قليلة فيهما ، فلم يفهموا أغراض أولئك المتقدمين الذين أرادوا بتقديم أن بعض أسانيدهما خارجة عن الدرجة العليا من الصحة التي التزمها الشيخان ، لم يريدوا أنها أحاديث ضعيفة قط ،

ومن الغريب أن هذا الحديث بعينه - حديث الذباب - لم يكن مما استدركه أحد من أئمة الحديث على البخاري . بل هو عندهم جميعاً مما جاء على شرطه في أعلى درجات الصحة .

ومن الغريب أيضاً أن هؤلاء الذين حملوا على أبي هريرة - على علم كثير منهم بالسنة ، وسعة اطلاعهم رحمهم الله - غفلوا أو تغافلوا عن أن أبا هريرة رضي الله عنه لم ينفرد بروايته ، بل رواه أبو سعيد الخدري أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم عند أحمد في المسند (١١٢٠٧ ، ١١٦٦٦) ، والنسائي (٢ : ١٩٣) ، وابن ماجه (٢ : ١٨٥) ، والبيهقي (١ : ٢٥٣) بأسانيد صحاح . ورواه أنس بن مالك أيضاً ، كما ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥ : ٣٨) وقال : « رواه البزار ورجاله رجال الصحيح ، ورواه الطبراني في الأوسط » . ورواه الحافظ في الفتح (١٠ : ٢١٣) وقال : « أخرجه البزار ورجاله ثقات » .

فأبو هريرة لم ينفرد برواية هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن انفراد بالحمل عليه منهم ، بما غفلوا أنه رواه اثنان غيره من الصحابة .

والحق أنه لم يعجبهم هذا الحديث لما وقر في نفوسهم من أنه ينافي المكتشفات الحديثة من المكروبات ونحوها . وعصمهم إيمانهم عن أن يجرؤوا على المقام الاسمي فاستضعفوا بأبهريرة .

والحق أيضاً أنهم آمنوا بهذه المكتشفات الحديثة أكثر من إيمانهم بالغيب ، ولكنهم لا يصرحون ! ثم اختطوا لأنفسهم خطة عجيبية : أن يقدموها على كل شيء ، وأن يؤولوا

القرآن بما يخرججه عن معنى الكلام العربى ، إذا خالف ما يسمونه « الحقائق العلية » ! وأن يردوا من السنة الصحيحة ، ما يظنون أنه يخالف حقائقهم هذه ! افتراء على الله ، وحباً فى التجديد !

بل إن منهم لمن يؤمن ببعض خرافات الأوربيين وينكر حقائق الإسلام أو يتأولها . ففهم من يؤمن بخرافات استحضر الأرواح ، وينكر وجود الملائكة والجن بالتأول العصرى الحديث . ومنهم من يؤمن بأساطير القدماء ، وما ينسب إلى القديسين والقديسات ، ثم ينكر معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها ، ويتأول ما ورد فى الكتاب والسنة من معجزات الأنبياء السابقين ، يخرجونها عن معنى الإعجاز كله ، وهكذا وهكذا . . .

وفى عصرنا هذا صديق لنا . . . كنا نعجب بقلبه وعلمه وإطلاعه ، ثم بدت منه هنات وهنات على صفحات الجرائد والمجلات ، فى الطعن على السنة ، والإزاء برواتها ، من الصحابة فمن بعدهم . يستمسك بكلمات للتقدمين فى أسانيد معينة ، يجعلها - كما يصنع المستشرقون - قواعد عامة ، يوسع من مداها ، ويخرج بها عن حدها الذى أرادها قائلوها . وكانت بيننا فى ذلك مساجلات شفوية ، ومكاتبات خاصة ، حرصاً منى على دينه وعلى عقيدته .

ثم كتب فى إحدى المجلات كلمة على طريقته التى ازداد فيها إمعاناً وغلوأ ، فكتبت له كتاباً طويلاً فى شهر جمادى الأولى سنة ١٣٧٠ ، كان مما قلت له فيه ، من غير أن أسميه هنا أو أسمى المجلة التى كتب فيها ، قلت له :

« . . . وقد قرأت لك كلمة فى مجلة . . . لم تدع فيها ما وقر فى قلبك من الطعن فى روايات الحديث الصحيحة . ولست أزعم أنى أستطيع إقناعك ، أو أرضى إحراجك بالإقلاع عما أنت فيه .

وليتك درست علوم الحديث وطرق روايته دراسة وافية ، غير متأثر بسخافات فلان رحمه الله وأمثاله ممن قلدتم ومن قلدوه ، فأنت تبحث وتنقب على ضوء شئ استقر فى قلبك من قبل ، لا باحثاً حراً خالياً من الهوى .

وثق أنى لك ناصح مخلص أمين . لا يهمنى ولا يغضبني أن تقول فى السنة ما تشاء . فقد قرأت من مثل كلامك أضعاف ما قرأت . ولكنك تضرب الكلام بعضه ببعض .

وثق أن المستشرقين فعلوا مثل ذلك في السنة ، فقلت مثل قولهم ، وأعجبك رأيهم ، إذ صادف منك هوى . ولكنك نسيت أنهم فعلوا مثل ذلك وأكثر منه في القرآن نفسه . فما ضار القرآن ولا السنة شيء مما فعلوا .

وقبلهم قام المعتزلة وكثير من أهل الرأي والأهواء ، ففعلوا بعض هذا أو كله ، فما زادت السنة إلا ثبوتاً كشوت الجبال ، وأتعب هؤلاء رؤوسهم وحدها وأوهوها !

بل لم نرفيمن تقدمنا من أهل العلم من اجترأ على ادعاء أن في الصحيحين أحاديث موضوعة ، فضلاً عن الإيهام والتشنيع الذي يطويه كلامك ، فيوهم الأغرار أن أكثر ما في السنة موضوع ! هذا كلام المستشرقين ...

غاية ما تكلم فيه العلماء أحاديث فيهما بأعيانها ، لا بادعاء وضعها والعياذ بالله ، ولا بادعاء ضعفها . إنما تقدوا عليهما أحاديث ظنوا أنها لا تبلغ في الصحة الذروة العليا التي التزمها كل منهما . وهذا مما أخطأ فيه كثير من الناس ، ومنهم أستاذنا السيد رشيد رضا رحمه الله ، على علمه بالسنة وفقهه ، ولم يستطع قط أن يقيم حجة على ما يرى . وأفلتت منه كلمات يسمو على علمه أن يقع فيها . ولكنه كان متأثراً أشد الأثر بفلان وفلان وهما لا يعرفان في الحديث شيئاً . بل كان هو - بعد ذلك - أعلم منهما وأعلى قدماً وأثبت رأياً ، لولا الأثر الباقي في دخيلة نفسه ، والله يغفر لنا وله .

وما أفضت لك في هذا إلا خشية عليك من حساب الله . أما الناس في هذا العصر فلا حساب لهم ، ولا يقدمون في ذلك ولا يؤخرون . فإن التربية الإفرنجية الملعونة جعلتهم لا يرضون القرآن إلا على مضض ، ففهم من يصرح ، ومنهم من يتأول القرآن أو السنة ، ليرضى عقله المتلوى ، لا ليحفظهما من طعن الطاعنين . فهم على الحقيقة لا يؤمنون . ويخشون أن يصرحوا فيلتون ، وهكذا حتى يأتي الله بأمره ... فاحذر لنفسك من حساب الله يوم القيامة ، وقد نصحتك وما ألوت . والحمد لله .

وأما الجاهلون الأجرياء فهم كثر في هذا العصر . ومن أعجب ما رأيت من سخافاتهم وجرأتهم أن يكتب طبيب في إحدى المجلات الطبية فلا يرى إلا أن هذا الحديث لم يعجبه ، وأنه ينافي علمه ، وأنه رواه مؤلف اسمه البخاري ، فلا يجد مجالا إلا الطعن في هذا البخاري ،

ورميه بالاقتراء والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو لا يعرف عن البخاري هذا شيئاً ، بل لا أظنه يعرف اسمه ولا عصره ولا كتابه إلا أنه روى شيئاً يراه هو - بعلمه الواسع - غير صحيح ! فافتري عليه ماشاء ، مما سيحاسب عليه بين يدي الله حساباً عسيراً .

ولم يكن هؤلاء المعترضون المحترثون أول من تكلم في هذا ، بل سبقهم من أمثالهم الأقدمون ، ولكن أولئك كانوا أكثر أدباً من هؤلاء . فقد قال الخطابي في معالم السنن (رقم ٣٦٩٥ من تهذيب السنن) : « وقد تكلم في هذا الحديث بعض من لا خلاق له وقال : كيف يكون هذا ؟ وكيف يجتمع الداء والشفاء في جناحي الذبابة ؟ وكيف تعلم ذلك من نفسها حتى تقدم جناح الداء وتؤخر جناح الشفاء وما أربها في ذلك ؟ قلت - القائل الخطابي - : وهذا سؤال جاهل أو متجاهل ، وإن الذي يجد نفسه ونفوس عامة الحيوان قد جمع فيها بين الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ، وهي أشياء متضادة إذا تلاقت تفسدت ، ثم يرى أن الله سبحانه قد ألف بينها وقهرها على الاجتماع ، وجعل منها قوى الحيوان التي بها بقاؤها وصلاحتها ، لجدير أن لا ينكر اجتماع الداء والشفاء في جزءين من حيوان واحد ، وأن الذي ألهم النحلة أن تتخذ البيت العجيب الصنعة وأن تعسل فيه ، وألهم الذرة (أى النملة) أن تكتسب قوتها وتدخره لأوان حاجتها إليه ، هو الذي خلق الذبابة وجعل لها الهداية إلى أن تقدم جناحاً وتؤخر جناحاً ، لما أراد الله من الابتلاء الذي هو مدرجة التعبد ، والامتحان الذي هو مضمار التكليف وفي كل شيء عبرة وحكمة ، وما يذكر إلا أولو الأبالب » .

وأما المعنى الطبي ، فقال ابن القيم - في شأن الطب القديم - في زاد المعاد (٣ : ٢١٠ - ٢١١) « واعلم أن في الذباب قوة سمية ، يدل عليها الورم والحكة العارضة من لسعه ، وهي بمنزلة السلاح ، فإذا سقط فيما يؤذيه انتماه بسلاحه . فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقابل تلك السمية بما أودعه الله في جناحه الآخر من الشفاء فيغمس كله فيقابل المسادة السمية بالمسادة النافعة فيزول ضررها . وهذا طب لا يهتدى إليه كبار الأطباء وأئمتهم ، بل هو خارج من مشكاة النبوة . ومع هذا فالطبيب العالم العارف الموفق يخضع لهذا العلاج ويترلمن جاء به بأنه أكمل الخلق على الإطلاق ، وأنه مؤيد بوحى إلهي خارج عن القوى البشرية » .

قال الشيخ أحمد شاكر : وأقول - في شأن الطب الحديث - إن الناس كانوا ولا يزالون تقدر أنفسهم الذباب وتنفر مما وقع فيه من طعام أو شراب . ولا يكادون يرضون قربانه . وفي هذا من الإسراف - إذا غلا الناس فيه - شيء كثير . ولا يزال الذباب يلح على الناس في طعامهم وشرابهم ، وفي نومهم ويقظتهم ، وفي شأنهم كله . وقد كشف الأطباء والباحثون عن المكروبات الضارة والنافعة ، وغلوا غلواً شديداً في بيان ما يحمل الذباب من مكروبات ضارة ، حتى لقد كادوا يفسدون على الناس حياتهم لو أطاعوهم طاعة حرفية تامة . وإنا لنرى بالعيان أن أكثر الناس تأكل مما سقط عليه الذباب وتشرب ، فلا يصيبهم شيء إلا في القليل النادر .

ومن كابر في هذا فإنما يخدع الناس ويخدع نفسه . وإنا لنرى أيضاً أن ضرر الذباب شديد حين يقع الوباء العام ، لا يمارى في ذلك أحد . فهناك إذن حالان ظاهرتان بينهما فروق كبيرة : أما حال الوباء فما لاشك فيه أن الاحتياط فيها يدعو إلى التحرز من الذباب وأضرابه مما ينقل المسكروب أشد التحرز . وأما إذا عدم الوباء ، وكانت الحياة تجري على سنتها فلا معنى لهذا التحرز . والمشاهدة تنفي ما غلا فيه الغلاة من إفساد كل طعام أو شراب وقع عليه الذباب . ومن كابر في هذا فإنما يجادل بالقول لا بالعمل ، ويطيع داعي الترف والتأني ، وما أظنه يطبق ما يدعو إليه تطبيقاً دقيقاً ، وكثير منهم يقولون ما لا يفعلون .

أحمد محمد شاكر

أمريكا في لبنان

قالت مجله (نيوستيتمان) الانجليزية : يستطيع أيزنهاور أن يزعم أن لديه من الحجج القانونية ما يبرر استجابته لنداء شعبون ، ولكن هذا ليس في الواقع إلا نفاق لا يخفى أن جريمة قد ارتكبت . ولهذا فإنه يتعذر على الإنسان أن يعرف سبباً حقيقية يبرر تدخل أمريكا في لبنان وخاصة بعد أن طلبت أمريكا من الأمم المتحدة أن تحقق في الأزمة اللبنانية ، وبعد أن أكدت الأمم المتحدة أن هذه الأزمة داخلية بحتة ، وبعد أن ترك تقرير الأمم المتحدة أثراً طيباً في بيروت ، إذ كان الثوار قد بدءوا ييخثون مع رجال الحكومة عن حل وسط لإنهاء هذه الأزمة ، ولكن أيزنهاور لم يعبأ بذلك لأن الذعر استولى عليه بمجرد أن علم بثورة بغداد ، فترك تقرير الأمم المتحدة ، ولم يكثرث لرأي همرشلد في المسألة ، وضرب ضربته التي جددت أزمة لبنان بعد أن كانت في نزاعها الأخير .

لغويات

ساهم في عمل البر

كثرت هذه الصيغة صيغة المساهمة وما تصرف منها في معنى المشاركة ، وقد أنكرها الناس أن تكون موافقة لما جاء في اللغة ، وجعلوا لها صيغة الإسهام ؛ فيقولون : أسهم فلان في هذا الأمر . وأسهم في الأصل : أعطى سهما أى نصيبا ، تقول : أسهمت لمحمد من مالى ، وفي الأم للشافعى - رضى الله عنه ٧ / ٣١١ : وقال الأوزاعى : أسهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للنساء بخيبر ، والمراد : أعطاهن من السهمان . ومن اشترك في عمل يحتاج إلى مال فقد بذل سهما من ماله في قيام العمل ، ثم توسع فيه فأريد المشاركة في الأمر وإن لم يكن هناك بذل مال . وإذا قال القائل : أسهم في شركة الحديد والصلب المصرية فالمراد أنه دفع من ماله نصيبا أو أكثر لقيام الشركة ، وإن كان المعروف أن يقال : أخذ سهما ، إذ يراد بالسهم الصك والوثيقة بما دفع من مال .

وقد رأيت في عبارة الشافعى - رضى الله عنه - أسهم له بالتعدية باللام . وترى في المقامة الخمسين (البصرية) من مقامات الجربرى في الحديث عن أبى زيد اللروجى : حينئذ انكفأى إلى بيته ، وأسهمنى في قرصه وزيته ، أى أعطانى جزءا أو نصيبا في ذلك ، وظاهر أن هذه التعدية جاءت من قبل تضمين الإسهام معنى الإعطاء أو الإشارك .

وإنكار القوم المساهمة وإيثار الإسهام لأن المساهمة : المقارعة ، أى الأخذ في عمل القرعة عند التنازع على حق من الحقوق ، وأصل ذلك أنهم يقتربون بالسهم أى العيدان المبرية والنصال التى لم تهبأ لأن تكون سلاحا . ويقولون : ساهمته فهمته أى قارعته فكانت القرعة لى وغلبته ، وساهمه فلم يظنر فى المساهمة ، ومنه ما جاء فى الكتاب العزيز فى سورة الصافات فى الحديث عن يونس عليه الصلاة والسلام : « فساهم فكان من المدحضين » وكان ذلك لما ركب - عليه الصلاة والسلام - السفينة فركدت وتحبست ، وقد قيل : إن من عادة

القوم حين ذاك إذا حدث مثل هذا أن يتساهم من في السفينة بإلقاء سهامهم في الماء فمن طفا سهمه ألقى في الماء ومن رسب سهمه نجى ، وكان حظ سهم يونس أن طفا .

على أن المقارعة قد يعقبها المشاركة ، أو هي بسبيل من المشاركة والتنازع فيها . وهذا المعنى يسوغ استعمال المساهمة في المشاركة وتصحيح ما جرى في هذا الباب .

وللباحث أن يحتاج في هذا بما جاء في النلالى للبكرى المطبوع مع السمط ١ / ٦٦ : « اختلف الناس في الذى قال : يديرونى عن سالم وأديرهم . فقال قوم : أبو الأسود الدؤلى ، بقوله في غلام له اسمه سالم :

يديرونى عن سالم وأديرهم	وجلدة بين العين والأنف سالم
ولو بان من كفى لبث مسهدا	ونبهان عما بى من الشجو نائم
أبا ثابت ساهمت في الحزم أهله	فرأيتك محمود وعمدك دائم

. ونبهان بن عدى جار لآبى الأسود ، كان يديره على بيع سالم ، ويروم ذلك منه ، وأبو الأسود يأباه . ثم مات سالم فقال أبو الأسود هذا الشعر . وظاهر فيه أن قوله : ساهمت في الحزم أهله : شاركت في الحزم أهله ، وهو الاستعمال المشهور نفسه ، وفي معجم الشعراء للبرزبانى ٣٦٦ لمالك بن أعين الجهنى فى رثاء الإمام جعفر الصادق المتوفى فى سنة ١٤٨ هـ .

فيا ليتنى ثم يا ليتنى	شهدت وإن كنت لم أشهد
فأسيت فى بشه جعفرأ	وساهمت فى لطف العود
ومن قبل نفسك قلت الغداء	وكف المنية بالمرصد
عشية يدفن فيه الندى	وغرة زهر بنى أحمد

فقوله : ساهمت فى لطف العود ، أى شاركت :

مصر تقع شمال السودان . واليمن تقع جنوب الحجاز

يجرى هذا الاستعمال بين الناس . وأرى أن الصواب أن يقال : مصر تقع

شمالى السودان ، واليمن تقع جنوبى الحجاز . وهكذا أرى أن الصواب أن يقال :
ليبية (١) غربى مصر ، وتقع تونس شرقى ليلية ، ولا يقال فى ذلك غرب وشرق .

وذلك أن الشمال والجنوب من الرياح لا من الجهات ، فإذا أريد المكان قيل شمالى أى
المكان الذى تهب فيه الشمال ، وجنوبى أى المكان الذى تهب فيه الجنوب ، والجنوب هى
الريح القبلىة ، والشمال : التى تقابل الجنوب . والشرق : حيث تشرق الشمس ، والغرب :
حيث تغرب ، فترى أنهما ينسبان إلى الشمس ولا ينسبان إلى شىء خاص ، فإذا أريد المكان
الذى ينسب إلى شىء خاص قيل شرقى وغربى . ويقول سيديويه فى الكتاب ١ / ٢٠١ فى عدد
ظروف المكان : ومن ذلك أيضا : هو ناحية من الدار ، وهو ناحية الدار ، وهو ناحيتك ،
وهو نحوك ، وهو مكانا صالحا ، وداره ذات اليمن وشرقى كذا ؛ قال الشاعر - هوجري - :

هبت جنوبا فذكرى ما ذكرتم
عند الصفاة التى شرقى حوران

انتهى كلام سيديويه . وحوران : إقليم من أعمال دمشق ، والصفاة : الحجرة العريضة
المساء . نعم يقال : مصر تقع جهة الجنوب من السودان أى الجهة التى تهب فيها الجنوب .
وجاء فى كلام البيرونى - على ما نقله ياقوت فى معجم البلدان فى لوبية - : « كان اليونانيون
يقسمون المعمورة بأقسام ثلاثة تصير أرض مصر مجتمعها لها . فما مال عنها وعن بحر الروم
نحو الجنوب فاسمه لوبية ، ويحدها بحر أوقيانوس المحيط الأخضر من جانب المغرب وبحر
مصر من جهة الشمال وبحر الحبش من جهة الجنوب وخليج القلزم وهو بحر سوف أى البردى
من جهة المشرق ، وهذا كله يسمى لوبية » .

وجاء فى القاموس فى مادة (نوب) فى الكلام على النوبة : « وبالضم : بلاد واسعة
للسودان بجنوب الصعيد » . فترى أنه جاء على الاستعمال المشهور . وعبارة ياقوت فى معجم
البلدان : « النوبة بلاد واسعة عريضة فى جنوبى مصر » فهذا جاء على الجادة .

وجاء فى اللسان (نصب) هذا البيت فى وصف الناقة :

كأن راکبها يهوى بمنخرق
من الجنوب إذا مارکبها نصبوا

[١] هكذا اشتهر الرسم فى عصرنا . وفى معجم ياقوت : « لوبية » .

نصبوا : جدوا في السير أو ساروا يومهم ، فالجنوب هنا : الريح ومنخرقها حيث تهب ،
فترى أن الجنوب بفتح الجيم .

وجاء في شعر أمية بن أبي عائذ الهذلي :

أفاطم حيت بالأسعد متى عهدنا بك لا تبعدى
تصيفت نعان واصيفت جنوب سهام إلى سررد

سهام وسررد : موضعان . وقد ضبط (جنوب) بفتح الجيم في نسختي معجم البلدان المطبوعتين في أوربة ومصر ، وهذا الضبط لا وجه له ، فإن الجنوب - كما عرفت - من الرياح ولا معنى لتصنيفها ، وإنما (جنوب) بضم الجيم جمع جنب بمعنى الناحية ، وهذا الضبط في اللسان وفي شرح السكري لشعر الهذليين ، فهذا له معنى صحيح ، تقول : تصيفت جنب إسكندرية أى ناحيتها . وهكذا ماجاء في معجم البلدان في الكلام على زخة موضع في بلاد طي لهيكنة الفزاري يخاطب عامر بن الطفيل :

أحسبت أن طعان مرة بالقنا حلب الغزيرة من بنات الغيب
عصبا دفعن من الأبارق من قنا لجنوب زخة فالراق فينقب

جنوب زخة بضم الجيم : نواحيها وجهاتها . محمد علي التتجار

مع جمال عبد الناصر

على مائدة خروشوف في موسكو

أراد رئيس الخدم أن يقدم لخروشوف من خمر الفودكا ، فمنعه خروشوف والتفت إلى الرئيس جمال عبد الناصر وقال له : - حينما تكون معي ، فأنا لا أشرب أبدا . أنا أعلم أنك مسلم متدين ، وأنا أحترم عقيدتك . والتفت إلى وزير خارجيتنا الدكتور نجود فوزي وقال : - إنهم يعتبرون أن المعركة كلها هي شخص هذا « الشاب » ، إنهم يعلدون أنه أصبح رمزاً لكفاح العرب ، وسوف يدفعون نصف عمرهم في فرصة تمسكهم منه . (وهز رأسه وقال) : ولكنهم لن ينالوا هذه الفرصة ، وسيقتصر هذا الكفاح .

وأخذ قدحا من الماء المعدني ووقف يقول :

إنني أشرب نخب (كفاح الشعوب العربية) نخب قائد العرب ، نخب انتصار العرب .
وجلس وهو يقول : أنا لا أتسكلم عن الغيب ، ولكني أؤمن بمنطق التاريخ .

تعلّيقاً

يتسع الخرق على الراقع

كانت محاولات المرشدين قديماً تتجه نحو الجهلاء ، وتعلق بإصلاح المعوج من أمرهم ، وتهذيب الشذوذ من أنفسهم وفي أخلاقهم .

فلما تفتحت أكام الثقافة ، وانبعث ضوءها ، واتسعت رقعتها ، وكثر الناهلون من وردّها ، حسبنا أن لذلك آثاراً إيجابية في تقليل الجريمة ، ومؤازرة الفضيلة ، والنهوض بالخلق ، وصيانة المجتمع من شروركانت ، تهدده ، وتجذبه إلى الوراء ، بعيداً عن المستوى الإنساني الكريم .

حسبنا ذلك ، ولكننا فوجئنا ، ولا نزال نفاجأ من جانب الثقافات الحديثة بما هو شر من الجهل قديمه وحاضره .

توافر للإنسان في حاضره نصيب كبير من التوجيه إلى جانب ما لديه من دين ، وتجارب ، غير أن العوامل السلبية تجد مرتعاً خصيباً في صدور المجددين من أبناء الثقافة المدنية المنقولة إلينا من منابع غير صافية ، إذ لم يعد للثقافة التي يرددونها بيننا غير مقاومة الحياء في وجوه الخيرين ، ومحاربة القيم الروحية ، والطغيان على العقائد ، والتقاليد ، والنشاط في اقتياد الشباب كله إلى مساقط الرذيلة في غير اكتراث ولا حساب لما وراء هذا كله من هدم لسكان المجتمع الذي يطالبنا الدين وتقتضينا الوطنية أن نحصر على سلامته من كل آفة .

من كان يظن أن نسمع في الأوساط الإسلامية مجاهرة بالتحلل من الحشمة ، وبال دعوة السافرة إلى حرية غير محدودة للبرأة ، وإلى إجازة للبنات أن يخالطن الأصدقاء من الشبان ، بل إلى استحسان البعض من الآباء أن يكون لبنته صديق أو أكثر ، تسايروهم في الطرقات ، وتردد معهم على كل مكان يروقهم ؟؟

من كان يظن أن يعلن أستاذ جامعي يقوم على تربية أبنائنا أنه يجذب لفته تلك الحرية ،
وأنه ينكر على المتشائمين من هذه الفوضى غيرتهم ، وتنديدهم بهذه الميوعة ؟ ؟
أليست هذه إباحية تتجاوز إباحية كنا نسمعها أو نقرأ عنها في الكتب عن بعض
المغرقين في الجهل يوم كانت الدنيا بحاجة قصوى إلى علم كثير ، ويوم كان الناس يستجيبون
للفطرة في التمييز بين الخير والشر ، وكانوا يترشون في ارتكاب النقيصة ؟ ؟
تجاوز الأمر قدره ، وأصبحت المجانة والدعارة ومحاربة النزعات الكريمة ، مذهبا
يتمذهب به نفر من المثقفين في عصر مفروض فيه أنه عصر حضارة وتقدم ، بل وصل
الأمر إلى مغالبة الما جنين لأهل الكرامة ، ومحاولتهم أن يسكتوا أصحاب الدعوة الرشيدة
ليكون صوت الشيطان وحده مدويا في آذان القوم ، ولتكون الدنيا مرتعا
للفساد والمفسدين .

إن المصلحين من رجال الأمانة يجاهدون حقا للنهوض بها ، وجهادهم مشكور ، ولكنه
بحاجة إلى مؤازرة من كل هيئة ، ومن كل فرد فليس من المستساغ أن نحميلهم فوق ما يحملون ؟

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء ومدير النفثيش بالأزهر

الدستور العراقي

أذاع الزعيم عبد الكريم قاسم في فجر ٩ المحرم (٢٦ يوليو) دستور جمهورية العراق
المؤقت وهو في ٤ أبواب تنطوي على ٣٠ مادة . جاء في مادته الأولى « العراق جمهورية مستقلة »
وفي الثانية « العراق جزء من الأمة العربية » . وفي الثالثة « الكيان العراقي يقوم على أساس
التعاون بين المواطنين ويعتبر العرب والأكراد شركاء في هذا الوطن » . وفي الرابعة « الإسلام
دين الدولة » . وفي الخامسة « بغداد عاصمة الجمهورية العراقية » وفي الباب الثاني « الأحكام
تصدر وتنفذ باسم الشعب » وفي المادة ١٣ « الملكية الخاصة مصونة » وفي المادة ١٤ « الملكية
الزراعية تحدد وتنظم بقانون » .

وسيتولى مجلس النواب العراقي الذي ينتخب انتخاباً حراً إقرار الدستور العراقي في
صيغته النهائية .

كلمة

بمناسبة الذكرى العاشرة لاغتصاب فلسطين

فى كل عام نستقبل بهذا اليوم (يوم ١٥ مايو) ذكريات كنا نتمنى أن تسكون ذكريات سرور وغبطة ، وموجبات فرح وبهجة ، وكنا نتمنى أن يكون هذا اليوم لفلسطين عيداً استقلال وحرية ، إذ كان هو اليوم الذى انزاح فيه كابوس الانتداب الثقيل ، عن هذه البلاد فى سنة ١٩٤٨ ، وجلت فيه بريطانيا عن أرض هذا الوطن العربى العزيز ، الذى مكث يرزح تحت ضغط الاحتلال والاستعمار سنين عدة وأعواما طويلة .

نعم كان يمكن أن يكون يوم ١٥ مايو ، يوم عيد تنثر فيه الزينات ، وتعلن فيه مظاهر الفرح والابتهاج ، لو كان جلاء بريطانيا عن أرض فلسطين قد أريد به ترك البلاد خالصة لأصحابها ، ورد الأمانة سليمة إلى أهلها ، ولكنه كان جلاء مبنياً على تدبير سيئ ، واتفاقات غادرة ، بين بريطانيا ومن مالأها من دول الاستعمار ، اتفاقات مكنت لإسرائيل أن تقيم دولة فى فلسطين ، لتسكون دائماً عامل قلق واضطراب ، ومبعث شر وفتنة ، بين دول الشرق العربى جميعاً ، ولتسكون أيضاً مخلب قط أو نقطة ارتكاز يستخدمها ويعتمد عليها المستعمرون ، كلما أرادوا أن يسيروا فى خطة عدوان على أهل هذا الشرق العربى أو غير العربى .

وإنه ما كان لليهود فى سنة ١٩٤٨ أن يكسبوا حرباً ، أو يستقر لهم أمر ، أو تقوم لهم دولة حتى مع ضعف الأسلحة التى كانت فى أيدي المجاهدين العرب أو فساد هذه الأسلحة ، وما كانوا ليكسبوا حرباً أو يستقر لهم أمر أو تقوم لهم دولة ، حتى مع تلك الخيانة التى افترض أمرها ، واشتهرت بإضافتها إلى أسماء أصحابها ، كما اقترنت أيضاً باسم اللد والرملة .

نعم ما كان لإسرائيل أن تصل إلى ما وصلت إليه فى فلسطين حتى مع كل هذه الاعتبارات لولا اتفاقات الشر ، وتدابير الغدر التى بيّتها المستعمرون لشعب فلسطين وكل من يحنو من العرب على شعب فلسطين .

ولكن هل هذه هى النهاية التى ليس بعدها نهاية ؟ وهل يمكن أن يبقى كذلك أهل فلسطين مشردين لاجئين إلى غير ملجأ ، هائمين إلى غير مستقر ؟ .

إنه قد مضت عشر سنوات على تلك النتيجة الظالمة الغاشمة ، تغيرت فيها الأوضاع في البلاد العربية ، وقضى على أكثر عوامل الفساد ، التي كانت تن منبها البلاد ، وقد أخذ الشعب العربي دروسا قاسية من تجربة سنة ١٩٤٨ التي لا تزال آثارها المؤلمة ماثلة أمام أعيننا في هؤلاء اللاجئين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق ، وفي هذه التلاقل والتجشبات التي تثيرها عصابات اليهود على حدود الدول العربية .

الآن وقد تغيرت الأوضاع ، وشعر العرب جميعاً بحكومات وشعوباً بمرارة الواقع ، وبالحاجة إلى عمل جدى حاسم - يجب علينا أن نستأنف الجهاد من جديد لاستعادة أرضنا المغصوبة ، وأن نتابع الكشف ونحن أشد قوة وأصلب عوداً ، وأقوى أملاً ، ينبغى أن يقف كل فرد منا في الميدان يجاهد بنفسه وسلاحه ، وماله ورأيه وجاهه وبكل ما يستطيع من قوة . ونحن بحمد الله قد حققنا بعد جهادنا الطويل جزءاً من آمالنا في جمع كلبة العرب وضم صفوفهم ، فقامت الجمهورية العربية المتحدة ، التي ضمت شعب مصر وسوريا على أساس من الشعور المنبعث من نفس الشعب ؛ لتحقيق أهداف يحس بضرورتها الشعب الذي يريد أن يحيا حياة عزيزة كريمة تقوم على أساس التعاون والتناصح والإخلاص المتين . والواجب يقتضي أن نحمل هذه الوحدة ونضع فيها ثقتنا الكاملة ، وألا ندع للدخيل مجالاً ينمى فيه سمومه ، وينصب شراكه ، وأن تكون عيوننا يقطعة ساهرة لمساكيد المستعمرين وعملائهم الذين يريدون أن يطيحوا بهذا الصرح الشامخ الذي بنيناه بدمائنا وأرواحنا ، وأوينا إليه بعد رحلة طويلة شاقة مليئة بالأشواق والآلام والعقبات .

جامعوا في الله أيها المواطنون حق الجهاد ، وخذوا من أبطالكم مثلاً عالياً في التضحية وإنكار الذات ، واعلموا أيها اللاجئين أنكم بمشيئة الله عائدون عائدون ، وأن النصر قريب والله مع الصابرين .

عاشت الأمة العربية عزيزة كريمة ، وعاشت الوحدة قوية متينة ، ووقانا الله جميعاً أسباب الفتنة ، ويسر لنا السبيل .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

عبد الرحمن تاج
شيخ الجامع الأزهر

ضيوف الأزهر

في يوم الأحد ٢٠ من ذى القعدة ١٣٧٧ هـ (٨ من يونيه ١٩٥٨ م) استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر سيادة الأسقف مكاريوس الزعيم الديني لقبرص . وقد دار الحديث حول واجب رجال الدين في توجيه الشعوب وقيادتها إلى الخير ، والاشتراك الفعلي في العمل على رفع الظلم والوقوف صفاً واحداً أمام الاستعمار ، فهذا النشاط من رجال الدين هو من صميم واجبه الذي كلفتهم به الديانات السماوية . فعملهم ليس قاصراً على المساجد والسكنائس وبيوت العبادة ، بل مجال نشاطهم واسع ، وكل عمل مشروع يؤدي إلى الخير العام له منزلته وثوابه . والمستعمرون قد حاولوا أن يحصروا عمل رجال الدين في دائرة ضيقة ، ومنعواهم من التدخل في الأمور السياسية ، واضعين حداً فاصلاً وحاجزاً منيعاً بين النشاط الديني المحض في بيوت العبادة ، وبين النشاط خارج هذه البيوت .

وقد أشاد سيادة الأسقف بما وصلت إليه مصر والجمهورية العربية المتحدة من تقدم بفضل رجال الثورة الأحرار وزعماء العروبة المخلصين ، وقال : لا أمان لهذه الجمهورية الناشئة ولا لقبرص إلا إذا حطم الاستعمار وتطهرت البلاد من هؤلاء الدخلاء .

وقد دعا سيادته فضيلة الأستاذ الأكبر لزيارة قبرص ومشاهدة شعور المواطنين هناك نحو العرب والجمهورية العربية المتحدة .

وفي يوم الاثنين ٢٨ من ذى القعدة ١٣٧٧ هـ (١٦ من يونيه ١٩٥٨ م) استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر فضيلة الشيخ مصطفى بن عبدالعزيز خليل مفتي صوفيا ببلغاريا بمناسبة مروره بمصر لأداء فريضة الحج ، وذكر أن ببلغاريا ما يقرب من مليون مسلم ، لهم ٢٢ مفتياً موزعون في أنحاء البلاد ولهم مدارسهم الخاصة التي يتلّون فيها علوم الدين باللغة المحلية . وأن المسلمين هناك مقبلون على العبادة ، ومساجدهم تضيق بالمصلين وتبدو في مظهر رائع في شهر رمضان ، كما ذكر سيادته أن المسلمين هناك يحبون العرب كثيراً ويحرصون على سماع الإذاعات العربية . معجبين بنهضة مصر وزعماء الجمهورية العربية المتحدة .

وفي يوم الأحد ٥ من ذى الحجة ١٣٧٧ هـ (٢٢ من يونيو ١٩٥٨ م) استقبل فضيلته الدكتور كواى نكروماه رئيس وزراء غانا وكان يصحبه السيد وزير التربية والتعليم وشخصيات أخرى، وبعد التحدث عن نظم الدراسة في الأزهر والدور الذى يقوم به فى ربط الشعوب الإسلامية عن طريق المبعوثين الموفدين والطلاب الوافدين من جميع الأقطار . زار الجامع الأزهر والمكتبة وقاعة المحاضرات الكبرى ثم انصرف شاكرًا لفضيلته وللإسادة العلماء والموظفين حسن استقبالهم وكريم شعورهم .

* * *

وفي الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الأحد ٢٦ من ذى الحجة سنة ١٣٧٧ هـ (١٣ من يوليو سنة ١٩٥٨ م) استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بمكتبه وفد الحجاج الصينيين برئاسة السيد / محمد على وكيل الجمعية الإسلامية الصينية ، ودار الحديث حول الشؤون الدينية العامة وأحوال المسلمين فى الصين بصفة خاصة ، وأكد الوفد حب الصينيين العميق لمصر وللثقافة العربية ، وإعجابهم بدور الأزهر فى نشر الثقافة الإسلامية ، وتأكيده الروابط بين الشعوب .

وقد دعا الوفد فضيلة الأستاذ الأكبر لزيارة الصين فوعده بذلك عند إتاحة الفرصة ، وبعد إهداء فضيلته إلى الوفد الكتب والرسائل ، انصرفوا جميعا شاكرين حسن الاستقبال متمنين للأزهر وللجمهورية العربية المتحدة دوام التوفيق فى خدمة قضية السلام .

تبرعات من الأزهر

بلغ مجموع ما تبرع به الأزهر بمناسبة أسبوع الجزائر لعام ١٣٧٧ هـ : م ٣١٥١ و ٢٧٠ ج سلبها فضيلة الأستاذ الأكبر على دفعات إلى الجهات المختصة .

كما بلغ مجموع ما تبرع به الأزهريون لمعونة الشتاء فى هذا العام ألف جنيه ، سلبت أيضاً للجهات المختصة .

وفضيلة الأستاذ الأكبر يشكر لجميع المساهمين فى هذه الأعمال الإنسانية الجليلة ، ويحيى فيهم روح الوطنية الصادقة ، آملاً أن يكونوا دائماً سباقين إلى الخير ، ومثلاً أعلى فى كل عمل جليل .

في عيد الأضحى المبارك

من البرقيات والرسائل التي تبودلت بين فضيله الأستاذ الأكبر
الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر وأساتذة وطلاب
الأزهر وكبار الشخصيات في العالم العربي والإسلامي والبرقيات التالية:

السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة
القاهرة
يسرني أن أرسل إلى سيادتكم باسم الأزهر خالص التهنية بعيد الأضحى المبارك وأطيب
التمنيات لكم ولجميع العاملين المخلصين ، راجيا من الله سبحانه أن يسبغ عليكم نعمته ، ويدم
توفيقكم للنهوض بالجمهورية العربية المتحدة وخدمة قضية العروبة وتوطيد أركان السلام ؟

(عبد الرحمن تاج)
شيخ الجامع الأزهر

السيد الرئيس شكري القوتلي

دمشق

بمناسبة عيد الأضحى المبارك يسرني أن أبعث إلى سيادتكم بالتماني الخالصة راجيا لكم
موفور الصحة ودوام التوفيق لخدمة العروبة والإسلام ؟

(عبد الرحمن تاج)
شيخ الجامع الأزهر

شيخ الأزهر عبد الرحمن تاج

القاهرة

إني أهني فضيلتكم وجميع موظفي الأزهر بعيد الأضحى المبارك وأقدم إليكم جزيل
شكري وأسمى امتناني لتفضلكم لعطفكم وعنايتكم في الأزهر نسأل الله تعالى أن يكتب
للشعب المصري دوام الخير وأسعد الحياة في ظل السلام ؟

(ضياء الدين بن إيشان بابا خان)

مفتي المسلمين

بطشقة

فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر مصر
تلقيت بالامتنان برقيتكم المعبرين فيها باسمكم وباسم الأزهر عن كريم التهئة وصادق
الشعور بمناسبة عيد الأضحى المبارك وإني لأبعث إليكم جميعا بموفور الشكر راجيا لكم الصحة
والسعادة ومتمنيا للأمة العربية كل عز وسؤدد
(جمال عبد الناصر)

سماحة الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر القاهرة
أشكر لساحتكم تهنتكم الكريمة بعيد الأضحى المبارك راجيا البارى تعالى أن يعيده على
العرب والمسلمين وقد تحققت أمانهم فى الوحدة والحرية
(شكرى القوتلى)

الشيخ ضياء الدين بن إيشان بابا خان مفتى المسلمين طشقند
لقد كان تهنتكم لنا بعيد الأضحى المبارك أثر عظيم فى نفسى ونفوس جميع علماء وموظفى
الأزهر وإني إذ أشكر لكم هذا الشعور الطيب أرجو الله أن يتمتعكم بالصحة وأن يهب المسلمين
فى آسيا الوسطى والعالم كله حياة طيبة فى ظل من الأمن والحرية والاستقرار .
(عبد الرحمن تاج)
شيخ الجامع الأزهر

صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر عبد الرحمن تاج القاهرة
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته لمناسبة عيد الأضحى المبارك يسرنى أن أتقدم إليكم وإلينا
وإلى جميع المسلمين بالخير واليمن والعافية والتوفيق فى كل الأمور .
ونسأل الله أن يمدكم فى أموركم وينسج عليكم ثوب العافية إنه على كل شىء قدير
مع أطيب التحيات .

(قمر الدين صالح)

شيخ جامع موسكو

الحاج قر الدين صالح

شيخ جامع موسكو

أشكر لكم تهنتكم بعيد الأضحى المبارك وتمنياتكم الطيبة لنا وأرجو الله لكم وجميع المسلمين في الاتحاد السوفيتي والعالم كله حياة طيبة ، وحرية شاملة ، وتوفيقاً مطرداً لخدمة قضية السلام .

(عبد الرحمن تاج)

شيخ الجامع الأزهر

فضيلة شيخ الجامع الأزهر

القاهرة الجمهورية العربية المتحدة

بمناسبة عيد الأضحى المبارك أتمنى لكم الصحة وطول البقاء ، والتوفيق في جهودكم من أجل السلام .

(مؤسسة فيينا الدولية للسلام)

المؤسسة الدولية للسلام

فيينا

أشكر لكم تهنتكم بعيد الأضحى المبارك وأرجو الله للعالم آمناً واستقراراً وجميع العاملين المخلصين توفيقاً دائماً لخدمة السلام .

(عبد الرحمن تاج)

شيخ الجامع الأزهر

حمداً لك اللهم ... !

فقد تردد نسيم الحرية في رثة عزيزة من الجسم العربي ، بعد أن ظن الخونة المارقون أنها تعطلت تماماً ؛ لما بالغوا فيه من سد المنافذ وتسميم الجو ... ! حمداً لك اللهم ... !
فقد تحرر العراق الشقيق ... !

السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر ينوب عن الأزهر في التهنة بنجاح الثورة العربية في العراق .

السيد الزعيم الركن عبد الكريم قاسم رئيس الوزارة العراقية بغداد

أحيي فيكم روح الوطنية العالية وأهنئكم بنتيجة الثورة الباهرة ، وأرجو للجمهورية العربية العراقية كمال العزة والقوة والتمكين كما أرجو لجميع الشعوب العربية المكافأة في سبيل تحريرها أن تنال استقلالها وتمتع بثمار كفاحها وأن تقوى على طرد المستعمرين من ديارها والله ولي المؤمنين المخلصين .

(عبد الرحمن تاج)

شيخ الجامع الأزهر

الأدب والعلوم

مختصة بجميع مرافق العلم من صناعية وهندسية وزراعية . وقد اقترح إقامة « معمل بحوث » لكل صناعة تساهم الشركات بتمويله باعتبارات سنوية في ميزانياتها ، وستوزع مراكز البحوث على مناطق التصنيع ، والمقترح إقامة خمسة عشر معملاً مركزياً بالأبحاث الطاقة الذرية ، والبتترول ، والأسمدة الكيماوية ، والثروة المعدنية ، والصناعات الحديدية ، والصناعات الكيماوية ، وأبحاث الغزل والنسيج والصباغة والطبع ، وأبحاث الخيوط الصناعية ، والزجاج ، والأسمنت ، والمستحضرات الطبية ، ومنتجات الألبان ، والورق ، والصناعات الغذائية ، وصناعات البلاستيك .

وأهم مايعنى به لتحقيق ذلك تخريج جيل جديد من العلماء يتخصص كل فريق منهم في أبحاث صناعة معينة لتعتمد عليهم الصناعات في خطوات تقدمها في المستقبل القريب .

ناجحو المدارس الثانوية

قرر المجلس الأعلى للجامعات المصرية قبول ٨٥٩٥ طالباً من الناجحين في شهادة الثانوية العامة هذا العام ، منهم ٣٢١٥ لجامعة القاهرة ، و ٢٤٠٥ لجامعة الاسكندرية ،

المستوى الاجتماعي للمدرسة
أوصى المؤتمر الأول للتخطيط الاجتماعي المدرسي بتنظيم دراسات لإعداد القادة والرواد واكتشاف الطلبة ذوى المواهب لإعدادهم قادة في المدرسة ، وتشجيع الهوايات المدرسية الصالحة . ودعا المؤتمر إلى تقديم الخدمات النفسية والاجتماعية للتلاميذ غير القادرين على التكيف الاجتماعي ، ونوه بفائدة مجالس الآباء . وأوصى بأن يدخل في الاعتبار - عند تقدير قيمة الأساتذة والمدرسين - مدى مساهمتهم في تحقيق أهداف التربية الاجتماعية .

حصر القوى المتعلمة

تقوم وزارة التربية والتعليم بإعداد حصر شامل للقوى البشرية المتعلمة التي تلزم المرافق المختلفة في إقليمى الجمهورية المتحدة خلال السنوات العشر القادمة .

مراكز بحوث لكل صناعة

تعنى وزارة الصناعة بإعداد مراكز بحوث عليية لكل صناعة من الصناعات القائمة في الجمهورية العربية المتحدة ، بحيث تكون

اللاتينية ، وذلك لتمكين المسلمين هناك من أن يتزودوا من الثقافة الإسلامية والعربية .

جوائز للبحوث العلمية

قرر المجلس الأعلى للعلوم برئاسة وزير التربية والتعليم اعتماد ١٦ جائزة تشجيعية قيمة كل منها خمسمائة جنيه تمنح لأحسن البحوث العلمية التي لم يمض على نشرها أو تنفيذها أكثر من ثلاث سنوات ، توزع بين البحوث العلمية الزراعية والهندسية والطبية والكيميائية والجيولوجية ، والبيولوجية ، والرياضية ، والطبيعية .

معلومات عن العراق

مساحة العراق ١٧٥ ألف ميل مربع ، ويزيد عدد سكانه على خمسة ملايين ، وهو سادس دولة تنتج البترول ، وإيراد العراق منه أكثر من ٣٠٠ مليون دولار سنوياً . وجوه حار صيفاً ، بارد شتاء .

والإقليم الشامي منه جبلي وفيه آبار البترول وأهم مدنه الموصل ، وأوسطه منطقة الرافدين (ما بين النهرين) وفيه العاصمة (بغداد) ، وفي الجنوب ملتقى النهرين ويسمى شط العرب وفيه مدينة البصرة .

والأمة العراقية تكاد تكون أمة عسكرية ، وسيكون لجيشها شأن بعد تحررها من الدمى التي كان الاستعمار يستعملها لأغراضه .

و ٢٦٧٠ لجامعة عين شمس ، و ٣٠٥ لجامعة أسيوط . ومن المنتظر أن تزداد هذه الأعداد ١٠٪ . بالنسبة للكتليات النظرية و ٥٠٪ . بالنسبة للكتليات العملية . وباقي الناجحين في امتحان الشهادة الثانوية العامة يوزعون على الكليات والمعاهد العليا التابعة لوزارة التربية والتعليم .

الأزهر في باريس

تقدم المسلمون المقيمون في باريس بطلب إلى مشيخة الأزهر لإيفاد أحد العلماء إلى العاصمة الفرنسية لتعليم أبناء الجالية الإسلامية فيها أحكام الشريعة . ولما كان أكثرهم من أبناء الأفطار الشقيقة في شمال إفريقيا وهم على مذهب الإمام مالك ، فستكون الأحكام الفقهية التي يتلقونها في الفقه المالكي .

وقد رشح الأزهر أحد الأساتذة الوعاظ للقيام بهذه المهمة ، واتخذت الأسباب لتعجيل سفره لتسلم عمله .

الثقافة الإسلامية

في كوبا وكولومبيا

بعث الأزهر بمجموعات من المصاحف والكتب الإسلامية والرسائل الثقافية والمجلات إلى اللجنة السياسية للجمهورية العربية المتحدة في كوبا وكولومبيا من بلاد أمريكا

إنباء العمل الإنساني

جمال عبد الناصر

بين يوغوسلافيا ومصر

في مساء السبت ١١ ذى الحجة (٢٨ يونية) غادر الرئيس جمال عبد الناصر ميناء الاسكندرية على الباخرة المصرية (الحرية) في طريقه إلى يوغوسلافيا بدعوة من رئيس جمهوريتها ، فودعته الجماهير وداعا رائعا ، وكان في حراسة الباخرة (الحرية) المدمرتان المصريتان (الناصر) و (الظافر) . وفي يوم الأربعاء ١٥ ذى الحجة (٢ يوليو) وصل الرئيس إلى ميناء (دوبروفيتك) فاستقبله فيها الرئيس تيتو والشعب اليوغوسلافي .

وفي يوم الأحد ١٩ ذى الحجة (٦ يوليو) بدأت المحادثات الرسمية بين الرئيسين في جزيرة (بريوني) ، وكانت مشاكل الشرق الأوسط وأزمة لبنان في مقدمة هذه المحادثات التي تمت في تفاهم كامل ، فاتفقوا على اتخاذ إجراء مشترك في كل مشكلة دولية ، وعلى تدعيم العلاقات السياسية والثقافية والصناعية بين البلدين . وتحدث الرئيس جمال عبد الناصر من إذاعة راديو بلغراد فقال : إن القومية

العربية كانت فكرة وأملا ، فأصبحت اليوم حقيقة . وعقب المحادثات العربية اليوغوسلافية حضر وزير خارجية اليونان إلى يوغوسلافيا وتجددت محادثات بين الدول الثلاث على أساس المحادثات الأولى ولمثل أغراضها .

ولما أشرقت شمس يوم الاثنين ٢٧ ذى الحجة (١٤ يوليو) بدأت الأنباء تصل تباعا إلى الرئيس جمال عبد الناصر في بريوني عن قيام ثورة العراق وسقوط التاج والعرش في بغداد وإعلان الجمهورية العراقية ، وكان يوم غد (الثلاثاء) موعد سفر الرئيس جمال عائدا إلى مصر ، فقرر التعجيل بعودته حالا ، وعند غروب شمس الإثنين كانت الباخرة (الحرية) تشق بحر الادرياتيک بحراسة المدمرتين المصريتين ومدمرتين يوغوسلافيتين ، ومضت هذه القافلة البحرية تشق العباب بأقصى سرعتها ، وفيما هي على وشك الخروج من الادرياتيكي إلى البحر الأبيض وردت الأنباء بنزول القوات الأمريكية في لبنان ، ثم تلقت إحدى المدمرتين اليوغوسلافيتين رسالة سرية عاجلة من المارشال تيتو باسم الرئيس جمال عبد الناصر

العربية المتحدة ليتصل كل منهم بحكومة البلاد التي يعمل فيها ، ويطلب سرعة الاعتراف بالجمهورية العراقية .

ولما وصل جمال إلى بريوني وجد في انتظاره برقية من خروشوف بأنه في انتظاره في موسكو أو أي مكان آخر يلائمه . وفي بريوني جمع يتقو أهم رجال دولته للاجتماع برئيس الجمهورية العربية ووزير خارجيتها للتحدث معا في آخر تطورات الموقف الدولي ، وامتد الاجتماع إلى منتصف الليل . وفي فجر يوم الخميس ٣٠ ذى الحجة (١٧ يوليو) استقل الرئيس جمال ووزير خارجيته الطائرة الجبارة التي كانت في انتظاره بمطار بولا متوجها إلى موسكو بسرعة ألف كيلو متر في الساعة ، ونزل في موسكو بقصر داتشا بالضواحي ، واجتمع بخروشوف مدة ثمان ساعات .

وفي الصباح المبكر من يوم الجمعة غرة المحرم (١٨ يوليو) استقل الرئيس الطائرة الروسية T.U.104 من موسكو ، وهي تتسع لسبعين راكبا ، فسلكت في طريقها الممر الهوائي التجاري العادي ، ولم يخطر ببال المشرفين على مطارات العالم أن هذه الطائرة هي طائرة جمال عبدالناصر . مرت فوق طهران ثم طارت فوق بغداد ، وفي جو بغداد دنت الطائرة من المباني والمعالم ، حتى كان الرئيس يرى بنظاره سكان بغداد وهم يمشون في الشوارع .

يقول فيها : « أناشدكم ألا تتقدموا في البحر إلى أكثر من الحد الذي وصاتم إليه الآن . إن الخطر شديد بعد التطورات الأخيرة . أرجوكم العودة إلى أقرب ميناء يوغوسلافي ، أرجو أن يكون الرد بالموافقة » . فأجاب الرئيس جمال عبد الناصر بالموافقة . وفي صباح الثلاثاء وردت برقية أخرى من تيتو : « أقترح قدومكم إلى بريوني . أرجو للسرعة أن تنتقلوا إلى إحدى مدمراتكم لتصلوا إلينا بعد ثمان ساعات . أطلع بشوق إلى أن أراك مساء اليوم » .

ولما تقرررت فكرة العودة إلى بريوني تشاور الرئيس جمال مع وزير خارجيته في زيارة موسكو للتحدث مع خروشوف في جميع احتمالات الموقف الدولي ، ومن المدمرة المصرية ، بعث الرئيس جمال رسالة إلى خروشوف عن موقف الشرق العربي بعد ثورة العراق يقول فيها « قررت قبل أن أعود إلى القاهرة أن أراك في أي مكان يناسبك ، وأنا الآن في طريق إلى بريوني » . ومن المدمرة المصرية أبرق الرئيس جمال إلى نهرو وشواين لاي ، وسوكرانو ، ورئيس وزارة سيلان ، ونكروما ، ورئيس وزارة الأفغان يشرح لهم تطورات الموقف في الشرق الأوسط ولا سيما العراق ، وبعث الدكتور محمود فوزي تعليمات إلى جميع سفراء الجمهورية

إننا معكم أيها الإخوان جميعاً ، إننا نحمل السلاح معكم أيها الإخوة جميعاً ، إن كل قطرة من دمائنا مع كل قطرة من دماءكم . والله يوفق الأمة العربية جمعاء .

وسمع قادة الجمهورية العراقية صوت جمال عبد الناصر من دمشق فوفد عليه منهم في صباح يوم السبت ٢ المحرم (١٩ يوليو) وفد يرأسه العقيد الركن عبد السلام عارف نائب رئيس الوزراء ، ومعه محمد حبيب وزير المالية وصديق شنشل وزير الارشاد ، وعبد الجواد جومرد وزير الخارجية . وأراد شعب دمشق أن يتمتع أنظاره بمشاهدة قوى العروبة ممثلة بأبطال مصر والعراق والشام ، فأشرف على الجماهير جمال عبد الناصر ، وشكرى القوتلى ، وعبد السلام عارف ، وعبد الجبار جومرد ، وصديق شنشل ، ومحمد حبيب ، وتداولوا إلقاء الخطب القوية . وفي ذلك اليوم عقد في دمشق بين الجمهورية العربية المتحدة وجمهورية العراق هذا الاتفاق :

بسم الله الرحمن الرحيم

اتفاق بين الجمهورية العربية المتحدة

والجمهورية العراقية

في اليوم الثاني من شهر المحرم سنة ١٣٧٨ (١٩ من شهر تموز « يوليو » عام ١٩٥٨)
اتفق وفدا الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية على :

وبينا العالم ينتظر وصول الرئيس بحراً إلى مصر ، إذا به يفاجأ بهبوط طائرته في مطار دمشق في الساعة الواحدة بعد ظهر الجمعة ، فذهب إلى قصر الضيافة ، وعرف الوزراء بوصولهم ، وذهلت مخبرات العالم وهي تسمع الخبر ، إنهم كانوا يظنون أنه عائد إلى مصر بطريق البحر . ومن شرفة قصر الضيافة بدمشق مساء الجمعة خطب على مسامع سكان العاصمة السورية ، فكان الوطن العربي كله يسمع خطابه كلة كلة ، كانت كلماته كلها أقوى من المدافع . ومما قاله : كانت راية الحرية قد ارتفعت في دمشق والقاهرة ، واليوم ترتفع في بغداد ، وسترتفع غداً في بيروت وعمان والجزائر . إننا انتصرنا في بورسعيد ، وسنتنصر في جميع المعارك . إن القومية العربية لا يمثلها جمال عبد الناصر ولا أى شخص آخر . من كان يسمع عن عبد الكريم قاسم ، أو عبد السلام عارف ؟ إن شعلة القومية العربية ستبقى أبد الدهر عالية مرتفعة ، إن سياستنا أن نسال من يسالنا وأن نعادى من يعادينا . القومية العربية أقوى من القنابل الذرية ، لقد انتصرنا في معركة ١٩٥٦ ، وسنتنصر في هذه المعركة ، وقلوبنا كلها مع العراق . إن أمريكا تحتل لبنان وتحملنا مسؤولية حماية جنودها المحتلة ! هذا هو الاحتلال ، وهذا هو الاستعمار . أنا أقول لإخوانكم في بغداد

الذين يحمون هذه الخطوط في مهماتهم .
وكان استقباله في خطوط الحدود أروع
استقبال . والغرض من هذه الزيارة
الاطمئنان على الخطة الدفاعية المرسومة
للمحافظة على الإقليم الشمالى من الجمهورية ضد
أى عدوان أو تدخل أجنبي .

وكان مع الرئيس في زيارته بعض الوزراء
والسواء جمال فيصل قائد الجيش الأول
ومعاونه أمير الألأى عبد المحسن أبو النور .
وسر الرئيس بما رآه ، وعاد بالارتياح
والاطمئنان التام .

وفي طريق عودته زار قبر الشهيد يوسف
العظمة بميسلون ، ووضع على ضريحه باقة من
الزهر تخليدا لنضاله في سبيل الحرية والكرامة

وفي مساء الاثنين ٤ من المحرم عاد الرئيس
إلى القاهرة ، واجتمع فور وصوله بالمشير
عبد الحكيم عامر والسيد عبد اللطيف البغدادي
نائبى رئيس الجمهورية ، والسيد على صبرى
وزير شؤون رئاسة الجمهورية ، وبحث معهم
مسائل عسكرية وسياسية هامة .

وفي مساء اليوم التالى (٥ المحرم - ٢٢ يوليو)
ألقى الرئيس خطابه الخطير في ميدان الجمهورية
بالقاهرة ، وقد لخصناه في مكان آخر من
هذا الباب .

أولا - تأكيد ما يربط البلدين من عهود
ومواثيق ، وفي مقدمتها ميثاق الجامعة العربية
وميثاق الدفاع المشترك بين الدول العربية .

ثانيا - تأكيد ما أعلنه حكومتنا البلدين من
ارتباط وثيق بينهما إزاء الموقف الدولى ،
وأنها مصممتان على الوقوف كبلد واحد
في الدفاع ضد أى عدوان عليهما أو على أى
منهما ، والبده حالا في اتخاذ ما يمتضيه ذلك
من خطوات عملية .

ثالثاً - التعاون الكامل فى المحيط الدولى
للمحافظة على حقوق البلدين والمشاركة الفعالة
فى تأييد ميثاق الأمم المتحدة وفى دعم السلام
فى الشرق الأوسط وفى العالم .

رابعا - اتخاذ الخطوات العاجله العملية
لتنمية التعاون الاقتصادى والثقافى بين البلدين .

خامسا - الاتفاق والتشاور المستمرين بين
البلدين فى كل الشؤون التى تعنى كلا من البلدين .

وقد وقع هذا الاتفاق عن الجمهورية العربية
المتحدة الرئيس جمال عبد الناصر ، ووقعه
عن الجمهورية العراقية العقيد عبد السلام محمد
عارف نائب رئيس الوزراء .

وفى يوم الأحد ٣ المحرم (٢٠ يوليو)
زار الرئيس خطوطنا الأمامية بالقرب من
الحدود اللبنانية ، وناقش الضباط والجنود

أسهم قناة السويس

تم في جنيف يوم الأحد ٢٦ ذى الحجة (١٣ يوليو) توقيع الاتفاق النهائي الخاص بتعويض حملة أسهم قناة السويس السابقة ، وكان التوقيع في المقر الأوربي للأمم المتحدة بجنيف . وتم التوقيع في اجتماع أحيط بالسكتان ، حتى أن الصحفيين لم يعلموا بعقده إلا في آخر لحظة ، فلم يحضر أحد منهم هذا الاجتماع . وقد بينا الأسس التي قام عليها هذا الاتفاق في ص ٩٧٢ - ٩٧٣ بالجزء الأخير من السنة الماضية .

انتفاضة العراق

كان يوم الإثنين ٢٧ ذى الحجة (١٤ يوليو) موعداً لاجتماع حلف بغداد في اسطنبول ، للنظر في مساعدة كميل شمعون الموالي للغرب ، والتنسيق بالشعب اللبناني الثائر على صنائع الاستعمار .

وبات ملك العراق ، وخاله عبد الإله ، ونوري السعيد وهم على أهبة السفر بالطائرة في ذلك الصباح إلى اسطنبول للاشتراك في ذلك الاجتماع . وكانت الترتيبات قد عملت ليشترك جيش العراق في إخماد ثورة اللبنانيين على عملاء الاستعمار من حكاهم . وبالفعل خرج إلى مطار اسطنبول كبار حكاهم تركيا وأعضاء البعثات

الأجانب ومضباط وجنود حرس الشرف بموسيقاهم ليستقبلوا ملك العراق ومن معه .

ولكن القومية العربية اتى تصبر ، ثم تثب وثباتها المفاجئة للتاريخ ، كانت في ساعة الفجر من ذلك اليوم في بغداد ، قد أعدت المفاجأة التي فاجأت بها الدنيا ، فصدرت الأوامر العسكرية من العقيد عبد الرحمن عارف (شقيق العقيد عبد السلام عارف) بتطويق قصر الرحاب قبل أن يفر الحوثة الذين كانوا فيه ، وتقدمت وحدات الجيش للعمل وعلى رأسها اللواء العشرون بقيادة الزعيم عبد الكريم قاسم وكان نوري السعيد قد أمر هذا اللواء بالذهاب إلى حدود الأردن لمصلحة الاستعمار ، واشترك

مع اللواء العشرين في الثورة اللواء التاسع عشر وكتيبة الهندسة ، وكتيبة الدبابات ، وكان العقيد عبد السلام عارف في قيادة إحدى فرق المدرعات التي طوقت القصر ، وذهب أخوه عبد الرحمن بنفسه للإشراف على تنفيذ الخطة المرسومة ، وكان أول عمل قاموا به بعد تطويق القصر قطع التيار الكهربائي والاتصال التليفوني ، واحتلوا دار الإذاعة ، ومناطق البترول ، ومطار البصرة ، وجميع المنشآت العسكرية ، والمؤسسات المدنية والمالية التي تحتاج إلى حماية وحاصروا القواعد الانجليزية بخطرة ستمت بإحكام ، فأصبحت القواعد الانجليزية عاجزة عن أي إجراء نحو الثورة .

الذى كان يعلق آماله فى خنق النهضة العربية على الأسرة الهاشمية التى أفسد الشيطان قلوب الأموات والأحياء من رجالها ونسائها ، ولا سيما صنعتها المجرم الأول نورى السعيد ، وقد استطاع نورى السعيد أن يمضى الليلة الأولى بعد الثورة محتبئاً فى حى الباب الشرقى إلى أن علت الثورة بالجهة التى هو فيها ، وفى أثناء البحث عنه بدا له أن يغير مخبأه فخرج فى ملابس امرأة تصحبه امرأة أخرى فلفتت حركتهما أنظار الناس ، وظن نورى السعيد أن امره افتضح فاستل مسدسه وجعل يطلقه بغير وعى ، فهاجمه جندى وصرعه برصاصه ، وبعد سقوطه تبين أنه نورى السعيد فحملت جثته إلى وزارة الدفاع ، وبعد تشريحها دفنت فى منطقة أبى غريب على بعد ٢٠ كيلو مترا من بغداد .

وفى اليوم نفسه قبض على فاضل الجمالى وهو متسكر فى زى أعرابى يحاول الخروج من العراق بطريق البادية ، فاعتقل توطئة لحاكمته مع أمثاله .

وكان أول مقررات الثورة العراقية فى صباح يومها الأول صدور مرسوم بإلغاء النظام الملكى فى العراق ، وإزالة شاراته وأسمائه عن الأوضاع والمرافق العسكرية والمدنية وغيرها .

وفى قصر الرحاب لما رأى فيصل القوات المسلحة وأدرك موقفه قرر الاستسلام ، فبادره خاله عبد الإله بلطمة شديدة على وجهه ليثنيه عن ذلك ، وتناول من حرسه مدفعاً رشاشاً وأخذ يطلقه على جنود الثورة ، فقتل جنديين ورئيس عشرة ، وكان من المصلحة أن يقبض عليه هو والملك وهما على قيد الحياة ، لكنه تعمد أن تسكون نهايته الموت لا الاعتقال ، فاضطر رجال الثورة إلى قتله ، وجر الشعب جثته فى الشوارع ، ثم صلب على باب وزارة الدفاع فى المكان الذى كان عبد الإله قد أمر أن يصلب فيه القائد المجاهد صلاح الدين الصباغ من قادة جيش العراق فى ثورة رشيد على السكيلا فى أثناء الحرب العالمية الثانية . أما الملك فيصل فوجدت جثته مطروحة فى أرض القصر وكان المظنون أن خاله قتله ، لكن لم يوجد فى جسمه أثر للرصاص ، وكان هو مريضاً بالربو ولعله مات متأثراً بالخوف والضعف . إن جبايرة الاستعمار فى الأرض لم تنفذ عبيد الكراسى من قضاء الله المبرم ، فويل لجبايرة الأرض من جبار السماوات .

إن أروع ما فى ثورة العراق قيامها على قوة الأخلاق ، فعجزت استعلامات الغرب وأذناؤه عن أن تشعر ببوار الثورة ، حتى فوجئت بصدمتها العنيفة التى أذهلت لندن وواشنطن وجميع أوكار الطغيان الاستعماري

يطلب الاحتلال للأردن

اجتمع حسين حفيد الملك عبد الله بكبار مستشاريه العسكريين والسياسيين يوم الأربعاء ١٦ يوليو ، وتم الاتفاق على الاستنجد ببريطانيا وأمريكا لتحتل بلاد الأردن ، فيحتفظ بالكرسي الذي تزلزل بثورة العراق ومصرع فيصل وعبد الله ونوري السعيد . وقد وجه حسين نداء لبريطانيا وأمريكا كانت نتيجته أن بادرت بريطانيا بإرسال قوة كبيرة من جنود المظلات إلى عمان ، كما كان من نتيجته تمهيد الطريق لإرسال قوات أمريكية إلى الأردن . وقد تأكد أن القوات البريطانية التي وصلت إلى عمان مرت فوق إسرائيل بموافقة الحكومة الإسرائيلية .

مهزلة حراسة ملك الأردن

وجه النائب العمالي ايمرز هيوز سؤالاً في البرلمان البريطاني إلى مكملان رئيس الوزارة: أليس من الأفضل لتأمين حراسة حسين ملك الأردن أن يقيم في بريطانيا في حماية البوايس الانجيزي ، بدلاً من إرسال قوات بريطانية إلى الأردن لحمايته هناك ؟ فأجابه رئيس الوزارة : أعتقد أن الملك حسين يشعر بأنه يجب ألا يغادر بلاده في الوقت الحاضر ، ولذلك فإني لا أفكر الآن في دعوته لزيارة بريطانيا . . .

ومرسوم بإعلان الجمهورية العراقية .

ومرسوم بتكوين (مجلس السيادة) ، واختيار الفريق الركن نجيب الربيعي رئيساً له .

وتولى رئاسة الوزارة في الجمهورية العراقية لأول مرة الزعيم الركن عبد الكريم قاسم ، الذي كان في قيادة اللواء العشرين عند تحطيم الأصنام التي أقامها الاستعمار لاستعباد العراق .

وبعد دقائق من إعلان الجمهورية العراقية قررت الجمهورية العربية المتحدة الاعتراف بها والتعاون معها ، ثم أعلنت رسمياً أنها «ستقوم بالتزاماتها كاملة تجاه جمهورية العراق وفقاً لميثاق الضمان الجماعي العربي ، وأن كل عدوان على جمهورية العراق يعتبر عدواناً على الجمهورية العربية المتحدة» . وهذا النص كتبه الرئيس جمال عبد الناصر بخطه وهو في المدمرة (الناصر) في بحر الادرياتيک وبعث به في برقية مفتوحة ليزداع من القاهرة .

إن الشعب العراقي عن بكرة أبيه كان يدا واحدة مع الجيش في تثبيت العهد الجديد والابتهاج به ، وعقد القلوب على حياته بالأرواح والدماء والعزائم ، وقد أثبتت انتفاضة العراق لكل مكابر في الأرض أن العروبة خرجت من القمم ، وستستأنف رسالتها في التاريخ .

لا توجد قوة

توقف قوة القومية العربية

قال زعيم حزب العمال البريطاني في خطاب ألقاه على مؤتمر شعبي كبير بمدينة درهام :
إننا نخدع أنفسنا إذا كنا نظن أن بريطانيا وأمريكا سوف تتمسكان من وقف قوة القومية العربية المتزايدة .

ولا يمكن لأحد أن ينكر أن هناك حركة ضخمة ضد حكم الملك حسين ، كذلك لا يمكننا أن نتذكر أن قواتنا أجبرت على الانسحاب من الأردن قبل سنتين بسبب الشعور الشعبي الجارف المعارض لتحالف الأردن مع بريطانيا ويخطئ كل الخطأ من يظن أن هذا الشعور قد تبخر

خطبة جمال عبد الناصر

في الذكرى السادسة للثورة

خطب الرئيس جمال عبد الناصر في مساء الثلاثاء ٥ المحرم (٢٢ يوليو) في ميدان الجمهورية بالقاهرة .

حضر من بغداد وفد برئاسة السيد مصطفى على وزير العدل للاشتراك في هذه الذكرى . وبلغ عدد الذين احتشدوا لسماع الخطبة أكثر من ٧٥٠ ألف مواطن .

قال الرئيس إن هذا العيد عيدان : عيد ذكرى ثورتنا ، وعيد قيام الثورة العراقية . لقد وقعنا الاتفاق مع العراق فوراً . ولم نكن في حاجة إلى ميعاد لتوقيعه ، فإنه كان موقعا بيننا منذ الأزل .

طالب الرئيس من دول الأرض الاعتراف بحياة الشرق الأوسط العربي ، وأنه لا بد من احترام إرادة الشعوب . وأن العالم وصل إلى حافة الحرب بسبب الشرق الأوسط ، ولكن الأزمة مفروضة على الشرق الأوسط من خارجه ، ولو تركت شعوب الشرق الأوسط لنفسها لما اختارت إلا السلام .
إننا نريد صداقة الجميع ، ولكننا لا نريد أن نجعل في بلادنا قواعد أجنبية تهدد غيرنا وتعرضنا للتهديد .

لقد عجزت مدافع الاستعمار عن حماية العملاء الذين لا يعيشون إلا في ظلالها ، ولكن مدافع الاستعمار لم تعد أقوى المدافع في الدنيا . إن كفاح شعب الأردن انعكس بسبب انحراف ملك الأردن وتنكره لشعبه ، ولكن كفاح الأردن سوف ينتصر ، لأن انحراف أي فرد لا يمكن أن يؤثر في كفاح شعب . إن حسيننا يواصل الآن في عمان الرسالة التي حملها جده عبد الله من قبله ، رسالة الخيانة في فلسطين ، وإن حسيننا هو سر جده ، والخيانة في الأردن ستنتهي وينتهي معها الاحتلال . وسوف ينهزم الاستعمار الأمريكي في لبنان ، ويلقي نفس المصير الذي سيلتأه الاستعمار البريطاني في الأردن ، إنه نفس مصير الاستعمار في العراق . لقد انتهى عهد العملاء ، وبدأت ثورة الأحرار من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي .

لماذا يخافون من القومية العربية ؟ هل

جمال وحرارة التحرر العربي

خطب خروشوف رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي في حفل أقامته سفارة جمهورية بولونيا بموسكو، فتحدث عن اجتماعه الأخير بالرئيس جمال عبدالناصر، وقال عنه : « إنه قائد حركة التحرر في العالم العربي وليس شيوعيا مثلي ، ومع ذلك التقينا فوراً وفهم كل منا حقيقة الآخر ، وجعنا العمل المشترك من أجل السلام . وقد اتفقنا على مواجهة مؤامرات الاستعمار بكل طاقنا ، وعلى منعهم من إشعال الحرب في الشرقي الأدنى والأوسط .

« إن الاستعمار لن يستطيع وقف حركة التحرر العربي . وإنني أرحب بجمهورية العراق وقادتها . ويجب سحب القوات الأمريكية والبريطانية من لبنان والأردن . ولن تستطيع الحراب الأجنبية أن تحول دون سقوط الحكام الذين يفقدون ثقة شعوبهم » .

وقال خروشوف يصف الزعيم الركن عبد الكريم قاسم : « إنه رجل شجاع ذو صفات رائعة ، لأنه لم يخف من الاستعماريين » وقال عن حسين حفيد عبد الله « إن مصيره سيكون مصير قيصر روسيا » .

وقال عن شمعون « إنه معلق في الفضاء ، لا يقف على أرض » .

أغلقتنا قنسة السويس بعد تأميم شركتها كما كانوا يخشون ؟ هل سيتمخ العراق بترويه بعد تحرره كما يتصورون ؟

لقد تركنا أعوان الاستعمار في العراق لشعب العراق ، لقد رد شعب العراق عليهم . باسمكم في هذا المكان ، باسم دمشق والقاهرة أرحب برجال بغداد الشقيقة العزيزة ، باسم الأمة العربية جميعاً أرحب بوفد جمهورية العراق . إننا نعتد أولاً وأخيراً على الله ، وعلى قوة الشعب التي نعتبرها من قوة الله .

إن العالم اليوم أصبح إما أن يتجه إلى سلام ، أو أن يتجه إلى حرب . إما أن يتجه إلى بقاء ، أو أن يتجه إلى فناء . نحن نبذل كل جهدنا من أجل السلام ومن أجل البقاء . وفي نفس الوقت نحمل السلاح جميعاً من أجل المحافظة على كيانتنا ، ومن أجل صد أي عدوان على أي جزء من الوطن العربي .

نحن في هذا تؤمن بالله ، ونؤمن بالوطن ، ونؤمن بأنفسنا ونؤمن بكفاحنا . وبعون الله سترفع دائماً أعلام النصر على كل جزء من أجزاء وطننا كما ارتفعت قبل ذلك في القاهرة ، وكما ارتفعت في دمشق ، وكما ارتفعت في بغداد . والله يوفقكم . والسلام عليكم ؟

الفهرس

صفحة	للموضوع	بـ
١	في عامنا الجديد	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٢	صاحب ذكرى الهجرة	» » » » »
١٢	العام الهجري	» عبد الرحمن عيسى مدير المجلة . .
٢٠	نفحات القرآن : موقف الحق من الباطل - ٦١ -	» عبداللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
٢٤	الهجرة الميمونة	» عبد الله مصطفى المراغي
٢٨	نحن والصيف	» أحمد الشرباصي المدرس بالأزهر . .
٣٣	الاسلام والطب الحديث	» أبو الوفا المراغي
٣٦	حصولنا مهددة من داخلها » في جامعة الدول	الدكتور محمد محمد حسين أستاذ الأدب
	العربية « - ٤ -	العربي الحديث بجامعة الاسكندرية
٤٤	صلوات مصر الثقافية ببلاد آسيا وغيرها . .	الأستاذ محمد حسن درويش شيخ معهد
		البحرث الاسلامية
٤٨	حرية الفكر كما قررها الاسلام	» يس سويلم طه الفتش بالأزهر . .
٥٥	نقد كتاب « أضواء على السنة المحمدية »	الأستاذ محمد محمد أبو شعبة الأستاذ بكلية أصول الدين
٦٠	زين العابدين « على بن الحسين »	» محمود النواوي
٦٦	حنين - « قصيدة »	» محمود طيرة رئيس بثرة الأزهر
		بالصومال
٦٧	الاسلام في غانا	» عطية صقر للمدير الصحفي لمكتب
		شيخ الجامع الأزهر
٧٢	آمالنا متواضعة هل تتحقق خلال العام الجديد ؟	» فتحي عثمان
٧٧	على الجوانب في تقدير الشريعة الاسلامية . .	» عباس طه الحامى
٨١	سنة من ذهاب الدنيا أبو هريرة حافظ الصحابة	» أحمد محمد شاكر
٨٨	الفرحان بن	» محمد على النجار
٩٢	أطلقات	» عبداللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
٩٤	كلمة بمناسبة الذكرى العاشرة لاغتصاب فلسطين	فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر
٩٦	ضيف الأزهر
٩٨	في عيد الأضحى المبارك
١٠١	الأدب والعلوم
١٠٣	العالم الاسلامي

مَدِيرُ الْمَجْلَةِ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَيْشِي

الْعُنْوَانُ
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مَجْلَةُ الْأَزْهَرِ

مَجْلَةُ شَهْرِيَّةٍ بِجَامِعَةِ
تصدر عن شيخ الأزهر عيسى في أول كل شهر عربي

مَدِيرُ التَّحْقِيرِ
مُحَمَّدُ الدِّينُ الْخَطِيبُ

الْأَشْرَافُ السِّنَوِيُّ

٤٠٠	في واري النيل
٤٠٠	للطبعة واري النيل
٣٠٠	للعمارة والمدرسين بالواي
٥٠٠	خارج الواي
٣٠٠	للطبعة خارج الواي
٤٠٠	للعمارة والمدرسين خارج الواي

الجزء الثاني - القاهرة : صفر سنة ١٣٧٨ - أغسطس (آب) سنة ١٩٥٨ - المجلد الثلاثون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أعظم أكذوبة في التاريخ

هي الأكذوبة التي صدقناها ، واستقرت في أذهاننا من عشرات السنين ، وتجهتد جامعاتنا ومدارسنا وصحافتنا وثقافتنا في تثبيتها وتقريرها ، وكنت أنا حين ضاياها لما كنت في دراستي الابتدائية قبل نحو ستين عاما . . .

هذه الأكذوبة ، هي أن حضارة الغرب امتازت بالتسامح والعدل والحيادية ، وأن الغربيين لا ينظرون على حقد أو ضغينة للذين يخالفونهم في العقائد والمعتقدات وأساليب الحياة في المجتمع . . .

هذه الأكذوبة ، هي أن حضارة الغرب ، وسياسة الغرب ، ونظام الغرب الذي يريده للجمتمع الإنساني ، يتسع لجميع الناس ، ولا ينطوى على البغضاء للذين يريدون أن يكون لهم طريق في الحياة غير طريقه ، أو اقتناع في حقائق الأشياء غير اقتناعه ، أو أسلوب في الحيات السلى والتعايش الإنساني غير الأسلوب الأناني الذي يريد الغرب أن يفرضه على الأمم بأساليبه المعهودة من الإيحاء والتوجيه والإملاء والإيجاب . حتى لو كان من البهديات

المكشوفة أن هذا الإيحاء والتوجيه والإملاء والإيجاب لا يحقق إلا مصالح الغرب وأهدافه ، وحتى لو كان يخالف مصالح الذين يريد الغرب أن يملئ عليهم إرادته ويفرضها فرضا . . .

لما قامت الثورة العربية في مصر قبل ست سنوات كانت عنوان الكمال فيما توخته من الحق والخير ، وفيما التزمته من الإحسان والإصلاح ، وما أخذت به من مناهج التعمير وأسباب التقدم . وقد رأى العالم كيف مدت ثورتها يدها إلى جميع الأمم والدول بالتعاون على ما فيه المصالح المشتركة ، والمنافع المتبادلة . وكيف اعترفت بحق الاستمتاع المشروع لكل من اعترف لها بمثله . وقد كنت أنا - كإنسان في هذا المجتمع الإنساني - أراقب موقف الغرب من هذه الثورة العربية ، وأرى من الحق لها على أعم الحضارة أن تستقبل أحداث مصر ولو بمثل ما استقبلت به أوروبا وأمريكا الأحداث التي وقعت في تركيا عند قيام الكياليين . . . ولكن شتان ما بين الموقفين . . . موقف الغرب من ثورة الكياليين في تركيا ، وموقفه من ثورة العرب في مصر وشقيقاتها . . .

أنا لا أبني أحكامي على تصرفات الساسة وأقطاب الدول ورجال الحكومات ، بل أوسع دائرة هذا الحكم حتى تشمل قادة الفكر وأعلام العلم وأساتذة الجامعات ومؤلفي الكتب الممتازة التي لا تسكاد تخرج من المطابع حتى تترجم بمختلف اللغات . هؤلاء الذين يتبجح المتبجحون منا بزعيمونا لنا - منذ كنت أنا في المدرسة الابتدائية قبل ستين سنة - بأنهم امتازوا بالتسامح الديني والجنسي ، وأنهم لا ينطوون على حقد أو ضغينة للذين يخالفونهم في العقائد والمذاهب وأساليب الحياة في المجتمع الإنساني . . .

إن الذي يتفرغ للمقارنة بين موقف قادة الفكر الغربي من ثورة الكياليين في تركيا بالأمس ، وموقفهم من ثورة العرب في أوطانهم الآن ، لا يلبث أن يجد نفسه أمام حقائق محزنة ، أقل ما يقال فيها : إن ما كان - ولا يزال - يزعمه لنا صنائع الغرب من القائمين على جامعاتنا ومدارسنا وصحافتنا وثقافتنا ، ليوهمونا أن حضارة الغرب وثقافة الغرب امتازت بالتسامح الديني والجنسي ، وأن الغربيين لا ينطوون على حقد أو ضغينة للذين يخالفونهم في العقائد والمذاهب وأساليب الحياة في المجتمع ، أقل ما يقال في هذه المزاعم إنها أعظم أكذوبة في التاريخ .

نحن الآن - ويا للأسف - في حرب مذهبية مع الغرب !

هذه حقيقة لا يكابر فيها إلا غافل أو صاحب غرض .

إن صحف الغرب نفسها ، تغلت منها بين الحين والحين ، كلمات صريحة بالحرب المذهبية التي أعلنها الغرب على الشرق العربي . وفي مقالة والتر ليبمان التي علق بها في صحيفة « نيويورك هيرالد تريبيون » على خطبة أيزنهاور يوم الثلاثاء ١٥ يوليو الماضي ، ولخصتها الأهرام يوم ٢٩/٧/٥٨ في باب « العالم يفكر » ، اعتراف بأن أمريكا تحارب القومية العربية وجمال عبد الناصر « حرباً مذهبية » ، ثم قال الكاتب الأمريكي عن موقف أمريكا في لبنان : إن معنى هذا الوضع أن نظل في معركة من « معارك الحرب المذهبية » مع القومية العربية إلى مالا نهاية ، فالواجب يقضى بإجراء مفاوضات لتسوية المشكلة على أساس الاعتراف بأن كلا من روسيا والجمهورية العربية المتحدة من الدول التي تقضى (المصلحة) بالتفاهم معها ...

هكذا تقول جريدة نيويورك هيرالد تريبيون ، وهي تدعو إلى هذا الاعتراف والتفاهم باعتبار أنه من (مصلحة) أمريكا ، لا باعتبار أن الإصرار على موقفها العدائي عار وفضيحة ، ولا باعتبار أن أمريكا غارقة إلى آذانها في « معارك الحرب المذهبية » مع القومية العربية التي تحاول أن تجد كيائها وتستأنف حياتها في خدمة الإنسانية .

الإصلاح والتعمير والتقدم الذي تم على يد الثورة العربية في مصر - في كل سنة من السنوات الست الماضية - يرجع على كل ما صنعه مصطفى كمال وخلفاؤه وتلاميذهم في أكثر من ثلاثين سنة . ومع ذلك فإن قادة الفكر في الغرب استقبلوا هذا العمل التافه في تركيا بالثناء والتشجيع والابتهاج ... فلما قام العرب بثورتهم المجيدة ، التي هي معجزة من معجزات تاريخ العروبة والإسلام ، وقف منها الغرب هذا الموقف المخزي الذي اتسم أولاً بالهجوم والانتقاض والتشاؤم ، وسرعان ما تحول بعد ذلك إلى مكائد ومؤامرات وفسائس والأعيب صيدانية يتقف التاريخ منها الآن موقف الهازي الساخر .

وإنما كان عمل السكاليين في تركيا تافهاً لأنه تناول بالهدم ما كان ينبغي له أن يتناوله بالتنمية والإنعاش والإحياء ، وأهمل ما كان ينبغي أن يتفرغ له من النهوض بالصناعة

والعمران . وإن الأسواق التركية لا تزال عالة حتى على مصنوعات إسرائيل التي تطاردها نحن عن آفاق الشرق العربي ، ونواصل الليل بالنهار لإقامة مصانع في ربوعنا تتفوق عليها وعلى ما هو أعظم منها . ومع ذلك فإن عمل تركيا الهزيل في أكثر من ثلاثين سنة لا يزال موضع الثناء والابتهاج من الغرب ، وخطوات العرب الجبارة في ست سنوات نحو الحضارة والتقدم والعمران لا تزال عرضة لسكيد الغرب ومعاركه في « الحرب المذهبية » ، على ما اعترف به الصحفي الأمريكي والتر ليبمان في « نيويورك هيرالد تريبيون » .

لقد تساءل الرئيس جمال عبد الناصر في خطبته الكبرى التي ألقاها على سبعمائة وخمسين ألف مواطن في ميدان الجمهورية بالقاهرة مساء ٥ المحرم لمناسبة الذكرى السادسة للثورة فتمال :

- لماذا يخافون من القومية العربية ؟

هل أغلقنا قناة السويس بعد تأميم شركتها كما كانوا يخشون ؟

هل سيمنع العراق بتروله بعد تحرره كما يتصورون ؟

لا ، أيها الرئيس . إنهم لا يخشون أن نسد قناة السويس في وجوههم ؛ لأنهم يعلمون أن من مصلحتنا ومصلحة الإنسانية أن تبقى قناة السويس مفتوحة لكل من يريد الخير لنفسه وللناس . وإنهم لا يتصورون أن العراق سيمنع بتروله عنهم بعد تحرره ؛ لأن بترول العراق من محصولات العراق ، وكل أمة تنشئ لمحصولاتها المشتري المنصف . إنهم لا يخشون هذا ، ولا يتصورون ذلك ، لكنهم متعصبون تعصبا ذميا ، ولا يسهرون أن يستأنف العرب رسالتهم القدسية لينهضوا بها وتنهض بها الإنسانية معهم ، فهم يحاربوننا حربا مذهبية كما قال ذلك المفكر الأمريكي تعليقا على خطبة أيزنهاور يوم ١٥ يوليو ، ومن أقيح الغش والخداع ، ومن أعظم الكذب في الدنيا ، ما يثبته فينا بعض المدرسين والصحفيين منذ ستين سنة إلى الآن من أن حضارة الغرب امتازت بالتسامح الديني والجذبي ، وأن الغربيين لا ينطوون على حقد أو ضغينة للذين يخالفونهم في العقائد والمذاهب وأساليب الحياة في المجتمع .

ولما بدأ أذكاء الشرق العربي يقتنعون بحقارة هذه الأكاذوبة بالنسبة إلى أوروبا ، ولا سيما دولها الاستعمارية ، انطلقت ألسنة المبشرين بالتفرنج من رجالنا تزعم للناس ، كما تزعم لطلبة الجامعات وتلاميذ المدارس وقراء الصحف ، بأن أمريكا غير استعمارية ، وأنها طاهرة

الذيل من الإساءة إلى شعوب الأرض ، وأن رئيسها « مونرو » سن لها قاعدة الاكتفاء الذاتي « أمريكا للأمريكيين » ، فهي لا تمكن أحدا من بلادها ، ولا تتعرض لبلاد أحد !

لقد راجت هذه الأكذوبة في بلاد الشرق العربي ، وصدقها الناس في الشام عقب خديعة مبادئ ولسون في حق الأمم بأن تقرر مصيرها ، فرأى الناس هناك أن يدروا مصيبة الانتداب من فرنسا وإنجلترا بقبول أهون الشرين وهو انتداب أمريكا ، وزارهم في دمشق مستر كراين أحد شيوخ أمريكا ، فازداد انخداعهم ببلاد العم سام التي استعبدوا اليهود واتخذوها أداة لأهوائهم يستعملونها كيف شاءوا . فلما افترضت أمريكا بعبوديتها لليهود ، انكشف الغطاء عن عيون العرب أجمعين ، ونزلت أمريكا في المنزل التي ارتضتها لنفسها ، وقديما قال أسلافنا : « المرء حيث يضع نفسه » .

أنا من مخضرمي أمتي ، رصدت نفسي لأن أكون شاهد عيان لكل ما يمس حيويتها بخير أو شر منذ أكثر من نصف قرن ، وقد شهدت بعيني كيف كانت أمريكا مرتفعة إلى الأوج في نظر أمتي عقب الحرب العالمية الأولى ، وأنا أشهد الآن كيف انحدرت أمريكا إلى الخضيض لا في أنظار العرب وحدهم بل في نظر الحقيقة أيضا ، فهي على كبرها وغناها صارت أقل حرمة عند الناس من الدولة البلقانية التي كانت تسمى دولة الجبل الأسود ، وعلى نفسها جنت براقش !

إن الغرب لا يخشى من الشرق العربي أن يسد في وجهه قناة السويس ، ولا أن يمنع عنه بترول العراق ، ولكنه يريد من الشرق العربي أن يتنكر لمعنوياته كما تنكرت تركيا لمعنوياتها فيشجعه على ذلك كما شجعها ، ليكون الشرق العربي بهذا التنكر قدوة لسائر أمم الشرق ، أعني الشرق الإسلامي . أما أن يكون وفيأ لمعنوياته كما يلوح للغرب مما كان ويكون في الشرق العربي ، وأن ينهض بصناعاته فيستغنى بها يوما بعد يوم عن مصنوعات الغرب وريبتة إسرائيل ، فذلك ما يتشأم منه الغرب ، و يقيم للعرب العقبات في سبيله ، ويخشى أن تسرى عدوى الخير إلى سائر الأوطان العربية والإسلامية . وما كنا لنستنكر هذا الموقف من سياسة الغرب وأقطاب دوله لو اقتصر عليهم ، حتى لو بلغ في أساليبه العصرية أساليب الحروب الصليبية ، كما وقع منذ عهد قريب في مأساة البغي على منطقتي القناة والعريش ، وكما نشاهد الآن من المسرحيات العسكرية في لبنان والأردن ، وما يتبع في إمارة عمان وجنوب اليمن ومنطقة البريمي ، فضلا عن مجزرة الجزائر ، بعد مهزلة المهازيل بإقامة دولة إسرائيل في قلب الوطن العربي وصميمه .

هذا الكيد المذهبي من ساسة الغرب وأقطاب دوله لم يقتصصر عليهم بل اشترك في مسئولية هذه الجرائم الإنسانية أمام الله والتاريخ الجهور الأعظم من قادة الفكر الغربيين الذين يخادعوننا دعاة منا ليوهمونا بأن أساتذهم في واشنطن ولندن وباريس وروما وسائر مدن الغرب وجامعاته وجماعته بريئون من هذه الوصمة ، وأنهم ممتازون بالتسامح الديني والجنسي ، وأنهم لا ينطوون على حقد أو ضغينة للذين يخالفونهم في العقائد والمذاهب وأساليب الحياة في المجتمع . هذه الأكاذوبه الكبرى قد برهن على بطلانها الجهور الأعظم من أعلام العلم والثقافة وقادة الفكر في الغرب ، منذ استقبلوا نهضة العروبة باللوم والضعينة والحقد ، وهم يرونها بأعينهم نهضة صادقة خيرة ، تطوى المراحل - بل المفاوز - نحو أهدافها الإنسانية بأسرع مما وقع للغرب في بدء نهضته . وبعكس ذلك استقبلوا الانقلاب السكالي قبل ثلاثين سنة بالرقص والتبريج ظانين أن الترك إذا تنكروا للإسلام واصطبغوا بصبغة أسيادهم المستعمرين ، فإن الإسلام لا يلبث أن ينهزم في كل أفق ، ويحول من الأرض ، والله غالب على أمره ، ولسلك نبأ مستقر ، ولسوف يعلون .

ألا فليعلم صنائع الغرب ودعاته في جامعاتنا ومدارسنا وصحافتنا وثقافتنا أن من رسالة الثورة العربية القائمة الآن إحياء تراثها وثقافتها ومقوماتها ، وأن من يقف في طريق هذا البعث سيحرقه تياره ، وأن خطر الاستعمار الثقافي الغربي لا يقل - في نظر الثورة العربية - عن خطر الاستعمار العسكري والسياسي والاقتصادي ، فالاستعمار يمشي على هذه العجلات الأربع وهو كل لا يتجزأ ، بل خطر الاستعمار الثقافي أشد وأعظم ضررا من خطر الاستعمار العسكري والسياسي والاقتصادي ، وداعية الاستعمار الثقافي الأجنبي في الأوطان العربية أعظم خيانة من دعاة الاستعمار الآخرين مهما اختلفت الألوان التي يظهرون بها للناس .

في سنة ١٣٥٠ (١٩٣١) وقف حكيم مسلي القارة الهندية محمد إقبال في مدينة القدس - رد الله غربتها - فألقى خطبة على أعضاء المؤتمر الإسلامي المنعقد فيها يومئذ ، وقال :

« إن الإسلام مهدد بخطرين مصدرهما الغرب : أولهما الإلحاد ، وثانيها الاستعمار . وإن مستقبل الإسلام رهن بمستقبل العرب ، ومستقبل العرب رهن بوحدة العرب . فإذا تمت وحدة العرب علا شأن المسلمين في كل أنحاء الأرض » .

إن هذا الكلام كان إلهاما من الله . وقد نادى به محمد إقبال يوم كان الاستعمار جاثما على

صدر بلاده بجميع أثقاله ، ويوم كانت أسلحة الإنجليز تقعقع في وادى النيل من ينابيعه إلى مصبه . وما قاله محمد إقبال عن العرب لم يكن فيه موضع تهمة ، ولا نطق به عن عصية ، ولكنها الحقيقة التي سجلها التاريخ في صدر الإسلام للمرة الأولى ، والتاريخ يعيد نفسه . وهذا ما يتشام منه الذين يحاربوننا حربا مذهبية من أقطاب الغرب وساسته الذين ما منهم إلا من كان مديرا لجامعة من جامعات الغرب ، أو أستاذا من أساتذتها ، ولا أزال أبدي وأعيد بأن أعلام الجامعات الغربية وعلماءها - كساسة الغرب وأقطابه - في محاربتنا الحرب المذهبية . وقد روى سماحة الحاج أمين الحسيني في مجلة الأزهر (ص ٦٠٦ م ٢٧ - جزء جمادى الآخرة سنة ١٣٧٥) عن شخصية دبلوماسية غير عربية أن في جامعة أكسفورد كرسيا خاصا لدراسة الوسائل المؤدية إلى هدم الإسلام ، وأن هذا الكرسي أسس في تلك الجامعة منذ عشرات السنين ، ولا يزال . وفي اعتقادي أنا ، أن في كل جامعة غربية من أوروبا إلى أمريكا مثل هذا الكرسي أو ما يقوم مقامه . وإن الروح التي تصدر عن تلك الكراسي هي التي يتممها دعاة التفرنج والإلحاد في جامعاتنا ومدارسنا وصحافتنا وثقافتنا ، والله كفيل بالأخذ على أيديهم ، بيقظة رجال الثورة الذين قضوا على الاستعمار بعجلاته الثلاث - العسكرية والسياسية والاقتصادية - فلم يبق في بلادنا للاستعمار غير عجلاته الرابعة هذه ، وهي أعجز من أن تجرى وحدها إن شاء الله .

ومما يبشر بالخير أن وزير التربية والتعليم في الجمهورية العربية المتحدة شعر بمواطن الضعف في أداة التربية والتعليم عندنا ، فقال قبل أكثر من سنتين : « إن التعليم في مصر موصل ردى لروح الثورة » (انظر افتتاحية مجلة الأزهر في جزء جمادى الآخرة ١٣٧٥) .

على أن استعمار الغرب الثقافي الذي يبشر به بعض رجالنا آيل - مع أصله - إلى الزوال بحول الله وقوته . يقول « ول ديورانت » في مقدمة (قصة الحضارة) :

« إن السيادة الغربية تزع الآن نحو الانهيار . وإن من أعظم أخطاء الغرب (تجاهله) فضل الشرق ، واندفاعه بالتعصب الإقليمي إلى غمط الشرق في فضائله وحيويته وانتعاشه . ثم ضرب « ول ديورانت » المثل لتعصب الغرب المذهبي - أو الإقليمي - بإصراره على كتابته التقليدية للتاريخ بأنه يبدأ قصة الحضارة من اليونان ، ويكتفى بالحديث عن آسيا كلها في سطر واحد !

ومن الأمثلة كذلك على تعصب الغرب المذهبي ما أعلنه الأستاذ بيرن في (المؤتمر الدولي للعلوم التاريخية) الذى انعقد بمدينة أوصلو من بلاد الزوج في شهر أغسطس سنة ١٩٢٨ وهو يتكلم عن « الفتوحات الإسلامية وبداية العصور الوسطى » فكرر دعوته - التى أعلنها في المؤتمر الدولي الخامس - إلى اعتبار ظهور الإسلام هو خاتمة العصور القديمة وبداية إيقاظ الإنسانية في أول عصورها المتوسطة ، لأن احتكاك الغرب بالإسلام هو الحد الفاصل بين شطرى التاريخ القديم والمتوسط ، وحيث بدأت أوروبا الغربية تكون مدنية جديدة و حياة جديدة يجب معها اعتبار هذا الحادث - أى حادث ظهور الإسلام - هو نهاية القرون الأولى وظهور عصر جديد . وبما لا نشك فيه أن أعضاء المؤتمر الدولي للعلوم التاريخية كانوا يتغامزون ببلاهة الأستاذ بيرن وغفلته عن الحرب المذهبية بين الشرق والغرب التى كان ينبغى له - لو كان منتبها لها - أن لا يتقف هذا الموقف العلى النبيل من حادثة ظهور الإسلام ...

وعالم آخر من كرام العلماء في الغرب ، وهو الأستاذ دوبرى ، كان له موقف مماثل في ذلك المؤتمر ، فعده زملاؤه فيما بينهم جاهلا بتماليد العلم الغربى في حربه المذهبية على الشرق ، وذلك أن الأستاذ دوبرى تكلم عن « نشأة الاستكشافات الجغرافية والأسباب الباعثة عليها » فأعلن أن احتكاك الصليبيين بالمسلمين واستيلاء المسلمين على مفااتيح التجارة الشرقية هما السبب المباشر لبداية عصر الاستكشاف الذى يعتبر بداية العصر الحديث . فقول كلامه هذا من زملائه بالوجوم والإعراض ...

ولولا أن روح الحرب المذهبية هى المستولية على كيان العلم الغربى لكان لعلماء الغرب شأن آخر في الاعتراف للشرق العربى والإسلامى بماله من سوابق الاكتشافات العلمية بتفصيل أو سح مما يضطرون إلى الاعتراف به مرغمين ، عند ما لا يكون لهم مناص من هذا الاعتراف . وقد كان في الدولة العثمانية - عندما كنت أنا في سن الطلب أستاذ كبير للكيمياء من نصارى العرب السوريين اسمه « واسيل نغوم » له في الكيمياء كتاب باللغة التركية في مجلدين كبيرين متمرر تدريسه في كليات الطب والمدارس الثانوية ، ومن مزية هذا الكتاب وإنصاف مؤلفه أنه كلما بلغ إلى قضية من قضايا الكيمياء يكون فيها للعرب والمسلمين سابقة فضل يبادر إلى تسجيلها وإعلانها ، فيعتز الطلبة بذلك ويؤمنون بأن لأمتهم سلفا في تقدم العلم ، ويشجعهم

ذلك على أن يكونوا خلفا لذلك السلف . وحبذا لو يكثر في أساتذة جامعاتنا ومدارسنا من تكون لهم هذه الروح التي امتاز بها هذا النصراني العربي الكريم وسيل نعو .

وبعد فقد طال هذا المقال أكثر مما كنت أقدر له ، فأختمه بكلمة لمجلة (لايف) الأمريكية الصادرة في مايو سنة ١٩٥٥ ، وهي :

« إن الإسلام أكثر من مجرد دين رسمي ؛ إنه مذهب في الحياة ، إنه فلسفة ، إنه قوة دافعة لا مثيل لها في العالم الغربي » .

ومما يؤسف له أن الغرب - حتى الآن - لا يريد أن يكون الإسلام أكثر من مجرد دين رسمي ، ولا يريد أن يكون مذهباً في الحياة ، ويخشى الغرب كثيراً أن يكون الإسلام قوة دافعة لا مثيل لها في العالم الغربي ، وهذا هو السر في الموقف المتعارض الذي وقفه الغرب من ثورة السكاليين في تركيا ، وثورة العرب في مصر وشقيقاتها .

إنها الحرب المذهبية كما يسميها والتر ليبمان ، أو التعصب الإقليمي كما يسميه ول ديورانت ، وهي تقيصة لا تلبث أن تنحدر بأعجائها إلى الهاوية ، وأن ترفع من شأن الذين تقاتلهم ظلماً ، فيأخذ الله بأيدي المظلومين ، ويمحق الظالمين ، أو يشوبوا إلى رشدهم ويسيروا مع الحق والخير إلى نهاية الشوط ، فالدنيا تتسع لهم وللناس أجمعين . **محج الدين الخطيب**

أمريكا أمس واليوم

من أعجب ما تتوارد عليه الخواطر أننا بعد كتابة هذا المقال تلقينا من عين أعيان الحجاز الشيخ محمد نصيف رسالة يذكر فيها انخداع البلاد العربية بعد الحرب العالمية الأولى بالولايات المتحدة الأمريكية ، ومبادئ رئيسها يومئذ ولسون ، وزيارات مستر كراين للبلاد العربية ورجوعه منها حاملاً ثقة العرب بأنصاف الشعب الأمريكي . وكيف تنكرت أمريكا بعد ذلك لتلك المبادئ وتركت الشرق تحت رحمة بني عمومها المستعمرين عن تواطؤ منها معهم ، إلى أن تردت في الهوة التي بلغتها الآن . واقترح علينا الشيخ محمد نصيف الكتابة في هذا الموضوع . والعجيب أنه في الوقت الذي كان يكتب فيه رسالته إلينا كنا نكتب هذا المقال تحت تأثير الموقف الذي اختارته أمريكا لنفسها ، واستحقت به مقت الناس جميعاً .

نفحات القرآن

- ٦٢ -

الخير من جانب الله وهو يدعو إليه
والشر من جانب الإنسان وهو متهافت عليه

« قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها ،
وما أنا عليكم بحفيظ . »

يدرك العقل في غير جهد أن الله وحده ذو الفضل على عباده .

وأن الإسلام كان نعمة سابغة من عنده ، أفسح بها للناس مجال الخير بدءاً ونهاية ، فلم يعكف بهم على الجانب الروحي وحده حتى يحبسوا أنفسهم على رهبنة .

ولم يتركهم لجاذبية المال تستحوذ عليهم حتى يذلوا للبال ، ويعيشوا غلاة في الاستثمار ، والجمع ، ويفقدوا الكثير من مقومات الإنسان .

ولم يدفع بهم دفعاً مطلقاً إلى جانب القوة الآلية في العتاد الحربي حتى يكونوا جبابرة عتاة ، وحكاماً غاشمين يفسدون في الأرض أكثر مما يصلحون .

وإنما اختار الإسلام لأهله أن يكونوا أهل دين معتدل ، وأهل مادة غير جشعة ، وأهل قوة رهيبة ورحيمة .

وبذلك يكون الإنسان روحانياً ومالياً ، وشجاعاً قوياً في حدود الاعتدال من هذا كله .

وهذه الخصائص كانت جلية فيمن تلقوا دعوة الإسلام أولاً ، وابتسمت عنهم الدنيا وفي أيديهم راية القرآن يلوحون بها للعالم كله أن يستجيب لدعوة الله على لسان عبده محمد صلوات الله عليه .

وإذ كانت هذه الدعوة جهيرة ، واضحة المعالم والأهداف ، لم يعد للناس عذر عن

تخلفهم ، ولا وجه في ترددهم ، فضلا عن شتمهم ، وتعنتهم وصار واضحاً من حق الله على عباده أن يمتن عليهم بما أبدى لهم من أساليب الهداية ، وإن لم يكونوا مهتدين جميعاً . وفي كل امرئ من الناس عقل ، وله اختيار ، وحينئذ يكون اهتداؤه وبحاله ولا يعدوه ، ويكون عصيانه خسارة عليه دون سواه .

وفي هذا المقام يهتف النبي محمد بقوله عز شأنه : « قد جاءكم بصائر من ربكم » ، والبصائر جمع بصيرة ، وهى نور فى القلب يدرك به المؤمن ما ينقصه من خير ، ويكتشف به ما لم يكن يعلمه ، والمراد بالبصائر هنا الآيات القرآنية لما فيها من دلالات على الصواب ، فهى أسباب الهداية كما أن العين سبب الإبصار النظرى ، والقرآن يثير وعى الناس إلى ما توافر لهم من أسباب الهداية فى كلام الله وفى آياته السكونية ، حتى يدركون لدينهم ودنياهم ولأفرادهم ومجتمعهم كل ما يستطيعون تحصيله من نجاح فى هذه الجوانب كلها ، لا فى ناحية دون ناحية .

والصرح بأن هذه البصائر جاءتنا من عند ربنا يفيد - أولاً - أنها لم تسكن ثم كانت ، ويفيد أنها ذات شأن كبير خطير ، لأنها نعمة من نعم الإله المتكفل بترية خلقه ، وشمولهم بكل ما تقتضيه ربوبيته لهم .

ومتضى هذا التذكير أن يستجيب العقل لدعوة الطاعة وأن يستقيم فى الاختيار لما هو أكرم ، وأنفع وأبقى .

وليس بعد هذا الإرشاد والتوجيه مطمع لمن أراد الإرشاد والتوجيه . . . فإذا لم يكن وعى ، ولا حسن اختيار وتبصر فلم يبق إلا الانحراف والخثران وهذا ظلم المرء لنفسه ، وجنائه على مجتمعه .

لذلك امتزج السياق التوجيهى بوعد كريم - فمن أبصر فلنفسه - وامتزج بوعد رهيب - ومن عمى فعليها - .

يعنى من تبصر بالآيات فقد أحرز عملاً طيباً لا يضيع هدراً ، ولا تعدوه ثمرة ، ومن عمى قلبه ولم تفتن بصيرته ، فإنه يتخبط فى مسلكه ويضل سعيه ، ويكون وبالاً عليه وحده وربك لا يظلم أحداً .

وليس لأحد على الله حجة بعد البيان والهدى ، وبعد الوعد والوعيد . . وكان من تمام النصح أن يصارحهم النبي صلوات الله وسلامه عليه - بأن وظيفته فيهم التبليغ فقط ، وأنه

لا يتكامل بهم ، بل يكملهم إلى ربهم يحصى عليهم أعمالهم ، ويتولى جزاءهم ، وليس بينهم وبين الله وسيط يعفيهم من سلطانه وهذا قول النبي لهم : « وما أنا عليكم بحفيظ » . ثم تنتقل بنا الآيات إلى توجيهين آخرين :

أحدهما : في قول الله لرسوله - اتبع ما أوحى إليك من ربك ، لا إله إلا هو ، وأعرض عن المشركين - ففي هذا مؤازرة للرسول في نهوضه بالدعوة دون اكتراث بالمعاندين ، ولا تأثر بما يكون منهم ، بل يكون إيجابياً معهم ، يعطيهم من نصحه ويفيدهم بهديه ، ولا يجاريهم في سلبيتهم ، بل يعرض عن سفههم ، وليس منوطاً بعد بحفظهم ، ولا موكلاً بتدبيرهم ، وتعهدهم أحوالهم ... وكذلك الشأن في كل ذي دعوة ناصحة من أمة محمد - عليه الصلاة والسلام - يقتدى بنبيه ، ويكون عائداً بحول الله وقوته ، صابراً على مناهضة الخصوم ، ومثابراً على ما هو بسيله .

التوجيه الثاني : في الآيات - وهو التوكيد لما تقدم - منع النبي والمسلمين جميعاً من الكفرار وما يعبدونه ، حتى لا يكون هذا استفزازاً لخصومهم أن يسبوا الله أو رسوله - ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله ، فیسبوا الله عدواً بغير علم - .

ويتبين من خلال هذا التوجيه أن القائم بالدعوة الإصلاحية جدير به أن يتسامى عن المهاترة ، ويرفع عن الإسفاف ليكون مسلكه تطبيقاً لدعوته ، وأمانة على صلاحيته لها ، لا أن تكون دعوته في ناحية ومسلكه في ناحية ؟ !

فإن اصطناع الدعوة مع الانحراف عن طابعها أسوأ ما يكون هداماً للشخصية وتنفيراً من الثقة ، وضياءاً للجهود .

وهذا ما نشهده بالتجربة في كثير من الادعاء الذين يتخذون الدعوة - وخاصة الدعوة الدينية - وسيلة إلى المنفعة الشخصية ، ويحتالون على الناس بالتظاهر بسيا الصالحين الصادقين ، حتى تكشفهم الظروف فتكون جريمتهم قاضية على ثقة الناس في دعوات الداعين الآخرين ، ولو كان هؤلاء من المثالية بمكان .

ومن ذلك التوجيه نفهم حكمة الله في عصمة الأنبياء من الكذب ، ومن الحياة ومن المعصية كيفما كان نوعها ! ! لأنهم مبعوثون من جانب الله برسالاته إلى خلقاته ، فهم في المرتبة الأولى من الكمال الإنساني ، والبراءة من كل شائبة تخدش سيرتهم .

وكيف تكون الدعوة مجدية إذا تبذل الداعي واستفز أناس إلى الغضب حينما يشتد الجدل ويسب غيره أو يسب معبوداتهم دون سبب يقتضى ذلك ؟ ؟
 فى موقف الدعوة وفى كل مناسبة تتصل بها ينهج الإسلام منهج التفاهم والملاينة ، لا منهج السباب والمخاشنة ، إذ البادى بالسباب والمناوشة هو الجانى الأول ، وهو المبىء إلى نفسه وإلى دينه .

وليس معنى هذا أن يرضخ المسلمون لمن يبادرهم بالإساءة ، أو يمعن فيها ، بل القصد أن يتريثوا ، ويجعلوا الحسنة مكان السيئة ، وأن يضعوا الدواء فى موضع الداء ، لا أن يثيروا الحزازات ، ويضرموا العداوة وهذا أروع منهج فى التربية ، وأقوم سبيل إلى النجاح وكسب الخصوم .
 وأخيراً : فهذا نمط نهتدى به لوفقهناه .

ولا يضيرنا أن يتخلف البعض ، أو يزور بدعوتنا إلى الحق ، ويسفه علينا بالتجريح والجفوة فى القول ، فتلک أوضاع شاءها الله ، ولم يجعل مسؤوليتها على غير أعصابها وقد قال سبحانه - لا يضرکم من ضل إذا اهتديتم - والله يهديننا جميعاً ؟

عبد اللطيف السبکی

عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفيتش بالأزهر

أعزوا العلم والدين فأعزهم الله

فى ترجمة أبى بكر عتيق السوسى - أحد أعلام المذهب المالکى فى المغرب فى القرن الخامس الهجرى - أن الأمير المعز بن باديس علم بمكاته من الدين والعلم وبأنه فقير لا مسکن له ، فبعث إليه بمال ليشترى به داراً ، فرده وقال للرسول :
 - قل له يدفعه لأربابه ، فإن لم يعلم أربابه تصدق به على الفقراء .

فأعلم الرسول المعز بذلك ، فبعث إليه كتباً جلیلة كثيرة - مثل المدونة والنوادر والموازية وغيرها مما له قيمة كثيرة على رؤوس الخمالين . فلما وصل الرسول إليه أغلق بابه فى وجهه . فلاطفه الرسول وقال له : المعز يقول هذه السکتب فى خزائننا ضائعة ، وبهاؤها عندنا يزيدنا ضياعاً ، فأنت أولى بها .

فقال له : اكتب على كل جزء منها « إنها حبس (أى وقف) على طلبة العلم » فكتب ذلك .

الشيئة

صلة الرحم

معناها - كونها من أسباب سعة الرزق ، وامتداد العمر - دفع
التعارض بين ذلك وبين تحديد الرزق والأجل - جواز حب
التبسط في الرزق - ومزاولة أسباب ذلك - كيف كانت الأسرة
المسبلة في سلف الأمة تصل الرحم - وكيف صارت الآن .

عن أنس رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من سره أن
يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه .

- رواه البخارى ومسلم -

من سره أن يبسط له في رزقه : الرزق ما خلقه الله لمنفعة العباد وقد جعل الله من فضله
لكل عبد رزقا يخصه فلا يموت وقد بقي من رزقه شيء بل إذا انتهى أجله يكون قد استوفى
جميع ما كان له من رزق - وبسط الرزق التوسعة فيه وكثرته .

وينسأ له في أثره : ينسأ مضارع مبني للجهول من الإنساء وهو التأخير - والأثر -
قال في النهاية بعد ذكر هذا الحديث الأثر الأجل وسمى به لأنه يتبع العمر قال زهير :
والمرء ما عاش محدود له أمل لا ينتهى العمر حتى ينتهى الأثر

وأصله من أثر مشيه في الأرض فإن مات لا يبقى له أثر ولا يرى لأقدامه في الأرض
أثر ١ هـ . ويقال أثر الإنسان لكل ما يحدثه بأى عمل من مشى أو غيره فكل حى له أثر
من حركة أو سكون بمشى أو غير مشى فالأثر لازم للأجل فقد أطلق اللازم وأريد الملزوم .

فليصل رحمه : الرحم القرابة من النسب والمراد كل قريب محرم ما كان أم لا وارثا أم لا فيشمل الأولاد والآباء والأمهات والإخوة والعمومة والخمولة وأولاد كل . وصلة الرحم إيصال ما أمكن من الخير إلى القريب ودفع ما أمكن من الشر عنه بحسب الطاقة وتكون بالمال والجاء والمساعدة في إنهاء مطلوب والمعاونة على دفع مكروه كما تكون بطلاقة الوجه والزيارة وعيادة المريض والدعاء وغير ذلك .

ومعنى الحديث - من كان يفرح بأن يبسط الله له في رزقه ويمنحه التوسعة فيه ولا يكون ممن قدر عليه رزقه ويفرح بأن يؤخر الله له في أجله وتمتد حياته ويبقى أثره على الأرض فليصل رحمه بما يستطيع من الخير ودفع الضرر .

قال القاضى عياض لا خلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة وقطيعتها معصية كبيرة والأحاديث تشهد لهذا ولكن للصلة درجات بعضها أرفع من بعض وأدناها ترك المهاجرة وصلتها بالكلام وتختلف باختلاف قدرة الواصل ومقدار حاجة الرحم فمنها واجب ومنها مستحب ولو وصل بعض الصلة ، ولم يصل غايتها لا يسمى قاطعا ولو قصر عما يقدر عليه وينبغي له لم يسم واصلا .

وظاهر هذا الحديث أن صلة الرحم يجزى الله عليها ببسط الرزق وتوسعته وتأخير الأجل وزيادة العمر وهذا يتعارض مع ما هو ثابت من أن الرزق والأجل مفروغ منهما وأنها مقدران لكل إنسان ، وفي القرآن الكريم : (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) (وفي السماء رزقكم وما توعدون) وفي حديث البخارى بعد أن ذكر أطوار خلق الإنسان قال : ويؤمر الملك بكتابة أربعة رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد .

وقد أجب عن ذلك :

أما عن بسط الرزق فالمراد به أن يسكون الانتفاع بالرزق عظيما بحيث تتأدى به مصالح دينية ودنيوية لا تتأدى بمثله لشخص لا يصل رحمه مع هدوء النفس ورضاها به وسرورها بكل ما حو لها ، وإذا لوحظ أن صلة الرحم نوع من الصدقة لم يستبعد ذلك كما قيل في قوله تعالى : (يمحى الله الربا ويربى الصدقات) .

وهذا الجواب مبني على أن المراد ببسط الرزق الزيادة المعنوية لا زيادة الكمية .

ويمكن أن يراد أيضا الزيادة في الكمية بالأسباب الظاهرة وتكون صلة الرحم من تلك الأسباب . وليبان كون صلة الرحم من الأسباب الظاهرة لزيادة الرزق نقول : لا يخفى أن مركز التاجر والصانع ونجاح كل منهما في عمله كما يتوقف على مهارته وحسن خلقه يتوقف أيضا على ثقة الناس به وهي غالية ودعامة هذه الثقة نشر فضائله وكثرة الحديث عن حسن معاملته وجودة بضاعته وإتقان صناعته فإذا كانت صنته برحمة مبنية على تشريكهم في الخيرات ومساعدتهم في الملمات كانوا ألسنة تنشر عنه مالا ينثر المذبايع ودعاة لا يدخرون وسعا في الدعاية له لأنه يقاسمهم السراء والضراء وبذلك تكون ثقة الناس ولعمري إنها لرأس مال التاجر والصانع وسر النجاح ومصدر الخير .

كذلك لو كان زارعا وكان كما ذكرنا يقاسم رحمه السراء والضراء فإنه يكون بلا شك مطمئنا إليهم فيما لو ألت به حادثة كأن فاض الماء وخاف على زرعه أو ستمطت له ماشية في بر أو اتصلت ألسنة النيران بحقله أو غير ذلك من الأحداث المفاجئة فإن هؤلاء الأقارب يسارعون إلى درء الشر عنه ويتسابقون لنجدته والدفاع عنه بكل ما وهبهم الله من قوة ، ولا تهدأ نفوسهم إلا إذا هدأت نفسه واطمأن قلبه وبذلك تنجو زراعته وماشيته ومحاصيله .

فظهر أن صلة الرحم من الأسباب الظاهرة لسعة الرزق .

وأما الجواب عن زيادة الآجال ومعارضة هذا الحديث لقوله تعالى : (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) فيقال إن زيادة الأجل إنما هي زيادة معنوية بأن يكون وادعا في حياته مطمئنا على نفسه وأفراد أسرته وأن يدير الله له القيام بأعمال جليلة دينية ودنيوية ويمتدح التوفيق فيه فينتج ويثمر ما لا ينتج ويثمر من هو في سنه من لا يصل رحمه .

وقد يجب أيضا بأن هناك أمورا تعتبر أسبابا ظاهرة للبوت كالفرق والقتل والحرق وانفجار القنابل كما أن هناك أمورا تعتبر أسبابا ظاهرة لبقاء الحياة كالبعد عن الأمور السابقة وكتناول الغذاء وشرب الماء . وصلة الرحم تعتبر من الأسباب الظاهرة لبقاء الحياة . ويمكن تصوير ذلك بأنه إذا كان الشخص قسوى الصلة بأرحامه يشاركهم السراء والضراء

كما قدمنا فإنهم لا شك يحسون بإحساسه فيفرحون لفرحه ويشتهد ألمهم لألمه فإذا فاجأته ملة كأنحدار في نهر أو إحاطة اللصوص به أو غير ذلك من أسباب الهلاك التي تستدعي طلب النجدة فإنهم يكونون أسبق الناس لإغاثة ودرء الشر عنه وبذل الروح عن طيب خاطر دفاعاً عن حياته الغالية عندهم فينجو على أيديهم وبذلك يستفيد بقية من الحياة ما كان يتمتع بها أولاً صلة الرحم .

وأجيب أيضاً بأن المرد بالأثر الذكر الحسن . وصلة الرحم من أسباب التوفيق لطاعة الله تعالى والثناء على صاحبها في حياته وبعد مماته .

وعندى أن الأثر ما يحدثه الإنسان بمزاولة العمل وكل حى له أثر من العمل فإذا مات انقطع أثره من العمل فانقطع ثوابه وصله الرحم سبب لتأخر الأثر بعد الموت فيبقى له الثواب كما لو كان حياً وذلك إما بدعاء ذوى الأرحام أو صدقتهم عليه أو استمرار آثار إحسانه عليهم فكل ذلك يبقى له ثوابه بعد موته وذلك نظير قوله صلى الله عليه وسلم إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له فيزداد على ذلك بهذا الحديث صلة الرحم .

وقد يجاب عن المعارضة بالنسبة لزيادة الرزق وتأخير الأجل بأن ذلك إنما هو بالنظر إلى علم الملائكة بما فى الصحف التي عندهم أما بالنظر إلى ما عند الله فلا تغير فقد يكون فى صحيفة الملك الموكل به تحديد أجله ورزقه إلا أن يصل رحمه فيزداد أجله إلى كذا ويسقط فى رزقه إلى كذا وذلك هو القضاء المعلق وليس لنا أن نبحث عما فى علم الله لأنه غيب .

وقد استفيد من الحديث جواز حب البسط فى الرزق ومزاولة أسباب ذلك وقد كان كبار التجار فى عهد رسول الله بالمدينة من رؤوس صحابته وخلصائه كأبي بكر وعثمان وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجعلون قوله اليد العليا خير من اليد السفلى نبراساً يستضيئون به فهم دائبون على تحصيل رزقهم وأسباب معاشهم إما بالتجارة أو الرعى أو العمل ولو بالاحتطاب إلا إذا دعا الداعى إلى الجهاد فى سبيل الله فإنهم يتسابقون إلى بذل دماهم وأنفسهم لإعلاء كلمة الله ففازوا برضاه واستحقوا عنده أرقى الدرجات .

وهذا الحديث قد دعا إلى صلة الرحم وأخبر أنه يجزى عليها فى الدنيا ببسط الرزق وزيادة العمر فالدين يدعو إلى صلة الأرحام وأن تكون الأسرة متماسكة متشاركة فى الخير

والضر قال الله تعالى « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذى القربى »
وقال تعالى « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليسكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت) .

والآيات والأحاديث فى الحث على صلة الرحم كثيرة وقد كان المسلمون الأولون شديدي الحرص على صلة أرحامهم وتعهدهم بالإحسان إليهم وتعرف حاجاتهم ليبادروا بقضاها وتعين الفرص لمواساتهم والعطف عليهم ولهذا كان جميع أفراد الأسرة يتبادلون الحب والإخلاص ويفرح كل منهم لفرح أخيه ويتألم لألمه فكلهم جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ولهذا كانت حياتهم وادعة وعيشتهم راضية .

ولكن مع الأسف خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وانقطعت بينهم وبين ذوى قرباهم الصلات وكل منهم يتنكر لأخيه ولا يتورع عن تقديم الإساءة إليه بل قد تسمع أن الأخ قتل أخاه لأوهى الأسباب وابن الأخ قتل عمه لآتفه الأمور وأدهى من ذلك وأمر ما تكرر حدوثه من قتل الولد أمه أو أباه ليستولى على ما عندهما من مال وكأن القلوب قد نزع منها مع الإيمان الرحمة والعاطفة الإنسانية واستحوذ على العقول الشيطان حتى صارت لا تفرق بين الخير والشر ولا تميز بين المعصية والطاعة ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وليس من صلة الرحم بالنسبة للوالدين طاعتهم فى معصية الله فالله تعالى يقول « ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن أشكر لى ولوالديك إلى المصير وإن جاهدك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفاً » وفى الحديث لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق . وقد أرسل إلينا من يسأل : هل يحرم عليه ألا يحقق لأمه ما طلبت من طلاق زوجته مع علمه بأن زوجته لم تنسئ إلى أمه ولم ترتكب معها ولا معه ما يستوجب طلاقها .

ونجيبه بما يأتى : إن مطالب والدتك إن لم تكن معصية لله وكانت لا تضرك ولا تؤذى غيرك وكانت بعيدة عن الظلم والجور فأجابتها واجبة - أما إذا كانت معصية لله

وكانت تضرك أو تضر زوجتك وقد تحررت ودققت في التحرى وجزمت بأن والدتك ليست على حق في طلبها فأنت في حل من عدم إجابة طلبها بل يطلب منك رفض هذا الطلب ولا يكون ذلك عقوقاً ولا قطيعة رحم ولكن ينبغي بعدهذا أن تجتهد في إقناعها واسترضائها بقدر ما تستطيع .

وإننا لننصح الآباء والأمهات بتقوى الله ومراقبته في أولادهم وزوجات أولادهم وألا يقفوا منهم موقف التعنت والانتقام لأوهام في أنفسهم ، وليعلموا أنه كما أن للوالدين حقوقاً على أولادهم وتقصير الأولاد في بعض هذه الحقوق يعتبر قطيعة للرحم كذلك للأولاد على الوالدين حقوق وتقصير الوالدين في بعض هذه الحقوق يعتبر قطيعة للرحم - فليحرصوا على تهية جو هادئ لأولادهم ليعيشوا في دعة وهناءة حتى تقرر بذلك أعينهم كما كانت تقرر بمسراتهم في طفولتهم والله سبحانه يحفظنا جميعاً من الزلل ويهدينا الصراط المستقيم ؟

عبد الرحمن عيسى

مدير المجلة

شهداء الشام

أهاب بدمعه شجر فسالا	بنى البلد الشقيق عزاء جار
أكان السلم أم كان القتالا	يعظم كل جهد عبقرى
كأرحم ما يكون البيت آلا	وما زلنا إذا دعت الرزايا
وعندكم هل أذاقنا الوصالا	سالموا الحرية الزهراء عنا
وما صبغ السباسب والدغالا	عرفتم مهرها فهرتموها
هوادجها الشريفة والحجالا	وقتم دونها حتى خضبتهم
بظاهر جلق ركب الزمالا	سأذكر ما حيت جدار قبر

شوقي

حول الآراء الدينية

الآراء الدينية في الحوادث الجديدة تختلف أحيانا حسب اجتهاد المفتى وتشعب وجهة نظره في مناهج الحكم حيث لا نص في الحادثة ولا إجماع ، وهذا معنى جليل ودقيق يخفى على العامة وقد يخفى أحيانا على بعض الخاصة فيتخذ بعض ذوى الأغراض ذلك الاختلاف دليلا على اضطراب الأحكام الدينية وعدم تثبت رجال الدين وتحققهم مما يقولون وهنا يمكن الخطر وهنا مجال واسع لذوى النيات الخبيثة والدعوات الضالة ينفذون منه إلى ما يريدون ، فقد يتذرعون بذلك الاختلاف إلى التشكك في الدين والسخرية من رجاله . والتشكك في الدين والسخرية من رجاله رسالة لبعض الناس وبعض الصحف في هذه الأيام .

وواجب رجال الدين أن يترثوا في الفتاوى وألا يدعوهم الخوف من قالة السوء فيهم أن يسرعوا إلى ما يراودهم حتى يستبينوا مقاصد المستفتين وحسن نياتهم ، وعليهم ألا يدلوا بأرائهم إلا حيث يكون الأمر جدا لا هزلا ، وحيث يكون الداعي إلى الفتوى خشية الله والوقوع في حدوده ، وإلا حيث يشكل الأمر ويلتبس الحكم ، أما حيث يكون الداعي إلى ذلك إلهاء العامة وتسليتهم أو الترويج الصحفي أو نحو ذلك فإن واجبهم أن يترثوا ويترثوا ، ولأن يقال فيهم : إنهم قصرُوا في واجبهم وسكتوا عما يراودهم خيرا من أن تتخذ آرائهم وأحاديثهم مجالا للتندر والفكاهة من المتبطلين الفارغين أو الخبثاء المسخرين .

لقد كانت الصحف في الأيام الأخيرة ميدانا لنشر بعض الآراء الدينية ومجالا للمناقشة والجدل فيها وقد نال غبار تلك المعركة بعض رجال الدين ، ولم تنته المناقشة إلى رأى واضح محدد يطمئن إليه المخلصون وينتهي إليه السائلون ، والله يعلم البواعث إلى إثارة بعض هذه المعارك إلا أننا نرى أن بعض هذه الموضوعات التي عرضت للاستفتاء ما كانت في حاجة إلى استفتاء لوضوح الأمر فيها .

ونكتفي هنا بمثلين لنرى أكانت هذه الموضوعات في حاجة حقا إلى مناقشة أو جدال بين رجال الدين أو رجال الدنيا ؟

لقد شغل رجال القضاء والنيابة والصحف ، وشغل معهم رجال الدين بموضوع تبادل الصور العارية بين الشبان والبحث في جواز ذلك وعدم جوازه ، فهل كان في ذلك الموضوع لبس أو إشكال يستدعي البحث وتكرار المقال ؟

إن العامى والجاهل فضلا عن المثقف والعالم يعلم من غير شك خطر ذلك على الشبان والمجتمع ، فيعلم حكمه وهو المنع البات الجازم ، ويعلم أن الحديث ، في جواز تداول تلك الصور مكابرة لا تحسن من رجال الدين ولا رجال الدنيا ممن يحسنون القصد ويخلصون النية ، وهناك موضوع « مودة الشوال » التى شغلت الصحف أخيراً ، فهل كانت تصح أن تكون موضع خلاف ؟ لا أظن ذلك ، وما كان الناس فى حاجة إلى معرفة آراء الفقهاء ، والمفتين فيها . فكل شخص يعلم أن « مودة الشوال » كغيرها من المودات ، إن سترت المرأة وأضفت عليها ظلال الوقار والحشمة فهى من غير شك حلال ، وإن كشفت عن مفاتها وأبرزتها فى صور من الخلعة المزرية فهى حرام وحرام قطعاً ، ومكان التزيى بها المنزل وللزوج خاصة لا الشوارع ولا الأندية والمتنديات .

وهنا أعود فأعجب وأتساءل هل كانت الصحف أو كان المستفتون جادين فى تعرف حكم الدين ؟ وهل ملأت الخشية قلوبهم وملكت عليهم نفوسهم فاستعاذوا برجال الدين واستفتوا المفتين واحتكموا إلى الدين ؟ ؟ .

إننا رجال الدين - فى حيرة من أمرنا - وفيما نفعل أمام هذه الأحداث التى تسوقها إلينا المذنيات الغربية وتسلب بريقها عواطف كثير من الشبان والسيدات ويرعون إلى تقليدها دون مراعاة لملاءمتها لأخلاقنا وعاداتنا ولديننا وتقاليدنا ودون تدبر لعواقب اصطناعها وتقليدها . إننا إن تسكلمنا بكلمة الحق والدين سلقونا بألسنة حداد وأقلام شداد ونعتونا بنعوت استعاروا ألفاظها من كتاب الله والله أعلم بتقديرهم للدين ورجاله ، وللحق وأنصاره . وقد تشترك بعض الصحف فى ذلك قففيض علينا أنهارها بعتاء القول وسقط الكلام . وألفاظ التزمت والتعصب والجود والرجعية أحدث ما يستعار من تلك الألفاظ ، وفى غمار ذلك تعرض كرامات بعض الملحوظين من علمائنا للتشهير والتجريح ، وتحرف كلامهم عن مواضعه وتمسخه بسوء الفهم ومعتسف التأويل إرضاء لثبوات فى نفوس كتابها وتحتيقاً لأغراض هم يعرفونها ويعملون لها لا يبالون فى سبيلها بخلق أو كرامة ولا يعنهم التمييز بين المشروع منها وغير المشروع .

وإن أمسكنا عن القول . قالوا : قد استكان العلماء وقصروا فى واجبههم وتخلوا عن رسالتهم وشغلهم الدنيا عن الدين وسكتوا عن بيان ضلال المضلين وإلحاد الملحدين .

نعم : إننا فى حيرة من أمرنا ولكننا ان نقف مكتوفى الأيدى وستحمل من الأذى ما يتحمل المصلحون ، وما جاهر مصالح قط إلا خوصم وعودى واضطهد وأوذى ، سلاحنا الحق ورائدنا الإصلاح للجمع وللأمة ، وستسير قافلنا فى رعاية الله وبتوقيفه وتسديده ، ولن ندع الميدان لذوى الأغراض والأهواء ، وسيسير الأزهر على تلميذه منذ أرسيت دعائمه فى السكينة حاميا للأخلاق حفيا بالفضيلة ، حريصا على الإصلاح معتزا بمسكاته فى نفوس المسلمين فى أقطار الأرض .

ولنا كلمة نود أن نوجهها إلى إخواننا الذين يتحدثون باسم الدين وقد أشرنا إليها فيما سبق ، وهى رجاؤنا أن يمحصوا الآراء والأحاديث ويزنوا المستفتين والسائلين حتى يستبينوا طالبي الحق من المتجرين بدين الله ، وألا تحملهم رغبة الظهور إلى المسارعة إلى الحديث قبل أن يتثبتوا ويميزوا المقاصد والأغراض .

كما أن لنا رجاء نتقدم به إلى المسؤولين من رجال الأزهر ، وهو أن يحاولوا بما يرون من الوسائل - ومنها مشاوره أعيان العلماء - أن يحددوا جهة المتحدثين باسم الدين فى الوقائع المشكلة التى تحتاج إلى دراسة وبحث . وإلى نقص واستقراء وإلى اجتهاد واستنباط ، حتى لا يكون الاختلاف فى الحكم عليها سببا لبلبلة رأى العام ومنفدا إلى النيل من الدين ورجاله من ذوى النفوس الضعيفة والأهواء الضالة ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ؟

أبو الوفا المراغى

أذان الفجر

لما كان أمين الرياحانى فى سفينة شراعية على ساحل جزيرة البحرين قاصداً ساحل الأحساء ، أثقل النسيم جفنه فنام قليلا ، ثم أيقظه صوت الملاحين وهم يقلبون الشراع طوعا للريح ويرددون كلمة « صل ع النبى » . قال الرياحانى (فى كتابه « ملوك العرب » ص ٢ : ٣٢) يصف أثر ذلك فى نفسه :

« وربك أيها القارىء ، ما سمعت فى أنغام الليل على المياه أطرب منها ، إلا أن يكون صوت المؤذن فى الخليج العربى وهو يؤذن للفجر ، ليس فى صلوات الأمم كلها أدعى منه إلى الورع والخشوع ، وقل فيها ما هو أجمل وقعا فى النفس من صلاة الملاح فى ظل الشراع . »

خطبة الجمعة

كتب بعض الناس ينتقد ويشكو من أن خطبة الجمعة في كثير من المساجد تطول وتمتد حتى تبلغ نصف ساعة أو أكثر من ذلك ، واقترح بعضهم ألا تزيد خطبة الجمعة عن عشر دقائق أو اثنتى عشرة دقيقة على الأكثر ، وقد حاول البعض أن يجعل من هذه المسألة مشكلة عويصة كأنها تشغل بال العالم الإسلامى ، أو يتعلق على علاجها صلاح المسلمين جميعاً ، ومن العجيب أن أكثر الذين يتحدثون في هذا الموضوع - ناقدين أو ضائقين - ليسوا بمن يحرصون على شهود الجمع أو سماع خطبها . وليسوا بمن يعنهم أمر الدين ، أو يشغل بالهم صلاح حال المسلمين ، وهذا مما يفتح الباب لسوء الظن بهذه الحملة ، ويرجح إدخالها في سلسلة المحاولات الموصولة المرادة لتوهين سلطان الدين في النفوس ، والتخلص من ألوان التعبد والتفقه لو نأ بعد لون .

ولسنا - علم الله - من دعاة التظويل الممل في الخطب ، ولا من أنصار الإثقال بها على الناس ، أو استغلالها لغير ما أراد منها الحق جل جلاله ، ولسكننا نحب أن نقول إن خطبة الجمعة هى العظة الأسبوعية العامة التى يتلاقى على سماعها أبناء الإسلام ، وإن شئت تعبير العصر فتدل إنها الصحيفة الأسبوعية الإسلامية الناطقة ، التى يستمع فيها المسلمون إلى كلمة الله تبارك وتعالى فيما يهمهم من شؤون الدين وشؤون الدنيا .

وهذه الخطبة تأتى في يوم الجمعة العظيم الجليل الذى ورد في شأنه وفضله من الأحاديث والآثار ما ورد ، وحسبنا قول رسولنا صلوات الله عليه : « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة » .

وقد سمي هذا اليوم بيوم الجمعة لأنه يجمع الناس ، إذ يجتمعون فيه للخطبة والصلاة ، ولتأكيد التعارف ، وتوطيد المحبة ، وإحياء القلوب ، ولذلك كان هذا هو العيد الأسبوعى للمسلمين .

وقد جعلت الخطبة ركعتين تضافان إلى ركعتي الجمعة ليكون المجموع كصلاة الظهر التى تنوب الجمعة عنها ؛ ولعل الخطبة تأتى قبل الصلاة لتكون إيقاظاً لمشاعر التدين في النفوس ،

فتقبل على الصلاة عقبها في خشوع واعتبار ، وليسمعها الناس في هدوء وسكينة واصطبار لأن بعدها واجب الصلاة ، وقد ورد في شأن حسن الاستماع إلى الخطبة ، والاندماج فيها والتأثر بها ، والتأدب معها ، ما لا مزيد عليه ؛ حتى عدها فريق من الفقهاء كجزء من الصلاة ، والرسول هو الذي يقول معلما التزام الصمت الكامل أثناء إلقاء الخطبة : « إذا قلت لصاحبك والإمام يخطب الجمعة : أنصت ، فقد لغوت » . ولا يكون هذا إلا لمكانة الخطبة وجلال شأنها .

ولا عجب فخطبة الجمعة يراد منها التفقيه في الإسلام ، والحديث الشريف يقول : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » . وهى تذكير بالله سبحانه ، وتحبيب في ثوابه ، وتخويف من عقابه ، والله يقول : « فذكر بالقرآن من يخاف وعيد » . ويقول : « وذكر فإن الذكري تنفع المؤمنين » ، ويقول : « فذكر إن نفعت الذكري ، سيدكر من يخشى ، ويتجنبها الأشقي الذي يصلى النار الكبرى ، ثم لا يموت فيها ولا يحيا » . وهى محاولة لإيقاظ القلوب الغافية التى تظل طيلة الأسبوع راتعة أو جامحة ، فهى بحاجة إلى إحياء وتقوية ، وجلاء وتصفية ؛ وما أنفع الكلم الطيب فى الأفئدة السليمة والنفوس الكريمة : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ويضل الله الظالمين ، ويفعل الله ما يشاء » .

ولمكانة الاجتماع يوم الجمعة لسماع الخطبة وللصلاة حرص الإسلام المسلم على أن يذهب إلى هذا الاجتماع الجليل المشهود المجموع له الناس نظيفا مغتسلا متطهرا متطيبا بالطيب والعطور ، لابساً أحسن ثيابه . مستعداً لكي يجلس مع إخوته فى الله هذه الجلسة المبسوطة المنفوحة بالبركة ، يتذاكرون ويتبادلون مشاعر الخير وعواطف البر ، وأمر الإسلام بأن يترك المسلم من أجل الخطبة والصلاة ما يشغله أو يستحوذ على اهتمامه وعنايته ، وها هو ذا القرآن المجيد يأمر المؤمنين بأن يتركوا ما يشغل الإنسان ويجذبه عادة وهو البيع والشراء ، فيقول : « يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » . أى أقبلوا على الجمعة بنياتكم وقلوبكم وهمتكم ، واركعوا من أجل ذلك ما يحلو لكم أو يعجبكم ، فلو كان الإسلام يريد منا أن نودى الخطبة والصلاة أدام آليا سريعا ، لا تأثر به ولا استغراق فيه ولا انسجام معه ، فلماذا يحرضنا على العناية بالسعى إليهما كل هذا التحريض ؟ ولماذا يؤكد علينا أن نقبل على اجتماع الجمعة بعزيمة واجتهاد ؟ !

ومما يتعلل به الداعون إلى أن تكون خطبة الجمعة عاجلة مبتورة ، آلية شكلية ، أن بعض من يسمعونها يكون على سفر ، أو في مرض ، أو نحو ذلك ، وكأن هؤلاء قد جهلوا أن الإسلام لم يوجب الجمعة على أصحاب الأعذار والضعفاء ، فلم يوجبها على المرضى ، أو الزمنى ، أو المسافرين ، أو الصبيان ، أو النساء ، أو المكفوفين الذين لا يجدون قائداً ، أو الخائفين من الجور ، حتى قال الفقهاء إن المشغول بجماعة صديق حميم لا يجحد من ينوب عنه فيها تسقط عنه الجمعة ، ومن يؤذيه المطر والوحل تسقط عنه ، وهكذا .

ولكن هؤلاء لا يقصدون في الواقع الرفق بأصحاب المعاذير ، أو التخفيف والتيسير على الجماهير ، وإنما يريدون أن تكون الخطبة عشر دقائق ، حتى يوهنوا عوامل التدين في النفوس ، ويجعلوا الدين رسوماً حائلة وأركاناً مائلة ، وإلا فهل يصعب على الإنسان المسلم أن يستخلص من ساعات الأسبوع الكثيرة ساعة أو نحوها يقضيها في بيت الله ، مجتمعاً بإخوته في الله ، متخففاً من أوزار الحياة ، مقبلاً على رحاب الله وحامه ، مناجياً له بما يحبه ويرضاه ؟ . . . !

وإذا كان الفقهاء قد ذكروا الحد الأدنى الذي يصح أن يطلق عليه اسم الخطبة ، وهو أى كلام فيه حمد لله وذكر له وأمر بالثقوى وتبصير بالدين ، فإنهم قصدوا بذلك تحديد الأحكام وتفصيل الأحوال ، لا أن تكون الخطب بهذا الحد الأدنى . وهل تتحقق الثمرة المرجوة من الخطبة إذا اتسمت بهذه العجلة وهذا الاقتضاب ، ونحن في زمن تعطلت فيه ينابيع الثقافة الدينية ، وزحمت الناس فيه ألوان من الثقافات الدخيلة والمعارف العليلة ؟ وأنت تجد المجالات الدينية أقل المجالات انتشاراً ، وتجد إقبال الناس عليها ضعيفاً ، ولقد تدخل البيت من بيوت المسلمين فتجده مزحوماً بأنواع وألوان من المجالات المنحلة أو الماخنة ، ولكنك تبحث بين هذا الزكام عن المجالات الدينية فلا تجدها . . . وتتناول الصحيفة اليومية فإذا فيها ما فيها من أخبار السياسة ومسائل الفن والقصص والفكاهات . . . فهل جعل هؤلاء للدين ركناً أو عموداً بين هذه الألوان من الكتابة ؟ . . . وهذه هي المجالات الأسبوعية والشهرية تضيع في السوق وتشتبع بين الناس ، وهي تحمل الكثير من الفضائح والقبائح ، فهل خففوا أحمالها وأثقالها بشعاع من الحديث عن الدين ؟ . وفي أغلب الأحيان تنشر الصحيفة قصصاً غرامية مثيرة كل واحدة منها تستغرق صفحة كاملة ، وهي لا تخرج

عن تصوير العلاقات، الجنسية، ومع ذلك لم يشك من طولها أحد، ولو وضعوا مكانها ما يعادل نصفها حديثاً عن الدين لقال قائل: وما هذا التطويل؟! . .

وهذه حفلات ماجة أو مائة، تبدأ من صدر الليل وتستمر إلى مطلع الفجر، وتذاكرها غالبية الثمن، والإقبال عليها شديد، والقوم جلوس يسمعون ويستعيدون ويستزيدون، لا يمر بهم ملل ولا سأم، ولا ينالهم نوم أو تعب، ولا يشكو واحد منهم طولاً أو امتداداً؛ وكيف وهو يسمع ما يخاطب الغرائز، ويرى ما يثير الشهوات؟! .
وأما لو كان المسموع حديثاً جدياً يخاطب العقول والقلوب والضمائر ويستحث الهمم والعزائم، لضاقوا به من أول الطريق . .

وقد يظل الواحد منهم يستمع إلى حديث رجل يخافه ويرهبه، أو يرجوه ويأمل فيه، وقد يستطيل الحديث ويستطيل، ثم يمتد ويمتد، والسامع صابر لا يجروء على النقد أو الاعتراض، وأما كلمة الإسلام فهي التي تتعرض - إن انبسط قليلاً - لحملات النقد والتجريح، فليت هؤلاء يتذكرون قول خالتهم: « فلا تخافوهم وخافوني إن كنت مؤمناً » .

إنهم يشكون ويصرخون لأن بعض الخطب الدينية يستغرق نصف ساعة ولو كان الإسلام متمسكاً من العقول والأفئدة لطالبنا بالأقل تقل هذه الخطبة الأسبوعية عن نصف ساعة، بشرط أن تأتي على وجهها السليم، وفي الموضوع الملائم، وبالأسلوب المشوق المؤثر، إذ ليس بالكثير على الأمة المؤمنة المتعبدة أن تصبر كل أسبوع نصف ساعة على خطبة حية تفقهها في الدين وتصلها برب العالمين .

وإذا كان السلف في صدر هذه الأمة المسلبة قد أوجزوا في خطبهم أحياناً؛ فلأن الفقه بالدين كان شائعاً، ولأن الحرص على أوامر الله كان ذاغاً، ولأن صوت الإسلام كان مرتفعاً، لا يزاحمه فسوق أو إلحاد أو انحلال؛ وأما اليوم فما أجدر الخطبة بأن تنبسط وتمتد قليلاً أو طويلاً بحسب الحاجة وعلى قدر الطاقة: « يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً، وسبحوه بكرة وأصيلاً » .

وما رأيكم أيها الناس في أن أهل الأديان الأخرى لم يشكوا ولم يبكوا من طول الأوضاع التعبدية عندهم، فهم يقضون أوقاتاً طويلة في القيام بطقوسهم ورسومهم وترتيلاتهم وترنيماتهم وغير ذلك من تقاليدهم الدينية الواضحة أو المبهمة، المفهومة أو الغامضة، دون

شكوى أو صراخ ؟ ! . فما السر في هذا ؟ . ألا أنهم يعتزون بدينهم أكثر مما نعتز بديننا ، ويغارون على عبادتهم أكثر مما نغار على عبادتنا ؟ . أم ماذا يكون الجواب يا أولى الألباب ؟ لقد كان أجدادنا يقبلون على مواطن العظة والعبرة والادكار بأفئدة واعية وصدور حية وجلود ممشعة ، وكانوا يجدون لذتهم الروحية والنفسية في إطالة اللحظات التي يركنون فيها إلى تلاوة أو مناجاة أو حديث عن الله والإسلام ؛ وهذا هو الحاكم العادل عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليه يروى عنه أنه كان كثير الاستماع إلى العظات ؛ فكلما لقي رجلا أهلا لقول كلمة طيبة قال له : « عظمي » ؛ وكان كثير التلاوة والاعتبار بما يسمع أو يقرأ ، ويروى أنه صلى العشاء وجلس يتلو سورة الأنفال ، فما زال يرددها ، وكلما مر بآية عذاب تضرع ، أو بآية رحمة دعا ، فما زال كذلك حتى أذنوا للفجر ؛ وكان يجمع الفقهاء عنده كل ليلة يتذاكرون الموت والآخرة ، ثم سيكون كأن بين أيديهم جنازة ! .

* * *

قد يقال إن بعض الخطباء لا يحسنون الخطبة ، أو لا يطرقون موضوعات ملائمة ، أو لا يجيدون التعبير ؛ وليس هذا عيب الخطبة ولا عيب يوم الجمعة ، وإنما المسئول عن ذلك هم الذين اختاروا هؤلاء ، ومن الواجب أن نحسن اختيارهم ، وأن ندقق فيه مخلصين قاصدين وجه الله والإسلام ، لا المنفعة ولا الوساطة ولا الهوى .

ونحن نقرر مرة أخرى أننا لسنا من الدعاة إلى الإثقال على الناس في الحديث ، ولسنا نرتضى من صاحب الخطبة أن يسيء عرضها ، أو يسيء استغلالها ، أو يخضعها للأهواء والأغراض ، أو يغفل عن الظروف والمناسبات ، فما يقال للشقيفين لا يقال لغيرهم ، وما يقال لقوم مستقرين مستظلين غير ما يقال لقوم قلقين بسبب حر أو شمس أو مطر أو برد شديد أو نحو ذلك .

ولكننا نتحدث عن الأحوال العادية الغالبة ، ونحن نريد يقظة الوعي الديني في صدور الذين ينتسبون إلى الإسلام ، ثم يجهلون الكثير من تعاليم هذا الإسلام ، ونريد أن نقطع الطريق على الذين يستخفون بالدين ، ويسخرون من التعبد ، ويكيدون للإسلام ، ويحاولون جعله أشكالا ورسوما لا روح فيها ولا حياة بها ، والله غالب على أمره ولكن أكثر

الناس لا يعلمون .

أحمد الشرباصي

المدرس بالأزهر الشريف

دروس من العراق

ماكدت أعاود الكتابة في مجلة الأزهر ، حتى كان أول ما كتبه في عدد المحرم ١٣٧٦ هـ (أغسطس ١٩٥٦ م) مقالا عنوانه : « هجرة في سياستنا الخارجية » قلت في مفتحه .

« في شهر سبتمبر سنة ١٩٥٤ م عقد السيد نوري السعيد مؤتمراً صحفياً بالسفارة العراقية في وقت صلاة الجمعة فيما أذكر - وكشف عن مداولات اللجنة السياسية في الجامعة العربية ١٩٤٩ م ، وما تجلى فيها من روح ... فقد ألتيت حينئذ أسئلة ثلاثة :

١ — هل يمكن للدول العربية أن تتعاون مع الدول الشرقية (روسيا وتوابعها) ؟؟ فكان الجواب بالإجماع إن ذلك غير ممكن ما لم تصبح الدول العربية شيوعية .

٢ — هل يمكن للدول العربية أن تقوم بسياسة الحياد فلا تقف مع الشرق ولا الغرب ؟ وكان الجواب إن الدول العربية ضعيفة .

٣ — هل يمكن للدول العربية أن تتعاون مع الغرب ؟؟ وجاء الجواب بالإجماع ، إن هذا التعاون مقبول على شرط أن تحل قضية مصر وقضية فلسطين . وقد انتهى الآن الخلاف بين مصر وبريطانيا ونأمل أن نسعى لحل قضية فلسطين بشكل يرضى العرب « ا.أ. ملخصاً . ثم عقيبت على ذلك قائلاً :

« ... أنا هنا أُنجل الماضي لأبين سياستنا سنة ١٩٤٩ ثم سياستنا الآن .. لقد مرت علاقتنا مع انجلترا خلال تلك الفترة بتجارب دبلوماسية وكفاحية مريرة ، ومر نظامنا الداخلي في الحكم بتغير وتطور ... وأثبتت هذه الحقبة من التاريخ خطأ السياسة التي ارتسمت خطوطها في مداولات اللجنة السياسية ، أو - على الأقل - في أدمغة كثير من ساسة العرب ، أو - على أقل القليل - في دماغ نوري السعيد نفسه !

* استوردنا الأسلحة من تشيكوسلوفاكيا ، واعترفنا بالصين الشعبية ، واجتمعنا في أرض يوغسلافيا ... ولم نصر شيوعين !!

* ووقفنا تناصر سياسة الحياد في باندونج ، وفي بريوني ... دون أن نجد ما يلزمنا لأن نحز القنبلة الذرية أو الهيدروجينية قبل أن تسكلم في الحياد !!

* وأردنا أن نحافظ على حسن صلاتنا مع الغرب ... ولكن الغرب أصر على أن تكون التبعية هي ثمن التعاون !! .. وأظهر الغرب أنه يريد أن يعقد قضية مصر لأن يحلها وأنه مصر على بقاء إسرائيل وحذف فلسطين من الخريطة إلى الأبد !!

إنها هجرة .. غيرنا بها معالم سياستنا الخارجية ، بل قلبناها رأساً على عقب ! « ١٠٥ .

* * *

وكانت هذه الهجرة (المصرية) في السياسة الخارجية العربية ، تأخذ طريقها إلى عقول الأمة العربية ... ولم تخطى طريقها في مستقر نوري السعيد نفسه - في أرض العراق !!

وكما مرت الأيام تأكد في أذهان الملايين من العرب صواب هذه (الهجرة السياسية) فلقد تابعت دلائل نجاحها ، وخرجت من الخن والشدائد صامدة منتصرة .

وكما خطا الغرب خطوة تعزز بضاعة المتشائمين ، تقدمت هجرتنا السياسية خطوات وخطوات ...

أرعد الغرب وأبرق حين أعلنت مصر تأميم القناة ، وأقبلت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على الديار الوادعة الآمنة معتدية متهجمة ، فاذا بهذا (الغزو) المثلث يزيد في تبلور القومية العربية ، وإذا ببريطانيا وفرنسا وإسرائيل لانتلبث أن تنسحب ... ولم يكن هذا وحده هو الانتصار العربي ...

لقد تضامنت معنا (سورية) الشقيقة فنعت النفط عن المسيل عبر أراضيها إلى أوروبا وذقنا قيمة التعاون العربي فازدنا اقترابا ، وكانت الوحدة مع سورية ...

وعلى العكس من ذلك كان موقف (حكومة) نوري السعيد وتلاميذه ، فلقد ذاع وشاع أن الطائرات البريطانية قد استخدمت قاعدة الجبانية في الإغارة على مصر - وحكام العراق اليوم تحت أيديهم مفاتيح كثير من الأسرار - وازداد السخط وتزايد معه الكسب والقمع فكان الانفجار ، وهرج (العراق) شعباً وجيشاً يلحق بقافلة الأحرار . جزى الله الشدائد كل خير ...

إن حرب فلسطين وزرع إسرائيل في قلب ديارنا كانا منحة في محنة ، وإن الغدر البريطاني الفرنسي الإسرائيلي كان منحة في محنة ... وخرجنا من هذا وذاك ، وقد تكشفت أماننا العيوب والثغرات ، وتحدت الوجهة ، وتباورت الوحدة ...
أما عدونا ، فما أبهظ الثمن الذي تكبده من جراء إسرائيل !!!

ولن ينفك الغرب يدفع الثمن الدامي من مصالحه وهيئته وسمعته ... ولعله يعقل آخر الدروس - درس العراق !

* * *

ولنترك الغرب فلعله يعقل الدروس أو لا يعقل ، ولنتقرأ معاشر العرب دروسا فنحن أولى بالاعتبار وأوعى للعضات !!

إنه لدرس بليغ لكل حاكم يولى ظهره لشعبه ، ويلقى بوجهه للأجنبي يستمد منه العون والظهير ...

ماذا فعل الغرب لنوري السعيد وعبد الإله ؟؟ ... جنازة ومأتم ، وصلاة في الكنيسة !
ماذا فعل الغرب لسكيل شمعون ؟؟ ... أقبلت الجيوش والأساطيل ، وقدم المبعوث الأمريكي المختص بشئون الشرق الأوسط ، ليقنع شمعون بالتسحي ويدع الأمر الواقع يسير ، وجاء اللواء شهاب ، فما أطال الأمر يكيون عمر شمعون ساعة من نهار !!

وحسين ؟؟ ... إنه يلح على أمريكا في إرسال قواتها ، فلما تعب من الإلحاج على السفير الأمريكي في عمان ، وعلى المستر مورفي مبعوث أينهاور في لبنان ، أخذ يعقد المؤتمرات

الصحفية ويعلن أنه طلب نزول الأمريكيان بعد الإنجليز ، وأخذ يحدث الصحفيين الأمريكان ويكرر الطاب ، فما استجاب الأمريكان للإلحاح والتوريط ، وفقد الرجل هيئته كمالك متوج نسيب !!

والإنجليز الذين أنزلوا رجالهم في مطار عمان .. اقرأ صحفهم تراها تدعو إلى عدم الانقياد لنزوات الملك الأردني ، ومنها ما يدعو إلى إجراء استفتاء في الأردن تحت إشراف الأمم المتحدة لاختبار مدى ولاء الشعب للملك !

وخضع حسين للضغط الغربي فأعلن تنازله عن دعواه في رئاسة (الاتحاد العربي) و (تحرير العراق) ، ومن يدري فقد يتنازل أيضاً عن تاج المملكة الأردنية الهاشمية ، وهو يندب خيانة الغرب لأمانيه ، ما دام لم يتعظ بما حدث لجده وسميه الأول مع وعود مكاهون !!

إنني أقولها صادقا : إنني أرثي لهذا الرجل .. أرثي له حين تترجم له قصاصات الصحف البريطانية ، فيعرف ما تقوله عنه صحف العمال والأحرار ، والصحف المستقلة المحايدة ، حتى بعض صحف المحافظين !!

وهكذا يطير فيصل ، ثم ترشح صحف الإنجليز حسينا لنفس المصير ... ولو كان هذا وذلك في حراسة الشعوب : لما امتدت يد إلى قلامة ظفر من أيهما !!

ومن أراد المزيد ، فليطالع ما كتبه وما تكتبه الديلي هيرالد ، والمانشستر جارديان ، والنيوز كرونيكل ، والأوبزرفر ، والاسبكتاتور ، والإكونومست ... الخ ، وما تكتبه بعض الصحف الأمريكية أيضاً في نفس الاتجاه .

* * *

ودرس الدروس وعبرة العبر .. القومية العربية .

القومية العربية التي كانت خيالا ، أو آمالا ... القومية العربية التي ثارت في وجهها من سنوات قلائل الثائرون ، وقالوا مصر وكفى ، أو مصر والبحر المتوسط ، ولا شأن لنا

بالعرب ولا بالعروبة... القومية العربية التي احتاجت من محب الدين الخطيب أن يدبج المقالات الطوال الغزار عن الأمة العربية والعروبة، واحتاجت من ساطع الحصري أن يتابع الكتابة فيها كتاباً بعد كتاب، ويرد ويناقش ويدافع...

هذه القومية العربية، يعلن أينهاور اليوم أن أمريكا تعطف عليها، ويعلن ماكيلان في مجلس العموم أن بريطانيا هي التي أتاحت لها المجال، أفليس المستر إيدن هو الذي أوحى بفكرة الجامعة العربية؟!

استمع إلى الإذاعات الأجنبية فلا تجد حديث الشرق الأوسط إلا حديث القومية العربية، وقرأ الصحف الأجنبية تجد العقلاء يلحون في التفاهم مع القومية العربية.

كانت القومية العربية فلسفة عند بعض العلماء، ومبدأ عند بعض الساسة... لكنها لم تستهو أقلام الغربيين وألستهم إلا عند ما صارت حقيقة واقعة... عند ما انكسر القفل وخرج مارد العراق من القمقم...

كانت القومية العربية في ظن الغربيين (ستاراً مصرياً لأطماع توسعية)... فلها اتحدت سورية مع مصر: قالوا انخدع السوريون بالنعمة المرائية... فلها ثارت العراق، بطل السحر وظهر الحق...

كتب ساطع الحصري في عام ١٩٥٦ م. في كتابه (دفاع عن العروبة).

«... وأخذت فكرة القومية العربية تنتشر في مصر بعد قيام الثورة بسرعة كبيرة وتحقق بذلك ما كنت أتوقعه وأتمناه بكل جوانحي منذ عدة عقود من السنين... واشتد الوعي القومي في جميع أنحاء المغرب العربي...»

ولكن مقابل ذلك تعرضت فكرة القومية العربية في بعض الميادين إلى شيء من الفتور والاسترخاء، وصل إلى حد التراجع والارتداد في بعض الأحوال. فإن السياسة الدولية وجدت في الأحوال الحاضرة فرصة مواتية للتأثير على بعض الدول العربية، وقامت بمناورات عديدة انتهت إلى ربط إحدى الدول العربية (!؟) إلى عجلة من العجلات العالمية، وأخذت

تسعى إلى جر ما جاورها أيضاً إلى نفس الاتجاه . ونتج عن ذلك بلبلة خطيرة في السياسة العربية كادت تؤدى إلى حدوث انشطار في قلب العالم العربي وسرة حياته ... وقد فات هؤلاء أن المكاة التي يتمتع بها العالم العربي في السياسة الدولية تستند — في الدرجة الأولى — إلى وقوعه في ملتقى القارتين وإلى سيطرته على هذا الملتقى بمخالب قوية وأجنحة واسعة تمتد إلى طرفيه إلى مسافات شاسعة ، وأن انشطار العالم العربي يفقده هذه المكاة الخطيرة ويذهب بكل ماله من أهمية سياسية واستراتيجية . ومن المعلوم أن السياسة الدولية — ولا سيما السياسة البريطانية — بذلت جهوداً متواصلة لإحداث هذا الانشطار منذ صدور وعد بلفور وذلك بدق الأسفين الذي أسوّه في بادئ الأمر باسم (الوطن القوي لليهود) والذي انتهوا إلى تسميته باسم (دولة إسرائيل) ، ١٠ هـ .

واليوم ...

يتعاقب الإخوة ، ويرأ الجو ، ويلثم الشمل ... فلا يجد الغرب مناصاً من الإشارة إلى أنه صاحب حديث القوميات في الغرب ، والعطوف الحذوب عليها في الشرق ! !
ونسلم عن سياسة جديدة لأمريكا وبريطانيا ...

ولسنا ندرى كنه هذه السياسة ... لكن الذي ندره أننا سنستمسك بسياستنا التي هاجرنا إليها ، وتجمعنا حولها ، وزادتنا الأيام اقتناعاً بنفعها .

وتحية عاطرة إلى شعب العراق ... وشكراً جزيلاً على هذه الدروس ، وقد أفلح من اعتبر ؟

فتحي عثمان

الجواسيس للدول الإسلامية

في كتاب الروضتين لأبي شامة (٢ : ١٣١) أن صلاح الدين الأيوبي اتخذ امرأة البرنس الملك الصليبي على أنطاكية عينا له توافيه بأخبار زوجها .

وفي مرآة الزمان (٨ : ٤٢٦) أن المعظم عيسى بن العادل الأيوبي اعتنى بإقامة جواسيس من نساء الإفرنج ليخبرنه بأخبارهم بطرق وعلامات .

نقد كتاب « أضواء على السنة المحمدية » (٢)

في المآل السابق نقدت الكتاب نقدا عاما ووعدت القراء بتمده نقدا تفصيليا ، وها أنذا أفى بما وعدت به .

قال في ص ٤ ، هـ « وعلى أنه - أى الحديث - بهذه المكانة الجليسة . . . فإن العلماء والأدباء لم يولوه ما يستحق من العناية والدرس ، وتركوا أمره لمن يسمون رجال الحديث ، يتداولونه فيما بينهم ويدرسونه على طريقتهم ، وطريقة هذه الفئة التي اتخذتها لنفسها قامت على قواعد جامدة لا تتغير ولا تبدل ، فترى المتقدمين منهم وهم الذين وضعوا هذه القواعد قد حصروا عنايتهم في معرفة رواة الحديث ، والبحث على قدر الوسع في تاريخهم ، ولا عليهم إن كان ما يصدر من هؤلاء صحيحا في نفسه أو غير صحيح معقولا أو غير معقول . ثم جاء المتأخرون منهم فقعدها وراء الحدود التي أقامها من سبقهم ، ووقف هؤلاء عند ظواهر الحديث كما أدت إليه الرواية . . . من غير بحث ولا تمحيص لها ، الخ ما قال وقد تأثر المؤلف بالمستشرقين والمبشرين الذين لم يمكنهم أن يتحرروا من سلطان الهوى والتعصب في هذا البحث بل - والحق يقال - أسرف في الحكم على الأحاديث أكثر مما أسرفوا حتى جاء بحشه ضغنا على إباله . وإليك الجواب كي يتضح الحق والصواب :

١ - لا أدري ماذا يريد المؤلف بقوله فإن أراد العلماء الفقه والتشريع فهاهم قد بذلوا في ذلك غاية الوسع ، وأولوه ما يستحق من العناية والدرس ، وبحسبك أن تستعرض الكتب التي ألفت في أحاديث الأحكام وشروحها لترى في ذلك عشرات المجلدات والموسوعات . وإن أراد علماء الدراية بالأحاديث فقد أوفوا في بحث متون الأحاديث وشرحها وتحليلها على الغاية ولم يدعوا ناحية من نواحيه الخصلة حتى قتلوها بحثا . وما من كتاب من كتب الحديث المعتمدة إلا ووضعت له الشروح المتكاثرة . وبحسبك أن تتناول فهرسا من فهارس المكتبات العامة لترى إلى أي حد غنى العلماء المسلمون بالأحاديث النبوية عناية فائقة قد لا يربو عليها إلا عنايتهم بالقرآن الكريم ، وخلفوا لنا في ذلك ثروة ضخمة حتى أنها لقيمتها العلمية ونفاسها

جذبت فئة من العلماء غير المسلمين إلى البحث فيها وقضاء الأعمار في العناية بها . وإن أراد علماء الأخلاق والمواعظ ، فقد جعلوا الأحاديث النبوية نبعاً فياضاً لما ألفوه من الكتب فيهما ؛ وكذلك علماء البلاغة والأدب فقد أكثروا من الاستشهاد بالأحاديث في كتبهم وعنوا بها من حيث اختصاصهم ، وألف بعضهم في ذلك كتباً تكشف عما في الأحاديث من جمال فني وأدبي كما فعل الإمام الشريف الرضي في كتابه « المجازات النبوية » والمرحوم الأستاذ مصطفى صادق الرافعي في كتابه « البلاغة النبوية » الذي جعله متمماً لكتابه « إعجاز القرآن » .

ثم ماذا كان يريد المؤلف من العلماء غير المحدثين والأدباء ؟ أكان يريد منهم أن يجاوزوا طورهم - كما جاوز طوره - فيدسوا أنوفهم فيما ليس من صناعتهم ويميزوا بين الصحيح والضعيف والمقبول والمردود والغث والسمين ؟؟ .

إن علماء الأدب وأضرابهم ممن ليسوا من رجال الحديث وصيارفته أكرم على أنفسهم من أن يتفوا ما ليس لهم به علم وأن يزجوا بأنفسهم في علوم ومعارف ليسوا أهلها .

٢ — محاولة المؤلف هنا وفي غير موضع من كتابه الإضرار بالمحدثين وغمزهم ولمزهم ورميهم بالجمود أن يقلل من أقدارهم ولن ترفع من شأنه ، بل هي عند الباحثين والعالمين بما يزرى بالنقد ويلحقه بالشتيمة والسباب ، وإن ما وضعه المحدثون من قواعد لنقد الراوى والمروى هي أدق وأرقى ما وصل إليه علم النقد في القديم والحديث . والمتأخرون لم يأتوا في ذلك بأمر جديد ذي خطر اللهم إلا في الاستفادة بما جد من المعارف النفسية والتوسع في التطبيق ، ولو أنصف المؤلف لعقد مقارنة بين قواعد المحدثين وقواعد غيرهم ممن يرتضيهم ، ثم خلس من ذلك إلى نتيجة صادقة ، أما وقد رمى بها قولة بحملة من غير برهان فبحسبنا في الرد عليه هذا الإجمال ، وعند ما أتعرض لمبحثي العدالة والضبط سأفصل فيهما القول كي يتضح أن قواعد المحدثين ليست جامدة ولا قاصرة .

٣ -- كيف سولت للؤلف نفسه أن يزعم أن المحدثين حصروا عنايتهم في السند دون المتن الخ ؟ ! وكيف يتفق هذا وما ذهبوا إليه من الحكم على متن الحديث بالشذوذ والنكارة والاضطراب والتعليل والوضع والاختلاق وما وضعوه من أمارات يستدل بها على الحديث بالوضع ؟ لقد جعلوا من أمارات الموضوع ركازة اللفظ بحيث يشهد الخبير بالعربية أن هذا

إن يصدر من فصيح فضلا عن أفصح الفصحاء ، وركاكة المعنى كأن يكون مشتملا على محال ، واشتمال الحديث على مجازفات ومبالغات لا تصدر من عاقل حكيم ، والمخالفة للحس والمشاهدة والمخالفة لصريح القرآن أو السنة المتواترة أو المسئلة أو الإجماع مع تعذر التأويل المقبول في كل ذلك أو يتضمن الحديث أمرا مستحدثا لم يوجد في العهد النبوي إلى غير ذلك مما أفاضت فيه كتب تاريخ الوضع في الحديث ^(١) قال الربيع بن خثيم « إن للحديث ضوءا كضوء النهار يعرفه ، وظلمة كظلمة الليل تنسره . وقال الإمام ابن الجوزي « ما أحسن قول القائل كل حديث رأيت تخالفه العقول وتناقضه الأصول وتباينه التناول فاعلم أنه موضوع » وللحقيق ابن القيم في ذلك كلام قيم نقله على القاري في موضوعاته ؛ ومن عجيب أمر المؤلف أنه ذكر نحواً من ذلك ص ١٠٤ ، ١٠٥ من كتابه ولا ندرى كيف يتفق قوله أولا هو وما ذكره عن المحققين آخر ؟ !!!

ولكى تزداد يقينا في هذا أسوق لك بعض نقود المحدثين للبتون . وستأكد أن دعوى حصر العناية بالنقد في السند دون المتن دعوى مردودة ، قال ابن الجوزي في الحديث الموضوع « شكوت إلى جبريل رمد عيني فقال لي انظر في المصحف » قال ابن الجوزي : وأين كان في العهد النبوي مصحف حتى ينظر فيه ؟ وقال الحافظ ابن حجر في تزييف الحديث الموضوع « أتاني جبريل بسفرجلة فأكلتها ليلة أسرى بي فعلقت خديجة بفاطمة » قال الحافظ : الوضع عليه ظاهر ، فإن فاطمة ولدت قبل الإسراء بالإجماع وقال ابن القيم في نقد الحديث الموضوع « إذا عطس الرجل عند الحديث فهو صدق » قال : هذا وإن صحح بعض الناس سنده فالحس يشهد بوضعه ، لأننا نشاهد العطاس والكذب يعمل عمله ، ولو عطس ألف رجل عند ذكر حديث يروى عن النبي لم يحكم بصحته بالعطاس . فانظر إلى مبلغ اعتماد أئمة الحديث على نقد المتن حتى وإن كان السند غير واه أو ساقط أو ضعيف .

ومثل حديث وضع الجزية على أهل خيبر الذي قرنه واضعه بشهادة سعد بن معاذ ، فقد قالوا في نقده ، إن سعد بن معاذ توفي قبل ذلك في غزوة الخندق ، وأيضا الجزية لم تسكن نزلت ولا يعرفها الصحابة ولا العرب ، وإنما نزلت بعد عام تبوك ، وفيه أنه وضع عنهم الكلفة (السخرة) مع أنه لم يكن في زمنهم شيء من ذلك . إلى غير ذلك من النقود التي

[١] لقد ذكرت في كتابي « الوضع في الحديث » من أمارات الوضع أربع عشرة أمانة وجعلها مما يرجع إلى المتن ، وسيطوع إن شاء الله .

أوصلها العلماء في هذا الخبر إلى عشرة أوجه (١) ، وغير هذا كثير جداً يوجد في تضاعيف الكتب المؤلفة في الموضوعات والكشف عن أدوائها ومعايبها ، فهل بعد ما ذكرنا يقال إنهم حصروا عنايتهم في نقد السند دون المتن ؟ !!!

٤ - نعم نحن لا ننكر أن المحدثين توسعوا في نقد السند أكثر من توسعهم في نقد المتن ، ولذلك سر نحب أن نجليه للقراء والباحثين ، وفي الحق أن علماء الحديث كانوا أبعد غوراً وأدق نظراً وأهدأ بالاً حيناً لم يجروا في نقد المتن الأشواط البعيدة التي جروها في نقد السند ، وذلك لاعتبار ديني دقيق لاحظوه في السنة عند الاكتفاء بصلاح الراوى وتقواه وعدالته ظاهراً وباطناً وضبطه وحفظه وتوقيه الكذب على رسول الله صلوات الله وسلامه عليه في نص هو أصل ومرجع في الدين ، فتمت توفرت العدالة بشروطها مع الضبط والحفظ والأمانة والتخرج من التزيد والتغيير كان احتمال الكذب والاختلاق بعيداً جداً إن لم يكن ممنوعاً ، وإذا فلم يبق بعد من حاجة للبالغة في نقد المتن وذلك لأن متن الحديث :

(١) قد يكون متشابهاً غير مفهوم العبارة فلا محل - مع هذا الاحتمال - لتحكيم النقد العقلى المجرد في المتن ، إذ مثل هذا التشابه مما لا تستقل العقول بإدراكه ولا يدرك المراد منه إلا من الله أو عن رسوله المبلغ عنه ، والواجب إما الإيمان به كما ورد مع تفويض علم حقيقته إلى الله والتزنيه عن الظاهر المستحيل ، وإما التأويل بما يوافق العقل وما أحكم من النقل وذلك مثل أحاديث الصفات ونحوها .

(ب) وقد يكون متن الحديث ليس من قبيل الحقيقة بل من قبيل المجاز ، فرفضه باعتبار حمله على الحقيقة استناداً إلى أن العقل أو الحس والمشاهدة لا تقره مع إمكان حمله على المجاز المقبول لغة وشرعاً تهجم وتنسكرك لقواعد البحث العللى الصحيح ، وذلك مثل حديث ذهاب الشمس بعد غروبها وسجودها تحت العرش المروى في الصحيح (٢) فلو حملناه

(٢) موضوعات القارى ص ١١٩ .

(٢) روى البخارى في صحيحه عن أبى ذر قال : قال لى النبى صلى الله عليه وسلم حين غربت الشمس « تدرى أين تذهب ؟ » قالت أمة ورسوله أهل . قال : فانها تذهب حتى تجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ، وبوذك أن تسجد فلا يقبل منها ، وتستأذن فلا يؤذن لها ، يقال لها ارجعى من حيث جئت ، فنطلع من مغربها ، فذلك قوله تعالى : « والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » .

على حتميته لأدى ذلك إلى البطلان ، على حين لو حمل على المجاز المستساغ لظهر ما فيه من سر وبلاغة ، فسجود الشمس المراد به خضوعها وسيرها طبق إرادته سبحانه وعدم تأيها عن النظام الدقيق المحكم الذى فطرها الله عليه واستمرارها عليه من غير انقطاع ولا قور . ومثل هذا الحديث يقصد به حث الخلق على الخضوع والإذعان لله رب العالمين ، فإذا كانت الشمس على عظمها فى غاية الخضوع لله فما أجدد الإنسان المخلوق الضعيف - وبخاصة عابديها - بالخضوع لله والإيمان به ومثل هذا الأسلوب سائغ شائع ، فما نحن نرى العرب يقولون :
شكا إلى جملى طول السرى صبراً جملى فكلانا مبتلى

ولا شكوى ولا كلام ، وإنما مجاز وتمثيل ، فانظر إلى الروعة فى التمثيل ، ولو جاء على غير هذه الطريقة لخلأ من هذه الروعة . ومثل هذا التمثيل البديع قد جاء فى القرآن المتواتر الذى لا يتطرق إليه الشك مثل قوله سبحانه : « ويسبح الرعد بحمده » . فليس يبدع أن تيجىء به الأحاديث .

(ج) وقد يكون متن الحديث من قبيل المغييات كأحوال القيامة واليوم الآخر فردها تحكيماً للعقل فيها وبناء على قياس الغائب على الشاهد ليس من الإنصاف ، وذلك كالأحاديث الواردة فى صفة الجنة ونعيمها والنار وعذابها ونحو ذلك .

(د) وقد يكون متن الحديث من الإخبار بالأسرار التى كشف العلم عن مساتيرها واعتبرت من المعجزات النبوية التى جاءت الأيام بتصديقها ، وذلك مثل الحديث الصحيح : « إذا ولغ الكلب فى إناء أحدهم فليغسله سبعاً إحداهن بالتراب » . فقد أثبت بعض الأطباء (١) أثر التراب الفعال فى قتل وإزالة الميكروب المتخلف عن سؤر الكلب ، على حين كان بعض المارقين يعتبرون مثل هذا مجازفة وتعتاً فى التشريع ، وأما المؤمنون فكانوا يعتبرونه من قبيل التعبد حين خفيت عنهم الحكمة أرأيت أيها المنصف لو أن العلماء المحدثين تمسكوا بالنظر السطحي وتسرعوا فى الحكم ببطلان هذا الحديث وأمثاله مما خفى وجه الحكمة فيه ، ثم ظهرت بعد ذلك الحكمة واضحة ، ألا يكون ذلك جهالة فى البحث وقصوراً فى النظر وإجحافاً بحق صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم ؟ ثم ألا ترى معنى أن المحدثين كانوا على حق فى المسلك الذى اتبعوه ؟ .

٥ — ما زعمه في ص ٦ : « من أن المحدثين جميعاً أهملوا أمراً خطيراً كان يجب أن يعرف قبل النظر في هذا العلم ودرس كتبه ، ذلك هو البحث عن حقيقة النص الصحيح لما تحدث به الرسول صلوات الله عليه . وهل أمر بكتابة هذا النص أو تركه ونهى عن كتابته ؛ وهل دون الصحابة ومن بعدهم أو انصرفوا عن تدوينه ؟ وهل ما روى قد جاء مطابقاً للحقيقة ما نطق به النبي لفظاً ومعنى أو كان مخالفاً له ؟ . . . ثم في أى زمن دون ما حملته الرواية منه ؟ . . . وماذا كان موقف علماء الأمة منه الخ ما قال » ، زعم ليس له ما يؤيده ولا يخرج عن كونه إجحافاً صارخاً بحق أئمة الحديث فيما أفنوا أعمارهم فيه ، فهذه المباحث التي عرض لها وغيرها قد أكثر العلماء فيها البحث والتحصيل ووجدت في عشرات من كتب أصول الحديث ، وبحسبك أن ترجع إلى « علوم الحديث » للحاكم أبي عبد الله والإمام ابن الصلاح و « ألفية الحديث » للحافظ العراقي و « التدريب » للإمام النووي و « الباعث الحثيث » للحافظ بن كثير و « نخبة الفكر » وشرحها للحافظ بن حجر و « التدريب » للحافظ السيوطي وعشرات الشروح التي وضعت لها و « ظفر الأمان » للعلامة اللكنوي و « توجيه النظر » للشيخ طاهر الجزائري وغير هذه الكتب كثير مما ألف في القديم والحديث ، بحسبك - أيها الطالب للحقيقة - أن ترجع إلى أى كتاب منها وستعلم علم اليقين أن ما زعم صاحب الأضواء أنهم أهملوه قد عقدوا له الأبواب والبحوث المستفيضة ، وأنه يتجنى على أئمة الحديث ما شاء له هواه أن يتجنى .

هذا ورجأت إلى القارىء أن يكون على ذكر مما ذكرته في هذا المقال ، فإننا سنسكتني به في رد بعض ما يرد في أثناء هذا الكتاب إن شاء الله ؟

محمد محمد أبو شهبه
الاستاذ بكلية أصول الدين

الرجولة

وما العشق إلا غربة وطاعة
يعرض قلب نفسه فيصاب
وغير فؤادى للغواني رمية
وغير بنانى للرخاخ ركاب
أعز مكان فى الدنا سرج ساج
وخير جليس فى الزمان كتاب
أبو الطيب

إحباط فتنة

تلحين القرآن

نشرت الأهرام في ٧ أغسطس سنة ١٩٥٨ تحت عنوان « ٥ سور من القرآن تم تلحينها ، ما يلي :

أرسل وكيل وزارة التربية والتعليم إلى صالح أمين مفتش الموسيقى بالوزارة الذي بدأ في تلحين القرآن ، خطاباً يقول : فيه إن الوزارة تبارك المشروع ، وإنها مستعدة لدفع تكاليف تكوين فرقة موسيقية لتسجيل السور التي تم تلحينها ، وعرضها على هيئة كبار العلماء ، ثم تقديمها للإذاعة ، وقد أبدى عبدالوهاب حمودة عضو لجنة الاستماع بالإذاعة إعجابه بالسور الملحنة ، بعد أن غناها له على « العود » صالح أمين .

وقد أتم صالح أمين تلحين ٥ سور هي : المدثر ، والإنسان ، والنور ، والفرقان ، والأنفال ، ويقوم الآن بكتابة نوتها الموسيقية ، وسيسبق كل سورة ، مقدمة موسيقية تصور المناسبة التي نزلت فيها السورة .

كتاب مشيخة الأزهر

إلى وزير التربية والتعليم

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الأستاذ وزير التربية والتعليم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

فقد نشرت جريدة الأهرام بعددها الصادر في ١٩٥٨/٨/٧ أن السيد وكيل وزارة التربية والتعليم أرسل إلى الأستاذ صالح أمين مفتش الموسيقى بالوزارة خطاباً يبارك فيه مشروع

تلحين القرآن الذى بدأ فيه ، وأن الوزارة مستعدة لدفع تكاليف تكوين فرقة موسيقية لتسجيل السور التى تم تلحينها وعرضها على هيئة كبار العلماء ، ثم تقديمها للإذاعة .

وإذا صح هذا الخبر - ونأمل ألا يكون محيياً - فالمرجو أن يسان كتاب الله عن النزول به إلى المستوى الذى لا يليق به ، وألا يكون غرضاً لللحنين والمغنين يتفنون فيه على اختلاف ميولهم وأهوائهم .

ونحن على يقين من أن غيرة سيادتكم على القرآن والدين ، وحرصكم على كرامة مصر وسمعتها فى العالم العربى والإسلامى سيحولان دون تنفيذ هذا المشروع ، الذى لسنأ فى حاجة إليه ، والذى سيكون مآثر فتنة زبأ ببلادنا العزيزة فى نهضتها المباركة وزعامتها الرشيدة أن تكون هى المشعلة لنارها ، خصوصاً فى هذه الفترة الحاسمة ، التى تستلزم جمع الكلمة وتوحيد الصفوف .

وفقكم الله وسدد خطاكم وأجرى الخير على يديكم إنه سميع مجيب .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . شيخ الجامع الأزهر

٢٣ من المحرم سنة ١٣٧٨ - ٩ من أغسطس سنة ١٩٥٨ .

جواب الوزير إلى المشيخة

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته وبعد ، فردأ على كتاب فضيلتكم المؤرخ ٢٣ من المحرم سنة ١٣٧٨ هـ بشأن ما نشر بجريدة الأهرام بعددها الصادر فى ١٩٥٨/٨/٧ عن مشروع تلحين القرآن الكريم ، أرجو أن أنهى لفضيلتكم أنى أصدرت تعليماتى فور الاطلاع على ما نشر ، إلى المختصين بالوزارة لتحرى حقيقة الموضوع ، وقد اتضح لى أن مانسب إلى السيد وكيل الوزارة وإلى الوزارة نفسها لا أساس له من الصحة ، وقد أعطيت التعليمات لتكذيبه وتم ذلك فعلا فى جميع الصحف .

وإني لأرجو أن تطمئنوا إلى شديد حرصنا على كرامة القرآن ، والله خير حافظا .
والسلام عليكم ورحمة الله .
وزير التربية والتعليم
إمضاء
(كمال الدين حسين)
١٩٥٨/٨/١٨

بلاغ وزارة التربية والتعليم إلى الصحف

نشرت صحف : الأهرام . الجمهورية . الأخبار . الشعب . المساء . القاهرة .
في ١٣ و ١٤/٨/١٩٥٨ البلاغ الرسمي الآتي :
(حول تلحين بعض سور القرآن)

جاءنا من إدارة الشؤون العامة بوزارة التربية والتعليم ما يلي : نشرت إحدى الصحف الصباحية بعددها الصادر في ١٩٥٨/٨/٧ خبرا بعنوان « خمس سور من القرآن تم تلحينها » نسبت فيه إلى الوزارة أنها تبارك هذا المشروع ، وعلى استعداد للإسهام في نفقاته ... وهذا الخبر لا أساس له من الصحة ، وقد سبق للوزارة أن نفت خبرا كهذا . والوزارة حريصة كل الحرص فيما تقدم عليه من أعمال على أن تكون للدين مكاته وللقرآن المجيد قداسته . ولهذا تؤكد مرة ثانية نفيا القاطع لكل ما تضمنه هذا الخبر خاصا بها .

التلاوة المأثورة

لما توفي في العام الماضي مفتي الشافعية في القدس استقبل سماحة الحاج أمين الحسيني المعزين في منزله بمصر الجديدة ، وتلا القارئ الكبير الشيخ الشعشاعي ما تيسر من كتاب الله عز وجل بطريقته المأثورة عن قراء السلف ، فلما انتهى كان حديث من حضر من أهل الفضل يدور حول استهجان عمل من خرج عن هذه الطريقة من القراء الذين صرفوا أذهان السامعين عن الاعتبار بمعاني كتاب الله إلى التلذذ بالألغام الموسيقية مما لو حدث مثله في الصدر الأول لعوقب مرتكبوه بأشد العقاب ، فجزى الله وزير التربية والتعليم خيراً على منعه هذه الفتنة ووقايته كتاب الله من أن يكون سييلا إليها .

قراءة القرآن الكريم بلحون العرب لا بلحون أهل الفسق

إن لقراءة القرآن أصولاً وقواعد ، ولترتيله سنناً وآداباً ، وللترنم به شروطاً وواجبات قد نقلت عن نزل عليه القرآن صلوات الله عليه ، وتلقنت عن حفظوه وتدارسوه منذ عهد نزوله وتلاوته ، وقد أشارت الآيات الكريمة إلى ذلك فقال تعالى « ورتل القرآن ترتيلاً » ، وقال تعالى « فإذا قرأناه فاتبع قرآنه » .

ولترتيل القرآن فن يعرف بفن التجويد . روى عن ابن مسعود أنه قال : جودوا القرآن . قال الفراء : التجويد حليسة القراءة ، وهو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها ورد الحرف إلى مخرجه وأصله وتلطيف النطق به على كمال هيئته ، من غير إسراف ولا تعسف ، ولا إفراط ولا تكلف . وإلى ذلك أشار صلى الله عليه وسلم بقوله : (من أحب أن يقرأ القرآن غصاً وكما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد ، يعنى ابن مسعود . وكان رضى الله عنه قد أعطى حظاً عظيماً في تجويد القرآن ، ولا شك أن الأمة كما هم متعبدون بفهم معانى القرآن وإقامة حدوده هم متعبدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة الملتزمة من أئمة القراء المتصلة بالحضرة النبوية . وقد عد العلماء القراءة بغير تجويد لحناً .

قال الزركشى فى البرهان : كمال الترتيل تفخيم ألفاظه ، والإبانة عن حروفه ، وأن لا يدغم حرف فى حرف ، وأكمله أن يقرأه على منازله ، فإن قرأ تهديداً لفظ به لفظ التهديد ، أو تعظيماً لفظ به على التعظيم .

وتسن القراءة بالتدبر والتفهم ، فهو المقصود الأعظم والمطلوب الأهم ، وبه تشرح الصدور وتستنير القلوب ، قال تعالى « كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته » .

ويسن تحسين الصوت بالقراءة ، وقد حكى النووى الإجماع على ذلك ، لسكونه أوقع فى القلب وأشد تأثيراً وأرق لسماعه .

قال القسطلاني : ومن جملة تحسينه أن يراعى فيه قوانين النظم فإن الحسن الصوت يزداد حسناً بذلك . وهذا إذا لم يخرج عن التجويد المعبر عند أهل القراءات ، فإن خرج عنها لم يف تحسين الصوت بتمجج الأداء .

قال في الروضة : وأما القراءة بالألحان فقال الشافعي هي مكروهة إذا أفرط في المد ، وإشباع الحركات حتى تولد من الفتحة ألف ، ومن الضمة واو ، ومن الكسرة ياء ، أو يدغم في غير موضع الإدغام ، فإن لم ينته إلى هذا الحد فلا كراهة .

قال النووي : إذا أفرط على الوجه المذكور فهو حرام يفسق به القارئ ، ويأثم به المستمع ، لأنه عدل به عن نهجه القويم .

قال القسطلاني : وقد علم أن ما أحدثه المتكلفون بمعرفة الأوزان والموسيقا في كلام الله من الألحان والتطريب والتغني المستعمل في الغناء بالغزل على إيقاعات مخصوصة ، وأوزان مخترعة أن ذلك من أشنع البدع وأسوأ ، وأنه يوجب على سامعهم النكير ، وعلى التالي التعزير . نعم إن كان التطريب والتغني مما اقتضته طبيعة القارئ ، وسمحت به من غير تكلف ولم يخرج عن حد القراءة فهذا جائز ، ويشهد لذلك حديث أبي موسى الأشعري ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له (يا أبا موسى ، لقد أوتيت مزامراً من مزامير آل داود ، أي في حسن الصوت .

وروى أبو داود بسند صحيح من طريق أبي عثمان النهدي قال : دخلت دار أبي موسى الأشعري فما سمعت صوت صنج ولا بربط ولا ناي أحسن من صوته (والصنج آلة تتخذ من نحاس كالطباقين يضرب بأحدهما على الآخر ، والربط آلة كالعود والناي هو المزمار) .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يسمع القرآن من أوتوا صوتاً حسناً كابن مسعود وأبي موسى الأشعري . فقد روى ابن ماجه بإسناد جيد عن عائشة قالت : أبطأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة بعد العشاء ثم جئت فقال : أين كنت ؟ قلت : كنت أسمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد . قالت فقام فقامت معه حتى استمع له ثم التفت إلي فقال : هذا سالم مولى أبي حذيفة ، الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا .

قال ابن كثير فى كتابه « فضائل القرآن » : فأما الأصوات بالنفخات المحدثه المركبة على الأوزان والأوضاع الملهية والقانون الموسيقى ، فالقرآن ينزه عن هذا ويحل ، ويعظم أن يسلك فى أدائه هذا المذهب . وقد جاءت السنة بالزجر عن ذلك كما قال الإمام العالم أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتاين وسيجىء قوم من بعدى يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح ، لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم) .

قال القرطبي فى كتابه « التذكار فى أفضل الأذكار » عند شرح هذا الحديث : ويشبه هذا الذى يفعله قراء زماننا بين يدى الوعاظ وفى المجالس من اللحن الأعجمية التى يقرءون بها ما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وتحرم مصاحبة قراءة القرآن للعزف على العود وآلات اللهو والطرب بما هو شعار المهرفين فى الشهوات الغافلين عن ذكر الله . ولذلك حرم المتورعون من الفقهاء الغناء والمعازف مطلقاً لما يصحبها من إثارة الشهوات والطمس على القلوب بالغفلة ، لأن من راعى الأنغام يغلب عليه ألا يراعى واجبات الأداء .

والمعنى الجامع هو أن قراءة القرآن بالنغم المحمود شرعاً هى ما تكون به القراءة أشد تأثيراً فى النفس وخشوعاً فى القلب واعتباراً فى العقل ، وأن المحذور منها التطريب المتكلف الذى يشغل السامع بلذة الصوت وحسن النغم عن المعنى المراد والخشوع المطلوب ، وهو أشد خطراً إذا صحب القراءة التوقييع على العود أو النفخ بالناي ، فإن فى هذا امتحاناً لكلام الله ، والنزول به منزلة أحاديث اللهو والمجون ، وحاشا أن يكون كذلك .

على أن للقرآن موسيقياً خاصة به ، ووقفاً على أسلوبه تبرز بروزاً واضحاً فى فواصله واتزان مقاطعه ، بل فى كل كلمة من كلماته وفى كل جملة من جملة ، فهو فى غير حاجة إلى موسيقا خارجية أو أنغام أجنبية .

جاء فى الإتيقان : وقد كثر فى القرآن ختم الفواصل بحروف المد واللين وإلحاق النون ، وحكمته وجود التمكن من التطريب بذلك . قال سيبويه : إن العرب إذا ترنموا يلحقون (الألف والياء والنون) لأنهم أرادوا مد الصوت ، ويتركون ذلك إذا لم يترنموا ، وجاء فى القرآن على أسهل موقف وأعذب مقطع .

وإذا كان المقام مقام إنذار ووعيد ، وزجر وتهديد ، وتذكير بمواطن العذاب ووصف لصارم العقاب « ترى ألفاظه جزلة متينة ذات جلبة وضوضاء ، وصخب وضجيج ، ودوى وطنين ، أشبه شيء بصوت طبول الحرب وقصف الرعد ، فحصل الأسماع ، وتهز القلوب ، وتزلزل الأقدام ، وتوقظ الوجدان .

اقرأ إن شئت قوله تعالى في سورة إبراهيم عند الرد على من هدد الرسل من الكفار بإخراجهم من أرضهم أو بعودتهم إلى ملتهم « وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا ، فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ، ولنسكننكم الأرض من بعدهم ، ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد » إلى آخر الآيات . . . !

فإذا ما انتقلت إلى وصف المتقين ، والحديث عن أهل الجنة ونعيمها ، وجدت ألفاظا رقيقة النغم ، حلوة الجرس ، ناعمة الصوت ، لينة الصدى ، أشبه شيء بصوت القيثارة أو عزف العود أو نحيب الناي .

اقرأ قوله تعالى « وجوه يومئذ ناعمة » ، لسعيها راضية ، في جنة عالية ، لا تسمع فيها لاغية » .

ومن الموسيقى التي استخدمها القرآن الكريم نوع يعرف بالموسيقا الوصفية ، وهي التي تصور المعنى ، وتدلل على الفسكرة من طريق إيحاء النغم وتشابه الصوت للانسجام الذي يكون بين الموسيقى اللفظية والدلالات المعنوية . قال تعالى « فكبكبا فيها هم والغاؤون » ، فلما أراد الله تعالى أن يصور حركة سقوطهم في النار وهويهم فيها مثل هذه الحركة وصور ذلك المعنى باختيار هذا الفعل (كبكبا) فإن هذا الفعل يتكون موسيقياً من مقطعين متماثلين متكررين في سرعة وتوان ، ليسكون ذلك التمثيل أدل على تخيل المعنى ، وأحكم في تصور الحالة ، وأبلغ في تأثير النفس .

وبعد ، فالقرآن العظيم بحر لا تنقضى عجائبه ، ولا تحد أسرارها ، ولا يبلغ غوره ، أو تنفذ درره .

عبد الوهاب حموده

عناية الإسلام بالجانب الخلقى

للأخلاق النفسية أثر كبير في سلوك الأفراد والجماعات ، فهي التي توجه سلوكهم على النحو الذي يتمشى مع حال الأخلاق من صلاح أو فساد ، فصلاح الأقوال والأفعال تابع لصلاح الأخلاق ، وفسادها تابع لفسادها ، ولهذا عنى التشريع في الإسلام بإصلاح الجانب الخلقى عناية كبرى ، إذ الأخلاق السكرية هي التي تحقق في الإنسان معنى الإنسانية الكاملة ، وتعدّه للقيام بأعباء الخلافة الأرضية على أحسن الوجوه وأكملها ، وما ذلك إلا لأنها الرباط الوثيق بين الحاكمين والمحكومين ، والحفاظ القوى للحقوق والواجبات ، والأساس المتين لإرساء قواعد الحق والعدل ، والسياس المنيع لروابط الألفة والإخاء ، ومرجع استقامة السلوك وصلاح الأمر كله .

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه فقوم النفس بالأخلاق تستقم

ولقد حدثنا تاريخ الشعوب والأمم ، أنه ما ارتفعت أمة إلا بقوة أخلاقها وسمو آدابها ، واستقامتها في مسيرها وسلوكها ، واعتدالها في تعقلها وتفكيرها ، وتقديسها للمعاني الروحية والقيم الخلقية ، وما سقطت أمة إلا بسبب ضعف النفوس وانحلال الأخلاق ، وموت الضمائر وفساد الذمم ، فإن الأمة إذا سادت فيها قوانين الأخلاق ، واستحكمت في مجتمعاتها حلقات الآداب النفسية ، ارتفع شأنها وعز سلطانها ، وكانت في تماسكها كالبنين الذي لا تزعزعه العواصف ولا تنال منه الأحداث ، وكان لها من قوة أخلاقها وسمو آدابها حصون قوية منيعة ، تعتمد عليها في حفظ كيائها والدفاع عن سيادتها ، وتحمي ظهرها في مواقف الخطوب والشدائد ، وتدفعها دفعا حثيثا إلى الرقي والتقدم ، وتشق لها طريقا معبدا إلى السعادة والمجد ، وتجعل منها أمة عزيزة الجانب موفورة الكرامة ، شديدة البأس مرهوبة السلطان والقوة ، ولا تزال كذلك ما دامت معصمة بقوة أخلاقها ، ومحتفظة بقوميتها وسلامة مجتمعتها ، فإذا ما نكبت بضعف النفوس وانحلال الأخلاق ، والاستهانة بالقيم الخلقية والآداب النفسية ، وطغت عليها عوامل الفساد الخلقى ، ضعفت قوتها وتداعى بنيانها ، وتوقفت عن السير إلى الأمام ، وتراجعت بها عوامل الضعف إلى الوراء ، واضطربت في مجتمعاتها جوانب الحياة الفردية والجماعية ، فلا ترى فيها إلا أخلاقا جامحة ،

ونفوسا مضطربة ، وحرمان مستباحة ، وضعفا يبيت عناصر الحياة والقوة ، ويذهب الكرامة والعزة ، ثم تجتاحها في النهاية جوائح العدم ، وإن بقيت موجودة بالأشباح والصور .

فإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

لأن الأمة إذا وصلت إلى هذا الحد من الفساد الذي لا يدع صالحة إلا قضى عليها ، ولا نافعة إلا عصفت بها ، قضت عليها سنة الاجتماع البشري وطبيعة الصراع الدولي ، أن تجتاحها أمة أشد منها بأساً وأقوى سلطاناً ، لا للنهوض بها من كبوتها وإقالتها من عثرتها ، بل لسلب حريتها واحتلال أوطانها ، واستعباد أبنائها ، والاستيلاء على ثروتها ، والتحكم في اقتصادياتها ، وبذلك تسقط في هاوية الاستعباد ومذله ، كما سقطت في هاوية الفساد الخلق ومضله ، وتتضاعف عليها محن الاحتلال وويلاته ، بمن يلتفون من أبنائها حول المحتل بمن ضعفت نفوسهم وانحرفت أخلاقهم ، واستحوذ عليهم حب المال والجاه والسلطان ، ليسكنوا أعواناً له على تثبيت أقدامه ودعم سلطانه ، ومطاييا لتحقيق أغراضه وأطماعه ، تنزل عليهم الأوامر والنواهي من بروج السادة المحتلين ، فيسارعون إلى التنفيذ والطاعة العمياء ، ليس لهم رأى ولا اختيار فيما يأمرهم به وما ينفذون ؛ لأن رهبة المستعمرين ملأت نفوسهم الضعيفة ، فسلبتهم حرية الفكر واستقلال الإرادة ، وجعلتهم أشباحاً لا تتحرك إلا بقوة الدفع ، ولا تعمل إلا بإرادة المحتل ووحى الاستعمار ، وحب المال والجاه والسلطان استحوذ على قلوبهم وأبصارهم ، فلا يتطلعون إلا لما ينتظرونه من المستعمرين لقاء خيانتهم لأوطانهم ، من مال حرام يقطع من دماء المكافحين وعرق الكادحين ، وسلطان زائف يظهرهم أمام الشعب أعزة حاكمين ، ويجعلهم أمام سادتهم أذلة صاغرين ، ثم لا تقف نكبة الأوطان بهم عند هذا الحد ، بل كلما سمعوا دعوة الإصلاح الاجتماعي والتحرر السياسى ، جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم ، ووضعوا فى طريقها العوائق والعقبات ، وأشاعوا حولها الأقاويل والشائعات ، واستلنوا نعومة العيش الرخيص فى أغلال العبودية والاحتلال ، وآثروا الحياة الذليلة فى ظلال النعيم والترف ، على حياة الكسفاف فى ميادين الكرامة والشرف ، وكيف يستجيبيون لدعوة الإصلاح أو يتركونها تشق طريقها إلى قلوب الشعب ، ودعوة الإصلاح تقض عليهم مضاجعهم ؛ لأنها تقضى على ما يتمتعون به من سلطان زائف ومال مغتصب ، أم كيف تفتح أعينهم على مشاعل الحرية

والعزة والكرامة ، ونور الحرية والاستقلال يعشى أبصارهم ، وريح العزة والكرامة يزكم أنوفهم ؛ لأنهم ألفوا الحياة في ظلمة الاستعباد ، ونشأوا في أحضان الذلة والهوان ، فهم كالأجمال يؤذيها أريج الورود والأزهار ، ولا يطيب لها العيش إلا في الوحل والرغام .

وقد يبلغ الضعف الخلقى بالخذوعين والمفتونين بأساليب المستعمرين ودعائياتهم ، إلى حد الاعتزاز بولائيتهم وحمايتهم ، والاندماج في لغتهم وأخلاقهم وعاداتهم ، كأنهم كانوا قبل ذلك قطيعاً من الهمج ، لا دين لهم يعتصمون بعقائده وأخلاقه وآدابه ، ولا قومية لهم يعتزون بلغتها ويعملون بوحيا ، ولا أجداد لآبائهم يستلمونها ويسيرون على هديها ، أو كأنهم لا يعلمون أن هذا الاعتزاز والاندماج ، من أخطر العوامل التي تهدم كيان الأمة وتقضى على قوميتها .

ولهذا أكبر الإسلام شأن الخلق الكريم ومدحه وأعظم أمره ، وجعله خير ما أعطى الإنسان في الدنيا ، وارتفع بالأدب النفسى إلى القمة ، وسما بأهله إلى الذروة ، وجعلهم أقرب الناس في درجات الكرامة يوم القيامة ، كما في قوله عز وجل « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » ، « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ، وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم » ، « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً ، والعاقبة للمتقين » ، وقوله تعالى لنبيه فى مقام المدح والثناء « وإنك لعلى خلق عظيم » ، وقوله صلى الله عليه وسلم « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ، « إن أقربكم منى مجالس يوم القيامة ، أحاسنكم أخلاقاً ، الموطئون أكنافاً ، الذين يألفون ويؤلفون » ، « إن الله يحب مكارم الأخلاق ويبغض سفاسفها » ، « اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » : « ثلاث من لم تكن فيه فليس منى ولا من الله : حلم يرد به جهل الجاهل ، وحسن خلق يعيش به فى الناس ، وورع يحجزه عن معاصى الله » ، « وسئل صلى الله عليه وسلم عن خير ما أعطى الإنسان ، فقال : خلق حسن » ، « وسئل عن البر والإثم ، فقال البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس » .

ومن هنا يتضح الفرق بين المنهج الخلقى الإسلامى ، والمنهج الخلقى الوضعى ، الذى ابتدعته العقول البشرية ودانت به الحضارة المادية ، فإن المنهج الخلقى الإسلامى ، يقوم

كما رأينا على أساس الإيمان بالله واليوم الآخر ، وما فيه من بعث وحساب وجزاء ، والإيمان بفضيلة الخلق الكريم ، من حيث هو كمال روحى للإنسان فى الدنيا ، وموجب لسعادته فى الآخرة ، فهو منهج روحى فى حقيقته ومقاصده ؛ لأن قيامه على هذا الأساس ، من شأنه أنه يوجه الآخذين بأدابه ومبادئه إلى طلب السكال النفسى والرقى الروحى ، ويمنعهم من الاتجاه به إلى طلب المنافع المادية وتحقيق المآرب الشخصية ، ويطبعهم على الإيمان بفضائل هذه الأخلاق والآداب فى ذاتها ، وهم مكلفون بالتزامها والسير على منهاجها ، ومسؤولون عن الانحراف عنها أمام الله يوم الحساب والجزاء . والتزامها هو طريق سعادتهم فى الدنيا والآخرة ، هذا الإيمان يحملهم فى أعمالهم ومعاملاتهم وصلاتهم بغيرهم ، على رعاية الأمانة وتحرى الصدق ، والوفاء بالعهود والمواثيق ، واحترام الحقوق والواجبات والتزام قواعد الحق والعدل ، والإخلاص فى القول والعمل ، والترفع عن النفاق والرياء ، ويعيهم على تقديس القيم الخلقية ، والمثل العليا ، والتضحية بالمنافع المادية فى سبيل المحافظة عليها ، إلى غير ذلك من الفضائل الخلقية والآداب النفسية ، التى تتمثل أصولها فى طهارة القلب وسلامة الصدر ، وعفة اللسان واليد ، واستحياء النفس من فعل ما يوجب اللوم والتأنيب .

بخلاف المنهج الخلقى الوضعى ، فإنه يقوم على أساس أنه وضع بشرى ، يقصد به تنظيم السلوك الذى يحقق للإنسان مطالبه الدنيوية ، ويكفل له وسائل النجاح فى معترك الحياة المادية ؛ فهو منهج مادى فى حقيقته وأهدافه ، بعيد عن المعانى الروحية والآداب النفسية ؛ لأن قيامه على هذا الأساس المادى البحت ، يطبع الآخذين بمبادئه على الاعتقاد بأن هذه المبادئ ، ليست فضائل إنسانية فى ذاتها ، ولا مطلوبة من حيث هى فضائل تتصل بكمال النفس الإنسانية وكرامتها ، وإنما هى وسائل للنجاح فى ميدان الصراع والغلب ، وتحقيق أهداف الحياة المادية ومطالبها ، وهذا الاعتقاد يحملهم فى أعمالهم ومعاملاتهم وصلاتهم ، على أن يتظاهروا بالأمانة والصدق ، والوفاء والعدل ، واحترام الحقوق والواجبات ، وتقديس القيم الخلقية والمثل العليا ، ما دام هذا التظاهر محققاً لمنافعهم ومصالحهم ، ومتمشياً مع أغراضهم وأطاعهم ، أما إذا كان التزام هذه المبادئ الخلقية ، يفوت عليهم مغنا مادياً أو يتعارض مع أطامعهم فى السيطرة على الشعوب والأمم ؛ فإنهم يتنكرون لهذه المبادئ فى أبشع صور التنكر ، ويتحللون منها بكل استخفاف واحتقار ، ويدوسون بأقدامهم كل

القيم الأخلاقية التي لا تمشي مع أطماعهم ونزواتهم ، فلا يتخرج أفرادهم وجماعاتهم في معاملاتهم ، ولا حكوماتهم وزعمائهم في محالفاتهم ومعاهداتهم ، وحرهم وسلبهم ، من الاعتماد في سبيل الوصول إلى أهدافهم ، على النفاق والرياء ، والتلون والاتواء ، والغش والتدليس ، والخديعة والغدر ، ونقض العهود والمواثيق ، وسفك الدماء وإزهاق الأرواح ، ولتذهب المبادئ الخلقية ، والمعاني الإنسانية إلى الهاوية ، ولتقف جيوشهم وقوادهم في نشوة الغلب على أشلاء الضحايا وهي صرعى تحت أقدامهم ، شاهدين على أنفسهم بأنهم أبطال الغدر ومصاصو الدماء ، وليتخذوا من أنبيائها ألعاناً يملئون بأنغامها الحزينة أسماعهم ، ومن مصارعها معارض يتمتعون بها أنظارهم ، ماداموا قد حققوا أغراضهم وأطماعهم ، وغاب عنهم في غمرة هذا الطغيان الذي ملك عليهم تفكيرهم ، أن هذه المطامع التي استحوذت على قلوبهم ، ضخوا من أجلها بكل المبادئ الأخلاقية والمعاني الإنسانية ، قد قلبت عليهم أوضاع الحياة رأساً على عقب ، وملأتها عليهم رعباً وفزعاً ، وصيرتها جحياً وشقاء ، وقوضت دعائم الأمن والسلام ، وقضت على عوامل الطمأنينة والاستقرار .

ولو أنهم ساروا على المنهج الخلقى الذي قرره الأديان السماوية ، وجاء الإسلام برفع قواعده ووضح معاملته ، ودعا الناس جميعاً إلى السير على مبادئه وآدابه ، واستجابوا لدعوة السلام والإخاء الإنساني ، التي نادى بها القرآن الكريم بقوله : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَسَمِيعٌ عَدُوٌّ مُبِينٌ » ، لامتألت آفاق العالم بالسلام والاستقرار ، والمحبة والإخاء ، ولعاش الناس إخوة متحابين متعاونين ، يسعدون بالحياة وتسعد الحياة بهم ؟

يس سويلم طه
المفتش بالأزهر

السعادة في الحديث النبوي

في مسند الإمام أحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« لَا بَأْسَ بِالْغَنِيِّ لِمَنِ اتَّقَى اللَّهَ عِزَّ وَجَلَّ : وَالصَّحَّةُ لِمَنِ اتَّقَى خَيْرَ مِنَ الْغَنَى ، وَطِيبَ النَّفْسِ مِنَ النِّعَمِ » .

على هامش مؤتمر الأديان في طوكيو :

الإسلام في اليابان

أوفد الأزهر مندوبا عنه لحضور المؤتمر التاسع لتاريخ الأديان الذي عقد في اليابان في المدة من ١٢ إلى ٢٥ صفر (٢٧ من شهر أغسطس إلى ٩ من شهر سبتمبر) من العام الحالي ، وهو أول اجتماع للمؤتمر يعقد في الشرق لبحث موضوع « الدين في البلاد الشرقية : ماضيه وحاضره » . وبه أربع لجان لمعالجة موضوعات الديانات البدائية والقديمة والديانات القائمة الآن ، ولبحث العلاقات الثقافية بين الشرق والغرب ، ودور الديانات في هذا المجال . وقد ذكرت النشرة التي كان يصدرها المجلس العلمي في اليابان أكثر من مائة اسم لعلباء يخط بهم بحث أكثر من مائة موضوع ، لم أجد من بينها حظا للإسلام إلا في موضوع « سيكولوجية العقيدة الإسلامية في الله » للأستاذ Halepota A. W. J ، وموضوع « المسيح في القرآن وفي الأدب العربي الحديث » للأستاذ حسيني أ. م . ، وحديث للمستشرق ماسينيون Massignon عن بعض النواحي الإسلامية .

ولا أريد في هذه الكلمة أن أتحدث عن الغرض الدامغ لعقد هذه المؤتمرات التي تبناها الدول الغربية وتشجعها أمريكا ، وترسم أسسها وتحدد أهدافها جماعة لها تفوذها القوي البالغ ، والتي تبذل أقصى ما تستطيع من جهد ، وتقدم أكبر ما يمكن من تضحية في سبيل كسب المعركة ، وفرض سياستها على العالم كله .

لا أحب لنفسى الحديث في هذه الناحية ، ولا أكلف نفسى عناء التكهن والاستنباط ، فقد كفاني ذلك كثيرون من الكتاب الغيورين على الفكرة الإسلامية ، والمهتمين بالقضايا الشرقية والعربية ، والذين سلطوا الأضواء الكاشفة على هذه الاجتماعات التي تعقد بين حين وآخر تحت عناوين مختلفة ، تجمعها كلها سياسة واحدة وهدف مشترك ، ليس فيهما على التأكيد خير للإسلام ولا للعرب ولا للشرق أجمع .

ولنما أحببت بكلمتي هذه أن أعطي المسلمين صورة مصغرة عن الإسلام في هذا البلد الذي عقد فيه المؤتمر ، والذي يقع الآن تحت الاحتلال الأمريكي ، ويتحكم فيه النفوذ اليهودي ، وما يمكن أن تقدمه من خدمات للإسلام في هذه المنطقة الهامة من العالم ، فأقول [١] .

يبلغ عدد سكان اليابان حوالي ٩٠ مليون نسمة ، يدينون بعدة ديانات ، أهمها : الشنتوية Shintoism والطاوية Taoism والشامانية Shamanism والكونفوشية Confucianism والبوذية Buddhism والمسيحية ، وذلك إلى جانب عقائد أخرى تقوم على الأساطير التي أخذت تتلاشى أمام الغزو الدلبي والوعي الثقافي والدعاية المنظمة للديانات الكبيرة .

ولا يوجد من بين هذه الملايين التسعين إلا نحو ٨٠٠ مسلم أغلبهم من الترك الذين هاجروا إلى اليابان قبل الحرب العالمية الأولى ، ومن التجار الوافدين من الهند والبلاد الآسيوية المجاورة ، والذين أقاموا هناك بيوتا تجارية كبيرة ، وأسسوا جالية إسلامية ، أشبه بالواحة الصغيرة وسط هذه الصحراء الواسعة القاحلة .

ويكثر المسلمون في منطقتي طوكيو Tokyo وكوبي Kobe . وكانت هناك قلة منهم في منطقة ناجويا Nagoya غير أنها تفرقت بعد ما تهدم مسجدهم على أثر غارة جوية في الحرب العالمية الأخيرة .

وأول مسجد أنشئ باليابان هو مسجد كوبي الذي افتتح يوم الجمعة ٢٢ ربيع الأول سنة ١٣٤٤ (١١ من أكتوبر سنة ١٩٣٥) ، وهو يسع جميع المسلمين في منطقتي أوزاكا وكوبي . وكان الفضل في إنشائه لداعية مسلم حضر من الهند سنة ١٣٤٦ (سنة ١٩٢٨) ، واستجاب المسلمون في اليابان والبلاد الإسلامية الأخرى لندائه فأنشئ هذا المسجد الذي نجا من الغارات الجوية . وأقيمت بجواره مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم ومبادئ الدين لأطفال المسلمين ، وتدرس فيها اللغات العربية والتركية واليابانية . ويشرف عليها وعلى المسجد لجنة أغلب أعضائها من أصل تركي .

[١] بعض هذه الحقائق مترجم من مجلة العلم الأخضر اليابانية Green Flag عدد ديسمبر

والمسجد الثانى هو مسجد طوكيو الذى افتتح فى ربيع الآخر سنة ١٣٥٧ (مايو سنة ١٩٣٨) وهو من طابقين ، وتلحق به مدرسة على غرار المدرسة المذكورة فى طرازها الحديث وبرنامجها التعليمى . وخطبة الجمعة تلقى فى المسجدين باللغتين العربية والتركية .

والقرآن هناك مترجم إلى اليابانية ، ولكن عن أصل غير عربى ، والقائمون بالترجمة غير مسلمين ، ولا يعرفون اللغة العربية . وأول ترجمة ظهرت سنة ١٣٥٥ (سنة ١٩٣٦) نقلها الأستاذ ساكاموتو Sakamoto عن ترجمة سيل Sale الإنجليزية ، وظهرت ترجمة ثانية سنة ١٣٥٧ (سنة ١٩٣٨) لثلاثة غير مسلمين نقلوها عن ترجمات صينية وإنجليزية وفرنسية وألمانية . كما ظهرت ترجمة ثالثة سنة ١٣٧٠ (سنة ١٩٥٠) نقلها عن الألمانية الدكتور أوكوا Ohkawa وأحدث ترجمة ظهرت هى ترجمة الأستاذ إيزوتسو Izutsu بجامعة كيو Keio غير أنها لا تخلو ، كغيرها من الترجمات . من الأخطاء ، ولا تجد قبولاً لدى المسلمين .

وحظ اللغة العربية من الدراسة فى اليابان ضئيل جداً ، ولا تهتم جامعة طوكيو بدراستها اهتمامها باللغات الشرقية الأخرى . كما لا يوجد فى مكتبتها كتب عن الإسلام .

وكانت توجد فى سنة ١٣٢٩ (سنة ١٩١١) جمعية الأخوة الإسلامية التى أسسها الحاج عمر يامسكا والمدرسة الخيرية الإسلامية التى أنشئت فى طوكيو سنة ١٣٤١ (سنة ١٩٢٣) ، ولكن لا يوجد لهما أثر الآن . كما كان يوجد فى الجامعة اليابانية معهد للبحوث والثقافة الإسلامية . غير أنه ألغى منذ عامين .

والمؤسسة الإسلامية الموجودة الآن ، والتى يعلق المسلمون عليها الآمال فى هذه البلاد هى « الاتحاد الإسلامى الدولى » الذى يشرف على معهد الدراسات الإسلامية ، ويصدر مجلة نصف شهرية اسمها « العلم الأخضر Greenflag » ، يحررها بالإنجليزية مسلم يابانى نشيط اسمه الياس ت . ساكوما aleyis T. Sakuma ، وقد ألف عدة كتب عن الإسلام ليسد بها بعض حاجات المسلمين هناك .

هذا ويلاحظ أن كثيراً من المسلمين الذين هم ليسوا من أصل يابانى قد غادروا اليابان ، ويخشى أن يفسح المجال تماماً للديانات الأخرى ، وبخاصة اليهودية والمسيحية ، بما تعتمدان عليه من النفوذ السياسى والاستعمارى ، وإن كان الشعب اليابانى فى حيرته وقلقه الآن لا يرغب

في الديانات الوافدة من الغرب ، أو التي يحميها المستعمرون الذين قضوا على آمالهم العريضة بالقبلة الذرية ، التي تركت فيهم عمدة نفسية لن تزول أبداً ، مهما حاول المستعمرون أن يخفوها بظلالهم الخادع البراق .

والفرصة بهذا سانحة للإسلام في هذا الجو المهيأ ، أن يبذر بذوره الأصلية التي تتفق وطموح الأمم الاستقلالية الناهضة ، والأمة الإسلامية جمعاء والجمهورية العربية المتحدة بوجه خاص يمكنها أن تفعل الشيء الكثير لهذا الشعب المتعطش للقيم الروحية الخالصة ، وهي أقدر على أداء هذه الأمانة بما لها من سمعة طيبة في المحيط الدولي ، وإمكانات متوافرة في هذا المجال . والاتحاد الإسلامي هناك يشيد بالخدمات الجليلة التي يؤديها موظفو سفارتنا ، ويطالب في إلحاح ، أن ننشئ مركزاً إسلامياً يسد الفراغ ، ويزيل القلق النفسي الذي يعانيه اليابانيون .

ولا يفوتني بهذه المناسبة أن أذكر أن الأزهر قد أوفد في سنة ١٣٥٥ (١٩٣٦) مبعوثاً إلى اليابان يجيد اللغة التركية ، ومكث هناك حوالى عامين ، كان له فيها أثر طيب ، وقبيل الحرب العالمية الأخيرة أعد الأزهر اثنين من علمائه المتخصصين في الدعوة والإرشاد ، وهما لهما دراسة تكميلية خاصة ، غير أن عوامل القاهرة حالت دون سفرهما ، وفي سنة ١٣٧٠ (١٩٥١) طلبت الجمعية الإسلامية إيفاد علماء من الأزهر لنشر الدعوة الإسلامية ولتعليم المسلمين ما يهمهم ، واشتد الطلب في هذا العام ، والأزهر الآن بصدد اختيار أحد خريجيهم الذين يجيدون اللغة الإنجليزية ، وسيتم إيفاده قريباً إن شاء الله .

والمسؤول أن يولى المسؤولين في الجمهورية العربية المتحدة هذا الموضوع عنايتهم ، ليسكون صوتهم مسموعاً بقوة في الشرق الأقصى ، عن هذا الطريق السلي الواضح البريء ، ونحن نستطيع بحسن التوجيه ودوام الرعاية أن نكسب كثيراً ، وسط هذا الصراع العالمي ، في تلك المنطقة الحيوية الخطيرة .

والأزهر على أتم الاستعداد لتقديم أكبر ما يمكن من خدمات في هذا المجال ، متى توفرت لديه الإمكانيات اللازمة ، وذلك أمامه العقبات . خصوصاً في هذا الوقت الذي يرأس فيه جمهوريتنا الفتيّة قائد مؤمن محنك ، ويرأس جامعتنا الأزهرية العتيقة شيخ مؤمن بأهمية هذا العمل الجليل ؟

عطية صقر

المدير الصحفي لمكتب شيخ الأزهر

استخلاص الحق من الغاصب

أعلن الإسلام حقوق الإنسان . فى الحرية . . والأمن . . والحياة . . إلى ما هنالك من حقوق كرمه بها مولاه :

« ولقد كرمنا بنى آدم ، وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » (١) .

وثبتنا لهذه الحقوق شرع الإسلام القتال . . فالحرب فى الإسلام لم تكن لشهوة الانتقام وإنما كانت لاستخلاص الحق من الغاصب : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » (٢) « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين » (٣) .

هذا موقف الإسلام فى استخلاص الحق من الغاصب من الناحية المثالية أو من الناحية النظرية . . أما من حيث واقع الأمر فرسول الإنسانية محمد صلى الله عليه وسلم قاد الجيوش بنفسه لاستخلاص الحق من الغاصب . . وأمر ذلك مشهور مستفيض فى غزوات النبي وسراياه والصدىق أبو بكر الخليفة الأول رضى الله عنه حارب مانعى الزكاة لاستخلاص حق الفقراء من مال الأغنياء . وله فى ذلك كلمته المشهورة : « إن الزكاة حق المال ، والله لو منعونى عقلا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه » وفى هذا الموقف التاريخى المجيد . . يقول عبد الله بن مسعود : « لقد قننا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما كدنا نهلك فيه ، لولا أن الله من علينا بأبى بكر . . أجمعنا على ألا نقاتل على ابنة مخاض وابنة لبون ، وأن نأكل قرى عربية ، ونعبد الله حتى يأتينا اليمتين ، فعزم الله لأبى بكر على قتلهم فوالله ما رضى منهم إلا بالخطبة المجزية ، أو الحرب المجلية » [٤]

انضى تحت لواء هذه المبادئ شتى القبائل العربية فأصبحت بذلك أمة واحدة . .

(١) الاسراء آية ٧٠ . (٢) البقرة آية ١٩٠ . (٣) البقرة آية ١٩٣ .

(٤) تاريخ ابن الأثير ج ٢ ص ١٦٥ الطبعة الأولى بالمطبعة الأزهرية .

وتدقق العرب بعد النبي صلى الله عليه وسلم يعلنون حقوق الإنسان . . ويستخلصونها من القوى الغاصب إلى الضعيف المترقب ، وكانت أسبق البلاد إلى الاستجابة لهذه الدعوة الكريمة : «سورية» «فلسطين» و «العراق» و «مصر» و شمال إفريقيا . . وفارس . . وبعد أقتضاء القرن الأول على وفاة النبي صلوات الله عليه كان العرب قد وصلوا غربا إلى أسبانيا . . وشرقا إلى أن عبروا نهر السند ، . فما لبشوا أن أقاموا امبرطورية أعظم من امبرطورية روما في أوج عزها وقوتها . . حتى قال هارون الرشيد كلمته المشأورة . . وقد رأى في السماء سحابة ممطرة « أمطرى حيث شئت فحيث تكونين يأتيني خراجك » .

لكن للأسف أتى زمن تصدعت فيه أركان هذه الامبرطورية العظيمة وتضعضت قوة المسلمين السياسية وتمزقت الأمة دويلات تكاد تفضل حين تعدها عدا : العراق . . مصر ، . سورية . . فلسطين . . لبنان . . تركيا . . المملكة العربية السعودية . . اليمن . . تونس . . المغرب . . الجزائر . . إلى ما هنالك من محميات وغير محميات ، الأمر الذى ينفطر له قلب الغيور على مجدنا وتراثنا القديم . وختمت المسألة بقيام المزموعة «إسرائيل» شوكة في جنب العرب أو حربة موجهة إلى صدورنا أجمعين ، ورب ضارة نافعة . فقد تأثر من هذه الحال فتية آمنوا برهبهم فبادوا أنفسهم لله وعقدوا العزم مع الشعب الحبيب المتحفز لاستخلاص حقوقنا من الغاصبين الظالمين : وإن الله لهادى الذين آمنوا إلى صراط مستقيم .

هبت الأمة العربية فى كل مكان تستخلص حقها من الغاصب . فى مصر . فى الشام . فى العراق . فى الجزائر . فى كل مكان قامت تستخلص حقها ، وهى فى ذلك ليست معتدية . وليست متجنية . وليست ظالمة . وإنما تطلب حقا طبيعيا أعطته لها شريعة السماء . وأعطته لها القوانين والعرف . بل تفرضه المروءة بقطع النظر عن الدين والقانون والعرف فإن إلباء الضيم مروءة . والاستسلام امتهان : امتهان للكرامة . إهدار للأدمية . وأد للحرية . وماذا يتبقى لإنسان أو لأمة تفقد كرامتها وأدميتها وحريتها ؟ .

كل شئ يفنى ، أما ذكريات الأيام الخالدة التى تستخلص فيها الأمة حريتها فإنها باقية ، لإنها ذكرى القوة والقدرة والشجاعة . وهل يمكن لخائف . أو ضعيف . أو متردد أن يستخلص حقا من غاصب ؟ .

الإسلام دين دعوة . دعوة إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة : « ادع إلى سبيل ربك

ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن (١) ، « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون (٢) » ، « وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم (٣) » .

ودين رحمة وشفقة يبحر المستجير : « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه (٤) » .

الإسلام يأمر باستخلاص الحق من الغاصب . ويخبرنا بأن الاستسلام للغاصب ليس فيه إلا الخسارة . ويقسم رب العزة جل جلاله على هذه الخسارة فيقول : « والعصر . إن الإنسان لني خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر (٥) » .

والتواصى بالحق والصبر ليس إلا أن نعمل بالحق . وأن نحافظ على الحق . وألا نياس في سبيله مهما ضحينا بالنفس والنفيس .

والإسلام يوعد بالشر كل ظالم . كما يوعد به كل من يرى مظلوما ويتأخر عن نصرته وهو قادر فيقول صلى الله عليه في الحديث القدسي . يقول الله تبارك وتعالى : « وعزتي . وجلالي . لا تنقمن من الظالم في عاجله وآجله . ولا تنقمن ممن رأى مظلوما فقدر أن ينصره فلم يفعل » .

آمنت بك ربى منزل الأقوياء وناصر الضعفاء . منزل الأقوياء الذين يعتمدون على قوتهم فيعتدون على حقوق الإنسان . وناصر الضعفاء الذين ليس لهم إلا أن يلجئوا إليك يا رب العالمين . وقد رأينا كيف كانت خسارة الأقوياء ماديا ومعنويا . رأيناها بأعيننا في مصر . ورأيناها في العراق . وسراها في كل مكان وفي كل زمان . فسنة الله في خلقه أن ينصر المظلومين المؤمنين : « إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور » « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز (٦) » .

إن خير الأمم أمة يتأثر المجموع فيها للإهانة التي تلحق الفرد الواحد منها . على هذا نشأت الأمة ، أمة العرب ، خير أمة أخرجت للناس ، حتى لنرى زيد بن حارثة يخرج في

(١) للنحل آية ٢٥٠ . (٢) آل عمران آية ١٠٤ . (٣) الحج آية ٦٨ .
(٤) التوبة آية ٦ . (٥) السورة رقم ١٠٣ . (٦) الحج آية ٣٨ ، ٤٠ .

خمسائة رجل إلى « جذام » لماذا ؟ ... لأنهم قطعوا الطريق على « دحية الكلبي » يخرج إليهم فيؤدبهم على هذه الفعلة النكراء . وها هو ذا زيد بن رفاعة الجذامي يجيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من قومه فيعتذر ويعتذر بل ويسلم ، فيبعث النبي صلى الله عليه وسلم عليا إلى زيد بن حارثة يأمره أن يخلّي بينهم وبين حرمهم وأولادهم فيفعل .

هذا أدب الإسلام فما بالك إذا كانت الإهانة تلحق الأمة كلها لا الفرد الواحد منها . من غير شك تتأثر الأمة أكثر . . ومن هنا ترى أمة العرب الآن تتأثر بتلك الإهانات التي تلحقها من الغاصب . تأثرت لتلك الإهانة التي لحقتنا من الغاصب . حين اعتدى على قناة السويس . فقام بطل القومية العربية فاستخلصها منهم عدلا جهارا . وكانت قد أخذت منا ظلما جهارا . وهذا هو العدل بعينه .

وتأثرت للإهانة التي لحقتها في بغداد . فقيض الله لها من أبنائها البررة من استخلص لها حقها المغصوب وشرفها المسلوب . وتأثرت الأمة الآن أشد الأثر وأقواه لتلك الإهانة التي لحقتها من ذلك الطفل الكبير . أو حسين الصغير . حيث يناصر الغاصب الأثيم على حقوق العرب « ومن الغريب أنه يدعى القرابة لآل بيت رسول الله . وهم منه براء . فمن الامتهان للعقل البشري أن يقول هذا في الوقت الذي يعتدى فيه على القيم الأخلاقية وعلى المثل العليا التي أتى بها رسول الإنسانية محمد بن عبد الله » ، وتأثر الآن أمة العرب أشد الأثر وأقواه لتلك الإهانة التي لحقتها من ذلك « الشمعون » الذي كفر بحقوق الإنسان . وبحقوق الجوار . وبحقوق العرب أجمعين . وتأثر الآن أمة العرب أشد الأثر وأقواه لتلك الإهانات التي تلحقها في كل مكان : في الجزائر . في عدن . في المحميات . وغير المحميات . وتلك بادرة تبشر بالخير . فإذا كانت أمة العرب قد نامت على الظلم فإنها لم تخضع له . بل تتحين الفرص . وها هي ذى قد حانت . وتحين . حانت في مصر . وبغداد . وتحين في الأردن ولبنان ، وفي غير الأردن ولبنان ، لأن أمة العرب لا يمكن أن ترضى بأنفسها يحدع « ولا بحميتها تهان » ، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ^(١) ، ومن الكبار الفرار يوم الزحف . وها قد جاء الزحف المقدس لاستخلاص الحق من الغاصب .

وإذا كان لى - وأظنه لى ما دمت من علماء الأزهر - فإنى أرسلها مدوية من على منبر مجلته . وهى لسان حاله . أرسلها صرخة عالية بتهيئة النفوس لاستخلاص الحق من الغاصب . ونحن حين نتحفز لاستخلاص حقنا لسننا بمعندين . ولا بظالمين . وإنما نريد أن نحيا أحرارا كما خلقنا الله . أو نموت كراما كما يأمرنا الله . وإنى أذكر أولئك الذين يناصرون الغاصب بسوء المنقلب : « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » (١) أذكرهم بفعل الغاصب ذلك الذى امتص دماءنا ، واغتصب حقوقنا ، وأهان كرامتنا ، وأهدر آدميتنا ، ووأد حريتنا . أذكرهم بهذا ، وأذكرهم بأننا أبناء أمة واحدة ، ودين واحد وكتاب واحد ، وليس يصح فى عقل إلا أن تتكفل جميع شعوب العرب لمواجهة الغاصب المعتدى « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » (٢) .

وإذا كان لى من كلبة عتاب فإنى أعتب على الأمم الإسلامية التى تناصر الغاصب المعتدى على حقوق الإنسان . وفى أى سبيل تناصره ؟ . . . الدنيا ؟ . كم تساوى هذه الدنيا بجوار الحق . . . وصدق رسول الله « لو كانت الدنيا تساوى عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء » .

فتعاونوا أيها المسلمون فى جميع بقاع الأرض على استخلاص الحق من الغاصب . بهذا يأمرنا الدين . . والإنسانية ويأمرنا الحق . . والله هو الحق المبين ؟

منصور رجب

آيتان

قال الحكيم الألماني (كانت) :

شيثان يملأ عقلى بما لا يغنى من عجب ورهبة ، كلها أمعنن التفكير فيهما : هذه القبة الزرقاء المليئة بالنجوم فوقى ، وهذا الناموس الأدبى فى قرارة نفسى !! .

قوى المسلمين الحرية وأساطيلهم البحرية في صدر الإسلام

يعجب المرء كل العجب ، منتهى العجب ، غاية العجب بالغ ما شئت في عجبهِ إذا قيل :
إن المسلمين اتخذوا أساطيل البحار : ولما يمض على انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
الرفيق الأعلى غير سنين قليلة ، فتحوا ثغوراً وجزائر متعددة في البحر الأبيض المتوسط ،
وقد عاش العرب أكثر حياتهم على اليابسة ، لم تنشط لهم مهمة ، ولم تتوثب لهم عزيمة إلى ركوب
البحر والتطوح على السفن إلى بلاد يجهلون بها بكل ما فيها .

لكنهم لما دخلوا أفق الإسلام سرت إليهم منه روح قوية وثابة لحمتهما التوسع لصالح
المسلمين في الدعوة إلى الله تحقيقاً لإعلاء كلمة الله في كل بقعة من بقاع هذه الرقعة السوداء
يمكن أن يصل إليها داع ، أو يسعى إلى ممارستها ساع .

فأول ما بدا للمسلمين أن يشرعوا في الغزو بجزراً لإعلاء كلمة الله وابتغاء مرضاته كان سنة
ست عشرة هجرية ، فقد أرسل والى عمان أسطولا لفتح الهند فاستولى على جزيرة تسمى
جزيرة طنّاح ، وهي قرية من مدينة بومباي ، وخرج من ناحية البحرين بجزيرة العرب في
جزيرة كامبي على مدينة بارودا ، وأسطول ثالث خرج إلى مصب نهر السند فاستولى عليها .

وقد كان عبد الله بن عامر سنة ثلاث وعشرين في خلافة عثمان بن عفان يغزو بلاد كرمان
وسجستان في شمال الهند ، وإذ ذاك حدثت بين جيوش كرمان والسند وقائع انتهت بفوز
القائد عبد الرحمن بن سمرة عليها ، فاستولى على إقليم داور ومدينة بوست ، وتغلب بعد ذلك
المهلب بن أبي صفرة على ملك أفغانستان وفرض عليه دفع الجزية ، وكان ذلك سنة أربع وستين
في عهد معاوية بن أبي سفيان ، وأرسل الحجاج بن يوسف الثقفي سنة تسع وتسعين محمد
ابن قاسم في السابعة عشرة من عمره إلى شاطئ نهر السند واستولى على مدائن ديبيل ويبيرون

وبهمن آباد وآلور واقرب من جبال هملايا في شمال البلاد الهندية ، ولم يمض بعد ذلك غير قليل حتى كان قتيبة بن مسلم الذي ولاه الحجاج فتح آسيا الوسطى قد هزم التركان واستولى على خوارزم وما وراء نهر جيحون ومعظم المملكة التتارية وأحرق أصنام مدن فرغانة ونخشب ويكند وسمرقند ومدينة كشغر وأقصو وخوطان ، ولما انتهى إلى حدود الإمبراطورية الصينية أرسل إلى عاهلها وفداً مؤلفاً من اثني عشر رجلاً وصالحهم على دفع الجزية ، وبعد ذلك توجه قتيبة بأسطول على نهر السند إلى داخل البلاد الهندية فلاحق به جيش برى في أرض مكدان وانتشر في سهول مدينة كشمير فتأرت عليه مدن على شواطئ نهر السند فتغلب عليها ، وما زالت الجيوش الإسلامية تجوس خلال الديار الهندية حتى وصلت إلى نهر السكينج الذي يقده الهندوس ويحجون إليه كل عام .

وإنما استطرنا من ذكر الأساطيل الإسلامية التي بدأت تمخر عباب البحر من سنة ست عشرة هجرية للفتح ونشر كلمة الله في العالم إلى ذكر الفتوح التي تمت في الهند وفي داخلها ليرى القارى صورة مصغرة لحركة التضافر بين جيوش المسلمين البحرية لإدخال تلك الممالك الواسعة الأرجاء في حظيرة الإمبراطورية الإسلامية التي لم يشهد تاريخ الممالك ما يقرب منها في الاتساع والعظمة الدولية .

وأعجب ما في الأمر أن تتمكن دولة فنية كالدولة الإسلامية لا عهد لها بملك ولا حكومة من التبسط في فتوحاتها واتساع رقعتها إلى هذا الحد ، وتستطيع مع ذلك أن تحتفظ بهذا الملك الرحيب أجيالاً طوالاً وأماداً بعيدة لا بوسائل الإغنائ والإكراه كما يجرى عليه ناموس الفتح المنتشر في الدول المسيحية الآن المعاصرة لنا ، ولكن بروح العدل والنصفة المطلقة والمثل العليا في المساواة والإحسان والرحمة ، فكان أثر هذه السيرة الفاضلة الماثلة أن ذاعت اللغة العربية بآدابها وأسرارها ودقائقها وأساليبها الرصينة في تلك البقاع ، فلم يمض عليها غير سنين معدودات حتى أصبحت أمانع معاقل الأرض ومقرحمة المسلمين وأعلامهم .

شهد الله أنه من أعجب ما يتفق للبرء البصير بحقائق الأشياء في دنيا التاريخ الغابر أن يقرأه وأن يتمعن في طرائق البحث والدراسة ليرى أنه في إجماله وتفصيله معجزة من المعجزات الخوالد لمحمد صلى الله عليه وسلم .

فأول من أمر بالغزو في البحر الأبيض المتوسط معاوية بن أبي سفيان ، فأمر بإعداد

أسطول سنة سبع وعشرين هجرية ، فكان أول مصادفه من جزره جزيرة قبرص ، فقاتل حاميتها وحطم حصونها وما زال بها حتى هزمها وأسقطها في يده وفرض عليها الجزية . وفي سنة تسع وعشرين استولى على جزيرة إقريطش (كريد) وجزيرة كوس وجزيرة رودس . حدث كل هذا الفتح وهو والى للخلافة الراشدة على الشام في دمشق ، فلما آلت إليه الخلافة أرسل أساطيله لسنة ست وثلاثين هجرية فحارب الروم الشرقيين ، وقد كانت قاعدة الحكم يومئذ مدينة القسطنطينية فأباد جزءاً كبيراً من أسطول إمبراطورهم قسطنطين الثاني بعد محاصرته في خليج إيسالوق بسواحل إقليم ليسيا على سواحل الأناضول في سفح جبل فينسكس . ثم اتجهت رغبته إلى فتح القسطنطينية نفسها عاصمة الدولة الرومانية الشرقية وكان ذلك سنة ثلاث وخمسين فأعد لذلك أسطولا قوياً ضخماً ، فافتحم مضيق الدردنيل حتى وصل إلى سواحل بحر مرمرة وأنزل جنوده غرب القسطنطينية ولبشوا يحاصرونها ست سنين ، غير أن إمبراطورها لجأ إلى وسيلة نكراء أحرق بها أساطيل المسلمين يومئذ فاضطرت جنودها لئذ ذاك أن ترجع إلى الشام وقد سار جيش رومى يمتدنى أثرهم حتى أمن منهم على العاصمة والأناضول ، غير أن هذه الواقعة بنتائجها وظروفها المحيطة بها قد أغرت جوستينيان الثاني بالاستيلاء على الشام ، وكان ذلك سنة سبع وستين هجرية ، وكان ذلك في خلافة عبد الملك بن مروان ، واتفق أن عبد الملك كان مشتغلاً بأمر الخلافات والحزازات التي كان يثيرها مزاحموه ، فرأى أن يرد الروم بالحسنى بدون قتال ، فعاهدهم على نبذ العداوة بينهما فلما استتب له الأمر رأى أن يسترد ما كان قد استولى عليه الروم من الشام فقاتلهم وأوقع بهم وانتصر عليهم ورد إلى حظيرة الإسلام ما كان قد انفصل عنها من المدن والأقاليم .

ولما كانت سنة ثلاث وسبعين أرسل عبد الملك بن مروان بأساطيله لفتح جزيرة صقلية فانتصرت عدة مرات على المدافعين عنها .

ولما تولى سليمان بن عبد الملك الخلافة أخذ يرسل بالأساطيل لفتح القسطنطينية فكان الروم يحتالون على إحراق الأساطيل فتضطر الجيوش التي بها أن تعود براً ولسكنها في عودتها كانت تفتح مدناً وقلعاً ، فاستولوا على مدائن بسواحل بحر مرمرة ، وقد أثر إحراق الأساطيل في نفوس المسلمين فرأوا أن يعاملوا خصومهم بالمثل فسار مسلمة بن عبد الملك على رأس جيش لجب مغيراً به على آسيا الصغرى فاستولى على مدن كثيرة منها ، وما زال يتابع سيره حتى

وصلت جنوده إلى إسكوار على الخليج الذهبي وهى جزء من مدينة القسطنطينية ، فأحرقوا سفن الروم التى كانت بها وعادوا إلى معسكرهم .

وكانت ثمرة اتخاذ المسلمين للأساطيل أن فتحوا بها جميع جزر البحر الأبيض المتوسط ومدناً كثيرة من البلاد اليونانية وسواحل إيطاليا .

ثمرة هذه الفتوحات على المسلمين بل وعلى العالم كله :

إن ما وصل إليه المؤرخون حقائق لا تـجـحد ، وهى أن تبسط المسلمين فى فتوحاتهم لم يكن القصد منه اجتياح الأمم وسلب مـذخـوراتها ومقدراتها ، فقد عفووا عن المقهورين المغلوبين على أمرهم ، ولم يتناولوا منهم سوى الجزية ، وأنهم اقتبسوا فى أثناء فتوحاتهم كل ما صادفهم من علم نافع وصناعة ذات فائدة عملية فى البلاد التى فتحوها .

قال العلامة درير فى كتابه (المنازعة بين العلم والدين) المترجم للغة العربية : « إن المسلمين ما كانوا يتقاضون من مقهوريهـم إلا شيئاً ضئيلاً من المال لا يقارن بما كانت تتقاضاه منهم حكوماتهم الوطنية .

وقال العلامة سديو المؤرخ الفرنسى فى كتابه (خلاصة تاريخ العرب) فيما يتعلق باقتباس المسلمين للعلوم ما خلاصته : « لما تولى الخلافة أبو جعفر المنصور سنة ١٣٥ هـ أظهر ميلاً عظيماً للعلوم السكونية ، فكان يستدعى العلماء من البلاد التى انضمت إلى الإمبراطوية الإسلامية ويطلب إليهم ترجمة الكتب اليونانية ويغـدق عليهم الأموال الطائلة وقد سار خلفاؤه على سيرته فى نشر العلوم وترجمة كتبها من اليونانية وغيرها ، وخاصة حفيديه المهدي وهارون الرشيد ، فقد أقبلوا على علماء النصرانية المنتشرين ببلاد آسيا فاستقدموهم وأوعزوا إليهم بترجمة الكتب اليونانية والفارسية والبريانية إلى العربية ، فاشتهر فى عصرهما العالم الفلسفى المسمى (ما شاء الله) فوضع دائرته النحاسية ، كما اشتهر أحمد بن محمد النهاوندى فكان أقدم علماء الأرصاد فى الدولة الإسلامية ، وترجم حجازى بن يوسف كتاب إقليدس إلى اللغة العربية فتقدمت فى هذا العصر العلوم الفلسفية والميكانيكية ، وكفى بالساعة الدقاقة التى أهداها الرشيد إلى ملك أوروبا شـرلمان شاهداً على تقدم الفنون فى ذلك العصر ، فلما جاء المسلمون وهو يشبهه بأغسطس لدى الرومانيين أحاط نفسه بهالة من أعظم علماء الأرض ، وأدناهم

من بلاطه ، ثم جعل بينه وبين ملوك القسطنطينية روابط وثيقة العرى ابتغاء تمكينه من عيون الكتب اليونانية والموسوعات ، فأنفق أموالاً طائلة على ترجمة مؤلفات علماء الإسكندرية في عهد البطالسة وعلى ترجمة غيرها مما كان مدخراً في المكتبات الأجنبية التي لم يكن لها مماثل في مكتبة أثينا نفسها .

والباحث المتعمق يرجع البصر إلى ماضى المسلمين فيرى مجدهم العظيم قد تفوق على كل مجد في فتوحاتهم الإسلامية بين جيوشهم وأساطيلهم ، فيستصغر ما يقوم به الغرب اليوم نحو المسلمين في الشرق الأوسط من العرب ، وأى فارق بين عهد المسلمين السابق وبين ما نراه من بغى الغرب على العرب المسلمين واحتلال بلادهم ظلماً وجوراً ، وإن يوم عز المسلمين لقريب إن شاء الله ؟

عباس طه

الآخرة

روت الآنسة حى في مقالة لها بمجلة المقتطف (نوفمبر ١٩٢٧) أن الدكتور يعقوب صروف منشىء مجلة المقتطف - الذى يظنه أكثر الناس مادياً - كان يسخر من الملاحدة الذين حرموا نعمة الإيمان بالله ، وأوردت من كلماته بعد نقاشته من مرض أشقى فيه على الموت قوله :

« لو عاش الناس كلهم في هذه الدنيا منتظرين الأخرى لانتفى أكثر ما فيها من الشرور والآلام ، وانكسرت شوكة الموت ، » .

لغويات

بين الرجلين تصاف وانسجام

يستعمل الناس الانسجام في التوافق والالتئام . وهذا المعنى لا يعرف للانسجام في اللغة . وإنما الانسجام : انصباب السائل ، يقال : انسجم الدمع إذا سال ، و انسجم المطر . وفي آخر بردة البوصيري - رضى الله عنه :

وأذن لسحب صلاة منك دائماً على النبي بمنهل ومنسجم

ويقول الباجورى في شرح قوله : (بمنهل ومنسجم) : « والتقدير : بمطر منهل ومطر منسجم ، والمنهل : المنصب لشدة ، والمنسجم السائل لعدم شدته » ، وكأن هذا التقييد أخذه الباجورى من مقابلة المنسجم بالمنهل ، فجعل العطف عطف المباين . ويميل الشيخ خالد إلى أن العطف من عطف العام على الخاص ، فهو يقول ، « انهل المطر : سال بشدة ، و انسجم : سال بشدة وغيرها » ولا نرى في اللغة هذا التقييد .

وليس من اليسير على الباحث أن يورد الصلة بين معنى الانسجام في اللغة ، ومعناه المتعارف بين الناس ، وهو التوافق والالتئام .

ويرى بعض الباحثين أن انسجام الدمع وسيلانه يتضمن خيوطاً من الدمع على صفحتي الخد على السواء ، وهذه الخيوط روعى توافقها ، وفهم من انسجامها ، فكانت هذه الصلة بين الانسجام والتوافق ، ثم استعمل الانسجام في كل توافق ، وهجر المعنى الأصلي ، وهو السيلان .

ويرى بعضهم أن الأصل أن يقال : انسجم الدمع أى جرى وسال . وقيل منه على سبيل المجاز والمثل : انسجم فلان فى هوى فلان أى جرى فى هواه ووافقه فى أمره ، كما يقال فى هذا المعنى : حط فى هواه وانحط فى هواه . وفى الأساس : « وحط فى هواه وانحط فيه . ويقال : أكل من حلوائهم ، فانحط فى أهوائهم » . وتصرف الناس فى الكلمة فقالوا : انسجم الرجلان أى توافقا .

واستعمال الانسجام في التوافق على غير وجه الاستعمال في اللغة قديم . فقد جاء في صبح الأعشى ج ١٤ ص ٧١ : وبالجمله فإنما ذكرت النسخ المذكورة ، على سخافة لفظها ، وعدم انسجام ترتيبها ؛ لاشتغالها على الفصول التي جرى فيها الاتفاق .

استهتر فلان

في هذه الصيغة خطأ شائع ، وهو استعمال الاستهتر في استخفاف المرء بحق غيره ، فيقال : إن الأمم الغربية تستهتر بالأمم العربية أى تستخف بها ولا ترعى ما يجب لها . ويستعمل الناس في هذا صيغة البناء للفاعل .

وإنما الوجه في استعمال الاستهتر أن يرد مبنياً للفعول ، فيقال استهتر فلان بأذى غيره ، أى أولع به وصار لا يبالي فيه لوما . وقد اشتهر أن الاستهتر لا يكون إلا بهذا المعنى معنى الولوع بالشيء ، وأنه لذلك لا بد من ذكر صلتة ، فلا ينبغى أن يقال : فلان مستهتر ، إلا أن يتبع بالصلة ، فيقال : مستهتر بكذا ، وعلى هذا فمن الخطأ أن يقال : فلان مستهتر .

والناظر في كتب اللغة يجد أن (استهتر) بالبناء للفعول يأتي على وجهين . فيقال : استهتر الرجل إذا كان ينحو نحو الباطل والشر ، ولا يبالي ما يقول الناس فيه . وهذا الوجه يستغنى فيه عن الصلة بعده ، كما ترى . ويقال : فلان مستهتر بالشر أى مولع به حريص عليه لا يبالي ما يقال فيه ، وهذا لا بد من ذكر الصلة بعده ، وهذا الوجه يمت بصلة قريبة إلى الوجه الأول .

والوجه في بناء الصيغة للجهول أن معنى استهتر : أصيب بالهتر ، وهو الباطل والسوء والخرق ، فجاء على صيغة اسم المفعول ليدل على هذا المعنى ، كما قيل : جن الرجل أى أصيب بالجنون ، وكما يقال : جردت الأرض أى أصيبت بالجراد .

وفي اللسان : « ورجل مستهتر : لا يبالي ما قيل له ولا ما شتم به » . وفيه : « وفي حديث ابن عمر - رضى الله عنهما - : اللهم إني أعوذ بك أن أكون من المستهترين . يقال استهتر فلان فهو مستهتر إذا كان كثير الأباطيل ، وفي المصباح : « واستهتر : اتبع هواه فلا يبالي بما يفعل به » . وفي اللسان : « استهتر بأمر كذا وكذا أى أولع به ، لا يتحدث بغيره ،

ولا يفعل غيره . . فترى من هذه النصوص مجيء الاستهتار بالوجهين ، مقرونا بالصلة وعاريا عنها .

ويبدو أن من قصر استعمال الاستهتار على الصلة أخذه من الأساس ، ففيه : « ومن المجاز هو مهتر به ومستهتر به : مفتون به ذاهب العقل ، فتراه اقتصر على الصلة . وكذلك جاء في القاموس : « والمستهتر بالشيء : المولع به لا يبالي بما فعل فيه وشم له ، والذي كثرت أباطيله . وقد استهتر بكذا على ما لم يسم فاعله ، وإذا رجعنا إلى عبارة اللسان نجد أن الذي كثرت أباطيله يقال له مستهتر ، لا مستهتر بكذا ، فعبارة القاموس ليست على ما ينبغي ، وقد أتى صاحب القاموس من الرغبة في الاختصار . وكان ينبغي أن يقول : المستهتر : الذي كثرت أباطيله ، والمستهتر بالشيء : المولع به . وقد اقتصر صاحب « إتحاف الفضل ، في المبني لغير الفاعل ، على الاستهتار مقرونا بالصلة فقال : « استهتر بكذا بالفوقية والهاء والفوقية والراء مبني للجهول ، كما في القاموس . والمستهتر بالشيء : المولع به لا يبالي بما فعل . »

وجاء في قصيدة مفضلية لعبدة بن الطبيب :

إن الحوادث يخترمن وإنما عمر الفتى في أهله مستودع
يسعى ويجمع جاهداً مستهتراً جداً وأيسر بأكل ما يجمع

وفي شرح المفضليات لابن الأنباري ٣٠٢ : « مستهتراً : مولعاً موكلاً بذلك . . . مستهتراً : ذاهب العقل فيه من حرصه عليه ، وهو الولع بالشيء » ، وتراه فخر الاستهتار بالولوع بالشيء ، وكأنه يقدر صلة محذوفة في البيت أى مستهتراً بجمع ماله ، ولا داعي لهذا ، فالوجه تفسير المستهتر بالذاهب العقل الأحق ، ومن هذا أنه يعرف في جمع المال من كل وجه .

وبما يذكر هنا أنه ورد في شرح ابن الأنباري ضبط (مستهتراً) بكسر التاء بالبناء للفاعل ، وهذا بضبط القلم ، وهذا يخالف ما أجمع عليه أصحاب المعاجم التي بأيدينا ، فإنهم نصوا على أنه لا يستعمل إلا مبنياً للمفعول ، فلا يعول عليه . ولا أرى في هذا ما رآه شارحا المفضليات الأستاذان أحمد شاكر وعبد السلام هارون أن الكسر بناء على ضبط القلم في شرح

ابن الأنبارى لغة صحيحة . وهما يقولان فى ذلك : « المستهتر : المولع بالشيء الذاهب العقل فيه من حرصه عليه . وضبط بكسر التاء على وزن اسم الفاعل فى أصول المتان والشرح أربع مرات . والذى فى المعاجم ضبط بفتحها بوزن اسم المفعول ، وضبط فعله (استهتر) بالبناء للمفعول . فما ثبت هنا لغة لم ينص عليها . »

استقل القائد الطائرة

هذا مما يشيع استعماله فى هذه الأيام ، فىقال : استقل السيارة أو الطائرة أى ركب فيها . وهذا الاستعمال لا يوافق الاستعمال اللغوى . فإنما يقال : استقل الشيء أى حمله ورفع ، كما يقال فى هذا : أقله . يقال : أقلت الأرض من عليها واستقلتهم أى حملتهم . ويأتى الاستقلال أيضاً لازماً ، فىقال : استقل الطائر : ارتفع فى طيرانه ، واستقل القوم : ارتحلوا . وفى اللسان : « أقل الشيء واستقله يستقله إذا رفعه وحمله . . . واستقل الطائر فى طيرانه نهض للطيران وارتفع فى الهواء ، واستقل النبات : أناف ، واستقل القوم : ذهبوا واحتملوا سائرهم وارتحلوا : قال الله - عز وجل - حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً أى حملت ، واستقلت السماء : ارتفعت ، وفى القاموس : « واستقله : حمله ورفع كقله وأقله ، والطائر فى طيرانه : ارتفع ، والنبات : أناف ، والقوم : ذهبوا وارتحلوا ، والشيء : عده قليلاً . »

ويستطيع الباحث أن يخرج هذا الاستعمال الشائع على القلب . فأصل (استقل الطائرة) استقلته الطائرة أى رفعته ، وقد نجم كثير من الأساليب والألفاظ عن القلب ، كما يقال غفر فى حفر . أو أن أصل استقل الطائرة : استقل فى الطائرة أى ارتفع ، فحذف الحرف .

ولا ريب أن هذا لا يسوغ الخروج على الاستعمال الصحيح فىقال : استقلته الطائرة ؟

محمد على النجار

أسطورة عربية

تزعى العرب أن « الهديل » فرخ كان على عهد نوح ، فصاده جرح من جوارح الطير ، فليس من حمامة إلا وهى تبكى عليه . وذكر هذه الأسطورة أبو وجرة السعدى فى شعره :

فقلت أتبكي ذات طوق تذكرت هديلاً وقد أودى وما كان تبع

رسالة الأزهري - ٣

رسالة الأدب

من خير ما عرف به الأدب قول ابن خلدون في مقدمته - : « هذا العلم لا موضوع له ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها . . وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته . . وهي الإجادة في فني المنشور والمنظوم على أساليب العرب ومناحيهم . . فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الملكة من شعر على الطبقة وبيجع متساو في الإجادة ومسائل في اللغة والنحو مبثوثة أثناء ذلك متفرقة . . يستقرى منها الناظر في الغالب معظم قوانين العربية مع ذكر بعض أيام العرب . ليفهم به ما يقع في أشعارهم منها . وكذلك ذكر المهم من الأنساب المشهورة والأخبار العامة . والمقصود بذلك كله ألا يخفى على الناظر فيه شيء من كلام العرب وأساليبهم ومناحي بلاغتهم . ثم إنهم إذا أرادوا حد هذا الفن قالوا : الأدب حفظ أخبار العرب وأشعارها والأخذ من كل علم بطرف . »

هذا التعريف بالأدب وفنونه من ابن خلدون هو من أقدم ما عرف به الأدب . . وقد سبقه إلى ذلك أبو بحر الجاحظ بمالا أرى داعيا إلى ذكره لأنني لست في مقام درس في أدب اللغة . وإنما خصصت بالقول تعريف ابن خلدون لأنه قد عاصر الأزهري بعد انقضاء الدولة الأيوبية . وكان ممن وقعت لهم العلاقات العلمية بالأزهري وأهله وإن لم يكن يوما من طلابه . فتعريفه للأدب هو الذي يقرب لنا ما كان عليه الأدب في أيامه . لنقيس عليه مسافة ما كان للأزهري من هذا الأدب في علومه وفي مواد الدراسة فيه .

لو شاء العبيديون - وهم بانو الأزهري - أن يكون للأدب فيه نصيب لاستطاعوا ذلك بأكثر وسائل الاستطاعة ؛ لأنهم أهل معرفة ولهم مكتبات كان يضرب بكثرة كتبها الأمثال . ولكنهم لم يريدوا ذلك لأنهم أسسوا الأزهري على دراسة مذهبهم الشيعي والتفقه فيه إلى أبعد الآفاق . ولذلك قصرُوا الدراسة فيه على هذه السبيل المذهبية ليغرسوا أصول مذهبهم في مصر لا من طريق الشعر والأدب ولكن من طريق المداينة الفقهية نفسها والتعمق فيها إلى أبعد الأغوار . وكذلك من طريق المؤلفات التي هي في صميم مذهبهم

الشيخي . نعم كان لهم شعراء يتغنون بمذهبهم ولكنهم لم يكونوا من طلبة الأزهر وإنما كانوا من بيئات أخرى مثل الشاعر الكبير عمارة اليمني الذي رحل إلى مصر في مدة العبيدين . ثم كان شاعرهم المذهبي الأول . بل لقد كان إمام شعرائهم على نحو ما كان أبو الطيب المتنبي إمام شعراء سيف الدولة بن حمدان في حلب .

* * *

انتهى هذا الدور العبيدي وجاء بعده الدور الأكبر في ركود الأزهر . فلقد جاء بعد الدولة العبيدية - الدولة الأيوبية . وقد قسا السلطان صلاح الدين على حياة العبيدين وأزهرهم قسوة منبئة من سنيته . فلقد كان سنيا بأكر معاني الكلمة . ومن ذلك أنه شفق من شفق ومحق من محق . وأراد أن يلحق بالأزهر المحق الأبدى لأنه كان معهد المذهب الإسماعيلي فغلق أبوابه ومنع فيه خطبة الجمعة وصيره أثراً بعد عين . وظل الأزهر كذلك قرابة مائة عام تهدم فيها كثير من معالمه وانصرف الناس عن العبادة فيه . وأقام على أنقاضه مدارس لتدريس المذاهب الأربعة . وكان لصلاح الدين شعراء يؤيدون انتصاراته ومذهبه السني كما كان للخلفاء العبيدين شعراء كذلك على نحو ما أسلفت . وهؤلاء الشعراء وهؤلاء لم يكونوا من البيئات الأدبية البحتة . وكان من شعراء صلاح الدين العباد الأصفهاني الذي يمتدح صلاح الدين بقوله .

شكاً إليك بنو الإسلام يتمهم فقمتم فيهم مقام الوالد الحذب
في كل دار من الإفرنج نادبة بماذا هم فقد باتوا على ندب

دور البعث

بعث الأزهر من جديد في عهد السلطان الظاهر بيبرس من ملوك الجراكسة . فقد تولى هذا السلطان ملك مصر سنة ٦٥٨ هجرية ، وأول ما عني به بعث الأزهر من جديد ليكون معهداً . . واتجهت العناية حينئذ لإتقان تدريس العلوم الدينية ، التي هي المقصد الاسمي بعد بعث الأزهر . . ولا غنى لسكل مقصد عن آلاته النافعة . . ومن آلات العلوم الدينية النحو والصرف والبلاغة . . وكان هذا الدور هو دور التأسيس لهذا المعهد العتيق الذي لا تزال آثار هذا التأسيس القوي ماثلة فيه الآن .

وفي هذا التأسيس القوي لم يدخل الفن الأدبي الأزهر ، وإنما كانت هناك

حواليه نهضة أدبية بارعة حمل لواءها الشعراء ، أمثال بهاء الدين زهير ، وابن مطروح ، وابن نباتة ، والشاب الظريف ، وصفي الدين الحلي ، وسراج الدين الوراق المصري .. كما حمل لواء النثر الفنى فيها أمثال أبي العباس القلقشندي ، ومحى الدين بن عبد الظاهر ، وشهاب الدين الخفاجي ، .. كما حمل لواء النثر العلمى الشيخ كال الدين الدميرى ، وعبد الرحمن بن خلدون ، وتقى الدين المقريزى ، وشمس الدين النواجى ، والشيخ شهاب الدين الألبشى .. على تفاوت بينهم فى الأزمنة التى يقترب بعضها من بعض ، اقترابا يصل أولها بآخرها .. وقد تأثر الأزهر بهذه الحركة الأدبية ، لأن من بين من أسلفنا من أعلام النثر الفنى ، والنثر العلمى ، من انتسب إلى الأزهر ، وكان من طلابه ، غير أنهم آثروا الاستقلال بالأدب والفن ، وراحوا يؤلفون ويدونون .. فملئوا الحياة بمؤلفاتهم الأدبية التاريخية ..

وأذكر بالذات عالما جليلا جمع بين الأدب وبين الاشتغال بالعلوم الدينية ، التى كان فيها إماما يشار إليه بالبنان .. ذلك هو الشيخ المعروف بابن دقيق العيد .. وله فى ترجمته الدينية لوامع قد لا يجاريه فيها الكثيرون من علماء وقته .. هذا الشيخ كان أدبيا كبيرا ، ولولم يدرس الأدب فى الأزهر ، لأن الأزهر كما أسلفت كان خلوا من مناهج الأدب كمن يدرس وكان الأديب من بين أبنائه إنما يكون أدبيا برغبته فى قراءة الأدب من نفسه لا بتلقين ولا بدراسة .

ومن شعر الشيخ ابن دقيق العيد ، وهو شعر بالغ العذوبة والسمو . قوله يشكو الفقر .

لعمري لقد قاسيت بالفقر شدة	وقعت بها فى حيرة وشتات
فإن بحت بالشكوى هتكت مروءتى	وإن لم أبح بالصبر خفت بماتى
وأعظم به من نازل بملءة	يزيل حياى أو يزيل حياتى

وقال يتمنى الجمع بين الشيب والشباب :

تمنيت أن الشيب عاجل لمتى	وقرب منى فى صباى مزاره
فأخذ من عصر الشباب نشاطه	وأخذ من عصر المشيب وقاره

وكان من بين هؤلاء الأفاضل الأزهريين عالم العلماء الذى لا يجارى فى كثرة التأليف المفيدة .. الشيخ الجلال السيوطى فقد ألف - فيما ألف - كتابه الأشهر (المزهرة فى علوم اللغة) وهو وإن لم يكن كتابا أدبيا بحتا إلا أنه مقدمة للأدب وجعبة للأديب الدارس

يغترف منه ما شاء له الأخذ عنه . . قال الشيخ في مقدمته « هذا علم شريف ابتكرت ترتيبه . واخترعت تنويعه وتبويبه . وذلك في علوم اللغة وأنواعها وشروط أدائها وسماعها . . . وكان كثير ممن تقدموا يلم بأشياء من ذلك . ويعنى في تمهيدها ببيان المسالك . غير أن المجموع لم يسبق إليه سابق ، ولا طرق سبيله غيرى طارق » .

* * *

جاء بعد هذا العهد عهد ركدت فيه اللغة العربية وآدابها ركود الطين في الماء الآسن . ذلك هو عهد البكوات الممالك والأتراك . . وقد لحق اللغة وآدابها فيه التحطيم الكامل - إلى أن رأينا بريقاً في جو الأدب لمع من عبقرية عالم أزهرى جليل هو شيخ الإسلام السادس الشيخ عبد الله الشبراوى قال في بعض أسفاره متشوقاً إلى مصر :

أعد ذكر مصر إن قلبي مولع بمصر ومن لى أن ترى مقلتي مصرا
وكرر على سمعى أحاديث نيلها فقد ردت الأمواج سائلة نهرا
بلادها مد السباح جناحه وأظهر فيها المجد آيته الكبرى
رويداً إذا حدثتني عن ربوعها فتطويل أخبار الهوى لذة أخرى

وقفى على أثره الشيخ إسماعيل الحشاش قال متغزلاً :

يا شقيق البدر نوراً وسنا وأخا الغصن إذا ما انعطفا
بأبي منك جبيناً مشرقاً لو بدا للنيرين انكسفا
بغيتي منك رضاب ورضا وعلى الدنيا ومن فيها العفا

وجاء بعده شيخ الإسلام الشيخ حسن العطار . قال يتغزل :

ألزمت نفسى الصبر فيك تأسيأً والصبر أصعب ما يفاد نجيبه
وبليت منك بكل لاح لو تبد نحو طود أثقلته كروبه
أفلا رثيت لعاشق لعبت به أيدي المنون ونازعته خطوبه
أنت النعيم له ومن عجب تعذ به وتمرضه وأنت طيبه

ثم من بعدهم الشيخ محمد شهاب ، وهو وإن لم تكن أزهرية معروفة للكثيرين إلا أنه أخذ ثقافته الأولى من الأزهر ، ثم انقطع إلى التحرير والأدب . . ومن شعره في قصيدة له أنشأها لتكسب حول جامع القلعة .

عروس كنوز قد تحلت بمسجد مكللة تيجانها بالزبرجد
 أم الجنة المبني على قصورها بأبهج ياقوت وأبهى زمرد
 ألا إن تجديد العجيب من البنا يؤكد تأسيس اقتدار المجدد
 فلو عدت في الكون بدء بدائع لكان به ختم لذاك التعدد
 كأن الليالي الوالدات عجائبها أصبن بعقم بعد هذا اتولد

* * *

وللشيخ محمد شهاب أيضا في امتداح المفتي الشيخ محمد المهدي العباسي :

تب مفتى المهوى وتبت يداه ضل شرعى نهجه والسياسى
 فدعيه يا عز - عز اصطبارى إن فتواه فتنة للناس
 ولئن قلت أى فتوى البرايا حكمت بالنصوص دون التباس
 وارتضاها الزمان قل لى وأرخ قلت فتوى مهديه العباسى

ومن شعراء هذا العهد الأزهرى الشيخ محمود العالم . وفى شعره طابع واضح لنظم كثيرين من العلماء فى مناحى تفكيرهم وأسلوب أدبهم فى هذه الحقبة . قال هينى الشيخ العروسى بمشنيحة الأزهر سنة ١٢٨٥ هجرية :

إن شيخ الإسلام أيده الله تعالى بالنصر والتعزيز
 العروسى أوحى الناس فى الفضل وأين الأنهار فى الراموز^(١)
 فائق الناس فى العلوم بذهن يتلظى فيها وقلب جميز^(٢)
 من أحاديثه تشم شذا المسك وريا الكافور والشونيز !

وقبل أن أنتقل إلى أفق آخر من آفاق الحديث أذكر أن للشيخ الحشاش ديوان شعر صغير كان متداولاً فى وقته بين أدباء عصره . وقد جمعه وطبعه بعد وفاة صاحبه - أصدق أوفياؤه الشيخ حسن العطار . وكان لهذا الديوان رسالة أدبية عامة فى وقته : هى أن الكثرين تأثروا به فى دراستهم الأدبية .

* * *

هذا في الشعر ، أما في النثر فلقد كان أوضح النثرين شأنًا - الشيخ حسن العطار وقد جمع منشوره بنفسه قبل مماته وأودعه المكتبة التي أنشأها محمد علي الكبير وقد طبع هذا المجموع عام ١٢٧٨ هجرية بعد وفاة صاحبه . وهو مجموع يدل على اطلاع واسع على كتب الأدب وإتقان المعاملات الشرعية ، وقد قال صاحبه في تقسيمه : « وهو منقسم إلى قسمين : كتابة الشروط والمعاملات . وإنشاء المراسلات والمخاطبات . . . » ، وكان وضع رسائل المعاملات بلغة الشيخ العطار الأدبية جديداً كل الجدة على كتابة أبواب المعاملات الشرعية وإليك مثالا منها بعنوان (القرض) .

« استقرض فلان من فلان كذا وكذا ديناراً أو درهماً من النقد الفلاني . فأقرضه ذلك وهما بحالة يصح فيها القرض والاستعراض الشرعيان . استقرضاً وإقرضاً شرعيين صحيحين ومن المفسدت والقوادح عريين . مشتملين على الإيجاب والقبول من الجانبين ، وصار المال المستقرض حقاً وملكاً لفلان المستقرض .. وله التصرف فيه على حسب مشيئته وإرادته . وعليه رد مثله إلى المقرض حين يطلبه عاجلاً من غير مماطلة ومدافعة ... حسباً تراضياً على ذلك وانفقاً ... »

أما رسائله الأدبية الإخوانية فكثيرة جداً . وإليك مثلاً وجيزاً منها .

« أعاد الله أيام التهانى وجدد ما اندرس من معالم المرات . وجمع الشمل بأصحاب وأتراب . هم كواكب الفضل المشرقة مدى الدهور ... نخص من بينهم شمههم المنيرة . الذي جمع من الفضل قليله وكثيره ... ولا زالت العلياء بوجوده باسمه الثغر . والآيام والليالي بمعالیه تعد غرة في جبين الدهر ... » .

يصف الشيخ عبد الرحمن الجبرتي أدب الشيخين الخشاب والعطار بما أختتم به مقال اليوم مرجئاً بقية (رسالة الأزهري الأدبية إلى ما بعد) : قال الجبرتي .

« ... فكان كثيراً ما يبيتان معا . ويقطعان الليل بأحاديث أرق من نسيم السحر . وألطف من اتساق نظم الدرر ، وكثيراً ما كانا يتنادمان بداري . لما بيني وبينهما من الصبغة الأكيدة والمودة العتيقة . فكانا يرتاحان عندي . يتجاذبان أطراف الكلام .

فيجولان في كل فن من الفنون الأدبية والتواريخ والمحاضرات ، فتارة يتشاكيان
تغير الزمان ، وأخرى يترنمان بمحاسن الغزلان ... فكانت تجرى بينهما منادات أرق من
زهر الرياض . وأفتك بالعقول من الحدق المراض ... واستمرت محبتهما . وتزايدت على
طول الأيام مودتهما

عما سلف من البيان نعلم أنه كان بالأزهر في هذه الحقبة نبعان : نبع كثير الطلاب ، يعنى
بتحصيل الدروس المقررة ليس غير من علوم قواعد اللغة والدين . ونبع قليل الطلاب ،
اختيارى التناول . هو نبع الأدب والتاريخ الذى ارتوى منه من أسلفت من أصحاب رسالة
الأزهر الأدبية . ومنهم من سيجىء ذكره في الكلمات اللاحقة . هؤلاء وهؤلاء هم الذين
نسجت منهم رسالة الأزهر الأدبية .

حسن الشيخه

المحرر الأدبى بجريدة الشعب
وعضو نقابة الصحفيين

الذين يأتون العلوم من ظهورها

جاء العلوم بيوتها من ظهرها	وأخو الزكاة من أتى من بابها
فترفعت أن تستكين لفهمه	فارتد لم يظفر بنشق تراها
نبع الحقيقة ، والحقيقة لم تكن	لتريم هذى الأرض خوف كلاها
وحقائق الأشياء ثابتة وإن	أعيا على العميان خرق حجابها

محمد حسن النجمى

قراءات

تختلف القراءة بالنسبة للأفراد ، فبينما يمر البعض على ما يقرأ من السكرام ، لا يكاد يعي ما يقرأه ، بل وما يكاد يترك الكتاب حتى ينسى ما قرأ ، إذا بالبعض الآخر يقرأ قراءة واعية تهدف إلى تفهم وهضم المادة التي يقرأها .

وقد درجت في قراءاتي على أن أضع « أرشيفا » لما أقرأ لأرجع إلى ما أريد عند الحاجة . ومن هذا الأرشيف استخرجت الفقرات التالية ، التي قد يجدها البعض مجرد طرائف ، قد يتسم عند قراءتها ، وقد يجد فيها البعض الآخر معلومات عامة أساسية تستحق منه بعض التمعن .

(١) بحيرة بلا ماء :

تقع جزيرة ترينيداد بقرب الساحل الشمالى لأمريكا الجنوبية ، اكتشفها كولبس في رحلته الثالثة سنة ١٥٠٤ هـ (١٤٩٨ م) ، وتقلبت في أحضان الاستعمار الأسباني ثم الفرنسى ، ووقعت أخيراً في براثن الإنجليز سنة ١٢١٢ هـ (١٧٩٧ م) .

في جنوب غرب الجزيرة تقع « بحيرة » بيتش Pitch وهى ليست كغيرها من البحيرات إذ لا يملؤها الماء ، وإنما . . . الإسفلت . والإسفلت صلب على السطح حتى أنهم يحفرونه لاستخراجه ثم يذاب ويعبأ في براميل تصدر إلى مختلف دول العالم ، ولا تلبث الحفرة أن تمتلئ ثانية بإسفلت يصعد إليها من القاع .

ولاشك أن معظم طرق الجزيرة (التى تبلغ مساحتها ١٨٠٠ ميل مربع ، وسكانها ٣٦٠٠٠٠ نسمة) طرق جيدة الرصف .

(ب) الرأس الأخضر :

بدأ الأسبان والبرتغاليون استكشافاتهم الجغرافية ، تدفعهم الرغبة للبحث عن طريق إلى الهند غير طريق مصر ، وتزعم هذه الحركة في البرتغال أحد أمرائها « هنرى الملاح » ،

ووصلت بعثاته جزيرة ماديرا على الشاطئ* الشمالى الغربى لإفريقية سنة ١٤١٨ م ، وتقدمت منها فى بطن نحو الجنوب . ولكنها كانت تسير بمحاذاة شواطئ* الصحراء الكبرى القاحلة تهب منها رياح حارة لائحة بمحمة بالرمال .

وبعد لآى وصلت البعثات إلى أول أرض خضراء بعد الصحراء فأطلقوا عليها اسم « الرأس الأخضر Cape Verde » ، وحين نزلوا فيها وجدوا أن كل سكانها من الزوج فأسموها أرض الزوج Negro Land ، وما زالت تحمل هذا الاسم حتى اليوم .

(ح) جبل الأسد :

واستمرت بعثات البرتغاليين تتقدم حتى بلغت شواطئ* غينيا ومر المستكشفون فى طريقهم بتلال ، كان صوت الرعد - فوقها - الذى يصاحب العواصف الممطرة فى الغسق يشبه زئير الأسود ، وما زالت الأرض تحمل هذا الاسم حتى اليوم : إننا نعرفها باسم سيرا ليون Sierra Leone .

(د) أرض الميلاد :

وقبل أن تترك قارة إفريقية ، لتتحول إلى ساحلها الشرقى ، فقد كان البحث قائماً على قدم وساق عن طريق إلى الهند ، وحل فاسكو دى جاما هذا العبء منذ سنة ١٤٩٧ م) وتخطى رأس الرجاء الصالح (الذى سبق أن وصله المستكشف دياز) وصعد فى البحر شمالاً ، ووجد ساحلاً خصبا تكسوه الغابات ، وكان وصوله إذ ذاك فى يوم الميلاد (الكريستмас) فأطلق على الأرض اسم « الميلاد » .

إننا ننطق هذا الاسم بلفظه الأجبنى « ناتال » .

(هـ) الأمازون :

ذكر الإغريق فى أساطيرهم أنه كانت توجد أمة من النساء تعيش فى القوقاز ، كانت شديدة المراس ، حتى أنها غزت آسيا الصغرى واليونان ومصر وغيرها من البلاد . وكانت تحكم هذه الأمة ملكة ، ولتقين كل عام مرة مع شعب مجاور من الرجال هم شعب « الجارجاريين » فتحمل النساء ، وعند الولادة يحتفظن بالإناث ، ويثدن الذكور أو يعطينهم للجارجاريين ويقال إنهن كن يقطعن الثدي الأيمن ليسهل عليهن استعمال السلاح .

ولن نطيل في ذكر هذه الأمة التي كانت تسمى «الامازون» ، ولكننا سنتقل إلى أمريكا الجنوبية في بدء اكتشافها .

كان الأسبان يتسابقون لاحتلالها يجذبهم إليها ريق الذهب ، وعين الأسبان أحد قوادهم حاكما على الأرض التي نسميها اليوم إكوادور ، فرأى أن الوطنيين يأتون من جهة الشرق يشترون البضائع بمعدن الذهب . فسأل لعابه ، ومن ثم قام بنفسه للاستكشاف ، وسارت حملته مسافات شاسعة ، ونفذ طعامهم ، فأرسل الحاكم أحد ضباطه : أوريللانا Orellana للبحث عن طعام . وتاه أوريللانا ورجاله بين الأدغال ، ووجدوا نهرا عظيما فساروا بجواره .

ووجد أوريللانا أثناء تجواله قبيلة كلها من النساء ضخام الأجسام أقوياء البنية . وتضاربت الأقوال حولهن فثمت من يقول إنهن كن يصحبن أزواجهن إلى الحروب ، وثمت من يقول إنه لم يكن لهن أزواج إطلاقا ، وإنهن كن يثدن أبناءهن الذكور .

ورأى أوريللانا الشبه كبيرا بين هذه القبيلة وبين نساء الامازون التي ذكرها الإغريق . فأطلق على النهر الكبير الذي كان يسير بجواره اسم : الامازون .

(و) مستيزو :

كان الأسبان يذهبون إلى أمريكا الجنوبية بدون نسائهم ، فكان من المحتم أن يتزوج الأسبان من النساء الوطنيات - نساء الهنود - وكانت الثمرة جنسا مولدا أطلقوا عليه اسم «مستيزو Mestizo» ، وهم كثيرون إلى درجة أنهم يبلغون في بعض دول أمريكا الجنوبية نحو نصف السكان .

وهذا لا يمنع من وجود الهنود الخالص في بعض المناطق الوعرة أو التي تغطيها الغابات والتي لم يستطع الأسبان التسلل إليها .

وفي مناطق أخرى ، خاصة دول جبال الأنديز ، تقصر الوظائف المهمة والمهن العليا على الجنس الأبيض فحسب .

عمر طلعت زهران

أستاذ في الآداب

تعلقات

وما آفة الأخبار إلا رواها

نشرت إحدى الصحف أن جماعة من أرباب الطرق الصوفية أقامت حفلة ذكر على شاطئ د الإسكندرية وهم يلبسون المايوه ...

وخبر كهذا لا يتسع العقل لتصديقه مهما فرضنا في بعض أرباب الطرق من تهاون .

والغربة في الخبر ليست في موضوعه غسب ، وليست في صياغته ، لقد تعودنا من بعض كتاب الصحف أن يثيروا اهتمام القراء بما ينشرونه ، وأن يتنافسوا في الاختلاق والافتراء المصرف ، لاستفزاز القراء إلى التعليق على ما ينشر حتى يتسع المجال للنقاش ، ويكون الأمر التافه أو المكذوب مادة صحفية .

ولإنما الغربة في الخبر أنه لون من ألوان الدس على رجال الطرق ومحاولة الغمز في سمعتهم ، وتنفير الناس من الرضا عنهم .

وليس موقفنا موقف الدفاع عن أرباب الطرق ، ونفي ما نسب إليهم ، فذلك خبر مفروغ منه ، مقطوع بكذبه ، وإذا كان لرجال الطرق خصومة مع كتاب الصحف فهناك سبيل إلى التفاهم سوى الكذب والتشهير المخلوق .

والذى يتجه إليه الرأى فى تعليل هذا اللون من الكذب هو أن دوائر الصحافة قد احتضنت أخيرا أفرادا من الكتاب أو من أشباه الكتاب لا يقدرّون شأن الصحافة ، ولا يمارون على سمعتها وإنما يتساقون فى نشاط مصطنع إلى جمع الأخبار من هنا وهناك ويتنافسون فى الابتداع ليصلوا إلى مآربهم المادية ، ومهما كلفهم ذلك من تهاون أو خرج بهم عن سمّة الصحافة السكرية ؛ فالأمر سهل عندهم .

أضف إلى هذا أن وازع الدين مفقود عندهم ، بل في نفس بعضهم نزعات منحرفة يجرهم إليها جهلهم بالدين وحبهم لتقليد الملاحدة المجددين ، فهم يغمزون في كل من ينتمى إلى الدين أو رجاله .

ولم يبق عندهم إلا أن يزعموا ما زعموا من التشويش على رجال الطرق والمؤسف من شأن هؤلاء الكتاب المختلفين أنهم ضربوا بالكرامة عرض الحائط ، وأنهم يستهترون برسالة الصحافة إلى أقصى حد استطاع ، فاذا بلغ الأمر بالكتاب هذا المبلغ ، وإذا ظلت الصحافة راضية عن هذا النوع من محاولات كتابها فإذا بقي لنا من ثقة في رواة الأخبار وهم يسمون الصحافة صاحبة الجلالة ؟؟

كم كتبنا وكتب غيرنا في هذا الشأن ، وكما أبلغنا الصحافة اعتراضنا على مسلك نفر يستظلون بلوائها ، ولكن يبدو أن دعوتنا غير نافذة إلى قلوبهم ، وأنهم ألفوا هذا التلاعب بكرامة الصحافة وبسمعة الناس ، أو بترويح الأكاذيب .

هدانا وهداهم الله ؟

عبد اللطيف السبيكي

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير التفتيش بالأزهر

مراسلات المجلة

المرجو من الذين يكتبون للمجلة أن يكون ما يتعلق من ذلك بالاشتراكات وشؤون الإدارة بعنوان مدير المجلة . وما يتعلق منه بالمقالات وشؤون التحرير بعنوان رئيس التحرير .

الكتب

تفسير الطبري

الجزءان ١٢ و ١٣ - ٦٣٣ + ٦٣٩ ص - دار المعارف بمصر

يبتدىء الجزء الثاني عشر من هذا التفسير العظيم بتأويل الآية المائة من سورة الأنعام : « وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم » وينتهي بتأويل الآية المائة من سورة الأعراف : « أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون » .

والآثار في الجزء الثاني عشر ١٢٢١ من رقم ١٣٦٨٠ إلى رقم ١٤٩٠٠ ، وبآخره تمة التخريج بقلم العلامة الشيخ أحمد شاكر رحمه الله ، وقد بلغت ١٢ ملاحظة مملوءة علماً وفهما . يلي ذلك فهرس الآيات التي استدلت بها في غير موضعها من التفسير ، وفهرس اللغة مرتباً على ترتيب المعاجم على أصل الاشتقاق وعلى آخر الأصل باباً وأوله فصلاً ، وبعده فهرس لأعلام المترجمين في التعليق ، ثم فهرس للمصطلحات . وفهرس للفرق ، وفهرس لمباحث العربية والنحو وغيرهما ، وبآخر فهرس لهذا الجزء من التفسير .

ويبتدىء الجزء الثالث عشر بتأويل الآية ١٠١ من سورة الأعراف : « تلك القرى نقص عليك من أنبأها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل ، كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين » وينتهي بتأويل الآية ٤٧ من سورة الأنفال : « ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله ، والله بما يعملون محيط » .

والآثار في الجزء الثالث عشر ١٢٨٢ من رقم ١٤٩٠١ إلى ١٦١٨٢ . وفيه من الفهارس مثل ما في الأجزاء السابقة . وقد اتفق انتهاء هذا الجزء عند وفاة العلامة الشيخ أحمد شاكر رحمه الله ، فصدره الأستاذ محمود شاكر بكلمة بليغة في رثاء أخيه والتماس الرحمة له من الله عز وجل . والواقع أن الرزء بفقده لا يقدره إلا الذين يتابعون تعليقاته على مسند الإمام

أحمد وتحقيقاته في تخريج آثار هذا التفسير وسائر ذلك من كتبه رحمه الله رحمة واسعة ورزق هذه الأمة من يملأ فراغه .

الجواب الباهر ، والرد على الاخنائي

كتابان لشيخ الإسلام ابن تيمية - ٩٠ + ٢٢٢ ص - المطبعة السلفية في القاهرة

جحد فضل الصالحين ، والتقصير في التأسي بهم والاهتداء بهديهم ، من العيوب المذمومة في الأمم . كما أن الغلو فيهم إلى حد الخروج بهم عن منازل المخلوقات إلى ما فوقها هو الوطن الذي انزلق عنده المنحرفون عن جادة الهدى إلى مزالق الغي . ومن نعم الله على المسلمين أن نصوص الإسلام الأصلية وسط بين هذا وهذا ، وكانت الوصاة بهذه المعاني من آخر ما صح صدوره عن النبي صلى الله عليه وسلم في الأيام الأخيرة من حياته المباركة ، ولذلك نرى الإسلام قد أخذ بأيدي أهله إلى طريق التأسي بالأنبياء والصالحين والاهتداء بهديهم ، فبين لهم - بأجلى بيان وأوضحه - الحد الفارق بين المخلوق والخالق ، حتى لم يبق عذر لمعتذر عن الجهل بحكم الإسلام وطريقته في هذا الأمر الخطير .

ولما كانت مصر والشام في دولة واحدة أيام السلطان الملك الناصر في أوائل القرن الثامن وقع الجدل العلبي في مسألة زيارة القبور ، وما هو المشروع منها ، وهل الغرض منها العظة والاعتبار والدعاء لأصحابها ، أم دعاؤهم وأن يطلب منهم ما يطلب من الله . وهذا الموضوع لا يجوز تحديده إلا بالنصوص الشرعية ، ولذلك طلب السلطان الملك الناصر من شيخ الإسلام ابن تيمية أن يكتب له فيه تقريراً علياً محدداً قاطعاً يتوصل فيه إلى الحكم الشرعي الذي لا يجوز لمسلم أن يحيد عنه إلى ما يخالفه . فكتب له الكتاب الأول من هذين الكتابين وهو (الجواب الباهر في زوار المقابر) بنسأه على النصوص القاطعة التي عمل بها الصحابة والتابعون وأخذ بها الأئمة الأربعة جميعاً بلا استثناء ولا سيما الإمام مالك إمام دار الهجرة المسأزم للمسجد النبوي والمجاور للبقيع ومدافن أولياء الإسلام الأولين من الصحابة والتابعين .

وكان من الذين غلب عليهم الاشتغال بفروع الفقه ، ولم يتسع عليهم بالسنة ودواوين الحديث ، عالم من المعاصرين لابن تيمية هو قاضي المالكية بدمشق علم الدين بن شمس الدين الأخنائي (٦٦٤ - ٧٣٢) فألف رداً على ابن تيمية في مسألة الزيارة وشدد الرأى إلى غير

المساجد الثلاثة ، فأجاب عليه ابن تيمية بالكتاب الثانى من هذين الكتابين ، وفيه بيان أبسط وأوسع مما فى الجواب الباهر ، وقد بين فيه ابن تيمية لمعاصره الأختائى - الذى كان يتولى القضاء على مذهب الإمام مالك - أنه قد خالف إمامه فى هذه المسألة ، وأورد له نصوص الإمام مالك وكبار علماء مذهبه فى موضوع الزيارة وشد الرحال إليها .

وكتاب (الجواب الباهر) طبع الآن للمرة الأولى عن مخطوطة فى دار الكتب الظاهرية بدمشق فى المجموع رقم ١٢٩ ، علقها لنفسه عبد الله بن يعقوب الإسكندرى المتوفى سنة ٧٥٤ وله ترجمة فى الدرر الكامنة للحافظ ابن حجر .

والرد على الأختائى سبق للطبعة السلفية طبعه فى سنة ١٣٤٦ عن نسخة بخط الشيخ حسين بن حسن بن حسين بن على بن حسين ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب كتبها سنة ١٣٠٣ ثم أعاد نشره الآن فى المطبعة السلفية - مع الجواب الباهر - فضيلة العلامة الجليل الشيخ عبد الملك ابن ابراهيم رئيس هيئات الأمر بالمعروف فى الحجاز ، وعين أعيان الحجاز ناشر علم السلف الشيخ محمد نصيف . وقام على تصحيح الكتابين الأستاذ الفاضل الشيخ سليمان بن عبد الرحمن الصنيع . وتولى تخريج أحاديثهما العلامة الشيخ عبد الرحمن المعلى اليماني مدير مكتبة الحرم المكي الشريف ، أحسن الله إليهم جميعا وجزاهم أفضل الجزاء .

تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها

للسيد سليمان الندوى رحمه الله - ٥١ ص - المطبعة السلفية بالقاهرة

هذه دراسة عليية نفيسة قام بها كبير علماء مسلمى الهند السيد سليمان الندوى رحمه الله عندما نجمت فى الهند قبل حوالى ثلاثين عاما فرقة زعمت أن قانون الإسلام هو القرآن وحده وأن السنة إنما كانت أحكاما مؤقتة لأهل العصر النبوى وهى الآن عديمة الجدوى ! وسمت هذه الفرقة نفسها (أهل القرآن) ، فكتب السيد سليمان الندوى هذه الرسالة باللغة الأوردية يبين لهم فيها خطيئهم ونشرها فى مجلته الهندية (معارف) وقام بترجمتها العالم الفاضل الشيخ عبد الوهاب الدهلوى ونشرت فى المجلد ٣٠ من مجلة المنار . والآن قام مترجمها الأستاذ الدهلوى مع صديقه الكريم الشيخ محمد نصيف بطبعها مستقلة لمناسبة تجدده هذه الضلالة فى مصر بمن لم يدرس علم السنة دراسة عليية عن أهلها ، وإنما تلقف الشبهات والشكوك من هنا وهناك ، وفهم بعض النصوص على غير وجهها ، ونسب إلى العلماء نصوصا

أوردوها عن غيرهم ليردوا عليها ، أو أرادوا بها غير ما فهمه منها . فعمد مترجم الرسالة والأستاذ الشيخ محمد نصيف إلى تجديد نشرها دنياً لهذا الشر الجديد ، أجزل الله لها المثوبة .

الخطاط البغدادى ابن البواب

بتحقيق العلامة السيد محمد بهجة الأثرى — متن ٣٥ ص + ٩ لوحات أثرية + تحقيقات وتعليقات ٩٣ ص

تراث الإسلام العظيم كنز واسع لا يحاط به ، ومن عناصره الفنية (الخط العربى) وأعلام رجاله فى مختلف القرون ، وما تقلب فيه من أطوار .

ومع أن الترك — من زمن الانقلاب السكالى — آثروا قطع الصلة بينهم وبين تراث الإسلام العظيم وكنزه الواسع الذى لا يحاط به ، فإن خزائن كتب القسطنطينية التى جمعها سلاطين آل عثمان ووزراؤهم ورجالهم من البلاد العربية وغيرها لا تزال إلى الآن تترى بكنوز الإسلام . وقد قام أخيراً الدكتور سهيل أنور مدير معهد تاريخ الطب فى جامعة استنبول بتأليف رسالة صغيرة عن الخطاط البغدادى على بن هلال المشهور بابن البواب (المتوفى سنة ١٣٤٠ هـ وقيل سنة ٤٢٣) وزينها بنماذج من بقايا خطوط ابن البواب الموجودة هناك . وفى إبان زيارته بغداد منذ عهد قريب أهدى إلى وزارة المعارف العراقية نسخة من هذه الرسالة المؤلفة عن خطاط بغدادى عظيم ، فأهدتها وزارة المعارف إلى المجمع العلمى العراقى فرأى المجمع أن يبادر بترجمتها ونشرها ، وعهد بذلك إلى أكبر رجاله اضطلاعاً بهذه التحقيقات العلمية النفيسة وهو الأستاذ العلامة الكبير السيد محمد بهجة الأثرى مدير الأوقاف العام فى الجمهورية العراقية ، فأبرزها فى أنفـس حلة ، وأضاف إلى ترجمة الأصل تحقيقات وتعليقات قيمة جداً فى نحو ثلاثة أضعاف حجمها ، وطبعت فى مطبعة المجمع العلمى العراقى فى هذا العام ، فكانت من أنفـس آثاره .

الحياة الأدبية فى العصر الجاهلى

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى — الطبعة الثانية — ٥٠٣ ص — مكتبة النجاح فى النجف سبق طبع هذا الكتاب سنة ١٣٦٨ فى ٣٧٦ صفحة ، وأعيد طبعه الآن سنة ١٣٧٨ ، وقد مهد له المؤلف بفصل عن الأدب بين الذوق واللغة ، وكسره على ثلاثة أبواب : أولها عن المؤثرات فى الأدب الجاهلى ، وثانيها عن إنبثر الجاهلى ، والباب الثالث عن الشعر الجاهلى . وخاتمة الكتاب عن الحياة الأدبية وما قيل فى الكتاب .

توجيه إعراب أبيات ملغزة الإعراب - للرماني

بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني - ٤٠ + ٣٢٤ ص - مطبعة الجامعة السورية بدمشق

أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (٢٩٦ - ٣٨٤) من كبار شيوخ العربية في القرن الرابع . أخذ العلم عن ابن دريد (٢٢٣ - ٣٢١) وابن السراج (وفاته ٣١٦) وأبي إسحاق الزجاج (٢٤١ - ٣١١) . ومن أقرانه أبو علي الفارسي (٢٨٨ - ٣٧٧) . ومن تلاميذه أبو حيان التوحيدى (وفاته ٤١٤) وعلى بن المحسن التنوخى (٣٥٥ - ٤٤٧) وهذه الطبعة وكتابه هذا من الكتب العزيرة النادرة منذ قرون كثيرة ، ولا تعرف الآن مخطوطة منه إلا التي اتخذها الناشر أساساً لتحقيق الكتاب ، وهى فى المكتبة الوطنية بباريس برقم ٣٣٠٣ كتبت سنة ٨٠٤ وكتبها على جيد الخط .

ومحقق الكتاب صديقنا الألعى سعيد الأفغاني أستاذ العربية فى الجامعة السورية بدمشق ، وقد نوهنا فى ص ٦٦٤ من السنة الماضية بتحقيقه كتابى (الإعراب فى جمل الإعراب) و (لمع الأدلة) كلاهما لابن الأنبارى . وأثر فضله فى هذا الكتاب أضعاف ما رأينا منه فى كتبه السابقة ، ولذلك وقع موقع التدمير من الجامعة السورية فقررت نشره وطبعه بمطبعتها . وموضوع الكتاب أبيات المعانى ولا سيما الملغزة ، وأبيات المعانى هى التى لا يتضح معناها لغير العلماء بها لدلائلها على أحوال خاصة من عيش الجاهليين ومن إليهم فى البادية وغيرها ، فعبرت عن ذلك بما يألف العرب قديما من حياة حيوان وصفات متاع وأوضاع لغوية واستعارات ومجازات لم تنتقل إلى البيئات الحضرية تخفيت معانيها من حيث غرابة ما تصف عن أهل الحضر ، لا من حيث غرابة اللفظ . وكتاب الرماني انطوى على تفسير ٢٥٦ بيتا هى أبيات معان وأبيات ألفاظ ونحو ثلثها أبيات ألفاظ ، فمدار الإشكال فيها على اللفظ والإعراب وما هو أعقد من ذلك ، فالبيت فى رسمه لك يصور لك اللفظ تصويراً صحيحاً يتزلزل معه الإعراب ، فما كان يظن أنه مرفوع إذا به فى حقيقته مجرور ، والكلمات المتجاوزة قد يتضح لها معنى فى بادى الرأى ، حتى إذا مضيت مع الرماني فى توجيهه وضع لك المعنى وأيقنت بصحة اللفظ ورحت ترسم الشاهد بعد أن فهمت معناه رسماً غير الرسم الذى قدم لك ، وإن كان لفظ الرسمين واحداً .

إن الأستاذ الأفغانى فيما بذله من عناية وبصيرة وبحث لرد أخطاء المخطوطة إلى الصواب الذى كانت عليه جدها الأولى فى عصر المؤلف قد تعب أضعاف تعب المؤلف ، وما كان من ذلك بد ، وإلا كانت هذه المخطوطة كأنها معدومة . أما تعليقاته وما فيها من تراجم وتحقيقات وإحالات وفوائد فهى كتاب آخر نفيس . وقد ذيل الكتاب بأربع فهراس : أحدها مسرد للأعلام أفرادا وجماعات وأماكن . والثانى للكاتب والمصادر . والثالث للقوافى . والرابع للطلاب .

نحن نحقق كتاب الرمانى بمجهوده ، والمكتبة العربية فى انتظار أمثال هذه النفائس .

حقائق عن قضية فلسطين

هى تصريحات وأحاديث للسيد محمد أمين الحسينى مفتى فلسطين ورئيس الهيئة العربية العليا ، كشف بها الستار عن أسباب كارثة فلسطين وعلاقتها بالمؤامرات الدولية اليهودية . وكانت قد نشرت بشكل مقالات وأجوبة فى إحدى الصحف اليومية . ثم طبعت مرتين فى كتاب مستقل سبق لنا التنويه به . وهذه الطبعة الثالثة قد أضيف إليها تعليقات على بعض الفصول ، وملحق بشأن تسليح الفلسطينيين وتجنيدهم ، والمساعى التى تقوم بها الهيئة العربية العليا لتشكيل جيش فلسطينى يشارك فى إنقاذ فلسطين . وفى هذه الطبعة بعض الخرايط والصور مما له علاقة ومشاركة فى موضوع الكتاب ، وفصل أخير لخص فيه أهم التطورات والحوادث . إن هذا الكتاب وثيقة عن القضية الفلسطينية والجهاد فى سبيلها ترجع على أكثر ما نثر فى موضوعها .

القرآن والحديث المستمد منهما تشريعنا

للأستاذ عمر الطيبي — ١٤٠ ص — طبع دمشق

المؤلف من أفاضل كتاب دمشق ، ومن بيت علم إسلامى عريق فيها ، وهذا الكتاب جذوة غيرة وحماسة للبعث الإسلامى ، والرجوع إلى سنن الإسلام وأنظمتها فى البيت والسوق والمجتمع . وكل صفحة فيه تتم عن مراقبة المؤلف للحديث الإسلامى ، وما يحدث فيه أو يتمال عنه مما له صلة بالخير أو الشر لتأييد ما فى ذلك من خير والتنبيه على مواطن الشر لاتقائه ، فزجرو الله أن ينفع به قارئه .

الأدب والعلوم

بعثة علمية عربية
إلى الاتحاد السوفيتي

مصطلحا خاصا بأعمال التنقيب ، والحفر ،
والإنتاج ، والتصفية . وأصدر بذلك كتباً
سيكون في أيدي المهندسين والقائمين بشئون
البترو ، ليستعملوا المصطلحات العربية بدلا
من المصطلحات الانجليزية .

العسكرية

مادة أساسية في التعليم الثانوي
أصبحت التربية العسكرية مادة أساسية في
المدارس الثانوية العامة والفنية ، سواء منها
مدارس البنين ومدارس البنات . ويعدون في
الإسكندرية صفوف المدرسين الذين سيعهد
لإيهم بتعليم هذه المادة لطلبة المدارس
الثانوية . وقد اتخذت مدرسة أبي قير
الإعدادية معسكراً لهؤلاء المدرسين ، وهم
ضباط احتياطيون من المعادين المدرسين
أنفسهم ، وسيتعلمون كل شيء عن العسكرية ،
وفي مدرسة معلمات الوردان بالإسكندرية فرقة
من المدرسات ومفتشات التربية العسكرية يدرسن
نفس البرنامج لتعليم الطالبات في مدارس
البنات الثانوية ، وأهم شيء في تعليم الطالبات
تمرينهن على الإسعاف والترييض .

المعسكر الكشفي في الزبداني

افتتح وزير التربية والتعليم - بصفته رئيس

رشح المجلس الأعلى للعلوم برياسة وزير
التربية والتعليم خمسين عالماً وأستاذاً للسفر
بمهام علمية إلى الاتحاد السوفيتي ، وقد تم
اختيارهم من بين مرشحي الهيئات العلمية
والوزارات ، وروعي في اختيارهم أن يكونوا
من لهم مراكز في القيادة والخبرة العلمية
الممتازة في موضوع التخصص . وسيلبثون في
روسيا عاماً دراسياً على الأقل ويعودون
مزودين بأحدث ما وصل إليه العلم في
موضوعات تخصصهم ، وبدراسات عامة تشمل
التنظيم العلي لهذه الموضوعات وبرامجها
وأدواتها ، على أن يعودوا لمباشرة عملية
التطور في الجهات التي يعملون بها . وسيلحق
بهم وفد آخر من الإقليم السوري من بين
أساتذة جامعة دمشق .

تعريب مصطلحات البترول

قام المجمع العلي لجمهورية العراق بمجهود
قومي مشكور في تعريب المصطلحات في
صناعات البترول ، وقد تناول في ذلك ١٣٩

المصري . وسيعين لهذه الفصول ٢٣٢٨ مدرسا ومدرسة علاوة ٤٦٠٠ مدرسة أخرى كان قد تقرر تعيينهن من قبل .

الأزهر والعالم الإسلامي

في يوم الخميس ١٣ من صفر سنة ١٣٧٨ (٢٨ من أغسطس سنة ١٩٥٨) استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر : السيد قنصل الفيلبين وكان الحديث يدور حول التمهيد لقبول الطلاب الوافدين من جزر الفيلبين ، وزيادة عدد المقيدين منهم بالأزهر وأهمية التعليم الديني الذي يتلقى في الجمهورية العربية وأثره في تقوية الوعي الديني والوطني في تلك الجهات .

كما استقبل فضيلته في نفس اليوم الشيخ عبد الله بن تركي مفتش العلوم الشرعية بقطر ، وتناول الحديث إيفاد مبعوثين من الأزهر للنهوض بالتعليم الديني في البلاد .

وفي يوم الاثنين ١٧ صفر (أول أغسطس) استقبل فضيلته سمو الأمير على عبد الكريم سلطان الحج ، ودار الحديث حول القضايا العربية وأهمية الاتحاد في بلوغ الأهداف التي يسعى إليها العرب ، والدور الكبير الذي تقوم به الجمهورية العربية المتحدة في هذا الشأن .

الجلس الأعلى لرعاية الشباب في الجمهورية العربية المتحدة - المعسكر العربي الكشفي الثالث في منطقة الزبداني من أعمال دمشق . وقد استعرض الوزير وكبار رجالات الإقليم السوري مئات الكشافين والمرشدين من مختلف البلاد العربية . ثم ألقى الوزير كلمة الافتتاح غيا - باسم العروبة - المجتمعين من شتى أنحاء الوطن العربي وقال : إننا نحكي معكم إخواناً لنا من أقطار أخرى حالت الحوائل دون اشتراكهم في هذا المعسكر العربي الجامع . ونحكي معكم الشباب العربي في بقاع أخرى من الوطن العربي لهم مثل حرصكم على هذا الاجتماع في أرض الشام الذي صارع الطغيان ، وعمل للحرية حتى نالها ، وللوحدة حتى تحققت فتحققت بذلك أول خطوة نحو الوحدة .

التوسع في التعليم الابتدائي

كان المقرر أن يقبل في السنة الأولى من المدارس الابتدائية - في الإقليم المصري هذا العام خمسمائة ألف تلميذ جدد ، ثم تبين أن هذا العدد أقل مما يرضيه الإقبال على التعليم الابتدائي فتمقرر أن يقبل مائة ألف تلميذ آخر ليصبح عدد الذين سيقبلون بالابتدائي ٦٠٠ ألف تلميذ . وتقرر افتتاح ١٩٤٠ فصلا جديدا للسنة الأولى في مختلف أنحاء الإقليم

إنباء العجلة الإنشائية

المشروع العربي

لإنهاء أزمة الشرق الأوسط

العربية قد وافقت في ميثاق جامعة الدول العربية على تقوية الروابط على أساس احترام استقلال وسيادة كل دولة ، وبذل الجهد في سبيل تحقيق الخير المشترك لجميع الدول العربية ورفع مستواها وتأمين مستقبلها وتحقيق أمانها وآمالها . ورغبة في إزالة التوتر الدولي .

« القسم الأول » :

أولاً - نرحب بالتأكيدات المجددة التي قدمتها الدول العربية لمراعاة نص المادة الثامنة من ميثاق جامعة الدول العربية التي تقول : تحترم كل من الدول المشتركة في الجامعة نظام الحكم القائم في دول الجامعة الأخرى وتعتبره حقاً من حقوق تلك الدول ، وتتعهد بالألا تقوم بعمل يرمي إلى تغيير ذلك النظام فيها . . ثانياً - تدعو جميع الدول الأعضاء أن تراعى بدقة العمل طبقاً لمبادئ الاحترام المتبادل بين الدول لسيادة كل دولة وسلامة أراضيها والامتناع التام عن التدخل في الشؤون الداخلية من بعضها لبعض ، ومراعاة المصالح

هذه أول مرة يجمع فيها أعضاء الأمم المتحدة - الضالعون منهم مع الشرق أو مع الغرب أو المحايدون - على مشروع يعرض على الجمعية العامة . إن الدول العربية هي التي تولت بنفسها وضع المشروع الذي أنهى أزمة الشرق العربي . وكان الدكتور محمود فوزي قد اتصل تليفونيا من أمريكا بالرئيس جمال عبد الناصر بالقاهرة ، وبعد هذا الاتصال أعلنت الوفود العربية العشر اتفاقها بالإجماع على مشروعها لحل الأزمة ، وهذا نصه :

الجمعية العامة

بعد الاطلاع على البند الثاني من جدول الأعمال الذي يتعلق بالمسائل التي نوقشت في اجتماع مجلس الأمن يوم ٧ / ٨ / ١٩٥٨ ، وقد أخذت علماً بأن ميثاق الأمم المتحدة يدعو الدول الأعضاء للتعاطف والعيش معاً في جيرة حسنة . كما أخذت علماً بأن الدول

المؤسسة المالية

للتنمية الاقتصادية العربية

وافقت جامعة الدول العربية على مشروع المؤسسة المالية للتنمية الاقتصادية العربية الذي قام بوضعه الدكتور عبد الجليل العمري محافظ البنك الأهلي ، وكانت الجامعة العربية قد وضعت مشروعاً لقيام مثل هذه المؤسسة برأس مال قدره عشرون مليون جنيه ، لكي تتولى تمويل المشروعات الكبرى في البلاد العربية وتقوم بدور كبير في التنمية الإقليمية .

ولما كان القرار العربي الذي أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة بالإجماع قد جاء في فقرته الأخيرة : « إن الجمعية العامة تدعو السكرتير العام للاستمرار في دراساته التي يجريها في الوقت الحاضر ، وأن يقوم ضمن هذه الدراسات بالمشاورات التي يرى ضرورة لإجرائها مع البلاد العربية في الشرق الأدنى بغرض استطلاع إمكانيات تقديم المعونة فيما يتعلق بإنشاء مؤسسة عربية لتنمية اقتصاديات الدول العربية ، فقد طلب مستر داج همرشولد السكرتير العام للأمم المتحدة صورة من المشروع العربي للمؤسسة المالية الذي أشرنا إليه .

وتحت يد همرشولد الآن ثلاثة مشروعات لهذه المؤسسة المالية للتنمية : أولها مشروع الجامعة العربية للمؤسسة برأس مال قدره

المشتركة ، والتأكد من أن جميع تصرفاتها سواء بالقول أو بالعمل تتفق وهذه المبادئ .

« القسم الثاني » . يطلب من السكرتير العام أن يقوم في الحال بالتشاور مع الدول المعنية ، وطبقاً لميثاق الأمم المتحدة ، ومع الأخذ بعين الاعتبار ما جاء في القسم الأول من هذا القرار - باتخاذ الترتيبات العملية التي تساعد على احترام أغراض ومبادئ الميثاق فيما يتعلق بلبنان والأردن في الظروف الحالية ، وذلك لتيسير إمكان سحب القوات الأجنبية من هذين البلدين في موعد مبكر .

« القسم الثالث » : ندعو السكرتير العام للاستمرار في دراساته التي تجريها في الوقت الحاضر ، وأن يقوم ضمن هذه الدراسات بالمشاورات التي يرى ضرورة لإجرائها مع البلاد العربية في الشرق الأدنى بغرض استطلاع إمكانيات تقديم المعونة فيما يتعلق بإنشاء (مؤسسة عربية لتنمية اقتصاديات هذه الدول) .

« القسم الرابع » : أولاً - نطلب مع الدول الأعضاء أن تتعاون تعاوناً تاماً في تنفيذ هذا القرار . ثانياً - ندعو السكرتير العام أن يقدم تقاريره بمقتضى هذا القرار كلما تراءى له ذلك ، على أن يقدم أول تقرير في موعد لا يتجاوز ٣٠ سبتمبر ،

العراق في الجامعة العربية

كانت العراق في عهد صنائع الاستعمار قد تلصقات في دفع حصتها من نفقات الجامعة العربية .

وفي ١٢ صفر (٢٧ أغسطس) أودعت حكومة الجمهورية العراقية مبلغ ١٣٥ ألف دينار عراقي في البنك المركزي بالقاهرة لحساب الجامعة العربية ، وهو حصة العراق في ميزانية الجامعة لهذا العام ، ويعادل هذا المبلغ ١٣١ ألف جنيه مصري .

كما أودعت حكومة الجمهورية العراقية بالبنك نفسه مبلغ ٤٥ ألف دينار كجزء من المبالغ المتأخرة عليها للجامعة من زمن العهد البائد .

الانجليز في الخليج العربي

كانت حجة الانجليز في دسهم أصابعهم في الخليج العربي قربه من الهند التي كانوا يعدونها درة في تاج امبراطوريتهم التي لم تكن تغيب الشمس عنها ، ثم مجاورته للعراق التي كانت تحت انتدابهم ، فلما عادت الهند لأهلها ، وتقلص ظل الانجليز البغيض عن العراق وكثير من أقطار الشرق التي كانوا يقيمون على استعبادها بناء لإمبراطوريتهم ، صاروا يشعرون بأنهم في الخليج العربي غرباء

عشرون مليون جنيه تدفع على أساس نصيب كل دولة من الدول العربية المشتركة في الجامعة ويتم الجنيه فيها على أساس سعره بالذهب وتكون على ألقى سهم ثمن كل سهم منها عشرة آلاف جنيه .

ثانيها المشروع الأمريكي ، وهو لا يزال خطوطا عريضة أهم ما فيها أن تكون المؤسسة تحت إشراف الأمم المتحدة ، وأن تكون صلتها بالبنك الدولي مباشرة ، وتقدم الأمم المتحدة جزءاً من رأس مالها ، وأمريكا جزءاً آخر يتدرونه بمائة مليون دولار ، وتشترك الدول العربية في الجزء الباقي منه .

ثالثها مشروع قدمته بعض شركات البترول المهتمة بالشرق الأوسط ، وهو ينص على أن تخضع نسبة ١٠٪ من الأرباح السنوية لعمليات البترول في الشرق الأوسط يتألف منها رأس مال مصرف إنماء عربي يستطيع تمويل المشاريع العمرانية والصناعية في العالم العربي ، ولا يقل رأس مال المصرف المقترح عن ٥٠ مليون جنيه سنوياً .

والدول العربية تفضل أن يكون الأساس هو المشروع الذي أعده الدكتور عبد الجليل العمري ، ووافقت عليها الدول العربية جميعها .

جزءاً كبيراً من نتاج عمله وجهده لينفق على هذه القوات التى تدرع البحار احتفاظاً بالأوهام الاستعمارية التى انقضت عصرها ، ولو تاب البريطانيون إلى رشدكم لأراحوا أنفسهم من هذه الأوهام وعادوا تجاراً شرفاء يعيشون مع الناس بمجهودهم التجارى والصناعى فى جزائرهم فإن عصر القرصنة قد انتهى ، والكسب الحرام من هذه القرصنة لا يجزى على أصحابه إلا الوبال والخسار .

جبهة جهاد جزائرية

فى قلب فرنسا

انتقلت الحرب الجزائرية إلى فرنسا ، إلى قلب باريس والمدن الفرنسية الكبرى تسلفت فرق من الوطنيين الجزائريين إلى فرنسا وقامت بعملية جهاد عسكرية من الطراز الأول . هاجمت إحدى الفرق مركز البوليس الفرنسى فى باريس بالمدافع الرشاشة والقنابل اليدوية ، قتل الجزائريون ٤ من الجنود الفرنسيين ونسفوا المركز ، وهاجموا جراج البوليس ، كما هاجموا محطات توليد القوى الكهربائية .

وقامت فرقة جزائرية أخرى بنسف عشرة مستودعات للبترول فى مرسيليا وتولوز وناربون اشتعلت النار فى المستودعات العشرة وامتدت

منقطعون ، وأن مصيرهم فيه سيكون كمصيرهم فى الهند وكصيرهم فى العراق .

وأخيراً بعد أن فرضت الدول العربية والسودان (الحاجز الجوى) الذى يمنع الطائرات البريطانية من المرور فوق أراضيها إلا بإذن خاص ، ضعفت مقدرة بريطانيا على مواجهة الوعى القومى الجديد فى الخليج العربى ، وستضعف هذه المقدرة أكثر وأكثر إذا فرضت عقبات مماثلة فى طريق القوات البحرية .

ومن العقبات التى يتصور الانجليز إمكان قيامها فى طريقهم البحرى إلى الخليج العربى ، احتمال وضع ألغام فى مضيق عمان الذى يبلغ عرضه ٣٠ ميلاً والذى يعتبر مدخل الخليج العربى .

لذلك رأينا الانجليز فى هذا الشهر يتخذون احتياطات لهذه الاحتمالات التى يتصورونها لإغلاق مداخل البحر المؤدى إلى الخليج ، وصرحت المصادر البحرية بلندن بأن مدمرات بريطانية - ثلاث منها قدمت من أزمير وواحدة من قبرص - مرت بقناة السويس لتعزيز القوات البحرية البريطانية فى منطقة الخليج العربى .

مسكين دافع الضرائب البريطانى ، إنه يتكبد

أبناء الجزائر وسائر شمال إفريقيا فاعتقلت منهم أكثر من ألفين ، والبوليس يضيق الآخرين بالمراقبة والتفتيش والاعتقال .

بترول غرب غارب

تكللت بالنجاح حفريات البئر الجديدة في منطقة غرب غارب ، فتدفق البترول منها بمعدل ٤٠٠ طن يوميا ، وبضغط مقداره ٧٥ رطلا على البوصة المربعة ، مما سيجعل البترول يتدفق بدون حاجة إلى مضخات . وتقوم الشركة التي تولت حفر هذه البئر بتحليل نماذج البترول الناتج منها لتحليل خواصه الطبيعية والكيمائية .

ومنتطقة غرب غارب هذه تبعد ٣٠ كيلو مترا جنوبي حقل بكر للبترول الذي اكتشفته الشركة نفسها في ربيع هذا العام .

لجان بترولية صناعية

تألفت في الهيئة العامة للبترول ثلاث لجان صناعية : الأولى لبحث صنع المنظفات من مخلفات البترول ، والثانية لتصنيع الغازات المتصاعدة من آبار البترول والتي تضيع هباء ، وستبحث اللجنة الثالثة إنتاج البلاستيك وبعض الكيماويات الأخرى من المخلفات .

ألسنة الذهب إلى ارتفاع مائة متر فوق تولوز ، تمت هذه العمليات كلها في فجر يوم ٢٥ / ٨ ، وخسر الاقتصاد الفرنسي آلاف الملايين من الفرنكات ، واستمرت حرائق مستودعات البترول إلى اليوم الثاني فاليوم الثالث ، وقد أثار نفس المستودعات وانفجاراتها الرعب في نفوس سكان المناطق القريبة من أماكن الحريق ، والمعتقد أن أكثر من مليوني لتر من البترول قد احترق ، وكان هذا الحادث أعنف ما قامت به جبهة التحرير الوطني الجزائرية منذ بدأت الثورة الجزائرية من نحو أربع سنوات ، وقد ألغيت جميع إجازات رجال البوليس في باريس لمواجهة العنف الذي يقوم به الوطنيون الجزائريون في العاصمة الفرنسية .

وبعد يومين (أي في ٢٧ / ٨) نفس الجزائريون أربعة مستودعات أخرى للبترول في جهة بتي كيفيلي ، وفي فجر اليوم التالي (٢٨ / ٨) نسفوا مستودعين آخرين بالجهة ذاتها ، وقد أطلق الفرنسيون الرصاص على الجزائريين الذين قاموا بالمغامرة الأخيرة فأصيب واحد منهم ونقل إلى المستشفى حيث توفي .

وقد أخذت السلطات الفرنسية في فرنسا تنتقم من المسلمين الموجودين في فرنسا من

عيد استقلال الأفغان

النيل

احتفلت أفغانستان بمرور ٤٠ عاما على استقلالها ، فأقيم عرض عسكري كبير بهذه المناسبة شوهدت فيه الدبابات الروسية الحديثة والمدافع المضادة للطائرات ، والطائرات المتماثلة من طراز ميج ، وأجهزة الرادار ، وعدد من المركبات المصفحة الروسية ، وقد اشتركت في هذا العرض العسكرى وحدات من الجمهورية العربية المتحدة ودول أخرى .

طريق الإسكندرية الصحراوى

تفجرت المياه الجوفية من بئرين من الآبار الجوفية التى تم حفرها على طريق الإسكندرية الصحراوى عند السكيلو ٨٤ والسكيلو ٦٢ . وقد جلبت هاتان البئران مياهها جوفية لم تنبثق منذ آلاف السنين . وسيباشر دق آبار جوفية على نقط أخرى من هذا الطريق ، ويذكر هذا النجاح المبدئى بإمكان زراعة مساحات كبيرة من الأرض على جانبي الطريق الصحراوى تقدر للرحلة الأولى بعشرة آلاف فدان .

وقد استعمل فى أبحاث المياه الجوفية جهاز خاص استورد من روسيا يستطيع استخراج المياه من عمق يصل إلى ألف متر ، كما يستطيع تحليل هذه المياه تحليلا آليا لمعرفة صلاحية استعمالها فى الزرى .

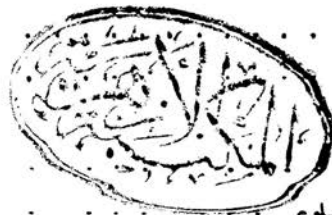
بين شطرى الجنوب والشمال

أرسلت الجمهورية العربية المتحدة مذكرة إلى حكومة السودان يوم ٧/٩ بشأن خروج الرى السودانى على اتفاقية مياه النيل بالحجز على خزان سنار يوم ٢ يوليو دون مراعاة للشروط الواردة فى اتفاقية مياه النيل المعقودة بين البلدين سنة ١٩٢٩ ، فأجابت حكومة السودان على هذه المذكرة بمذكرة سلتها إلى سفارة الجمهورية العربية المتحدة فى الخرطوم فى ٨/٢٠ وقالت فيها : إن حكومة جمهورية السودان لم تعترف بأن اتفاقية سنة ١٩٢٩ ملزمة لها ، فقد أبرمت تلك الاتفاقية بين بريطانيا ومصر كجزء من مساومة سياسية دون اعتبار لمصالح السودان .

وقد لفتت الصحف المصرية أنظار الحكومة السودانية إلى أن اتفاقية سنة ١٩٢٩ ترتب التزامات تمتد إلى منابع النيل حيث ، تقييد الدول المشرقة على هذه المنابع ألا تقوم بأية أعمال إنشائية تتصل بمياه النيل إلا بعد موافقة مصر ، فإذا حاول السودان أن يتحلل من قيوده فى هذه الاتفاقية فإن ذلك سيكون سابقة خطيرة تجد منها دول أخرى منفذا للإضرار بمصالح كل من مصر والسودان .

الفهرس

صفحة	الموضوع	بسم
١١٣	أعظم أكذوبة في التاريخ	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
١٢٢	نفحات القرآن : موقف الحق من الباطل - ٦٢ -	» عبداللطيف السبيكي عضو جماعة كبار العلماء
	الخير من جانب الله وهو يدعو إليه	» ومدير التفتيش بالأزهر
١٢٦	السنة - صلة الرحم -	» عبد الرحمن عيسى مدير المجلة
١٣٢	حول الآراء الدينية	» أبو الوفا المراغي
١٣٥	خطبة الجمعة	» أحمد الشرباصي المدرس بالأزهر
١٤٠	دروس من العراق	» فتحي عثمان
١٤٦	نقد كتاب « أضواء على السنة المحمدية » - ٢ -	» محمد محمد أبو شعبة الأستاذ بكلية أصول الدين
١٥٢	إحباط فتنة تلحين القرآن	»
١٥٥	قراءة القرآن الكريم بلحون العرب	» عبد الوهاب حموده
١٥٩	عناية الاسلام بالجانب الخلقى	» يس سويلم طه المنشئ بالأزهر
١٦٤	الاسلام في اليابان	» عطية صقر المدير الصحفي لمكتب
	شيخ الجامع الأزهر	» منصور رجب
١٦٨	استخلاص الحق من الغاصب	» عباس طه المحامي
١٧٣	قوى المسلمين الحربية ، وأساطيلهم البحرية	»
	في صدر الاسلام	» محمد علي النجار
١٧٨	لغويات	» حسن الشيعه المحرر الأدبي بجريدة
١٨٢	رسالة لأزهر « رسالة الأدب » - ٣ -	الشعب وعضو نقابة الصحفيين
١٨٩	قراءات	» عمر طلعت زهران أستاذ في الآداب
١٩٢	تمليقات	» عبداللطيف السبيكي عضو جماعة كبار العلماء
١٩٤	المكتب	» ومدير التفتيش بالأزهر
٢٠٠	الأدب والعلوم	المجلة
٢٠٣	العالم الاسلامي	»



نداء وتوجيه

من فضيلة الأستاذ الكبير وكيل الجامع الأزهر
إلى أساتذة الأزهر وطلابه

١٢
٢٢٢٢٦
دوريات

قرار

يحثم دراسة اللغات الأوروبية الحية في جميع مراحل التعليم بالأزهر



بسم الله الرحمن الرحيم

نداء وتوجيه

من محمود شلتوت وكيل الجامع الأزهر
إلى إخوانه وأبنائه أساتذة الأزهر وطلابه

إخواني ، أبنائي :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته - وبعد .

فإني أبعث بتهنئتي وخالص تحياتي إليكم جميعاً بمناسبة افتتاح العام الدراسي لسنة ١٣٧٨ هـ

(١٩٥٨ - ١٩٥٩ م) .

ومن المبشر بالخير لعامنا الدراسي هذا أن يترن افتتاح الدراسة فيه بذكرى مولد الرسول الكريم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وبذكرى رسالته وهي رسالتكم التي تحملون لواءها ، وتعملون على نشرها .

وهذا الاقتران سيدفعنا إلى تذكر القيم الإسلامية الرفيعة ، ويحملنا على أن تمثلها في أنفسنا : في تصرفاتنا الخاصة ، وفي علاقة بعضنا ببعض ، وفي علاقة الأساتذة بأبنائهم الطلاب ، والطلاب بأساتذتهم وفي علاقتنا جميعاً - كحمة لهذه الرسالة - بالمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها .

ومن أخص هذه القيم التي يجب أن تمثل في نفوسنا : أداء الواجب حباً في أدائه ، والإسهام في كل عمل من شأنه أن يؤدي إلى خير مجتمعنا الصغير في الأزهر ، وجمتمعنا الكبير في الوطن العزيز ، والإيمان بمسؤوليتنا في الوطن العربي والإسلامي الكبير ، وما يقتضيه ذلك الإيمان من تسليح أنفسنا بالعلم والأخلاق ، وتحصينها ضد الآثرة والهوى ، والسموبها إلى مراتب التضحية والإيثار ، وبيعها لله في سبيل طبع وطننا الكبير ، وعالمنا الإسلامي والعربي بطابع الثقافة الإسلامية الفاضلة ، وتحصينه ضد نقثات الاستعمار الوافدة إلينا ، الرامية إلى إفناء شخصيتنا العربية والإسلامية .

ولا يفوتني في هذه المناسبة أن أوجه نظر رسل الأزهر من الأساتذة المبعوثين إلى الأقطار العربية الشقيقة والبلاد الإسلامية ، إلى أنه بجانب ما تقدم - يجدر بهم ، أن يحملوا في أنفسهم وفي تصرفاتهم الخاصة والعامة وفي أداء واجبهم هناك ، رسالة الأزهر ، ورسالة الوطن العزيز الذي نشأ فيه الأزهر ، والذي يحمل قادته اليوم رسالة العلم والمعرفة والأخوة الصافية ، إلى البلاد العربية الشقيقة والبلاد الإسلامية ، وإذا ذكروا الوطن العزيز في نفوسهم طوال إقامتهم لأداء واجبهم هناك فليذكروا معه تلك الرعاية التي توجهها حكومة الثورة إلى تمكين الأزهر من تأدية رسالته ، وإلى تلك الأهداف التي رسمتها فلسفة الرئيس جمال عبد الناصر لتسكين أواصر القرى بين البلاد العربية والإسلامية في آسيا وإفريقيا .

إخواني وأبنائي :

إن ٤٠٠ مليون مسلم ينظرون إليكم على أنكم خلفاء أنبياء ، وإلى الأزهر على أنه جامعة السماء إلى الأرض ، وإلى رسالتكم على أنها هداية الله للناس ، فسيروا في إعداد أنفسكم ، والوصول إلى هدفكم في صبر وإيمان ، والله يتولانا جميعا برعايته ، ويفيض علينا من هديه حتى نلتقي جميعا في وحدة قوية شاملة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمود شلتوت
وكيل الجامع الأزهر

١٤ من ربيع الأول سنة ١٣٧٨ هـ
٢٨ من سبتمبر سنة ١٩٥٨ م

قرار

رقم ١١٥ بتاريخ ٢٩ - ٩ - ١٩٥٨

شيخ الجامع الأزهر

بعد الاطلاع على مذكرة فضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت وكيل الجامع الأزهر المرفوعة إلى اللجنة العليا للعلاقات الثقافية والخارجية بتاريخ ٥ مارس سنة ١٩٥٨ بخصوص اقتراح إدخال اللغات الأوربية في مناهج التعليم بالأزهر وجعلها مادة أساسية .

وعلى مذكرة فضيلته المؤرخة في ٢٥ / ٩ / ١٩٥٨ المتضمنة :

ولما كان الأزهر جامعة المسلمين الكبرى التي تحمل لهم رسالة الثقافة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها من يعرف منهم اللغة العربية ومن لا يعرفها . كما أنه قبلتهم التي يتجه إليها أكثر من ٤٠٠ مليون مسلم ليتعلموا منها ثقافتهم الإسلامية والعربية التي تغذى أرواحهم وعقولهم وقلوبهم وتبرز مقومات شخصيتهم .

ولما كانت غالبية المسلمين في العالم لا يعرف اللغة العربية مما كان سببا في إضعاف صلتهم بجامعتهم الإسلامية الكبرى ، وإضعاف صلتها بهم ، وفي تمكين الاستعمار من سلخ كثير منهم من شخصيتهم العربية والإسلامية .

ولما كانت الدول العربية والإسلامية قد نما فيها وعى الترابط والتساند واتحصين ضد الغزو الاستعماري العقلي الذي يعمل على إغناء شخصيتها ، فقد اتجهت هذه الدول إلى الأزهر تطلب منه العون بإرسال العلماء والمدرسين والوعاظ من خريجي الأزهر الذين يعرفون اللغات الأجنبية إياهم لنشر الثقافة الإسلامية والعربية بينهم وتنشئة أبنائهم عليها ووقايتهم من التيارات الغربية الوافدة إليهم .

ولما كان الأزهر بوضعه الحالي - نظراً لعدم توافر العلماء الذين يعرفون اللغات من أبنائه - غير قادر على تأدية رسالته على الوجه الأكمل في هذه الدول وعلى الاستجابة إلى هذه الطلبات الكثيرة المتابعة التي لا تجد رداً عليها من زمن بعيد سوى الصمت .

ولما كان سبب هذا القصور هو عدم دراسة اللغات الأجنبية بالمعاهد الدينية ، وقصر تدريبها على الكليات بصفة اختيارية مما لم يكن له أثر يذكر ، ولقد أصبح ذلك نقصا معيبا في ثقافة أبناء أقدم جامعة في العالم تحمل رسالة الإسلام والثقافة الإسلامية والعربية إلى جميع سكان الكرة الأرضية ولها تاريخها التليد في حفظ هذه الثقافة ونشرها .

لهذا كان من الضروري المسارعة إلى تدارك هذا النقص بإدخال اللغات الأجنبية في الأزهر بصفة إجبارية وإصدار قرار بتكوين ثلاث لجان للنظر فيما يأتي :

١ — إدخال اللغة الإنجليزية والفرنسية والألمانية في مرحلتى التعليم بالمعاهد الدينية .

٢ — جعل هذه اللغات إجبارية في المعاهد والكليات .

٣ — يخصص كل فريق من الطلبة بلغة معينة يوالى دراستها في جميع مراحل التعليم .

٤ — بحث كل ما يلزم لإمكان تنفيذ ذلك ابتداء من هذا العام .

على أن تنتهى هذه اللجان من عملها قبل مضى خمسة عشر يوما من تاريخه .

قرر

اعتبارا من صدور هذا القرار :

أولا : تؤلف اللجان الآتية :

(١) لجنة اللغة الإنجليزية :

(١) الدكتور محمود حب الله عميد كلية أصول الدين .

(٢) الدكتور محمد البهى المراقب العام لمراقبة الثقافة الإسلامية بالأزهر .

(٣) الأستاذ أحمد خاكي عميد مفتش اللغة الإنجليزية بوزارة التربية والتعليم .

(٤) » أحمد عبد الفتاح صقر المراقب العام للأدب بالأزهر .

(٥) » على الحفناوى رئيس قسم اللغة الإنجليزية بكلية المعلمين .

(٦) » إبراهيم رهييه مفتش أول اللغة الإنجليزية بالتعليم الثانوى .

(ب) لجنة اللغة الفرنسية :

- (١) الدكتور محمد البهي المراقب العام لمراقبة الثقافة الإسلامية بالأزهر .
- (٢) د محمد بن الفحام الأستاذ بكلية اللغة العربية .
- (٣) الأستاذ عبد المنعم الصايف المراقب المساعد للآداب بالأزهر .
- (٤) د عمر على عزت مفتش أول اللغة الفرنسية بوزارة التربية والتعليم .
- (٥) د حسن كامل أحمد مدرس اللغة الفرنسية بكلية المعلمين .

(ج) لجنة اللغة الألمانية .

- (١) الدكتور محمد عبد الله ماضي الأستاذ بكلية أصول الدين .
- (٢) الدكتور محمد البهي المراقب العام لمراقبة الثقافة الإسلامية بالأزهر .
- (٣) الدكتور على حسن عبد القادر الأستاذ بكلية الشريعة الإسلامية ،
- (٤) الدكتور محمود الدسوقي مدرس اللغة الألمانية بكلية الآداب .

ثانيا : تقوم هذه اللجان بالنظر والبحث فيما يأتي : —

- (١) إدخال اللغة الإنجليزية والفرنسية و الألمانية في مرحلتى التعليم بالمعاهد الدينية .
- (٢) جعل هذه اللغات إجبارية في المعاهد والكلديات .
- (٣) تخصيص كل فريق من الطلبة باقة معينة يوالى دراستها في جميع مراحل التعليم .
- (٤) بحث كل ما يلزم لإمكان تنفيذ ذلك ابتداء من هذا العام .

ثالثاً : هلى هذه اللجان الانتهاء من عملها قبل ماضى خمسة عشر يوما من تاريخ صدور هذا القرار .

رابعاً : على إدارة المستخدمين تنفيذه .

القائم بأعمال
شيخ الجامع الأزهر
إمضاء

١٤ ربيع الأول سنة ١٣٧٨ هـ

٢٨ سبتمبر سنة ١٩٥٨ م

محمود شلتوت

الفهرس

صفحة	الموضوع	بـ
٢٠٩	ذكرى مولود وحياة رسالة	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٢١٧	نفحات القرآن : — ٦٣ — إذا تمادى	» عبداللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء
	الانسان فى أعمال الشر مسمى شيطاننا	ومدير التفتيش بالأزهر
٢٢١	السنة — الواصل والمتم — كافى	» طه محمد الساكت
٢٢٥	حقائق فلسفية فى ميلاد الرسول الأعظم	» عباس طه المحامى
	ورسائله الخالدة	
٢٣٠	من وحى للولده النبوى	» أحمد على منصور المدرس بمعهد شبين الكوم
٢٣٤	ميلاد الخير للانسانية	» عبد الله مصطفى المراغى
٢٣٩	مفتاح الشفاء	» أحمد الشربامى المدرس بالأزهر
٢٤٤	حصوننا مهددة من داخلها فى الجامعة العربية — ٤ —	» محمد محمد حسين أستاذ الأدب العربى
		الحديث بجامعة الاسكندرية
٢٦٤	نقد كتاب و أضواء على السنة المحمدية ٤ — ٣ —	» محمد محمد أبوشهبة الأستاذ المساعد بكلية
		أصول الدين
٢٧٢	هل من جديد فى تأليف السيرة النبوية	» فتحى عثمان
٢٧٩	التفسير العلمى للقرآن	» عبد الوهاب حموده
٢٨٥	عبر	» على العمارى المدرس بالأزهر
٢٨٨	دعائم المنهج الخلقى الاسلامى	» يس سويلم طه المنتش بالأزهر
٢٩٤	تأليفات	» عبداللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء
		ومدير التفتيش بالأزهر
٢٩٦	الكتب	المجلة
٢٩٩	الأدب والعلوم	»
٣٠١	العالم الاسلامى	»

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعية
تصدر عن شيخ الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي

مجم	٤٠٠
في وادي النيل	٤٠٠
للطباعة والنشر في وادي النيل	٣٠٠
للطباعة والنشر في وادي النيل	٥٠٠
للطباعة والنشر في وادي النيل	٣٠٠
للطباعة والنشر في وادي النيل	٤٠٠

الجزء الثالث - القاهرة : ربيع الأول سنة ١٣٧٨ - سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٥٨ - المجلد الثلاثون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذكري مولود

وحياة رسالة

ولد في عام الفيل ...

كانت العربية السعيدة ، البلاد التي أنجبت هوداً ويعرب وسبأ والحارث الرائي وبلقيس
وشمر يرعش ، تلك البلاد العريقة بالبطولة والمجد والمواهب السامية والسودد ، كانت يومئذ
محتلة بـ ... الحبشة !

وكانت السكعبة ، بنية ابراهيم وإسماعيل ، أول بيت أقيم في الأرض لعبادة الله وتوحيده
واحترام الوثنية ، قد دنسها عمرو بن لحي الخزاعي منذ عهد قريب بما حمل إليها من وثنية
الأردن ، فعوقب أهلها بالغزاة البغاة أصحاب الفيل ، إيقاظاً لهم وإنذاراً وتحذيراً ...

وكان تراث قصي في مكة ، وأنظمتها في قريش البطاح وقريش الظواهر ، قد اعتراها
الوهن والتعطيل ، بما طرأ على أم القرى في وقعة الفيل ...

بل كانت آفاق الشمال التي أنجبت صالحاً وشعبياً وقروناً بين ذلك كثيراً ، قد قبعت بأهلها

بين الأودية والأطواد ، منزوية بعقولهم ومواههم ، لثلاث دنسها حضارة فارس والروم بما ابتليتا به من الكذب والسرف والرياء ، والهلع والشهوات والاستخذاء .

إن العروبة - من عدن وسواحل حضرموت إلى مشارف الشام ، ومن سيف الخليج العربي إلى شطآن القلزم - كانت في سنة هذه الذكرى ، أى في عام الفيل ، غارقة في بداوتها ، وفي كل ما في البداوة من فطرة وبساطة ، وتقشف وخشونة ، وحرية وأريحية ونبل . غير أن بداوة العروبة امتازت على كل بداوة أخرى عرقها الإنسانية في الأرض ، من أوغل دهور الإنسانية في القدم إلى أن تقوم الساعة . لقد كانت الأمم الأخرى وهى في طور بداوتها هزيلة المدارك ، ضئيلة العقول ، فقيرة في لغاتها التى هى ترجمان المدارك ، فلم تكن لأمة من الأمم وهى في بداوتها لغة يزيد عدد مفرداتها على المائة أو المئات ، أما هذه الأمة التى ظهر منها في عام الفيل هذا المولود الممتاز - الذى تحتفل الدنيا الآن بذكرى ولادته - فانها امتازت في بداوتها بسعة المدارك وألمعيتها ، ووفرة المواهب ونضوجها ، وسلامة الأخلاق وكرم معدنها ، وثراء لغتها الدقيقة الأنيقة التى هى مقياس الإنسانية ؛ لأن النطق صفة الإنسان ، وعراقته بعراقته ، وأصالته بأصالته ، وشرفه بشرفه .

من هذه الأمة الممتازة بألمعية العقل وبلاغه المنطق ، وأريحية الفطرة ونبلها وحريتها ، ظهر هذا المولود الممتاز بكل ما ميزه الله به على كل مولود غيره من بنى البشر . ثم ازدادت هذه الأمة - إلى شرف أنه منها - شرفا آخر ، وهو أنه لم يستوف أيام حياته في الدنيا حتى كانت كلها له ولرسالته ، فاضطلعت بها ، وحملت أعباءها ، وزحفت بأماناتها شرقا وغربا إلى ما شاء الله لها أن تنشئ من مآذن لحي على الفلاح ، وقلاع للحق والخير ، في مشارق الأرض ومغاربها .

وبلغة هذه الأمة نطق هذا المولود أول ما نطق ، فكانت لغة التنزيل التى اختارها الله لكتابه الحكيم ، ثم كانت - بكتابه الحكيم - لغة الإنسانية المشتركة بين جميع الأمم التى تشرفت بالإيمان المحمدى ، وكان منها أعلام العلم الإسلامى ، وكبار المحدثين والمؤلفين ، والدعاة والهداة والصالحين .

والذين يلاحظون حكمة الله في كل ما يتبع تحت أنظارهم ومداركهم من خلقه وأمره ، مطمئنة قلوبهم إلى أن اختيار هذا المختار لأكمل رسالات الله كان مقرونا باختيار أمته الأولى

لتحمل رسالته إلى آفاق الأرض . وكما أن الإسلام بنفسه كان معجزة من معجزات الله في رسالاته ، فإن أحباب رسول الله والتابعين لهم بإحسان كانوا كذلك معجزة من معجزات الله في أخلاقهم وسيرتهم ، وفي حفظهم لكتاب الله وسنة رسوله ، وفتوحهم الخاطفة الخارقة لعادات التاريخ ، ونجاحهم في تغيير أنظمة الدول والناس في الممالك والمنازل والأسواق والنفوس ، وتعريبهم الألسنة والعقول والاتجاهات ، مما لم يسبق له نظير من غيرهم .

كان العرب قبل أن يتحملوا الرسالة المحمدية قد اعتري مواهبهم القومية الأصيلة شيء من الانحراف الطارىء ، ومنه وثنية عمرو بن لحي الخزاعي ، ولكن ما من عيب طارىء كان في العرب في زمن ولادة هذا المولود العظيم ، إلا كان ذلك العيب في غيرهم أصيلاً بأضعاف أضعاف ما نجاهه في العرب ، وكان يتقابل ذلك في العرب فضائل وسجايها قلباً يوجد بعضها في أمة أخرى غيرهم . ومن الإنصاف الاعتراف بأنه ما كانت أمة من أمم الأرض لتستجيب للرسالة المحمدية كما استجاب لها العرب ، وما كانت أمة من أمم الأرض - بعد أن تستجيب لهذه الرسالة العليا - لتحفظها على أصلها فلا تشوبها بما هو غريب عنها كما حفظ العرب من الصحابة والتابعين هذه الرسالة على ما هي عليه في أصلها ، ومنعوا أن تصل إليها أية شائبة .

في هذه البيئة وبين عقول أهلها ومواهبهم وقابليتهم شب هذا المولود الذي نحتفل بذكراه ولم يكن لمكة والحجاز ملك متوج ، ولا كان فيها شرطة ومحاكم وسجون ؛ وقلبا كان الناس هناك يبغى بعضهم على بعض ، وإذا وفد عليهم الحجاج كان له فيهم وفادة ورفادة وإكرام ، وكان الحجاج يتمنون من أسواقهم التي تجلب إليها البضائع والأرزاق من اليمن والشام في رحلتى الشتاء والصيف ، وإذا نزلت بهم نازلة أو حزنهم أمر أو احتاجوا إلى الدخول في حرب أو الرجوع إلى السلم فقد كانت لهم دار ندوة كان من نظام جدهم قصى الذي رسمه لهم أن يجتمع فيها ذوو الرأي والحجى والرأسة فيهم فيتشاورون فيما تقتضيه مصلحتهم . واتفق أن وقع مرة شيء من الضيم لحاج يبنى جاء بتجارة له ، فطله حقه بعض الذين تعاملوا معه ، فاجتمع شباب قريش في منزل عبد الله بن جدعان اتسمى من رهط أبي بكر الصديق ، وكان المولود الذي نحتفل في هذا الشهر بذكراه قد بلغ يومئذ سن الفتوة فكان أحد المجتمعين مع عمومته في دار ابن جدعان ، وعقدوا بينهم حلف الفضول ، أن لا يعلبوا بظلم أو بمطول الحق في مكة إلا تعاونوا على رد مظلمته واستخراج حقه ممن مظله . وقال صلوات الله عليه بعد أن بعثه

الله بالرسالة العظمى يذكر اغتباطه بذلك الحلف واشترائه فيه : ولو دعيت اليوم إلى مثله لأجبت .

هكذا كان مولودنا سلام الله عليه - حين بلغ سن الشباب - يلفت حوله ذات اليمين وذات اليسار ، فيتطلع إلى حقائق الأشياء من بين يديه ومن خلفه ، ويستجلي ما يقع عليه نظره من حق وخير فيغتبط بهما ، ويتأمل فيما يلح به من باطل وشر فيستنكرهما وينكرهما .

سافر مع عمه في تجارة إلى الشام ، ثم سافر بأوسع من ذلك في تجارة لخديجة ، فعامل الناس ، وشارك بعض الناس ، ومنهم السائب بن الحارث السهمي من رهط عمرو بن العاص الذي دخلت مصر في الإسلام على يده ، قال السائب يصف معاملة شريكه صلوات الله عليه : كان خير شريك ، لا يشارى ولا يمارى ولا يدارى (١) .

وأراد أن يتجرد عن مؤثرات البيئة ومألوف الناس ، فكان يهيم على وجهه في البادية وبين الجبال ينظر في آفاق هذه الطبيعة وما خلق الله فيها من دقيق وجليل ، وشامخ وذلول ، وما تنبت أرضها ، وما يزدهر في سماءها من كواكب ثابتة ومتنقلة تشرق وتزهر وتغيب في الجانب الآخر من ملكوت الله الأعظم . وبلغ به السير إلى جبل حراء وثبير فيما بين مكة وعرفات ، فكان يرتقى حراء فتنبسط بين يديه آفاق الأرض وجبالها في مدى بصره ، ويرنو بمقلتيه إلى القبة الزرقاء فوقه ، فيكتشف في نفسه عظمة الخالق ، بما يتأمل فيه من عظمة المخلوق .

في هذه البيئة البعيدة عن الناس من أخيار وأشرار ، كان يخلو بنفسه ، فيتصل قلبه وعقله بالله سبحانه ، فيخلص الضراعة والعبادة له ، ويتحرى ما ينبغي أن يكون فيه رضا ، إلى أن أوحى الله إليه برسالة العظمى التي إذا قارناها بجميع رسالات الأنبياء والرسل كانت بلا ريب أكمل رسالات الله ، وهي رسالة كل من يؤمن بها من بنى الإنسان إلى يوم القيامة .

إن سريرة هذا المولود العظيم فيما بين ولادته ورسالته كانت أمراً عظيماً ، وسيرته فيما بين رسالته وهجرته كانت أمراً أعظم ، وجهاده فيما بين هجرته والسنة التي أكمل الله فيها للمسلمين دينهم ، وأتم عليهم نعمته ، ورضى لهم الخفيفة السمحة ديناً ، كانت أعظم وأعظم . هي أدوار

(١) الإشارة : اللجاج . ومنه استشرى إذا لج في الأمر .

ثلاثة : دور الاستعداد والتكون ، ودور الدعوة بالإعداد والتكوين ، ودور بناء الأمة المثالية التي كان ينبغي للسليين في كل عصر من عصورهم وكل طبقة من طبقاتهم أن يخطوا بناء مجتمعهم على أساسها وعلى مثالها .

لو أن محمداً صلوات الله عليه لم يحرص فيما بين نشأته ورسالاته على أن يسير في طريق السكال لا يحميد عنه في دقيق أو جليل ، ولو أن الله عز وجل لم يسدد خطاه في ذلك الطريق فيما بين صباه وسن الأربعين ، لكان شأنه كشأن غيره من الناس ، ولما كان عظيم العظام من زمنه إلى زمننا وما دامت الإنسانية باقية ، إلى أن يكون عظيم العظام يوم البعث الأعظم ، والله أعلم حيث يجعل رسالته .

إن هذا الدور الأول فيما بين زمن الصبا إلى سن الأربعين كان مدرسة هذا الأمل الذي تحرى الحق والخير في ظروفه كلها ، وكان الامتحان في غار حراء ، وكانت الشهادة العظمى له بالفوز والنجاح بالوحى والتنزيل ، ثم خاض غمرات البلاغ والتخير ، كان يتخير الصخرات العظام التي سبني عليها قلعة الإسلام ، كان يضع الأساس الذي يقيم عليه الأمة المثالية ، وكان أمثال أبي بكر الصديق ، وما أقل أمثال أبي بكر الصديق في الدنيا ، هم الذين بنى عليهم صاحب الرسالة العظمى قلعة الإسلام ، وهم الذين أقام على عوانتهم الأمة المثالية .

لقد دعاهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، فكانوا يستجيبون له لوإذا بعضهم إثر بعض ، فمن أوائلهم استجابة للإسلام - بعد خديجة وعلى وأبي بكر وجعفر بن أبي طالب - : طلحة ابن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وخالد بن سعيد بن العاص ، وعثمان بن عفان ، وسعد ابن أبي وقاص ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وعبد الرحمن بن عوف ، والمقداد بن الأسود ، وعبد الله بن مسعود ، وخباب بن الارت التسمى ، وعتبة بن غزوان ، والأرقم بن أبي الأرقم المخزومي وفي منزله كانت الدعوة والاستخفاء . وكمن عظيم تأخرت استجابته ثم كانت حياته بركة وخيراً على الدعوة ، كعمر بن الخطاب ، وعمر بن العاص ، وخالد بن الوليد . ومن عجيب أمر هذه الرسالة والأمة التي استجابت لها أن الذين ماتوا منهم على العداوة للإسلام والكفر به عدد قليل جداً لو شاء مؤرخ أن يحصيهم ويستقصيهم بأسمائهم ، لكانت منهم قائمة قصيرة لا تعد شذوذاً في مجموع الأمة العربية التي زحفت تحت رايات أبي بكر وعمر

وعثمان لنشر الدعوة في الأقطار البعيدة . ولم ينتقل حامل هذه الرسالة العظمى إلى الرفيق الأعلى إلا وهو قرير العين بمن كان يصلي في مسجده خلف أبي بكر من رجالات كان أستاذهم أعرف الناس برجولتهم وبطولاتهم وصادق إخلاصهم لله ورسوله . ولا تعرف الإنسانية في جميع تواريخها أمة مثالية خرجت للتاريخ من تحت يد رجل واحد ، تولى تربيتها وتكوينها وإعدادها لحل رسالته ، كالامة التي صحبت رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وحملت رسالته .

وكانت الحقبة الأخيرة من حياة صاحب هذه الذكري هي حقبة الوفود عليه من القبائل القاصية في الشمال وفي الشرق إلى الخليج العربي ، ومن أعظمها بركة وفود الجنوب من أهل اليمن الذين لهم ماض عريق في العظمة وأجداد الفتوح ، فتجدد ظهور جوهرهم وكريم معدنهم تحت رايات الخلفاء بما تمت به المعجزة في أعجب انقلاب اجتماعي وعقلي تكون به هذا العالم الإسلامي .

إن الإسلام - وتكوينه الأمة المثالية - كان يكون رهنا بحياة صاحب هذه الرسالة لو أن الرسالة بقيت بعده مجهولة ، فكان ينحصر قيام الدعوة وتكوين الأمة المثالية في مدة حياته ثم يزول أثر ذلك بعده . أما والرسالة قد تولى الله حفظها ، والكتاب المنزل ببيان هذه الرسالة وبالدعوة إلى تكوين الأمة المثالية موجود الآن بنصه في يد كل مسلم ، وألوف من المسلمين يحفظونه عن ظهر قلب في كل جيل ويلتونه على مسامع الناس في الغدو والآصال ، فإنه لا عذر لأي جيل من أجيال المسلمين في أن يتخلف عن الانطباع بطابع الجيل المثالي المعاصر للسلم الأول ، معلم الناس الخير ، الذي نحتفل الآن بذكرى مولده ، صلوات الله وسلامه عليه .

كتاب هذه الرسالة الذي عمل به الجيل الأول فكان به جيلا مثالياً ، قد تولى الله حفظه لكل جيل ، ليكون حجة لله قائمة على الناس ليسعدوا به ويكونوا أمة صدق متينة الأخلاق قوية العزائم ، مقيمة للحق ، مغتبطة بالخير ، متعاونة عليه .

كل توجيه بذله مولودنا الأعظم صاحب هذه الذكري عاملا به على تكوين الجيل المثالي الذي غير وجه المعمورة في زمانه ، قد دونه علماء هذه الملة وأئمتها في دواوين السنة ،

وهو معروض الآن على أنظار كل من يحب أن يسير بسيرة أبي بكر وعمر وعثمان وعلى وأبي عبيدة وطلحة والزبير وسعد وسعيد وابن مسعود وإخوانهم ومن جاء بعدهم . ولماذا لا يتخير كل مسلم قدوة له من الصحابة فيدرس سيرته ويحاول السير عليها والتزام ما فيها من حق وخير ؟

إن في هذه الأمة من ينطوى قلبه على محبة أبي بكر أو محبة عمر أو محبة علي أو محبة خالد بن الوليد ، فلماذا لا يتحرى من يحب منا واحداً من هؤلاء أن يدرس سيرته ويقتدى بها ويجدد حياة محبوبه بإظهارها للناس كما كان عليها ذلك الصحابي في مدة حياته ؟

إن من يحيي سيرة صحابي لأنه كان محبوباً من رسول الله لا شك أن رسول الله سيحب الذي يحيي سيرة ذلك الصحابي كما كان يحب ذلك الصحابي . وإذا كثر الذين يفعلون ذلك منا أوشك أن يتجدد في عصرنا هذا كل ما كان في العصر النبوي من حق وخير .

وهذا ممكن ، ولا يحول بيننا وبينه إلا ضعف الهمة عن تحقيقه . بل نحن مأمورون بأن يكون لنا في حياة رسول الله صلوات الله عليه أسوة حسنة ، فمحاولة كل محمدي أن يتأسى برسول الله ويتحرى سيرته ويعمل بها هي مفتاح التجديد العظيم في حياة الإسلام ، وبها يكون البعث الجديد للإسلام على الأرض .

لقد نجم في بعض عصور الإسلام الماسية ناس من الملاحدة والشعوبيين تظاهروا بالانتماء إليه ، وكانوا في سرائرهم أعداء له ، فكان من أخبث ما دسوه في الإسلام ليبتلوا العمل به تسوياً سمعة أصحاب رسول الله ، وتحريف سيرتهم ، وتأويل محاسنهم بما يوهم أنها سيئات ، فأفسدوا على المسلمين طريق الأسوة بهؤلاء الأكابر لئلا يجدد للإسلام شباباً الذي كان له في زمن الجيل المثالي ، الجيل الذي رباه صاحب هذه الذكرى بيده ، وأعداه لمواصلة المهمة التي جاء بها الإسلام . وهذه الدسائس التي دسها الشعوبيون والملاحدة في تاريخ العصر الإسلامي الأول مكشوفة مفضوحة لكل من يحاول تصحيحها من النصوص المحفوظة في كتب أئمة الحديث وأعلام الإسلام . وسيكون من ثمرات تصحيح التاريخ الإسلامي ورده إلى حقيقته الأولى أن ننعم بالحرمة والإجلال لذلك العصر ، وأن نتأسى بسجاياء أهله ، وأن نعمل على تجديده .

الإسلام عقيدة وعبادة وأخلاق ونظام اجتماعي ، ومن أعظم ما يغالط به المسلمون أنفسهم أن يزعموا أن تجديد رسالة الإسلام من عمل الحكومة لا من عمل الأمة ،

إن الحكومة تقوم بواجبها ما أقامت العدل والأمن في الناس ، وما أحسنت الدفاع عن حياض الأمة وحصنت الوطن الإسلامي بأسباب القوه . أما تجديد شباب الإسلام وبعثه في عقائدنا وشعب إيماننا ، وطاعتنا لله في أخلاقنا وسيرتنا ، في بيوتنا وأسواقنا وأنا يتنا وجمتمعنا ، فهذا من واجب كل مسلم ومسلمة ، وهو الآن أوجب من كل وقت آخر بعد أن صار لنا في المحيط الدولي هذا الصوت المرتفع ، والمكانة المحترمة ، والكلمة التي تحسب الدول حسابها . فإذا لم يكن لنا من وراء ذلك قلوب مؤمنة ، ونفوس مطيعة لله ورسوله ، وأخلاق إسلامية تتعامل بها في بيوتنا وأسواقنا وجماعتنا وفي كل شئوتنا ، فإن ذلك يعتبر تقصيراً منا في التجاوب مع ولاية أمور بلادنا الذين عملوا من جانبهم في أقصر مدة أقمى ما يمكن أن يعمل من كان في مركزهم ، إنهم عملوا ويعملون من جانبهم ما يجب عليهم من أسباب القوة ، وأنا وأنت ، وزوجتي وزوجتك ، يجب علينا أن نعمل من جانبنا ما يجب علينا من هذه الأسباب ، وفي خليعتها الأخلاق التي هي من صميم رسالة الإسلام ، والتي بها بلغ المسلمون الأولون مستواهم الرفيع ، وبها وبالإيمان الصادق انتشر الإسلام واتسعت رقعة العالم الإسلامي .

خير ما نهديه إلى رسول الله في ذكرى مولده ، وفي كل ذكرى من ذكريات حياته ، إحياء رسالته وتجديد شبابها ، والأخلاق من رسالته ومن أسباب نجاح هذه الرسالة . وإذا كان في الصحف المنتشرة والمجلات المماجنة ما يفسد على الناس أخلاقهم ، فإن في يد الناس أن يكفوا عن قراءتها وعن إدخالها بيوتهم فتموت بلا رجعة ، وهل تعيش هذه الصحف إلا من القروش التي يمددها بها أناس نسمعهم يشكون منها ويتذمرون من سوء أثرها في ذويهم ؟ بل إن هذه الصحف تتقرب إلى قرائها بالفحشاء استدراجاً لقروشهم ، واعتقاداً منها بأن الفحشاء بضاعة رابحة ومطلوبة ، ولو أمسك الناس عن إمدادها بهذه القروش ، وتبين لأصحاب هذه الصحف أن التقرب إلى القراء وإلى قروشهم لا سبيل إليه إلا نشر الفضيلة ، لكانوا في طليعة الناشرين للفضيلة والداعين إليها . . .

أيها المحتفلون بذكرى المولد المحمدي الكريم إن خير ما تحتفلون به لإحياء هذه الذكرى إحياء رسالة صاحبها ، فليعمل لذلك كل واحد منا ما يستطيعه من جانبه ، حتى نلتقي جميعاً في العام القادم في ملتقى نحمده إن شاء الله ؟

محـب الدين الخطيب

فكاهية القرآن

- ٦٣ -

إذا تمادى الإنسان في أعمال الشر سمي شيطانا

« وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا : شياطين الإنس والجن ،
يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ، » .

كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبي ذر صاحبه : - يا أبا ذر ! هل تعودت بالله من شر شياطين الإنس والجن ؟ فقال أبو ذر : يا رسول الله ! وهل للإنس من شياطين ؟ قال عليه السلام : نعم ، هم شر من شياطين الجن !
وقال مالك بن دينار : إن شيطان الإنس أشد على من شيطان الجن ، وذلك أنى إذا تعوذت بالله ذهب عنى شيطان الجن ، وشيطان الإنس يجئنى فيجرنى إلى المعاصى عيانا .

والقرآن الكريم يسبق هذه المأثورات ويؤيدها فى الآية التى معنا ، فيحدثنا أن الله جعل لكل نبي من أنبيائه عدواً من الشياطين ومن الإنس ، ويسمى الإنس المعادى لدينه ولأنبيائه ، شيطانا ، فهو سبحانه يجمع الفريقين تحت اسم واحد « الشياطين » ، لأنهم يقومون بعمل واحد فى الفساد ، والإفساد ، ومحاربة الدين ، ومعارضة الرسل . . .

والله سبحانه - يبين لرسوله محمد صلوات الله عليه - كيف كانت عداوة الشياطين من الفريقين ، فيذكر أن بعضهم يوحى إلى بعض زخرف القول : يعنى أن شيطان الجن يوسوس لشيطان الإنس فيطرح فى خياله وخواطره زخرفة الأقوال الباطلة التى يعارضون بها دعوة الرسل ، والتى يتحدثون بها إلى الناس فى ترويج المعاصى ، وتهوين المفاسد . وهذه الزخرفة والتحسين يروجان عند صغار العقول ، وعديمى الإيمان ، فينقادون لها وينشطون فى العمل بها ، ظانين أنها مستحسنة وصواب ، أو مستحسنين لها وهم على علم بمخالفتها للحق الذى ينادى به كتاب الله .

وهذا يكون المفسدون من الناس قائمين بوظيفة الشياطين الذين عرفوا بنزغات الإنسان والوسوسة في خواطره ، وكل ذلك من شأنه أن يكون خفياً ، لاجهراً ، ولهذا سمي وحياً كما في قوله تعالى : « وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم ، وإن أطيعوهم إنكم لمشركون » .

والله تعالى يحدث نبيه بأن هذه سنة قديمة في معاداة الشياطين من الفريقين للأنبياء منذ القدم ، وحكمة الله في ذلك : أن يشجع رسوله على احتمال الأذى من أعدائه ، كما احتمله رسل سابقون ، وحكمته تعالى في تسليط الشياطين من الفريقين على أناس آخرين أن يختبر عباده ، لا ليعلمهم ويعرف أمرهم فهو أعلم بهم من أنفسهم ، بل ليكشف لهم عن مقدار إيمانهم ، وعن استعدادهم للثبات على دينهم ، أو سرعة انحرافهم عند البلاء .

فقد يغتر الإنسان بنفسه ، ويظن أنه مطمئن الإيمان ، وأنه يساوى غيره من الصادقين المجاهدين الصابرين .

ولا يكاد يفهم درجة نفسه في دينه ، ولا مقام نفسه بين المؤمنين حقاً إلا إذا عرضت له أسباب تكشف له ما خفي عليه من أمره وعندئذ يحاول السكال إن تبصر وأحسن الاختيار ، أو يدرك أن تفاوت المنازل بين العباد عند الله منوط بتفاوت الإيمان كلاً ونقصاً فلا يكون لأحد عند الله حجة ، وهذا أقصى ما نستطيع تصويره من عدل الله تعالى مع خلقه .

ثم نعود فنقول : ماذا يقصد الشياطين من زخرفة القول ، وتحسين القبايح ؟ ! صرح الكتاب العزيز بذلك في قوله « غرورا » ، يعنى لتغريب الناس ودفعهم إلى الباطل المزخرف .

وصرح به ثانياً في قوله « واتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة . . . » يعنى لتميل إلى هذا الباطل قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة فيتخذوه ديناً ومعتقداً لهم .

وصرح به ثالثاً ، في قوله « وليرضوه وليقتربوا ما هم مقتربون » ، يعنى ليفرحوا به ويعكفوا عليه ، وليرتكبوا من المعاصي ما هم مرتكبون ، مستيحيين لهذا الباطل ، معرضين عن الحق الذى ينادى به الرسل ، وتحفل به الكتب ، وخاتمها القرآن الكريم .

وإنما فعل الله ذلك ببعض عباده لسابق عليه أن استعدادهم سي* ، وأن الهدى لا ينفع فيهم ، فترتب على ذلك معاملة الله لهم بما هم أهل .

وهنا مناقشة فلسفية يتطرق إليها الكلام : وهى هل قدر الله عليهم الانحراف أولا ثم وجد منهم سوء الاستعداد بسبب ما قدر عليهم ؟؟ وما ذنبهم فى هذا وقد قدر عليهم ؟؟ وللعباء توجيهات لا فطيل فيها ، ويكنى أن نأخذ برأى مقبول ، وهو أن الله تعالى علم ألا أن الكفار مثلاً يسيئون الاختيار لسوء استعدادهم الفطرى وسوء الاختيار منهم فقدر عليهم ذلك الانحراف لما يعلمه من حالهم بعد ، : فهناك علم سابق بسوء اختيارهم ثم قضاء عليهم بالمخالفة والانحراف ، ثم وجدت منهم المخالفة تنفيذا للقضاء المبني على سابق العلم وكيفما كان فقد أرشد الله إلى التحفظ من وساوس الشيطان فقال سبحانه « وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم » .

وواضح من هذا أن العبد إذا أحس بخواطر فاسدة تدور فى خياله وذهنه فليتنبه إلى أنها وساوس الشياطين ، وليسرع إلى الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم والاستعاذة بالله حصن يحمى به العبد وينجو من مكاييد الشيطان كما وعد الله بهذا فى قوله « إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون » .

وأما شيطان الإنس ، وهو رفيق السوء ، فسهل على المرء أن يتجنبه إذا عرف منه سوء الصحبة ، والأمر أمر يقظة وحسن تقدير ، فمن راعى جانب الله استطاع أن يتحفظ ، ومن غفل عن جانب الله زلت قدمه وساءت عاقبته ، ولن ينفعه صاحب ، ولا ولد ، ولا مال ولا ندم .

وبعد - فقد عرضت الآية الكريمة لذكر الإنسان والشيطان فى نمط واحد :

(أ) ونحن إذا وقفنا إزاء كلمة إنسان ، لنستوحى معناها ، وخصائصها ، وما لها عند الله من قدر ، وجدناها فى جانب علوى ، وفى إطار كريم من الجلال والرعاية .

(ب) وإذا وقفنا إزاء كلمة شيطان ، وما يحيط بها من شناعة ، وما اقترن بها من مهانة وجدناها فى مهبط سفلى ينحدر فى الخسة حتى لا ينتهى عند غاية سوى اللعنات اللاحقة به من الله ، وعلى كل لسان .

فإنسان : عنوان كريم يشعربنا بالأنس ، ويوحى بالطمأنينة ، ويشير عاطفة الإخاء والمحبة ، وإنسان : هو ذلك المخلوق الذى كرمه ربه ، ومجده لدى ملائكته ، وشغل الدنيا به ، وخلق ما فيها لأجله ، وهىأه بعقله ، ومواهبه للإيمان ، وكرر نداءه ، وأطمعه فى مرضاته ، والخلود

في نعمائه ، وحذره من سخطه ، ولم يترك له من وسائل الهداية أمراً يتعلل بجهله ويعتذر به عن تخلفه .

وشيطان : عنوان بغيض ، يثير التشاؤم ، ويشعر بالغضاظة ، ويخيف من المكاره ، ويزعج من خطرهما حتى كأنها قرينة لذكر اسمه ومحنة المرء ولا مفر .

ويمكن أن نوجز هذه المقارنة في اعتبار كلمة إنسان مرادفة لكلمة خير . . وفي اعتبار كلمة شيطان مرادفة لكلمة شر ، وبين اللفظين في مدلولهما بعد ما بين المشرق والمغرب . أو بعد ما بين العافية والبلاء .

فما الذي جمع بين مدلوليهما حتى دمجهما في لفظ واحد ، وسمى الإنسان شيطانياً ؟ . وما الذي هبط بالإنسان من عليائه ، وجرده من جلاله ، حتى أصبح رجياً ، لا كريماً ؟ ؟

جواب ذلك : أن الإنسان خرج من إطاره ، ونسى صلته بربه ، وتجاهل عداوة الشيطان له ولآبيه آدم من قبل ، ثم طرح جانباً ما أوصاه به ربه : من حذر ، وحيطه ، ومجانبة لإغواء هذا العدو المبين ، وأخذته وسوس الشيطان ، وراقت له مفاته فأنحدر إليها ، وانغرس فيها ، بل تجاوز هذا إلى القيام بما يقوم به عدو الإنسان ، وأصغى إلى وحيه واستجاب لتنفيذه نحو أخيه الإنسان ، فكان هذا المفتون جندياً بل كان في مسلكه شيطانياً حقاً ، ولو أن المرء ركن إلى ربه ، واستعاذ به من غواية الشيطان ، واستنض عقله ومواهبه في التحرز من الوسوس ، ومن زخرفة الأباطيل ، واحتفظ بمكانته عند ربه لكان في مصاف الأخيار ، وفي عداد الأبرار . . وليس يحول بين المرء وهذا سوى غفلة وشهوة ، وجهالة ، وضلالة . . ومن خلال ما ذكرنا يتضح أن المرء مسئول عما اختاره لنفسه ، ومحاسب على صنيعه ، ولو عاج قصوره بالرجوع إلى ما جاء من عند الله ، وعالج تقصيره بالتوبة والإنابة لكان له من عفو الله نصيب ، وقد جعل الله بابه مفتوحاً لكل قاصد ، وقبوله ، ورضوانه وإحسانه مرجوا لكل منيب .

فاللهم اجعلنا في ديننا ودنيانا على خير ما دعوتنا وعودنا الخير كله ، ولا تجعلنا من شياطين الإنس ، ولا من أتباع الشيطان في شيء .

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير التفتيش بالأزهر

السنة

الواصل والمكافئ

قدرت وقدرة الله - رحم الدين ، ورحم القرابة - رحم الأخوة العظمى -
سيد الواصلين في قومه - القطع في الله وصل - أصناف الناس
في المعاملة - الإحسان الحق - الواصلون حقاً .

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
ليس الواصل بالمكافئ ، ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها .
رواه البخارى (*)

ودعت الكتابة في السنة إلى أجل كنت قدرته عاماً أو عامين ، ولكن قدر الله ألا يزيد
على شهرين . . . فإن يكن العود أحمد ، فالفضل لمن بيده الفضل سبحانه ، ثم لأسرة هذه
المجلة وقرائها ، فما فتئوا يذكروني أن أصل رحماً ربطتها المجلة بيننا ، ثم جاءت السنة فشدت
رباطها . . . وكأن الرحمن جلت آلاؤه ، ألهم عبده السيد مدير المجلة ، أن يكتب حديث السنة
السابق في صلة الرحم ، تجديدًا للتذكرة ، وتوكيداً لما بيننا من آصرة . . .

* * *

ذلك ، والرحم عامة وخاصة ، وكل مما أمر الله به أن يوصل ، في غير محادة لله ورسوله :
فأما الرحم الخاصة ، فهي القرابة على اختلاف درجاتها ، فإذا اشتدت فإن قطيعتها لغير
الله أعظم جرماً ، كما أن صلتها لله أكبر درجات وأكبر تفضيلاً . .

[*] في الصدارة من كتاب الأدب . والرواية بتشديد « لكن » ويجوز تخفيفها . وأكثر
الروايات في « قطعت » بفتحات ، وفي بعضها بضم القاف وكسر العين .

وتكون صلة الرحم العامة بالعدل والإنصاف ، وتأدية الحقوق الواجبة ثم المستحبة .
وتمتاز صلة الرحم الخاصة بمزيد العناية والرعاية في النفقة والمودة والتناصح والتسامح ،
وتفقد أحوالهم ، والتغافل عن ذلاتهم ، والسعى في مصالحهم ، في حدود الوسع والطاقة ،
ولا سيما أهل الصلاح منهم والاستقامة ، فأما الكفار والفجار ، فأهم صلتهم بذل الجهد
في إصلاحهم . . ثم إنذارهم بالقطيعة إن تمادوا في غيهم . . مع إعلامهم بأن القطع في الله
تعالى هو عين الوصل ، ومع الدعاء لهم بظهر الغيب أن يهديهم الله إليه صراطا مستقيما . . .
وقد نال سيد الواصلين صلى الله عليه وسلم من أذى قومه ما لم ينله أحد ، فغف وعفا
وقال : اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون . .

ووصى صلوات الله وسلامه عليه فشدد الوصية بأهل بيته خيراً ؛ وقال في بعض رحمه :
إن آل أبي فلان ليسوا بأوليائي ، إنما وليي الله وصالح المؤمنين ، ولكن لهم رحم أبلاها
بيلالها .

ولما نزلت هذه الآية : « وأنذر عشيرتك الأقربين » دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
قريشاً فاجتمعوا ، فعم وخص فقال : يا بني كعب بن لؤى أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني
مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار ،
يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار ،
يا فاطمة أنقذى نفسك من النار ! فإنى لا أملك لكم من الله شيئاً ، غير أن لكم رحماً سألها
بيلالها . رواه مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه (١) .

وجاءه رجل فقال يا رسول الله : إن لى قرابة أصلهم ويقطعونى ، وأحسن إليهم
ويسيثون إلى ، وأحلم عنهم ويجهلون على ، فقال : لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم
الملك ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك (٢) .

* * *

[١] روى البلال بالفتح والكسر مصدر بل كرد ، ويجوز على الكسر أن يكون جمع بلل بجمع
شبه قطيعة الرحم بالحرارة ، وشبه صلتها بالماء الذى يندبها ثم يطفئها ، وهو من بديع التشبيه ، ومنه
الحديث : « بلوا أرحامكم ولو بالسلام » وانظره فى الجامع الصغير .

[٢] شبه ما يلحقهم من آثام القطيعة بما يلحق طاعم الرماد الحار من الغيظ والألم ، وقد تكفل
الله للواصل المطعم بالبر والمعونة والرعاية والكفاية .

والرحم الخاصة هذه هي موضوع حديثنا هذا والحديث السابق ، وهي التي تراد عند الإطلاق ، وقد أعظم الله شأنها ، ورفع مكانها ، حتى اشتق اسمها من اسمه ، وصفتها من صفته ، وأجابه وهي في مقام العائد به من القطيعة : أما ترضين أن أصل من وصلك ، وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى يارب ! قال فهو لك . . ثم قرنها بذكره ، في مقام تقواه ومراقبته ، فقال جل سلطانه : « واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ، ولو لم يكن لها من عظيم الشأن عند الله إلا هذا لكفى .

وأما الرحم العامة ، فهي رحم الدين الحق . .

وقد تقوى هذه الرحم حتى تكون أعظم من الرحم الخاصة شأنًا وأعلى مكانًا . فإذا تعارضت الرحمان في رغبة قدمت رحم الدين على رحم القرابة ، فلا طاعة لمخلوق - كائنًا من كان - في معصية الخالق ؛ والله ورسوله أولى بالمؤمنين من أنفسهم ومن الوالدين والأقربين .

وهذه الرحم العامة شعب وضروب شتى :

فهنها رحم العلم ، ومنها رحم العمل ، ومنها رحم الجوار أفراداً وأئماً ، وممالك وشعوباً وأرفعها درجة وأعظمها قرباً ، ما اجتمعت فيه هذه المعاني كلها ، ثم هي بعد ذلك درجات لا تحصى عدداً .

وهذه الرحم العامة في حقيقة أمرها ، واختلاف شعبها ، تمثل الجانب الأعظم ، من رحم أعم وأشمل ، رحم الأخوة العظمى ، والإنسانية الكبرى ، التي خلقها الله من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء . . ثم جعلهم شعوباً وقبائل ، ليعرف بعضهم بعضاً ، فيصلوا أرحامهم ، ويدينوا أنسابهم ، ويتعاونوا على البر والتقوى . .

* * *

وكما تختلف الأرحام قرباً وبعداً ، يختلف الواصلون كذلك ضيقاً ووسعاً ، وقدرة وعجزاً ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى . وكذب بالحسنى . فسنيسره للعسرى . .

* * *

ومهما يختلف الناس في معاملتهم للأرحام فهم أصناف ثلاثة :

صنف قاطع ! وعياداً بالله منه ومن القطيعة معاً ! وحسب هذا وعيداً على عظيم إثمه وكبير جرمه ، قول الصادق المصدوق صلوات الله عليه وسلامه : « لا يدخل الجنة قاطع » رواه الشيخان عن جبير بن مطعم رضى الله عنه (١) .

وصنف مكافئ ، وهو الذى يصل من وصله ويقطع من قطعه ، فهو فى جملة أمره واصل ، وإن كان يقارض ويبادل ، فإن فى المبادلة صلة ، وإن لم تكن كاملة .

وإنما ألغى صلوات الله وسلامه عليه صلة المكافئ ، ولم يعد صاحبها فى الواصلين حقاً لأن الصلة على سبيل المبادلة فقط ، ليست من تمام المكارم التى بعث لها صلوات الله عليه ؛ ولأن صاحبها ليس من الراشدين الكاملين ، الذين يعدهم الربى الأعظم صلى الله عليه وسلم ، لأن يكونوا سادة وقادة فى خير أمة أخرجت للناس .

ونفى الشيء أو إثباته مراداً منه جنسه الكامل ، من الأساليب المعروفة فى السنة المربين والبلغاء ، ومن ذلك قول بعض السلف : ليس الإحسان أن تحسن إلى من أحسن إليك فإن ذلك متاجرة ، وإنما الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك .

وأبلغ من هذا قول إمام المربين وأبلغ الناطقين صلى الله عليه وسلم : « ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب . ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس . ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان ولا اللقمة ولا اللقمتان إنما المسكين الذى يتعفف . . » روى الشيخان ثلاثتها عن أبى هريرة رضى الله عنه .

وصنف واصل ، وهو المتفضل الكامل ، مراد النبى صلى الله عليه وسلم ، ومقصوده الأعظم فى هذا الحديث .

ذلك الصنف الثالث أقل المتقين عدداً ، وأكثرهم إحساناً ورشداً ، ذلك هو الأتقى الذى يؤتى ماله يتركى . وما لأحد عنده من نعمة تجزى . إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى . ولسوف يرضى . ؟

طه محمد الساكت

حقائق فلسفية

في ميلاد الرسول الأعظم

ورسالته الخالدة

ماذا طالعت الإنسانية قبل أربعة عشر قرناً من الزمن ، وماذا حملت إلى الناس بين أطوائها إلا ذلك الوليد اليتيم الذي ألقته الإنسانية بين أحضان والدته آمنة وأسمته محمداً .

ومن الذي يستطيع أن يتصور أن هذا الطفل اليتيم سيكون شغل العالم في هذه المجموعة الشمسية بعد سنين معدودات ، ويبقى ذكره خالداً خلود الإنسانية ، وتعاليمه قائمة حية مع حياتها الأبدية .

إن محمداً صلى الله عليه وسلم أعظم آية من آيات الله في الخلق يزداد أثرها في قلوب الناس ، ويشدد تأثيرها في عقولهم ، كلما ارتقت المعارف الإنسانية والتكاملات البشرية ، وأدرك الناس مبلغ قوة الفرد ، تاقم الطبيعة والمجتمع ، وغاية ما تستطيع أن تحدثه قواه المحدودة فيهما .

نعم إن محمداً كان رسولا يعمل بوحى من الله ، ويعتمد في ممارسة خصائصه على تأييده سبحانه ، وقد وعده الحق بالنصر المؤزر ومحمود العاقبة ، فمن حمل هذه العقيدة أيقن أن ما بلغه محمد في أكساف هذه الرعاية الإلهية لم يكن عجباً ولا فريداً في ناموس هذه الإنسانية ، ولكن الذي يعجب في صورة التشكيك لما التبس عليهم من حقائق هذا الكون وأسراره أولئك الذين لا يعتقدون برسالته من الأمم ويعدونهم عبقرية فحسب .

نعم هؤلاء هم الحيارى المترددون الخيالون الواهمون الذين يحق لهم أن يعجبوا وأن يحاروا في تعيين المنزلة التي يضعون فيها محمداً بين المراتب الإنسانية الخالصة .

لامرية في أن تاريخ الانقلابات الاجتماعية أفصح برهان على أن جميع الأفراد من أعلام الرجال الذين قاموا بتلك الأحداث الخطيرة في تاريخ البشرية أعلام ولدوا في جماعات محكمة

الروابط مستحصدة العرى فدفعوا بها إلى ضروب من الحركات الانتمالية الجريئة الواعية ،
عدوا معها - بغض النظر عن المظالم التي قارفوها - من أعلام التاريخ : فبختصر البابلي ،
وقيروش الفارسي ، والإسكندر المقدوني ، وجنكيز خان المغولي وغيرهم ، كل هؤلاء كانوا
عياهل في أقوامهم ، وقد ولدوا في شعوب متماسكة الأحاد ولا يعوزها غير التوجيه إلى
الغايات البعيدة مصحوبة بحسنة في القيادة .

وكذلك الحكم في الرسائل الدينية نفسها ، فوسى بن عمران عليه السلام الذي أرسل
إلى بني إسرائيل في مصر . استقبل منهم كمنفذ لهم مما هم فيه من صنوف الضلالة فلم يبدل
في استمالتهم إلى تعاليمه جهداً كبيراً ، واضطر أن يقف في التيه ولم يزحف بنو إسرائيل
إلى فلسطين إلا بعد وفاته . وعيسى عليه السلام نشأ في أمة مستكملة شرائط الاجتماع ،
ومع ذلك لم يؤت تعاليمه الحكيمة الرشيدة التي تطلبها أتباعه إلا بعد أن اختمرت في مدى
نحو أربعة قرون .

ولكن محمداً الذي كان أكبر آيات الله في الخلق ولد في أمة كانت على الحالة القبلية
فلم يجد معيماً له حتى من القبيلة التي هو منها ودفع لأن يلتمس المعونة على أداء مهمته
من جماعة ينشئها إنشاء ، فتم له ذلك في بني الأوس وبني الخزرج سكان يثرب .

لقد كانت هذه عجيبة وكل ما حدث بعدها سلسلة من العجائب التي تلا بعضها بعضاً ،
اتسعت لها الأيام القليلة أنساعاً محيراً للعقل البشري حتى تم له في ثلاث وعشرين سنة
من تعاليمه الدينية وإرشاداته الخلقية وقضاياه الإنسانية في مختلف آفاق الدنيا مستقصية
الحياتين حياة الزاد وحياة المعاد ، بل حباة الابتلاء وحياة الجزاء ، مالا يعقل أن يستكمل
وينمو إلا في عديد من القرون .

فلما آنس صلى الله عليه وسلم خذلان القبائل كلها ختماً عليه وتبرماً به وتنكراً لعظم
شأن رسالته حسبما تبين له من عرض رسالته عليها في كل موسم من مواسم الحج شرع يلتقي
بهم في زوايا الإهمال ويتنى لنفسه أمة فتية جديدة ، نعم أمة جديدة !

ابتنى محمد صلى الله عليه وسلم للوجود كله أمة عالية في أهدافها وسمو مطالبها فلا تقوم
مثلاً على وحدة الجنس ، ولا على وحدة اللغة ، ولا على الحاجات الجثمانية الملحة ، ولكن

على ما يصلح أن يكون ملاكا للبشرية الفاضلة كافة من الأصول الأدبية السامية والمبادئ الإنسانية الخالدة الكاملة .

فإن تعجب لذلك فأعجب منه أن يتم تأليف هذه الأمة فيصبح فيها الصناديد من قريش وخزاعة ، والهاميم من تميم وأسد وهوازن ، وبعدهم الفرس والديلم والروم والسود والحبشان ومن لم يعرف له ضئضى من جاليات الجماعات المختلفة في مستوى واحد من الحقوق والواجبات الاجتماعية .

أو تتوهم مثل هذه الأمة في مثل تلك البيئة وقد عجز الفلاسفة والمصلحون والقادة في العصور الأخيرة عن تأليف أمة عالمية ، وهى مما لا يمتري اثنان في أنها المثل الأعلى للاجتماع ؟ .

وإن تعجب فأعجب منه أنها قامت في تلك البيئة ، وآتت من الثمرات ما لم تثره أمة في الأرض من أول عهد البشر إلى اليوم وفي مدى لا يذكر إلى جانب أعمار الأمم .

وغنى عن البيان أن محمداً غير ديانة القبائل العربية قاطبة ، وأبدلها منها ديناً لا نسب بينه وبين تلك الوثنية التى كانت سائدة قبل هذه البعثة ، والدين أعلق الأشياء بالنفوس وأقواها سلطاناً على القلوب . فأحال أخلاقها من جفوة البداوة وظلمة الجاهلية ، إلى لطافة الحضارة ورقة الطباع ، وشيوع الدينية الفاضلة المهيمنة في مختلف آفاقها ، وقلب مبادئها من تأليه الأقوياء وتسخير الضعفاء والتعلب مع الأهواء إلى الأخذ بمبدأ المساواة وتقرير الحق لصاحبه ، بغض النظر عن جميع الاتجاهات ، مع الثبات على إقامة الأصول مهما اعتورت المكلف بإقامتها المصانعات وتجاذبت المسولات ، ولا يسيغ عقل عاقل عند كل مفترض أن يكون ذلك قد استكمل عناصره بواسطة الحديد والنار .

فهل سمعت فيما سمعت أنه أرسل الجيوش الجرارة حيث سار ، أو بالجلالوزة تلتقي كل من يعصيه في النار ؟ ألم تحط علماً أنه صلى الله عليه وسلم بعث وأيس له قوة من الأرض ولا ناصر ، حتى اضطر أن يدعو إلى دينه سرّاً ، فلما أعلن الدعوة عودى وأوذى ، واضطر من آمنوا به إلى الهجرة إلى الحبشة دئعتين ، ثم اضطر هو نفسه . وقد تحالف قومه على قتله - أن يهاجر إلى المدينة في جنح الظلام ، فلما أشرق الصبح وهو في الطريق ، اضطر هو وصاحبه أن يتواريا في الغار ؟ .

فلو أن الأمر قد اطمأن إليه بطريق الإعانة والإكراه ، لما بقيت رسالته خالدة ما بقي الفرقدان ، وإلا فهل سمعت أن طرائق تفرض على قوم فرضاً دون أن يقتنعوا بها ولا أن يعرفوا لها مورداً ولا مأتاة ، تبقى بعد وفاة من جاء بها يمارسها الخلف عن السلف ويتلقاها جيل عن جيل ، وتتوارثها أمة عن أمة ، حتى يكسف القمران ، وتسكن هذه الأرض من دوران . اللهم لا .

إنى أشفق على الذين يدعون أن ما عمله محمد أثر من آثار العبقرية وأرثي لعه ولهم أبلغ الرثاء ، ويحز في نفس أن الذي يسند إلى محمد وصف العبقرية يحجل معناها أعمق الجهل فيظن أنها بمدلولها تعني درجة رفيعة من الذكاء الخارق . والحقيقة التي لا شية فيها أن العبقرية في مدلولها الصحيح إلهام يتنزل على صاحبه لا يعرف له مصدرا ولا وازعا فيندفع لعمل من الأعمال فيجىء مثلاً أعلى لا يمكن تقليده . فإن كان محمد عبقرياً ، فهل يندرج تحت محيط العقل أن يكون مع عبقريته غير صادق يدعى بين الناس أنه رسول قد أوحى إليه من عند الله ، وهو يقول جل علاه « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً ، أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شيء » .

بقي أن فريقاً من المتقولين يدعون أنه كان ذكياً أبلغ الذكاء ولم يكن رسولا ، وهؤلاء الفرق كانت من المعاندين في أول دعوته والمكابرين يوم جاءهم يطالبهم بالتزام هذه الدعوة وهم مشركو القبائل وصناديدها في الكفر والإلحاد الذين كانوا ينفسون على محمد رسالته ودعوته ، وإلا فما هو قول المتعنتين الخارجين على رسالته في قول سبحانه « من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة ، فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ ؟ » أو لم يقل « إنا لننصر رسالتنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » أو لم يقل أيضاً « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكّن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » أو لم يقل أيضاً « كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ، إن الله قوى عزيز » وأيضاً يقول « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان فومه ليين لهم فيفضل الله من يشاء ويهدي من يشاء » .

إني لأرثي لهؤلاء المكابرين الذين كذبوا الحق إعراضاً وعناداً وهم يعرفون في دخائل نفوسهم أن الأنبياء إنما أرسلوا إلى أممهم حججاً قواطع وبراهين سواطع حتى لا تكون لهم حجة على الله وإلى ذلك يشير الله بقوله « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » .
فحمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء وثبوته خاتم النبوات وإعجازه في القرآن ومعجزاته في الأكوام شاهدة على صدق دعواه أصدق شهادة وأبلغ برهان وما أصدق قول العلامة البرعى الكبير : -

له هم لا ينتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر
له راحة لو أن معشار جودها على البركان البر أندى من البحر
وما أصدق قول البوصيرى : -

فبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم
حتى آدم أبو البشرية لأن محمداً أبو الروحية والبشرية معراج إلى الروحية .
ولذلك يقولون عن رسول الله بلسان الحال لا بلسان المقال .
وإني وإن كنت ابن آدم صورة فلي فيه معنى شاهد بأبوتي

عباس طه
الحامى

سيادة الحق

نشر التوحيد طه في الوجود لم يكن يطلب إلا أن تسود
مخلصاً لله فيما قد فعل دعوة الحق ويعلو من عدل
ولذا ساد وذو الحق يسود بجهد واعتماد للأمل
فاذكروا شهور ربيع والعهود نهوا من نام منا أو غفل
نحن إن لم نهر الليل فما كتب الله لنا أن نرتقى
محمود رمزى نظم

من وحي المولد النبوى

إن الحديث عن المولد النبوى الشريف حديث، متشعب الأطراف، يتجه الفكر فيه إلى نواح مختلفة، تتصل بالرسول الأعظم، صلوات الله وسلامه عليه، فى شهر ربيع الأول، ومنذ أكثر من أربعة عشر قرناً طواها التاريخ، تشرف العالم أجمع بإمام المصلحين وخاتم النبيين والمرسلين، ورحمة الله تعالى للناس أجمعين، سيدنا ومولانا «محمد» بن عبد الله، صلى الله عليه وسلم، وظهر نوره بمكة فلع فى الحافقين، ورأى الناس لمولده المبارك الآيات البينات، وشاءت الحكمة الإلهية أن يولد يتيماً، حتى يتولاه الله تعالى بالعناية والرعاية منذ نعومة أظفاره، وأن يعده للنبوّة والرسل خير إعداد، وشب وترعرع بعيداً عن الأصنام والأوثان، وعما غرق فيه الجاهليون إلى آذانهم، وتجمل بحميد الخلال، حتى عرف بين قومه بالصادق الأمين.

ويتصل حديث المولد النبوى بما كان عليه العالم قبل الدعوة الإسلامية، فقبل هذه الدعوة الغراء اضطربت الأحوال الاجتماعية والحلقية، على ظهر البسيطة، اضطراباً لم يهد له مثيل، وانحطت الأمم إلى مهاوى الرذيلة والفساد، وعثت يد الإنسان بما جاء به الأنبياء والرسل السابقون، فأصاب السكتب السايوية ما أصابها من التحريف والتبديل، وحجبت كليات الله سبحانه عن العقول البشرية، وحورب العلم فى كل مكان، وانقلبت الفضائل بين الناس رذائل اتصفوا بها وأقبلوا عليها، وحل الشقاق بين الأفراد والجماعات محل الألفة والوئام، وشبت الحروب لأوهى الأسباب، حتى ذهبت بقوة الغالب والمغلوب، وعبدت الأصنام، وقطعت الأرحام، ووثدت البنات، واعتدى القوى على الضعيف، وإذا لم يجد الظالم من يناصبه العداء، حارب أخاه الوادع المسالم، وها هو القطامى الشاعر الجاهلى، يحدثنا عن الحالة عندهم، وما راء كمن سمع، فيقول :

ومن تكن الحضارة أعجبه	فأى رجال بادية ترانا ؟
ومن ركب الخيول فإن فينا	فتى سلباً وأفراساً حسانا
وكن إذا أغرن على قبيل	فأعوزهن رهط حيث كانا

أغرّن من الضباب على حلال وضبة ، إنه من حان حانا
وأحيانا على بكر أخينا إذا ما لم نجد إلا أخانا

ويتصل حديث المولد النبوى بالدين الإسلامى العظيم ، الذى رضىه الله تعالى ديناً لجميع الناس ، والذى يكفل لهذا العالم نظاماً ، يجعل السكون كله أسرة ، والناس جميعهم متوادين متحابين ، ترى فيهم الغنى ولا ترى المحروم ، وتجد بينهم الضعيف ولا تجد المظلوم ، لأن الإسلام أنشأ بين الغنى والفقير سيئاً هو البر ، وأوجد بين القوى والضعيف نسباً هو الرحمة . وله من ديمقراطيته الأصيلة ، واشتراكيته المعتدلة ، وأخوته الشاملة مناعة من كل سوء ، وأمنة لكل جنس ، ومودة لكل دين . وسيمحو نوره المتخلف من نور غيره كما يمحو لسان الصبح المنير المتخلف من جيوش الظلام .

ويتصل حديث المولد النبوى بالقرآن العظيم ، الذى أنزله الله على أشرف الورى من فوق سبع سموات ، يهدى به العلى القدير من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم ، وقد ضمن الله لهذا الكتاب الكريم الحفظ والبقاء ، لأنه ينمو من نفسه كما ينمو الحى ، ويضئ من ذاته كما تضئ الشمس ، ويتجدد من طبعه كما يتجدد الربيع ، ولم تستطع الإنسانية إلى الآن ، على ما جربت من تجارب ، وبلغت من حضارة ورقى ، وعرفت من فنون الحكم وألوان الحكومات ، أن تثنى نظاماً سياسياً يتجلى فيه العدل بأروع صورته كما فى القرآن الحكيم ، ولقد ذهبت الإنسانية فى الحكم مذهبها المختلفة ، فاستظلت بحكم الملوك ، وسعدت به قليلاً ، وشقيت به كثيراً ، ثم عرفت النظام الديمقراطى ، الذى يرد إلى الشعب أمور الشعب ، فنالت به قسطاً من العدل ولم تنل به العدل كله .

وسلكت الإنسانية فى سبيل الوصول إلى الحكم الصالح جميع الطرق فلم تنته إلى غاية ، وما زالت هذه الإنسانية تشكو الظلم ، وتبحث عن النظام القويم الذى يضمن للناس جميعاً على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ، الحرية والعدل ، والإخاء والمساواة ، وهذا النظام القويم هو الذى نادى به آيات التنزيل الحكيم ، ورفع لواءه إمام المرسلين ، وعز به المسلمون فى فجر الإسلام وضحاها ، وظهره وعصره ، فنبتوا فى رياض الإسلام أعزة كراماً ، وعاشوا فى رحابه أعزة كراماً ، وواجهوا الدنيا أعزة كراماً ، لم ينهزم لهم جيش ، ولم ينكس لهم علم ، بل فتحوا فتوح الجبارين ، ودونوا تاريخهم بمداد من الفخر على صفحات من نور .

ويتصل حديث المولد النبوى بالأمة الإسلامية وهى خير أمة أخرجت للناس ، وقد حملت مصباح النور حين عم الكون الظلام ، وأرشدت العالم إلى بر السلامة وشاطئ النجاة ، حين تاه فى عباب الجهل ، حتى أمسى تاريخها تاريخ الكمال الإنسانى على وجه الأرض ، وقد كانت من قبل أمة بدوية ، ثم نهضت بفضل الرسول الأعظم نهضة الأسد ، وهب المسلمون يحملون فى يمتانهم نور القرآن العظيم ، يضربون به للشعوب طريق العزة فى الدنيا ، والسعادة فى العقبى ، وفى يسراهم السيف يردون به الضالين إلى طريق الحق والرشاد ، فامتلت الأفتدة خوفاً منهم ، وثلوا العروش : ونهاوت أمامهم التيجان ، وحسب لهم ألف حساب وحساب .

وإذا كان على المسلمين فى المشاركة والمغارب ، أن يحتفلوا بذكرى المولد النبوى الشريف ، ويعودوها مصدر عزهم ، ومنبع مجدهم ورفاهيتهم ، فإن على العالم أجمع أن يطرب لهذه الذكرى الكريمة ، ويقابلها بما تستحق من إجلال وإعظام ، لأن الحياة طابت حقاً برسالة النبى العربى ، وغداً الإنسان إنساناً يشعر بكرامته . فى قلبه طمأنينة ، وفى نفسه رضا ، وفى روحه شعور جديد بالكون وخالقه ، وإمام الأنبياء ، وحاكمها العادل ، وسيدها المطاع ، ورثتها الأمين المأمون ، ورحمة الله للناس أجمعين .

هكذا تكون الذكريات العاطرات ، وهكذا تتجدد على مر السنين والأعوام والشهور والأيام ، وستبقى ذكرى الرسول الأعظم قوية كالبحر ، ودائمة دوام السموات والأرض ، فقد ولدت بمولده الطاهر مبادئ ونظريات ، وفلسفات وحضارات ، لم ير لها العالم مثيلاً من قبل ، ولن ير لها مثيلاً من بعد ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

ولقد كشف الغطاء عن أعين الشعوب العربية ، فلم تعد تطيق اليوم ما كانت تحتمله بالأمس ، من ذل واستعباد ، وأدركت حاجتها من وراء التفرق والاختلاف ، والبعد عن سنة الله وهدى رسوله ، وتطلعت إلى ما كان لأسلافها ، من مجد باذخ ، غنت إليه ، وتوثبت لإحيائه ، وفى الجواب بارقة من الأمل ، وحسبنا ما نراه اليوم من جهود رجال الثورة الأبطال ، وعقلاء الأمة فى كل مكان ، فى توحيد كلمة العرب ، وجمع صفوفهم ، ورفعة شأنهم ، وما شاهدناه اليوم . ولا نزال نشاهده . من صراع بين الشرق والغرب ، وما قررته الجمعية العامة للأمم المتحدة من الموافقة الإجماعية على مشروع الدول العربية ،

وما قام به أهل العراق الأحرار ، وجيشهم الباسل لاستعادة مجد البلاد المسلوب ، وتطهيرها من الاستعمار وأعوانه ، وما نعرفه من موقف اثنين المشرف ، وأهل محميات عدن ، وثورة أبطال الجزائر المخاوير ، كل ذلك يجعلنا نوقن بأن الفلك قد استدار ، وأن الطريق قد استبصر ، وأن الفجر قد لاح ، وأن العقل قد اهتدى ، وأن دين الإسلام الأغر الميمون ، الذى أنقذ الخليقة منذ قرون ، من ضلال كبرى ، وغى قيصر ، حرى أن يخلصها اليوم ، من مطامع الصهيونيين وبغى المستعمرين .

وأضرع إلى الله عز شأنه أن يكتب لهذا الدين العظيم الذيوع والانتشار ، وللشعوب العربية نصراً مؤزراً ، وللسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها عزاً ومجداً ، وسعادة ورفاهية ، وللعالم أجمع سلاماً شاملاً ، أساسه العدل ، وقوامه الرحمة .

أحمد على منصور

أستاذ البلاغة والأدب بمعهد شبين السكوم

بناء المجد

نبي البر بينه سبيلا	وسن خلاله وهدى الشعابا
تفرق بين عيسى الناس فيه	فلما جاء كان لهم متابا
وكان بيانه للهدى سبيلا	وكانت خيله للحق غابا
وعلمنا بناء المجد حتى	أخذنا إمرة الأرض اغتصابا
وما نيل المطالب بالتمنى	ولكن تؤخذ الدنيا غلابا
وما استعصى على قوم منال	إذا الإقدام كان لهم ركابا
	شوقى

ميلاد الخير للإنسانية

من نظر إلى العالم كله نظرة فاحصة مدققة شاملة ، قبيل ميلاد محمد عليه السلام وقبل بعثته رأى أحواله مضطربة غاية الاضطراب ، وأنظمتها محتلة أشد اختلال ، وقواعده منهارة انهياراً عظيماً يؤذن تبعاً لسنة الحياة بمغيب شمس عصر مظلم دامس ، وظلوع فجر مشرق وضاء الجبين ، ينير للناس سبيل حياتهم ، ويحفظ عليهم أنظمتهم .

فنظرة إلى العقائد والملل والنحل المنحلة والعادات المنسكرة وعبادة الأوثان الشائعة المتسكثرة ، فقد عبد الشجر والحجر واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، وتناحرت النصرانية واليهودية وانطمست معالمهما وأصابهما تحريف وتبديل على أيدي رجال الدين الذين اتخذوا العقيدة وسيلة لإرضاء الشهوات والأطماع والنزوات ، حتى لقد بلغ بالبعض منهم الصلف والكبرياء والعظمة أن جعل نفسه حارساً على أبواب الجنة يدخل من شاء فيها ويحرم من شاء .

وعلى هذا النحو من الضعف في العقيدة وفي نظام الاجتماع وفي الأخلاق كانت الإنسانية قبل ميلاد محمد عليه السلام . واشتكى الوجود إلى ربه طالبا منه أن يخرج العالم من الظلمات إلى النور ، فأجيبته دعوته ، وبعث الله في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين .

وهكذا جرت الحكمة الإلهية في تنظيم هذا الوجود وعمارة هذا الكون على أن لا يترك الناس سدى يهيمون على وجوههم بدون مرشد ، بل لا بد أن يرسل للناس الفينة بعد الفينة رسولا يبين الطريق المستقيم والصرراط السوي ، لذلك اصطفى الله من بين عباده رسلا مبشرين ومنذرين يرسلهم الواحد يقفوا الآخر سراجاً منيراً ونذيراً وبشيراً .

وما كانت البشرية في تاريخها الطويل المديد أشد احتياجاً إلى الرسول مثل ما كانت قبيل مبعث محمد عليه السلام ، ومن سنة الله تعالى أن يختار رسوله ممن طهرت نفوسهم وصلبت أعوادهم وكانوا أهل كفاح وجلد ومصابرة واحتمال ، وأهل جد وعمل .

ولقد اختار محمداً عليه السلام من أشرف أنساب العرب وأرفع قبائلها ، فقد قال عليه السلام « بعثت من خير قرون بني آدم قرناً ف قرناً حتى كنت من القرن الذي كنت فيه » ، ويقول عليه السلام « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ويبدى لواء الحمد ولا غفر » وغرق هذا يقول عليه السلام « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم » .

ولا غفر يعلو غفر من كانت أمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، فتبيلتها شامة من شامات العرب ، ومن كان أبوه عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم الذي عرف حجيج مكة فضله وما كان يقوم به من خدمة للحجيج وإطعامهم وإسمائهم ، وأى نسب في العرب يعلو هذا النسب أو يدانيه ، والصادق الصدوق خاتم الرسل يقول « ولدت من نكاح ولم أولد من سفاح » .

ولقد كانت كل حقبة من حياة محمد عليه السلام بمثابة بعمل جليل خطير غير عادي ولا مألوف في حياة الناس ، فقد سارع اليتيم إليه وهو جنين في بطن أمه قبل أن تدب فيه الحياة أو تنفخ فيه الروح ، إذ أن والده بعد أن تزوج آمنة وحملت به سافر بعد حمله بقليل إلى الشام في تجارة له فأدركته الوفاة بالمدينة أثناء رجوعه فدفن بها عند أخواله بني عدى ابن النجار ، وكان ذلك بعد شهرين من حمل أمه به عليه السلام ، وإذا ما تركنا هذه المسألة الموجهة الآلية التي أصابت هذا الجنين وانتقلنا إلى أيام إرضاعه بعد الولادة رأينا الأمور الغريبة والأحوال العجيبة التي أحاطت به ، رأينا المراضع يأتين من البداية ليأخذن أطفال أشراف العرب يرضعهم في البادية ذات الهواء الطلق والآفاق الفسيحة؛ ليتربوا على النجابة والشهامة وقوة العزيمة والبنية القوية والأخلاق الطاهرة ، ولم يرق لواحدة منهن أن تأخذ هذا اليتيم لشدة فاقة أهله وما هم عليه من خفض العيش ورقة الحال ، وبعد تردد من حليلة بنت أبي ذؤيب وخوفها من الرجوع بدون طفل ترضعه تراودت مع زوجها أبي كبشة في أخذه ، وأخيراً أخذته مكرهة تحت ضغط الملابس التي أملت بها ورجعت به إلى البادية ، وقد أرسل الله عليها وعلى زوجها الخير مدراراً وجاءتهما البركة في الضرع تسعى ، وبعد انتقاله من دور الرضاعة إلى دور الصبا لم تطل متعته بجنان الأمومة الذي بقي له ، ولم تمهله الأيام طويلاً بل ضاعفت عليه اليتيم وضاعفت عليه الرزء وهو لا يزال عاجزاً عن كسب قوته ، فلم تمض على ولادته سوى سنوات ست حتى حرم من عطف الأمومة كما حرم

قبل ذلك من رعاية الأبوة وفي مألوف العادة وسنة الحياة الواقعية أن يكون اليتيم المبكر المزدوج سببا من أسباب الضعف والانحلال والإهمال لليتيم ، ولكن محمداً عليه السلام قد كان على عكس ذلك وعلى خلاف تلك السنة والعادة ، فقد كان يتمه سببا في نجاحه وفي نبوغه وفي قوته وحزمه وعزمه فقد حفظته العناية الإلهية وأمدته باللطاف خفية وأعدته لحل رسالة للإنسانية : فيها الرحمة وفيها الرأفة ، فها هو يتقبل بعد موت أمه إلى كفالة جده عبد المطلب ، ثم إلى كفالة عمه أبي طالب دراكا وتظهر عليه مخايل الذكاء المبكر والعبقرية النادرة الفذة فهو يسافر للتجارة مع عمه أبي طالب إلى الشام وسنه في الثانية عشرة ، فيكتسب من تلك السفرة خبرة واسعة في التجارة تمكن له من أن يسافر بعد ذلك للتجارة في مال خديجة بنت خويلد التي صارت زوجا له فيما بعد .

وقد أصبح محمد عليه السلام بين أهل مكة علما خفيا معروفا بين قومه وعشيرته بسداد الرأي والحكمة والعفاف والصدق والأمانة ، واكتملت رجولته ونضج عقله وبلغ أشده في سن مبكرة لم يعرف العرب لها ضربا من قبل ، فاستدعى ذلك أنظارهم واستلب تفكيرهم واسترعى انتباههم ، فها هم يرتضونه حكما فيما بينهم يخضعون لرأيه ويزعنون لمشيتته عند المشورة وعند النصح ، فحينما اختلفت قريش في وضع الحجر الأسود في موضعه عند تجديد بناء الكعبة قبل الإسلام اتفق رأيهم على تحكيم أول قادم من باب الصفا فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فارتاحوا له جميعا لما يعهدونه من أمانته وحكمته وصدقه وإخلاصه للحق وقالوا : هذا هو الأمين رضيناه ، هذا محمد فلما وصل إليهم وأخبروه الخبر بسط رداءه وتناول الحجر فوضعه فيه بيده ثم قال : لياخذ كبير كل قبيلة بطرف من الرداء ثم ارفعوه جميعا ، ففعلوا ، حتى وصلوا به إلى موضعه فوضعه فيه بيده ، وبذلك انحصم النزاع الذي كاد يؤدي إلى حرب شعواء تأكل الأخضر واليابس وتفتى من العرب أبطالا وصناديد كثيرة .

ولما بلغ عليه السلام سن الأربعين نزل عليه جبريل الأمين يبلغه رسالة ربه ، فقام بالدعوة سرا ثلاث سنوات ، اتبع دعوته فيها السابئون الأولون إلى الإسلام الذين استنارت بصائرهم وأشرق في قلوبهم دعوة التوحيد ، ثم نزل عليه قوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين » . فجهر بالدعوة واستعد لملاقاة الخطوب والأهوال ، ولقد عبر عن

ذلك أصدق تعبير إذ قالت له زوجته خديجة في وقت من الأوقات : ثم قليلا ، فقال لها « قد انقضى زمن النوم يا خديجة ، حقا لم يبق إلا الجهد والعمل والمجاهدة والنزال بين الحق والباطل وبين الخير والشر وبين عبادة الأوثان وعبادة الواحد الديان ، وما زال عليه السلام يجد ويجتهد في الدعوة إلى توحيد الله تعالى وترك عبادة الأوثان ونبذ ما عليه أهل الجاهلية .

وظل ينافح ويكافح ويجهاد ويجادل حتى أتم رسالته بعد أن لاقى العذاب ألوانا والمعارضة والمكابرة والعناد من أهل مكة وأهل الطائف على السواء ، ولقد كانت شجاعته عليه السلام فوق ما كانت عليه الشجاعة العادية إذ وصفه أحد أصحابه فقال « كنا إذا اشتد البأس واحمرت الحلق اقمنا برسول الله فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ، وما لنا نذهب بعيداً والواقع يملئ علينا براهين قاطعة وحججا دامغة ، فما هي رباعيته تكسر وها هو المغفر تدخل حلقاته في وجنتي الرسول عليه السلام ولا يفت ذلك في عضده ، فينهض محرضا للمسلمين على القتال والوقوف في وجه العدو ، دون وهن أو ضعف أو خور فكان يجعل من مواقف الهزيمة انتصاراً له وظفرا بعدوه ، فأنت تراه في غزوة أحد في السنة الثالثة من الهجرة بعد أن خالف الرماة فيها أمر النبي عليه السلام وتركوا الموضع الذي وضعهم فيه فوق الجبل لحماية ظهر الجيش وقال لهم : لا تبرحوا مكانكم نصرنا أو هزمنا ، فلما رأوا فرار المشركين ترك أكثرهم مكانه متأولاً أمر الرسول عليه السلام بأن الغاية منه العمل على نصر المسلمين وقد تم النصر بفرار المشركين ، ففكر المشركون عليهم وكادت الدائرة تدور على المسلمين إبادة وإفناء لهم لولا حكمة الرسول عليه السلام وبراعته الحربية الفذة التي جعلت العاقبة للمسلمين فيما بعد : فصرا لهم واستردادا لهيبتهم وعزتهم ، وأشد من ذلك عجباً ما صنعه الرسول عليه السلام في غزوة الخديبية في السنة السادسة من الهجرة التي انتهت صلحا على أن تضع الحرب أوزارها بين الفريقين أربع سنوات ، ومن جاء من المسلمين إلى قريش كافرا قبلوه ومن جاء من قريش إلى المسلمين مؤمنا ردوه ، وأن يرجع الرسول في عامه هذا بدون عمرة ثم يأتي في العام القابل لأدائها ، ومن أراد أن يدخل في حلف قريش دخل فيه ، ومن أراد أن يدخل في حلف محمد دخل فيه .

ولقد اعترض كثير من الصحابة على بعض هذه المبادئ فقالوا : كيف نرد إلى قريش من جاءنا مسلها وهم لا يردون من جاءهم منا كافرا ؟ فقال الرسول عليه السلام قول الحكمة

والإحاطة ببواطن الأمور - أما من ذهب إليهم كافراً فقد أبعد الله ، ومن جاءنا مسلماً فسوف يجعل الله له فرجاً ، وهكذا كان صالح الحديدية فتحاً مبيناً للإسلام .

ولئن كان ميلاد محمد عليه السلام باعثاً للذكرى العزيزة الحبيبة إلى قلوب من يعرفون الحق ويعرفون العدل ، فالجدير بنا أن نحرص كل الحرص على اتباع القواعد والأسس التي تركها فينا وجاء بها ، فقد دعا إلى العدل وبدأ بتنفيذها على نفسه وأهله ثم على القريب والبعيد والعدو والصديق إذ يتول لمن أراد أن يشفع في حد من حدود الله « والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » ثم يتول « لقد أهلك من كان قبلكم من الأمم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد » ويذكر فينا أن ندلل على أن العدل ركيزة لإصلاح الحياة فنذكر قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » ، ولقد طلب محمد عليه السلام من المؤمنين المساواة إذ يتول « الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى » ، كلّم لآدم وآدم من تراب ، فليت الذكريات الإسلامية وذكرى ميلاد محمد عليه السلام وهجرته تبعث فينا روح الاقتداء والاهتداء بهديه والسير على سنته والتخلق بأخلاقه حتى نحقق فينا قول الله تعالى « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً » .

وإننا لنرفع أكف الضراعة إلى المولى القدير أن يعيا، علينا هذه الذكرى العزيزة الحبيبة والمسلمون والعرب أشد وحدة وأصلب قناة وأقوى عوداً مما هم عليه الآن ؛ حتى يدركوا ما يدبره لهم المستعمر من مكر وخديعة ويعملوا على تقويض أركان الاستعمار إنه قوى عزيز .

عبد الله مصطفى المراغى

مولد الهادى

تجلى مولد الهادى وعمت بشائره البوادر والقصا
وأسدت للبرية بنت وهب يدا بيضاء طوقت الرقابا
لقد وضعته وهاجا منيرا كما تلد السماوات الثماها
فقام على سماء البيت نورا يضى جبال مكة والشعابا
شوقى

مفتاح الشقاء

أذاعت « روتر » شركة الأنباء المعروفة خبراً لعل الكثيرين لم يمتفوا عنده ولم يحفلوا به ، مع أن له قيمته ودلالته ، وهو أن سكان قرية هندية تسمى « كودولى » وضعوا قانوناً للتضاء على الخمر ، وهو يقضى على شارب الخمر بأن يخلق له أهل القرية نصف شارب ، ثم يركبوه حماراً ويطوفوا به فى أزقة القرية وحاراتها ، لإعلان فضيحتة والسخرية به ، ثم يفرموه خمس عشرة روية بعد هذه الفضيحة . ومنذ قليل نشرت صحيفة « براغدا » الروسية أن غرامة ستوقع على كل من يضبط مخموراً أو مقامراً . . . ومنذ حين نشرت الصحف أن أكثر من ستين فى المائة من الطيارين الأمريكيين يشكون اضطرابات عصبية ، بسبب الإفراط فى المسكرات ، والإسراف فى لعب القمار ، وبسبب الانحرافات الجنسية ! ! ! .

ذكرتنا هذه الأنباء بعلّة مستعصبة من عللنا ، وهى علة انتشار الخمر فى بلادنا ، واعتياد الكثيرين من المتحللين والمترفين لتناولها جهراً أو سراً ، وتلطخ الكثير من الحفلات والسهرات فى الأفراح والملاهى والأندية الليلة الحبيثة بالخمر على اختلاف الأنواع والألوان ؛ وهناك مع الأسف من يصرح بأن المخدرات كالخيش والافيون هى التى يجب أن تتأوم وتحارب ، وتبذل فى محاربتها الجهود وتجنّد الجنود ؛ وأما الخمر فلا خوف منها ولا خطورة بل هناك من يقترح محاربة المخدرات بذئ شرب الخمر ، أو شرب نوع منها ، ولسنا ندرى ماذا نصنع لو أخذنا بهذا الاقتراح العجيب . . . إننا ندلل للناس على حرمة هذه المخدرات بأنها تشبه الخمر فى أنها تسكر أو تفتّر ، فكيف ندلل لهم على هذه الحرمة إذا صارت الخمر وهى أم التحريم فى الباب مباحة منشورة ؟ ! .

ومن أعجب العجب أن بعض هؤلاء يفترون على الله الكذب وهم يعلمون ، فية ولون : إن القرآن لم يصرح بتحريم الخمر ؛ مع أن ربكم وخالقكم هو الذى يقول : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم متتهون ، وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين » .

والخمر بمختلف أنواعها المسكرة المذهبة للرشد والعقل - جرام حرام بنصر القرآن والسنة والإجماع ، ولو لم يحرمها الدين لحرمها العقل ؛ وإنما حرم الإسلام الخمر لما فيها من أخطار وأضرار ، وقد أراد من وراء تحريمها حفظ الأموال لأنها تنبذ في الخمر بسفه وجنون ، وحفظ الأجسام لأن الخمر تهدمها وتؤوضها وتصيبها بوبيل الأمراض والعلل كضغط الدم واشتلال وتحلل الأعصاب وفقد الوعي وتلف الكبد ، وحفظ العقول لأن الخمر تذهب بها وتسبب لمدمنها الخبال والضلال ، وحفظ الأعراض لأن من سكر انفلت منه القياد فكان حيواناً أو كالحيوان ، ولقد روي أن عجوزاً من الأعراب جلست إلى فتیان يشربون نبيذا لهم فسقوها قدحاً فطابت نفسها وتبسمت ، ثم سقوها قدحاً ثانياً فاحمر وجهها وضحكت ، فسقوها قدحاً ثالثاً فقالت : خبروني عن نسائكم ، أيشربن من هذا الشراب ؟ قالوا لها : نعم . فقالت : زنين ورب الكعبة . . .

ومن لؤم الذين يشربون الخمر جهاراً أو من وراء ستار أنهم يخادعون الله وهو خادعهم ، فيوهمون الناس أن الأصناف التي يشربونها اليوم ليست هي الأصناف التي حرمها الإسلام ، لأن الإسلام لم يذكر تحريم « الويسكى والكونياك والشمبانيا » وأشباهاها من الأسماء التي لم تكن موجودة في صدر الإسلام ؛ ولكن رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام يحدثنا عن هذا الاحتيال الذي وقع بعد عهده بأجيال فيقول : « ليشربن أناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها » . ثم وضع لنا قاعدة التحريم في هذا الباب ، فقال في الحديث الصحيح : « كل شراب أسكر فهو حرام » ، وقال : « كل مسكر خمر ، وكل مسكر حرام » . وقال عمر بن الخطاب من فوق منبر الرسول صلوات الله عليه : « الخمر ما خامر العقل ، أى غطاه وستره ، فيدخل فيه جميع أنواع الخمر بمختلف أسمائها وألوانها وأشكالها . . .

ومن لؤمهم كذلك أن يقولوا : إن « النبيذ » حلال ، وقد أباحه بعض الفقهاء . وهذا تضليل وتحريف ؛ لأن النبيذ المذكور في كتب السيرة الإسلامية هو نقيع التمر والزبيب الذي لا إسكار فيه ، فهو يشبه « الخشاف » المعروف اليوم . وعن أنس رضى الله عنه قال : سميت رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدحى هذا الشراب كله : العسل والنبيذ والماء واللبن . . . فهل يعقل أن يشرب نبي الطاهرين المطهرين شراباً مسكراً أو فيه شبهة إسكار ؟ . . .

وهذا هو الحاكم العادل أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليه يرى أن طائفة من المنحرفين يشربون نوعاً من الخمر يسمونه «الطلاء» والطلاء جنس من الشراب كأنه ثخن حتى صار كالقطران الذي تطلّى به الإبل؛ فخارب عمر ذلك الانحراف محاربة صارمة، وكتب إلى ولاته وعماله كتاباً مطولاً جاء فيه قوله: «ثم إن الطلاء لا خير فيه للمسلمين، إنما هو الخمر يكتنى باسم الطلاء. قد جعل الله عنه مندوحة وأشربة كثيرة طيبة، وقد علمت أن ناساً يقولون: قد أحله عمر رضى الله عنه، وشربه ناس ممن مضى من خيارنا؛ وإن عمر إنما أتى منه بشراب طبخ حتى خثر (أى استرخى) فقال حين أتى به أطلاء هذا؟. يعنى به طلاء الإبل؛ فلما ذاقه قال: لا بأس بهذا. فأدخل الناس فيه بعد عمر... أما من شربه من صالحكم فإنهم شربوه قبل أن يتخذ مسكراً، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: حرام كل مسكر على كل مؤمن، فلا أرى أن يتخذ الفاجر البار دلسة (أى خداعاً وتضليلاً) ونرى أن يتزه المسلمون عنه عامة، وأن يحرموه، فإنه من أجمع الأبواب للخطايا. وأخوفها عندى أن تصيب المسلمين منه جائحة تعمهم»!...

ويكتب عمر إلى أيوب بن شرحبيل واليه على مصر خطاباً فى الخمر منه قوله: «ثم إنه قد كان من أمر هذا الشراب أمر ساءت فيه رعة (أى ملاحظة) كثير من الناس، وجمعوا مما يغشون به مما حرم الله فيه حراماً كثيراً نهوا عنه عند سفه أحلامهم وذهاب عقولهم؛ حتى استحل فى ذلك الدم الحرام، وأكل المال الحرام، والفرج الحرام، وقد أصبح كل من يصيب من ذلك الشراب إنما علمتهم فيه يقولون: الطلاء لا بأس علينا فى شربه، ولعمري إن ما قرب إلى الخمر فى مطعم أو مشرب أو غير ذلك لىتنى، وما يشرب أولئك شراهم الذى يستحلون إلا من تحت أيدي النهار الذين يهون عليهم زيغ المسلمين فى دينهم، ودخولهم فيما لا يحل لهم، مع الذى يجمع نفاق سلعهم، ويسارة المثونة عليهم؛ وما لأحد من المسلمين عذر أن يشرب ما أشبه ما لا خير فيه من الشراب، فإن الله جعل عنه غنى وسعة من الماء الفرات، ومن الأشربة التى ليس فى الأنفس منها حاجة من العسل واللبن والسويق والنيذ والزبيب والتمر».

ثم يقول عمر: «فإننا من نجده يشرب منه شيئاً بعد تقدمنا إليه فيه نوجهه عقوبة فى ماله ونفسه، ونجعله نكالا لغيره، ومن يستخف بذلك منا فإن الله أشد عقوبة، وأشد بأساً، وأشد تنكيلاً».

ثم يختم الكتاب بقوله : « أسأل الله أن يغنيننا وإياكم بما أحل عما حرم ، وأن يزيد من كان فينا مهتدياً هدى ورشداً ، وأن يراجع بالمسئمة التوبة في عافية ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

ومن لؤمهم أيضاً أنهم يتعللون في شرها بأنها دواء لمرض أو علاج لعل . وهذا مكر يكرونه بين الناس ، لأنهم يشربونها للسكّر والإدمان ، ولما آربهم الخسيسة الأخرى ؛ وعلماء الطب لم يدعوا حالة من حالات المرض يستعمل فيها دواء مسكر إلا جعلوا مكانه دواء ليس مسكراً ، وفوق هذا سئل الرسول صلوات الله عليه عن التدأوى بالخمر فأجاب : إنها داء وليست بدواء !!! ...

ولما كانت الخمر بهذه الخطورة الخبيثة حذر الرسول منها أبلغ التحذير فقال فيما ينسب إليه : « اجتنبوا الخمر فإنه والله لا يجتمع ^(١) والإيمان أبداً إلا يوشك أحدهما أن يخرج صاحبه » . ولا عجب فالخمر أم الخبائث ومفتاح الشرور وباب البلايا ؛ ولقد قص علينا بعض كتب السنة قصة فيها عظة وبلاغ ، وخلاصتها أن رجلاً استدرجته امرأة فاجرة ، وغلقت عليه الأبواب ، وكأنها أرهته حين خيرته بين أمور ثلاثة : أن يشرب كأساً من خمر كان عندها ، أو يقتل غلاماً كان معها ، أو يزنّي بها . . . وكأئماً أراد الرجل أن يختار في ظنه أخف الأمور ، فشرب من الخمر ، فلما دارت برأسه زين له الشيطان أن يواقع المرأة فأقدم على ذلك ، وكأئماً خاف من الغلام أو ضاق به فقتله ؛ فكانت الخمر سبباً في شر عظيم وبلاء مستطير . . .

ولذلك لا يشرب الخمر إلا من ضل ضلاله وساء حاله ؛ وكأئن هذا بعض السبب في أن السنة المطهرة تخبرنا بأن شارب الخمر كان يجلد أربعين ، وكان الجلد بالنعال في كثير من الأحيان . . . نعم بالنعال ، لأن المرء الذي أهدر آدميته وأذهب عقله لا يستحق إلا الحداء يصفع به ويجلد ليتأدب ويرتدع ، وشتان بين إنسان يحافظ على عقله وكرامته وبين حشرة تأبى إلا إهلاك نفسها أو سواها :

إن عادت العقرب عدنا لها بالنعل ، والنعل لها أنسب !

(١) في كتب اللغة أن الخمر قد تذكر .

وهناك من يرى أن مقاومة الخمر ومهاجمتها الآن لون من الرجعية والجمود ؛ لأن الخمر قد ذاعت وانتشرت ، وأصبح من العبث الوقوف في وجهها ، وهذا منطق غريب ! مقتضاه أن النار إذا زادت في الاشتعال تركناها حتى تأتي على الأخضر واليابس ! . . . وما هكذا كان المصلحون ، ولا الذين يغارون على الفضائل والأخلاق ، فهذا عمر بن الخطاب رضی الله عنه نراه حينما شاهد أن عدد الذين ينحرفون فيشربون الخمر قد زاد عما كان عليه في عهد النبوة يضاعف حد الشارب ، فيزيده من أربعين جلدة إلى ثمانين ؛ لأن التوسع في الجرم يستلزم التشديد في الجزاء والعقاب .

إن الله جل جلاله قد خلق لنا الحلو اللذيذ الطيب الحلال الطاهر من ألوان الشراب ، فخلق اللبن الذي يخرج من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين ، وخلق العسل الذي يخرج من بطون النحل شرباً مختلفاً ألوانه فيه شفاء للناس ، وخلق الماء العذب الفرات الذي يروى ويمتع ، وخلق عصير الفواكه وما أكثرها وأكثر منافعها وخصائصها . .

ولقد كان النبي صلوات الله عليه يدخل بستان « بيرحاء » لأبي طلحة بجوار المسجد النبوي ، ويشرب من ماء فيه طيب كأنه يحبه ويتلذذ به ، وكان الماء العذب يجلب للنبي من عين تسمى « بيوت السقيا » على يمين من المدينة ، وقيل إنها قرية بين مكة والمدينة ، فأين هذا الهدى النبوي القويم من ولوع الإنسان اليوم بأفساد الصالح وتعويج المستقيم وتعتمد الهل ؟ . . . كان الطعام لسد الجوعة فجعله للتخمة والبطنة ، فتعددت ألوان الأكل ، فكثرت الأمراض وتعددت العلل ؛ وكان الشراب للرى ودفع الظمأ ، فاصطنع الإنسان ألواناً منه لقتل العقل وإثارة الشهوة ، وكانت الثياب لستر العورة فجعلها الرجل للزينة الزائدة والفخر الكاذب ، وجعلتها المرأة كمسايد للشيطان . . . فأى شقاء جرّه الإنسان على نفسه بسبب هذا الانحراف وذلك الإسراف ؟ . . . !

إن واجبنا أن نقطع الطريق على أم الخبائث ، وأن نبعدنا عن مجتمعنا وعن ذرياتنا التي تتوزعها مناكب الحياة ، وأن نأخذ بهدى الإسلام فلا نقرّبها ولا نرضى بها ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

أحمد الشرباصي

المدرس بالأزهر الشريف

حصولنا مهددة من داخلها في الجامعة العربية

— ٤ —

بقي مما وعدت بالكلام عنه من النشاط الثقافي لجامعة الدول العربية الكلام عن المؤتمرات التي أعدت لها الإدارة الثقافية وأشرفت عليها أو شاركت فيها . وحديث المؤتمرات في هذه الإدارة حديث يثير العجب . فلو عرض القارئ ما سجلته هذه الإدارة من نشاط المؤتمرات تحت عنوان (التعاون بين الإدارة الثقافية واليونسكو والهيئات الثقافية الدولية - ص ٤٥ - ٥٣ من النشرة الثقافية ١٩٤٦ - ١٩٥٦) لخليل إليه أن هذه الإدارة فرع من اليونسكو يعمل تحت سيطرته وتوجيهه . وسيطرة أمريكا - واليهود خاصة - على اليونسكو شيء لا أحتاج إلى أن أنبه له فهو مشهور معروف ، يؤكد ما أثبتته النشرة الثقافية لجامعة الدولة العربية في بيانها العام عن هذه المؤتمرات . فهي تستهدف السيطرة على توجيه الثقافة والتعليم في البلاد العربية ، والترويج لآراء اجتماعية ومذاهب سياسية لا تستخدم إلا مشاريع اليهود والغرب . فمن ذلك مؤتمر تبادل المدرسين بين البلاد العربية الذي انعقد في القاهرة سنة ١٩٥٦ بدعوة من اليونسكو (ص ٤٦) . ومؤتمر التعليم الثانوي في مصر الذي انعقد في مصر سنة ١٩٥٥ واشتركت في الدعوة إليه الجامعة الأمريكية بالقاهرة (ص ٤٩) والحلقة التربوية التي دعت إليها الجامعة الأمريكية في بيروت سنة ١٩٥٤ وكان موضوعها « فلسفة تربوية متحدة في عالم عربي متحد » (ص ٥٠) . وحلقة دراسات التربية للثقافة العالمي التي انعقدت في قصر اليونسكو ببيروت سنة ١٩٥٥ ورأسها عبد العزيز القوصي (ص ٥٠) فمثل هذه المؤتمرات لا يقصد بها إلا السيطرة على التعليم في العالم العربي ، وتوجيهه وجهة لا دينية تؤدي إلى ضياع الجيل القائم والجيل القادم ضياعا لا تقوم معه نهضة في هذه المنطقة ! مما يمكن لليهود ولشيعتهم الذين يتولونهم من دول الاستعباد الغربي والأمريكان منهم خاصة ، وذلك بترويج بعض الآراء والأساليب التربوية والنفسية المنحرفة الفاسدة . ومن هذه المؤتمرات ما يروج لأساليب أمريكية من التنظيم الاجتماعي تخفي في ثناياها مذاهب فكرية هدامة باسم العلم الحديث من ورائها اليهودية العالمية ، مثل مؤتمر انعلوم الاجتماعية الذي انعقد في دمشق سنة ١٩٥٤ بدعوة من اليونسكو لدراسة الشؤون الاجتماعية بالشرق الأوسط

(ص ٤٨) . فقد عنى هذا المؤتمر عناية شديدة بالترويج لما يسمونه (علم الاجتماع) ووضع تعاليمه وأوهامه في مكان التقديس الذي كان يحظى به الدين ، وإسلام المجتمع برمته إلى نفر من الناس لا يمت للثقافة الإسلامية أو العربية بسبب ، يقدس تلك الأوهام التي تشيع فيها سموم اليهودية العالمية الهدامة ويتخذها دستوراً ، ولا يعرف أصولاً يصدر عنها في تفسيره وتشريعه سوى دعاواها . فحث على تأليف الكتب المدرسية فيها وروج لأصحاب هذه الثقافات التي يتسع فيها المجال أمام ذوى الأغراض والهدامين ، بالدعوة إلى (تأمين العمل للإخصائيين في الشؤون الاجتماعية ، وضمان مستقبلهم المادى والأدبى) . كما عمل على حماية الهدم والهدامين من كل صوت يرتفع للحد من نشاطهم الهدام باسم الدين في دعوته إلى (تأمين حرية الدرس والبحث والتفكير والتأليف في الشؤون الاجتماعية) . ومن هذه المؤتمرات ما يتستر تحت اسم العلم والبحث ، ولكنه لا يبحث المسائل في حقيقة الأمر إلا من زاوية تحدم اليهود خاصة ، مثل الكلام عن (موقف الإسلام من العنصرية - ص ٤٥) . ومنها ما يدعم مشروعات الغرب السياسية مثل مؤتمر التضامن الثقافى والاقتصادى بين دول البحر الأبيض المتوسط الذى انعقد في باليرمو سنة ١٩٥٤ . فالهدف الحقيقى من ورائه هو إقرار النفوذ الغربى في حوض هذا البحر ، وربط دوله العربية بدول الاستعباد الغربية . فكل الذين يتحدثون عن رابطة البحر الأبيض وثقافة البحر الأبيض وحضارة البحر الأبيض - من طه حسين فنانزلا - كانوا يروجون لمشاريع فرنسا التي تعتبر شمال إفريقيا جزءاً لا يتجزأ منها . وقد زاحمتها إيطاليا وأسبانيا حيناً ، ثم ورثتهم أمريكا جميعاً . فالكلام في هذا لا يقصد به إلا صرف العرب عن جامعتهم العربية وصبغتهم الإسلامية . وأى رابطة بين فرنسا والمغرب سوى الدم المسفوك ؟ وأى رابطة بين إيطاليا وطرابلس ، وبين أسبانيا وريف مراکش ، سوى ما يحفظه التاريخ من مظالمهم ومفاسدهم وما سفكوه من دماء الشهداء ؟ وهل نسى العرب عمر المختار الشهيد ؟ .

وأدع ذلك كله مما لا سبيل إلى الخوض في تفاصيله ؛ لأننى لا أجد بين يدي نصوص ما دار في هذه المؤتمرات من مناقشات ، لأنقل إلى الكلام عن مؤتمر نشرت الجامعة العربية محاضر جلساته ، وهو مؤتمر يتوسم القارىء الخير في عنوانه ولا يكاد يخطر له سوء الظن فيه ببال ، وذلك هو (المؤتمر الأول للجامع اللغوية العلمية - دمشق ١٩٥٦) .

اجتمع في هذا المؤتمر مندوبون من الجامعات اللغوية العلمية في مختلف بلاد العرب : فشده

وفد من مجمع اللغة العربية في القاهرة ، وفد من المجمع العلمي العراقي ، وفد من المجمع العلمي العربي في دمشق ، كما شاهده مراقبون من الدول العربية التي لم يؤسس فيها مجامع وهي الأردن والسعودية ولبنان وليبيا وتونس . وشهده مع ذلك كله وفد يمثل الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، ومندوب يمثل هيئة اليونسكو (شفيق شماس) .

واللغة العربية التي بحث هذا المؤتمر شؤنها هي أقوى ما تقوم عليه الوحدة العربية من الروابط ، وهي الرابطة التي ارتفعت حتى الآن فوق كل مرأ : فقد مارى أعداء العروبة زمنا في أن العرب ينتمون إلى جنس واحد ، فسمعنا أصوات المنكرين من الشعوبيين دعاة الجاهلية الأولى بين فرعونية وفينيقية وآشورية وبابلية . وماروا حينما في ارتباط القومية العربية بالإسلام فسمعنا من يزعم أن هذه الصبغة تنفر غير المسلمين من العرب . وظلت رابطة اللغة بعد ذلك تسمو على كل مرأ لا ينازع منازع في أنها هي الرباط الأقوى بين العرب .

لذلك كان آخر ما يتوقعه القارىء في الكتاب الذى جمع ما ألقى في هذا المؤتمر من بحوث أن يجد فيه ما يعين على توهين هذه الرابطة ، أو تفريق المجتمعين عليها ، من مثل الدعوات المريبة الهدامة إلى مسخ اللغة الفصحى أو تبديل قواعدها وخطها .

ولكن واقع الأمر جاء مختلفا عما يتوقعه القارىء وما يرجوه ، فامتأ الكتاب في مواضع مختلفة بالدعوة إلى العامية ، وإلى تبديل الخط العربى ، وقواعد النحو والصرف والبلاغة . إذا أعوزك أن تجد ذلك سافراً صريحاً فستجده مستورا خفيا يلبس زى الناصح الغيور ، في مثل مقال أحمد حسن الزيات عضو مجمع القاهرة عن (مجمع اللغة العربية بين الفصحى والعامية : ص ٨١ - ٨٨) ، ومقال على حسن عودة مندوب الأردن (بين اللغة العربية الفصحى والعامية : ١٨١ - ١٨٤) ، ومقال أحمد عبد السلام مندوب تونس (الفصحى والعامية : ٢٠٢ - ٢١١) ، ومحاضرة منير العجلانى عضو مجمع دمشق عن (أثر اللغة في وحدة الأمة : ٢١٧ - ٢٢٧) ، واقتراح إبراهيم مصطفى في (كتابة الهمزة والألف اللينة : ١٦٠ - ١٦٥) ، ومقاله عن (تيسير قواعد اللغة العربية : ١٦٦ - ١٧١) ، ومقال طه حسين مدير الإدارة الثقافية عن (تيسير القواعد في اللغة : ٢٢٨ - ٢٤٠) . ولم يشذ عن هؤلاء إلا صوت واحد بدا وسط هؤلاء غريبا في دعوته إلى التزام الفصحى في المدارس وفي القضاء وفي الصحافة وفي المجالس النيابية ، منها إلى أن هذا هو السبيل الوحيد

إلى علاج ما يسمونه « مشكلة الفصحى والعامية ». ذلك هو صوت الأستاذ عارف النكدي عضو وفد بجمع دمشق فى بئحه (اللغة العربية بين الفصحى والعامية : ٨٩ - ١٠٤) .

وسأعرض نماذج مما جاء فى هذا الكتاب لئلا كد القارىء أنى لا أزيد فى القول ولا أبالغ فى التصوير ولا أتجنى على أحد . ثم أعود بعد ذلك إلى مناقشة بعض هذه الدعاوى العريضة التى انخدع بها كثير من السذج الغافلين . وقبل أن أشرع فى ذلك أحب أن أبادر ببعث الطمأنينة إلى قلوب من أزجعتهم هذه المقدمة فأقول : إن المؤتمر قد رفض الأخذ بشيء من هذه الآراء المعوجة والدعوات السقيمة . ولكنى أحب أيضا أن أنبه إلى أن الداعين بهذه الدعوات قد استطاعوا أن ينفذوا إلى بعض قرارات المؤتمر ، ويتركوا فيها أثرا من سمومهم ومسحة من أمراضهم وأسمائهم تكشف عن الخطر الذى يهدد حسونا من داخلها .

يروى أحمد حسن الزيات قصة بجمع اللغة العربية فى القاهرة بين الفصحى والعامية ، فىقول : إن المحافظين من شيوخ الأدب قد سيطروا عليه فى أول نشأته ، ثم انتهى زمامه إلى الكتاب والصحفيين الذين نهوا البجمع إلى أهمية العامية وإلى خطورة جمود اللغة بتخلفها عن مسيرة الزمن (ص ٨١ - ٨٢) . ويقدم مثالا من جهود هؤلاء (المجتدين) بالبحث الذى ألقاه أحدهم فى دورة ٤٦ - ٤٧ عن (مرقف اللغة العامية من اللغة الفصحى) فدعا فيه إلى التساهل فى بعض قواعد الإعراب وعدم التشدد فى قبول المستحدث من الألفاظ والأساليب التى تجرى على كل لسان لكى (يسهل علينا تطوير الفصحى حتى تقترب من العامية) ، ودعا كذلك إلى أن نشرع فى دراسة عاميات الأقطار العربية المختلفة لإقرار ما هو مشترك منها سواء صح فى معاجم اللغة وكتبها (ص ٨٣ - ٨٤) . وذكر الزيات أنه ألقى بعد ذلك بحثا عن (الوضع اللغوى وحق المحدثين فيه) ذهب فيه إلى إباحة استعمال المولد ، وإزالة السد القائم بين الفصحى والعامية لكى ينتج (من تداخل اللغتين وتفاعلهما لغة تجمع بين محاسن هذه ومحاسن تلك - ص ٨٥) كما اقترح (لتقريب الخلاف بين العامية والفصحى أن يفتح باب الوضع للمحدثين على مصراعيه . . . وأن يرد الاعتبار على المولد ليرتفع إلى مستوى الكلمات القديمة ، وأن يطلق القياس فى الصفحى ليشمل ما قاسه العرب ، وما لم يقسوه ،

وأن يطلق السماع من قيود الزمان والمكان ليشمل ما نسمع من طوائف المجتمع كالحلادين والتجارين والبنائين وغيرهم من كل ذى حرفة - ص ٨٥) . ويقول الزيات إن مجمع القاهرة قد أقر هذه المقترحات وأخذ في تطبيقها (١) .

أما على حسن عودة مندوب حكومة الأردن فقد ظن أن هدف هذا المؤتمر هو (أن نقضى على اللغة العامية ونحل محلها لغة تعبير وتخطب عربية فصيحة سهلة التناول يستعملها الكبير والصغير ، ويكون فيها الغناء في الحياة الاجتماعية في كافة مرافقها - ص ١٨١) . وتصور المسألة على هذا النحو خطأ كما سأبينه فيما بعد ؛ لأنه غير ممكن ولا ميسور ولا هو مطلوب ، ولأنه يخالف طبائع الأشياء .

ويكاد القارئ أن يطمئن إلى سلامة قصد الكاتب رغم خطأ تصويره حين يظن أن هدفنا هو القضاء على العامية . ولكنه لا يلبث أن يتبين أن هدفه في حتمية الأمر هو اختراع لغة عربية جديدة ونشرها بين الناس بكل وسائل النشر (فإن لدينا اليوم من الوسائل الحديثة ما يضمن النجاح لمجهود يبذل في سبيل ترقية لغة التخاطب في البلاد العربية ويضمن البقاء والتقدم أيضا لكل لغة عربية فصيحة يتواضع عليها ، تستوعب مصطلحات للمستجد من آثار العلوم والفنون - ص ١٨٢) . وهو يمتحن تبسيط اللغة واختصارها ، كما يقترح على جامعة الدول العربية (أن تعنى بوضع معجم يسمى معجم العامة ، أو غير ذلك من الأسماء ، يكتفى فيه بالمفردات التي يحتاج إليها في كافة مرافق الحياة ، وتحشد فيه أوضاع جديدة للدلالة على مستحدثات العصر الفنية المتداولة . ثم يلجأ في تعميم هذه اللغة العربية الفصيحة العامة إلى كل الوسائل الكفيلة بتعميمها ابتداء من المدارس الليلية التي يحمل العمال والمشتغلون في النهار على غشيانها ، وفي المدارس الابتدائية التي يتكفل القائمون فيها بتعليم الأطفال في كتب خاصة تقيدهم مؤلفوها بألفاظ هذه اللغة ، وتعويد هؤلاء الأطفال التحدث بالفصح المقتراح فضلا عن القراءة . ص ١٨٣ - ١٨٤) .

ومن الواضح أن هذا الرجل يريد أن يخترع لغة فصيحة جديدة ، ثم يدعو إلى تعميمها بتهويد مؤلفي الكتب المدرسية أن يكتبوا (بالفصح المقتراح) ، أي أنه يلزمهم أن لا يستعملوا

(١) اعترف منصور فهمي بذلك في محاضراته التي ألقاها في هذا المؤتمر عن أهداف مجمع مصر في خدمة اللغة العربية [ص ٢٤١ - ٢٥٦] .

« الفصحى القديمة » التي يدعو إلى اختصارها واستبعاد غير المؤلف من مفرداتها وإضافة ما يرى إضافته إليها . ولست أدري ما هو الحد الفاصل بين المؤلف وغير المؤلف في اعتباره ؟ ومن هو الحكم في التمييز بينهما ؟ هل هو الأمل الجاهل ، أم هو المثقف من غير محترفي الأدب ، أم هو الكاتب الممارس للكتابة في الصحف اليومية ، أم هو الشاعر والناقد ، أم هو عالم اللغة ؟ أليس الأسهل تعميم الفصحى القائمة الموجودة الموروثة بدل التواضع على فصحي جديدة تقيدها الكتاب والمؤلفين ، مع وجود لغة متواضع عليها هي حقيقة قائمة ثابتة حية ماثلة فيما يتداول العرب جميعا من كتب ومن صحف يلتقون ويلتقي معهم المسلمون من غير العرب عند فهمها والتعبير بها ، وهي نفسها اللغة التي تفاهم بها العرب في مؤتمريهم هذا والتي عبر بها صاحب هذا الاقتراح العجيب ففهمنا وفهم كل الناس عنه ؟ .

واقترح أحمد عبد السلام مندوب حكومة تونس قريب من اقتراح مندوب حكومة الأردن السابق حتى لسكان شيطانهما واحد : فهو يقترح على المجامع اللغوية (أن تؤلف لكل قطر معجما صغيرا لا يتضمن إلا الألفاظ العربية الفصيحة التي بقيت مستعملة بمعناها الأصلية في لغة ذلك القطر ، وأن يوصى معلو الأحداث والعامية بالاختصار عليها قدر المستطاع - ص ٢٠٨) . واقترحه هذا ينتهي إلى إيجاد لغات عربية متعددة تمثلها هذه المعاجم المقترحة التي تحيي دارس اللهجات وميت اللغات بعد أن جمع الله العرب - بل المسلمين - على فصحي القرآن ويزيد في توسيع الهوة بين هذه المعاجم أن صاحب هذا الاقتراح يوصى بالتوسع في قبول الكلمات المولدة والدخيلة فيها كما يوصى (لزيادة الخبرة بعربيتنا وبمدى حيويتها ، أن يشتغل عدد من علمائنا باللغات العامية وأن يدرسوها دراسة دقيقة - ص ٢٠٩) وهو يخفي حقيقة أهدافه وخطورة آرائه بالقناع الذي يتنوع به طه حسين وشيعته حين يتظاهرون بعدائهم للعامية ثم يزعمون للناس أن هناك خطراً على العربية الفصحى أن يهجرها الناس إلى العامية إذا لم تخضع لما يسعون إليه من تطور مزعوم !

والذي يفضح هؤلاء الناس ويكشف عن مصدر هذه الوسواس في نفوسهم وحقيقة الذي ألقى هذه الأوهام في رؤوسهم وحرك بها ألسنتهم ودفعهم إلى ترويجها هو أنك تجد فريقاً منهم يفسكرون بالإنجليزية أو بالفرنسية ثم يترجمون تفكيرهم إلى العربية . تجد ذلك في محاضرات أنيس فريجة عن (اللهجات وأسلوب دراستها) التي نشرها معهد الدراسات

العربية العالية بجامعة الدول العربية ، حين يفكر اللغة العربية باللغة الإنجليزية ويريد أن يلبس لغتنا أثواباً لم تقدم على قدها ولم تجعل لها ، إذ ثبت الاصطلاح الإنجليزي ثم يصطنع لها اصطلاحاً عربياً يقابله . وتجده كذلك في محاضرة منير العجلاني التي ألقاها في مؤتمرها هذا عن (رابطة اللغة والأمة : ص ٢١٧ - ٢٢٧) ، حين يصب تفكيره في قوالب فرنسية ، فلا يكاد يأخذ في تعريف الدولة أو الحكومة أو الأمة أو الشعب أو أثر اللغة في وحدة الأمة حتى يبني كلامه على رأى لهر يو أو رينان أو ما تسيني أو فلان وفلان من أصحاب المذاهب الغربية عموماً والفرنسية خاصة . ومنير العجلاني هذا لا يعترف بأن الإسلام رحم وصلة بين المسلمين ^(١) وأنه جامعة من أوثن الجامعات ، لأنه يجري في تعريف القومية العربية على قياسها بمقاييس أوروبا اللادينية التي روجها اليهود منذ الثورة الفرنسية اليهودية . يقول عند كلامه عن الدين بوصفه عنصراً من مقومات القومية . (كان الدين في العصور الوسطى يجمع الشعوب ويفرقها ، ولكن أثره في تكوين الأمم تضائل في الزمن الحاضر . وربما أسقطه غلاة القومية من حسابهم ^(٢) - ص ٢٢٤) .

وترديد المحاضر لاصطلاح « العصور الوسطى » هو أثر من آثار الاستعباد الغربي الذي يخضع له تفكيره . فتعبير « العصور الوسطى » تعبیر أوروبي يمتزج في أذهان أصحابه بالتخلف والهمجية ، لأنه يمتزج بالظلم وبالنظام الإقطاعي وبالرق وباستبداد الكنيسة وطغيانها . والذين يفكرون بروس أوروبية يستعملون هذا الاصطلاح بمعناه ذاك ، رغم الاختلاف الواضح بين ظروفنا وظروفهم . فالعصور الوسطى تقابل عندنا عصر الرسالة الحمديدية وأزهى عصور الإسلام . فهي بالتياس إلى العربي وإلى المسلم عصر النور والمجد والعدل ، في الوقت الذي يعتبرها الأوروبي فيه عصر الظلام والظلم والتخلف . أليس ذلك ضرباً من ضروب الاستعباد الفكري ، وهو شر ألوان الاستعباد ، بل هو أخطر ما خلفه الاستعباد الفرنسي والاستعباد الإنجليزي في الشعوب الإسلامية التي استعبدها ،

(١) المجلة - مع أنه من بيت علم إسلامي عريق ، ولكن الثقافة الأجنبية فصلت الكثيرين عن بيوتهم .

(٢) المجلة - هذا في الغرب ، أما في الشرق العربي فالدين أوسع أفقا من مدلوله في الغرب : والعروبة أكثر تعاوناً مع الإسلام في ماضيها وحاضرها .

ذلك هو مجمل ما عرضه أصحاب ذلك المشكل الذى توهّموه فابتدعوه ، وزعموه ثم أوجدوه ، بين العامية والفصحى .

أما الاقتراحات التى تدعو إلى مسح قواعدنا فى اللغة وفى النحو وفى الإملاء والخط ، فقد جاءت على لسان طه حسين ، وصفيه إبراهيم مصطفى الذى صدع بوحيه حين ألف منذ عشرين عاماً كتاباً ميثاقاً فى النحو سماه « إحياء النحو » . ألقى طه حسين محاضرة دعا فيها إلى العدول عن قواعد النحو الثابتة المتداولة التى اجتمع عليها العرب والمسلمون زاعماً أنها لم تعد صالحة وأنها هى السبب فى ضعف الطلاب وتخلفهم (٢٢٨ - ٢٤٠) . وتقدم إبراهيم مصطفى باقتراحين ، أحدهما فى (كتابة الهمزة والآلف اللينة : ص ١٦٠ - ١٦٥) دعا فيه إلى توحيد الصور الكتابية للهمزة ، والآخر فى (تيسير قواعد النحو : ص ١٦٦ - ١٧١) مهد به لاقتراحات (تيسير النحو والصرف : ص ١٧٢ - ١٨٠) المقدمة باسم مجمع القاهرة والتى تحمل طابع إبراهيم مصطفى المعروف فى « إحياء النحو » الذى دعا فيه إلى تبويب جديد للنحو من ابتكاره . وقد سحب إبراهيم مصطفى اقتراح الهمزة قبل أن ينظر فى جلسة المؤتمر العامة ، ويبدو أنه لم يجد الظرف مهيأ لقبوله فحشى أن يتخذ قرار برفضه وآثر أن يدع الباب مفتوحاً حتى يستطيع هو أو آخر من عصابته العودة إلى ذلك فى فرصة أكثر ملاءمة . أما مقترحات تيسير النحو فقد قرر المؤتمر فى شأنها أنه (نظر فى مقترحات ، تيسير النحو التى أعدها وزارة التربية والتعليم فى مصر فوجد بعد دراستها أنها تحتاج إلى زيادة فى البحث والتحصيص ، وقرر تأجيل النظر فيها إلى مؤتمر آخر : ص ٢٧٨) . وقد كنت أرجو أن يقضى فيها المؤتمر قضاء حاسماً صريحاً يقرر فيه فسادها وضررها ؛ لأن هذا القرار الذى يظهر فيه نفوذ دعاة الهدم والتبديل لم يمنح القائمين على برامج التدريس فى مصر من أن يضعوا هذه المقترحات الفاسدة موضع التنفيذ .

وبعد فقد شغل هؤلاء المحاضرون والمقترحون بمشاكلهم الوهمية ما يقرب من نصف وقت المؤتمر ١١ . على أن أكثر ما جاء فى مقالاتهم بضاعة مزجاة بارت فى كل سوق ، وكلام معاد مكرور ليس فيه جديد . ولكن أصحاب هذه المذاهب المنحرفة يعتمدون فى أسلوبهم على أن الناس إذا تكرروا سماعهم للباطل أو شكوا أن يصدقوه . لذلك فهم يكررون القول حيناً بعد حين ودفعة بعد دفعة ، ولا ينضب لهم معين فى إلباس معالهم أليق الآثواب بالمقام وعرضه من جوانب جديدة تمر به من نفوس الناس .

[١] استغرقت محاضراتهم واقتراحاتهم تسعاً وتسعين صفحة من سجل المؤتمر الذى يزيد قليلاً على مائتى صفحة .

وهم لا يسمون من هذا التكرار ؛ لأنهم يعرفون أنهم يخاطبون في كل مرة جيلا جديداً غير الذى سمعهم من قبل . وقد ينجحون في إغواء بعض من ضاقت عنه حيلهم من قبل . وهم يعتمدون مع ذلك كله على أفراد عصائهم ممن وصلوا إلى مرا كز تسمح لهم بمديد العون في ترويج هذه الدعاوى وفي وضعها موضع التنفيذ ، وفيهم من يشغل مرا كز خطيرة تسمح لهم بالسيطرة على الصحافة والإذاعة ووزارات التعليم والجامعات . لذلك كان فرضاً لازماً على كل عارف بحيلهم أن لا يمل من تكرار الرد عليهم ركوناً إلى أنه قد أذاع الرد من قبل ، حتى لا تنفرد دعاياتهم المفسدة بالشباب فتستأثر به ثم لا يجد ما يصححها وينتشله من تيارها ويبطل فعل سمومها .

وأول ما يلفت النظر في هذه الكلمات والمقترحات ما انحدرت إليه بجامع اللغة العربية - وجمع القاهرة منها خاصة - من ترويج الدعوات المريبة إلى تطوير اللغة وقواعدها ورسما . وهو تطوير يختلف أصحابه في تسميته ، ولكنهم لا يختلفون في حقيقته . يسمونه تارة تهذيباً وتارة تيسيراً وتارة إصلاحاً وتارة تجديداً ، ولكنهم في كل الأحوال وعلى اختلاف الأسماء يعنون شيئاً واحداً هو التحلل من القوانين والأصول التى صانت اللغة خلال خمسة عشر قرناً أو يزيد ، فضمنت لجيلنا وللأجيال المقبلة أن ترح بفكرها وتمرح في معارض فنون القول وآثار العبقريات الفنية والعقلية لا تحس قيود الزمان ولا المكان ، فكأنما القرآن قد أنزل فينا اليوم ، وكأنما شعراء العربية وفقهاؤها وفلاسفتها وكتابها وأطبائها ورياضيوها وطبيعيوها وكيميائيوها على اختلاف أزمانهم قد كتبوا ما كتبوا وألفوا ما ألفوا فى الأمس القريب ، وكأنما المتنبي أو البحتري يخاطب جيلنا لا تمييز بينه وبين شاعر معاصر كالبارودى أو شوقي أو حافظ ، وكأنما الرصافى يكتب شعره للقاهريين ، وكأنما الشافى يكتب شعره للشآمين ، وكأنما شوقي يخاطب بشعره أهل المغرب ، وهذه ميزة من الله بها علينا ولم تحظ بمثلها أمة من الأمم . فإذا تحللنا من القوانين والأصول التى صانت لغتنا خلال هذه القرون المتطاولة تبلبت الألسن وأضاف كل يوم جديد تطلع على الناس شمس مسافة جديدة توسع الخلف بين المختلفين ، حتى يصبح بين الشآمى والمغربى مثل ما بين الإيطالى والأسبانى ، وتصبح عربية الغد شيئاً آخر يختلف كل الاختلاف عن عربية القرن الأول ، بل عربية اليوم والامس القريب ، وتصبح قراءة القرآن والتراث العربى والإسلامى كله متعذرة على غير المتخصصين من دارسى الآثار ومفسرى الطلاسم ، وعند ذلك يصبح كل جهد

سياسى أو حربى أو أدبى مما يبذل اليوم فى جمع شمل العرب وتدعيم التنمية الشريفة عبثا لا طائل تحته ، لأنه كالنفض فى قرية مقطوعة أو بناء القلاع فوق الرمال أو الارتفاع بالأبراج التى تناطح السحاب على غير أساس .

وليس الخطر الكبير فى الدعوة إلى العامة ، ولا هو فى الدعوة إلى الحروف اللاتينية ، أو الدعوة إلى إبطال النحو وقواعد الإعراب أو إسقاط بعضها ، فالداعون بهذه الدعوات من صغار الهدامين ومغفلهم الذين ليس لهم خطر العتاة ممن يعرفون كيف يخدعون الصيد بإخفاء الشراك ، وكيف يستدرجون الناس بتروير الكلام . إن الخطر الحقيقى هو فى الدعوات التى يتولاها خبثاء الهدامين ممن يخفون أغراضهم الخطيرة ويضعونها فى أحب الصور إلى الناس ، ولا يطمعون فى كسب عاجل ، ولا يطلبون انقلابا كاملا سريعا . الخطر الحقيقى هو فى قبول مبدأ التطوير نفسه ؛ لأن التسليم به والأخذ فيه لا ينتهى إلى حد معين أو مدى معروف يقف عنده المطورون ؛ ولأن الترحيح عن الحق كالتفريط فى العرض ، فالذى يقبل الترحيح عن الحق قيد أنملة مرة واحدة يهون عليه أمثالها مرة ثم مرات حتى يسهط إلى الخضيض ، ومن اعتراه شك فى حقيقة ما يراد بقرآنا وبلغته وبإسلامنا وكل تراثه فليقرأ قول طه حسين فى كتابه « مستقبل الثقافة فى مصر » : « وفى الأرض أمم متدينة كما يقولون ، وليست أقل منا إثارا لدينها ولا احتفاظا به ولا حرصا عليه ، ولكنها تقبل فى غير مشقة ولا جهد أن تكون لها لغتها الطبيعية المألوفة التى تفكر بها وتصطنعها لتأدية أغراضها ، ولها فى الوقت نفسه لغتها الدينية الخالصة التى تقرأ بها كتبها المقدسة وتؤدى فيها صلواتها » فاللاتينية مثلا هى اللغة الدينية لفريق من النصارى ، واليونانية هى اللغة الدينية لفريق آخر والقبطية هى اللغة الدينية لفريق ثالث ، والسريانية هى اللغة الدينية لفريق رابع (١) . . . وبين المسلمين أنفسهم أمم لا تسلم العربية ولا تفهمها ولا تتخذها أداة للفهم والتفاهم ولغتها الدينية هى اللغة العربية ، ومن المحقق أنها ليست أقل منا إيمانا بالإسلام وإكبارا له وزيادا عنه وحرصا عليه - الفقرة ٣٦ ص ٢٢٩ - ٢٣٠ من طبعة المعارف (١٩٤٤) . فإذا وعى

(١) ليس هذا الكلام من صنع طه حسين فهو ترديد لما قاله القاضى الإنجليزى ولمور

I. Selden. willmore من قبل فى كتابه « عامية مصر » The spoken Arabic of Egypt

ص ١٥ من طبعة لندن ١٩١١ .

القارىء هذا القول وما وراءه غليات بكل ما سواه فى وجه صاحبه ؛ لأنه ضرب من النفاق ، وأسلوب فى الكيد .

على أن تقديس لغة القرآن واثزام أصولها وقواعدها وأساليبها لم يكن فى يوم من الأيام داعيا إلى تحجر اللغة ، وجود مذاهب الفن فيها ، ووقوفها عند حد تعجز معه عن مساهرة الحياة ؛ كما يشنع به الهدامون ويخدعون به الأغرار وصغار العقول وقصار الهمم . فليس التطور نفسه هو المحذور ، ولكن المحذور هو أن يخرج هذا التطور عن الأساليب المقررة المرسومة . وذلك يشبه تقيد الناس فى حياتهم الاجتماعية بقوانين الدين والأخلاق . فليس يعنى ذلك ، أنهم قد استعبدوا لهذه القوانين ، وإنما قد أصبحت تحول بينهم وبين مساهرة الحياة أو الاستمتاع بخيراتها ولذائذها . ولكنه يعنى أنهم يستطيعون أن يغدوا وأن يروحوا كيف شاءوا ، وأن يستمتعوا بخيرات الدنيا وطيباتها ويتصرفوا فى مسالكها ويمشوا فى مناكبها ، كل ذلك فى حدود ما أحل الله ، وكل ذلك مع التزام الوقوف عند حدود الله . كذلك اللغة ، وضع اللغويون والنحاة والبلاغيون لها حدوداً طابقوا بها مذهب القرآن وكلام العرب ، وتركوا للناس من بعد أن يستحدثوا ماشاءوا من أساليب ، وأن يتصرفوا فيما أرادوا من أغراض ، وأن يحددوا ما أحبوا مما يشتهون ومما تتفق عنه عقرياتهم . ولكن كل ذلك لا ينبغى أن يخرج بهم عن الحدود المرسومة . فهاذا فى ذلك غير ضمان الاستقرار والحرص على جمع الشمل ؟ وهل عاق ذلك عرب بغداد وعرب الأندلس عن الافتنان فى القول وفى مذاهب الفن ؟ وهل ضاقت معه عريية البدو عن الاتساع لما نزل العرب وما استحدثوا من معارف وعلوم ؟ .

أما ما جاء على لسان بعض المشتركين فى هذا فى المؤتمر مثل أحمد حسن الزيات (ص ٨١ - ٨٨) . ومنصور فهمى (ص ٢٤١ - ٢٥٦) فى تصوير انحراف مجمع اللغة العربية عن القصد فليس إلا قليل من كثير . ومن شاء فليرجع إلى مجلة المجمع ليرى صورة أوضح وأكثر تفصيلاً لما يهدر من جهد فى الكلام عن العامية وعن مسخ الخط العربى وقواعد النحو . أليس ذلك عجباً من العجب ؟ وأعجب منه أن يصير إلى مركز القيادة فى ذلك الحصن رجل يشهد ماضيه الثابت المسجل فيما نشر على الناس من صحف أنه كان حرباً على الجامعة الإسلامية وعلى الجامعة العربية لا يراها إلا وهماً من الأوهام ، وأنه كان أول من رفع صوته بالدعوة إلى تمصير اللغة العربية . ألمثل هذه الغاية يعمل بمجمع القاهرة وقد دارت الأيام واستقام عوج الزمان ؟

أما ما زعمه على حسن عودة مندوب حكومة الأردن في المؤتمر - أو ماتخيله - من أن هدفنا هو توحيد العامية والفصحى وجعلهما لغة واحدة فهو خطأ أساسى في تصور الموضوع . فليس مطلوباً أن تصبح لغة الحديث والأسواق والتعامل بين الناس هى نفسها لغة الشعر والأدب والعلم والفلسفة ، لأن التعامل يحتاج إلى لغة سريعة الوفاء بالغرض ، ولسكنه لا يحتاج إلى لغة دقيقة كحاجة العلم إليها ، ولا يحتاج إلى لغة جميلة مؤثرة كحاجة الشعر والأدب عموماً إليها . إذ يكفى في لغة التعامل أن يفهم بعض الناس عن بعض من أقرب طريق وأخصره . وقد يستعين المتعاملون على إتمام ما فى العامية من قصور بإشارات اليدين وبتولين نغمة الكلام وتنويعها ، وبالتعبير بسمات الوجه . ومن الواضح أن لغة الأسواق لا تناسبها لغة راقية معقدة التركيب - ككل ما هو راق ، فالبساطة تلازم الحالات الفطرية الساذجة - لأن قواعد اللغة الراقية تضيق وقت المتعاملين الذين لا يحتاجون للدقة أو الجمال حاجتهم إلى السرعة . فاستعمالهم الفصحى فى التعامل يشبه استعمال الموازين الدقيقة التى يوزن بها الذهب والأحجار الكريمة فى وزن الخبز والملح ، أو استعمال المقاييس الهندسية الدقيقة فى قياس الأقمشة ومسح الطرقات ، فهو إسراف فى التألق وبعثرة للجهد وتضييع للوقت ، لا يصبر عليه البائع ولا المشتري . ثم إن اللغة الراقية التى تنظمها القواعد لاتصلح لحاجات الحياة اليومية من وجه آخر . فقواعد اللغة الفصحى تجعل تطورها بطيئاً وصعباً ، بينما لغة التعامل والأسواق تسد حاجات متغيرة يطرأ عليها كل يوم جديد لم يكن بالأمس . أما لغة الأدب فهى سجل لحالات عقلية ونفسية ثابتة متصلة ، من الخير أن نحرص فيها على صلة الخلف بالسلف إلى أبعد مدى ممكن ؛ لىكى يتفجع بتجاربه فيزداد بذلك علماً ودراية ومتعة وذوقاً . فنحن نقرأ ما كتب فى الأدب منذ آلاف السنين فنجد فيه صورة من تفكيرنا الراهن ومن أحاسيسنا الحية . ولذلك فالأدب محتاج إلى لغة أكثر استقراراً لتحقيق هذه الصلات بين القديم والجديد . وهو يحتاج إلى لغة مصفاة منتقاة ، للكلمات فيها وللعبارات تاريخ وظلال تعوض بعض ما فى اللغة من قصور فى التعبير عن مكنونات النفس وخطرات الفكر . فاللغة محدودة بكلمات المعاجم ، أما الأحاسيس والأفكار التى يموج بها عالم النفس والعقل فهى خفية متعددة متجددة لاتكاد تدخل تحت حصر فى تنوعها وفى دقة الفوارق بين بعضها وبين البعض الآخر . لذلك كان لابد . للأديب أن يستعين على إتمام قصور اللغة هذا باستغلال خصائص الكلمات الصوتية واستغلال ظلال الكلمات مفردة ومركبة . وإنما تنشأ ظلال

الكلمات مما ترتبط به في تاريخها الطويل من استعمالات ومما في طبيعة تركيبها الصوتي من أسرار . وذلك كله لا يتوافر إلا في الكلمات التي صفاها طول الاستعمال فأثبت بقاؤها على تقلب الظروف والأحوال والأزمان صلاحيتها للبقاء ، والتي صقلت ألسن القائلين وأذان السامعين وأذواق النقاد ، والتي شخنها وأغناها ما تراكم حولها من المعاني والأطراف التي تقلبت بينها في تنقلها الطويل عبر التاريخ .

من ذلك كله يتضح أن لغة الأسواق شيء وأن لغة الأدب شيء آخر . وكل منهما صحيحة في ميدانها . فهما كلباس المصنع أو المهنة ولباس المسجد أو المحافل ، يتخذهما العامل ويقتنيهما جميعا ، ولكنه يستعمل كلا منهما في موضعه ، فلا يلبس للمصنع لباس المسجد والمحافل ، ولا يلبس للمسجد والمحافل لباس المصنع والمهنة . كذلك الشأن في لغة التعامل اليومي وفي لغة الأدب ، تمتاز إحداها من الأخرى حسب طبيعة كل منهما ووظيفتها . وهذه ظاهرة طبيعية مطردة التحقق وال لزوم في كل اللغات قديمها وحديثها ، شرقها وغربها . فقد كان للناس دائما لغة للأدب تختلف عن لغة الحديث والمساومة والتعامل منذ كان لهم أدب رفيع . لأن البدائيين وحدهم هم الذين يكتبون أدبهم بلغة الحديث ، فإذا تطور هذا الأدب وسما ارتفع عن لغة الحديث وخلف لغة الأسواق والتعامل وراه . ولو اتخذت لغة الأسواق لغة للأدب على ما يريده الخادعون والمخدوعون ، فظورت وارتقت ، لنشأ إلى جانبها حتما لغة أخرى للأسواق تتحرر من قواعد اللغة الأدبية وقيودها ، وتنزع عنها ما لا تحتاج إليه مما يفيد الدقة أو الجمال حتى تسعف البائع والمشتري والصانع والزارع والسائل والمسئول من ناحية ، ولكي تسير حاجات الحياة وشؤونها المتجددة من ناحية أخرى . وإذن لا نكون قد قربنا بين اللغتين على ما يزعم أصحاب ذلك المذهب ، ولكن كل ما نبوء به عند ذلك هو قطع الصلات بيننا وبين الماضي كله بما فيه من دين ومن علم ومن أدب ومن تاريخ ومن تجارب إنسانية متعددة ، فهو بمثابة إعدام هذه السجلات الحافلة ، مما يجعل مهمة الأحياء والأجيال المقبلة صعبة إلى درجة التعذر في تقصى حقائق الأشياء وتاريخها .

ومع ذلك كله فالأدب بطبعه متعة عقلية وروحية . وهو بهذا الاعتبار ليس هواية شعبية وليست المشكلة فيه هي مشكلة الألفاظ فحسب ، ولكنها مشكلة الأفكار والأخيلة التي تحتاج في تذوقها إلى مستوى ثقافي معين . فهما نعمل على تيسير الألفاظ وجعلها في متناول عامة

الناس فلن يستطيعوا إلا فهم ما يلائم عقولهم وثقافتهم من الآداب السطحية التي لا تعبر عن أغوار الحقائق وأعماقها . ذلك هو المدلول الحقيقي لكلمة (الادب الشعبي) . فالآداب الشعبي لا يتميز بعلته غسب ، ولكنه يتميز أولاً وقبل كل شيء بسطحيته في التفكير وبساطته التي تلائم السذج من البدائيين ، ولكنها لا تشبع حاجات المثقفين وطلاب المعرفة من أصحاب الفكر الرفيع والذوق الرهيف والمزاج الصافي الصقي .

زعم رثيف أبو اللع الأمين العام المساعد للشئون الثقافية في مقدمة الكتاب أن على اللغة (أن تسير المجارى المتدفقة المصرة من تحويل وتبديل وتعديل وتجديد ، فإذا لم تتبع اللغة العربية سنة النشوء والارتقاء فقدت عناصر الحياة - ص ٢) . وزعم الزيات عضو مجمع القاهرة أن إزالة السد القاسم بين الفصحى والعامية سيقضى على (مساوى الفصحى أو عنجهيتها فتموت كما يموت الحوشى المهجور من كل لغة - ص ٨٥) ، والواقع أن هذا التطور الذى يتحدث عنه الأمين على ثقافة العرب حادث فعلا ، وهو يحدث كل يوم ، ولكنه يحدث من تلقاء نفسه ولا تحشد له المؤتمرات لتصطنعه .

والتطور على كل حال ينبغى أن يكون بالقدر الذى لا يقطع صلتنا بالماضى ، وبالقدر الذى لا يخشى معه أن يتطور إلى قطع صلة الأجيال المقبلة بالجيل الماضى أيضاً ، بحيث يتحول قرآنا وحديث نبينا وفقه فقهاؤنا إلى طلم لا يقرؤه إلا طلبة من السكبان يحتكرون تفسير الإسلام . هذا التطور واقع ؛ لأن حاجات الحياة تدفع إليه ، فالناس مضطرون إلى التعبير عن أنفسهم وعن الحياة فى مختلف نواحيها : فى أدبهم وفى صحفهم وفى إذاعاتهم التى تحكى ما يجرى فى الحرب والسلام ، وفى قصصهم وفى كتبهم العلمية التى تضطر إلى استحداث الألفاظ لما يستحدث من آلات أو أدوات أو متاع ، ومن كشوف جديدة أو حقائق أو نظريات . والمهم فى ذلك كله هو أن يحرص العرب على استعمال لغتهم العربية فى كل هذه الميادين ، كما دعا إلى ذلك بحق وإخلاص عارف النكسدى عضو الوفد السورى (ص ٨٩ - ١٠٤) وكما انتهى إليه المؤتمر فى توصياته (ص ٢٧٨) ، فحرص الإذاعات والصحف ومنابر العلم عامة والجامعات خاصة والقضاء والمؤتمرات على اللغة الفصحى . هذا هو السبيل الطبيعى للتطور ، وما عداه فهو وسائل صناعية لا تؤدى إلا إلى البلبلة ، وهى جعجعة بلا طحن . أما ما زعمه عضو مجمع القاهرة من موت الحوشى وتصفية اللغة وتقيتها فهو لا يتوقف على تفاعل الفصحى مع العامية كما يزعمه . فالحوشى يموت بطبعه كما يذهب كل باطل وكل ثقيل

وكل مستهجن غير صالح ، لأن الأدباء والشعراء والعلماء ينفرون من استعماله . وهؤلاء هم في الحقيقة - بما وهبوا من ذوق - صناع اللغة . وهم الذين يقومون بمهمة التصفية التي يتحدث عنها الكاتب ، ومن وراء هؤلاء الأدباء والشعراء والعلماء الذوق العربي العام المتمثل في جمهور القراء والرواة ، فهم الذين يحكمون على الصالح بالبقاء لأنهم يتناقلونه خلفاً عن سلف ، وينثرونه في الآفاق ، بينما يحكمون على الساقط والسخيف الركيك بالموت ؛ لأنهم يهملونه ولا يكثرثون له . وهؤلاء هم المحكمة الصادقة التي لا تخضع للأهواء ، ولا يجوز عليها التزييف والتزوير .

وطه حسين ومن ذهب مذهبه مثل مندوب حكومة تونس في هذا المؤتمر يوهمون الناس بأن هناك خطراً على العربية الفصحى أن يهجرها الناس إلى العامية إذا لم تخضع لما يريدونه من تطور (ص ٢٨٣ ، ٢٠٩) . ويبنى مندوب الحكومة التونسية على هذا الوهم أو الإيهام اقتراحاً بأن (يشتغل عدد من علمائنا باللغات العامية وأن يدرسوها دراسة دقيقة - ص ٢٠٩) كما يقترح على المجامع اللغوية (أن تؤلف لكل قطر معجماً صغيراً - ص ٢٠٨ . والذي ينقض هذا الزعم الباطل من أساسه هو الواقع المشاهد في القديم السالف وفي الحاضر الراهن ، الذي أثبت أن العربية قد عاشت جنباً إلى جنب مع هذه اللهجات المحلية أكثر من ألف عام حتى الآن .

فالخوف من إعراض أصحاب اللغة العربية عنها هو وهم اخترعه هؤلاء المغرضون ، أو اخترعه لهم سادتهم ثم قاموا هم بترويجه . وينقض هذا الوهم أو هذا الزعم أن العربية قد استطاعت أن تحيا خلال بيئات متفاوتة وعصور متفاوتة ودرجات من الحضارة والمدنية أدناها البداءة وأعلاها ما وصلت إليه في بغداد وفي الأندلس . استطاعت - وهي اللغة البدوية - أن تسكن حاجات ما جد من علوم ودراسات . وظلت مع ذلك كله هي هي . نقرأ القرآن بعد أربعة عشر قرناً من نزوله فكأنه أنزل اليوم ، ونقرأ الجاحظ والمتني بعد ألف سنة أو أكثر فكأنما نقرأ لسكتاب ولشعراء معاصرين . وقد تجاوزت لغة الأدب الرفيعة ولغة الحديث العامية طوال هذه القرون على اختلاف البيئات فلم تطغ إحداها على الأخرى ، ولم تنقر إحداها من مجاورة صاحبها . ومع ذلك فإن هذا الخطر الموهوم المزعوم يكفي في دفعه - إن كان - أن تحسن الدولة القيام على تعليم العربية في مدارسها وأن تلزم باستعمالها في المجالس النيابية ، وفي دور القضاء وفي الإذاعة وفي المحافل والمجامع على اختلافها . ولا أظنني محتاجاً إلى أن أنبه للخطورة التي ينطوي عليها اقتراح مندوب تونس .

وما أظن أحدا سينخدع بما يبدو في ظاهر قوله من البراءة حين يتظاهر - مثل طه حسين - بأنه معارض في استعمال اللغة العامية للكتابة الأدبية ، وحين يشترط في المعاجم المقترحة أن (لا تتضمن إلا الألفاظ العربية الفصيحة التي بقيت مستعملة بمعناها الأصلية في لغة ذلك القطر - ص ٢٠٨) فلمهم في الأمر هو أن معاجم اللغة العربية سوف تختلف باختلاف بلاد العرب وأقطارهم ، وأن المعجم التونسي والمعجم المصري والمعجم العراقي والمعجم الشامي والمعجم الحجازي والمعجم اليمني سوف تصبح بتنفيذ هذا الاقتراح حقيقة واقعة . وهذه المعاجم المقترحة نفسها سوف تصبح بدورها موضع تنقيح وتغيير وتعديل ، وسوف ينأى بها كل تنقيح جديد عن أصلها الأول ، حتى يتناكر المتعارف ويتفرق المجتمعون ثم لا يرجى لصدهم رأب . ذلك هو المصير المظلم الذي يبدأ بدعوة خلافة براقة بريئة الظاهر إلى دراسة اللهجات والعناية بما يسمونه تمويهها على الشعوب بالآداب الشعبية .

وقد اعتمد طه حسين على هذا الأسلوب نفسه في الدعوة إلى تبديل النحو والخط حين قال (إن أئينا إلآ أن نمضى كما كان النحو وكما كانت الكتابة فلا بد أن تنشأ عن هذه اللغة العربية الفصحى القديمة لغات مختلفة كما نشأت الفرنسية والإيطالية والبرتغالية عن اللغة اللاتينية القديمة - ص ٢٣٨) . ويخدع الناس عن حقيقة ما يدعوهم إليه حين يعقب ذلك بقوله (وبعد فلا أدعو أن تهجروا القديم مطلقا ، وعسى أن أكون من أشد الناس محافظة على قديمنا العربي ، ولا سيما في الأدب واللغة . ولكن لم لا يكون النحو القديم والكتابة القديمة والبلاغة القديمة وكل هذه العلوم العربية التي أنشئت في عصر غير هذا العصر الذي نعيش فيه . . . لم لا يكون هذا كله متطورا كما تطورت اللغة ؟ نحفظ قديمه لدرس المتخصصين في الجامعات وفي المعاهد ونتيح للباينين البائسة من الصبية والشباب أن يتعلموا تعلما قريبا سهلا - ٢٣٨) .

والعجيب في الأمر أن منصور فهمى يشيد بعد ذلك فيما أحصاه من محاسن مجمع القاهرة بجهوده في (تيسير النحو والصرف والإملاء) و (دراسة اللهجات العربية) و (تيسير الكتابة والخط) . فهل أصبحت مهمة مجمع اللغة العربية في القاهرة هي دراسة اللهجات العامية وتبديل قواعد النحو والصرف والإملاء والكتابة بحيث يصبح أى أثر من آثارنا طليما من الطلاسم ، بل بحيث يكون هذا نفسه هو مصير كل أثر عربي معاصر لا يتبع مذهب مجمع القاهرة في التغيير والتبديل ؛ وماذا يحدث إذا نهج مجمعنا في تيسير النحو والصرف والبلاغة على غير منهج المجمع العربية الأخرى ؟ بل ماذا يحدث إذا اتفقت مجامع العرب على أشياء

ورفضها المسلمون ؟ لأن المسلمين إنما يدرسون هذه العلوم للاطلاع على مصادر دينهم ، وهي جميعا تستعمل اصطلاحات النحاة والبلاغيين التي يسمونها قديمة . وإذا انصرف الناس في مصر عن دراسة كتب (النحو القديم) و (البلاغة القديمة) كما يسميها طه حسين وحزبه ، وجروا وراء كل ناعق يزعم أن القواعد القديمة معقدة ، وذهب كل منهم مذهبه في استنباط قواعد جديدة ، وتسمية المسميات بأسماء مبتكرة فقدت الاصطلاحات قيمتها . فإنما ترجع قيمة الاصطلاح إلى تواضع الناس عليه ، فإذا اختلف الناس فيه لم يعد اصطلاحا . فإذا قال مثلا (هذا فاعل) لم يفهم عنه الذي يسمى الفاعل فاعلا لأنه قد ابتكر له اسماً جديداً فسماه (موضوعا) أو (أساسا) أو (مسنداً إليه) . وإذا قال أحدهما هذا حال أو تمييز أو ظرف أو مفعول معه أو مفعول لأجله لم يفهم الآخر الذي لا يميز بين حالة من هذه الحالات لأنه يسميها جميعا (تكلمة) . وقس على ذلك سائر قواعد النحو والبلاغة (١) .

والنحو العربي — ولا أقول « النحو القديم » كما يسمونه — ما عيبه ؟ وهل هو حقا كما يزعمون معتمد صعب ؟ وهل ثبت فشله كما يزعمون في تنشئة جيل عربي يقيم عربيته ويحسن تذوقها ؟ نحونا وبلاغتنا لا عيب فيهما . ومن الممكن تبسيطهما واختصار المطولات المؤلفة فيهما في حدود القواعد والأقسام التي التزمها القدماء أنفسهم . فالواقع أن اجتماع الناس في كل أمصار العرب — بل المسلمين — على قواعد موحدة ، دون أن تحملهم على ذلك قوة قاهرة أو تلزمهم به سلطة منفذة ، أو تقوم على نشره دعاية تروجه عصابات تسوق الناس إليه ، هذا الاجتماع على قواعد موحدة في النحو والصرف والبلاغة بعد أن كانت مدارسها متعددة هو وحده الدليل الحى الذى لا ينقض على صلاحية هذه القواعد ، وعلى أن هذه الدعوات إلى تغييرها بدعوى التيسير أو الإصلاح هي دعوات مفتعلة يروجها هدامون وينساق وراءها مغفلون . ولو كان القصد هو التيسير حتماً لقنعوا بصنيع لجنة (حفى ناصف ، ودياب ، وطوم ، ومحمود عمر ، وسليمان محمد) في كتاب (قواعد اللغة العربية لتلاميذ المدارس الثانوية) الذى ظلت مدارسنا تتداوله سنين طويلة . فقد نجحت هذه اللجنة في حصر قواعد النحو والصرف والبلاغة في كتيب صغير لا يتجاوز مائة وأربعين صفحة ، خال من التعقيد ، يفي بحاجة التلاميذ والمتعلمين . وقد كان صنيع الجارم من بعد ذلك حسنا حين يصر هذه القواعد ومهد

(١) راجع مجلة مجمع اللغة العربية ٦ : ١٨٨ وراجع كذلك كتاب القواعد الذى تداوله طلبة السنة الأولى من المرحلة الإعدادية في العام الدراسي المنصرم .

لها بالأمثلة الكثيرة ، وأعان على إقرارها بالتمرينات المتعددة ، وكان ذلك كله في حدود القواعد التي أثبتت ألف سنة صلاحيتها ، والتي استطاع العرب بفضلها وحدها - ولا شيء سواها - أن يخرجوا في القرن الأخير هذا الجيش الضخم من الشعراء والأدباء والنقاد الذين بلغ بعضهم مستوى أندادهم الأقدمين في أزهى عصور الشعر والأدب العربي . وذلك من بعد أن أدرك الضعف العربية حتى كاد يدينها من القبر . كيف وجد البارودي وشوقي ؟ وكيف نشأ محمد عبده وطبقته من الكتاب ؟ وكيف وجد الرافعي والمنفلوطي ؟ بل كيف وجد المناوون بهذه البدع أنفسهم مثل طه حسين وإبراهيم مصطفى ؟ كيف استقامت ألسنتهم وصحت أساليبهم ؟ وذلك من بعد الركافة التي تتمثل في كاتب كالجبرتي يعتبر من أحسن كتاب عصره ؟ هل أتقن هؤلاء العربية عن طريق آخر غير قواعد النحو والصرف والبلاغة التي يزعم الزاعمون اليوم أنها معقدة وغير صالحة ؟ فأيهما نصدق ؟ هل نصدق واقعا قائما ماثلا راسخا قديما أثبتته ألف سنة وأعادته لإثباته وتأكيده تجربة القرن الأخير ؟ أم نصدق مزاعم لم نر من آثارها منذ ظهرت إلا الشر وإلا التدهور والانحطاط في مستوى تدريس العربية ؟ إن انحطاط مستوى الجيل الحاضر في اللغة العربية أمر واقع ، ولكن سببه ليس هو صعوبة القواعد (القديمة) ، بل إن سببه هو زعم الزاعمين أنها معقدة ، لأنه قد صرف الناس عن إتقانها إلى التنقل بين تجارب فجة غير ناضجة ، وأعان على إقرار ما يتوهمه التلاميذ والمدرسون من صعوبتها ، بل اختلق هذا الوهم نفسه بعد أن لم يكن . والدليل على ذلك أن الجيل السابق لهذا الجيل - وهو جيل لا يزال كثير من أفراده أحياء - أحسن إتقاناً للعربية ، رغم أنه قد نشأ في ظل الاستعباد الإنجليزي وبرامجه ، أو في ظل سياسة التتريك التي جن بها دعاة الطورانية من الاتحاديين . وحسب الداعين بهذه الدعوة هزلا وفشلا ما اقترحوه على المدارس الإعدادية في العام الماضي من قواعد بيئة الضعف والفساد والهزال ، مما أرجو أن أعود للحديث عنه في غير هذا المقال . لم يزالوا يطلبون ويزمرون ويطنطنون ويهولون ، فلما رأى الناس المولود الذي كانوا يبشرون به من قبل قالوا (تمخض الجيل فولد فاراً) .

ولسكى ندرك خطر هذه الدعوات ونفهم حقيقة مغزاها لا بد لنا أن نقرنها إلى أمثالها ، فننظر إليها في ظل ما نسمعه من الدعوة إلى تطوير عاداتنا وتقاليدينا ، وتطوير أدبنا شعره ونثره شكلا وموضوعا وأسلوبا ، وتطوير ألحاننا وأغانينا ، وتطوير زينا نساء ورجالا ، وتطوير قيمنا ومثلنا الأخلاقية والاجتماعية ، وتطوير تشريعنا بل تطوير إسلامنا نفسه .

من أجل النظر في هذا كله وقرن بعضه إلى بعض عرف أن أصل هذه الفروع واحد ، وأن روح الدعوة فيها جميعاً واحدة ، وأن أصحابها لا يقنعون إلا بقطع كل ما يربطنا بإسلامنا وعروبتنا وشرقيتنا من وشائج وصلات . عند ذلك نفقد طابعنا الذى يميزنا بوصفنا جماعة أو قوماً أو أمة . وإذا فقدنا طابعنا فقدنا كياناتنا ، وفقدنا القدرة على التكتل والتجمع ، وأصبح من اليسير على الشرق أو الغرب أو كائنا من كان من خلق الله أن يلحقنا به ويجعلنا تابعين له ندور في فلكه ونسبح بحمده من دون الله .

والقائمون على ترويح هذه الدعوات كالجراثيم ، تسكن حين تأنس من الجسم مقاومة حتى يظن المريض أن الداء قد ذهب عنه ، ولكنها تتحصن في واقع الأمر حتى تجد فرصة أخرى ملائمة للظهور فتثور . وقد نشط أصحاب هذه الدعوات في السنوات الأخيرة ؛ لأنهم يعرفون أن الثورات هي أكثر الظروف ملائمة لبث سموهم ، إذ يلبسون ثياب الناصحين ، ويندسون في غمار الثائرين الذين يريدون أن يستبدلوا بأسباب الضعف والفساد أسباباً بالحياة والقوة والبناء ؛ كما يندس المخربون والمأجورون من عملاء العدو وسط جموع المظاهرات يحطمون المصابيح ويحرقون المنشآت ، فية لدهم غيرهم في صنيعهم دون تمييز بين ما يصلح تحطيمه وما يضر تحطيمه .

بقى بعد ذلك كله أن أشير إشارة موجزة إلى مصدر هذه الدعوة ، كيف بدأت ومن أين ثارت ، فقد يعين ذلك على تقديرها وعلى تصور ما تنطوى عليه من الصدق والإخلاص والبراءة من الهوى .

لم يسمع لداع بهذه الدعوة صوت قبل القرن الأخير . وكل ما كان قبل ذلك من إشارة إلى العامية أو ما كان يسميه قدماء المؤلفين (خطأ العوام) فقد كان المقصود به تقويم اللسان وانتبيه إلى الخطأ ، لا الاحتفاء بالفاظ العامة وأساليبهم وتسجيلها والدعوة إلى معارضة لغة القرآن بها . فالدعوة لم تنشأ إلا في ظل استعباد الغرب لبلاد العرب والمسلمين وفي حمايته من ناحية ، وفي حضانة التبشير من ناحية أخرى . ويكفى أن أذكر في ذلك على سبيل الاختصار أسماء سبتا Wilhelm Spitta وفولارز K. Vollers وباول A. Powell وفيلوت D. C. Phillott وبوريان M. Bouriant وماسبيرو M. Gaston Maspero

الذين قادوا هذه الدعوة في مصر منذ سنة ١٨٨٠ فظهر صداها في صحيفة المقتطف الشهرية أولاً سنة ١٨٨٢ (١) ثم انتقل إلى بقية الساسة .

جمع بعض هؤلاء المؤلفين أو الدعاة على الأصح - وكلهم ممن شغل وظائف عامة في ظل الاحتلال الإنجليزي لمصر - طائفة من الحكايات المتداولة بين طبقات العمال والكادحين في مصر ممن لم يصيبوا حظاً من التعليم ، ونادوا باتخاذ اللهجة التي كتبت بها هذه الآثار لغة للتدوين والتأليف والأدب الرفيع . ووضع بعضهم الآخر كتباً استنبط فيها قواعد للهجة مصر العامية - وقد اقتصر معظمهم على لهجة القاهرة - محاولاً إقناع المصريين بأن لهجتهم هذه لها كل مقومات اللغة الراقية . ولاك الناس كلامهم من بعد ، فردده كل بيضاء وكل بوق وكل سمسار وكل فاسد العقيدة مزعزع الإيمان . وائس في كلام هؤلاء جميعاً على اختلاف طبقاتهم ودرجاتهم - من لطفي السيد وحزبه إلى طه حسين وشيعته - فكرة جديدة . فكل ماقالوه وما يتولونه ترديد لما قاله هؤلاء . حتى الذين أكثروا من الكلام فيما سموه (الأدب الشعبي) وادعوا أنهم جمعوا فيه ما جمعوا من آثار لم يكونوا إلا ناقلين مما جمعه أمثال ماسبيرو وبوريان ، بل لقد اعتمدوا عليهم في تصنيف ما جمعوه وفي ترتيبه وتبريئه أيضاً . ولولا خشية الإطالة وضيق المقام لأوردت النصوص التي تثبت ما أقول . وبعد ، فقد وعد الله سبحانه أن يحفظ قرآنه ، إذ قال وقوله الحق (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) . وهل يكون حفظه إلا بحفظ لغته ؟ وإني لأعرف أن الهدامين من الإنس والجن أضعف كيداً من أن ينقضوا ما قضاه الله سبحانه . وإنما أقول ما أقول إبراءاً للذمة ، واعتناماً للأجر ، وخضوعاً لسنة الله الذي يضرب الحق والباطل ، والذي ألزم أهل الإيمان محاربة أهل الكفر والضلال ومكافحتهم ليلبو بعض الناس ببعض . وإنما هو قضاء سبق في علم الحكيم العليم وتقديره ، يشقى به المفسدون ومن تبعهم - وبعملهم يشقون - ويسعد به من هداهم الله للذود عن الحق والمناخة عن الدين ، في يوم يتبرأ فيه أئمة الشر ممن تبعوه ، ويقول الذين اتبعوه (لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرزوا منا . كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم . وما هم بخارجين من النار) . محمد محمد حسين

أستاذ الأدب العربي الحديث بجامعة الإسكندرية

(١) صلة فارس نمر صاحب المقتطف بالاحتلال الإنجليزي مشهورة معروفة . وقد كان المستر سمارت مستشار السفارة الإنجليزية - أو دار المندوب السامي كما كانت تسمى وقتذاك - زوجاً لابنته .

نقد كتاب

« أضواء على السنة المحمدية »

(٣)

ذكر المؤلف في ص ٨ أنه بعد أن لبث زمنا طويلا يبحث وينتقب بعد أن أخذ نفسه بالصبر والأناة ؟ انتهى إلى حقائق عجيبة ونتائج خطيرة « ذلك أنى وجدت أنه لا يكاد يوجد في كتب الحديث (كلها) مما سموه صحيحا أو ما جعلوه حسنا - حديث - قد جاء على حقيقة لفظه وبحكم تركيبه كما نطق به الرسول ... وقد يوجد بعض ألفاظ مفردة بقيت على حقيقتها في بعض الأحاديث القصيرة وذلك في القلة والندرة ، وتبين لى أن ما يسمونه في اصطلاحهم حديثا صحيحا إنما كانت صحته في نظر رواته لا أنه صحيح في ذاته .

وقد بلغ المؤلف الغاية في المجازفة في الحكم ، ونحن لا نقول : إن الأحاديث كلها رويت بألفاظها وكيف ؟ وقد ثبت أن القصة الواحدة أو الواقعة رويت بألفاظ مختلفة وإن كان المعنى واحدا ، ولا نقول : إن الأحاديث كلها رويت بالمعنى - كما زعم - وكيف ؟ ومن الأحاديث ما انفقت الروايات على لفظها ، أفلا يدل اتفاق الروايات على اللفظ أن هذا حقيقة اللفظ المسموع من الرسول ؟ ومن الأحاديث ما لا يشك متذوق البلاغة أنها من كلام أفصح العرب ، وأنها لن تخرج إلا من مشكاة النبوة ، ومن قبل أدرك أئمة في اللغة والبيان هذه الحقيقة فآلفوا السكتب في البلاغة النبوية .

ومما ينبغي التنبه إليه أن أكثر ما ترد الرواية باللفظ في الأحاديث القصيرة ، على أن ورود الرواية بالمعنى في الأحاديث الطويلة إنما تكون في الكلمة والكلمتين والثلاث ، وقبلها تكون الرواية بمعنى في جميع ألفاظ الحديث ، وهذا شيء نقوله عن دراسة واستقراء . وليس أدل على ذلك من أن حديث بدء الوحي المروى عن السيدة عائشة في الصحيحين وغيرها - وهو من الأحاديث الطويلة - لا تكاد تجد الرواة اختلفوا فيه إلا في بعض ألفاظ قليلة نادرة . وبحسبنا هذا الآن ، وعند مناقشته في بحث الرواية بالمعنى الذي عقده في كتابه سأفيض في الرد عليه ، وسأبين أن بعض ما استدلل به هو دليل عليه لاله ، وإليك ما قاله

في هذا الشأن إمام من أئمة الحديث - غير مدافع - وهو الحافظ ابن حجر قال « ومن أمثلة جوامع الكلم من الأحاديث النبوية حديث عائشة « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد » ، وحديث « كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل » متفق عليهما ، وحديث أبي هريرة « وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » وحديث المقداد « ما ملأ ابن آدم وعاءا شرا من بطنه » الحديث أخرجه الأربعة وصححه ابن حبان والحاكم ، إلى غير ذلك مما (يكثر) بالتبعية ، وإنما يسلم ذلك فيما لم تصرف الرواة في ألفاظه ، والطريق إلى معرفة ذلك أن تقلل مخرج الحديث وتتفق ألفاظه (١) .

وأزيد على ما ذكره الحافظ حديث « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » وحديث « الناس كيا بل مائة لا تجد فيها راحلة » وحديث « المؤمن للبؤ من كالبنيان يشد بعضه بعضا » وحديث « ترى المؤمنين في توادهم وتراحيمهم ، الخ ، وحديث « وهل يكب الناس في النار إلا حصائد ألسنتهم » ، وحديث « إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم » ، وحديث « الحياء من الإيمان » إلى غير ذلك من الأحاديث المتكاثرة التي جاءت على حقيقة لفظها ومحكم تركيبها .

أما ما ادعاه من أنه تبين له أن ما سموه صحيحا إنما هو في نظر رواته لا أنه صحيح في ذاته ، فشيء سبق به من ألف سنة أو تزيد فقد قال أئمة الحديث : أن الحكم على الحديث بالصحة أو الحسن أو الضعف إنما هو بحسب ما ظهر للإمام المحدث من تحقق شروط الصحة أو الحسن أو عدم تحققها ، وليس المراد أنه صحيح أو حسن أو ضعيف في الواقع ونفس الأمر ، إذ لا يعلم ذلك يقينا إلا علام الغيوب ، وأنه يجوز - عقلا - أن يكذب الصادق ويصدق الكذوب ، وهذا التجويز العقلي دعاهم إليه التعمق في البحث والتأني في النظر والتثبت في الحكم وبلوغ الغاية في النصفة .

* * *

قال في ص (١٠) : ولو أن الحديث دون في عصر النبي صلى الله عليه وسلم كما دون القرآن واتخذ له من وسائل التحري والدقة ما اتخذ للقرآن لجاء كله (متواترا) كذلك ، ولما اختلف المسلمون فيه هذا الاختلاف الشديد الخ ما قال .

وكان المؤلف منهم أن السبب في تواتر القرآن كونه كتب في العصر النبوي ، والحق خلاف ذلك . فالتواتر إنما جاء في القرآن الكريم من جهة لفظه ونقله ، فقد تلقاه عن النبي صلى الله عليه وسلم وحفظه الألف من الصحابة ، وعن هؤلاء أخذته الألوف المؤلفة من التابعين ، وهكذا تلقاه العدد الكثير الذي يثبت بهم التواتر عن العدد الكثير حتى وصل إلينا متواترا وسيستمر كذلك حتى يرث الله الأرض وما عليها ، فالمعول عليه في تواتر القرآن هو الحفظ والتلقي الشفاهي لا الأخذ من الصحف ، أما الكتابة فقد كانت من دواعي الثبوت والحفظ ليجتمع للقرآن الوجودان : الوجود في الصدور ، والوجود في الصحائف والصدور ، كما كانت معتمد الجامعين للقرآن في الصحف والمصاحف في عهدي أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما ، فقد كانوا حريصين أن يكتبوه من عين ما كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ، ولو أن السنة دونت في العهد النبوي ولكن لم يحفظها من يقيم بهم التواتر لما جاءت كلها متواترة - كما زعم -^(١) فالعبرة في التواتر وعدمه إنما هو رواية الكثيرين أو عدم روايتهم . ومع أن السنة لم تدون في العصر النبوي فقد جاء بعضها متواترا ، وإن كان قليلا ، ولو أن المعول عليه في التواتر الكتابة لكانت الكتب التي دونت وأحيطت بالعباية والدقة كلها متواترة وأنى هي ؟ .

* * *

ذكر في ص (١٧) أنهم جعلوا السنة القولية في الدرجة الثانية أو الدرجة الثالثة من الدين وأنها تلي القرآن في المرتبة ، وبعد أسطر قال : وأما الذي هو في الدرجة الثانية من الدين فهو السنة العملية ، ومفهومه أن السنة القولية ليست في الدرجة الثانية . ولاندرى ما منشأ هذا الاضطراب وعدم الثبوت على رأى حتى خالف عجز كلامه صدره ؟ !! ثم ساق كلام الإمام الشاطبي في الاعتصام وليس في كلام الشاطبي ما يشهد للتفرقة بين السنة القولية والعملية ، بل دل كلام الشاطبي على أن المراد بالسنة القول والفعل والتقرير ، ثم نقل السيد رشيد رضا قوله « والعمدة في الدين كتاب الله تعالى في المرتبة الأولى والسنة العملية المتفق عليها في المرتبة الثانية ، وما ثبت عن النبي وأحاديث الآحاد فيها رواية ودلالة في الدرجة الثالثة ، ومن عمل بالمتفق عليه كان مسلما ناجحاً في الآخرة مقرباً عند الله تعالى وقد قرر ذلك الغزالي » .

(١) عرف العلماء المتواتر بأنه ما رواه جمع يجبل العقل تواطؤهم على الكذب ، وقالوا : إنه يفيد العلم اليقيني ، والآحاد ما ليس كذلك .

فها أنت ترى أن ما نقله ليس فيه ما يشهد لما اضطرب فيه من كلامه ، والذي عليه المحققون أن السنة - قولا وعملا وتقريراً - هي الأصل الثاني ، والأصل الأول هو الكتاب « على أن ما ذكره السيد رشيد وجعله في المرتبة الثانية هو السنة العملية المتفق عليها لامطلق سنة عملية ومثل هذا كان في حاجة إلى تحرير ، لا أن يدع القارىء في مهمة من الشك والاضطراب .

في ص (٢٩) تحت عنوان « الصحابة ورواية الحديث » قال : وفي رواية ابن حزم في الأحكام أنه حبس ابن مسعود وأبا موسى وأبا الدرداء في المدينة على الإكثار من الحديث .

وقد تجنى المؤلف على الحقيقة ، وابن حزم ما تجنى . فقد أوهم القارىء أن ابن حزم رواه ، وليس من روايته قطعاً ، وإنما ذكره في كتابه ، وفرق بين الذكر والرواية كما يعلم ذلك المبتدئون في علم الحديث ، وأوهم القارىء أيضاً أنه ارتضاه ، وابن حزم برىء منه ، وإنما زيفه وبين بطلانه ، وإليك ما ذكره ابن حزم في الأحكام : « وروى عن عمر أنه حبس ابن مسعود من أجل الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا الدرداء وأبا ذر » . فقد ذكره بصيغة « روى » الدالة على التضعيف ، ولو كان من روايته لقال : وروينا ؛ وقد طعن ابن حزم في الرواية بالانقطاع لأن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف رواه عن عمر لم يسمع منه ، والمنقطع من قبيل الضعيف لا يحتاج به ، لجواز أن يكون البلاء في الرواية من المحدثين وأنه هو الذي اختلقها . ثم قال ابن حزم (١) : « إنه - أى الخبر - في نفسه ظاهر الكذب والتوابع ، لأنه لا يخلو عمر من أن يكون اتهم الصحابة وفي هذا ما فيه ، أو يكون نهى عن نفس الحديث وعن تبليغ السنن وألزمهم كتبها وحجدها وهذا خروج عن الإسلام ، وقد أعاد الله أمير المؤمنين من كل ذلك ، وهذا قول لا يقوله مسلم أصلاً ، ولئن كان حبسهم وهم غير متهمين لقد ظلمهم فليختر المحتج لمذهبه الفاسد بمثل هذه الروايات المطعونة أى الطريقتين الخبيثتين شاء » . هذا ما قاله ابن حزم ، فهل بعد هذا يزعم المؤلف لنفسه الأمانة في النقل ؟ ! ولو أن القارىء المثبت تشكك فيما ينقله هذا الرجل عن العلماء ألا يكون معذوراً ؟ ؟ ومن دواعي تزيف الرواية أن ابن مسعود كان يتبع

مذهب عمر وطريقته ، وكان يقول : لو سلك الناس وادياً وشعباً وسلك عمر وادياً وشعباً لسلكت وادى عمر وشعبه . وقد أرسله عمر إلى الكوفة ليعلم أهلها ، وقال لهم : لقد آثرتكم بعبد الله على نفسي . فكيف يعقل أن يخالف عمر في التقليل من الرواية ؟ وكيف يعقل من عمر أن يحبسها ؟ ؟

ثم كيف غفل المؤلف عن هذا النقد للبتن وهو الذى أنحى على المحدثين باللائمة لأنهم أغفلوا جميعاً نقد المتن ، وأنه هو الذى جاء - فى نقد المتن - بما لم يبلغه الأوائل مما زعمه تداً - والله أعلم - أنه تهجم وتناول ؟ ؟ ؟ !

بل كيف غفل المؤلف عما يناقض هذا وهو ما ذكره بعد صحيفة واحدة فى ص (٣١) عن عمر بن ميمون قال : اختلفت إلى عبد الله بن مسعود سنة فما سمعته فيها يحدث عن رسول الله ولا يقول : قال رسول الله . وأنه حدث ذات يوم بحديث فعلاه السكر حتى رأيت العرق يتحدر عن جبينه ؟ وهل يليق به - وقد زعم أنه شيخ النقد - أن يأتى بروايات تناقض أولها آخرها وآخرها أولها من غير أن يعرض لبيان مفصل الحق فيها ؟

السر فى هذا يا أخى القارى أن المؤلف يأخذ ما يشاء بهواه ، ويدع ما يشاء بهواه ، وأنه خطف هذا الكلام خطأ من كلام بعض المستشرقين [١] الذين يتتبعون شواذ الروايات ومنحوها ، ونسبه إلى ابن حزم كى يضمنى عليه شيئاً من القبول .

وفى ص ٣٧ عرض لحديث « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » وذكر ما قاله الحافظ ابن حجر من ورود الحديث فى بعض رواياته بدون « متعمداً » ، وفى بعضها بذكرها فى الصحيحين وغيرهما ، ثم قال : ولكن من حقق النظر وأبعد النجعة فى مطارح البحث يجد أن الروايات الصحيحة التى جاءت عن كبار الصحابة ومنهم ثلاثة من الخلفاء الراشدين لم تكن فيه تلك الكلمة « متعمداً » ، وكل ذى لب يستبعد أن يكون النبي قد نطق بها . . . ولعل هذه اللفظة قد تسلفت إلى هذا الحديث من طريق الإدراج المعروف عند العلماء ليسوغ بها الذين يضعون الحديث على رسول الله حسبة - من غير عمد - أو يتكى عليها

[١] أنظر كتاب « نظرة فى تاريخ الفقه الإسلامى » ص ٧١ لرى أنه خطف هذه الرواية المدسوسة من غير تثبت وتحرر .

الرواة فيما يروونه عن غيرهم على سبيل الخطأ أو الوهم أو بسوء الفهم لكي لا يكون عليهم حرج في ذلك ، لأن النحطى غير مأثوم : وهكذا نجد له لا يمتنع بما قاله الحافظ الكبير ابن حجر ليطالع علينا هذه الفروض والتحلات !!!
وإليك بيان مفصل الحق في هذا :

١ — روى هذا الحديث من طرق متكاثرة عن كثير من الصحابة في الصحيحين وغيرهما ، حتى قد أوصلها بعض المحدثين إلى المائة ما بين صحيح وحسن وضعيف ، والحق أن الحديث روى بهذا اللفظ من طرق تصل به إلى درجة المتواتر ، كما حقق ذلك الحافظ في الفتح ^(١) . وأما وصول طريقه إلى هذا العدد الضخم فذلك فيما ورد في مطلق ذم الكذب على النبي لا في هذا اللفظ بعينه ولا في خصوص هذا الوعيد ، ثم إنه لم يصح عن أحد من الخلفاء إلا عن علي في الصحيحين وعن عثمان في غير الصحيحين ، لا عن ثلاثة من الخلفاء كما زعم المؤلف ^(٢) ، وقد جاءت كلمة « متعمداً » في أغلب روايات الصحيحين ^(٣) وغيرهما من الكتب المعتمدة وطرق ذكرها أكثر من طرق تركها وأقوى ، فقد وردت في الصحيحين عن أنس وأبي هريرة والمغيرة بن شعبة وعبد الله بن عمرو بن العاص ، ولم ترد في رواية على ولا الزبير بن العوام . والقاعدة عند نقاد الحديث وغيرهم أنه إذا تعارضت الروايات رجح الأكثر والأقوى ، وهنا ترجح روايات ذكر اللفظ ويحمل المطلق على المقيد . ومن دواعي ترجيح الزيادة أنها جاءت عن الزبير بن العوام في مستخرج الإسماعيلي وفي سنن ابن ماجه ^(٤) ، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ ، كما أن الزيادة جاءت في رواية عبد الله بن عمرو بن العاص وكان قارئاً كاتباً - كما في الصحيح - فرواياته أوثق من غيره .

٢ — ما زعمه من أن هذه الكلمة وضعت ليسوغ بها الخ غير معقول ، ولا أدري - ولا أحد يدري - كيف يجتمع الوضع حسبة مع عدم التعمد ؟ إن معنى الحسبة أن يقصد الواضع وجه الله وثوابه وخدمة الشريعة - على حسب زعمه - بالترغيب في فعل الخير

[١] ج ١ ص ١٦٤ وما بعدها .

[٢] المرجع السابق فقد سرد فيه أسماء من روى عنهم من الصحابة بطريق صحيح أو حسن .

[٣] صحيح البخارى ، كتاب العلم ، باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم ، صحيح مسلم شرح النووي ، ج ١ ص ٦٥ - ٧٠ .

[٤] فتح البارى ، ج ١ ص ١٦٢ .

والفضائل ، وهم قوم من جهة الصوفية والكرامية جوزوا الوضع في الترغيب والترهيب ، فكيف يجامع قصد الوضع عـدم التعمد ؟ !! وتفسير الحسبة بأنها عن غير عمد غير مقبول ولا مسلم .

وأما تجويزه أنها أدرجت ليتسكى عليها الرواة الخ فردود ، ذلك أن رفع إثم الخطأ أو السهو ليس بهذه الكلمة وإنما ثبت بأدلة أخرى وقد تقرر في الشريعة أنه لا إثم على المخطئ والناسي ما لم يكن بتقصير منه ، فذكر الكلمة لا يفيد هؤلاء الرواة شيئاً ما دام هذا أمراً مقرباً ، والسري في ذكرها أن الحديث لما رتب وعيداً شديداً على الكذب ، والمخطئ والساهي والناسي لا إثم عليهم ، كان من الدقة والحيطه في التعبير التقييد بالعمد وذلك لرفع توهم الإثم على المخطئ والغالط والناسي ، قال الإمام النووي في شرحه على مسلم (١) « وأما الكذب فهو عند المتكلمين من أصحابنا : الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو عليه عمداً كان أو سهواً ، هذا مذهب أهل السنة . وقال المعتزلة : شرطه العمدية . ودليل خطاب هذه الأحاديث لنا فإنه قيد عليه السلام بالعمد لكونه قد يكون عمداً وقد يكون سهواً ، مع أن الإجماع والنصوص المشهورة في الكتاب والسنة متظاهرة على أنه لا إثم على الناسي والغالط فلو أطلق عليه السلام الكذب لتوهم أنه يآثم الناسي أيضاً فقيده ، وأما الروايات المطلقة فمحمولة على المتعمدة بالعمد والله أعلم . »

على أن أئمة الحديث وإن قالوا برفع الإثم عن الخاطئ والناسي والغالط ، فقد جعلوا ما ألحق بالحديث غلطاً أو سهواً أو خطأ من قبيل الشبهة بالموضوع في كونه كذباً في نسبته إلى الرسول ، ولا تحل روايته إلا بمقتربنا ببيان أمره ، وإلى هذا ذهب الخليل وابن الصلاح والعراقي وغيرهم ، وقد اعتبره بعض أئمة الجرح - كابن معين وابن أبي حاتم - من قبيل الموضوع المختلق ، وذهب بعض الأئمة إلى أنه من قبيل المدرج ، ومهما يكن من شيء فقد جعلوا هذا النوع من الغلط أو الوهم مما يطعن في عدالة الراوي وضبطه .

٣ — من عجيب أمر هذا المؤلف أنه يتبع طريقة « لا تقربوا الصلاة » ويترك « وأتم سكارى » ، وقد رأيت آنفاً ما صنعه فيما نقله عن ابن حزم من حبس عمر رضي الله عنه لثلاثة من كبار الصحابة على التحديث ، وقد صنع هنا في حديث (من كذب على معتمداً الخ)

مثل ما صنع سابقا ، فقد نقل عن الحافظ ابن حجر أنه لا يرى تواتر حديث من كذب على الخ حيث قال - في ص ٤٢ - « ولأجل كثرة طرقه أطلق عليه (جماعة) أنه (متواتر) ونازع بعض مشايخنا في ذلك ؛ لأن شرط المتواتر استواء طرفيه وما بينهما في الكثرة ، وليست موجودة في كل طريق منها . واقتصر على هذا القدر ، وقد ترك ما ذكره الحافظ عقب هذا وهو ما نصه (١) بالحرف الواحد « وأجيب بأن المراد بإطلاق كونه متواترا رواية المجموع عن المجموع من ابتدائه إلى انتهائه في كل عصر ، وهذا كاف في إفادة العلم ؛ وأيضا فطريق أنس وحدها قد رواها عنه العدد الكثير وتواترت عنهم ، نعم وحديث على رواه عنه ستة من مشاهير التابعين وثقاتهم .

وكذا حديث ابن مسعود وأبي هريرة وعبدالله بن عمر . فلو قيل في كل منها : إنه متواتر عن صحابه لكان صحيحا ، فإن العدد المعين لا يشترط في المتواتر ، بل ما أفاد العلم كفى ، والصفات العلمية في الرواة تقوم مقام العدد أو تزيد عليه كما قررت في نكت « علوم الحديث » وفي شرح « نخبه الفكر » وبينت هناك الرد على من ادعى أن مثال المتواتر لا يوجد إلا في هذا الحديث ، وبينت أن أمثله كثيرة منها حديث (من بنى لله مسجدا) والمسح على الخفين ، ورفع اليدين ، والشفاعة ، والحوض ، ورؤية الله في الآخرة ، والأئمة من قریش وغير ذلك . والله المستعان .

والظاهر أن قوله وأيضا الخ ، من كلام الحافظ لا من نقله . فهل بعد هذا الكلام الصريح الذي تعمد المؤلف تركه يزعم أن الحافظ ابن حجر لا يقول بتواتره كما هو خوى كلامه ؟ ! أما ما ذكره في حاشية ص ٣٩ من أن أدعياء السنة وعبيد الأسانيد في عصرنا لا يزالون يكابرون في إثبات الزيادة وكأنهم أعلم بالحديث من ابن قتيبة والبخارى والنسائي والمنذرى والخطابي وابن حجر وابن القيم والسيوطي وغيرهم ، فهراء لأرد عليه ، ولكني أقول له : ألا تستحي من ذكر البخارى وهو الذى خرج الزيادة في أكثر رواياته ؟ بل ومن ذكر الحافظ ابن حجر الذى أفاض في بيان ثبوتها ؟ وصدق النبي الحكيم حيث يقول : (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما تشاء) ؟

محمد محمد أبو شهبه

الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين

هل من جديد

في تأليف السيرة النبوية؟؟

يحتفل المسلمون في شتى أقطارهم بذكرى مولد رسولهم ، وهي ذكرى توجهننا إلى سيرة الرسول الكريم وحظها من الدراسة والعلم ، فضلاً عن الاقتداء والاتباع .

وكتب السيرة التي بين أيدي الناس متعددة منها القديم والجديد ، ومن أشهر القديم مغازى الواقدي (المتوفى ٢٠٧ أو ٢٠٩ هـ) ، وسيرة ابن هشام (المتوفى ٢١٨ هـ) ، وطبقات ابن سعد (المتوفى ٢٣٠ هـ) وكل هذه الكتب من أقدم ما كتب في السيرة ، وقد أعقبتها تأليف أخرى مثل جوامع السيرة لابن حزم (المتوفى ٤٥٦ هـ) وإمتاع الأسماع للبقرizi (المتوفى ٨٤٥ هـ) . فضلاً عما استهل به المؤرخون المسلمون تأليفهم في التاريخ الإسلامي العام من فصول في السيرة ، تقرأها فيما كتبه الطبري وابن الأثير ... الخ ثم شهدت المكتبة الحديثة مؤلفات متعددة في السيرة النبوية ، منها ما كتبه علماء المسلمين بالعربية وغيرها من اللغات الشرقية ، ومنها ما كتبه علماء المشرقيات من الأوروبيين بلغاتهم .

* * *

وللسيرة النبوية مكانها الممتاز من الدراسات الإسلامية ، إذ لها أهميتها الشرعية « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً » ، ولها أهميتها التاريخية كمنهج داعية ، وخطة دعوة ، وسياسة دولة .

ولقد تأثر التأليف في السيرة النبوية منذ أقدم عهوده بظروف معينة ، تعرض لها تدوين التاريخ الإسلامي عموماً ، من ذلك ارتباط التأليف التاريخي بمنهج الرواية في الحديث التي تستدعي بصرأ ثاقباً بالرواة والمرويات يؤهل للتعديل والتجريح ، ومن ذلك انصراف معظم الجهود للفصل في إسناد (أحاديث الأحكام) التي يحتاج إليها المسلمون في عبادتهم ومعاملاتهم

وترك حقل (الإخباريات) بكرة يتطلب الجهود في تمحيص المادة الخام المتخلفة من عديد الروايات ، والاهتداء بعلم الرجال في الحكم على ما نأخذه وما ندعه من الأخبار المتباينة .

لذلك يحتاج التاريخ الإسلامى عموماً - والسيرة النبوية جزء منه - إلى مناقشة وعرض على الأسس العلمية التى اتبعها نقاد الحديث ، والغريب أن بعض المستشرقين قد انتبهوا إلى ذلك فى حين فات هذا كثيراً من المسلمين . والمستشرق الألمانى يوليوس فلهاوزن يقول فى مقدمة كتابه عن الدولة العربية الذى نشرت ترجمته مؤخراً فى مصر بين مطبوعات الألف كتاب - وتاريخ المقدمة يرجع إلى ١٩٠٢ م - « إن الروايات القديمة المتعلقة بعصر بنى أمية توجد حتى اليوم على أوثق ما تكون عليه عند الطبرى ... » ثم يناقش المؤلف رواة الطبرى ويقول عن أبى مخنف « ... وسلسلة الرواة الذين يذكروهم هى دائماً قصيرة جداً ، وهى أخيراً تنكشف انكشافاً تاماً نظراً إلى أن المسافة التى تفصل بينه وبين الأحداث التاريخية التى روى أخبارها كانت لا تزال تقصر شيئاً فشيئاً ، هذا إلى أن سلسلة الرواة تنوع بحسب اختلاف الأحداث وتنوع الروايات الخاصة بها ، بحيث نجد أماناً طائفة كبيرة جداً من أسماء رواة نجلهم جهلاً تاماً ... وكيف كان يمكن أن يسلك أبو مخنف فيما كتب طريقاً غير الذى سلكه ؟ فلم تقدم له المصادر المكتوبة مادة كبيرة يستطيع أن يعتمد عليها ، وهو قد انتفع بها ما كانت فى متناول يده ، ولكن من غير أن يجتهد فى البحث عنها وفى جعلها أساساً على نحو منظم ، وأهم ما صنع من حيث تقدير قيمة الروايات هو أنه جمع طائفة كبيرة من روايات متنوعة ومن أخبار عن الشيء الواحد مختلفة فى مصادرها ، بحيث يستطيع الإنسان أن يوازن بينها ويعرف الصحيح المؤكد منها من غيره ... » ١ . هـ

هذا كلام أجنبى عن لغة العرب وثقافتهم ، يلقى العنت فى فهمها وهضمها وتذوقها ، أما مؤلفونا العرب فما أكثر ما ينقلون دون أن يكلفوا خاطرهم تحقيق رواية أو تمحيص سند ، وكثير منهم قد لا يعرفون (حكاية الرواية والإسناد) على وجه الإطلاق . والذى يرى ما تكبده مستشرق مثل بروفسال فى تحقيق كتب أنساب العرب - مثل كتابى ابن حزم وأبى عبد الله الزبيرى اللذين نشرتهما دار المعارف فى مصر - يتبين كم نحتاج من عزم وعلم وأمانة لتبئين تاريخ أسلافنا .

وتاريخ السيرة النبوية يرجع في أقدم مصادره الموجودة إلى ابن اسحق (المتوفى حوالي سنة ١٥٢ هـ) وهو الذي أخذ عنه ابن هشام . كما يرجع إلى الواقدي الذي أخذ عنه كاتبه ابن سعد في كتابه (الطبقات) .

والذي يقرأ ما تناقلته الآراء عن ابن اسحق والواقدي ، يجد أن منزلتهما بين الرواة ليست كنزلة رجال الحديث ، ويجد أن (السيرة) ما زالت تحتاج إلى جهود كثيرة في جمع المادة التاريخية من مصادرها الوثيقة ، فضلاً عن تحليلها وتركيبها .

فقول الروايات عن ابن اسحق « وقد عاداه في المدينة عالمان كبيران : هشام بن عروة ابن الزبير ، ومالك بن أنس . وكان ابن شهاب الزهري وغيره يثنون عليه ، وقد اتهم بالتشيع والقول في القدر » .

ولما رحل إلى العراق اختلف العلماء فيه هناك كما اختلفوا فيه في المدينة من مجرح ومعدل ، وقد عقد الخطيب البغدادي فصلاً طويلاً حكى فيه الأقوال التي قيلت له والتي قيلت عليه ، ولم يحكم بينها كعادته ، ووقف بعضهم في ذلك موقفاً وسطاً فقالوا : إن سعة علمه لا تنكر ، وإنه لم يكن كاذباً ، ولكنه كان قديراً وكان يتشيع ، وكان لا يتقيد بالقيود الكثيرة التي لا يتقيد بها ثقات المحدثين ، فيقول فيه ابن حنبل « كان رجلاً يشتهي الحديث فيأخذ كتب الناس فيضعها في كتبه » والمحدثون لا يرضون هذا ويشترطون السماع ، و « كان يحدث عن جماعة بالحديث الواحد ولا يفضل ذا من ذا » والمحدثون يكرهون ذلك ويشددون في نسبة كل جزء من الحديث إلى قائله ونكتفي بهذه المأخذ العلوية التي أجعلها صاحب (ضحى الإسلام) نقلاً عن المراجع التاريخية .

وتقويم (ابن اسحق) كراوية أمر شديد الأهمية في دراسة السيرة ، إذ هي منهل توارث عليه مؤرخو السيرة ، فسيرة ابن هشام - وهي مصدر له خطره في هذا الباب - مستمدة مما رواه ابن اسحق ، وكذلك الحال في سيرة ابن حزم . يقول محققا السيرة الأخيرة - الدكتوران إحسان عباس وناصر الدين الأسد - في تقديم الكتاب « ويدلنا البناء العام لكتاب السيرة على أن ابن حزم يتكئ كثيراً على سيرة ابن اسحق وخاصة حين أخذ في الحديث عن غزوات الرسول واحدة واحدة ، وعد في كل غزوة أسماء من شهدا من

المسلمين والمشركون وأسماء من استشهد من المسلمين . حتى إن شدة اتباعه لرواية ابن اسحق في هذه المواطن لتطلعنا على ظاهرة عجيبة ، فقد حافظ ابن حزم على النسب الكامل لأكثر من ذكرهم من الأشخاص ، وليس هذا مما يستغرب منه وهو صاحب (الجمهرة في الأنساب) ، إنما الغريب حقا أنه في السيرة اختار رواية ابن اسحق نفسه في النسب بينما لم يأخذ بها في الجمهرة ، فلعله ألف الكتابين في فترتين متباعدتين ، أو لعل مصادره في الجمهرة كانت كتباً أخرى ... » .

وأما الواقدي فيجمل الآراء فيه صاحب الضحى فيقول : « وقد وقف في الواقدي المحدثون موقفهم من ابن اسحق من معدل ومجرح ، وحكى أقوالهم أيضا على اختلافها الخطيب البغدادي . فكان يثق به مالك ولا يثق بابن اسحق ، وكان يثق به محمد بن الحسن من الحنفية ، واتبه بعضهم بأمير المؤمنين في الحديث ، ويثق به ابن عبيد القاسم بن سلام اللغوي الشافعي ، كما كان يطعن عليه على المديني ويقول « عند الواقدي عشرون ألف حديث لم يسمع بها » ويتول يحيى بن معين « أغرب الواقدي على رسول الله عشرين ألف حديث » وقال أحمد ابن حنبل : « الواقدي يركب الأسانيد » وقال الشافعي « الواقدي وصل حديثين » أي لا يصح أن يوصلا . . . والظاهر أن مطعن المحدثين عليه كقطعهم على ابن اسحق : أنه يأخذ من الصحف والكتب ، وأنه كان يجمع الأسانيد المختلفة ويحجى بالمتن واحدا ، مع أن جزءا من المتن لبعض الرواة وجزء آخر لرواة آخرين . . . » .

والواقدي هو مصدر ابن سعد ، لكن الأخير حظى من الخطيب البغدادي بهذا التمدير « محمد بن سعد عندنا من أهل العدالة ، وحديثه يدل على صدقه ، فإنه يتحرى في كثير من رواياته » .

* * *

لست أريد أن أفصل في قضية توثيق ابن اسحق أو الواقدي ، ففي الموضوع كلام كثير يستطيع من يتطلب هذا المقصد أن يراجع في كتب التاريخ والتراجم ، وفي الأبحاث التي عقدها بعض المحققين في معرض تقديم طبعات حديثة من كتب السيرة القديمة ،

ولست أريد أن « أشوش » على قيمة المادة التاريخية الموجودة بيننا من سيرة الرسول ، بل إنني لأردد مع علامة الهند السيد سليمان الندوي « لقد شهدت الدنيا أصدق شهادة ،

ثم ازداد ثبوتاً على الأيام بأن الإسلام لم يقتصر على حفظ سيرته صلى الله عليه وسلم ، بل توسع في ذلك إلى ما يتعلق بها من كل النواحي وصان هذه الأمانة القدسية فلم تلبسها يد الضياع إلى درجة أن العالم كله يتف من ذلك موقف العجب والاستغراب ! ،

ما السبيل إذن إلى هذه الكنوز المذخورة ، ومؤرخو السيرة يقال عنهم ما يقال ؟ .

يجب أن يعرف كل دراس للإسلام حقيقة تين مهمتين في هذا الصدد :

الحقيقة الأولى : أن كتب السيرة ليست هي المصدر الفرد الذي تنحصر فيه مادة السيرة التاريخية ، بل وليست هي أول المصادر وأهمها . فالسيرة مشبوثة في كثير من آيات القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما من دواوين الإسلام المعتمدة .

الحقيقة الثانية : أن هناك فارقاً بين تدوين السيرة - وما فيه من مآخذ - وتدوين الحديث وما فيه من قواعد ضابطة مضبوطة : والعلبان وإن كانا يتعلقان بشخصية الرسول الكريم إلا أن ظروف التأليف فيهما ليست واحدة .

ولقد بذل الأستاذ محمد عزة دروزة جهداً طيباً في كتابة السيرة معتمداً على نصوص القرآن الكريم أساساً وينبغي أن تتعدد المحاولات في هذا الباب ، كما ينبغي أن تبذل محاولات لكتابة السيرة بالاعتماد على ما ورد في صحاح الأحاديث والسنن وهي المصدر الأول لها :

ولا يحسن القارئ أن مادة السيرة التاريخية ستضرب مواردنا إذا تركنا كتب السيرة المتداولة - وأنا لا أدعو إلى هذا الترك على كل حال - بل إننا سنجد ذخيرة موفورة في كتب الحديث . ولو تأملنا كتاباً للحديث كصحيح البخاري مثلاً فإننا سنجد فيه كثيراً من الأبواب التي تتناول المادة التاريخية للسيرة النبوية من قريب أو بعيد مثل « بدء الوحي . فضائل المدينة . الجهاد والسير . المناقب . فضائل أصحاب النبي . مناقب الأنصار . المغازي . الفتن ، الأحكام . الخ » ، وسنجد المادة التاريخية مشبوثة في تضاعيف بعض أبواب الأحكام نفسها ففي الصلاة والأذان والجمعة وصلاة الخوف وصلاة العيدين وقصر الصلاة والزكاة والحج والصوم والنكاح بيان لمناسبات فرض هذه الأحكام مما يتعلق بالسيرة النبوية على وجه من الوجوه .

وكي أزيد القارئ بياناً وبقيناً سأضع أمام عينيه نموذجاً تطبيقياً . وضع الأستاذ فسنسك معجماً للكشف عن الأحاديث النبوية ومواقعها في الكتب المعتمدة ، فلو فتحنا

مادة (محمد صلى الله عليه وسلم) لوجدنا أحاديث صحيحة في كتب السنة تدور حول كثير من موضوعات السيرة أقطف منها ما يلي ليتبين القارى غزارة المادة التى نصيها لو اعتمدنا على كتب الحديث :

« نسبه ... لم يكن بطن من قريش إلا لرسول الله فيهم قرابة ... ولادته عام الفيل . الترتيب التاريخي للوقائع في حياة الرسول ... ما حصل وقت ولادته ... رضاعه في بني سعد . شريك النبي في الجاهلية في التجارة . عنايته بشد إزاره وهو ينقل الحجارة مع عمه العباس . أشد ما لقي من قومه يوم عرض نفسه على ابن عبد ياليل . كيف ألقى سلى جزور على ظهره وهو ساجد ... الخ » .

ويطول بي الأمر لو أردت (عناوين) فقط استغرقت خمسا وعشرين صفحة من القطع الكبير ، وتحت هذه العناوين إشارات لأحاديث متعددة وردت في كتب السنة تتناول الموضوعات التى تعبر عنها هذه العناوين ، هذا فضلا عن إحالات لموضوعات بحثت في مواد أخرى غير مادة (محمد) التى نحن بصدها ، مثل (قريش ... الهجرة ... الشفاعة ... الحديبية ... فاطمة ... الخ) .

وعلماء السيرة يعرفون هذه الحقيقة البديهية ويوضحونها ، يقول علامة الهند سليمان الندوى في محاضراته عن (الرسالة المحمدية) : « وأريد أن ألفت أنظاركم إلى المصادر التى أخذت عنها سيرة النبي وهديه ، وإن أهم ما فى سيرته وأوثقها هو ما اقتبس من القرآن الحكيم ، والمصدر الثانى كتب الحديث ، وهى كتب حفظت لنا من أقوال النبي وأفعاله وأحواله ما يبلغ مائة ألف حديث ، ومن الكتب المصنفة فى الحديث الكتب الستة الصحاح التى محص العلماء كل ما ورد فيها وذكروا شواهدهم ومتابعاته ، حتى لم يتركوا فى النفوس منزع ظفر لمحقق منصف بل ولا لمدقق جائر ، ويتلو الكتب السنة كتب المسانيد ... ، وقد ذكر بعد ذلك كتب المغازى والتاريخ والدلائل والشئائل .

وبالنسبة لوفرة المادة التاريخية فى كنوز السنة يذكر الأستاذ الندوى « . . أما المحدثون الكرام من علماء المسلمين فقد جمعوا كل ماله علاقة بالنبي صحيحا كان أو سقيا ، وجعلوا لنقد قواعده وأصلوا لتحقيقها أصولا ، وهم قد حفظوا شئون حياة النبي وأحواله وأخباره كلها

ولم يتركوا أمراً من أموره ولا شأناً من شؤنه إلا ذكروه ، حتى لقد وصفوه في قيامه وجلسه ونهوضه من النوم ، وهيبته في ضحكته وابتسامته ، وعبادته في ليله ونهاره ، وكيف كان يفعل إذا اغتسل وإذا أكل ، وكيف كان يشرب ، وماذا كان يلبس ، وكيف يتحدث إلى الناس إذا لقيهم ، وما كان يجب من الألوان ومن الطيب ، وما هي حليته وشمائله ، ووصفوا جسده الطاهر وصفاً كاملاً كأنك تراه ، ووصفوا حياته العائلية من معاشرة الرجل أهله وحليته ، وأتبعوا ذلك بذكر الطهارة من الغسل . . . وأستعرض لكم فهرسة أقدم كتاب في الشمائل للترمذى ، لتعلموا كيف ضبط المسلمون أحوال النبي وأحصوا أخباره جليلها ودقيقها . . . الخ ، وذكر المؤلف قائمة تشمل ٥٢ موضوعاً وردت في الشمائل للترمذى . وفي المكتبة الإسلامية نموذج من السيرة المعتمدة على السنة الصحيحة ، نقرأها في الكتاب النفيس « زاد المعاد في هدى المعاد » للإمام ابن القيم . غير أن هذا الكتاب يمتزج فيه وقائع السيرة بأحكام الفقه ، مما لا يسد الحاجة لكتاب يتفرد لمعالجة السيرة على أساس من صحاح السنة .

وما مصير كتب السيرة المتداولة ؟؟ .

لست أدعو بحال لأن نطرح كتب ابن هشام أو الواقدي أو ابن سعد في استخفاف وسذاجة ، وإنما أقول إن من شأن تحقيق وقائع السيرة على أساس من القرآن الكريم ، كما فعل الأستاذ دروزة في كتابيه (عصر النبي قبل البعثة) و (سيرة الرسول) - ثم على أساس من السنة الصحيحة - كما نرجو أن يتم - فمن شأن هذا وذاك أن يقيم بين أيدينا ميزان الحق الذي نمحص به مرويات ابن إسحق والواقدي ومن أخذ عنهما إذا اضطربت أماننا الروايات ، ولم نستطع القطع والتجريح . وليس الأمر مقصوداً على كتاب واحد في هذا الاتجاه أو ذاك ، فكما أن للقرآن عدة تفاسير ، وللبخارى عدة شروح ، فلا حرج أن نقرأ عدة كتب تستقي السيرة النبوية من معين القرآن أو جداول الحديث ، ومن اجتهد فهو مأجور على كل حال .

وفقنا الله للإفادة من سيرة نبينا ورسالته ؟

فتحي عثمان

التفسير العلمى للقرآن

إن الذى يدفعنا إلى الخوض فى هذا البحث هو ما نراه بين ظهرائنا من الشغف المبرف فى تأويل آيات القرآن الكريم بتوافق النظريات الحديثة ، والتفنن فى استنباط كل اختراع وابتكار من نصوصه ، ظانين أن هذا فتح جديد فى التفسير ، وأسلوب مبتكر فى الفهم ، وهم يحسبون أنهم بعملهم هذا يحسنون صنعا ويسدون يدا للإسلام .

إن التفسير العلمى هو الذى يحكم الاصطلاحات العلمية فى فهم آيات القرآن ، ويجهن فى استخراج العلوم والآراء الفلسفية فيها بتحليل الألفاظ ما لم تعرفه العربية ولا يقره أسلوبها من قوانين طبيعية ونظريات كيميائية ورموز ومخترعات إلى غير ذلك من كل ما يمت بسبب إلى علم الطب والفلك وعلوم الحيوان والنبات .

انقسم العلماء بإزاء هذا النوع فريقتين :

فريق أخذ بهذا رأى واتسع فيه حتى جعل من القرآن إبحاراً علمياً باشتالة على كل المخترعات والمستحدثات من طيارات وغواصات وقنبلة ذرية وأجهزة للتدمير وآلات للتخريب ، ولو أدى ذلك إلى قطع الآية من أخواتها فى السياق وسلخها مما قبلها وما بعدها ، مستدلين فى ذلك بقوله تعالى : « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » .

فانظر إليهم مثلاً حيث يستدلون على حركة الأرض ودورانها بقوله تعالى : « وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب » . ناسين موقع الآية وسياقها . ولو قرءوا ما قبلها وما بعدها لعلموا أن هذا الوصف خاص بيوم القيامة ، قال تعالى : « ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين . وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون . من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ، ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون » . أرايت إلى جملة الوصف فهو مشهد من مشاهد يوم القيامة . وقد تسكرر هذا فى وصف الجبال حيث قال تعالى : « يوم تمر السماء مورا وتسير الجبال سيرا » ، « وإذا الجبال سيرت » ، « يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كشيئا مهيلا » إلى غير ذلك من الآيات .

وهنا نقرر مبدأ للتفسير الصحيح وهو استقرار الآيات وتبعتها وجمعها كلها ما دامت تتكلم عن موضوع واحد ، ثم النظر إليها جملة فإذا هي أشعة يلتقي بعضها ضوءاً على بعض فيبرز المعنى واضحاً صحيحاً . وهذا هو معنى قول القدماء : إن خير نوع من التفسير أن يفسر القرآن بعضه بعضاً ، وهو منسج قد بدأ به صلوات الله عليه عند تفسيره لكلمة (الظلم) فيما رواه الشيخان والترمذي : لما نزلت : «الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم» قال بعض الصحابة يا رسول الله وأينا لم يلبس إيمانه الظلم ؟ فتعال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس بذلك ، ألا تسمع إلى قول لقمان : «إن الشرك لظلم عظيم» .

مثال آخر من إسرافهم في التأويل ، والشغف بإحكام الآيات وإخضاعها للنظريات الجديدة .

قال تعالى : «وأرسلنا الرياح لواقح» فيحملون وصف الرياح بالواقح على أنها لواقح للزرع والشجر ، وهذا منهم إغفال للنصف الثاني من الآية وهو : «فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أتم له بخازنين» إذ لو كان ما ذهبوا إليه هو المراد لترتب عليه إزكاء الزرع وإخراج الثمر للناس يأكلونه ، لا أنزال الماء من السماء للناس يشربونه ويخزنونه . ثم ما فائدة «الفاء» في قوله تعالى : «فأنزلنا من السماء ماء» ثم «الفاء» في قوله : «فأسقيناكموه» . فالملامحة هنا هي بين قطيرات وقطيرات أو بين سحب وسحاب لا بين زهر وزهر أو نبات ونبات .

فالآية الكريمة المذكورة هي مظهر من مظاهر الإعجاز المتجدد للقرآن لأن تلاقي السحاب وأثره في نزول المطر أمر كان يحمله الإنسان حتى كشف عنه العلم الحديث . وفي هذا تطابق تام بين العلم والقرآن الكريم .

إلى غير ذلك من الأمثال مما لا حاجة فيه إلى كل هذا الإغراق في الفهم والبعد في التأويل . إذ لا يتوقف فهم هذه الآيات ومشيلاتها على مثل هذه التوجيهات والالتجاء إلى الحقائق العلمية والنظريات الطبيعية ، بل أسلم طريق في ذلك هو السلوك في فهمها مسلكاً سهلاً يتمشى مع ما تدل عليه الألفاظ دلالة لغوية ويتلام مع سياق الآيات تلاؤماً طبيعياً في غير ما توسع ولا إطلاق مما لم تعرفه اللغة ولم يستعمل فيها وما لا حاجة بالثربيع والهداية إليه .

وأما ما استدلوا به من قوله تعالى « ما فرطنا في الكتاب من شيء » فقد روى ابن عباس في تفسير (الكتاب) هنا أنه اللوح المحفوظ - وهو خلق من عالم الغيب أثبت الله فيه مقادير الخلق ما كان منها وما يكون بحسب النظام المعبر عنه بالسنن الإلهية .
ومنها من يفسر (الكتاب) بالعلم الإلهي المحيط بكل شيء شبه بالكتاب بكونه ثابتاً لا يبدى .

وقال بعضهم أن المراد (بالكتاب) هنا القرآن ، والمراد بقوله (من شيء) الشيء الذي هو من موضوع الدين الذي يرسل به الرسل وينزل به الكتاب ، وهو الهداية ، لأن العموم في كل شيء بحسبه . أى ما تركنا في الكتاب شيئاً من ضروب الهداية التي ترسل الرسل لأجلها إلا قد بيناه فيه .

وفريق آخر أنكر هذا النوع من التفسير - وهو التفسير العلي - ولم يأخذ بمثل هذه التوجيهات ، مستدلين على مذهبهم :

أولاً : بأن هذه الشريعة المباركة أمية لأن أهلها كذلك فلا يحتاج في فهم كتابها وتعرف أوامرها ونواهيها ، إلى العلوم الكونية ، والرياضيات الهندسية وما إلى ذلك .

ثانياً : أن هذا القرآن موجه إلى من نزل فيهم من العرب وهم ليس لهم عهد بهذه العلوم التي لم تعرفها الدنيا إلا بعد ما جازت آماداً فسيحة ، فإذا قصد القرآن إليها ، وآياته لا تفهم إلا بالوقوف عليها يكون حينئذ كلاماً غير مطابق لمقتضى الحال ، وحاشاه أن يكون كذلك . فوجب إذن أن نقف بعبارات عند فهم العرب الخالص ، ولا نتجاوز ما ألفوه من علومهم ، وأدركوه من معارفهم .

ثالثاً : أن النظريات العلمية ، والحقائق الطبيعية عرضة للتبديل والتغيير ، فإذا أخذنا بها في هذا النوع من التفسير كان فهم الآيات أيضاً عرضة للتغيير والتبديل ، مما يبعث على الشك ، ويؤدي إلى الريبة والبلبله والاضطراب .

والرأى الذي نميل إليه هو أننا في حاجة شديدة إلى أضواء من العلم تكشف لنا عن حكم وأسرار جاءت بها الآيات الكريمة ، ولا ضرر من عدم قصر فهمه على ما عند العرب في علمها ومألف معارفها ؛ لأن القرآن أنزل للناس كافة يأخذ كل على قدر استعدادده وحاجته ما دام ذلك لا يتنافى مع ما قصده القرآن من الهداية ، وما يهدف إليه من الإرشاد .

فكم من حكمة فيه إذا ما مستها يد العلم أسفرت أسرارها وظهرت أنوارها وأبانت عن سر إعجازها وسحر بيانها . وفي هذا نوع من الإعجاز العليّ فان للكلام — كما ذكر عالم من كبار علماء عصرنا عليه رحمة الله — غايتين متباعدتين عند الناس فلو أنك خاطبت الأذكياء بالواضح المكشوف الذى تخاطب به الأغبياء لنزلت بهم إلى مستوى لا يرضونه لأنفسهم فى الخطاب ، ولو أنك خاطبت العامة باللمحة والإشارة التى تخاطب بها الأذكياء لجنّتهم من ذلك بما لا تطيقه عقولهم . فلا غنى لك — إن أردت أن تعطى كلتا الطائفتين حظها كاملا من بيانك — أن تخاطب كل واحدة منهما بغير ما تخاطب به الأخرى كما تخاطب الأطفال بغير ما تخاطب به الرجال . فأما أن جملة واحدة تلتقى إلى العلماء والجهلاء وإلى الأذكياء والأغبياء وإلى العامة والخاصة فيراها كل منهم مقدرة على مقياس عقله وعلى وفق حاجته فذلك ما لا تجده على أتمه إلا فى القرآن الكريم . فهو قرآن واحد يراه البلغاء أوفى كلام بلطائف التعبير ، ويراه العامة أحسن كلام وأقربه إلى عقولهم لا يلتوى على أفهامهم ، ولا يصعب على إدراكهم ولا يحتاجون فيه إلى ترجمان وراء وضع اللغة ، فهو متعة العامة والخاصة على السواء ، ميسر لكل من أراد (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) ، (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب) .

وقال الإمام الراغب الأصفهاني فى مقدمة تفسيره : —

« أخرج تعالى مخاطباته فى حاجة خلقه فى أجل صورة تشتمل على أدق دقيق لتفهيم العامة من جللتها ما ينعهم ويلزمهم الحجة ويفهم الخواص من أنشأها ما يوفى على ما أدركه فهم الحكماء . ومن هذا الوجه ، كل من كان حظه فى العلوم أوفر كان نصيبه من علم القرآن أكثر ولذلك إذا ذكر تعالى حجة إلى ربوبيته ووحداً نبته أتبعها مرة بإضافتها إلى أولى العقل ، ومرة إلى أولى العلم ، ومرة إلى السامعين ، ومرة إلى المفكرين ، ومرة إلى المتذكرين ، تضيئها على أن بكل قوة من هذه القوى يمكن إدراك حقيقة منها » .

فالقرآن لا يصادم شيئاً أثبتته العلم الصحيح بل كثيراً ما يكون فيه إشارة إليها .

فمن ينكر أننا فى حاجة ملحة إلى علم الأجنة يحدثنا عن قوله تعالى (فلينظر الإنسان مم خلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب) .

وإلى علم الحياة يبين لنا أدوار الجنين فى قوله تعالى (ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاماً) .

ومن ذا يحدثنا إذا لم يحدثنا علم الطب عن قوله تعالى « ويسألونك عن المحيض قل هو أذى » فيبين لنا مبلغ هذا الأذى وهل هو جسمى أو عصبى أو مزاجى أو نفسى .

وإليك ما كتبه فى تفسير هذه الآية أحد الأطباء المعاصرين فى كتاب له (وحي وبيان من لب القرآن) .

نزلت هذه الآية تمنع الرجال من مباشرة نسائهم أثناء حدوث الحيض كمثل صادق ملزم بتحديد الأوقات المناسبة لمباشرة النساء التى يراعى فيها قبول المرأة كما يراعى شعور الرجل ، وهى فترة إجباريه على الرجال يعاملون نساءهم فيما يماثلها من فترات بأدب القرآن الذى شرعه فى هذه الآية .

والأذى فى هذه الآية لفظ عام يحتمل معنيين :

(أذى) بمعنى إيذاء وضرر ، و (أذى) بمعنى قدر ممجوج تعافه النفس ، والمواطأة أثناء فترة الحيض فيها ، وهذان النوعان من الأذى لكل من المرأة والرجل ، إذ يتسبب عنها فى المرأة زيادة فى احتقان جهازها التناسلى بما قد ينشأ عن ذلك من آلام أو مضاعفات كنزف دموى أو اضطراب فى دورة الحيض أو التهابات بالأعضاء التناسلية . هذا فضلا عن أن إحساس المرأة بالألم إذا ما بوشرت أثناء الحيض ، نظراً لما تعانيه من احتقان بأعضائها التناسلية يسبب لها إرهاقا عصبيا ، إذ أن أعصابها تكون حينذاك مرهقة غير طبيعية ، كما أن رغبتها للبشارة الجنسية تكون خاملة راکدة فى هذه الفترة بسبب حدوث شىء من الاضطراب فى إفراز الهرمونات الداخلية لبعض الغدد الصماء ، وهذا من شأنه أن يولد فى نفس المرأة حالة جفاء نفسى بالنسبة للرجل ، فترى فيه حيواناً نهماً لا يكثر بشعورها ، ولا يحس بألمها ، ولا يبالى بتهيئة أسباب الراحة اللازمة لها ، فى هذه الفترة العصبية .

وليس الأذى الذى يلحق بالرجل بأقل مما يلحق بالمرأة ، إذا ما أتاها فى أثناء الحيض إذ قد يصاب بالتهاب صديدى بمجردى البول نتيجة لانتقال بعض الجراثيم المتأقلمة فى جهاز المرأة التناسلى ، وناهيك بما ينتاب الرجل من شعور عميق بالاشمئزاز الذى قد يسبب له عقدة نفسية تؤثر على قواه الجنسية .

لذلك كان لزاماً أن يأمر الله المحيط العليم الحكيم باعتزال النساء في الحيض والابتعاد عن غشيانهن حتى يطهرن بانقطاع دم الحيض والاغتسال ، أرأيت إلى ما اشتملت عليه كلمة (أذى) من أسرار وحكم ، وهذا هو معنى الإعجاز العلي للقرآن الكريم .

فالحق أن كل ما يساعد من العلوم على الكشف عن أسرار التشريعات الإسلامية ، والدلالة على قدرة الصانع الحكيم ، والإبانة عن مبلغ آياته ونعمه ، ولا يتعارض مع أسلوب اللغة ومألوف تعبيرها من غير إغراب ولا تكلف ولا إغراق في التأويل وإسراف في التجديد فهو مما يجوز أن يستخدم في تفسير آيات القرآن الحكيم ، فهو لا تفنى عجائبه . ولا تحصى أسرارها ؟

عبد الوهاب حموده

من وحي الثورة العراقية

واستيقظت (بغداد) تشهد مولد البعث الجديد
نفضت رداء الذل عنها ثم ضجت بالنشيد
ومضت تشق الصخر تحفر فيه آيات الخلود
عملاقة الخطوات تقتلع الحواجز والسدود
صخابة ، هدارة الأمواج تعصف بالقيود
بعروش من باعوا العروبة واستهانوا بالعهود
بالخائنين ، عبيد الاستعمار أذئاب اليهود
(بغداد) حي ثورة الأحرار قد طلع الصباح
قد أشرقت شمس العروبة في روايك الفساح
وقد انتقمت من الليالي السود مزقت الوشاح
وصرعت أقطاب الخيانة في (الرحاب) المستباح
سعيد (حطين) الرهيبة عند (بيروت) (صلاح)
ويسير زحف الشعب اعصارا يطوق بالرياح
أبو السعود الجهنى

عبر

عين الله لا تغفل ، ولكن خلق الإنسان عجولا ولو اعتمد المظلوم بالصبر لرأى في الظالم يوما - قرب أو بعد - فكم من الأحداث ما يكاد ينسى الحليم حله ، ويذهب عن العاقل لبه ، ويبعث في ضعاف النفوس القلق والشك ، ثم الضلال والإلحاد ، ثم يكون من تصارييف القدر ما يرد الدمع في العين ، ويميد الرضا إلى القلوب ، واليقين إلى النفوس . فكم من ظالم أسرف في ظله ، وبالغ في هذا الإسراف ، ونسى كل شيء إلا أنه قادر مسلط . وتذكر كل شيء إلا أن وراءه رقيباً شديداً للحساب . وزاده طغيانا وجبروتا أن مدله القدر ، وأمهله السماء ، ومكن له في الأرض ، ثم تنزل به المحنة فيصبح ذليلاً مهيناً ، والله تدير لا تدركه عقولنا الضيقة ، ولا تصل إليه أفهامنا القاصرة ...

ومن رزقه الله العقل الحصيف ، والقلب السليم ، تفتن لعواقب الأمور ، وتنبه لمراتع الظلم ، وأدرك أنها مراتع وخيمة ، ومصاير أليمة « وما يذكر إلا أولو الأبواب » .

ومن طمس الله على بصيرته ، وألقى على بصره غشاوة ، لم ينتظر أبعد مما تحت قدميه ، ولم يتبصر فيما حواليه ، ولم يراجع أحداث التاريخ ، ثم يقرن بين المتشابهات ، ويوائم بين النظائر ، فيعرف بذلك سنة الله في السكون ، ونواميسه في الحياة .

وقد جرد الله أولئك الذين يمرون على أحداث التاريخ فلا يأخذون منها العظة ، جردهم من العقل ، حيث يخاطب مشركي العرب من أهل مكة ، ويلفت أنظارهم إلى ما نزل بقوم لوط ، وإنه لأمام أعينهم ، يرونه وافدين إلى الشام ، وراجعين منها ، مصبحين وممسين ، ولكنهم لا يعقلون : « ثم دمرنا الآخرين ، وإنكم لتمرون عليهم مصبحين ، وبالليل أفلا تعقلون » .

ودعا القرآن إلى التدبير ، والتفكير ، والنظر « أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم

وما كان لهم من الله من واق. ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا ، فأخذهم الله ، إنه قوى شديد العقاب .

وقديما قيل : العاقل من اتعظ بغيره ، ولكننا نرى في زماننا هذا ، كما قرأنا في كل أدوار التاريخ ، الغافلين الذين لا يتعظون بمصاير الآخرين .

كان في مصر حكم فاسد ، وملك مستبد ، سام الشعب ألوان العذاب ، وجر على البلاد أصناف الخراب ، وطغى وبغى ، ثم جاءه المصير المشؤم ، والحساب العادل ، فهوى عرشه وزال ملكه ، ولفظته البلاد ، ولعنه العباد ، فكان حريا بأمثاله أن يأخذوا من مصيره عبرة ، ومن يومه المشهود نذيرا ، ولكنهم استمروا في غلوائهم ، وأسرفوا في التنكيل بشعوبهم ، ولم تمض غير سنوات ست حتى شهدنا العبرة الأخرى ، وكانت هذه المرة على أرض الرافدين ، فنفسست الأمة العربية كلها الصعداء ، ومع ذلك لانزال نرى رؤسا قائمة على أجسادها تسلك نفس السبيل الذى سلكه الطغاة الذاهبون ، وتمارس نفس الأعمال والمظالم التى كانوا يمارسونها ، (أفلا يعقلون) ؟

والذى ينزل بالحاكين الظالمين ، ينزل بكل من يترف في حق الشعوب أو الأفراد أى نوع من أنواع الظلم ، وربما عجل العقاب .

قرأت أخيرا أن المساجور كلود الذى أمر بإلقاء أول قنبلة ذرية على مدينة (هيروشيا) أصيب بالأرق ، فietفz في نصف الليل ويعود كالذئب المسعور ، وقد توالى عليه نوبات الجنون ، ثم راح يرتكب سرقات أودع بسببها السجن .

ويحدثنا التاريخ الإسلامى أن الذين اشتروا في قتل الحسين بن على رضى الله عنه ، يوم كربلاء ، لقوا جميعاً جزاءهم العادل في الدنيا ، وحسابهم يوم القيامة إلى الله . فالفارس الذى احتز رأس الحسين لم يطل به الأمد ، ذلك أنه كان حريصا على أن يكون أول مبشر للأمر لينال عنده يدا ، ومضى بالرأس بين الفخر والخيلاء ، والفرح والغبطة ، ويقف على عبيد الله بن زياد ، وهو - يومئذ - والى الكوفة ، وينشد :

أوقر ركبى فضة وذهبا إلى قتلت الملك المحجبا
قتلت خير الناس أما وأبا وخيرهم إذ ينسبون نسباً

فيغضب الأمير غضبته ، ويصيح في الرجل : إذا كان خير الناس أما وأبا فلم قتله؟ ثم يأمر بضرب عنقه .

وقد جاء في كتب التاريخ القديمة أنه وجد في عسكر الحسين طيب انتهب ، فما تطيبت به امرأة إلا ذهلت .

وكان خاتمة أمر قتلة الحسين أن ساط الله عليهم جبارا عنيدا هو المختار الثمقي ، فكان لا يعلم برجل اشترك في قتل الحسين أو شاهده إلا قتله ، أو هدم داره ، وربما حرقه تحريقا .

وعبيد الله بن زياد ، قتل ، بعد أن طرده أهل العراق ، وأرسل رأسه إلى علي بن الحسين فوجده الرسول يتغدى ، فلما وضع الرأس بين يديه قال : سبحان الله ما اغتر بالدنيا إلا من ليس لله في عنقه نعمة ، لقد جرى برأس أبي إلى ابن زياد وهو يتغدى .

وبعد ، فهل يرجع الضالون إلى عقولهم ، ويستضيئون بالأحداث التي وقعت للآخرين؟ وهل يكف كل ظالم عن ظلمه ، ويعلم علم اليقين أن الله عينا لا تنام ، وأن الله يمهل ولا يمهل وهل يجلس في بيته مغمضا عينيه ، ويسبح بفسكره فيرى العبر حواليه ، تملأ الفضاء ، وتفيض بها بطون الكتب؟ .

عبر كلها الليالي ، ولكن أين من يفتح الكتاب ويقرأ؟ !

على العماری

المدرس بالأزهر

في مولد الهادى

رجعت لله أشدو فوق قيشارى	وأنشد الشعر للهادى بأشعارى
يامنقذ الناس من طغيان أنفسهم	لولاك صار جميع الناس فى النار
ذكرى وفيها عظات وهى مدرسة	للقاتين وآيات لأحرار
وأمة الضاد فى أنفراحها لبست	لأجل عيدك هالات لأنوار

محمد فهمى توفيق

دعائم المنهج الخلقى الاسلامى

يقوم المنهج الخلقى الإسلامى ، الذى أشرنا إلى مميزاته فى حديثنا السابق ، على الدعائم الخلقية الآتية :

الدعامة الأولى : قوة الشخصية وكال الرجولة ، وهى صفة تبعث صاحبها على الاعتداد بالنفس ، والاعتزاز بالكرامة ، والوقوف بجانب الحق ولو على نفسه ، والانتصار له مهما احتمل فى سبيل ذلك من جهد ومشقة ، والترفع عن سفاسف الأخلاق وذميمة الأفعال ، فقد عنى الإسلام ببناء هذه الدعامة وتنميتها فى المجتمع الإسلامى ، وأظهر هذه العناية فى أساليب قوية رائعة ، تثير فى النفس الحاسة والشجاعة ، وتلهب فيها العواطف والمشاعر .

فأوجب على المسلمين أن يكونوا رجالاً أقوياء فى دينهم ودنياهم ، أعزة كراماً فى مجتمعاتهم وأوطانهم ، يدافعون عن عزتهم وكرامتهم ، وينتصرون بمن يبغي عليهم أو يعتدى على سيادتهم ، وجعل ذلك من لوازم الإيمان وصفات المؤمنين ، كما فى قوله تعالى : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعاً سجداً ، يبتغون فضلاً من الله ورضواناً » « والله العزة لرسوله وللؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » ، « والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون » وقوله صلى الله عليه وسلم « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز » .

وحرم عليهم الضعف والاستكانة والاستسلام ، كما قال جل جلاله « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأتتكم الأعطال وإن كنتم مؤمنين » ، « فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأتمموا الأعمال والله معكم » « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم ، قالوا فيم كنتم ، قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً ، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفورا » فالإسلام لا يبيح لأهله أن يقيموا على الضيم والهوان ، ولا أن يضعفوا أمام أعدائهم فى الدفاع عن دينهم ووطنهم ، ويدعوا إلى الصلح والمسالمة خوفاً وتذلاً لهم ، ولا يرضى لهم أن يكونوا أذلة مستضعفين ، ولا يقبل منهم الاعتذار

بأنهم كانوا مستضعفين في الأرض ؛ لأن ذلك كله لا يتفق مع عزة الإسلام وكرامة المسلمين ، ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، يتمدح بمظاهر الرجولة والقوة ، والاعتزاز بالإباء والكرامة ، ويعمل على تنمية هذه المظاهر في المجتمع الإسلامي ، وكان يقول في ذلك ، « يعجبني الرجل إذا سيم خطة ضيم أن يقول لا بلاء فيه » .

فليس من شأن المسلم أن يرضى بالضميم والهوان ، أو يستكين للبغى والعدوان ، وإنما شأنه أن يكون رجلاً كاملاً في رجولته ، قوياً في دينه وخلقه ، عزيزاً في مجتمعه ووطنه ، شجاعاً لا يهاب الإقدام ولا يخشى اللقاء ، إذ غاية ما يصيبه في سبيل الاحتفاظ بعزته وكرامته والدفاع عن دينه ووطنه ، إنما هو الاستشهاد في ساحة الكرامة والشرف ، وما الموت إلا نقلة من دار الفناء إلى دار البقاء ، وهو ميت يوماً ما لا محالة .

وإذا لم يسكن من الموت بد فمن العار أن تموت جبناً

وكيف لا يكون المسلم قوياً في رجولته وخلقه ، عزيزاً في مجتمعه ووطنه ، وكل تعاليم الإسلام تتمثل فيها الرجولة والقوة ، ، وتجلّي فيها مظاهر الكرامة والعزة ، وكيف يخاف الموت في سبيل الدفاع عن دينه ووطنه ، وهو يؤمن بأن الموت نهاية كل حي ، وأن الآجل عند الله مكتوب ومحدود ، فحرص الحريص لا ينجي ، وإقدام الشجاع لا يريده ، وأن الآجال بيد الله يصرفها كيف شاء ، فلا يعرف أحد متى يحين حينه ، ولا بأي أرض توافيه منيته ، وكيف لا يؤمن بهذه الحقائق والسنن الإلهية ، وهو يتلو في الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، قول الله جل جلاله : « أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة » ، « وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً » ، « وما تدرى نفس بأي أرض تموت ، إن الله عليم خبير » .

هذه هي الشخصية الإسلامية كما قررها القرآن الكريم ، وقررها النبي صلى الله عليه وسلم تقريراً عملياً ، فقد تجلّت هذه الشخصية القوية بأروع صورها وأكمل معانيها ، في أخلاقه وأعماله ومواقفه الخالدة ، وتمثّلت من أول يوم حي فيه وطيس الجهاد العنيف والكفاح المرير ، في كلمته الباقية على وجه الزمان ، والتي صاح بها في وجه الإغراء والطغيان : « والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته » فكانت هذه الصيحة القوية المدوية ، لساناً ناطقاً ، وتعبيراً صادقاً

عما انطوت عليه نفسه الشريفة من قوة الشخصية وكال الرجولة ، ومثلاً أعلى للثبات على الحق والوقوف بجانبه مهما كانت العاقبة ، والتضحية بالنفس والمال والسلطان في سبيل المبدأ والعقيدة ، ورائداً للمسلمين الأولين في جادهم وكفاحهم ، فكانوا مثلاً علياً للجهاد والكفاح في سبيل الدين والوطن .

فلى المسلمين في كل زمان ومكان ، أن يعلموا أن هذه الشخصية التي قررها الإسلام وطالب المسلمين أن يتخلقوا بها ، لا تختص بعصر دون عصر ، ولا بفريق من المسلمين دون فريق ، بل تعم كل عصر من عصور المسلمين ، وتشمل كل جانب من جوانب حياتهم ، ويطالب بها كل فرد من أفرادهم ، وكل طبقة من طبقاتهم ، وعليهم أن يعلموا أن هذه الرجولة التي ملأت قلوب الرعيل الأول من المسلمين ، واستولت على أحاسيسهم ومشاعرهم ، هي التي أتاحت لهم أن يقيموا لأمتهم دولة عزيزة الجانب مرهوبة السلطان .

الدعاة الثانية : الحياء ، وهو خلق يبعث في النفس الشعور بكل الفضيلة ونقص الرذيلة ، ويحملها على الارتفاع عن سفاسف الأخلاق وذميم الحلال ، واجتناب كل ما يوجب المذمة والملامة ، ولهذا عنى الإسلام بتنميته في المجتمع الإسلامى عناية كبرى .

فامتدحه وحث على التخلق به ، وجعله مصدراً لكل خير وفضيلة ، وشعبة من شعب الإيمان وخصاله ، كما قال صلى الله عليه وسلم « الحياء خير كله » ، « الحياء لا يأتي إلا بخير » ، « الحياء شعبة من الإيمان » .

وأكبر من شأنه ورفع منزلته ، فجعله الخلق الخاص بالإسلام ، كما قال صلى الله عليه وسلم « لكل دين خلق ، وخلق الإسلام الحياء » ، ولهذا لا ترى مظاهر الحياء والاحتشام متجلية بأجلى معانيها ، إلا في المجتمعات الإسلامية المحافظة على تقاليد الإسلام وآدابه .

والحياء جدير بهذه العناية وتلك المنزلة ؛ لأنه هو الذى يبعث صاحبه على كبح جماح الغرائز والشهوات ، والوقوف بها عند حدود التوسط والاعتدال ، ويحمله على مراعاة قوانين الأخلاق وآداب السلوك ، ويطيعه على التحرج من كل ما يوجب تأنيب الضمائر الحية واستنكار النفوس الآبية ، وهو الظهير الذى يعتمد عليه قادة الإصلاح في تهذيب النفوس وتقويم الأخلاق ، وتنبيه الغافلين وإرشاد المنحرفين ، إذ لولا الحياء الكامن في أعماق النفوس لما أثمر نصيحهم وإرشادهم ؛ لأن الإنسان إذا غضب معين الحياء من وجهه ،

وأزال عنه حجاب التحفظ والاحتشام ، وارتدى رداء الفجور والتحلل ، وفقد الإحساس بكلال الفضيلة ونقص الرذيلة ، واختلت لديه موازين الحسن والقبح ، فإنه لا يفيد فيه وعظ ولا إرشاد ، ولا يجدى معه لوم ولا تهريع ، ولا يقتنع بحجة ولا دليل ، ولا يبالى بما يصدر عنه من أقوال وأفعال ، كما يشير إلى ذلك الحديث النبوى ، « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » ، فالحياء هو عنوان الإنسانية الكاملة ، ورائد الكمال والفضيلة ، وعماد الأخلاق الكريمة ، ومبعث الأعمال الصالحة . والمنبت الطيب لبذر الهداية والإصلاح ، ومن لاحياء فيه لاخير فيه .

الدعامة الثالثة : الأمانة ، وهى من أجل أخلاق الإسلام ودعائمه العظام ، فتد أكبر الإسلام من شأنها وأعظم أمرها ، وطالب المسلمين برعايتها والمحافظة عليها ، فأمر بتأدية الأمانات إلى أهلها . كما قال تعالى : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » وجعل رعايتها من صفات المؤمنين الموجبة لفلاحهم ، كما قال تعالى : « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » وقرن النهى عن خيانتها بالنهى عن خيانة الله ورسوله تعظيماً لشأنها ، كما قال عز شأنه : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » وجعل انتفاء الأمانة مستتبعا لانتفاء الإيمان ، وعلامة من علامات النفاق « كما قال صلى الله عليه وسلم ، « لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له » ، « آية المنافق ثلاث ، إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان » ، وإنما تتحقق أمانة المؤمن بتحقيق الجوانب الثلاثة الآتية : —

١ — أن يكون أميناً على دينه ، يؤمن بعقائده ويعقد عليها عقد اليقين والإذعان ، ويأتمر بأوامره وينتهى بنواهيه ، ويتخلق بأخلاقه ويتأدب بأدابه ، ويسير فى تعرف أصوله وفروعه وفهم نصوصه ، على هدى ماتوارثه المسنون عن الرعيل الأول من أئمة المسلمين وعلمائهم وحفاظهم ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة بكتاب الله وسنة رسوله ، وأعمتها علما بشرائع الإسلام ومقاصده ، وأقلها تكلفا فى الاجتهاد والاستنباط ، وأقومها هديا واتباعا للكتاب والسنة ، فلا يسير فى فهمها وراء الظنون والأهواء ، فإن الهوى آفة للرأى ، ومضلة للعمل ، ومفسدة للقلب ، ولا يتول فى دين الله بغير علم ولا حجة ، ولا يدلس على الناس فى الدين ولا يضلهم ، فإن ذلك ضلال بعيد وفساد كبير .

٢ — أن يكون أميناً على الحقوق والواجبات ، والعقود والمعاملات ، إذا حكم في حق حكم فيه بالعدل ، وإذا وجب عليه حق من حقوق الله أو حقوق العباد ، أدام كأحسن ما يكون الأداء ، وإذا عاقد أحداً أو عامله ، وفي بالعهدة وأحسن المعاملة .

٣ — أن يكون أميناً على الروابط والصلات ، والأعراض والكرامات ، فلا يتهول على الناس الأقاويل ، ولا يفترى عليهم الأكاذيب ، ولا يشيع عنهم مقالة السوء ، ولا يتبع عوراتهم ، ولا يهتك لأحد سراً ، ولا يتهك له حرمة ؛ ولا يחדش له كرامة ، ولا يثلم له عرضاً .

ومن هنا يتضح لنا أن الأمانة التي طالبنا الله برعايتها ، ليست خاصة بشأن خاص من شؤون الحياة ، بل تعم جميع الشؤون الدينية والدينية ، ويطلب بها كل فرد من أفراد المسلمين ، يطلب بها المتدينون في تدينهم ، والمرشدون في إرشادهم ، والعلماء في بحوثهم ، والمعلون في أداء رسالتهم ، والحكام والرؤساء في إدارتهم ، والجنود في ميادينهم ، والصناع في مصانعهم ، والتجار في متاجرهم ، والزراع في حقولهم ، وكل راع في رعيته وولايته .

الدعامة الرابعة : الوفاء بالعهدة ، فقد غنى به الإسلام عناية كبرى ، لما له من عظيم الخطر وجليل الأثر ، فأوجب على المسلمين الوفاء بعهودهم ومواثيقهم ، وحث على رعايتها والحفاظة عليها ، وحرّم نقضها والغدر بها ، كما قال الله تعالى : « وأوفوا بعهدهم الله إذا عاهدتم ، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً ، إن الله يعلم ما تفعلون » ، وأوفوا بالعهدة إن العهدة كان مسئولاً ، وجعل الوفاء بها من لوازم الإيمان وصفات المؤمنين كما قال تعالى في وصف المؤمنين « والموفون بعهدهم إذا عاهدوا » ، « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » ، كما جعل نقضها والغدر بها من لوازم النفاق وصفات المنافقين ، كما قال صلى الله عليه وسلم « أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خلة منهن كان فيه خلة من نفاق حتى يدعها ، إذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا وعد أخلف ، وإذا خاصم فجر » ، فالعهود التي طالبنا الله بالوفاء بها . تعم العهود الدينية التي أوجبها الله على عباده وتعبدهم بها ، والعهود الدنيوية التي أذن الله لهم فيها وأرشدهم إليها ، وقضت بها حاجة الاجتماع والتعاون بين الأفراد والجماعات ، سواء كانت هذه العهود قائمة بين الأفراد أو بين الجماعات من المسلمين ، أو كانت قائمة بين المسلمين وغيرهم ، فعناية الإسلام بالعهود الدنيوية المصلحية ،

لا تقل عن عنايته بالعهود الدينية انتعابية ؛ لأن الوفاء بها من أهم دعائم التعاون بين الأفراد والجماعات ، واستقرار الثقة فى العتود والمعاملات ، واستتباب الأمن والسلام فى الجوار والصلات ، فإن أكثر ما يقع بين الأفراد من الخصومات الجاحمة والأحداث الدامية ، التى تملأ الصدور بالحقود والضغينة ، وتبذر فيها بذور الفرقة والقطيعة ، وما يقع بين الأمم من حروب طاحنة ، تسفك الدماء المعصومة ، وتحصد الأرواح البريئة ، وتنشر الخراب والدمار ، يرجع فى بواعثه إلى عدم الوفاء بالعقود والعهود ، والاستهانة بحرماتها وقداستها ؛ وعدم قيامها على الصراحة والإخلاص وسلامة القصد ، كما يشاهد ذلك فى المعاهدات والمحالفات التى تعقدها دول الاستعمار ؛ فإنها تقوم على الغش والخديعة ، والتويه وسوء القصد ، وعدم المبالاة بنقضها والغدر فيها ، متى كان ذلك محققا للأغراض الخفية التى عقدت لأجلها ؛ لأنها مستمدة من وحى الأهواء لا من وحى السواء ؟

يس سويلم طه

المفتش بالأزهر

تحية للجمهورية العراقية

فى ساعة الصفر وقت الفجر ناداه	والنصر فى الأوج بعد الصبر وافاه
هبوا سراعا كأسد هاجها شبح	واستيقظ الغرب ذعراً فاغراً فاه
يا أهل بغداد ما للغرب فى فزع	هل جد أمر خلاف النصر آذاه
أم أنه الزحف لم يترك له أملا	فى العيش بين شعوب خصها الله
ماكان للشك فيما كان من أثر	فالقوم فى الشرق كل الشرق أشباه
منا جمال ومنكم قاسم وغداً	من أهل عمان ماضى العزم تياه
صبر تضيق به الأيام إن قدرت	والعزم حتى قساة الجن تمواه
ماكنت أرتاب فى أهل وإن هدهوا	فالمعدن الحر قد يغبر أعلاه
بل كنت أوقن أن الأمر تصفية	تردى الحسيس وبئس النار مثواه
	محمد كامل شلش

تعلقات

مسابقة العيون الجريئة

كانت فجعة خلقية تثير الأسى عند كل ذى غيرة ، فما ظننا أن يبلغ الاستهتار والتبجح عند أناس أن يجتمع عدد من الفتيات (من أى طبقة كانت) على شاطئ البحر ثم يجعلن أنفسهن عرضاً للعيون الجريئة التى تترف فى إمعان النظر إلى الفتيات ، ثم يكون لأكثر الفتيان وقاحة تقدير عند الفتيات ، وتميز للراجع عن المرجوح .

لم تكن نظرة الناظر إلى امرأة من غير محارمه إلا ضرباً من المجون ، وقد سى الله تلك العيون خائنة ، والحياة أبشع ما يتصف به دنى ، وما كانت النظرات الخائنة إلا سبيلاً للخطيئة الجنسية التى اعتبرها القرآن قبل سواها من المآثم فاحشة ، ثم نهى عن الفاحشة بل عن قربان الفاحشة ، والقربان هو النظر وما يشبهه .

هذه النظرات الخائنة أصبحت عند فتيات من جيلنا الذى نعيش فيه نظرات مشروعة ، بل مطلوبة بالإغراء والألقاب المشجعة .

هذه مهزلة تقضى على الحياء وعلى الرجولة معاً ، فكان هناك فتيات تجردن من طبيعة الأنوثة فلم يعد لديهن حياء مما يزين الأنثى ، ويرفع شأنها ، وكان هناك فتيان فتمدوا غير الرجولة واحتشام الأدب .

واقدر كان هؤلاء الفتيات والفتيان فى أغلب الظن من أوساط مهلهلة لا يردعن أصل كريم ، ولا يبقين على سمعة طيبة يصونها عادة أبناء البيوتات . فالمسابقة بين الفريقين فى هذا الباب فجعة لا يرضاها الحيوان فضلاً عن أناس يظنون أنهم سبقوا فى المدنية والحرية .

وكان العلاج الناجع والرد الموفق على هذه المأساة ما صنعه المشير عبد الحكيم عامر فقد اقتاد الشبان إلى الجيش ليعلمهم الرجولة بدلا من التخذت ، ولينتفع بهم الوطن فى ميادين الكفاح والجد بدلا من الميوعة والهزل .

نعم ما صنع القائد عبد الحكيم عامر ! وليته يتبع هؤلاء الرقعاء فيزج بهم في الجيش مع مراقبتهم بين الجنود ، أو عزلتهم عن الجماهرة منهم لئلا ينفثوا سمومهم في نفوس الشبان هناك .

وبقيت مسألة الفتيات جديرة بعلاج لائق يسد هذا الباب الخطر ، ويحمي البيئة من جرائم الإسفاف ، والرقاعة والتبذل .

والحق أن الأمر بحاجة إلى عين ساهرة ، ولكن ماذا نصنع وبيننا من ينشط في تشجيع الرقص بين الفتاة والفتى ، ويحسب ذلك فناً جميلاً يخدم به الحضارة الحديثة في شعب شرقى متدين ، يأبى دينه وتقاليده أن يحاكي غيره في هذه المهازيل الخليعة ، والله إنها لتوجيهات ضارة وتركها واجب .

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير التفتيش بالأزهر

الإنسان الكامل

بأى لفظ أصوغ الدر تبياناً	وأسبك القول بين الناس عقياناً
وأمدح المصطفى جلّت مواهبه	محمداً خير خلق الله إنساناً
أنى لمثل يطره ويمدحه	بعد الألى ذهبوا فى القول فرساناً
يا من طلعت على الأكوان أجمعها	بدرأ منيراً أنار الكون أزماناً
غزوت الله لا دنيا تؤملها	وما أردت سوى إرضاء مولانا
مواقف كلها نبل ومنخرة	يمضى لها الدهر مبهوتاً وحيراناً
لقد تركت رياض العلم يانعة	ترقى جناها ثمغاف وعرفانا

من قصيدة للأستاذ : إبراهيم أبو سعدة — واعظ القاهرة

الكتب

المسح على الجوربين

للشيخ جمال الدين القاسمي - (٦٦ ص) - المطبعة السلفية بالقاهرة

عالم الشام الشيخ محمد جمال الدين القاسمي (١٢٨٣ - ١٣٣٢) شغل حياته بالعلم ، وزين عليه بالعمل ، ولولم يكن له إلا تفسيره الكبير الذي يطبع الآن لكفاه في تخليد فضله ، فكيف وقد عرف العالم الإسلامي فضله في حياته قبل أن يعرف له هذا التفسير ، ثم عرف له بعد وفاته سنة ١٣٣٢ كتباً أخرى نشرت بعده ، ومنها هذه الرسالة في المسح على الجوربين وأن ذلك كان مشهوراً عند الفقهاء من الصحابة والتابعين ورواة الحديث ، وقد أورد المؤلف الأحاديث الواردة في ذلك ، ورد ما ورد عليها من شبه ، وذكر أسماء من أثر عنهم المسح على الجوربين من الصحابة والتابعين ، وبعد أن بين أن أقوال الصحابة وفتاويهم أولى بالأخذ من غيرها استعرض مذاهب الأئمة الأربعة في ذلك .

وقد قدم له نقيذ السنة والشرعة العلامة الشيخ أحمد شاكر مقدمة في تصحيح الأحاديث التي استدلل بها المؤلف ، واستوفى هذا الموضوع في مقدمته .

المسح على الخفين لابن تيمية

وبلى رسالة المسح على الجوربين للقاسمي فصل من الفتاوى المصرية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية في (المسح على الخفين) وهي دراسة دقيقة في الفقه لا يجدها طلاب العلم بأوفى مما يصدر عن قلم ابن تيمية ، وما اشتملت عليه هذه الدراسة بيان خطأ أهل الظاهر - ومنهم العلامة ابن حزم - في عدم أخذهم بفحوى الخطاب . وهي في ٣٢ صفحة (٦٧ - ١٠٨) نشرت عن نسخة خطية علق عليها وعارضها بالفتاوى المصرية الكبرى المطبوعة في ألمانيا الفاضلان الشيخ عبد الرحمن المعلى والشيخ سليمان الصنيع من علماء الحجاز .

الاستئناس لتصحيح أنكحة الناس - للقاسمي

وقد ألحق بالرسالتين السالفتين هذا السكتيب من مؤلفات العلامة القاسمي ، في موضوع الحلف بالطلاق الذي ابتلى به أكثر العامة في اللغوم من كلامهم والتأفة من أمورهم . وقد أفاض المؤلف في بيان آداب التطبيق المستمدة من الكتاب والسنة ، وهي عشرة : منها رعاية المصلحة في إيقاعه ، وأن لا يكون القصد من إيقاعه مضارة الزوجة ، وأن لا يكون في حالة غضب ، وأن يكون الفراق منوياً مقصوداً ، وأن يكون مأذوناً فيه من الشرع ، وأن يكون بإحسان ، وأن لا يطبق ثلاثاً دفعة واحدة . ولعل هذه الرسالة آخر مؤلفات العلامة القاسمي ، فقد ذكر في آخرها أنه ألفها وهو في رحلته إلى حوران وطبريا وحيفا وعكا سنة ١٣٣٢ وهي سنة وفاته . وهذه الرسالة الثالثة في ٥٩ صفحة (١٠٨ - ١٦٤) .

وقام بطبع هذه المجموعة نصير السنة والعامل في الحجاز على نشر علم السلف الشيخ محمد نصيف حفظه الله وجزاه عن العلم خيراً .

مطابقة الاختراعات العصرية

لما أخبر به سيد البرية

لأحمد بن صديق الغماري - ١٥١ ص - دار العهد الجديد للطباعة

هو كتاب زعم فيه مؤلفه أن في الأحاديث النبوية ما يدل على المخترعات العصرية ، كالسكة الحديدية ، والسيارات والطائرات والتليفون والراديو والمطابع والغواصات والسيرك والكلاب البوليسية وتأمين البترول والمطر الصناعي وآلة التصوير والبنسكنوت والشيوعية ودولة اليهود والرد على نظرية دارون الخ ... والذي نعلبه أن السنة النبوية وردت لتوجيه الناس إلى ما فيه رضا الله وتحويلهم عما يوجب سخطه ، ولا حاجة بالحديث النبوي إلى الدلالة على هذه المخترعات بأعيانها بعد أن أخبر الله عنها وعن غيرها بقوله سبحانه : « ويخلق ما لا تعلمون » . غير أن في صفحة ٤٤ من الكتاب قذفاً بمجاهد كريم يعاقب عليه القانون ، وحكمه في الشريعة إقامة الحد على القاذف إن لم يأت بأربعة شهداء . وفي صفحة ١٣٢ قذف

آخر بالخيانة لذلك المجاهد ، واستيلائه بزعم المؤلف على الملايين من أسبانيا ثم من فرنسا ومن اليهود أيضاً ، مع أننا لا نعرف عن ذلك المجاهد إلا اضطهاد المستعمرين له واعتقاله وسجنه ومواصلة جهاده فيهم طول حياته ، وفي ص ١٠٩ عدد من التلاعب تمسك العرب بعروبتهم ونصرهم اللغة العربية وبحثهم عن الدخيل منها وإبدال الكلمات الإفرنجية بما يؤدي معناها من العربية .

فإذا كان هذا تلاعباً في نظر المؤلف ، فعلى العلم وعلى العروبة وعلى العربية وعلى التأليف السلام .

المصاييح المباركة

للأستاذ محمد المهدي محمود علي - ٧٢ ص - مطابع دار الكتاب العربي

والمصاييح المباركة التي جعلها المؤلف عنواناً لرسالته هي : القرآن الكريم ، وشهر رمضان ، والأزهر الشريف .

ومن فصول الرسالة عن القرآن فصل عنوانه (نور من الله) نوه فيه بمؤلفات بعض أعلامنا عن كتاب الله كالسيوطي في (الإتيان) ، والشيخ طاهر الجزائري في (التبيان) ، والرافعي في (إعجاز القرآن) ، وعبد العظيم الزرتاني في (مناهل العرفان) ، ومحمد عبد الله دراز في (النبأ العظيم) . وبعده فصل بعنوان (الرسول والقرآن) .

ومما جاء في الرسالة عن المصباح الثاني رمضان فصل عنوانه (المصطفى الكريم في شهر رمضان) . وفصل عن (الصلة بين القرآن والصيام) . وفصل بعنوان (السلف الصالح) .

وثالث المصاييح هو الأزهر تتكلم فيه عنه وعن القرآن والاستعمار ومخلفاته والأقلام الهدامة . ثم عن الأزهر والاستعمار بألوانه ، وقد لخص فيه محاضرة الدكتور محمد البهي عن المؤامرات على الأزهر من تلاميذ المدرسة الاستعمارية ، ثم عن الأزهر والثورة ، وصيحة الحق ، ورسالة الأزهر في رمضان الخ .

وهي رسالة لطيفة ناعمة إن شاء الله .

الأدب والعلوم

سياستنا في التعليم

توحيد المناهج مع العراق

إن اتفاقية الوحدة الثقافية مع العراق قد تمت بعد دراسة مشتركة قام بها مؤتمر من رجال التعليم في الجمهوريتين ، افتتحه السيد كمال الدين حسين مساء السبت ٢٩ صفر (١٣ سبتمبر) ومثل فيه جمهورية العراق ١٧ عضواً كما مثل الجمهورية العربية المتحدة ١٥ عضواً من الإقليمين الشمالي والجنوبي . وقال السيد كمال الدين في كلمة الافتتاح : إننا نأمل أن تكون هذه الاتفاقية فاتحة خير للأمة العربية بأكملها ، وأن تعمل على تحقيق أهداف الأمة العربية فيتمتع كل شعب من أرض العرب .

وقال الدكتور محمد ناصر مدير معارف العراق ورئيس الوفد العراقي : إننا كنا ننظر إليكم في الجمهورية العربية المتحدة كمثال للوطن المتحرر المستقل . وإننا نشكر للجمهورية العربية المتحدة ما قامت به من جهود جبارة في سبيل المحافظة على روح القومية العربية ، ودعم ثورتنا في العراق ، وكل العرب يعلقون الآمال على نتائج مباحثاتنا .

في يوم السبت ٢٩ صفر (١٣ سبتمبر) توجهت ألوف الألوف من أبناء الجمهورية العربية المتحدة إلى المدارس ومعاهد التعليم . وقد وجه إليهم السيد كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم كلمة في يوم الجمعة قال فيها :

« غداً يبدأ عام دراسي جديد ، ينظم في معاهد التعليم أربعة ملايين من أبناء الإقليم المصري ، ونصف مليون من أبناء الإقليم الشمالي ، في مختلف المراحل : من المرحلة الابتدائية ، إلى الجامعة والدراسات العليا .

وسياستنا التي رسمنا خطوطها منذ الثورة تقوم على أساس إتاحة الفرصة المتكافئة في التعليم لجميع المواطنين بتعميم التعليم الابتدائي ما أمكنت الفرصة لإرساء قواعد الديمقراطية الصحيحة ، ثم كفاية حاجة البلاد من ذوي الثقافة والخبرة الفنية والمهارات العليا والمتوسطة وأهل البحث الفنى ، وعلى هذه القواعد نسير ، وباسم الله وعلى بركته نفتتح الموسم الدراسي الجديد ، وبالله التوفيق .

دائرة المعارف العربية

قال وزير الثقافة والإرشاد القومي لمندوب الأهرام : تقرر تأليف لجنة من المختصين في مختلف الوزارات والهيئات لوضع الخطوات التنفيذية لمشروع إنشاء (دائرة المعارف العربية) ، وستولى هذه اللجنة دراسة المشروعات التي أعدت في هذا الشأن ، وتقوم بتكوين اللجان الفرعية لمختلف الفنون

والعلوم ، وترشيح العدد اللازم من المترجمين والمؤلفين والمراجعين ، وتعد المراجع العربية والأجنبية . وتقرر أن يشترك كبار رجال الفكر والأدب وأساتذة الجامعات ورجال الفنون بآرائهم وتوجيهاتهم، وستؤلف منهم هيئة استشارية تشرف على العمل في تنفيذ المشروع .

القوصى فى اليونسكو

رشتت وزارة التربية والتعليم الدكتور عبد العزيز القوصى المستشار الفنى للوزارة ليشغل وظيفة نائب مدير قسم التربية فى منطقة اليونسكو .

ترى هل هذا الترشيح توطئة للتخلص من بعض رواسب احتلال الغرب الثقافى فى الشرق العربى ؟ العبرة بالاتجاه العملى ، والناس منتظرون ...

وقد ألفت ١٤ لجنة تضم الإخصائيين فى كل نوع من أنواع التعليم ، وقامت هذه اللجان بمراجعة المواد الدراسية فى كل من الجمهوريتين توطئة لتوحيد المناهج فى الميثاق الذى انتهى المؤتمر إلى وضعه ، ليكون ميثاقاً مفتوحاً للدول العربية جميعاً تدخل فيه فى أى وقت ، ويكون بمثابة تضامن ثنائى عربى لتنشئة جيل عربى واحد لا تفرق بينه الحدود .

وحدتنا الثقافية مع العراق

وافق الرئيس جمال عبد الناصر على ميثاق الوحدة الثقافية بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية .

وسيسافر السيد كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم على رأس وفد إلى بغداد لتوقيع هذا الميثاق .

مكتبة قومية

ومكتبة عامة مركزية

يفكرون فى وزارة الثقافة والإرشاد فى إنشاء مكتبة عامة مركزية فى القاهرة ، لتخفيف الضغط على دار الكتب ، توطئة لتحويلها إلى (مكتبة قومية) تجمع التراث القومى والإنسانى ، وتقتصر خدمتها - ككل المكتبات القومية - على خدمة العلماء .

إنباء العلم الانبعاث

ابتداء من يوم تأسيسها . وأضاف أن فرنسا تقع عليها مسؤولية كل ما يترتب على هذا الوضع .

وستبحث الحكومة الجزائرية - في أول اجتماع لها - مسألة طلب انضمامها إلى جامعة الدول العربية .

ويتكون العلم الجزائري من اللونين الأخضر والأبيض متجاورين رأسياً ، ويتوسطهما هلال أحمر ونجمة حمراء .

جهاد الجزائريين

في قلب فرنسا

انتشر الرعب في جميع أنحاء فرنسا من بسالة المجاهدين الجزائريين ، وقد لوحظ أن حملاتهم تزداد عنفا كلما اقترب اليوم المحدد للاستفتاء على دستور ديجول ، لحمل المقيمين في فرنسا على التصويت ضده أو الامتناع عن الاشتراك في الاستفتاء . وفي يوم غرة ربيع الأول (١٦ سبتمبر) نسف المجاهدون الجزيريون معسكرا حريبيا خارج مدينة مرسيليا فقتل عامل مدني وجرح ثلاثة جنود ومدنيان وقد حدث هذا الانفجار عقب محاولة المجاهدين

أول حكومة لجمهورية الجزائر

في يوم الجمعة المبارك خامس شهر ربيع الأول شهر المولد النبوي ، ولدت أول حكومة لجمهورية الجزائر الحرة ، وهي تتألف من ١٩ وزيراً يرأسهم السيد فرحات عباس ، الذي أعلن في مؤتمر صحفي بالقاهرة عقب صلاة الجمعة ، أن تأليفها كان بقرار من لجنة التنسيق والتنفيذ ، بناء على السلطة المخولة لها من قبل المجلس الوطني للثورة الجزائرية . وستكون هذه الحكومة المؤقتة لجمهورية الجزائر مسئولة أمام المجلس الوطني للثورة الجزائرية . وقد بدأ عملها رسمياً في الساعة الأولى بعد ظهر ذلك اليوم (الجمعة) .

وفي ساعة تأليف هذه الحكومة تلقت برقية تهنئة من الرئيس جمال عبد الناصر ، وتوالت الاعترافات بها من الجمهورية العراقية ، وليبيا ، واليمن ، وتونس ، والمغرب ، والعربية السعودية ، والأردن ، والسودان ، والصين الشعبية ، وأندونيسيا ، وفيتنام .

وصرح السيد عبد الحميد مهري وزير شؤون الشمال الإفريقي الجزائري بأن حكومة الجمهورية الجزائرية تعتبر نفسها في حالة حرب مع فرنسا

الوحدة بين العناصر اللبنانية عاهد الأمة وطالها بالوفاء بعهداها للدستور غير المكتوب وهو الميثاق الوطني في تعاون لبنان - بصدق وإخلاص - مع شقيقاته الدول العربية إلى أقصى حدود التعاون لما فيه خيرها وخيرها جميعا ، متميا علاقاته مع العالم أجمع على أساس الصداقة والكرامة والتعامل المتكافئ الحر .

وقال : وإذا كان ميثاق جامعة الدول العربية التي نغضب جميعا بازدياد نشاطها ، وميثاق هيئة الأمم المتحدة ، هما الدعامةان القويتان لاستقلال لبنان ، فإن الدعامة الكبرى تبقى في ميثاقنا الوطني في وحدة صفوفنا واجتماع قلوبنا .

ثم قال : إن ما يجري في المحيط العربي من نهضة في جميع نواحي الحياة لا بد من أن يقابله في هذا الوطن الذي كان دائما صاحب المبادرة في كل نهضة عربية ، بروح جديدة للتحرر والتوثب .

ولما انتهى خطابه مع دوى التصفيق أطلقت المدافع ٢١ طلقة تحية له ، وانتل مع رتل عظيم من سيارات الوزراء ورجال الجيش والنواب وأعضاء السلك السياسي إلى القصر الجمهوري فتسلم مفتاح القصر من كميل شمعون الذي خرج من قصر الجمهورية مواطنا عاديا .

الجزائريين اغتيال جاك سوستيل وزير الاستعلامات الفرنسي في قلب باريس ، وكان الهجوم على سوستيل منظما واشترك فيه عدد من المجاهدين تمكنوا من الاختفاء وسط الجمهور . وتوجه سوستيل في اليوم التالي - بجبهته المضمدة - لمقابلة ديحول ثم قصد إلى مقر إدارة البواليس لمعاينة سيارته التي أصيبت أمس برصاص الجزائريين . وحاول الجزائريون نسف مصنع قريب من رصيف ميناء الهافر ولكن المتفجرات لم تنفجر كما يجب فأحدثت أضرارا طفيفة . وحوادث نشاط الجهاد الجزائري في فرنسا وإضرارهم الحرائق في المرافق الحيوية أكثر من أن يتسع المجال لإحصائها .

رئيس لبنان الجديد

قبيل ظهر الثلاثاء ٢٣ / ٩ أدى رئيس الجمهورية اللبنانية الجديد السيد فؤاد شهاب ، اليمين الدستورية في مجلس النواب ، ثم ألقى كلمة قال فيها : إن إقرار الأمور وحكم الدولة في جميع المناطق اللبنانية يقتضى نزع السلاح من أيدي الجميع بلا هوادة ، وبناء ما تخرّب من مرافق البلاد ومعالمها ، وإزالة التوتر في العلاقات بين لبنان وبعض شقيقاته العربيات ، وفوق ذلك كله تحقيق انسحاب القوات الأجنبية عن أرض الوطن بأسرع وقت - وبعد أن أشار إلى ضرورة إعادة

أكثر مما يحسن العربية ، وكان معروفًا يومئذ عند زملائه - ومنهم رئيس تحرير هذه المجلة - بأنه لا يصلح إلا للوظائف ، وأنه لن يرجي منه خير لقوميته العربية ، وهكذا عاد سامي الصلح إلى بيئته الأولى التي منها نشأ وفيها درج.

مؤامرات الخيانة والاستعمار

تبين من التحقيقات والمحادثات والوثائق المكتشفة في العراق أن سوريا كانت مطمح أنظار الاستعمار ، لسحق الحيوية العربية السكينة فيها . وقد اشترك في التآمر عليها ست دول : أمريكا ، وإنجلترا ، وتركيا ، وإسرائيل ورجال الحكم البائد في العراق ، ورجال الحكم الآيل إلى الزوال في الأردن . وكان دور أمريكا وبريطانيا في المؤامرة المشاركة في وضع الخطط وتقديم المساعدات المالية اللازمة ومد عناصر المؤامرات بالسلاح . وكان دور تركيا حشد قواتها على حدود الإقليم السوري عند بدء تنفيذ المؤامرة . أما دور إسرائيل فهو الاشتراك في الهجوم على الحدود السورية . وكانت الأردن تشارك في تسليح الأسلحة على حدود سوريا والعراق ، وتساهم في توزيعها على العشائر البدوية ، وتهيئ قوات من الجنود البدو المسرحين من الجيش الأردني ليتطوعوا في عمليات القتل التي كانت الدول الست ترسم لها مختلف الخطط .

وخرج شعب لبنان إلى الشوارع يعلن فرحته ، فانطلقت الأعيرة النارية من الشعب والجيش تحية للعهد الجديد ، وعلمت في كل مكان صور الرئيس الجديد ، والبطريك المعوشي ، وجمال عبد الناصر ، وشكري القوتلي . وألقت الطائرات الحربية اللبنانية منشورات طالبت فيها المواطنين بالمحافظة على الوحدة والقيام بأعباء الوفاء للوطن وسعادته .

سامي الصلح في تركيا

لفظ الوطن العربي ابنه الآبق سامي الصلح ، فحملته طائفة الأميرال جيمس هولواي الأمريكي تحت ستار الليل قبل فجر يوم السبت ٦ ربيع الأول (٢٠ سبتمبر) من منزله في قرية المنصورية قرب مصيف برمانا الجبلي في شمال بيروت إلى قاعدة حلف شمال الأطلسي الجوية في أضنة بكليسيا ، وأغلب الظن أنه سيقضى فيها بقية عمره كما أمضى فيها سنوات صباه ، لأن أباه كان مدير البريد والبرق في تلك المدينة في بداية هذا القرن ، ولعله ولد هناك . ولما توفي والده والتحق سامي الصلح بالمدرسة الثانوية التركية في بيروت كان يؤثر الاختلاط بأبناء الأتراك أكثر مما يأنس بصحبة أبناء العرب ، وكان يحسن التركية

مشكلة اللاجئين العرب

في إحداث صدع في جبهتنا ، وإن نمكنهم من التدخل في شئوننا الداخلية أو الخارجية . إن العراق يرغب في أن يكون صديقا للجميع ولكننا نرفض أى اعتداء على سيادتنا .

وسأله أحد رجال الدين : ماهى الإجراءات التى تتخذها الحكومة لمكافحة الشيوعية والمبادئ الهدامة ؟ فأجاب : إن الاستعماريين دأبوا على اتهام كل حركة وطنية بأنها نشاط هدام ، ولكننا شعب له دينه وعقيدته وإيمانه بالله ، ولن ترهبنا المبادئ الشيوعية أو الأمريكية أو البريطانية .

نشرت صحيفة (تاج زايونج) النمسية حديثا للجنرال بيرنز قائد قوة الطوارئ الدولية قال فيه : « إن الاضطرابات قد تشتعل من جديد في الشرق الأوسط قبل مضي وقت طويل ، والسبب الرئيسى لذلك هو مشكلة اللاجئين العرب في فلسطين ، إذ مادامت هذه المشكلة باقية بغير حل سيصبح من المستحيل إزالة المارارة التى يحس بها اللاجئون العرب »

تقرير نظام العراق

قال الزعيم عبد الكريم قاسم : إننا نرى في الجمهورية العراقية في حديثه له في بيان كبر الشخصيات : إننا نحتاز الآن قوة أنتمال وسوف نجرى استفتاء شعبيا بعد رفع مستوى الشعب ، حتى تتمكن الأمة من تقرير شكل الحكومة التى ترغبها .

وقال في جمع من كبار رجال الدين المسلمين إننا سنعمل جامدين على أن نتحد كأمة ، فإن الأجانب يحاولون إيجاد ثغرة في صفوفنا لتحقيق مطامعهم في التفرقة بيننا وتقسيمنا إلى شيع متقاتلة .

فقد استقر الرأى على توحيد النظام التعاونى في الأقليمين ، وصدر بذلك قرار جمهورى يسمح بإقامة اتحاد عام للجمعيات التعاونية في الجمهورية ، وستنص لأئحة هذا الاتحاد على أن الباب مفتوح لانضمام كل اتحاد تعاونى في جميع البلاد العربية .

إننا لن ندع الأجانب وأذنانهم ينجحون

عدد ممتاز

١٢

مهم

٢٢٢٢٦

دوريات

الجزءان (الرابع والخامس)

ربيع الآخر ، جمادى الأولى سنة ١٣٧٨ هـ

المجلد الثلاثون





زعيم العربيه واليه السلام
الرئيس جمال عبدالناصر

قرار رئيس الجمهورية العربية المتحدة

رقم ١٣٥٧ لسنة ١٩٥٨

بتعيين شيخ الجامع الأزهر

رئيس الجمهورية :

بعد الاطلاع على المرسوم بقانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ بإعادة تنظيم الجامع الأزهر والقوانين المعدلة له .

وعلى القرار الجمهوري رقم ١٠١١ لسنة ١٩٥٨ بتعيين ممثلي الجمهورية العربية المتحدة في مجلس اتحاد الدول العربية .

قرر

(المادة الأولى)

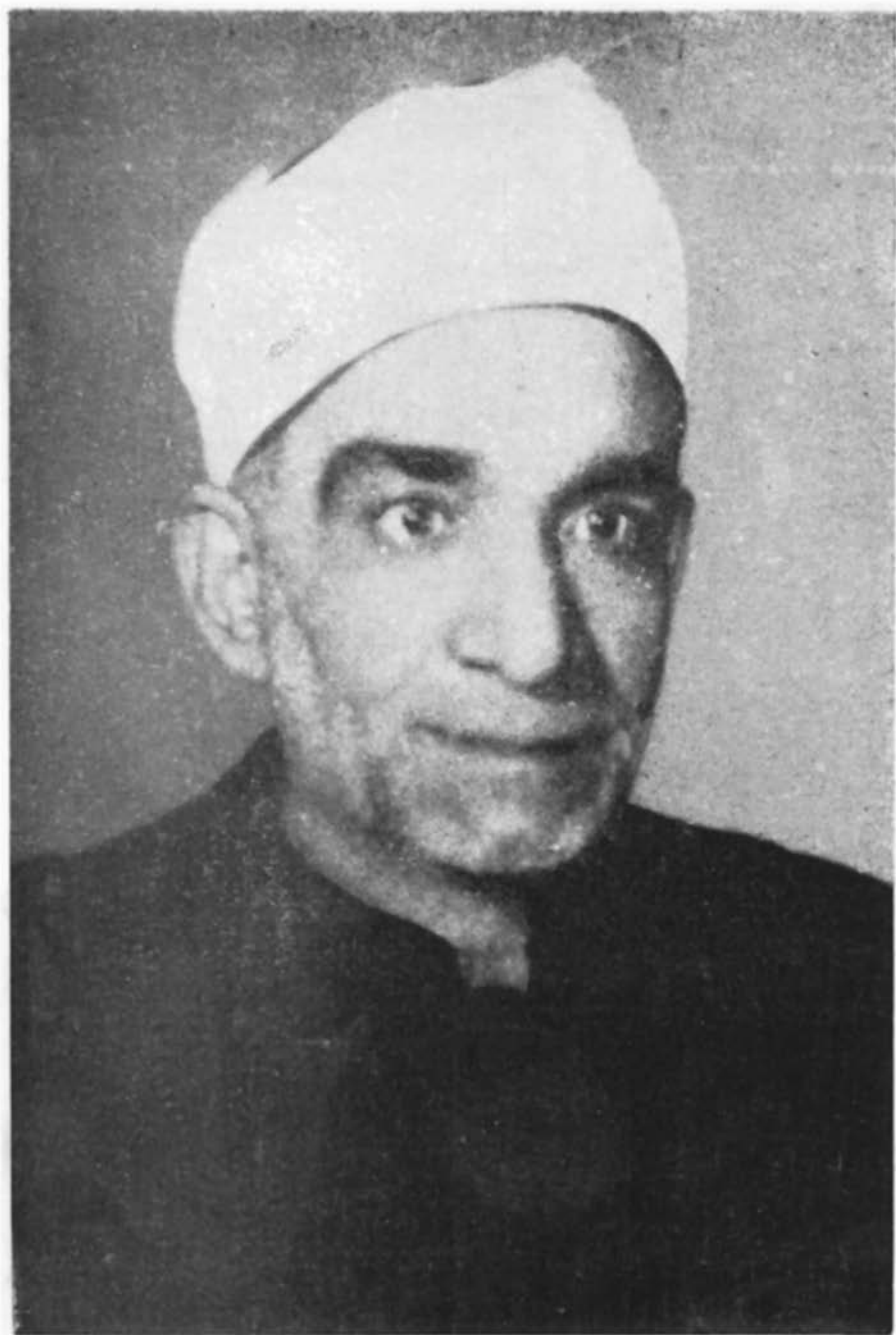
عين الأستاذ الشيخ محمود شلتوت وكيل الجامع الأزهر شيخاً للجامع المذكور بدلاً من الشيخ عبد الرحمن تاج الذي عين عضواً في مجلس اتحاد الدول العربية .

(المادة الثانية)

على وزير الدولة تنفيذ هذا القرار .

صدر برئاسة الجمهورية في ٨ ربيع الثاني سنة ١٣٧٨ (٢١ أكتوبر سنة ١٩٥٨)
(جمال عبد الناصر)

صورة مرسلة إلى مشيخة الجامع الأزهر



صاحب الفضيلة العلامة سناؤ اللہ کبر الشیخ محمود ستون
شیخ الجامع الأزهر

إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

لقد أدبك ربك وهذبك وعلمك ، وزادك بسطة في العلم ونبوغاً في فهم كتابه ، وإدراك أسرار سنة نبيه ، ووجهك للاتصال بكل الهيئات ، وتعرف أحوال جميع الطبقات ، ومنحك عقاية خول العلماء وذكاه الحكماء ، وآتاك كل مؤهلات الاستنباط والاجتهاد حتى صرت بحق إماماً في هذا العصر ، وحجة في دين الإسلام لجميع المسلمين . ولقد أسبغ الله عليك النعمة بإسناد منصب مشيخة الأزهر إليك ، وهو منصب جد خطير ، ولكنك وأيم الله له أهل وبه جدير .

وكان الله قد ادخلك لهذا المنصب في هذا الوقت الذي تكاثرت فيه الفتن وأحداث الشر في الدنيا والدين ، وأحيط بالأزهر فضعف وضعف وبلغ منه الضعف حتى افتقر في الرجال أو أقفر ، وكاد يتهالك ويلفظ النفس الأخير ، ولكن عناية الحكيم العليم شملته ، ولطف اللطيف الخبير أدركه بتعيينك شيخاً له أحوج ما يكون إلى مشيختك ، وإماماً للمسلمين أحوج ما يكونون إلى إمامتك . وكان ذلك على يد زعيم العروبة والإسلام : جمال عبد الناصر الذي يجزل له المسلمون الشكر على هذا الاختيار الموفق .

أى شيخ الأزهر :

أنت فذ في عبقريتك ، مكين في عقيدتك ، قوى في دينك ، كريم في خلقك ، شجاع في الحق ، وقد آتاك الله سلطان الدين ، ووضع في يدك راية الإسلام ، فارفعها في الخافقين بمحاربة الإلحاد والضلال ، وبيان الحرام من المعاملات والحلال : وإبلاغ دعوة الإسلام على وجهها الصحيح إلى الناس كافة ، ونشر الثقافة الدينية في جميع بقاع الأرض حتى تعود للدين جدته وقوته ، ولأزهر عظمتة ومكانته .

هذا يا فضيلة الأستاذ الأكبر مطلبى الوحيد منك وقد بلغت متبهى ما يصبو إليه رجل الدين ، وإن تحقيقه ليجتاح إلى مجهود جبار وعمل متواصل بالليل والنهار . لهذا أضرع إلى الله الكريم الوهاب أن يمنحك السلامة والعافية ، ويتم لك الشفاء ، ويهبك كمال الصحة ، ويبعث فيك مزيداً من النشاط بعد أن قاسيت من المرض ما قاسيت ، وأن يحريك عن هذا أجر الصابرين .

وإني إذ أهنتك بمنصبك أو في الحقيقة أهني بك المنصب الجديد ، أسأل الله أن يديم لك الرأي السديد ، ويمنحك المعونة والتأييد .

عبد الرحمن عيسى

مدر المجلة

شيخ الجامع الأزهر

فضيلة الأستاذ محمود شلتوت فقيه واسع الأفق ، بصير بالأحكام الشرعية الملائمة لحاجات الناس ومقتضيات العصر ، ومفسر ملم بكتاب الله وسنن الكون ، وعالم اجتماعي يعرف أمراض المجتمع ووسائل علاجها ، حارب الجنود والعصية المذهبية التي جعلت من المذاهب أديانا ، وفرت بين المسلمين . وندد بفكرة غلق باب الاجتهاد في الشريعة الإسلامية واعتبره غلقاً للعقول ، وتعطيلاً لكتاب الله ، ومجافاة لنصوصه الداعية إلى البحث والنظر ، وله مدرسة في كل ذلك دفعت قافلة الفكر الإسلامي إلى الأمام ، وله آراؤه الإصلاحية في النهوض بالأزهر الذي كان في سبيل إصلاحه منذ سنة ١٩٢٤م حتى الآن .

ولد في ٢٣ أبريل سنة ١٨٩٣ م ، ببلدة منية بني منصور مركز إيتاي البارود مديرية البحيرة ، وبعد أن أتم حفظ القرآن الكريم التحق بمعهد الإسكندرية الديني سنة ١٩٠٦م . وكان أول فرقته في جميع سني الدراسة ، وقد نال شهادة العالمية النظامية عام ١٩١٨ م ، وكان ترتيبه أول الناجحين فيها .

وبعد تخرجه عين مدرساً بمعهد الإسكندرية الديني عام ١٩١٩ م ، وقد تابع نشاطه العلمي في المعهد وفي الأوساط العلمية ، وفي الصحافة فيما يتصل بعلوم اللغة والتفسير والحديث وسائر العلوم الدينية ، ونادى بوجوب إصلاح الأزهر ، واستقلاله عن الجهات التي يخضع لها .

وفي سنة ١٩٢٧ م نقل مدرساً بالقسم العالي في القاهرة .

ولما عين المرحوم الشيخ المراغي شيخاً للأزهر سنة ١٩٢٨م تجاوزت فكرته الإصلاحية مع فكرة الشيخ المراغي في إصلاح الأزهر ، وأيد ذلك في عدة مقالات نشرت في صحيفة السياسة اليومية ، وغيرها من الصحف .

ثم نقل مدرساً للفقہ الإسلامي بأقسام التخصص في الأزهر ، وفي سنة ١٩٣١م تعارضت آراؤه الإصلاحية مع المشرفين على سياسة الأزهر في ذلك الوقت ، وانتهى الأمر بفصله في ١٧ سبتمبر سنة ١٩٣١م مع بعض زملائه ممن يؤمنون بفكرته الإصلاحية .

شيخ الجامع الأزهر

وبعد فصله تابع فضيلته تقدمه لسياسة الأزهر ، ونشر أفكاره الإصلاحية بالصحف اليومية والمجلات ، واشتغل بالحمامة ، والبحوث العلمية أثناء هذه الفترة إلى أن أعيد إلى الأزهر سنة ١٩٣٥ م وعين وكيلا لسلكية الشريعة الإسلامية ، ثم مفتشاً بالمعاهد الدينية .
وفي سنة ١٩٣٧ م مثل الأزهر في مؤتمر لاهاي الدولي للقانون المقارن ، وألقى بحوثاً في التشريع الإسلامي ، وكان من أثرها أن قرر المؤتمر أن الشريعة الإسلامية ، تشريع مستقل ، وقائم بذاته ، ويصلح مصدراً للتشريع في كل زمان ومكان .
وفي سنة ١٩٤١ م قدم رسالة في المسؤولية المدنية والجنائية في الشريعة الإسلامية ، نال بها عضوية جماعة كبار العلماء بالإجماع ، وكان أصغر الأعضاء سناً .
وفي سنة ١٩٤٢ م ألقى محاضراته الإصلاحية في السياسة التوجيهية التعليمية بالأزهر .
وفي سنة ١٩٤٦ م اختير عضواً في المجمع اللغوي .
وفي سنة ١٩٥٠ م عين مراقباً عاماً لمراقبة البحوث والثقافة الإسلامية بالأزهر ، ووضع أسساً لإصلاح المراقبة ، ولعلاقة مصر الثقافية مع العالمين العربي والإسلامي ، وغيرهما .
وفي سنة ١٩٥٧ م عين مستشاراً في المؤتمر الإسلامي ، ثم وكيلا للجامع الأزهر ، وظل في منصبه حتى صدر القرار الجمهوري باختياره شيخاً للأزهر .
وفضيلته فوق ذلك عضو في اللجنة العليا للعلاقات الثقافية الخارجية بوزارة التربية والتعليم ، وعضو بالمجلس الأعلى للإذاعة ، ورئيس للجنة العادات والتقاليد بوزارة الشؤون الاجتماعية ، وعضو في اللجنة العليا لمعونة الشتاء .
وله محاضرات في تفسير القرآن الكريم بدار الحكمة ، ودور التعليم ، والجمعيات ، والهيئات . كما يتابع فضيلته تفسيره في مجلة رسالة الإسلام التي تصدرها دار التقريب بين المذاهب الإسلامية ، ويتابع بحوثه الإسلامية ، والاجتماعية على صفحات الجرائد ، والمجلات وفي الإذاعة .

وله كتب ورسائل في الدين ، والاجتماع ، والتشريع ، من بينها :
فقه القرآن والسنة . كتاب مقارنة المذاهب . كتاب يسألون ، الذي طبعته وزارة الثقافة والإرشاد ، وكتاب منهج القرآن في بناء المجتمع الذي طبعته وزارة الأوقاف ، والمسؤولية المدنية والجنائية في الشريعة الإسلامية ، والقرآن والقتال ، والقرآن والمرأة ، وتنظيم النسل ، وتنظيم العلاقات الدولية في الإسلام ، والإسلام والوجود الدولي للسليين .

صلى تعين فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخاً للأزهر

استقبل العالم الإسلامي والعربي قرار زعيم العروبة والإسلام السيد الرئيس جمال عبدالناصر بإسناد منصب مشيخة الأزهر إلى فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت بمظاهر الفرح والابتهاج والثناء والشكر للسيد الرئيس ، وبآلام الكبار التي يعقدها المسلمون على رائد الفكر الإسلامي في العصر الحديث الشيخ شلتوت في النهوض بجامعتهم الإسلامية الكبرى لتؤدي رسالتها على الوجه الذي يقوى الروابط الروحية والثقافية بين جميع الدول العربية والإسلامية .

وقد وفد على مكتب فضيلته ومنزله كثير من الشخصيات الكبيرة للنهضة . وكذلك ورد على رئاسة الجمهورية وعلى مكتب فضيلته ومنزله سيل غامر من البرقيات والرسائل من الجمهورية العربية المتحدة وجميع الدول العربية والإسلامية التي بعث بها الأمراء والوزراء وكلاء الوزارات ومديرو الجامعات وعمداء الكليات وأساتذتها وشيوخ المعاهد الدينية وأساتذتها وموظفوها وطلابها ومديرو ورؤساء وموظفو المصالح الحكومية ، وكبار رجال الدين على اختلاف دياناتهم ومذاهبهم ورجال العلم والفكر والأدب والقانون والطب والاقتصاد وسائر الهيئات والجمعيات والأفراد من مختلف الطبقات من مسلمين وغيرهم .

وهذه البرقيات والرسائل من أبرز الظواهر التي تدل على رقي الوعي العربي والإسلامي ونضوجه وكلها تدور حول أمور ثلاثة على جانب عظيم من الأهمية والسمو والخطورة .

أولها : شكر زعيم العروبة والإسلام الرئيس جمال عبد الناصر على هذا الاختيار الموفق .

ثانيها : تعلق المسلمين بجامعتهم الأزهرية وعظم مكانتها في قلوبهم .

ثالثها : تقديرهم الكريم عن جدارة لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت وآمالهم العظيمة فيه ، بعد إسناد منصب مشيخة الأزهر إليه .

ونورد هنا بعض الكلمات الشعرية والنثرية التي اتسع لها المقام في هذه المناسبة الكريمة ثم نتبعها ببعض مقتطفات من البرقيات معذرين عن عدم نشر باقي الرسائل والبرقيات العديدة مع تقديرنا لشعور مرسلها وصدق عاطفتهم نحو الدين والأزهر وشيخه الجديد .

تهنئة وأمل

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت

شيخ الأزهر الجديد

هل أنت آس جراح الأزهر العاني
وهل ليل الحيارى فى غياهبه
وهل تعيد له ما ضاع من ثقة
وهل ترى ينهض العملاق منتفضاً
يعنوله الدهر إجلالاً ويرهب أن
محمود عذر القوافى فى تساؤلها
كم راح غيرك مزهواً بمنصبه
لكن مثلك لا يزهى بتهنئة
لما تجاوبت البشرى حملت لها
تراحمته فى فمى للحق واستبقت
أقول: يا شعر هذا الروض فانش به
حق عليك فكم أعلاك منزلة
من لو يجر على طرس يراعه
الألمعى الذى تكفيك لحته
ومرهف الحس لم تخطى مشاعره
هنئه يا شعر واهتف فى خمائله
إن المعالى للأكفاء مفخرة
ما كل من نالها أهل لتهنئة
إن العلا لعروس إن خطبت لها
وموقف لعلاه كل وسان ؟
فجر بعهدك يهدى كل حيران ؟
وما تبدد من عز وسلطان ؟
حراً أياً عزيز الشأو والشان ؟
يغشى حماه وما يعنو لإنسان
فلست مهما جفا قولى بخوان
والتهنئات ولم ينهض ببنيان
إلا على عمل مجد وإحسان
قيثارتى بعد ما طهرت ألحانى
لظل روض من الآمال فينان
على الوفاء شذاً روح وريحان
وطالما شرفتني منه أذنان
ثناك تعثر فى إغضاء خزيان
فظنه ويقين الناس سيان
مشى النمل على ملساء صفوان
واصدح بعصاء يروها الجديان
وللدعين ثقص أى نقصان
فقد تعزى إذا ما نالها وان
من ليس كفتاً تردت ثوب أحزان

تهنئة وأمل

في مهرجانك يا مولاي أبعثها
 هام الربيع بها حبا فألف من
 جاءتك بالأمل المرجو ناضرة
 أعد لأزهرنا قدسى منصبه
 وصد عنه تعلات يروجها
 ماذا جناه وقد أدى رسالته
 إنا لنرى زمن الأحرار فامض به
 وقل لهم إنه قومية جمعت
 فكيف يهضم دون الجامعات له
 اجعله جامعة معنى وتسمية
 أوعده به جامعاً تغنى قداسه
 وألق في مسمع الدنيا بصيخته
 ولا تخيب رجاء فيك منعقدأ
 لاحت مخايل إصلاح بدأت بها

عذراء تحتال في وشى وألوان
 أشاتها زهره في كل بستان
 فلا تدعها بلا ساق ولا حان
 فظالما اهتز من ذل وخذلان
 مروج الزيف من زور وهتان
 غير اضطبار على منع وحرمان
 حراً شجاعاً يرجى عدل شجعان
 شمل العروبة قدماً منذ أزمان
 حق ويخس في كيل وميزان ؟
 فما نعلل عن حق بعنوان
 عن الحطام حطام المظهر الفاني
 حتى يردد سراها السما كان
 فانت أدري بالآلام وأشبان
 فأنتم الخير تغتم كل شكران

حسن جاد

المدرس بكلية اللغة العربية

« من قصيدة للأستاذ محمد صالح الريدی المشرف العام على جمعيات تحفيظ القرآن الكريم ،

ومشيخة الإسلام ترفع بندها
 لك الله عبد الناصر اخترت عالما
 ومحمود شلتوت طوال حياته
 وفي الأزهر المعمور جليل صوته
 هناء له والمسلمين بفضلـه

لمحمود شلتوت علياً وضافيا
 إماما يفى للعلم هيمان صاديا
 نراه إلى حفظ المنزل داعيا
 وأصبح في إقليمي القطر عاليا
 عهدناه دوما جاهدا متفانيا

تحية لشيخ الأزهر

إنه لرأى عام - وليس هو بالرأى الخاص عندى - أن رسالة الجامع الأزهر فى المستقبل أهم وأعم من رسالته فى الماضى منذ نشأته .
كانت رسالته فيما مضى رسالة تسجيل وتعليم ، ولكنه اليوم لا تقنعنا منه رسالة دون رسالة الإنشاء والتوجيه .
وكان يحيط بالعلم كله إلى عهد غير بعيد ، أما اليوم فالعلم أوسع من أن يحاط به فى معهد واحد ، وألزم من أن يستغنى عنه بجزء منه .
وكان الجامع الأزهر يمتضى فى رسالته والأديان مقبلة والزندقة مولية ، ولكنه اليوم يتولاها والأديان فى موقف دفاع ، بعضه أمام الخصوم المنكرين ، وبعضه أمام الأتباع والأشياع .
إنما ينهض رسالة الأزهر فى عصرنا هذا رجال على علم بالعلم المطلوب ، وفى طليعة هؤلاء الرجال من أبنائه صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر « الشيخ محمود شلتوت » .
أعانه الله ، وحقق له ما يرجوه وما يرجى على يديه .

عباس محمود العقاد

تهنئة خالصة

مهداة إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

العلم عوفى إذ عوفيت والأدب	وزال عنك إلى أعدائك الوصب
وأنت من علماء الدين قائدهم	سيان إن كتبوا فى الدين أو خطبوا
والمجد للدين والعرفان مرجعه	وليس مرجعه مال ولا نشب
فالعلم يزكو على الإنفاق كوثره	والمال يدركه إن ينفق العطب
ذكرتنا بالمراغى فى مجادته	فإن بمجدهك موروث ومكتسب
وأزهر الدين قد مالت به عمد	فالله يرسي بكم ما منه يضطرب

أحمد شفيع السيد

كلية اللغة العربية

الأزهر وشيخه الجديد

منصب شيخ الأزهر من أهم مناصب الدولة . فالأزهر حقيقة علمية دينية يحف بها تاريخ مهيب ، كان منذ إنشائه ملتقى للثقافات الإنسانية العالية على اختلافها . ومارس حرية الفكر والبحث قبل أن تمارسها أية جامعة من جامعات العالم . وعانى علماءه الاضطهاد في سبيل الرأى والإيمان . وضربوا أعظم الأمثلة على تحمل المكاره في سبيل ما يعتقدون أنه حق وصواب . وقد ظل الأزهر أكثر من ألف سنة مركز الإشعاع الروحي والذهنى للعروبة والإسلام ، وكانت ساحاته ، وأروقته تحتشد بأبناء الشعوب الإسلامية في المشرق والمغرب حتى ليكن أن يقال إنه كان وحده جامعة عربية وقومية عربية وعنصر المقاومة الفعالة للاحتلال الفرنسى والاحتلال البريطانى ، ومن الأزهر انبعث الثورات والانتفاضات القديمة ، وانبعث الثائرون والمنفضون القدامى .

هذا الأزهر ذو التاريخ الحافل والجاه العلى والدينى يعد بالنسبة إلينا ثروة ضخمة لا ينبغي أن نبددها ، أو نجمدها ولكن يجب أن تنمى . يجب أن نعد المشروعات لى نرد للأزهر مكانته كجامعة علمية كانت منذ ألف سنة تسير على أحدث النظم التى تسير عليها الجامعات العالية الآن ! يجب أن نوفر للأزهر الضمانات التى تحفظ عليه وقاره الدينى فلا نفتح أبوابه لمن لا يجد غير هذه الأبواب ، وإنما تفتح أبوابه لمن يصلون فى استعدادهم الذهنى والروحى إلى مستوى لا يصل إليه الناس العاديون .

وقد سرنى اختيار فضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت شيخاً للجامع الأزهر ، فهو أحد علمائنا الأزهرين الذين جمعوا بين التعمق فى فهم الدين والإيمان به ، والتعبير عنه .

وأعتقد أن الرسالة المطلوب من الأزهر أن يؤديها للدين ، هى الفهم الصحيح والإيمان الصحيح ، والتعبير الصحيح .

كامل الشناوى

إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

بمثلك دين الله تقوى أوامره
فما أنت إلا عالم عز مثله . .
وكيف يطل الخطب في أفق أزهر
فله در الشيخ لما أتى له . .
وقد عم نور البشر كل رحابه
فيارب ليل وجهه قلب كافر
وقد أصبحت فيه الفضائل تزدهى
وقد كان قبل اليوم يندب حظه
فأنت له من رقدة الموت ناشر
هنيئاً لنا بالفوز، والمجد، والعلا
فيا عالماً مد الأنام بفيضه
أنتك المعالى وهى تخطو حثيثة
فللناس بحث كل حين تزفه
كبدر الدجى فى الأفق عم ضياؤه
فكم مشكلات خضت فيها بحكمة
فى الحق صولات وفى العلم مثلها
وأنت لطلاب المعارف مورد
لقا، جندتك اليوم نفس أبية
وأزهرنا المعمور فى عيد بهجة
أطل منيعاً منذ وليت أمره
فدام إمام العلم فى ثوب صحة . .

وتزهى على مر السنين شعائره
كما بين هذا الترب عزت جواهره
وفى كفك البيضاء، صارت مصائره
مضى يتباهى فى البرية حاضره
وكبر للدولى، وقرت نواظره
لمقدم هذا النور، ولت دياجره
وتزرى بأفلاك السماء مفاخره
يكسفكف دمع الحزن، إذعزناصره
كأأنك إسرافيل، والله أمره
وأهلاً، بمن كل القلوب تؤازره
لك القلب كنز، أنت فيه ذخائره
ومن غيركم تلك المعالى تصاهره ؟
تضوع بنشر المسك فيهم أزاهره
على صفحات الشعب كم لاح خاطره
فكان لكم فيها من الرأى باتره
وكل عصى فى يدك سريره
يموج بنور، أعجز الطرف آخره
فتم لظلام الجهل، إنك قاهره
ترف به الآمال، ما انقض سامره
وأسمى عزيز الركن من ذا يكابره ؟
وحلت بناديه الأمانى تجاوره !

عبد الله أبو عيد

الأستاذ الأكبر

الأستاذ الأكبر محمود شلتوت، من ذوى الآفاق الطيبة المتعددة التى يتسع فيها القول . أتحدث اليوم بإيجاز فى تهنته عن واحد منها فى هذه المناسبة الكريمة . بوضع ذلكم العظيم فى موضعه الكريم من مشيخة الأزهر هذا الوضع الذى أهنى به العالم الإسلامى ، أجمع الذى كان منتظراً ذلك الجليل شيخاً للأزهر والإسلام . تاركاً آفاق الإصلاح التى يرتجىها على يده إلى كلمات آتية إن شاء الله .

لعل أوضح خصائص النابهين من أعلام الإسلام مثل الأستاذ العظيم هو سعة تفكيرهم فى معانى القرآن الذى هو دستور الإسلام إلى يوم الدين ، هذه السعة التى أختصها بجدى عن الشيخ اليوم ، هى التى ترجمها الشيخ الأكبر المراغى فى وصفه أستاذه الإمام محمد عبده من أفقه القرآنى - بقوله :

« اعتقد أننا إذا جاوزنا عصر السلف الصالح لا نجد رجلاً رزق فهماً فى هداية القرآن ، ووسع صدره أدق معانيه الاجتماعية والعمرانية مثل الإمام محمد عبده . . . » .

لم ينقطع هذا الفيض القرآنى بعد عصر الإمام محمد عبده ، بل اتصل حاضره بماضيه وآخره بأوله ، فقد ربط الشيخ الأكبر محمود شلتوت بين عهده وبين عهد الإمام ، وبين طريقته وطريقته بعروة وثقى لا انفصام لها ، فكان طليعة وارثيه فى استقامته على طريقة الإصلاح بالقرآن للعقائد الدينية ، وللجمع الإنسانى .

درست - ولا أقول قرأت - « كتبنا » فى حجمه ، ولكنه سفر كبير فى معناه . وضعه الشيخ الأكبر شلتوت ، وسماه : « منهج القرآن فى بناء المجتمع » ، وما أصدق ما قالوا : الكتاب يقرأ من عنوانه .

فلقد استبطن الشيخ أسرار القرآن وحكمه . وسار فى سبيله متوكئاً على آيات الذكر الحكيم فى كل غدواته فى الكتاب وروحاته . وفى كل أحاديثه فيه ومحاضراته . وإذ بك أمام مجتمع جديد ، انتزع الشيخ صورته من كتاب الله فى قول حكيم ، وتوجيه سليم ، يتنقل بك من أساس القرآن فى رباط المجتمع . إلى التبتل فى نظر القرآن . إلى التكالب على الدنيا وعلاجه ، إلى الروحية والمادية المهدبتين . إلى أن الإسلام دين العقل والعلم . إلى فقه التضامن الاجتماعى وحقيقته . إلى المال ووظائفه فى الحياة ، وأساليب القرآن فى الدعوة إلى الإنفاق ، إلى التسول المهين وعلاجه ، إلى عناية الإسلام باليتام والضعفاء ، إلى معانى التفرقة وحقائق

الاتحاد وكيف يكون الاعتصام بحبل الله . إلى غير أولئك وأولئك مما وعاه صدر الشيخ من أسرار القرآن وبنى به مجتمعاً إنسانياً كريماً .

وبعد فلقد قال الإمام محمد عبده في تفسير كتاب الله : « فهم القرآن متوقف على فهم العالم . . . فلا يمكن فهمه إلا بفهمهم أيضاً » .

وعلى هذا الأساس كان يفسر القرآن . وهكذا رأيت الشيخ الأكبر شلتوت في مناجاه القرآن . إنه يفهم قومه ويفهم القرآن ، ولذلك استطاع أن يضع لهم دستور إصلاح قرآني كريم ؟
حسن الشيخة

إلى الأستاذ الأكبر

الله أكبر عم النصر واديننا	بشراك يا قلب قد وافت أمانينا
وافت مع الشيخ شلتوت تهنئنا	باسم الشريعة وانجابت دياجينا
لما اعتلى المنصب المرموق مال به	تيها وأقبلت الدنيا تحيينا

* * *

يا حامى الدين تكريماً وتهنئة	لك التهاني زففسها رياحينا
تعال محمود وأشدد أزر نهضتنا	وألف القوم كي تحيا معانينا
جدد فإننا إلى التجديد في شغف	وانظر لخريجيه وانشر به الدينا

محمد أحمد الشال

مدرس بمدرسة الإيمان الإعدادية

بشبرا

تقدير

أريد أن أهنيء المسلمين في سائر أنحاء الأرض باختيار فضيلة الأستاذ الأكبر محمود شتوت شيخاً للجامع الأزهر .

إنه نبأ يستحق التهنئة حقاً ؛ لأن صدر شيخ الإسلام الجديد يحمل آفاقاً واسعة للإصلاح منذ زمن بعيد .

وأنا أعرف الشيخ شتوت منذ سنوات طويلة . منذ كنت مراقباً للبرامج الثقافية بالإذاعة المصرية ، وكان فضيلته يقدم أحاديث الصباح الدينية .

وأشهد أن أحداً من محدثي الصباح لم يصب شيئاً من النجاح الكبير الذي أصابه الشيخ شتوت في تاريخ الإذاعة المصرية ، بصوته القوي المؤمن ، حتى لقد كان المستمعون يطالبون بأن تكون أحاديث الصباح وقفاً عليه .

ولعل القراء يذكرون أن أستاذنا فكري أباطه قد بدأ منذ عامين حملة إصلاحية على صفحات (المصور) بعنوان (إني أتهم) وقد خص الأزهر بإحدى مقالات هذه الحملة .

ثم تابعتها أنا ، فكتبت أكثر من عشرين مرة أنهم الأزهر بالقصور في أداء رسالته نحو المسلمين هنا وفي سائر أنحاء العالم .

وأذكر أن الشيخ شتوت تفضل ذات مرة بزيارتي في أثناء هذه الحملة ، مدافعاً عن الأزهر وتحدثنا يومئذ حديثاً طويلاً لم يخف فيه الشيخ شتوت أن فيه قصوراً في أداء الرسالة ، وأن هناك أبواباً كثيرة يجب أن تطرق في سبيل الإصلاح المنشود .

واليوم . . . أن أن تفتح هذه الأبواب ، فليستبشر المسلمون ؟

الحق أقول لكم

شيخ الأزهر :

يعرف فضيلة الأستاذ الأكبر ما تكسبه له « المجلة » من إجلال ، وما يعظمه رئيس تحريرها لفضيلته من إعجاب واحترام .

والحجون للأزهر . هذه المنارة الرفيعة من منارات العرفان في العالم ، يتوقعون الكثير من تولى فضيلة الشيخ محمود شلتوت لشئون جامعتنا الدينية الكبرى .

ويبدو أن الحاديين على الجامع الأزهر يحتفلون بقدر عدهم على مناهج الإصلاح ، مع أن الأمر يجب أن يكون أيسر مما تتصور جميعاً .

فنحن لا نريد للأزهر أن يتحول إلى جامعة علمانية . ولا نطالبه بأكثر من أن يخرج علماء يعيشون في زمانهم ، أى في النصف الأخير من القرن العشرين ، يفهمونه بقدر ما يفهمون رسالتهم الإنسانية السامية ؛ لأن أداء هذه الرسالة يقتضيهم أن يعرفوا زمانهم تمام المعرفة وأن يكونوا خبيرين بكل مشكلاته الروحية والمادية ، وأن يتحكموا في اللغات الأجنبية وفقها تحكما يسمح لهم بالاتصال المباشر بالمسلمين وغير المسلمين في أنحاء الأرض ممن يتحرك لسانهم بغير اللغة العربية .

ومعنى هذا تعديل شامل في أساليب الدرس والتدريس ، وتغيير جوهرى في المناهج ، وتوسيع لأفق الاطلاع يهيئ الطالب الأزهرى لتأدية رسالته على الوجه الذى يحقق حاجات الناس ، ويتمشى مع روح العصر .

دكتور

حسين فوزى

تعيين شيخ للجامع الأزهر

أصدر الرئيس جمال عبد الناصر مرسوما بتعيين فضيلة الشيخ محمود شلتوت شيخاً للجامع الأزهر الشريف بدلا من الشيخ عبد الرحمن تاج الذى أسندت إليه وظيفة سامية فى الجامعة العربية .

والشيخ شلتوت يعتبر من كبار العلماء العاملين وله منزلة عظيمة فى جميع الأوساط الدينية والعلمية حيث يتمتع بتقدير الجميع - وقد كان لتعيينه أثر طيب فى أوساط الأزهر الشريف وكلياته .

وقد انتهالت عليه الثمانى من سائر الأقطار الإسلامية . وتعتقد الأوساط العلمية أن فضيلته سيدخل تحسينات جوهرية على أنظمة الكليات وغيرها من المرافق التابعة للأزهر .

تهنئة وتقدير

داعب البشر والرضى شفتيه	شاكراً ربّه على نعمتيه
ثائر الأمس زاده الله عليا	شع نور الجلال من عارضيه
واصفاه الرئيس خير مثال	تحتذيه الرجال فى أصغريه
بارك الله فى الرئيس دواما	وجرى الخير دافقاً من يديه
أيها الثبت فى زمان تهاوى	فيه رأى الحبيب من جانبيه
إنما الأزهر العتيد منار	يقبس المشرقان من طرفيه
فاجعل الدرس ضافياً فى وضوح	كالذى كان يوم سرت إليه
مثل شلتوت لا يغر بـمدح	بارك الله فى مدى قوته

(من قصيدة للأستاذ)

محمد كامل شاش

العالم العربي والإسلامي

يشكر الرئيس ويهنيء ويعقد الآمال

(مقتطفات)

نورد هنا مقتطفات من بعض آلاف البرقيات والرسائل الواردة من سائر الأقطار والهيئات التي لم يعرف الأزهر في تاريخه القديم والحديث شيخاً قوبل بمثلها ، والتي تدل على اجتماع قلوب العرب والمسلمين ، وتلاقيها حول هذا القرار الحكيم ، وعلى إيمانهم برسالة الأزهر السامية في العالمين العربي والإسلامي .

من برقيات الجمهورية العربية المتحدة :

الإقليم الجنوبي

كليات الأزهر ومعاهده :

- نشكر منقذ مصر والعروبة وحامل لواء الحرية والسلام في العصر الحديث على رعايته للأزهر ورعاية مجده العظيم بإصدار القرار الجمهوري بتعيين فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخاً للأزهر .

* * *

- رعاك الله يا زعيم العروبة وحياك ومكن للأزهر في كل ما يرجوه المسلمون منه في أيامك بالغر وحياتك المباركة .

* * *

- أدخلتم السرور على قلوب المسلمين وأثلجتم صدور الأزهرين بإسناد مشيخة الأزهر إلى فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ شلتوت .

* * *

- نرفع آيات الولاء والاعتراف بجميل عنايتكم بالأزهر بإسنادكم منصب رياسته للعالم الفاضل الشيخ شلتوت . . . وندعو الله جلّت قدرته أن يديم عليكم نعمة التوفيق ويجزيكم عن الإسلام والأزهر خير الجزاء .

* * *

جهة علماء الأزهر :

- توليكم مشيخة الأزهر إحياء لمجد الأزهر وإعزاز للإسلام واسترداد لحقوق الأزهر وهي نعمة من الله تستحق الشكر وتم النعمة بدوام التوقيق إلى ما فيه خير الإسلام والمسلمين، وإن جهة العلماء التي تعرف فيكم المثل العليا والتي طالما عقدت الآمال على أن يشغل هذا المنصب الخطير مثلكم علما وغيره على الأزهر والإسلام تنتظر الخير الكبير .

* * *

الوعظ :

- أصدق آيات الشكر على تفضل الرئيس باختيار صاحب الفضيلة الشيخ شلتوت شيخا للأزهر لما عرف عن فضيلته من جهوده الموفقة في سبيل الدين والنهوض بالأزهر .

* * *

- إسناد رئاسة الأزهر إلى فضيلتكم تحقيق لأمل العالم الإسلامي .

* * *

الجامعة ورجال التربية والتعليم :

- ماضيكم الحافل وتجاربكم الواسعة وذكاؤكم الوقاد ، وجهادكم الدائم وتوفر كل ما تحتاج إليه مهمة القيادة الدينية في الوقت الحاضر في شخصكم الجليل كل أولئك جعل اختياركم لمنصب مشيخة الأزهر اختيارا موفقا .

* * *

الشباب المسلمون :

- نرجو للأزهر في عهدكم أن يجدد دين محمد ويعلم المسلمين معنى الجهاد في الدين .

* * *

رجال القضاء :

- العالم الإسلامي ينظر إلى فضيلتكم نظرة المصلح فأعيدوا للأزهر مجده ونضارته والله معكم .

اتحادات الأزهر بالأقاليم :

اجتمع رؤساء اتحادات خريجي الأزهر بالأقاليم في دار الاتحاد العام بالقاهرة مساء الأربعاء ٥ / ١١ / ١٩٥٨ وقرر المجتمعون انتداب وفد منهم يقوم بتمثيلهم في تهنئة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت، شيخ الجامع الأزهر .

كما قرروا ما يأتي :

١ — إرسال برقيات شكر للسيد رئيس الجمهورية العربية المتحدة على ثقته الغالية بفضيلة الأستاذ الأكبر .

٢ — تجديد الثقة الغالية بالسيد رئيس الجمهورية والوقوف خلفه صفاً واحداً حتى يحقق للعرب آمالهم وللشرق أهدافه .

٣ — تسجيل أسمائهم بديوان التثريفات ببراي القبة للشكر على هذا التوفيق .

جمعية أنصار السنة المحمدية :

- نرفع لفضيلتكم أخلص التهنة بتوليكم منصب مشيخة الأزهر الشريف ونشكر لسيادة الرئيس جمال عبد الناصر كريم اختياره الموفق المشكور ، وإن مواقف فضيلتكم المشرقة في إصلاح العقائد لتحملنا على اليقين بأن نور الكتاب والسنة سيمحو في عهدكم المشرق البدع والخرافات ويعيد للدين جلاله وإشراقه .

* * *

رجال الدين المسيحيون واليهود :

- تهايننا لمنصبكم الهام وفقهكم الله للسلام والمحبة لخير الإنسانية والوطن .
- تحقق ما كنت آمله ، وإنى أدعو الله مخلصاً بأن يكلاًكم بعيني رعايته ويمدكم بروح منه حتى يتم هذه الرسالة بما أوتيت من فضل وعلم وحكمة ، وأن ينفع بك الإسلام والمسلمين وتوحيد كلمة العرب .

صدى تعيين الشيخ شلتوت

من الإقليم الشمالى

الوزراء :

- أطيب التمنيات للأزهر فى عهدكم .

* * *

رجال القضاء والإفتاء :

- تعيينكم لمشيخة الأزهر الشريف رجاء منتظر وحسنة لرئيسنا المحبوب تذكركم فلتشكر ،
حقق الله الآمال .

- نهنئكم بما تفضل الله عليكم وعلى المسلمين بتوليكم مشيخة الأزهر ، راجين من الله
أن يرفع بحسن توجيهكم ورعايتكم شأن الإسلام والمسلمين .

* * *

رجال الجامعة :

- مشيخة الجامع الأزهر مشيخة الإسلام ، وقد اكتملت فى فضيلتكم من الصفات
والكفاءات ما جعلكم أهلاً لتنعوا بشيخ الإسلام . . . أبقاكم الله ذخراً للإسلام ، وعلماً
فذاً من أعلامه العظام .

* * *

رجال التربية والتعليم :

- تعيين لاقى محله ، نهنئ الأمة العربية والإسلامية ، ونهنئ أنفسنا أبقاكم الله ذخراً
للعرب والمسلمين .

* * *

رجال الإذاعة :

- أرجو من الله عز وجل أن يأخذ بيدكم إلى ما فيه الخير والصلاح .
- بمثلكم يهنا المنصب الخطير ، وقد ادخركم الله لعهد الثورة الناهضة ، فأحيوا
الآمل وحققوا الرجاء ، سدد الله فى الإصلاح خطاكم .

صدى تعيين الشيخ شلتوت

من الأقطار العربية والإسلامية

العراق

- المكان بالمكين ، تسلمكم المنصب بعث لحياة الأزهر ، وازدهاره حقق الله بكم آمال المسلمين بلم الشعث وانطلاق دعوتهم الحققة .

* * *

الكويت

من الأمراء :

- يسرنا أن نقدم إليكم خالص التهاني بتسلمكم المنصب الخطير ، داعين لكم بالمزيد من التوفيق والسداد في خدمة العروبة .

من رجال التعليم :

- نهني " الأزهر بكم .
- ندعو لكم بدوام التوفيق اتصلوا بالأزهر إلى المكانة المرموقة .
- نرجو للأزهر الشريف على يديكم كل تقدم وازدهار ، وفقكم الله لما فيه صالح العروبة والإسلام .
- نبارك للأزهر والعالم الإسلامي .

* * *

قطر بالخليج الفارسي

- توليكم لمشيخة الأزهر رد الأمر لأهله ، فلا زلتم علم الإسلام وإمامه ولسانه .
- أخلص التهاني والدعاء بالتوفيق .

* * *

المملكة العربية السعودية

- نهني " الأزهر بكم .

* * *

الطائف :

- تهنتى القلبية وفاةكم الله .

السودان

- الشيخ شلتوت هو الرجل الأول فى هذا الوقت بين علماء العالم الإسلامى فإسناد أمر الأزهر إليه ، وهو الرجل الواسع الأفق الشديد الغيرة ، الخبير بمواطن الضعف فى الأزهر خاصة ، وفى العالم الإسلامى عامة ، لا شك أنه خطوة واسعة ثابتة لتقدم الأزهر .

* * *

لبنان

مفق الجمهورية

- نهنى* فضيلتكم بالمنصب الجليل ، راجين فى عهدكم المشرق وما نعهد فىكم من تجديد وإصلاح ، الخير العميم ، داعين لكم بالتوفيق والسداد .

قبيلة اللقلق

- نشكر سيادة الرئيس ، ونهى* الأزهر والمسلمين بكم والله يوفقكم .

رجال التربية والتعليم

- أهنتكم راجيا لكم التوفيق للقيام بأمر المشيخة العظمى .

* * *

المغرب العربى

- نهنتكم بمنصبكم العظيم ونمنى للأزهر وللمسلمين عامة فى عهدكم ما يعيد للإسلام مجده وللدين قدسيته .

- إن سرورنا بإسناد المنصب الإسلامى الخطير لفضيلتكم لينضاعف لما لكم فى النفوس من مكانة ، وما تتمتعون به من سمعة حميدة ، وما تعرفون به من تفقه فى الدين ، وسعة فى الاطلاع ، تجعلكم حجة وثقة ، ومرجعاً أميناً ، ورائداً حكيماً .

- نهنتكم بثقة السيد الرئيس جمال عبد الناصر ونشكره على اختياره غيوراً على حى الإسلام ومناهجه الرشيدة وقيمه الخالدة .

صدى تعيين الشيخ شلتوت

- نرفع تهاني أبناء ليبيا .

- صادق التبريك بالثقة التي نلتموها عن جدارة .

- أبعث إليكم مهنئاً متمنيا لكم التوفيق في تأدية رسالتكم المقدسة بمشيخة الأزهر الشريف
فزيدونه شرفاً وازدهاراً .

- الله يوفكم لما فيه خير الدين والدنيا للمسلمين .

فلسطين

- نضرع إلى الله أن يحقق على يديكم الخير للإسلام والمسلمين .

* * *

أثيوبيا - الصومال

- سعدنا وسعد معنا ملايين المسلمين في مختلف أنحاء الأرض .

- الأزهر سيعود له مجده السالف على يديك .

- إن الإسلام سيصل إلى الدنيا كلها .

- إن الفكرة الإسلامية ستجلى وتصبح بعيدة عن الخرافات .

* * *

أندونيسيا

- نتمنى لكم ولالأزهر أن تكون يدكم هي الحفيظة عليه وعلى الدين لرقبه ورفعته .

- أسارع إلى إسداء أصدق التهاني وأخلصها على هذه الثقة التي حلت محلها والحق إنني أهني

المنصب بكم ولا أشك في أنكم دافعو الأزهر الشريف دفعاً إلى الخير ومساعدوه بكل
قوتكم حتى يكون أهلاً لآداء رسالة السماء إلى الأرض وتحقيق الآمال الكبار المعلقة عليه
والمرجوة منه ، وأدعو الله دعاء حاراً أن ييسر لفضيلتكم السبل ويمدكم بعونه وتأييده
ويضع بين يديكم الوسائل الكفيلة بالنهوض بالأزهر تلك الجامعة الإسلامية العتيقة
التي تتجه إليها أنظارنا وآمالنا جميعاً .

* * *

صدى تعيين الشيخ شلتوت

الهند

- نرجو الله أن يحفظكم للإسلام والمسلمين ويحيى بكم الأزهر .

- فضيلة شيخ الجامع الأزهر :

تقبلوا التهاني وأطيب التمنيات من جماعة « دار العلوم » بمناسبة تعيينكم شيخاً للجامع الأزهر .
دار العلوم الجديدة بديو بند في الهند

* * *

من أوروبا وأمريكا

لاهاى : محكمة العدل الدولية :

- أخلص التهئة باختيار صادق أهله ، وإن تأخر مواعده ، وإنى أدعو الله أن يطرد لكم التوفيق وأن يحفظ الدين والوطن بصائب إرشادكم وصادق هدايتكم .

جنيف :

- عهد مشيختكم الكريمة عهد ازدهار وسؤدد ومجد أثيل للدين الحنيف ، رسالتكم السامية نحن فى حاجة إليها .

المانيا - الوفد الدائم لجامعة الدول العربية :

- أتقدم بخالص التهاني وأحسن التمنيات ، وكنت أود أن يكون هذا منذ عشر سنوات .
لندن :

- يسعدنى ويملاً جوانحى غبطة هذا الاختيار الذى كان يجب أن يتم منذ وقت بعيد ، فأرجو أن تقبلوا التهئة من أبنكم البار بكم وبأبوتكم .

واشنطن :

- بمناسبة تعيينكم شيخاً للجامع الأزهر يسرنى أن أعبر لكم عن خالص التهاني أمد الله فى عمركم وقادكم إلى خطوات النجاح والرفاهية فى منصبكم الرفيع ؟

زيارة

السيد رئيس وزراء أندونيسيا للأزهر

في الساعة التاسعة والثلاث من صباح يوم الاثنين ١٤ من ربيع الآخر سنة ١٣٧٨ هـ (الموافق ٢٧ من أكتوبر سنة ١٩٥٨ م) ، وفد ركب السيد / جواندا رئيس وزراء أندونيسيا على إدارة الأزهر فاستقبلته اللجنة المؤلفة لاستقباله باسم السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر ، وكان على رأسها السيدان ، صاحب الفضيلة السكرتير العام للأزهر الشيخ صالح شرف ، والمراقب العام للبحوث والثقافة الإسلامية بالأزهر الدكتور محمد البهي ، وكان مندوبو الصحافة ووكالات الأنباء ، ودور السينما في انتظار مقدمه ، وقد توجهوا جميعاً إلى مكتبة فضيلة الأستاذ الأكبر حيث رحب بهم الدكتور محمد البهي باسم فضيلته ، وتلا رسالة بعث بها الأستاذ الأكبر للسيد رئيس الوزراء الأندونيسي يرحب فيها بسيادته وبمرافقيه في رحاب الأزهر ، وعلى أرض جزء من وطننا الإسلامي الكبير ، ويهديه نسخة فاخرة من : « القرآن الكريم » باعتباره العروة الوثقى التي تلتقي عندها قلوب المسلمين ، والرابطة التي لا تنفصم بين أبناء الأمة الإسلامية ، ودستور الله الذي اهتدت الإنسانية في الماضي بهديه ، نخلق منها أمة الإسلام ، التي أرست قواعد العدل والأمن والسلام .

كما أهدى لسيادته كتاب « منهج القرآن في بناء المجتمع » ، وهو أحدث مؤلفات فضيلته ، ويبحث في نواحي هذا الدستور الإلهي : « القرآن » .

وعقب الدكتور البهي بذكر الروابط التي تربط شعبي الجمهورية العربية المتحدة ، وأندونيسيا ، وأن الأزهر هو مركز الإشعاع الروحي الذي يعم ضياؤه أرجاء المعمورة ، كما قال إنه من حسن الطالع ، أن تكون سيادتكم أول زائر رسمي للأزهر بعد تعيين فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخاً للجامع الأزهر ، فكان هذا استهلالاً حسناً ، في بدء عهد جديد مبارك في تاريخ الأزهر برياسة شيخه الجديد الشيخ محمود شلتوت .

زيارة رئيس وزراء أندونيسيا

ثم رد السيد رئيس وزراء أندونيسيا شاكرآ ، ومنوها بروابط الود الأخوى بين أبناء الأمة الإسلامية ، وأن الأزهر هو المعقل الذى يجمع بين القلوب ، ويحمل مشعل الهداية ، والنور ويدعو إلى السلام والمحبة .

ثم زار سيادته بعد ذلك المكتبة الأزهرية ، وشاهد ما فيها من نفائس الكتب والمخطوطات كما زار الأزهر واستمع إلى بعض الدروس فى الفقه والتفسير والنحو والبلاغة وقد نوه الدكتور الهبى بأن الأزهر يحرص على بعض تقاليده القديمة فى التعليم بجانب النظم الحديثة التى يسير عليها أبناؤه فى كلياتهم ومعاهدهم حالياً ، وشأنه فى ذلك شأن الجامعات الأوربية العريقة ، ثم انصرف سيادته ورفاقه شاكرين هذه الحفاوة البالغة التى استقبلوا بها فى رحاب الأزهر العتيق ؟

خطاب الأستاذ الأكبر

السيد الدكتور جواندا كارتا ديجابا

رئيس وزراء أندونيسيا

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته — وبعد :

فيسرنى أن أرحب بكم وبمرافقيكم ، فى رحاب الأزهر الشريف وعلى أرض جزء من وطننا الإسلامى الكبير .

ويسعدنى ، أن أهديكم هدية الله لعباده : « القرآن الكريم » وهو العروة الوثقى التى تلتقى عندها قلوب المسلمين ، والرابطة التى لا تنفصم بين أبناء أمتنا العزيزة ، وإن تناهت بها الديار ، وباعد بينها الاستعمار . كما أنه دستور الله الذى اهتدت الإنسانية فى الماضى بهديه ، خلقت منها أمة الإسلام ، التى أرست قواعد العدل والأمن والسلام .

ويسرفنى أن أهديكم مؤلفاً فى بحث ناحية من نواحي هذا الدستور الإلهى : كتاب « منهج القرآن فى بناء المجتمع » .

وأرجو لكم ، وللشعب الأندونيسى العظيم العزة والمجد ، ولأمتنا الإسلامية بعثاً جديداً تؤدى به للإنسانية رسالتها فى الحاضر كما أدتها فى الماضى .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

محمود شلتوت

شيخ الجامع الأزهر

حول تعليم اللغات الأجنبية في الأزهر

قرار

بتنفيذ دراسة اللغات الأجنبية بالأزهر

بعد الإطلاع على مذكرة صاحب الغضيمة الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت وكيل الجامع الأزهر المؤرخة ١٤ من شعبان سنة ١٣٧٧ هـ الموافق ٥ من مارس سنة ١٩٥٨ م التي قدمها إلى اللجنة العليا للعلاقات الثقافية الخارجية في إحدى جلساتها .
قرر ما يأتي :

أولاً : تدرس اللغات الأجنبية بالمعاهد الدينية .

ثانياً : تدرس في هذا العام اللغة الإنجليزية بالسنة الأولى الثانوية بجميع المعاهد .

ثالثاً : يجوز أن تدرس في معهد القاهرة اللغة الفرنسية والألمانية والروسية وأن تدرس في معهد الإسكندرية اللغة الفرنسية .

رابعاً : لا يسمح للطالب أن يدرس بالمعهد إلا لغة واحدة .

خامساً : تكون خطة الدراسة أربع حصص أسبوعياً لكل لغة .

سادساً : يكون منهج الدراسة في السنة الأولى الثانوية هذا العام هو منهاج السنة الأولى الإعدادية بمدارس وزارة التربية والتعليم بالنسبة للغة الإنجليزية ، ومنهاج السنة الأولى الثانوية بوزارة التربية والتعليم بالنسبة للغة الفرنسية ، ويكون منهاج اللغات الأخرى من إعداد الأساتذة الذين يندبون لتدريسها .

سابعاً : تبدأ دراسة اللغات المذكورة يوم السبت ١٢ من ربيع الآخر سنة ١٣٧٨ هـ الموافق ٢٥ من أكتوبر سنة ١٩٥٨ م .

شيخ الجامع الأزهر

(توقيع)

٦ من ربيع الآخر سنة ١٣٧٨ هـ

١٩ من أكتوبر سنة ١٩٥٨ م

كتاب من فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

إلى أئحاب الفضيلة الأساتذة شيوخ المعاهد الدينية
بتنفيذ القرار الصادر بتعليم اللغات الأجنبية

سلام الله عليكم ورحمته - وبعد

فإن رسالة الأزهر هي الدعوة للإسلام ونشر الثقافة الإسلامية بين مختلف شعوب العالم .
وهذا ولا شك يتطلب معرفة العلماء اللغات الأجنبية حتى يسهل عليهم تأدية الرسالة بين أقوام
لا يتفاهمون إلا بهذه اللغات .

لذلك أصدرنا القرار المرافق رجاء تنفيذه مع مراعاة ما يأتي :

أولا : تسند دراسة مادة اللغة الإنجليزية إلى السادة أساتذة المواد الاجتماعية بالمعهد نظير
مكافأة عن الحصص التي تزيد عن النصاب المقرر للدرس .

ثانيا : تسند دراسة مادة اللغة الفرنسية إلى أساتذة هذه اللغة بوزارة التربية والتعليم بطريق
الندب نظير المكافأة المقررة رسميا .

ثالثا : تسند دراسة باقي اللغات الأخرى إلى الأساتذة المتخصصين فيها وبمكافآت أيضا .

رابعا : يبدأ تنفيذ دراسة اللغات الأجنبية ابتداء من يوم السبت ١٢ من ربيع الآخر
سنة ١٣٧٨ هـ (الموافق ٢٥ من أكتوبر سنة ١٩٥٨ م) .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

شكر

السيد وزير التربية والتعليم المركزى

لفضيلة الشيخ محمود شلتوت على إدخاله

اللغات الأجنبية بالأزهر

أرسل السيد / الأستاذ محمد كامل النحاس وكيل وزارة التربية والتعليم المساعد كتابا بتاريخ ٢١ / ١٠ / ١٩٥٨ م إلى السيد / فضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت وكيل الجامع الأزهر (شيخ الجامع الأزهر حاليا) جاء فيه ما يلى :

« قد أخبرنى السيد الوزير أنه يشعر معكم بأن هذه البداية الطيبة فى تخريج رجال الأزهر مزودين بعدد من اللغات الأجنبية سيساعد كثيرا على أن يؤدى الأزهر الشريف رسالته العظيمة فى نشر الثقافة الإسلامية والعربية فى الدول غير العربية سواء كانت إسلامية ، أم غير إسلامية ، عن طريق علماء ووعاظ يستطيعون أن يتصلوا بشعوب البلاد المختلفة فى العالم إذا ما أوفدوا إليها بواسطة إحدى اللغات الأجنبية التى يتقنونها بعد تخرجهم من الأزهر ، كما يستطيع هؤلاء الخريجون أن يطلعوا على ما يكتب عن الإسلام باللغات الأجنبية وبذلك يمكنهم أن تنفيذ الدعايات المغرضة التى تقوم بها بعض الدول الاستعمارية ، وتحصين الإسلام فى شعوب العالم : الإسلامية منها ، وغير الإسلامية ضد تلك الدعايات السيئة » .

« وقد أنابنى السيد الوزير فى أن أوجه لكم جزيل الشكر على هذا القرار الحكيم وأسأل الله تعالى أن يوفقكم لنصرة الإسلام ، واستعادة مجده القديم » .

الأزهر وتدریس اللغات

لعل أجراً حدث في الأزهر منذ إنشائه ، هو القرار الجریء الذي أصدره فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر ، قبل أن يلي هذا المنصب الديني الخطير بأيام ، بتدریس اللغات الإنجليزية والفرنسية والروسية في الأزهر الشريف .

فلقد حقق فضيلته أمنية طالما تمنّاها قبله كثيرون ولم يستطيعوا تحقيقها بل إن المحروم الشيخ الأحمدی الظواهري الذي تولى مشيخة الأزهر منذ تسع وعشرين سنة لم يستطع هذا مع أنه دعا إليه في كتابه « العلم والعباءة » الذي ألفه في سنة ١٩٠٤ .

فهذا القرار الحكيم الجریء يدل على فهم دقيق لما يجب أن يكون عليه طلبة الدين من ثقافة غربية إلى جانب ثقافتهم العربية وعلى أن الأستاذ الأكبر خير راع وحافظ لمستقبل أبنائه ، وعلى أنه بصير بأمور الدين والدنيا معا .

محمد علي رفاعي

في حفل جامع بمعهد المنصورة ألقى تهنئات لفضيلة الأستاذ الأكبر بمناسبة تعيينه شيخاً للجامع الأزهر . ومنها هذه القصيدة العصماء للأستاذ محمد إبراهيم السقا المدرس بالترية والتعليم .

شبية الأزهر المعمور تهنئة	من مسلم هزه الأمر الذي صدرا
تزودوا من لغات الغرب واغترفوا	آدابها واقطفوا من روضها زهرا
لكم أوائل فاقوا في تضلعهم	أعلامها وقضوا في حقها الوطرا
هذا رفاة في رهط عباقرة	راد الحضارة في باريس واعتصرا
وترجم الأمهات الخالدات لنا	كنزا من العلم مأثورا ومدخرا
وكان رائد أجيال ومدرسة	أهدت إلى الشرق من أعلامها نفرا
وفي الإمام مثال خالد عطر	إذا التسمم مثالا خالدا عطرا
أولئك وسواهم من أوائلكم	شقوا الطريق فجذوا واقتفوا الأثرا
رسالة الدعوة الغراء موكة	إليكمو فاحملوها واقدروا الخطرا
رودوا مجاهل للإسلام واغترفوا	مبشرين وخلوا العجز والخورا
بها اللغات سلاح تفتحون به	مغالق الفهم في غزو إذا عسرا
فصلوها بجد واكتسوا حللا	من المحامد واجنوا العز والظفرا
وابنوا لمستقبل بالمجد مزدهر	يحيي بكم أملا في الدين مزدهرا
شبية الأزهر المعمور توجكم	شلتوت شيخاً مهيباً طيب الأثرا
جاءته مشيخة الإسلام ملزمة	جهد الجبابر والإرهاق والسهرا
فالله نسأل تسديد الخطى وبه	نستفتح العهد طلقاً مشرقاً نصرا

مُذَرَّبَةُ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَيْشِي

الْعُنُوقُ
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مَجْلَدُ الْأَزْهَرِ

مَجْلَدُ شَهْرِيَّةِ جَامِعَةِ
تَصَدَّقْ مِنْ شَيْخَةِ الْأَزْهَرِ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرٍ عَرَبِيٍّ

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْخَطِيبُ

الْإِشْرَاقُ السَّنَوِيُّ

٤٠٠	في وادي النيل
٤٠٠	لطلبة وادي النيل
٣٠٠	لأعمال ودراسات بالوادي
٥٠٠	فروع المواد
٣٠٠	للطلبة فروع المواد
٤٠٠	للأعمال ودراسات فروع المواد

الجزء الرابع - القاهرة : ربيع الآخر سنة ١٣٧٨ - أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٥٨ - المجلد الثلاثون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذُرْوَةُ الْحَقِّ

« الحق » من الله ...

وهو أحد شطري الإسلام الذي تنفر عنه المجموعة الكبرى من أوامره ونواهيه ،
وهي من شعب الإيمان به . وشطره الثاني الخير ، ويسمى بلغة الإسلام « الإحسان » ،
وله في مجال التطبيق مدلول أدق وأجمل وأوغل في محيط الإخلاص مما يتبادر إلى الذهن
في بادئ الرأي ...

والحق وصية الله إلى الإنسانية في كل نظام قامت به ، وفي كل ما يتعامل به الأفراد
والجماعات : ما يتنازعون فيه ، أو يتعاونون عليه .

وما من رسول بعثه الله إلى الإنسانية لتوجيه أبنائها إلى الحق ، وتسديد خطاهم نحو
الخير ، إلا كان الإيمان بالحق والإحسان فيه ، جوهر رسالته .

والإسلام نفسه دين الحق ، « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق » .

لذلك اعترف الاسلام برسالات الله السابقة كلها ، واعتبر ما صح منها في مجموعه إسلاما ،
لأنها رسالات الحق ، والحق كل لا يتجزأ .

« والحق أنزلناه بالحق نزل » .

والإنسان يسير في طريق السكال ما أحب الحق ، وكان من أوليائه ، ووطن نفسه على تحريره ، والإذعان له - برضا وطمأنينة - في السر والعلانية ، والدعوة إلى إقامته ، بشرط أن يكون حقا في الواقع ، واضح المعالم وضىء القسما ، وإن الظن لا يغني من الحق شيئا .
وذروة الحق ، ومفتاح السعادة ، الإيمان بالله . . .
« ذلك بأن الله هو الحق » .

والطريق السليم إلى معرفة الله والإيمان به إطالة النظر في بدائع خلقه ، وعجائب صنعه ، ودقائق أنظمته في ملكوته « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » .
هذا هو طريق القرآن إلى ذروة الحق ، إلى معرفة الله ، إلى الإيمان به . وهو غير طريق الفلاسفة : الفلاسفة اليونانيين في الدهر الأول ، وفلاسفة الغرب في أوروبا وأمريكا في العصور الأخيرة . وهو كذلك غير طريق الفلاسفة البرهميين والصوفيين ، والمتأثرين بهم من قدماء ومحدثين . إن طريق الفلاسفة - من هؤلاء وأولئك - لا تؤدي إلا إلى هاوية الجحود ، أو إلى الإيمان بوحدة الوجود . ولا معنى لوحدة الوجود إلا الإيمان بأن السكون هو المعبود ، وأن الله غير موجود . . .

هذا هو الجحود المقنع عن أهل العمى ، والجحود السافر لذوى البصائر . والمصير بعده إلى جحيم من الأوهام تتيه فيها العقول ، وتضيع الأعمار سدى بعد أن يكون أهله قد خسروا الدنيا والآخرة . وقدما قال أحد أعلام المنحرفين عن أساليب القرآن ، إلى أساليب البراهمة واليونان ، بعد أن أوغل في هذا التيه عشرات السنين :

لقد طفت في تلك المعاهد كلها وسرحت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كف حائر على ذقن ، أو قارعاً سن نادم

أقول هذا وقد تلميت في هذا الشهر كتاباً من أحد شباب الإسلام ، شاب دمشقي تخرج بتفوق مرموق من الجامعة السورية ، وقد كتب إلي يشكو قلقاً فكرياً انتابه في المرحلة الأولى من طريق البحث عن البراهين الكلامية لوجود الله ، قال : « ... وتركت دراستي ، ومضيت وراء كتب العتائد ، أقرأ البراهين .. فإذا رأيت البرهان الحق ذرفت الدمع سرورا ورحت أمضى في القراءة والمناقشة حتى أصبح النقاش والجدل كل شيء في حياتي . . . » ، قال : « ومع مرور الأيام وتتابع الليالي بدأت أشعر أن السفينة التي غادرت المرفأ وتاهت

في الظلمات ، قد بدأت تعود شيئاً فشيئاً نحو الشاطئ .. ، وذكر أسباب ذلك ثم قال : « وبين الفينة والفينة كنت أجد نفسى منساقة مع هواها للنقاش والجدل .. ولكن شتان ما بين الحالين .. غير أنى لا أكاد أصلى حتى أشك هل صليت ثلاثاً أم أربعاً ، وهل قرأت الفاتحة أم نسيتها ... » .

إن الصراع بين الإيمان والجهود من أمراض التعليم المنحرف في كل زمان ومكان . ولعله في زماننا ، وفي التعليم الذى رسم لنا الغرب خطوطه في المعاهد والجامعات التى نتلقى عنها ثقافتنا ومعارفنا ، أفضح مما كان فيما مضى . وما شكاه إلينا هذا الشاب الجامعى المسلم قد يكون كثيرون غيره من أبنائنا يشكونه كشكواه ، أو بألوان أخرى . وقد شعرت وأنا أقرأ كتابه بأنى أمام واجب إسلامى يحملنى على التحدث بهذا الموضوع ، لا لأنى أكثر علماً بما ينبغي لى التحدث فيه ، بل لأنى فى سن اكتسبت فيها بعض التجربة مما مر على فى نفسى ، وفيمن لقيتهم واتصلت بهم فى عشرات السنين .

قبل نحو ربع قرن ، قضيت بعض ليلة من ليالى العشر الأخير من رمضان - وكان ذلك سنة ١٣٥٣ - فى حديقة تزدان بالورد والزهور ، فكنت أقلب وجهى فى الفلك الأعظم تارة ، وأراجع تاريخ حياة وردة كانت أسمى تارة أخرى . لقد رأيت فى تلك الليلة - من وراء بدائع صنع الله - بدائع فى نظام خلقه يكاد قليل مانعرفه من أسرارها يبهر عقول العقلاء منا ، فتختر الجباه خاشعة لبديع السماوات والأرض ...

فكرت فى نسيج الوردة القائمة أمامى على غضنها تسبح بحمد الله خالق الأزل والأبد وما بينهما من ملايين الدهور ، ورحت أحل فى ذهنى دقائق نسيجها ، وأتذكر ما كنت تعلمته فى المدرسة عن ملايين الذرات والخلايا التى تألف منها أنسجة الوردة ، والحياة المستقلة والمتضامنة التى تحياها الخلايا فى غذائها ولقاحها وحملها وولادتها إلى أن تموت . ورجعت إلى تاريخ الوردة أستعرض سيرة أجدادها ، والصفات التى تتوارثها أمة الورد نسل بعد نسل ، والمواهب التى تكتسبها بعض هذه الأنسال من بيناتها ومصاهراتها ، وتأملت فى استعدادها للنمو والتوليد ، وفى تذكرها أصولها ، ورجوعها إلى سابق صفاتها وألوانها بعد طرود التطورات الجديدة عليها ، وكيف تسير فى ذلك كله على أنظمة هى غاية فى الدقة ، وأوضاع فى منتهى الحكمة ، فوقعت ساجداً ذليلاً لعظمة البارى الحكيم ...

كانت ليلة مباركة خشعت فيها لمقدر أنظمة الوجود والفناء في صنوف كائناته الأرضية : من أمم الجراثيم ، إلى عوالم النبات والشجر والثمر ، إلى طوائف الحيوان من زواحف ودواب وسابحات وطائرات ... هذا كله في كوكبنا الأرضي ، وهو نجم صغير حقير في كون واحد من ملايين الأكوان الدائرة في أفلاكها بنظام دقيق ، ومقادير محددة ، وأبعاد معينة ، وحركات مؤقتة ومدة متنة . وكل هذه الأجرام الهائلة الخيفة الهاوية في مداراتها ، والقاذفات بشررها ، والمسافرة أشعتها سفراً أسرع من البرق في رحلات تستمر عشرات السنين بين مصدر تلك الأشعة ومواقع أضوائها وظلالها ، فكيف بالتدبير الإلهي لمجموع مخلوقاته ! ...

وتساءلت ، بعد ذلك عن الحياة ، وكيف وجدت في كون كان سديماً وغازاً ، ثم اشتعل السديم والغاز ملايين السنين فكان شمساً كشمسنا وهي جسيم متأرجح ، ثم بردت الأجرام الصغيرة منه بصقيع الأجواء التي تتروح فيها فصارت جماداً . فكيف نشأت في الجماد الحياة ، حياة الورد ، وحياة الهرة ، وحياة النحلة ، وحياة الببغاء ، وحياة السمكة ذات الخراشيف اللامعة ؟ كيف تحولت تلك السدم والغازات والمواد المتأرججة فكانت منها هذه الأحياء اللطيفة !

أليس هذا من تقدير الباري العظيم ، القادر الحكيم ؟ .

جماد كان ناراً تلتظى ، ثم دبّت فيه الحياة اللطيفة بعبق الورد والزهر وألوانها ، وبحركات الهرة والنحلة والببغاء وأصواتها ؛ أيوجد هذا كله بلا موجد ، ويخلق من غير خالق ؟ !

وهذه الجاذبية بين أجرام السماوات ، نحن نسميها جاذبية ، ونعلل بها وجود أجرام الأفلاك الهائلة معلقة بأثقاليها ومعادنها وجبالها وبراكينها في الفضاء تسبح بنظام دقيق ، وبيننا سيارات العقلاء منا تصطدم وتتحطم بركابها في ميادين القاهرة وشوارعها ، نرى سيارات السماء - وهي جماد لا يعقل - آمنة من أن تصطدم في أفلاكها ومداراتها !

بربك أيها الفلك المدار أحق ذا المسير أم اضطرار
مسيرك قل لنا في أي شيء ففي أذهانتنا منك انهار

نحن نسميها جاذبية ولا نرى منها إلا آثارها . فهل وجدت بين السكواكب وكتل

الأجرام بأثر الصدفة والاتفاق ، أم هي خلقت نفسها ، أم أنها وجدت ورسمت لها أنظمتها بقدرة الله المشهودة التي نعى عنها ونبحث في كتب الفلاسفة والمتكلمين عن براهين جدلية لوجود الله وأدلة قدرته ؟

إن الذي لا يستدل على الخالق بالخلقة والنحلة والوردة ، سيبقى أعمى عن الاستدلال عليه بأنظمة الفلك الأعظم ، وعن سبب وجود الحياة في الأحياء على أرض هم يقولون إنها كانت جزءاً من الشمس انفصلت عنه ، وإنها كانت حتى بعد انفصالها عن الشمس ناراً ملتهبة ، ثم بردت ، ثم وجدت الحياة فيها ، حياة النبات والحيوان ، فهل هذه الحياة كانت كامنة في مادة الأرض الملهبة ، ومن ذا الذي جعلها كامنة فيها يوم كانت ناراً ؟ ومن ذا الذي أبرزها من النار فأحيا بها هذه الكائنات الحية ؟ .

لقد كان سلفنا الأول على صواب حين التزموا طريقة القرآن في الاستدلال على الله ببدائع خلقه ، وكانوا يكرهون فلسفة اليونان النظرية العقيمة وما اقتبسه منها المعتزلة والإسماعيليون وسائر الفرق النائية في ظلمات الجدل والمراء والأوهام أيام دولة بني العباس . وكنا نحن في غنى عن هذه الفلسفة بما نشاهده في ملكوت الله الأعظم وما تنلوه من آيات الله ظاهرة باهرة .

يقول الإمام أبو حامد الغزالي في كتاب العلم من إحياء علوم الدين ، في معرض الكلام على « التوحيد » وما طرأ على هذا اللفظ من تحريف :

« وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام ، ومعرفة طريق المجادلة ، والإحاطة بطرق مناقضات الخصوم ، والقدرة على التشديق فيها بتكثير الأسئلة ، وإثارة الشبهات ، وتأليف الإلزامات ... مع أن جميع ما هو خاصة هذه الصناعة لم يكن يعرف منها شيء في العصر الأول ، بل كان يشتد منهم النكير على من كان يفتح باباً من الجدل والمارة . فأما ما يشتل عليه القرآن من الأدلة الظاهرة التي تسبق الأذهان إلى قبولها في أول السماع ، فلقد كان ذلك معلوماً للكل ، وكان العلم بالقرآن هو العلم كله ، وكان « التوحيد » عندهم عبارة عن أمر آخر لا يفهمه أكثر المتكلمين ، وإن فهموه لم يتصفوا به . »

ومن العجيب أن أبا الحسن الأشعري رحمه الله ، بعد ما اضطر إلى مجادلة المعتزلة بأقيستهم وقواعدهم ، عدل عن ذلك فيما بعد ، وختم الله له حياته المباركة بالرجوع إلى طريقة القرآن

في كتابيه : (مقالات الإسلاميين) و (الإبانة) وهما من آخر ما ألفه في الدور الثالث من حياته بعد انتقاله من البصرة إلى بغداد [١] ، فرجع هو عن طريقة الفلاسفة والمتكلمين ، ولا يزال المنتسبون إليه متمسكين بما عدل هو عنه مع زوال الضرورة التي حملته على طريقته الأولى ، وقد أدى هذا اللون من الجدل ومناقضة الخصوم - غير الموجودين الآن - إلى اضطراب الأفكار ، كالذي وقع للشباب الفاضل الذي أفضى إلينا بشكواه .

وعجبية أخرى أن أحد شيوخ الأزهر السابقين قال في كتابه (العلم والعلماء ونظام التعليم) ص ١٤٠ - ١٤٤ وهو يتكلم عن تعليم علم التوحيد : « إن أكثر الخلافات لا حقائق لها ، وإن حقيقة الأمر في الدين الإسلامي أسهل وأبسط من هذه التحقيقات والتدقيقات ، ولا تحتاج إلى مثل هذه المشاغبات والخلافات التي قد يكون موضوع أكثرها مما لا يضاد الدين الاعتقاد فيه بإيجاب أو سلب ، أو عدم اعتقاد أحدهما ، أو مما لا يجوز الخوض فيه ، ولا تسكيف العقل معرفته » إلى أن قال : « وحسبنا دليلاً أنه غير معهود في زمن الرسول ، بل وفي القرآن . والغرض إنما هو حصول الاعتماد الجازم من وجهة ثابتة مقدورة للناس » .

وموضع العجب في ذلك أن مقرر هذه الحقائق لما تولى مشيخة الأزهر بعد ذلك مدداً طويلة لم يحاول العمل بها ، وتعديل مناهج التدريس على ضوءها ، ولو فعل لقطعنا شوطاً طويلاً في الرجوع إلى طريقة القرآن في هذا الأمر العظيم الذي هو ذروة الحق .

كنت في طفولتي أسمع من والدي رحمه الله كلمة حكيمة وهي : تفكروا في خلق الله ، وفي آلاء الله ، ولا تتفكروا في ذات الله ، ثم رأيت من يذكر أن هذا حديث ، لكن سنده ضعيف ، على أن معناه صحيح ، فإن التفكير في ذات الله من صميم الغيب ، وعلم الغيب لا ينال بالفكر ولا بالعقل ، بل بالنص عن المعصوم ، وإقحام العقل في غير ما دل عليه النص خروج به عن دائرة عمله ، وما أحسن قول إمام الحرمين أبي المعالي الجويني في هذا الموقف وهو جد خبير به :

نهاية إقدام العقول عقلال غاية آراء الرجال ضلال

[١] انظر لتحقيق ذلك مقالة « الأشعري ومراحل تطوره الفكري » في ص ٢٩ - ٣٠ من هذه المجلة م ٢٦ سنة ١٣٧٤ ، ومقالة « آخر مراحل الأشعري » في ص ٣١ - ٣٣ من تلك السنة ، وانظر أيضاً ص ١٠٩٤ - ١٠٩٦ من هذه المجلة م ٢٥ سنة ١٣٧٣ .

وعلى ذكر إمام الحرمين والموضوع الذى نحن فيه كنت قرأت فى شذرات الذهب نقلا عن المناوى فى شرحه على الجامع الصغير أن أبا جعفر محمد بن الحسن الهمداني سمع أبا المعالى - يعنى إمام الحرمين - يقول : قرأت خمسين ألفاً فى خمسين ألفاً ، ثم حلبت أهل الإسلام ، وركبت البحر الحضم ، وغصت فى الذى نهى أهل الإسلام عنه - لعله يعنى التأويل والفلسفة وعلم الكلام - كل ذلك فى طلب الحق ... والآن رجعت إلى كلمة الحق : عليكم بدين العجائز فإن لم يدركنى الحق بلطفه وأموت على دين العجائز وتختم عاقبة أمرى على الحق وكلمة الإخلاص ، وإلا فالويل لابن الجويني .

أعظم ما أضر المسلمين فى دينهم ، وحوطم عن أساليب القرآن إلى أساليب اليونان هو علم الكلام الذى كان من علم المعتزلة ، وجاراهم فيه علماءونا ليردوا عليهم بأساليبهم وأقيستهم ، وكان ذلك ضرورة تتمدر بقدرها ، وقد زالت الآن هذه الضرورة وتحولت إلى ضرر كالذى وصفه لنسا عن نفسه كاتب الرسالة التى أشرنا إليها . ونصيحتى إلى كل مسلم أن يأخذ إيمانه واعتقاده من نصوص كتاب الله وسنة رسوله ، وما يتعلق من ذلك بالغيب يؤمن به على ما يلقى بكال الله عز وجل ويمره كما ورد : لا ينقص منه ، ولا يزيد فيه ، متبعا لطريقة القرآن فى الاستدلال على الخالق ببدايع خلقه .

والذى ضربت به الأمثال آنفا من بدائع خلق الله ينطوى على حق هو من الله ، ويدل على عظمة الله وجلال كماله . فهذا الحق الثابت إذا اعتاد العقل السليم الاعتماد عليه فى تكوين العقيدة كان قلعة حصينة من قلاع الإيمان الإسلامى . وأنا ما تفكرت مرة فى مكانة المخلوق من الخالق إلا سارع ففكرى إلى « الحياة » وأنها من أهم ما تدل به المخلوقات على خالقها . وسارع كذلك إلى ما نسميه « الجاذبية » وأنها الدليل العلنى الصارخ بقدرته الله على إطلاق هذه الأجرام السماوية الهائلة تسبح فى الفضاء غير محمولة على شئ وهى تجرى فى نظام دقيق رهيب : « فائق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً » ، « والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره » . « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل » ، « وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى » ، « لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار » .

وأسماء الله وصفاته تؤمن بها كما وردت من غير تحريف ولا تعطيل ، ولا تسكيف ولا تمثيل . وهذه الأسماء والصفات تدل على معانى يجب على المسلم أن يتعبد بالإيمان بها ،

وبالعبودية لله من ناحية المعنى الذى يدور عليه كل اسم من أسمائه عز وجل ، وكل صفة من صفاته .

فالواحد منا ينبغي له أن يتأثر بصفات الله العليا فيجعل من عبادته لله المتصف بها احترامها والتعامل بها مع الناس ، فإذا تصور اسم « الرحمن » و « الرحيم » كان من عبادته لله الرحمن الرحيم طلب رحمته بالقيام لخلقته بما يستطيعه من رحمة للإنسان ورفق بالحيوان .

وإذا تصور اسم « الحكيم » كان من عبادته لله الحكيم أن يتدبر حكمته الإلهية فى مخلوقاته ويحاول الوصول إلى علم ما يمكن عليه منها . ولو تحرى المثقفون والمشتغلون بالعلوم الطبيعية والكميائية الوقوف على سرائر حكمة الله فى الأشياء ، واعتبروا ذلك من ألوان عبادة الله الحكيم ، لسبقوا الأمم إلى إدراك مصادر القوى وكنوز الخير مما يبلغون به وتبلغ به أمتهم سعادتي الدنيا والآخرة .

وإذا تصور الواحد منا اسم « الحي » المأخوذ من قول رسول الله صلوات الله عليه « إن الله حي يستحي من عبده إذا مد يده إليه أن يردهما صفرا » كان من عبادته لله الحي أن يتطبع ما أمكنه بهذا الخلق العظيم ، فإن الحياء من الإيمان ، والتعامل بين الناس بالحياء من أعلى مراتب الأخلاق الإنسانية .

وإذا تصور اسم « الحليم » كان من عبادته لله الحليم أن يبرن نفسه على الحلم وسعة الصدر وعلى التعامل مع الناس بهذا الخلق الكريم ، حتى يتأثر به كل من يتأسى به من ولده وأهله وزملائه ومواطنيه ، فتسرى عدوى ذلك فى الأمة ، ويكون للحلم أثره فى سعادة المجتمع .

وإذا تصور اسم « الصبور » كان من عبادته لله المتصف بهذه الصفة العليا احترامها ، والتعامل بها ، وتوطين النفس عليها . وقد نص كتاب الله على أن التواصى بالصبر عديل التواصى بالحق ، وذلك من بواعث النهوض بالمستوى الاجتماعى إلى المراتب العليا .

وإذا أحصى المسلم أسماء الله الحسنى وصفاته العليا على هذا الوجه ، وأصبح ذلك خلقاً فيه ، وديناً له ، وسنة يتبعها فى معاملته للناس ، صحت فينا البشارة السكرية : « إن الله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة » . وما أوسع أبواب الجنة لمن يعرف الطريق إليها ، وهذا النوع من المعرفة من أعلى أنواع المعارف التى يحمل بالمسلم الحكيم أن يتحلى بها ، وأن يتهمز كل فرصة لتعميم العلم بها بين الجماهير ، وإن لذلك ما بعده إذا شاء الله . . .

محّب الدين الخطيب

نفحات القرآن

— ٦٤ —

خير ما يوصف به الحديث أنه صدق ، وعدل
وكلام الله في الأوج الرفيع من ذلك .

(أ) وتمت كلمة ربك: صدقا . وعدلا ، لا مبدل لكلماته ، وهو السميع العليم .
(ب) وأن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله .
(ج) إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون .

إذا وضع الكمال في شيء فهو جدير بالقبول ، وشأنه الإجلال ، والانتفاع به في كل ما يتعرض له ، فإذا كان الشيء على كماله ، ولم يصادفه ما هو جدير به من حسن التقدير ، فالعيب عيننا ، والنقص في مداركنا ، ولا يضير ذلك الشيء الكمال أن نصدف عنه ، فإن الحق ناهض بطبيعته ، والباطل زهوق لحسته .

ومثل هذا واضح في القرآن الكريم ، وموقف الناس منه .

فقد جاء القرآن في روعته ، وقوته فوق متناول البشر جميعاً .. ومع هذا لقي من المعارضة ، وغنف الخصومة كل ما استطاعه خصومه النافرون منه ، والمنفرون عنه .

وظلت قوة القرآن بسلطانه الروحي تشق طريقها في بيئات معادية له ، وتركز دعوته على أنقاض المناوئين له ، وهم كثيرون في كل زمن . وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين -
وفي صدر الآية الأولى أربع كلمات تكفي للإقناع بأن القرآن بلغ المبلغ الأعلى من القداسة .

وكان جديراً بالناس أن يحنحوا إليه ، لولا أن العقول في لوثة من التقاليد الباطلة ، فجاءت الآية الثانية للتنصيص على أن زهادة الزاهدين في القرآن ليست لعب فيه ، بل لإسفافهم في الاختيار ، وقصورهم عن التمييز ، وسيرهم وراء الظنون ، والشبه التي تسد منافذ الصواب أمام المدارك والمواهب .

ففي الآية الأولى يقول تعالى : (١ - وتمت كلمة ربك - ٢ - صدقا - ٣ - وعدلا - ٤ - لا مبدل لكلماته) وكلمة ربك : هي القرآن ، ويقرؤها البعض - كلمات ربك - فقد وصفت بالتمام ، وأضيفت إلى لفظ الرب ، وفي هذا مقطع الشكوك ، ومثار الإيمان لمن أنصف نفسه .

وحيث كان التمام في كلمات الله فهي وافية بكل غرض ، وسامية عن كل باطل ونقص ، وكفيلة بكل خير ، وهي أرقى من أن تعلق بها الشبه التي يحاولها المتشكرون للقرآن . ثم يأتي وصف ثان وثالث بأنها صدق وعدل .

وذلك إفصاح بما تضمنه الوصف بالتمام ، وإعلام لنا بأن قداسة القرآن ليست في مجرد نسبته إلى الله ، فإن الخصوم لا يعترفون بذلك .

بل قداسة ذاتية كذلك ، لما وضع فيه من صدق وعدل ، فكله حق ، وتشريعه رفق ، وهو في جملته وتفصيله ، رحمة بالناس ، وتيسير عليهم ، وتوجيه لهم ، يذلل ما تعقد ويصرم بما خفي ، ويرافقهم طول الحياة ، وفي السراء ، وفي الضراء - لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه - لأنه - تنزيل من حكيم حميد - وهذه صفات يعدها المخالفون ، فمديما عاندوا ، وأسرفوا في التجدي ، وحاولوا ما استطاعوا أن يخذشوا كماله ولم يظفروا بحجة ناهضة ، ولا معذرة متبولة .

فالقرآن موصوف بصفات مستهجرة في نفوسهم ، وإن لم تكن على ألسنتهم . ثم جاء الوصف الرابع - لا مبدل لكلماته - ليسجل عليهم العجز عن مقاومته ، وليقرر أنه غير قابل للتبديل أو التحريف ، كما ابتليت بذلك كتب سابقة مع ما كان لها من قداسة .

ولكن هذا هو الكتاب الأخير ، وهو منهج الناس في حياتهم ، حتى يتجاوزوها إلى الحياة الآخرة . غرامه وحلاله وكل ما فيه من وعد ووعد غير قابل للتبديل .

وكيف وقد استقر على تمامه في الكمال ؟ ؟ .

وغير خاف أن خصوم القرآن يشوسوا من العبث به ، ويشوسوا من المساس بنصوصه ومعانيه وإذا كانت شبه المارقين ، وتخلفات الغافلين باقية ، وواقعة ، وسارية في أوساط عدة فليس ذلك كما قلنا عيباً في القرآن ، بل هذا تحقيق لخبر القرآن نفسه في الآية الثانية .

(ب) وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله .

فالناس في عماية عن أخبار الغيب ، وفي عماية عن أخبار عالم الشهادة ، وهم يسمعون وينسون ، ويشاهدون ويتعامون ، وهم عند النوازل يفتيقون ويتذكرون ، ثم يعودون إلى ما ألفوا ، ويأخذون فيما تعودوا .

والذكرى لا تنفع الجميع ، وإنما تنفع المؤمنين المستجيبين للدعوة .

وكان خصوم القرآن يطمعون أحياناً في مطاوعة النبي لهم ، والسير في مزاعمهم ويجهلون أن الله عاصمه من باطلهم .

ولذلك جاءت الآية الثانية كما جاءت آيات أخرى تنبه إلى رعاية الله لنبيه من كيدهم ، وتنبه إلى أن أكثر الناس في ضلالة وجهالة - وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون - وانظر تجد أن المؤمنين في الدنيا قلة بجانب كثرة غير مؤمنة ، ولكنها قلة راشدة ناجحة ، وتلك كثرة خاطئة خاسرة .

وهذا شأننا في كل محيط نزل به ، وكل فئة نقرب النظر فيها ، وكأن الله تعالى يسوق إلينا هذه المقابلات بين فريق هدايم ، وفريق أضلهم لنحمد على ما تفضل به من الإيمان ، ولنطمئن إلى أن كتابه محفوظ وإن تألبت عليه الأمم المعادية له .

وكفانا ثقة في وعده أنه القادر على كل شيء ، وسيظل الكتاب العزيز خفاق الراية ، وارف الظلال في حراسة الله الذي أنزله ، وقال : « إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون » ، وقال : « لا مبدل لأكلماته ، وهو السميع العليم » .

وبعد : فقد يمر بالخاطر أن الناس في شغل شاغل عن متابعة دينهم ، وأن بعضهم أو أكثرهم لا يرون للتدين أثراً في أعمال الدنيا ، ولا يدركون حكمة للحض على الاتصال بالدين والاهتداء بتوجيهاته .

وهذه خواطر قوية ، تساور أحجاب القلوب الحية ، فهم يأسفون لانحراف الكثرة من الناس عن حوزة الدين ، واشتغالهم بالتنافس في المجال المادي .

وكان النبي - صلوات الله عليه وسلامه - أشد الناس حذراً على أمته ، وحرصاً على هدايتها ، حتى كان شغفه باجتهادها إلى الطاعة ينال من نفسه ، ويذهب براحته .

فكان ينزل عليه القرآن ليخفف عنه وطأة الأسف ، ويصرف عنه مشغلة الهم الذى يساوره ويقول له : « إنك لا تهدى من أحبت - إنما أنت منذر - إن عليك إلا البلاغ - فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر » .
ومن هذا يتضح أن الله تعالى بين للناس على لسان رسوله ما بين حتى لم يدع لهم معذرة يلمسونها لأنفسهم ، ولا حاجة يتشبثون بها عن مخالفتهم .

وتركهم لعقولهم ، واختيارهم ، ثم هو محاسبهم بعد ذلك على مثقال الذرة من الخير والشر ، ولكن الناس ظلوا في دنياهم مدفوعين إلى اجتلاب ما يجتلبونه من كسب وادخار للحياة الدنيا ، وفقدوا إحساسهم بحاجة الروح والقلب إلى التهذيب والتربية والاستعداد للحياة الآخرة ، وهم في هذا الاتجاه الملتوى عن الرشيد يتعلقون بظنون واهية والظن لا يغنى من الحق شيئاً .

فمنهم من يسير في تقديره للدين وراء حلدس وتخمين ، ويحسبون أن الله غير معذبهم لأنهم على حق فيما ركنوا إليه كما ركن إليه آباؤهم من قبل ، وهؤلاء هم الكافرون الأولون .
ومن الناس من يعتقد أن الله غفور رحيم ، وأنه ما دام كذلك فسوف لا يحاسب ولا يعذب . ومنهم من يسرف ويعصى ثم يأمل أنه سيتوب فيما بعد ، وينجو من الحساب بسبب توبته ، وكأنه واثق أنه يعيش ، وأن التوبة في متناوله في أى وقت ، وأن الموت لن يباغته يوماً ، وتلك كلها ظنون باطلة ، وتقديرات وهمية ، وآمال ذاهبة أدراج الرياح .
وهناك حق لا ينبغي العدول عنه ، وهو أن يستجيبيوا ، ويعملوا ويحافظوا وأن يقدرُوا ما يخشونه من موت مفاجئ ، وحساب عسير ، ولكنهم لم يفعلوا ، ومن أجل ذلك سجل الله عليهم هذه الغفلة بقوله في شأن الجميع .

« إن يتبعون إلا الظن وإنهم إلا يخرصون » .

فهذا تشنيع على المتعلقين بالظنون والمبالغين في الخرص ، وهو التخمين والتغريب بالنفس وإهمال ما في الآيات من العظات .

والله نرجو أن يهبنا رشداً ، وتوفيقاً ، وأن يجنبنا الظن الخاطىء .

عبد اللطيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير التفتيش بالأزهر

العين حق

العين حق

من اللطائف النبوية - المقياس الرشيد في عالم
الغيب - رواية الثقات شافية - الطب مادي
وروحى - أثر العين الحاسدة - الرقية المشروعة .

عن أبي هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : العين حق . ونهى
عن الوشم . « رواه البخارى »

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : العين حق ، ولو كان
شئ سابق القدر سبقته العين ، وإذا استغسلتم فاغسلوا . « رواه مسلم » [١]

* * *

اتفق الشيخان على الشطر الأول من الحديث ؛ وانفرد الإمام أبو عبد الله البخارى
بما ضم إليه من النهى عن الوشم ، وإن كانا متفقين على حديث لعن الواشمة والمستوشمة .
وحسبك ما فى لعن من الوعيد وبلغ النهى ! وانفرد الإمام أبو الحسين مسلم بما ضم إليه
من تأكيد الإصابة بالعين ، ومن بعض علاجها المادى . وفى رواية للإمام أحمد : العين حق ،
ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم . ولأبى نعيم : العين حق ، تدخل الجمل القدر والرجل القبر !
وجلى أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه تحدث بهذا الشطر فى مناسبات شتى ، بين فيها

(١) فى كتاب السلام « باب الطب والمرضى والرقى » وذكره صاحب « زاد المسلم فيما
اتفق عليه البخارى ومسلم » فى حرف العين ، تساعياً ؛ فإنما اتفقا على الشطر الأول كما رأيت
وأما الحديث الأول فرواه البخارى فى « باب العين حق » من كتاب الطب ، وفى « باب
الوشمة » من كتاب اللباس .

كلها أن الإصابة بالعين حق لا شك فيه . ويعلم المؤمنون بالرسول وما أنزل إليه من ربه أنه « ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم » .

ثم نهى في بعض المناسبات عن الوشم ، وهو غرز إبرة أو نحوها في الجلد حتى يسيل الدم ! ثم يذر عليه كل أو نحوه ليخضر ، وهو تغيير لخلق الله وفطرته ، ومن هنا لعن الله فاعله والداعي إليه ! ففي كل من الإبرة والعين وخز من الشيطان يغضب الرحمن عز وجل ، وإن كان أحدهما وخزاً حسيماً والآخر وخزاً مادياً ! ذلك إلى أن من البواعث على الوشم دفع العين أو اتقاء ضررها بما لم يعتمد على عقل ولا نقل ، فكان من اللطائف النبوية النهي عن الدواء الذي لم يأذن به الله ، إلى الدواء الذي أذن به . . .

وفي بعض المناسبات قرن النبي صلى الله عليه وسلم إصابة العين بالقدر وإن كانت منه بلا ريب ، توكيداً لتنفاذ سهمها ، وشدة تأثيرها فيمن تصيب بإذن القائم على كل نفس بما كسبت ، وكأنه يقول صلوات الله عليه لو صح أن يغالب القدر شيء ويسابقه في إفتاء شيء أو الإضرار به قبل أجله المضروب له ، لسبقت العين ، فهو توكيد بليغ من طريق الفرض ومثله في كلام البلغاء والمربين ذائع شائع لا نطيل القول به . . .

* * *

وفي هذا التوكيد النبوي الذي يكاد يبلغ مبلغ التواتر في إصابة العين ، تنبيه على دقة الأمر وعلى أنه من عالم الروح والغيب ، الذي يشق على كثير من الناس تصديقه ، ولا سيما الذين يقفون عند ظواهر الأمور ، ولا يؤمنون إلا بما يمتنع في دائرة الحس والهوى .

لا جرم أن الأباطيل والخرافات ، سمعت كثيرا من الأفكار والأخبار ، وسيطرت على كثير من الجهال وأنصاف المتعلمين ، وشككت غير قليل من الباحثين الحائرين ، ولكن الحس والهوى ما كانا وإن يكونا أبداً مقياساً للتصديق أو التكذيب ، فالهوى يعمى ويصم إلا هوى تابعا لما جاء به المعصوم صلى الله عليه وسلم ، والحس مقياس أبتز أعوج ، تكرر خطؤه ونقصه وقصره في المحسات ، فضلا عن المغيبات ، بشهادة الذين لا يؤمنون بالغيب . . . والمقياس الرشيد في عالم الغيب والشهادة ، هو التصديق بكل ما صدقه الله ورسوله ، والتكذيب بكل ما كذبه الله ورسوله ، والسكوت عما سكنت عنه الله ورسوله وجاز عقلا وشرعا أن يكون وألا يكون . وقد قال العلماء إن كل شيء ليس محالا في نفسه ، ولا يؤدي إلى

قلب حقيقة ولا إفساد دليل فهو مما يحيزه العقل ، فإذا أخبر به المعصوم كان إنكاره مكابرة ، وصحة الخبر برواية الثقات كافية وإن لم تكن متواترة . . . وإلا جحدنا كثيراً من أخبار الصادق المصدوق بعد ما ظهر الدليل ووضح السبيل .

* * *

وأما قوله صلوات الله وسلامه عليه : « وإذا استغسلتم فاغسلوا » فهو بيان للطب المادى من إصابة العين ، يأمر العائن أن يغتسل إذا طلب منه الغسل ، وفيه إشارة إلى أن الاغتسال كان معروفا عندهم ، فأمرهم ألا يمتنعوا منه إذا أريد منهم ، وأدنى ما فيه الطمأنينة لهم ورفع الوهم عنهم ، وظاهر أن هذا الاغتسال رخصة فينبغى الاقتصار على ما جاء فيها دون التوسع فيما ابتدع المبتدعون وتزيدوا وكذبوا على الله ورسوله ! ونفروا كثيراً من ذوى الفطرة البريئة من الأحاديث الصحيحة ! .

وقد روى أبو داود عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين . وفى هذا الاغتسال - كما قال العلماء - مناسبة لا تأباه العقول السليمة ، فهذا ترياق سم الحية يؤخذ من لحمها ، وهذا علاج النفس الغضبية ، توضع اليد على بدن الغضبان فيسكن فكأن أثر العين الحاسدة كشعلة من نار وقعت على جسد المحسود ، ففى اغتساله إطفاء لتلك الشعلة .

* * *

وأعظم من هذا الطب المادى وأنسب ، ذلك الطب الروحى النبوى ، بالرقى والمعوذات التى جاءت عن الله ورسوله ، وقاية وعلاجاً ، ومنهما ما رواه البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين ويقول إن أبا كما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق : أعوذ بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة . والشيطان هنا شيطان الإنس والجن ، والهامة واحدة الهوام - بتشديد الميم - ذوات السموم والعين اللامة : النازلة التى تصيب بسوء ، من أعين الإنس والجن . وقد روى الشيخان عن عائشة رضى الله عنها قالت : أمرنى النبي صلى الله عليه وسلم أو أمر أن نسترقى من العين ، وثبت فى صحيح مسلم أن جبريل عليه السلام رقى النبي صلى الله عليه وسلم ، وأفاض عليه

السنة والاجتماع - وفي مقدمتهم ابن خلدون - في العين وإصابتها وتأثيرها بإذن الله تعالى وعلاجها بالرقية المشروعة : (١) .

وأكبر العلم أن أجمع العلماء بيانا في ذلك كله صاحب « زاد المعاد » في الطب النبوي ، كفى وشفى ولم يدع زيادة لمستزيد ولا قولاً لقائل ، ولقد هممت أن أخص هنا ببيانها ، ولكنني آثرت الإشارة على العبارة ، والقصد على الإطالة : فليسعنا في العين والرقية منها ما وسع الراغبين في العلم ، ولنغض الطرف عن الزائغين والمجادلين في الحق بعد ما تبين .
« والله يقول الحق وهو يهدي السبيل » ؟

طه محمد الساكت

من التوجيه المحمدي

« إن الحلال بين وإن الحرام بين ، وبينهما مشبهات لا يعلهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام : كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه .

« ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه » .

« ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب » .

هذا الحديث النبوي من جوامع الكلم المحمدية الكبرى ، ومن الأحاديث التي تدور عليها قواعد الإسلام ، فالسلم الموفق لا يفوته حفظ هذا الحديث ، واتخاذ إماما في جميع تصرفاته .

(١) في م ١١ ج ٩ شرح الشيخ الجزيري رحمه الله حديث أبي سعيد رضي الله عنه ، في الرقية ...

نقد كتاب

« أضواء على السنة المحمدية »

(٤)

١ — من دأب هذا المؤلف في كتابه أنه إذا استولت عليه فكرة ، أو غلب عليه هوى ، جعل البحث تابعا لما يرى أو يهوى . وفي سبيل هذا يركب الصعب والذلول ، ولا عليه في هذا السبيل أن يحرف الكلم عن مواضعه ، ويحمل الالفاظ ما لم تتحمل ، وأن ينقل نقولا بتراء ، وأن يقع في أعراض بعض العلماء والآئمة المتبئين .

ومن دأبه أيضاً التهويل والمبالغة عند عرض فكرة أو رأى له ، وأنه يجعل الفرع أصلا والأصل فرعاً ، وهذا هو ما صنعه عند ما عرض لبحث « رواية الحديث » في ص (٥٤) وما بعدها ، فقد جعل رواية الأحاديث بالمعنى هو الأصل والقاعدة ، وجيئها على اللفظ أمراً شاذاً نادراً ، بل وأنحى باللائمة والتجهيل للذين يحسبون « أن أحاديث الرسول التي يقرءونها في المكتب أو يسمعونها ممن يتحدثون بها قد جاءت صحيحة المبني محكمة التأليف ، وأن ألفاظها قد وصلت إلى الرواة مصونة كما نطق بها النبي بلا تحريف ولا تبديل ، وأن الصحابة ومن جاء بعدهم ممن حملوا عنهم إلى زمن التدوين قد نقلوا هذه الأحاديث بنصها كما سمعوها ، وأدوها على وجهها كما لقنوها ، فلم ينلها تغيير ولا اعتراها تبديل ، وأن الرواة للأحاديث كانوا صنفاً خاصاً في جودة الحفظ وكال الضبط وسلامة الذاكرة ، إلى أن قال « ولقد كان - ولا جرم - لهذا الفهم أثر بالغ في أفكار شيوخ الدين - إلا من عصم ربك - فاعتقدوا أن هذه الأحاديث في منزلة آيات الكتاب العزيز من وجوب التسليم بها ، وفرض الإذعان لأحكامها ، بحيث يأثم أو يرتد أو يفسق من خالفها ، ويستتاب من أنكرها أو شك فيها . »

والقارىء لهذا الكلام - إذا لم يكن من أهل العلم والمعرفة بالحديث النبوى - يخيّل إليه أن السنة لم يأت فيها حديث على محكم لفظه ، وأنها دخلها الكثير من التغيير والتحريف ، مع أن الأصل في الرواية أن تكون باللفظ المسموع من الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وأما الرواية بالمعنى فهي رخصة يترخص فيها بقدر الحاجة إليها إذا غاب اللفظ عن الذهن

أو لم يتأكد منه ، وما لا ينبغي أن يخفى على باحث في الحديث النبوى أن يعلم أن بعض العلماء والرواة قد منعوا الرواية بالمعنى مطاقاً وألزموا أنفسهم وغيرهم بأداء اللفظ كما سمع ، وأن من أجاز من العلماء والرواة الرواية بالمعنى إنما أجازها بشروط فيها غاية التحوط والأمن من التزيد والتغيير والتبديل فقالوا : لا تجوز الرواية بالمعنى إلا لعالم عارف بالألفاظ ومقاصدها ، خبير بما يحيل معانيها ، بصير بمقدار التفاوت بينها . كما قالوا : إن هذا فيما يروى قبل أن يدون ، أما ما دون في الكتب فلا يجوز تغييره بمرادفه ولا التصرف في نفعه بحال من الأحوال ^(١) . والعجيب أن المؤلف نقل نحواً من هذا عن كتاب « توجيه النظر » للعلامة الشيخ طاهر الجزائرى ، ولا أدري كيف ينقل شيئاً ولا يقتنع به ؟ ! وكيف غاب عن ذهن المؤلف أن التدوين بدأ بصفة عامة ورسمية في نهاية القرن الأول ، ولم يكد ينتهى القرن الثالث حتى كانت السنة كلها مدونة في الكتب من صحاح وسنن ومسانيد ؟ وأن بعض الصحابة والتابعين كانوا يدونون الأحاديث ، في القرن الأول ولا سيما بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ^(٢) ؟ فكيف تتفق هذه الحقائق وما رى به من أحكام جائزة ظالمة ؟ وهل على أحد من حرج بعد هذا لو وصم هذا المؤلف بنجث الطوية وسوء القصد ومحاولة هدم الأصل الثانى من أصول التشريع ؟؟

وماذا ينبغي أعداء الإسلام أكثر مما يقوم به أبوريه وأمثاله من تقويض إحدى دعائم الدين بهذه المحاولات الفاشلة الهازلة ؟ وليعلم أبوريه أن شيوخ الدين - أعزهم الله - حينما يعرفون للسنة مكانتها من الدين . ويحلونها من أنفسهم المحل اللائق بها ، ويرون التزامها علماً وعملاً وسلوكاً ، ويذوبون عن ساحتها كل دعى زنى ، ويفسقون أو يؤثمون من يرد ماثبت من السنة ، ويحاول جاهداً إبطالها والكيد لها أو الاستهزاء والاستخفاف بها ، لا يستحقون منه كل هذا الغمز واللمز ؛ لأنهم يصدرون في هذا عن دين قويم ورأى مستنير وعلم أصيل .

٢ - إن هذه الأحكام الجائرة إنما تصدر عن غفل عن العوامل الدينية والنفسية والخلقية التى اتصف بها الرواة من الصحابة ومن بعدهم من التابعين وتابعيهم . . . من أهل القرون الفاضلة بشهادة المعصوم صلى الله عليه وسلم وشهادة الواقع التاريخى ، فهم ذوو الدين

(١) مقدمة ابن الصلاح بشرحها ص ١١٠ ط الشام .

(٢) مفتاح السنة ص ١٨ .

الكامل والخلق العالى والتقوى والمروءة ، وهم يعلمون حق العلم أنهم يروون نصا يعتبر مرجعا فى الدين وأصلا من أصوله ، وأن أى تزييد فيه أو تحريف وتبديل يئدى بهم إلى أن يتبوءوا متاعدهم فى النار ، وهم إلى ذلك ذوو حوافظ قوية وأذهان سيالة ووجدان حى وقلوب عاقلة واعية ، وإنكار هذه الخصائص أو بعضها إنكار للحق الثابت والواقع الملبوس .

٣ — حينما نقل من أدلة المجوزين للرواية بالمعنى حديث عبد الله بن سليمان الليثى قال : قلت يارسول الله إنى أسمع منك الحديث لا أستطيع أن أؤديه كما أسمعك منك يزيد حرفا أو ينقص حرفا ، فقال : « إذا لم تحلوا حراما ولم تحرموا حلالا وأصبتم المعنى فلا بأس » ؛ فذكر هذا للحسن فقال : لولا هذا ما حدثنا . قال فى الهامش ص (٥٧) : هذا الحديث يناقض ولا ريب حديث « نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها » . ولكن لا بد لكل فئة من أن تزييد رأيها بحديث ، يريد الطعن فيه بالوضع والاختلاق ، وإنى أقول له : إن هذا الحديث رواه ابن منده فى معرفة الصحابة ، والطبرانى فى المعجم الكبير ، والخطيب فى كتبه وغيرهم ، ونقله أئمة الحديث وأطبأوه فى كتبهم ولم يحكم عليه أحد منهم بالوضع ، وكنت أحب من المؤلف لو أراد البحث التزيه المستقيم أن ينقده نقدأ صحيحأ من جهة سنده أو متنه ، ويبين موضع الدخل فيه ، ولكنه لم يفعل . أما ماتخيله من مناقضة بين الحديثين فغير صحيح ، لحديث « نضر الله امرأ ... » للترغيب فى المحافظة على اللفظ المسموع والحث عليه ، وليس من شك فى أن المجوزين للرواية بالمعنى يرون أن الأفضل والأحسن رواية الحديث بلفظه . وأما الحديث الثانى فهو لبيان جواز الرواية بالمعنى بشروطها . ثم ألا يقال لمن روى كلاما بمضمناه مع التحوط البالغ أنه أداه كما سمعه ؟ بلى .

٤ — ولكى يدل المؤلف على ما جازف به من آراء فائلة ذكر أمثلة للرواية بالمعنى ، فعرض لما ورد فى صيغ التشهد من أحاديث ، ولما ورد فى حديث الإسلام والإيمان ، وحديث زوجتكها بما معك من القرآن ، وحديث الصلاة فى بنى قريظة ، وقد استغرق ذلك من كتابه من ص ٦٠ - ٧٤ والغرض الذى قصده من وراء هذا أن يخلص إلى ضرر الرواية بالمعنى من الناحية الدينية وقد شاء الحق سبحانه أن يسقطه بسبب ما عرض له سقطات لا لعى له منها ، وقد أسفرت عن ضحولة المؤلف فى البحث ومبلغ علمه بالحديث ، وسأبين وجه الحق فيما عرض له مع الإيجاز .

(١) عرض المؤلف لما روى في التشهد في الصلاة من صيغ ، فذكر تشهد ابن مسعود وابن عباس وعمر وغيرهم ، ثم قال : هذه تشهدات ثمانية وردت عن الصحابة ، وقد اختلفت ألفاظها ، ولو أنها كانت من الأحاديث القولية التي رويت بالمعنى لقلنا عسى ، ولكنها من الأعمال المتواترة التي كان يؤديها كل صحابي مرات كثيرة كل يوم . . .

وردى عليه من أين لك أن هذه التشهدات قيلت في قصة واحدة حتى تدل بها على ضرر الرواية بالمعنى ؟ إن الطالب المبتدئ في الحديث ليدرك بآدى الرأى أنها وقائع متفرقة ، وأن النبي قال كل ذلك في أوقات متفاوتة بهذه الألفاظ المتغيرة ليبين للأمة أن التشهد بأى منها جائز ، فابن مسعود وهو من السابقين إلى الإسلام سمع أولاً ، وابن عباس وهو من مهاجرة الفتح سمع بعد ذلك وهكذا ، قال ابن قدامة الحنبلي « فصل وبأى تشهد تشهد مما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم جائز ، نص عليه أحمد فقال : تشهد عبد الله أعجب إلى ، وإن تشهد بغيره فهو جائز ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما علمه الصحابة مختلفاً دل على جواز الجمع كالقراءات المختلفة التي اشتمل عليها المصحف ^(١) ، وقد اختلفت أنظار الأئمة في ترجيح بعضها على بعض من غير طعن في المرجوح ولا رد له ، فالجمهور ومنهم الحنفية والحنابلة أخذوا بتشهد ابن مسعود ، وأخذ الشافعية بتشهد ابن عباس ، والمالكية بتشهد عمر ، ولهم في اختياراتهم مرجحات وأدلة تدل على رجاحة الصدر في البحث وعمق الغور وشفوف النظر (٢) ، قال الترمذى : « حديث ابن مسعود روى من غير وجه وهو أصح حديث في التشهد ، والعمل عليه عند أكثر أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم . . . » .

ولكى ترى الفرق بين العلماء والأدعياء أذكر لك ما روى عن الإمام الشافعى ، وقد سئل عن اختياره تشهد ابن عباس قال : « لما رأيته واسعاً وسمعت عن ابن عباس صحيحاً كان عندي أجمع وأكثر لفظاً من غيره ، وأخذت به غير معنف لمن يأخذ بغيره مما صح . . . ولو سلطنا - جدلاً - أن هذه الروايات في قصة واحدة فالخلاف بينها هين يسير لا يستأهل كل هذا التهويل ، فتشهد ابن مسعود بلفظ : « التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك

(١) المغنى والشرح الكبير . ج ١ ص ٥٧٩ .

(٢) لى تقف على هذا ارجع إلى فتح البارى ج ٢ ص ٢٥١ - ٢٥٢ ، والمغنى والشرح الكبير

الموضع السابق .

أيها النبي الخ» وتشهد ابن عباس بلفظ : «التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله» وباقيه كتشهد ابن مسعود ، وتشهد عمر بلفظ : «التحيات لله ، الزاكيات لله ، الصلوات لله ، الطيبات لله» وسأثره كتشهد ابن مسعود ، وبقيّة صيغ التشهد الواردة لا تخرج عن هذه الصيغ بزيادة كلمة من صدر التشهد أو نقصان أخرى ، وذكر لفظ «لله» بعقب كل كلمة منها ، أو في أولها أو آخرها ، وكل ذلك أمر جائز وله وجه في العربية ، وأما زيادة البسملة قبل التشهد ، فلم تصح كما قال الحافظ في الفتح ، فعلام كل هذه الضجة المفتعلة التي لا يقصد من ورائها إلا التشويش على السنة والأحاديث ؛ ثم من قال أيها المؤلف البجائية : إن التشهد من قبيل الأفعال المتواترة وليس من قبيل الأقوال ؟ ! إن الطالب المبتدئ يعلم أن الصلاة أقوال وأفعال والتشهد من الأقوال لا محالة .

(ب) أما ما عرض له من حديث (كذا) [١] الإسلام والإيمان ، وزعمه أن الروايات التي ذكرها في قصة واحدة فما يقضى منه العجب ، ومن ذا الذي يجهل أن حديث جبريل المشهور هو غير حديث طلحة بن عبيد الله في قصة الرجل الذي جاء من أهل نجد ثائر الرأس يسأل عن شرائع الإسلام ؟ بل من ذا الذي يشك في أن حديث جبريل غير حديث أبي أيوب الأنصاري في قصة الرجل الذي جاء إلى النبي فقال : دلتني على عمل يدنيني من الجنة ويباعدني من النار ؟ وحديث أبي هريرة الذي فيه : أن أعرابياً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله دلتني على عمل إذا عملته دخلت الجنة - الحديث ؟ نعم قد قيل إن حديث أبي أيوب وحديث أبي هريرة في قصة واحدة ، وقيل إنهما قصتان ، وهو الذي مال إليه الحافظ في الفتح [٢] .

ولعل منشأ الشبهة عنده أنه وجد الإمام مسلماً ذكرها في صحيحه في مكان واحد فظن أنها في قصة واحدة ، أو لعل منشأ الشبهة عنده سوء فهمه لعبارة الإمام النووي التي ساقها في ص ٦٧ من كتابه ، والإمام النووي أجل من أن يظن أن حديث جبريل وحديث الرجل الثائر الرأس وحديث أبي أيوب وحديث أبي هريرة كلها في قصة واحدة ، ولو أن المؤلف رجع إلى كتاب

[١] هكذا سمي المؤلف الأحاديث حديثاً بناء على زعمه أنها روايات في قصة واحدة والحق خلاف ذلك.

[٢] فتح الباري ج ٣ ص ٢٠٤ .

« فتح الباري »، لعمدة المحققين في هذا الفن وأمير المحدثين الحافظ ابن حجر لوقف على مفصل الحق، ولما وقع في هذا الخلط الشنيع .

(ح) في ص (٦٨) استشهد على ضرر الرواية بالمعنى في الدين بحديث المرأة التي جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأرادت أن تهب نفسها له فأعرض عنها النبي، فتقدم رجل فقال: يا رسول الله أنكحنيها - ولم يكن معه من المهر غير بعض القرآن - فقال النبي « أنكحتكها بما معك من القرآن »، وفي رواية زوجتكها بما معك « ... وفي رواية ثالثة « زوجتكها على ما معك .. وفي رواية رابعة « قد ملكتكها بما معك » وفي رواية خامسة « قد أملكتكها بما معك الخ » إلى أن قال: فهذه اختلافات ثمانية في لفظة واحدة . ولكي يؤيد ما يريد نقل عن ابن دقيق العيد والعلائي نقلين وبتزهما لحاجة في نفسه كما ستعلم عن كشب، ومع إمكان احتمال أن تكون القصص والوقائع متعددة إلا أن الأظهر أنها في قصة واحدة، وعليه فنحن لانكر أن هذا الحديث وغيره ورد بألفاظ متغيرة إلا أنها لا تحيل المعنى، فهمى متقاربة ويفسر بعضها بعضا، فمثلا في الحديث الذي ذكره نرى أن زوجتكها وأنكحتكها بمعنى وكذلك لافرق بين « بما معك » و « على ما معك » فهودي العبارتين واحد، ورواية أملكتكها وملكتكها بمعنى أيضا وتمليك رقبة حرة غير معقول عقلا ولا شرعاً فلم يبق إلا أن يكون المراد تملك حق الاستمتاع بها وهو معنى الزواج، فهذه خمس روايات ليس بينها تضاد أو تناقض، وباقي الروايات الثمانية بعضها بلفظ « أنكحتكها على أن تقرئها وتعلمها » وبعضها بلفظ . أمكنها كما بما معك الخ » وبعضها بلفظ « خذها بما معك » وهكذا يتبين لك جليا أن الروايات الثمانية ليس بينها كبير فرق يسوغ للؤاف أن يرمى السنة بمنكر من القول فيزعم أنها وصلتنا مغيرة بمبدلة !

على أن طريقة العلماء المحققين في هذا الحديث وأمثاله هو الترجيح وبذل الجهد في التحري والبحث عن حقيقة اللفظ الذي صدر من الرسول صلوات الله وسلامه عليه . ولعلماء الحديث وجهابذته - وراء قواعد النقد الظاهرة - مائة خاصة وحاسة دقيقة بهما ينفذون إلى معرفة اللفظ الذي هو أليق بالصدور عن الرسول، وهذا هو ما فعله الأئمة تجاه الروايات في هذا، قال ابن دقيق العيد: « هذه لفظة واحدة في قصة واحدة واختلف فيها مع اتحاد مخرج الحديث فالصواب في مثل هذا النظر إلى الترجيح، وقد نقل عن الدارقطني أن الصواب من روى زوجتكها وأنهم أكثر وأحفظ ... » . ولما نقل المؤاف كلام ابن دقيق العيد وقف عند

« مخرج الحديث » وترك الباقي . وغير خفى على القارى الفطن السر فى تركه لعجز الكلام ؛ لأنه يهدم ما يريد أن يصل إليه ، وكذلك لما نقل كلام العلائى ترك من آخره قوله « ولكن القلب إلى ترجيح رواية التزويج أميل ، لكونها رواية الأكثرين ؛ ولقرينة قول الرجل الخاطب زوجنيها يا رسول الله » فلماذا تركت هذا أيها المؤلف الأمين ؟ ! وقال الحافظ ابن حجر « نعم الذى تحرر مما قدمته أن الذين رووا بلفظ التزويج أكثر عددا من رواه بغير لفظ التزويج ولا سيما وفيهم من الحفاظ مثل مالك ، ورواية سفيان بن عيينة « أنكحتكها » مساوية لروايتهم ومثلها رواية زائدة (١) .

وهكذا يتبين لنا أن لاضرر دينيا بسبب الرواية بالمعنى كما يريد أن يصوره المؤلف مادامت الالفاظ متوافقة أو متقاربة وما دام طريق الترجيح بين الروايات يؤدى بالمتجه إلى الوصول إلى الحق والصواب .

(د) ذكر حديث البخارى فى صحيحه عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الأحزاب « لا يصلين أحد العصر إلا فى بنى قريظة » الحديث ، ومقالة الحافظ ابن حجر فى شرح الحديث « كذا وقع فى جميع النسخ عند البخارى ، ووقع فى جميع النسخ عند مسلم « الظاهر » مع اتفاق البخارى ومسلم على روايته عن شيخ واحد بإسناد واحد ، وقد وافق مسلما أبو يعلى وآخرون وكذلك أخرجه ابن سعد .. وأما أصحاب المغازى فاتفقوا على أنها العصر » وإلى هنا اقتصر المؤلف من كلام الحافظ ، وتمة كلام ابن حجر « وكذلك وافق البخارى الطبرانى والبيهقى فى الدلائل ، وهذا كله يؤيد البخارى ، وقد جمع بعض العلماء بين الروايتين باحتمال أن يكون بعضهم قبل الأمر كان صلى الظهر وبعضهم لم يصلها ، فقل لمن لم يصلها « لا يصلين أحد الظهر » ولمن صلاه « لا يصلين أحد العصر » وجمع بعضهم باحتمال أن تكون طائفة منهم راحت بعد طائفة ، فقل للطائفة الأولى الظهر وللطائفة الثانية العصر ، وكلاهما جمع لا بأس به ... إلى أن قال : ثم تأكد عندى أن الاختلاف فى اللفظ من حفظ بعض رواته ... أو أن البخارى كتبه من حفظه ولم يراع اللفظ كما عرف من مذهبه فى تجويز ذلك ، بخلاف مسلم فإنه يحافظ على اللفظ كثيرا ... لكن موافقة أبى حفص السلى له - أى البخارى - تؤيد الاحتمال الأول وهذا كله من حديث ابن عمر ، أما بالنظر إلى حديث غيره فلاحتمالان المتقدمان فى كونه قال الظهر لطائفة والعصر لطائفة منه » .

فها نحن نرى أن الحافظ ابن حجر ردد الوهم في رواية البخارى بين أن يكون من أحد الرواة أو من البخارى نفسه مع ترجيح الاحتمال ، لجاء المؤلف فنقل من كلام الحافظ الاحتمال الثانى متمضيا عما قبله وعما بعده ، وترك من كلام الحافظ ما قاله العلماء في التوفيق بين الروايتين ، ولا يخفى على القارىء الفطن ما يريده المؤلف من هذا الاقتضاب المخل والذي يبنى من ورائه إظهار أئمة الحديث - ولاسيما أميرهم البخارى - بمظهر غير الضابطين المتثبتين . ولو سلمنا أن إحدى الروايتين من قبيل الوهم فهل يؤدي هذا إلى تغيير الحكم المستفاد من الحديث ؟ اللهم لا .

وبعد أن سرد مازعم أنه يؤديه خلص إلى هذه النتيجة الخاطئة : فقال في ص ٧٠ : لما كانت أحاديثه صلى الله عليه وسلم قد جاء نقلها بالمعنى - كما بينا من قبل - وأنهم قد أباحوا روايتها أن يزيدوا فيها ويختصروا منها ، وأن يقدموا ويؤخروا في ألفاظها - بله ما سوغوه من قبول الملحون منها - لما كان الأمر قد جرى على ذلك ، فقد نشأ من أثر ذلك كله - ولا جرم وبخاصة بسبب نقل الحديث بالمعنى - ضرر عظيم » وبحسبنا ما قدمت في رد هذا التجنى على المحدثين .

٥ - من ص ٧٥ - ٧٩ عرض للحن والخطأ في الحديث ، والتقديم والتأخير فيه ، والزيادة والنقص منه ، ورواية بعض الحديث واختصاره بأسلوب تهكمى ، وطريقته في سرد الأقوال تظهر المحدثين بمظهر المتساهلين ، ثم ذكر عنوانا بالخط العريض فقال : « تساهلهم - أى المحدثين - فيما يروى في الفضائل وضرر ذلك » وهو يوهم من لا يعلم أن المحدثين جميعا على هذا ، مع أن كثيراً من الأئمة كالبخارى ومسلم وابن خزيمة قد جردوا كتبهم للصحيح ، وتحروا غاية التحرى في ذكر أحاديث الفضائل ، وأيضاً فالمحدثون لم يأخذوا بالأحاديث الضعيفة في باب الفضائل إلا بشروط فصلها أهل الفن والتحقيق ، فأرسال القول على عواهنه - كما صنع المؤلف - ليس من الأمانة العلمية في عرض الآراء ، وهو إلى التدليس والتلبيس أقرب منه إلى التوضيح والتبيين . وبحسبك أيها القارىء الطالب للحقيقة أن تراجع هذه المباحث التى استعرضها بغير أمانة في كتب أصول الحديث لترى إلى أى حد حاول المؤلف التشنيع والتشهير بالمحدثين ، وأقرب هذه الكتب وأحدثها كتاب « توجيه النظر » للعلامة الشيخ طاهر الجزائري .

« وبعد : فلكي تزداد أيها الطالب للحقيقة علماً بوصول السنن والأحاديث الثابتة من غير تحريف ولا تبديل ولا زيادة ولا نقصان أضع بين يديك هذه المقدمات والحقائق المستخلصة مما قدمنا .

- ١ — أن الرواية بالمعنى قد منعها الكثيرون من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من رواة الحديث والتزموا أداء الأحاديث بألفاظها .
- ٢ — أن الرواية بالمعنى قد أجازها العلماء لمن كان عالماً عارفاً بالألفاظ والأساليب خبيراً بمدلولاتها والفروق الدقيقة بينها .
- ٣ — أن الذين أجازوها إنما أجازوها على أنها رخصة تتقدر بقدر الحاجة إليها ، لا على أنها أصل يتبع ويلتزم في الرواية .
- ٤ — أن التدوين للأحاديث بدأ بصفة عامة ورسمية على رأس المائة الأولى وبلغ منتهاه في نهاية القرن الثالث وأن بعض الصحابة والتابعين كانوا يدونون الأحاديث في القرن الأول الهجري ولا سيما بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم .
- ٥ — أن الرواية بالمعنى إنما ترخص فيها من ترخص في غير الكتب المدونة ، أما فيها فلا كما قدمنا .
- ٦ — أن الرواية بالمعنى ممنوعة باتفاق في الأحاديث المتعبد بلفظها كالأذكار والأدعية وجوامع كلمه صلى الله عليه وسلم .
- ٧ — أن الذين نقلوا الأحاديث من الصحابة ومن بعدهم من ثقات الرواة كان لهم من الخصائص الدينية والنفسية والخلقية والخلقية ما يعصمهم من التغير والتبديل والتساهل في الرواية ، وإنكار ذلك مكابرة .
- ٨ — أن القواعد التي أخذ جامعوا الأحاديث بها أنفسهم عند تدوينها هي أدق وأرقى ما وصل إليه علم النقد في تمييز المقبول من المردود من الروايات والحق من الباطل والخطأ من الصواب .

هذه المقدمات والحقائق تسلبنا إلى نتيجة صادقة وهي : أن الكثير من الأحاديث النبوية وصلت إلينا بمحكم لفظها ، وأن بعض الأحاديث قد رويت بالمعنى مع التحرز البالغ من التغير المخل بالمعنى الأصلي ، وأن ما عسى أن يكون قد دخل الأحاديث بسبب الرواية بالمعنى شيء يسير قد تنبه له العلماء وبينوه ، وصدق المبلغ عن رب العالمين حيث يقول « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » ؟

محمد محمد أبو شهبه

الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين

عين في سبيل الله

في الحديث النبوي الصحيح - كما يذكر السيوطي في الجامع الصغير - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « حرمت النار على عين بكت من خشية الله ، وحرمت النار على عين سهرت في سبيل الله ، وحرمت النار على عين غضت عن محارم الله ، أو عين فقمت في سبيل الله » .

والمطالع لسيرة الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم ينفحه عبير عاطر لسيرة صحابي فاضل ، من سادات الأوائل في الإسلام ، الذين نوزعت أنباؤهم وتفرقت أخبارهم هنا وهناك في مصادر التاريخ ومراجع السيرة ، ولكنهم ظلوا برغم هذا كواكب تضيء وشموساً تنير ؛ وهذا الصحابي الجليل فقد عينه في سبيل الله فرضى ذلك ، بل وفرح به واعتبط له ، فكانت سيرته باهرة ، وكانت خاتمة زاهرة ، ولقي ربه عظيماً كريماً مرضياً عنه .

ذلك هو أبو السائب عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة الجهمي الصحابي رضي الله عنه . كان من السابقين إلى الإسلام ، فتروى السيرة أنه وعبيدة بن الحارث وعبد الرحمن بن عوف وأبا عبيدة بن الجراح وأبا سلة أتوا رسول الله فأسلموا في ساعة واحدة ، وكان ذلك في أول الإسلام ، قبل دخول الرسول دار الأرقم بن أبي الأرقم ، ولاعجب في سبق عثمان بن مظعون إلى الإسلام بهذه الصورة ، فقد كان من القلائل أصحاب القلوب النيرة والعقول المفكرة ، حتى قبل الإسلام ، فقد حرم الخمر على نفسه في الجاهلية ، وقال قوله البليغة العميقة : « لا أشرب شيئاً يذهب عقلي ، ويضحك بي من هو أدنى مني ، ويحملني على أن أنكح كريمة » ! .

أسلم عثمان مبكراً ، وتحمل مع إخوانه المسلمين الأوائل ما تحملوا من مشقة وعذاب في سبيل الله ، وهاجر المهاجرين إلى الحبشة ، وكان أميراً للمهاجرين إليها ، كما هاجر إلى المدينة مع ابنه السائب ، ومع أخويه قدامة وعبد الله ابني مظعون ، وأخى الرسول بينه وبين أبي الهيثم بن التيهان الأنصاري ، وشهد غزوة بدر .

وكان لعثمان مكانته في التقوى والتجمل بمكارم الأخلاق ، ولقد روى أن الرسول صلوات الله عليه قال فيه : « إن عثمان بن مظعون لحي سثير » . ويصفه الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في الحلية على طريقتيه فيقول : « المتقشف المحزون ، الممتحن في عينه المطعون ، ذو الهجرتين عثمان بن مظعون . كان إلى الاستجابة لله سابقاً ، وبمعالي الأمور لاحقاً ، وفي العبادة ناسكاً ، وفي المحاربة فاتكاً ، لم تنقصه الدنيا ، ولم تحطه عن العليا ، تعجل إلى المحبوب ، فتسلى عن المكروب » .

وكان عثمان من أشد الناس اجتهاداً في العبادة ، فهو يصوم النهار ، ويقوم الليل ، ويتجنب الشهوات ، ويعتزل النساء ، ولا يبالي ماذا يلبس أو ماذا يأكل ؛ وأورثه ذلك لوناً واضحاً من الزهد والتقشف ، ولقد دخل المسجد يوماً وعليه نمره (وهي شملة مخططة من مآزر الأعراب ، كأنها أخذت من لون النمر لما فيها من السواد والبياض) قد تقطعت ، فرقعها بقطعة من فروة ، فرق النبي وأصحابه لشأنه ، ثم قال النبي - كما يروى أبو نعيم - : « كيف أتم يوم يغدو أحدكم في حلة ، ويروح في أخرى ، وتوضع بين يديه قصعة ، وترفع أخرى ، وسترتم البيوت كما تستر الكعبة » ؟ قالوا : وددنا أن ذلك قد كان يا رسول الله ، فأصبنا الرخاء والعيش . فقال النبي : « فإن ذلك لكائن ، وأتم اليوم خير من أولئك » ! . .

ويظهر أن اعتزال عثمان لامرأته ترك في نفسها شيئاً فأعرضت عن الزينة والتطيب ، ولقد دخلت على نساء النبي في هيئة سيئة وملابس ممزقة ، فقلن لها : مالك ؟ فقالت تشير إلى حال زوجها وزهده : أما الليل فقائم ، وأما النهار فصائم ! . . فبلغ الخبر الرسول فلقى عثمان فلامه قائلاً : أما لك بي أسوة ؟ فقال عثمان : بلى ، جعلني الله فداك ، بأبي أنت وأمي ، فما ذاك ؟ قال النبي له : تصوم النهار وتقوم الليل ؟ قال : إني أفعل ذلك . فقال النبي : « إن لعينك عليك حقاً ، وإن لجسدك عليك حقاً ، وإن لأهلك عليك حقاً ، فصل ونم ، وصم وأفطر » ! . . .

واستجاب عثمان بن مظعون لهدى الرسول ، خفف من شدته على نفسه ، فيروى أن امرأته جاءت بعد ذلك حسنة الهيئة طيبة الريح ! ! .

وأما قصة عينه التي فقدوها في سبيل الله فهي أنه لما هاجر مع من هاجر من المسلمين إلى الحبشة بقي هناك حتى نزلت سورة « النجم » ، فرجع أكثر المسلمين ، وكان عثمان وأصحابه

من رجوع ، ولكنه لم يستطع دخول مكة إلا بجوار من أحد أهلها ، فأجاره الوليد بن المغيرة من مشركي قريش ، فكان يذهب ويحجى في مكة لا يناله أحد بسوء ، بينما غيره من المسلمين يسامون العذاب والاضطهاد ، ولما رأى عثمان ما يعانيه الصحابة من البلاء وهو يغدو ويروح في أمان قال لنفسه : والله إن غدوى ورواحى آمناً بجوار رجل من أهل الشرك ، وأصحابي وأهل ديني يلاتون من الأذى والبلاء ما لا يصيبني ، لنقص كبير في نفسى ! .

وذهب إلى الوليد وقال له : يا أبا عبد شمس ، وفيت ذمتك ، قد رددت إليك جوارك . فقال الوليد : لم يا ابن أخى ؟ لعله آذاك أحد من قومي ؟ قال عثمان : لا ، ولكنى أرضى بجوار الله عز وجل ، ولا أريد أن أستجير بغيره ! ! ! .

فقال الوليد لعثمان : فانطلق معى إلى المسجد فاردد على جوارى علانية ، كما أجزتك علانية ! . . . ووافق عثمان ، وصحبه إلى المسجد ، وهناك قال الوليد للناس : هذا عثمان ابن مظعون قد جاء يرد على جوارى . فقال عثمان : قد صدق الوليد ، قد وجدته وفيما كريم الجوار ، ولكنى قد أحببت أن لا أستجير بغير الله ، فقد رددت عليه جواره .

وجلس عثمان عقب ذلك مع جماعة من المشركين ينشدهم أحدهم - وهو لييد - شعراً له ، فقال فيه : « ألا كل شيء ما خلا الله باطل » . فقال له عثمان : صدقت . ثم أنشد الشاعر عقب ذلك : « وكل نعيم لا محالة زائل » ، فقال له عثمان : كذبت ، نعيم أهل الجنة لا يزول ! .

فتألم لييد وقال لمن حوله : يا معشر قريش ، والله ما كان يؤذى جليسكم ، فتى حدث هذا فيكم ؟ فقال له أحدهم : إن هذا سفيه فى سفهاء معه قد فارقوا ديننا ، فلا تجد فى نفسك من قوله . فرد عثمان عليه بما يناسبه ، فقام هذا الرجل ولطم عثمان على عينه فأطفاها ! .

وكان الوليد بن المغيرة قريباً منهما ، ورأى ما حدث لعثمان ، فقال له شامتاً فيه : أما والله يا ابن أخى إن كانت عينك عما أصابها لغنية ، ولقد كنت فى ذمة منيعة ! . . . فقال عثمان : بل والله إن عيني الصحيحة لفيرة إلى ما أصاب أختها فى الله ، وإنى لنى جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس ! ! .

ثم قال عثمان بن مظعون فى عينه :

فإن تك عيني فى رضا الرب نالها يدا ملحد فى الدين ليس بمهد

فقد عوض الرحمن منها ثوابه ومن يرضه الرحمن يا قوم يسعد
فإني - وإن قلت غوى مضلل سفيه - على دين الرسول محمد
أريد بذاك الله والحق ديننا على رغم من يبغى علينا ويعتدى

ويروى أن الإمام علي بن أبي طالب قال في ذلك أيضاً هذه الآيات :

أمن تذكر دهر غير مأمون أصبحت مكتئباً تبكي كهمزون
أمن تذكر أقوام ذوى سفه يغشون بالظلم من يدعو إلى الدين
لا ينتهون عن الفحشاء ما سلوا والغدر فيهم سبيل غير مأمون
ألا ترون - أقل الله خيرهم - أنا غضبنا لعثمان بن مظعون
إذ يطمعون - ولا يخشون - مقلته طعننا دراكاً ، وضرباً غير مأفون (١)
فسوف يحزيهم - إن لم يمت عجلاً - كيلاً بسكيل ، جزاء غير مغبون !

وختم الله حياة عثمان بن مظعون خاتمة محفوفة بما يدل على الخير والبركة ، فتمت توفى بعد أن شهد بداراً ، وأهل بدرهم الذين قال لهم ربهم : « اعملوا ما شئتم فإنه قد غفرت لكم » ، وتوفى وهو محافظ على دينه وقيمه وعبادته ، وكانت وفاته في شعبان بعد سنتين ونصف من الهجرة ، ودخل عليه الرسول حين مات ، فانكب عليه ورفع رأسه ، ثم حنى الثانية ثم رفع رأسه ، ثم حنى الثالثة ثم رفع رأسه وله شهيق ، فعرف القوم أن النبي يبكي فبكوا ، فقال النبي : « أستغفر الله ، أستغفر الله ، اذهب عنها أبا السائب ، فقد خرجت منها ولم تلبس منها بشيء . . . ! »

ويروى أنه أكب عليه يديه وهو ميت ، وقال : « رحمك الله يا عثمان ، ما أصبت من الدنيا ، ولا أصابت منك » . وقالت امرأة عثمان للنبي مشيرة إلى زوجها : « يا رسول الله ، فارسك وصاحبك » .

وصلى النبي عليه الصلاة والسلام على عثمان ، ودفن بالبقيع ، وهو أول من دفن فيه ، وأول من توفى بالمدينة من المهاجرين ، وقال عنه النبي : هذا فرطنا . ووقف على شفير قبره ، ووضع عند رأسه حجراً ، وقالت زوجة عثمان : هدياً لك يا أبا السائب الجنة ! . .

فقال لها النبي : وما عليك بذلك ؟ ! . قالت : كان - يا رسول الله - يصوم النهار ويصلي الليل . فتمال النبي : (بحسبك لو قلت : كان يحب الله ورسوله) ! ..
وقالت زوجة عثمان في رثائه :

يا عين جودى بدمع غير ممنون (١) على رزية عثمان بن مظعون
على امرئ بات في رضوان خالقه طوبى له من فقيده الشخص مدفون
طاب البتيع له سكنى وغرقده وأشرقت أرضه من بعد تفتين [٢]
وأورث القلب حزنا لا انقطاع له حتى المات فما ترقى له شونى [٣]

وفي الحديث الشريف أن النبي صلوات الله عليه وسلامه لما توفيت بنته رقية قال :
« الحق سلفنا الصالح عثمان بن مظعون » . وفي رواية : « الحق بسلفنا الخير عثمان
ابن مظعون » .

وفي صحيح البخارى أن أم العلاء الأنصارية قالت بعد موت عثمان - وكان قد توفى
في دارها - : رأيت في النوم لعثمان بن مظعون عينا تجرى ، فجئت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فذكرت له ذلك ، فقال النبي : ذاك عمله ! ! ! .

رضوان الله تبارك وتعالى على ابن مظعون ، وجزاه خيرا بقدر ما ضحى في سبيله وفقد
من أجله ، وسلام عليه في الخالدين ! ! ! .

أحمد الشرباعى

المدرس بالأزهر الشريف

[١] غير ممنون : غير مقطوع .

[٢] تفتين : سواد ، كأن الأرض محرقة ، وغرقده : أسبل الستر عليه .

[٣] شونى : مخففة من : شئونى ، وهى مجارى دمع العين .

تخطيط عريض

للمجتمع السعيد

ليس هناك مصلح واحد في تاريخ العالم أحدث تغييراً شاملاً في حياة أمة بأكملها في فترة تقل عن ربع قرن من الزمان كما أحدث نبي البر ورسول الإنسانية محمد صلى الله عليه وسلم .

كان العرب قبل الإسلام يخرون للأذقان غرقاً في الوثنية والشرك فنقلهم صلى الله عليه وسلم - بفضل الله وتأييده - إلى التوحيد وإفراده تبارك وتعالى بالعبادة والتقدیس .

وكان العرب قبل الإسلام يخرون للأذقان غرقاً في شن الغارات لأوهى الأسباب . . . وفي اتناذب بالألقاب .. والإثم .. والبغى .. واختلاف الكلمة .. فنقلهم صلوات الله عليه - بفضل الله وتوفيقه - إلى السلم .. والإخاء .. والعدل .. وترك الفواحش مظهر منها وما بطن .. فما سبب هذا الانتقال العجيب ؟ ...

سببه أن العرب قد انفعلت نفوسهم بما رسم النبي صلى الله عليه وسلم من تخطيط للمجتمع السعيد . . وأن العرب قد احترموا ما التزمت به ذمهم من عهود .. وعقود .. ومواثيق .. وهكذا نقل الإسلام العرب من حال إلى حال مادياً .. وعقلياً .. وروحياً .. حتى اجتمعت قواهم على مركز واحد وتشكلت في دولة ذات نظام وآداب سمت بهم إلى أعلى الآفاق .. رغم أنف تلك الدعايات المضادة المضلة المغرضة التي كان ينفث سموها أعداء دعوة الحق .. وإذا رجعنا إلى تلك الآداب التي أحدثت بين العرب ذلك الانقلاب فإننا نرى عبادة بن الصامت ذلك الصحابي الجليل يروي لنا منها فيقول :

« بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره .. وعلى أثرة علينا .. وعلى أن لا تنازع الأمر أهله .. وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم » أخرجه البخارى .. ومسلم .. والموطأ .. والنسائي .

تخطيط عريض للمجتمع السعيد .. أو أمور أربعة .. في هذه المبايعة .. دارت عليها رحي ذلك الانتقال العجيب الذى لم يشهد له التاريخ مثالا .. وتدور عليها عجلة التقدم والزق إلى أن تقوم الساعة .

الأمر الأول : السمع والطاعة .. السمع والطاعة خط عريض فى تخطيط المجتمع السعيد فهل كان يمكن أن ينتقل العرب ذلك الانتقال لولا السمع والطاعة ؟ ... كان العرب يسمعون ما يأمرهم به صلى الله عليه وسلم .. يسمعون فيصدقونه ويحزمون به .. ثم هم بعد ذلك لا يسمعون لأنفسهم أن يخالفوا ما يؤمرون به سواء كان ذلك فى العسر - أى فى الشدة والضيق - أو فى اليسر .. وذلك من باب أولى وإنما ذكر من باب ذكر الشئ بذكر مقابله .. والمنشط - أى الأمر الذى ينشطه - والمسكبه - أى الأمر الذى تكبره النفوس .. هذا هو الأمر الأول .. أو الخط الأول « السمع والطاعة » والقرآن الكريم يخبرنا أن من يسمع ويطيع يستره الله ويغفر له إذ يقول : « وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » ذلك أنه لا يمكن لدولاب عمل أن يسير من غير السمع والطاعة .

الأمر الثانى من هذه المبايعة .. أو الخط الثانى فى هذا التخطيط « الإيثار » وعبر عنه بقوله : « وعلى أثره علينا » والإيثار أن تقدم أخاك على نفسك كما يقول تعالى : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة .. » والإيثار : خلق رضى نبيل يدل على كمال الشخص وقوة إيمانه ..

الأمر الثالث فى هذه المبايعة .. أو هذه المعاهدة .. أو هذا العقد .. أو هذا التخطيط العريض للمجتمع السعيد هذا الأمر الثالث عبر عنه بقوله : « وعلى أن لا تنازع الأمر أهله » فمنازعة ولاية الأمور فى ولايتهم والتعرض لهم فى جميع أعمالهم سبب لفتح باب الفتن « وطوبى لمن جعله الله مفتاحا للخير مغلقة للشر » والمنازعة قد تكون بطريق مباشر أو غير مباشر إذا شجع الإنسان من ينازع .. وإذا كانت المنازعة سبباً لفتح باب الفتن فإن عدم المنازعة صفة الخلف من الناس الذين يعملون على أن تسير سفينة الحياة فى أمن وهندوء بعيدة عن العقبات والعراقيل .. وليس معنى هذا أن نكون مع ولاية الأمور سليبين .. كلا .. ليس هذا هو المراد مطلقاً وإنما المراد أن يعنى كل بدائرة عمله واختصاصه وأن يصرف كل عنايته فى عمله المحدود له .

الأمر الرابع والأخير في هذا التخطيط العريض للجمتمع السعيد عبر عنه بقوله :
 « وعلى أن نقول بالحق أينما كنا .. فالمسلم الكامل الإيمان لا يتكلم إلا صدقا ولا ينطق
 إلا حقا ولو على نفسه فهو لا يتفوه بغير الحق أينما كان .. سواء كان في المخاوف والضيق ..
 أو الأمن والسعة .. ومهما ترتب على القول الحق من التشديد والتضييق ففوة الإيمان تجعل
 الإنسان لا يبالي بنقد منتقد .. ولا يراعى في كلامه إلا الله وحده .. فهو وحده المطلع
 على الضمائر والسرائر .. وهو وحده المجازي المؤاخذ .. ولذا قال : « لانخاف في الله لومة لأئمة »
 أى لا تخشى انتقاد أحد مادمت في جانب الحق .. ومهما كان هناك من اللوم فلا تبالى بهم
 ولا تعمل عليهم .. ويرحم الله عمر بن الخطاب فقد كان يقول : « يا حق .. ما تركت
 لى حبيبا » ..

هذا هو التخطيط العريض للجمتمع السعيد :

١ — السمع والطاعة .

٢ — الإيثار .

٣ — تجنب المنازعة .

٤ — التزام قول الصدق مهما كان الأمر .

بهذه الأمور الأربعة نقل رسول الإنسانية محمد صلى الله عليه وسلم العرب من حال
 إلى حال في فترة تقل عن ربع قرن من الزمان .. وبهذه الأمور الأربعة يسير دولاب
 أى عمل إلى الرقى والتقدم والنجاح .

ونحن إذ نذكر في هذه الأيام المباركة ميلاد المصطفى صلوات الله عليه راسم هذا التخطيط
 العريض للجمتمع السعيد .. إذ نذكر العرب والمسلمين اليوم في كل مكان .. إذ نذكرهم بهذه
 الآداب التي قامت عليها دولة الإسلام فإنما نشكر الله الذي أقدر العرب على وأد الخلافات
 التي ذقنا منها الويلات .. ونطمع في الوقت نفسه بمزيد من التماسك .. والتضامن ..
 والتضافر .. فلم توت أمة .. ولم يقوض عرش .. ولم يهتز كرسي .. أو تهزل مصلحة إلا
 من طغيان المصالح الشخصية .. والأطماع الذاتية .. وإلا من المنازعة .. والرياء ..
 والانحراف عن الحق ..

إن سنة الله في خلقه أن لا يتم انقلاب أساسى فى أخلاق أمة أو طائفة إلا على يد رئيس تجرد من المصالح الشخصية والأطاع الذاتية وسار بقومه على هذا التخطيط العريض للجمع السعيد .. ولا ريب أن النجاح الذى لقيه ويلتهاه العرب الآن إنما يدل على إخلاص القائمين عليه .. والإخلاص عنصر أساسى ، بل هو العنصر الوحيد فى بلوغ الهدف والغاية « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » .

وهدفنا النهائى إنما يتركز فى إعادة مجد العرب .. وعزهم .. وجمع شملهم .. ولقد خطونا فى سبيل ذلك خطوات طيبة مباركة ، وستتلوها إن شاء الله خطوات وخطوات ما دمتنا لمن يثبت بيننا الفرقة بالمرصاد .. وهذا ما نفتتح الآن عليه أعيننا جيداً باتباع أدب نبي البر ورسول الإنسانية محمد صلى الله عليه وسلم .

وإنتى إذ أؤذن بهذا التخطيط العريض للجمع السعيد من على منبر الأزهر فى مجلته ، فإنما أبرئ ذمته من واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .. وإنتى إذ أقول هذا ألح على ولاية الأمور بوجوب العناية بالناحية التاريخية والجغرافية للبلاد العربية .. هذه الناحية يجب أن تأخذ العناية كل العناية وبخاصة من الأزهر القائم على أمر الدين واللغة أو المفروض فيه ذلك .. ولعل الأزهر فى عهده القادم الجديد السعيد يعنى بهذه المسألة العناية كلها « الناحية التاريخية والجغرافية للبلاد العربية » .

« إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله » ؟

منصور رجب

التقوى

الفخر فى التقوى إذا رمت أن
تفخر لا فى نسب أو رتب
ما رفع القربى أبا طالب
ولم يضع سلبان بعد النسب

عبد الله البيتوشى

من أعلام القرن الثانى عشر الهجرى

الوحدة العربية

في شمال إفريقيا

لقد أضحت الوحدة العربية اليوم حقيقة واقعة تأخذ مجراها الطبيعي في سبيل التنفيذ ، بعد أن رسخت دعائمها في العصر الراهن مع توافر موماتها التاريخية والجغرافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية .

والمفهوم أن العالم العربي الذي يتجه اليوم نحو الوحدة والاندماج يتألف من مجموعة كبيرة من البلدان المتجاورة والممتدة في قارتي إفريقيا وآسيا معاً ، ولا شك أن مما يساعد هذا الاتجاه نحو الوحدة والاندماج على الوصول به إلى غايته المنشودة أن يتوافر بوضوح في كل بلد من هذه البلدان أو في كل مجموعة متقاربة منها ، ونحن يهمننا هنا أن نتعرف إلى أي مدى وصل هذا الاتجاه في بلدان شمال إفريقيا وهي تكون الجناح الغربي للعالم العربي أو بالأحرى الجناح الغربي للوحدة العربية .

والواقع أن الاتجاه نحو الوحدة العربية في المغرب العربي هو اتجاه قوى واضح يريد يوماً بعد يوم ^(١) ، ومن أهم مظاهره ذلك المؤتمر الذي عقد في طنجة في المدة من ٢٧ إلى ٣٠ من شهر أبريل سنة ١٩٥٨ وأطلق عليه اسم (مؤتمر وحدة المغرب العربي) وضم مندوبين عن حزب الاستقلال المغربي وجهة التحرير الوطني الجزائرية ، والحزب الحر الدستوري التونسي .

ومن أهم قرارات هذا المؤتمر القرار الذي أصدره حول توحيد المغرب العربي ، والذي جاء فيه أن المؤتمر وهو يشعر أنه يعبر عن إرادة إجماع شعوب المغرب العربي في توحيد مصيرها في دائرة التضامن المتين لصالحها ، وممتنع في الوقت نفسه بأن الوقت قد حان لتجسيم

(١) كان من أهم المقترحات المغربية في مؤتمر الدول الإفريقية المستقلة الذي انعقد في « أكرا » في شهر أبريل سنة ١٩٥٨ تحقيق وحدة شمال إفريقيا بعد استئاب السلم في الجزائر ، كما تضمن برنامج الحكومة المغربية الجديدة في بند السياسية الخارجية بذل المسائل اللازمة حتى تتحرر الجزائر وتتحقق وحدة شمال إفريقيا .

هذه الإرادة في الوحدة عن طريق مؤسسات مشتركة تمكن هذه الشعوب من القيام بدورها بين الأمم ، يقرر أن يعمل على تحقيق هذه الوحدة ويعتبر أن الشكل الفيدرالى أكثر ملاءمة للواقع في البلاد المشتركة في هذا المؤتمر .

ولهذا الغرض اقترح المؤتمر أن يشكل في المرحلة الانتالية مجلس استشارى المغرب العربى منبثق عن المجالس الوطنية المحلية في تونس والمغرب وعن المجلس الوطنى للثورة الجزائرية ، ومهمته درس القضايا ذات المصلحة المشتركة وتقديم التوصيات للسلطات التنفيذية المحلية .

وأوصى المؤتمر بضرورة الاتصالات الدورية وكلها اقتضت الظروف ذلك بين المسؤولين المحليين للأقطار الثلاثة من أجل التشاور حول قضايا المغرب العربى ولدراسة تنفيذ التوصيات التى يصدرها المجلس الاستشارى للمغرب العربى ، كما أوصى حكومات بلاد المغرب العربى بالأتربط منفردة مصير شمال إفريقيا في ميدان العلاقات الخارجية والدفاع إلى أن يتم إقامة المؤسسات الفيدرالية .

وقد قرر المؤتمر كذلك تأسيس كتابة دائمة للسهر على تنفيذ مقرراته ، وتؤلف هذه الكتابة من ستة أعضاء بنسبة مندوبين عن كل حركة ممثلة في المؤتمر ، وتنتسم الكتابة إلى مكتبين أحدهما بالرباط والثانى بتونس ، وتجتمع الكتابة دوريا في إحدى العاصمتين بالتناوب ويعقد أول اجتماع خلال شهر مايو سنة ١٩٥٨ .

وعقد بعد ذلك بتونس في المدة من ١٧ إلى ٢٠ من شهر يونيو سنة ١٩٥٨ مؤتمر هام جمع المسؤولين في الحكومتين التونسية والمغربية ووفدا عن لجنة التحرير الجزائرية ، وتم فيه الاتفاق كخطوة أمامية محتمة في سبيل تحقيق وحدة المغرب العربى بكامل معناها بين كل من الجانبين التونسى والمغربى على تبادل التعاون والتنسيق في الميدان الدبلوماسى بين البلدين ، والاستعانة بالاستشارة قصد تحديد الخطط والمواقف في الهيئات والمؤتمرات الدولية وتوحيد التمثيل الدبلوماسى في بعض البلاد الأجنبية .

ويمكن أن يعتبر هذا المؤتمر بداية مرحلة جديدة تجعل مقررات مؤتمر طنجة المشار إليه في حيز التنفيذ كما يعتبر خطوة مباركة كللت بتبادل واثاق المصادقة على معاهدة الأخوة والتضامن المبرمة في الرباط بتاريخ ٣٠ من شهر مارس سنة ١٩٥٧ .

وصدر في ٢٠ من شهر يونيو سنة ١٩٥٨ بلاغ ثلاثي بين المغرب وتونس والجزائر أعلن فيه إخلاص المؤتمر المذكور للبادئ التي وافق عليها مؤتمر طنجة ، وجاء فيه أن الأمانة الدائمة لمؤتمر طنجة ستتكون من ستة أشخاص اثنين من المغرب واثنين من تونس واثنين من الجزائر ، وأن اللجنة الاستشارية للمغرب العربي ستتكون من ثلاثين عضواً : عشرة عن كل من المغرب وتونس والجزائر .

هذا وقد عقد أخيراً بالرباط عاصمة المملكة المغربية (مؤتمر موريطانيا والصحراء العربية) في المدة من ٣ إلى ٥ من شهر سبتمبر سنة ١٩٥٨ ، وجاء من بين قراراته أن يمثل موريطانيا والصحراء في هذا المؤتمر يؤكدون تأييدهم لما جاء في مقررات طنجة السالف الذكر بخصوص وحدة المغرب العربي .

ومن مجموع هذه المؤتمرات والقرارات التي أصدرتها يمكن أن نتبين مدى قوة الاتجاه نحو الوحدة والاندماج في بلاد شمال إفريقيا (تونس والجزائر والمملكة المغربية) ومدى اهتمام أبناء هذه البلاد بتأكيد رغبتهم في الوحدة واتخاذ مختلف الوسائل لتحقيقها وتدعيمها . ومن المؤكد أن هذا الاتجاه والاهتمام بتأكيد الوصول به إلى غايته ، له الأثر الكبير في حل المشكلات الكبرى القائمة في هذا الجزء الهام من الوطن العربي ، وأهم هذه المشكلات تلك الخاصة بالاستعمار الفرنسي في الجزائر ، خاصة وأن المؤتمرات السالفة الذكر قد أجمعت كلها على أن تحرير الجزائر هو واجب مفروض على كل فرد ليس في الجزائر فحسب وإنما في تونس والمغرب كذلك ، وأن توحيد المغرب العربي إنما يعني أولاً استقلال الجزائر وتحريرها واتحادها مع شتميتها تونس ومراكش ، وهو الاتحاد الذي تمليه طبيعة الصلات العربية المعنوية والمادية التي تربط منطقة المغرب العربي بعضها ببعض ، بدل ذلك الاتحاد المزعوم بين الجزائر وهي الدولة العربية في شمال إفريقيا بفرنسا وهي الدولة الغربية الأجنبية في أوروبا . على أن الوحدة في شمال إفريقيا لا تقتصر على هذه البلاد الثلاثة تونس والجزائر والمغرب فالوحدة بين هذه البلاد هي الخطوة الأولى في هذا السبيل ؛ إذ من المعروف أن بشمال إفريقيا كذلك دولتين هامتين إلى جوار هذه البلاد الثلاثة ، وهما المملكة الليبية المتحدة والجمهورية العربية المتحدة ، وإذا ما تبلورت هذه الخطوة الأولى واتضحت معالمها من ناحيتين السياسية والاقتصادية كان طبيعياً أن تؤدي إلى إتمام الوحدة العربية الشاملة مع باقي البلاد العربية بما فيها تلك الكائنة بشمال إفريقيا ، وسوف يتحقق ذلك في القريب إن شاء الله .

أحمد طه السنوسي

التوكل والتواكل

صفتان من الصفات الخلقية : أولاهما محمودة ، وثانيتهما مذمومة . ومعنى كل واحدة منهما محدد متميز . وقد اشتهر أمرهما عند الجاهلين واختلط عند المعادين ، وأولاهما يقرها الإسلام ويرضى عنها وتدور حولها تعاليمه وتصرفات المتتمين إليه على بصيرة ، وثانيتهما لا يقرها الإسلام ولا ترضى عنها تعاليمه ولم يسلكها المؤمنون ولا يشهد لها تصرف من تصرفاتهم ؛ لأنها رمز الكسل والخول والإهمال والفوضى ، ومع هذا فقد ألد أعداء الإسلام بتعاليمه ، وهو منها براء كبراء الذئب من دم يوسف عليه السلام ، ومنشأ هذا الزعم عندهم - فيما يبدو - ربما كانت أعمال بعض الجاهلين المتتمين إلى الدين الإسلامى الذين لم يشربوا في قلوبهم تعاليمه ، ولا تلقوها عن مرشد بصير يحيط بالمبادئ السامية التى دعا إليها الإسلام ، وهى عمارة الأرض التى استخلف الله فيها الإنسان ، وسخر له ما فى السموات وما فى الأرض جميعا . وليس الذنب واقعا على أعداء الإسلام أكثر مما يقع على المسلمين أنفسهم ، فهم قد قصرُوا فيما يجب عليهم من إجلاء تعاليم الإسلام وتوضيحها مشقة تجذب إليها القلوب وتسترعى إليها الأنظار .

وإننا إذ نعود إلى بيان حقيقة التوكل والتواكل فى الإسلام نستوحى معنى كل منهما من كتاب الله الكريم ، ومن سنة نبيه الصحيحة ، ومن سلوك صاحب الرسالة وسلوك أتباعه الذين أشرقت قلوبهم بنور الإسلام ، وصفت أرواحهم بتعاليمه فالتوكل على الله صفة محمودة وطريقة مطلوبة أمر بها الدين وسلكها الأنبياء والمرسلون ، بعد أن علوا أن الله قد جعل لكل شئ سبباً يتبعه القاصدون للخير المبتغون الفضل من ربهم ، فهم قد أعملوا عقولهم ونظروا فى الكتاب المقروء وهو القرآن الكريم ، وفى الكتاب غير المقروء باللسان بل تقرأه العقول والأفهام وهو الكون كله علويه وسفليه جبالة وبحاره ووهاده وكل ما خلق من شئ فى الأرض أو فى السماء . ولم يجعلوا على قلوبهم أكنة عن فهمهما ولا أغلفة عن تدبرهما ، بل تمنعوا فيهما ولم يكونوا من الذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً ، بل عكفوا على دراستها ودأبوا على تفهمها وأحاطوا علماً بمثل قوله تعالى : « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » .

فالرزق من الأرض والحصول على خيراتها لا يأتي إلا لمن أجهد نفسه وقام بكل ما يتطلبه النبات من رعاية وعناية مع خبرة تامة وحصافة وآتى حقه كاملاً غير منقوص .

وإذا ما نظرنا بعد القرآن الكريم وآياته الواضحة البينة ، وما أفصحت عنه من بيان الوسائل والطرق المؤدية لكل ثمرة من الثمرات التي يحتاج إليها الإنسان ، إذا ما تركنا كل هذا وأجلنا الفكر في سنة خير المرسلين ، رأيناه يقول (لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماساً وتروح بطاناً) فالحديث الشريف يوحى بأن الأسباب لا بد من سلوكها للوصول إلى الغايات التي عليها تتوقف الحياة الصحيحة . فهو يهدينا إلى الوسيلة التي يسلكها الطير ليحصل على قوته وقوت عياله ، فالطير تغدو جيعاً ساعية ناصبة عاملة على أن تحصل ما يحفظ حياتها وحياة أولادها ، والإنسان مكلف بالسعى والكد والنصب ليوفر وسائل العيش الرغيد ، وتؤوى سواعده على أن يساهم في بناء صرح العمران ، ويسكون عضواً عاملاً في مجتمعه ، لا كلا عليه أينما يوجه لا يأت بخير ، فمثل هذا شر على مجتمعه ، وشر على دينه ووصمة عار في جبين وطنه ؛ فهو الذي يجعل أعداء الإسلام يخوضون فيه ويلصقون به الكسل والخمول والتقاعد ، فعباد الرحمن المتوكلون عليه حق توكله هم الذين يمشون على الأرض هوناً ويسعون إلى تحقيق رسالة المؤمنين ، يجلبون لأنفسهم وقومهم خيراً ويدفعون عنهم شراً وضراً ، ويعلمون أن مشيئة الله قد سبقت وإرادته قضت بربط الأسباب بمسبباتها والوسائل بغاياتها ربطاً لا يتحول ولا يتغير . قال الله تعالى : « ولن تجد لسنة الله تحويلاً » فهو يأمرهم عقب انتهاء الصلاة بالسعى والكد والعمل إذ يقول تعالى : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله » وهو الذي ألهم أضعف مخلوقاته السعى في طلب القوت فألهم النحلة أن تتخذ من الجبال بيوتاً ومن الشجر ثمناً تأكل من كل الثمرات فتخرج من بطونها شراباً مختلفاً ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون . وما أروع التوكل إذا كان بعد أخذ العدة وإعداد الوسائل . فهاهو القرآن الكريم يقص علينا مثيل من أروع الأمثال في الثقة بالله والتوكل عليه ، فهو لاء صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابهم جراح في غزوة أحد ، ثم دعاهم الرسول لغزوة أخرى فاستجابوا لله والرسول واثقين من نصر الله ومعونته معتمدين على تأييده وقوته ، ولم يأهبوا بتعويق المعوقين ولا بتثبيط المشبطين ، ولم يوهن من عزيمتهم قول المخذلين إن خصومكم قد جمعوا لكم فاخشوهم ، بل زادهم ذلك يقيناً وإيماناً وشجاعة وإقداماً وقالوا « حسبنا الله ونعم الوكيل » فكان عاقبتهم

الفوز والنصر والغلبة والغنم ، فاقبلوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم . وقد قص القرآن الكريم ذلك في قوله « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فاقبلوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم » وفي غزوة الأحزاب التي جمعت قريش لها عدتها وجيشها وجيش حلفائها من أحزاب المشركين ليقضوا على الإسلام والمسلمين فما وهنوا وما استكانوا ، بل قالوا : هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ، ولقد صدقهم الله وعده ، فأعز جنده وهزم الأحزاب وحده وها هو القرآن الكريم يهص علينا ذلك إذ يقول : « ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله ، وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً » فهذا توكل بصير ناشئ عن عقيدة حقة ويةتين صادق ، وهو الذي يأمر به الله تعالى في قوله : « ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً » .

وقد رسم لنا الرسول الكريم طريق التوكل على الله فيما رواه عنه ابن عباس رضى الله عنهما قال « كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فقال : يا غلام ، إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » فهذه حقيقة التوكل التي يفرضها الإيمان على أتباعه ، وهى أن يتخذ المسلم من سعيه وعمله وتفكيره وتدييره وسيلة إلى تحقيق مطالبه ، وأن يأتي البيوت من أبوابها ولا يكون أحق جاهلاً يأتي البيوت من ظهورها ، بل يتلص الغايات من أسبابها مع تيقن أنه لا رازق إلا الله ، ولا مطعم إلا الله ، ولا محي ولا يميت إلا الله ، وأنه قادر على كل شيء ، وأن عليه محيط بكل شيء . ومن أجل العمل والسعى فضل الرسول عليه السلام المؤمن القوى على غيره إذ يقول « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير : احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز » .

وفي سيرة الرسول الكريم المنهج الواضح للسلوك القويم الذي يحقق المصلحة العامة ،
فها هو الرسول الكريم يبدأ دعوته سرّاً مستخفياً عن أعين المعاندين لأن هذه الطريقة هى

الوسيلة التي كان يستطيعها في ذلك الوقت وتلك الحقبة من أطوار رسالته . ثم جهر بعد ذلك بدعوته حيث تهيأت له الأسباب واستقامت له الأمور وسنحت له الفرصة وفي كلا الأمرين كان معتمدا على ربه ، مفوضا إليه أمره مخلصا إليه وجهه « ألا إلى الله تصير الأمور » . ثم تطورت دعوته واشتد كيد المعاندين له حتى ضاقت عليه وعلى أصحابه الأرض بما رحبت وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ، فأعدوا العدة وسارعوا إلى الهجرة من مكة إلى المدينة فراراً بدينهم وانتصاراً لعقيدتهم ، ولم يحملهم توكلهم على الله على البقاء في مكة أذلاء مضطهدين ، بل اتبعوا هدى رب العالمين إذ يقول : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كتمتم ؟ قالوا كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ » . فالؤمن الحق صاحب عقيدة الصدق لا يسلم نفسه إلى الهوان ويترك أسباب العزة والسلطان ، فإن تركه للأسباب إعراض عن تعاليم الدين وتباعد عن سنة خير المرسلين ، فالرسول عليه السلام جرت عليه سنة الله في خدمته وأصابه ما أصاب إخوانه الأنبياء من قبل من أذى المعارضين وخطيان المشركين ، فنجح وجهه في بعض الغزوات ودخلت حلقتا المغفر في وجنتيه وسال دمه الزكي متدفقا لم يمنعه إلا وضع الرماد عليه .

وها هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه يتخذ للوقاية من الأمراض الوسيلة الناجعة التي يوحى بها الإسلام ، وإليك ماصنعه للوقاية من الأمراض ، فإن الصحابة رضى الله عنهم لما قصدوا الشام وانتهوا في طريقهم إلى مكان يعرف بالجابية بلغهم الخبر أن بها طاعونا عظيما ووباء ذريعا فافترق الناس فرقتين : فقال بعضهم لا ندخل على الوباء والطاعون فنلقى بأيدينا إلى التهلكة ، وقالت طائفة أخرى بل ندخل وتوكل على الله ولا نهرب من قدره ولا نفر من الموت فنسكون كمن قال الله فيهم « ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ، فرجعوا إلى عمر فسالوه عن رأيه فقال : نرجع ولا ندخل على الوباء والطاعون ، فقال المخالفون لرأيه : أنفرت من قدر الله تعالى ؟ قال : عمر الملهم صاحب الفراسة الصادقة والنظر الثاقب والرأى السديد : نعم نفر من قدر الله تعالى إلى قدر الله ، ثم ضرب لهم مثلا فقال : « أرأيتم لو كان لأحدكم غنم فبهط بها واديا له شعبتان وناحيتان إحداهما مخصبة والأخرى مجربة أليس إن رعى المخصبة رعاها بقدر الله ، وإن رعى المجربة رعاها بقدر الله ؟ فتألموا نعم ثم طلب عبد الرحمن بن عوف ليسأله عن رأيه إذ كان غائبا ، فلما أصبح جاء عبد الرحمن فسأله عمر عن ذلك فقال : عندى فيه يا أمير المؤمنين شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، فقال عمر : الله أكبر . فقال عبد الرحمن : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إذا سمعتم بالوباء في أرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع في أرض وأتم بها فلا تخرجوا فراراً منه) ففرح عمر رضى الله عنه بذلك وحمد الله تعالى إذ وافق رأيه سنة خير المرسلين ، ورجع من الجابية بالناس .

هذا هو التوكل الذى أمر به الدين ، وفهمه الصحابة الراشدون فأفلحوا في جلب ما ينفعهم ودفع ما يضرهم . وها هو خاتم المرسلين قبل بعثته يرحل للتجارة ويسافر إلى الشام متاجراً في مال خديجة رضى الله عنها ، وقد جاءه يوماً رجل من الأنصار تبدو عليه الحاجة ويترصع للسؤال فقال له : أما في بيتك شيء ؟ فأجابه الأنصارى : إن في بيتي فراشا تنام عليه وإناء نشرب به فيأمره بإحضارهما فيأخذهما منه ويبيعهما بدرهمين ثم يقول له : اشتر بأحدهما طعاماً لاهلك وبالأخر قدوماً واذهب به فاحتطب وبع ، ولا أرينك خمسة عشر يوماً . ففعل ، فجاء بعد ذلك وقد اكتسب من عمله عشرة دراهم ، فاشترى ببعضها فراشا وبعضها طعاماً . فلما علم الرسول بذلك قال له « هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة » . فالرسول عليه السلام يحض على العمل بكل وسيلة ، ويحفز الناس عليه بكل طريق ، خوفاً من ذل السؤال الذى يأتي يوم القيامة وصمة عار رمزا للكسل والخلول . فعلى العاقل أن يسلك في حياته السبيل القويم ؟

عبد الله مصطفى المراغى

« حوالات السودان »

المرجو من مشتركى مجلة الأزهر في السودان ، ومن كل من يرسل حوالات مالية إلى هذه المجلة ، أن تكون على « مكتب بريد الأزهر » تيسيراً للعمل ، وإلا اضطرت إدارة المجلة إلى إعادتها لمرسليها .

لغويات

أخلص في طلب العلم ، لقيت جزاء عليه أم لا

هذا الأسلوب فاش بين الناس إذا أرادوا مثل هذا التعميم . والمتأمل في الأسلوب يرى أن (أم) لا مكان لها هنا . فهي إنما تقع بعد همزة التسوية أو همزة يطلب بها وبأم التعيين ، كما هو مقرر في كتب النحو ، وقد تمتع للإضراب بمعنى بل مع الهمزة ودونها .

والصواب أن يؤتى بالحرف (أو) بدل (أم) فيقال : لقيت جزاء عليه أو لا وما جاء على هذا السنن قول الشاعر :

كن للخليل نصيرا جاز أو عدلا ولا تشح عليه جاد أو بخلا
وهذه الجملة « لقيت جزاء عليه ... » جملة حالية . ويذكرها النحويون في الجمل الحالية التي لا يجوز أن يكون رابطها الواو . ويمثلون لذلك بقوله : لأضربنه ذهب أو مكث ، لا يصح أن يقال : وذهب أو مكث . ويقول الصبان في تعليل هذا الحكم : « لأنه في تقدير فعل الشرط ؛ إذ المعنى : إن ذهب وإن مكث ؛ وفعل الشرط لا يقرب بالواو ، فكذلك المقدّر به » . واستفادة الشرط من الأسلوب والسياق ؛ كما ترى . وينسب ابن هشام فهم الشرط إلى (أو) فهو يقسول في المعنى في تعداد معاني أو : « الحادى عشر : الشرطية ؛ نحو لأضربنه عاش أو مات ، أى إن عاش بعد الضرب وإن مات . ومثله : لآتينك ، أعطيتنى أو حرمتنى . قاله ابن الشجرى » .

وقد نبا البحترى عن هذا المنهج في قوله - على رواية طيف الخيال - :

أهلا بذاكم الخيال المقبل فعمل الذى نهواه أم لم نفعل

وقد يقال في تسويخ هذا : إنه بناء على تقدير سواء . أى سواء أفعّل الذى نهواه أم لم نفعل ، ولكن هذا التخريج يستلزم حذف سواء أو الهمزة ، ولم يعهد مثل هذا ولم يأت في كلام عربى يحتاج به .

على أن مبعث هذا الخطأ تقارب أم وأو . حتى إن ابن كيسان يزعم أن أم أصلها أو ،

أبدلت الواو فيها ميما ، ويرد عليه النحويون هذا الزعم ، ومن أراد هذا فليرجع إلى همع
 الهوامع للسيوطى . ومن آثار هذا التآرب أن (أو) تأتي فى مسكان (أم) فى قولهم :
 ما أدرى أسلم أو ودع ، فالذى يأتى بعسد (ما أدرى) هو أم المعادلة للمهزة . ولكن جاء
 عنهم هذا الكلام والنحويون يجعلون الحرف (أو) فيه للتريب . ويقول الدسوقي فى كتابته
 على المغنى فى تعليل هذه التسمية فى هذا المثال : « أى لأنها قربت الوداع من السلام . وهذا
 المثال يقال لمن قال لحبه : السلام عليكم ، ثم ودّعه وانصرف ، وهو متعلق به . فالذى يدل
 على قرب الوداع من السلام أو . » . ومثل هذا المثال الذى جاءت فيه أو بدل أم قولهم :
 ما أدرى أأذن أو أقام إذا أسرع بالأذان والإقامة . ويقول ابن جنى فى الخصائص ٢ / ١٦٩
 فى تعليل هذا : « فهو أنه لم يعتد أذانه أذانا ولا إقامة إقامة ، لأنه لم يوف ذلك حقه . فلما
 ونى فيه لم يثبت شيئا منه » . وكأنه يريد أن المعادلة بأم تةضى أمرين تامين عودل بينهما ،
 ولما كان الأذان والإقامة هنا للإسراع فيهما ناقصين لم يكن المقام لأم ، وأتى بأو . وهذا
 يرجع إلى التقريب الذى ذكره ابن هشام ، فإن الإسراع بهما يةضى بتقاربهما . فالأمر فيه
 كالأمر فى قولهم : ما أدرى أسلم أو ودع .

هدف ، أهدف ، استهدف

يكثرفى هذه الأيام استعمال هدف واستهدف . يقال : إن أولى الأمر يهدفون إلى إصلاح
 المجتمع ورفع الحيف والجور ، وإنهم يستهدفون خير الناس .

والأصل فى هذا المعنى الهدف . وهو ما ينصب غرضا يرميه الراى بالقوس ونحوها
 ليصيبه . وللنضر بن شميل تفصيل حسن فى هذا ، فهو يقول - على ما جاء فى اللسان - :
 « الهدف : ما رفع وبني من الأرض للنضال . والقرطاس : ما وضع فى الهدف ليرمى .
 والغرض : ما ينصب شبه غربال أو حلقة » .

وقد قال العرب من الهدف : أهدف الشيء واستهدف أى انتصب كهدف . يقال :
 أهدف لك الصيد فارمه ، واستهدف لك البلد إذا شخص لك وظهر حين تدنو منه .

ويرى القارىء أن أهداف واستهدف لازمان لا متعديان ، وأنهما ينسبان للشيء ليرى
 لا للرائى ، فلا يقال أهدغت للصيد ولا استهدفت له . وإذا أريد التوسع فيما جاء عن العرب
 نقول : استهدف لى صلاح أخى إذا ظهر لك صلاحه ، واستهدف لى الخصب فى هذا العام ،

وهكذا أهدف . فليس من سبيل إلى أن يقال : استهدفت صلاح أخى ، فهذا يحافى ما جاء عن العرب من قبل تعديته ، ولم يرد هذا عن العرب ، ومن قبل الإسناد ، فالاستهداف فى هذا المثال لصلاح الأخ لا للتسكلم ، فخرى بالأدباء ترك استهدف فيما يستعملونه فيه .

على أن فى أهداف ذروا من القول وبقية من حديث . فتد ورد فى بعض ما أثر من الكلام متعددا . وذلك فى قول حمدان بن أبان اللاحق من المحدثين :

أليس من الكبائر أن وغدا لآل معنل يهجو سدوسا
هجا عرضاً لهم غضاً جديدا وأهدف عرض والده الليسا

- الليس : الثوب يكثر لبسه فيبلى . أراد عرض والده يتناوله الناس بالهجاء والقبح حتى صار كالثوب الليس - فتوله : أهدف عرض والده أى جعله هدفا وغرضا للرمى بالمسبة والعب ، فقد جاء به متعددا على خلاف ما جاء عن العرب . وية قول المرصنى فى شرح الكامل ٦ / ٢١٨ عند إيراد المبرد هذا الشعر : « (وأهدف عرض والده) يريد : جعله هدفا يرمى . ولم أجد ذلك الفعل فى اللغة » . وفى سيرة دحلان المطبوعة على هامش السيرة الحلبية عند الكلام على عرض الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل فى الحديث عن مقابله / وفد كندة . « قال قائل : أهدف نحورنا للعرب دونك » . وأياما كان الأمر فالعصريون لا يستعملون أهدف ، وإنما ذكرت ما يتعلق به توفية للمقام .

فأما هدف فلا ترد فى اللغة للبنى الذى تقال فيه اليوم ، ولا تتصل بالهدف ، وإنما يقال : هدف إلى الشيء : دخل فيه وهدف للخمسين من سنيه أى قاربها . ويقال أيضا : هدف إذا أسرع . ويصح تخرج المعنى العصرى بضرب من المجاز ، فهدف تستعمل اليوم فى معنى قصد وتوخى ، والقصد إلى الشيء يكون سبباً فى الدخول فيه ، وفى مقاربتة ، وقد يكون سبباً فى الإسراع إليه ، فيكون هذا من إطلاق المسبب على السبب ، وهذا كثير جار فى اللغة . وقد نصر اللغويون على أن مضارع هدف فى معنى أسرع مكسور العين أى من باب ضرب . وأهمل صاحب القاموس مضارع هدف فى معنى دخل وقارب وإذا عملنا باصطلاحه يكون هذا الفعل من باب نصر . فقد وضع أنه إذا أتى بفعل ولم يأت بمضارعه فهو من هذا الباب وضم الدال فى يهدف هو ما نسمعه فى الإذاعة فى هذه الأيام .

القناقن والقناء

كثر في هذا العصر استنباط المياه الأرضية (الجوفية) ، واستنباط النفط (البترول) . وقد اخترعت آلات دقيقة لتعرف النفط أو الماء في أعماق الأرض البعيدة ، يقوم بها مهندسون وخبراء تخصصوا بها . وهم يأتون في هذا الباب بما يلتحق بالعجائب . إذ يفجرون الماء من الصخر الصلب ، والنفط في البلد المحل والحجر الأصم .

وقد كان العرب من همهم تعرف الماء تحت الأرض في حفر الآبار ، ويبدو أنه كان فيهم خبراء بصراء بهذا الأمر ، وقد جاء عنهم دعاء البصير بهذا بالقناقن والقناء ؛ حتى ليصح القول بأنه كان فيهم مهندسون لهذا الغرض .

فقد جاء في اللغة أن القناقن : البصير بالماء تحت الأرض ، وفي عبارة بعض اللغويين أنه المهندس الذي يعرف الماء تحت الأرض ، وبتول بعضهم : إنه هو الذي يتسمع فيعرف مقدار الماء في البئر قريبا أو بعيدا .

ومن علم العرب أن الهدهد يبصر الماء تحت الأرض . وجاء في سورة النمل في حديث سليمان عليه الصلاة والسلام أنه تفقد الطائر فلم ير الهدهد فسأل عنه حتى جاءه الهدهد بخبر الملكة ذات العرش العظيم .

وقد سئل ابن عباس - رضي الله عنهما - : لم تفقد سليمان الهدهد بين الطير ؟ فقال : لأنه كان قناقنا يعرف مواضع الماء تحت الأرض . وفي القاموس : « الهدهد قناء الأرض ومقنيها أى عالم بمواضع الماء منها » .

وإنى أرى أنه يحسن تسمية مهندس استنباط الماء أو النفط بالآلات الحديثة بالقناقن أو القناء .

نيل المعدن

يذكر الفقهاء في مبحث إحياء الموات نيل المعدن لما يخرج منه . والنيل في الأصل العطاء ، فكأن ما يخرج من المعدن عطية يجود بها على معالجيها ، ويذكرون من المعدن النفط والكبريت . ويعبر العصريون عن هذا المعنى بالإيراد ، فيقال : إيراد بئر النفط كذا ، والأولى الرجوع إلى النيل ، فيقال : نيل البئر كذا إحياء لهذه الكلمة ، وهكذا يقال فيما جرى هذا المجرى .

محمد علي النجار

دعائم المنهج الخلقى الاسلامى

- ٢ -

الدعامة الخامسة : طهارة القلوب وصفاء النفوس ، فقد عنى الإسلام بتطهير القلوب من
كوامن الحقد والضغينة ، وسوء القصد وخبث الطوية ، وتصفية النفوس من شوائب الرياء
وأوضار النفاق .

فأمر المسلمين بالمسألة والتوادة ، والتآخى والتآلف ، وحثهم على التعاطف والتراحم ،
كما فى قول الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات
الشیطان إنه لىكم عدو مبين » ، « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، وإذا
خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » ، « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله
لعلمكم ترحمون » وقوله صلى الله عليه وسلم (لا يكمل إيمان المرء حتى يحب لأخيه ما يحب
لنفسه) ، (المؤمن إلف مألوف ، ولا خير فىمن لا يألف ولا يؤلف) ، (ومثل المؤمن
فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد
بالسهر والحس) وبذلك جمع الإسلام بين المسلمين برباط روحى وثيق ، يجمع قلوبهم ويوحد
صفوفهم ، ويمهد لهم سبيل التعاون والتناصر فى دينهم ودنياهم .

ورغبهم فى العفو والصفح ، وكظم الغيظ والتسامح ، والتجاوز عما يقع بينهم من
اللفوات والعترات ، والأخذ بالأيسر من الأمور فى المعاملة والمعاشرة ، إبقاء على ما بينهم
من الروابط والصلات ، كما فى قوله تعالى : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها
السموات والأرض أعدت للمتقين : الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ
والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » ، « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي
أحسن ، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ، وما ياتهاها إلا الذين صبروا وما
يلقاها إلا ذو حظ عظيم » وقوله صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظا وهو يقدر على إنفاذه
مألأ الله قلبه أمنا وإيماننا » ، « ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند
الغضب » وقوله صلى الله عليه وسلم للأشجع حين وفد عليه « إن فىك يا أشجع خلتين يحبهما الله
ورسوله ، قال ما هما بأبى أنت وأمى يا رسول الله ؟ قال : الحلم والأناة .

فكظم الغيظ عندما تغلى مراحل الغضب في القلب ، وعدم إنفاذه مع القدرة على الانتقام والتشفي ، ودفع السيئة بالتي هي أحسن ، كدفع الغضب بالصبر ، والجهل بالحلم ، والإساءة بالعفو . والترقى والتأني في تدبير الأمور وتصريفها ، هي المواقف التي تتجلى فيها الإرادة القوية والصبر الجميل ، والسيطرة على أهواء النفس ونزغات الشيطان ، وهي المظاهر الخلقية التي تدل على صفاء النفوس وطهارة القلوب ، والتي لا يوفق إليها إلا الذين صبروا ، ولا ينال فضلها إلا ذو حظ عظيم .

فالواجب على المسلم أن يكون سمح الطبع كريم النفس ، لين العريكة نبيل العاطفة ، مالم كالقياد نفسه وهواه ، يتبمل معاذير أهل الهفوات والعثرات ، ويعفو عن نبا به اللسان أو زلت به القدم ، ويؤثر ما عند الله من حسن الجزاء وعظيم الأجر ، على الانتقام والتشفي من غيظه ، فما عند الله خير وأبقى ، وأمرنا بإصلاح البواطن والسرائر ، والإخلاص لله في القول والعمل ، وحذرنا من انطواء الصدور على الحقد والضغينة وسوء الطوية ، كما في قوله تعالى : « واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه » ، « وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون » ، « وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » ، « وذم النفاق وأهله ، وأنذرهم بأن الله يعلم سرهم ونجواهم ، ويحصى عليهم أقوالهم وأفعالهم ، كما قال تعالى « ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب » . أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم ، بلى ورسلنا لديهم يكتبون » وهددهم بأشد أنواع الوعيد والتهديد ، وجعلهم في الدرك الأسفل من منازل الجحيم ، كما قال جل جلاله « بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً » ، « إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً » وكشف لنا عن أخلاقهم وخبث طوياتهم ، وتلونهم في سلوكهم ومعاملاتهم ، لتأخذ حذرنا من عدوى أخلاقهم والوقوع في شرورهم ومفاسدهم ، فبين أن من أخص أخلاقهم وخلالهم ، أنهم يخادعون ويراءون في أقوالهم وأعمالهم ، ويظهرون من الأقوال والأعمال خلاف ما يبطنون . كما قال تعالى « إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً ، مذبذبين بين ذلك ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً » وأنهم يستخفون من الناس في تدبير خياناتهم ومؤامراتهم في الخفاء ، ولا يستخفون من الله الذي يعلم سرهم ونجواهم ، ويرى ويسمع حركاتهم وسكناتهم ، كما قال عز شأنه : « يستخفون من الناس

ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا ، وأنهم يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ، كما قال تعالى « وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ، ، وأنهم إذا حدثوا كذبوا فى حديثهم ، وإذا عاهدوا غدروا بعدهم ، وإذا وعدوا أخلفوا وعدهم ، وإذا خاصموا تجروا فى خصومتهم ، كما يشير إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خلة منهن كان فيه خلة من نفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا وعد أخلف ، وإذا خاصم فجر ، .

ومن هنا يتضح لنا أن المؤمن الصادق فى إيمانه ، هو الذى لا يتناقض ولا يتلون فى قوله وعمله ، ولا يدبر للناس بلبيل ، ولا يكيد لهم فى الخفاء ، ولا يطعن فى ظهور الغافلين عن خيانتة وغدره ، ولا يكذب إذا حدث ، ولا يغدر إذا عاهد ، ولا يخلف إذا وعد ، ولا يفجر إذا خاصم ، ولا يخون إذا أوثق ، لأنه يؤمن بأن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وأنه تعالى يحصى على العباد كل ما يقولون ويعملون ، ويحاسبهم بما يبدون وما يخفون ، هذه هى الشخصية التى تتمثل فيها روح الإيمان وأخلاق الإسلام ، وإنما عنى الإسلام بشأن النفاق كل هذه العناية ، لأن النفاق هو الداء الدفين الذى تتفشى جراثيمه فى كل مجتمع ، والخديعة التى تدخل على الناس فى ألوان مختلفة وبأسماء مزيفة ، فيدخل عليهم تارة باسم الدهاء وسعة الخيلة ، وتارة باسم المهارة والسياسة ، وتارة باسم مجازاة الظروف ومسيرة الأحوال ، وهكذا تتعدد الألوان والأسماء ، ولكن الحقيقة واحدة وهى النفاق .

وهو الذى يقرب الحقائق والأوضاع ، ويوجب اختلال موازين الحكم على الأقوال والأفعال ، ويطمس معالم الفوارق بين المصلحين والمفسدين ، ويصور أهله للناس على غير حقيقةهم ، فتراهم يلبسون لباس الأخيار وهم الفجار ، ويظهرون بمظهر الأحرار الأعززة وهم العبيد الأذلة ، ويزعمون أنهم المصلحون وهم المفسدون ، ، ويدعون أنهم دعاة المبادئ وقادة الإصلاح ، وهم فى حقيقة أمرهم لا مبدأ لهم ولا عقيدة ، ولا عهد لهم ولا ذمة ، وإنما هم يسرون فى ركاب كل سائر ، ويستمعون لكل هامس ، ويستجيبون لكل ناعق ، ويطيرون مع كل عاصفة ، وينحازون إلى كل طاغية ، إذ ليس لهم رائد من الحق يلتزمون طريقه ، ولا هدف من الإصلاح يسلكون سبيله ، وإنما رائد هم مرض القلوب وطاعة الأهواء ، وهدفهم تحقيق المآرب الشخصية ولو كان ذلك على حساب المبادئ والأخلاق .

الدعامة السادسة : عفة اللسان والمنطق ، وهى كف اللسان عن فضول الكلام ولغوهِ ،

والخوض في أعراض الناس وأسرارهم ، وصونه عن كل ما يكدر صفو الروابط الإسلامية والصلات الإنسانية ، فقد خصها الإسلام بنصيب كبير من العناية والرعاية :

فأمر بالصدق وحث على التخلق به ، ونهى عن الكذب وحذر من سوء عاقبته ، كما في قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ » وقوله صلى الله عليه وسلم : « عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وما يزال الرجل يكذب ، ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً » .

وحرم الغيبة والنميمة ، والسباب والفحش ، كما في قوله عز وجل : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ ، إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ، وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا ، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَسَكَّرْتُمُوهُ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ » وقوله تعالى : « وَلَا تَطْعَمْ كُلَّ حَلَالٍ مَّهِينٍ ، هَمَّازٌ مَّشَاءٌ بِنَمِيمٍ ، مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ مَعْتَدٌ أَثِيمٌ » وقوله صلى الله عليه وسلم « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » ، « إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة ، من تركه الناس اتقاء شره ، وفي رواية اتقاء خفشه » .

والهماز هو العياب المغتاب ، والمشاء هو النمام الذي يسعى بين الناس بالكلام بقصد الإفساد والوقعة .

ونهاى عن السخرية والتنازع بالألقاب ، وتحقير الناس وازدراءهم ، كما في قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ ، وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ، وَلَا تَلْبِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ، بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ، وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ » وقوله صلى الله عليه وسلم (المسلم أخو المسلم لا يظله ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى هاهنا ، ويشير إلى صدره ثلاث مرات ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه) ، « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » .

وبين لنا أن استقامة اللسان هي سبيل النجاة والسلامة ، وأن انحرافه طريق الهلكة والندامة ، كما جاء في حديث عقبة بن عامر ، قال قلت : يا رسول الله ما النجاة ، قال : (أمسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك) وكما في قوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ ابن جبل (ألا أخبرك بملاك الأمر كله ، قال بلى ، قال : كف عليك لسانك ، قال : يا رسول الله وإنا لمؤاخنون بما نتكلم به ؟ فقال ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكب الناس في النار

على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم !) وقال : على كرم الله وجهه فيما يروى عنه « والله ما أدرى عبداً يتقى تقوى تنفعه حتى يخزن لسانه ، وإن لسان المؤمن من وراء قلبه ، وإن قلب المنافق من وراء لسانه ، لأن المؤمن إذا أراد أن يتكلم بكلام تدبره فى نفسه ، فإن كان خيراً أبداه ، وإن كان شراً وراه ، وإن المنافق يتكلم بما أتى على لسانه ، لا يدرى ماذا له وماذا عليه ، ولقد قال : رسول الله صلى الله عليه وآله : (لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه) .

الدعامة السابعة : الصبر ، وهو من أجل الدعائم منزلة وأعظمها أثراً ، بل هو ملاك الدعائم وقوامها ، ولهذا عنى الإسلام بشأنه عناية كبرى ، وتحدث عنه القرآن فى نيف وسبعين موضعاً . فأمر به وأكبر من شأنه ، كما فى قوله تعالى : « يأياها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » ، « وأطيعوا الله ورسوله ، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا إن الله مع الصابرين » ، « يأياها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين » .

ومدح الصابرين وأجزل لهم العطاء والأجر ، كما قال عز وجل : « ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون » ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون » ، « وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون » ، « ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » ، « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » ، وهكذا جمع الله للصبر من درجات الفضل والكرامة ما لم يجمعه لغيره ؛ لأن الصبر هو قوام أمر الدين والدنيا ، فهو عدة الإنسان فى الكفاح والنضال ، وحمل أعباء الحياة وتكاليفها ، ومغالبة الشدائد والأحداث ، واجتياز العوائق والعقبات ، والعاصم الذى يعصمه من الاستسلام لليأس والجزع ، والملاذ الذى يلوذ به فى حمل النفس على الرضا بأحكام القضاء وتصريف القدر ، والظهير الذى يستعين به على القيام بحقوق الله وحقوق العباد ، والمعتصم الذى يعتصم به فى كبح جماح الغرائز والشهوات ، وكظم الخيظ والسيطرة على نوازع الشر والغضب ، وترويض النفس على التخلق بمكارم الأخلاق والترفع عن سفاسفها ، وهو الوسيلة لاستئزال المدد الغيبي والنصر الإلهي ، والسبيل إلى بلوغ الغايات وتحقيق الآمال .

يس سويلم طه

المفتش بالأزهر

برامج ومناهج

لم يعد دعاة الشر يقنعون بالكلام في هذه الأيام ، ولم يعد شرهم مقصوراً على محاولة فسر سمومهم بالدعاية لها . فقد انتقلوا الآن من مرحلة الكلام إلى مرحلة العمل ، بعد أن نجحوا في التسلل إلى مناصب تمسكهم من أن يدسوا برامجهم ومناهجهم على المسؤولين من رؤسائهم وينفذوها في صمت . ودعاة الشر هؤلاء يعملون في ميادين كثيرة لا يكاد يخلو منهم ميدان . ولكن أخطر ما يكون إفسادهم إذا تسلل إلى ميدان التعليم . لذلك رأيت أن أكشف في هذا الممثل عن بعض أساليبهم في هذا الباب .

كان الناس يناقشون الاختلاط ، هل هو جائز أو غير جائز ، وهل هو مفيد أو ضار . وكانت تثيرهم فوضى الجنس التي يروجها القوصى في مطبوعات فرانكلين تحت ستار الدراسات النفسية . فإذا هذا الاختلاط يصبح حقيقة واقعة بطريق ملتو خفي لم يكدر يقنعه إليه أحد ، بعد أن طالت المرحلة الابتدائية إلى ست سنوات يتجاور فيها الذكور والإناث . ومن المعروف أن الإناث في بلادنا يدخلن سن المراهقة في وقت مبكر لا يتجاوز السنة الحادية عشرة في كثير من الأحيان . بل لقد أصبحنا أمام بعض المدارس المختلطة في مرحلة التعليم الإعدادي ، بعد أن تسكفت تجربة الاختلاط في الجامعة عن مآسى لا يستطيع تجاهلها إلا مكابر أو مدلس . وأصبح هذا النظام ضرباً من ضروب الإلزام لا يستطيع والد أن يفر منه أو يتفاداه ؛ لأن عليه أن يختار بين أن يبعث بانه وبابنته إلى هذا الوسط وبين أن يحرمهم من التعليم ويحجبهم في ظلمات الجهل . بل إنه لا يستطيع اختيار الطريق الثاني - على ظله وظلامه - لأن قوانين الدولة تجبره على أن يعلم أولاده حتى نهاية هذه المرحلة الأولى على الأقل .

وكان الشعوبيون يروجون للهجات السوقية المحلية التي يسمونها العامية بمختلف الأساليب وكان أعداء العروبة والإسلام يتحاليون في انتزاع الدراسات العربية من حضارة الدين والقرآن ، حتى قال قائلهم : « فالذين يزعمون لنا أننا تعلم العربية ونعلمها لأنها لغة الدين فحسب ، يربون على ذلك ما يربون من النتائج العنيفة والعملية إنما يخدعون الناس ،

وليس ينبغي أن تقوم حياة الأمم على الخداع ؛ فإن اللغة العربية ليست ملكاً لرجال الدين يؤمنون وحدهم بها ، ويقومون وحدهم من دونها ، ويتصرفون وحدهم فيها . لكنها ملك للذين يتكلمونها جميعاً من الأمم والأجيال . وكل فرد من هؤلاء الناس حر في أن يتصرف في هذه اللغة تصرف المالك متى استوفى الشروط التي تيسح له هذا التصرف . وإذا فن السخف أن يظن أن تعليم اللغة العربية وقف على الأزهر الشريف والأزهريين ، وعلى المدارس والمعاهد التي تتصل بينها وبين الأزهر والأزهريين أسباب طوال أو قصار . هذا سخف لأن الأزهر لا يستطيع أن يفرض نفسه على الذين يتكلمون اللغة العربية جميعاً وفيهم المسلم وغير المسلم (١) » والغرض الذي يرمى إليه صاحب هذا الكلام من قطع الصلات التي تربط الدراسات العربية بالدراسات الإسلامية هو أن ينزع عن العربية قداستها ويحررها من حماية الدين وحضائنه ليكشفها أمام أعدائها ويعينهم على الإجهاز عليها بعد أن يفردوها من كل نصير أو معين . ولم يستح صاحب هذا الكلام وشيعته أن يتخذوا مجمع اللغة العربية في القاهرة ومكاتب جامعة الدول العربية ومؤتمراتها ميداناً لنشاطهم ، فدعا أحدهم في المؤتمر الأول لمجامع اللغة العربية بدمشق إلى تأليف معاجم محلية لا يثبت فيها إلا ما بقي من لهجات العرب حياً في عامية كل إقليم . ودعا آخر إلى إعادة النظر في تبويب النحو وتدوينه من جديد . وكان ذلك كله كلاماً في كلام . فإذا بنا الآن أمام هذه المشاريع جميعاً منفذة في كتب القوصى وشركاء المشهورة بكتب « شرشر » أو « جلا جلا » ، وفي كتب النحو الجديد التي يتولى إبراهيم مصطفى توجيهها . ولم يثنهم عن عزمهم ما قرره مؤتمر مجامع اللغة العربية الأول في دمشق من أن مشاريعهم تحتاج إلى مزيد من الدرس والمراجعة والتحصيص ، بل لقد استصدر قسم اللغة العربية في إحدى كليات الآداب منذ ثلاث سنوات قراراً بإنشاء شعبة سماها « شعبة الدراسات العربية الحديثة » ، أخلت الدراسة فيها من النحو والصرف والبلاغة ومن الشعر العربي ونصوص الفصحى ومن الأدب العربي والتاريخ الإسلامي ومن القرآن والحديث ، وجعل مكان ذلك كله « دراسات لغوية حديثة » و « التطور اللغوي العربي في العصر الحديث » و « اللهجات العربية الحديثة » و « الأدب

(١) الفقرة ٣٦ من كتاب « مستقبل الثقافة في مصر » لطله حسين ص ٢٣٠ من طبعة المعارف

الشعبي» و « المذاهب الكبرى في الآداب الأوروبية » و « مدارس القصة » و « تطور الفكر الإسلامى فى العصر الحديث » .

وكان أعداء الإسلام من عمال الاستعباد والتبشير وسماسرة الصهيونية الهدامة يشنعون بجمود علماء الشريعة الإسلامية أو من يسمونهم خطأ (رجال الدين الإسلامى) ، وينددون بتخلف الأزهر عن ركب الحياة بزعمهم . فإذا بنا نفاقاً بأحد أعضاء (لجنة التربية الدينية) بوزارة التربية والتعليم يقترح إنشاء شعبة للدراسات الإسلامية فى كليات الآداب لتخريج مدرس الدين الإسلامى المرن الذى يستطيع أن يساير الزمن .

هذه بعض أمثلة تصور الأسلوب الجديد الذى يعتمد على (الغزو من الداخل) - إن جاز لى أن أستعير تعبير المستر دالاس - الذى لم يعد أصحابه يقنعون بالدعاية وباجتذاب الأنصار والاستكثار منهم عن طريق الإقناع أو الإغراء أو الإرهاب . إنهم يعتمدون فى أسلوبهم الجديد على أفراد عصائهم الذين نجحوا فى التسلل إلى مراكز القيادة ، فأصبح فى استطاعتهم أن يجعلوا من أوهامهم التى لم ينجحوا فى إقناع الناس بها حقيقة واقعة بقرار أو بجرة قلم كما يقولون . ولأوضح قليلا بعض ما فى كلامى السابق من إجمال .

كتب (القراءة الجديدة) المتداولة فى الإقليم المصرى ، التى وضعتها لجنة تعمل بتوجيه عبد العزيز القوصى وسعيد العريان تعتمد على أسلوب جديد لا يمكن أن نصفه بأنه عربى مهما اجتهد أصحابه فى تبريره ، بما يزعمونه من أن كلماته التى تبدو من عامية مصر يمكن أن تجد سنداً من معاجم اللغة يصلها بإحدى لهجات العرب . هذه الكتب لا تتجنب الفصيح الذى أجمع عليه العرب والمسلمون لغرابته أو لثقله ، ولكنها تعتمد إهماله لأنها تريد أن تهمله وأن تجعل استعمال لهجة الأسواق فى الكتب المدرسية أمراً واقعاً مقررأ . وهم يعلمون حق العلم أن هذه الكلمات الملتقطة من أسواق مصر وطرقاتها - مهما جاءوا بأشجار الأنساب تثبت عروبتها - ليست عامة فى بلاد العرب جميعاً . فهى مجهولة فى بعضها ، وهى مستعملة بمعنى آخر فى بعض آخر ، لأن الفصحى التى تجمع العرب بل المسلمين اليوم هى فصيحى قرش خاصة التى نزل بها القرآن والتى دون بها الحديث والفقه والآدب وكل ما أثمرته الحضارة العربية من علوم وفنون ، وهى أفصح لهجات العرب وأسلمها دون نزاع ، فرضتها صلاحيتها ونشرتها قبل أن ينزل بها القرآن ، فكان العرب على اختلاف قبائلهم يكتبون شعرهم بها .

ولا يستعملون لهجات قبائلهم إلا في ضرب من ضروب الأدب المحلى المسف الذى يقرب مما يسميه بعض الناس اليوم الأدب الشعبي ، وهو الرجز . فهذه الكتب الجديدة التى يراد بها تقرير لغة جديدة للتدوين ، وإحقاق باطل فشل أصحابه فى إقناع الناس به رغم ما بذلوا له من دعاية طوال نصف قرن أو يزيد ، تريد فى ضحى القومية العربية أن ترد العرب إلى ما قبل الجاهلية .

على أن الكلمات السوقية (الملتقطة من أسواق مصر وطرقاتها) التى يصير القوصى والعريان وشركاؤهما على استعمالها ما يقابلها من الفصحى المستعمل المأنوس . بل إنهم يعدلون فى أكثر الأحيان عن الفصحى السمج الجميل إلى السوقى السمج الثقيل . فى مثل : (العسكرى ، حلق عليه ج ٢ ص ٢٩) (حطت اللحم فى الحلة ٢ : ٣٧) (مبسوط ٢ : ٤٠) (شاف ٢ : ٥٠) (زيتة ١ : ٦٠) (استغرب ٢ : ٧٢) (زعلان ٣ : ١٠) (ابن الحلال ٣ : ١١) (بص ٣ : ١٤) (حطها فى القفص ٣ : ٤٣) (ينظرون إلى القمر فيتمياً لهم أشكال غريبة ٤ : ٦٥) (المخدة ٤ : ٨٩) (زاحنى فى البحر ٤ : ٩١) (يتزحلق ٤ : ٩٢) . فتقابل هذه الكلمات من الفصحى مشهور خفيف شائع ، وهو - على الترتيب السابق : الشرطى - اعترضه أو وقف فى وجهه (أو فى طريقه) - وضعت اللحم فى القدر - مسرور - رأى - ضوئاً أو ضجيج أو لغط - دهش أو عجب - غضبان - ابن الكرام - نظر - وضعها فى القفص - يتخيّلون (أو يتوهمون) أشكالاً غريبة - الوسادة - دفعنى إلى البحر - ينزلق .

هل يرى القارىء مبرراً لإهمال هذه الكلمات الفصحى التى هى قدر مشترك بين سائر العرب وأصحاب الثقافات العربية من المسلمين ؟ أليست هذه الكتب هى تنفيذ العمل لاقتراح أحمد عبد السلام مندوب حكومة تونس - ولا أقول مندوب تونس - فى مؤتمر مجامع اللغة العربية الذى دعا فيه إلى (أن تؤلف لكل قطر معجماً صغيراً لا يتضمن إلا الألفاظ العربية الفصيحة التى بقيت مستعملة بمعناها الأصلية فى لغة ذلك القطر ، وأن يوصى معادى الأحداث والعامية بالاعتصار عليها قدر المستطاع) ؟

وإنى لأتساءل : كيف السبيل إلى إخراج هذه الكلمات من عتول الصغار بعد أن تمتش نقشاً فى حافظتهم الغضة الحساسة ؟ ثم إنى أنساءل : أين يتعلم صبية العرب وشبابهم فصحاء الجامعة لشمهم إذا لم يتعلوها فى المدارس ؟ ثم إنى أتعجب لما تحويه هذه الكتب - وكتب

المطالعة في عمومها - من تفاهات غثة تبدد أعمار التلاميذ في سخافات لا تفيد أسلوبا ولا ثقافة ولا خلقا . فهي لا ترتفع في معظم محتوياتها عن تسجيل الواقع المسف ، المنافي للدين وللخلق المذهب في كثير من الأحيان ، من مثل وصف (الحاوي) وسائس القروء ، وعادات الناس - وجهالهم خاصة - في زيارات الأضرحة وفي الأذكار ، ووصف مجتمعاتهم في الموالد وفي المناسبات وفي الأسواق ، وتسجيل أساليب الباعة المتجولين في ترويج بضائعهم ولفت المشتريين إليها . لماذا نفوت على التلبذذ فرصة التحصيل المشمر أنشط ما تكون حافظته وأحد ما تكون ذاكرته قدرة على الاستيعاب السريع العميق ؟ كنا نشب على جملة من نصوص رائعة لأعلام الشعر والأدب في مختلف العصور ومن شتى بلاد العرب ، وكنا نروض أذواقنا وأخلاقنا على طائفة من قصص نافعة تمجد ضروباً من البطولة العربية والإسلامية ، فاستبدلوا بذلك كله هذه السخافات الغثة ، التي لا تعين على تكوين الملكة العربية أو الذوق العربي .

وحجة أصحاب هذه المناهج تنحصر في أنهم لا يتمدون للنشء إلا ما يلائم عقولهم وتفكيرهم ، وأنهم يتجنبون تكليفهم حفظ ما لا يستطيعون تدبره وفهمه ، ومن المسلم به أن الصبي لا يعي كل ما يحفظه وعيا كاملا ، ولكن لا ينبغي أن يفوتنا أنه يختزنه إلى أن ينضج عقله فيستخرج هذا المدخر آنا فأنا ليتدبره ، ولو سلمنا باستبعاد كل ما لا يستطيع الصبي أن يتدبره في صباه لا نبني على ذلك استبعاد تعليمه أن الأرض كرة وأنها تدور ، واستبعاد تعليمه أن الله سبحانه وتعالى أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، ولما كان هناك محل لحفظ القرآن أو تعليم الدين والعبادات - وإن كان ذلك هو فعلا مذهب بعض التربويين الذين نقعوا أدمغتهم في الثقافة اللادينية - والحقيقة التي ينبغي أن يقوم عليها تصورنا لهذه الأمور - بقطع النظر عن كل ما يستورده التربويون من قواعد عرجاء لا يعرف أحد مصدرها ولا الأغراض التي صنعت من أجلها - هو أن الصبا زمن نشاط الذاكرة وحدثها وما أصدق ما كان يردده آباؤنا من أن (التعلم في الصغر كالنقش في الحجر) .

فيجب أن تستغل هذه الحدة إلى أبعد حدود الطاقة وبقدر ما يسع الجهد ، ثم يحى وقت ينمو فيه التفكير وتضعف الذاكرة في الوقت نفسه ، وعند ذلك يتدبر الرجل ما حفظ في صباه ، ويصبح لكثير مما كان يردده من غير وعى معنى جديد ، والإنسان من هذه الناحية

يشبه في تفكيره الحيوان المجتر في طعامه ، يخزن مادة التفكير حين تتاح له فرصة الاختزان ثم يعيد استخراجها في وقت متأخر لكي يهضمها ويتدبرها ، ولو أنه ترك في صباه حفظ ما لا يدرك كل معناه ، لما أمكنه أن يحفظه عند نضج تفكيره ، لأن التفكير ينمو على حساب الذاكرة .

وهناك حقيقة ينبغي أن لا نغفل عنها أو نهملها ، وهى أن الشخصية العربية هى القاعدة التى تستند إليها القومية العربية . والشخصية العربية تقوم على تشابه أذواق العرب وملكاتهم . وهذا التشابه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتراثنا الثقافى العريق وبمعاقة الشعر والأدب خاصة ، الذين سجلوا مثلنا العليا إيجاباً وسلباً فى شعر الحماسة والأدب والرائاء والهجاء ، وفى الخطب وفى الرسائل بمختلف صنوفها ، بين ديوانية وإخوانية ووصفية ووعظية وأخلاقية . فإهمال أدبنا القديم وتوجيه أكثر العناية إلى الأدب الحديث ، بل التافه منه فى الأعم الأغلب ، وتجنب ما كان منه على منوال القديم جزالة وروعة ونغامة أسلوب واحتفالاً بالمعاني الكبار ، خلى أن يعين على تدعيم ما يدبره بعض المفسدين فيسلكون إليه مختلف المسالك ويعالجونه بشئ الأساليب ، حين يسعون إلى فصل حياتنا الراهنة والمستقبلية عن مصادرها القديمة حتى تتفرق جماعتنا ويتشتت شملنا ، وحتى لا تكون أخلاقنا امتداداً لخلق آبائنا ، ولا تكون أذواقنا امتداداً لأذواقهم ، ولا تكون لغتنا وأساليبنا امتداداً للغتهم وأساليبهم ، وحتى لا تكون مذاهبنا فى الفن والأدب امتداداً لفنونهم وآدابهم ، بل لا يكون إسلامنا امتداداً لإسلامهم . فإذا نجحت هذه العصابة فى أن يجعلوا (المجتمع الجديد) الذى يتحدثون عنه مقطوع الصلة بماضينا فى الدين وفى اللغة وفى العادات وفى الذوق الفنى وفى المزاج وفى التقنين الخلقى . فأى جامعة يمكن أن تجمعنا عند ذاك ؟ وأى طابع يمكن أن يميزنا عن غيرنا من سائر خلق الله ويجعل لنا الحق فى أن نقول إنا قوم ، إنا عرب ؟ ما أيسر أن نكون عند ذلك تبعاً لسادة الشرق أو الغرب وذيلاً لكائن من كان ممن يريد أن يستلحقنا كما كان السادة يستلحقون العبيد فى عصور الرق .

أقول ذلك وأنا أعلم أن هذه الأساليب الفاسدة كلها حائلة زائلة إن شاء الله ، وأنها لن تقوى على مقاومة مد القومية العربية الذى لا يزال يعلو ويرتفع . وبوادر ذلك وطلانه واضحه فى كثير من كتب هذا العام الدراسى التى خضعت برامجها للاتفاقية الثقافية .

ولكنني انتهزت الفرصة لأنبه في هذا المقام إلى أساليب يعتمد مروجوها أكثر ما يعتمدون على غفلة الناس عنهم وجهلهم حقائق ما يهدفون إليه ، ولألقى الضوء على بعض ما يدبره المفسدون في الظلام .

وأصحاب النحو الجديد ، أو ما يسمونه (تيسير النحو) ، شعبة من تلك الفرقة الموكة بهدم تراثنا وقطع كل صلة تربطنا به . فهم لا يهدمون لأن الهدم هو وسيلتهم إلى البناء من جديد كما يزعمون ، ولكنهم يهدمون في حقيقة الأمر لأن الهدم هو هدفهم وغايتهم . وهم بهذا الهدم يهدمون الأرض ويسوونها لبناء جديد ولكنه للأجنبي لا لنا ، ويمحون كل ما في صحفنا لتصبح صحفاً بيضاء يسطرون فيها أو يسطر فيها الذين يسخرونهم لما يعملون ، من بعد ما يشاءون . نعم أصحاب القواعد الجديدة شعبة من هذه الفرقة . وقواعدهم الجديدة ليست إلا أسلوباً في الهدم .

زعم أصحاب القواعد الجديدة أن قواعد النحو التي صنعها اثنا عشر قرناً سخيفة معقدة . وزعم لهم صاحبهم أنه سيلخص لهم هذه القواعد في كلمات ، فقيم الكلام إلى مسند ومسند إليه وتكملة ، وسمى كلامه هذا تيسيراً . والوصف الصحيح له أنه تحقيد ، لأن الاصطلاحات المتداولة - ولا أقول القديمة - أدنى إلى عقل الناشئ وتصوره . ومن الذي يخطئ في فهم مدلول كلمة « فعل » و « فاعل » . إن الأمل الجاهل والساذج الذي لاحظ له من الثقافة النحوية يستعمل هذه الكلمات بمدلولاتها النحوية في حديثه اليومي المألوف . الخفير والشرطي يسأل : من (الفاعل) ؟ ويقول : قبض على (الفاعل) ، ويقول : (الفاعل معلوم) أو (الفاعل مجهول) . والفلاح في حقنه يقول : ذا (فعل) الكرام وذا (فعل) اللثام ، ويسأل : ما (الخبر) ؟ هذه هي المصطلحات التي استبدلوا بها (المسند) و (المسند إليه) ، فسموا الفاعل ونائب الفاعل والمبتدأ مسنداً إليه ، وسموا الفعل والخبر مسنداً . وإدراك معنى هاتين الكلمتين يحتاج إلى تصور الإسناد ، وهو فكرة عقلية لا يمكن بحال أن توصف بأنها أقرب إلى أفهام الصدية من المصطلحات الجارية المتداولة . فإذا كان المقصود هو التبسيط والتيسير حقاً كما يزعمون فلا شك أن الفعل والفاعل والمبتدأ والخبر أقرب إلى عقول الصدية في هذه السن وأبصر تصوراً وأسلس لفظاً وأخف وقعاً في الألسن وفي الآذان من المسند والمسند إليه .

على أن أصحاب التيسير المزعوم قد احتاجوا بعد ذلك إلى تفصيل المنصوبات وتبيينها ، ولم يروا إطلاق اسم (التكملة) عليها جميعاً وافياً بالغرض ، فتكلموا عن (التكملة بالزمان) و (التكملة بالمكان) و (التكملة بالحال) و (التكملة بالمفعول) . فما الذى بسطوه ؟ وأى شيء صنعوه سوى أنهم أضافوا كلمة (التكملة) فعندوا الاصطلاح وصعبوه وطولوه بدل أن يسروه ويختصروه ؟ .

ثم إنهم بعد أن تحاشوا اصطلاح (الفعل) و (الفاعل) لغير سبب واضح أو مبرر معقول احتاجوا للكلام عن (المفعول) . ألم يكن بناء (المفعول) على (الفعل) و (الفاعل) أيسر في العقل وأقوم في الترتيب وأنسق في التسلسل من بنائه على (المسند) و (المسند إليه) .

وقد يحتج أصحاب التيسير المزعوم لصنيعهم بأن البلاغيين ، وأصحاب علم المعاني على الخصوص ، قد اتخذوا هذا التقسيم واستعملوا بعض هذه المصطلحات . ومن المعروف المشهور أن الاصطلاحات تختلف باختلاف العلوم والفنون ، وأنها تتبع احتياجاتها وتصدر عن طبيعة كل منها وعما يهدف إليه وما يريد أن يؤديه من غرض . وطبيعة النحو وهدفه يختلف عن طبيعة علم المعاني وهدفه . فالنحو همه ضبط أواخر الكلمات وتفصيل ذلك على ما يقوم في ذهن المتكلم من تصور ، بحيث يكون هذا الضبط وسيلة لتصوير المعنى بحسب اصطلاح أصحاب هذه اللغة وما جرى عليه عرفهم . أما المعاني فهو يتناول الأسلوب ، ولا شأن له بالمفردات . وهدفه هو أن يكون الكلام ترجماناً دقيقاً صادقاً في نقل تصور المتكلم بكل ما يشتمل عليه وما يحف به من أحاسيس ومن ملابسات ومن ظلال إلى نفس السامع . فهو مرحلة تالية لمرحلة النحو الذى يتعلق غرضه بالصحة والفساد ، بينما يتعلق غرض المعاني بفرق ما بين الصحيح والبليغ ، والدقيق والأدق . لذلك كان اصطلاح البلاغيين على تقسيم الكلام إلى مسند ومسند إليه وفضلة لا يجدى شيئاً في إفادة ضبط أواخر الكلمات ومطابقتها للبنى بحسب ما جرى عليه عرف العرب . فالمسند إليه مثلاً لا يفيد الرفع على ما يزعمه أصحاب التيسير . وهم يعرفون ذلك كما يعرفه الناس . ولذلك احتاجوا في كتابهم الذى حير المعلمين والتلاميذ على السواء إلى أن يتكلموا عن كان وأخواتها وإن وأخواتها ، وعلى ذلك أصبح

كل من المسند والمسند إليه يقبل الرفع والنصب . ولم يستغنوا عن أن يقولوا إن المسند قد يكون فعلاً وقد يكون اسماً . ولم يستغنوا حين تكلموا عن المطابقة بين المسند والمسند إليه في الإفراد والجمع عن أن يستثنوا من ذلك الجمل التي يكون المسند فيها فعلاً متقدماً . فهل هذا تيسير أم تعقيد ؟ .

هذه أمثلة مما أدركوه من وجوه النقص في تقسيمهم . وبقي كثير مما لم يدركوه ، مما أشير إليه ولا أحصيه في مثل (والقمر قدرناه منازل) الذي ينتصب فيه (القمر) مع أنه ليس اسماً لأن أو إحدى أخواتها ، الذي زعموه استثناء وحيداً من رفع المسند إليه . وبقي أن نسأل أصحاب التيسير : كيف يصنع الناس بكتب التفسير والحديث والفقهاء وشروح دواوين الشعر التي تمتلئ صفحاتها باصطلاحات النحو المتداولة التي حكموا عليها بالإعدام ؛ لأنها لا تستغنى عنها حين تعرض لتوضيح المعنى أو بيان الفرق ما بين قراءة وقراءة ورواية ورواية . وبقي أن نسألهم أيضاً : هل استشترتم العرب جميعاً فيما صنعتوه ؟ بل هل استشترتم المسلمين الذين لا يستغنى فقهاؤهم عن تلك الكتب التي لا تستعمل غير اصطلاحات النحو الذي يريدون أن يلحقوه بكل ما يريدون إعدامه والقضاء عليه من (قديم) ؟ أم أنهم لا يعرفون أن هذه اللغة ليست ملكاً لطله حسين وإبراهيم مصطفى ، والقوصى ومن شايعهم ممن يخافهم أو يروجهم أو يضلّه شيطانهم . بل هي ليست ملكاً للبصريين وحدهم . بل هي ليست ملكاً للعرب وحدهم ولا للمسلمين وحدهم من أهل هذا الجيل . وإنما هي أمانة يتحتم علينا أن نحفظها للأجيال من بعدنا كما تلقيناها عن قبلنا . أقول هذا وأنا أعلم ما سيرد هذا نفر به على . سيقولون : كلما حدثناكم في شيء أقحمت فيه الإسلام وقتلتم القرآن القرآن ، لا حجة لكم إلا هذا ولا تعلق لكم سواه ! ونحن نقول : نعم . القرآن والإسلام في تقديركم شيء هين يسير وهو في تقديرنا كبير خطير . ونحن لا نبالي شيئاً تزينونه وتزخرفونه إذا أبعدنا عن القرآن والإسلام . فإن كان القرآن والإسلام عندكم لوناً من الألوان ، وواحداً من اعتبارات ، كشأنه فهو عندنا كل شيء ، به نحيا وعليه نموت ، وذلك بأن الحياة عندكم نعيم وزخرف ومتاع ثم لا شيء بعد ذلك إلا الفناء ، فلا قيمة عندكم لشيء لا يتحول إلى لذة أو شهوة أو أرقام . أما نحن فالحياة عندنا معبر للآخرة وطريق إليها ، ومن أجل ذلك نبني فيها ونعمل ونكافح ونجاهد . لذلك كان الأدب عندكم

لهوا ومتاعا ، وخرافات وأوهاما ، لذة للشذاذ والفارغين ، وكان عندنا أسمى من ذلك وظيفة وأعز مكانا . ومع ذلك كله فالقرآن والإسلام هو سبيلنا إلى العزة في الدنيا التي تطالبونها ولا ترون سواها ، لأن الذي يفقد هما يفقد الضمير ومراقبة النفس ومحاسبتها في الصغير والكبير ، ويفقد الدافع القوي الصادق إلى العمل المثمر النافع ، ويفقد الحصانة والمناعة التي تجعله يتماسك ولا ينهار أمام الشهوات والمغريات . ومن فقد ذلك كله فقد الدنيا ، لأنه لا يترك للهواه ولعبه كما كان يظنه ويشتهي ، بل يسلط الله عليه ، من يستعبده ويشقيه ، فيصبح عبدا رقيقا في مزارع السيد الجديد ، يزرع لغيره بعد أن كان يزرع لنفسه . خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين .

بقي كذلك أن نقول لأصحاب التيسير المزعوم : إن ما أطلقتموه من أسماء لما توهمتموه من أقسام لا تصبح (اصطلاحا) حتى يجمع عليها الناس . وقد عرقتكم رأى العرب فيها ، سمعتموه في مؤتمر مجامع اللغة العربية الأول في دمشق سنة ١٣٧٦ هـ ، وسمعتموه من قبل ذلك ومن بعده .

ومع ذلك كله فقد يبدو لي أن أصحاب التيسير كانوا يضعون أمام أعينهم التقسيم الغربي في نحو بعض اللغات الأوروبية ، الذي يقسم الجملة إلى (Subject) و (Predicate) و (Complement) . والدليل على ذلك أن أصحاب التيسير آثروا استعمال (تكملة) وهي الترجمة الحرفية لكلمة Complement على اصطلاح البلاغيين المشهور وهو (فضلة) . وفات هؤلاء القروء أن اللغات الأوروبية التي نقلوا عنها هذا التقسيم كالانجليزية لا تحتاج لعلم يقابل علم النحو عندنا لأنها غير معربة . أما المعرب من لغاتهم مثل الألمانية ومثل (الفعل) في الفرنسية فهو لا يزال يحتاج في ضبطه إلى قواعد تفوق قواعد النحو العربي في أقسامها وفروعها ، ومن شاء فليرجع إلى أي كتاب ابتدأ في الألمانية ليرى إلى كم مجموعة يقسمون الأسماء ، وليرى ما يطرأ على كل مجموعة من تغير وإضافة في حالات الإعراب المختلفة التي تبلغ ثمانى حالات أفرادا وجمعا ، مما يختلف في كل مجموعة عنه في المجموعة الأخرى . وليرى كذلك أن علامة التعريف التي تقابل (ال) في عربيتنا تتبع الاسم الذي تلحقه في إعرابه ، وتختلف مع ذلك باختلاف نوعه بين مذكر ومؤنث وجماد ، مما لا سبيل إلى تمييز بعضه من

بعض بغير السماع ، ويرى أن الاسم المذكورة تسبقه أيضا أداة تخضع لكل هذه التقلبات السابقة ، وهي أداة لا وجود لها في عربيتنا ، إلى آخر ما هنالك مما اكتفى بالإشارة إليه ولا أحصيه .

ولست أظن أن طه حسين قد غفل عن شيء من ذلك ، أو هو على الأقل لم يغفل عما يقابل ما قدمته من أمثلة في الفعل الفرنسى ، حين قدم تقريره المشهور إلى وزير المعارف سنة ١٩٣٥ م ، فألقاه الوزير في سلة المهملات وطلب منه ألا يعيد الحديث فيه حين حاول أن يفتاحه فيه مرة من المرات ، وذلك حسب رواية طه حسين نفسه . ولا بأس من أن أقفل فقرة من هذا التقرير ، ليعرف القارئ من أين جاء (التيسير) . زعم طه حسين في تقريره ذلك أن : « الناس مجمعون على أن تعلم اللغة العربية وآدابها في حاجة شديدة إلى الإصلاح » . ورد نقور الطلبة من الدراسات العربية إلى « أن اللغة العربية وما يتصل بها من العلوم والفنون ما زال قديما في جوهره بأدق معاني هذه الكلمة ، فالنحو والصرف والأدب تعلم الآن كما كانت تعلم منذ ألف سنة . . . ولست أزعم أن الأمر يقتضى بإحداث ثورة عنيفة على القديم ، وتغيير العلوم اللغوية والأدبية فجأة وفي شيء يشبه الطفرة ، وإنما أزعم أن قد آن الوقت الذى يجب فيه أن نؤمن بأن العلوم اللسانية ، كغيرها من العلوم ، يجب أن تتطور وتنمو وتلائم عقول المعلمين والمتعلمين ويثبتهم التى يعيشون فيها وحاجاتهم التى يدفعون إليها ، ومتى أمنا بذلك فإن التطور سيأتى وسيحقق شيئا فشيئا ، ولكن لا بد أن تمهد له الطريق . وهنا يظهر السبب الثانى الذى أشرت إليه آنفا ، وهو أن معلم اللغة العربية الذى يستطيع أن ينهض بتعليمها كما ينبغى لم يوجد بعد ، فإن القديم لا ينتج إلا قديما مثله ما دام التطور لم يمس - الفقرة ٤٢ من كتاب « مستقبل الثقافة في مصر » ص ٢٨٨ - ٢٨٩ من طبعة المعارف سنة ١٩٤٤) .

ولم يمض على هذا التقرير الذى أسقطه الوزير يومذاك وأهمله سوى سنتين حتى صدر كتاب في النحو نسقه ابراهيم مصطفى على ما تخيله طه حسين في تقريره ذلك ، وقدم له طه حسين نفسه واقترح له اسما ضخما عريضا فيه كثير من التبجح والادعاء ، فسماه (إحياء النحو) . والمتبول بأن إحياء النحو هو الحلقة الثانية في سلسلة تيسير النحو ، وهو الصورة التنفيذية لمذكورة طه حسين . ولعل القارئ لا يذنب ما تحدثت به المذكورة من أن هذه الخطوة الأولى

ليست إلا تمهيداً لما يجيء بعد من التطور الذى « سيأتى وسيحقق شيئاً فشيئاً ». فهى صريحة فصيحة فى الكشف عن نية صاحبها وعن أسنوبه فى استدراج الناس ، والبده بالهين اليسير الذى لا يفاجئهم ، ليتدرج منه إلى الخطير . إنه لا يستقيم الدم الزعاف القاتل لساعته لأنه يلفت الأنظار ويثير الشكوك ، ولكنه يستقيم سما بطيئاً يصل به إلى غرضه دون أن يكشف عن الجريمة . فليعرف الناس إذن أن (تيسير النحو) ليس هو منتهى ما يريدون ، ولكنه أول طريق طويل يدفعون الناس فيه إلى قرار صحيح .

ومن أعجب العجب أن مؤلفى (تيسير النحو) رتبوا هذا الذى يزعمونه (تجديد) على الثورة ، فتمالوا فى مقدمة الكتاب « إلى أن جاءت الثورة المصرية سنة ١٩٥٢ ومعها العزم الصادق على الإصلاح ، والرأى الماضى على تذليل الصعاب ، فهب السيل للتنفيذ » . فما شأن الثورة والعلم ، وطبيعة العلم المحافظة والاتزان ، وهو أبعد شئ عن الثورة ، بل إن الثورة تفسده ؟ فهل هذا إلا ملق سخيف رخيص ؟ ! وهل جاءت الثورة للهدم أم للبناء ؟ وهل جاءت لتعز تراث العرب وتدعمه أم جاءت لتمحوه وتعفى عليه ؟ ألا ترى أن هذا هو نفسه ما تحدثت عنه فى مقال سابق ، حين قلت : إن أصحاب هذه الدعوات يعرفون أن الثورات هى أكثر الظروف ملائمة لبث سمومهم ، إذ يلبسون ثياب الناصحين ، ويندسون فى غمار الثائرين الذين يريدون أن يستبدلوا بأسباب الضعف والفساد أسباباً للحياة والقوة والبناء ، كما يندس المخربون والمأجورون من عملاء العدو وسط جموع المظاهرات ، يحطمون المصابيح ويحرقون المنشآت ، فيقلدهم غيرهم فى صنيعهم دون تمييز بين ما يصلح تحطيمه وما يضر تحطيمه ، يخربون بيوتهم بأيديهم ويحسبون أنهم يطهرونها وأنهم يصلحون ! .

ذلك هو ما يفعله أحد شقى المقراض فيما يمارس مع النشء من المتعلمين . أما الكلام عن شقى المقراض الآخر الذى يتناول إعداد مدرس اللغة العربية ومدرس الدين فذلك ما أرجئه إلى حديثى المقبل إن شاء الله ؟

الدكتور محمد محمد حسين

أستاذ الأدب العربى الحديث بجامعة الإسكندرية

التفسير النفسى للقرآن

نزل القرآن فى عهدىن متميزين : العهد المبكى وهو ما قبل الهجرة ، والعهد المدنى وهو ما بعد الهجرة .

فكما أن هجرة الرسول صلوات الله عليه إلى المدينة كانت حدا فاصلا فى تاريخ الإسلام بين عهدىن ، كانت كذلك حدا فاصلا فى القرآن الكريم بين أسلوبيين .

على أن القرآن كله مصوغ فى أسلوب بلاغى لا يضارع ، وفى فصاحة من النظم لا تبارى لأنه فى صياغته يتناسب مع موضوع الخطاب ، ويتلاءم مع نفسية المخاطبين ، متدرجا مع الأحداث ، متطابقا مع الأحوال الاجتماعية والسياسة التشريعية .

فنظر فى القرآن الكريم نظرة شاملة جامعة وجده مرآة صادقة للأحداث التى مرت على الإسلام ، وسجلا محفوظا للأزمات التى صادفها الرسول فى نشر دعوته ، وصورة دقيقة للنهج القويم الذى سلكه فى هداية قومه ، وللتدرج الحكيم الذى اتخذه فى تشريعه . بل هو ميدان فسيح للتحليل النفسى الذى يكشف عن سر بلاغة القرآن وسحر بيانه ومناط إعجازه . لذلك كان على من يريد تفسير القرآن تفسيراً دقيقاً أن يدرس نفسية المنزل عليه القرآن والمخاطبين به ، والظروف التى أحاطت بالموضوعات التى تناولها ، ليستطيع أن يدرك أسرار أسلوبه وخصائص تعبيره ودقائق نظمه .

ولقد فطن القدماء إلى ذلك فذكر السيوطى فى الإتيقان عند الحديث على أخطاء المفسرين ومواطن زللهم ما يأتى : -

أكثر ما يقع الخطأ فى التفسير من وجهين :

أحدهما - قوم اعتقدوا معانى ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها .

والثانى - قوم فسروا القرآن بمجرد ما يسوغ فى لغة العرب من غير نظر إلى المنزل عليه القرآن وإلى المخاطبين به .

هذا ما فطن له الجلال السيوطى عليه رحمة الله .

ونحن نقول على ضوء ما قرره :

إن المخاطبين فى المدينة يختلفون عن المخاطبين فى مكة فصاحة وعقلية وخلقا وبيئة .
والموضوعات التى تتناولها السور المدنية تختلف عن الموضوعات التى تتناولها السور المسكية .
ونفسية الرسول صلوات الله عليه فى المدينة غيرها فى مكة .

لهذا كله كان للقرآن المدنى أسلوب له خصائصه ويميزاته عن القرآن المسكى الذى له أسلوبه وخصائصه ويميزاته ، وفى كل إعجاز وسحر بيان وجمال نظم يدل على أنه ليس فى طاقة البشر ، وإنما هو تنزيل من خالق القوى والقدر .

فأهل مكة كانوا يومذاك أهل شرك وعبادة أوثان ، وأهل رياسة وسيادة ، ديدنهم العناد وخلقتهم الغطرسة والجفوة ، وعقولهم فى الدين مقفلة ، وطباعهم فى الجدل جافة ، جامدون فى تقليدهم ، واقفون عند كبريائهم وطغيانهم ، ولذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا .

وكانت موضوعات السور المسكية جلها فى أصول الإيمان الاعتقادية من الإلهيات والوحى والرسالة والبعث والجزاء ، وبلى ذلك فيها أصول التشريع الإجمالية العامة والآداب والفضائل الأساسية ، ويتخلل هذا وذاك حاجة المشركين ودعوتهم إلى الإيمان بتلك الأصول وإبطال ضلالاتهم ومحاربة خرافاتهم .

وكان الرسول صلوات الله عليه فى مكة حرجا صدره ، حزينة نفسه من طول المعارضة ، واستمرار العناد ، ومن توالى الأذى ، ولحرصه على نجاة قومه من انحرافهم وتخليصهم من عبادة أصنامهم ومهاوى شركهم .

« فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا » ، « لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين » ، « ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون » ، « قد نعلم أنه ليحزنك الذى يقولون فإنهم لا يكذبونك » .

لذا جاء القرآن المسكى يخاطبهم صريحا واضحا سهلا فى أسلوب فطرى وجدانى ، ليصل إلى قلوبهم القاسية وعقولهم المغلقة .

فكانت السور المسكية تارة تنذرهم فتذكروهم بيوم الفصل ، وبالصاخة تجيئهم وبالقارعة

تحل بهم ، ثم تصف لهم سقر وزبانيته « ساصيله سقر ، وما أدراك ما سقر ، لا تبقى ولا تذر
لواحة للبشر ، عليها تسعة عشر » .

وتارة يصف الجنة ونعيمها وحدائقها وأنهارها ، فهو ينقلهم من الرهبة إلى الرغبة
ومن الخوف إلى الرجاء حتى يسلس قيادهم وتهذب نفوسهم ويدك من عنادهم ويخفض
من طغيانهم .

ومن هذا وذاك يجذب القرآن أنظارهم إلى ما ألفوه من مشاهد الطبيعة الدالة على قدرة
الله ، وعظم آلائه ، وجليل آياته ، لتدبر عقولهم وتشف نفوسهم فيصلوا من ذلك إلى ألوهيته
ويدركوا حقيقة وجدانيته . يسوق القرآن كل ذلك في أسلوب مسجوع قصير ، وموسم لفظية
ساحرة ، وجمل مترنة مزدوجة ، في صيغ مؤكدة بالقيم الذي درجوا عليه في تعابيرهم ، وألفوه
في مخاطبتهم ؛ ليكون ذلك أبلغ أثراً في نفوسهم ، وأعمق فعلاً في وجداناتهم .

ثم يضرب لهم الأمثال بالأمم الغابرة التي كانت أشد منهم قوة فأخذهم الله بذنوبهم ،
وأهلكهم بظلمهم وعصيانهم خالقهم ، ليوظ من وراء ذلك التهديد قلوبهم ، ويحيي بصارم
هذا الوعيد ميت وجدانهم .

« ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد ، وما ظلماتهم ولكن ظللوا أنفسهم
فما أغنت عنهم آلهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك ، وما زادهم غير
تدبير . وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد » .

لهذا كان أسلوب السور المكية غالباً جزلاً متيناً وصارماً رصيناً ، يصنع الجنان ويصدع
الوجدان ، ويفزع القلوب ، ويذبه العقول .

« القارعة ما القارعة ، وما أدراك ما القارعة ، يوم يكون الناس كالفرش المبثوث ،
وتسكون الجبال كالعهن المنفوش » .

« الحاقة ما الحاقة ، وما أدراك ما الحاقة . كذبت ثمود وعاد بالقارعة . فأما ثمود
فأهلكوا بالطاغية . وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية » .

« فما لهم عن التذكرة معرضين ؛ كأنهم حمر مستنفرة ، فرت من قسورة » .

« وقالوا اتخذ الرحمن ولداً ، لقد جئتم شيئاً إدا . تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا . »

على أن القرآن المسكى لم يخل أحياناً من لين ورقة ومحاسنة وملائية إذا ما كان الخطاب موجهاً للؤمنين ، أو إذا سلك مسلك الوعظ والتذكير ، أو وصف الجنة وظلالها ، أو إذا عمد إلى تسليية الرسول صلوات الله عليه والتسرية عن نفسه والتبديد من كربته : « فلا يحزنك قولهم إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون » .

وقد شاع فى أسلوب هذا العهد المسكى ظواهر أسلوبية مرتكزة على أسس نفسية ، وأحوال وجدانية مما سنتعرض لدراسته فى البحث الآتى . تلك الظواهر هى : التكرار ، والقسم ، والافتتاح بحروف التهجى ، والإيجاز .

ولنعجل بمثال يبين فضل الدراسة النفسية فى حل مشاكل فى التفسير خطيرة - من ذلك ما فى تفسير قوله تعالى فى سورة الشعراء « وإنه لتزىل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربى مبين ، » . فقد ثار حول هذه الآيات خلاف مس الأصول البعيدة ، والأسس الغائرة من الصرح القرآنى .

فهذا فريق يحتج بها على نزول القرآن بالمعنى لا باللفظ ، وأن اللفظ من عند الرسول عليه السلام ، إذ لا ينزل على القلب إلا المعانى . وهذه مزمنة إلى إنكار أن يكون لفظ القرآن معجزاً .

ومنسكرك هذا النزول المعنوى يضطر إلى تناول النزول على القلب ليبين معدن العقل هو القلب أو الدماغ ، وهو ما يعرض له الفخر الرازى فى تفسيره ويورد فى ذلك آراء القدماء والمحدثين ، والاستدلال لكل رأى .

إلا أن الرخصرى يدركه التوفيق فيفطن من ذلك إلى خاطرة نفسية دقيقة يكشف بها غبار الموقف ، إذ يعلق قوله تعالى (بلسان عربى مبين) بالفعل (نزل) ويجعل المعنى هكذا : نزله باللسان العربى لتندبر به لأنه لو نزله باللسان الأعجمى لتجافوا عنه أصلاً ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه ، فيتعذر الإنذار به . وفى هذا الوجه أن تنزله بالعربية التى هى لسانك ولسان قومك تنزىل له على قلبك لأنك تفهمه ويفهمه قومك . ولو كان أعجمياً لكان نازلاً على

سمعتك دون قلبك لأنك تسمع أجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها ، فقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات : فإذا كلم بلغته التي يهتمها أولا ونشأ عليها وتطبع بها لم يتعلق قلبه إلا بمعاني الكلام يتلقاها ولا يكاد يفتن للألفاظ كيف جرت ، وإن كلم بغير تلك اللغة - وإن كان ماهراً بمعرفتها - كان نظره أولاً في ألفاظها ثم في معانيها . فهذا تقرير أنه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربي مبين .

فبذلك المنهج النفسى فى فهم حال المتكلم باغة الأم وحال المتكلم بغيرها كشف الرخسرى ظلمة الموقف ، وهون الأمر حتى جعل الاحتجاج بالآية على النزول بالمعنى دون اللفظ يبدو واهناً ضعيفاً .

وليس يحتاج إلى فهم الجوانب النفسية بإزاء الآيات التى يثور حولها مثل هذا الخلاف فقط ، بل فى الآيات التى لا خلاف فيها مطلقاً قد ترفع الملاحظة النفسية إلى أفق باهر السناء ، خاليق بذلك الإعجاز الذى أعجز الجن والإنس ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً .

عبد الوهاب حمودة

إقامة الحق

بنى الإسلام إقداما	كفى دعة وإحجاما
هلبوا نرفع الهاما	أنقضى الدهر نواما ؟
على البيضاء فانطلقوا	إلى العلياء فاستبقوا
لكم من دينكم طرق	تبث النور أعلاما
سلوا القوم الأولى ذهبوا	بأية قوة غلبوا
أقاموا الحق فانتدبوا	لأهل الأرض حكما

أحمد محرم

مدحة على بن الحسين

بين الفرزدق والحزین الکنانی

- ١ -

كتب فضيلة الأستاذ العالم الفاضل الشيخ محمود النواوى فى مجلة الأزهر (عدد المحرم سنة ١٣٧٨ هـ مقالا عن على بن الحسين رضى الله عنهما ، أكد فيه أن على بن الحسين توفى سنة ٩٤ هـ على حسب ما نصت عليه الكتب التى اعتمد عليها الكاتب ، وخلص من ذلك إلى نبي القصة المشهورة التى جمعت بين هشام بن عبد الملك - وهو خليفة - وعلى بن الحسين ، والفرزدق ، إذ أن هشاما تولى الخلافة فى سنة ١٠٥ هـ ، وسياق القصة - على ما يقول الأستاذ النواوى - يدل على أن هشاما كان يومها خليفة ، ثم استطرد يقول : « فإن تكن الحادثة صحيحة أولها أصل ، فلعلها كانت مع غير هشام من الخلفاء ، أو مع غير زين العابدين من آل البيت أو بينهما فى غير خلافة هشام » .

قلت : ولست أجد فى سياق القصة ما يرجح أن هشاما كان خليفة فى ذلك الوقت ، فإن كان لما فيها من حفاوة به ، والتفاف حوله ، فليس ذلك بكاف إذ أن أهل بيت الخلافة كبارهم وصغارهم يلتقون من التجلة والإعظام ما هو معروف ، فى كل عصر ، ومصر .

على أن بعض الكتب كفانا مثونة الاستنباط والجدل ، فقد نص صاحب الأغاني (١) على أن القصة وقعت وهشام يحج بالناس فى خلافة أخيه الوليد ، وذكر جامع ديوان الفرزدق أن هشاما حج فى أيام أبيه ومعهم جماعة من أعيان أهل الشام ، وأنه لم يستطع أن يستلم الحجر لكثرة الزحام ، فلما أقبل على بن الحسين وكان من أجمل الناس وجها ، وأطيبهم أرجا طاف بالبيت ، فلما انتهى إلى الحجر تنحى له الناس حتى استلم الحجر ، فقال رجل من أهل الشام لهشام : من هذا الذى هابه الناس هذه الهيبة ؟ فقال هشام لا أعرفه ، مخافة أن يرغب فيه أهل الشام

وكان الفرزدق حاضراً فقال أنا أعرفه ، فقال الشامي : من هو يا أبا فراس ؟ فقال الفرزدق قصيدته التي نحن بصدد تحقيق قائلها في هذا البحث .

وذكر أصحاب الوسيط في أدب اللغة أن هشاماً كان آنذاك ولياً للعهد ، وهو خطأ فهشام لم يكن ولياً للعهد إلا في أيام يزيد بن عبد الملك ، وقد ولي يزيد الخلافة في سنة ١٠١ هـ أي بعد وفاة زين العابدين بست سنوات ، وكان ولي عهد عبد الملك ابنه الوليد ، وولي عهد الوليد أخوه سليمان ، وولي عهد سليمان ابنه أيوب ، فلما مات أيوب في حياة أبيه كان ولي العهد عمر بن عبد العزيز .

فإذا اعتمدنا رواية صاحب الأغاني أو رواية جامع الديوان خلصنا من الاعتراض الذي أثاره الأستاذ النواوى عن التعارض بين وقوع القصة مع هشام ووفاته على بن الحسين ، وبقي أن نمضى في التحقيق لنرى من قائل هذه القصيدة ، وفيمن قيلت ، وما هي القصيدة ؟ ولأذكر - أولاً - النصوص التي وقفت عليها ، ثم أصل إلى النتيجة من هذا التحقيق . قال أبو الفرج الأصبهاني صاحب كتاب الأغاني في ترجمة الحزین الـكـمـاني (١) - مع شيء من الاختصار - « حج عبد الله بن عبد الملك ، فقال له أبوه سيأتيك الحزین الشاعر بالمدينة وهو ذرب اللسان ، فأياك أن تحتجب عنه وأرضه ، فلما قدم عبد الله المدينة دخل عليه الحزین فقال : أيها الأمير إني كنت مدحتك بشعر ، فلما دخلت عليك ، ورأيت جمالك وبهاءك أذهلني عنه فأنسيت ما كتبت قلته ، وقد قلت في مقامى هذا بيتين فقال : ما هما ؟ قال :

في كفه خيزران ريحه عبق من كف أروع في عرائنه شم
يغضى حياء ويغضى من مهابة فما يكلم إلا حين يتسم

والناس يروون هذين البيتين للفرزدق في أبياته التي يمدح بها علي بن الحسين رضى الله عنهما التي أولها :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته والبيت يمرقه والحل والحرام

وهو غلط من رواهما فيها ، وليس هذان البيتان مما يمدح به مثل علي بن الحسين رضى الله عنهما ، وله من الفضل المتعالم ما ليس لأحد .

وأما الأبيات التي مدح بها الفرزدق على بن الحسين ، وخبره فيها لحدثي . . . حدثنا ابن عائشة (ثم ذكر القصة التي أوردتها آنفا ، وذكر أبيتاً سبعة ابتدأها بالبيت السابق وذكر بعده) :

هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا التقي النقي الطاهر العلم
إذا رآته قريش قال قائلها	إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
يكاد يمسكه عرفان راحته	ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
فليس قولك من هذا بضائه	العرب تعرف من أنكرت والعجم
أى الخلائق ليست في رقابهم	لأولية هذا أوله نعم
من يعرف الله يعرف أولية ذا	فالدین من بيت هذا ناله الأمم

ثم ذكر قصة حبس الفرزدق وإخراجهم ، وإجازة على بن الحسين له ، ثم قال : ومن الناس أيضاً من يروى هذه الأبيات لداود بن سلم في قثم بن العباس ، ومنهم من يروىها لخالد بن يزيد مولى قثم فيه ، فمن رواها لداود بن سلم في قثم وخالد بن يزيد فيه فهي في روايته :

كم صارخ بك من راج وراجية	يرجوك يا قثم الخيرات يا قثم
أى العماثر ليست في رقابهم	البيت

(في كفه خيزران) . (يفضي حياء) البيتان .

ومن ذكر لنا ذلك الصولي عن العلائي عن مهدي بن سابق أن داود بن سلم قال هذه الأبيات الأربعة سوى البيت الأول في شعره في علي بن الحسين رضى الله عنه ، وذكر الرياشي عن الأصمعي أن رجلاً من العرب يقال له داود وقف لقثم فناداه وقال (يكاد يمسكه) (كم صارخ بك) البيتين . فأمر له بمجازة سنية ، والصحيح أنها للحزين في عبد الله بن عبد الملك وقد غلط ابن عائشة في إدخاله البيتين في تلك الأبيات .

ثم ذكر أبيات الحزين مؤلفة منتظمة المعاني ، متشابهة تنبي عن نفسها - على حد تعبيره - وهي أحد عشر بيتاً ، فيها البيتان المشهوران (في كفه خيزران - يفضي حياء) وليس فيها البيتان (يكاد يمسكه - كم صارخ) كما أنه ليس بينها وبين قصيدة الفرزدق المثبتة في ديوانه اتفاق بعد ذلك . ثم قال صاحب الأغاني : « ومن الناس من يقول إن الحزين قالها في عبد العزيز ابن مروان لذكره دمشق ومصر ، وقد كان ثم عبد الله بن عبد الملك أيضاً في مصر والحزين بها ، »

ونص صاحب الأغاني حافل - كما ترى - وسنستخلص منه - على الرغم مما فيه من اضطراب - بعض الحقائق الهامة .

ونسب أبو تمام في ديوان الحماسة أبياتاً للحزين الكسناني ، واختلفت النسخ المطبوعة فبعضها ذكر أن الممدوح بها علي بن الحسين ، ومعناه أن هذا رأى أي تمام ، وبعضها اقتصر على ذكر الشاعر ، والموجود في ديوان الحماسة أبيات ستة كلها مذكورة في مدحة الفرزدق - كما وردت في ديوانه - ومنها البيتان اللذان ذكر صاحب الأغاني أنهما للحزين ، ونفى أن يكونا للفرزدق ، أو في مدحة « علي » بعامة ، أما الأبيات الأخرى فقد جاءت في رواية الأغاني ، وفي رواية الديوان ، فيكون أبو تمام لفق المقطوعة ، ونسبها للكسناني ، وقد ذكر التبريزي في شرح الحماسة اسم الحزين ونسبه ثم قال : ويقال إنها للفرزدق ، وذكر بعض شراح الحماسة أنها للحزين ، وردد كلام صاحب الأغاني .

وقال ابن رشيق في العمدة : « وكذلك قول الحزين الكسناني في عبد الله بن عبد الملك ابن مروان ، وقد وفد عليه بمصر ، ويروى للفرزدق في علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم ، وقيل بل قالها فيه اللعين المنقرى ، وقيل بل الأبيات لداود بن سلم في قثم ابن العباس بن عبد الله بن العباس (في كفنه خيزران - يغضى حياء) .

وذكر ابن قتيبة في مقدمة كتابه « الشعر والشعراء » البيتين مثالا للضرب الأول من أضرب الشعر في تسميته المشهور ، وهو الضرب الذي حسن لفظه وجاد معناه ، ولم ينسبهما ، وإن نسبهما بعض المعلقين على الكتاب للفرزدق ، أما ابن عبد ربّه فقد ذكر في كتابه العقد الفريد قال : (وقال ابن قتيبة لم يقل بيت أبدع من قول الشاعر في بعض خلفاء بني أمية « يغضى حياء . . . البيت » وأحسن منه عندى قولى :

ففى زاده عز المهابة ذلة فكل عزيز عنده متواضع

ونسب الشيخان الإسكندر بنى وعنانى فى كتابهما « الوسيط » القصيدة للفرزدق ، ونصا على أن أبياتاً منها تروى لغيره ، وهى فى اختيارهما عشرة أبيات ، ولعلهما يشيران إلى البيتين اللذين أكد صاحب الأغاني أنهما للحزين الكسناني ، وقد طال بنا نفس القول فلنرجى* النتائج الهامة التى يفضى إليها هذا البحث إلى حديث آخر ؟

على العمارى

المرأة في ظلال الاسلام

الإسلام هو الدين السماوى الوحيد ، الذى عنى بالمرأة العناية الكافية ، وأحلها المسكنة اللائقة بها ، وأنزلها المنزلة التى تناسب ورسالتها فى مضمار الحياة ، وضرب حولها سياجا منيعاً من الحفظ والحماية ، وأحاطها بسور متين من الصون والرعاية ، ومنحها كثيراً من الحقوق التى لم تكن لها لولاه . . .

ولو قلبنا صفحات التاريخ ، وألقينا ضوءاً كشافاً على حالة المرأة قبل الإسلام ، لرأيناها قد عاشت قبله أجيالاً طويلاً ، منقوصة القدر ، مهينة الجناح ، مسلوقة الحرية ، تختلف الأمم والقبائل فى معاملتها ، ولكنها تتفق فى إزدراءها وإهمال شأنها ؛ والنظر إليها كشيء من سقط المتاع ، فمنهم من كان يشترط فى التمسوة عليها ، ويسرف فى استلاب حقوقها ، ويحرم عليها أن تبدى رأياً يخالف رأيه ، أو تعمل عملاً بغير مشورته ، أو ترفض زواجا اختاره ، أو تنال حظاً من الميراث . ومنهم من كان يتصرف فيها كما يتصرف فى المواشى ، بالبيع والشراء ، والهبة والإجارة ، والإعارة وسواها ؛ ومنهم من كان يقعد عن العمل ، ويركن إلى الراحة والبطالة ، ويكلف المرأة مشقة السعى ، والإتفاق عليه ، وعلى أولاده ، وقد يكرها أحياناً على الفجور ، وارتكاب الآثام ، ولا يرى فى ذلك ذنباً ولا عاراً !!!

ومن بين قبائل العرب فى الجاهلية من كان يمتنع النساء ، ويئد البنات ، خوفاً من العار ، وضناً بالإتفاق عليهن ، وقد صرح القرآن العظيم بذلك ، فى غير موضع منه ، قال الله عز وجل « وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ؛ يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون ، أم يدسه فى التراب ، ألا ساء ما يحكمون^(١) » وحتى لقد قال أمير المؤمنين ، عمر بن الخطاب ، رضى الله تعالى عنه ، ونضر تاريخه : والله كنا فى الجاهلية لانعد النساء شيئاً ، حتى أنزل الله فيهن ما أنزل ، وقم لهن ماقم .

هذا شأن المرأة قديماً ، وذلك بعض ما كانت تئن تحته من الأغلال والقيود ، وضروب الذل والبلاء والهوان ، فلما لاح فجر الإسلام الحنيف ، ونادى به رسول الإنسانية ، محمد - صلوات الله وسلامه عليه - أنقذ المرأة مما كانت تعانيه ، ونهض بها إلى المستوى

الملائم لها ، وأعطاهما كثيراً من الحقوق التي أعطاها للرجل ، ولم يفرق بينهما إلا في أمور يسيرة ، راعى فيها طبيعة كل منهما وفائدة المجتمع .

فسوى بينهما في العتيدة ، والتكاليف الدينية ، وحرية الرأي والعمل ، وجعل لها نصيباً مفروضاً في الميراث .

نعم ، إن الإسلام جعلها فيه على النصف منه ، لحكمة سامية ، لأنه أوجب نفقتها على الرجال ، رحمة بها ، وإبعاداً لها عن مشاق السعي ، ومتاعب الحياة ، ولا يزال فريق من أرقى الممالك الأجنبية إلى يومنا هذا ، يحرم المرأة حتها في الميراث ، ويجعله مقصوراً على أكبر الأولاد سنّاً !!!

فشتان بين حال المرأة في ظلال الإسلام ، وحال المرأة غير المسلمة في العصور القديمة والحديثة .

وإذ وجه الإسلام الأغر عناية كبرى للأسرة ؛ لأنها الخلية الأساسية التي يتركب منها ومن أمثالها جسم المجتمع ، فشرع الزواج ، وأمر التمايز به ، حفظاً للنوع الإنساني ، وبعداً بالناس عن الوقوع في أحضان الرذائل والمعاصي ، والأدواء والأمراض ، واحتراماً للأنساب ، ومعاونة على الحياة ، وأظل الزوجين معا بظله الوارف ، وكانت عنايته بالمرأة وعطفه عليها أوضح وأظهر ، ضرورة أنها تحتمل من تبعات الزواج ونتائجه أكثر مما تحتمل الرجل . ولقد جاء أعرابي إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم . وهو جالس بين أصحابه ، يعظهم ، ويبين لهم أحكام دينهم وديناهم ، ويذكرهم بأيام الله . فقال الأعرابي : يا رسول الله - من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ فقال : أمك - قال : ثم من ؟ قال : أمك - قال : ثم من ؟ قال : أمك - قال : ثم من ؟ قال : أبوك .

وإذا كان الدين الإسلامي العظيم قد جعل شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل ، فذلك لأنها أقل منه خبرة ، ونظراً في العواقب ، وأكثر خضوعاً للعواطف وأسرع انفعالا وتأثراً . وقد أباح تعدد الزوجات لأغراض نبيلة ، زادت حواشي الأيام وضوحاً وجلالاً ، واشترط على الزوج أن يعدل بينهما في كل ما يمكن العدل فيه ، فإن أنس من نفسه عجزاً عن ذلك وجب عليه أن يتصر على زوجة واحدة . وفي هذا يقول العلي القدير : وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ، ذلك أدنى ألا تعولوا (١) .

وقد تخفق الحياة الزوجية في تهيئة أسباب السعادة للزوجين ، أحدهما أو كليهما ، فلا يكون بد من التفريق بينهما بالطلاق . حقا : إنه علاج قاس ، ودواء مر ، وأبغض الحلال إلى الله تعالى ، ولكن لا بد مما ليس منه بد . فإذا يصنع الرجل إذا كانت امرأته سيئة الخلق لاترعوى ؟ أو كانت عجوزاً لاتلد ؟ أو كانت مريضة لاتتوى على أعباء الحياة الزوجية ؟ ولا ينتظر لها برء أو شفاء .

بل ماذا تفعل المرأة إذا غاب عنها زوجها غيبة طويلة منتطعة ؟ أو كان شريراً يسيء معاملتها ؟ أو يضربها ضرباً مبرحاً لاتحتمله ؟ بل كيف السبيل إلى الخلاص إذا بات إصلاح الحال مستحيلاً أو في حكم المستحيل ؟ !!! لا علاج لهذا كله إلا بالطلاق ، يوقعه الزوج أو القاضى أحيانا .

ولقد كان كثير من غير المسلمين يعيرون نظام الطلاق في الشريعة الإسلامية السمحة ، ولكن الأيام أظهرت لهم حكمته السامية ، وكشفت لهم الحوادث عن سداده ، وشدة الحاجة إليه ، فأخذوا به ، وصاروا يطلقون ، ولا يرون فيه عيباً ، بل ذهبوا إلى أن إباحتها ضرورة لصالح المجتمع ، وهذا اعتراف منهم بفضل هذا الدين العظيم ، وأنه الدين الوحيد الملائم للطباع الإنسانية ، والنظم الاجتماعية ، والصالح لكل زمان ومكان .

هذا قليل من كثير ، من أيادي الإسلام البيضاء على المرأة ، وعنايته بها ، وحرصه على كرامتها ، وإعلاء شأنها ، وحسبنا في هذا المقام أن نختم هذا المقال ، بقول المشرع الأعظم - صلى الله عليه وسلم - حاثاً على معاملة النسوة بالحسنى « إن النساء خلقن من ضلع أعوج ، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء خيراً فإن أحسنكم أحسنكم معاملة لنسائه » .

وحدثت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن زوجها قالت : دخلت امرأة ، ومعها بنتان لها تسأل شيئاً ، فلم أجد غير تمر ، فأعطيتها لها ، فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل شيئاً ، ثم قامت فخرجت ، ودخل النبي صلى الله عليه وسلم وأخبرته بخبرها ، فقال عليه الصلاة والسلام « من ابتلى من هؤلاء البنات بشيء كن له ستراً من النار » .

أحمد علي منصور

أستاذ البلاغة والأدب بمعهد شبين الكوم

رسالة الأزهر

(بقية رسالة الأدب)

- ٤ -

لى هنا وقفة ، هى وقفة الذاكر لاوقفة الحائر . فلقد عدت من رسالة الأزهر الأدبية ما كان من أدب مثل الشيخ ابن دقيق العيد ، والشيخ السيوطى ، ومن جاء بعدهما من أدباء المشايخ الأزهريين ، كالشيخ اسماعيل الخشاب والشيخ عبد الله الشبراوى والشيخ حسن العطار والشيخ محمود العالم . هذه الوقفة هى تساؤلى ، هل كان تأدب هؤلاء المشايخ ومن ماثلهم بالشعر والنثر - مدروسا فى أيامهم بالأزهر أم لا ؛ فإذا كان مدروسا فما أيسر أن ننسب إلى الأزهر من جوفه ومناهجه - دراسة أدبية انتهت لهؤلاء الشيوخ الأجلاء إلى أن يكونوا متأدين شعرا ونثرا أو كليهما . وإذا لم يكن ذلك من مناهج الأزهر فما الذى جعل من هؤلاء السادة - أدباء فى الذروة من الأدب فى أزمتهم وأيامهم ؟ الواقع أن دراسة كتب الأدب المعبرة لم تكن من مناهج الأزهر الدراسية . مثل البيان والتبيين للجاحظ ، والأمالى لأبى على القالى ، والكامل للبرد والاعانى لأبى الفرج الأصفهاني^(١) . وهى الكتب التى عدتها مؤرخو الأدب - ولا سيما ابن خلدون - أمهات الأدب وأصول لغة العرب . وقد كانت الدراسة مقصورة فى الأزهر على كتبه المعروفة المتوارثة مثل الأشمونى ، المطول والأطول ، وجامع الجوامع ، والرسالة العضدية وهلم فما الذى صير من هؤلاء المشايخ الأجلاء أدباء ، كتابا وشعراء ؛ قد يكون لكل واحد منهم ظروف خاصة ساقته إلى الأدب ، أو ساقى الأدب إليه . مثل أن الشيخ حسن العطار قضى معظم أيام شبابه فى الترحال والانتقال . فازدادت معارفه ، وصقل أدبه . هذه الظروف الخاصة - التى لا أعلمها بالتفصيل عن كل من تأدب من الأزهريين - تلتقى عند سبب عام واحد هو حب الاطلاع على كتب الأدب ، والتلذذ بقراءة آثار الأدباء . والحب الذاتى يحنى صاحبه الثمرات فيما رغب فيه وأحبه ، فالتأدبون من المشايخ كانوا يجمعون بين الدراسة الأصلية فى الأزهر ، وبين هوايتهم التى أحبوها : فكانوا بذلك علماء وأدباء معا . على أن

[١] المجلة - الأغانى لم يكونوا يعدونه الكتاب الرابع من هذه الكتب الأربعة ، بل الكتاب الرابع هو أدب الكاتب لابن قتيبة .

بعضهم كما سيجىء فى موضعه - قد طغى حب الأدب فيه على كل دراسة فى الأزهر، فأهملوا علوم الأزهر إهمالاً، وعكفوا على الأدب فصاروا فى الذروة والسنام : وأعطى هنا مثلاً سريعاً لواحد منهم . هو السيد مصطفى لطفى المنفلوطى الذى سيجىء ذكره فيما بعد .

لا أنسى فى التحدث عن رسالة الأزهر الأدبية - الشيخ المؤرخ الأديب الفحل : عبد الرحمن الجبرتى : الذى حسبته الدكتور أحمد أمين أستاذ الشيخ حسن العطار ومنشئه على حب الأدب . ومع مخالفتى لهذا رأى مخالفة قاطعة فإلتى لا أعرف سبباً استند إليه أحمد أمين إلا أن الجبرتى روى فى ترجمته للشيخ إسماعيل الحشاش أن هذا الشيخ (الحشاش) قد تألفت روحه مع روح العطار بعد عودته من رحلاته وذكر شيئاً مما كان يجرى بينهما من المطارحات الشعرية . وكانت هذه المطارحات كثيراً ما تجرى فى بيت الجبرتى . ومعنى ذلك أن هذا الثالث قد كون أخوة أدبية صادقة كانت تتطعم الوقت فى الفكاهات والمنازلات ورواية الأشعار وهذا لا يفيد أن العطار أخذ أدبه عن الجبرتى . وإلا فلماذا لا نقول ذلك أيضاً فى الحشاش ؟ الواقع أن الجبرتى لم يتعرف بالعطار إلا بعد انتهاء رحلات الثانى واستقراره فى وطنه . وقد عاد من هذه الرحلات مكتمل الأدب ، فائقاً فى زمانه نثراً وشعراً . على أن أسلوب العطار فى نثره أقوى من أسلوب الجبرتى على وجه عام . فكيف يكون الأضعف أستاذاً للأقوى . وأيضاً فإن العطار كان شاعراً خلاً ولم يعرف عن الجبرتى من الناحية الشعرية أنه كان شاعراً وإنما كان راوية للشعر فى تاريخه المعروف فى المناسبات التى يرى فيها أن يروى شعراً لمن يترجم لهم . وله شعر قليل لا يضعه فى صف العطار والحشاش إطلاقاً .

إن الأستاذية التى لا ريب فيها هى أستاذية العطار للشيخ رفاعه رافع الطهطاوى الذى لا يسهل على من يتحدث عن رسالة الأزهر الأدبية أن يخفل شأنه الكبير . فلقد كان الطهطاوى ملازماً للعطار ملازمة أول المريدين لشيخه . وقد تلمذ على العطار دراسة أزهرية وأدباً . ولذلك اختاره العطار ليكون إماماً لبعثة مصرية إلى فرنسا لما وكل إليه أمر هذا الاختيار . وقد أوصاه قبل سفره أن يكتب رحلته من ابتداء قيام الباخرة التى نقله إلى منهاها . ولا يكلف العطار الأديب تلميذاً له بذلك إلا إذا كان واثقاً من أنه يعرف كيف يكتب . وكتابة الرحلات من أعوص ما تكتب الأقلام . فالطهطاوى قد تأدب بأدب العطار من قبل أن يرتحل . وأقول بشجاعة إن إقامته فى فرنسا لم تزده من حيث الأسلوب العربى شيئاً . ولكنها أفادته الخير الكثير فيما عدا أسلوب الكتابة والشعر . فقد ازدادت

معارفه . ودرس بالفرنسية العلوم الحديثة . واطّاع على عادات وبلاد وأوساط وسعت آفاق علومه ومعرفته بالحياة . ولذلك كان من أفذاذ حاملي لواء النهضة العلمية في بلاده لما أن عاد إليها - بالترجمة والتأليف وتوسيع أرحاب الثقافة العامة في مصر ، وتأسيسه مدرسة الألسن التي أخرجت لمصر من كنوز الرجال ذخائر لا تفتنى آثارها العلمية . وقد انتفعنا بها انتفاعا كبيرا .

ومن نثر رفاة الطهاوى قوله في حب الوطن : « إن حب الوطن من الإيمان ، ومن طبع الأحرار الحنين إلى الأوطان ، ومولد الإنسان على الدوام محبوب ، ومنشؤه مألوف له ومرغوب ، ولأرضك حرمة وطنها ، كما لأمك حق لبنا ، والكريم لا يحفوا أرضاً بها قوابله ، ولا يندى داراً بها قبائله . . . » .

ومن شعره قوله وهو في باريس يحن إلى مصر :

ناح الحمام على غصون البان	فأباح شيمة مغرم ولهان
هذا لعمري إن فيها سادة	قد زينوا بالحسن والإحسان
ولئن حلفت بأن مصر لجنة	وقطوفها للفائزين دوان
والنيل كوثرها الشهي شرابه	لأبر كل السبر في إيماني

ومن أديباء الأزهر الشيخ عبد الهادي نجا الإياري المتوفى سنة ١٣٠٦ هـ . وقد كثرت مؤلفاته ورسائله الأدبية إلى درجة كبرى . ومن هذه الرسائل ما عرفه الأديباء المطلعون جميعاً بمادار بينه وبين الشيخ إبراهيم الأحمد الأديب اللبناني الكبير ، وقد طبعت هذه الرسائل على حدة باسم (الرسائل الأحمدية) وقد التزم الشيخ فيها طريقة السجع ولو كان متكلفاً كما هو مذهب الأديباء في وقته . قال يصف ابتداء تعارفه بالشيخ إبراهيم الأحمد : « بينا أنا جالس في بيتي إذ بشخص قدم على قدميه من جمال الهيئة وكمال الهيبة نور جمال وجلال ، ويتبعه جماعة يخطو ويخطر كل منهم من اللطف والظرف في أبهج سربال ، فقممت فقا بلتهم أجمل مقابلة ، ودخلني من الابتهاج بزيارة سيادتهم ما لبست به من الفرح والسرور خمائله ، فجلسوا برهة يالها من برهة ، كانت بما انتثر من حقائق حديثهم هي الزهرة ، ثم قام حضرتهم وانصرف ، وقد أخذ بمجامع قلبي به الشغف . . . »

ومن شعره قوله يمدح الشيخ عبد الغنى الراغبى مفتى طرابلس الشام .

من آل رافع الذين عهدتهم فى كل ورد قد حلا أو مشرع
قوم بناؤهم جليل صنائع وبناء غيرهم جميل مصانع
أسنان مشط فى الفضائل لم يجد ماضى الزمان لأمرهم بمضارع

ومن أدباء الأزهري الشيخ حسين المرصفي مدرس الأدب والعلوم العربية بدار العلوم ، وقد تخرج فى الأزهري ولكنه اشتغل بالأدب والتبحر فى كتبه وهو طالب أزهري ضرير فكان فى وقته آية . ولذلك اختير للتدريس بدار العلوم حوالى سنة ١٣٠٠ هـ . ومن كلفة له فى التألف والتوادد . . إن من المشاهد كون النوع الإنسانى محتاجا فى حسن تعذيبه ، وتحصيل أغراضه إلى ألفة ومودة ، وانصاف بأن يجب المرء لأخيه ما يحبه لنفسه . فإذا خرج بعض الناس عن الجمعية ، وسعى فى الأرض بالفساد ، وجب على الناس تأديبه بما يعيده إلى الصلاح . . .

* * *

ومن أدباء الأزهري السيد على أبو النصر المتوفى سنة ١٢٩٨ هـ . وكانت تربيته أزهريه بحمة غير أنه غلب عليه حب الأدب فصار شاعرا من شعراء عصره . ومن شعره فى وصف الطبيعة والجمال :

نور زاهى الروض أم نور الصباح وابتسام الثغر أم زهر الأقاح
ونجوم تزهى فى أفقها بوميض البرق أم كسات راح
لا ولا بل بدر تم ينجلي للندامى فى اغتباق واصطباح
عجبا يدرى شمس الضحى فى معانى حسنه تعيا الفصاح

* * *

ومن أدباء الأزهري عظيم كبير الشأن هو عبد الله (باشا) . هذا الرجل لم يتعلم فى غير الأزهري ، ولكن تعلقه بالأدب وهو طالب أزهري جعل منه ناثرا وشاعرا . وأجزم بأن هذا الأديب قد قرأ كثيرا للبديع الخوارزمي ؛ لأنه تأثره فى إنشائه بالتزام السجع القصير والمحسنات البديعية . هذا الأزهري الفحل من الذين نصح أدبهم إلى أبعد الغايات وإن كان مسجوعا . وله فى تقدير الأدب رسالة يرى فيها أن علوم اللغة العربية ليست متمصودة لذاتها

ولا تدرس لنفسها . وإنما هي للتوصل إلى الأدب الذى هو الثمرة المرجوة فى الحياة . والغصن الرطيب الذى هو الجوهر المتصود من تعليم علوم العربية . وهذا بعض من هذه الرسالة القيمة يقوم . أهذا النحو وإعرابه ، والصرف وأبوابه ، والعروض وأوزانه وأبحره ، والمعانى وإنشاؤه وخبره ، والبيان وفرائده ، والبديع وشواهد ، وهذه العلوم الموضوع ، والأسفار المحمولة ، والدروس المأهولة لمجرد معرفة ضرب زيد لعمره ، وقتال خالد لسكر ، وأن قال أصلها قول . . . والبحر الطويل من فعولن مفاعيلن ، ثم لا يعرف كيف ينظم ، والفصل والوصل . . . والحقيقة والمجاز . . . والتورية والجناس . . . إذا والله تكون تلك الفنون من أفانين الجنون . . . عملا حابطاً ، وشغلا ساقطاً ، وهوسا عابلاً ، ووسواساً باطلاً . . . ويكون واضعوها أساءوا إلى الناس ، وبنوا على غير أساس ، كلا إنما وضعوا هذه القواعد ؛ ليتكلموا بكلام العرب مثل ما تكلمت . . . وترجموا عن سرائر الضمائر كما ترجمت ، وينثروا وينظموا كما نثرت ونظمت ، وقد كانت العرب التى أودع الله الفصاحة لسانها ، تتكلم بهذه اللغة العلية على الفطرة الأصلية . . . من غير هذه القواعد والأصول . . . إلى أن خلف هذا الخلف ، فظنوا تلك الوسائل مقاصد ما ليس بعدها غاية لقاصد ، وحسبوا هذه الكتب تقصد لذاتها . . . فوقفوا عندها . . . واتخذوا الأدب وراهم ظهرياً ، وجعلوا النظم والنثر شيئاً فرياً .

وأعتقد أنه لم يمل على هذا الأديب الكبير - هذا الكلام الحلو إلا أنه فقه معنى الأدب وفرق بين الوسائل وهى دراسة علوم اللغة ، وبين المقاصد وهى الإجادة فى فنى النظم والنثر . أما شعره فى درجة كبرى من الإجادة فى وقته . ومنه قوله يعتذر إلى السيد عبد الهادى نجما الإييارى - المتقدم ذكره - يعتذر عن دعوة لم تصل إليه :

يا من بديع حلاه	تزرى البديع وتنهى
وافت عقيمة نظم	تتلو فصاحة قس
فمن بالعفو إلى	منه على غير يأس
وإن عتبت فحق	وما أبرئ نفسي

حسن الشيخة

المحرر الأدبى بجريدة الشعب وعضو نقابة الصحفيين

رأى العلماء المؤرخين في الفتوحات الإسلامية وأهدافها

عرضنا في بحث سابق لقوى المسلمين البحرية وفتوحاتهم في كافة أرجاء المعمورة ،
واليوم تقدم للقراء الأهداف التي خاض المسلمون من أجلها حروبهم وفتوحاتهم .

لقد حيرت الفتوح الإسلامية العلماء الاجتماعيين حيرة لم يجدوها حيال مسألة اجتماعية
أخرى ، فقد بلغ ملك المسلمين في ثمانين سنة حداً لم تبلغه جميع فتوحات الرومانيين
في ثمانمائة سنة ولم تصل أمة قبلهم ولا بعدهم إلى مثل ما وصلت إليه الأمة الإسلامية
من سعة الملك ، ونفاذ الكلمة ، ووحدة الأجزاء ، وارتياح الناس إلى حكومتها .

وقد افنت العقول في تعليل هذا التوفيق الباهر ، فقال بعضهم : إن سببه أن الأمم
على عهد ظهور الإسلام كانوا في شقاق بعيد ، وثورات طاحنة ، واختلافات دينية ، فدهمهم
المسلمون وهم على تلك الحال فدوخوهم .

وقد رد على هذا التعليل بأن المسلمين لما ولوا وجوههم شطر الشام وفارس ومصر ،
لم تكن دولتا الرومان والفرس في حرب فيما بينهما ، ولا في شقاق في داخل بلاديهما ،
فكان هرقل في أوج عظمته وأبهة ملكه ، لا يزججه مزاحم في بلاده ولا عدو مغير
من خارجها .

نعم كانت فارس مقطعة الأوصال تحت حكومة إقطاعية ، استقل فيها كل أمير بما تحت
يده ، لكنهم لما آنسوا استفحال شأن العرب ، وحدوا كلمتهم ، وعدلوا صفوفهم ودانوا كلهم
ملكاً اختاروه من أعرق أسرهم الملكية وهو يزيد بن جرجر ، فلما واجه سعد بن أبي وقاص فارس
واجه منها أمة متراسة الأحاد كالبنميان ، متحالفة الجماعات على الاستماتة في الدفاع ؛ لأنهم
كانوا يملكون عرباً كثيرين ، ويأتقون أن يكونوا محكومين بهم .

فانهار بذلك قول الذين يعلنون الفتوحات الإسلامية ، بتجاذل الشعوب وتناحرها ،

ومهما كانت الشعوب متخاذلة فهل يعقل أن أمة واحدة تتحكم في الأرض فلا تجد من يصدّها عن أغراضها ، لا سيما وهي خارجة من بلاد طال عليها الثوى فيها ، بادية غير متحضرة ؟ ومن الناس من عللها بحب الكسب والمغانم ، فلما اطمأنوا إلى داعية منهم يقودهم إليها التفوا حوله وأيدوه ، وولّوا بما قاموا به بما ظاهره فتح وباطنه غنيمة . وهذا تعليل يحمل في أطوائه عناصر فئائه ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أول من دعاهم إلى الخروج من تقاليدهم ، وترك موروثاتهم واتباع أحكام العقل في عقائدهم ، وقد لبث فيهم سنين كثيرة يدعوهم إلى هذه الأصول ، حتى آمن به جمهور من الناس ، ولم يأمرهم بالقتال للدفاع عن أنفسهم إلا بعد أن انتقل إلى المدينة ، وهنالك اشتغل بنشر الإسلام بين القبائل ، ودعوته إليهم صريحة لا لبس فيها ، وليس منها وجوب مقاتلة الأمم طلباً للغنم منها . فأساس هذا الدين هو تصحيح الفطر ، وتقويم النفس ، وإصلاح القلب ، والسمو إلى أرفع ما يصل إليه جهد طالب السكّال ، أما ما تقتضيه الحياة الاجتماعية بعد ذلك من حماية الحوزة ، أو نشر الدعوة ، أو غير ذلك فقد سنت لها أحكام لم ير العالم أعدل منها ، كما سبق لنا بيانه في مقالات سابقة . فمن أين يستدل أصحاب هذه الشبهة على ما يقولون ، وليس له أثر في كتاب ولا سنة ، ولا في شرح من شروح الأئمة ؟ .

وذهب الحكيم الفرنسي مونتسكيو في كتابه أصول الشرائع إلى رأى آخر فقال عند إلمامه بالإتاوات الحكومية : « إن هذه الإتاوات المفروضة كانت سبباً لهذه السهولة الغربية التي صادفها المسلمون في فتوحاتهم . فالشعوب رأت بدل أن تخضع لسلسلة لا تنتهى من المغارم ، أن تخضع لأداء جزية طفيفة ، يمكن توفيتها بسهولة وتسليمها بسهولة كذلك ، ووجدت نفسها سعيدة بأن تستخذي لأمة متبربرة تعاملها على هذه الصورة من أن تدين لحكومة فاسدة كانت تكابد تحت سلطانها كل ضروب الموانع دون حرية لم تنعم بها قط ، مضافاً إليها كل ويلات عبودية عنيدة . »

لا مشاحة في أن العالم الفرنسى لم يعرض فيما عرض من رأى إلى فتوحات المسلمين ، بل أظهر وأشاد بتسامحهم في فتوحاتهم ، فأول فتوحات المسلمين كانت الشام تحت قيادة أبي عبيدة ابن الجراح ، ولم يكن العرب قد جروا من أمر الجزية في شعب على سنة تسلمت بمزاياها الأمم الأخرى ، فالتفت الجيوش الإسلامية بجيوش رومانية مدربة تفوقها عدداً وعدداً ،

فهي أجزمتها على ترك حصونها المنيعة وقلاعها التي لا ترام ، ولم تكف عنها حتى فتحت الشام كلها وغادرها إمبراطور الرومان وهو يقول : « أودعك أيتها البلاد الى الأبد ؟ ! » .

فأى سيرة استعمارية كانت قبل هذه فتت في عضد الجيوش الرومانية وحسنت لها التسليم للعرب ؟ وأية علاقة بين الجيوش المحاربة وبين قلة الإتاوات أو كثرتها ؟ إن المحاربين كانوا هم الطبقة الثانية في تلك الأمم بعد رجال الدين ، وكانوا متحكمين في رقاب الدهماء يبتزون أموالهم ولا يدفعون للحكومة أموالا ، فالمعقول أنهم كانوا يقاتلون أعداءهم بكل ما أوتوا من قوة مادية ومعنوية ، لا أن يسلبوا ليكونوا رعية لهم ، وليسوا هم بالذين تفتنهم قلة الإتاوات ، ولا الحرية المحبوبة ، فقد كانوا منها بالمكان الممتاز .

وفي الوقت الذي كانت فيه الجيوش الإسلامية تهزم جميع الرومانيين ، كانت جيوش أخرى لهم ترد جنود الفرس المعروفين بصلابة العود على أعقابهم في ذات بلادهم ومثلهم كمثل الرومانيين في الامتيازات المالية والأدبية ، ويسقطهم من مراتبهم تغلب جنود أجنب عليهم .

إن تعليل منتسكيو كان يؤخذ به لو أن العرب كانت لهم مستعمرات تنعم باليد ، وكانت الجيوش المحاربة تعامل بالعسف ، وتثن تحت أثمان الضرائب ، أو لو كانت الأمم نفسها هي التي تحارب . وقد قلنا إن المسلمين إذ ذاك كانوا لا يزالون في أول عهدهم ، ولم تبل الأمم من حكمهم ما يجبها فيهم .

على أن منتسكيو يصف المسلمين الأولين بالأمّة المتبررة ، فهل عهد في تاريخ البشر أن أمّة متبررة تكون مثلاً يضرب في قناعتها ، وحسن معاملتها لمن يظفرها من الأمم ؟ إن المعروف بين الناس أجمع أن الأمم المتبررة لا تقف نهيمتها للبال عند حد ، فلا تزال بالمقهور حتى تبديد حضاراه ، ولا تدع له شيئاً . فمن أين جاء هذا الأدب العالي للمسلمين ، والمتبررون في نظر منتسكيو ، على خلاف سنة العالمين قديماً وحديثاً ؟ .

إن منتسكيو قد زاد المسألة إشكالا ، ولا يحلها إلا افتراض واحد وهو الحق ، إن الأمّة الإسلامية كانت على شريعة إلهية تمثل أعلى درجات العدل والإنصاف ، وإن ما احتازته من الملك الذي لم ينبغ لأمة قبلها ولا بعدها ، لم يقو على إفساد قلوبها كما أفسد قلوب

الفاحين قبلها ، وإن الله قد أيدها بروح من عنده ، وقذف بها في وجه العالم لترده عن الغي الذي كان فيه ، ولتحطم القيود والأغلال التي كانت في أعناق الأمم .

هذا هو التعليل الذي يتسق مع المنطق والعقل ، والله غالب على أمره .

إذن فنسق الفتح الإسلامي الذي انتهجه المسلمون في صدر الإسلام كان وحيداً فريداً يتسق كل الاتساق مع الأغراض التي يرمى إليها الإسلام في أحسن صوره وأنبل مرامييه .

أما الفتح الذي انتهجه المستعمرون ولا يراذ به إلا امتصاص دماء الشعوب وقتل خواص الفضائل والمزايا في تلك الشعوب والقضاء على المعنويات التي تعتبر من أكبر مومات الأمم وأسمى مقدراتها ، فذلك فتح آخر بعيد عن الإنسانية ، بعيد عن الأخلاق المثالية ، بعيد عن كل ما تصبو إليه رسالة الإنسان في كل عصر وجيل . ويقيننا أن هذا الليل وشيك الانصرام فلا بد أن تخرج المدرة من بين حب الحصيد ، ولا بد أن تنفجر لمة الظلام من جبين الصباح .

يا نائم الليل مغترأ بأوله إن الحوادث قد يطرقن أسحارا

عباس طه

المحامي

باب وصف الكتب

ضاق هذا الجزء عن باب وصف الكتب ، وموعدنا به الجزء الآتي إن شاء الله .

تَعْلِيْقَاتُ

معهد الرقص

نشرت الصحف أخيراً أن الوزير فتحى رضوان - يوم كان - سينشئ معهداً للرقص وأنه على وشك الظهور فى القاهرة . ونحن - إزاء مشروع كهذا - لا نستطيع السكوت عنه ، وإن كنا لا نملك وقفه مهما كنا على حق فى إنكاره .

وإذا كان لبعض الهواة جهود ونشاط فى الترويج للرقص ، والعناية بإنشاء معهد له ، فلن يستطيع امرؤ منا أن يمتدح هذا المشروع سائغاً من الوجهة الإسلامية ، أو يراه عملاً أدبياً يتفق وتقاليدنا الشرقية ، أو يزعمه هدفاً من الأهداف المشكورة التى تتجه إليها الثورة الرشيدة فى عهدنا الجديد : عهد البناء ، والتطهير ، والإصلاح الشامل .

وهل الرقص الذى يتهافت عليه أنصاره إلا تشجيع على المخالطة ، وانتزاع للحياء من الوجوه حتى يهون على الفتاة والمرأة وإن كانت مسلمة أن تخاصر زوجها أو الأجنبي عنها ، وتراقصه على مشهد من النظارة فى ظل هذا التشريع ؟ ثم يكون له من الأثر فى ضيعة الأخلاق ما يكون ، والحوادث شاهدة بذلك كل يوم ، وآخرها حادث الإسكندرية الذى تحدث عنه الصحف منذ أيام قريية .

إذا كان للتحلل والميوعة ، والاندفاع فى التقليد للغير أثر واضح فى الانحراف الذى نشهده فى بعض البيئات ، وينسكركه المجتمع الأغلب فلسنا على صواب إذا رضينا عن نشاط المجددين فى ابتكار هذه العوامل الهدامة للأخلاق ، وزحزحة الأمة عن خصائصها الموروثة ودفعها إلى مسامرة الغير فى مجال الإباحية .

والأمر بحاجة إلى التريث فى هذه الاتجاهات ، وإلى استغلال الفرص والإمكانات

في دعم الآداب ، وصيانة القومية من التلون بلون أجنبي عنها ولا يتمشى مع الطابع الشرقى الذى نذود عنه بأرواحنا وقوانا .

على أن الشخصيات النبيلة التى تتولى قيادتنا في معترك الحياة لا تنحج إلى مثل هذا التقليد ولم نعرف عن واحد منهم - والحمد لله - أنه يرافض ، أو يستبيح الرقص لمن يعيشون في ظله أو ينتمون إليه بسبب ، وهم قدوة لنا في السير إلى الأمام .

قالوا في ترويحهم للرقص ونحوه : إنها فنون جميلة ، وإن الفن هو حياة الشعوب ، ومظهر حضارتها ، فمعارضة الفن عندهم تعتبر جموداً وتخلفاً عن الإسهام في الحضارة ، ونحن - رجال الدين - نبادر فنعلن إيماننا بالفن والترحيب به ، والدعوة إلى توسيع مجاله ، ولكننا الفن الإيجابي الذى ينفع ولا يضر ، ويبنى ولا يهدم ، ويشرف ولا يخرى ويخجل . نحن نؤمن بالفن الجدى لا بالفن الهزل الذى يذهب بقيم الحياة .

وهل الفن إلا بهجة من بهجات الحياة ، وروعة من روعات الإبداع في الصناعة ، وإبراز لما أودع الله في الطبيعة من أسرار .

وهل الفن إلا عبقرية في استخدام الطبيعة وتهذيبها وتجميلها حتى تكون ماثار الإيمان بقدرة الله ، والاعتراف بنعمه ، والإقرار بأن الله صنع ما صنع في ملكه ، ووهب الفنان عبقرية تكشف ما خفى على غيره من السمو والجمال ، وتنتج بالعقول إلى بارئ السموات والأرض الذى أبدع ما أبدع في دنيانا ، لينعم الإنسان في حياة هنيئة ، ويستجيب لدعوة الله التى تنبض بها تلك الحياة في كل جانب من جوانب الكون ، وفي كل مظهر من مظاهر الكائنات ؟؟ .

والقرآن يحثنا على النشاط والإتقان ، ويدفع بنا دفعا قويا في المجال العمل الفسيح : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » . « إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها » . « وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج » . « صنع الله الذى أتقن كل شيء » .

وهكذا نرى للفن شأننا في نظر الدين ، ونسمع الدعوة إلى الفن في أسلوب القرآن مما يطول بنا ذكره .

فغير صحيح أننا نعارض الفن في ذاته ، بل نعارض الخطأ في تطبيق الفن على كل ما يروقه من ضروب الباطل ، ونعارض النشاط في ترويح الرذائل ، وهي في غير حاجة إلى الترويح والتشجيع .

فمن الخير أن نميَّ الجهود كلها ، ونبذل النشاط كله في نواحي الجد ، وأن نترك لغيرنا ما ألفوه من تقاليد مرذولة ، كما رسمت لنا الثورة وسارت بنا في سبيلها الرشيدة .

وهذا هو ما نقف عنده وندعو إليه .

ولعلنا نسلم من غضبة عشاق الرقص ، ومن خصومه المشرفين في تطوير الفنون بصفة الإطلاق والتعميم .

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير التفيتش بالأزهر

المدنية الحديثة

قال جودا أستاذ الفلسفة الانجليزية في كتابه (سخافات المدنية الحديثة) :

وإن المدنية الحديثة ليس فيها توازن بين القوة والأخلاق ، فالأخلاق متأخرة جداً عن العلم ، ومنذ النهضة ظل العلم في ارتقاء ، والأخلاق في انحطاط . حتى بعدت المسافة بينهما « وبينما يترأى الجيل الجديد للناظر فتعجبه خوارقه الصناعية وتسخير المادّة والقوى الطبيعية لمصالحه وأغراضه ، إذا هو لا يمتاز في أخلاقه - في شرهه وطمعه . وفي طيشه ونزقه ، وفي قسوته وظلمه - عن غيره . وبينما هو قد ملك جميع وسائل الحياة . إذ هو لا يدرى كيف يعيش . وإن توالى الحروب العظيمة الهائلة دليل إفلاسه ، وأنه يربى نشأه ليوت ، وقد خولت له العلوم الطبيعية قوة القاهرة ، لكنه لم يحسن استعمالها ، فكان كطفل صغير أو سفیه أو مجنون » ، وقال : « إن فيلسوفاً هندياً سمعني أظري حضارتنا بأن سائق سيارة قطع كذا ميلاً في الساعة ، وأن طائرة طارت من موسكو إلى نيويورك في كذا ساعة فتعال لي ذلك الفيلسوف الهندي : إنكم تستطيعون أن تطيروا في الهواء كالطير ، وأن تسبحوا في الماء كالسمك ، ولكنكم إلى الآن لا تعرفون كيف تمشون على الأرض » .

الأدب والعلوم

وقد تم حتى الآن ٨٥ بحثاً في مختلف فروع العلم والصناعة والزراعة . ويتنظر أن تنتهي لجان قبول البحوث من اختيار ٦٥ بحثاً جديداً من البحوث التي قدمت إلى المركز .

تشجيع التفوق في المدارس

أصدر وزير التربية والتعليم قراراً بتقديم منح مالية للتفوقين في جميع مراحل التعليم ، تصرف لهم على أقساط شهرية ، وبمقادير تحقق لهم متابعة دراساتهم ، كل حسب تفوقه . المنحة الأولى ١٢٠ جنيهاً للستجدين في الكليات والمعاهد لمدة سنة إذا كانوا متفوقين في الثانوية العامة والثانوية الفنية وشهادات المعلمين والمعلمات أو في امتحانات النقل بالكليات والمعاهد بتقديم «ممتاز» أو حاصلين على ٨٥٪ من المجموع ، وللخمس الأول من الثانوية الصناعية والزراعية .

المنحة الثانية ٨٤ جنيهاً للتفوقين في الكليات والمعاهد إذا حصلوا على ٨٠٪ . فأكثر ، وكذلك للناجحين في امتحان النقل .

المنحة الثالثة ٤٨ جنيهاً للناجحين على ٨٥٪ . فأكثر في امتحانات النقل بالكليات والمعاهد العالية .

المجلس الأعلى للعلوم

صدر قرار جمهوري بإعادة تأليف المجلس الأعلى للعلوم بالجمهورية العربية المتحدة ، وهو يتنص بأن يكون رئيس المجلس من بين الوزراء ، ويضم وكلاء عشرة وزارات ، ومدير المركز القومي للبحوث ، وممثلاً من كل جامعة ، وعضواً عن مؤسسة الطاقة الذرية ، واثنين عن مجلس إدارة الاتحاد العلمي ، وعشرة أعضاء من المتصلين بالبحث العلمي .

وسيمنح العضو المتفرغ بالمجلس مكافأة سنوية ١٨٠٠ جنيه ، وغير المتفرغ مكافأة حدها الأقصى ٦٠٠ جنيه .

تشجيع البحوث العلمية

سيوزع مركز البحوث القومي في الجمهورية العربية المتحدة ثلاثين ألف جنيه في هذا العام على طلبة البحوث العلمية ، فيمنح كل باحث مائتي جنيه في السنة لإعاقته على إتمام بحثه وتقديم نتائجه في أقرب فرصة .

و يتم اختيار الباحثين من خريجي الكليات العلمية العربية وفقاً لمشروعات بحوثهم ، ومن أهم شروطها أن يخدم البحث الاقتصاد العربي ، ويعمل على زيادة الإنتاج القومي .

طلاب بحوث ، لإجراء التجارب الخاصة بالطبيعة الذرية في المركز القومي للبحوث .
وسيشرف على هذه التجارب البروفسور الألماني ستوفسكي ، الذي سيتقاضى مرتباً من هيئة اليونسكو يبلغ ٢٠٠ جنيه شهرياً .

دراسات عليا للبترول

أنشأت الهيئة العامة للبترول معهداً عالياً للدراسات العليا لشئون البترول ، وقررت أن يكون مقره محمول تكرير البترول في السويس . ومدة الدراسة في هذا المعهد سنتان ، وهي بالمجان لخريجي الجامعات ، وتشمل دراسة جيولوجيا البترول ، وهندسة إنتاجه ، وتكريره ، وكيمياء البترول ، والتشريعات البترولية .

الانتساب للجامعات

بلغ عدد المنتسبين من شعبي الآداب والعلوم ٣٨٥٢ طالباً وطالبة ، فقد قبل من القسم العلي جميع المتقدمين من الحاصلين على ٥٠ ٪ . فأكثر في المجموع الكلي للدرجات وعددهم ٢١١٤ ، وقبل من القسم الأدبي الحاصلون على ٤٤١ ٪ . من المجموع الكلي للدرجات وعددهم ١٣٧٨ . فالتحتوا بكليات الآداب والحقوق والتجارة .

المنحة الرابعة ٣٦ جنياً للخمسة الأوائل في الإعدادية بالأقليم المصري ، وللثلاثة الأوائل بالأقليم السوري ، وللبنات حق استبدال المنحة بالالتحاق بجانا بالأقسام الداخلية بالمدارس الثانوية لمدة ٣ سنوات .

المنحة الخامسة الإعفاء من نفقات التعليم العالي ورسوم السكليات والمعاهد العالية لكل من حصل على ٧٥ ٪ . فأكثر في الشهادة الثانوية وما يعادلها .

اتفاقنا الثقافي مع العراق

وقع السيد كمال الدين حسين في بغداد نيابة عن الجمهورية العربية المتحدة الميثاق الثقافي العربى مع الجمهورية العراقية . وقد مثل العراق السيد هديب الحاج حمود وزير المعارف بالنيابة . وقال كمال الدين حسين : إن هذا الاتفاق حلقة من سلسلة الانتصارات التي حققتها أبطال العراق يوم ١٤ يوليو ، وفي ثناياه معنى آخر غير مكتوب يشير إلى أنه ميثاق يجمع الأمة العربية كلها . وقد نص الميثاق على تنظيم التعليم في ٣ مراحل على ما سبق لنا تفصيله في حينه .

أجهزة الطبيعة الذرية

وصلت إلى مصر أجهزة من ألمانيا تبلغ قيمتها ٣٠ ألف جنيه ، سيعمل عليها خمسة

إنشاء المجلس الأعلى

تنظيم الحكم

في الجمهورية العربية المتحدة

كذلك من ١٤ وزيراً ورأسه السيد نور الدين كحالة ، وقد اختير فندق «هليوبوليس بالاس» في مصر الجديدة ليكون مقراً للوزارة الاتحادية وهو يحوى ثلاثمائة غرفة ، وفيه عدد من القاعات التى تصلح للاجتماعات . ومن الصدف أن طراز بنائه عربى .

نظام اللامركزية الإدارية

تقرر العمل بنظام اللامركزية الإدارية ، حيث يؤلف مجلس قروى لكل ثلاثة آلاف من السكان ، ومجلس بلدى لكل ١٥ ألفاً من سكان المدن ، ومجلس المديرية بأعضائه المنتخبين والمعينين هو المجلس الموكل بكل عمل وكل إصلاح فى لامركزية مطلقة ، والمحافظ هو المسؤول عن نشاط هذا المجلس أمام رئيس الجمهورية مباشرة .

السيد العالى

اتفق المشير عبد الحكيم عامر مع الرفيق خروشوف رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى على أن يقدم الاتحاد السوفيتى إلى الجمهورية

أعلن الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة التنظيم الجديد للحكم فى الجمهورية العربية المتحدة . وهذا التنظيم يوزع المسؤوليات على ثلاث وزارات : الوزارة المركزية ، والمجلس التنفيذى لوزارة الإقليم المصرى ، والمجلس التنفيذى لوزارة الإقليم السورى . وتتألف الوزارة المركزية - بعد رئيس الجمهورية - من اثنين وعشرين وزيراً فى طليعتهم نواب الرئيس الثلاثة : السيد عبد اللطيف البغدادى ويتولى وزارة التخطيط والمشير عبد الحكيم عامر ويتولى وزارة الحربية والقيادة العامة للقوات المسلحة ، والسيد أكرم الحورانى ويتولى وزارة العدل . وفى الوزارة المركزية ثمانية وزراء من الإقليم السورى ١٥ من الإقليم المصرى . والمجلس التنفيذى لوزارة الأقليم المصرى يتألف من ١٤ وزيراً ورأسه السيد نور الدين طراف ، والمجلس التنفيذى لوزارة الإقليم السورى يتألف

المزراعة - الحالية والمستجدة - فى جميع السنين وسيحسن صرف جميع الاراضى الزراعية بما يزيد غلتها سنوياً بحوالى ٢٠ ٪ ، وسيضمن زراعة ٧٠٠ ألف فدان أراضى سنوياً ، وبقى البلاد وقاية كاملة من غوائل الفيضانات العالية وسيحسن حالة الملاحة النيلية ، وستحسن به اقتصاديات مشروع كهربة خزان أسوان الحالى بما يضاعف من الطاقة الكهربائية للحطة ، وستنتج طاقة كهربائية تقدر بنحو ١٠ مليار كيلوات ساعة فى السنة (أى حوالى عشرة أمثال الطاقة التى تستغلها البلاد فى الوقت الحاضر) مما يساعد على إقامة صناعات جديدة وزيادة انتاج مصنع السماد ، ويوفر حوالى مليونى طن مازوت سنوياً ، ويزيد الدخل السنوى للحكومة بمبلغ ٢٢ مليون جنيه ، كما يزيد الدخل القومى السنوى بمبلغ ٢٥٥ مليون ج وستتمكن السودان من توسيع زراعته بضعف المساحة المنتفع بها فى الوقت الحاضر ويضمن احتياجات الرى لجميع الاراضى المزروعة ، وستوسع فى زراعة القطن طويل التيلة ، ويزيد الدخل السنوى للحكومة والدخل القومى من الزراعة بحوالى ٢٠٠ ٪ ، وستنتفع بالسودود التى ستقوم الحكومة السودانية بإنشائها ، ويمكن ملء الخزانات التى تقيمها حكومة السودان من المياه الراضية نسبياً مما يطيل فى عمرها .

العربية المتحدة ٤٠٠ مليون روبل للمساهمة فى تمويل إنشاء السد العالى ، وذلك على شكل قرض يبدأ سداداه بعد أن ينتهى المشروع ويأتى بثمراته كاملة . وسيكون تقديم القرض معدات وآلات مما يحتاج إليه فى إقامة السد .

إن احتياجات الرى للساء تقدر فى الوقت الحاضر بحوالى ٥٢ ملياراً من الأمتار المكعبة سنوياً لمصر ، وبنحو ٣٠٥ مليار للسودان . وإيراد النيل من المياه متذبذب : يرتفع فى أحد الأعوام إلى مايزيد عن الحاجة وينخفض فى معظم الأعوام إلى درجة تضر بالزراعة ، وفى الحالتين فإن كميات عظيمة من مياه النيل تذهب فى البحر كل عام . وقد سبق معالجة ذلك بطريقة « التخزين السنوى » بإقامة خزان أسوان وخزان جبل الأولياء ، فأفاد فائدة محصورة بالقدر المزروع الآن من الاراضى ولمدة السنة فقط . ويراد الآن من السد العالى الاستفادة فى توسيع مساحة الاراضى الزراعية بما يتناسب مع زيادة السكان ، وأن يكون التخزين « تخزيناً دائماً » ، فجعل تصميم السد العالى على أن يكون حجمه معادلاً لحجم الهرم الأكبر ١٧ مرة ، ويبلغ حجم الهرم الأكبر ٢٠٥ مليون متر مكعب ، فالسد العالى سيمكن مصر من توسيع أراضيها الزراعية ٢ مليون فدان ، وسيضمن احتياجات الرى لجميع الاراضى

في جامعة الدول العربية

في يوم ١٧ ربيع الأول (أول أكتوبر) عقد مجلس الجامعة العربية أولى جلساته لإعلان انضمام المغرب وتونس إلى الجامعة ، وقيام جمهورية الجزائر ، وكانت من الجلسات المشهودة في تاريخ الجامعة ، وبعد انتهاء رؤساء الوفود من إلقاء كلماتهم نهض رئيس وفد المغرب فهد المجلس بكلمة خطيرة قال فيها : كنا دولة محتلة فلم تتمكن من الالتقاء مع أشقائنا في جامعتنا قلب الأمة العربية ، والآن أتييناكم لنضع مشاكلنا أمامكم . إنه لا تزال في المغرب جحافل من جيوش المستعمرين الغاشمين : إن صحراء المغرب لم تتحرر بعد ، والحدود المغربية لم تعين معالمها ، ونحن مستعدون للوفاء بميثاق الجامعة ، وتحمل كل التبعات والالتزامات ، لنساهم جميعا في حل مشاكل العرب التي هي وحدة قائمة لا انفصام لها ، وإن المغرب يعتبر استقلاله ناقصا ما دامت جيوش فرنسا تحتل الجزائر ، ولا نعتبر استقلال المغرب تاما إلا باستقلال الجزائر ، وسنعمل معكم لنصل إلى غايتنا الكبرى .

ولم يشترك وفد تونس في هذه الجلسة ،

عبد السلام بلانفريج رئيس حكومة المغرب برقية شكر على ما أبداه مجلس الجامعة العربية من عواطف كريمة نحو المملكة المغربية وشعبها .

وفي يوم ٢٧ ربيع الأول (١١ أكتوبر) انعقد مجلس الجامعة العربية للترحيب بانضمام تونس للجامعة ، ففوجئت وفود الدول العربية بهجوم مندوب تونس على الجمهورية العربية المتحدة مرددا الاتهامات التي يروجها أعداء العرب من باريس ولندن ونيويورك فاضطر وفد الجمهورية العربية المتحدة إلى الانسحاب من الجلسة احتجاجا ، وثار جميع وفود الدول العربية على وفد تونس الذي عكر جو الجامعة العربية . ووجه رئيس مجلس الجامعة (وهو في هذه الدورة رئيس الوفد السعودي) اللوم إلى مندوب تونس على موقفه وقال : إن هذه سابقة لم تحدث من قبل ، وبعد انسحاب وفد الجمهورية العربية المتحدة طلبت وفود الدول العربية من رئيس وفد تونس أن يعتذر ، فأجاب بأن ما صدر عنه كان بتعليمات وردت إليه من حكومته ، وأن نص خطابه أرسل إليه من بورقية .

وقد تبين أن الذي حمل بورقية على ارتكاب هذه الحماقة سبب شخصي وهو لجوء الزعيم التونسي السيد صالح بن يوسف إلى مصر

وتلقى أمين الجامعة برقية بعيدة الأهداف من ملك المغرب جوابا على برقية تهنئة بانضمام المغرب إلى الجامعة ، وأرسل السيد أحمد

بورقية حتما على مصر بسبب هذه السياسة الطيبة السكرية .

انسحاب أمريكا من لبنان

في يوم ١٥ ربيع الآخر (٢٥ أكتوبر) تم جلاء جميع القوات الأمريكية عن لبنان . وكان مقرر أن يكون الانسحاب في آخر أكتوبر فتم قبل مواعده بستة أيام . وقد جرت عملية الانسحاب سراً في الصباح المبكر على ست سفن بحرية وعدد من الطائرات تحمل آخر دفعة من جنود المظلات إلى ألمانيا الغربية . وعند الظهر غادر بيروت الجنرال أدامز القائد العام لتلك القوات يرافقه مساعدوه العشرة . ولم يعلم بإتمام الانسحاب قبل مواعده المقرر سوى الرئيس اللواء فؤاد شهاب رئيس الجمهورية اللبنانية ، ولم يبق في بيروت إلا عشرة ضباط لتصفية المسائل الإدارية على أن يحلوا آخر الشهر المقبل .

الجلاء عن الاردن

في ١٩ ربيع الآخر (٢٩ أكتوبر) تم انسحاب القوات البريطانية بأكملها من الأردن وقد تولى الجيش الأردني إنزال علم بريطانيا من المطار فور جلاء آخر جندي انجليزي عن البلاد ، وكانت قوة جنود المظلات البريطانية مؤلفة من ثلاثة آلاف جندي بقيادة

وكان نائب بورقية ثم اختلف معه لحكم عليه بالإعدام ، وسبب سياسي وهو أن بورقية يؤمن بالميلول الغربية ، وهو مصمم على السير في موكب السياسة الفرنسية والأمريكية ، وهكذا قطع بورقية أواصر العروبة بينه وبين جامعة الدول العربية والقومية العربية .

وفي شهر ربيع الأول (١٣ أكتوبر) عقد مجلس الجامعة العربية جلسة علنية حضرها جميع مندوبو الصحف ووكالات الأنباء ، واتخذ فيها - بالإجماع - قرار تاريخي باستنكار كلام وفد تونس وشطبه من محضر الجلسة التي ألقى فيها واعتباره كأن لم يكن ، وإبلاغ وفد الجمهورية العربية المتحدة هذا القرار ودعوته لاستئناف مشاركته في جلسات المجلس وأعماله وقد كان وفد المغرب من أشد الوفود العربية استنكارا لموقف تونس ، وألقى رئيسه كلمة رائعة كانت موضع الاستحسان من حكومته ، وأذاعتها محطة إذاعة الرباط ثلاث مرات في يوم واحد .

ومن العجيب أن يحمل بورقية كل هذا الحق على لجوء مواطن له من أكرم المواطنين التونسيين إلى مصر ، مع أن بورقية نفسه كان لاجئاً في مصر مدة طويلة ، وقامت له مصر بالإكرام الذي تراه واجباً عليها لكل سياسي عربي يتخذها وطناً له كوطنه ، وإن فرنسا نفسها على غطرستها كانت أقل من

إلى ضم القسم الغربي من الأردن عند سنوح أول فرصة ، بعد انسحاب القوات البريطانية من الأردن ، ولما كان ذلك مما يستحيل أن تقف القومية العربية تجاهه وقفة المتفرج فقد جرت مشاورات عربية مهمة وضعت فيها الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية سياسة مشتركة لمواجهة تحركات إسرائيل ، وإن أية محاولة من جانب إسرائيل لاحتلال الضفة الغربية من نهر الأردن ستدفع الجمهورية العربية للعمل فوراً . ولن يقف العراق موقفاً سلبياً من إسرائيل اليوم كما وقف أيام نوري السعيد عند وقوع العدوان الثلاثي على مصر . فالحالة الآن في هذه البقعة من الشرق العربي رهن بما يصدر عن إسرائيل من اتجاه بعد أن غمرها الغرب بهذه المقاتير من الأسلحة التي تعتبرها القومية العربية خطراً موجهاً إليها بالذات ، والمسئول عن ذلك أولئك الذين يقفون من وراء إسرائيل ويمدون بها بما قد يفقدها العقل والبصيرة .

من نتائج العداء القائم

قال وزير المستعمرات البريطاني مستر لينوكس بويد ، في خطاب ألقاه في مؤتمر المحافظين يوم ٩ أكتوبر : إن عداء الجمهورية العربية المتحدة التي يرأسها الرئيس جمال عبد الناصر قد خلق حاجزاً جويماً في الشرق الأوسط يمكن أن يؤثر في مؤننا ومواصلتنا إلى الشرق الأقصى .

البريجادير توم باسون الذي رحل على طائرة نقل من طراز فاليتا ، وقد ظلت عملية نقل هؤلاء الجنود بطريق الجو تجري بصفة مستمرة مدة خمسة أيام ، وقامت طائرات النقل بتسعين رحلة إلى قبرص مارة فوق الأراضي السورية بإذن من الجمهورية العربية المتحدة .

تسليح إسرائيل

أعلن في لندن رسمياً أن بريطانيا باعت لإسرائيل غواصتين حمولة كل منهما ٧١٥ طنّاً وهي فوق الماء و ١٠٠٠ طن وهي تحت الماء ، وقد صنعتا بين سنة ١٩٤٢ و ١٩٤٥ . وقد سالت أولاهما لإسرائيل وأطلقت عليها اسم « تنين » ، « أي » التسلاح » ، والأخرى في مالطة اسمها « سانجوين » . وقد حصلت إسرائيل من بريطانيا على أسلحة تقدر قيمتها بخمسين مليوناً من الجنيهات منذ قامت ثورة العراق في يوليو هذا العام حتى الآن . وهذا غير ما حصلت عليه من أمريكا وفرنسا أخيراً ، ويقدر ما تسلحت به إسرائيل بين سنة ١٩٤٩ و ١٩٥٧ بما يوازي ٧٠٠ مليون دولار .

وقد اعتبرت الدوائر المسئولة في مصر هذه الخطوة الجديدة من بريطانيا على الخصوص عملاً شديداً للخطورة ضد القومية العربية ، وأنه لا يمكن السكوت عليه مهما كانت الأحوال ولا بد من مواجهته برد فعل إيجابي .

وقد دلت مراقبة الحال في إسرائيل على أنها تقوم بمشود وحركات عسكرية ترمي من ورائها

انقلاب عسكرى فى باكستان

وقع فى يوم الأربعاء ٢٤ ربيع الأول (٨ أكتوبر) انقلاب عسكرى فى باكستان ألغى فيه الدستور القائم، وأقيمت حكومة فيروزخان نون المركزية وباقي الحكومات الإقليمية، وحل المجلس التشريعى الوطنى والمجالس الإقليمية، وحلت الأحزاب السياسية ومنعت اجتماعاتها، وألغيت الانتخابات التى كان مقررا أن تجرى فى فبراير القادم.

وأظهر مافى هذا الانقلاب تولى الجنرال محمد أيوب خان - قائد الجيش الباكستانى - منصب الحاكم العسكرى العام. وقد أعلن أن الانقلاب موجه إلى السياسيين الذين اتخذوا من الحكم وسيلة للتجارة فى السوق السوداء، وكانوا يسيرون بالبلاد إلى الهاوية، وأنه ضد عملاء الاستعمار الذين كان غرضهم الأوحاد إرضاء المستعمرين على حساب مصلحة البلاد، والعناصر التى تعمل على إيجاد سوء التفاهم بين باكستان ودول أخرى كالجمهورية العربية المتحدة والهند والصين والاتحاد السوفيتى، كما أعلن رغبة هذا الانقلاب فى إقامة علاقات ودية مع جميع الدول، والاستمرار فى تنفيذ التزامات باكستان الدولية.

وأذاع بياناً قال فيه: «إنه لا بد من إعلان حالة الطوارئ، لأن سياسة تافهين قد خلقوا فوضى إدارية واقتصادية وسياسية وأخلاقية شاملة».

وفى صباح الاثنين ١٤ ربيع الآخر (٢٧ أكتوبر) تنازل اسكندر ميرزا عن رئاسة الجمهورية الباكستانية خدمة للمصلحة العليا فى البلاد، وسافر فوراً بالطائرة إلى مدينة كويتا بالقرب من الحدود الأفغانية ثم إلى لندن. وباشرفى صباح اليوم التالى الجنرال محمد أيوب خان مهام منصبه الجديد رئيساً للجمهورية ورئيساً للوزارة ووزيراً للدفاع وحاكماً عسكرياً عاماً، وكان أول قرار اتخذه بعد ذلك إخراج ثلاثة من كبار الموظفين المدنيين وتعيين ثلاثة من العسكريين بدلهم نواباً للحاكم العسكرى. وأعلن الحرب على الفساد والرشوة والاختلاس وتقول النيويورك تايمز إن ما يقدر بملايين الروبيات من الأقمشة المهربة والحبوب الغذائية أعلن التجار وجودها خوفاً من الإنذار الذى وجهته الحكومة لمن لا يبلغ عن هذه البضائع والجنرال محمد أيوب مولود فى منطقة الحدود وتلقى دراسته فى جامعة عيسكره الإسلامية، ثم تلقى دراسته العسكرية فى كلية ساندهرست الحربية بالإنجلترا. وقبل ثلاثين عاماً عين ضابطاً فى جيش بهلاده، وتدرج فى مراتب القيادة إلى أن عين قائداً للقوات الباكستانية الشرقية وهو من عشر سنوات برتبة لواء. وهو أول قائد عام للجيش الباكستانى تولى وزارة الدفاع ولاشك أنه الآن فى أعظم امتحان تعرض له فى حياته، فإن أحسن النجاح فيه بحكمة وإخلاص أو شك أن يكون من رجال التاريخ.

الفهرس

صفحة	الموضوع	بفـ
٣٠٥	ذروة الحق	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٣١٣	نفحات القرآن : — ٦٤ —	» عبداللطيف السبيكي عضو جماعة كبار العلماء
		ومدير التفتيش بالأزهر
٣١٧	السنة — العين حق —	» طه محمد الساكت
٣٢١	نقد كتاب « أضواء على السنة المحمدية » — ٤ —	» محمد محمد أبوشهبة الأستاذ المساعد بكلية
		أصول الدين
٣٣٠	عين في سبيل الله	» أحمد الشرباصي المدرس بالأزهر
٣٣٥	تخطيط عريض للمجتمع السعيد	» منصور رحب
٣٣٩	الوحدة العربية في شمال إفريقيا	» أحمد طه السنوسي
٣٤٢	التوكل والتواكل	» عبد الله مصطفى المراغى
٣٤٧	لغـويات	» محمد على النجار
٣٥١	دعائم النهج الحلقى الاسلامى — ٢ —	» يس سويلم طه المنفى بالأزهر
٣٥٦	برامج ومناهج	الدكتور محمد محمد حسين أستاذ الأدب العربى
		الحديث بجامعة الاسكندرية
٣٦٨	التفسير العلمى للقرآن	الأستاذ عبد الوهاب حمودة
٣٧٣	مدحة على بن الحسين بن الفرزدق والحزین الکنانى	» على المهارى المدرس بالأزهر
٣٧٧	المرأة في ظلال الاسلام	» أحمد على منصور
٣٨٠	رسالة الأدب (بقية رسالة الأدب) — ٤ —	» حسن الشيخة المحرر الأدبى بجريدة
		الشعب وعضو نقابة الصحفيين
٣٨٥	رأى العلماء للأورخين في الفتوحات الاسلامية	» عباس طه المحامى
٣٨٩	تلميقات	» عبداللطيف السبيكي عضو جماعة كبار العلماء
		ومدير التفتيش بالأزهر
٣٩٢	الأدب والعلوم	المجلة
٣٩٤	العالم الاسلامى	»





١٥
٢٠٠٠
٢٠٠٠



قرار رئيس الجمهورية العربية المتحدة

رقم ١٥٣٣ لسنة ١٩٥٨ بتعيين وكيل للجامع الأزهر والمعاهد الدينية

رئيس الجمهورية

بعد الاطلاع على القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ بإعادة تنظيم الجامع الأزهر والقوانين المعدلة له

قرر

المادة الأولى : عين السيد الأستاذ الشيخ محمد نور الحسن عضو جماعة كبار العلماء وكيلا للجامع الأزهر والمعاهد الدينية .

المادة الثانية : على وزير الدولة تنفيذ هذا القرار .

صدر برئاسة الجمهورية في ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٣٧٨ - ٦ ديسمبر سنة ١٩٥٨

جمال عبد الناصر

تهنئة وأمل

« إلى فضيلة الأستاذ الكبير وكيل الأزهر ،

نشأت في الأزهر فكان وطنك ومسجدك ومدرستك ، فاضت عليك منه الروح الوطنية والقومية العربية ، وأوذيت في سبيل ذلك حينما كانت يد الاستعمار في البلد ذات بطش شديد ، وجمعت إلى ذلك عبادة ربك وتبتلك إليه تبتيلا ، أما مدرسته فقد كان يشع منها نور على نور ، ولا يزال في ازدياد بمزيد من جدك ونشاطك ، وسهرك في التحصيل والدرس ، ولازمك التوفيق حتى لمع اسمك على رأس الناجحين ، وزها نجمك بين الخريجين فتحملت حينئذ نصيبك من المسؤولية في التعليم ، فكنت بحق آية في علمك وتعليمك ، ونبراسا في فهمك وتفهمك ، ومثلا لأبنائك يحتذى في الخلق الكريم .

وكان ولا يزال الدرس عملك بل أحب الأعمال إليك ؛ إلى أن سعى إليك وأنت فيه هذا المنصب الجليل ، وليس هو بالنسبة إليك بالمنصب الجديد فقد شغلته قرابة عامين ، ولكنك لما رأيت ظلم الظالمين أبيت إلا أن تضحي بمنصبك العالي في سبيل تمسكك بالمبدأ العالي - لا أظلم ولا أتعاون مع الظالمين - واستعملت محتفظا بكرامتك ومبادئك .

وكان الله قد أظهرك على الغيب ؛ فظهرت نفسك وصنتها من أدران هذه الحقبة السوداء التي مرت بالأزهر فأحالت نهاره الأبيض ليلا فاحم السواد ، وأشاعت فيه الظلم والفساد ، وحسب هذه الحقبة أن أبعد فيها عن الأزهر أبنائوه الغراليامين ، كل ذلك قد كان بعمل المسؤولين في الأزهر تارة وبعلمهم تارة أخرى ، إلى ما كان من ضياع العلم ، وضعف الدين في سبيل المنصب الذي نبذهم واستحقوا على هوانه حرمانهم وجزاءهم (إن ربك بالمرصاد) أي وكيل الأزهر : لا جديد في منصبك إلا أن الله قد هيا لك معه اجتماعك مع صديقك الصدوق (الشيخ شلتوت) لتحملا معا المسؤولية في الأزهر .

وكلا كما يقدر أخاه ، ويعلم حرصه على نشر العلم غزيرا ، وغيرته على رفعة الدين وعزته ، وتقديره للأزهر ومكاته ، وكلا كما قد ير على تحمل أعباء ذلك ، فإلى

تهنئة وأمل

الأمام معا في سبيل إنهاض الأزهر من كبوته . أدركوا به ركب الحضارة والعلم ، وسيروا به حثيثا حتى يكون في الطليعة كما كان ، واعملوا على أن يخرج للناس عالما قديرا في الدين والدنيا ، والله يحزيكم على ذلك خير جزاء العاملين المخلصين .

أخي وكيل الأزهر : هذه تهنيتي ، بثت معها ألى ، وأعلنت عن أملى ، وإني أسأل الله لكم المعونة التامة ، وسداد الرأي ، ودوام التوفيق . مستهدفين العمل على تحقيق الصالح العام لجمهوريتنا العربية مع ربطها بالجمهورية السودانية برباط وثيق من الدين والقومية ، إلى ذلك الرباط الرباني نهر النيل المبارك الذي وحد بين الشعبين منذ خلقهما الله ، مستمسكين بتوجيهات زعيم العروبة والإسلام الرئيس جمال عبد الناصر ، أدام الله له التأييد وحقق للعروبة على يديه كل ما يريد .

مدير المجلة

عبد الرحمن عيسى

مَدِيرُ الْمَجْلَةِ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَيْشِي

الْعُنْوَانُ
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تاسيفون ٤٦٢١٤

مَجْلَةُ الْأَزْهَرِ

مَجْلَّةُ شَهْرِيَّةٍ بِجَامِعَةِ
تصدر عن شيخ الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
مُحَمَّدُ الدِّينُ الْخَطِيبُ

الإشتراك السنوي

٤٠٠	في وادي النيل
٤٠٠	لطلبة وادي النيل
٣٠٠	لأعضاء والمدرسين بالازهر
٥٠٠	خارج الوادي
٣٠٠	لطلبة خارج الوادي
٤٠٠	لأعضاء والمدرسين خارج الوادي

الجزء السادس - القاهرة : جمادى الآخرة سنة ١٣٧٨ - ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٩٥٨ - المجلد الثلاثون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من إلهامات السد العالي :

العروبة تكبح جماح النيل

عشنا مع الترك العثمانيين ردحاً من الزمن ، كانوا يسمون فيه هذا الجزء العزيز من الوطن العربي : « الإيالة المصرية » ، وكانت الإيالة المصرية في عهدهم مباءة الفقر والفوضى والحرمان ، ومرحاً للأدب الناعس ، والعلم المتعرج ، والكسح العقيم .

ثم عشنا مع ربيهم محمد على وسلالته الضالة ردحاً آخر من الزمن ، كانوا يسمون فيه هذا الجزء المغبون من الوطن العربي : « القطر المصري » ، وكان القطر المصري في ظلال حكمهم حقلاً لهم وللبتأمرين معهم من الأغيار والانتهازيين ، يعمرونه على قدر حاجتهم إلى استغلاله في شهواتهم ومآربهم ، ويوجهون أهله نحو الانسلاخ عن عروبتهم وسجايها ، وعن إسلامهم وأخلاقه وحيويته ، بما يلقون إلى أبنائهم من فتات العلم الاستعماري ، وبما يزينون لهم من مظاهر الحضارة الماسجة وأكاذيبها .

ثم بعث الله فينا هذا الرجل الموهوب من بني قرة في أرض الصعيد الطيب ، فنهف بمصر : إنك عربية ، لا شرقية ، ولا غربية . وهتف بالعروبة : إنك من معدن كريم للحق

والخير ؛ وقد كانت ثورة سلفك الأول لجة النور في عصور الظلمات ، وبدعوتهم المباركة أشرقت الأرض بنور ربها ، وما كان لذلك النور أن يضعف إلا بأن تنامي ، وقد نصبت الشعوب حباتل سحرها من كل نوع لتنامي ، فتمت عن رسالتك ألف سنة أو تزيد ، وآن لك اليوم أن تستيقظ ليبعث الله فيك حيويك الممتازة ، وإشراقك المتألق ، ولتستأنف القيام برسالتك العظمى كعهد التاريخ بها أول مرة ، فتتحول « الإيالة المصرية » ، ويتحول « القطر المصري » ، ويتحول كل وطن للعروبة والإسلام ، إلى ينبوع من فيض الحق والخير تحطم من حوله حواجز الأوهام التي أقامها الشعوب وأعداء العروبة - في مئات السنين الماضية - ولا يزالون يقيمونها عبثاً بين مصر وسائر الناطقين بالضاد ، وسيعترفون بفشلهم الذريع كلما رأوا صورة هذا الرجل الموهوب من بني قرة تبتسم لإخوانه العرب والمسلمين في كل مكان ، وكلما سمعوا صوته الجمهوري يجلجل على موجات الأثير في جميع آفاق الأرض بالثورة على الباطل والشر ؛ وهذه مصر تحتل بدعوته قلوب العرب والمسلمين جميعاً . مما لاعدل للتاريخ بمثله ، ومما لم تكن دول الأرض تتوقع حدوثه - إلى ما قبل سبع سنوات - ولا في المنام .

إن العروبة التي هتف بها هذا الجندي العربي الموهوب ، قد تحول بها ما كنا نسميه « القطر المصري » ، إلى ينبوع متدفق من قوة القلوب العربية في آسيا وإفريقية ، يوشك أن يجعل من هذه القومية العربية العظيمة دولة عربية عظيمة ، تحقق قلوب أبنائها جميعاً بالقوة والعزة والرحمة والخير من أدنى الأرض إلى أقصاها ، وتنبض ذرات أرضها بالثروة والبركة والرزق الحلال الطيب لكل من يبدل في سبيله عملاً صالحاً طيباً ، وتفويض آلاء الله في أرجائها بكل ما تدره هذه الآلاء الإلهية من أسباب النعيم المقيم .

أكتب هذه الكلمة بعد حلم عميق سرحت فيه متفياً ظلال السد العالي ، وظلال ما يمكن أن يقوم - في سيج مائه المدخر - من جنان وأفنان ، وبنيان وعمران ، في عشرات السنين الآتية ، وقد لا يمتد في العمر حتى أرى ذلك بنفسى ، فمن الله على بتصوره في أحلامي كما لو كنت من شهود كماله وجماله ، مقارناً بينه وبين مصر الأمس يوم كانت تسمى « الإيالة المصرية » ، ومصر التي كانت بعدها أيام كانت تسمى « القطر المصري » .

هذه مصر الغد مجلوة أمام عيني كالعروس بكل محاسنها ، إنها تتمطى بصلبها عن يمين وشمال : إن رمالها التي كانت تنبسط في شرقها إلى بحر القلزم يوشك أن تتحول إلى مدائن

وثغور، وإلى طرق بينها معبدة تمتد فيها شرايين المواصلات بمصنوعات المصانع من كل نوع في الأرض، وتقوم على سيف بحرها ثغور المصايف والمتاحف، ومدن السياحة والسباحة، ومرافق المصايد وموانئ التصدير، تغشاها أساطيل السفن التجارية خفافا عياها، وتبحر منها ببحر الحقائق إلى سواحل باكستان والهند وأندونيسيا والصين وسائر الثغور الآسيوية شرقا، وإلى سواحل الصومال وأرتيريا والحبشة وسائر الثغور الإفريقية غربا. أما رمال مصر التي كانت تنبسط في أعماق غربها إلى المحاريق والواحات وباريس المصرية، وإلى البويطي والفرافرة وعين دلة، وإلى وادي النطرون فالضبعة ومرسى مطروح، ثم إلى منخفض القطارة وسيوة، إن هذه الرمال التي تموج كالبحار وراء شطآن النيل والشريط الأخضر من منطقة نشاط مصلحة الري شرقا وغربا، يوشك إذا قام السد العالي وأدى مهمته في الري والصرف أن تدب الحياة في تلك الرمال إما بتوزيع المياه عليها بالعدل والقسطاس في نظام الري الجديد بعد السد العالي، أو باستنباط المياه الجوفية بالطرق الحديثة على ما يرجى اتباعه في آفاق العريش، وحينئذ تزدان هذه القفار بما يشمخ فيها من المباني والمصانع، وتعم أرجاءها الخضرة والحياة والبهجة والخصب، وتترنخ بنسيمها العليل عذبات الأغصان في الغابات الكثيفة والحدائق الغناء في كل مكان.

كل ذلك يرجى أن يكون يوم تنتهي العروبة من كبج جماح النيل، وتطويعه لمصلحة القومية العربية ونماؤها وعظمتها وسعادتها.

إن في إقامة السد العالي، والتمسك من ادخار الجامح من مياه النيل الضائعة، معنيين من المعاني الإسلامية: أحدهما الشكر العملي لله عز وجل على هذه النعمة، نعمة النيل، ومن شكر الله سبحانه على أية نعمة القيام بحفظها، وحسن استعمالها، في كل ما يدنى الإنسانية من أهداف الخير وأسباب القوة والسعادة. والمعنى الإسلامي الثاني في إقامة السد العالي التوبة إلى الله من التفريط السابق في هذه الثروة، ووضع حد لما كان من التبذير والإسراف في ترك هذه النعمة تذهب إلى البحر المالح سدى، مع إمكان الضن بها، وحفظها لاستعمالها فيما يزيد هذا الوطن الإسلامي قوة وثروة ونعمة ورزقا. وقد سبق لي التحدث إلى قراء هذه المجلة في افتتاحية جزء صفر سنة ١٣٧٣ عن القوى الضائعة في مصر، وأولها هذا النيل الأعظم، هبة الله الكبرى لهذا الوادي، وقلت يومئذ: إن من نظام الإسلام الاعتدال والاقتصاد وتجنب السرف والتبذير في كل ما ينتفع به. وبما عليه الإسلام للسلبين أن المتوضى إذا كان

يتوضاً من النيل الأعظم ينبغي له ألا يرف في الماء ، لاخوفا على ماء النيل أن ينقص ، بل خوفا على المسلم أن يتعود التبذير والسرَف ؛ وأن يكون بالتبذير من إخوان الشياطين . ومن العجيب أن يكون هذا تعليم الإسلام للسلمين ثم نكون جميعاً مسرفين على أنفسنا في كل شيء ، ونضيع مالهو حفظناه وأحسننا القيام عليه لسكننا من أقوى الأمم ، بل أقوى الأمم .

إذا وفقنا الله إلى إقامة السد العالي ، وبدأنا نحني ثمرات هذا العمل العظيم في عشرات السنين الآتية ، فإن ذلك سيكون حداً فاصلاً بين مصر الصغيرة ومصر الكبرى . بين مصر التي كان تعداد سكانها في عهد محمد على مليونين ، ثم صارت في الحرب العالمية الأولى أربعة عشر مليوناً ، ثم بلغت في الحرب العالمية الثانية عشرين مليوناً ؛ وبين مصر التي تستطيع في نظام الري بالسد العالي أن تعول أربعين مليوناً إلى خمسين مليوناً . هذا في الإقليم الجنوبي من بلاد الجمهورية العربية المتحدة ، فكيف بنا إذا سلكننا هذه الطريق في إقامة السدود واستنباط المياه وتنظيم الري وتوسيع التصنيع في الإقليم الشمالي ، ولا سيما في مستقبله القريب عندما يتم للعروبة فقه الدم الحثيث الذي أحدثه الاستعمار الأجنبي في ناحية عزيزة مقدسة من جسم الوطن العربي العظيم والكيان الإسلامي الأكبر . . .

نحن على أبواب تطور نتقل به - إن شاء الله - من كيان ضعيف مشتت ، إلى كيان عظيم متين تحترمه الدنيا وتهابه . وليس الذي أتحدث عنه وهماً ولا خيالاً ولا من كواذب الأمانى ، ولكنها البوادر تلوح من وراء سحابة الغيب ، بقدر ما يراها المؤمن ببصيرته حتى كأنه يلمسها ، أو كأنها تمشي مقبلة وهو يسمع وقع أقدامها . . .

هذا الحد الفاصل بين كياننا الصغير الذي مضى ، وكياننا العظيم الذي يوشك أن يكون ، يهتف بنا بأمور أخرى بعد الهتاف الذي سمعته مصر وسمعته العروبة من صوت رجلا الموهوب جمال عبد الناصر منذ نحو سبع سنوات إلى الآن .

إن الهاتف الذي يهتف بنا من وراء سحابة الغيب لمناسبة هذا التطور الذي نتوقع به الانتقال من الكيان الصغير كيان « القطر المصري » إلى الكيان الكبير « كيان القومية العربية » ، ينبغي لنا أن نصغى إليه بنفوس مؤمنة ، وقلوب طاهرة ؛ لأن الهاتف هاتف غيب ، والإصغاء إليه ضرب من ضروب العبادة ، وطهارة القلوب من أول شروطها .

الأخلاق التى كننا عليها يوم كننا سكان « القطر المصرى » لا تصلح لأن نبقى متخلقين بها يوم يتم الله علينا نعمته ببناء السد العالى . إن كنا بعد انتهاء السد العالى سيكون أضخم وأعظم من أن نحمله بأخلاق سكان القطر المصرى .

إن إخلاص هذا الرجل الموهوب الذى يقودنا فى حركة الانتقال من الكيان الصغير إلى الكيان الكبير ، يرتب علينا واجبا له ولنا أن نكون مخلصين للبعانى العالية والتوفيقات الإلهية أكثر مما كننا عليه ونحن فى كياننا الصغير الماضى .

أرأيت لو كنت ساكنا شقة متواضعة فى جى متواضع ، ثم كبر أولادك وصارت لهم مناصب رفيعة أو ثروة تجارية أو صناعية كتب الله لهم فيها التوفيق والنجاح ، هل تبقى وأولادك فى شقتك المتواضعة ، من ذلك الحى ، أم تنتقلون إلى منزل أوسع فى صقع أكرم ؟ وهل تنتقلون إلى المنزل الجديد بالأثاث الرث الذى كان لكم فى الشقة البالية ، أم تجدون أثاث منزلكم الجديد بما يليق بكم وبه فى حياتكم الجديدة الكريمة ؟

لما سافر الشيخ محمد عبده إلى الجزائر سنة ١٣٣١ وألقى فيها تفسيره لسورة العصر ، قال للذين حضروا ليودعوه : إني ذاهب إلى الجزائر لأجدد نفسى . والذى يذهب إلى الحج وينخلع من ثياب الحضارة الكاذبة ويهتف بكلمة « لبيك اللهم لبيك » يعاهد بذلك ربه على التوبة مما سلف من كل عمل غير صالح ، ويجدد حسابه مع الله بحياة جديدة تليق بمن كتب على نفسه التوبة من كل ما سلف منه فى حياته السابقة . وهذا النوع من تجديد النفس يستشعر به صاحبه الراحة من أعباء معنوية كانت تثقل كاهله فيلقها وراء ظهره ، ويبدأ بسيرة جديدة نظيفة تليق بحياته الجديدة النظيفة .

هذا المعنى فى تجديد النفس ، وبدء حياة جديدة عند الانتقال من طور فى الأمة عفى عليه القدم إلى طور آخر لها يختلف عن الطور السابق ، هو الذى كان يشعر به أصحاب رسول الله عند ما يدخلون فى دين الله ، وهذا التجديد العملى فى الحياة كان يؤهلهم ليكونوا عظماء فى كيانهم الجديد بما لم يكن يخطر على بالهم لما كانوا فى كيانهم القديم . لقد كانوا عند الانتقال من كيانهم الأدنى إلى كيانهم الأعلى يشعرون بما يترتب عليهم من أعباء جديدة للحياة الجديدة فبوطنون النفس عليها ويؤدون لها ما يشعرون به من ضريبة التضحية ، فيكافئهم الله عليها بعشرات أضعافها من ارتفاع مستواهم ، وارتقاء أخلاقهم وفضائلهم وسجائهم ، إلى أن

يكونوا من عظماء الدنيا . مثال ذلك قبيلة مزينة التي كان منها زهير بن أبي سلمى وابناه
بجير وكعب ، وحفيداه عقبة والعوام ، ومن نوابغهم معن بن أوس ، ثم كان منهم أذكي
أذكياء الدنيا القاضي إياس بن معاوية . هذه القبيلة كانت منازلها في جنوب المدينة على جانبي
الطريق إلى مكة ، فلما أراد الله لهم الخير عقب الهجرة المحمدية فوعوا مراعى الإسلام ، كان
أول ما يترتب على دخولهم فيه أن يساهموا في حل أعبائهم بأموالهم وأنفسهم . إلا أن السماء
كانت في ذلك العام ضنيئة على منازل مزينة بالغيث والخصب ، فقدم رجال منهم على رسول
الله يسئلون له أنفسهم ، ويعتذرون عن البذل من أموالهم ، لأنهم لا أموال لهم يومئذ
يتصدقون من فضلها . إلا رجلا منهم هو النعمان بن مقرن المزني فإنه وحده كان يرى أن الجود
لا يكفى أن يسكون من الموجود ، بل يجب أن يكون بكل الموجود . فلما أراد هو وستة من
إخوته أن يقدموا أنفسهم لله ورسوله خجلوا من الله ورسوله أن يأتوا المدينة بأيدي فارغة ،
فجمع النعمان ما كان حول خبائه وأخبيه إخوته من غنيمات ، وساقها بين يدي رهط من قومه
جاءوا المدينة ، ولقي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل فيه قول الله عز وجل من سورة
التوبة : « ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ، ويتخذ ما ينفق قربات عند الله
وصلوات الرسول ، ألا إنها قربة لهم ، سيدخلهم الله في رحمته ، إن الله غفور رحيم .
إن هذه الغنيمات لا تكاد تنفع الدعوة الإسلامية بشيء ، غير أنها كل ما كان يملك النعمان
ابن مقرن وإخوته الستة ، فلما اتخذوها قربات عند الله وصلوات الرسول كان ذلك دليلا على
أنهم تقربوا قبلها بقلوبهم وجميع مواهبهم لله ، فكان ذلك في تاريخ الدعوة الإسلامية شيئا
عظيما . قال عبد الله بن مسعود : « إن للإيمان بيوتا وللنفاق بيوتا ، وإن بيت بني مقرن
من بيوت الإيمان » . وفي يوم الخندق وهو من أيام الشدة في الإسلام ناط النبي بكل عشرة
من الصحابة حفر أربعين ذراعا من الخندق ، وكان النعمان بن مقرن يحفر مع تسعة آخرين في
البقعة التي ظهرت فيها صخرة بيضاء استعصت عليهم ، فأجدهم النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه
الكريمة وأهوى على الصخرة فأزالها ، فكان للنعمان وصحبه شرف مشاركة الرسول لهم في
أربعينهم . وفي فتح مكة كان النعمان صاحب راية مزينة ، وفي بداية فتنه الردة لما خرج الصديق
بنفسه لقتال المرتدين حتى انهزموا واتبعهم أبو بكر إلى ذى القصة كان النعمان بن مقرن على
ميمنة جيشه ، وأخوه عبد الله بن مقرن على ميسرة ذلك الجيش ، وأخوهما الثالث سويد
ابن مقرن على الساقة ومعه الركاب . ثم خلف أبو بكر النعمان بن مقرن في ذى القصة وعاد إلى

المدينة . ولما استأنف أبو بكر القتال مع المرتدين في ذى حسى وذى القصة كان بنو مقرن الثلاثة على مكاتهم من جيشه حتى نزل هذا الجيش على أهل الزبدة بالأبرق . فكانت مواقف هؤلاء الإخوة المزمين كلها مواقف صدق وعزم وإيمان . ولما فتحت جبهة الجهاد في إيران في خلافة الفاروق انتقل النعمان بن مقرن بقومه من مريضة عن منازلهم الأولى في جنوب المدينة إلى الجانب الشرقى من مدينة الكوفة ليقوموا بالدفاع الحربى عن البلاد التى دخلت في الإسلام ، ولينشروا الدعوة الإسلامية بالطريقة التى يبينتها فى كتابى « مع الرعيل الأول » ، وليعربوا البلاد التى توطئوها أو التى سيصلون إليها . ومن ذلك المنزل فى شرق الكوفة زحف النعمان بن المقرن لقتال يزيدجرد ، وكان من أبطال حرب القادسية ، ثم كانت له القيادة العليا فى معارك نهاوند سنة ١٩ . ولما نزل ليخوض هذه المعركة العظمى ، وكانوا يسمونها (فتح الفتوح) ، أمر بأن يضرب فسطاطه فتسابق أربعة عشر قائدا من أشراف القادة المجاهدين ، وأكثرهم من الصحابة كحذيفة بن اليمان فبنوا للنعمان فسطاطه بأيديهم ، فلم ير الناس بنساة فسطاط أشرف من هؤلاء . وفى هذه الملحمة الرهيبة نال الشهادة العظمى ، وأخذ أخوه نعيم ابن مقرن الراية قبل أن تقع وذهب بها إلى حذيفة بن اليمان فقام فى مقام الشهيد الأعظم إلى أن نالوا النصر النهائى ، وذهب السائب بن الأقرع بالأخماس إلى أمير المؤمنين عمر فى المدينة ، فلما علم منه عمر بشهادة صاحب تلك الغنيمات - النعمان بن مقرن المزنى - المنتصر على دولة من أقوى وأعظم دول العالم يومئذ بكى غمرا ونشج وجعل يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون .

كل دعوة صالحة تحتاج إلى مؤمنين بها مخلصين لله فى أعمالهم . وهذه الثورة قامت فى وجه الاستعمار كله ، وهى الله لها أسباب نجاحها بإخلاص داعيتها وقائدها ، وهذا الإخلاص يجب أن يتجاوب مع إخلاص مثله من كل أفراد الأمة ، وإن من لوازم هذا الإخلاص التجرد من الأخلاق الصغيرة التى كانت لنا فى كياننا الصغير ، والانتقال إلى أخلاق أخرى كبيرة تليق بما نستقبله من كيان كبير . فالكيان الكبير بلا أخلاق لا يتم ، وإن تم لا يدوم . والأخلاق العالية ثمن الكيان العالى ، لا يتم ولا يدوم إلا بها .

إن ثورة العروبة التى تسكب الآن جماح النيل ، وتمنعه الإباق والضياع فى البحر المسالخ ، يجب أن تسكب كذلك جماح القوى الإنسانية والأخلاق الفردية فتجعل ذلك كله فى مصلحة القومية العربية ونماها ورخائها وعظمتها وسعادتها . هذه أبواب العمل ستفتح على مصاريعها

لسكل من يعمل عملاً صالحاً فينال ثمن عمله على مقدار عمله . ودواليب العمل إذا دارت فإن من مصلحة كل من يتصل بها أن يوجه عمله في اتجاهاتها .

كلنا دواليب وآلات ومسامير في السكبان العملى . فيجب أن يكون لسكل فرد منا عمل إيجابى فى هذا السكبان ، لتكون القوى كلها مسائرة له وقائمة بنصبها فى حركته وسيره واتجاهه ، ثم يكون كل واحد منا فى المستوى الذى يؤهله له عمله ، وإحسانه فى هذا العمل .

الدواليب دائرة ، وستدور ، ثم تدور . وحركتها ستكون أنظم وأعظم إذا كانت قطع الغيار والمسامير محكمة فى أماكنها ، مؤدية عملها . والإنسان المنحرف بأخلاقه ، واتجاهاته ، وسريرة قلبه ، لا يصلح أن يكون فى قافلة الأمة ، ولا أن يكون قطعة غيار فى كيانها . لأن انحرافه بأوضاعه وأخلاقه سيجعله طعمة للدواليب الماضية فى اتجاهها ، فيذهب غير مأسوف عليه . والإنسان المستقيم بأخلاقه ، واتجاهاته ، وسريرة قلبه أشبه بقطعة الغيار المحكمة فى موضعها من السكبان الأعظم ، فإن القائمين على الآلة يسهرون على تغذيته بالترتيب والتشجيع ، ويتمهدونه بالنظافة والإصلاح والتثيت ، ويجددون حياته ما احتاجت حياته وحياة الآلة به إلى هذا التجديد .

إن المصنع الذى يخرج لسكبان العروبة قطع الغيار من أبنائها هو المدرسة ، والمدرسة لا تزال متلكئة فى إخراج قطع الغيار الصالحة لسكبان العروبة المنتظر ، لأن الأعوان على هذه المهمة من المعلمين ورجال وزارة التربية والتعليم لا يزال أكثرهم بعقلية « القطر المصرى » فى حياة ما قبل الثورة ، وكثير منهم متأثر بمنهج وضعت لغير زماننا ولعكس ماصرنا إليه : ومن مصلحة هؤلاء فى ذات أنفسهم ، ومن مصلحة كيان العروبة فى وضعه الجديد وأهدائه العظمى بعد السد العالى ، أن يعين هؤلاء على أنفسهم ، وأن يعدلوا وضعهم مع العروبة فى اتجاهاتها وتخرج المؤمنين بها . وكما آمنت مزيئة بالرسالة الأولى ، وأعد هؤلاء الأعراب من أبنائها قلوبهم وعزائمهم وقواهم للقيام بأعبائها فبلغوا بذلك أعلى مناصب الدنيا ، حتى انتصروا على دولة من أقوى دول الأرض يومئذ ، فليكن لكل رجل منا أسوة حسنة هؤلاء المجاهدين الأبرار فى إخلاصهم وصدقهم ، لتتجاوب القلوب كلها فى استبسال كيان العروبة الأكبر على ما يليق بنا وبه فى عشرات السنين الآتية ، وكل آت قريب ؟

محـب الدين الخطيب

نفاية القرآن

— ٦٥ —

المشالية الأدبية في توجيهات القرآن ، لمن كان ذا سمع وفطنة

« ا » وذروا ظاهر الإثم وباطنه .
« ب » إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون .

دعوة القرآن تتجه بالناس دائماً إلى الصعود نحو المشارف ، ليكونوا في مقامهم من الإنسانية التي يناجها ربها ، ويتعهدا بالتربية ويضفي عليها الكرامة التي ليست لسواها في الأرض .

وأنت ترى القرآن ينهانا عن ظاهر الإثم وباطنه ، وهو بهذا الكلام الموجز يبعدنا بعداً شاسعاً عن كل نقيصة : من ظاهر الإثم الذي يبدر من الإنسان على مشهد أو مسمع من الغير . ومن باطن الإثم الذي يكون في خلوة وخفاء ، عن الناس .

والظاهر والباطن من الإثم كما يتناول أعمال الجوارح يتناول أعمال القلب : مما يتصل بالعميقة ، ويبدو في المظهر والسلوك : كتصديق الباطل ، والارتياح إلى الشكوك ، وإلى الزهادة في دعوة الدين ، والجنوح إلى المشاقة لله ورسوله ، بأى لون من ألوان المروق والتحلل .

بل الظاهر والباطن من الإثم لا يتفان عند الجانب الديني البحت ، بل يتناولان آداب السلوك العام ، والمساس بأى حق من حقوق المجتمع ، والخروج على النظام الذي تكفلت به القوانين الوضعية الصحيحة .

وكل ما قامت عليه المصلحة الجدية يعتبر داخلاً في إطار الدعوة الدينية ، وإن لم تصرح به النصوص الدينية في الكتاب أو في السنة . فالنصوص لم تأت بتفصيل كل شيء ، بل جاءت في أكثر منهجها كنماذج ، يقاس عليها ما تكشف عنه الحاجة ، وترشد إليه التجربة ، ويراه

ولادة الأمور خيراً للناس في حياتهم ، وأمنا على حقوقهم ، وصيانة للنظام العام من عبث العابثين .

حينئذ يكون هدى الدين كاشفاً عن المنفذ الذي يصل منه المشرعون إلى الهدف ، ويكون الدين متمشياً مع اتجاه الحياة في خطاها المتتابعة ، ما فرطنا في الكتاب من شيء ، يعني : تفصيلاً وإجمالاً .

وليس معنى هذا أن يتعرض الدين صريحاً للبخترعات ، وأدوات المصنع ، وإنتاج المعامل !! كما يشتهي بعض المتطلعين من أهل الجدل والشكشة ، والفضول .

لا : بل نقصد أن كل ما تهتدى إليه العقول ويكون صالحاً للحياة ومفيداً للناس وليس معارضاً لوجهة الدين ، ولا ناقضاً لمبدأ معروف فيه ، فهو أمر سائغ ، ومأذون فيه ضمناً إن لم يكن هو تطبيقاً مباشراً لنصوص الدين .

وهذا استطراد يرتبط بظاهر الإثم وباطنه ، وهو واضح ، بعد أن توسعنا في مفهوم الإثم ، وتناولنا به كل ما يجلب على الناس ضرراً .

ويبدو من هذا أن عبارة الكتاب العزيز مع إيجازها في اللفظ غاية الإيجاز وسعت كل ما يعتبر فساداً ، وكل ما ينافي الحياء ، وكل ما تعافه الفطرة .

وليس في هذا التعميم تعسف ، بل هو قريب تناول إذا استأنسنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم « والإثم ما حاك في صدرك منه شيء » .

فهذا خطاب لصحابي مسلم ، بل هو خطاب لكل مسلم ، والمفروض أن المسلم قوى المشاعر الدينية ، ومرهف الإحساس ، وصادق الإدراك ، شديد الحياء ، فهو بفطرته وفطرته قد يدرك المعابة ، ويحس بالمأخذ ، ويتردد في الأمر الذي لا يتسع له صدره بعد أن شرح الله صدره للإسلام ، وملاءة نوراً ، وخشية ، لا غرورا ، ولا وباء ، ولا رياء « والذين اهتدوا زادهم هدى ، وآتاهم تقواهم » .

وإذ كان النهي عن ظاهر الإثم وباطنه شاملاً لكل ما يجافي الصواب : ديناً ، ودنيا ، فعقوبة المخالفة تكون خطيرة ، وتكون في قوتها مؤازرة وموازاة لقسوة النهي الشامل ،

وهذا هو قوله تعالى « إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون » وقد اجتمع في هذا التهديد ما اجتمع من أساليب التأكيد لسوء الجزاء بسبب اقتراف المخالفين لما يقترفونه من ظاهر الإثم أو باطنه .

ثم تأتي آيات بعد هذا النهي فيها تعريج على بعض أنواع الإثم الذي يقترفه الناس ، وكانوا يقترفونه قديما .

منها قوله تعالى « فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين » . وهذا أمر يأذن بأكل الذبائح التي يذكر اسم الله عليها عند ذبحها ، وفيه رد على كفار كانوا يتركون التسمية على الذبيحة ، بل كانوا يتركون الأكل مما ذكر عليه اسم الله : عناداً منهم ، وتشبثاً بالمخالفة .

وفي هذا الأمر امتنان على الناس بما أباح الله لهم من لحوم يجب أن يشكروه بذكر اسمه عليها حين ذبحها إن كانوا مؤمنين حقاً بآياته ، وذلك حكم قائم ، وللفقهاء تفصيل فيه بين العامد والناسي لذكر التسمية ، والأرجح عندهم أنها لا تسقط عمداً ، ولا تحل الذبيحة إذا تركت عليها التسمية عن قصد .

وقلها آية أخرى في هذا الصدد :

« ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » فهذا نهى صريح عن أكل الذبيحة التي تركت عليها التسمية ، وهو رد كذلك على من كانوا يستيحيون هذا ، ويأكلون ما ذكر عليه اسم الصنم أو أى اسم غير اسم الله المستحق وحده للشكر على ما خلق ، وعلى إباحته للأكل من تلك الذبائح المسموح بأكلها .

وقد سمي الله تعالى أكل ما لم تذكر عليه التسمية - فسقا - « وإنه لفسق » والفسق هو المعصية الكبيرة ، وقد يراد منه الكفر الصراح .

والتعرض للأكل وعدم الأكل هنا من باب التمثيل للإثم المنهى عن فعله . وهو يتناول أكثر من هذا ، غير أن أكثر ما يقع الإثم فيما يؤكل حراما ، فاختر ذكر الأكل لشيوعه وغلبته على سواه .

ثم تنتقل بنا الآيات إلى توجيه كريم نحو ظاهرة اجتماعية ، هي : أن العصاة في الجماعات والبلاد هم غالبا أكابرها .

وهذه سنة كونية صرح بها القرآن في قوله تعالى « وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ، ليمكروا فيها » . يراد فيها نفهم : أن أهل اليسار ، وأصحاب النفوذ ، وذوى المظاهر ، ونحوهم - وهم الأكابر في كل قرية أو جماعة - هم - غالباً - الذين يخالفون ما أمر الله به إلى ما نهى الله عنه ، والمعروف أن أصحاب النعم كثيرأ ما يغترون بها فتمسوا قلوبهم ، وينال الغرور من نفوسهم ، ويستحوذ الشيطان عليهم فيلتوون عن الشكر الواجب ، إلى المتاع المحظور ، ويرون في تبجحهم تعالىاً عن مستوى الضعفاء ، والفقراء ، وتمنعا عن سماع النصح والخوف من التهديد والوعيد ، وأنهم أكبر من أن يخضعوا ، ويدلوا لأحد ، ولو كان ربهم - سبحانه - ونحن نشهد اطراد هذا الانحراف إلى وقتنا ، وفي كل وسط من الأوساط بسبب ما لديهم من أسباب الزهو ، والمفاخرة ، بل ربما قلدهم ، وتابعهم على ذلك من ليس لديه شيء من هذا : حبا في التظاهر ، واستخفافا بالمعصية .

وكذلك كانت قريش في ماضيها : ما بين متبوع مستكبر ، وتابع مستضعف ، وفي القرآن قصص مبسطة عن هؤلاء وما كانوا يعملونه ، وإخبار بما سيكون منهم يوم القيامة من ندم ، وتنصل من التبعة ، وإلقاء كل من الفريقين جريمته على الآخر ، حتى يلقي بهم جميعاً في النار ، ويقف بين الفريقين هذا الجدل ، ثم يقرون جميعاً بقولهم - إنا كل فينا - النار - إن الله قد حكم بين العباد .

وإن حديث القرآن عن الأكابر المجرمين في كل قرية أو كل بيئة واضح في التنديد عليهم والتذكير لهم ليعتبر منهم من يعتبر ، وليتنبه كل من كان مفتونا بنعمة إلى الإصلاح من شأن نفسه ، وعلاج حالته بما يفيد من توجيه القرآن نحو المثالية الأدبية الخلتية .

فهل لأدبائنا المعاصرين ، وكتابنا المجددين أن تكون لهم عظة ، وأن يترشوا في غرورهم وريقتصدوا في باطلهم وتضليلهم ؟ ويعلموا أنهم يمكرون بأنفسهم ولا يشعرون ؟

عبد اللطيف السبكي

اللهم وفقنا ووفق الجميع ؟

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير التفتيش بالأزهر

السيرة

عمل المرء لنفسه

أبقى الأصحاب وأكرمهم - أشدهم خذلانا لصاحبه ! -
 دنيا الصحابة - أحق الناس بخلافة الأرض - حرص
 واجب - وجه يبشر بالخير - أكمل الهدى في تشييع الميت .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يتبع الميت ثلاثة . فيرجع اثنان ويبقى معه واحد : يتبعه أهله وماله وعمله ، فيرجع أهله وماله ويبقى عمله .
 رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى (*)

* * *

من حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على أمته ، ومن آثار رأفته بهم ورحمته ، أنه لا يألوهم نصحاً ، ولا يدخر عنهم وسعاً ، في كل ما يسوق لهم نفعاً : أودفع عنهم ضرراً ، أو يبق لهم ذخراً ، في هذه الحياة الدنيا وفي الحياة الآخرة . . .

وفي هذا الحديث الموجز الجامع ، يهيب بأمته صلوات الله وسلامه عليه ، ويدعو كل فرد منها أبلغ دعوة وأجمعها ، أن يصطفى أنيسه في وحشته ، وجليسه في وحدته ، وطائره في عنقه ، يوم يقال له : « اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً » .

لقد حذرنا صلوات الله عليه وسلامه الجليس السوء ، ورغبنا في الجليس الصالح ، وأخبرنا أن المرء على دين خليله ؛ لينظر كل من يخال ، وليس أحد منهم بالمقيم معنا

(*) ولا يختلف عن لفظ مسلم إلا في زيادة « معه » وماضى المضارعين : تبع - كعلم - أو اتبع ، بتشديد التاء . رواه البخارى في « باب سكرات الموت » من كتاب الزقاق ؛ ورواه مسلم في أول كتاب الزهد .

أو الباقي في دار الفناء . لا جرم أن دعوته صلى الله عليه وسلم ، إلى اختيار الصاحب الباقي في دار البقاء أجل وألزم ، وهل للبرء صاحب أبقى له وأدوم ، وآنس وأكرم ، من العمل الصالح الذي ليس له فيه من نعمة تجزى ، إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ؟ إن هذا العمل الخالص المصنفي ، رائده في حياته ، وبشيره بعد مماته ، ونوره الذي يمشى به في الدنيا ، ويسعى به في الآخرة .

* * *

ولا يكون العمل خالصا مصنفا مبتغى به وجه الله عز وجل ، إلا إذا كان تابعا للعلم المأثور ، مصاحبا للإيمان الخالص ، بريئا من النفاق والغش . فأما العمل الصادر عن جهالة أو هوى أو عن رياء وسمعة فلا خير في صحبته ، ولا وزن له عند من يضع الموازين القسط ليوم القيامة ، ويعلم السر وأخفى ، ومن هو أغنى الشركاء عن الشرك ؛ بل إن هذا العمل نكال لصاحبه ووبال عليه ، وأشد الأحجاب خذلانا له !!

وأضل من هذا العمل ضلالا ، وأبعد منه وبالا ونكالا ، عمل من يفرقون بين الله ورسله ولا يؤمنون حق الإيمان بخاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم وبكل ما جاء به . ومحال أن يجزى الله في اليوم الآخر من لا يؤمن باليوم الآخر ، ومن كذب بما أرسل به رسله ، وبما أنزل به كتبه « إلا حميا وغساقا . جزاء وفاقا » فأما ما قدموه من خير في دنياهم فقد عجل لهم جزاءه فيها ، وأما آخرهم فلا مقال لأحد بعد قوله سبحانه : « وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا » .

وربما ظن قريب النظر أن هذا الحديث يدعو إلى ترك الدنيا وعدم السعى فيها ، وإلى الزهد في الطيبات وعدم التمتع بها ، وإلى الاشتغال بالعبادة والعكوف عليها ، وربما أيد ظنه هذا بأن الحديث مروي في أبواب الزهد والرقائق . . ولكن ذلك نظر قاصر يحصر الحديث في أضيق حدوده ، ويحافى هدى الرسول وصحابته ، فقد كان صلوات الله وسلامه عليه ينهى عن الرهبانية في الإسلام ، ويأكل الطيبات ويحيب الدعوة إليها ، ويدعو إلى الشكر عليها ، ويقول فيها رواه الإمام أحمد نعم المال الصالح للرجل الصالح ، وكان أصحابه بعد أن فتح الله عليهم يملكون هذه الدنيا ولا يصدون عنها ؛ بل كان منهم في عهد النبوة الأغنياء الأثرياء ، والتجار الأوفياء ، الذين قال الله فيهم « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام

الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ، بيد أنهم كانوا يملكون الدنيا ولا تملكهم ، ويهبونها لله ولا تحزنهم ، ويتوسلون بها إلى الله ولا تفتنهم ، وأولئك سادة الزهاد ، وهداة العباد ، إلى عمارة الدنيا الصالحة . والتجارة الرابحة ، والملك الرشيد .

* * *

على أن من أعظم العبادات ، وأجل القربات ، تسخير هذه الدنيا واتخاذها وسيلة ، إلى الخير والبر ، وذخيرة من صالح الأعمال . وفي هذا التسخير على الوجه الذى يرضاه الله سبحانه ، شكر للشاكرين ، وتعليم للجاحدين ، بأن أحق الناس بخلافة الأرض وعمارتها والتسكين منها ، هم العاملون الصالحون . .

* * *

وإذا كان عمل العبد يصحبه ويتهى معه حتى يلقي ربه عز وجل ، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، على حين يفارقه أهله وماله ، أشد ما يكون محتاجا إليهم فما أجدره إذا أن يحرص على صاحبه الذى لا يغنى عنه أهل ولا مال ، حرصه على نفسه التى لا يجد منها بديلا ولا عوضا . .

ومن هنا يتبين أن الحديث لا يألو جهدا فى الدعوة إلى العمل النتمى الخالص ، الذى يشمل صاحبه فى القبر رجلا حسن الوجه ، حسن الثياب ، طيب الريح ، فيقول : أبشر بالذى يسرك ، هذا يومك الذى كنت توعده ، فيقول له : من أنت ؟ فوجهك الوجه الذى يأتى بالخير فيقول : أنا عمالك الصالح . . فى حديث طويل رواه الإمام أحمد . . فلينظر المرء وهو فى سعة من أمره ، كيف يعد جلوسه فى روضته إن شاء أو فى حفرة ؟ !

* * *

واتباع الأهل والمال للبوتى أمر أغلب ، فرب ميت لا مال له ولا أهل ، وقد يكون له أهل ولا يمكنون من اتباعه وتأدية حقه . . والاتباع هنا يشمل الحسى منه والمعنوى والمراد أن كلا من هؤلاء الثلاثة يتعلق بالميت على وجوه شتى ، ثم ينفض عنه المال والأهل ويلزمه العمل . .

ويشير الحديث إلى حق من حقوق الميت ، وهو تشييعه وتوديعه . .

والسنة لمن تبع الجنازة إن كان راكباً أن يكون وراء المشيعين جميعاً ، وإن كان ماشياً أن يكون قريباً منها . خلفها أو أمامها أو عن يمينها أو عن شمالها ، وأكمل الهدى وأفضله أن يشيع أخاه إلى قبره ما شيا أمامه . لأنه بمنزلة الشفيع له . . . وتلك سنة النبي صلى الله عليه وسلم وسنة خلفائه الراشدين من بعده . . .

أما بعد ، فهذا حديث في عمل المرء لنفسه وتقديمه لحياته قبل رسمه ، يتصل به حديث آخر في عمل المرء لغيره ، رغبة في نفعه وبره . وموعداً الجزء القادم بمشيئة الله تعالى وتوفيقه .

طه محمد الساكات

الصحابة كلهم من أهل الجنة

قال شيخ الإسلام علم الأعلام الحافظ ابن حجر العسقلاني في مقدمة كتابه (الإصابة) : اتفق أهل السنة على أن جميع الصحابة عدول ، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة .

ثم قال : والأحاديث الواردة في تفضيل الصحابة كثيرة ، من أدلها على المقصود ما رواه الترمذى ، وابن حبان في صحيحه ، من حديث عبد الله بن مغفل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله الله في أصحابي ، لا تتخذوهم غرضا . فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم . ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، فيوشك أن يأخذه » .

ثم قال : وقال أبو محمد بن حزم : الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعاً ، قال الله تعالى : « لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلا وعد الله الحسنى » . وقال تعالى : « إن الذين سبقتم لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون » . فثبت أن الجميع من أهل الجنة ، وأنه لا يدخل أحد منهم النار ؛ لأنهم المخاطبون بالآية السابعة .

التوريث في الاسلام

ميراث المرأة

إن من الحق والإنصاف أن تقرر أن التشريع الإسلامي، في كل ناحية من نواحيه ينبوع الحكمة ومصدر العدالة والحفيظ على الأواصر الاجتماعية ومقومات الأسر والشعوب .

ومن تشريعات الإسلام الحكيمة ، تشريع التوريث الذي بنى على نظام دقيق في ترتيب طبقات الوارثين ، وتقدير نصيب كل وارث ، وحجب بعضهم حجب حرمان ، وبعضهم حجب نقصان بسبب لكل منهما ، ورعاية القوة والضعف في القرابة ورعاية جانب المصاهرة بتوريث الزوجة وتقدير نصيبها الملائم لوجود أولاد معها وعدم وجودهم ، وكذلك الزوج ، إلى غير ذلك مما سندكر بعض أمثلة منه فيما يأتي ، وكل هذا يدل على أن تشريع التوريث في الإسلام من ينابيع الحكمة ، وقد شرعه الله بنظام يكفل ربط الأسرة برباط وثيق ، ويجعل كل فرد من أفرادها راضياً بعدالة القسمة بينه وبين سائر الأفراد مقتنعاً بأن التوريث الإسلامي قد أعطى كل ذي حق حقه .

ومن عدالة التوريث في الإسلام نظامه الحكيم في توريث المرأة ، فلم يحرمها كما كان يحرمها العرب وغيرهم من كثير من الأمم ، ولم يعطها فوق ما ينبغي لها ويتلاءم وحالها كما فعل القانون الروماني الحديث والقانون الفرنسي ، وكما يطالب بذلك بعض أنصاف المتعلمين الذين يطلبون لها المساواة بالرجل في الميراث ، ومع ذلك يدعون الإسلام والإسلام بريء منهم ، وكأن هذا في نظرهم بعض الحقوق السياسية التي طالبت المرأة بمساواة الرجل فيها ، إذ لم يوجد كما لن يوجد على ظهر الأرض مسلم يمارى في أن الله قد بين بياناً شافياً واضحاً بالنص الذي لا يحتمل التأويل نصيب المرأة والرجل في الميراث ، للذكر مثل حظ الأنثيين ، وأن هذا الحكم معلوم من الدين بالضرورة ، فكل من يطالب بمساواة المرأة بالرجل في الميراث خارج عن الإسلام كافر بإجماع المسلمين ، لا يشذ عن ذلك مسلم فضلاً عن إمام مجتهد ، وليبان عدالة التشريع الإسلامي في توريث المرأة نذكر ما عليه التوريث عند غير المسلمين من العرب وغيرهم .

كان الميراث عند الأمم الشرقية القديمة منظوراً فيه إلى إقامة دعاة الأسرة فحسب بعد موت رئيسها ، ولهذا اشترطوا فيمن يخلف الميت في أسرته ألا يكون من النساء والأطفال ، فيخلف الميت ابنه البكر إن كان بالغاً ، فإن لم يوجد فأرشد الذكور من الأولاد ، فإن لم يوجد فأرشد الإخوة ، ثم الأرشد من أبنائهم ، ثم الأعمام هكذا ، ثم الأصهار ، ثم الأرشد من العشيرة ، ويكون له بعد رئيس الأسرة مطلق التصرف في شئونها ، وكانت الوصية عندهم نادرة ولا تصح إلا عند عدم وجود ذكر رشيد في الأسرة ، وإنما كان اهتمامهم بالأسرة لأنهم كانوا أهل حل وترحال ، فدعاهم ذلك إلى التشدد فيمن يخلف الميت في أسرته ليسكون لكل أسرة رئيس مطلق التصرف فيها .

وعند قدماء اليونان والرومان الإرث مبني على الوصية ولكل شخص الحق في اختيار الوصى الذي يخلفه ولو كان أجنبياً وللوصى حق التصرف في مال الأسرة وفي أفرادها كيف شاء ، فله أن يزوج من أراد ويمنع من الزواج من أراد ، ولأب أن يؤثر في وصيته بعض أبنائه على بعض ولكن ليس له أن يحرم بعضهم من الميراث بالكلية ، وإذا لم يكن للميت وصية لبعض الأبناء تساوى جميع الأبناء في الميراث ، وإذا لم يكن للرجل أبناء كان له أن يوصى بماله لمن يشاء فإن مات بلا وصية كان الميراث لإخوته ثم أبنائهم ثم الأعمام هكذا ثم الأخوال .

وليس عندهم للرأه حق في الميراث ، ولا خلاف بين قدماء اليونان والرومان إلا في أن الوصية عند قدماء الرومان لا تصح إلا إذا وافقت عليها القبيلة ، فإن لم توافق عليها عينت من يصلح لذلك ، أما قدماء اليونان فيرون رفع الأمر للحاكم وتصح الوصية بعد صدور الحكم بصحتها ، ولكل شخص حق الطعن في هذا الحكم إذا ظهر أن بالوصية ضرراً بمصلحة الأسرة أو الوطن ، كذلك كان عند قدماء الرومان أن حقوق الوصية تنتقل إلى الوصى من حين الوصية ، ولا يكون لرب الأسرة الحق في معارضته في تصرفاته ، ولا تنتقل حقوق الوصية للوصى عند قدماء اليونان إلا بعد موت الموصى .

واستمر هذا إلى أن تغير القانون الروماني قبيل الإسلام ، فجعل سبب الإرث القرابة فيحصر الميراث في فروع الميت فيرثه أولاده ذكورا وإناثا بالتساوى ، ثم أصوله ويشاركون الإخوة الأشقاء ، وبه سمى الميراث بينهم نصفين ويتساوى الذكور والإناث في الأنصبة ، ثم

الإخوة لأب ثم الإخوة لأم ثم الأقرب فالأقرب لليت بالتساوي بين الذكر والأنثى، وليس للزوجة حق في ميراث زوجها لانحصار سبب الإرث في القرابة .

وقد أخذ القانون الفرنسى عن القانون الرومانى نظام الموارث في الجملة ويرجع نظام التوريث في القانون الفرنسى إلى ما يأتى :

الورثة على ثلاث درجات : فالأولى : الأولاد من النكاح الصحيح والأقارب ويطلق على هذه الدرجة الورثة الشرعيون ، والثانية : الأولاد من النكاح الفاسد والزنا (الأولاد غير الشرعيين) والثالثة : الزوج والزوجة ، ولا يرث أحد من الدرجة الثانية إلا عند فقد جميع أفراد الدرجة الأولى كذلك لا يرث أحد من الدرجة الثالثة إلا عند فقد جميع الدرجتين الأولى والثانية ، أما الأصول فالأب والأم لا يرثان إلا عند فقد الفروع ، وأما الأصول غير الأب والأم فلا يرثون إلا عند فقد الفروع والحواشى .

ولا ترث الزوجة ولا يرث الزوج والأولاد غير الشرعيين إلا بعد رفع الأمر إلى القضاء وصدور الحكم بتوريثهم .

وعند اليهود يرث الميت ولده الذكر فإن تعدد الذكور من الأولاد كان للبكر نصيب اثنين منهم .

وليس للبنات نصيب في الميراث إذا وجد معها الابن أو ابن الابن ، ولكن لها النفقة والترية حتى تبلغ سن الثانية عشرة ، فإن لم يكن للميت ابن ولا ابن ابن ورثت البنات ثم أولادها وإذا لم يكن له حفدة فميراثه لأولاد حفدته الذكور ثم الإناث وهكذا ... ، وإذا لم يكن له أولاد ولا حفدة ولا فروع من الحفدة ورثه أبوه ثم أصول أبيه وإذا لم يكن له أصول من أبيه ورثه الأقارب من الحواشى الأقرب فالأقرب إلى الدرجة الخامسة مع تساوى أنصبة جميع الوارثين ما عدا الابن البكر كما قدمنا فإنه يأخذ نصيب اثنين عند تعدد الأولاد الذكور .

ولا ترث الزوجة شيئاً من زوجها ، ويجب على الأخ إذا توفى أخوه وليس له ابن أن يتزوج امرأته وولده البكر منها يحمل اسم أخيه ويرثه .

وعند العرب في الجاهلية الميراث حق للرجال الذين يركبون الخيل ويتمثلون الأعداء وليس للضعيف من النساء والأطفال حق في الميراث ولا فرق في النساء بين البنات والأمهات

والأخوات والزوجات وغيرهن فكلهن محرومات من الميراث ، بل لقد كان للأخ أن يرث مع مال أخيه زوجته إن أراد ، فيرث الميت ابنه الأكبر إن كان بالغاً فإن لم يوجد له ابن كذلك فأخوه ثم ابن عمه ، وبقي ذلك إلى بدء عهد الإسلام حتى بعد الهجرة ثم أنزل الله تشريع الميراث فأبطل ما كان عليه الجاهلية .

عن ابن عباس قال كان أهل الجاهلية لا يورثون البنات ولا الذكور الصغار فمات رجل من الأنصار يقال له أوس بن ثابت وترك ابنتين وابناً صغيراً فجاء أبنا عمه خالد وعرفطة وهما عصبتاه فأخذتا ميراثه كله فأتت امرأته رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فتمال ما أدري ما أقول فنزلت « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، للنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون » .

وعن عكرمة قال : نزلت في أم كلثمة وابنتها كحة ، وثعلبة وأوس ابنا سويد وهم من الأنصار كان أحدهما زوجها والآخر عم ولدها ، فقالت يا رسول الله توفي زوجي وتركني وابنة ، فلم نورث فتمال عم ولدها يا رسول الله لا تركب فرساً ولا تحمل كلاً ولا تنكي عدواً نكسب عليها ولا تسكسب ، فنزلت الآية .

ثم نزلت الآيات المبينة نصيب كل وارث فقد روى أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم (عن جابر بن عبد الله قال جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما معك في أحد شهيدا ، وإن عمهما أخذ ما لمهما فلم يدع لهما مالا ، ولا تنكحان إلا ولهما مال فتمال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى الله في ذلك فنزلت آية الميراث (يوصيكم الله في أولادكم) الآية فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمهما فقال اعطى ابنتي سعد الثلثين وأمهما الثمن وما بقي فهو لك) .

قال العلماء وهذه أول تركة قسمت في الإسلام ، أى على نظام التوريث الإسلامى .

وقد ظهر مما تقدم أن قدماء اليونان والرومان يعتمدون في التوريث على الوصية وأن لكل شخص الحق في اختيار الوصى ولو كان أجنبياً ، كما ظهر أن أكثر الأمم حتى الذين يقولون بالتوريث بدون الوصية وبينون الميراث على القرابة يحرمون الإناث من الميراث

وأن البعض الذى يورثهن يحرم الزوجات من الميراث فى أزواجهن ، وعلى الجملة ظهر أن العدالة فى الميراث كانت مفقودة حتى فى التشريعات الحديثة .

جاء الإسلام وحال المرأة فى الميراث بين إفراط فى حرمانها من الميراث بالسكينة وتفريط بالمساواة بينها وبين الرجل فأبطل كل ذلك معلناً نصه الصريح « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً » ، وبين بياناً مفصلاً وافياً الأنصبة لجميع الورثة بقوله « يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين » ، آيات فكان تقسيمه عادلاً قضى على طرفى الإفراط والتفريط وأن كل من نظر إلى هذا التقسيم مجرداً عن العاطفة والغاية لايسعه إلا الإقرار بعدالته والاعتناع بجعله نصيب المرأة على النصف من نصيب الرجل ؛ فإن ذلك أمر تدفع إليه شئون الحياة ونظمها القضائية بأن يكون الرجل رب الأسرة والقائم بشئونها وتحصيل جميع مطالبها ، فى معاشها وتربية جميع أفرادها لافرق بين ذكورهم وإناثهم ، وهو أيضاً القائم بشئون الزوجية والمطالب بتقديم كل ماتحتاج إليه الزوجة فى الصحة والمرض فى المعسر والميسر ، على الموسر قدره وعلى المقتر قدره ، وعلى الجملة فالرجل هو المكلف بأن يكد ويكدح ليوذى لكل واحد من أفراد الأسرة حتى الزوجة ما يحتاج إليه وليست زوجته مطالبة حتى بالإفناق على نفسها ، فهل من العدل والإنصاف أن تتساوى المرأة مع الرجل فى الميراث بعد كل ذلك ، لاشك أن هذه المساواة إفراط ومجاوزه للحد فى مقابلة التفريط الذى كان عند كثير من الأمم بحرمان المرأة من الميراث بالسكينة .

أجل إن تشريع التوريث فى الإسلام قضى على ظلم الظالمين الذين حرموها من الميراث ولم يعطوها منه شيئاً ، وقدر لها نصيباً عادلاً يتلادم مع حالها بالنسبة للرجل ولا يجاوز ما تقتضيه شئون الحياة فلم يطغ على حق الرجل كما لم ينقص مما تستحق المرأة شيئاً ذلك تقدير الحكيم العليم .

وإلى القارىء بعض أمثلة للمقارنة بين التوريث فى الإسلام والتوريث عند غير المسلمين حتى يتبين الرشد من الغي .

١ - مات رجل وترك زوجة - وابناً صغيراً - وبناتاً - وأماً - وأخاً .

فالحكم عند العرب في الجاهلية وعند الأمم الشرقية القديمة الميراث كله للأخ وليس للإناث ولا للابن الصغير شيء . وعند قدماء اليونان والرومان يعمل بالوصية إن وجدت مع ملاحظة عدم حرمان الوصية للابن بالكلية ، وعند عدم الوصية الميراث كله للابن وليس للإناث شيء كما ليس للأخ شيء .

وعند اليهود الميراث كله للابن وليس للبنت ولا للأم شيء كما ليس للزوجة شيء وكذا الأخ ليس له شيء وعلى القانون الفرنسى الميراث كله للابن والبنت بالسوية وليس للأم شيء كما ليس للزوجة ولا للأخ شيء . وعلى التوريت الإسلامى للزوجة الثمن وللأم السدس والباقي للابن والبنت للذكر مثل حظ الأنثيين وليس للأخ شيء لوجود الابن .

٢ - رجل مات وترك بنتاً - وابن ابن - وزوجة - وأباً .

الحكم عند اليهود والعرب في الجاهلية الميراث كله لابن الابن ولا شيء للبنت ولا للزوجة والأب وعند قدماء اليونان والرومان يعمل بالوصية وعند عدم الوصية للترك لابن الابن . وعلى القانون الفرنسى للترك كلها للبنت ولا شيء لابن الابن والأب ولا للزوجة .

وعلى التشريع الإسلامى للزوجة الثمن وللبنات النصف وللأب السدس والباقي لابن الابن .

٣ - مات رجل وترك زوجة - وبنتاً - وأختاً شقيقة - وعماً .

الحكم عند العرب في الجاهلية للترك كلها للعم ولا شيء للإناث . وعند قدماء اليونان والرومان إن كانت وصية اتبعت وإن لم توجد وصية فالترك للعم . وعند اليهود وعلى القانون الفرنسى للترك كلها للبنت .

وعلى التشريع الإسلامى للزوجة الثمن وللبنات النصف وللأخت الباقي ولا شيء للعم .

ألا ترى معى العدل والنور يلوحان من خلال التقسيم الإسلامى في هذه الأمثلة لعمري إن تشريع الميراث في الإسلام لمن أكبر الأدلة على صدق محمد بن عبد الله وصحة رسالته ؛ إذ جاء إلى الناس بهذا التشريع فملاً الكون نوراً وهدى وأعطى كل ذى حق حقه والناس حينئذ مايزالون في غياهب الجهل بالمواريث حتى ذوو العلم والعرفان بالقانون ، جاء محمد بهذا التشريع على هذا النظام الدقيق ، وهو الذى نشأ وعاش ولازم هؤلاء العرب في جاهلية جهلاء تحرم الإناث ومن لم يبلغ مبلغ الرجال من الذكور من أن ينال شيئاً من الميراث ، فكان هذا

التشريع العجيب الدقيق الحكيم على لسان النبي الأمي الذي نشأ هذه النشأة دليلاً على أنه رسول رب العالمين إلى الناس أجمعين .

وقد بدأ الله عز وجل الآيات التي بين فيها أنصبة الوارثين بقوله « يوصيكم الله في أولادكم » وختمها بقوله : « وصية من الله والله عليم خليم » للإشارة إلى أن هذا التشريع يحبه الله ويريد منكم أن تسارعوا إلى تنفيذه والعمل به كما يحرص الموصي ويريد أن يسارع الوصي إلى تنفيذ وصيته وصرح الحكيم العليم أثناء بيان الموارث بأننا عاجزون عن السر الحقيقي الذي عليه يكون تقدير أنصبة الورثة ، ولكن الله العليم بخفيات الأمور هو الذي قدرها وفرض عليكم الأخذ بها إذ يقول : « آباؤكم وأبنائكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله كان عليماً حكيماً » .

عاج الله ما كان عليه أهل الجاهلية من حرمان الإناث وصغار الذكور بما تقدم وبما أشار إليه ذلك النص « للذكر مثل حظ الأنثيين » حيث جعل نصيب الأنثى هو الأصل وحمل عليه نصيب الذكر فكأن نصيب الأنثى مقرر مفروغ منه ، وأن للذكر ضعفه وإلا لقال للأنثى نصف حظ الذكر ، وذلك كله كما قلنا علاج لحالة الجاهلية المستولية على قلوبهم المتأصلة فيها ، الدافعة إلى حرمان إناثهم وختم آيات الميراث بعد ذلك بقوله : « تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ، ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين » . لعل الناس يتدبرون ويحذرون فيسارعوا إلى امتثال الأمر وتنفيذ الوصية ليفوزوا بالنعيم المقيم وينجوا من العذاب ، الألم .

هذه العناية الفائقة من العليم الحكيم بهذا التشريع العظيم ليجتز من القلوب مبدأ الجاهلية ، ولكن مع الأسف الشديد لا يزال كثير من الناس مطموسى القلوب بمبدأ الجاهلية ، ولا يزال كثير منهم ينشد ما أنشدوا :

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأبعد

فتغلب عليهم عاطفتهم فيحتالون لحرمان الإناث من الميراث بعد أن قرر الله حقهن فيه وقدره ، فيعطون أبنائهم ما يشاءون من أموالهم ، إما بالهبة وإما بالبيع الصوري ،

زاعمين أن لهم في حياتهم حق التصرف المطلق في ملكهم والله يعلم أنهم لكاذبون ، فإن الله إنما جعل لكل مالك حق التصرف فيما يملك في حدود الدين ، وتحت سلطان الشريعة الإسلامية ، والذين لا يقر هذا التصرف ولا يديحه ، وإلا لكان هازلاً ، أو كان كمن أعطى باليمين وسلب باليسار ، وليمان أن الله لا يحل هذا التصرف ، نورد ما ورد من السنة النبوية فيه .

روى البخارى (عن عامر قال سمعت النعمان بن بشير رضى الله عنهما وهو على المنبر يقول أعطاني أبي عطية فقالت عمرة بنت رواحة لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية ، فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله ، قال أعطيت سائر ولدك مثل هذا ؟ قال : لا ، قال فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم ، قال فرجع فرد عطيته) .

وروى مسلم (عن الشعبي حدثني النعمان بن بشير أن أمه بنت رواحة سألت أباه بعض الموهبة من ماله لابنها فالتوى بها سنة ، ثم بدا له فقالت لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال يا رسول الله إن أم هذا بنت رواحة أعجبها أن أشهدك على الذي وهبت لابنها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بشير ألك ولد سوى هذا ؟ قال نعم ، فقال : أكلهم وهبت له مثل هذا ؟ قال : لا ، قال : فلا تشهدني إذا فإني لا أشهد على جور) .

وهذه الحادثة تله رويت عدة روايات ، وكلها تدل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقر بشيراً على هذا التصرف ، بل ورد في بعض الروايات أنه غضب و صار يكرر قوله لبشير اذهب فأشهد على هذا غيري ، ثم ختم كلامه بقوله : فإني لا أشهد على جور . فهذا التصرف لم يحله أحد من العلماء ، بل حرمه أكثرهم وكرهه بعضهم ، ولكن الحديث صريح في الحرمة ، حيث قال الرسول : فإني لا أشهد على جور ، فقضى على أنه جور وظلم وهو حرام ، ولذلك رجع بشير في عطيته لابنه النعمان ، وورد في بعض الروايات ما يفيد أن ذلك التصرف يكون سبباً في عقوق الأبناء ، فلا شك إذاً في حرمة لأنه يثير الفتنة بين الأولاد ، ويملاً قلوبهم حقداً على بعضهم البعض ، كما يملؤها حقدًا على الوالد الجائر ، وكثيراً ما سمعنا عن الآثار السيئة لهذا التصرف ، ولا فرق في التمييز بالعطاء بين الذكر والأنثى ، فإن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لبشير ألك ولد يشملهما لأن الولد يشمل الابن والبنت . وكذلك قوله : (أعطيت سائر ولدك مثل هذا ؟) لفظ الولد يشمل الذكر والأنثى ، فلا يجوز التفرقة في العطية بين الأولاد ذكورهم وإناثهم .

فليت الذين يرفعون الصوت مطالبين بالتسوية بين الذكر والأنثى في الميراث وقفوا معهن بالتأييد عند حدود الشريعة الإسلامية وحافظوا على إيتائهن حقوقهن كاملة ، وعملوا على منع هذا التصرف الذى هو فى الحقيقة والواقع احتيال لإبطال ما شرعه الله ، وظلم لحرمان الإناث من حقوقهن فى الميراث وقد أعطاهن الله .

ألا إني أقترح أن تصدر الحكومة تشريعاً يمنع الآباء والأمهات من الهبة أو البيع الصورى فى حال الحياة للأبناء مع وجود أخوات لهم ؛ فإن ذلك فى الحقيقة كما قدمنا تحايل لمنع الإناث من الميراث ، وإني لكفيل بأن نساءنا سيرضين بهذا ، بل سيفرحن بما آتاهن العلم الحكيم فى المواريث « ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين . » ؟

عبد الرحمن عيسى

مدير المجلة

حفظ أبي هريرة

كانت موهبة الله لأبي هريرة فى الحفظ نعمة من نعم الله على الإسلام ، لحفظ من أحكامه وسننه ما كان يحتمل أن يضيع لولا ذلك . قال البخارى : روى عن أبي هريرة نحو الثمانمائة من أهل العلم ، وكان أحفظ من روى الحديث فى عصره . وقال الربيع قال الشافعى : أبو هريرة أحفظ من روى الحديث فى دهره . وقال أبو الزعزعة كاتب مروان وهو أمير المدينة : أرسل مروان إلى أبي هريرة فجعل يحدثه ، وكان أجلسنى خلف السرير أكتب ما يحدث به . حتى إذا كان فى رأس الحول أرسل إليه فسأله ، وأمرنى أنظر ، فما غير حرفاً عن حرف . وقال الحاكم صاحب المستدرک على الصحيحين : كان أبو هريرة من أحفظ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزهمهم له صحبة على شبع بطنه ، فكانت يده مع يده ، يدور معه حيث دار إلى أن مات ، ولذلك كثر حديثه : وأخرج البخارى فى صحيحه من طريق سعيد المقبرى عن أبي هريرة أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم : من أسعد الناس بشفاعتك ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد ظننت أن لا يسألنى عن هذا أحد أولى منك ، لما رأيت من حرصك على الحديث » وحسب أبي هريرة هذه الشهادة النبوية له الثابتة فى صحيح البخارى ، ومن يسوؤه ذلك فليمت بغیظه .

نقد كتاب

أضواء على السنة المحمدية

— ٥ —

فى ص ٨١ ، ٨٢ نقل المؤلف بالهامش كلاما عن دائرة المعارف الإسلامية فى وضع الأحاديث جاء فى آخره « وعلى هذا لا يمكن أن نعد للكثرة من الأحاديث وصفا تاريخيا صحيحا لسنة النبى ، بل هى على عكس ذلك تمثل آراء اعتنقها بعض أصحاب النفوذ فى القرون الأولى بعد وفاة محمد صلى الله عليه وسلم ونسبت إليه عند ذلك فقط . ومعنى ذلك أن أكثر الأحاديث من آثار الوضع وقد مر على هذا الكلام دون أن يعلق عليه بكلمة ومعنى هذا أنه يرتضيه بل ما ذكره فى كتابه هو ترديد لهذا المعنى .

وإنى لأقول : إن هذا القول فيه إسراف وشطط فى الحكم فليست الكثرة من الأحاديث من آثار التطور فى الإسلام وأنها لا تمثل الواقع فى نسبتها إلى النبى صلوات الله وسلامه كما زعم كاتب هذه المادة فى دائرة المعارف الإسلامية ، بل الكثرة من الأحاديث المدونة ثابتة بطرق الإثبات الموثوق بها ، ومتنامة عن النبى . وقد احتاط أئمة الحديث عند جمعه غاية الاحتياط ، وعنوا بنقد السند والمتن عناية فائقة ، كما وضحت ذلك فيما سبق بما لا يدع مجالا للشك فى هذا ، وميزوا المقبول من المردود ، وكان لهم إلى جانب ما وضعوا من أصول وقواعد لنقد المرويات ملكة خاصة يميزون بها بين الغث والسمين ، ونحن لا نتذكر ما كان للخلافات السياسية والمذهبية والكلامية من أثر فى وضع الأحاديث ، ولكن الذى نذكره غاية الإنكار أن تكون الكثرة من الأحاديث المدونة من آثار الوضع والاختلاق .

* * *

وفى ص (٩١) ذكر فصلا عنوانه « معاوية والشام » ذكر فيه ما وضع فى فضائل معاوية رضى الله تعالى عنه وبلاد الشام ، وذكر فى حق هذا الصحابى الجليل أنه من الطلقاء ومن المؤلفة قلوبهم ، وقد غاب عنه أن الكاتبين فى تاريخ الصحابة ذكروا عن الواقدي

وابن سعد أنه أسلم بعد الحديبية قبل الفتح وأنه أخفى إسلامه مخافة أهله [١] وأنه كان في عمرة القضاء مسلماً ، وإذ كان هو وأبوه من المؤلفة قلوبهم في رأى البعض ففي رأى الكثيرين أنه ليس من المؤلفة قلوبهم . قال أبو عمر بن عبد البر : معاوية وأبوه من المؤلفة قلوبهم ذكره في ذلك بعضهم ، وهو يشعر بأن الكثيرين لا يريدون هذا الرأى ولذا نجد الحافظ المحقق ابن حجر لم يذكر في ترجمته شيئاً من هذا وإنما ذكر في ترجمة أبيه أنه من المؤلفة قلوبهم ، ومهما يكن من شيء فقد أسلم وحسن إسلامه وكان أحد كتبة الوحي بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وكان له جهاد مشكور في نشر دعوة الإسلام ، وتوسيع فتوحاته . ولم تعرف عنه دخلة في إيمانه ولا ريبة في إخلاصه لإسلامه .

ونحن لانشك أنه وضع في فضائله أحاديث كثيرة وكيف وقد أحصى الأئمة كل ذلك ، ولكننا نجله عن أن يكون له دخل فيما وضع في فضائله وفضائل الشام بل وعن الرضا به ، ولئن قال الإمام اسحق بن راهويه : إنه لم يصح في فضائل معاوية شيء : فقد ذكر له الإمام الكبير البخارى بعض فضائله ، ولا يضيره كون الإمام البخارى أثر التعبير في حقه بلفظ « باب ذكر معاوية رضى الله عنه » ولم يتل « باب فضل معاوية » كما صنع في غالب الأبواب فقد صنع مثل هذا في فضل العباس وابنه عبد الله رضى الله عنهما [٢] كما لا يضيره أن البخارى رحمه الله لم يخرج حديثاً مرفوعاً على شرطه في فضله وأنه خرج في صحيحه حديثين موقوفين عن ابن عباس رضى الله عنهما أحدهما يثبت الصحبة ، والثاني الفقه في الدين ، وبحسب معاوية فضلاً عند المنصفين أن يكون صحابياً وفقهياً ، ثم إن عام ثبوت حديث في فضائله مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم على شرط البخارى لا ينفي ثبوت أحاديث في فضائله خرجها غير البخارى من أصحاب الكتب المعتمدة . وقد ذكر المؤلف نفسه حديثين مرفوعين في فضائله رواهما الترمذى وهما من أصح ما ورد في فضائله ، وقد عرض لما ورد في فضائله الحافظ الناقد ابن كثير في « البداية والنهاية » [٣] وبين الموضوع من غيره ثم قال : « ساق ابن عساكر أحاديث كثيرة موضوعة بلا شك في فضل معاوية أضربنا عنها صفحاً واكتفينا بما أوردنا من الأحاديث الصحاح والحسان والمستحادات عما سـواها من الموضوعات والمنسكرات »

(١) الاستيعاب ج ٣ ص ٣٩٥ على هامش الإصابة ، والإصابة ج ٣ ص ٤٣٣ ، وفتح البارى ج ٦ ص ٨٢

(٢) فتح البارى ج ٦ ص ٦٢ ، ٨٠ . (٣) ج ٨ ص ١٢٠ وما بعدها .

وإذا فليس من الإنصاف في البحث أن نجعل كل ما ورد في فضائله موضوعا وأن نجرده من كل خصيصة وفضل .

وأیضا فإننا لا ننكر ما وضع في فضل الشام وغيرها من البلاد المشهورة ، وكذلك لا ننكر أن أحاديث الأبدال التي عرض لها مدسوسة على النبي صلى الله عليه وسلم كما نبه على ذلك نقاد الحديث وجهابذته ، وإن كان البعض قد أثبت بعضها ، ولكن الذي ننكره البتة أن يكون معاوية رضى الله عنه هو الذي أوحى بهذا الاختلاق ، وأن يكون له ضلع فيه وإليك غمزه ولمزه في ص (٩٤) قال : وما كاد معاوية يذكر - يعنى في خطبته التي خطبها لما عاد من العراق إلى الشام بعد بيعته الحسن سنة ٤١ هـ - أن الشام هي أرض الأبدال حتى ظهرت أحاديث مرفوعة عن هؤلاء الأبدال ثم ذكرها : وما يلتم المؤلف حجرا وينفي الظنة والتهمة عن معاوية رضى الله عنه ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية من أن لفظ الأبدال لم يرد إلا في حديث شامى منقطع الإسناد عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : إن الأشبه أنه ليس من كلام النبي ، ومن العجيب حتما أن المؤلف نقل كلام ابن تيمية ضمن كلام نقله عن السيد رشيد رضا رحمه الله في تزييف أحاديث الأبدال من ص ٩٥ - ٩٩ فلو أن هذا الحديث كان مرويا عن معاوية لقلنا معه : لعل وعسى : ولكن الأمر كما ترى ، وقد حاول السيد رشيد أن يبين أن الحديث المروى عن علي رضى الله تعالى عنه على فرض ثبوته ليس المراد به الأبدال بالمعنى المعروف عند الصوفية ، ولكن المحرفين والمتزلفين هم الذين حملوه على هذا ، ومن أعجب العجب أيضا أن المؤلف ينقل نقولا يستجودها ، وهي في الواقع ونفس الأمر ترد ما يعتنقه ويهواه من آراء مبتدرة ، وقد فعل ذلك في مواضع كثيرة من كتابه .

وقصارى القول أن أئمة الحديث وصيارفته قتلوا المرويات بحثاً وأفنوا أعمارهم فيها ، ولم يدعوا رواية في الفضائل وغير الفضائل إلا وبينوا مكانها من الصحة أو الحسن أو الضعف والاختلاق وبحسبك أن تستعرض الكتب التي ألفت في الأحاديث الموضوعية وستبين صدق ما أقول ، فهم لم يقصروا في خدمة السنة وتزييف الزائف منها ، ولكن المتأخرين هم الذين قصرت بهم ألهم عن العلم بما دون فمن ثم وقعوا في كثير من الأخطاء والأغلاط قال في ص ١٠١ أن وضاع الحديث وضعوا أحاديث تسوغ لهم ما يضعون ثم قال : وأورد ابن حزم في الأحكام عن أبي هريرة مرفوعا قال : إذا حدثتم عنى بحديث يوافق الحق نخذوا به حدث به أولم أحدث ، وعنه أيضا ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما بلغكم عنى من قول

حسن لم أقله فأنا قلته ، ونحن لا نشك - ولا أى عاقل - فى أن هذين الحديثين وما على شاكلتهما - تناقضا وتهاوتا - موضوعان ، وأن نظرة فاحصة إلى المتن لتدلنا أن هذا لا يصدر عن معصوم فضلا عن عاقل فكيف يتأتى من أعقل العقلاء أن ما لم يقله ما دام حسنا فقد قاله ؟ !!! بل كيف يأمر بالأخذ بحديث حدث به أو لم يحدث ؟ إن هذا لعجب عجاب !

ولو أن المؤلف اقتصر على ذكر الحديثين الموضوعين فى الاستدلال لما قال ، لما كان لنا عليه أية مؤاخذة ولا استقام كلامه ، ولكن الذى أوأخذ عليه أن يأتى فى الهامش بعد ذكر الحديثين فيقول ما نصه : يشبه هذين الحديثين حديث رواه أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا سمعتم الحديث عنى تعرفه قلوبكم وتلين له أبشاركم ، وترون أنه منكم قريب فأنا أولاكم به ، وإذا سمعتم الحديث عنى تنكرد قلوبكم وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم بعيد ، فأنا أبعدكم منه » قال السيد رشيد إن إسناده جيد .

فإذا كان السيد رشيد رحمه الله الذى يعول عليه فى كثير من نقوله ويعتبره من العلماء المحدين . قال : إن إسناده جيد . فكيف سوغت له نفسه أن يلحقه بهذين الحديثين اللذين لا شك فى وضعهما ونكارتهما كما قال حفاظ الحديث ونقادهم ، والعجيب أن المؤلف يعتمد على كلام السيد محمد رشيد رضا فى كثير مما ينقل ويأخذ قضية مسلبة أما هنا فقد خالفه ولم يأخذ بكلامه وصدف عن الحق إلى الباطل ، والذى يظهر لى أن المؤلف رجل هوى ومزاج فما وافق هواه أخذ به أو أخذ منه ، وما لم يوافق هواه طرحه دبر أذنيه ، ولعل السيد رشيد رحمه الله اعتمد فى الحكم على الحديث بالجودة على ما قاله الحفاظ ابن كثير فى تفسيره (١) عقب ذكره : رواه أحمد بإسناد جيد ، ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب ، والحق أن لا شبه بين الحديثين وهذا الحديث لا فى الثبوت ولا فى المعنى فدانك موضوعان وهذا حسن ، وهذا الحديث الذى رواه الإمام أحمد قريب فى المعنى من حديث « استفت قلبك ، وإن أفتاك الناس وأنتوك » فهو يشير إلى الاطمئنان القلبى أو عدم الاطمئنان عند سماع حديث من الأحاديث ، وهذا الوجدان القلبى إنما يحصل للبسم الذى عمر قلبه بالإيمان واستضاء بهدى الشريعة ، ومعرفة قواعدها ، والذى يزاول السنة ، ويتعاهدها قراءة ودرسا

وفهماً حتى تصير عنده ملكة يميز بها بين ما يكون من كلام النبي وما ليس كلامه وإلى هذه الملكة أشار الربيع بن خثيم حيث قال « إن للحديث ضوءاً كضوء النهار تعرفه وظلمته كظلمة الليل تنكره » وقال ابن الجوزي « الحديث المنسكح يتشعر له جلد الطالب للعلم وينفر منه قلبه في الغالب » وهكذا يتبين لنا أن الحديث ثابت رواية وصحيح رواية ومعنى .

وقد ذكر المؤلف من ص ١٠٥ - ١٠٧ عن كتاب « قواعد التحديث » للعلامة القاسمي نقولاً كثيرة عن بعض الأئمة كابن تيمية وابن القيم وابن دقيق العيد وابن عروة الخنبل وكلها تدور حول الحديث عن الوجدان القلبى والملكة التى تحصل عند المحدث ويميز بها بين الصحيح والسقيم ، والمقبول والمردود .

* * *

فى ص ١٠٤ ذكر الوضع بالإدراج ، وجعل المدرج من قبيل الموضوع ، وإطلاق الموضوع على المدرج تساهل نعم إن بعض أئمة الحديث كابن الصلاح اعتبر الإدراج عن طريق الغلط بظن ما ليس بحديث حديثاً - ملحقاً بالوضع وشبهها به ، والأكثر من على عده إدراجاً فحسب ، وكان على المؤلف أن يميز بين الإدراج الذى لا لبس فيه ولا إشكال ولا إيهام ، والإدراج الذى فيه لبس وإيهام أن ما ليس من الحديث هو منه ، فالإدراج الذى يكون لتفسير كلمة غامضة أو توضيح اسم مبهم فى السند ، والإدراج الذى يكون معه من القرائن اللفظية أو الحالية ما يدل على أنه مدرج من كلام الراوى أمره سهل هين ، ولا يخل بعدالة الراوى ، وهو أبعد ما يكون من الوضع ، وأما الإدراج الذى يكون فيه إيهام ولبس وهو الذى لا تصحبه قرائن فهو حرام كله إذا كان متعمداً ، ويخل بعدالة الراوى ، ويلحقه بالكذابين قال السمعاني : « من تعمد الإدراج فهو ساقط العدالة ، ومن يحرف الكلم عن مواضعه ، وهو ملحق بالكذابين » ، وهكذا يتبين لنا جلياً تساهل المؤلف فى عد الإدراج كله وضعاً ، وعلى قاعدة المؤلف يكون كثير من أئمة الحديث الذين يدرجون للتغيير أو توضيح المبهم موصوفين بالوضع ؛ فالزهري لما روى حديث بدء الوحى فى الصحيحين غير كلمة التحدث بالتعبد يكون وضعاً ، وراوى حديث النسائي « أنا زعيم » - والزعيم الحميل - يكون وضعاً وأبو هريرة لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم « للعبد المملوك أجران » ، والذى نفسى بيده

لولا الجهاد في سبيل الله والحج وبر أمي لأحببت أن أموت وأنا مملوك ، وهو في الصحيح يكون قوله « والذي نفسي بيده . . . الخ » من قبيل الوضع ، وهذا المثل الأخير مما يتبين فيه الإدراج بداهة لاستحالة أن يقوله النبي صلى الله عليه وسلم لأن أمه ماتت وهو صغير ، ولأنه يتمتع منه أن يتمنى الرق وهو أفضل الخالق على الإطلاق ، فما ذهب إليه المؤلف لا يقره عليه أي باحث ولا خبير بالفن !! وبحسبنا هذا اليوم وإلى المقال التالي إن شاء الله ؟

محمد محمد أبو شهبه

الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين

الصحابة عدول ، بتعديل الله ورسوله لهم

عقد الخطيب البغدادي فصلاً نفيساً في (الكفاية) ص ٤٦ - ٤٩ عن عدالة الصحابة بتعديل الله لهم ، وثناء رسوله عليهم ، وبعد أن أورد الآيات والأحاديث المستفيضة في ذلك قال : وجميع ذلك ية تضي طهارة الصحابة ، والقطع على تعديلهم ونزاهتهم ، فلا يحتاج أحد منهم - مع تعديل الله لهم ، المطلاع على بواطنهم - إلى تعديل أحد من الخلق له . على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها القطع على عدالتهم ، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين يحيئون من بعدهم إلى أبد الآبدين .

ثم نقل قول الإمام الحافظ أبي ذرعة الرازي : « إذا رأيت الرجل يتنقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق ؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم عندنا حق ، والقرآن حق ، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن ، أصحاب رسول الله ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليطلوا الكتاب والسنة . والجرح بهم أولى ، وهم زنادقة . »

برامج ومنهاج

- ٢ -

حين كان شق المقرض يعمل عمله على هذا النحر في أوساط الناشئة والمتعلمين ، كان الشق الآخر يمارس ذلك العمل نفسه في إعداد معلم اللغة العربية ومعلم الدين . والواقع أن المحاولات المبذولة في أوساط المعلمين أسبق من نظيرتها المبذولة في أوساط النشء والمتعلمين . فمن الممكن إرجاعها إلى إنشاء كلية الآداب ، بل إن من الممكن إرجاعها إلى إنشاء « دار العلوم » . ولقد عرف ذلك حق المعرفة أحد أبناء هذه الدار حين قال (ثم جاء حمزة فتح الله وحفني ناصف والإسكندري والعناني والجارم وضيف من رجال دار العلوم ، فألفوا في الأدب والعلوم العربية مع الاقتباس من منهاج الغرب في نظام التأليف . ويعتبر هؤلاء رجال المرحلة الوسطى التي مهدت لمرحلة الجامعة ورجلها) (١) . ومع ما أعلاه من أن بيان هذا الإجمال شديد الصلة بموضوعنا فإنني أخشى أن يتشعب بنا الحديث ويطول حتى ينسينا مانحن فيه . لذلك أدع تفصيل هذا الإجمال لموضع آخر قد أعود للحديث عنه مع غيره من الخطط والأساليب التي استهدف بها الإنجليز إضعاف (الأزهر) لأنه كان يصبغ التعليم بالصبغة الإسلامية في مصر ، بل في البلاد الإسلامية عامة والعربية خاصة ؛ وذلك بمحاصرته وعزله عن الحياة وسد أبواب الرزق أمام المتخرجين فيه وحصرها في باب واحد هو خدمة المساجد .

فلندع إذن ذلك الحديث الطويل لفرصة أخرى ، ولأكتف هنا بأن أبدأ بكتاب « مستقبل الثقافة في مصر » الذي كتبه طه حسين في أعقاب معاهدة ١٩٣٦ ، والذي أصبح مكانه من كل حركات الهدم التي يسمونها إصلاحاً مثل مكان الدستور من القوانين . ولأكتف من هذا الكتاب في هذا المقام بفقرة واحدة منه هي الفقرة التاسعة والأربعون ، التي أشار فيها إلى لونين من ألوان الدراسة اقترح إنشاءهما في كلية الآداب ، وسعى عند المسؤولين

[١] الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة ص ٥٤٢ . من مقال الأستاذ محمد خلف الله عن « القيم الإسلامية والحياة الأدبية في مصر الحديثة » .

في وضع اقتراحه موضع التنفيذ ، فلم يحالفه النجاح في أيهما . أما أحد المشروعين فهو يدعو إلى إنشاء معهد للأصوات لدراسة اللهجات قديمها وحديثها . وقد عارض وكيل المالية الذي كان ممثلاً للدولة في مجلس الجامعة وقتذاك في منحه ما يحتاج إليه من مال ؛ لأنه لم يستطع - على رواية المؤلف - أن يفهم قيمة هذا المعهد وحاجة المتعلمين إليه . أما المشروع الآخر فقد كان يدعو إلى إنشاء معهد للدراسات الإسلامية يلحق بكلية الآداب . ومهمة هذا المعهد كما تصورها طه حسين هي العناية بالدراسة الإسلامية (على نحو على صحيح) . والمبرر لإنشائه عنده هو أن (كلية الآداب متصلة بالحياة العلمية الأوروبية . وهي تعرف جهود المستشرقين في الدراسات الإسلامية . ومن الحق عليها أن تأخذ بنصيبها في هذه الدراسات لتلائم بين جهود مصر التي ترى لنفسها زعامة البلاد الإسلامية وبين جهود الأمم الأوروبية) .

ومضى على هذين المشروعين الفاشلين زمن طويل حتى كاد الناس ينسون ما كان من أمرهما وأمر صاحبهما . ودارت الأيام دورتها فإذا المشروعان يظهران من جديد ، ينبجج أحدهما في اتخاذ طريقه إلى التنفيذ بإنشاء شعبة في قسم اللغة العربية بجامعة الإسكندرية تدعى (شعبة الدراسات العربية الحديثة) . وهي شعبة لاتزال - لحسن الحظ - حبراً على ورق منذ أنشئت في سنة ١٩٥٥ . وما أغان أن الطريق أمامها ميسر في واقعنا العربي الراهن . أما المشروع الآخر فقد عاد للظهور في صورة اقتراح مقدم من أحد أعضاء لجنة التربية الدينية بوزارة التربية والتعليم . وكما كان صاحب الاقتراحين القديمين شخصاً واحداً هو طه حسين ، فقد كان صاحب الاقتراحين الجديدين شخصاً واحداً أيضاً هو الأستاذ محمد خلف الله . وقد اقترن المشروعان الجديدان بظروف وملابسات تدعو إلى التدبر والتأمل .

بدأت فكرة هذين المشروعين في مؤتمر للثقافة الإسلامية عقد في صيف سنة ١٩٥٣ بدعوة من جامعة برنستون الأمريكية ، ودعى إليه مندوبون من مختلف البلاد الإسلامية بين أندونيسيا شرقاً والمغرب العربي غرباً ، واشترك معهم عدد مساو من الأمريكيين ، بعضهم من رجال وزارة الخارجية وبعضهم من المبشرين الذين يسترون أهدافهم الهدامة تحت اسم البحث العلمي ، وفريق ثالث من موظفي شركات البترول .

أما مشروع (إنشاء قسم أو شعبة للدراسات الإسلامية في كل كلية للآداب بالجامعات

المصرية) (١) فقد بناء صاحبه على أن الركن الأكبر في نجاح التربية الدينية (هو المعلم الذى ينبغى أن يعاد النظر فى تكوينه وإعداده ، وأن يرسم لذلك منهج جديد يحقق له عمق الثقافة وحرية الفكر - ص ١٦٤) . وبناءه كذلك على (أن قيام مصر بنصيبها فى تقدم الإنسانية وفى حل مشكلات الحياة المعاصرة يتطلب من المصريين تعمقا فى دراسة دينهم ، وتبين موقفه من مختلف المذاهب والاتجاهات التى يجيئ بها التطور الاجتماعى والفكرى - ص ١٦٥) . واقترح فيما اقترحه من الدراسات فى هذا القسم دراسة « سيكولوجية الدين » و « التاريخ الدينى والفكرى للبشرية قبل الإسلام » و « ما كان لمصر وعلمائها بين الأمم الإسلامية من آثار عليية خالدة » و « النظم الدينية والأخلاقية المقارنة » .

فالدراسة المقترحة تقوم على أساسين ، أولهما استبعاد الأزهر من القيسام بوظيفة تعليم الدين لأن مناهجه لا تحقق للدارسين فيه (عمق الثقافة وحرية الفكر) ، وثانيهما هو الصبغة المصرية التى تبرز فى الإشارة إلى مهمة مصر القيادية فى حل مشكلات الحياة المعاصرة ومسايرة التطور الاجتماعى وهو تطور غربى بالبداية ، كما تبرز فى إمداد الدارس بما يقوى فيه الاعتزاز بفقه الإسلام وعلمائه من المصريين خاصة ، مما يوجد لونا من الشعوية الإسلامية يشبه الشعوية السياسية .

والصلة واضحة بين هذا المشروع وبين مشروع طه حسين من ناحية ، وبينه وبين ما ألقى فى مؤتمر الثقافة الإسلامية السالف ذكره من ناحية أخرى . فهو قريب الصلة بما جاء فى كلام الإسماعيل الهندى المتجلز آصف على فيضى عن الإسلام الهندى الحديث المتأثر بالمذاهب الغربية ، والذى أنشأت جامعة عليكرة « الكلية المحمدية الإنجليزية » ، لنشره وترويجه

١ | نشر هذا الاقتراح فى مجلة « الأسرة » التى يصدرها قسم اللغة العربية بجامعة الإسكندرية فى العدد ٦ سنة ١٩٥٧ [ص ١٦٥ - ١٦٥] . وفى آخره إشارة إلى أن صاحب هذا الاقتراح قدم معه مذكرة تفسيرية مفصلة عن مواد الدراسة وعدد الدروس فى كل مادة بالنسبة لكل سنة من سنى الدراسة فى هذا القسم . ولم يتيسر لى الاطلاع على هذه المذكرة .

(ص ٨١ - ٨٢ من كتاب « الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة »، نشر فرنسكين ١٩٥٦) كما يذكرنا بما زعمه من أن التصور الأساسي (لا يمكن المحافظة عليه سلباً إلا بإعادة تفسيره وإعادة تقريره في كل عصر وفي كل مرحلة من المدنية) ، وبدعوته إلى الاستفادة من الدراسات الحديثة في علم النفس ومن الفكر الأوروبي والفكر البروتستنتي والتفكير المدرسي المسيحي والتفكير اليهودي (ص ٤١١) . ولعل له صلة مع ذلك كله بمقررات « اللجنة الدائمة للتعاون الإسلامي المسيحي » ، التي شارك صاحب الاقتراح في اجتماعها في بجمدون سنة ١٩٥٤ وفي الإسكندرية سنة ١٩٥٥ . أما ما جاء في المشروع عما سماه صاحبه « سيكولوجية الدين » ، فهو شديد الشبه بكلام القسيس الأمريكي ميلبروز في دعاواه الهدامة التي طالب فيها بوضع (تجربة الدين) و (تجربة النبوة) والمعجزات والصلاة والحياة الآخرة موضع البحث وإخضاعها لقواعد علم النفس الحديث (ص ٤٣ - ٤٩) . وهو من ناحية أخرى استجابة لدعوة القسيس الأمريكي الآخر هارولد سميث الذي قال « إن وجهتي في هذا المقال هي أن أستعرض بعض الاتجاهات الحديثة ، وأن أقترح طرقاً لدراسة النظرية الإسلامية المهمة في الإنسان ... ولا شك أن القيام بهذه الدراسة على وجهها الكامل أمر متروك لعلماء المسلمين أنفسهم - ص ٥٩ . » وغير خاف ما تنطوى عليه (سيكولوجية الدين) من مفاهيم ، أولها وأبرزها أن الدين ظاهرة نفسية ليس لها وجود خارجي حقيقي ، لأن من المعروف أن هذه (السيكلوجيا) ترد كل التصرفات إلى مصدر مجهول في أعماق النفس البشرية يسمونه (العقل الباطن) . ولا أدري ولا يدري أحد أين هو على وجه التحديد ، ولكنه في داخل الإنسان على كل حال وليس خارجه ، ليس وحياً وليس تنزيلاً . يقول المبشر ميلبروز صاحب الاقتراح الأصيل إن (تجربة النبوة) يمكن « أن تلاحظ وتدرس بنفس الطريقة » ، وإلى نفس الدرجة التي يمكن بها ملاحظة التأثيرات الذوقية والوجدانية ودراستها - ص ٤٣ . » ويقول « ويستطيع العالم أن يشير إلى أن التجارب الدينية - منظوراً إليها في ضوء الظواهر السيكلوجية - لا يمكن تمييزها من أوهام الحس - ص ٤٤ . » ويقول « إنه ليس للدين أن يتوقع أن معتقداته ستؤخذ قضايا مسلبة ، على أساس أنها جاءت من طريق الوحي ، وأن وراها سلطة التقاليد القديمة أما العلم فإنه يرى في روح البحث الحر جوهر الحياة . وإذا كان الدين يريد أن يضمن احترام العلماء فعليه أن يظهر استعداداه لعرض قضاياها لضوء

العقل ، غير محتم بسطة لإسطة الحقيقة نفسها - ص ٤٥ ، ١٠ . ولعل ذلك كله هو ما قصد إليه الأستاذ محمد خلف الله في مذكرته من (عمق الثقافة وحرية الفكر) .

تلك هي قصة أحد المشروعات . أما المشروع الآخر فهو متصل بمناهج جديدة للدراسة في قسم اللغة العربية بجامعة الإسكندرية . وهو قسم لا يشتغل المتخرجون فيه بغير تعليم اللغة العربية في بلاد العرب كما هو معروف . فلننظر : هل تعد هذه الدراسة ببرامجها الجديدة للقيام بهذه المهمة ؟ .

تقوم هذه البرامج - كما هو واضح من جداول الدراسة المذكورة في تقويم كلية الآداب بجامعة الإسكندرية للعام الدراسي ١٩٥٥ - ١٩٥٦ ص ٨٥ ، ٨٦ ، ومن المذكرة التفسيرية الخاصة بها ص ٩٥ - ٩٧ - على تفرقة أساسية بين مرحلتين من مراحل الأدب العربي ودراساته . فالمرحلة الأولى تشمل الأدب العربي والدراسات المتصلة به منذ عرفه التاريخ إلى بداية القرن التاسع عشر الميلادي . أما المرحلة الثانية فهي تقتصر على ما يلي ذلك باعتباره مرحلة مستقلة تختلف موادها وأسلوب الدراسة فيها وأهدافها عن المرحلة السابقة . فلننجز يسمى المرحلة الأولى (الدراسات العربية في مرحلتها الكلاسيكية) تارة ، ويسمى (الدراسات العربية القديمة) تارة أخرى (ص ٩٥ من تقويم كلية الآداب السابق ذكره) بينما يعرف المرحلة الثانية ويصفها بقوله : (الآداب العربية في نهضتها الحديثة منذ القرن التاسع عشر ، وما كان للفكر العربي من اتصال وتأثر بالثقافة الغربية) . وقبل أن يبدأ الطالب تخصصه في إحدى هاتين المرحلتين يدرس في سنتيه الأولى والثانية دراسة عامة يعرف فيها (أركان الدراسات العربية في مرحلتها الكلاسيكية) كما تقول المذكرة التفسيرية (ص ٩٥) يخبر بعدها بين متابعة الدراسة في (شعبة الدراسات العربية والشرقية القديمة) أو متابعتها في (شعبة الدراسات العربية الحديثة) . ولأدع الشعبة الأولى ، على ما يشوب دراستها من

(١) الرد على كل هذه الدعاوى سهل يسير . وهو يتلخص في أن العلم البشري لا يصلح لأن يكون فيصلاً إلا في شئون المادة المحسوسة التي يجري عليها تجاربه ، بل في بعض شئون هذه المادة مما تيسر له الكشف عنه . أما ما وراء المادة من الغيب الذي لا يحصيه إلا الله سبحانه وتعالى فالعلم عاجز عن إبداء رأي فيه . وكل ما يقال في التمسكك فيما جاء به الدين ليس إلا ظنونا لا تتجاوز مرتبة [العروض العلمية] . وذلك هو قول الله تبارك وتعالى فيما أنزل على نبيه « وما يتبع أكثرهم إلا ظناً . إن الظن لا يغني من الحق شيئاً » وقوله سبحانه وتعالى : « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله » .

نقص ، وما تنطوى عليه من انحراف تصوره جداول الدراسة الغارقة في مواد أجنبية تغطي على علوم العربية الأصيلة وتضييق عليها المجال ، ويكفي أن أقدم مثالا واحداً لذلك في درس الأدب العربي الذي لا يتجاوز ساعتين كل أسبوع ، بينما يشغل درس اللغة العبرية وآدابها ، أو السريانية وآدابها ثلاث ساعات أسبوعية من وقت الطالب في كل من السنتين الثالثة والرابعة . ومن شاء المزيد من الأمثلة فليرجع إلى المذكرة التفسيرية (ص ٩٦) ليرى ما تتضمنه محاضرات (الدراسات الإسلامية) و (النقد والبلاغة) من مفاهيم منحرفة تبعد الوقت الضئيل المحدد لها في قنصور تبعدها عن طبيعتها الإسلامية والعربية ولا تصل إلى أعماق المادة ولها ، ومن شاء المزيد من الوضوح فليرجع إلى ما بين أيدي الطلاب من مذكرات ليعرف مبلغ ما يحصلونه ونوعه . أقول إنني لا أريد أن يتشعب بي الكلام في هذه الشعبة (القديمة) ، وأريد أن أحصر كلامي في الشعبة الأخرى (الحديثة) لأن البلية بها أكبر ، فهي تسقط من حسابها كل العلوم العربية نحوها وصرفها وبلاغتها ونصوصها الفصحى شعراً ونثراً ، كإن ذلك كله ليس له وجود وليس له آثار وليست لنا به حاجة منذ القرن التاسع عشر الذي حصرت الشعبة دراساتها فيه وفيما يليه ، كما تشير إليه المذكرة التفسيرية ، وأكتفي في هذا الموضع بأن أنبه القارئ إلى ما ذكرته من أمر المناهج التي تريد أن تفصل حاضرتنا ومستقبلنا عن ماضينا ، لأسألف إكمال الصورة التي نحن في صدها بنقل ما جاء في المذكرة التفسيرية عن مواد الدراسة في هذه الشعبة بستينها :

« في السنة الثالثة :

- ١ — تاريخ النهضة العربية الحديثة في القرن التاسع عشر .
- ٢ — الأدب العربي الحديث في مصر والبلاد العربية .
- ٣ — تاريخ النقد الأدبي الحديث ، مع العناية بنواحي الاتصال بينه وبين النقد الأدبي الأوروبي .
- ٤ — التطور اللغوي العربي في العصر الحديث ، مع العناية بمشكلة الفصحى والعامية .
- ٥ — تيارات الفكر الإسلامي وحركات التجديد في العصر الحديث [١] .
- ٦ — المذاهب الكبرى في الآداب الغربية وتأثيرها في الفكر العربي .

[١] ذكرت هذه المادة في جداول دراسة الشعبة الحديثة تحت اسم : « تطور الفكر الإسلامي في العصر الحديث » ، وذلك في مقابل « دراسات إسلامية » في جداول الشعبة القديمة . فنأمل !

«في السنة الرابعة :

١ — الحياة الثقافية والاجتماعية في البلاد العربية وصلاتها بالأدب .

٢ — مدارس الشعر العربي الحديث .

٣ — مدارس القصة .

٤ — فنون الأدب الشعبي .

٥ — اللهجات العربية الحديثة .

٦ — ويقوم الطالب بدراسات لغوية حديثة ، مع العناية بالنحو المقارن والأصوات اللغوية .

هذه هي مواد الدراسة في الشعبة (الحديثة) منقولة عن المذكرة التفسيرية الملحقمة بالجداول حرفا بحرف (ص ٩٧ من تقويم الكلية السابق ذكره) ، وهي تخلو خلوا تاما — كما ترى — من درس واحد في النحو أو الصرف أو البلاغة أو القرآن أو الدراسات الإسلامية أو الأدب العربي السابق على الحملة الفرنسية ، ويترب على هذه الظاهرة الخطيرة أمران خطيران : أولهما عدم صلاحية المخرج في هذه الشعبة لتدريس اللغة العربية التي يجمل نحوها وصرفها وأدبها وبلاغتها . ليس هذا فحسب ، بل إنه سيكون حربا على العربية ومعمل هدم يعمل فيها ؛ لأنه إذا سئل عن شيء مما يجمله غطى جهله بالتهكم بالعربية وقواعدها وأساليبها ، وسيكون من آثار ذلك أن ينشأ جيل من الناس لا يقيم العربية ولا يتذوقها . فإذا نطق ناعق من بعد بأن إعراب أو آخر الكلمات لا داعي له ، وبأن عربية القرون الأولى لغة ميتة لا وجود لها في الحياة ، فسوف يجد هذا الناعق لصوته صدى في عقول ذلك الجيل من الضحايا الذين ألقاهم سوء حظهم بين أيدي هؤلاء المعلمين .

هذه واحدة ، أما الأخرى فهي أن هذه البرامج تهدد الدراسات العربية التي يريد المنهج أن يسميها (كلاسيكية) ، لأن بقاءها يصبح مرهونا بأهواء الشباب ، الذي قد تستهويه هذه البدعة ، فينصرف عن دراسة لغة القرآن ولغة الآباء والأجداد ولغة العرب الجامعة لشتاتهم إلى هذه الدراسات التي تحاول أن تربط حاضرنا ومستقبلنا الأدبي بالغرب في الوقت

الذى تترن فيه تراثنا الأدبي الحى العريق بالآداب السامية الميثة . آداب السريانية والعبرية ، إذ تجعلها جميعا فى شعبة واحدة هى (شعبة الدراسات العربية والشرقية القديمة) .

فإذا تركنا برامج الشعبة (الحديثة) إلى الستين التمهيديتين اللتين يشترك فيهما طلبة الشعبتين ، وتزعم البرامج أنها تزود الطالب فيهما بأركان الدراسات العربية (فى مرحلتها الكلاسيكية) وجدنا أن الدراسات العربية لا تظفر فيهما بأكثر من نصف الوقت المحدد للدراسة ، وهو وقت قصير لا يتجاوز مجموعه أربعة عشر درساً فى الأسبوع ، نصيب الدراسات العربية منه سبعة دروس أسبوعياً فى السنة الأولى وتسعة دروس أسبوعياً فى السنة الثانية . إن بعض هذه الدروس التى ضممتها فى إحصائى إلى الدراسات العربية يمكن إسقاطها من الحساب ؛ لأن مراجعة المذكرة التفسيرية تبين أن ما يدرس فيها ليس من صميم العلوم العربية ، بل هو فى بعض الأحيان بعيد عنها . فبين دروس السنة الأولى السبعة مثلاً ثلاثة دروس باسم (اللغة العربية) تنص المذكرة التفسيرية على أنها دروس عامة يشترك فيها طلبة قسم اللغة العربية مع طلبة الأقسام الأخرى فى دراسة سطحية تلائم غير المتخصصين ، وبين دروس السنة الثانية التسعة ثلاثة دروس تحت اسم (دراسات لغوية) وضحت المذكرة التفسيرية ما يدرس فيها بقولها : « ويبدأ هنا كذلك دراسة علم اللغة العام General Linguistics فى تطوراته الحديثة مع الإسلام بالمناهج الحديثة فى دراسة الظواهر اللغوية - ص ٩٦ » .

ذلك هو ما تتضمنه دراسة الطالب الذى تمنحه الدولة فى نهاية هذه السنوات الأربع شهادة تسمى (ليسانس اللغة العربية وآدابها) تجعل لحاملها الحق فى مباشرة تعليم اللغة العربية للناشئة من أشبال العرب . فهل ترى أن هذه الدراسة تعده للقيام بهذه الوظيفة وحمل هذه الأمانة ؟ .

بقى بعد ذلك أن أعود لما بدأت به حديثى حين قلت إن فكرة هذه الشعبة (الحديثة) قد بدأت فى برنستون ، فأشير إشارة موجزة إلى مرحلتين سبقتا هذه البرامج تصوران نشأة هذا التوجيه وتطوره . أما المرحلة الأولى فهى تتمثل فى الكلمة التى ألقاها مقترح هذه البرامج فى مؤتمر الثقافة الإسلامية المعاصرة الذى انعقد بجامعة برنستون الأمريكية فى صيف سنة ١٩٥٣ ، وقد جاءت فى كتاب (الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة) تحت عنوان (القيم الإسلامية والحياة الأدبية فى عصر الحديث) بين صفحتى ٥٢٧ ، ٥٤٩ وهى كلمة لم يتضمنها نمدى لذلك الكتاب الذى نشر فى عددى شعبان ورمضان سنة ١٣٧٦ .

ذكر الأستاذ محمد خلف الله في مقاله ذاك حين عرض لذكر الدراسات النقدية في قسم اللغة العربية بالإسكندرية أنها قد « أثارت - فيما أثارته - معضلة لها نواحيها التطبيقية والتعليمية : تلك هي صالة علوم البلاغة العربية بالنقد الأدبي ، وهل تلك العلوم دراسات لزمن قد انقضى ويجب أن تخلى المكان للنقد الحديث - ص ٥٤٤ » . ثم عرض في ذلك المقال لما سماه (مشكلات اللغة العربية) ، فذكر منها « الصلة بين الفصحى والعامية ، وأثر هذا الازدواج في إضعاف المجهود الفكري للأمة . وهل من المصلحة أن تعم العامية بعد صقلها وترقيتها ، أو يحدث تقارب بين اللغتين ؟ وهل لطريقة الكتابة العربية التي تعبر عن مادة الكلمة لا صورتها أثر في صعوبة اللغة نفسها على متعلميها ؟ وإذا كان ، فكيف السبيل إلى إصلاحها ؟ - ص ٥٤٦ » . وقال بعد ذلك في صدد ما سماه مشكلة الخط العربي « ويبدو من المحتمل أن يقبل الرأي العام اقتراحا للإصلاح يقوم على الاحتفاظ بالطريقة العربية في الكتابة مع إضافة أحرف جديدة للحركات القصيرة ، تدخل بها الحركات في صلب الكلمة على نظام الكتابة الغربية - ص ٥٤٧ » . ووصف هذه المعضلة الموهومة بأنها مشكلة عالمية (١٤) ، لأن حلها في نظره « يهم العالم كله . ومن الخير أن يتولى بحثها مؤتمر إسلامي عام يشترك فيه الإخصائيون من علماء الغرب - ص ٥٤٧ » . أما ما سماه (مشكلة العامية والفصحى) فقد وصفها تارة بأنها (ازدواج - ص ٥٤٦) ووصفها تارة أخرى بأنها (ثنائية لغوية - ص ٥٤٩) . وزعم أنها « ظاهرة لها مضارها في سير الفكر والتعبير - ص ٥٤٩ » . وكان من مضارها عنده صعوبة الاتصال المباشر بين الغربيين وشعوب العربية (وذلك لما اضطر إليه الغربيون من الاقتصار على تعلم الفصحى واستمداد أساليبها من الكتب - ص ٥٤٩) . ومن عجب أن يراقب صاحب المقال الغرب في كل مقاله حتى يجعل لهذه المراقبة اعتبارا في لنتتنا التي هي أخص خصائصنا . ويحاول الكاتب في ختام مقاله أن يلقي ستارا على رأيه الذي يبدو واضحاً في هذه المشاكل المزعومة ، فيقول إنه قد اقتنع منذ مدة « أن السبيل الوحيدة للبلاد العربية والإسلامية هي الحرص على اللغة الفصيحة وتعميمها - ص ٥٤٩ » . ولكن حقيقة أمره لا تلبث أن تتضح حين يقين للقارئ أن اللغة الفصيحة التي يعينها هي لغة أخرى معدلة متطورة في رسمها وفي مادتها ، إذ يدعو إلى « استعمالها في شئون الحياة والفكر ، وإصلاح رسمها بما يسهل ذلك الاستعمال ، وإغنائها بكثير من عناصر الحياة

التي تفيض بها اللغة العامية ، وإخضاعها لما لا يضيع خصائصها الجوهرية من أساليب التطور والتجديد - ص ٥٤٩) .

فهذا المقال يصور مولد الفكرة في برنستون ، وهو المرحلة الأولى في برامج قسم اللغة العربية . أما المرحلة الثانية التي توسطت بين نشأة الفكرة في صيف سنة ٥٣ و بين تنفيذها في البرامج الجديدة بقسم اللغة العربية في العام الدراسي (٥٥ - ٥٦) فهي مسجلة في متمال الأستاذ محمد خلف الله نشره في (مجلة اتحاد كلية الآداب) عن العام الدراسي (٥٤ - ٥٥) ، وهو يصور اختبار الفكرة ، وقد جاء هذا المقال تحت عنوان (ثقافة الإسكندرية الحديثة - ص ١٢ إلى ١٤) ، وفيه يقول ، بعد أن أشار إلى عناية جامعة الإسكندرية بدراسة الفكر العربي الحديث : « وستشهد السنوات القليلة المقبلة مزيد عناية بهذه الدراسة وتوسعاً في ميادينها ، حتى تشمل ظواهر التطور اللغوي والأدبي وتفرع اللهجات في وادي النيل والبلاد العربية ، وسيزداد الاهتمام في هذه الدراسة بالجانب التجريبي من بحوث اللغة ، فينشأ معمل لتسجيل الأصوات وقياسها - ص ١٤ » [١] ، وقد قسم كاتب المقال الفكر الإسلامي والعربي في ختام مقاله هذا إلى (فكر عربي وإسلامي كلاسيكي) و (فكر عربي حديث) ، ودعا إلى « المحاضرة عنه في المعاهد الأوروبية والأمريكية التي تعنى الآن بدراسة هذا الفكر وتعرف اتجاهاته » ، ولست أدري إن كان قد سأل نفسه حين كتب هذا الكلام : ما هو سبب هذه العناية الجديدة من جانب أمريكا بتعرف اتجاهات الفكر الإسلامي الحديث ومحاولة توجيهه في اتجاهات معينة ١٩ .

ولأكتف من المقال بهذا القدر ، ولأتجاوز عما جاء به من اقتراح إنشاء (معهد لدراسات البحر الأبيض) يصبح « كعبة للطلاب الغربيين الذين يفدون من أوروبا وأمريكا » ؛ لأن لذلك المعهد المقترح قصة أخرى غير ما نحن فيه ، ولأكتف هنا بأن أقول إن كل حديث عن رابطة البحر الأبيض وحضارة البحر الأبيض ، وشعوب البحر الأبيض لا يراد به إلا صرف الناس عن رابطة العروبة ورابطة الإسلام ، وعند حكومة تونس الراهنة وحكومة لبنان الغابرة الخبر اليتيم .

وبعد فلست أحب أن أختم مقال هذا قبل أن أنه التاري* إلى أن الخطر الذي تنطوى عليه كل هذه الاتجاهات المنحرفة خطر مزدوج . فهو يهدد بقطع ما بين العرب بعضهم والبعض

(١) وقد أنشئ* هذا المعمل الذي ذكرت في صدر المقال أن طه حسين قد فشل في إنشائه .

الآخر فيتناكر المتعاصرون منهم، ثم إنه يحدد من ناحية أخرى بقطع ما بين العرب - جملة وأفراد - في حاضرهم ومستقبلهم وبين قديمهم، وبين مصادر إسلامهم، والخطران كلاهما ماثلان في برامج هذه الشعب الحديثة في الدراسات العربية والإسلامية .

وفي الوقت الذي أنشئت فيه هذه الدراسة في إحدى كليات الآداب كان أنيس فريجة المدرس بالجامعة الأمريكية في بيروت يلقي محاضرات في الدعوة إلى دراسة اللهجات السوقية وآدابها والدفاع عنها من فوق منبر جامعة الدول العربية (١) ، وكان يجمع اللغة العربية في القاهرة مشغولا بدراسة هذه اللهجات ، وكان دعاة العامية وأعداء العروبة يتجمعون وينشطون في الترويج لدعوتهم ويمثلون بها الصحف مستغلين اسم الثورة على ما هو معهود من أساليبهم في التضليل وانتهاز الفرص ، لابسين ثوب الشعبية والدفاع عن لغة الشعب ، حتى أسفرت القومية العربية عن وجهها فأخرست كل ملجلج ، وكان بعض الأعضاء الذين شهدوا مؤتمر مجامع اللغة العربية الأول في دمشق يدعو إلى وضع معجم لغوى مستقل لكل إقليم عربي وإلى تعديل قواعد اللغة العربية وتغيير رسمها وإملائها ، وكانت هذه الاقتراحات في الوقت نفسه تتخذ طريقها إلى التنفيذ في كتب المطالعة والنحو التي يتداولها تلاميذ المرحلة الابتدائية والمرحلة الإعدادية في مصر .

أى صدفة عجيبة تلك التي ألفت بين هذه الجهود وأصدرت إليها أمرا بالزحف العام في وقت واحد ؟ يالها من صدفة حكيمة عاقلة !

الدكتور محمد محمد حسن

أستاذ الأدب العربي الحديث

بجامعة الإسكندرية

[١] راجع « محاضرات في اللهجات وأسلوب دراستها » لأنيس فريجة . نشر معهد الدراسات العربية العليا سنة ١٩٥٥ .

ذكرى ثورة الجزائر

والكلمة التي ألقاها فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ حسين محمد مخلوف في الاحتفال الذي أقيم تحت إشرافه بدار المركز العام لجمعية الشبان المسلمين يوم ٢١ ربيع الآخر سنة ١٣٧٨ (٣ نوفمبر سنة ١٩٥٨) وخطب فيه الأساتذة الشيخ البشير الإبراهيمي وأحمد توفيق المدني والشيخ أحمد الشرباصي ومحمد مصطفى حمام..

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على إمام المجاهدين ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه السائرين على سنته إلى يوم الدين .

(وبعد) ففي هذه الليلة الزهراء ، ومن هذا الحفل الرائع ، نبعث بأطيب التحيات والأمانى إلى إخواننا المجاهدين في الجزائر ، وإلى قادة ثورتها المباركة ، ونحیی أبلغ تحية رجال حكومتها الأحرار الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه من العمل لتحطيم أغلال الاستعمار المشثوم في قطر الجزائر ، واستمرار الجهاد حتى تعود الجزائر إلى أهلها ، أرضا نقية طاهرة وبلادا عربية إسلامية يتمتع فيها شعبها بحياة حرة كريمة ، ويقم بها على دعائم قوية من الاستقلال والحرية مجدا على الذرى وعزا بناوح السهى . ونهى الجزائر والعالم العربى والإسلامى بقيام هذه الحكومة الشرعية الحرة من خيرة أبناء الجزائر المجاهدين وزعمائها المخلصين ، تحمل الأعباء الجسام ، وتنهض بالمهام العظام . ونهى صديقنا العلامة الكبير والمجاهد العظيم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي شيخ علماء الجزائر ببشائر النجاح في تحرير الجزائر من ربة الاستعمار .

إن الشعب الجزائرى شعب أبى بفطرته ، بأسل في حرايته . لا يرضى أن يقيم على هزيمة ولا أن يغضى على قذى . وله فوق ذلك من عزة دينه معصم ، ومن قوة يقينه معتمد . نازل بهذه الأسلحة القوية وهذه القوى المتضافرة عدوا صلفا غشوما جثم على صدره في عقرداره وأذاقه على طول المدى بؤس الحياة ومرارة العيش .

عدا على الأرواح فأزهقها ، وعلى الأموال فاغتصبها . وعلى الحق فاستلبها ، وعلى الحريات فوأدها ، وعلى الكرامات فامتنها . فكان من ذلك وقود نار ألهبت الشعور ، وتأججت في الصدور ، فصمم هذا الشعب الأبى أن لا يعيش في وطنه على هوان ، وأن لا يسمح لكرامته أن تذل وتهان ، وعزم أن يعيش عيشة الأحرار الأعزاء في الوطن العزيز .

حاول بكل الوسائل السلبية أن ينال حقوقه المغصوبة ، فلم تجده نفعا ولم يجد من العدو الباغي إلا صلفا وكبرا وعنادا وبغيا ، فنازله في الميدان .

وإذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تموت جباناً

نازل عدوه وهو أعزل من كل سلاح ، إلا من عقيدة الإيمان بالله وقوة الحق والقلوب الجياشة بالعزة الإسلامية والمعاني الوطنية السامية . وتلك أسلحة قوية لا تفل وقوى جبارة لا تهزم مهما طال المدى تهون بها الصعاب ، ويستعذب بها الأجاج ، ويقتحم من أدرع بها سعيير الوغى لا يبالي لجب الجيوش ولا قصف المدافع ولا فذائف الطائرات .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - حين أمر بالجهاد لإعلاء الحق ومحو الظلم والبغى والقضاء على فتنه الشرك والمشركين - أعزل من كل سلاح وقوة إلا من هذه الأسلحة الماضية ، فجاهد في الله حق جهاده حتى تم له النصر المبين والله متم نوره ولو كره الكافرون .

وكذلك شعب الجزائر في حربه ضد الطغاة الغاصبين ، سيكون له الغلب والفوز المبين بتوفيق الله تعالى والعاقبة للمتقين .

* * *

إخواني :

إن الجزائر في ثورتها إنما تحامي عن دينها ووطنها وتذود عن أرواحها وحرياتها وتجاهد لاسترداد حقوق مغتصبة ، وللدفاع عن أمانة في عنقها للأجيال المقبلة وتلك فريضة فرضها الله عليها ، ولا تزال الحرب سجالا بينها وبين عدوها الباغي . ولن تلقى السلاح حتى تطهر وطنها من الاستعمار والمستعمرين وتعيش حرة فيه فلا حياة مع الذل والاستعباد .

أدت الجزائر واجبتها وستؤديه كاملا وافيا بالدم الغالي مهما كلفها ذلك من الضحايا ، وليس أدل على ذلك من تصميمها على مواصلة الجهاد مع إفناء العدو نحو مليون من أبناء البلاد فيهم نساء وأطفال وشيوخ لا يدهم في القتال .

فما هو الواجب شرعا على المسلمين كافة حيال هؤلاء المجاهدين ؟ .

هذا سؤال أشار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى جوابه بمثل رائع بليغ في معناه ، بعيد في مرماه . ضربه تبياناً للناس وتبصرة فقال « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

هذا أثر الإيمان في النفوس الحية وهذا شأن المؤمنين الأخيار فيما ينوب فرداً أو طائفة منهم من الأحداث والنوب فما بالكم بما ينوب أمة بأسرها في دينها ووطنها وأرواحها وأموالها وحرمانها وكل عزيز لديها من عدوها في دينها وديناها بمعن في بغية وفساده في ماضيه وحاضره ومستقبله ؟ ؟ .

أليس التراحم والتعاضد والتعاون والنصرة أوجب وألزم ؟ .

وقد عمّد الله تعالى بالإيمان بين أهله آصرة الأخوة الرحيمة فقال إنما المؤمنون إخوة . وناهيك بآثارها بين الأخوين ، إنها عطف وتراحم وتعاون في كل أمر ديني وديني .

* * *

وانعقد إجماع المسلمين على أن بلاد الإسلام دار واحدة ، وأهلها جميعا إخوة في الإسلام لا يفرق بينهم تنائي الديار ولا اختلاف الأجناس ولا الألوان ولا اللغات ، ما دام يجمعهم التوحيد والقرآن . فيجب على المسلمين كافة في سائر الأقطار معاونة الجزائر في ثورتها على عدوها الباغي . بكل ما في الاستطاعة من المدد المادى والمعنوى ، حتى تضع الحرب أوزارها ويتنصر الحق على الباطل ويشقى الله صدور قوم مؤمنين .

* * *

أيها المسلمون :

هذا حكم الإسلام حيال ثورة الجزائر ، وهو حكمه حيال المجاهدين لإنقاذ فلسطين من

بني الصهيونية ، ولاسترداد هذا الوطن الغالى إلى حوزة الإسلام ، وإبقاء المسجد الأقصى في دار إسلام لم يمسه رجس ، فأدوا واجبك حيال الجزائر وفلسطين بقدر ما في استطاعتكم .
والجهاد كما يكون بالنفس لمن استطاعه يكون بالمال للقادرين . ففي الحديث الصحيح من جهز غازيا فقد غزا ويكون بالإمداد بالسلاح الكافي ، وبالرأى والنصيحة ، وبالحث بوسائله الحاضرة ، ويكون بمقاطعة الأعداء وحصارهم بكل سبيل ، والعودة لهم بكل مرصد . فمن قصر في ذلك أو خذل الناس عنه أو والى الأعداء موالاة تضر جماعة المسلمين أو غش أو خادع فهو آثم إثما عظيما ، وليس منا ولنسنا منه في دين الله .

ونحن نحمد الله تعالى أجل الحمد وأتمه ، إذ تيقظت الشعوب العربية والإسلامية من سباتها ، ونفضت عن أردانها غبار التقاطع والتدابير ، وعار الاستخذاء والذلة ، وموالاة الأعداء المضرة ، وأجمعت أن تناضل عن حقوقها وتظهر أوطانها من رجس الاستعمار ، وتعيش في ديارها قوية عزيزة في ظلال الإسلام والسلام والتعاون والإخاء .

وإننا نبتهل إلى الله تعالى أن يوفق قادة المسلمين عامة لما فيه الخير والصلاح ، وأن يحزى حكومة الجزائر الحرة عن وطنها وعن الإسلام والعرب خير الجزاء ، ويهبها من لدنه توفيقا وتسديدا فيما هي بسبيله من خير وجهاد مشكور . والسلام عليكم ورحمة الله ؟

حسنين محمد مخلوف

مفتي الديار المصرية سابقا وعضو جماعة كبار العلماء

تصويب

وقع في بعض نسخ هذا الجزء أخطاء مطبعية نرجو من القارى تصويبها بالقلم :
في صفحة ٤٠٧ السطر ١١ « كخسيفة » صوابها « كخديفة » . « فسطاسه » صوابها « فسطاطه » .

في صفحة ٤٢٥ السطر ١٨ « فأغير حرفا » صوابها « فما غير حرفا » .

في صفحة ٤٣١ السطر ١٦ « أبى ذرعة » صوابها « أبى زرعة » .

في صفحة ٤٣١ السطر ١٧ « صلى الله » صوابها « صلى الله عليه وسلم » .

القائد الأسود

نحن الآن نعيش في القرن العشرين ؛ القرن الذى يسمونه قرن الحضارة والمدنية والنور ؛ ومع ذلك لا يزال الغربيون الذين يدعون أنهم أئمة هذه الحضارة يرتكبون من السيئات والمنكرات ما لا يمكن أن يدخل تحت المعنى الصحيح للحضارة .

ولعل أقبح السيئات التى يأتيا أبناء الغرب فى مختلف بقاع الأرض هى تلك التفرقة اللونية والعنصرية التى يثيرون غبارها ويشعلون سعيها بين البيض وغيرهم ، لا شئ إلا لأن الله عز وجل قد خلق بعض الناس ببشرة بيضاء وبعضهم ببشرة سوداء . . .

ومن أجل هذا الاختلاف فى اللون نجد البيض الذين يزعمون التقدم والتحضّر والرقى يذيقون السود ألوان العذاب ، ويسمونهم أنواع الاضطهاد ؛ مما لا يتفق مع دين إلهى ، ولا أخوة إنسانية ، ولا زمالة بشرية ، ولا عهد تنادى فيه بالعدالة والمساواة . . .

وهنا يشرق نور الإسلام زاهيا رائعا يفيض بآيات الحكمة وينابيع الرحمة ، فإنه لم يتم وزنا لاختلاف الألوان أو الأجناس أو الأنساب أو الأحساب ، بل جعل الناس أمة واحدة من ناحية القيمة الإنسانية والمساواة البشرية ، وجعلهم سواسية كأسنان المشط فى الاستواء ، فلا فضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأبيض على أسود ، ولا لأسود على أبيض ، إلا بالتقوى . . . !

وإذا كان الغربيون اليوم يضطهدون السود ويحتقرونها ، ويطردونها ويعذبونها ، ويعتدون عليهم بشئ ألوان الاعتداء ، ويحرمونها التمتع بالحقوق الطبيعية التى لا يكون الإنسان إنسانا صحيح الإنسانية إلا بها ؛ فإننا نجد التاريخ الإسلامى تعطر صفحاته بسير رجال كان لونهم أسود ، ولكن الإسلام أعلى شأنهم وأعز مكانتهم ، وقدمهم على غيرهم بفضل جهادهم وعملهم الصالح . . .

ومن هؤلاء : الصحابى البدرى أحد النقباء أبو الوليد عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم الأنصارى الخزرجى المدينى ، الذى شهد العقبة الأولى والثانية مع النبي صلوات الله عليه ،

وكان زعيمياً في ليلة العقبة على جماعة « القوافل » . وشهد بدرأً وأحدأً والخندق وبيعة الرضوان وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واختاره النبي ليكون عاملاً على الصدقات ، كما أن عبادة رضى الله عنه كان يعلم أهل العنفة القرآن الكريم ، وأخى النبي بينه وبين أبي مرثد الغنوى .

ولما فتح المسلمون الشام على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه أرسل عمر عبادة ومعاذا وأبا الدرداء إلى الشام ليعلموا الناس فيه ويفقهوهم ، وقد أقام عبادة من أجل ذلك زمناً في « حمص » ، ثم سار بعد ذلك إلى فلسطين ، وقد ذكر الإمام الأوزاعي أن عبادة هو أول من ولي قضاء فلسطين .

وقد توفي عبادة في بيت المقدس - وقيل في الرملة - سنة أربع وثلاثين للهجرة عن اثنين وسبعين عاماً ، وقيل توفي سنة خمس وأربعين ، ويرجح النووي القول الأول ويعبر عنه بأنه : أصح وأشهر . . .

وكان عبادة كما يصفه المؤرخون رجلاً فاضلاً خيراً ، وكان أسود اللون ، جميلاً جسيماً طويلاً ، كان طوله عشرة أشبار بمقياس السابقين .

وقد روى عبادة بن الصامت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وأحدًا وثمانين حديثاً ، اتفق البخارى ومسلم منها على ستة ، وانفرد البخارى بحديثين ، ومسلم بآخرين . وروى عنه أنس وجابر وأبو أمامة وفضالة ورفاعة بن رافع ومحمود بن الربيع ، ومن التابعين أولاده : الوليد وعبيد الله وداود بنو عبادة ، وخلائق غيرهم .

وقد جاء في كتاب « غربة الإسلام » أن الإمام أحمد ذكر في مسنده عن عبادة بن الصامت أنه قال لرجل من أصحابه : « يوشك إن طالت بك الحياة أن ترى الرجل قد قرأ القرآن على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فأعاده وأبداه ، وأحل حلاله وحرم حرامه ، ونزل عند مناله لا يجوز فيكم إلا كما يجوز الحمار الميت ، ! .

ومعنى يجوز : يسير . والمعنى أن منزلته تكون بين الناس ضائعة ! . . .

وهلى الرغم من سواد عبادة نراه يعلو فى مكاته ، ويرتفع فى منزلته بفضل دينه وخلقه وعمله ؛ ولقد اشترك عبادة مثلاً فى الفتح الإسلامى لمصر ، وكان نجمه متألقاً فى هذا الفتح ، حتى قاد الوفد الإسلامى الذى توجه لمفاوضة المقوقس ، وفى هذه المفاوضة جرى حديث يتعلق بسواد لون عبادة يتضمن ما يستحق التأمل والتدبر ...

فى السنة العشرين كتب عمرو بن الخطاب إلى عمرو بن العاص ليتجه إلى مصر ليفتحها باسم الإسلام ، بعد أن طال إلحاح عمرو على الخليفة ليأذن له فى الفتح ؛ ومضى عمرو فى طريقه حريصاً على إتمام هذا الفتح بأسرع ما يمكن ، حتى بلغ مع الجيش حصن « بابليون » وهناك لقي متاومة ، فاستعان بالخليفة فأمدّه ، ثم استعان به فأمدّه بأربعة آلاف جندى ، لهم أربعة قواد ، كل قائد منهم بألف رجل وهم : عبادة بن الصامت ، والزيبر بن العوام ، والمقداد بن الأسود ، ومسلمة بن مخلد ، وقال الخليفة لعمرو : « اعلم أن معك اثنى عشر ألفاً وإن تغلب اثنا عشر ألفاً من قلة » !! ..

وحدث أثناء الفتح أن كان عبادة بن الصامت يصلى وهو فى ناحية من معسكر المسلمين ، فهجم عليه جماعة من الروم ، فسلم من الصلاة ، ووثب على فرسه ، وهاجمهم ففروا أمامه ، فنبعهم ، فجللوا يلقون فى طريقهم بأمعتهم ونفائسهم ليشغلوه بها ، فما التفت إليها ، وما زال يطاردهم حتى اعتصموا منه بالحصن ، فعاد دون أن يلتقط شيئاً من أمعتهم ، ولما بلغ مكانه استأنف صلاته من جديد !! ..

وقوى ساعد المسلمين بالمدد ، وخاف الذين فى مصر من العاقبة ، فأرسلوا إلى عمرو وفداً للمفاوضة ، فعرض عليهم عمرو واحدة من ثلاث : إما أن يدخلوا فى الإسلام ليكونوا إخوة للمسلمين ، لهم ما لهم ، وعليهم ما عليهم . وإما أن يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، ولهم الأمان والدفاع عنهم بقوة المسلمين . وإما القتال حتى تضع الحرب أوزارها ، ويحكم الله بين الفريقين ، والله خير الحاكمين ! ...

وعاد الوفد إلى المقوقس فسألهم : كيف رأيتم المسلمين ؟ قالوا : رأينا قوماً الموت أحب إليهم من الحياة ، والتواضع أحب إليهم من الرفعة ، ليس لأحدهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة (أى ولوع) .

فأكد المقوقس لقومه أن مثل هؤلاء لو أرادوا إزالة الجبال لأزالوها ، وما يقوى على

قتلهم أحد ، وأشار عليهم بالاستمرار في المفاوضة للصالح . وأرسل المقوقس إلى عمرو يطلب منه إرسال وفد من قبله للتفاوض معه ، فأرسل عمرو إلى المقوقس عشرة رجال من الجيش ، وعلى رأسهم القائد الأسود ، والبطل المسلم ، عبادة بن الصامت ، وكل عمرو إلى عبادة أن يتكلم باسم الوفد ، وأن يكون زعيماً له ، كما أمره ألا يقبل من المقوقس إلا واحدة من الثلاث التي سبق ذكرها .

وتوجه الوفد إلى المقوقس وفي طليعته عبادة بن الصامت ، فلما رآه المقوقس وشاهد سواده هابه وقال :

نحوا عنى هذا الأسود ، وقدموا غيره يكلمنى !! .

فرد عليه الوفد بأجمعه : إن هذا الأسود أفضلنا رأياً وعلماً ، وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا ، وإنما نرجع جميعاً إلى قوله ورأيه ، وقد أمره الأمير دوننا بما أمره ، وأمرنا ألا نخالف رأيه وقوله ...

فتعجب المقوقس من ذلك كثيراً ، وقال لهم يسألهم :

كيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم ، وإنما ينبغي أن يكون هو دونكم ؟ . فأجابوه بلغة الإسلام الخفيف الذى يسوى بين الناس ، ويعرف لهم أقدارهم بما يقدمونه من عمل وجهاد ، فقالوا :

كلا ، إنه وإن كان أسود كما ترى فإنه من أفضلنا موضعاً ، وأفضلنا سابقة وعقلاً ورأياً وليس ينكر السواد فينا ! .

ولم يجد المقوقس مناسبة من التسليم والرضى بالأمر فقال لعبادة : تقدم يا أسود ، وكلمنى برفق ، فإننى أهاب سوادك ، وإن اشتد كلامك على ازددت لك هيبة !! .

واحتمل عبادة ما فى كلام الرجل من جفوة ، فغرضه الذى جاء من أجله أهم بكثير من شخصه ، فتقدم من المقوقس وقال له بثبات :

قد سمعت مقاتلك ، وإن فىمن خلفت من أصحابى ألف رجل كلهم مثلى ، وأشد سواداً منى ، وأفطع منظراً ، ولو رأيتهم لكنت أهيب لهم منى ، وأنا قد وليت وأدبر شبابى ؛ وإنى مع ذلك بحمد الله ما أهاب مائة رجل من عدوى لو استقبلونى جميعاً ، وكذلك أصحابى .

وذلك إنما رغبنا وهمتنا الجهاد في الله واتباع رضوانه ، وليس غزونا عدواً من حارب الله لرغبة في الدنيا ، ولا حاجة للاستكثار منها ، إلا أن الله عز وجل قد أحل ذلك لنا . وجعل ماغنمنا من ذلك حلالاً ، وما يبالي أحدنا أكان له قناطير من ذهب أم كان لا يملك إلا درهماً ؛ لأن عناية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها يسد بها جوعته ليلته ونهاره ، وشمله يلبسها ، وإن كان أحدنا لا يملك إلا ذلك كفافه ، وإن كان له قنطار من ذهب أنفق في طاعة الله تعالى ، واقتصر على هذا الذي بيده ويبلغه ما كان في الدنيا ؛ لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم ، ورخاءها ليس برخاء ، إنما النعيم والرخاء في الآخرة .

بذلك أمرنا الله ، وأمرنا به نبينا ، وعهد إلينا ألا تكون همة أحدنا في الدنيا إلا ما يمسك جوعته ، ويسترعورته ، وتكون همته وشغله في رضا ربه ، وجهاد عدوه !!! . فلما سمع المقوقس منه ذلك ازداد هيبة له ورهبة منه ، فمال لمن حوله : هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط ؟ لقد هبت منظره وإن قوله لأهيب عندي من منظره

وبعد أن نوه المقوقس بقوة المسلمين وغلبتهم التفت إلى عبادة وقال له :

أيها الرجل الصالح ، قد سمعت مقاتلك وما ذكرت عنك وعن أصحابك ، ولعمري ما بلغت ما بلغت إلا بما ذكرت ، وما ظهرتم على من ظهرتم عليه إلا لحبهم الدنيا ورغبتهم فيها ، وقد توجه إلينا لقتالكم من جمع الروم ما لا يحصى عدده : قوم معروفون بالنجدة والشدة ، ممن لا يبالي أحدكم من لقي ولا من قاتل ، وإنا لنعلم أنكم لن تقووا عليهم ، ولن تطيقوهم اضعفكم وقتكم

ثم عرض على عبادة أن يأخذ لكل جندي دينارين ، وللأمير عمرو مائة دينار ، وللخليفة ألف دينار ، على أن ينصرفوا . فقال له عبادة :

يا هذا ، لا تغرن نفسك ولا أصحابك . أما ما تخوفناه به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وأنا لا تقوى عليهم ، فلعمرى ما هذا بالذي تخوفنا به ، ولا بالذي يكسرنا عما نحن فيه . إن كان ما قلتم حقاً فذلك والله أرغب ما يكون في قتالهم وأشد لحرصنا عليهم ؛ لأن ذلك أعذر لنا عند الله إذا قدمنا عليه ، إن قتلنا عن آخرنا كان أمكن لنا من رضوان الله وجنته ؛ وما من شيء أقر لأعيننا ولا أحب إلينا من ذلك .

وإنا منكم حينئذ على إحدى الحسينين : إما أن تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا إن ظفرنا بكم ، أو غنيمة الآخرة إن ظفرتم بنا ، وإنها لأحب الخصلتين إلينا بعد الاجتهاد منا .

وإن الله عز وجل قال لنا في كتابه : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين » ، وما منا رجل إلا وهو يدعو ربه صباحا ومساءً أن يرزقه الشهادة ، وألا يرده إلى بلده ولا إلى أرضه ولا إلى أهله وولده ، وليس لأحد منا هم فيما خلفه ، وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده ، وإنما همنا ما أمامنا .

وأما قولك إنا في ضيق وشدة من معاشنا وحالنا فنحن في أوسع السعة ، لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن فيه ، فانظر الذي تريده فينبه لنا ، فليس بيننا وبينك خصلة تقبلها منك ولا نجيبك إليها إلا خصلة من ثلاث ، فاختر أيها شئت ، ولا تطمع نفسك في الباطل ، بذلك أمرني الأمير ، وبه أمره أمير المؤمنين ، وهو عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبله إلينا :

إما إجابتمكم إلى الإسلام الذي هو الدين الذي لا يقبل الله غيره ، وهودين نبينا وأنبيائه ورسله وملائكته - صلوات الله عليهم - أمرنا الله تعالى أن نقاتل من خالفه ، ورغب عنه حتى يدخل فيه ، فإن فعل كان له مالنا وعليه ما علينا ، وكان أخانا في دين الإسلام .
فإن قبلت ذلك أنت وأصحابك فقد سعدتم في الدنيا والآخرة ، ورجعنا عن قتالكم ، ولم نستحل أداكم ولا التعرض لكم ؛ وإن أبيتكم إلا الجزية فأدوا إلينا الجزية عن يد وأتم صاغرون ، نعاملكم على شيء نرضاه نحن وأتم في كل عام أبدا ما بقينا وبقيتكم ، ونقاتل عنكم من ناوأكم ، أو عرض لكم في شيء من أرضكم ومائتكم وأموالكم ، ونقوم بذلك عنكم ، إذ كنتم في ذمتنا ، وكان لكم به عهد علينا .

وإن أبيتكم فليس بيننا وبينكم إلا المحاكمة بالسيف حتى نموت عن آخرنا ، أو نصيب ما نريد منكم . هذا ديننا الذي ندين الله تعالى به ، ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره ، فانظروا لأنفسكم .

وبعد مفاوضات تم الصلح ، وفتحت مصر أبوابها لأضواء الإسلام ، بعد أن تألق نجم القائد الأسود عبادة بن الصامت في هذا الفتح ، وبعد أن أوقع الهيبة والرهبة في قلوب أعدائه ، فسلام عليه في المجاهدين ! ! ! .

أحمد الشرباعى
المدرس بالأزهر الشريف

حقائق يفبغي أن تعرف

أولع بعض الناس في الأزهر وغيره بالنيل من كتبنا التي ندرسها في الأزهر ، وأسرفوا في ذلك وعمموا الحكم فلم يستثنوا شيئاً ونعتوها بشئ النعوت ، ولم يتصروا عليها بل تعدوها إلى مؤلفيها فاعتدوا عليهم ونالوا منهم ظالمين .

لقد رموا تلك الكتب بأنها سيئة الأساليب ، مضطربة العبارات ، نصحت عليها عجمة مؤلفيها فجاءت صوراً لأفكارهم المشوشة ، وعصورهم المظلمة ، تزهق دارسيها ومدرسيها وتعطى أكثر مما تأخذ من الجهد والوقت ، وتطرف أشخاص من هؤلاء فقالوا : إن تلك الكتب عوقت كثيراً من الألسنة والعقول كان يرجى لها أن تكون أكثر رشاداً وسداداً . وأخذ المتحدثون عن الأزهر والزاعمون الغيرة على إصلاحه يرددون هذا القول حتى صار سلوى الكاتبين .

إن التشكك في جدوى تلك الكتب والتقليل من شأنها والدعوة إلى استبدال غيرها بها مما ألفت في العصور الإسلامية الأولى قبل أن يستعجم التأليف كما يقولون حديث قديم ، نشأ منذ نشأت الدعوة إلى إصلاح الأزهر : أي منذ أكثر من نصف قرن ، ولعل أبرز من أثاره الإمام محمد عبده ثم كان الحديث بعده تقليداً له وصدى لحديثه ، وقبل أن نحكم على ما في هذه الدعوة من خطأ أو صواب ونبين مدى ما فيها من خير أو شر - يجب أن نذكر في إجمال خصائص كل صنف من الكتب : أعنى الكتب التي ألفت في العصور الإسلامية الأولى ، والكتب التي ألفت بعدها في العصور المتأخرة ، والتي ندرس كثيراً منها في الأزهر الآن .

إن الكتب التي وضعت في العصور الأولى كتب قصد بها مؤلفوها جمع شتات العلوم ، وتقييد أوابدها ، لم يلاحظ فيها ترتيب ولا تبويب ، ولم تلاحظ فيها الموضوعية أعنى جمع مسائل الموضوع الواحد تحت عنوان خاص أو في مكان خاص ، كما لم يلاحظ فيها الدقة المنطقية في الحدود والرسوم ولا الدقة في المصطلحات العلمية ، إلا أنها تمتاز بالأسلوب المرسل

الذي يخاله القارىء العادى سهلاً ويراه الباحث الفاهم سهلاً أيضاً ولكنه السهل الممتنع . أما الكتب التى ألفت فى العصور المتأخرة والتى تدرس فى الأزهر فقد تداركت ذلك وعينت بالترتيب العلمى وبالتحديد القواعد والموضوعية فى التأليف على نحو ما فسرناها ، كما عينت بضبط المصطلحات ، فأصبحت كتباً دراسية منهجية واضحة الصوى والمعاليم يسير العالم والمتعلم فيها على هدى واستبصار ، ويستطيع المتعلم فوق ذلك تحصيل ما يريد منها واستذكاره لينتفع به عند الحاجة إليه فى مزالق الامتحان ، وإنا لنضرب الأمثال ببعض تلك الكتب ليرجع إليها من يشاء فى الموازنة والمقارنة ويتبين صدق ما قلناه ، إن أول ما ألف من كتب الأصول هو كتاب الرسالة للإمام الشافعى ، فإذا ما قورنت بكتب المتأخرين من الأصوليين التى تدرس فى الأزهر : كجمع الجوامع أو مسلم الثبوت أو الأسنوى وجدنا البون شاسعاً بين طريقتى التأليف فى ضبط القواعد وتحرير المصطلحات وجمع المناسبات وغير ذلك ، مما تمتاز به كتب المتأخرين ولا شك أن لذلك أثره فى تحصيل العلم واستذكاره وسهولة فهمه وتفهمه . وكذلك الحال إذا ما قارنا بين أول ما ألف من الكتب فى البلاغة وهو دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة للإمام عبد القاهر وبين ما ألف بعدهما من الكتب كالإيضاح وتلخيص المفتاح للقرزوينى فإننا نجد الفروق التى ذكرناها واضحة ، فقواعد البلاغة فى كتابى عبد القاهر مشتتة لا يربطها نظام وليس لحدودها إحكام ويعسر على من يقرؤهما أن يظفر بمحصول بلاغى محدود ، ولقد مارسناهما دراسة وتدريساً فما استغنينا بهما ، وتطفلنا على موائد القرزوينى فى كتابيه .

ولا تختلف الحال أيضاً فى كتب النحو إذا قارنا بين أول ما ألف من كتبه ككتاب سيبويه ، وما ألف بعده كإلفية ابن مالك وشرحى ابن عقيل والأشمونى عليها فبين هذين النوعين من الكتب من الفروق ما يعمله الدارس المارس مما يستبين به فضل ابن مالك وشارحيه على النحو وجعله سهل التناول قريباً على الأفهام ، والأمر كذلك فى كثير من الفنون .

ولئن كان للتقدمين فضلهم فى وضع العلوم وجمعها وحفظها فقد كان للتأخرين فضلهم فى ضبطها وتحديثها وتقريبها .

وبهذا الضبط والترتيب أصبحت كتبهم دراسية منهجية تصلح للدراسات المحددة المناهج والأوقات ، والتى تحتم على الطالب استذكار معلومات مقررة عليه أن يعلقها حتى يحلها لوقتها

آخر العام الدراسي ، ولا تصلح كتب المتقدمين لهذه الغاية ، وإنما تصلح للدراسات الحرة التي لا يسأل فيها المدرس عن يفهم وعن لا يفهم وعن ينجح وعن لا ينجح ، أو تصلح للراجعة عند البحث الراءث والوقت الفسيح .

إن الإمام محمد عبده دعا إلى استبدال تلك الكتب بعد أن فضج عقله واستوى تفكيره وحصل من العلوم في كتب المتأخرين ما يستطيع به أن يفهم كتب المتقدمين ، ويلخص ما شاع فيها من القواعد . ويلخص ما اشتبه من المسائل ، ولم يمارس التدريس في الأزهر ممارسة خاضعة للنظم والبرامج بل كانت ممارسة طليقة ليس فيها مسئولية وليس عليها حساب ، ولم تكن النظم الدراسية قد استقرت على ما هي عليه الآن ، واقتضت ما اقتضته من تحصيل واستدكار ومراجعة وامتحان . أما وقد قضى التطور الإصلاحى في الأزهر أن تكون نظم الدراسة كما هي الآن : فقد أصبح من الحتم أن نستمسك بالكتب الدراسية المقررة حالياً ، والتي ثبتت على التجارب والدراسات الواعية أزماناً طويلة ، وكل دعوة إلى استبدالها دعوة أقل ما يقال فيها إنها مجازفة غير مضمونة النتائج .

والدعوة إلى استبدال كتب حديثة بها دعوة تستحق النظر والتفكير العميق أيضاً ، وقد يفضى ذلك إلى التنازل عنها أو تأجيلها إلى وقت طويل ، فقد جرب الأزهر بعض تلك الكتب ثم عدل عنها إلى ما كان مقررأ من قبل من الكتب القديمة ، قرر دراسة رسالة التوحيد ثم عدل عنها إلى كتاب الجوهره ، وقرر صفوة صحيح البخارى فى الحديث ثم عدل عنها إلى شرح الشرفاوى ، كما عدل عن غيرهما لعدم ملائمتها لأذهان الطلاب وإعدادهم إعداداً منهجياً ، وقد عمد بعض المدرسين فى السكليات والمعاهد إلى تصنيف مذكرات فى بعض العلوم استجابة لدعوات إصلاح الكتب فكانت صورة مصغرة للكتب المقررة ، وما أغنت مذكراتهم وما حمدت مجهوداتهم ، وهم فى ذلك معذرون .

ذلك أن للعلوم أساليبها الخاصة ، ومصطلحاتها طابعها الخاص ، وبرغمنا أن نقول إنه طابع الجود والصلابة ، وكما أن لعلوم الطب وللصيدلة والهندسة لغتها ومصطلحاتها ذات الشخصية القوية التي تتأبى على التطوير وتظل كما هي على الزمن ، فلعلوم الأصول والمنطق والنحو لغتها ومصطلحاتها كذلك وإنها لتفرض وجودها فى كل تأليف وفى كل عصر ،

وليس على الأزهر من حرج في أن يحتفظ بكتبه ذات الطابع العلمي الخاص ، كما أنه ليس على غيره من كليات الطب والهندسة وغيرهما أن تحتفظ بكتبها ذات الطابع الخاص أيضا .

إن الدعوة إلى نبذ الكتب الأزهرية واستبدال غيرها بها دعوة ينقصها التمهيد كما تنقصها التجربة والنظر الصحيح ، وعلى القائمين بها أن يترشوا ويتدبروا ليفرقوا بين الممكن وغير الممكن ، ولقد مضى على تلك الدعوة أكثر من نصف قرن كما ذكرنا نبه فيه غير واحد من علماء الأزهر ، فكم من هؤلاء استطاع أن يؤلف في علوم الأزهر ما يفضل الكتب التي تدارسها ويحزجها عن مكاتها العلمية . لقد ألف الإمام محمد عبده رسالته في التوحيد كما ألف في التفسير فهل استطاع أن يحقق أحلام الكتّاب في تبسيط هذين العلمين إلى الحد الذي يعنى الدارسين عن التفكير الفاحص والنظر الدقيق ؟ ؟ .

هذه حقائق ينبغي أن تعلم ولم يدفعا إلى تسجيلها تعصب للتقديم ونفور من الجديد ، ولكن أملت أن علينا المصاحبة القائمة على التجربة والملاحظة ، وليفهمها بروح الإنصاف من يشاء ، وليعتسف بها عن الجادة من يريد ، والله يعلم حسن القصد فيما كتبت وهو حسبي ؟

أبو الوفا المراغي

فرنسا في الجزائر

سيرى بخائنة الضمائر واستعمري شعب الجزائر
سيرى ، وتلك سجية المستعمرين وكل جائر
وتسابق للبوقات بكل فاجرة وفاجر
وتقمعى بالعالم الحر الذي سن الحرائر
لا بد من يوم أغر به يحاسب كل سادر
عبد الكريم الدجيلي

أسرار التكرير في القرآن

ذكرنا في المقال السابق أن هناك خصائص أسلوبية شاعت في القرآن المسكى مرتكزة على أسس نفسية ، وأحوال وجدانية ، تلك الظواهر هي :

التكرير ، والقسم ، والإيجاز ، واقتراح بعض السور بحروف من أحرف التهجي .
والآن نبدأ في الكلام تفصيلا على كل ظاهرة من هذه الظواهر لنبين ما انطوت عليه من أسرار بلاغية ومحاسن بيانية . وهذا - ولاريب - وجه من أوجه الإعجاز القرآني الذي عجز الجن والإنس - وقد تحداهم - أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .
ولنبدا يبحث أسرار التكرير فنقول :

إن للتكرير في القرآن الكريم مواطن شتى ومظاهر أسلوبية متعددة . ففي قصصه تكرر وفي أنبائه تكرر وفي آيات خاصة تكرر . وسنقتصر بحثنا في هذا المقال على ما جاء من تكرر آيات بذاتها وجمل بعينها كما جاء في سورة الرحمن والمرسلات والقمر وسورة الشعراء ، وكلها سور نزلت في العهد المسكى ، وشيوع هذه الظاهرة إنما وجد فيها لما اقتضته غلظة قریش وإيغالهم في الوثنية وإنكارهم على محمد صلوات الله عليه وشماسهم من دينه . فخطبهم الله عز وجل بقوارع من الكلام كالصوارم وزواجر من الوعيد كالخيم ، وأن يكرر لهم هذا التبريع لتلين قناتهم ويسلس قيادهم ، وأن يردد لهم هذا الزجر ليذكرهم بفواصل الآيات ما تضمنته من العبر وما توحى به من العظات .

فإن التكرير من أهم العوامل لبث الفكر في نفوس الجماعات وإقرارها في قلوبهم إقرارا ينتهي إلى الإيمان بها وقيمة التوكيد بدوام تكرير ألفاظ بعينها يقول جوستاف لوبون في كتابه « روح الاجتماع » « إذا تكرر الشيء رسخ في الأذهان رسوخا ينتهي بقبوله حقيقة ناصعة » ولقد شنع المستشرقون على هذا الضرب من الأسلوب وعدوه ضعفا وركه كما جاء في مادة « قرآن » من دائرة المعارف البريطانية حيث ذكر كاتب المقال فقال :

« ليس هناك مهارة أدبية عظيمة واضحة مبنية في التكرير الذي لا لزوم له لنفس كلمات بعينها وجمل بذاتها » .

ولا غرابة في أن تخفى على المستشرقين أسرار هذا التكرير فهم لم يألّفوه في لغاتهم ولو ألفتهم لما أدركوه في اللغة العربية ، لأن لكل لغة ذوقا خاصا لا يمنحه إلا أهلها ومن نشئوا على تذوقها .

فالتكرير من أساليب اللغة العربية التي شاع فيها منذ عهودها القديمة ، فجاء القرآن الكريم على نمط من أساليبهم إلا أنه في صورة معجزة وبلاغة ساحرة .
من الأمثلة على ذلك النوع من التكرير ما جاء في سورة (الرحمن) فقد تكرر في هذه السورة (فبأى آلاء ربك تكذبان) إحدى وثلاثين مرة .

والسر في ذلك هو أن الله تعالى قد عدد في هذه السورة نعماء وأذكر عباده آلاءه وينبهم إلى قدرته ولطفه بخلقه ثم أتبع ذكر كل منة وصفها بهذه الآية (فبأى آلاء ربك تكذبان) وجعلها صلة بين كل نعمتين ليفهمهم النعم ويقررهم بها ، وهذا كتمولك للرجل وقد أحسنت إليه دهرك وتابعت عنده أياديك وهو في كل ذلك ينسرك ويكفر بنعمتك فتقول له :

ألم أبوءك منزلا وأنت طريد ، أفتنكر هذا ؟ .

ألم أأنقذك من هلاكك في حادث الحريق أفتنكر هذا ؟ .

ولكن ربما يقال : إذا كان هذا واضحا في الآية التي تدل على النعم في الدنيا كقوله تعالى (مرج البحرين يلتقيان ، بينهما برزخ لا يبغيان) ، (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) .

أو في الآيات التي تدل على النعم في الآخرة من وصف الجنة ونعيمها وفرشها وفواكهها (متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنة دان) ، (فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان) ، (كأنهن الياقوت والمرجان) . فأى نعمة في قوله تعالى (كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) بل أى نعمة في قوله تعالى (يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران) ، (يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام) ، (هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون ، يطوفون بينها وبين حميم آن) .

فللجواب عن ذلك في الآية الأولى وهي (كل من عليها فان) نقول :

إن في هذه الآية التسوية بين الصغير والكبير والمالك والمملوك والظالم والمظلوم في

الفناء المؤدى إلى دار البقاء ومجازاة المحسن والمسيء بحقه من الجزاء ، فالمظلوم يـُؤخذ حقه من الظالم والظالم يـُجازى على ظلمه ، فلا نعمة إذن أكبر من هذا العدل المطمئن للنفوس المريح للقلوب . وفي هذا نوع من التسلية للظالمين ، وإدخال العزاء على المهضومين - وما أكثرهم - وفيه نوع ردع للظالم وزجر للطاغية .

ألا ترى إلى قوله تعالى (قل لمن ما فى السموات والأرض ؟ قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه) .

فقد أوجب الله على نفسه الرحمة بخلقه ، ومن مقتضى هذه الرحمة أن يجمعهم إلى يوم القيامة ؛ لأن هذا الجمع لأجل الحساب والجزاء رحمة بالعالم حيث يقضى على الفوضى والإهمال واستباحة الظلم ، والعلم بذلك رحمة أيضا لأنه وازع نفسى لا يتم تهذيب النفس بدونه . فهذا الوعد بالجمع يبعث الطمأنينة ويشيع السلام .

أما الجواب عن السؤال التالى ، وهو أى نعمة فى وصف جهنم وإنذار الثقلين وتخويفهما بشواظ من نار ونحاس ، فنقول :

إن الله تعالى منعم على عباده بنعمتين : نعمة الدنيا ، ونعمة الدين . وأعظمهما هى الأخرى ، واجتهاد الإنسان ورهبته مما ، يؤلم أكثر من اجتهاده ورغبته فيما ينعم به عليه ، فالإرهاب زجر على المعاصى وبعث على الطاعات وهو سبب النفع الدائم .

فأية نعمة أكبر إذن من التخويف بالضرر المؤدى إلى أشرف النعم ، فلما جاز عند ذكر الله ما أنعم به علينا فى الدنيا وعند ذكره ما أعدّه للطيعين فى الأخرى أن يقول سبحانه فى هذين المتنامين (فبأى آلاء ربكما تكذبان) جاز أن يقول ذلك عند ذكر ما يخفون به مما يصرفنا عن معصيته إلى طاعته التى تكسبنا نعيم جنته كذلك ، ففعل العقاب وإن لم يكن نعمة فذكره ووصفه والإنذار به من أكبر النعم ؛ لأن فى ذلك زجرا عما يستحق به العقاب وبعثا على ما يستحق من الثواب .

وهكذا الشأن فى جميع التكريرات فإن الباحث لها يجد أسراراً عجيبة وحكماً بلاغية ساحرة تتعلق بموضوع السورة وأهدافها وبعجيب سياقها ومعجز نظمها .

قال الإمام بدر الدين الزركشي في كتابه « البرهان » :

« جاء في سورة المرسلات (ويل يومئذ للكافرين) عشر مرات ، وذلك لأنه سبحانه ذكر قصصاً مختلفة ، وأتبع كل قصة بهذا القول فصار كأنه قال تنقب كل قصة : ويل للكاذب بهذه القصة ، وكل قصة مخالفة لصاحبها فأثبت الويل لمن كذب بها . »

والتكرير في سورة (المرسلات) كالتكرير في سورة (الرحمن) من حيث إنها تضمنت ذكر نعم مختلفة ، ونعم متعددة فكان إذا ذكرهم بنعمة أو خوفهم من نقمة ، أكد التذكير والتخويف بذكر الويل والهلاك المهيأ للكافرين الذين استخفوا بهذه النعمة ، أو تهاونوا بتلك النعمة ، فيكون ذلك رادعاً للخطابين عن الغفلة وزاجراً لهم عن التمادى في التكذيب وركوب الرأس في العناد .

وفي هذا التكرير من هز السامع والتأثير في نفسه ، ما لا يخفى على المتأدب المتذوق من لغة العرب ، وما فيها من كل معنى عجيب .

والمتنبج لأعاجيب القرآن الكريم ، وأساليبه التي فوق طاقة البشر سيجد لكل نمط من التعبير سراً ، ولكل ضرب من البيان حكمة ؟

عبد الوهاب حمودة

إذا لعن آخر هذه الأمة آخرها

ورد في الآثار من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه : « إذا لعن آخر هذه الأمة أولها ، فمن كان عنده علم فليظهره ، فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد » .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في خطبة كتابه (منهاج السنة) تعليقاً على هذا الأثر : « وذلك أن أول هذه الأمة هم الذين قاموا بالدين : تصديقاً ، وعلماً ، وعملاً ، وتبليغاً . فاطلعن فيهم طعن في الدين ، موجب للإعراض عما بعث الله به النبيين » .

الن اهد القانت

« عامر بن قيس »

الزهد فى الدنيا معنى جليل ، لا يستقيم إلا لكل نفس كبيرة فهو خير معين على التفرغ للعبائم وأقوى محقق لمعانى القوة فى النفس والعقل والبدن ، وأكبر عامل على صفاء القلب ، وإعدادة لتلقى الفيض وصونه مما يتورط فيه الجاهلون من الحقد والغل والحسد ، وأدعى شىء إلى العفاف ، والترفع عن السفاسف والذنية ، وإلى عزة النفس والصدع بالحق ، ومقاومة الشر . وعلى الجملة هو كنز النفس العظيمة وميزة الخيرة الأبرار الذين يشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما .

فلهذا احتضنه دين الإسلام - وهو الدين المختار لله فى الأرض منذ بعث نبيه محمداً آميا ، مسعداً للناس فى دنياهم قبل آخرتهم - فهو يذم الذين يأكلون ويتمتعون كما تأكل الأنعام . كما يمدح الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، وهو يذم المتفانى فى هواه ويعده عابداً له لا يقدر غيره (أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة) ! كما يشجع الذين يجاهدون أنفسهم فى سبيله : (والذين جاهدوا فىنا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) . ثم يدعو النبى صلى الله عليه وسلم بالتعاسة على المتفانى فى جمع الدنيا الحريص عليها الذى يعيش فى مشاكل مع الناس جميعاً ولو كانوا من أقرب الناس إليه من أجل الدنيا فيقول صلى الله عليه وسلم : « تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم . تعس وانتكس . وإذا شيك فلا انتكش » ، وجدير بدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم أن تجاب ، وبطلبته أن تتحقق ذلك أن الحريص على الدنيا يضيع دينه ومن ضاع دينه فتمد خسر الخمران كله ، فقد طالما أذل الحرص الأعناق ، وقد طالما نكس الرؤس ، واستعبد النفوس ، وقد خلق الله الناس أحراراً لا عبادة إلا لله فأبى الشيطان إلا خسرهم ، فعاج بهم عن الصراط ، وحرصهم على التهاكك على جمع الحطام ، من الحلال والحرام . فأوقع بعضهم فى بعض ، وحال بينهم وبين البر والخير ، وكان أدنى مراتب الطمع ذلك المعنى

الذى وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه أهلك من كان قبلكم وحملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم ! وهو الشح .

فالزهد إذاً فلسفة إسلامية رفيعة يضعها الإسلام فى الصف الأول من مبادئه السكرية ، ويختص بها الصف الأول من هذه الأمة الوسط فى كل جيل وفى كل عصر .

والزهد إذاً ليس كما زعم بعض الجاهلين قبوعاً فى كسر بيت ، وجوداً أمام كل نشاط أو تجديد أو إصلاح ، وتماوتاً عن كل جليل من الأعمال ، ولكنه أن تريح الناس من مضايقاتك ، وأن تريح نفسك من مضايقات الناس تأخذ الحياة عفواً ، وتجود بها فضلاً ، تأخذها فى إجمال من الطلب ، وعدم انهماك مضمّن قاتل . تأخذها من غير احتيال يوقع فى المكروه ، ويحول دون سماحة للناس أو إحسان إلى من يستحق الإحسان بمن أمر الله به أن يوصل . تأخذها ثم تعطيها فتضعها فى أبواب الخير بعد أن تستوفى رغائبك المشروعة ، تصل القريب والجار والعشير والصاحب والإنسان أياً كان وأينما كان ، ما دمت تستطيع أن تمد إليه يداً ، وتقبل له عشرة ، وبذلك تحيا حياة مطمئنة ، وتعيش مهما تعيش سعيداً محبوباً ذلك معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم (ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى أيدي الناس يحبك الناس) . فأما حب الله إياك فلأنك تستطيع أن تعرف حقه ، وأن تؤدى واجبه . وأما حب الناس لك فلأنك تكف عنهم أذاك وتدعهم ، وما أعطاهم الله من فضله غير منافس ولا مشاكس .

فما عيب هذا الوصف - ليت شعرى - كما يزعم بعض الجاهلين وما جنايته على الإسلام كما يتوهم بعض الحاسدين أو الفارغين لا . إنه لمن محاسن الإسلام ومفاخره ، وإنه لمن أقوى الأدلة على أنه دين الإنسانية الخالد ، وأكبر واضح لمعانى العدل والإحسان والحب والإخاء . ومن حاول أن يرى الإسلام منه من أصدائه الجاهلين ، فقد غاب واقترب وقال على الإسلام زوراً .

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم سيد الزاهدين وهو خير منظم للإنسانية وأكبر واضع لدعائم العمران والحضارة .

وكانت مدرسته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله ، فلم يكن فيهم معنى أمثل من الزهد فى الدنيا والاتجاه صوب الحقائق وبذل

الهمة نحو كل نافع موجب لمرضاة الله وحب الناس ولن يكون ذلك إلا بهذا الزهد الإسلامي العظيم . والتاريخ يحدّثنا عما كان للزاهدين من أثر عظيم في إقامة صروح العدل وتحقيق خلافة الله في الأرض فهذا عمر بن الخطاب وهذا علي بن أبي طالب وهذا عمر بن عبد العزيز وهذا وذاك وغيرهم من المثل العليا لقد كانت أمثل صفاتهم الزهد فيما يتنافس عليه الآخرون .

فعامر بن قيس كان فيما يقال ^(١) أول من عرف بالنسك واشتهر من عباد التابعين بالبصرة وكان واحداً من ثمانية انتهى إليهم الزهد في التابعين والسبعة الباقيون هم : أويس القرني ^(٢) وهرم بن حيان ^(٣) والربيع بن خثيم ^(٤) . ومسروق بن الأجدع ^(٥) والأسود بن يزيد ^(٦) وأبو مسلم الخولاني ^(٧) والحسن بن أبي الحسن البصري ^(٨) .

وقد كان عامر بن قيس من تلامذة أبي موسى الأشعري ومن أخذوا بطريقته وكان أبو موسى يتعده وهو الذي لقنه القرآن وروى صاحب الحلية أنه كتب إليه في يوم من الأيام : أما بعد فإني عهدتك على أمر وبلغني أنك تغيرت فأتق الله وعد !

وأبو موسى الأشعري كان من خيرة الصحابة ومن تخيرهم عمر بن الخطاب - وهو البصير الناقد - فولاه الكوفة والبصرة ومن قبله استعمله النبي صلى الله عليه وسلم مع معاذ

١ - ذكره أبو نعيم في الحلية ص ٩٤ ج ٢ .

٢ - كان سيد العباد والزهاد في عصره وأمره مشتهر .

٣ - كان إماماً كثير الوعظ والإرشاد للسلمايين وقد ولي لعمر بن الخطاب على الحيل ثم ترك العمل تورعاً وزهداً ولم ينتظر الإذن من عمر .

٤ - الإمام القدوة الكوفي روى عن ابن مسعود وأبي أيوب الأنصاري وروى عنه الشعبي والنخعي مات في خلافة يزيد بن معاوية .

٥ - الإمام أبو عائشة الكوفي وهو ابن أخت عمر بن معد يكرب قال الذهبي كان أعلم بالفتوى من شريح توفي سنة ٦٣ .

٦ - الفقيه الزاهد العابد عالم الكوفة وابن أخى عالمها علقمة توفي سنة ٧٥ .

٧ - الفقيه العابد الزاهد ربيعة الشام توفي سنة ٦٢ تقريباً .

٨ - الإمام شيخ الإسلام أبو سعيد البصري نشأ بالمدينة في خلافة عثمان فلزم الجهاد والعلم والعمل راجع ترجمته في التراجم الإسلامية لكاتب المقال .

على النبي وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعجب بقراءته ويقول إنه أوتي من مرامير داود ، وقد ذكره الشعبي في سنة يؤخذ عنهم العلم وهم : عمر وعلي وأبي وابن مسعود وزيد وأبو موسى ، وقال إنه أحد القضاة الأربعة وهم عمر وعلي وزيد وأبو موسى . وقيل إنه لم يكن يفتي في زمن النبي صلى الله عليه وسلم غير عمر وعلي ومعاذ وأبي موسى .

فلا بد أن يكون تلميذه ومريده عامر بن قيس موضوع الحديث اليوم ممن بلغوا في الفقه مبلغا عظيما كريما . ولكن جانب العبادة والزهد غلب عليه ، ومثله ممن كانوا يؤثرون الخول والعزلة إلا بمقدار ما يوجب الإسلام من إظهار العلم وعدم كتمانهم من غير قصد ، يكتفى بقيام غيره بمهمة نشر العلم وإذاعته أما منزلته في الزهد والعبادة فقد رأيت أنه أحد ثمانية عرفوا بذلك وفاقوا الناس في عهد التابعين الأول فيه ، وقد حكيت عنه أخبار ورويت عنه أقوال تؤيد ذلك وتقرره .

فمن ذلك ما ذكره أبو نعيم من أنه كان يبيت قائما أو يظل صائحا فإذا قيل له إن الجنة تدرك بدون ما تصنع وإن النار تنق بدون ما تضع .

قال : لا حتى لا ألوم نفسي ! ومن العجيب ما نقل عنه وهب بن منبه وغيره . قالوا : كان عامر بن قيس من أفضل التابعين وفرض على نفسه كل يوم ألف ركعة يقوم عند طلوع الشمس فلا يزال قائما إلى العصر ثم ينصرف وقد انتفخت ساقاه وقدماه فيقول : يا نفس إنما خلعت للعبادة يا أماراة بالسوء ، فوالله لأعلمن بك عملا حتى لا يأخذ الفراش منك نصيبا ! .

وعن أحمد بن حنبل بسنده إلى الحسن قال : بعث معاوية إلى عبد الله بن عامر أن انظر عامر بن قيس فأحسن إذنه وأكرمه ومره أن يخاطب إلى من شاء وأمره عنه من بيت المال فلما بلغه ذلك قال : أنا في الخطبة نائب . قال : إلى من ؟ قال : إلى من يتبل مني الفتنة والثرة ، ثم أقبل على جلسائه فقال : إني سائلكم فأخبروني ، هل منكم من أحد إلا ولأهله في قلبه شعبة ، قالوا : اللهم لا . قال : هل منكم من أحد إلا لولده في قلبه شعبة ، قالوا : اللهم لا ، قال : والذي نفسي بيده لأن تختلف الأسنة في جوانحي أحب إلى من أن أكون هكذا ، أما والله لأجعلن الهم واحدا . فهكذا عاش عامر بلا زوجة ولا ولد تفرغا لله ، وحبا للرب وإيثارا للوحيد الهم ، والتخلي من الهم ، حتى يعيش في جوار الحب الخالص لمن هو أحق بالحب من كل محبوب ، ومن يجمع لحبيه كل خير وسعادة ولا يتخلي عنه ساعة

مهما يتخل كل حبيب أو صديق ، ومن لا يتغير لصاحبه مهما اختلفت عليه الشئون ، ومن يحسن إلى صاحبه مهما أساء ، ومن لا ينتظر مشوبة على صالحة ويزيد من يركن إلى جانبه نهما وأطافاً وإن قصر فيما ينبغي له .

وهكذا عرف الدنيا وحقارتها ومصيرها وهكذا تكون الفلسفة . وهكذا يكون صفاء النفس ، وسلامة النظر . وهكذا تكون الهداية والتوفيق وانظر كيف وجهه الزهد في الدنيا واحتقارها أن ينفذ تعاليم الإسلام ولا يبالي ما يصيبه في الحق فهو يقول ما يراه وإن خالف أمر الخليفة أو الأمير قال في حلبة الأولياء بسنده إلى أحمد بن حنبل بسنده إلى من عاصر عامر بن قيس قال : مر عامر بن عبد الله برجل من أعوان السلطان وهو يجر ذمياً والذي يستغيث به ، قال : فأقبل على الذي فقال : أديت جزيتك قال : نعم . فأقبل عليه ، فقال : ما تريد منه ؟ قال : أذهب به يكسح دار الأمير ، قال : فأقبل عليه ، فقال : تطيب نفسك بهذا له ؟ قال : يشغلني عن ضيعتي ، قال : دعه ، قال : لا أدعه . قال : فوضع كساءه ثم قال : لا تخفر ذمة محمد صلى الله عليه وسلم وأنا حي ، ثم خلصه منه فكان ذلك سبب تسييره ^(١) .

وبعد فهذا هو الزاهد عامر وهذه حكاية يسيرة كانت فيها عدة أدلة عنه .
أولها : أنه كان فقيهاً دقيقاً فهو يسأل الذي هل أدى جزيته حتى يكون في أمان الله وأمان الإسلام له ما لكل مسلم وعليه ما على كل مسلم ، فهو لا يخدم أحداً ولا يعين إنساناً ما لم تطب نفسه بذلك كما أن كل مسلم كذلك لا يكره على خدمة ولا يعمل سخرة .
وثانيتها : أنه يتحرى في تطبيق الأحكام فيسأل كل واحد من الطرفين في أناة وحلم وأدب كريم ثم انتهى الأمر إلى المقاومة ، قاوم المنكر .

ثالثها : أنه أمره أولاً بالمعروف فلما لم يأتجر جاهده بيده كما هو الحكمة في التصرف .
رابعها : أن الزهد كما قلنا لا ينافي التصريف في الأرض ومداخلة الشئون بالإصلاح والخير فليس هو أن تقول : دع الخلق للخالق كما يزعم من لا يفهم ، ولا أن تقول مالى ولهذا الأمر لا يعنيني ، فكل مسلم خليفة عن الله يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويعين على الخير ويقاوم البغي . وليس الزهد إذا إلا خلافة صالحة عن الله في الأرض ونشاطاً يزاوِل المرء به

(١) تسييره : إخراجه ونفيه .

كل معنى فاضل كريم . لقد أصيب عامر من جراء هذا الجهاد فأخرج من بلده وحيل بينه وبين وطنه وما بالى في سبيل ذلك شيئاً .

روى أنه سیر إلى ظهر المربد فشيعة بعض إخوانه فقال : إني داع فأمنوا . قالوا : هات فقد كنا نشتهي هذا منك . قال : اللهم من وشى بي وكذب على وأخرجني من مصرى وفرق بيني وبين إخواني . اللهم أكثر ماله وولده وأصح جسمه وأطل عمره . وإذا فهذا الذي يتمناه الناس اليوم لأنفسهم بلاء عند الزاهدين وشركشير عند المقرين فالمال بلاء ، والولد بلاء ، والصحة بلاء ، وإذا طال العمر في هذا البلاء فقد طال عمر المرء وساء عمله . فيا ليت عامراً رحم صاحبه ورثى له ولكن أنطقه الله الذي أنطق كل شيء . ولو شاء لهداكم أجمعين . ولو أردنا أن نستقصى الكثير مما ورد في أخباره وأقواله وما حفظ له من كرامات أكرمهم الله سبحانه بها كما أكرم نفسه عن الدنيا لطلال المدى ، ولكننا نؤثر أن نورد بعضاً من أقواله لتكون قياساً لكثير من النفوس المؤهلة ، ولا نرجو من وراء ذلك أن نحمل الناس على الزهد الأول ، ولكننا نحاول أن يكف بعض الناس أذاهم عن بعض ، وأن يحملوا في طلب الدنيا ويأخذوها برفق ، ولا يأسوا على ما فاتهم ولا يفرحوا بما آتاهم والله لا يحب كل مختال فخور . فمن ذلك قوله : لو كانت الدنيا لي بخذا فيرها ثم أمرني الله تعالى بإخراجها لأخرجتها بطيب نفسي . لا أبالي حين أحبت الله تعالى على أي حال أمسيت وأصبحت منذ عرفت الله لم أخف سواه .

ومما يؤثر عنه : من جهل العبد أن يخاف على الناس من ذنوبهم ويأمن هو من ذنوب نفسه . وسأله رجل أن يدعو له فقال : إنك لتسأل من قد عجز عن نفسه ولكن أطع الله ثم ادعه يستجب لك .

ومن كلامه المنفعل العجيب : في الدنيا الهموم والأحزان وفي الآخرة النار والحساب ، فأين الراحة والفرح ؟ إلهي خلقتني ولم تؤامرني في خلقي . وأسكنتني بلابا الدنيا ثم قلت لي استمسك . فكيف استمسك إذا لم تمسكني ؟ إلهي ! إنك لتعلم أن لو كانت الدنيا بخذا فيرها لي ثم ألتنيها لجعلتها لك فهب لي نفسي . وهذا كله ضراعة في أدب لا خروج فيه ولكنه استدرار لرحمة الله وإحسانه كتمول يوسف عليه السلام : « وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين » . اللهم عصمتك ورحمتك وتوفيقك وإحسانك ؟

محمود النواوى

الدين... في موقف الدفاع

في ثانيا تحية موجهة إلى شيخ الأزهر الجديد ، ذكر الأستاذ عباس العقاد أن الدين يقف الآن موقف الدفاع ، وأعرب عن ثقته في جدارة الأستاذ الأكبر بهذا المنصب ، في هذا الموقف .

والحق أن الدين عموماً - كما أبان الأستاذ العقاد - يقف في حالة دفاعية : لقد أحدثت (الآلة) تغييراً جذرياً في بناء النفوس والعقول والمجتمعات ، ورافق هذه التحولات الخطيرة الاتجاه الاستعماري الذي جعل الدين في البلاد الشرقية يتعرض لضغط التطور ودفع الغزو في وقت واحد ، وشملت آثار العصر المادي الجديد الديانة المسيحية عند الغرب كما بلغت الإسلام في الشرق . لكن المسيحية الغربية - بمنظوماتها المختلفة ، وإمكاناتها الواسعة - قد تصلبت في الدفاع فظهرت الكتابات المختلفة في هذا الصدد ، وسمى هذا الاتجاه الدفاعي أو الاعتذاري Apologia - لأنه يعتذر لما يرفضه العقل الحديث في شأن الدين هناك . ومن الكتابات الممتعة الموجزة في هذا الاتجاه ما نشرته مؤسسة بليكان Pelican للنفس البريطاني كاربنتر S. C. Carpenter عن المسيحية .

ولا يسوء المسلمين أن يقف دينهم موقف الدفاع ؛ لأنهم يعلنون أنهم يتفوقون على أرض ثابتة لا تميد ، ودينهم يعطيهم حرية النفوس والعقول وتناول القضايا بالمنطق والبرهان . بل إن المسلمين يسرهم أن يروا دينهم في موقف دفاع ، وهو مع ذلك حافظ لأصالته وجدارته . وإنها لضارة نافعة ، أن يضعف كيان المسلمين السياسي ، ويتعرض دينهم للهجوم الفكري ؛ فإن الإسلام إذا ثبت في هذه الجولة - وهو بهذا جدير - لسكان في هذا إيذان بتبدد ما شاع عن أن الإسلام إنما انتصر بالقوة وحدها ، وأنه إنما انتصر لأنه واجه أعداء ينخر فيهم الضعف وكتب عليهم الزوال .

ثم إن الإسلام حين ينتصر فكرياً بعد أربعة عشر قرناً من ظهوره ، يقدم بذلك أبلغ دليل على صلاحيته للخلود ، وشموله لمختلف الاحتياجات الإنسانية ومنها النزوع إلى الترقى المستمر ، فهو دين تطوري لا يضيق بزمان ولا مكان . ولتناقش - في إيجاز - طابع عصرنا الذي نعيش فيه ، لنرى مدى مسابقة الإسلام لزماننا وبيئتنا .

أول طابع للقرون الأخيرة منذ عصر النهضة الاتجاه إلى التجربة والعكوف على معالجة المادة ، والانصراف عن الروحيات والغيبيات وما إلى ذلك .

غير أن هذه النزعة لم تسلم من رد فعل . . . فالنزعة الرومانتيكية تتجه إلى الخيال والتجريد ، والعلوم الطبيعية قد انتهت بعد النظرية النسبية والأبحاث الذرية إلى إنزال المادة من عليائها ، وهذا ما يشير إليه أبلغ إشارة الأستاذ راندال J. H. Randall في كتابه « تكوين العقل الحديث » حيث يقول : « إذا أشرفنا على آخر القرن التاسع عشر وجدنا أن الذرة بما لها من كتلة ثابتة اعتبرت هي الجوهر الأول ، وأن الحركة التي يعبر عنها بمعادلات علم التحريك اعتبرت هي العملية الأولية . وبالنظر لما حل منذ ذلك الحين بالمفاهيم الأساسية لهذه النظرية الشديدة السبك - المادة والطاقة والأثير - فمن الضروري أن ندرك أن طريقة التحليل الآلي ليست متميزة بحدود هذه النظرة الآلية المادية القديمة . فقد اعتبر علم القرن التاسع عشر بأن حركة المادة هي العملية النهائية والشكل الأخير للطاقة أما الطاقة الدورية فإنها قد أصبحت في هذه الأيام أكثر أساسية من (المادة) . وعلى ذلك فإن علمنا لم يعد اليوم علما (ماديا) إذا أردنا الدقة في التعبير ، وليست لقوانين الحركة الآلية من الشمول بمثل ما لسلوك حقل الإشعاع ، بل قد لا تكون هذه القوانين سوى مجرد شكل خاص للسلوك » .

والإسلام لم يضيق بالمادة ولا بالتجربة ولم يحتقر الحس والمشاهدة ، فهو الذي تدأب آيات كتابه على لفت النظر وإثارة الانتباه إلى مشاهد الكون وآيات الوجود : إلى الأرض والجبال والماء والنبات والحيوان ، وإلى الهواء والفضاء والكواكب والأفلاك ، وإلى الإنسان في جسده وروحه وعقله ونفسه . والإسلام هو الذي حصر الغيبيات والسمميات في أضيق نطاق ، وكُم شدد العلماء في تمحيص الروايات التي تتعرض لهذه الأمور . فالمسلمون لم يشغلهم التفكر في الله عن الاستفادة من نعمه ، والتبصر في خلقه ، والعيش في كونه ، والنظر في نواميسه ، فهذه الدنيا على فنائها هي حقل نشاط المؤمن ، ومجال اختباره ومعبره للأخرة الذي لا بد منه ، وهو يعبد الله بالعلم بها والعمل فيها ، ومن هنا سجل التاريخ لعلماء المسلمين اتجاهات تجريبية يفاير اتجاه الإغريق - وقد حاول الأستاذ جب أن يلتبس لهذا سببا في جذور العقلية العربية فرأى « أن انصباب الفكر العربي على الأحداث الإفرادية يوجه علماء المسلمين نحو طرق التجارب العلمية فيذهبون إلى أبعد مما ذهب إليه من سبقهم

من اليونان والإسكندرية ، ولا يعنينا التعليل هنا بقدر ما يعنينا التقرير . وهذا هو عملاق الفلسفة الرياضية برتراند رسل يتول في (النظرة العلية) : « كان العرب أميل إلى التجريب من الإغريق - وبخاصة في الكيمياء ، فقد كانوا يأملون أن يحيلوا المعادن الرخيصة إلى ذهب وأن يكتشفوا حجر الفلاسفة وأن يركبوا أكسير الحياة ، وكان هذا من أسباب إقبالهم على البحوث الكيميائية ، وقد حمل العرب تماثيل المدنية طوال عصور الظلام ، وإليهم مرجع كثير من الفضل في أن بعض المسيحيين أمثال روجر بيكون قد حصلوا كل المعارف العلية التي تهيأت للشطر الأخير من العصور الوسطى » .

غير أن الإسلام له قضاياه التي لا يتم الوصول إليها إلا عن طريق العمليات العقلية العليا والمنطق الفكري المجرد ، وهذه قد لا يستطيع التجريديون الذين لا يسلون بغير التجربة أن يسلوها بها ، لكن هؤلاء أيضا إذا كانوا راسخين في العلم لن يستطيعوا أن يرفضوها . . . وفرق بين عدم الاعتراف بالدين وبين الإلحاد ، وهو فارق دقيق يحسن التنبه إليه ؛ لأن الملحد لا يلحد عن تجربة محسوسة بل عن إيمان عكسي ، إيمان بالإلحاد يتدخل فيه القطع بأمور لا تدركها التجربة ويخالطه التحمس لما لا يقوم عليه دليل .

والاتجاه العلي الآن لا تجثم على روحه المادة الكثيفة كما كان من قبل ، والتجربة نفها صارت تمارس في مجالات النفس كما كانت تزاو في ميادين الطبيعة ، وكل ذلك يجعل موقف الدين ثابتا متينا في موقف الدفاع . وهذا ما يعبر عنه الأستاذ العتماد حيث يقول : « إن المادة اليوم لا تصد المفكرين عن عالم الحقائق المجردة ، ولا هم يتخذون من صلابتها وجسامتها شرطا للحقيقة الثابتة ، فإن الحقيقة المادية نفسها لا تثبت اليوم بمجرد الصلابة والجسامة ، ولا تزال ترتد إلى أصولها حتى تتول إلى عدد من الهزات في ميدان مجهول هو ميدان الأثير وميدان الفضاء ، فالمادة في القرن العشرين قد اقتربت من عالم الفكر المجرد بل دخلته وأصبحت في تقدير الثقات (عملية رياضية) أو نسبة من النسب التي تقاس بمعادلات الحساب . وقد جاز لعالم كبير كالسير جيمس جنتر أن يعتبرها كذلك وأن يقول « إن المعرفة الجديدة تضطرنا إلى تنقيح خواطرننا العجلى التي أوحث إلينا أننا وقعنا في كون لا يحفل بالحياة أو لعله يعمل على مناصبتها العداء ، ويلوح لنا أن الثنائية العتيقة التي تقول بالعقل والمادة ويرجع إليها افتراض العداوة المزعومة آخذة في الزوال ؛ لأن المادة الجوهرية تحيل نفسها إلى شيء من خلق العقل ومظهر من مظاهره ، ونحن نستكشف أن الكون يبدى الدليل

على قدرة مدبرة أو مسيطرة لديها العقل ، وجاز كذلك لعالم آخر كبير كالسير آرثر إدنجتون أن يقول : « إن نظرات المتصوفة لا تهمل وإن ملكات الإنسان التي يمازجها الشعور الديني هي من وقائع الكون إذا كان الإنسان قد استبقاها بفعل الانتخاب الطبيعي وهو من أهم العوامل الكونية ، ومن هنا يحق لنا أن نطمئن إلى موقف الإسلام في عصرنا .

إن هذا العصر الذي أعلى من قيمة العقل عموماً وعكف على المادة والتجربة بصفة خاصة يفسح المجال لهذا الدين الذي وصفه البروفسور مونتيه بما يقله عنه توماس أرنولد قائلاً « الإسلام في جوهره دين عقلي بأوسع معاني هذه الكلمة من الوجهتين الاشتقاقية والتاريخية ، فإن تعريف الأسلوب العقلي Rationalism بأنه طريقة تقيم العقائد الدينية على أسس من المبادئ المستمدة من العقل والمنطق - ينطبق على الإسلام تمام الانطباق . والحق أن محمداً الذي كان متحمساً لدينه كما كان كذلك يمتلك غيرة الإيمان ونار الاقتناع - تلك الصفة القيمة التي بثها كثيراً من أتباعه - قد عرض حركته الإصلاحية على أنها وحي وإلهام ، على أن هذا النوع من الوحي ليس إلا صورة من العرض والتفسير ، وإن لدينه كل العلامات التي تدل على أنه مجموعة من العقائد قامت على أساس المنطق والعقل .. وإن بساطة هذه التعاليم ووضوحها لهى على وجه التحقيق من أظهر القوى الفعالة في الدين وفي نشاط الدعوة إلى الإسلام .

والطابع الثاني لعصرنا الذي نعيش فيه أنه عصر الديمقراطية والاشتراكية . وجوهر الديمقراطية والاشتراكية أن البشر متساوون متكافلون في حقوق الساطة والمعاش ، لا يستعلى أحدهم على الآخر بحسب أو نسب ، بطبقة أو رتبة . والإسلام الذي قام على صلة العبد المباشرة بربه ، قد أقام المساواة بين الناس ، فهم جميعاً عباد الله ، لا يستعلى عليهم إلا العزيز القهار .

وكيف يضيق الفكر الإسلامى بالديمقراطية أو الاشتراكية ، وهو قد قام على أصول الحرية في مناهجه الجدلية العقائدية والأصولية الفقهية . ولقد ركزت الأبصار وسلطت الأنوار على آيات القرآن « وشاورهم في الأمر » ، « وأمرهم شورى بينهم » ، « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » ، « كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم » ... وعرضت في هذا الضوء أحاديث الرسول « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » ، « إنما الطاعة في المعروف »^(١) ،

[١] روايات مختلفة للبخارى ومسلم وأبي داود والنسائى وأحمد والحاكم في المستدرک .

« المسلمون شركاء في ثلاثة : في الماء والكلاء والنار » (١)، « من ولى لنا عملاً وليس له منزل فليتخذ منزلاً ، أو ليست له زوجة فليزوج ، أو ليس له خادم فليتخذ خادماً ، أو ليست له دابة فليتخذ دابة » (٢) ، « أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن توفى من المؤمنين فترك ديناً فعلى قضاؤه ، ومن ترك مالا فهو لورثته » (٣) . ومن هنا يقف الإسلام لا يتزلزل أمام صيحات العدالة الاجتماعية والسياسية ... ومن فقهاؤه من قرر في صوح أن فرضاً على صاحب الطعام إطعام الجائع ، وأن على المجتمع أن يكفل للفرد حاجته من القوت والملبس والسكن الذي يقيه من الحر والبرد والمطر وعيون المارة ، وأن صاحب الأرض ينبغي أن يفلحها ويزرعها بجهده المباشر ، أما إن أعطاها لمن يستغلها فهي منحة ولا يجوز الإيجار ... والذي قرر هذا عاش في القرن الخامس الهجري ، وهو الإمام الأندلسي المجتهد الحجة أبو محمد علي بن حزم .

ثم إن عصرنا عصر (علم النفس) - هذا هو طابعه الثالث ، فقد أرهق الناس صراهم من أجل القوت واحتشادهم في المصانع والجماع واضطرابهم أمام المطامح والمطامح وانفعالهم من أزمات المادة والروح وصداعهم من ضجيج الآلة واحتياجهم إلى تدعيم الأسرة وشغل الفراغ وتنديّة الروح ... وفي هذا القلق والألم والفرع ظهرت أبحاث النفس تحاول أن تسد الثغرة الروحية في الحضارة المادية وتسكن على أساس تجريبي .

والإسلام حين ربط الناس بالله لم ياهمهم عن النفس الإنسانية ومشكلاتها ... إنه دعاهم لعبادة الله لتطمئن نفوسهم هم لا ليمجد الله بالتسبيح والحمد والثناء ، فما أغناه عن طاعة الطائعين « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب » ، والإسلام جعل معرفة النفس من معرفة الرب « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » .

ولم يحتقر الإسلام دوافع الحياة النفسية ، ولم يعلن معركة بين الإيمان والواقع الحيوي . المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والطعام والشراب مطالب ضرورية ، والسعي في طلب الرزق جهاد مبرور . ثم إن الحاجة الجنسية فطرة الله الذي خلق للناس من أنفسهم أزواجا ليسكنوا إليها وجعل بينهم مودة ورحمة ، وهي حاجة إنسانية ونعمة إلهية لا ينبغي أن تتعارض مع تسامى الواجبات الدينية « أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ،

[١] أحمد وأبو داود - حسنة السيوطي .

[٢] رواه أحمد .

[٣] أحمد والبخاري ومسلم والنسائي والترمذي وابن ماجه .

هن لباس لكم وأتم لباس هن ، علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم ، فالآن باسروهن وابتغوا ما كتب الله لكم ، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام إلى الليل ، وهل ينسى قراء الفقه الإسلامى ما يرد فيه من أحكام الطهارة التى تتعرض للإمناء والحيض ، وأحكام النكاح إلى غير ذلك من الأحكام ، يشرحها الفقهاء ، لأن المعرفة لا يحجبها الحياء ؟ ؟

وأخيراً فإن لعصرنا طابعا عملياً هو السرعة ... السرعة التى دفعتنا بها الآلة إلى الأمام تطوى لنا الزمن ، فلا نمضى الوقت فى التنقل من مكان إلى مكان ، أو فى صناعة أو عمل ، والآلة بطاقتها الرهيبة الجبارة سرعان ما تفعل هذا وذلك من الأعمال .

والآلة تغلغلت إلى البيت فى مطابخه ومرافقه ، وإلى الشارع والمدرسة ، وإلى الدكان والمصنع ... وأصبحت الحركة الوامضة الخاطفة هى طابع الحضارة الصناعية .

والإسلام الذى يدعو إلى العلم والعمل ، ويمجد الحركة والنشاط ، يبارك هذا الطابع ولا يضجر منه .

والإسلام لا يربك الناس بالطقوس والأوراد التى لاتدع وقتاً لشيء ، أو لاتدع حضارتنا السريعة لها وقتاً . إن شعائر الإسلام خمس صلوات خفيفة لطيفة ، لاتستغرق دقائق معدودات ، ويغنى فيها الجمع والقصر عند السفر ، ووضوءها نظافة ويغنى عنه التيمم عند وجود العذر . والصيام شهر فى العام ، الإمساك فيه من الشروق للغروب غسب ، والتعجيل بالفطر وتأخير السحور فيه سنة ، ويعنى منه المسافر والمريض ، والحج رحلة مرة فى العمر . وكل هذه الشعائر طابعا التيسير ورفع الحرج .

إن الإسلام يفسح المجال للإسلام لى يذكر الله فى أعماله كلها : فى البيت والشارع والمصنع والمنجم ، فى أجواز الفضاء وأغوار الماء - ولكنه ذكر يدعو إلى التعبد بالعمل ومراقبة الله فى معاملة الناس ، وابتغاء الآخرة فى طلب الدنيا . فورد المؤمن فى القلب ، وتدينه بتنفيذ هدى دينه فى سائر نشاطه اليومى ، والدنيا كلها معبده ومحرابه .

ديننا إذن فى موقف الدفاع وهو يستطيع الثبات فى موقفه ويستطيع أن يكرر معجزاته بأسلوب جديد .

والحضارة المادية الصناعية لم تستطع القضاء على جذور الدين فى أعماق النفس فى أى مكان من أمريكا أو أوروبا ، وكل من يزور البلاد الغربية يعرف مكان الدين فى ضمير الفرد مهما انحسر مداه وضل غوره .

والإسلام - من ناحية الواقع التطبيقي - لم يفقد طاقته الانتشارية حتى بعد المحن والخطوب المتلاحقة .

يقول الصحفي الأمريكي جون جنتر Gunther في كتابه (داخل إفريقيا) بعد أن عرض لبساطة العقيدة الإسلامية « ... هذا واحد من الأسباب التي تعمل : لماذا خط الإسلام مسالكه الكبرى في قلب إفريقيا المعاصرة . فعدد المسلمين يكاد يتضمن ثلث مجموع سكان القارة اليوم ، وهم يزدادون عددا طوال الوقت وليس في الإسلام تمييز عنصري ، ومن ثم لا يقوم حاجز يمنع تحول البانتو أو الزنوج إلى رحابه ، ولقد انتشر انتشاراً شاملاً عمماً بين عباد الأوثان والحيوان ، لأن شعائره مبسطة للغاية بقدر ما فيه من جاذبية أصيلة راسخة ونقطة أخرى : إن الإسلام نظام اجتماعي كما هو دين - نظام اجتماعي يمنح المؤمن اعتقاده بالمساواة مع جميع المؤمنين الآخرين . وكثيراً ما يوصف الإسلام بأنه الأكثر ديمقراطية بين ديانات العالم ، .

ولقد صور الدكتور محمد البهي موقف الإسلام الدفاعي تصوير المؤمن العالم الواقعي « الإسلام من حيث هو مبادئ لا يتوقف اعتباره على مكان معين ولا على جيل من البشر . وكما ذكر (إقبال) الإسلام بما اشتمل عليه من مبدأ (الحركة) يعيش مع الإنسان المتحرك وفي العالم المتغير المتطور فهو لا يؤزم بالصلبية ولا بالماركسية إذ طالما كانت له طبيعة الوجود الخالد ، فلا يضار بالهجوم عليه من هنا أو هناك لأنه عندئذ لا يقبل الفناء . غلود الإسلام في رسالته ، ورسالته (التوازن) - التوازن في قيادة الفرد لنفسه ، والتوازن في علاقة أفراد الأسرة الواحدة بعضهم ببعض ، والتوازن في علاقة الأفراد جميعاً ما بين جار قريب وبعيد وما بين حاكم ومحكومين » .

ولكي تحول هذه الحقيقة الكامنة في الإسلام إلى دعوة منطلقة متميزة واعية في واقع المسلمين يحتاج - كما أشار الدكتور البهي - إلى جهود على رأسها جهود الأزهر حين يصير بجهود المخلصين ، ذا رسالة إيجابية في تهيئة المجال الحيوي لمصر في إفريقيا الإسلامية ، وفي مقابلة الاستعمار الغربي ، وفي الإسهام في حل مشاكل الشعوب الإسلامية : الاجتماعية والاقتصادية ،

حقق الله الآمال ، وأعان على تبعات الحق شيخ الأزهر الجديد .

الفرقان المنزل وأثره في الأدب العربي

مما لا مرأ فيه أن عوارض الوهن والانحلال تأصلت أسبابها بآدى ذى بدء في العقائد الدينية في بلاد العرب زمن الجاهلية يوم كانوا على تخاذل وتناحر وافتراق ، وظهر ذلك بأجلى مظاهره فيما خلفوه من التراث الأدبي في الشعر والنثر ، إلا في مكة فقد كانت أبداً أهم المراكز الدينية ، ولم تتأثر قيمة الأماكن المقدسة ولا انطمست فيها المعالم الدينية ، غير أن سكان هذا البلد كان أكبر أمانهم ما يجنونه من الربح من وراء إقامة الأهل ، أى أن الناحية الدينية كانت في تقديرهم في المرتبة الثانية ، حتى ظهر محمد خاتم الأنبياء ، وجاءهم بوحي من الله فتآخروا بعد التخاذل ، وتآلفوا بعد التفرق ، فبث بينهم تعاليم رشيدة قيمة ألقت بين أغراضهم التي شربوا عليها وبين مرامي الحياة العليا الفاضلة ، فعفروا حياة الإنسان قيمتها على الوجه الأكمل ، الذي يعين على أن يجمع العربي المسلم بين حياتين : حياة الزاد وحياة المعاد ، بل بين حياتين : حياة عاجلة فاضلة وحياة آجلة مثالية كاملة .

لقد حث الفرقان المنزل بآياته المحكمات على القراءة والتعلم ، فقل شبح الأمية رويداً رويداً ، ومن هذه الناحية قصر مسافة الخلف بين العرب ومنهجهم المزيدي من تفاهمهم ، فانمحت آثار الجاهلية الفشاء ، وظهر أثر ذلك جلياً في الأدب العربي في ذلك العصر وما تلاه من عصور متعاقبة ، وظهر لهم على أثر ذلك أبحاث ممتعة وأفكار خالدة استضاء بنورها العالم طويلاً ، ولا زالت حتى الآن ذخراً هاماً يرجع إليه في كثير من العلوم والمعارف .

وقد عني أبلغ العناية رهط كبير من جلة الصحابة باستظهار القرآن الكريم ، كما عمل خلفاء الرسول الأعظم على جمعه وترتيبه جمعاً كان له أبلغ الأثر في الاحتفاظ بهذا التراث العظيم الذي بقى للمسلمين سراجاً وهاجاً ومصابيحاً مبيناً حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

يتبين مما تقدم أثر الفرقان في الأدب العربي من ناحية روعته واتساقه وقوة بيانه وبلوغه أوج السكال ، وأظهر ما ظهر في ألفاظهم وتراكيبهم شعرهم الرصين وأدبهم القديم ، حسب القارىء أن يعلم مما عثرنا عليه في آراء الفلاسفة من الإلكنز والألمان والفرنسيين مترجماً إلى اللغة العربية أن الأدب العربي لا يدانيه أدب في أية لغة من لغات سكان هذه الرقة السوداء .

كان صلى الله عليه وسلم ليست له نزعة إلى الشعر ، وكان لا يميل إلى الشعراء في بادئ الأمر ، فلما استقر لرسول الله الأمر في المدينة اتخذ له من الشعراء أعوانا للرد على شعراء وفود قبائل العرب الذين كانوا ينفدون إليه مدعين لحتمه الذي علا سلطانه فوق كل سلطان ، وأول من اتخذ رسول الله من الشعراء حسان بن ثابت من قبيلة الخزرج ، وكان قد بدأ حياته بصناعة الشعر واتخذها مورداً لرزقه في بلاط أمراء الحيرة (١) ودمشق ، فلما بلغه تألق نجم النبي في يثرب ذهب إليه طيعاً ونصب نفسه وموهبته الشعرية للدفاع عنه ، فأجزل له رسول الله الأعطيات ، وقد عمر طويلاً بعد النبي وتوفي سنة ٤٥ هـ وقد بلغت أشعاره درجة عظيمة من السمو المعنوي وجزالة التراكيب ، وكانت عبارته اللغوية سهلة في غير كلفة كما كانت سهلة الأداء على الأجيال المتأخرة ، وذلك ما حفزهم على الإشادة بفضله والتغنى بحليل آثاره .

واشتهر من الشعراء بعد حسان بن ثابت في هذا العهد اثنان من فطاحل شعراء العرب ، هما الأعشى وكعب بن زهير ، ولكل منهما شعر بديع في مدح النبي ، ولو أن أولهما مات ولم يدخل في الإسلام .

ولكنه لم يعتنق المسيحية ، فلما بلغته دعوة النبي صلى الله عليه وسلم نظم قصيدة في مدحه جمعت محاسن فنون اللغة وحازت إعجاب العلماء أعدة قرون ، ولو أنها لم تبلغ من الشهرة والذيع ما بلغته قصائد حسان بن ثابت .

وأما كعب بن زهير فهو سليل أسرة عرفت بالشعر منذ القدم من قبيلة مزينة ، وتجلت فيه الروح الشعرية القديمة بأجلى مظاهرها ، ففاق سابقيه في الشعر من حيث الطلاوة والرواق ، وكان في أول أمره لا يميل إلى الإسلام لتقييده حريات الجاهلية الجارفة ، فلما رأى أخاه بجيراً قد دخل في الإسلام نظم فيه قصيدة ملأها السخرية والتهكم الجارح ، فأغضب ذلك رسول الله فأهדר دمه ، فاضطهده المؤمنون في كل ناحية إلا أنه تمكن أخيراً من الوصول إلى رسول الله وألقى بين يديه قصيدة عصماء مطلعها (بانت سعاد) جمع فيها أحسن أساليب الشعر معنى وأجرها لفظاً ، فرضى عنه الرسول وصفح عن زلته ، ودخل في دين الله .

وأشهر شعراء العرب في عهد النبي الأعظم هو بلا شك ليبيد بن ربيعة فقد تمثلت فيه الروح العربية القديمة بشكلها النبيل ، فبرز بين شعراء عصره وامتاز عليهم جميعاً .

ولما استقر الأمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة وبلغته رسالته جاء على رأس

وفاء من قبيلاته لإظهار خضوعهم ودخولهم في الإسلام ، ثم مات أخوه بصاعة ، فنظم فيه مرثيات هي آية الآيات في الروعة والجمال ، وأقام أخيراً بالمدينة فلم يبرحها إلى الكوفة إلا في عهد خلافة عمر ، وعاش طويلاً ، قيل إنه مات في أول خلافة معاوية بن أبي سفيان حوالي سنة ٤٠ هـ . وكانت توضع منظوماته في المسكن الأول بين شعراء العرب وليس أدل على ذلك من أن إحدى قصائده وضعت ضمن المعلقة السبع .

وقد اشتهرت المراثي بين منظومات العرب منذ القدم شهرة عظيمة فوضع فيها أكثر شعراء العرب آيات خالدة غاية في الجمال والروعة وامتاز عهد النبي في هذا الضرب من الشعر بظهور اثنين من فطاحل الشعراء ولكل منهما مرثيات من أبدع ما نظمته العرب وهما متمم ابن نويرة والخنساء .

وظهر كذلك من الشعراء عدد غير قليل أثناء الغزوات والفتوحات الإسلامية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخلقائه الراشدين ، على أن هذا العصر كغيره من عصور الحروب على العموم لم يكن في صالح الشعر والأدب العربي ، وأن أثره في تاريخ العرب السياسي كبير إلى أبعد حد ، إذ تمكن العرب بدافع تمسهم لدين الله في وقت قصير من زلزلة الإمبراطورية الرومانية الشرقية ، وإخراجها من الشام ومن ممتلكاتها الإفريقية ، وتقويض المملكة الفارسية . ومن شعراء عصر الغزوات المميزين أبو مخنف من قبيلة ثميف ، وكان قد اشترك في الدفاع عن مدينة الطائف ضد المسلمين الفاتحين ، ودخل هو وعشيرته بعد ذلك بزمان قصير في الدين الإسلامي ، واسكنه بقي على كثير من عاداته القديمة فاستخدم موهبته الشعرية في مدح الخير التي حرماها الإسلام ، واشترك في حروب الفتوحات الإسلامية في الشمال ، وامتاز ببلائه في موقعة القادسية ضد الفرس ، فنفرت له شجاعته وتوبته ما تقدم من ذنبه وتوفي سنة ١٦ للهجرة . واشتهر بعده أبو ذؤيب ، وامتاز عنه بشخصيته البارزة ، وموهبته الشعرية القوية ، ويعد أشهر الشعراء الهذليين ، واشترك في غزوات الفتوحات الإسلامية وجاء إلى إفريقية عام ٢٣ هـ فمات أولاده الخمسة في مصر بمرض الطاعون ، فراثهم بمرثية رائعة وتوفي وهو في طريقه إلى المدينة بصحبة عبيد الله بن الزبير وكانا يقصدان الخليفة ليخبراه بنياً غزوة قرطاجنة .

وأما الشعر الهجائي فكان ذا نغمة في العصور القديمة ، وكثيراً ما استخدم في الجاهلية في نزعات القبائل المختلفة إلى أن انحط وانقرض بعد ذلك تدريجياً - ولعل أشهر من عرف من

شعراء المهجاء في هذا العهد الخطيئة ، وكان يحوب بلاد العرب مةذعا الناس لإرهاهم والنيل منهم ، ولولا الحزازات بين قبائل العرب وتحامل بعضهم على بعض لما حفظ شيء من هذا الشعر . هذه خلاصة مفيدة عن الشعراء الذين تأثروا بأداب القرآن الكريم ، ونسجوا على نهج رفيع من الأساليب العربية في الشعر والنثر ، بعد أن خلع عليهم كتاب الله وفرقائه المنزل أبدع ما عرفت اللغات من أنواع الأساليب والمبتكرات ، وقد ظل القرآن الكريم تراثا للسليبين يرثه الخلف عن السلف حتى يأتي أمر الله ويتحقق موعوده يوم الساعة : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » ،

عباس طه

المحمامي

عجلة الزمن

لعبد الفتاح أبو مدين

ضمن ما نشر في هذا الباب نشرت مجلة الأضواء بجدة الكلمة الآتية :

الشيخ شلتوت

ولى الأستاذ الأكبر الشيخ شلتوت مشيخة الجامع الأزهر . والشيخ شلتوت قين بهذا المنصب الكبير وجدير بأن يتولى أمور هذه الجامعة الكبرى التى تؤدى رسالة العلم مند قرون طويلة ، وقد خرجت كبار العلماء من بين أروقتها ، وهم الذين يؤدون رسالة العلم فى فسحات الأزهر ، وفضيلة الشيخ الجديد عالم ومن كبار العلماء المشرعين ، ومن الذين لا يترمتون ، فهو عالم عصرى ، ومشرع كبير ، تلس هذا فى أحاديثه التى يذيعها كل جمعة من إذاعة مصر : وفيما يكتبه فى الصحف ، وفى الفتوى التى يصدرها عن سؤال يوجه إليه فى شئون الدين ، وهو على تقدمه فى السن نشط يفيض حيوية وقوة ، ويرجع هذا على ما أعتد إلى قوة إيمانه العميق ، وإخلاصه فى أداء رسالته ، وخدمته لدينه وللشعوب الإسلاميه بتشريعاته .

فتحية للرجل العالم الجليل وتهنئة بهذا المنصب السامق الذى يدين له الإسلام بفضل التشريع والهدى . تحية للأجداد العاملين ؟

رسالة الأزهر

- ٥ -

(رسالة الأدب)

أقرر اليوم أمرين لا غنى لي عن ذكرهما في هذا الحديث الذى أختتم به رسالة الأزهر الأدبية .

أولهما : أتى لم أعرض فى كتاباتى السابقة لأديب من غير أدباء الأزهر . ورضيت أن أسير فى هذه السبيل الضيقة - سبيل قصر الحديث على أدباء الأزهر - ذلك لأن المعروف عند غير الباحثين أن الأزهر بطبيعة ما يدرس فيه من العلوم - بعيد عن أدب الدرس ، لأن الأدب ترف نفسى يعطل رسالة الأزهر الدينية وما تستلزمه من دراسة قواعد اللغة العربية بأنواعها ، والرسالة الدينية هى أساس الأزهر .

فأردت أن أنبئ عن الأزهر فى تاريخه الطويل هذه القالة بما أسلفت من كتابات . وما ذكرت فيها من أسماء أعلام فى الأدب إلى جانب أنهم أكبر من أعلام فى العلوم الدينية وما يدور حولها من علوم ، وبذلك يكونون قد جمعوا بين الحسنيين : العلم والأدب . وهم وإن كانوا قلة فى تاريخ الأزهر إلا أنهم قد حققوا له رسالة أدبية شاركوا فيها أدباء عصورهم منذ كان الأزهر أزهرأ .

أما الأمر الثانى : فهو أن دراسة كتب الأدب إما أن تخرج كاتباً أو شاعراً مثلباً رأى ابن خلدون من أن المقصود من درس الأدب هو ثمرته . وهى الإفادة فى فنى المشور والمنظوم . وإما ألا تخرج واحداً منهما . وهذا التخرج عندى يرجع إلى التوفر على المللكة الأدبية أكثر مما يرجع إلى الإكثار من الاطلاع والدرس ، فصاحب المللكة الأدبية تواتيه ملكته بالشعر أو النثر بأيسر اطلاع وأقل دراسة ، وهذا النوع أسميه الأدباء الفعليين أما النوع الثانى : الذى قد يقضى أكثر حياته فى الدرس والقراءة بل والتأليف أيضا - ثم هو خلو من المللكة الأدبية . فهو غير ميسر لأيهما - فذلك هو العالم باللغة وفروعها ،

وإذا كان من النوع الأول أعلام في التبيين والبيان . فإن من النوع الثاني أعلاماً في العلم والعرفان .

* * *

ذكر لنا الشيخ الأكبر مصطفى عبد الرازق في محاضراته عن حياة الإمام محمد عبده نقلاً عن أحد المستشرقين قوله - « وقد ذكر الطنطاوى الذى كان مدرساً بالأزهر حوالى سنة ١٨٢٧ م - قبل ذهابه إلى بطرس بروج - أنه كان يدرس مقامات الحريري والمعلقات بشرح الزوزنى . وقال (الطنطاوى) إنه لا يعلم أن أحداً قبله درس هذه الفنون فى الأزهر » . وخفى هذا القول أن الأزهر إلى سنة ١٨٢٧ م لم تكن قد دخلت فى مناهج دراسة الأدب ، وأن هذا الشيخ الطنطاوى هو البادى بالدراسة الأدبية فيه . ويؤيد هذه الرواية أن الأديب الشاعر صديقى الأستاذ ابراهيم الدباغ أخبرنى بأنه حوالى سنة ١٨٩٠ م كان يذهب إلى رواق الخنفة بالأزهر مع أحد أصدقائه السوريين ليلقى صديقه هذا درساً فى الأدب على من يشاء من طلبته ، وكان هذا الدرس فى يومين فى الأسبوع ، فكان الطلبة يعدون ذلك « الأدب » غريباً عليهم كل الغرابة ، وكان كثير منهم - على قلتهم العديدة - يحضر بعض دقائق ثم ينصرف . ثم إن للرحوم على مبارك « باشا » المتوفى سنة ١٨٩٣ م رواية فى خططه التوفيقية هى فى دلالتها تؤيد هاتين الروایتين . فقد جاء فى الجزء الرابع من خطته عن مناهج الأزهر الدراسية قوله - « وليس لهم انتفات نحو التاريخ والجغرافيا والفلسفة بل يرون ذلك بطلالة وتضييعاً للوقت . . . » .

إذن لى أن أقول بعد ذلك : إن الأدب لم يكن فى المناهج الأزهرية الدراسية ، وإنما الذى يميل إليه هو الذى يطلبه من كتيبه ويدرس فيها الاطلاع ، ولا يطلبه من درس منتظم فى الأزهر ، وبهذه الوسيلة الفردية أخرج لنا الأزهر أدباء كان منهم من حمل لواء العلم والعرفان فى علوم اللغة العربية جميعاً .

* * *

يمكن فى هذه الكلمة الختامية فى رسالة الأدب أن أجمل تقسيم هذه الرسالة إلى أطوار عدة : بعضها مر الحديث عنه ، وبعضها الحديث عنه جديد .

الطور الأول : طور ابن دقيق العيد ، والجلال السيوطي ، وأبي العباس القلقشندي ،
وشمس الدين النواجي ، وأمثالهم وقد مرّ التحدث عن هذا الطور .

الطور الثاني : طور الشبراوي واسماعيل الخشاب ، وحسن العطار ، والجبرتي ، ورفاعة
الطهطاوي ، ومحمد شهاب ، ومحمود العالم وأمثالهم وقد مرّ الحديث عنه أيضاً .

الطور الثالث : هو الطور الأول لمحمد عبده قبيل الثورة العراقية . ويحدثنا هذا الشيخ
العظيم عن رأيه في الكتابة العربية في هذا الحين . وكيف أصلح ما اعوج منها قال : « وكانت
أساليب الكتابة في مصر تنحصر في نوعين ، كلاهما يمجّه الذوق وتنكره لغة العرب . الأول
ما كان مستعملاً في مصالح الحكومة وما يشبهها . وهو ضرب من ضروب التأليف بين الكلمات
رث خبيث غير مفهوم ، ولا يمكن رده إلى لغة من لغات العالم : لا في صورته ولا في مادته
والنوع الثاني ما كان يستعمله الأدباء والمخرجون من الجامع الأزهر . وهو ما كان يراعى
فيه السجع وإن كان بارداً . وتلاحظ فيه الفواصل وأنواع الجناس وإن كان رديئاً في الذوق
غير مؤد للبعي المقصود ، ولا ينطبق على أدب اللغة العربية . . ولا يزال هذا النوع موجوداً
في أساليب المشايخ خاصة . ثم ورد علينا في أخريات الأيام ضرب آخر من التعبير كان
غريباً في بابه وهو ما جاءنا من الأقطار السورية في جريدتي الجنة والجنات بقلم المعلم بطرس
البستاني الخ . . . »

هذه الرداءة الشاملة في أساليب الكتابة العربية هي التي شمر لها الشيخ عن ساعد جده
ونشاطه فعالجها قدر المستطاع لما أن ولى تحرير جريدة الوقائع المصرية ، ورئاسة إدارة
المطبوعات التي هيمن بها على لغة الصحف وعلى لغة الدواوين في عهد الوزير الكبير رياض
باشا ، فقد كان يأمر وينهى ويعاقب ويحاسب ويحذر وينذر ، ويشدد ويخفف وما زال كذلك
إلى أن استطاع أن يحرر إلى حد ما أساليب الكتابة العربية في مختلف ميادينها : من الدواوين
إلى الصحافة إلى الأزهر ، وكان يعاونه في عمله الكتّاب أدباء وقتهم ، مثل سعد زغلول ،
وإبراهيم الهلباوي ، وإبراهيم اللقاني ، وأبي الوفا القوني ، وعبد الكريم سلّمان . وهذه
أول حسنة من حسنات الأديب الكتّاب الأزهرى الشيخ محمد عبده على أساليب
الكتابة العربية .

الطور الرابع : هو طور هذا الشيخ الجليل أيضا بعد أن رجع من منفاه بعد الثورة العربية وبعد أن عقد له في وطنه لواء الإمامة بأوسع معانيها . وبعد تقلد منصب الإفتاء ، فقد أخذ في هذا الدور يملأ وقته بالتدريس في الرواق العباسي بالأزهر ، فطوراً يفسر كتاب الله ، وطوراً يقرأ الكتب العالية في المنطق والفلسفة ، وثالثاً يقرأ أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ، وقد تخرج عليه في هذه الحقبة أدباء وقته وأيامهم ، وبحسبي أن يكون من بينهم مثل الأديب الشيخ محمد المهدي زيكو الذي قال بعد حضوره أول درس للإمام في أسرار البلاغة : إتنا قد اكتشفنا في هذه الليلة معنى علم البيان : مع أن الشيخ محمد المهدي هذا كان يدرس أيامئذ علم البيان في المدرسة الخديوية الثانوية ، والكاتب الشاعر البارع السيد مصطفى لطفي المنفلوطي . والشيخ عبد الرحمن البرقوقي صاحب مجلة البيان ، والشيخ مصطفى عبد الرازق ، والشيخ علي عبد الرازق ، والشيخ طه البشري ، والشيخ عبد العزيز البشري ، وأحمد تيمور باشا ، والشاعر الكاتب حفي ناصف .

يتبع هذا الطور اتجاه هذا الإمام الأديب إلى إحياء الآداب العربية . فقد أسس في سنة ١٣١٨ هـ جمعية برياسته سميت (جمعية إحياء العلوم العربية) . وقد افتتحت عهدها بطبع كتاب جليل الشأن هو (المختصر) لابن سيدة . وقد تولى الإمام تصحيحه بنفسه بمشاركة فقيه اللغة العربية الشيخ محمد محمود الشنقيطي . ثم طبعت الجمعية غير هذا الكتاب . هذه الأطوار للإمام كانت نواه الأدب وإصلاح أساليب لغة العرب ، لا في الأزهر وحده ، ولكنها شع نورها منه فأضاء كل ظلام خيم على لغة القرآن ، ولغة عدنان ، إلى أن كان عهد الشيخ سيد المرصفي مدرس الآداب بالأزهر الذي اتصل عهده عن قرب بعهد الإمام ، والشيخ سيد هذا هو شارح ديوان الحاسة لأبي تمام ، والكامل لأبي العباس المبرد ، وأشهد أن هذا العالم الأديب في طليعة من رفعوا منار الآداب ، وخدموا أجل خدمة لغة العرب .

ولن تزال آثاره الأدبية من أقوى مراجع الأدب العربي ؟

حسن الشيخة

المحرر الأدبي بجريدة الشعب وعضو نقابة الصحفيين

تعليقات

كتاب مذبذبون

نقرأ لبعض الكتاب فنفهم مرة أنهم يخلصون للأمة ، ويغارون على الآداب ، وينادون بالكرامة ، فنفرح بهم ، ونود أن يكثر بيننا عددهم .

ونقرأ لهم مرة ثانية فزاهم يخادعون ويثبون في الناس الفجور وينادون جهارا بالإباحية .

نقرأ هذا وذاك فنقف من كتابنا هؤلاء مواقف الدهشة ، ونحارفيهم : أيسخرون من أنفسهم فيترددون بين الجد والهزل ، والكرامة والخساسة ؟ أم يسخرون من الجمهور القارى ؟ فيسكتون له - يوما - ما يرضيه ، ويكتبون ثانيا ما يسوءه ، ويؤذيه ويخزيه ؟ .

كتبنا مرة أخيرة عن تبذل المرأة وتعرضها لمجامع الرجال في لبسة الشوال فعلق أحد ، الكتاب المعروفين على ما كتبنا مؤيدا لنا ، واستهجن لبسة الشوال في لهجة كريمة .

ثم رأينا ذلك الكاتب نفسه يطلع علينا بدعوة إلى التدين واحترام العقيدة ويضرب الأمثال بأمم أفادها التدين ، وأمم أخرى خسرت معنويتها بتساهلها في دينها ، وكان في حديثه ذلك يستثنى من الأديان الخرافة ، ولا يجذ الأخذ بالخرافات على أنها دين .

ثم رأينا الكاتب يتلفت من حديثه هذا إلى دعوة المرأة الجميلة أن تلبس الشوال وغيره ، وأن تبرز مفاتن جسمها في كل ناد ، وواد .

وهنا موقف الحيرة والدهشة من أمثال هذا الكاتب ينكر الشيء ويستحسنه ، ويرى الإعراض عن الخرافات ثم ينادى المرأة أن تتبجح بالعرى والفتنة ، ونحن نحرم ما يحرم الله استنادا إلى كتاب الله وسنة رسوله ، وهما مصدرا تشريع لمن كان مؤمنا . فإلى أى مصدر يستند كتابنا في إباحتهم للمرأة أن تفعل ما تفعل ؟ هذا تشريع الشيطان وهم جنوده ، فاللهم احفظ عبادك من ضلال المضللين ؟

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفقيش بالأزهر

الكتب

تفسير الطبرى

الجزء الرابع - ٦٣٨ ص - دار المعارف بمصر

ظهر هذا الجزء ، وفيه تفسير سورة الأنفال من الآية ٤٨ إلى الآية ٧٥ وهى آخر السورة . يتلو ذلك تفسير سورة التوبة من أولها إلى الآية ١٢٩ « فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » وهى آخر السورة كذلك وستكون بداية الجزء الخامس عشر من سورة يونس .

وفى هذا الجزء الرابع عشر من الآثار ١٣٣٤ (من رقم ١٦١٨٣ إلى رقم ١٧٥١٧) . وفيه من الفهارس : فهرس الآيات التى استدل بها فى غير موضعها من التفسير . ثم فهرس اللغة مرتباً على أصل الاشتقاق وعلى آخر الأصل باباً وأوله فصلاً كاللسان والقاموس وأمثالها . ثم فهرس أعلام المترجمين فى التعليق ، بلى ذلك فهرس المصطلحات ، ثم فهرس مباحث العربية والنحو وغيرهما . وبعده فهرس التفسير .

وقد سبق لنا التنويه بالمجهود العظيم الذى يبذله الأستاذ محمود شاكر فى تحقيق متن التفسير والتعليق عليه بما يستغنى القارىء عن مراجعة غيره ، ومن ذلك تخرىج الأحاديث والآثار . مضافاً إلى ذلك جودة الطبع ، والإشارة فى جوانب الصفحات إلى أرقام الصفحات فى طبعة بولاق القديمة ليستفيد من ذلك من يجدون الإحالة على تلك الطبعة فى الكتب التى ألفت بعدها .

الظاهرة القرآنية

ألفه بالفرنسية مالك بن نبي (ترجمة عبد الصبور شاهين) - ٣٠٣ ص - مكتبة دار العروبة مؤلف هذا الكتاب بالفرنسية من أفاضل إخواننا مفكرى الجزائر رد الله غربتها ، ومترجمه من شباب مصر الجامعيين الأوفياء للإسلام وهو الآن معيد بكلية دار العلوم . وقد كتب مقدمته الأستاذ السيد محمود محمد شاكر ، وهى من أبرع ما كتبه حتى الآن .

وعلى غلاف الكتاب تعريف بروح الظاهرة قيل فيه : « فى ضوء القرآن يبدو الدين ظاهرة كونية تحكم فكر الإنسان وحضارته ، كما تحكم الجاذبية المادة وتتحكم فى تطورها . والدين على هذا يبدو كأنه مطبوع فى النظام الكونى ، قانوناً خاصاً بالفكر الذى يطوف

في مدارات مختلفة - من الإسلام الموحد ، إلى أحط الوثنيات البدائية - حول مركز واحد يخطف سناه الأبصار ، وهو حافل بالأسرار ... إلى الأبد .

والكتاب يستعرض أولا الظاهرة الدينية في البشر من وجهة نظر المذهب المادى ومن وجهة نظر المذهب الغيبي ، ثم يتكلم على النبوة وخصائصها ، ثم عن أصول الإسلام ، والحياة المحمدية وكيفية الوحي ، ومقام الذات المحمدية في ظاهرة الوحي ، ثم عن الرسالة ، فالخصائص الظاهرية للوحي والصورة الأدبية للقرآن ، وختمه بدراسة للbijaz القرآنى .

ويقول الأستاذ محمود شاكر في تقديم الكتاب : ليس عدلا أن أقدم كتاباً هو يقدم نفسه إلى قارئه ، وإنه لعسير أن أقدم كتاباً هو نهج مستقل ، أحسبه لم يسبقه كتاب مثله من قبل ، وهو منهج متكامل يفسره تطبيق أصوله ... وكان طريقه إلى المذهب الصحيح هو ما ضمنه كتابه من بعض دلائل إعجاز القرآن ، وأنه كتاب منزل ، أنزله الذى يعلم الخبء فى السماوات والأرض ، وأن مبلغه إلى الناس رسول صادق قد بلغ عن ربه ما أمره بتبليغه ، وأن بين هذا الرسول الصادق وبين الكلام الذى بلغه حجازاً فاصلاً ، وهذا الحجاز الفاصل بين القرآن وبين مبلغه حقيقة ظاهرة لا يخطئها من درس سيرة رسول الله فاحصاً متأملاً ، ثم درس كتاب الله بعقل يقظ غير غافل .

ويقول الأستاذ محمود شاكر : إن اللغة التى نزل بها القرآن معجزاً ، قادرة - بطبيعتها - أن تحتل هذا القدر الهائل من المفارقة بين كلامين : كلام هو الغاية فى البيان فيما تطبيقه القوى ، وكلام يقطع هذه القوى ببيان ظاهر المبانيته له من كل الوجوه . وأن العرب الذين بعث إليهم النبى صلى الله عليه وسلم بهذا القرآن قادرون على إدراك هذا الحجاز الفاصل بين الكلامين : وهذا إدراك دال على أنهم قد أوتوا من لطف تذوق البيان ، ومن العلم بأسراره ووجوهه ، قدرا وافراً يصح معه أن يتجدهم بهذا القرآن ، وأن يطالبهم بالشهادة عند سماعه أن تاليه عليهم نبى من الله مرسل . وأن البيان كان فى أنفسهم أجل من أن يخونوا الأمانة فيه أو يجوروا عن الانصاف فى الحكم عليه .

وهذه الصفات تفضى بنا إلى التماس ما ينبغى أن تكون عليه صفة كلامهم - إن كان بقى من كلامهم شئ - فالنظر المجرد أيضا يوجب أن يكون ما بقى من كلامهم شاهدا على بلوغ لغتهم غاية من التمام والكمال والاستواء حتى لا تعجزها الإبانة عن شئ مما يعتلج فى صدر كل مبين منهم . وأن تجتمع فيه ضروب مختلفة من البيان لا يجزى أو تكون دالة على سعة لغتهم وتامها ، بل على سباحتها أيضا ، حتى تلين لكل بيان تطبيقه السنة البشر على اختلاف ألسنتهم .

إن مرجليوث يوم بث الأكذوبة الكبرى بأن الشعر الجاهلي الذي بين أيدينا منحول لأصحابه وليس بأصيل ، أراد أن يتمتع الجاهلين بزوال الكلام الأصيل الشاهد على إعجاز القرآن عند مقارنة البيان الإلهي بالبيان العربي .

« وهذا المسكر الخفي الذي مكره مرجليوث وشيعته وكهنته ، والذي ارتكبوا له من السفسطة والغش والكذب ما ارتكبوا - كما شهد بذلك رجل من جنسه هو آربري - كان يطوى تحت أدلته ومناهجه وحججه إدراكا لمنزلة الشعر الجاهلي في شأن إعجاز القرآن ، لا إدراكا صحيحاً مستبيناً ، بل إدراكا خفياً مبهماً ، تخالطه ضغينة مستكينة للعرب وللإسلام ، .

إن خصائص البيان في القرآن فوق خصائص بيان البشر على اختلاف ألسنتهم ، وإن مخرج هذا غير مخرج هذا ، وإن الشعر الجاهلي إنما هو مادة الدراسة الأولى ، لأن القرآن نزل بلسان العرب ، والذين نزل عليهم ثم تحداهم وأعجزهم هم أصحاب هذا الشعر والمفتونون به وبيانه . وإنهم بتركهم معارضة القرآن بشعرهم وكلامهم ، قد أقرروا إقراراً لا معقب عليه بفضل هذا القرآن على شعرهم وكلامهم . وإن شعرهم وكلامهم يحمل هو نفسه في نفسه أدلة صحته وثبوته ، بما فيه من قدرة خارقة على البيان ، فهو علم فريد منصوب لا في أدب العربية وحدها ، بل في آداب الأمم قبل الإسلام وبعد الإسلام . وهذا الانفراد المطلق ولا سيما انفراده بخصائصه عن كل شعر بعده من شعر العرب أنفسهم ، هو وحده دليل على صحته وثبوته . وإذا درسناه من هذه الناحية فن الممكن القريب يومئذ أن نلتبس في القرآن الذي أعجزهم بيانه ، خصائص هذا البيان المفارق لبيان البشر .

القصص الحق لسيد الخلق

للأستاذ الشيخ محمد خليل الخطيب النيدى - ١٤٠ ص - مطبعة الشعراوى بطنطا
لما كان مؤلف هذا الكتاب قائماً بتأليف كتابه « الخطب النبوية » وجمع مواده من كتب الحديث والتاريخ والأدب ، كان يحد في تلك المظان والمراجع القصص التي قصها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأنبياء الماضين ، والملوك المتقدمين ، والأولياء والصالحين والأشرار الطالحين ، وفي هذه القصص عبرة للؤمنين وهدى وموعظة للبتمين ، فعنى فضيلته بجمعها وشرح تراكيبها في استنباط الحكم والأحكام منها مع عزوها إلى المصادر التي جمعها منها ومن هذه القصص قصة الثلاثة الذين سد عليهم الغار ، والثائب قاتل المائة ، وقصة الملك والساحر والغلام ، وقصة جريج الراهب ، وقصص الخضر ، وقصة أمر أولاده بحرقه بعد

موته ، وقصة أبي زرع وأم زرع ، وقصة إبراهيم وهاجر وسارة وإسماعيل ، وقصة العباد الذى أحبط عمله بكلمة ، إلى أمثال ذلك مما بلغ خمسين قصة نبوية ، وقد جعلها المؤلف سلسلة أولى . ومع أن الأقدمين لم يتركوا باباً من أبواب السنة فى أى معنى من المعانى إلا طرقوه ، وأفردوه بالتأليف فأكبر ظننا أن هذا الكتاب هو الأول فى بابهِ ، فارجو الله أن ينفع به .

ابن المعتز

وتراثه فى الأدب والنقد والبيان

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى - ٧٢٠ ص - دار العهد الجديد للطباعة

يقول المؤلف فى خاتمة هذا الكتاب إنه اشتمل على أربعة كتب من مؤلفاته : أولها الطبعة الأولى من كتاب « ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان » ، وثانيها كتاب « التشبيه فى شعر ابن المعتز وابن الرومى » (ص ٤١٦ - ٤٥٦) ، وثالثها نص كتاب « البديع لابن المعتز » وشروح المؤلف عليه ، (ص ٥٩٦ - ٧١٤) ، ورابعها « رسائل ابن المعتز فى الأدب والنقد والأخلاق » (ص ٤٦٥ - ٥٠٠) ، وهذا كله إلى جانب ما اشتمل عليه الكتاب من شعر لابن المعتز وتحليل لجوانب شخصيته وأدبه وشعره وتراثه الفكرى والنقدى ، ومن ذلك قصيدته فى تاريخ الخليفة المعتضد وأرجوزته فى ذم الصبوح (١٣٥ - ٤٥٦) .

ويمتاز هذا الكتاب بالإحاطة والشمول لكل ما يتعلق بهذا الشاعر العباسى (٢٩٦ - ٢٤٧) ووصف العصر الذى عاش فيه ، والظروف التى أحاطت به ، وتوجيه الأضواء إلى المناسبات التى نظم فيها أهم تراثه الأدبى من منظوم ومنثور ، مع عزو كل شئ إلى مصادره ، فكان حظ ابن المعتز من هذه الدراسة والإحاطة فوق حظوظ سائر الشعراء الذين يلهمج الأدباء والمثقفون ببدائع تراثهم وروائع آثارهم فى حياتهم وأحكام الناقدين عليهم فى شتى العصور ، ولا نبالغ إذا قلنا إن هذه المجموعة أنفس مؤلفات الأستاذ الخفاجى الكثيرة .

البيتوشى

للشيخ محمد الخال قاضى السليمانية - ٣٠٠ ص - مطبعة المعارف ببغداد

لما كان كاتب هذه السطور عاكفاً قبل سبع سنوات على دراسة عصر داود باشا (١١٨٨ - ١٢٤٣) وأسلافه الأقربين من ولاية بغداد ، لتحقيق مختصر (مطالع السعود)

لعثمان بن سند البصري ، كان اسم البيتوشى يتردد فى أحداث تلك الحقبة ، ولاسيما فى استنجاده بالأمير سليمان بن شاوى الحيرى لنصرة أهل البصرة عند استيلاء متوحشة الأعجام عليها ، وكنت أتمنى يومئذ لو أظفر بمرجع أتعرف منه إلى أدب هذا الأديب الكبير والشاعر البليغ الذى يعد حلقة من السلسلة الذهبية فى أعلام الأكراد الذين كان لهم نصيب طيب فى حمل أعباء الإسلام فى جهاده وعلومه وآدابه ومفاخره ، وعلى رأس هذه السلسلة اسم السلطان الملك الناصر صلاح الدين وذويه ، وفى أواسطها أضراب الحافظ العراقى ، حتى تبلغ إلى البيتوشى وتنتهى بأحمد تيمور باشا ومحمد كرد على وأمثال هؤلاء الأعلام . لذلك كان سرورى عظيما عندما اطلعت على كتاب فضيلة قاضى السلمانية فى شمال العراق عن حياة الشيخ عبد الله ابن حمد البيتوشى وبيئته الأولى ، وعن علمه وثقافته وتحليل أدبه ، واستقصاء مؤلفاته وآثاره ، فكان لإحياء لهذا العبقري الكادح الصابر المنقطع للأدب ، والعلم فى القرن الثانى عشر الهجرى .

إن حياة البيتوشى مثال للحياة الطيبة فى الجامعة الإسلامية ، وكيف أن الإسلام قد جمع قلوب أهله على محبة العربية والعرب ، كما فتح قلوب العرب لمحبة إخوانهم فى الإسلام جميعاً ، ولعل ذلك مما حمل رجلا عظيما آخر من عطاء الكرد وهو الحافظ العراقى على تأليف رسالته الشهيرة فى فضل العرب وأكمل تمييزها فى المدينة المنورة فى رجب سنة ١٢٩١ هـ . ومن هذه المحبة المتبادلة قيام يوسف ضياء الدين باشا الخالدى (١٢٥٥ - ١٣٢٤ هـ) من أعلام أعيان العرب فى بيت المقدس على تعلم اللغة الكردية بكتابته (الهدية الحميدة فى اللغة الكردية) وفيه زيادة على نحوها وقواعدها معجم وجيز لألفاظها مترجمة بالعربية ، وهو مطبوع فى القسطنطينية قبل ٦٨ سنة فى ٣٢٠ صفحة كبيرة . وقد اقتدى فى علمه هذا بأبى حيان الأندلسى (٦٥٤ - ٧٤٥ هـ) الذى كان أول واضع لنحو اللغة التركية بكتابته (الإدراك للسان الأتراك) المطبوع بالقسطنطينية أيضاً . إن هذا وأمثاله من شواهد الروابط العلمية بين المسلمين على اختلاف أصولهم وأجناسهم ، وكان الاستعمار حريصاً فى عشرات السنين الماضية على توهين هذه الأواصر ، ولعل الميظنة الأخيرة لدسائس الاستعمار ترد على المسلمين سنة سلفهم فى توثيق الروابط الإسلامية كما كان يعمل لها الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي والحافظ العراقى والشيخ عبد الله البيتوشى وأحمد تيمور باشا وأضرابهم من علماء المسلمين ، رحمهم الله وأعلى مقامهم فى دار الخلود .

سلسلة الثقافة الإسلامية

يصدرها المكتب الفنى للنشر ، وقد اطلعنا منها على ثلاث حلقات :

الأولى (الوحدة الإسلامية) للأستاذ محمد أبو زهرة ، ويقول المؤلف : إن الوحدة التي نبتغيها لا تمس سلطان ذى سلطان يتوهم بالحق والعدل في المسلمين . ولا شكل الحكم في الأقاليم الإسلامية ، فلكل إقليم أسلوب حكمه مادام يؤدي إلى إقامة الحق والعدل فيه ، وتحقيق المبادئ الإسلامية السامية . وإنما معنى الوحدة الإسلامية أن نعتبر أنفسنا مرتبطين بروابط وثيقة تمتد جذورها في أعماق أنفسنا ، فالإسلام دين الوحدة الجامعة الشاملة ، كما هو دين التوحيد الخالص . وعنوان الحلقة الثانية (الديمقراطية الإسلامية) وهي بقلم الدكتور عثمان خليل أستاذ القانون العام بكلية الحقوق بجامعة القاهرة . وهو يقول : إن التراث الإسلامى في شأن الحكم حلقة أصيلة في صميم سلسلة التطور التي مرت بها الفكرة الديمقراطية المجردة خلال القرون المتعاقبة ، والتجارب المتعددة لا تقاس إحداها بالأخرى ، وإنما تنسب جميعها إلى ذات الفكرة التي تجمع بينها ، والمدلول اللفظي للديمقراطية هو أنها « حكومة الشعب » إلا أن الأفكار قد أشعبت في فهم معنى حكومة الشعب ، وإن تجاوزنا عن الفوارق الجزئية وأخذنا في الاعتبار الخطوط الرئيسية الكبرى وحدها أمكننا رد هذه الشعب إلى اتجاهين رئيسيين : الديمقراطية السياسية ، والديمقراطية الاجتماعية . . . والديمقراطية الإسلامية تراث جليل في هذين المجالين ، وقد كانت - ولا ريب - أرحب ما يتصور للإنسان ، إذ امتد منذ أمد بعيد إلى شتى صور الديمقراطية التي عرفها الإنسان إلى اليوم .

والحلقة الثالثة من هذه السلسلة بقلم الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر وعنوانها (الإسلام والوجود الدولى للمسلمين) . ويقول المؤلف : « لقد كان للمسلمين باعتبارهم جماعة ، أحداث هي عناصر قوية في بناء الوجود الدولى لهم ، وكان شأنهم في تذكرها شأن كل مجتمع بشرى يتحسس مواضع الضعف في سيره فيتميزها ، وعوامل القوة فيتميزها . كانت الهجرة مبدأ الوجود الدولى للمسلمين الذين لم يكونوا قبلها إلا أفراداً مضطهدين مبعثرين صار لهم بها وحدة ، لها شعارها الخاص . ونظامها الخاص ، وهدفها الخاص ، إن المبادئ متى تركزت وآمنت بها القلوب وامتلات بها النفوس كانت لدى أصحابها أعز من نفوسهم وأموالهم ومن كل ما يملكون . إن صاحب العقيدة العالمية ، والمبادئ الإنسانية العامة لا يقف بجهوده في سبيل عقيدته أو مبادئه في أماكن محدودة ، وإنما يسمو بعقيدته ومبادئه عن التميز بالجنسيات والأقاليم ، والعالم كله ميدان لعمله ، فإذا ما نبأ به مكان تحول إلى غيره حيث يجد التربة الخصبة للإنبات والإثمار » .

وسلسلة الثقافة الإسلامية اعترفت الصدور مرة في كل شهر - إلا في شهرى الصيف - فيكون منها عشر رسائل في السنة . نرجو الله أن يجعلها سديدة الخطأ نافعة للناس .

الأدب والعلوم

تاريخ الأمة العربية

في جامعاتنا

قرر وزير التربية والتعليم المركزي في الجمهورية العربية المتحدة إنشاء كرسى في كل جامعة من جامعاتنا لتاريخ الأمة العربية .

كانوا في جامعاتنا ينظرون إلى تاريخ الأمة العربية ، وإلى التاريخ الإسلامى ، كما ينظرون إلى تاريخ اليابان ، أو تاريخ الأرجنتين ، فيعتبرون أنفسهم غرباء عنه ، وتصدر أحكامهم على أحداثه منظوراً إليها بعيون أعدائه في بلاد الاستعمار المعاصرة ، أو في البعثات الشعبية في مئات السنين الماضية .

وفي اعتقادنا أن إنشاء كرسى في جامعات الجمهورية العربية المتحدة لتاريخ الأمة العربية يقصد منه قبل كل شيء تمحيصه وتنقيته مما دس فيه لتشويه أجهاده ، ثم العناية بتكوين إيمان على نفوس رجال الغد بأن ماضيه العربى والإسلامى هو الأساس الذى يقوم عليه مستقبل قوميتهم ، فيجب أن يكون هذا الأساس متيناً سالمًا ،

الاستعمار الثقافى والفكرى

أعلنت حكومة السودان أنها قررت القضاء على الاستعمار الفكرى البريطانى في السودان وتحرير الثقافة السودانية منه . قال اللواء محمد طلعت فريد وزير الاستعلامات السودانى والمتحدث الرسمى باسم حكومة السودان : إننا مصممون على تحرير ثقافتنا ولغتنا من الاستعمار الانجليزى . لقد جعلت بريطانيا من نفسها - خلال الاستعمار - أكبر عميل لنا ، وطبعت ثقافتنا بطابع بريطانى بغض ، حتى أصبح الشباب السودانى يتكلم بالإنجليزية بدلاً من العربية ، ويعبر عما يريد بالإنجليزية عند ما يعجز أو يتعثر فى التعبير عنه باللغة العربية ونحن مصممون على تحرير السودان من هذه الرابطة الواهنة ووضع حد لها .

تعبئة العلم لخدمة الوطن

اجتمع فى يوم ٨ نوفمبر مائة وخمسون عالماً من أبناء الجمهورية العربية المتحدة المتخصصين فى فروع العلم ، ليعضوا تقارير فنية وافية للشروعات العمرانية الضخمة . عقد الاجتماع

« قسطل ، و «البلانة» و « المحرقه » و « دعدما ،
وستضاعف هذا المبلغ في ميزانية الأعوام
القادمة لتمكين من كسب الوقت وإنقاذ الآثار
المصرية من الغرق قبل مشروع السد العالي .
وقد سافرت بعثة مشتركة من جامعتي القاهرة
والإسكندرية إلى النوبة على الباخرة « سرو »
للانتقال بها والإقامة إلى جانب البعثات
الأجنبية التي ستساعد في هذا العمل ، وأولها
بعثة جامعة ميلانو التي اختارت منطقة « المحرقه »
فلما أغرقها الفيضان تحولت إلى التنقيب
في منطقة « أمخندي » وقدمت تقريراً
عن حفرياتهما وعادت إلى بلادها .

وهناك بعثة ألمانية ستقوم بالحفر في منطقة
« دعدما » برياسة الأستاذ شتوك مدير المعهد
الألماني بالقاهرة . والبعثة البولندية ستقوم
بالعمل برياسة الأستاذ ميخالوفسكى الذي قام
برحلة استطلاعية . وتدور الحفائر الآن
في منطقة « قسطل » لإنقاذ آثارها المهمة
إذ تحتوي على ٦١ كوما أثرياً تم حفر ١٨ منها
كما حفرت البعثة أكثر من ١٢٠ مقبرة صغيرة
ترجع تواريخها إلى العصر العتيق والدولة الحديثة
والعصر المروى . وينتظر أن تنتهى البعثة
في منطقة قسطل هذا العام للانتقال إلى منطقة
البلانة . وتقوم البواخر بنقل الآثار المستخرجة
حتى الحدود ثم تتولى قطارات السكة الحديد
نقلها إلى القاهرة .

في مبنى المركز القومى للبحوث في الدقي برياسة
السيد كمال الدين حسين رئيس المجلس الأعلى
للعلوم ، وحضر الاجتماع وزير التكوين المركزى
ووزير الزراعة التنفيذى . وخطب فيهم رئيس
المجلس خطبة قال فيها : إن سلسلة الانتصارات
التي أحرزها الوطن في الميادين السياسية
والاجتماعية والحربية تلتق على كواهلهم عبئاً
آخر هو حماية هذه الانتصارات ودعمها وجعلها
أساساً لانتصارات مستقبلية يأملها الوطن
العربى كله . ثم بين لهم المهمة التي ستوكل إليهم ،
وفروع العلوم التي يحتاج إليها في تنفيذ
المشروعات العمرانية .

وقد تكونت لجان للعلوم الجيولوجية
والتعدين والعلوم والصناعات الكيماوية
والهندسية والزراعية والبيولوجية الخ ،
وبدأت اللجان عملها عقب الاجتماع مباشرة .
وقد وعدهم الرئيس بأن تكون كل الموارد
العلمية في البلاد تحت تصرفهم ، ومن ذلك
الإحصائيات والمراجع والبيانات . ولن تقصر
الدولة في إرسال الإخصائيين منهم للمؤتمرات
العلمية ، بشرط أن يكون هناك تخطيط لبرنامج
على يفيد البلاد من تلك المؤتمرات .

إنقاذ آثار النوبة من الغرق

قال الأستاذ محرم كمال وكيل مصلحة الآثار :
إن المصلحة خصصت في ميزانية هذا العام
١٠ آلاف جنيه لإجراء الحفائر في منطقة

إنشاء العجلة الإسلامية

الأقليم منسوجات أجنبية ، كل البضائع مصنوعة في بلادنا . وهذا نصر حلو .

قام الاستعمار بضغط اقتصادى علينا ، كان عندنا ٦٠ مليون جنيه ذهب احتياطى لم يصرف منه جنينا واحدا ، وانتصرنا فى المعركة ، واستثمرنا فى العام الماضى ٤٤ مليون جنيه فى الصناعة ، و ٥٥ مليون فى البناء ، و ٣ ملايين فى التجارة .

بدأنا معركة سنة ١٩٥٦ وعندنا ٤ ملايين جنيه من النقد الأجنبي . وكنا نشترى من الخارج بـ ١٨٠ مليون جنيه ، ورغم هذا سرنا ، وبنينا . وأتجنا ، ووغرنا مالا ، هذه هى لذة الكفاح ولذة الانتصار .

الانقلاب فى السودان

قام الفريق إبراهيم عبود - القائد العام للجيش السودانى - بانقلاب عسكري فجر يوم الاثنين ٦ جمادى الأولى (١٧ نوفمبر) . استولى على الحكم ، وألف مجلسا أعلى للقيادة العسكرية مؤلفا من ١٣ ضابطا برياسته تولى السلطة فى البلاد . أعلن تعطيل الدستور

ميثاق الضمان العربى

بحثت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية مع الممثلين العسكريين للجيش العربى التعديلات المزمع إدخالها على (ميثاق الضمان العربى) ، وتجرى اتصالات مهمة مع دول الجامعة الأعضاء لهذا الغرض .

أرقام

قال جمال عبد الناصر فى خطبته فى المنيا : كنا نستخدم فى مصر ٤ فى المائة فقط من أرض هذا الوطن ، واليوم قد صممنا على أن نستخدم هنا فى مصر مائة فى المائة من أرض الوطن .

لقد بدأنا فى مشروع السنوات الخمس وهو يتكلف ٢٠٠ مليون جنيه .

لقد كان رأس المال فى الاستثمار الصناعى عام ١٩٥٢ مليونى جنيه . وفى سنة ١٩٥٧ أصبح ٤٤ مليوناً ، أى تضاعف ٢٢ مرة .

جميع أسواقنا تحفل بالمنتجات التى صنعت محليا ، لا يوجد فى أسواق القاهرة وسائر

وزارة ثورة مؤلفة من ١٢ وزيراً ٧ من ضباط المجلس الأعلى للقوات المسلحة وه من المدنيين . وأصدر ثلاثة أوامر دستورية : (١) أن السودان جمهورية ديمقراطية ، السيادة فيها للشعب . (٢) أن المجلس الأعلى للقوات المسلحة هو السلطة الدستورية العليا في السودان . (٣) أن المجلس الأعلى يعطى رئيسه جميع السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية وقيادة القوات المسلحة .

وكان الفريق إبراهيم عبود قد حدد - في اليوم الأول للثورة - إقامة وزراء حكومة عبد الله خليل السابقة والزعماء السياسيين ، ومنع الصحف كلها من الصدور . وفي اليوم التالي أمر بالإفراج عن الوزراء والزعماء ، وأباح صدور الصحف ، واستأنفت وكالات الأنباء برقياتها من الخرطوم .

ومما يذكر أن الفريق إبراهيم عبود ورجال النظام الجديد في السودان أقسموا بيمين الإخلاص للأمة وللوطن أمام مفتى السودان .

وعقب قيام النظام الجديد في السودان بعث الرئيس جمال عبد الناصر برسالة شفوية إلى الفريق إبراهيم عبود ، فقام سفير الجمهورية العربية المتحدة في الخرطوم بإبلاغها إلى الفريق إبراهيم عبود ، وفيها إعلان أن الجمهورية العربية المتحدة على استعداد لتنمية العلاقات وتوثيق

المؤقت ، وحل الأحزاب السياسية والبرلمان ، أعنى جميع الوزراء من مناصبهم .

أذاع قائد الانقلاب بياناً قال فيه : إن الفوضى والفساد انتشرا في أجهزة الدولة نتيجة الأزمات السياسية القائمة بين الأحزاب وجريها وراء الحكم إلى أن تدهورت حالة السودان فكداد يتردى إلى هاوية سحيقة .

وقال في ختام بيانه : إننا سنعمل جاهدين لتحسين العلاقات مع شقيقةتنا الجمهورية العربية المتحدة ، وحل المسائل المتعلقة ، وإزالة الجفوة المفتعلة التي كانت تسود البلدين الشقيقين .

والفريق إبراهيم عبود ولد في سنكات يوم الجمعة ٢ رجب ١٣١٨ (٢٦ أكتوبر ١٩٠٠) وتخرج في ٢٠ رمضان ١٣٣٦ (أول يولية ١٩١٨) وعين ضابطاً مهندساً برتبة ملازم . واشترك في الحرب العالمية الثانية في شمال إفريقيا وأرتيريا والحبشة . وعين نائباً للقائد العام في الجيش السودانى عام ١٣٧٤ (١٩٥٥) برتبة لواء ، وتولى قيادة الجيش في شوال سنة ١٣٧٥ (مايو ١٩٥٦) ، ورقى إلى رتبة الفريق في ٢٨ جمادى الأولى ١٣٧٦ (أول يناير ١٩٥٧) ، وقام بجولة في دول أوروبا بعد إعلان استقلال السودان .

وعقب هذا الانقلاب قام القائد بتشكيل

الخرطوم - بأمانة الجمهورية العربية المتحدة وقال : إن الجامعة تعتمد عليهم في وثباتها .
استقبل الجمهور اسم الجمهورية العربية بالتصفيق الحار : نال السيد ابراهيم عبدالله من الخريجين جائزة الجمهورية العربية المتحدة في الزراعة عن هذا العام ، وقد ندب الدكتور سعد الدين فوزى نائب مدير جامعة الخرطوم للسفر إلى القاهرة لاختيار ١٧ أستاذا مصريا يعملون في جامعة السودان .

العراق يعمل

قرر مجلس الوزراء العراقي اعتبار المعاملات الاقتصادية بين العراق وفرنسا في حكم المنقوعة ، وأصدر أمراً إلى جميع الدوائر والمؤسسات بالامتناع عن إقامة أية علاقات اقتصادية مع المؤسسات أو الشركات الفرنسية وعن استيراد أية مادة من فرنسا أو الاتفاق على استيرادها أو الارتباط بذلك .

وطلبت الحكومة العراقية من الحكومة البريطانية إغلاق قنصلياتها في جميع أنحاء العراق عدا بغداد والبصرة ، وقال راديو لندن : إن العراق تقدمت بمذكرات إلى بريطانيا وأمريكا وتركيا لإغلاق قنصلياتها في كركوك والموصل .

الروابط بين البلدين حكومة وشعباً . وقد أجب الفريق إبراهيم عبود على ذلك بشكر الرئيس جمال عبد الناصر على رسالته الرقيقة ، وشكره للجمهورية العربية المتحدة في شخص سيادته لأنها أول دولة اعترفت بالنظام الجديد للجمهورية السودانية .

ومما قرر المجلس الأعلى للقوات المسلحة السودانية إلغاء ألقاب الباشوية والباشوية وأفندى من الجيش السوداني .

وقرر كذلك تغيير اسم شارع غوردون باسم (شارع الجامعة) وشارع ككتشنر باسم (شارع النيل) كما قرر إزالة تمثال غوردون وككتشنر ، وترك للانجليز الخيار بين أن يتسللوا التمثالين وينقلوها إلى بلادهم ، أو أن تحفظهما حكومة السودان في أحد متاحفها . والظاهر أن الانجليز يرغبون في تسليمها وشحنها إلى إنجلترا .

جامعة الخرطوم

تنفصل عن جامعة لندن

أعلنت جامعة الخرطوم استقلالها عن جامعة لندن ، تم تنصيب الفريق إبراهيم عبود رئيساً فخرياً للجامعة . أشاد الأستاذ سيد ناصر الحاج على - أول رئيس سوداني للجامعة

على الجمهوريه العربيه المتحدته أو أية دولة عربية أخرى . وإن الوحدة بين أبناء العراق من عرب وأكراد هي خير ضمان للنصر .

مياه العراق الإقليمية

تعترم جمهورية العراق إنشاء ميناء جديد على الخليج العربي جنوبى البصرة يتكلف ١٥ مليون جنيه ، لتواجه به الزيادة فى إنتاج البترول وتصديره من ٣٥ مليون طن إلى ٥٧ مليوناً بعد ثلاث سنين . وعملاً بالعرف الدولى الذى أخذت به دول كثيرة أعلنت العراق أن مياهها الإقليمية تمتد ١٢ ميلاً أى نحو ٢٠ كيلو متراً . ولكن إيران - كعادتها فى الشغب والثرثرة فيما يتعلق بشئون الخليج العربى - أخذت تعارض العراق وتحاول الوقوف فى طريق إنشاء الميناء الجديد ، وتناقش فى حق العراق فى مياهه الإقليمية ومدىها إلى ١٢ ميلاً .

وكانت الأمم المتحدة قد قامت بجهود فى سبيل إقرار قاعدة قانونية فيما يتعلق بالمياه الإقليمية ، فأشارت لجنة القانون الدولى التابعة لها فى يولية سنة ١٩٥٥ إلى عدم وجود قاعدة ثابتة فى هذا الموضوع إلا أن القانون الدولى لا يرى أن تزيد المياه الإقليمية عن اثنى عشر ميلاً بحرياً ، وهذا ماقرته العراق وتراه

وأعلن وزير الاقتصاد العراقى انتهاء امتياز شركة نفط خاتقين ابتداء من يوم ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٥٨ ، وتقوم الحكومة بتسليم حقول البترول المشمولة بهذا الامتياز ، وكان سيمتد إلى سنة ١٩٩٦ لو لم تنه الحكومة العراقية . ورأس مال هذه الشركة بريطانى ، وأصحابها من كبار المالىين البريطانيين .

إنذار إلى إسرائيل

من العراق

وجه العراق إلى إسرائيل إنذاراً جاء فيه : إن إسرائيل إنما تحكم على نفسها بالموت ، وتحفر قبرها بأيديها ، إن هى هاجمت أية دولة عربية .

وقد جاء هذا الإنذار فى إذاعة لراديو بغداد الحكومى ، وتضمن اتهاماً للاستعمارين بقيادة الولايات المتحدة بأنهم يسلحون إسرائيل متذرعين بزعم كاذب هو المحافظة على ميزان القوى بين العرب وإسرائيل . وأضاف قائلاً : إن الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية الشقيقتين تتفان الآن على أهبة الاستعداد ، والعراق مستعد تماماً ، وهو يدرك تمام الإدراك أن سلامة الجمهورية العربية المتحدة تعنى سلامة العراق نفسه ، والعراقيون يقفون صفناً واحداً ضد أى عدوان إسرائيلى

وقد استقبلت وزارة الخارجية الأمريكية بالاستيلاء الشديد خطاب الملك محمد الخامس ، وقال مسئول فى الوزارة : إن الحد الأدنى للسدة التى يمكن أن تجلو خلالها القوات الأمريكية عن القواعد الجوية فى المغرب هو خمس سنوات .

وعادت حكومة المغرب فكرت فى أواخر نوفمبر المطالبة - بلسان سفيرها فى واشنطن - بضرورة جلاء القوات الأجنبية عن أراضى المغرب ، وإغلاق القواعد الأمريكية فيها بدون أية شروط ، وقال السفير المغربى فى برنامج تليفزيونى محلى : إن وجود القوات الأجنبية فى المغرب ، فرنسية كانت أو إسبانية أو أمريكية ، يتنافى مع معنى الاستقلال .

سياسة بريطانية

فى الشرق الأوسط

نشرت صحيفة (سبكتاتور) الانجليزية يوم ٦ نوفمبر مقالا بقلم روى جنكينز النائب فى مجلس العموم البريطانى قال فيه : إن سياسة إقامة الحكومات الموالية للغرب فى الشرق الأوسط ، ومحاولة إقامة كتلة من الدول العربية ضد كتلة أخرى ، كانت حتى يوليو الماضى - أى إلى قيام ثورة العراق - توصف بالقصور . أما بعد ذلك فلا بد أن توصف بالخلط والجنون .

من حقها وبه حماية مصالحها العمرانية ، ومعارضة ذلك تنافى تقدم العمران وتمتع الأمم بحقوقها الحيوية .

الخليج العربى

قررت حكومة الجمهورية العراقية حجز جميع الرسائل البريدية الصادرة من العراق والواردة إليه إذا كانت معنونة بكلمة (الخليج الفارسى) بدلا من (الخليج العربى) ، وذلك تمهيدا لإعدام تلك الرسائل فيما بعد .

وقد انعقد الاجتماع فى جميع أنحاء الوطن العربى الأكبر على تصحيح هذا الخطأ الجغرافى الذى روج له الاستعمار فى المائة السنة الماضية وسيوضع حد له بعد الآن فيزول استعماله إلى الأبد .

القوات الأجنبية بالمغرب

لمناسبة الاحتفال بعيد الجلوس الحادى والثلاثين لملك المغرب ألقى الملك كلمة طالب فيها بسحب جميع القوات الأجنبية من بلاده وقال : إن جلاء هذه القوات هو الهدف الرئيسى لسياسة المغرب ، وأن ماتم من انسحاب بعضها لا يعتبر كافيا . كما طالب بإعادة المناطق المنتزعة من المغرب ، وأكد تمسك بلاده بارتباطاتها مع الجامعة العربية .

الفهرس

صفحة	الموضوع	بفـ
٤٠١	من إلهامات السد العالي : العروبة تكسح جماح النيل	الاستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٤٠٩	نفحات القرآن : - ٦٥ - المنالية الأدبية في توجيهات القرآن لمن كان ذا سمع وفطنة	» عبداللطيف السبكى عضو جامعة كبار العلماء ومدير التفتيش بالأزهر
٤١٣	السنة : عمل المرأة لنفسه	» طه محمد الساكت
٤١٧	النورث في الإسلام : ميراث المرأة	» حميد الرحمن عيسى مدير المجلة
٤٢٦	نقد كتاب « أضواء على السنة المحمدية » - ٥٠ -	» محمد محمد أبو شعبة الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين
٤٣٢	برامج ومناهج - ٢ -	الدكتور محمد محمد حسين أستاذ الأدب العربى الحديث بجامعة الإسكندرية
٤٤٣	ذكرى ثورة الجزائر	الاستاذ حنين محمد مخلوف مفتى الديار المصرية سابقا وعضو جامعة كبار العلماء
٤٤٧	الإناء الأسود	» أحمد الشرباصى المدرس بالأزهر
٤٥٣	حقائق ينبغي أن تعرف	» أبو الوفا الراغى
٤٥٧	أسرار التكرير في القرآن	» عبد الوهاب حمودة
٤٦١	الزاهد الثقات (حاسم بن قيس)	» محمود النواوى
٤٦٧	الدين في موقف الدفاع	» فتحي عثمان
٤٧٤	الفرقان المنزل وأثره في الأدب العربى	» عباس طه المحامى
٤٧٨	رسالة الأديب	» حسن الشيخة المحرر الأديب بمجريدة الشعب وعضو نقابة الصحفيين
٤٨٢	الملك	» عبداللطيف السبكى عضو جامعة كبار العلماء ومدير التفتيش بالأزهر
٤٨٣	الكتاب	المجلة
٤٨٩	الأدب والمعلوم	»
٤٩١	العالم الإسلامى	»



تفسير الألوسى

سئلت لجنة الفتوى بالأزهر عن حكم اقتناء كتاب روح المعاني للعلامة الألوسى في التفسير ،
فأجابت بفتواها المسجلة تحت رقم ٣١٠٣ :
» بأن تفسير العلامة الألوسى من التفاسير المعتمدة التى لا يصح أن يقوم بين الناس جدل
حول اقتنائها وقراءتها والاستفادة منها . والله أعلم .

مُذِيرُ الْمَجْلَةِ
عبد الرحمن عيسى

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مَجْلَةُ الْأَزْهَرِ

مَجْلَّةُ شَهْرِيَّةٍ بِحَامِيَةٍ
تصدر عن شيخ الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
مُحَمَّدُ الدِّينُ الْخَطِيبُ

الإشتراك السنوي

مبلغ	في وادي النيل
٤٠٠	لطلبة وادي النيل
٣٠٠	لأعضاء والمدرسين بالازهر
٥٠٠	خارج الوادي
٣٠٠	لطلبة خارج الوادي
٤٠٠	لأعضاء والمدرسين خارج الوادي

الجزء السابع - القاهرة : رجب سنة ١٣٧٨ - يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٥٩ - المجلد الثلاثون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لمناسبة أسبوع العيد الرابع للعلم :

سفينة التعليم تغير اتجاهها

العلم سلاح ...

والأصل في السلاح أن يعد للدفاع عن النفس ، وأن يستعمل في حلية التماسك والنفاس .

ومن السلاح ما يتخذ للزينة ، وقد لا تكون معه ذخيرة ، فيبقى معطلا عن الاستعمال عند الحاجة إلى استعماله .

ومن الناس من يستعمل السلاح في الانتحار ، أو في قتل أولاده أو والديه أو من أحسنوا إليه . وفي ركن أخبار الجرائم من الصحف اليومية أمثلة متواصلة لهذا النوع من استعمال الناس للسلاح .

وهكذا الثقافة والتعليم : منهما ما هو بمنزلة الدواء الشافي ، ومنهما ما هو مضیعة للوقت ، وقد يكون في بعض أنواعهما السم الزعاف .

لهذا كان الهادي الأعظم - صلوات الله وسلامه عليه - يستعين بالله من علم لا ينفع ...

١٤
٢٢٢٢
دریات



وإذا كان العلم الذى لا ينفع مما يستعاذ بالله منه ، فما بالك بالعلم الذى ابتكرته الشياطين ، لتواصل به كيدها لبني آدم وبنات حواء !

والاستعمار من دأبه ، إذا احتل وطناً من أوطان الناس ، أن يجعل ثمرة التعليم واثقيف فى مصلحته هو ، ولتحقيق أغراضه السياسية والمذهبية ، لا لمصلحة البلد المحتل ، ولا لخير المتعلمين من بنيته .

ومن بدائع حكيم مسلى القارة الهندية محمد إقبال - رحمه الله - أبيات من الشعر يتكلم بها على فرعون موسى ، ويعيب عليه تفكيره فى إبادة بنى إسرائيل بقتل مواليدهم عقب ولادتهم ويقول له : هلا اهتديت بهدى الاستعمار فى عصرنا ، إذ سن لنا فى مدارسنا مناهج ثقافية يحول بها أبناءنا عن طريقنا إلى طريقه ، وعن مواصلة العمل بسننا وسجايانا إلى الإيمان بسننه وسجايه ، والعمل بهما حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل ، حتى لو دخل الاستعمار جحر ضب لدخله من ورائه .

إن هذا الأسلوب الغربى فى القتل والإبادة ، أنجح من أسلوب فرعون موسى فى قتل مواليد بنى إسرائيل . . .

لذلك كان مما ينبغى لأحرار كل وطن يسر الله لأهله سبيل الخلاص من أسر الاستعمار ، أن يعيدوا النظر فى أنظمة التعليم التى كان قد فرضها عليهم ، والأهداف الثقافية التى كان يوجههم إليها ، لأنها مظنة أن تكون فى مصلحته لا فى مصلحتهم ، ولعله كان يعتمد عليها وهو يزعم فراقهم ، مطمئناً إلى أنها ستكون خليفته فيهم ، وأن المتخرجين بها والمؤمنين بمناهجها ونتائجها سيواصلون العمل على الأساس الذى تركه لهم ، فان فقدوا الإمام الذى تعودوا الائتمام به ، فلن يعودوا إلى ما قطع الاستعمار صلتهم به من خططهم الأصيلة ، وسيستمررون دائرين فى فلسفة الذى رسمه لهم فى عشرات السنين من عهد إشرافه عليهم .

إن البلاء الذى خلفه الاستعمار فى مدارسنا ومعاهدنا بعد فراقه لنا إلى غير رجعة ، كان بلاء ذا ثلاث شعب :

فى التربية حصر نشاطنا فى التربية البدنية ، وحال بيننا وبين التربية الدينية ، والتربية الخلقية ، والتربية العقلية ، والتربية الاجتماعية الإسلامية .

وفي الثقافة كان الاتجاه في مدارسنا إلى ثقافة الغرب ، وإلى الأناضول بأنظمتها وأوضاعه وآدابه ، وإلى التعرف بعظمائه في الحرب والسياسة والعلوم والآداب ، حتى لقد رأينا في المتعلمين والجامعيين من يذكر للاحتلال البريطاني حسنات في الري والإدارة وال عمران والحياة الاجتماعية ، وإذا سئل عن أثر الإسلام في مصر لم يحرجوا ، بل لعله لا يعرف عن عمرو بن العاص - رائد الإسلام الأول في مصر - إلا أكذوبة التحكيم بالأسلوب الذي روجّه الشيوعيون في مئات السنين الماضية ، ولعلنا لا نزال نقلقه لأبنائنا في مدارسنا إلى اليوم !

وثالثة الأثافي الاقتصار في العلوم الكونية على النظريات ، بل على أن تكون الوظائف هي مطمح أنظار الذين يتعلمون هذه العلوم ، فلا يخطر ببالهم أن تكون لهم - مع علماء الأمم الأخرى - مساهمة في البحوث العلمية التي يكون لها أثر في التقدم العمراني ، ولا أن يكون لهم نشاط في تطبيق نظريات هذه العلوم على الطبيعة : من تعدين ، وتحليل ، واستنباط ، وتفنن في الصناعة والاستثمار .

وكان ينبغي للطلبة المسلمين - على الخصوص - وهم يدرسون العلوم الكونية ، أن تكون دراستهم لها بدافع من هداية القرآن في التعرف إلى سرائر الله في الخلق ، والتأمل في عظيم آياته وعجيب بدائعه في السكون ، فيزدادوا بها إيماناً إلى إيمانهم . لكن الأسلوب الاستعماري في تأتين هذه العلوم كان يصرفهم عن الوجهة الإسلامية في النظر إلى السكون وسرائره . وكما من شبابنا المتوقدين ذكاء جرهم أسلوب التعليم الاستعماري للعلوم الكونية إلى الإلحاد والجحود ، ودفعهم في هوة الحرمان من سعادة الإيمان ، فانصبوا - بعد تخرجه - دعاء لهذه المحنة العقلية والشقاء الفكري في مدارسنا كلها ولا سيما في الجامعات ، فلا هم أفادوا من دراسة هذه العلوم ثمرة عملية للوطن كما يفعل أمثالهم في البلاد الأخرى ، ولا هم كفوا أذاهم عن تلاميذهم - أمل المستقبل - بعد أن تولوا التدريس ، فلم يتخذوا منه ذريعة لبث ما أصيبوا به من سموم الإلحاد .

والآن فإن علامات طيبة تبدو من جانب دمة التميّدة ، مبشرة بأن اتجاه سفينة التعليم يوشك أن يتغير .

قد شعرنا بأن البلاد شجعت - إلى حد التخمّة - من ضروب التعليم العقيم الذي لا ثمرة له ، كالفلسفة والدراسات النظرية والفروض الظنية ، لا سيما المجلوبة إلينا من الخارج ، فلم نجد في حاجة إلى مواصلة الإرساليات إلى جامعات الغرب للاستزادة من خريجي هذه الدراسات ،

ونسنتعيز عن ذلك برجال التخصص فيما نستعين به على توسيع إنتاجنا القومى ، ومشروعاتنا العمرانية ، ونهضتنا الصناعية والزراعية .

ستكون العناية موجهة بعد الآن إلى التعليم الذى له ثمرة فى ميادين العمل ، وسيبذل المزيد من العناية فى الإكثار من المدارس والمعاهد الصناعية والزراعية ، وستقوم الجمهورية العربية المتحدة بتعبئة العلم لخدمة الوطن وحمايته وتثبيت انتصاراته القومية فى مختلف اتجاهاتها العمرانية ، ولذلك أعيد تأليف المجلس الأعلى للعلوم بمستوى عال ، ورصد المركز القومى للبحوث عشرات الألوف من الجنيهات لتوزع على طلبة البحوث العلمية فيستحيون بها على استيفاء بحوثهم وتقديم نتائجها ، وتكونت لجان للعلوم الجيولوجية والتعدين والعلوم والصناعات الكيماوية والهندسية والزراعية والبيولوجية ، وخصصت وزارة التعليم منحا مالية للفتوقين فى جميع مراحل التعليم . وفى أسبوع العيد الرابع للعلم الذى احتفلنا به فى هذا الشهر ظهرت لنا - بوضوح أكثر - آثار هذا الاتجاه الجديد إلى العلم العملى المثمر ، ففتحت أبواب المعارض والمتاحف العلمية والفنية ، ووزعت جوائز الدولة لثلاثة من العلماء ألف أحدهم فى « البنين التعاونى » ، وقام الثانى ببحوث فى « البترول والتركيب الجيولوجى للإقليم المصرى » كما قام الثالث ببحوث فى « تسكنولوجيا الزجاج » . ووزعت جوائز ومداليات لنحو ١٨٠ من أوائل الطلبة فى الشهادات والمسابقات العامة ، وألقى الوزير السيد كمال الدين حسين خطبة تدل على اتجاه سفينة التعليم فقال :

« إننا نتحدث اليوم إلى الملايين الخمسين الذين سيتعلم أبناءهم على (منهج الوحدة العربية) من شمال إفريقيا إلى الخليج العربى ، بل التسعين مليوناً من العرب فى الوطن العربى الكبير الذين آمنوا بالعلم ، وسيبنون المستقبل لبلادهم . وإننا إذ نحتفل اليوم بالفتوقين إنما ننظر إلى غدهم أكثر مما ننظر إلى ماضيتهم ، لأنهم قادة المستقبل الذين سيخطون للأمة العربية تاريخ غدها . »

إذن نحن أمام تخطيط جديد لتعليم أبناء خمسين مليون عربى على (منهج الوحدة العربية) وقد تبين لنا من عناصر التخطيط الجديد لهذا التعليم أنه يتوخى من العلوم الكونية - وهى العلوم العالمية - ما يكون له أثر عملى فى نهضتنا القومية ، وصناعاتنا الناشئة ، والإفادة من هبات الله لنا فى تربتنا ومياهنا ومناجنا وكنوز أوطاننا . ومن الإحسان إلى القومية العربية وأوطانها ، وإلى أبناءها وهم فى مراحل التعليم ، أن يعنى المدرسون والأساتذة بتثبيت

عقيدتهم بالله ، ولفت أنظارهم إلى آياته سبحانه في خلقه ، وبدائع حكمته في الجليل والدقيق من سرائر الكون ، فالإيمان قوة وعزيمة وأمل ، والجحود ضعف وقنوط وشلل ، والأمة التي تريد أن تستقبل مصيراً قوياً يجب أن تتجهز بجميع أسلحة القوة وأولها الإيمان ، والمدرس الذي يعمل على تشكيل تلاميذه في إيمانهم أضر على الأمة ومستقبلها من المدرس المصاب بالسل إذا كان حريصاً على نقل عاواه إلى رجال الغد الذين سيقومون ببناء المستقبل . وينبغي لوزارة التربية والتعليم أن تعنى بمراقبة هذا النوع من جرائم الضعف التي يتعرض لها التلاميذ من بعض أساتذتهم ، كما تعنى بالكشف الصحي على موظفيها والعاملين في معسكرها العظيم . إن الذي يدك الإلحاد في هذا المعسكر يجب أن يطرد منه طرداً ، فلا يباح له الاتصال برجال المستقبل إلا إذا أبيع هذا الاتصال بهم للصاب بالجذام أو السل .

وهناك الثقافة وعلومها . وهي شيء آخر غير العلوم الكونية من طبيعية ورياضية . الثقافة شيء ، والعلوم شيء آخر . الثقافة في كل أمة ثقافة قومية ، وأما العلوم فعالمية . العلوم تتعاون على تقدمها جميع أمم الأرض من أقدم العصور إلى الآن ، فهي ليست تراثاً لأمة دون أمة ، فكما ساهم فيها اليونان في العصور القديمة ساهمت فيها الصين والهند ومصر والعراق من قبلهم ، وساهم فيها العرب قبل أن يكون لأوروبا وأمريكا يد فيها . عمل أسلافنا في الجبر وغيره من العلوم الرياضية ، وفي الكيمياء ، وعلوم المعادن والطب ، وما من أمة إلا عملت — قليلاً أو كثيراً — في هذه العلوم ، قديماً وحديثاً ، لذلك كانت علوماً عالمية تشترك الأمم كلها في تكوينها وتقدمها والإفادة منها . أما الثقافة فشيء آخر بالمرّة ، لكل أمة ثقافتها ، ولنا نحن العرب ثقافتنا ، وكما وقع الاحتلال من المستعمرين على أوطاننا وانتزاعها ولا تزال تنتزعها منهم ، وقع كذلك التشويه في ثقافتنا ، ولا سيما في تاريخنا ، من الشعوبيين والشائئين للعرب في القديم والحديث . وكما عملنا ولا تزال نعمل على إنقاذ أوطاننا وتطهيرها من الاستعمار ، ينبغي لنا كذلك أن نتطوع ونجاهد لتهذيب ثقافتنا وتنظيمها وإبراز محاسنها وحسن عرضها على الناس ، وعلى أبنائنا الطلبة بوجه خاص . وأعظم مظاهر ثقافتنا مفاخر تاريخنا ، فقد كانت ولا تزال معرضة لكثير من التشويه والتحريف . ويوم كان التعليم معاهدنا منحرفاً عن طريقه السليم بتوجيه الاستعمار ، كان تاريخنا أكثر انحرافاً وأقبح تشويهاً . وكما أخذنا الآن في تصحيح (منهج الوحدة العربية) في العلوم لتكون منتجة ونافعة ، ينبغي لنا — أكثر من ذلك — أن نبادر إلى تصحيح هذا المنهج في الثقافة العربية ، ولا سيما

في التاريخ العربي ، ومن حسن الحظ أنه ليس لأمة تاريخ كتابين حفظت لنا الأجيال مواد بنائه من جديد ، وليس لأمة من الأمم تاريخ تأخر القيام بتجديد بنائه كما تأخرنا نحن في تجديد بناء تاريخنا . يقال إن هنالك مساعي لتأليف دائرة معارف عربية ، وأنا أقول من الآن : إن من العيب أن تدخل أخطاء تاريخنا وتشويهات الشعوبيين له في أي مادة من مواد هذه الدائرة إن تم تأليفها وصدرت .

قلت : إن البلاء الذي خلفه الاستعمار في مدارسنا ومعاهدنا بعد فراقه لنا إلى غير رجعة كان بلاء ذا ثلاث شعب ، وقد تحدثت حتى الآن عن شعبتين منها وهما العلوم العالمية ، والثقافة القومية . وبقيت الشعبة الثالثة وهي « التربية » ، وقد كنت صادقاً في أن معاهد التعليم عندنا لا تعنى من التربية إلا بالتربية البدنية ، أما التربية الدينية ، والتربية الخلقية ، والتربية العقلية ، والتربية الاجتماعية الإسلامية . فهي أشياء غريبة ويقيمة في معاهد التعليم ، كما هي غريبة ويقيمة في خارج تلك المعاهد .

دخل مفتش من مفتشي المعارف مدرسة للبنات في منطقة اللاذقية من الاقليم الشمالى قبل اقتحاده بالجمهورية العربية ، وبعد أن قام بالتفتيش لاحظ أن المدرسة لا يوجد فيها مصلى ، فاعتذرت ناظرة المدرسة بضيق مساحة المدرسة وقالت للمفتش : إننا لم نجد غرفة نضع فيها البيانو ، فأعذرنا إذا لم نجد غرفة نتخذها مصلى !

هذه هي العقلية التي كانت سائدة في محيط التعليم ، البيانو أولى أن يتوفر له المكان من المصلى . هذه الحال نتيجة توجيه استعماري ، فعلى عهد التحرير أن يرسم الخطط بمقياس واسع للانتقال إلى البيئة اللائمة بأمة عربية مسلمة . والتربية بأنواعها عماد العهد الاستقلالي ، ولن يتجاوب الجيل الآتي مع ثورة التحرير إن لم تتداركه التربية : التربية الدينية ، والتربية الخلقية ، والتربية العقلية ، والتربية الاجتماعية الإسلامية ، والتربية البدنية . كل هذا من الضروريات لتحقيق التجاوب بين الثورة التي تريد أن تقيم للعرب دولة عظمى إلى جانب الدول العظمى ، وبين أمة العرب التي لن تقوم دولتها العظمى على أكتافها إلا بالأخلاق ، والأخلاق لا تتدلى من السماء بقفزة من غير عناية بالتربية ، والتربية تصنع في المدرسة والمعهد ، والمدرسة والمعهد إذا لم يصنعا التربية مع التعليم يكونان غريبين عن وزارة التربية والتعليم .

مح الدين الخطيب

نفاية القرآن

- ٦٦ -

الدعوة الدينية موجهة إلى الإنس والجن

فكيف يتهرب منها أناس ؟ ؟

- ١ - ويوم يحشرهم جميعاً : يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس !!
 ب - وقال أولياؤهم من الإنس : ربنا استمتع بعضنا ببعض ،
 وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا ،
 ح - قال : النار مشواكم ، خالدين فيها ، إلا ما شاء الله ، إن ربك
 حكيم عليم .

زعم البعض أن الجن غير مكلفين ؛ لأن الدعوة قاصرة على الإنس ، فالجن لا يثابون على طاعة ، ولا يعذبون على معصية ، فهم عند أولئك الزاعمين مهملون فى الدنيا وفى الآخرة .. وهذا من جزاف القول الذى يطرح على الاستماع دون أن يؤازره دليل ، أو يناصره وجه من الصواب .

١ - ونظرة فى الآيات التى سقناها تدل فى وضوح على ما فى ذلك الزعم من خبط وخطأ ، وعلى ما يترن به من غفلة عن آيات الله فى كتابه .

فإن الله تعالى يأمر نبيه - صلوات الله وسلامه عليه - أن يتذكر ، ويذكر يوم الحشر للخلق جميعاً وأن الله - سبحانه - ينادى معشر الجن - جماعتهم ، ويذكرهم فى تصنيف وقسوة بأنهم أسرفوا فى إغوائهم للكثير من الناس ، وأنهم يلجئون ، ويأخذهم العجز عن الجواب ، إذ يكون موقفهم موقف الحسرة والتخل ، وموقف الباطل المهزوم أمام الحق المنتصر ، وموقف المهانة والضعف أمام العزة والكبرياء ، وموقف اليقظة بعد الغفلة وقد ضاعت الفرصة فلا رجاء ولا مهرب .

ب - وهنا يلجج الأتباع الغواة من الإنس : فى ذلة وضراعة ، فيعترفون اعتراف المأخوذ بذنبه ، ويقولون قولة الحق على أنفسهم : « ربنا استمتع بعضنا ببعض ، وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا » ، يعنى أن الجن استمتعوا بالسيطرة على الغواة ، وزخرفوا لهم الباطل ، وقادوهم

إلى المفاسد . . وأن هؤلاء العصاة استمتعوا بالجن ، فاستجابوا لوساوسهم ، واستمروا الشهوات ، وتابعوهم في سبيل الغواية إلى نهايتها ، حتى انتهت بهم الحياة إلى العاقبة التي استهانوا بها ووقفوا بين يدي الله في وعى يقط .

وحيث كان ذلك معروفا من قبل ، وكانت دعوة الرسل واضحة ، وحاجة على التنبه لما وراء الدنيا من عذاب أليم ، أو نعيم مقيم ، فليس الموقف الآن موقف استعتاب ، وإنما هو قول فصل ، وما هو بالهزل ، وهو جزاء يقنعهم بصدق ما سمعوا من النذر ، ويصرهم بالعدل الذي تجاهلوه في معاملة الله للحسنين والمسيئين من عباده ، ويؤكد لهم قول ربهم « كل امرئ بما كسب رهين » . « وإن كلالا ليوفينهم ربك أعمالهم » .

ح - والجواب الحاسم الذي يسمعون من جانب الله تعالى - بعد هذا اللوم وهذه الاستكانة - « النار مثواكم . . خالدين فيها . . إلا ما شاء الله . . إن ربك حكيم عليم » . وهنا ينقطع الاستعطاف ، ويستقر الأمر على ما قضى الله من تخليد هؤلاء الأتباع مع متبوعهم في النار ، كما عاشوا على ولاء في الجحود والعصيان .

وذكر المشيئة في هذا السياق للإشعار بأن الأمر كله لله بدءا ، ونهاية . وأنه وحده يعلم مدى خلودهم في العذاب ، ويقال إن الوقت المستثنى بالمشيئة هو الوقت السابق على دخولهم جهنم ، يعنى من حين المحاسبة في الموقف . . ويرى بعض العلماء أن الاستثناء بالمشيئة يدل على أن للخلود نهاية ، ثم تفتى النار بكل ما فيها ، وهذا غير مرضى عند الجمهور .

ومما تقدم يتبين أن توجيه النداء إلى الجن ، وتوبيخهم على ما فعلوا بالناس من غواية ينقض زعم الزاعمين أن الجن غير مخاطبين بالدعوة الدينية ، وأنهم همل في دنياهم وآخرهم ، فهم يفسدون ولا يحاسبون .

مع أن تخصيصهم بهذا النداء السالف يؤكد مسئوليتهم أكثر من غيرهم ؛ لأنهم هم القاتنون لسواهم .

ثم يأتي نداء ثان يجمع بين الفريقين في التعنيف واللائمة « يا معشر الجن والإنس ١١ ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي ، وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ » .

وهذا تقرير ، وتوبيخ ، تناول الجن قبل الإنس ، لأنهم كما قررنا مصدر الفتنة ، وهو نداء يسجل أن الرسل كانوا يبعثون إليهم جميعا ، وأن الرسل كانوا من هذا المجموع : لا من جنس ثالث مغاير لهم ، ولئن كان الرسل في واقع الأمر من الإنس ، فقد كان للجن من يسمع

ويبلغ سواه ، وبهذا تكون الدعوة واصلة إلى الجميع » وإذ صرفنا إليك نقرأ من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروه ، قالوا أنصتوا ، فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين ، قالوا يا قومنا ! ! إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى ، مصداقاً لما بين يديه ، يهدى إلى الحق ، وإلى طريق مستقيم ، يا قومنا ! ! أجيئوا داعي الله ، وآمنوا به ، يغفر لكم من ذنوبكم ، ويحرك من عذاب أليم ، ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض ، وليس له من دونه أولياء ، أولئك في ضلال مبين .

ولست بنا حاجة بعد هذه الإمامة الواضحة وبعد تلك الآيات البينات إلى المزيد من القول في بيان عموم الدعوة الدينية للثقلين من الجن والإنس ، فالجميع أمة دعوة والمؤمنون منهم هم أمة الإجابة ، وهذا أمر مقروغ منه في جانب محمد بن عبد الله ، صلوات الله عليه وسلامه ، وإذا كان حديثنا في هذا الصدد غير جديد فهو تصحيح للعقيدة ، وتذكير بالخطر من الشياطين وبوجوب البعد عن إخوان السوء ، فإنهم شياطين الإنس ، وأنت ترى غالباً في كل مجتمع ، وفي كل بيئة من يمثل الشيطان في مسلكه ، وسيرته ، ومعاملاته بالكذب ، والتدليس ، والمراوغة ، والرشوة ، والخيانة .

وترى هؤلاء رهوساً مشرئبة نحو الفسوق ، ووجوهاً تبتم لاستقبال الرذيلة ، وتسمع لهم نغمت جريئة في التوجيه إلى الانحراف .

وكانت الرذيلة من قبل خائسة ، فتجهمت بيننا بتبجح المارقين .
وكانت الوجوه تتوارى حياء من النقيصة ، فأصبحت الوجوه غير كالحة ولا تخجل من سوء ، ولا تخزي من معرفة .

حتى كثر فينا الوضعاء الذين لا يستريحون إلى نصح ، ولا يرضون بالبقاء على شيء من الأدب ، ولا يرون غير مسالك الدناءة ، وكأنهم يعافون أن يقال عنهم قول كريم ، أفليس هؤلاء من المستمعين بالجن ، وأنهم سيواجهون بالموقف الذي تحدثنا عنه في ضوء ما سلف من الآيات ؟؟ .

اللهم اهدنا واهد هم ، وأصلح لنا ولهم ديننا ودنيانا ، فأنت اللطيف بعبادك ؟

عبد اللطيف محمد السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير التفقيش بالأزهر

السُّنَنُ

عود إلى علاج العين (*)

عناية المحدثين بالأمانة - الداء والدواء من قدر الله -
من الهدى النبوى في عيادة المرضى - من عجائب الطب
النبوى - مكان الطب في الشريعة العامة الخالدة .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم - أو أمر - أن
يُستَرَقَ من العين . وعن أم سلمة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى في بيتها
جاريةً في وجهها سَفْعَةٌ ، فقال : استرقوا لها ، فإن بها النظرة .

رواهما الشيخان ، واللفظ للبخارى

هذان حديثان جليلان ، من أصح الأحاديث الكثيرة ، التى كادت تكون متواترة ،
في شأن الإصابة بالعين والرقية منها وحسبك من درجات صحتها أن يتفق على روايتها
الإمامان العظيمان : البخارى ومسلم ، وكفى بكل منهما حجة . . .

و - أو - في الحديث الأول ؛ لشك الراوى : هل قالت أم المؤمنين رضى الله عنها :
أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بإضافة الأمر إليها ، أو قالت : أمر . . من غير
إضافة ؟ وهذا الشك - كما قلنا - في مناسبات شتى ، من أعظم الأدلة : وأقواها على تحرى
الرواة ، وبلوغهم في ضبط الأحاديث والحرص على ألفاظها . فضلاً عن معانيها ، مبلغ
الذين اتسمهم الله على دينه ، فأقاموا الدين لله خالصاً ، وأدوا أمانة الله كاملة غير منقوصة .

(*) إجابة لرغبة مشكورة من قراء أفاضل ، لاحظوا إجمالاً شديداً في شرح الحديث
الأسبق ، ولا سيما في علاج العين . . . ومن أجل تلك الرغبة أجلنا الحديث في « عمل المراء
لغيره » ، للجزء القادم إن شاء الله .

على أن في رواية أخرى من روايات الحديث « أمرني ، من غير شك ، وفي ثالثة « كان يأمرني » ، وفي حديث أم سلمة رضي الله عنها أمر نبوي صريح بالرقية من السفعة التي أصابت الجارية في وجهها ، والسفعة - بفتح الفاء وقد تضم - بقعة ذات لون يخالف لون الوجه ، أصابتها بنظرة شريفة من عين إنسي أو جنّي ، ولعيون الجنة ، نظرات أنفذ من الأسنة .

* * *

وكا أن العين حق ، والإصابة بها ثابتة بقدر الله تعالى ومشيئته ، وأنها من الأسباب العادية التي يربط الله بها مسيبتها ، فكذلك الرقية منها حق ، وهي من قدر الله وإرادته ، فهما من الداء والدواء ، وما أنزل الله داء ، إلا أنزل له شفاء ، فإذا أصاب الدواء موضع الداء برأ بإذن الله ، وفي المسند والسنن عن أبي خزيمة قال : قلت يا رسول الله ، أرايت رقي نسترقها ودواء تندأوى به ، وتقامة نتقيها ؛ هل ترد من قدر الله شيئاً ؟ فقال : هي من قدر الله ^(١) .

* * *

وأقل ما يقتضيه الأمر بالرقية أنها مشروعة مرخص فيها ، بل مستحبة مندوب إليها ، في كل إصابة وشكوى ، ولا سيما العين واللدغة من ذوات السموم كلها . وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اشتكيت ؟ قال نعم : فقال جبريل عليه السلام : باسم الله أريقك من كل داء يؤذك ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك ، باسم الله أريقك .

وكان صلوات الله وسلامه عليه يدنو من المريض ويجلس عند رأسه ، ويسأله عن حاله ، ويضع يده على جبهته ، وربما وضعها على ثديه ، وربما توضعاً وصب على المريض من وضوئه ، وكان إذا أتى مريضاً أو أتى به إليه قال : اذهب الباس رب الناس ، أشف وأنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقماً .

(١) السنن هنا هي سنن الترمذي كما في تعليقات الأخوين الفاضلين : الأستاذين عبد الغني عبد الخالق ، ومحمود فرج العقدة ، في تعليقاتهما على « الطب النبوي » ، الذي طبع وحده أخيراً .

لا جرم أن الرقى بآيات الله تعالى وذكره وأسمائه ، وأن الفزع إليه فيما وقع وما يتوقع من القربات إليه والتحصن به .

* * *

وأما ما ورد النهى عنه من الرقى ، فهو المشتبه الذى لا يعرف ، أو المركب من حق وباطل ، يجمع إلى ذكر الله وأسمائه ما يشوبه من ذكر الشياطين والاستعانة بهم ، والتعوذ بمردتهم ، لا جرم أن هذا الصنف من الرقى آفة الإيمان والعقائد ، ومفتاح الشرور والمفاسد ، بل هو السم الذى لا رقية له إلا توبة نصوح واقية ، أو بطشة شديدة قاضية . . .

* * *

ومن العلاج النبوى للعين : أن يدعو العائن لمن عانه بالبركة ، وأن يتوضأ العائن أو يغتسل ، ثم يغتسل من مائه المعين ، وليس المراد بالوضوء والغسل هنا كفيهما الشرعية بل الأمر فيهما متسع كما يؤخذ من الآثار . .

وبيان الغسل فى حديث أحمد والنسائى وابن حبان : أن يغسل العائن وجهه ويديه إلى المرفقين ، ومن سرتة إلى أسفل جسمه ، ويوضع الماء فى قدح ويصب على رأس المعين وظهره ، فيبرأ بإذن الله . . .

والسر فى هذا الغسل من عجائب الطب النبوى التى تخفى على أكثر الناس ، ولا سيما الذين لا يؤمنون بأسرار الروح والغيب ، ومن أجل ذلك لا ينتفعون بهذا الطب ولا يبرءون به . ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً .

* * *

وكان أثر العين الحاسدة الشريرة شعلة من النار ، انبعثت منها إلى المحسود فاشتعل نارا فكان من الخير والحكمة أن تطفأ بالماء والدعاء فى العائن والمعين جميعاً . .

والسر فى دعاء العائن لمن عانه ، أن الدعاء إحسان للعين وطب له ؛ وتكفير للإساءة التى قدمها إليه بحمد نعمة الله عليه وانتقاصها منه ، ومن هنا أمر من رأى شيئاً فأعجبه ولو كان ملكاً له أن يقول : « ما شاء الله لا قوة إلا بالله » ، دفعا لأذى العين ووقاية من شرها ولا عجب أن يحسد المرء نفسه وولده وحبيبه ، وإن كان ذلك فى الخلقين قليلاً وقليل من عبادى الشكور .

ولا مخافة من عدوى الماء المستعمل هنا ، فإنه استعمل في إطفاء النار الثانية بعد أن أطفأ النار الأولى وقوة الإيمان والعزيمة تدفع ما عسى أن يحمل من أذى ، وقبلها يكون الأذى إذا كان العائن صحيحاً سليماً . . على أن هذا الطب رخصة جائزة غير واجبة ، فليتركها من لا يؤمن بها ، ومن يخاف العدوى منها ، وليكتف بالرقية الإلهية النبوية في دفع العين والأذى ، إن كان من المؤمنين بما أوحى الله إلى رسوله . . .



ومما يجب أن نحذر منه العامة وأشباه العامة هنا ، تغاليهم في العين ونسبة كل أذى أو ضرر إليها ، فإن الأدوية وأشقيتها ، والأسباب ومسبباتها لا يحصيها إلا من أنزلها ، وما العين وطها إلا قليل منها . . كما يجب أن ننبه هنا كذلك على أن الله جلت حكمته ، إنما أرسل رسوله هادياً وداعياً ومبشراً ونذيراً ، أرسله بطب الأرواح والقلوب ؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذنه ، وليهديهم إليه صراطاً مستقيماً . .

وأما طب الأبدان الذي صح عنه صلوات الله وسلامه عليه ، فليس إلا تكميلاً لشرعيته العامة الخالدة ، التي لم تدع خيراً إلا دعت إليه ، ولا شراً إلا حذرت منه ، في العاجلة والآجلة ، إجمالاً وتفصيلاً [*] .

طه محمد الساكت

[*] من تأدية الأمانات إلى أهلها . ومن الاعتراف بالفضل لذويه ، أن ننبه على أن مرجعنا الأول في شرح هذين الحديثين هو « الطب النبوي » لابن القيم ، وأن الذي أشار على بتفصيل ما أجملت في الحديث الأسبق ، أخونا الواعظ الفاضل الأستاذ إبراهيم أبو سعدة ، وشيخنا الكبير الأستاذ محمد عرفة . . غير أني لا أزال أدعوها والقراء الأفاضل إلى مزيد الإفادة من « الطب النبوي » ففيه الجواب الكافي . . وفيه قرة العين . . والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا به .

شهر رجب

فضيلته - فرض الصلاة - زيارة النبي

من الأشهر الحرم التي كان يعظمها العرب قبل الإسلام شهر رجب، وكانوا يقبونه بالأصم لأن قعقة السيوف لا تسمع فيه، ثم جاء الإسلام فعظم شأنه، وأبقى عليه ضمن الأشهر الحرم المذكورة في قول الله تعالى: «إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم، ذلك الدين القيم، فلا تظلموا فيهن أنفسكم، وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم الأشهر الحرم في بعض خطبه: (عن ابن عمر قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بمنى في أوسط أيام التثريق فقال: يا أيها الناس إن الزمان قد استدار فهو اليوم كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم، أولهن رجب مضر الذي بين جمادى وشعبان وذو القعدة وذو الحجة والمحرم) فكان القتال محرماً في هذه الأشهر عند العرب قبل الإسلام حتى أن الرجل ليلقى فيها قاتل أبيه فلا يهيج، وكذلك حرم الإسلام القتال فيها على المسلمين إلا إن قوتلوا، ثم نسخ ذلك فقد حاصر النبي صلى الله عليه وسلم الطائف وغزا هوازن في غزوة حنين في شوال وذى القعدة سنة ثمان من الهجرة.

وقد مضى السلف الصالح رضوان الله عليهم على تعظيم هذا الشهر لما حدث فيه من إكرام الله سبحانه وتعالى لنبيه بالإسراء والمجراج فيه، وكان ذلك في ليلة السابع والعشرين منه، ولأن الله قد شرح للمسلمين في تلك الليلة أعظم ما شرع من العبادات؛ إذ أوجب فيها الصلوات الخمس في اليوم والليلة.

فكانوا يكثرون في هذا الشهر من الطاعات البدنية والمالية بالصلاة والصيام والصدقات، كما يتزهون فيه عن المعاصي واقتراف السيئات، واستمر ذلك حتى عند الخلف في العهود الأخيرة، فقد أدركنا الأجداد والآباء يحرصون على أن يصوموا ثلاثة الأشهر: رجباً وشعبان ورمضان ويتبعون سناً من شوال ذلك لأن رجباً عندهم ابتداء مواسم الخير

والطاعة ، وكانوا يختصون ليلة السابع والعشرين من رجب بمزيد من أعمال البر والتعظيم ، لأن الله قد زادها تعظيماً بتشريع الصلاة فيها ، وهى أفضل الأعمال عند الله كما صح ذلك عن رسول الله .

ونرى مع الرائي أن نظهر سرورنا ليلة السابع والعشرين من رجب ، ونكرم فيها الأهل بمزيد من السعة ، كما نكرم الفقراء والمحتاجين مع الإكثار من الطاعات والبعد عن المعاصي . فالصلوات الخمس فرض عينى فى اليوم والليلة بكتاب الله وسنة رسوله وإجماع المسلمين ، وأدلة فرضيتها متواترة مستفيضة ، وحكمها صار معروفاً للخواص والعوام ، معلوماً من الدين بالضرورة ؛ فمن جمده وجوب الصلوات الخمس كان كافراً مرتداً بإجماع المسلمين ، وتجربى عليه أحكام المرتدين .

أما من ترك الصلاة كسلا مع إقراره بوجوبها فهو آثم انفاقاً بين الأثمة ، ولكنهم اختلفوا هل يكون كافراً ؟ والصحيح الذى عليه الجمهور أنه لا يكون كافراً ولكنه عاص بهذا الترك ، وهل يقتل أم لا ؟ مذهب الشافعى ومالك وغيرهما أنه يقتل حداً بعد استتابته وإصراره على الترك ، ومذهب أبى حنيفة والنووى والمزنى أنه لا يقتل بل يعزر بالضرب والحبس حتى يصلى .

وإلى رأى الأخير نذهب ، وإن كنا نرى خطراً عظيماً يهدد تارك الصلاة كسلاً ، فليتنبه العاقل لذلك وليعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : أول ما يحاسب عليه المرء من عمله الصلاة . فهى بلا شك أخطر فرائض الإسلام .

وقد ورد : الصلاة عماد الدين من أضعافها فتمد أوضاع الدين ، وتوجيه ذلك أن الإسلام قد بنى على خمس : شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت . والصلاة تجمع هذه الخمس ففيها الشهادتان فى التشهد ، وهى نفسها إقام الصلاة ، وكل ما أفطر الصائم أبطل الصلاة ، فما دام فى صلاة فهو فى صيام ، ولا بد فيها من استقبال القبلة ، ففيها قصد الكعبة بالنسك والعبادة ، ولا بد من ستر العورة ، وطهارة البدن من الحدث ، وطهارة البدن والثوب والمكان من النجس ، وتحصيل ذلك بيد المال فهو إنفاق للمال فى سبيل أمر الله بالإِنفاق فيها ، والزكاة إنفاق للمال فى سبيل أمر الله بالإِنفاق فيها ، فجمعت الصلاة أركان الإسلام وصدق ما ورد أنها عماد الدين ومن أضعافها فتمد أوضاع الدين .

وكما أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فهي تنقى المسلم مما اقترفه من الخطايا شيئاً فشيئاً حتى لا يبقى منها شيء ، فقد روى البخارى ومسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء ؟ قالوا لا يبقى من درنه شيء ، قال فذلك مثل الصلوات الخمس يححو الله بهن الخطايا) .

وقد روى أبو داود وغيره بإسناد صحيح عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (خمس صلوات أفترضهن الله ، من أحسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن ، وأتم ركوعهن وخشوعهن ، كان له على الله عهد أن يغفر له ، ومن لا يفعل فليس له على الله عهد ، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه) .

وهذا الذى ذكرنا من أن الله يححو بالصلوات الخمس الخطايا إنما هو فى الخطايا المتعلقة بحقوق الله تعالى ، أما حقوق العباد فلا بد من ردها إلى ذويها ، فإن تاب ولم يتمكن من ردها حتى مات فإن الله يرضى عنه أصحاب الحقوق بما شاء من العطاء ؛ لأنه أرضى الله بتوبته وصدق فى نيته .

ونبين هنا أن ستر العورة شرط لصحة الصلاة ، وتختلف العورة عند الرجل والمرأة : فعورة الرجل فى الصلاة ما بين السرة والركبة عند الشافعية والحنفية والحنابلة ، وإن اختلفوا فى أن السرة والركبة منها ، وعورة المرأة عند الحنفية جميع بدنها ماعدا بطن الكفين وظهر القدمين ، وعند الحنابلة جميع بدنها ماعدا الوجه فقط ، وعند الشافعية جميع بدنها ماعدا الوجه والكفين ظهرا وبطنا ، أما المالكية فيقولون للرجل والمرأة فى الصلاة عورتان عورة مغلظة وعورة مخففة ، فعورة الرجل المغلظة السوأتان (القبل والدبر) والمخففة مازاد على ذلك ما بين السرة والركبة من الإمام والخلف - أما المرأة فإن وجهها وكفيها ليسا بعورة مطلقا ، وعورتها المخففة هى الرأس والعنق والذراعان والصدر وما حاذاه من الخلف ، ومن الركبة إلى آخر القدم ، وما عدا ذلك من بدنها فهو عورتها المغلظة .

فمن صلى مكشوف العورة المغلظة كلا أو بعضا بطلت صلاته ، ومن صلى مكشوف العورة المخففة كلا أو بعضا لا تبطل صلاته وإن كان كشفها حراما أو مكروها ، ويحرم نظر الأجنبى إليها كمنظره إليها خارج الصلاة ؛ لأن عورة المرأة خارج الصلاة جميع بدنها ماعدا الوجه والكفين .

مذهب المالكية : فيه فسحة للنساء وتشجيع لمن على الصلاة ، كما أن فيه أيضا فسحة للرجال في المصانع والمعامل والمزارع ، وإلى هؤلاء جميعاً أوجه القول بالإعذار لهم في ترك الصلاة ، وأن الدين يسر ، ويستطيع الرجل أن يصلي حتى في ملابس العمل التي تقتصر عن الركبتين ، كما تستطيع المرأة أن تصلي حتى في ملابس الزينة التي تكشف شيئاً من الصدر ، والملابس القصيرة .

ويرى الحنابلة : أنه يباح جمع الظهر مع العصر والمغرب مع العشاء لمن يخاف ضرراً يلحقه في معيشته إذا صلى كل صلاة من هذه الأربع في وقتها ، وفي ذلك سعة على عمال المصانع وموظفيها ، وموظفي المعامل الذين لا يمكنهم ترك أعمالهم لأداء الصلاة في وقتها تحت نظام العمل الذي هم فيه ، وكذلك الجنود وحراس الأمن الذي يكفون أعمالاً لا يمكنهم معها أداء الصلاة في وقتها ، فهؤلاء جميعاً لهم أن يجمعوا بين الظهر والعصر ، وبين المغرب والعشاء تقديماً بصلاتهما في وقت الأولى ، وتأخيراً بصلاتهما في وقت الثانية ، تبعاً لما تسمح به ظروف العمل .

وذلك كله مبالغة في الحرص على أداء الصلاة والمحافظة عليها ، تنفيذاً لأمر الله العلي الكبير « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين » .

قدمنا أن السلف وكثيراً من الخلف كانوا يعظمون شهر رجب لإكرام الله نبيه فيه بالإسراء والمعراج ، وتشريع الصلاة بكثرة الطاعات البدنية والمالية مع البعد عن المعاصي .

ومما يتقرب به كثير منهم في هذا الشهر ، زيارة النبي صلى الله عليه وسلم وفرحهم بهذه الزيارة الرجبية كما يطلقون عليها ، ولعمري أن هذه الزيارة لمن أعظم القربات ، ومن أحب الأعمال إلى قلب المؤمن ، إذ يستجلى بها نور حبيبه المصطفى ، ويتشرف بها كأنما تشرف بزيارته في حياته ، فقد روى الدارقطني وابن ماجه أنه صلى الله عليه وسلم قال : (من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي) .

كذلك روى الإمام أحمد وأبو داود وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ما من رجل يسلم على إلا رد الله على روحه حتى أورد عليه السلام) . ولهذا درج أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند زيارته أن يقولوا الزائر منهم : السلام عليك يا رسول الله - السلام عليك يا أبا بكر - السلام عليك يا عمر ، وأجمع المسلمون على أن زيارة النبي صلى الله عليه وسلم بعد مماته لغير المسافر لها قربة وطاعة ، واختلفوا في حكم

الزيارة لمن يحتاج إلى السفر لها ، فمنهم من يرى أنها قربة عملا بعموم قوله صلى الله عليه وسلم (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزورها) فالضمير المفعول به عام لجميع القبور ومنها قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، والأمر بالزيارة مطلق ، فتكون الزيارة مستحبة أو مباحة بدون السفر ومع السفر

كذلك حديث الدارقطني يدل على استحباب الزيارة ، حتى ينال الزائر بعد سلامه على النبي صلى الله عليه وسلم شرف رد الرسول عليه وبركته ، سواء كان ذلك مع السفر أو بدون سفر .

ومن العلماء من يرى عدم إباحة السفر لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم وإن كانت زيارته بدون السفر طاعة وقربة ، واستدلوا على ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدى هذا) ولا حجة لرأيهم في هذا الحديث ، لأن تقدمه هكذا : لا تشد الرحال إلى مسجد إلا إلى ثلاثة مساجد ، ويؤول إلى أنه لا ينبغي ولا يستحب أن يشد الرحل إلى مسجد للعبادة فيه إلا إلى المساجد الثلاثة المذكورة لفضيلتها ومنزلتها عند الله ، وإن قلنا إن الحديث خبر بمعنى النهي كما يقولون ، أى لا تشدوا الرحال إلى مسجد إلا المساجد الثلاثة ، كانت النتيجة كما قدمنا من أن الحديث لبيان فضيلة المساجد الثلاثة ، واستحباب أو إباحة شد الرحل إليها ، وليس للحديث صلة بحكم شد الرحل إلى غير المساجد ، فنشد الرحل إلى غير المساجد ، كشدته إلى بلد لطلب العلم ، أو للتجارة ، أو لصفة الرحم ، وشده لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون محظورا .

على أنه إذا كانت الزيارة في نفسها قربة وطاعة فكيف يحرم السفر لها ، بل إذا كان الترويض والترويح عن النفس مباحا أو مطلوبا فهل يحرم السفر لهذا ؟ لاشك أن هذا خطأ وربما جرهم إلى هذا الخطأ تقديرهم المستثنى منه المحذوف عاما ، أى لا تشد الرحال إلى شيء إلا إلى ثلاثة مساجد ، ولكن هذا التمييز خطأ أيضا ، إذ يؤدي إلى تحريم السفر لأى طاعة أو أمر مباح ، كالسفر لطلب العلم وصلة الرحم والتجارة وغير ذلك وهذا خطأ شنيع ، فالسفر لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم مباح أو مستحب ، لأنه يوصل للزيارة التى هى من أعظم القرب .

فإذا بلغ المسافر مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : عند دخوله بهم الله وسلام على رسول الله ، اللهم اغفر لى ذنوبى ، وافتح لى أبواب رحمتك ، واحفظنى من الشيطان الرجيم ، ثم يقصد إلى الروضة الشريفة فيصل ركعتين ، فإن كانت الروضة مزدحمة صلاهما فى أى موضع

من المسجد ، ثم يقصد إلى القبر الشريف فيسلم على النبي ويقف متواضعا ويصلى عليه ، ويثنى عليه صلى الله عليه وسلم بما يحضره ، ثم يسلم على أبي بكر ، ثم يسلم على عمر ويدعو لها .

قال العلماء ومن وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم لا يلتصق به ولا يمسه ولا يقبله ولا يطيل الوقوف عنده ، وإن قصد بذلك التبرك ؛ لأن التبرك بالنبي صلى الله عليه وسلم إنما يكون باتباعه لا بالابتداع عنده .

وليكثر مدة إقامته بالمدينة النبوية من الصلاة في الروضة وقراءة القرآن وذكر الله ، وليبذل في المدينة مزيلا من الصدقات ، وليتخذ عند فقرائها أيادي بيضاء بكثرة العطاء .

وإذا عزم على السفر من المدينة جعل آخر عهده زيارة النبي صلى الله عليه وسلم والوقوف بأدب وتواضع عند قبره والسلام عليه وعلى صاحبيه .

قال ابن القاسم المالكي رأيت أهل المدينة إذا خرجوا منها أو دخلوها أتوا إلى القبر مسلمين وذلك دأبي ،

ونرى أن هذا ينبغي أن يكون دأبنا ودأب غيرنا عند السفر إلى المدينة لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم .

عبد الرحمن عيسى

مدير المجلة

الإنسان عدو ما جهل

قال ليبب الرياشي - من أدباء نصارى الشام - في كتابه (نفسية الرسول العربي) :

« ما ندمت على شيء في حياتي ندما عصيا ساحقا مثل ندمي على جهل نفسية الرسول العربي والإمام الأعظم العالمي محمد بن عبد الله ، في أيام الماضيات وسنوات الغابرات .

أما لو درست تلك الحياة وهاتيك النفسية وتفهمت جوهرها واسترعت بنورها ربع قرن ، لأمسى الحق معشوق عقلي ودعى وعصبي ، فبعث الحق في شخصيتي الجسمية والنفسية قوة كونية عظيمة رضية حكيمة من هدى الرسول العربي العالمي ، ومن نور عقله ، ولكنت إذ ذاك رجلا غير هذا الرجل ، ومفكراً غير هذا المفكر . »

الله أكبر !! ...

إن بعض الكلمات الجليلة قد تفقد معناها وتأثيرها في نفوس الكثيرين من الناس . وإن كثرت ترددها وتكرارها ، وذلك لقلة التدبر فيها أو التأمل لمعناها أو الاستجابة لمغزاها ومن بين هذه الكلمات كلمة : « الله أكبر » ، العظيمة الجليلة العميقة ، التي جعلها الإسلام رمز التكبير وعماده ...

ولقد كان التكبير أول ما كلف الله به رسوله حين أمره بإنذار الناس فقال له : « يا أيها المدثر ، قم فأندز ، وربك فكبر » ، ويعلم الله رسوله أن يسكثر من تكبيره بعد تقرير ألوهيته ووحدانيته فيقول له : « قل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ، ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له ولي من الدن ، وكبره تكبيرا » . والأذان يتردد في بلاد الإسلام كل يوم خمس مرات ، وألفاظه الأساسية قبل التكرار هي : « الله أكبر » ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حتى على الصلاة ، حتى على الفلاح ، لا إله إلا الله » ، فترى الأذان يبدأ بكلمة التكبير ، وينتهي بكلمة التوحيد ، وتكرر كلمة « الله أكبر » فيه ست مرات ، بينما تسكرر جملة الأخرى مرتين !! ...

والصلاة تبدأ بالتكبير ، إذ يفتتحها المسلم بكلمة « الله أكبر » ، وتسمى حينئذ تكبيرة الإحرام ؛ لأنها جواز الدخول في الصلاة ، وإذا دخلت بها في الصلاة حرم عليك ما كنت فيه من النهو واللعب وكلام الدنيا كل شيء إلا عمل الصلاة ، وروى الخمسة إلا النسائي أن الرسول صلوات الله عليه قال : « مفتاح الصلاة الطهور ، وتحريمها التكبير ، وتحليلها التسليم » .

والتكبير يتخلل حركات الصلاة ويتكرر في كل ركعة عدة مرات ، وقد روى الخمسة إلا الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : كان صلى الله عليه وسلم يكبر في كل خفض ورفع (إلا عند الرفع من الركوع) وقيام وقعود ؛ وأبو بكر وعمر ...

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : بينما نحن نضلي مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال رجل من القوم : الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً . فقال رسول الله

صل الله عليه وسلم : من القائل كلمة كذا وكذا ؟ قال رجل من القوم : أنا يا رسول الله . قال : عجبت لها ، فتحت لها أبواب السماء . قال ابن عمر : فما تركتهن منذ سمعت رسول الله يقول ذلك . روى ذلك مسلم والترمذى .

ويختتم المسلم صلاته المفروضة بالتسبيح والتحميد والتكبير ، فقد أخرج الشيخان وأبو داود الحديث : « من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين ، وحمد الله ثلاثا وثلاثين ، وكبر الله ثلاثا وثلاثين ، فتلك تسع وتسعون ، ثم قال تمام المائة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، غفرت خطاياه ، ولو كانت مثل زبد البحر » .

ويأتى عيد الفطر فيجهر المسلمون بالتكبير من وقت الخروج إلى الصلاة حتى ابتداء الخطبة ، فيرددون : « الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله ، والله أكبر ، والله الحمد » ؛ وإذا جاء عيد الأضحية كان أسبوعه حقيقيا بأن يسمى « أسبوع التكبير » ، إذ يظل المسلمون فيه خمسة أيام يكبرون الله على ما عداهم ، وأهلهم يشكرون ، فهم يكبرون مختلف الأوقات وبخاصة في أعقاب الصلوات من صبح يوم عرفات إلى عصر اليوم الرابع من أيام العيد ، وغو آخر الأيام التي تسمى « أيام التشريق »

ويستند من هذا أن السابن يكررون كلمة « الله أكبر » كل يوم عشرات المرات على الأقل في الصلوات وغير الصلوات ، ولسكننا لو ذهبنا نبحت عن أثر هذه الكلمة الجليلة في نفوس أكثرهم وتصرفاتهم لوجدناه قليلا ضئيلا ؛ مع أن الله تبارك وتعالى : قد شرع تكرر هذا الهتاف الإلهي في مختلف المناسبات - وبخاصة في الأذان والصلوات - ليكون أشبه بدقات الساعة التي تتردد بين الفينة والفينة ، منبهة لعباد الله ، مذكرة بحقوق الله ، منادية بالرجوع إلى الله ، ليستيقظ الضال ، ويتردع المسيء ، ويزداد المحسن إحسانا ؛ وكلما سمع أبناء القرآن هذا التكبير في الأذان قابضوه بالتكبير ، فيتململون الاستجابة للحق ، والمسارعة إلى الخير ، والتلاقي على الذكر ، والتعاون على البر والتقوى ، والمجاهدة للإثم والعدوان : « والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأتوا إلى الله لهم الهدى » ، فبشر عباد ، الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولو الألباب .

« الله أكبر » نداء السماء العلوى المنزل من حمى القدس ليردد بين أهل الأرض ، مذكرا

إياهم بجلال الله وعظمته ، وسلطانه وقدرته ، فتشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ، فترى المؤمنين يرددون كلمة « الله أكبر » في صدق وعزيمة ؛ وكأن لصوتها هدير أكهدير البحر المتلاطم ، أو أشد وقعا ؛ لأن معناها القوى البليغ قد أخذ يهدر في قلوبهم ، ويتلاطم في صدورهم ، فكأن هذا من ذاك ! . . .

وتتردد في الآفاق كلمة « الله أكبر » فإذا هي نسبت السماء الطاهرة التي تمر على الأرض الهامدة فتحي مواتها ، وتبعثها من رقابها ... وتتردد فإذا هي فيض الملاء الأعلى الذي يغسل أدران الحياة وأقدار البشر .

« الله أكبر » كلمة تتردد في أذن السارق الناهب ، فترتجف يده ويهتز كيانه ، ويتذكر - إن كان من أهل الذكرى - أن هناك إلها أقوى منه ، وأكبر من حيلته واستخفاته ، ومن مكره وخديعته ، وأن أخذ هذا الإله أقوى من أخذ القانون والمحكمة والسجن والأشغال الشاقة المؤبدة ! ! . . . « إن أخذه أليم شديد » ! . . .

« الله أكبر » كلمة تدوى في أذن الفاسق الذي يهيم بإثم أو معصية ، فيتشعر ويرتدع ، ويتذكر - إن بقيت فيه فضلة ذكرى - أن الله عينا لا تنام وأنه يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وأنه يعلم سرهم ونجواهم ، وهو معكم أينما كنتم . . . « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » ؟ ! . . . « ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ؟ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ، ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ، إن الله بكل شيء عليم » .

« الله أكبر » كلمة يرددها - أو يسمعها - الغنى الكثير المال الواسع الثروة ، فيتذكر عند ذلك أن الله أغنى الأغنياء ، وأنه مصدر النعم والآلاء ، وأنه هو الذي يعطي ويمنع ، ويخفض ويرفع ، فلا يزدحم الغنى غناه ، ولا يبطره ماله وراثه ، بل يتدبر قول ربه عز من قائل : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً » . وقوله : « واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ، وأن الله عنده أجر عظيم » ، وقوله : « يأياها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون » .

« الله أكبر » كلمة يرددها أو يسمعها الفقير القليل المال ، فلا يذله الفقر ولا يهينه ، ولا يزلزله أو يبلبله ، بل يتذكر أن الله العلي الكبير أقوى وأغنى ، وأنه القادر بكبريائه ونعمائه أن يقهر هذا الفقر اللعين ، فلا ينال شيئا من المؤمن الفقير في ماله : « وإن خفتم عيلة (فقرا) فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء » ، « ألم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى ، ووجدك عائلا (فقيرا) فأغنى » ؟ ! ...

« الله أكبر » يرددها أو يسمعها الصحيح السليم المعافى القوى البدن المفتول العضل ، فلا يغتر معها بصحته ، ولا ينخدع بقوته ، فإن الله الأكبر الذى وهب الصحة هو الذى يستطيع أن يسلبها ويضع مكانها العلة والمرض ، والذى أعطى القوة قادر على أن يحيلها ضعفا ، وليست قوة العضلات أو صحة الأبدان وحدها منقخرة لصاحبها ، فكم من حيوانات وبهائم توافرت لها قوة الأجسام ، ولم ترزق قوة العقل والجنان ، بل لعل أشد البهائم بأسا فى جسمها هى أقلها فى التعقل والتمييز ، والمهم هو قوة العقل وثبات القلب ، لا شدة الجسم ولا صلابة العضل ، والحديث يقول : « ليس الشديد بالصرعة (أى الذى يصرع غيره كثيرا) القوة جسمه (إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب) .

ويردد الضعيف السقيم كلمة « الله أكبر » فإذا هى عنده بلسم ودواء ، وإذا هى عزاء وشفاء ، وإذا هى تذكره بأن الله الرحمن الرحيم هو أهل الرجاء ومعد الأمل : « وإذا مرضت فهو يشفين » ، « وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ، فاستجبنا له ، فكشفنا ما به من ضر ، وآتيناه أهله ومثلهم معهم ، رحمة من عندنا وذكرى للعابدين » ! ...

« الله أكبر » يقولها أو يسمعها الكبير المسيطر الذى يهيم بطغيان أو بهتان ، فيعلم ويتذكر أن هناك من هو أقوى منه وأعظم ، وهو الله الأكبر ذو البطش الشديد ، فيرهبه ويتواضع له ويتأدب أمامه ، ولا يبغى أو يطغى على أحد من عباده ، وإلا فالنتهم جبار : « يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام » ! ... والعامة تقول - وهى صادقة فيما تقول - : « الله أكبر على من طغى وتجبر » ! ... وهذا فرعون قد طغى وبغى « فمات » وهذا أنا ربكم الأعلى ، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ، إن فى ذلك لعبرة لمن يخشى » ... وهذا هو نداء الله لمن يحاول أن يقاسمه كبريائه : ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مشوى المتكبرين ! ! ...

ويردد المظلوم المهضوم المستضعف كلمة « الله أكبر » فيدوى ويتأسدك ، ويتذكر أن هناك إما عادلاً منصفاً ، لا يرضى الظلم بجمال ، فينهض ذلك المظلوم ، ويجاهد الضيم بكل ما استطاع ، مستعيناً بجواه الله القوى العزيز : « والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون » . ويقول الرافعي عليه رحمة الله :

« بين الوقت والوقت من اليوم تدق ساعة الإسلام بهذا الرنين : الله أكبر ، الله أكبر كما تدق الساعة في موضع ليتكلم الوقت برنينها . الله أكبر ! ... بين ساعات وساعات من اليوم ترسل الحياة في هذه الكلمة نداءها تهتف : أيها المؤمن ، إن كنت أصدت في الساعات التي مضت ، فاجتهد في الساعات التي تلو ، وإن كنت أخطأت فكفر وراح ساعة بساعة ، الزمن يمحو الزمن ، والعمل يغير العمل ، ودقيقة باقية في العمر هي أمل كبير في رحمة الله ! ...

بين ساعات وساعات يتناول المؤمن ميزان نفسه حين يسمع : الله أكبر ، ليعرف الصحة والمرض من نيته ، كما يضع الطبيب لريضه بين ساعات وساعات ميزان الحرارة .

اليوم الواحد في طبيعة هذه الأرض عمر طويل للشر ، تسكد كل دقيقة بشرها تكون يوماً محتوماً بليل أسود ، فيجب أن تقسم الإنسانية يومها بعدد قارات الدنيا الخمس ، لأن يوم الأرض صورة من الأرض ، وعند كل قديم من الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء تصبح الإنسانية المؤمنة منبهة نفسها : الله أكبر الله أكبر ! ...

بين ساعات وساعات من اليوم يعرض كل مؤمن حساب ، فيقوم بين يدي الله ويرفعه إليه ، وكيف يكون من لا يزال ينتظر طول عمره فيما بين ساعات وساعات : الله أكبر ١٩٠٠ .

بين الوقت والوقت من النهار والليل تدوى كلمة الروح : الله أكبر ... ويحييها الناس : الله أكبر ، ليعتاد الجماهير كيف يقادون إلى الخير بسهولة ، وكيف يحققون في الإنسانية معنى اجتماع أهل البيت الواحد ، فتسكون الاستجابة إلى كل نداء اجتماعي مغروسة في طبيعتهم بغير استكراه .

الذفس أسمى من المادة الدنيئة ، وأقوى من الزمن الخرب ، ولا دين لمن لا تشمئذ نفسه من الدناءة بأنفة طبيعية ، وتحمل هموم الحياة بقوة ثابتة .

لا تضطربوا ، هذا هو النظام ... لا تنحرفوا ، هذا هو النهج ... لا تراجعوا هذا هو النداء ... لن يكبر عليكم شيء ما دامت كتبكم : « الله أكبر » ! ...
يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام ... يا أبناء الإسلام ... يا أبناء العزة التي كتبها الله لنفسه ورسوله وللمؤمنين ...

عاهدوا ربكم أن تقولوا كلمة « الله أكبر » بفهم وعزم ، وتدبر وتأثر ، حتى تثمر لكم ثمرتها التي أرادها الله منكم ... إن حاول متكبر متجبر أن يستذلكم لغير الله فقولوا له صائحين في وجهه « الله أكبر » ، وإن خادعكم الشيطان ليصرفكم عن دينكم وفضائلكم مغريا بالمناجاة والشهوات فقولوا « الله أكبر ! » ، وإن ألت بكم غمرات أو أزمات فقماسكوا واصبروا وقولوا « الله أكبر ! » ، وإن جاءكم خيرات ومسررات فلا تغتروا أو تتجبروا ، بل تواضعوا وقولوا : الله أكبر ! ...

وليكن من دعائكم لربكم : اللهم جملنا بالتواضع لك ، والذلة أمام عزتك ؛ والاعتزاز أمام غيرك ، واحفظنا من التكبر والتجبر ، ولا تجعلنا من المنسدين في الأرض ؛ اللهم انصر المؤمنين المتواضعين لك ، انصرهم بجاهك وسلطانك ، واقصم ظهور المتجبرين الطاغين ، اقصمهم بصولاتك وجبروتك ، فإنك عزيز ذو انتقام ...
والله أعلى ، والله أكبر ! ...

أحمد الشرباعى

المدرس بالأزهر الشريف

من إسهامات محمد إقبال

يا أيها المسلم إن الأرض والسماء لك
ضياؤك القدسي أعلى من شرارات الفلك
ما جئت في الدنيا لتفنى ونسى بالخلد تسوم
هل تصبح الشمس أقل قيمة من النجوم

نقد كتاب

«أضواء على السنة المحمدية»

- ٦ -

في ص ١٠٨ ذكر عنوان «الإسرائيليات في الحديث»، وبين منشأها ثم عرض لكعب الأحبار ووهب بن منبه وأضرابهما من علماء أهل الكتاب الذين أسلبوا وقد نال أكثر مانال من كعب واعتبره الصيوني الأول وإليك رأي فيما عرض له .

١ - كعب الأحبار من التابعين ، وعلماء الجرح والتعديل - وهم الذين لا تخفى عليهم حقيقة أى راو مهما تستر - لم يهتموه بالوضع والاختلاق ، والجهور على توثيقه ولذا لا تجسد له ذكر فى كتب الضعفاء والمتروكين وقد ترجم له الذهبي ترجمة قصيرة فى تذكرة الحفاظ ، وتوسع ابن عساكر فى ترجمته فى تاريخ دمشق وأطال أبو نعيم فى الحلية فى أخباره وعظاته وتخويفه لعمر ، وترجم له ابن حجر فى الإصابة وتهذيب التهذيب وقد اتفقت كلمة النقاد على توثيقه (١) ولكن يعكز على هذا ما ورد فى حقه فى الصحيح : روى البخارى بسنده عن معاوية وهو يحدث رهطاً من قریش بالمدينة - يعنى لما حج فى خلافته - وذكر كعب الأحبار فقال : «إنه كان من أصدق هؤلاء المحدثين عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب» وفى رواية أخرى «لمن أصدق» وظاهر كلام معاوية رضى الله عنه يخدش كعباً فى بعض مروياته ، ولكن لا يدل على ماذهب إليه المؤلف وأمثاله من أنه كان وضاعاً كذاباً . وهذا الكلام من معاوية له وزنه فهو رجل داهية لا تخفى عليه الرجال ولا دسائسهم ، ومعاوية لا يخشى كعباً ولا يميل أن يتملقه ، ولو يعلم فيه أكثر من ذلك لقاله ، وقد حسن العلماء الظن بكعب فحملوا هذه الكلمة على محل حسن قال ابن حبان فى الثقات : «أراد معاوية أنه يخطئ» أحياناً فيما يخبر به ولم يرد أنه كان كذاباً . وقال ابن الجوزى : «المعنى أن بعض الذى يخبر به كعب عن أهل الكتاب يكون كذباً لا أنه كان يتعمد الكذب ، وإلا فقد كان كعب من أخيار الأحبار ، ومن قبل ذلك قال ابن عباس فى كعب «بدل من قبله فوقع فى الكذب» (٢) ، ولا يعزب عن بالنا أن ابن الجوزى صاحب ملكة فى النقد وكان حرباً على الوضاعين وكتابه «الموضوعات»

أشهر الكتب وأحفلها وإن أخذوا عليه فيه أنه يتساهل في الحكم بالوضع أحياناً ، فلو أنه كان يرى في كعب ما رأى المؤلف وأمثاله من أنه كان وضاعاً دساساً لما تردد في تجريحه ولما حمل كلمة معاوية على هذا المحمل الحسن ولا سيما وقد كان لسانه حاداً على الوضائع كما يتبين ذلك جلياً لمن راجع مقدمة كتابه المذكور ، فمن ثم يتبين لنا بعد ما سمعنا من مقالة العلماء في كعب أنه لم يكن وضاعاً ولا متعمداً للكذب ، وأنه إن كانت وقعت في بعض مروياته إسرائيليّات مكذوبة أو خرافات ، فذلك إنما يرجع إلى من نقل عنهم من أهل الكتاب السابقين الذين بدلوا وحرفوا ، وإلى بعض الكتب القديمة التي ملئت بالخرافات والإسرائيليات ، ولو أنه تحرى الحق والصدق وميز بين الغث والسمين من هذه المتقولات لكان أولى به وأجمل ، وأما وهب بن منبه فهو من خيار التابعين وثقاتهم ، ولم نعلم أحداً طعن فيه بأنه وضاع ودساس إلا المؤلف ، والباحث المثبت والناقد البصير لا ينكر أن الكثير من الإسرائيليات دخلت في الإسلام عن طريق أهل الكتاب الذين أسلموا ، وأنهم نقلوها بحسن نية ، وكذلك لا ينكر أثرها السيئ في كتب العلوم وأفكار العوام من المسلمين ، وما جرته على الإسلام من طعون أعدائه ظناً منهم أنها منه والإسلام منها براء ، ولكن الذي لا يسلم به الباحث أن يكون كعب ووهب وأضرابهما ممن أسلبوا وحسن إسلامهم ، كان غرضهم الدس والاختلاق والإفساد في الدين ، ولقد كان من لطف الله بالامة الإسلامية أن هذه الإسرائيليات إنما كانت في قصص الأنبياء والأمم السابقة ، وأحوال البدء والمعاد وأسرار الخليقة إلى غير ذلك مما لا يتعلق بالحلال والحرام والعقائد إلا بعضاً منها مما ينافي عصمة الأنبياء فإنه يدرك كذبه وبطلانه بادئ الرأي ، وابن خلدون لما عرض في مقدمته لما دخل في التفسير بالمأثور من الإسرائيليات لم يرم مسلمة أهل الكتاب بالدس والوضع - كما صنع المؤلف - وإنما جعلهم مصدرراً لنقل هذه الإسرائيليات إلى العرب ، وهذا شأن الباحث المنصف لا الطاعن المتحامل .

ولقد كان للجهاذة الحديث ونقاده جهاد مشكور في الكشف عن هذه الإسرائيليات وتمييز صحيحها من باطلها ، وغثها من سمينها ، وما من رواية من روايات كعب وغيره إلا ونقدوها نقداً علمياً نزيهاً ، ولولا هذا الجهاد الرائع من علماء المسلمين لكانت طامة على الإسلام والمسلمين ، ولقد بلغ من تحوط أئمة الحديث البالغ للغاية أنهم قالوا : إن قول

الصحابي فيما لا مجال للرأي فيه إنما يكون له حكم الرفع إذا لم يكن معروفاً بالأخذ عن علماء أهل الكتاب الذين أسلبوا فأما إذا كان معروفاً بالأخذ عنهم فلا ؛ لجواز أن يكون من الإسرائيليات وهو تحوط يدل على أصالة في النقد وبعد نظر محمود من المحدثين ، وأحب أن يعلم القارئ الكريم أني كسبت بحثاً مستفيضاً نشر على صفحات هذه المجلة الزهراء تحت عنوان « الدخيل وكتب التفسير » أظمت فيها اللثام عن كثير من الإسرائيليات والخرافات التي ألفت بالإسلام (١) .

٢ - أن المؤلف جرى في بحثه في الإسرائيليات على أن كل ما روى عن كعب الأبحار ووعب بن منبه وأمثالهما مختلق مكذوب ، وأن مروياتهم ليس فيها صدق ولا حق حتى ولو كان في شريعتنا ما يؤيد هذا المروي ويصدق ، وهو إسراف في الحكم وتجن على الحق والواقع ، والعلماء المحققون المشتهرون على أن ما روى عن أهل الكتاب الذين أسلبوا منه ما هو حق وصدق ، ومنه ما هو باطل وكذب ، ومنه ما هو محتمل لهما ، فهذا هو الإمام ابن نيمية ، وهو زعيم مدرسة جمعت إلى حفظ الحديث والبراعة فيه الفقه في الدين وجودة النهم وأصالة النقد يقسم أخبار مسلمة أهل الكتاب إلى ثلاثة أقسام :

أحدها : ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذلك صحيح ، والثاني : ما علمنا كذبه بما جندنا مما يخالفه ، والثالث : ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا تؤمن به ولا نكذبه ، وتجوز حكايته لما تقدم ، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر نبي (٢) ومثل ذلك قال تليذه ابن كثير في تفسيره (٣) .

وإليك ما ذكره الحافظ الكبير ابن حجر في الفتح (٤) عند شرح الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة قال : « كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تسكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم وإلحنا وإلهمكم واحد » قال : « أي إذا كان ما يخبرونكم به محتملاً ؛ لئلا يكون في نفس الأمر صدقاً فتكذبوه أو كذباً

[١] مجلة الأزهر في طي ٧٢ ، ٧٤ ، ٨٧ .

[٢] مقدمة التفسير ص ٦ ط السلفية .

[٣] ج ١ ص ١٣٨ .

[٤] ج ٨ ط الفنا .

فتصدقوه فتقعدوا في الحرج ، ولم يرد النهى عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه ، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بواقفه ، نبه على ذلك الشافعى رحمه الله . . وهكذا يتبين لنا أن الحكم على كل ما روي به بالصحة فيه تساهل وبعد عن الحق والصواب ، وأن الحكم على كل ما روي بالكذب والبطلان فيه إسراف وتجن .

وقد تمخضت هذه الطريقة التي أخذ بها المؤلف نفسه عن جملة من الأخطاء والأغلاط ، فحكم على كثير من الأحاديث الصحيحة التي لا يتعلق بها الريب بأنها إسرائيلية وخرافات من خرافات أهل الكتاب ، ولا حجة له في هذا إلا انتظان والحدس ، وقد بلغ به الشطط أنه زيف بعض الروايات التي ترى مصداقها في كتاب الله وهو القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، بل وزيف بعض أحاديث ليس في روايتها أحد من مسلمة أهل الكتاب ولا يحتمل أن تكون أخذت عنهم ، وسأعرض لهذه الأحاديث لآرى طرائق للبحث عجبية .

* * *

في ص ١١٣ ، ١١٤ بعد أن ذكر ما روى عن كعب وابن سلام عن البشارة بالنبي وذكر أوصافه في التوراة قال : وقد امتدت هذه الخرافة - يعنى البشارة بالنبي وذكر أوصافه - إلى أحد تلاميذ كعب: عبد الله بن عمرو بن العاص فقد روى البخارى عن عبد الله بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال : أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن ! يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وحرزا للأمين ، أنت عبدى ورسولى ، سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ، ولا سخاب في الأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، بل يعفو ويغفر ولا يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وزاد ابن كثير قال ابن يسار : ثم لقيت كعبا الخبر فسأله فما اختلفا في حرف وكيف ؟ وكعب هو الذى عليه .

ولإنها لحماقة حمقاء أن يطلق هذا المؤلف على البشارة بالنبي الأسمى العربى في الكتب السابقة أنها خرافة ولا أدري أفقد المؤلف صوابه أم غاب عنه قول الحق تبارك وتعالى

« ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون » (١) وهل هذا الحديث إلا مصداق لهذا القرآن الذي لا يتطرق إليه الشك ، وسواء أكان هذا الحديث قد حملة عبد الله بن عمرو عن كعب أو هو مما عليه من كتبهم ؛ لأنه كان قارئاً كاتباً وعنده علم بكتب أهل الكتاب فقد صدقه القرآن المهيمن والشاهد على الكتب فهو حق وصدق ، والتصديق به واجب ، وإنى لأعجب للمؤلف كيف سولت له نفسه وسمح له ضميره أن يقول عن البشارة بالنبي وذكر أوصافه في التوراة والإنجيل : إنها خرافة ألا فلتهللوا أيها المبشرون فقد وجد من يتسمى بأسماء المسلمين من يخدمكم ويشيع مقالتهكم باسم البحث والمعرفة !!! .

* * *

في ص ١١٨ عرض لحديث الاستسقاء وذكر أن كعباً انتهر الفرصة ليفسد على المسلمين عقائدهم ، وأنه هو الذي أوقع عمر رضي الله عنه في الاستسقاء بالعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم ، وبعد أن ذكر أن عمر استسقى بالعباس لم يلبث أن قال : إن عمر تنبه إلى المكيدة وفتن لها فلم يستسق بأحد حتى بالنبي صلى الله عليه وسلم ، واقتصر على الاستغفار ولكي يزيد زعمه هذا ذكر عن كتاب المغني والشرح الكبير « أن عمر خرج يستسقى فلم يزد على الاستغفار ... » .

وللرد على ذلك أقول :

١ — إن حديث الاستسقاء بالعباس رضي الله عنه رواه البخاري في صحيحه عن أنس : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال : « اللهم إنا كنا توصل إليك بنينا فقسقينا ، وإنا توصل إليك بعم نينا فاستمنا فيسقون » ولأجل أن يدل على ما ذهب إليه من أن الاستسقاء بالعباس دسيسة من كعب طعن

في حديث أنس واعتده مخالفا للروايات القوية التي جاءت بخلافها ، ثم أتدرى أيها القارىء ما هي الروايات القوية التي رجحها على رواية البخارى ؟ .

هي رواية ذكرت في كتاب المطر لابن أبي الدنيا ، وكتاب المغنى والشرح الكبير ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ !!! ثم ما هي المخالفة بين حديث أنس وما ذكره ؟ أن الاستسقاء له حالات فمرة يكون بالصلاة والخطبة ، ومرة يكون في خطبة الجمعة أو عقب صلاة مفروضة ، ومرة أخرى يكون بدعاء من غير صلاة ، وحينئذ كان على المنبر في المسجد ، وحينئذ آخر كان خارج المسجد وكلها حالات ثابتة في السنة الصحيحة (١) وعمر رضى الله عنه مرة استسقى بالعباس ، ومرة أخرى اقتصر على الدعاء بطلب السقيا ، ومرة ثالثة اكتفى بالاستغفار ؛ لأنه مجلبة للغيث وعلى هذا فلا تعارض قط بين الروايات ، ولا سيما والرواية التي رجحها لا حصر فيها ، وكتاب المغنى والشرح الكبير الذى نقل عنه الرواية الثانية ، قال مؤلفاه بعد ذلك بصفحات ما نصه (٢) « ويستحب أن يستسقى بمن ظهر صلاحه لأنه أقرب إلى إجابة الدعاء فإن عمر رضى الله عنه استسقى بالعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم عام الرمادة » ثم ذكر استسقاء معاوية بن زيد بن الأسود والضحاك بن قيس به أيضا ، وهكذا يتبين لنا أن المؤلف « يدع ما يشاء ويأخذ ما يشاء » بحسب هواه وما يترامى له كي يصل إلى ما يريد من أن الاستسقاء بالعباس دسيسة من كعب (٣) كي يفسد عقائد المسلمين .

٢ ثم أى فساد في العقيدة باستسقاء بالعباس رضى الله عنه ؟ إن المسلمين قاطبة يجمعون على التوسل بالأحياء ولم يقل أحد أن التوسل بالأحياء يفسد العقيدة ، وكيف خفى على المهاجرين والأنصار وفيهم عمر مخالفة الاستسقاء بالعباس للعقيدة حتى وقعوا فيها وقعوا فيه ؟ وكيف خفى على فقهاء الأمة ومحدثيها أن حديث أنس مدسوس فحكوا عليه بالصحة واستدلوا به ؟ إن هذا مما لا يتقضى منه العجب !!! ؟

محمد محمد أبو شربة

الأستاذ بكلية أصول الدين

(١) انظر شرح النووى على مسلم ج ٦ ص ١٨٨ وزاد المعاد ج ١ ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٢) المغنى والشرح الكبير ج ٢ ص ٢٩٥ .

(٣) لو أن كعبا كان أحد رواة حديث أنس أو كان أنس معروفا بلأخذ عن أهل الكتاب لحاز عقلا ما ذهب إليه المؤلف أما والحديث لا يمت إلى كعب من قرب أو من بعد فقد انسدت مسالك الاحتمال .

الروحانية الحديثة

دعوة هدامة

من أعجب أساليب الهدم في أيامنا هذه وأخبثها أسلوب يتزى بزى الروحانية ، ويظهر المحارب للإلحاد والمادية ، ويتخذ - بزعم أصحابه - أسلوب العلوم التجريبية في استدعاء أرواح من مات ومناجاتهم واستفتائهم في مشكلات الغيب ومضلاته ، والإستعانة بهم في علاج مرضى الأبدان والنفوس ، وفي الإرشاد إلى المجرمين ، وفي الكشف عن الغيب والتنبؤ بالمستقبل .

وللهدمين أساليب في السكيد وفي التسلل إلى قلوب الضعفاء وعقولهم تلائم كل عصر . وهذا العصر الذى نعيش فيه هو عصر العلوم التى كشفت تجاربها فى القرن الأخير عن أعاجيب وأفانين لم تكن تخطر للخيال ، مما دعم سلطانها فى النفوس وأكد توقير الناس لها واحترامهم لكل ما يذهب مذهبها ويصطنع أسلوبها أو يحمل اسمها . وأصبح هذا الأسلوب باباً واسعاً يدخل منه ذوو الأهواء والأغراض ، فلبست يد الهدم قفاز العلم واستطاعت من وراء هذا القفاز أن تصافح كثيراً من العقول وأن تتسلل إلى كثير من البيئات والأوساط ، دون أن يداخل الناس شك فى أمرها . فرأينا الدراسات النفسية والتربوية والاجتماعية تسخر لهدم الدين والخلق وبث الفوضى والانحلال . ورأينا دراسات فى أصول الأجناس تسخر لتدعيم النزعات القومية المتطرفة التى هبت ريحها على العالم فى القرن الأخير من أوروبا وانتشرت فيه كما ينتشر الوباء ، ولا يزال يسرى متنفلاً يقتل الأنفس ويحتاج الأرضين حتى بعد أن تتطهر منه الأرض التى نبت فيها وانبعث منها . وهى نزعات تستهدف سيطرة جنس من الناس على سائر خلق الله فى بعض الأحيان ، وترمى إلى بعث الفرقة والشقاق بين المؤتلفين المجتمعين فى أحيان أخرى . ورأينا الدراسات التاريخية تشكل وتلون بحيث تصبح ولاهم لما إلا تنقيس زعامات ترد الناس إلى وثنية الجاهلية الأولى ، وعبادة قطعة من الأرض قدستها الأاطاع ، وحددتها الظروف والصدف تدعى « الوطن » .

وما وطن الإنسان لو قدر نفسه حق قدره إلا فكرة وعقيدة تتمثل في دين وفي لغة ، لأن تقسيم الناس والتمييز بين أصنافهم وجماعاتهم بحسب الأرضين وبحسب المنافع المادية ينزل بهم إلى مرتبة العجاوات بل إلى منزلة النباتات . ورأينا هذه الدراسات كلها تسير في ركاب المذاهب والمصالح في بعض الأحيان ، فتحول إلى لون من ألوان الدعاية للشوعية أو اليهودية العالمية أو الرأسمالية أو الاستعباد أو التبشير ، وتشكل في أحيان أخرى لكي تحقق بعض الخطوات المرسومة في خطة من خطط هذه المذاهب والمصالح .

وبالجملة أصبحت المعارف الإنسانية في شتى فروعها موجهة لخدمة المصالح والآهواء . حتى الدراسات الموضوعية الخالصة التي كان يظن أنها أبعد شيء عن عبث العاشين ، لم تسلم من اتخاذها آلة في يد المغرضين والمفسدين . فرأينا بعض الفروض العلمية أو النتائج الأولى الفجة من ثمار الدراسات الرياضية والتجريبية التي لم تمحصها المراجعة ولم تسبر أغوارها وسائل المعرفة المحدودة المتاحة للبشر ، تتخذ سلاحا لمهاجمة الدين وتشكيك المؤمنين فيما يطمئنون إلى صحته من كتب الله المنزلة على رسله . وبالجملة أصبحت العلوم والمعارف في شتى نواحيها وميادينها بعيدة عن النزاهة المطابقة التي ترفعها فوق مستوى الشبهات ، وصار واجبا علينا حين ترد علينا قضية من قضايا العلم أن نترى في قبولها حتى نستوثق من أن ثياب العلم لا تخفى تحتها باطلا من أباطيل المغرضين .

وليست التجارب والدراسات المقول بأنها روحية إلا واحدة من هذه الدعوات المغرضة التي تخفى سمومها وأباطيلها تحت اسم العلم ، وتعتمد في خداع المخدوعين بها على ما يتمتع به الأسلوب التجريبي في دراسة الظواهر الطبيعية والإنسانية من تقدير واحترام في هذه الأيام . وقد لقيت هذه المزاعم فوق ما يتوقعه أصحابها من رواج ، حتى تسابقت إلى تتبع أخبارها ونشر دعاواها صحف ومجلات لم تكن من قبل تنشط لشيء يمس الروح أو الحياة الآخرة ، ولم تكن في يوم من الأيام داعية إلى الدين أو الإيمان بالله ، وكان كثير مما تنشره تلك الصحف والمجلات ، في هذا الباب أدنى إلى الدعاية منه إلى الخبر . فنشرت مجلة (صباح الخير) - وهي فيما أعلم ويعلم القراء أبعد شيء عن شؤون الروح كلها - مقالا في عددها الصادر في ٤ سبتمبر عام ١٩٥٨ تحت عنوان : « مدرس بكلية العلوم يشتغل في تحضير الأرواح » روت فيه عن الدكتور علي راضي المدرس بكلية العلوم بجامعة عين شمس كلاما كله خلط

وتخريف وتزييف للحقائق الدينية وتلبيس لها في أذهان الناس يؤدي إلى زعزعتها واضطراب مفاهيمها . فمن ذلك مثلاً قوله إن « عطارده مهبط الأرواح الخاطئة ، تذهب في أول الأمر لتسكن عن ذنوبها . فجهنم موجودة في هذا السكوكب » [١] . ومن هذا الخلط والافتراء المضل المفسد مثلاً ما رواه الدكتور راضى حين قال : « إن أكبر وسيط عالمي قد حضر إلى القاهرة منذ عدة أشهر . إنه أمريكى لا يزيد عمره عن ٢١ سنة . وتسميه بعض الصحف الأمريكية نبي القرن العشرين لكثرة ما أتى من المعجزات . . . كتبت ورقة لأمر أسأله عن حالها ، وأحضر الوسيط الرد كتابة باللغة العربية رغم أنه لا يعرف منها حرفاً . . ويمضى في سرد هذه الشعور ذات حتى يلقي بفريته الكبرى حين يقول : « وأغرب ما حدث في هذه الجلسة هو ما أعلنته الروح الكبرى (سوزان) ؟ ! . . . وجأة أعلنت سوزان أن جبريل معنا » [٢] . . ولم يعرف أحد من هو جبريل . فضحكت وقالت : ألا تعرفون جبريل الذى كان ينزل بالقرآن على محمد ؟ إنه يبارك هذا الاجتماع » . وأكثر من هذا جرأة وأوغل منه في التدليس ما روته الصحيفة عتب هذا الخبر من أن الدكتور على راضى قد أبدى أسفه لأنه لم يكن يملك وقتذاك آلة لالتقاط الصور بالأشعة تحت الحمراء لكي يلتقط بها صورة سيدنا جبريل عليه السلام ! ويختم الدكتور على راضى حديثه - أو تختمه له المجلة بالدعاية لجمعية الروحية الجديدة التي سماها (جمعية الأهرام الروحية) والتي تم تسجيلها فيما روت الصحيفة وقتذاك منذ أسابيع . وقد اختير هو رئيساً لها ، واختير حسن عبد الوهاب مدير السكرتارية والمحفوظات بوزارة الشؤون البلدية والقروية سكرتيراً لها . وضمت إليها عدداً كبيراً من المثقفين فيما يروى رئيسها بين مهندس وطبيب وقاض وسفير ووزير سابق . وأحب أن ألفت النظر هنا إلى أن تسمية هذه الجمعية الروحية باسم (جمعية الأهرام) ليس إلا مظهرأ من مظاهر العصية الفرعونية التي تبشر بها هذه الجمعية . وهي تدعو كل ذى بصيرة إلى الاسترابة في مصدرها وفي أهدافها . ثم إنا نتساءل إن كانت هذه العصية الفرعونية لا تتعارض مع ما تتظاهر به الروحية من

[١] أحب أن ألفت النظر إلى اختلاف ما يروى عن الدوائر المختلفة المشتغلة بالروحية وتناقضه . فالزعم مثلاً بأن عطارده هو جهنم ليس متفقاً عليه بينهم . فهو مجرد رواية ، كالذى يحدث في الدراسات النفسية تماماً ، مجرد فروض غير متفق عليها . بيد أن الأمر فيما يتعلق بالدراسات الروحية أخطر وأوغل في الحداغ والتويه وأكثر جرأة في الاختلاق .

[٢] عليه وعلى ملائكة الله ورسله السلام . ولعنة الله على الكاذبين .

الدعوة إلى التسامح وإلى العالمية التي لا تفرق بين دين ودين أو بين جنس وجنس على ما يزعم المصلحون الذين اخترعوا هذه الأوهام ولفقوها ثم صدروها إلى بلادنا فوجدت رواجاً بين كثير من السذج والغافلين حين لم يقبل عليها في بلاد أخرى إلا النساء والعوانس منهن خاصة ، كما يروى الدكتور راضى نفسه في وصف جمعية مارلبورن الروحية بإنجلترا [١] . ثم إنا نقسام هل الفرعونية الوثنية الملعونة في كتب اليهود ثم النصارى ثم المسلمين تستحق التمجيد عند من يزن الأعمال بميزان روحى تتضام أمامه الأهرام والمعابد والمسلات وكل ما خلفه الغرور الكافر من آثار ؟ .

ولم يكن هذا الذى نشرته تلك المجلة إلا مثالا . مما تتسابق صحف ومجلات أخرى إلى نشره ، مثل ما نشرته (آخر ساعة) عن مزاعم إحدى خريجات معهد الآثار التي تستعين بالآرواح في الكشف عن مواضع الآثار الفرعونية ، ومثل ما تنشره الصحف والمجلات المختلفة بين حين وآخر من أنباء البيوت المسكونة ، وفتاوى الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير وغيره من منتحلي الروحية فيها ، ومثل ما نشره صاحب « ما قل ودل » في عددي ١٦ / ١٠ / ٥٨ و ٢٤ / ١٠ / ١٩٥٨ من صحيفة الأهرام ، مما انساق فيه وراء مزاعم أحد دعاة الروحية الأمريكيين عن الحياة الأخرى ، وهو مبنى على عقيدة التناسخ البوذية ، ومثل ما تجده في مجلة المصور (العدد ١٧٦٩ - ٢١ صفر ١٣٧٨ هـ / ٥ سبتمبر ١٩٥٨ م) تحت عنوان (نريد تفسيراً لهذه الظاهرة - مارجرس يذبح الأرواح الشريرة - تحقيق صحفى بقلم فوميل لبب) وهو مقال مليء بالخرافات والأوهام التي تعيش بين رواد حفلات الزار مما زعم الكاتب أنه يحدث في كنيسة مارجرس في قرية ميت دمسيس في عيد صاحبها السنوى للذي يبدأ في ٢٢ أغسطس من كل عام ويستمر أسبوعاً كاملاً ، ومثل ما نشرته هذه الصحيفة نفسها في عدد آخر تال (العدد ١٧٧٦ - ١١ ربيع الثانى ١٣٧٨ هـ / ٢٤ أكتوبر ١٩٥٨ ص ٤٩) تحت عنوان (بديعة وروح شوقى) حيث روت قصة زعمت فيها راويتها المدعوة بديعة حرم الدكتور سلامة ميخائيل أن روح شوقى تملئ عليها شعراً من نظمها ، بعد أن قال لها فيما تدعى : « إني مشفق على مصير الشعر العربى اليوم . لذلك أود أن أغنيه من العالم الذى

[١] راجع العدد ١٢٠ من مجلة « عالم الروح » التي يصدرها الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير نقلاً عن كتاب « مشاهداتى في جمعية لندن الروحية » للدكتور راضى .

أعيش فيه . وعرضت نموذجاً سخيفاً تافهاً من هذا الشعر قالت إن عندها من أمثاله ثلاثة آلاف بيت قررت أن تطبعها في ديوان .

وروت الصحيفة بعد ذلك أنها عرضت الأمر على (الدكتور على عبد الجليل راضي رئيس جمعية الأهرام الروحية الأستاذ بكلية العلوم) فصحبهم إلى زيارة السيدة بديدة ثم قرر أن الظاهرة صحيحة وسليمة . والعجب لصحيفة تحتاج لأن تستفتي مثل الدكتور على عبد الجليل راضي وعندها مثل الأستاذ صالح جودت وهو شاعر ذواقه محب لشوق خبير بشعره لا يخفى عليه سخر هذا الشعر المزيف وغشائه التي تدل على جهالة مزيفة منذ النظرة الأولى . وأحب أن أنه القارىء إلى أن لهذه السيدة شعراً كثيراً جداً موزعاً بين أعداد السنوات الثلاث الأخيرة من مجلة (عالم الروح) التي يصدرها الأستاذ أحمد فهمي أبو الخير .

وهو شعر ركيك العبارة تافه المعنى لا تصح نسبته لأقل الناس حظاً من الموهبة الشعرية ويكفي للكشف عن حقيقته أن يعرف القارىء أنه كان يدور حول تمجيد الفرعونية والفراعة وتلقمهم ، ثم تحول أخيراً إلى الاهتمام بالشؤون العربية ، فظهر في العدد ١٢٦ الصادر في إبريل ١٩٥٨ قصيدة على لسان شوق - المظلوم حياً وميتاً رحمه الله - تحت عنوان (بين جميلة وأم خالد وأمل) تدور حول تمجيد جميلة الجزائرية ، وتنتهز فرصة الجفوة التي وقعت بين مصر والسعودية وقذاك لتوسيع الحرق بالتنديد بأم خالد السعودية والشبانة بفسخ خطبة (أمل) السورية إلى ابنها (خالد) .

وأنا أترك للقارىء أن يتدبر ويقرر إن كان صاحب هذا الشعر محباً للعرب حريصاً على جمع شملهم ورأب صدعهم أم أنه كائد لهم إذا رأى ناراً أوسعها خطباً بدل أن يطفئها بالماء . ولعل مجلة (المصور) قد حرفت الاسم الصحيح حين روته (سلامة ميخائيل) فمجلة (عالم الروح) تذكر هذه الوسيلة المزعومة دائماً على أنها (حرم الدكتور سلامة روفائيل) . وهناك وسيط آخر للكتابة الثلاثية أشار إليه الأستاذ أبو الخير في مقدمة ترجمته لكتاب (ظواهر حجرة تحضير الأرواح - ص ٥٧) اسمه وديع ميخائيل .

ومن المفيد في هذه المناسبة أن يعرف القارىء أن رئيس الجمعية المصرية للبحوث الروحية التي يتولى أمانتها العامة الأستاذ أحمد فهمي أبو الخير كان هو الأستاذ وهيب دوس

المحامى . وقد نعت مجلة (عالم الروح) إلى قرائها فى عددها (١٣١) الصادر فى سبتمبر سنة ١٩٥٨ .

ومن المفيد أيضاً أن يعرف أن من أعضائها الشاعر اللبناني (حليم دموس) الملقب عند المجلة الروحية بشاعر الروح . وقد نشر له فيها سلسلة مقالات فى تمجيد دجال مشهور اسمه داهش كانت السلطات اللبنانية قد طردته سنة ١٩٤٤ ، أسماطه فيها بهالة من التقديس ترفعه إلى مرتبة النبوة ، وقد جعل كل مقالاته تحت عنوان (الرسالة الداهشية) .

ومن المفيد كذلك أن يعرف أن الدكتور صابر جبرة كبير صيادلة القصر العيني كان عضواً فى مجلس إدارة هذه الجمعية ، وكان فى الوقت نفسه أحد وسطائها . وقد نعت مجلتها (عالم الروح) فى العدد (١٢٢) الصادر فى ديسمبر سنة ١٩٥٧ . والدكتور صابر جبرة هو أخو الأثرى الفرعونى المعروف الدكتور سامى جبرة الذى تردد اسمه منذ سنتين فى قضية سرقة الآثار التى قدم المتهم الأول فيها - وهو أمريكى - للمحاكمة . وللدكتور صابر جبرة مقالات كثيرة فى مجلة (عالم الروح) يتسم أكثرها بطابع فرعونى . ولمن شاء أن يتحقق من صدق نيته فيما كتبه عن الفرعونية وفيما كان يصفه على نفسه وعلى أقواله من سمات الروحية التى تدعو إلى نبذ التعصب للأديان ، أن يرجع إلى مقال له عن (نصيب القبط فى تقدم العلوم) ص ٩٥ - ١٠٢ فى كتاب « صفحة من تاريخ القبط » ، وهو الرسالة الخامسة من مطبوعات جمعية مارميلا العجايبى بالإسكندرية .

والواقع أن صانعى الروحية الحديثة ومروجيها هم منطق خلاب جذاب فى تدعيم دعاوهم ولفت الأنظار إليها وجمع الأنصار والأصدقاء حولها . فهم يدعمون دعاوهم بنصوص مما جاء فى الكتب السماوية من المقتضب الذى يجازفون بتأويله حسب أهوائهم ، ومن الواضح الصريح الدلالة الذى يحرفونه عن مواضعه بعد أن يبتروه من سياقه ويقطعوه عن مناسبه ويخرجوا ألفاظه عن مدلولها جاهلين أو مدلسين . وهم يدعمون هذه الدعاوى أيضاً بنصوص من المأثور فى التاريخ عن السابقين الأولين من المجاهدين والحواريين والصالحين بعد أن يخضعوه لفاهيمهم ويقسوه إلى أشباه له مما ينسبونه لوسطائهم ، مما جرت نظائره ولا تزال تجرى على أيدي المشتغلين بالشعوذة والطلاسم . ولهم براعة فائقة فى تدعيم ذلك كله بالعلم التجريبي الحديث وربطه بقواعده وأصوله ، والاستعانة على ذلك

بأجهزة وآلات يضفى على أوكارهم ثوب الجد والوقار الذى ينبغى للبحث العلى المنزه عن الأغراض والمحاط بالضمانات التى تدفع شبهة الغش والخداع . لذلك لم يكن عجيباً أن تجتذب دعاوهم كثيراً من الأسماء الضخمة الرنانة فى الشرق وفى الغرب . و لقد خدع بهم الشيخ طنطاوى جوهرى رحمه الله فأوسع تفسيره نقلاً عن مزاعمهم ودعاوهم مما أدخل الضعف والفساد على كتابه ذاك فى كثير من المواضع .

ولقد تسربت سمومها إلى هذه المجلة (مجلة الأزهر) فى الفترة التى رأس فيها تحريرها الأستاذ فريد وجدى . وإن دعاوها لتسرى الآن فى (مجلة الإسلام والتصوف) ، فقد وقع فى يدي منذ أيام عددها السابع الصادر فى جمادى الأولى سنة ١٣٧٨ فوجدته محشواً بضلالاتها الفاسدة المفسدة ، ولا سيما فى مقال إبراهيم الكواز عن « الوساطة الروحية والرسالة - ص ٣٥ - ٢٧ » . بل لقد خدعت أنا نفسى بدعاوهم ومزاعمهم منذ عشرين عاماً ، وكنت وقتذاك فى غرارة الشباب حديث التخرج من الجامعة ، وسأبين ذلك بمقال آخر فى الجزء الآتى إن شاء الله ؟

الدكتور محمد محمد حسين

الباطيل المدسوسة على السلف

قال قاضى قضاة الأندلس أبو بكر بن العربى وهو من أئمة المالكية : « الناس إذا لم يجدوا عيباً لأحد وغلبهم الحسد عليه وعداوتهم له ، أحدثوا عيوباً . فاقبلوا النصيحة ، ولا تلتفتوا إلا إلى ماصح من الأخبار . واجتنبوا أهل التواريخ فإنهم ذكروا عن السلف أخباراً صحيحة يسيرة ، ليتوسلوا بذلك إلى رواية الباطيل ، فيقذفوا فى قلوب الناس مالا يرضاه الله ، وليحترروا السلف ، ويهونوا الدين ، وهو أعز من ذلك ، وهم أكرم منا ، فرضى الله عن جميعهم .

ومن نظر إلى أفعال الصحابة تبين منها بطلان هذه الهتوك التى يختلقها أهل التواريخ فيدسونها فى قلوب الضعفاء .

عودة إلى بيان إمكان

توحيد بدء الشهر الشرعى

في جميع الحكومات الإسلامية شرعياً وفلكياً

أجملت الكلام سابقا على هذا الموضوع في بنود عشرة قد نشرت في الجزء الثالث لسنة ١٣٧٧ هـ من مجلة الأزهر وقد تبين لى بعد مناقشة بعض الأساتذة وورود كثير من الأسئلة أنه لا بد من ذكر فقرات لشرح هذه البنود وإيضاح أدلتها الشرعية والفلكية وقد فصلتها في (١٢ فقرة) .

قلت في البند الأول : « ثبت بعد البحث والتحري أن الشريعة الإسلامية لا تمنع من ثبوت الشهر الشرعى فى أى حكومة إسلامية إذا نقل إليها بالإذاعة اللاسلكية الرسمية خبر ثبوته شرعا فى حكومة إسلامية أخرى ، ولو كان بينهما اختلاف مطالع مع بقاء وحدة التاريخ واسم اليوم الأسبوعى » انتهى .

وقد أضفت إلى هذا البند فقرتين لشرحه :

حاصل الأولى : لما كان الغرض من هذا البند سلوك طريق متفق عليه من أئمة الفقه تجنبا لاختلافهم فى نقل الشهادة بنفس الرؤية لإثبات الشهر فى المطالع المختلفة ووجدت أن الطريق الأنسب بل المتعين هو نقل حكم القضاء الشرعى الصريح أو الضمنى من مطلع إلى آخر ولو كانا مختلفين باتفاق أئمة الفقه وسيأتى بيانه فى فقرة (٢) .

ومعناه بعبارة أخرى : « يجوز لسائر الحكومات الإسلامية فى مطالع مختلفة أن تنفذ حكم القضاء الشرعى الصادر صراحة أو ضمنا فى إحداها بثبوت الشهر إذا بلغ إليها بطريق مقطوع بصدقه كاللاسلكى الرسمى » .

وأصله : « يجوز شرعا لأى قاض شرعى فى أى مطلع أن ينفذ حكم قاض شرعى آخر فى مطلع آخر إذا وصل إليه خبره بطريق قطعى » ، وخينئذ يجب شرعا على جميع المسلمين فى هذه المطالع المختلفة أن يعملوا بمقتضى أمر قاضيهما هذا من صيام أو إفطار أو غيرهما

عند إعلانه إليهم مع بقاء وحدة التاريخ واسم اليوم الأسبوعي وعلى من لم يعلن إليهم هذا الأمر قبل الفجر أن يمسكوا ويتصوا يوما بعد مضي هذا الشهر .

وأما الفقرة الثانية فخلاصها : لا كلام في أن مطالع الشمس والقمر تختلف باختلاف الأماكن والأزمنة وتتعدد بتعدد ما وأن هذه نظرية مبرهنة في علم الفلك ومعروفة لدى الشرعيين من العهد الأول في الإسلام .

ولا كلام في أن « اختلاف مطالع الشمس معتبر شرعا بمعنى أن الأحكام الشرعية المتعلقة بمطالع الشمس تختلف باختلافها وتتعدد بتعدد أماكنها وأزمنتها . وأن هذا أمر واقعي ومعمول بمقتضاه من عهد النبوة ولم يعهد فيه أى خلاف إلى الآن ... »

وإنما الكلام في أن « اختلاف مطالع القمر » هل هو معتبر شرعا كمطالع الشمس أولا ؟ .

بمعنى أن الأحكام الشرعية المتعلقة بمطالع القمر هل تختلف باختلافها وتتعدد بتعدد أماكنها وأزمنتها أولا ؟ .

وهذه مسألة فقهية تم بحثها بين أئمة الفقه في أول عصور الإسلام بعد اتساع آفاقه وتتعدد أقطاره إذ قال البعض باعتباره شرعا ، وقال البعض بعدم اعتباره ، ولكل وجهة . والقول بعدم اعتباره هو الراجح المعتمد عند الحنفية والصحيح عند الحنابلة .

ولما كان القول باعتبار اختلاف مطالع القمر شرعا ينحصر في نقل شهادة الرؤية من مطلع إلى آخر دون « نقل حكم القضاء الشرعي بثبوت الشهر » إذ استثناء الشافعية والمالكية من هذا الاعتبار ، فقد قال العلامة « ابن حجر الهيتمي » الشافعي : إن اختلاف مطالع القمر معتبر شرعا عند الإمام الشافعي ، ما لم يحكم بوجوب الصيام حاكم يراه ، فإنه يلزم الجميع العمل بموجب ذلك الحكم ... انتهى .

وفي المختصر وشرحه للشيخ عبد الباقي المالكي : وعم الخطاب بالصوم سائر البلاد إن قل ثبوته عند أهل بلد بعدلين وبالرؤية المستفيضة عنهما أى عن الحكم برؤية العدلين ، أو عن رؤية مستفيضة ... انتهى .

لما كان كذلك ، أعنى أن نقل الشهادة والحكم عند الحنفية والحنابلة ، وأن نقل الحكم عند الشافعية والمالكية لا يؤثر عليه اختلاف مطالع القمر ، اخترت أن تكون عملية توحيد إثبات الشهر إنما تكون بين الحكومات كمنطوق البند الأول ، ويكون موضوع المسئلة الفقهية البعيدة عن النزاع هكذا . . .

« حكم القضاء الشرعى بيده الشهر صراحة أو ضمنا هل يختص بمطلع بلد هذا القضاء عند اختلاف مطالع القمر أو لا ؟ ... »

وقد تبينا إجماع السكل كما تقدم على أنه لا يجب اختصاص حكم القاضى الشرعى بمطلع بلده ، بل لقاضى المطلاع الآخر أن ينفذ حكم قاضى المطلاع الأول إذا نقل إليه بطريق مقطوع بصدقه ، ومتى أعلن القاضى الثانى أمره بالتنفيذ وجب على جميع المسلمين فى أفقه العمل بمقتضاه من صيام أو غيره ...

وأما توضيح البند الثانى فلكياً وشرعياً فى فقرة واحدة حاصلها :

أعنى بمضمون هذا البند أن كل دول العالم قد انفتحت مدينياً على جعل « المبدأ الدورانى لليوم المدنى » عند خط الطول المقابل لجرينتش المسار بالمحيط الهادى شرق آسيا المسمى : « خط تغيير التاريخ » ، بمعنى أنه إذا كان اليوم والتاريخ فى أمريكا شرق هذا الخط (الأحد ٢٢ مايو) مثلاً يكون فى شرق آسيا غرب هذا الخط (الاثنين ٢٣ مايو) .

وليس فى الشريعة الإسلامية أى مانع من أن تتفق الحكومات الإسلامية أيضاً على اعتبار « المبدأ الدورانى لليوم الشرعى عند هذا الخط » ، إذ أن الشارع إنما ترك تحديد هذا المبدأ لليوم الشرعى فى مبدأ الإسلام لاختيار المسلمين حسب ظروفهم بعد اتساع آفاقهم .

على أن هذا المبدأ الدورانى لليوم الشرعى منفذ بالفعل فى الجداول الفلكية والنتائج السنوية وغيرها ، إذ أن محرريها يعتبرون اليوم الشرعى سابقاً على المدنى بربع يوم دائماً فى المبدأ الزمانى ويلزمه المساواة بين اليومين المدنى والشرعى فى المبدأ المسكانى الدورانى . . .

بحيث إذا تصورنا دوران نصف الليل الذى هو المبدأ الزمانى لليوم المدنى من خط تغيير التاريخ نحو الغرب منه أعنى إلى آسيا ثم إفريقيا وأوروبا والأطلانطى ثم أمريكا وهكذا فكذلك تصور دوران المغرب الذى هو المبدأ الزمانى لليوم الشرعى من هذا الخط على هذا الترتيب وكل بلد يمران به يتجدد فيه اسم اليوم والتاريخ مدينياً وشرعياً ...

ومن حيث إنه إذا مر « نصف الليل » على القاهرة مثلا ثم تركها نحو الغرب ساعة واحدة صح لنا أن نقول إن الساعة عندنا أى فى « القاهرة » الواحدة صباحا أى بعد نصف ليلنا من يوم (الاثنين ٢٣ مايو) بعد أن كان قبل هذه الساعة (الأحد ٢٢ مايو) بينما تكون الساعة لا زالت فى لندن (١١) من مساء الأحد (٢٢ مايو) وهكذا يمر نصف الليل بالبلد الشرقى قبل الغربى وبمروره يتجدد اسم اليوم والتاريخ من الشرق إلى الغرب بلدا بلدا على هذا الترتيب ...

فكذلك إذا مر (المغرب) بالقاهرة ثم تركها بساعة واحدة قلنا : إن الساعة عندنا الواحدة بعد المغرب من (يوم الاثنين ٣ رمضان) مثلا بالتوقيت والتاريخ العربى (الإسلامى) أو الساعة ٧ مساء من يوم (الأحد ٢٢ مايو) بالتوقيت والتاريخ المدنى (الإفرنسى) وهكذا ...

وبذلك يتبين أن عمل جميع الحكومات الإسلامية بل كل المسلمين فى بقاع الأرض برؤية أى بلد وحكم قضائها بثبوت الشهر ولو كانت أبعد الحكومات إلى الغرب كمرآكش مثلا لا يلزم عليه أى خلاف أو تغيير فى التاريخ أو فى اسم اليوم الأسبوعى خلافا لما فهم البعض ...

وأما شرح البند الثالث فى فقرة واحدة أيضا حاصلها :

أريد بهذا البند أن « الإعلام » بوجوب صيام هذا اليوم (السبت ٢٣ مايو مثلا) بعد أن مضى منه تسع ساعات بعد المغرب لا يقدر فى تسميته ولا فى تاريخه (٢٣ مايو) أو (٣ رمضان) ولا يلزم عليه أى مانع أو محرج فى صيامه أو فطره أو تعييده أو جعله أول شهر رمضان أو شوال أو ذى الحجة مثلا ، وليس هناك أى داع مدنى أو شرعى إلى نزع هذه الاعتبارات عن أى مكان فى هذه الدورة اليومية وإرجاء هذه الاعتبارات إلى الدورة التى بعدها فى هذا المكان مما يلزمه من المخالقات الاجتماعية مدنيا ودينيا وإحداث البلبلة والفوضى والاضطراب بين المسلمين فى أمور دينهم وديانهم هنا وهناك ...

أقول هذا بعد أن رفع الحرج بإنشاء الإذاعة اللاسلكية . وعبرت الطائرات القارات والمحيطات واتصلت جميع أجزاء سطح الأرض بأنواع المواصلات . أعنى أن أساس إمكان

هذا التوحيد في زمننا هذا إنما هو آية اللاسلكي . ومن يدري أن آية (التلفزيون) بعد إتقانها وتعميمها سيرى بها أهل القاهرة بل أهل أندونيسيا شخص الهلال وهو أفق مراکش بعد غروب الشمس هنالك وبذا يرتفع خلاف الفقهاء أيضا في نقل نفس الرؤية : « سريهم آياتنا في الآفاق » صدق الله العظيم .

وأما شرح البند الرابع ففيه (٣ فقرات) حاصل الأولى :

أريد : « بنص الشارع ، ظاهر اللفظ في حديث (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكلوا) » إلخ وأما القول بأن لفظ الحديث لا يفيد الحصر في « الرؤية والإكمال ، أو أن الحساب مراد في رواية (فاقدرُوا) فلا يحرزنا عن التمسك بهذا الظاهر مادام لم يصح إسناد الثاني ولا دليل على الأول ...

ولا غرابة في أن تمسك بهذا الظاهر إذ أنه رأى الجمهور ، وبيانه أن من يستوعب كلام المحققين من علماء الفقه وشرح الحديث يجدهم لا يخرجون في تفسير « النصوص الشرعية » في هذا الموضوع عن معنيين اثنين :

أولهما : حصر مناط إثبات الشهر في « الرؤية والإكمال » كما قدمنا وقائله جمهور السلف والخلف في الحجاز والعراق والشام ومصر وبلاد المغرب ومنهم الأئمة مالك وأبو حنيفة والشافعي والأوزاعي والثوري رضي الله عنهم ، وسندهم في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : « فإن غم عليكم فأكلوا شعبان ثلاثين » . وفي رواية : « فأكلوا العدة ثلاثين يوما » قالوا وهذا تفسير لإجمال قوله صلى الله عليه وسلم : « فاقدرُوا له » من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وحمل الجمل على المفسر من قواعد الأصوليين التي لا خلاف فيها إذ لا تعارض بين الجمل والمفصل عندهم ، قالوا : ولا يجوز أن يكون المراد « حساب الفلكيين » لأن الناس لو كفوا به لصاق عليهم إذ لا يعرفه إلا أفراد ، والشرع إنما يعرف الناس بما يعرفه جماهيرهم ...

وحاصل المعنى الثاني ، عدم حصر المنبأ في « الرؤية والإكمال » وفيه رأيان ، فأصحاب الرأي الأول يقولون : إن معنى التقدير في قوله صلى الله عليه وسلم (فاقدرُوا له) التضييق والتنقيص إلى (٢٩ يوما) في حالة الغيم وشبهه كتموله تعالى : « ومن قدر عليه رزقه »

أى ضيق ويكون المعنى قدروا الهلال تحت السحاب فيبقى الشهر القديم ضيقاً ناقصاً (٢٩ يوماً)
وتكون ليلة الغيم أول الشهر الجديد على عكس معنى قوله (فأكملوا) وقائله الإمام أحمد
ابن حنبل وتبعه قوم إلا أن منهم من تأول (التقدير) بمعنى قدروا له زماناً يطلع في مثله
الهلال ، أو يكون معناه فاعلبوا من جهة الحكم أنه تحت الغيم كقولهم تعالى : « إلا امرأته
قدرنا إنها لمن الغابرين » أى علمناها . . .

« وحاصل رأى الثانى » أن معنى التقدير فى الحديث : قدروه بالحساب والمنازل كقوله
تعالى : « وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب » قاله مطرف بن عبد الله من التابعين
وابن قتيبة من المحدثين وابن شريح من الشافعية وطائفة من المتأخرين . وتمام الكلام
فى مقال آخر إن شاء الله .

محمد أبو العلا البنا

أستاذ الفلك بكلية الشريعة

تدريس الطب بالعربية

طالب الدكتور بشير العظمة وزير الصحة المركزى فى الإقليم الجنوبى بتدريس الطب
باللغة العربية فى الجامعات المصرية الأربع ، وقرر أن الإقليم الشمالى يجمع فى عشرات السنين
الماضية بتعليم الطب بالعربية .

وقال الدكتور أحمد عمار عميد كلية طب الدمرداش إنه يؤيد وزير الصحة المركزى
فى هذا الطلب .

إلى الروحية

غريب في هذا العصر وفي هذا المعمر أن يكتب كاتب ليدعو الناس إلى الاقتصاد في العمل ، والإجمال في الطلب ، والتخفيف من السعي للحياة ، والإقبال على الدين وما فيه من غذاء للنفس والأرواح .

نعم ، دعوة غريبة في وقت تجاوزت أصداها الخطباء على المنابر في الندوات والجمعيات ، وتظاهرت أقلام الكتاب في الصحف والمجلات ، تستنهض أبناء الوطن إلى العمل ، وتستحثهم إلى المجد والسعي ليوажوا مطالب الحياة ، ويرتفعوا بمستواهم الاجتماعي ، ويعيشوا في أوطانهم سادة قادة لا مجال بينهم لطامع ولا مستغل ولا غاصب .

لقد أثمرت الدعوات إلى العمل ثمراتها في مصر وفي غيرها من أنحاء العالم ، فعمل الناس وعملوا ونافسوا الآلات في جدها ونشاطها ، واستطاعوا أن يتجروا وينتجوا ، وأن يتصدوا ويجمعوا ، واستطاعوا بنشاطهم العلمي والاقتصادي أن ينشؤوا حضارة باهرة بارعة ، شملت البر والبحر والجو ، وتدخلت في شؤون حياتهم العامة والخاصة ، في المنازل والشوارع والحقول والمصانع ، ولكن ذلك لم يملأ نفوسهم بالبهجة والغبطة ، ولم يحقق أمانهم في المتعة والرضا واستئثار اللذة ، واستولى على مشاعرهم القلق والخوف ، واليأس والقنوط ، وسارت حالم عكسيا مع الحضارة والعمران ؛ فكلما تقدمت الحضارة ازداد السخط والتبرم بالحياة ، وازداد حنينهم إلى السكون والراحة النفسية ، ينشدونها في الأشربة والملاهي ، وفي السباحة والرياضة ولا يحلون من ذلك بطائل .

وأكثر الجماعات قلقا وانزعاجا أرقاها ، وأشد أفرادها في ذلك أغضاها ، وكثير من يقتلن أنفسهن منتحرات هن ممثلات السينما اللواتي واتاهن الحظ المادي ، وتوافرهن الترف الحسي . وكن محاط الأنظار في الأمصار ، ومنهن من هرب من هذا القلق إلى الأديرة والمعابد ينشدن الهدوء النفسي والاستقرار الروحي الذي فبيلت الحياة المادية بمالها وجلها ورفاهيتها ونعائتها في أن تحققه هن .

لا شك أن أكثر مجتمعات العالم يسودها القلق والسخط ، وأنها تعاني منه آلاما وأمراضاً نفسية ، وأن هناك إحساسا بذلك ، وأن ذلك الإحساس أخذ يشتد ويقوى حتى لفت أنظار العلماء في المجتمعات الأوروبية والأمريكية ، وأخذوا يتدارسون العلل والأسباب

وينكرون في الأدوية والعلاجات ، وأن في هذه الدراسات ما ينبغي أن يكون موضع نظر لكثير من كتابنا والقائمين على دعوات الإصلاح فينا وربما دعاهم النظر إلى العدول عن كثير من مناهجهم في دعوات الإصلاح ، وإن من حسن الحظ أن أتاحت الفرص الحاضرة لبعض كتابنا المنصفين أن يطوفوا بالعالم ويدرسوا بعض مظاهر الحياة في شعوبه ومجتمعاته، وأن ينقلوا إلينا صوراً من تلك الحياة التي تحياها وتعيش فيها مجتمعات العالم المتحضر الذي يروق لكتابنا أن يجعلوه القدوة والمنهج الصالح لحياة الشعوب والجماعات ، كما أن من حسن الحظ أن مجتمعاتنا لم تصل إلى الغاية التي وصلت إليها المجتمعات الغربية من التلقى النفسى لعوامل كثيرة يطول شرحها ، وأهمها سيطرة الروح الدينية على كثير من أفرادها، والحرص على تمايلنا الشرقية الفاضلة ، فعلاجها أيسر من علاج المجتمعات الغربية .

إن مما ذكره الكتاب من أسباب الفساد في المجتمعات الغربية التي تسكفت عنها الدراسة ما يأتى :

١ — إفقار النفوس من الوازع الدينى وإهمال التعاليم الدينية .

٢ — الحرية المطلقة التي منحت للبرأة وتحررها من سلطان الرجل ، واندفاعها العاطفى نحو ما تشتهى وما تحب .

٣ — اشتراكها الكامل مع الرجل فى العمل وفى الحياة العامة .

٤ — تهاونت الشباب على الملائه وعلى الأفلام السينمائية التى تعالج مسائل الجنس وتعتمد على إثارة الغرائز الجنسية .

٥ — تهالك الناس على المال تهالكاً لا يباليون فى طريقته بالمشروع من الوسائل وغير المشروع .

هذه بعض الأسباب التى وصل إليها علماء الغرب فى دراساتهم لفساد المجتمعات الغربية وإنها لأسباب وجيهة وحقيقية ، وطالما رددناها فى كتابتنا كما رددوها غيرنا ، وكانت تقابل بهز الأكتاف وإنغاض الروس .

لقد قلنا : إن امتلاء النفوس بالإيمان وبالوازع الدينى هو صمام الأمن فيها ، وهو الرقيب المسيطر على سلوكها وتصرفاتها ، يعصمها من الزلل ، وينير لها طريقها فى الحياة ، ويقدرها على التمييز بين المشروع وغير المشروع من الأعمال والعلاقات . وإن الدين دستور الحياة

الشريفة الراقية ، والأخلاق الواقية العاصمة . وقمنا : إن إلقاء الحبل على الغارب للبرأة طريق مخوف لا تؤمن عاقبته ، ولا تحمد مغيبته . وإقحامها في الأعمال كلها بلا تمييز بين ما يناسبها وما لا يناسبها خطر على الأسرة وعلى الأطفال وعلى المجتمع . وقلنا : إن الفوضى في عرض الأفلام السينمائية وخصوصاً ما يعالج منها مسائل الجنس والحب والجرائم ، مفسدة لشبابنا ومجتمعاتنا ويعرضهم للمحاكاة والتقليد .

وبحل العلاج في نظرهم : إحياء الدعوة إلى الروحية؛ أى العودة إلى الدين وإيقاظ النفوس لتقبل تعاليمه ، ومحاولة بثها بين الشباب في المعاهد والمعابد ، وفي الصحف والمجلات ، حتى يستيقظ وعيهم الديني ويكون له السيطرة على تصرفاتهم وسلوكهم ، والدعوة إلى عودة المرأة إلى مكانها الطبيعي في بناء الأسرة ، وتدير شئون المنزل ورعاية الأطفال رعاية صالحة ، فقد كان انصرافها عن المنزل إلى العمل عاملاً من عوامل سوء التربية في الأجيال التي نشأت في ظل هذا النظام ، والدعوة إلى رقابة الأفلام السينمائية رقابة حازمة وحظر عرض ما يتناول مسائل الحب والجنس والجرائم البوليسية حتى لا تفسد وجدانات الشباب وسلوكهم بالتقليد والمحاكاة ، وإلهاب غرائزهم وعواطفهم دون أن يكون لهم القدرة على ضبطها وكبح جماحها . هذا إجمال سريع لصور الحياة في المجتمعات الغربية وما تعانيه من فساد ، وهذه دراسة علمائه في أسباب ذلك وفي علاجه ، ومن العجيب أن هناك تشابهاً قوياً بين ما يشكونه وما شكواؤه ، وبين ما يكتبونه وبين ما كتبناه ، وقد خوصمنا في ذلك وهو جندا واتهمنا بالجود والرجعية ، ورأينا أن نترك هؤلاء المخاصمين الزمن يتولى إقناعهم ، وللتجربة تكشف أخطاءهم ، وهؤلاء هم علماء الغرب يتولون عن دراسة وتجربة ما قلناه ، ويلتذنون معنا في تشخيص العلل والأدواء . فهل يلتقي معنا بعض الكتاب الذين يهزمون بالروحية والعمل القاصد ، ويدعون إلى حرية المرأة حرية مطلقة دون سدود أو قيود . ويناصرون الأقلام الماسجة بدعوى الاستنارة والتثقيف ؟

نرجو ذلك . لنكون وإياهم قوة دافعة نافعة تصلح من شأن المجتمع وتدفع عنه ما يهدده من الأخطار التي يعانيها غيرنا ويألم لآثارها ، ويسعى جاهداً لعلاجها ، إن الأمل في ذلك كبير ، فقد قال الغرب كلمته ، وإذا قال الغرب فليسمع أولئك الكتاب وليسمع الزمن .

أبو الوفا المراغي

مَحَنَّا رَأَيْتُ مِنَ الْفَتَاوَى

رأت إدارة مجلة الأزهر أن تنشر من وقت لآخر بعض الفتاوى التي تصدرها لجنة الفتوى بالأزهر مما تكون الظروف داعية إلى نشره حسبما تسمح به إمكانيات المجلة .
بسم الله الرحمن الرحيم :

حكم الإجهاض

السؤال - من السيد / أستاذ قسم الطب الشرعى بجامعة القاهرة :
ما رأى الشريعة الغراء فى مسألة إجهاض المرأة الحامل ومتى يكون مباحا ومتى لا يباح .
وهل يجوز إسقاط من حملت اغتصاباً ؟ ومن حملت سفاحاً ؟ ومن حملت من محرم ؟ ومن
كثرت ولدها ؟ وهل يجوز الإجهاض بقصد علاج أو مرض ناشئ عن الحمل ولو كان مرضاً
نفسياً كحالة الحمل السفاح مثلاً ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
أما بعد فتفيد بأن بعض المذاهب الفقهية يمنع الإجهاض مطلقاً (سواء أكان الجنين حياً
فى الرحم أم لم تنفخ فيه الروح) لأن المادة مادة حية ، وإنزالها وأد الجنين وهو ممنوع شرعاً ،
وذهب باقى الأئمة إلى جواز إسقاط الحمل ما دام لم تنفخ فيه الروح ، والزمن الذى يكون فيه
الجنين غير ذى روح معروف للأطباء المختصين ، وقد قدره الشرعيون بما دون أربعة أشهر .
وعلى هذا القول لا يجوز الإجهاض إلا لضرورة معتبرة شرعاً ، كما إذا كان بقاء الحمل مضرراً
ضرراً بليغاً بصحة الحامل أو مفضياً إلى موتها إذا ثقل حملها أو وضعت ، وفى غير حالات
الضرورة لا يباح الإسقاط ، والضرورات تقدر بقدرها ، وليست محصورة فى عدد ، وإنما
المناط فيها أن تكون ضرورة فى نظر الشارع .

والجنين فى نظر الشارع محترم يحافظ عليه ولو كان من زنا بدليل أن الرسول صلى الله
عليه وسلم لم يرم الجنين على من زنت وكانت حاملاً حتى وضعت . وفى رواية حتى مضى زمن
بعد الوضع ترعى فيه الجنين ، فلا يكون بمجرد كونه من الزنا موجباً لإسقاطه . والله أعلم .

حسنيين محمد مخلوف

رئيس لجنة الفتوى

الدين...والانسان على الأرض

« السعادة : أتركها ودیعة بین یدی العالم الآخر ؟ .. »

السعادة : فلنقتنصها على الأرض ..

أسرعوا ، نحن فى عجلة ، لا ضمان فى الغد ، ولا عبرة إلا بالحاضر ..

غافل من یقامر على المستقبل ، فلنضمن أولاً رفاهية بشرية صرفة ،

هكذا یصور پول هازار Paul Hozard « أزمة الضمیر الأوروبى ١٦٨٠ - ١٧١٥ م ،

انتقلت الأزمة سریعاً من أرجاء الأرض .. ووصلت بوادرها إلینا .

فما موقف الإسلام تجاه أزمة الإنسان ؟

* * *

یقولون إن عصر النهضة الأوربية هو الذى عرف للإنسان قدره ، وأنزله منزله ...

نقل الاهتمام من (الإله) إلى (الإنسان) ، ونقل المعرفة من السماء إلى الأرض ...

وأحدث هذا رد فعل عنيف : لقد تجرأ كوبر نيكوس وجاليليو أن یتكلموا عن الفلك

والطبیعة دون تقید بما ورد فى التوراة والإنجیل ، وتجراً العلم أن یتحدث عن عوالم هائلة

لا تعد بجانبها (اللعبة الأرضية) التى یعیش علیها الإنسان شیئاً مذكوراً ... كيف :

والمفروض أن الكوكب الذى یعیش علیه الكائن الإنسانى ینبغى أن یكون أشرف

ما فى الوجود ؟؟

واستمع الناس فى دهشة ووجل إلى بایل Rerre Bayle سنة ١٦٨٣ م یقول :

« كلما درسنا الإنسان أیقنا أن الخیلاء شهوته المتسلطة علیه ، وأنه یصطنع الكبر

حتى فى خضم البؤس والسكراب . تبأله ! فقد استطاع بما جبیل علیه من ضعف وهوان أن

یقنع نفسه بأنه لا یمكن أن یموت دون أن یزعج الطبیعة جمعاء ، ودون أن یجبر السماء

على تجشم نفقات جديدة لإنارة موكب جنازته ! فيا للخيلاء الباطلة الحمقاء ! لو أن لدينا فكره صحيحة عن الكون ، لفهمنا سراحاً أن ولادة أمير أو وفاته مسألة من التفاهة . يمكن بالنسبة لطبيعة الأشياء ، وحتى إنه لعبث أن تتحرك من أجلها السماء ! ولكننا نقول مع سنسكا : إن العناية الإلهية لا تغفل عنا وإننا نأخذ نصيبنا منها ، ولكن هدفها يفوق كل ما نتصوره عنها . وإنه وإن كانت حركات السماء تعود علينا بفوائد جلي ، فلا يعنى هذا أن هذه الأجرام الهائلة تتحرك بحبة في الأرض ! » .

وماذا عن المعلومات المقدسة المودعة في سفر التكوين ؟ ؟

إن ريشارد سيمون ينشر كتابه « تاريخ نقدي للعهد القديم » سنة ١٦٧٨ م « فترى أى تأثير يتركه فى القارئ إذا ما انتهى ؟ إن قصة الكتاب المقدس عن خلق الكون لا اتساق فيها ولا انسجام ، وإنما كتبت فى أزمان جد مختلفة وبأياد لم تؤت المهارة ولا الأهلية ، وإنما على الأقل اعترافا كثير من التبديل وفى غير حذق ، حتى أصبح من المستحيل أن نميز كاتبها الأصيل ! !

كتب جون تولاند كتابه « المسيحية دون أسرار » Christ not Mysterious عام ١٦٩٦ « فأسر لفظ وثنى احتفظنا به كما احتفظنا بغيره من ألفاظ ، هو إما خرافة يجب أن نقضى عليها ، وإما صعوبة عارضة ينبغى أن نذلها ! ! إما أن المسيحية تتفق مع العقل ولا تمثل إلا مجرد ارتضاء للنظام الشامل متجردة عن كل ما يخرج عن هذا الارتضاء نفسه - كالتقاليد والمذاهب والشعائر... إلخ - وإما أنه يستحيل عليها أن تعيش ! فما من شيء فى العالم يمكن أن يكون فوق العقل وما من شيء يمكن أن يتعارض مع العقل ! »

ولوك يتحدث عن « المسيحية . المعقولة » Christianisme raisonnable : فيوجز العقيدة فى أصلين : الإيمان بالمسيح والتوبة ، ولا يشترط شيئاً آخر إلا نقاذ رسالة الأرواح ، قبول رسالة المسيح ، والتزام سلوك طيب - هذا يكفى جداً ! وكان يرفض الاعتقاد بأن كل سلالة آدم قد حكم عليها بعذاب أبدي لا نهائى من أجل خطيئة الرجل الأول الذى لم يسمع عنه قط ملايين من الناس ! ! !

هل تبينت ملامح النهضة الجديدة ؟ . . . وهل عرفت من أين أتى رد الفعل ضد الدين

فى بلاد الغرب ؟ ؟ ؟

يقف الإسلام ثابتاً على أساس متين ، إزاء هذه الزلازل والبراكين ، عند الآخرين ...
فهو قد أوقف الإنسان من أول الأمر على حقيقة مركزه في الكون ، دون تهوين أو تهويل ، وقد بصره بخلق الله الذي تدركه حواسه أولاً تدركه ، وجلى له أن الكون الفسيح بأرض وسمائه وأفلاكه محكوم بسنن منضبطة لا تشذ ولا تخطئ :

« الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ، فارجع البصر هل ترى من فطور ؟؟ » .

« والشمس تجري لمستهراً لما ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل في فلك يسبحون » .

« وأنبتنا فيها من كل شيء موزون » .

« إنا كل شيء خلقناه بقدر » ، « وخلق كل شيء فقدره تقديراً » .

« فلن تجد لسنة الله تبديلاً ... ولن تجد لسنة الله تحويلاً » .

والذين قالوا للرسول الإسلام: كسفت الشمس لوفاة ابنه إبراهيم ، رد عليهم الرد المفهم الحاسم :

« إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته . . . ولكنهما آيتان من آيات الله »^(١) .

والقرآن قد تحدث عن معجزات ، ولرسول الإسلام معجزات ، ولكن معجزة الإسلام الكبرى كانت القرآن : لا يزال يعرض للذكر والتدبر ، ومجمله هو العقل قبل كل شيء . والقرآن ينعي على الجود والتقليد ، ويطلق العقل ليفكر ويعمل ، ويأتمنه على الحكم في أمر العقيدة ، فيقدم له الحجة والدليل ، ويرد على المنكرين .

وشعائر هذا الدين لم تحبس الإنسان عن الدنيا ، بل هي محدودة ميسورة : « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ، ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » .

(١) البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه - صحيح .

ولا تدع هذه الشعائر مريضاً أو ضعيفاً أو مسافراً حتى تخفف عنه وترخص له وتيسر ما يسقط عنه الفرض بأقل جهد .

عن جابر قال : خرجنا في سفر فأصاب رجلاً منا حجر فشجه في رأسه ثم احتلم ، فسأل أصحابه : هل تجدون لي رخصة في التيمم ؟ فقالوا : ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء ، فاغتسل فمات ، فلما قدمنا على رسول الله أخبر بذلك فقال : « قتلوه قتلهم الله !! ألا سألوا إذ لم يعلموا ، فإنما شفاء العي السؤال ، إنما يكفيه أن يتيمم ، ويعصر أو يعصب على جرحه خرقه ثم يمسح عليه ويغسل سائر جسده » (١) .

وشريعة هذا الدين تريد بالناس اليسر وترفع عنهم الحرج وتدفع المشقة وتتوقى عموم البلوى وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه ، « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه » . وفي الحديث : « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » (٢) .

* * *

ونظرة الإسلام للإنسان ... وللحياة الدنيا ، كلها إنصاف .

إنه يعرف قدر الإنسان « لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم » ، « ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً » . ولكنه لا يسلم الإنسان للأهواء « كلا إن الإنسان ليطغى ، أن رآه استغنى » ، « لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل - أولئك هم الغافلون » ، « وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأفصلونا السبيلا » ، بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون » .

إن القرآن يضع تحت يد الإنسان كثيراً من مفاتيح القوى والطاقات التي أودعها هذا الوجود « ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ... » ، ولكنه لا يتركه يطيش « . . . وما قدرنا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه » ، « وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ، ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون » ،

(١) أبو داود وابن ماجه والدارقطني - صحيح ابن السكن .

(٢) الطبراني في الكبير - صحيح .

« ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤس كفور . ولئن أذقناه نعاء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح غفور . إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير » ، « يأيها الناس أتم الفقراء إلى الله ، والله هو الغنى الحميد . إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ، وما ذلك على الله بعزيز » ، « أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ، بلى وهو الخلاق العليم ، إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » .

والدين قد صان الطاقة الإنسانية حين حررها من الانقياد للآلهة الباطلة ، والأهواء المتبعة . . . وقد صان الطاقة الإنسانية حين وجهها لعبادة ترضى بها أشواقها الخفية دون أن تيسع بذلك كرامة العقل أو مصالح الدنيا ، لأن لها المعبود يخاطب عقولنا بالبرهان ، وهو غنى كريم لا يتخذنا ولا يقهرنا بالباطل ، ولا يستخف بنا ولا يسلبنا : « ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون » .

إن هذه الأعماق البعيدة فى التحرير النفسى من الداخل لا يصل إليها إلا الدين . . . إنه يقتلع الجرائم التى يستنبتها ويستكثرها الطغاة والمستبدون ، ويسلم زمام النفس لرب العالمين ، الذى لن يستغل هذه الطاعة لصالح طبقة أو حزب أو جنس « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا ، والعاقبة للمتقين » .

وكلما حرص المؤمن على عقيدته بالله ، كلما برى من الشرك وأعلن الكفر بمن عداه . . والمؤمن إذ يتمتع بحريته فى أفصح مداها إنما ينتظر منه أن يصيب فى مزاولته الحرية وأن يخطئ* ، والخطأ ضريبة بشرية ، والدين يقرر أن هذه طبيعة الناس ويتعامل معهم على هذا الأساس « كل بنى آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون » ، (١) .

أما الدنيا فهى فى الإسلام مزرعة الآخرة ، لا يصح الانصراف عنها ، بل يعبد الله بالعمل فى أرضه وابتغاء رزقه والإفادة من نعمه : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » ، « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » ،

« هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » ،
وفى الحديث : « إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده » [١] .

الإسلام يكرم الإنسان لـكـسـه لا يؤلهه بل يسلم أمره لله ، ويحل له طيبات الحياة الدنيا
لـكـسـه يذكره بمتاع خير وأبقى . . . والدين فى هذا يحفظ على الإنسان طاقته حتى لا تزل
ولا تنبدد فى جحيم القلق دون قرار ، ويحقق له استمتاعه بإنسانيته ودنياه دون أن
(يستهلكه) الدوار فى أفق ضيق لا يشغل فيه بغير ذاته ومصالحه . . . إن سجن الانانية
والنفعية ليس أرحب من سجن الخرافات والتمايل والاستبداد ومع ذلك ينبغى ألا يكون
الداء فى الدواء ، فتسكبت العقائد العقول وتحبس الطاقات وتغلل الأفراد والجماعات !!

والإسلام لم يبلغ الكيان الإنسانى باسم الدين ، ولم يقيم الدار الآخرة لتصرف النظر
عن دنيا يتفاهم فيها الحرمان والعجز والفساد .

إن ترقى الإنسان وازدهار الحضارة تسبيح لله العلى الأعلى ، وتمجيد للخالق
الصانع العظيم .

* * *

والقرآن بعد ذلك كله . . . حافل بالصور الحية النابضة ذات المغزى الإنسانى الرفيع .
« فالرسول فى تصوير القرآن إنسان يمتلئ حياة وحركة ، وتزخر نفسه بالمشاعر
والأحاسيس . . . إنسان حريص على نجاح دعوته بكل سبيل : « قد نعلم إنه ليحزنك الذى
يقولون ، فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون . ولقد كذبت رسل من
قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ، ولا مبدل لكلمات الله ، ولقد جاءك
من نبأ المرسلين . وإن كان كبر عليك إعراضهم ، فإن استطعت أن تبغى نفقا فى الأرض
أو سلبا فى السماء فتأتهم بآية ، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين » .

« فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز ،
أو جاء معه ملك . . . إنما أنت نذير ، والله على كل شئ وكيل » .

إنه داعية فكرة يتشوق لاتصارها ، ويتطلع لمستقبلها ، ويقلق من أراجيف الخصوم ومكائدهم . . . وهذه النفس الإنسانية الحية صاحبها رسول مؤيد معصوم !

« والقرآن يعرض نماذج إنسانية حية لأفراد مؤمنين أخطأوا فتابوا - وهل حياة الإنسان إلا تردد بين الخطأ والصواب ؟ » « لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم ، إنه بهم رؤوف رحيم . وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا ، إن الله هو التواب الرحيم » .

« والمجتمع الإسلامي كله ، يجتمع من البشر : « إذ جاءكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنون - هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً » ، « إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غما بغم لسكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون . ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة ناعسا يغشى طائفة منكم ، وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية - يقولون : هل لنا من الأمر من شيء ؟ قل إن الأمر كله لله ، يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا ، قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ، وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور » « ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين » . . .

كل هذه صور إنسانية للضعف البشري ، يقدمها الدين للفنوس فيلبسها لمسات حانية رقيقة : إن الإسلام لا يريد الناس ملائكة ، حسبهم أن يجتهدوا ولو أخطأوا ، وأن يتنوا الخير ولو لم يسعفهم تحقيقه ، وأن يتوبوا إذا خالفوا « ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعاون » .

فإن كانوا كذلك فهم قد اهتدوا إلى جوهر الإيمان وحقيقة النفس ، لقد تحرروا من التزمّت والتحلل ، من الجود والجود ، ولا يضرهم بعد ذلك أن يترددوا بين الطاعة والمعصية ، بين النجاح والفشل ، بين النصر والهزيمة ، بين الكسب والخسارة - لأن هذه كلها عوارض

لا بد من اجتماعها وتتابعها بالنسبة للطبيعة الكونية والإنسانية : « وتلك الأيام نداؤها بين الناس » .

* هم إذا أخطأوا فليتحملوا نتيجة خطئهم ، دون أن ينتظروا قارعة زاجرة تأتهم مباشرة مثل أيام الذين خلوا من قبلهم ، إذ حصاد أيديهم وألسنتهم يكفيهم زاجرا وحده إن كانوا يزدجرون « ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون » ، « وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ، وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلوا بها ، وما نرسل بالآيات إلا تخويفا » .

* وإذا ناء المسلمون بأعباء الحق فلن تتدخل المعجزات لنصرهم ، ولكن في صبرهم ومصابرتهم ومرابطتهم الحصن الحصين والملجأ الأمين « ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ، ولكن ليميلو بعضهم ببعض » .

* وسنن السكون أمام الجميع ، ينال الخير العاملون لا الخاملون - مهما كانت المسألة أو الدين ، فلا محاباة في عون الله لطائفة دون أخرى من عباد الله « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون » ، « كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا » .

ما أحوج الإنسان إلى دين الله ، في عصر الإنسان .

« من كفر . . . فعليه كفره ، ومن عمل صالحا . . . فلا أنفسهم يمهدون » ؟

فتحي عثمان

مكانة المعلم

قم للعلم وفيه التبجيلا
كاد المعلم أن يكون رسولا
أرأيت أعظم أو أجل من الذي
يبنى وينشئ أنفسا وعقولا ؟

« شوقي »

رسالة الأزهر

- ٦ -

رسالة العلم :

المعروف عن الأزهر إجمالاً في تاريخه العلى أنه هو الذى حفظ للنسولين دينهم ولغتهم العربية : لغة القرآن الكريم .

إن رسالة الأزهر الإجمالية هذه لأضخم رسالة في التاريخ العلى الإسلامى . ولمن يريد التحدث عن هذه الرسالة بالتفصيل أن يلم في بحثه بتاريخ العلم والمعرفة في مصر منذ أن صارت إسلامية ، ومنذ أن كانت ملاذاً للدين ولغته العربية الكريمة .

التعليم في مصر قبل الأزهر :

المسجد الجامع أو مسجد عمرو بن العاص هو المدرسة الأولى التى تلقت بواكير العلم والتعليم في مصر . حتى رويوا في تاريخه أنه في بعض أزمنته كان به بضعة وأربعون حلقة لإلقاء العلم : هكذا روى المقرئى عن بعض من استقامت له الرواية عنهم من المؤرخين قبله .

إن العناية الأولى للدراسة في جميع أطوارها في مساجد مصر كانت للدين وأصوله وفروعه أما دراسة العربية فقد كانت تابعة لدراسة الدين أينما كان . ومعنى ذلك أن دراسة الدين كانت هى الغاية ودراسة اللغة كانت هى الوسيلة . ولا ريب في أن من لا يدرس الوسيلة حق دراستها لا يستطيع دراسة الغاية والدين أساسه القرآن فالحديث . وفهمها لا يستقيم إلا لدارس اللغة وأصولها وفروعها .

أخذ جامع عمرو يدوى بالدروس الدينية تتبعها الدروس العربية في مستهل القرن الثانى الهجرى : وكان أكبر الأساتذة فيه يومئذ عبد الله بن عمرو بن العاص ، ويزيد بن أبى حبيب وعبد الله بن هبة ، والليث بن سعد ، ومحمد بن إدريس الشافعى ، هؤلاء الأئمة هم الذين وضعوا بذرة التدريس العلى في المسجد الجامع ، وهم الذين كونوا في مصر المدرسة الدينية والفقهية الأولى على نظام التحلق في الدروس والاستماع إلى المدرس . ثم تابع العلماء المدرسون بعد هذه الطبقة إلى أن صار جامع عمرو هو مدرسة الدين الإسلامى ولغته العربية .

في سنة ٢٦٣ هجرية بنى أحمد بن طولون مسجده المعروف ، وأول من درس فيه العلم أحمد بن الربيع بن سليمان تلميذ الإمام الشافعي فتمد أخذ يمل في دروس الحديث ، وقد دفع إليه ابن طولون في أول درس له كيسا به ألف دينار . وما زالت تحبو فيه الدراسة إلى أن استقرت وصار له شأن فيها ، فقد رتبت فيه دروس التفسير والحديث والفقه على المذاهب الأربعة .

لم يتعطل جامع عمرو من الدروس بقيام جامع ابن طولون ، وإنما ظل كما هو على حاله الأولى ، وقد صار للعلم معبدان : جامع عمرو وجامع ابن طولون .

بنى بعد هذين المسجدين الدراسيين الجامع الأزهر ، وقد بدى في بنائه في جمادى الأولى سنة ٣٥٩ وأكمل بناؤه سنة ٣٦١ . ولم يعطل بناء الأزهر المسجدين السابقين عليه من التدريس ، لأن التدريس الديني كان كأنه حسبة في ذمة العلماء على فقرهم ، يؤدونه عن رضا وهم مغتبطون .

أسس الأزهر ليسكون مدرسة للفاطميين ، يدرسون فيه مذهبهم الشيعي ، وبذلك اختلف منهاجه الدراسي عن منهاج جامع عمرو وجامع ابن طولون . لأنه لا يعرف عن هذين المسجدين أنه درس بهما ما يخرج عن مناهج أهل السنة والسلف الصالح . وبذلك تكون أول رسالة للأزهر هي الرسالة الشيعية الفاطمية التي جاء بها من المغرب هؤلاء العلويون . وقد اعتدوا أن مصر من أكبر المراتع لثمر مذهبهم ، ولكن التيام على هذه الرسالة لم يعمر طويلا ، فتمد أزال السلطان صلاح الدين كل ما أقامه الفاطميون من دعوات شيعية . وقد عطل الأزهر عن أداء رسالته حتى لا يبقى ظلا للفاطميين في مصر . فهاذا صنع بالعلم والدراسة بعد تعطيل الأزهر ؟ إنه بنى المدارس لتدريس الفقه الإسلامي وأصوله على مذهب أهل السنة والجماعة .

لنا هنا وقفة أحلل فيها رأيي فيما صنعه صلاح الدين . هذا الرأي هو أن تأسيسه هذه المدارس لم يخرج بالأزهر عن رسالته العلمية المطلقة . فإن الجامع الأزهر هو بنية من حجر وكل بنية قابلة لكل ما تعمر به . لأن بناءه كمعهد قابل لكل ما يدرس فيه . فهو ظرف مكان لا أكثر ، وظرف المكان قابل للتغيير والتبديل فيما يحتويه ، فالقول بأن رسالة الأزهر العلمية قد عطلت لا شيء فيه للتحقيق . لأننا لا ندري ماذا كان يصنع صلاح الدين في العلم

والتعليم لو أنه لم يجد في مصر أزهرأ يؤدي رسالة علمية لم ترق هذا السلطان. وكل ما في الأمر أن مناهج العلم قد تغيرت وبني لها أمكنة غير الأزهر . فالأزهر هو الذي رسم الرسالة العلمية التي غير السلطان مناهجها . وهذه الرسالة الشيعية هي التي أوحى إلى صلاح الدين بأن يجد طريقاً جديداً للتعليم . أما تعطيله الأزهر جملة فذلك رأيه الخاص ولكن الأزهر (المعنوي) لا الحجر ولا البناء ، الذي جعله يتجه إلى ناحية جديدة في تعليم الدين ، وهو الذي رسم له الطريق العلوي ، كما رسمت الجامعة الأزهرية طريقها حديثاً فإننا نجد لها كليات شتى ، في شرق القاهرة ، وفي غربها ، وفي شمالها ، وفي جنوبها وكلها تجمعها كلية (الجامعة) . فالمدارس التي أسسها صلاح الدين هي استمرار حقيقي - لا ظاهري - في أداء رسالة الأزهر العلمية وإن تغيرت السبل والمناهج . وإن لم يلتفت إلى هذه (الأزهرية المعنوية) أحد من المؤرخين . وأخيراً هل يقال إن الدراسات الأزهرية التي تفرقت في الكليات الخارجة عن بنية الأزهر قد زحزحته عن رسالته ؟ . . . وأنه معطل الآن عن أداء هذه الرسالة ببناء هذه الكليات المنتشرة في القاهرة ؟ ! إنني أترك القارئ بغير جواب متى إيجيب هو لنفسه من نفسه ؟

حسن الشيخة

الاختلاط بين الجنسين

عيننا أننا نقلد الغرب تقليداً أعمى في كل شيء ، حتى في الأمور التي يقوم الدليل العلوي القاطع على فسادها ، والتي يظهر للغرب نفسه خطؤه في السير عليها ، ويحاول أن يهدي من اندفاعه في سبيلها .

ويسعدنا أن نسجل أن مصر التي قطعت في سبيل الاختلاط الجامعي شوطاً كبيراً قد فطنت الآن لهذه الحقائق ، وأخذت تتدارك بعض أخطائها ، فأنشأت كليات خاصة للبنات ملحقة بجامعة عين شمس .

الدكتور على عبد الواحد وافي

حقائق فلسفية تحت شرعة الحرب في تقدير الإسلام

لما استقر النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وأسس بها حكومته على ما يعرفه القراء ، كان مقصودا بالقتل والقتال من قريش ، وليس يعقل أن تغمض قريش جفنها ، ومصلحتها الحيوية قائمة على زعامة الدين في البلاد العربية ، عن قيام زعامة أخرى في بلد كثير يصح منافسا لأم القرى وربما بزها سلطانا على العقول ، وكر على قريش فأباد خضراءها وسلبها حقها الموروث ، ولا يسع الإسلام من جانبه مهما كانت ميوله سلبية (فاصفح عنهم وقل سلام) أن يستمر في منع القائمين به عن الدفاع عن أنفسهم وعن الدين الذي أنزل للإنسانية كافة في عالم يضيع الحق فيه إن لم تكن وراءه قوة تؤيده ، فكان لامناص من السماح للمسلمين بحماية أنفسهم ودينهم بالسلاح الذي يشهره خصومهم في وجوههم فأنزل الله قوله تعالى : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم لبعض لهدمت صوامع وبيع ، وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز ، الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور . »

ولم يغفل الإسلام حتى في هذا الوطن ، موطن الدفاع عن النفس والدين ، أن ينصح لأشياعه بعدم العدوان لأن الموضوع حماية حق لا موضوع انتقام وشفاء ثارات وهذا منميزات الحكومات الإسلامية فإن القائم عليها يكون كالجراح يضع مبعضه حيث يوجد الداء لاستئصاله مع عدم المساس بالأعضاء السليمة ومقصده استيفاء حياة المريض لا قتله والعالم كله في نظر الحكومة الإسلامية شخص مريض تعمل لاستدامة وجوده سليما قويا خالصا من الأمراض المستعصية ، والإسلام باعتبار أنه دين عام للناس كافة يعد العالم كله أمة واحدة غير معتد بما أحدثته البيئات والتقسيم الجغرافية بينهم من الفروق في الألوان واللغات بل والأديان .

لهذا السبب ولأن موجهه هو رب العالمين الذى وسعت رحمته كل شئ. أحيطت جميع آيات الجهاد فيه بأوامر مشددة فى مراعاة العدل مع المحاربين وعدم الإسراف فى سفك دمائهم والاعتداد بالظاهر من أعذارهم مما يعد مثلاً علياً لم تصل المدنية بعد ألوف من السنين إلى خيال منها ناهيك أنه يحرم على أهله أن يقتلوا خدام المحاربين الذين يمدونهم بالطعام والشراب . ويعينونهم على حمل عتادهم وخدمة دوابهم وهذا غير ما أمر به من احترام حياة شيوخهم وولدانهم ونسائهم ، ورجال أديانهم ، وعدم الإجهاز على جرحهم وعدم تعقب مهزومهم للفتك بهم من خلفهم قال الله تعالى : «وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين» ، وقال : « ولا يجرمنكم شنآن قوم (أى ولا يحملنكم بغضكم لقوم) أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب » .

بهذه القيود الرحيمة وفى هذه الحدود العادلة أذن الله للسليين بعد تقضى الكفار للعهد أن يذبوا لهم على سواء وأن يقابلوا قوتهم بمثلها حتى يحق الله الحق ويبطل الباطل ويظهر دين الله على ما حاكته الأوهام من عقائد باطلة وخيالات عاطلة ، ولما كان القرشيون قد صارحوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالحرب ، ولو تركهم وشأنهم بعد شخوصه إلى المدينة لما تركوه وشأنه ، فقد اعتبرهم فى حالة حرب ، وعاملهم على موجب هذا الاعتبار .

هنا لا بد لنا من نقي شبهة كثيراً ما أثارها خصوم الإسلام ضده إذ قالوا : إن الإسلام دين شرعت فيه الحرب ، والدين الحق يجب أن يتنزه عن ذلك فلا يدعو إلا إلى الإسلام لأن الحرب من بقايا الوحشية الأولى ولا يجوز أن يعتمد عليها دين إلهى أنزل لىكون رحمة للعالمين .

لا جرم أن الذين يدلون بهذه الشبهة لا يعرفون من طبيعة العالم الأرضى ولا من عوامل الاجتماع الإنسانى ولا من تاريخ الأديان السماوية ما يجب أن يعرف ليحجى حكمهم عادلاً ورأيهم سديداً .

إن طبيعة هذا العالم مبنية على التدافع والتغالب وتنازع البقاء ليس فيما بين الناس فحسب ولكن فيما بينهم وبين الوجود المحيط بهم ، بل وفيما بين كل فرد والعوامل المتسلطة عليه

من نفسه ، ولا تشذ عن هذه الناعدة العامة الحيوانات ولا النباتات أيضا ، وقد بنى علماء النبات والحيوانات وعلماء الإنسان على هذا التدافع كل ترق طراً على هذه العوالم الثلاثة ، ولا أظن أن قارئاً من قرائنا يجهل الناموس الذى اكتشفه « داروين وروسيل ولاس » ، ودعواه ناموس تنازع البتاء وبنا عليه كل تطور أصاب الأنواع النباتية والحيوانية والإنسان أيضاً .

وقد أشار الله إلى خطر هذا الأصل العظيم بقوله تعالى فيما يتصل بالإنسان : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين » . وإنما تفسد الأرض بتغلب الأشرار وتقاوس الأخيار عن التشكيل بهم ، وفضلاً عن تغلغل الأشرار فى شروهم فإنهم لا يدعون الأخيار أحراراً فى ممارسة فضائلهم ، وقد صرح الكتاب الكريم بهذا فى قوله تعالى : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً » . ألم تركيف تصدى خصوم الدين النصرانى للمسيح وما كان يدعو لإلصاح والسلام حتى إنهم استصدروا أمراً بصلبه فنجاه الله منهم ، وما زالوا بالذين اتبعوه يضطهدونهم ويطغونهم حتى مضت ثلاثة قرون وهم مشردون فى الأرض لا تجمعهم جامعة إلى أن حماهم من أعدائهم السيف على يد الأمبراطور قسطنطين الرومانى وانفق أنه كان يدين بالنصرانية ، فلما ولى الملك أعمل السيف فى الوثنيين وهدم هياكلهم وأجبرهم على قبول المسيحية ديناً لهم . ومن ذلك العهد أمكن المسيحيين أن يجاهروا بدينهم وأن يتخذوا لهم زعامة دينية ، وأفادهم هذا الدرس القاسى فى ضرورة استخدام السيف لنشر الدعوة ولقمع الوثنيين حتى دانت لهم أوربا كلها ، ولا يمكن أن ينهى أحد ما حدث بين البروتستانتية والكاثوليكية من الحروب الماحقة حتى استقر كل فريق منهم فى الحيز الذى هو فيه .

أولم تر أيضاً كيف تصدى الجاهليون لمحمد صلى الله عليه وسلم فنعوه عن نشر الدين الذى أوحاه الله إليه ، وانتهى أمرهم بالآلب عليه لقتله والفراغ من أمره ؟ ثم ما حدث منهم بعد أن هاجر إلى المدينة حيث تمصده بها ، مؤلين عليه القبائل الجاهلية لإبطال أمره والتعفية على أثره ؟

أفيريد مثيرو هذه الشبهة أن يقوم دين على غير السنن الطبيعية في عالم مبنى على مبدأ التدافع والتنازع واستخدام القوة الحيوانية لطمس معالم الحق ودك صروح العدل ؟ يقول المعارضون : وماذا أعدتكم من حجة حين تجمع الأمم على إبطال الحروب ، وحسم منازعاتها عن طريق التحكيم ، وهذا قرآنكم يدعوكم للجهاد ويحثكم على الاستبسال ؟ .

قول أعددنا لهذا العهد قوله تعالى : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم » .

هذه كلمة بالغة من القرآن بل هذه معجزة من معجزاته الخوالة وهي أول دليل على أنه لم يشرع الحرب لذاتها ولكن لأنها من عوامل الاجتماع الذي لا بد منها ما دام الإنسان في عقلية ونفسية المأثورين عنه غير أنه لم ينف أن يحدث تطور عالمي متفق فيه على إبطال الحرب قصرح بهذا الحكم قبل حدوثه ليكون حجة لأهله من ناحية وليدل على أنه لا يريد الحرب لذاتها من ناحية أخرى .

ولو كان يريد لها لذاتها لما نوه بهذا الحكم ، ولو كان ذكر له إمكان جنوح الأمم للسلم لكر على هذا القول بالدحض ولحض أهله على عدم الإصغاء إليه وعلى اعتباره من عوامل التثبيط لهم .

وبما يجب لفت النظر إليه أن الإسلام قد أشاد بذكر كلمة السلام بما لم يفعله مذهب اجتماعي قبله . ناهيك أن الله قد سمى نفسه السلام ، وجعل السلام تحية الإسلام يتبادلها المسلمون ملايين المرات ، ونوه القرآن في آيات كثيرة بكلمة السلام ، ودعا الجنة أتى وعد بها المؤمنين بدار السلام ، وذكر أن تحية أهلها فيها سلام ، فأجواء البلاد الإسلامية مشبعة بهذه الكلمة يتنفسها المسلمون متمزجة بأوكسجين الهواء ، وليست هذه سيرة الأمم التي تجعل شعارها الحرب في الحياة ، ولكنها سيرة الذين يحبون السلام ويعملون على رفع لوائه بين الناس .

ويزيد هذا الأمر اتضاحا أن الإسلام إنما سمح بالحرب لإيجاد السلام ، لا لتأييد مبدأ التناحر بين الأنام قال تعالى : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » . ومن العجيب أن الأمم المؤيدة للسلام هي في مثل هذه الضرورة اليوم فتند تجردت لحرب طاحنة مكرهة عاينها لا هم لها إلا إيجاد السلام ، فعلى من يتهم الإسلام بإقرار مذهب

التناحر أن يعتبر بما سبقت إليه الأمم الديمقراطية اليوم من مجزرة بشرية هائلة دفعت إليها دفعا في سبيل تحطيم مبدأ التناحر لا في سبيل شيء آخر فإذا كانت هذه الأمم التي وصلت من المدنية إلى درجة رفيعة تضطر إلى الدخول في مثل هذه الحرب الماحقة في القرن العشرين أفلا تكون أمثال تلك الضرورة تنشأ في الجماعات التي في دور التكون لتحمي وجودها في عالم كان كل ما فيه موجها إليها لحلها وملاشاة كل ما حملته من عوامل الهدم والبناء لتأسيس عهد جديد يخرج الإنسانية من الظلمات إل النور .

يتضح مما مر كله أن اعتراف الإسلام بالحرب كضرورة لا محيد عنها كان لحكمة بالغة لو أغفلت لكان تلاشى كل ما حمله الإسلام من عوامل لإنهاض الأمم ووسائل نقلها من عهد كانت فيه ترزح تحت كسف من الضلالات وتنوء تحت آصار من الأوهام إلى عهد حرية التعقل والنظر والبحث والتدليل والمسئولية الشخصية وهي الثلاثة الأركان التي ابنتي عليها صرح التطور الأخير للإنسانية المتجهة إلى كالمها المنشود .

ومن نافلة القول أن اليهودية العالمية تحفز حفزا من الدول الكبرى المتحالفة معها إلى شن حرب بشقيها حرب الأعصاب وحرب الفتك والإبادة ضد العرب المسلمين القابعين في أوطانهم لا يسألون الناس شراً ولا ضراً فهل اليهودية العالمية تصغى إلى واقع أمرها ووجودها بين الأقطار العربية الإسلامية فتعطى ما لقيصر لقيصر وما لله لله وبذلك تصان الحقوق ويرتفع عن الأمم الضعيفة الشر والتشكيل ؟ ذلك ما ممولنا إن شاء الله ؟

عباس طه

المحامي

الذين نسوا تاريخهم

مثل القوم نسوا تاريخهم كقبيط عى فى الناس انتسابا
أو كمغلوب على ذاكرة يشتكى من صلة الماضى انقضابا
« شوقي »

علماء شاطبة

كلما جرى على اللسان أو طاف بالذاكرة اسم بلدة من بلاد الأندلس كقرطبة أو غرناطة تدافعت على المسلم ذكريات حافلة بمجيدة وأجماد خالدة رفيعة تهز النفس نفرا وإعجابا وسموا وكرامة بما حققه أبطالنا الأولون الفاتحون من انتصارات ساحقة خلدت على الزمن ولم يغير من روعتها تعاقب الأحداث وتوالى الخطوب ، فمن ذكر الأندلس لابد حتما أن يذكر طارق بن زياد فاتحها وقاهر حكامها ، وذلك عندما أنزل جنده على الساحل الأوروي عند الصخرة التي تعرف الآن بجبل طارق ، ثم زحف بجيشه العظيم حتى لقي رودرك وجنوده في واقعة شريش سنة اثنتين وتسعين هجرية وانتصر عليه انتصارا باهرا حاسما أزجج دول أوربا المجاورة للأندلس ، وكان من نتائج هذه المعركة قتل رودرك مما كان له أعظم الأثر في نفوس الجيش الإسلامي ، بل وفي دمشق عاصمة الخلافة الأموية ، تلك هي حال الزهو والفخر ، وبجانب هذه الحال حالة أخرى تؤلم نفس المسلم وتضيق صدره وتذيب قلبه حسرة وأسفا وتفيض دمه دما إذ نفّض المسلمون بعد ذلك أيديهم من هذا الملك الضخم العتيد وأصبحوا صفر اليدين مستعبدين في هذه الأرض تتخذ مساجدهم كنائس ومرافق أخرى لغير العبادة بعد أن كانوا فيها سادة وأمراء فتركوا مدينة الزهراء التي بناها الخليفة عبد الرحمن الناصر والتي أبدع في وصفها السكتاب والشعراء بما أوحى إليهم من سحرها ورونق جمالها الفتان كما تركوا قرطبة وما كان فيها من حضارة اقتبسها الأوربيون وأسسوا عليها دعائم رقيهم وأركان عمرانهم ، بعد أن خرجوا من قرونها الوسطى المظلمة التي جثموا فيها ردحا طويلا من الزمان ، وإن في رثاء أبي البقاء صالح بن شريف الرندي إذ يرثي الأندلس في نونيته ما يبعث الأسى في نفس المسلم ويقض مضجعه إذ يقول فيها : --

وللحوادث سلوان يسهلها	وما لما حل بالإسلام سلوان
وهي الجزيرة أمر لا عزاء له	هوى له أحد وانهد شلارن
فأسأل بالنسيية ما شأو مرسية	وأين شاطبة أم أين جيان ؟
وأين قرطبة دار العلوم ، فكم	من عالم قد سما فيها له شان
تلك المصيبة أنست ما تقدمها	وما لها بعد طول الدهر نسيان

ففي هذه القصيدة عبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وإن التاريخ الصحيح ليثبت للأوربيين أعظم جنائية وحشية على العلم والمعرفة والثقافة تفوق جنایاتهم البربرية على الأنفس والأرواح إذ أحرقوا ملايين الكتب التي صنفها علماء الأندلس في جميع العلوم والفنون والآداب بعد استيلائهم عليها، ولقد أصبح زماما علينا أن نكشف بعض جوانب الجهود العلى الذى قام به علماء الأندلس.

فمن أشهر علماء شاطبة الذين سارت مؤلفاتهم مسير الشمس يعم ضياؤها جميع النواحي أبو محمد القاسم بن رفيره بن خلف بن أبي القاسم بن أحمد الرعيني الأندلسي المعروف بالشاطبي المولود ضريراً في شاطبة بالأندلس سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة، وقد درس في صباه وفي بلدته القراءات وأتقنها على يد أبي عبد الله محمد بن أبي العاص النفزي، ثم رحل إلى بلنسية بلدة قريبة من شاطبة بعد أن حفظ المصنفات الجامعة لأصول القراءات وكان من بينها كتاب التيسير لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني فعرضه من حفظه على الإمام أبي الحسن على بن هذيل البلنسي، ولقد وجد الشاطبي في بلنسية مرتعا عليا خصيبا وفرصة واسعة فاغتنمها ورتع فيها فتمكن من تلقى علم الحديث والأدب والنحو والتفسير عن أشهر العلماء المشهود لهم بالتبريز، وكما عرض التيسير على ابن هذيل سمع منه الحديث أيضا كما سمع من غيره وأخذ كتاب سيديويه والكمال للبرد وأدب الكاتب لابن قتيبة وغيرها عن أبي عبد الله محمد بن حميد، ثم رحل للحج فسمع من أبي طاهر بالإسكندرية، ولما دخل مصر أكرمه القاضي الفاضل وعرف مقداره وأنزله بمدرسته وجعله شيخاً عليها وعظمه تعظيماً كبيراً، وأخذ يعلم القراءات لتلاميذه الذين تسابقوا على دروسه حتى صارت المدرسة الفاضلية كعبة يؤمها الظامئون إلى الارتواء من منابع العلم والفضل.

ولقد ترك لنا الشاطبي أثرين خالدين من مصنفاته أولها الشاطبية أو حرز الأمانى.

ولقد أقبل الناس على دراسة الشاطبية وحفظها إقبالا منقطع النظير، وعجز القراء البلغاء من بعده عن معارضتها، ولا توجد منظومة في القراءات بلغت ما بلغت الشاطبية من الشهرة والقبول فلا يوجد قارئ للقرآن يعتد بنفسه إلا ويحفظ الشاطبية كما يحفظ القرآن ويعدها ركنا من أركان إجادة قراءته.

صيحة في الهواء:

اتقوا الله في الشباب

هي صيحة من صيحات الأزهر التي طالما انبعثت قوية مجلجلة : تصح آذان الغافلين معلنة استنكارها لمأساة الاختلاط في الجامعة والمعاهد العليا ، فكانت ترتد عن الآذان الفولاذية ، ثم تتبدد في الهواء مع ضجيج الأصوات المنكرة التي تستعلن باسم التقدمية والتمدن . ثم يقال بعد ذلك إن الأزهر لا يؤدي رسالته ؛ وماذا يملك إلا أن يبرى ذمته ويعلن كلبته ؟ فإذا استشرى الشر ، واتسع الخرق ، وظهر الحق لذى عينين ، كانت المكابرة التي تعمى عن الرجوع إلى صوابه ، وكانت الكبرياء الغاشمة التي تأنف من الاعتراف بالحق ، وماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ .

إن رنين هذه الصيحات المؤمنة لا يزال في أسماعنا وأذهاننا ، وإن آخر هذه الأصوات المستعنة بالحق كان صوت أستاذنا الجليل الشيخ عبد اللطيف السبكي الذي كان نصيبه من ذلك الاتهام بالرجعية ، والاتسام بالتطفل على ما ليس من شأنه . وماذا يكون إذن شأن العالم إذا لم ينكر المنكر ويستهنج القبيح ويعلن ما يؤمن عليه من حكم الله وشرعة الرسول ؟ .

وكما حظيت بالقبول الشاطبية حظيت أيضا أختها الرائية أو عتيقة أتراب القصائد فقد أقبل العلاء عليها حفظا وتحصيلا وشرحها بعضهم بشروح كثيرة لا تقل عن شروح الشاطبية .

وتوفي الشاطبي صاحب الرحلات العديدة في طلب العلم بعد عصر يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة تسعين وخمسمائة ودفن بالقرافة الصغرى بالقرب من سفح جبل المقطم وقبره معروف ويزار الآن ، تغمده الله برحمته وأنزل عليه شأبيب رضوانه كفاء ما قدمه للعلم من مجهود وما يسره لطلاب علم القراءات .

عبد الله المراغي

لقد دارت هذه المعاني في نفسى وأنا فى الترام منذ أيام ، وكان يجلس بجانبى وأمامى ثلاثة من الشباب أحسبهم من طلبة إحدى الجامعات أو المعاهد العالية ؛ كانوا يتحدثون عن المحاضرات والمحاضرين ؛ وقال أحدهم للآخرين : أرايتما كيف ضاعت محاضرة اليوم ؟ وفهمت من حديثهم أن الأستاذ المحاضر كان قد برم بعث أحد الطلبة مع إحدى زميلاته أثناء المحاضرة فطلب منه الكف عن هذا العبث أو الانتقال إلى مكان آخر .

ولكن الطالب لم يشأ أن يصيح للتوجيه ، وراح يشير بعض الأسئلة التى تتعلق بالاختلاط ، وكان مما قال : هل يجوز للطالب أن يرافق زميلته الطالبة إلى دار السينما باسم الزمالة ؟ وكان رد الأستاذ حازماً صارماً : لا يجوز ولو كانت خطيبته ، وأنا لا أعرف شيئاً اسمه اختلاط الزمالة أو الاختلاط البرى . بين شاب وشابة . وكأنما ألقى الهشيم على النار ، وهنا ويا للعار تنبعث صيحات الاعتراض ، ممن ؟ من الفتيات أنفسهن ؛ ونقول إحداهن فى غير تخرج ولا استحياء : وما الذى يمنع من ذلك أيها الأستاذ ؟ .

لقد كنا ننفسكه بقول بعض الكاتين : « إن الفتاة فى طريقها إلى حقها فى الحياة ، وسيأتى اليوم الذى تحرر فيه من كل قيودها وتخرج من حجابها وحيائها ، حتى لراها تتعرض للشبان فتدفعهم إلى الاستنجاد ببوليس الآداب » . وما كنا نقدر أن نتحقق هذه النبوءة هكذا بأسرع مما كان يقدر الكاتب ، وأن تنعكس الآية بتلك السرعة ، فتصبح الفتاة هى التى تدافع عن مآثم الاختلاط .

ومن عجيب المصادفة أن ألتقى فى ذلك اليوم بأستاذ أزهرى كبير كان يدرس فى إحدى الجامعات ثم تركها ، فسألته فى ذلك ، فقال : كرامتى . لقد كنت أشهد بعينى ما يخدش الحياء فأحاول أن أنحى الطالب بعيداً ، فتصدى لى الطالبة قائلة : ماذا صنع ؟ .

وإننا لنذكر ذلك الاستفتاء الذى أجرته بعض الصحف اليومية حول جواز المراسلة بين الطلبة والطالبات ، فكانت الإجابات بالجواز أو الوجوب أكثر من ٩٠ ٪ .

وسمعت من بعض الماجنين الذين غمرهم تيار الوجودية والانحراف أنه كان فى ثلة من الشذاذ يؤلفون جماعة أسموها (جماعة التجلل الخلقى) من أعضائها بعض زميلاتهم فى الكلية ، وكانوا يلتقون فى كل مساء باسم التعاون فى مذاكرة الدروس ، فيتأجنون ويتعهرن ،

ثم ينصرفون آخر الليل أو وجه النهار ولم يذاكروا شيئاً ، ولم يستفيدوا بشيء إلا العبث الفاضح والمجون المبتذل . وسألته : إذا لم يكن من الاختلاط بد فلم لا يكون باسم العلم وشرف العلم ؟ ولم يكون على حسابه وحساب الشرف ؟ فكان جوابه : وإذن فلا داعي للاختلاط ، لأن الحديث مع الفتاة في مسائل العلم ينفرها ويصرفها عن زميلها إلى غيره ممن يديرون الحديث معها على مثل (الروك أندربول) مما يشوق ويروق ويعمل عمل السحر في نفوس الفتيات .

لقد كنا نظن أن الاختلاط في الدول الأخرى قد يكون مأمون العاقبة لأن طلاب الجامعات هناك يجردون المتنفس الفسيح خارج أسوار الجامعة ، حيث لا تحول ثمة تقاليد ولا تعصم عقيدة ، فتخلص الزمالة للعلم ، وتسلم الكرامة في محاربه ، ولكن هذا الظن قد تبدد بما تنقله الأنباء عن مآسى هذا الاختلاط .

فقد جاء في جريدة الشعب بتاريخ ٢٦ / ٩ / ١٩٥٨ بعنوان (نقطة بوليس لكل مدرسة) ما يأتي :

« زادت موجة الانحلال الخلقي في أمريكا بصورة مفرغة . أصبحت المدارس والمعاهد مرتعا خصيبا للشذوذ الجنسي . تحول التلاميذ والتليذات إلى مدمني خمر وسفاكي دماء . علب السجائر وأقراص منع الحمل في حقائب الطالبات ، لم يعد الأمر يحتمل السكوت ، لذلك قامت إحدى الهيئات القضائية ببحث جرائم الطلبة في نيويورك ، وأوصت بتعيين رجل بوليس في كل مدرسة ، وقد أبدت بعض الهيئات القضائية خوفها من أن يحرف التيار رجال البوليس أيضا ، .

فإذا كانت هذه نتيجة الاختلاط في بلاد ليس لها ما لبلادنا من محافظة وتقاليد ولطلابها في الخارج متسع رحب ، فما بالك بنا ؟ .

إن الصحف لتطالعا في كل يوم بألوان فاضحة عن معارض الأزياء في الجامعة ، ومناظر الفتيان والفتيات في ساحة الرياضة وحمامات السباحة . فماذا يعصم الشباب وفي نفوسهم سعار الغريزة ، وبواعث الفتنة ، ودوافع الانزلاق ؟ .

إننا لا نخوض في هذا الموضوع إشاعة للفاحشة ، أو ولوغا في الشرف ، وإنما نحكم على ما يقال ويشاع ، لنبري الذمة من هذه الوصمة ، وإن كان الاختلاط في ذاته على هذه الصورة

وفي بلدنا هذا ليحمل على تصديق ما يروى ، وتحقيق ما يقال ، فما بالك إذا شهد شاهد من أهلها ، وحدتك بما يجرى ثقة صدوق ، وحسبك من شر سماعه ؟ .

إننا لا نمنع الفتاة من حقها في العلم ، ونصيبها من المشاركة في العمل والنهوض بما يلائمها في خدمة الوطن . بل إننا لنطالبها بذلك ، ولكننا نطالب كذلك بأن يهيا لها هذا في حصانة وخياطة ، وفي حدود تقاليدنا وديننا ، وفي معزل عن الاختلاط الذي نرى ونسمع آثاره تلك السيئة .

هذه لمحات عارضة كرمز لما نشهد أو نسمع ، والله وحده يعلم ماخفي من المآسى والنكبات . فهل لا تزال بعد ذلك نصر على هذه المحنة وندافع عنها وتعصب لها ؟ وهل لا يزال التقليد الأعمى يعصب عيوننا عن الخطر ويحجب قلوبنا عن الحق ؟ .

نحن أمة لها تقاليدها وطابعها ، ولها سماتها وشخصيتها ، ولها دينها وعقيدها ، فهل نريد لتلك الشخصية أن تنماع وتتحلل ، وأن تفقد عناصرها الأصلية التي تنهض على الحفاظ والكرامة ، وأن تذوب في شخصيات الدول الأخرى التي شاع فيها الانحلال ، وساغ التبذل والامتهان ؟ أم نستسلم للاستعمار الخلق والفكرى الذي يث سمومه ، وينفث أوضاره بعد أن تحررنا من الاستعمار السياسى ؟ .

أيها المشرفون على العلم . إن الشباب أمانة في أعناقكم ، وهم عدة المستقبل ، ورجال الغد ، وعماد الوطن ، وأدوات التوجيه للجمتمع ، وحملة أمانة الأمة ، فإذا لم نخطهم بسياج من الشرف ، ونعصمهم بوازع من الدين ، ونوجههم إلى السكرامة والخير ، ونضئ في نفوسهم مشاعل العلم الصحيح ، وننشئهم على الإيمان الحق ، والمعرفة النافعة ، والحفاظ على تقاليدهم السليمة ، فكيف إذن تحمل سواعدهم أعباء المستقبل وأفئدتهم هواء ؟ .

أيها المشرفون على العلم : اتقوا الله في الشباب . . .

حسن جاد

المدرس بكلية اللغة العربية

الأخلاق الإسلامية

وأثرها في المسلمين الأولين

للأخلاق النفسية أثر كبير في توجيه السلوك الفردي والجماعي ، وطبعه بالطابع الذي يتمشى في صورته وبواعثه مع هذه الأخلاق ، لأن الأفعال التي يتمثل فيها السلوك الفردي والجماعي . لا تصدر إلا عن البواعث التي تبعث عليها . وهذه البواعث لا تتولد في النفوس إلا عن مصدر يوحى بها ، وهذا المصدر هو العقائد القلبية والأخلاق النفسية .

وعلى هذه السنة التي يقوم عليها سلوك الأفراد والجماعات ، كان تأثير الأخلاق الإسلامية في سلوك المسلمين الأولين ، الذين تلقوا هذه الأخلاق تاليا روحيا عمليا ، فاستقرت في أعماق قلوبهم وانفعلت بها أنفسهم . فكانوا بها خير أمة أخرجت للناس في الدين والدنيا ، وأصبحوا مضرب الأمثال في سمو الأخلاق واستقامة السلوك ، بقوة الشخصية وكمال الرجولة ، والاعتداد بالنفس والاعتزاز بالكرامة ، والحياء والاحتشام ، والشعور بكال الفضيلة ونقص الرذيلة ، والأمانة في الدين والتدين ، والحقوق والواجبات ، والصلوات والمعاملات ، والوفاء بالعقود والعهود ، وطهارة القلوب وسلامة الصدور ، والتعاطف والتراحم ، والإخلاص في القول والعمل ، وعفة اللسان وأدب النطق ، والصبر وقوة الاحتمال . هذه الأخلاق الإسلامية ، التي تغلغل سلطانها في قلوبهم وانفعلت بها نفوسهم ، وأقاموا على قوانينها منهج حياتهم وسلوكهم ، هي التي حبت إليهم البطولة والتضحية ، وكرهت إليهم الضعف والهوان ، والاستكانة والاستسلام ، وفتحت أعينهم على آفاق الحياة العزيزة الكريمة ، وجعلت منهم حماة صادقين لدينهم ووطنهم ، وجنودا يعتزون برجولتهم وشخصيتهم ، ويؤمنون بأن الحياة في كنف الهوان إهدار لرجولتهم وشرفهم ، وامتهان لعزة دينهم وكرامة وطنهم ، وأن عظمة الرجال وعز الحياة وكرامة الوجود ، ليست في حيازة الأموال المتمنطرة وسكنى القصور الشاهقة ، وإنما هي في حمل الدروع الموشاة بالنجيع والمهيج ، والتضحية في سبيل مجد الدين والوطن ، والعيش في ظلال العزة والكرامة ، ولو سكنوا الأكواخ والحيام ، ولبسوا الأصواف والأسمال .

هذه الأخلاق الإسلامية ، هي التي جعلت من أبناء الصحراء قادة وأبطالاً ، قهروا قادة الحروب وأرباب العلوم والفنون ، الذين أرادوا العدوان على رسالتهم ووطنهم ، وسحقوا جيوشهم على كثرة عددها وعددها ، ودراية قوادها بفنون الحرب والقتال ، وسجلوا في تاريخ حروبهم أروع ما عرف من صور البطولة والتضحية ، ويتكفينا أن نذكر من هذا السجل الحافل بروائع البطولة الإسلامية ، تلك الصورة التي سجلها جعفر بن أبي طالب في معركة مؤتة التي دارت رحاها بين ثلاثة آلاف من المسلمين ومائتي ألف من الروم ، فقد تولى رضى الله عنه وأرضاه قيادة الجيش في المرحلة الثانية من مراحل هذه المعركة الراهية ، فحمل راية الجيش واندفع بها في صفوف الأعداء ، وأخذ يقاتل قتال الأبطال حتى أحاط العدو بفروسه فنزل عنها واندفع بنفسه بين جموع العدو ، وأخذ يضرب فيهم بسيفه كيفما وقع ، حتى قطعت يده التي يحمل بها راية الجيش ، فأخذها بيده الأخرى فقطعت ، فاحتضن الراية بعضديه حتى لا تسقط تحت أقدام العدو ، وهكذا بقيت راية الجيش مرفوعة عالية ، حتى تسلمها عبد الله ابن رواحة ، الذي تولى قيادة الجيش بعد أن استشهد جعفر في ميدان الشرف والكرامة ، فما أروع هذه البطولة ، وما أجمل هذه التضحية ، قائد الجيش يحيط به الأعداء من كل جانب ويعملون فيه طعناً بالرمح وضرباً بالسيف ، ويتعمدون قطع يديه لإسقاط راية القيادة وإشاعة الهزيمة في جيشه ، فتأبى عليه بطواته وقوة إيمانه وبقينه ، أن يدعها تسقط تحت أقدام العدو ، فيحتضنها بعضديه ويفتديها بروحه ، لتبقى مرفوعة فوق الهامات والرهوس ، لأنها رمز العزة والكرامة ، وراية الإسلام ، وعلم جيش المسلمين .

هذه الأخلاق الإسلامية ، التي استولت على أحاسيسهم ومشاعرهم ، هي التي طبعتهم على الوقار والاحتشام ، وحفظ الأعراض والكرامات ، وصيانة الآداب العامة وتعظيم شأنها ، والترفع عن سفاسف الأخلاق وذميم الأفعال ، فلا فجور ولا مجون ، ولا إباحية ولا تحال ، بل كانت مظاهر الحياء والاحتشام والتعفف من أخص صفات المجتمعات الإسلامية ومقوماتها .

وهي التي حفظت عليهم دينهم وتدينهم من الابتداع واتباع الهوى ، فلا زيف ولا انحراف عن الحق ، ولا تضليل ولا تدليس في الدين ، وحجبت إليهم المحافظة على تأدية الحقوق والواجبات ، والإحسان في المعاملات والصلات ، فلا تقصير ولا إهمال ، ولا غش ولا خيانة ، ولا اختلاس ولا استغلال .

وهي التي حاطت عقودهم وعهودهم بسياس من الثقة والطمأنينة ، والحفظ والوفاء ، ووجهتها إلى تحقيق مقاصدها وغاياتها النبيلة ، من جلب الخير وتبادل المنافع ، والتعاون على البر والتقوى ، وإصلاح ذات البين وحقن الدماء ، وتوطيد دعائم الأمن والاستقرار ، فلا مساطلة فيها ولا خيانة ، ولا غدر فيها ولا خديعة .

هذه الأخلاق الإسلامية التي ظهرت صدورهم من شوائب الأحقاد والأضغان : وصاتها من أوضاع الرياء والنفاق ، وملاتها بالحب والإخاء ، هي التي جمعت قلوبهم ووحدت صفوفهم ، وعبدت لهم طريق التآخي والتآلف ، ومهدت لهم سبيل التعاون في السراء والضراء ، والتناصر على دفع البغي والعدوان ، وحببت إليهم الصراحة والإخلاص في القول والعمل ، فلا أثره ولا أنانية ، ولا فرقة ولا تقاطع ، ولا رياء ولا نفاق .

وهي التي سمت بألسنتهم وأقلامهم عن البهتان والكذب ، والافتراء والتقول ، والسباب والفحش ، والسعى بين الناس بالدس والوقعة ، والإسفاف في النقد والتجريح ، والخوض في أعراض الناس والنيل من كراماتهم ، وكشف أسرارهم ونشر هفواتهم وعثراتهم وإشاعة الفاحشة في بيئاتهم ومجتمعاتهم ، فكانت المجتمعات الإسلامية نظيفة نقية ، والأعراض مصونة مقدسة ، وقوانين الآداب مرعية ومرهوبة .

هذه الأخلاق التي امتزجت بمهمهم وأرواحهم ، هي التي جعلت الأحكام وأولى الأمر منهم ، يؤمنون بأن مناصب الحكم والولاية والإدارة ليست وسائل لجمع المال واكتساب الجاه والسلطان ، وإنما هي أمانات وضعت في أعناقهم لخدمة أممهم وأوطانهم ، وأنهم مسئولون أمام الله عن رعاية هذه الأمانات والمحافظة عليها ، فكانوا يرفعونها حق رعايتها ، ويبذلون في سبيل القيام بأعبائها كل ما وسعه الجهد والبذل ، فلا تنحرف بهم مغريات المال والجاه والسلطان ، ولا يقصرون ولا يهملون ، ولا يمتنون على أممهم بما يقدمون من جهود في خدمتها ، لأنهم كانوا يعملون ذلك استجابة لوصي الضمائر الحية والأخلاق الكريمة ، ووفاء بحقوق الأمانات التي حملوها .

وهي التي حملت العلماء وقادة الرأي والفكر منهم ، على أداء رسالة العلم وقيادة الرأي بكل أمانة وإخلاص ، فلا يسلكون بها مسالك التزويج والتضليل ، ولا تميل بهم عن الطريق سوى مظاهر العجب والغرور ، ولا يتلاعبون بالألفاظ والحقائق ، ولا يتجرؤون على قدسية

الحق ، بل كانوا يراقبون الله في بحثهم وتفكيرهم ، وبحشون حسابه في قيادتهم وإرشادهم ، ويخضعون لسلطان الحجة في جدلهم ومناظراتهم ، ويجعلون الحق غايتهم في مذاهبهم وأقوالهم ويتقصدون بعلمهم وقيادتهم خدمة دينهم وأمتهم ، فلا يجعلون قيادة الرأى سبيلا لتحقيق الأهواء والأغراض ، ولا وسيلة لإفساد العقائد وانحلال الأخلاق ، ولا يتخذون العلم تجارة لجمع المال وكنز الكنوز ، فكان ذلك أجدى عليهم في دينهم ، وأدعى لحفظ كرامتهم ومهابتهم ، كما يشير إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « إن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء ، وإن أراد أن يكثر به الكنوز هاب من كل شيء » .

وهي التي حملت التجار والصناع منهم ، على أن يجعلوا الصديق والأمانة والقناعة ، شعارا لتجاريتهم وصناعاتهم ، فلا يجعلونها حباثا للطمع والجشع ، والنش والتدليس والكسب الخبيث ، واستنزاف الأموال وامتناع الدماء .

هذا الإصلاح الخلقي الإسلامي ، الذي سادت قوانينه وآدابه في مجتمعاتهم وبيئاتهم ، وساروا على مناهجه في سلوكهم وأعمالهم هو الذي جعل منهم أمة قوية في دينها ودنياها ، متحدة في اتجاهاتها وغاياتها ، متماسكة كالبنيان المرصوص في تعاونها وتساندها ، وأتاح لهم أن يقيموا دينهم ودولتهم حصونا من القوة ومعاقل من المنعة ، وبوأهم من السلطان والسيادة منزلة لم تصل إليها أمة من قبلهم ، ولكن المسلمين بعد أن بلغوا هذه المنزلة من السيادة والسلطان ، نكبوا بزيادات ضالة ، وزعامات مضللة ، وحكومات جاهلة غاشمة ، استعبدتهم حب المال والجاه والسلطان ، واستحكم فيهم ضعف الأخلاق وانحلال العزائم ، وتضاءلت في نفوسهم معاني الرجولة والبطولة الإسلامية ، فقعد بهم الجبن عن حماية سلطانهم والدفاع عن أوطانهم ، وسهل عليهم الضعف النفسي احتمال الذلة والهوان :

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح يميت إسلام

وزين لهم الضعف الخلقي أن سعادة الحياة في جمع المال واقتناء العقار ، ولو كان ذلك من طريق الكسب الخبيث والسحت الحرام ، وأن عظمة الرجال في حمل الألقاب الضخمة والأوسمة الذهبية ، ولو كان ذلك عن طريق خيانة الأوطان والتفريط في حقوق البلاد ، زين لهم الضعف الخلقي كل هذا ، فغضت أعناقهم للهوان والذل ، وامتدت أيديهم للرشوة والاختلاس والكسب الخبيث ، واتسعت صدورهم للخيانة وموت الضمائر وفساد الذمم ،

فباعوا أوطانهم بالإقطاعات الواسعة ، والمناصب والألقاب الخلابية ، والأوسمة والوشاحات البراقة ، ورضوا بأن يكونوا أعوانا للأعداء على احتلال بلادهم ، ومطايا ذللا لاستعباد أمهم واستدلالها ، والبطش بالأحرار العاملين من أبنائها ، فعاشوا عبيد الأهواء والشهوات وأعوان الظلم والاستعباد ، حتى طوتهم الأيام والليالي ، وذهبوا مشيعين بلعنة الشعوب التي ورثوها الفقر والجهل ، وأضاعوا ما كان لها من مجد وسلطان ، وتركوا ضياعهم وقصورهم لغيرهم ، وصدق عليهم قول الله تعالى في المفتونين من قبلهم : « كم تركوا من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين ، كذلك وأورثناها قوما آخرين ، فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين » .

فعلى المسلمين أن يزونا سلوكهم وما يجرى في مجتمعاتهم وبيئاتهم ، بهذه الموازين الأخلاقية الإسلامية ، ليعرفوا مدى انطباقها على أخلاقهم وسلوكهم ، ومقدار ما بقي لهم من هذه الأخلاق التي ساد بها المسلمون الأولون ، ويتبينوا منازلهم من درجات الإيمان وصفات المؤمنين ، وعليهم أن ينظروا في تاريخ سلفهم ويتعرفوا أسباب عزهم ومجدهم ، ليعلموا أنهم كانوا يستمدون قوتهم وسلطانهم ، من قوة عقائدهم وسمو أخلاقهم وصلاح أعمالهم ، لا من كثرة الأحزاب والطوائف ، ولا من تعدد القيادات والزعامات ، ولا من فلسفة المتفلسفين وثرثرة الثرثارين ، وأن ما أصاب المسلمين من ضعف وانحلال ، واستعباد واحتلال ، إنما كان نتيجة طبيعية لانحرافهم عن هذه الأخلاق الإسلامية ، واتباعهم لأهوائهم وشهواتهم ، وغفلتهم عن أسباب قوتهم وعوامل ضعفهم .

ألا فليعلم المسلمون إن كانوا لا يعلون ، أنه لا سبيل إلى استعادة قوتهم وسلطانهم ، وإحياء عزهم ومجدهم وتحرير شعوبهم وأوطانهم ، إلا إذا عادوا إلى التخلق بهذه الأخلاق الإسلامية ، وأعادوا لقوانين الأخلاق والآداب سلطانها على النفوس وهيمنتها على السلوك ، وتعاونوا على تطهير بيئاتهم ومجتمعاتهم من عوامل الضعف والانحلال ، وليس ذلك بعزير عليهم متى صدقت العزائم ، واستقامت العقول في تطهرها وتفكيرها ، واتحدت الجهود في اتجاهاتها وغاياتها ، فالله جل جلاله يقول : « والذين جا هسدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » .

هذا هو طريق البعث والنهوض ، والإصلاح والبناء ، والحياة والقوة ، والعزة والكرامة ، أما الدعوة إلى الإباحية والفجور ، والتهمج على قدسية الدين وتعاليمه ، والتطاول على أئمة المسلمين وعلمائهم ، والتشكيك في علومهم وأمانتهم ، فإنما هي معاول هدم وإفساد ونذر شر و بلاء ، لا عوامل بعث ونهوض كما يضللون ، ولا وسائل إصلاح وبناء كما يموهون .

فعلى المسلمين أن يضعوا هذه الحقائق نصب أعينهم ، ويستحضروها في عقولهم وأذهانهم ويضعوها موضع الاعتبار والتقدير ، كلما أرادوا أن يتعرفوا أسباب ضعفهم ومحتهم ، وعوامل بعثهم ونهوضهم ، وعليهم أن يعتصموا بالله ربهم في جهادهم وكفاحهم ، فالله جل جلاله يقول : « ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » .

يس سويلم طه
المفتش بالأزهر الشريف

عمر بن الخطاب

عاهل تغزو له فرس وروم يطعم الناس ومن جوع يصوم
وجد الدنيا متاعا لا يدوم فاجتوى الدنيا فراراً من سقر
وابتغى الفردوس مأوى الخالدين

ولى الأمر نزيها عن نزيه وهو لا يبغيه بل يزهد فيه
ثم ولى ، لم يورثه بنيسه إنما الحكم عناء وسهر
لا متاع وغنى للحاكمين

راغب فى الله عفا عن سواه ما سبت عينيه زينات الحياة
لا ولا اغتر بسلطان وجاه عمر الفاروق حدث عن عمر
موثل العدل إمام الزاهدين

محمود غنيم

ذكري عيد النصر

أعيدوا حديث النصر في مسمع الدهر
وحيوا شهيداً لم يكن غير فائزك
وأرسي بناء المجد من قبل أن يرى
وقولوا لأهل البغي قد ضل سعيكم
قصدم خيار الناس بالشر فأنبرت
وهاتوا عقود الزهر من روضها النضر
تأق سهام الموت من ثل عشر
ضفادع بحر المانش، في الحلل الحر
وخاب بنو التاميز، في البر والبحر
ملائكة الرحمن تنهض بالأمر

* * *

أنتم سكارى كالدمى وسط ملعب
شراذم نهب لفقت بعد خدعها
تتاد وتالت إنها خير فرصة
فلما تراءى الموت للعين أجفلت
وبتم حيارى كالبراذين في القفر
ومزيس كالمعتاد من حولها يجرى
وسيقت إلى الهيجاء من حيث لا تدري
وغابت عن الأنظار في غلس الفجر

* * *

تعالوا نصف الربح من بعد حملة
جلوتم بجدع الأنف لا شئ غيره
وعدمتم بنصف الجيش ما بين أعرج
نماذج لم تكسب من العطف نظرة
وكان يحدى غير هذا مع الغدر
وأخر مبتور الذراع إلى الصدر
ولكن رماها الناس بالنظر الشزر

* * *

ربحنا قلوب الناس من كل دولة
وكانوا كأن الحرب في عقر دارهم
شربنا رحيق النصر من بعد غفوة
وذقم عذاب الخسر من بعد عزة
صمدنا صمود الصخر لا عن تكلف
وفضل رئيس نابه الذكر حازم
سلبت جمال العصر من عين حاسد
تقدر معنى الغزو في الوطن الحر
وبان عريق الأصل في زمن العسر
عملتم عليها في ضروب من المكر
يتوق إليها الحاسدون مدى العمر
ولسكن بمعتاد التجلد والصبر
عليه جلال الصالحين بلا غفر
وبلغت أقصى ما يرام من الأجر

محمد كامل حمزة شلش

مراقب بمعهد شبين الكوم الديني

لغويات

بذل مجهودا في هذه المسألة

أنكر بعض الباحثين هذا الاستعمال ، وأوجب أن يقال : بذل جهده . وهو يرى أن المجهود هو الذى يبجده العمل أو غيره من الهموم ويشق عليه ، وهو اسم مفعول من جهده الأمر إذا عناه وأكله وأنصبه . وما احتج به أن المجهود بمعنى الجهد لم يرد فى القاموس فى مادة جهد .

وقد جاء المجهود بمعنى الجهد فى القاموس فى غير هذه المادة . فى ترجمة (عجز) : « وركب فى الطلب أعجاز الإبل أى ركب الذل والمشقة والصبر ، وبذل المجهود فى طلبه » . وفى مادة (فرغ) : « واستفرغ : تقياً ، ومجوده بذل طاقته » .

وجاء فى اللسان فى (جهد) : « واجتهدت رأى ونفسى حتى بلغت مجهودى » . وفيه : « والاجتهاد والتجاهد : بذل الوسع والمجهود » . وفى الأساس : « وبلغ جهده ومجوده أى طاقته » . وفى إصلاح المنطق ٣٨٩ : « والنثيلة والنبيثة : والنجيثة : ما أخرج من تراب البئر . ونجيثة الخبر : ما ظهر من قبيحه » . ويقال : بلغت نسيكته أى أقصى مجوده » .

وبين مما أوردته أن المجهود فى معنى الجهد عربى صحيح ، وهذا كما جاء المبسور فى معنى اليسر ، والمبسور فى معنى العسر ، والمعقول فى معنى العقل ، فى ألفاظ آخر .

فعل ذلك رغم أنفه

يجرى هذا الاستعمال على أقلام الكتّاب فى هذا العصر . والوارد فى العربية أن يقال : فعل ذلك على رغم أنفه ، وبالرغم منه أى على كره منه وإذلال له . وقد نسب الإذلال إلى الأنف لأنه موضع العزة والأنفة والشمم . ولم يعرف عن العرب حذف الحرف فى هذا الأسلوب . وإنما ورد فى كلام المولدين ، فقد جاء فى شعر للفضل بن الربيع وزير الرشيد

والأمين ، وكان مولى للخلفاء العباسيين ، وهو لذلك يفتخر بأنه من هاشم تبعاً لمواليه .
وهو يقول :

إني امرؤ من هاشم بفناء معمور النواحي
أهل الهدى وذوى التقى وبني البسالة والسياح
أهل النبوة والخلا فقه والمحاسن رغم لاحي
أهل المعالم والمسا رم في المساء وفي الصباح
يتألمون من الصدو د ويصبرون على الجراح

جاء هذا الشعر في معجم الشعراء للربزباني ٣١٣ . وقوله : « بفناء معمور النواحي » كأنه يريد الكعبة ، وهى البيت المعمور ، ولبنى هاشم صلة وثيقة بهذا البيت إذ كانوا أهله وساكنى حرمه . ويصف فى البيت الأخير رقهم وتأثرهم بالهوى ، ونجدتهم وتحملهم لأهوال الحروب .

الحلق

يقول العامة للقرط : الحلق . والقرط : ما يعلق فى شحمة الأذن من حللى النساء ، ومجاز هذا فى لسان العامة أن القرط كان حلقة من الذهب أو غيره من الجواهر وكان يعلق بها درة أو حبة من جوهر نفيس . والقرط الآن قد لا يكون حلقة تنوس فيها حبة من الدر أو غيره . ويقال للقرط فى العربية : الخرص والرعة . وجاء فى القاموس (خرص) : « الخرص - بالضم ويكرر - : حلقة الذهب والفضة ، أو حلقة القرط ، أو الحلقة الصغيرة من الحللى كهيئة القرط وغيرها . والجمع : الخرصان » . وفى إصلاح المنطق ١٤٠ : « والخرص : الحلقة . يقال : ما فى أذن الجارية خرص » ، وفى المخصص ٤ / ٣ : « الخرص والخرص والخرص : القرط بحبة واحدة . وقيل ، هى الحلقة من الذهب والفضة » . وفيه ص ٤٤ : الخرص : الحلقة التى تسكون فى أذن الصبي أو الصبية أو المرأة ، فضة كانت أو ذهباً أو حديدًا أو صفراً .

وقد أخطأت العامة فى استعمال الحلق موضع الحلقة ، وإنما الحلق جمع الحلقة . وهذا كاستعمال المصران فى المعى الواحد ، وإنما المصران جمع المصير ، فتوهما المصران

مفردا ، وجمعه على مصارين ، وإنما مصارين جمع الجمع . ومن هذا القليل أنهم يقولون : أسورة في موضع السوار ، وإنما الأسورة جمع السوار ، وقد أخطئوا في كسر الهمزة . ولما جعلوا أسورة مفردا جمعه على أساور .

التناسب في الرسم للشعر

يقع في الشعر أن تختتم الأبيات بألف ترسم بصورة الياء وأخرى ترسم ألفاً . والمتبع رسم كل ألف بما تستحقه ، وكذلك الحروف المتحركة في القافية يكون منها ما حركته بعدها حرف من الكلمة ، وأخرى ما حركته لاحرف بعدها . وقد وقفت على نص في هذا الشأن يبيح مراعاة التناسب في الرسم كيفما كان . وإذا كان التناسب والازدواج يجيز تغيير الكلمة في اللفظ فأولى أن يجوز لذلك التغيير في الرسم ؛ كما قالوا : الغدايا والعشايا ، والغدايا جمع الغدوة ، ولا يكون ذلك إلا في هذا الموطن ، وإلا فهي الغدوات . ويقولون : أخذه ما قدم وما حدث ، فيضمون الدال في حدث مراعاة لقدم :

وأذكر أولا بعض الأمثلة لما نحن بصده ، ثم أتبعها بالنص .

قال بشر بن أبي خازم ، من شعراء المفضليات :

ألا بان الخليط ولم يزاروا	وقلبك في الطعائن مستعار
تؤم بها الحداة مياه نخل	وفيها عن أبانين ازورار
أسائل صاحبي ولقد أراي	بصير أبالطعائن حيث ساروا

فعلى كتابة التناسب يكتب : مستعارو ، ازورارو ، سارو . ويستحسن عدم كتابة الألف بعد الواو في ساروا ، مراعاة للتوافق ، وقد كان بعض القدماء يسقط الألف عامة بعد واو الجماعة .

وقال الشاعر ملغزا :

ولقد رأيت مطية معكوسة	تمشي بكلكلها وتزجيها الصبا
ولقد رأيت سبية في أرضها	تسبي القلوب وماتنيب إلى هوى

يريد بالمطية المعكوسة السفينة . وعكسها أنها لا تغلف كالمطايا ، يقال : عكس الدابة إذا حبسها على غير علف . وقوله : سبية أصلها سبيئة تخفف الهمزة بإبدالها ياء ، وإدغامها .

والسليمة : الخمر لأنها تسبأ أى تشتري . والسليمة : المرأة يسببها العدو في الحرب . وقد رشح هذا المعنى بقوله : تسبى القلوب ، ولكنه أشار بقوله : ما تنيب إلى هوى أنها ليست المرأة . والكتابة على التناسب تبيح أن يكتب الهوى : الهوا بالالف .

وقال عروة بن أذينة :

قالت وأبثتها وجدى فبحث به : قد كنت عندى تحب الستر فاستر
ألس تبصر من حولى ؟ فقلت لها : غطى هواك وما ألقى على بصرى

والرسم على طريقة التناسب أن يكتب : فاسترى بالياء على صيغة أمر المؤنث ، ويؤمن من الإلباس أن الخطاب للذكر .

وهاك النص : « إذا قيل : ما الاختيار في القوافي إذا كانت مقصورة وكان فيها بنات الواو والياء ؟ قيل : الاختيار أن تكتب كلها بالالف لتستوى القوافي وتشبه صورته في الخط . نص عليه الشيخ الرئيس ابن الأحذب في كتابه (شحد القريحة في علم القوافي) . ولم يحك خلافاً . وذلك لأن بنات الواو والياء يجوز كتابتها بالالف على اللفظ ، ولا كذلك عكسها ، فلما احتجنا إلى التسوية في القوافي في الفعلين كتبناهما بالأمر الجامع بينهما وهو الألف . ولأهل الأدب في الخط توسع مفرط . قال السيد : رأيت بخط عبد الملك العصامى رسم مثل البعد بياء بعد الدال بمناسبة يعدى في القافية الثانية ، كما في قول مهيأر الديلى :

وكنى ألوم العاشقين ولا أرى مزية ما بين الوصال إلى البعدى
فأهدى إلى الحب حبة أهله وما كنت أدري أن داء الهوى يعدى

فسأله عن ذلك فقال : مذهب المحققين من أهل الأدب أن كل ما اقتضته المناسبة يقضى به ، حتى إنهم قالوا : إذا ذكر القر - بضم أوله - مع الحر فإنه يفتح للتناسب . وحدث المفتوح يضم مع قدم [١] ، .

محمد علي النجار

كلمة الطب في حديث الذباب

البحوث والمراجع العلمية تؤيد الحديث الشريف : « إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله فإن في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء »

تحقيق على للدكتور محمود كمال والدكتور محمد عبد المنعم حسين

كثير التعرض لهذا الحديث وخصوصاً من جانب أطباء مكذّبين للحديث لعلمهم بأن الذباب ينقل العدوى والجراثيم الحاملة للرض ، ونحن نعلم أن من بين الأحاديث التي رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم ما هو صحيح وما هو مكذوب ، وكان على فقهاء الحديث أن يبينوا الصحيح ويستبعدوا المكذوب ، وتمسك رجال الحديث والفقهاء الأعلام بصحة الحديث لاستناده لثقة من الرواة ، وتمسك بعض الأطباء بالناحية الصحية وكذبوا الحديث ، وكنا نود أن يفهم الحديث على أسس ثلاثة :

- ١ — عدم التعرض لصحة الحديث فهذا من اختصاص فقهاء الحديث والعلماء الذين درسوا العلم والحديث وكيف يستبعدون الأحاديث المكذوبة .
- ٢ — محاولة البحث العلمي بافتراض صحة الحديث للوصول إلى حقائق أنبأنا عنها النبي عليه الصلاة والسلام : « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى » - قرآن كريم .
- ٣ — عدم الخوض في موضوع مادة الحديث قبل الرجوع إلى المراجع العلمية الكافية عن الحشرات وعن طفيليات الحشرات . لهذا وجدنا بعد قراءة الموضوع والمجاذلات المتبادلة بين الفريقين في الصحف والمجلات منذ مدة طويلة أن نحاول أن نرد الحق إلى نصابه . ذلك أن بعضنا بعد قراءة آراء فقهاء الحديث عن صحة الحديث لم يتردد في تصديقه وحاول أن يرجع إلى المراجع العلمية التي تؤيد صحة الحديث .

وقد جاء في المراجع العلمية أن الأستاذ الألماني بريفلد من جامعة هال بألمانيا وجد في عام ١٨٧١ أن الذبابة المنزلية مصابة بطفيلي من جنس الفطريات سماها امبوزا موسكي من عائلة اتوموفترالي من تحت فصيلة سيجومايسيس من فصيلة فيكومايسيس ويقضى هذا الفطر حياته في الطبقة الدهنية داخل بطن الذبابة على شكل خلايا خميرة مستديرة ثم يستطيل ويخرج على نطاق البطن بواسطة الفتحات التنفسية أو بين المفاصل البطنية وفي هذه الحالة

يصبح خارج جسم الذبابة . وهذا الشكل يمثل الدور التناسلي لهذا الفطر وتجمع بذور الفطر في داخل الخلية إلى قوة معينة تمكن الخلية من الانفجار وإطلاق البذور خارجها وهذا سيكون بقوة دفع شديدة لدرجة تطلق البذور إلى مسافة حوالى ٢ سنتيمتر من الخلية بواسطة انفجار الخلية واندفاع السائل على هيئة رشاش .

ويوجد دائماً حول الذبابة الميته والمتروكة على الزجاج مجال من البذور لهذا الفطر ، ورؤوس الخلية المستطيلة التي يخرج منها البذور موجودة حول القسم الثالث والأخير من الذبابة على بطنها وظهرها ، وهذا القسم الثالث أو الأخير دائماً يكون مرتفعاً عندما تقف الذبابة على أى مسند لتحفظ توازنها واستعدادها للطيران ، والانفجار كما ذكرنا يحدث بعد ارتفاع ضغط السائل داخل الخلية المستطيلة إلى قوة معينة وهذا قد يكون مسبباً من وجود نقطة زائدة من السائل حول الخلية المستطيلة . وفي وقت الانفجار يخرج من السائل والبذور جزء من السيتوبلازم من الفطر كما ذكر الأستاذ لانجيرون (أكبر الأساتذة في علم الفطريات) في عام ١٩٤٥ أن هذه الفطريات كما ذكرنا تعيش في شكل خميرة مستديرة داخل أنسجة الذبابة وهي تفرز أنزيمات قوية تحلل وتذيب أجزاء الخشرة الحاملة للرض .

ومن جهة أخرى تم في سنة ١٩٤٧ عزل مادة مضادة للحويوة (بواسطة آرشتين وكوك من إنجلترا وروليوس من سويسرا في سنة ١٩٥٠) تسمى جافاسين من فطر من نفس الفصيلة التي ذكرناها والتي تعيش في الذبابة وهذه المادة المضادة للحويوة تقتل جراثيم مختلفة من بينها جراثيم السالبة والموجبة لصبغة جرام وجراثيم الدوستتاريا والتيفويد وفي سنة ١٩٤٨ عزل بريان وكورتيس وهيننج وجيفيريس وماكجوان من بريطانيا مادة مضادة للحويوة تسمى كلوتيفينزين من فطريات من نفس فصيلة الفطر الذي يعيش في الذبابة وتؤثر على جراثيم السالبة لصبغة جرام من بينها جراثيم الدوستتاريا والتيفويد وفي سنة ١٩٤٩ عزل كوكس وفارمر من إنجلترا وجرمان وروث والتنجر وبلاتنر من سويسرا مادة مضادة للحويوة تسمى انياتين من فطريات من نفس صنف الفطر الذي يعيش في الذبابة تؤثر بقوة شديدة على جراثيم جرام موجب وجرام سالب وعلى بعض فطريات أخرى ومن بينها جراثيم الدوستتاريا والتيفويد والسكوايرا . ولم تدخل هذه المواد المضادة للحويوة بعد الاستعمال العلوي ولكنها فقط من العجائب العلمية لسبب واحد وهو أنها بدخولها بكميات كبيرة في الجسم قد تؤدي إلى حدوث بعض المضاعفات بينها قوتها شديدة جداً وتفوق جميع مضادات الحويوة المستعملة في علاج الأمراض المختلفة . وتكفي كمية قليلة جداً لمنع معيشة أو نمو الجراثيم التيفويد والدوستتاريا والسكوايرا وما يشبهها .

وفى سنة ١٩٤٧ عزل موفيتش مواد مضادة للحوية من مزرعة الفطريات الموجودة على جسم الذبابة ووجد أنها ذات مفعول قوى فى بعض الجراثيم السالبة لصبغة جرام مثل جراثيم التيفويد والدوستاريا وما يشبهها ، وبالبحت عن فائدة هذه الفطريات لمقاومة الجراثيم التى تسبب أمراض الحيات التى يلزمها وقت قصير للحضانة وجد أن واحد جرام من هذه المواد المضادة للحوية يمكن أن يحفظ أكثر من ١٠٠٠ لتر لبن من التلوث من الجراثيم المرضية المذكورة .

وهذا أكبر دليل على القوة الشديدة لمفعول هذه المواد .

أما بخصوص تلوث الذباب بالجراثيم المرضية بجراثيم الكوليرا والتيفويد والدوستاريا وغيرها التى ينقلها الذباب من المجارى والفضلات أو البراز من المرضى وهى الأماكن التى يرتادها الذباب بكثرة فكان هذه الجراثيم يكون فقط على أطراف أرجل الذبابة أو فى برازها وهذا ثابت فى جميع المراجع البكتريولوجية وليس من الضرورى ذكر أسماء المؤلفين أو المراجع لهذه الحقيقة المعروفة .

ويستدل من كل هذا على أنه إذا وقعت الذبابة على الأكل فستلصق الغذاء بأرجلها الحاملة للميكروبات المرضية، التيفويد أو الكوليرا أو الدوستاريا أو غيرها ، وإذا تبرزت على الغذاء سيلوث الغذاء أيضا كما ذكرنا بأرجلها . أما الفطريات التى تفرز المواد المضادة للحوية والتى تقتل الجراثيم المرضية الموجودة فى براز الذبابة وفى أرجلها فتوجد على بطن الذبابة ولا تنطلق مع سائل الخلية المستطيلة من الفطريات والمحتوى على المواد المضادة للحوية إلا بعد أن يلبسها السائل الذى يزيد الضغط الداخلى لسائل الخلية ويسبب انفجار الخلية المستطيلة واندفاع البثور والسائل .

وبذلك يحقق العلماء بأبحاثهم تفسير الحديث النبوى الذى يؤكد ضرورة غمس الذبابة كلها فى السائل أو الغذاء إذا وقعت عليه لإفساد أثر الجراثيم المرضية التى نقلتها بأرجلها أو برازها ، وكذلك يؤكد الحقيقة التى أشار إليها الحديث وهى أن فى أحد جناحيها داء (أى فى أحد أجزاء جسمها الأمراض المنقولة بالجراثيم المرضية التى حملتها) وفى الآخر شفاه وهو المواد المضادة للحوية التى تفرزها الفطريات الموجودة على بطنها والتى تخرج وتنطلق بوجود سائل حول الخلايا المستطيلة للفطريات ؟

تعليقات

عيد العلم

في نسبات الربيع من عامنا السابق ، ومن عامنا هذا ، تجاوزت الرغبات ، وتألفت الجهود في تنظيم المهرجان لعيد العلم .

وهذه يقظة جماعية تشهد بنضوج الوعي ، وانتباه المشاعر نحو أكرم معنى يعتبر خير مقوم للإنسانية ، ومبعث الحياة في الأرواح التي تحيا بها الأجسام ، ويسير في ضوئه الركب على مسرح هذا الوجود ، وما بنا من حاجة إلى الحديث عن العلم وبيان فضله على الدنيا ، ورفع من قيم الأفراد والجماعات . . فلك توجيهاً مركوزة في عقول الأحياء ، وتنبيهات على محامد شاخصة ، وهي أشبه بتوجيه المبصر إلى ضوء الشمس ، أو توجيه العطاش إلى ضرورة الماء .

ولنما حديثنا عن عيد العلم وما يقتضيه من مباحج تفصح عن تقديرنا للعلم ، وحرصنا عليه ، واعتزازنا به ، وإفادتنا منه لأنفسنا ، ولقوميتنا ، وللناس جميعاً .

ولأنه لمن تعبيرنا الصادق عن خلجات أنفسنا نحو العلم وعيده تلك الندوات التي تزخر بالعلماء والأدباء والتي يقوم عليها ولاة الأمر ، ويهيئون لها كل وسيلة تتيح لها أن تشع ضوء العلم في كل ركن ، وأن تبلغ صوته إلى كل سامع ، وأن تؤثر عبيره في كل ناحية ، حتى تهتز جنبات الوطن كله بذكريات العلم ، وفضل العلم .

وما كان لي كسفينا ابتهاجاً بعيد العلم ونحن في نهضة شاملة أن تخفق الرايات على مشارف الأبنية الحكومية ، ولا أن تصدح الموسيقى في أكشاك الحدائق ، ولا أن يتغنى أطفالنا ، والمطربون بيننا ، بما يستعذبونه من الألحان والأناشيد . فلك كلها تعبيرات قاصرة ، لا ترجم عما في الجوانح من بهجة بعيد العلم .

وكانت تلك الوسائل الشكلية المحدودة تكفيها في أعيادنا ، يوم كانت حياتنا ممتدة ، وكنا مع حكمانا سابقا نعيش في ظل باهت ، وجو خائق ، وكانت نظرتنا إلى المستقبل محجوبة بحواجز كشيقة .

فأما وقد غدونا في ظل ظليل من الحرية ، وصرنا في كفالة حكام أمناء يدفعون بالامة دفعا قويا إلى أهدافها ، فليس يكفيها في هذا العيد المبتكر الجديد ما كان يكفي من قبل ، بل لا بد من شيء جديد في هذا العهد الجديد .

ولا ريب أن في تلك الندوات ما ينم إلى حد بعيد عن شعورنا جميعا بهذا العيد .

في هذه الندوات تنبعث توجيهات يذيعها رجال العلم ، وينشرونها ، فتلتقيها الأسماع هنا وهناك ، ويقرؤها القاصي والداني ، فزيد الناس تعريفاً بالعلم ، وتجذبهم إلى موارده في تراحم ومثابة .

وفي تلك الندوات فيض من العطف ، يغمر النبغاء من أبطال العلم وأشباله ، يمنحهم الجوائز التي تنفخ فيهم الحيوية الدائمة ، وتبعث النشاط في نفوس الآخرين .

والعلم في حقيقة ومظهره وفي جلته وتفصيله قبس من نور الله تعالى ، تفضل به على عباده ، فبعث بالجانب الروحي منه رسله إلى الأمم يبلغونهم دعوة ربهم إلى توحيده ، وإلى الاتحاد والتعاون فيما بينهم ، وترك الجانب المادى منه للبواب والعقول تبذل في سبيله نشاطها ، وتدرك من أنواعه ما يتاح لها ، وتستخدمه في الانتفاع بالطبيعة والكشف عن أسرارها ، وتهتدى به إلى ما أودع الله في هذا الكون من آثار قدرته ، وبغائب صنعته .

ثم دعاهم إلى الجدة في دنياهم ، كما دعاهم إلى الحرص على دينهم ، وامتدح أهل العلم ورفع من قدرهم وأشاد بهم في كتبه السماوية ، وخاصة - القرآن الكريم - وعرفنا - سبحانه - أن العلم للدين والدنيا جميعاً ، وأنه وسيلة إلى الخير العام ، دون ضرر أو إضرار به ، ودون انحراف به عن أهدافه الإيجابية للبشر جميعاً ، ومن شأن العلم أن يرتفع بالأنفس عن لؤثة الغرور ، وأن يزيدها حباً في الخير للإنسانية ، وأن يصقلها صقلاً أدبياً يميز بينها وبين ذوى الجهالة والقسوة :

والعلم إن لم تكتف به شمائل غراء كان مظنة الإخفاق
وعلمنا مهما كثر قليل في ذاته : (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) .

وحينما يجتاز العقل البشري مراحل البحث ، ويستنفد طاقته فيما قدر له من معرفة تكون
الدنيا آذنت برحيل : (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها ، وازينت ، وظن أهلها أنهم قادرون
عليها ، أتاهم أمرنا ليلا أو نهاراً ، فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس ، كذلك نفصل
الآيات لقوم يتفكرون) .

ولعل في هذا النبأ الصادق تبصيراً لأولى العلم بالتواضع ، والتواضع ، وعدم الشطط
في الغرور . وبعد - فإذا كانت للناس أعياد تهز مشاعرهم بالتعاطف ، وتدني قلوبهم إلى
استشعار الإخاء والتصافي ، فمفيد العلم أجدر بذلك ، لأنه رباط يضمهم جميعاً في إطار واحد
واسع ، وإن تمايزت فيهم الجنسيات ، وتنوعت لديهم اللهجات ، والديانات .
ولو أن في الامكان أكثر مما يبديه اليوم من شعائر البهجة بعيد العلم لوجب أن نفعل ،
ولوجب أن نهض به من فترة إلى فترة ، بدلا من عام إلى عام .

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفيتش

الناحية الدينية في مدارسنا

من مقال للدكتور علي عبد الواحد وإفي في جزء جمادى الآخرة من مجلة (منبر الإسلام) :
« قامت النظم التي وضعها دنلوب للتعليم العام الابتدائي والثانوي ، وتعبد لها خلفاؤه
من الإنجليز والمصريين ، على إغفال ناحية الدين من التربية في المدرسة ، بل على محاربته
من وراء ستار ، ومحاربة ما يتصل به من شؤون التربية الخلقية والاجتماعية . وجريا
على طريقتهما الماكرة في ستر سوءاتها فسحت مجالا يسيرا لبعض دروس في الديانة ،
لكنها أمعنت في التهوين من شأنها فوضعتها في هامش المنهج الدراسي ، وأعفت التلاميذ
من الامتحان فيها .

ثم أخذت المدرسة المصرية بعد أن تحررت من سيطرة الإنجليز توجه بعض العناية لهذه
النواحي ، ولكنها لا تزال إلى الوقت الحاضر مقصورة في جنبها تقصيراً كبيراً ، ولا تزال
بعيدة كل البعد عما ينبغي أن تكون عليه .

الكتاب

شرح شعلة على الشاطبية

لأبي عبد الله محمد بن أحمد الموصلي - ٦٥٦ ص - نشره الاتحاد العام لجماعة القراء

منظومة الشاطبية في القراءات المسماة « حرز الأمان »، لأبي القاسم بن فيره الرعيني الشاطبي : (٥٣٨ - ٥٩٠) هي مرجع القراء في ضبط القراءات السبع المتواترة ، وعليها العمدة في مصر والعالم الإسلامي في تلقى كتاب الله وتلقيه حفظاً وتلاوة من القرن السابع الهجري إلى الآن ، لما امتازت به من الإحاطة وجودة السبك وعذوبة اللفظ وحسن التوجيه . وقد خدمت هذه المنظومة بالشروح الكثيرة ، وأحسن الاتحاد العام لجماعة القراء بنشر شرحها « كنز المعاني »، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الموصلي الشهير بشعلة (٦٢٣ - ٦٥٦) لما امتاز به من حسن النظام وجمال الترتيب ، حيث تكلم على كل بيت من ثلاث نواح : اللغة ، والإعراب ، والمعنى الذي هو المقصود الأول من الشرح . وبعد بيان معنى البيت وشرح المقصود منه والوقوف بالقارىء على قراءات الأئمة يبين وجهها من اللغة وعلتها من كلام العرب بلفظ موجز وعبرة سهلة .

وقد قام بتصحيحه ومراجعته والتعليق عليه الأستاذان الفاضلان الشيخ متولى عبد الله الفقاعى ، والشيخ محمد سليمان صالح المدرسان بمعهد القراءات بالأزهر ، فرجو الله أن ينفع به .

القرآن - آداب تلاوته وسماحه

لفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ حسنين محمد مخلوف - ٣١ ص - مطبعة لجنة البيان العربى هي رسالة وجيزة جامعة في آداب تلاوة القرآن الحكيم وسماحه ، وحكم قراءته بالتطريب والألحان ، وحرمة تلحينه كالأغاني . قصد بها التنبيه إلى الصواب ، والتحذير مما يعاب

في حق كلام الله جل جلاله ، والتأدب في تلاوته وسماعه بالأدب القويم ، المأثور عن الرسول الكريم ، وقد جاءت هذه الرسالة في وقتها عقب جرأة من لا يخافون الله في كتابه على ما لم يجرؤ عليه أعداؤه من قبل حتى أحبط الله فتهم ، على ما نشرناه في جزء صفر من هذا العام .

القرآن الكريم

بالرسم العثماني - ٩٦ صفحة - نشره جعفر محمد مصطفى

أهديت إلينا نسخة أنيقة من كتاب الله عز وجل على ما يوافق الرسم العثماني . محتومة بفصل في التعريف برسمه وطريقة ضبطه وعدد آياته واصطلاحات الضبط وعلامات الوقف ونقلها عن الطبعة الرسمية في سنة ١٣٣٧ . وهو مجهود مشكور في نشر كتاب الله وتعميمه .

الرسول القائد

للعقيد الركن محمود شيت خطاب - ٢٧٣ ص - المطبعة الإسلامية ببغداد

هو كتاب في سيرة الرسول الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - من الناحية العسكرية . مبدوء بعد بيان المصطلحات العسكرية بفصل عن الحرب العادلة والقتال في الإسلام ، تليه فصول عن الموقف العسكري العام قبل نشوب القتال ، وعن دوريات القتال والاستطلاع الأولى ، ثم الصراع الحاسم بين الإسلام والشرك في غزوة بدر ، وغزوة الحديبية وثمراتها وفتح مكة ، وغزوة حنين ، وحصار الطائف ، ومولد الامبراطورية الإسلامية في حملة تبوك . وختم الكتاب بفصل فني عن أسباب النصر الإسلامي بقيادة عبقرية ، وجنود متمازين ، وحرب مثالية عادلة ، وأن الأرض للصالحين .

لقد جرب كثيرون من أفاضل رجال الجيش في البلاد الإسلامية الكتابة عن السيرة الحمديدية من الناحية العسكرية ، وهذا الكتاب آخرها وأدقها بحثاً وأكثرها تحقيقاً . وقد قدم له سيادة الفريق الركن محمد نجيب الربيعي رئيس مجلس السيادة في العراق ، فنلفت إليه الأنظار .

ذكرى أبي الشاء الألوسي

الأستاذ المؤرخ عباس العزاوي المحامي - ١١٤ ص - طبع شركة التجارة والطباعة ببغداد

أبو الشاء شهاب الدين محمود الألوسي (١٢١٧ - ١٢٧٠) صاحب التفسير الكبير

(روح المعاني) علم من أعلام الإسلام في القرن الثالث عشر الهجري ، وقد أفرد حياته بالتأليف الأستاذ المؤرخ الكبير السيد عباس العزاوي الذي سبق لنا التنويه ببعض مؤلفاته القيمة التي ملأت فراغاً في المكتبة العربية . فألم في هذا الكتاب بعصر الألو سي وحياته وحالة الآداب والعلوم في زمانه ، معتمداً في كل فقرة على مستنداتها من تراث ذلك العصر ، وإن شطراً عظيماً من هذه المستندات والوثائق من مدخرات مكتبة المؤلف التي تعد من أثنى المكتبات الخاصة في العراق ، وتزداد قيمتها بما يصدره المؤلف من بحوث ومؤلفات متتابعة معتمداً عليها . زاده الله توفيقاً .

القلائد الجهرية ، في تاريخ الصالحية

لمحمد بن طولون الصالحى - ٥٩٥ ص - بتحقيق الأستاذ محمد أحمد دهمان

محمد بن على بن أحمد بن طولون (٨٨٠ - ٩٥٣) معدود في علماء الشام بمنزلة الجلال السيوطى في علماء مصر ، وقد أدرك ابن طولون ثلاثين سنة من حياة السيوطى ثم تأخر عنه ، وهو كالسيوطى في غزارة إنتاجه وكثرة مؤلفاته ، فقد بلغت ٧٤٦ مؤلفاً بين رسائل صغيرة وما يبلغ المجلد أو المجلدات المتعددة ، وكثير منها في التاريخ والخطوط .

وصالحية دمشق هي المدينة الرابضة في سفح جبل قاسيون المتصل بدمشق ، وهي مدينة علم لها فيه قدم صادق ومقام رفيع ولا سيما بعد نكبة فلسطين بالحروب الصليبية وجلاء آل قدامة وغيرهم من أعلام العلم والفقهاء إلى دمشق ، فكان استقرارهم بجبل قاسيون ونبغ منهم الإمام الموفق الذي قال عنه ابن تيمية : ما دخل الشام بعد الأوزاعي أفقه منه ، وأخوه الشيخ أبو عمر وهم من سلالة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وقد أقاموا في الصالحية مدارس ومعاهد للعلم ودورا للكاتب وألفوا في الفقه وأصول الدين وعلاوم السنة الكسب النفيسة التي جددت شباب العلم الإسلامى من القرن السادس الهجرى .

وكتاب القلائد الجهرية لابن طولون هو تسجيل لتاريخ العلم والدين والعمران في هذه البقعة المباركة من عاصمة بنى أمية ، وقد قام الأستاذ العلامة الشيخ محمد أحمد دهمان بتحقيق هذا الكتاب عن صورة شمسية للنسخة الوحيدة منه بخط مؤلفه ، وبعث فيه أضواء تزيل غوامضه وتقرن ماضى تلك البقاع بحاضرها . واستدرك عليه من التحقيقات والحقائق ما لا ينتظر

أن يصدر عن المؤلف نفسه لو أنه قام بهذا العمل العلى الجليل . وصديقنا الجليل الأستاذ الشيخ محمد دهمان هو الذى عهد إليه المجمع العلى الدقيق بدمشق تحقيق المجلد الثالث من تاريخ دمشق لابن عساكر ، فحضر إلى القاهرة لمقابلة الأصول التى تحت يده بالمخطوطة الثمينة منه الموجود كثير من مجلداتها فى المكتبة الأزهرية . فنشكره على عنايته السابقة بتاريخ الصالحية لابن طولون ، ونرجو له التوفيق فى مهمته اللاحقة لإنجاز جزء تاريخ ابن عساكر ، ولا يعرف قدر هذه الجهود العلمية إلا من يكابد أمثالها .

فرائد إسلامية نافعة

للاستاذ حمدى عبيد — مجموعة فى ستة كتب — المكتبة العربية بدمشق

زار القاهرة فى الشهر الماضى الأديب الدمشقى الفاضل السيد حمدى عبيد ، وأنحفنا بمجموعة من منشوراته القيمة ، إحداها رسالة فى ٢٠٨ صفحات بعنوان « إلى الحياة » ، وهى آيات من كتاب الله تدعو إلى الصلاح والإصلاح ، أتبعها كلمات توضحها وتسهل فهمها ، وكل كلمة منها مما ينفع المسلمين فى الدنيا والآخرة .

والثانية فى ١٨٤ صفحة بعنوان « من تراث النبوة ، فى العلم والحكمة والأخوة » وهى طائفة من أحاديث الرسول ، اختارها من صحيح البخارى وربتها وعلق عليها .

والثالثة فى ٩٦ صفحة بعنوان « الأحاديث النبوية فى الأخلاق والاجتماع والمدنية » ، وهى مائة حديث يحتاج إليها الخطيب والواعظ والتاجر والعامل والمحكوم والحاكم ، اختارها من صحيح البخارى ومسلم وربتها وعلق عليها .

والرابعة فى ٣٢ صفحة بعنوان « المختار من الأدعية والأذكار » ، اختارها من مختصر صحيح البخارى للزبيدى ومن كتاب الأذكار للنووى ، وألحق بها منسكا مختصرا فى ترتيب أعمال الحج .

والخامسة فى ٢١٦ صفحة بعنوان « من عيون الأخبار » وهى كلمات سياسة وعدل ، وعلم وفضل ، وأدب ونبل ، وجد وهزل ، اختارها من كتاب عبرون الأخبار لابن قتيبة .

والأخيرة فى ١٢٠ صفحة بعنوان « من صميم الحياة » فى التوجيه الخلقى والاجتماعى والسمو الروحى والمادى ، وهى كلمات فى النصيحة والتذكير تزيده على مائة كلمة مستمدة كلها من مبادئ الإسلام وتوجيهاته . فترجو الله أن ينفع بها .

الأدب والعلوم

تخطيط جديد شامل للتعليم الابتدائي

على كل نوع من أنواع البطالة باشتراكه في عمل الحقل وفي المصنع ضمن برنامج الدراسة، وأن يراعى مستوى البيئة التي يعيش فيها. وسيتعلم الطفل الآداب والسلوك والعادات الصحية والاجتماعية لتكوين جيل يحسن التصرف مع الأفراد والجماعات. وسيغنى في تدريسه بالمبادئ التعاونية الاشتراكية وتدعيم القومية العربية حتى إذا اكتمل متخرج المرحلة الابتدائية بذلك والتحق بالعمل في بيئته كان مواطناً مستندراً وعضواً صالحاً في المجتمع.

وتخطيط للإعدادى والثانوى والتعليم الفنى

وعقد السيد كمال الدين حسين اجتماعاً آخر مع خبراء وزارة التربية والتعليم استمر عشر ساعات، لوضع الخطوط الرئيسية للتعليم الإعدادى والثانوى العام والتعليم الفنى. وطلب من الخبراء أن توضع مواصفات معينة للتلميذ الذى يقبل بكل مرحلة، والمستويات التى يجب أن يصل إليها. وأن توضع مناهج جديدة تتلاءم وحاجة البلاد، ومواجهة زيادة عدد المقبلين على التعليم، ودراسة توحيد امتحانات القبول للإعدادى، وأن يراعى في مناهج

عقد السيد كمال الدين حسين اجتماعاً مع خبراء وزارة التربية والتعليم استمر ثمانى ساعات لوضع الخطوط الرئيسية لتخطيط مشروعات التعليم الابتدائى وأهداف الدولة في إعداد جيل المستقبل. قال لهم الوزير: إن مرحلة التعليم الابتدائى تعتبر من أخطر المراحل التعليمية التى يجب أن يعد فيها الطفل إعداداً سليماً، لأنه قد ثبت أن ٨٠ ٪ من تلاميذ المرحلة الابتدائية يكتفون بها وتكون معارفهم فيها هى سلاحهم الوحيد في الحياة.

إن المدرسين والنظار والمناهج والمباني يجب أن تتخذ كلها لإعداد تلميذ المرحلة الابتدائية إعداداً صالحاً، ومن أهم أهداف المدرسة الابتدائية أن لا ينفصل الطفل عن البيئة التى يعيش فيها، وأن لا يتعالى عليها في المستقبل أو يهرب منها. نريد أن نعد جيلاً يخدم بيئته التى عاش فيها وتعلم في مدارسها. ولذلك يجب أن يدرس الطفل كيف يحترم العمل اليدوى الذى هو أساس المجتمع، والذي سيقضى

وسيصدر قرار وزارى يحرم على المدارس استعمال الكتب غير المعتمدة .

صاروخ يبلغ المدار الشمسى

فى يوم الجمعة ٢ يناير أطلقت روسيا صاروخا موجهها إلى القمر بلغ وزن الجزء الأخير منه ١٤٧٢ كيلو جراما ، وهو مزود بأجهزة لمعرفة الحقل المغناطيسى للقمر ، وكثافة الأشعة الكونية خارج الحقل المغناطيسى للأرض ، والكشف عن النشاط الإشعاعى للقمر ، ودراسة توزيع النويات الثقيلة فى الإشعاع الكونى ، والعناصر الغازية بين الكواكب ، وذرات الأشعة الشمسية ، وجزيئات الشهب .

وقد عبر الصاروخ حدود روسيا الشرقية عقب إطلاقه ، ومر فوق المحيط الهادى وجزر هاواى وفوق جنوب سومطرة على ارتفاع ١١٠ آلاف كيلو متر من سطح الأرض . وهو يسير بسرعة ٧ أميال فى الثانية ، وقطع حتى مساء السبت ٣ يناير أكثر من ٢٨٤ ألف كيلو متر ، أى حوالى ٨٠ فى المائة من المسافة بين الأرض والقمر .

وفى يوم الثلاثاء ٦ يناير أعلن نويشيف نائب رئيس أكاديمية العلوم الروسية أن الصاروخ وصل إلى أقرب نقطة من القمر فى الساعة الخامسة والدقيقة ٥٩ من صباح ٤ يناير بتوقيت موسكو ، وبعد مضى ٦٢ ساعة على إطلاقه وصل إلى مداره حول الشمس .

المراحل الإعدادية والثانوية العامة موضوعات الفنون التطبيقية والأعمال اليدوية .

وقد تقرر أن يبدأ فوراً إنشاء المدارس الثانوية الشاملة التى يدرس فيها الطلبة المواد النظرية والعملية . وستكون الدراسة فى العلوم عملية بحتة ، وستلغى مدرجات العلوم ويستعاض عنها بالدراسة فى المعامل .

وأثار الوزير فى التعليم الفنى موضوع تخريج العامل الفنى الذى يعمل يديه فى الحتمل والمصنع والشركة ، ويقوم بصناعة وإعداد الآلات البسيطة التى لا يستطيع العامل البسيط القيام بها ، وأن توضع مناهج جديدة لتخريج الفنيين اللازمين لمشروعات السد العالي والوادی الجديد ، ومشروعات التصنيع على أساس أنه حقيقة واقعة .

وطلب دراسة إنشاء مدارس إعدادية تجارية للبنين لتخريج باعة وموظفين فنيين فى المؤسسات . وإعداد مناهج ثقافية جديدة تمس المهنة من حيث احترام العمل اليدوى . وإعداد كتاب للعلم به نماذج تيسر له العمل فى التدريس .

الكتب المدرسية

أعدت وزارة التربية والتعليم مشروع قانون بتجريم طبع كتب مدرسية إلا بعد عرضها على الوزارة ، ويوجب هذا القانون على المطابع أن تقدم - خلال ستة أشهر - جميع مآلديها من كتب مدرسية خارجية إلى الوزارة لمراجعتها

إنشاء السد العالي لنهر النيل

اتفاق

السد العالي

إلى الاتحاد السوفيتي وتقوم حكومة الجمهورية العربية المتحدة بتكوين هيئة خاصة تتولى الشؤون الإدارية والفنية والمالية للمشروع .

وبعد توقيع الاتفاق خطب المشير عبد الحكيم عامر فقال :

إن مساهمة الاتحاد السوفيتي في بناء السد العالي دليل جديد على المساعدة المخلصة التي يقوم بها الاتحاد السوفيتي بمساعدتنا في بناء اقتصادنا القوي بلا قيد ولا شرط .

الجيش العراقي

احتفل العراق بالذكرى الثامنة والثلاثين لتأسيس جيشه وخطب اللواء عبد الكريم قاسم رئيس الحكومة العراقية في هذه الذكرى فأكد تصميم العراق على انتهاز سياسة التعاون والتضامن التام مع البلاد العربية المتحررة في جميع الميادين السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية ، لتقف هذه الأمة صفاً واحداً في العمل على تحقيق أهداف القومية العربية وإعلاء كلمة العرب .

تم في يوم ٢٧ ديسمبر توقيع اتفاق المرحلة الأولى من بناء السد العالي بين الاتحاد السوفيتي والجمهورية العربية المتحدة ، وصدر بذلك بلاغ مشترك . وينص الاتفاق على أن حكومة الاتحاد السوفيتي تقوم بتوريد ما يلزم لهذا المشروع من آلات ومعدات وماكينات وكذلك المواد التي لا تتوافر بالجمهورية العربية المتحدة . وستوفد العدد اللازم من الإخصائيين الفنيين للقيام بالإدارة الفنية لتنفيذ بناء السد .

ولتنغطية النفقات التي تتكبدها الهيئات السوفيتية فيما يتعلق بتنفيذ التعهدات المشار إليها فإن حكومة الاتحاد السوفيتي تقدم إلى حكومة الجمهورية العربية المتحدة قرصاً طويل الأجل في حدود أربعمائة مليون روبل بتسهيلات كبيرة ، على أن تؤدي قيمة هذا القرص عن طريق توريد السلع المحلية

المواصلات لنقل الأفراد والمواد والمعدات اللازمة إلى مناطق التعمير ونقل منتجات الوادى الزراعية .

وإن مشروع الوادى الجديد لا يدخل ضمن مشروعات استصلاح الأراضى التى تعتمد على المياه التى يوفرها مشروع السد العالى ، وإن كان المشروعان سيرتبطان فى النهاية بالطاقة الكهربية التى ستستخدم فى إدارة المضخات والإبارة وتشغيل المولدات فى أراضى المشروعين .

وسوف يستخدم الفنيون جميع الوسائل لاستخراج المياه الجوفية ورفعها لرى الوادى الجديد الذى بدى فعلاً بزراعته ، وسيجلبون القوة الرافعة باستخدام الوقود والكهرباء والمراوح حتى الطاقة الشمسية .

مقاتلاتنا تسقط طائرة إسرائيلية
فى الساعة الواحدة بعد ظهر ٨ يناير اجتازت ٦ طائرات إسرائيلية حدود سيناء فوق منطقة القسيمة ، فتصدت لها أربع من طائراتنا المقاتلة ، ودارت معركة جوية أسفرت عن إصابة طائرتين شوهدت إحداها وهى تسقط داخل الحدود الإسرائيلية عند « بيرين » بينما اختفت الثانية فى السحب ، ولأدت الطائرات الإسرائيلية الأخرى بالفرار داخل الحدود الإسرائيلية .

وقد سجلت هذه المعركة بأجهزة التصوير المثبتة فى طائرات الجمهورية العربية المتحدة .

الوادى الجديد

الموازى لوادى النيل

أشار الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه يوم ٢٣ ديسمبر فى بورسعيد إلى أن الوادى الجديد الموازى لوادى النيل سيكون هو المشروع الذى يأخذ الأولوية الثانية بعد السد العالى . وكان معلوماً أن مياهها جوفية تقرب بكميات هائلة من منطقة بحيرة تشاد وتنحدر متدفقة إلى المناطق الواطئة فى اتجاه البحر ، وخلال العام الماضى كلف سلاح المهندسين فى الجيش بإرسال بعثات إلى المنطقة وحفرت آباراً تجارية بين الواحات .

وتفيد نتائج هذه الأبحاث أن أقل الاحتمالات الممكنة هى الحصول على مليون فدان جديدة تزرع وتصل الواحة الخارجة بوادى النيل الأصلية ، ويمكن أن يصل هذا الرقم إلى ثلاثة ملايين فدان . وقد تقرر البدء بدراسة المشروع على أعلى مستوى على ممكن ، وسوف تبحثه الوزارات المختصة ، ويعرض على خبراء عالميين ليليدوا آراءهم فيه . وإن كتابت الخدمة الوطنية التى تضم الشباب الفائض عن حاجة القوات المسلحة وغيرهم من المتطوعين سوف تسكف بالاشتراك فى تنفيذ هذا المشروع الكبير .

وقد تم وضع مشروع كامل للسكك الحديدية يربط بين وادى النيل والواحات ، إذ يعتمد تعمير الوادى الجديد على سهولة

صناعة

السفن بالإسكندرية

وقد تبودلت البرقيات بين الهيئة العامة لمشروعات السنوات الخمس بالإقليم المصرى والسلطات المختصة بالحكومة السوفيتية فى موسكو بالموافقة على أن يقوم الجانب الروسى بهذا المشروع ، وإحاقه باتفاقية التصنيع بين البلدين .

الحرب

على الإسراف

بعثت رئاسة الجمهورية خطابات رسمية إلى جميع الوزراء المركزين والتنفيذيين تطلب فيها إليهم أن يدرسوا جميع الأوضاع فى وزاراتهم على ضوء ما ذكره الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه فى المؤتمر التعاونى فيما يختص بموضوع الإسراف ، وطلب فيه إلى جميع الوزراء أن يكتبوا إلى رئاسة الجمهورية تقارير مفصلة عن اقتراحاتهم العملية - كل فى دائرة اختصاصه - لضغط هذا الإسراف وتلافيه ، وينتظر أن تشكل لجنة عليا لدراسة هذه التقارير ، وستدرس هى بنفسها الموقف فى جميع الوزارات على ضوء تقارير الوزراء ، وترسم خطوط السياسة العامة للحد من الإنفاق الذى يزيد عن حدوده فى كثير النواحي .

تبين لحكومة الثورة سنة ١٩٥٥ أن البلاد فى حاجة إلى إنشاء دارصناعة بحرية تتناسب مع احتياجات الدولة ، لاسيما بعد أن تعرضت البلاد لضغط اقتصادى وسياسى شديدين إبان حرب فلسطين لعدم توافر السفن وناقلات البترول وتعذر إصلاح هذه السفن إصلاحا فنياً فى المياه المصرية .

المشروع لإقامة دار صناعة السفن بالإسكندرية وطرح فى مناقصة عالمية فقدمت عدة دول بعروض لإقامته ثم رسا المشروع على الاتحاد السوفيتى ليقوم بتنفيذه فى عام ١٩٥٩ / ١٩٦٠ على أساس أن تكفى دار الصناعة لبناء سفن تجارية وحربية وناقلات بترول ، ويخصص ٧٠٪ من كفاءة العمل للبناء و ٣٠٪ للإصلاح ، ويسمح التصميم ببناء سفن مختلفة النوع يصل طولها إلى ١٦٠ متراً ويعادل إنتاجها السنوى ما حمولته ٥٠ ألف طن ، ويستخدم فى بنائها ١٥ طن من الصلب الناتج من مصانع الحديد والصلب بحلوان .

١٢
٢٢٢٢٦
دوريات

آراء وأحاديث

لصاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر

الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر



فضيلة الأستاذ الأكبر

الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر

- يوضح حكم الشريعة الإسلامية في المسائل الدقيقة التي تهم المسلمين وغيرهم .
- ويشرح الخطوط العريضة للسياسة التي وضعها فضيلته ، ليقوم الأزهر بأعباء رسالته العالمية .
- ويبين الحلول الصحيحة للمشكلات الدولية والمحلية

حديث الأستاذ الأكبر مع مندوب جريدة البوبولو الإيطالية :

الدكتور دليوكا انجيلو مندوب جريدة البوبولو صحفى إيطالى، طلب مقابلة فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر ، لا بوصف كونه صحفياً فحسب ، إنما ينضم إلى ذلك أنه صحفى يزيد أن يضع كتاباً عن النهضة الإسلامية في العالم ، وأثر هذه النهضة في دعم السلام وخاصة النهضة الإسلامية في الجمهورية العربية المتحدة ، التي تضم الأزهر قبلة العالم الإسلامى العلية ، والذي يتطلع إليه المسلمون والعرب على أنه بيده أمانة القومية العربية ، والمكان الذي تنشق منه الأشعة التوجيهية ، البلد الذي أنجب جمال عبد الناصر ، باعث القومية العربية ، ورافع لواء نهضتها ومذكى شعلة التقدم فيها .

قال الصحفى : لقد سمعت عن الشيخ الأكبر شلتوت وأنا في إيطاليا ، وتاقت نفسى لأن أرى إمام المسلمين ، ورائدهم ، وأن أجلس إليه لأستمع إلى حديث يتدفق معه سيل يحدد المسائل التي تعلق بالأذهان في هذه الحقبة من الزمن ، وتوضع أمامها علامات الاستفهام ؛ لأرفع علامات الاستفهام التي تتخيلها الأذهان وترسمها أمام بعض المسائل ، تمنيت ذلك كثيراً وعندما حدد لي الموعد الذى سألقى فيه الشيخ الأكبر وأستمع إلى إمام المسلمين تنبأت لهكتابى بأنه سيؤتى أكله ويفيد فائدته ، ويحقق الغاية العلية من ورائه .

أحاديث الأستاذ الأكبر

جلس الزائر إلى فضيلة الأستاذ الأكبر وحياء تحية عبقة في احترام وعمق تقدير ، فابتدرة فضيلة الأستاذ الأكبر بحسن ترحيب قائلاً : إننا نحكي فيكم البحث عن الحقائق ، وميلكم إلى الوصول إليها في دقة مهما كانكم الأمر ، وهذا هو الأمر عندنا في الشريعة الإسلامية ؛ تستحثنا على بذل الجهد وتحري الحقائق ، وتبعها أينما كانت ، وحيثما وجدت ، كما يأمرنا الله بالدقة في الأخبار بحيث لا يهجم الإنسان على العلم والمعرفة ، إلا بعد انتهاله من مناهلها الصحيحة ، ولذا يقول الله تعالى : **ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب . ولا تقف ما ليس لك به علم ، وقوله صلى الله عليه وسلم « إن رأيت مثل الشمس فاشهد وإلا فعد » .**

واستطرد فضيلة الأستاذ الأكبر قائلاً : إن الأزهر وشيخه ليقدر الصحافة حق قدرها ، فإنني أراها موجهة ومرشدة ومبصرة للناس والشعوب ، وذا ما يتفق إلى حد كبير ، وطبيعة رسالة الأزهر التي تقوم على المعارف الإلهية . تثير طريق الناس وتأخذ بأيديهم إلى الخير والسداد ، إن رسالة الصحافة تدفع إلى الطريق المستقيم حينما يحسن القصد وتخلص النية وبذا تصبح الأهداف قريبة والغايات يسهل الوصول إليها .

وإنني أعتقد يا أخى أن مقالا واحداً من صحفى يؤمن بفكرته ، ويأمل الوصول إلى غاية سامية ، لأجدى على المجتمع من آلاف الدروس والمحاضرات ، حيا الله الصحافة الحرة ، وبارك لها في أهدافها وقوى أجنحتها في كل مكان ؛ لتتعاون جميعاً على البر والتقوى إن شاء الله .

قال الصحفى الإيطالى مسيو دايوكا انجيلو : إننى لفخور بما ظفرت به الصحافة من جميل تقديركم لها ، وسامى شعوركم نحوها ، وأود أن أقول لكم : إننى بالرغم من أننى إنما جئت لأسجل ما أظفر به فى كتاب أعلن فيه عن النهضة الإسلامية ، فسأكتب مقالا فى أوسع الصحف انتشاراً لأننى أعلق على كل ما أظفر به من توضيح لرسالتكم فى الأزهر آمالاً كباراً ، بقدر ما يشاركنى فى ذلك الصحفيون والمسلمون فى أنحاء الدنيا .

• ما مدى التطور الذى يستطيع الناس أن يلبسوا فيه تحقيماً للببادئ التى تحرص عليها الأمم الحرة الآن لتكون دعائم السلام الذى تنشده ؟

أحاديث الأستاذ الأكبر

- وهنا قال فضيلة الأستاذ الأكبر بصوته الجهوري في ثقة وإيمان واعتزاز ، وقد رفع المصحف بيده : هذا هو القرآن الكريم ، ثالث الكتب ، أنزله الله سبحانه على محمد صلى الله عليه وسلم ؛ ليرشد الناس به إلى ما يجب أن يأخذوا به أنفسهم ، ويوحّدوا به حياتهم ، ويكونوا به مجتمעים ، على الوجه الذي يسعدّهم في الدنيا بالعزة والسلطان ، والتمسكين والهيمنة على الحق . « إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم » ، القرآن وضعت فيه مبادئ هامة وقوية ، يجب على البشرية أن تتعلمها وأن يتعرفوا إليها ، فإنه مهما تقدمت المدنية وانتصرت فلن تصل إلى ما حمله القرآن للبشرية جمعاء ، إن القرآن الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم تستطيع أن تجد فيه كل ما تعتبره المدنية حديثاً وجديراً ، فإليك النظام الذي جمع المصالح المشتركة ودافع عنها « يأياها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » . وفي سبيل ذلك يؤلف قلوبهم يارجاعهم إلى أصل واحد حيث يناديهم بتوّه تعالى : « يا بني آدم » ، في آيات كثيرة تنبه إلى أنهم من أصل واحد فأولى بهم التقارب والتآلف والتعارف والتناصر والتآزر ، وفي هيئات التحكيم وفي البوليس الدولي تستطيع أن تجد ذلك في قوله تعالى : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما » ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله » ، ثم تراه وقد نادى بالسلام نداء صريحاً واضحاً : « ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً » ، « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » ، « يأياها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة » ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين » .

من دعائم السلام

نشر العدل والإحسان

الظلم هو أساس الحروب وطريق من طرق نشر الفوضى وعدم الاستتباب ، بل هو أساس الاشتباكات التي تحدث بين الأفراد والجماعات ، لكن العدل هو اليد البانية ، والقلم الذي يخط خطوط الاستقرار والهدوء ، والذي يرسم الحق واضحاً ؛ فلا يأخذ من أحد ليعطى غيره إلا عن حق من غير ما طغيان أو ظلم « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » .

موقف الدين الإسلامي من الأدب الأخرى

إن الشريعة الإسلامية إنما جاء القرآن بها مصداقاً لما بين يديه من الكتب ، كما أنه يبحث

أحاديث الأستاذ الأكبر

على عدم التنابز بالأديان ، شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، .

والإسلام دائماً يدعو إلى الوحدة وينهى عن التنابز ، وينبه إلى التكامل ، وإذا قاتل فإنما هو قتال الدفاع لا قتال العدوان ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ، .

ولأنك لترى أن الدين الإسلامي لا يرغم أحداً ولا يكرهه على الدخول فيه ، لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ، ، ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً ، أفأنت تنكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ، .

أوثق الروابط بين الشريعة الإسلامية والأديان الأخرى

ولعلك تستطيع أن تدرك مدى ما يحرص عليه الإسلام من توثيق الصلات وتقوية الارتباطات بينه وبين غيره من الأديان ، لتصفو الأمة وتحدكبتها وتحافظ عناصرها بعضها على بعض ، فربط بينها وبينهم برباط المصاهرة التي يترتب عليها أن يكون خال الولد من أهل الكتاب ، وإذا وجدت هذه الخثولة توطدت العلاقات وقويت الصلات ، وكذلك ترى التبادل في المأكل والمشرب ، إذ أن التبادل دائماً مهمته تقريب القلوب وتحبيب النفوس ، اليوم أحل لكم الطيبات ، وطعام الذين أتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم ، والمحصنات من المؤمنات ، والمحصنات من الذين أتوا الكتاب ، ، وأحل في مقابلة هؤلاء هؤلاء إظهار الود وحسن تقريب القلوب .

« كيف تفرق بين كلمة الإسلام والجهاد الإسلامى ، وبين الثورة الحالية في سبيل التطور نحو مبادئ الاشتراكية والقومية العربية ؟

إن أساس الاشتراكية في الإسلام الزكاة ، والزكاة في حقيقتها وواقعها نقل الأمة بعض مالها من إحدى يديها وهي المستخلقة على حفظه وتسميته إلى اليد الأخرى وهي اليد العاجزة عن الكسب والانتفاع ، وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، ، وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ، ، فأنت ترى من هذا أن الزكاة في نظر الإسلام أخذ للبال من الأمة في شخص أغنيائها إلى نفس الأمة في شخص فقرائها . وهذا الوضع في الإسلام أقوى ما يحقق للأمة وحدتها .

وتكافلها الاجتماعى الذى تسعى إليه الأمم ومظهر هذا التكافل أن الله جلّت قدرته قد أوجب الزكاة في النعمية ، وأوجها في المواشى: في الإبل والبقر والغنم وفي الزروع والثمار والسلع

أحاديث الأستاذ الأكبر

التي يتجر فيها التجار من أى نوع ، وهذه هي الاشتراكية المنظمة في أجلى معانيها وفي أعمق مقاصدها ؛ ذلكم أنها ربطت الغنى بالفقر كما هي تعاون للشعب مع الحكومة والحكومة مع الشعب في الإصلاح والنظام العام ، فلا اشتراكية في الإسلام إذن تعاون مالى قوى وليست نهياً ولا قوة ولا غصباً ، فزكاة الزروع عامة في الزروع كلها في كل ما تخرجه الأرض . وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات ، والنخل والزرع مختلفاً أكله ، والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه ، كلوا من ثمره إذا أثمر ، وآتوا حقه يوم حصاده .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « فيما سقت السماء العشر » ، وهذا التعميم هو الذى يحقق التكافؤ الاجتماعى ، وتلكم هي الاشتراكية التى يوضح معالمها الإسلام ؛ فيما يحقق الألفة والإخاء بين أفراد الأمة وجماعاتها ، وهى النواحي الاشتراكية التى تشمل الثورة على تركيزها ، ونشر التكافؤ الاجتماعى بين أفراد الأمة .

يا أخى إن الثورة الحالية : تلكم الثورة البيضاء ثورة إذا ما تتبععت أهدافها وغاياتها وسبل الوصول إلى تلكم الغايات والأهداف ، لوجدت ألافارق مطلقاً بين الإسلام والجهاد الإسلامى ، وثورتنا المصرية .

ذلكم أن من مبادئ الثورة : —

١ — سلام لا استسلام .

٢ — الضمان الجماعى .

٣ — التعاون .

٤ — لا إقليمية ولا عصبية ولا مذهبية .

وتلكم كلها بما يدعو إليها الإسلام فهو يرى ، « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » ، « ولا تمولوا لمن أتى عليكم السلام لست مؤمناء » .

ومظهر الضمان الجماعى في الإسلام هو ما ربط بين أفراد الإنسانية برباط قلبى يوحد بينهم في الاتجاه والهدف ، ويجعل منهم وحدة قوية متماسكة يأخذ بعضها برقاب بعض ، سداها المحبة ولحمتها الصالح العام وهدفها السعادة ، قال تعالى : « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين

أحاديث الأستاذ الأكبر

أخويكم ، « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ، كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه » إن هذه هي الأخوة التي يعقدها الإسلام عن طريق واحد هو طريق الإيمان والعقيدة الصحيحة ، وعلى كل فإن الشعوب لا يعود إليها دائماً مجدها وعظمتها إلا إذا طهرت نفوسها من الذاتية والغرور .

ومبدأ التعاون هو الذي يقوم على أساسه بناء الدولة الإسلامية مترابطة متماسكة في عون وتفاهم ، والذي من أجله ينادى الإسلام « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » ويقول صلى الله عليه وسلم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » .

والمجتمع الذي تترايط أطرافه وتماسك أجزاؤه مجتمعه يستحق أن يحيا ، والإسلام يمتد الإقليمية والعصبية ، فقد نزل القرآن وفي العالم مجتمعات مختلفة الأسس والغايات ، استمدت حياتها من أوضاع بشرية ، على أن العصبية وليدة نزعات خاصة لاتمت إلى القلب الإنساني ولا إلى الصالح العام ، وفيما بينها يذوب الضمير العالمي والروح الإنساني ، ويقضى على الرحم وصلات القرى ، وبذا يصير أفراد الإنسان ومجتمعاته كالحيوانات المفترسة ، وكان من رحمة الله أن أنزل الكتاب إرشادا وهداية ؛ لنسلكه في تنظيم حياتنا الجنسية العصبية والإقليمية ونحوها .

وإن المتتبع لهذه النواحي ليجد الثورة ثورة لم تزحزح في خطواتها وتحقق أهدافها إلا وفق الشريعة من جميع نواحيها ، ومن ثم هيأ الله لها النجاح والتوفيق في كل خطواتها التي خططها لإصلاح هذا الوطن ، الذي طالما تطلع إلى الإصلاح حتى هيأ الله لمصر الشاب القوي المؤمن بجمال .

✽ ما موقف الإسلام من التقدم الذي أحرزته المرأة المسلمة حتى اشتركت في الانتخابات ؟

— الإسلام هو الذي رفع المرأة ومكن لها من حقوق لم تكن لها ، ورثها ولم تكن ترث ولا كانت تعطى ، « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا » .

ليس لأحد أن ينقص منه شيئا ، وبذا أنقذها من إبلاهم لها ورفضها من وهبتها فأخذت دورها في الحياة ، ويكفي أن تعرف مدى عناية الإسلام بها تلك التي تظهر في إبراز شخصيتها -

أحاديث الأستاذ الأكبر

فينزل الوحي برأيها في قوله تعالى « قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها ، وهي خوله بنت ثعلبة ، حين ظاهرها زوجها ، وكانت حالها كما وصفت للنبي صلى الله عليه وسلم إذ قالت : إن أوسا تزوجني وأنا شابة صغيرة مرغوب فيها ، فلما كبرت وكثر عيالي جعلني عليه كظهر أمه في سورة غضب ، ثم رجعت وندم ، قال لها النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل على فيك شيء ، وكانت في هذا كله تلتمس طريقا تعود به إلى زوجها ، وفعلنا نزل الوحي بما أرادت ، وهو الظهار الذي جعل له كفارة » والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتأسا . وأشركها سبحانه مع الزوج في الحقوق ، يقول تعالى : « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف » .

كما سوى القرآن بين الرجل والمرأة في العمل الصالح « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة » ويجعل عليها القرآن مسؤولية مستقلة فلا ينفعها عمل زوجها الصالح إن كانت فاسدة ، ولا ينفع الرجل الفاسد صلاحها هي إن كانت صالحة ، يقول صلى الله عليه وسلم « يا فاطمة اعلمي لا أغني عنك من الله شيئا » .

✽ — هل في نية الأزهر تدريس اللغة الإيطالية مع ما أدخل من لغات ؟

— فقال فضيلة الأستاذ الأكبر : نعم وسنعمل على الانتفاع بهذه الدراسة لدعم الصلة بين الجمهورية العربية المتحدة وبين جمهورية إيطاليا ، وإن اليوم الذي تتبادل تعلم الإيطالية والعربية فتفهموا معاني القرآن الجملة ، وتفهم بعض ما عندكم ؛ فتجاوب وتقتارب ، فهو يوم سعادة الإنسانية بما يحقق ذلك من خير للبدين ، أسأل الله تعالى أن يكتب الخير للإنسانية جمعاء .

✽ إلى أى حد اكتسب الإسلام بواسطة بعثاته ثقة الدول الإفريقية والآسيوية ؟

— أشرأبت الدول الإسلامية : الآسيوية والإفريقية جميعها نحو أزهر الجمهورية العربية المتحدة تطلب منه الأساندة المرشدين ، وتوفد إليه أبناءها ليعودوا إليهم هداة ومرشدين ، وكذلك يتجهون إليه يستفتونه في كل مشاكلهم الدينية والدنيوية .

✽ ما هي وجهة نظر الإسلام تجاه مشكلة تحديد النسل التي تعتبر ضرورية في مصر ؟

— إن كلمة « تحديد النسل » بهذا القيد وبمعنى إيقاف النسل إلى حد معين لا يتفق مع أمة تريد النهوض والقوة ، واتساع العمران ، وكثرة الأيدي العاملة في الزراعة والصناعة ،

أحاديث الأستاذ الأكبر

والمشروعات الهامة العامة ، وهو فوق ذلك لا يتفق وما حثت عليه الشريعة الإسلامية من الزواج ، وما بينته أيضا من امتنان المولى على الناس بنعمة البنين والحفدة ؛ كأثر من آثار الزواج مع طمأنينة النفوس على الرزق إذ يقول جل شأنة « والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ، ورزقكم من الطيبات » وجاء في وصايا الرسول (تناكحوا تناسلوا تكثروا فإنى مباه بكم الأمم يوم القيامة) ، (وسوداء ولود خير من حسناء عقيم) و (من ترك الزواج مخافة العيال فليس منا) ، والقرآن ينمى على أهل الجاهلية قتلهم أبناءهم مخافة الفقر « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم » ، وفي آية أخرى « نحن نرزقكم وإياهم » ، وأيضا فإن الله سبحانه وتعالى قد أعد مائدة لعباده في ظاهر الأرض وباطنها ، ولا يمكن أن تضيق عن حاجتهم وحاجة نسلهم مهساكثروا ومهما عاشوا ، وبذلك ترى أن التحديد بهذا المعنى العام تأبأ طبيعة الحياة ، وحكمة الحكيم تأباه ، وتنبه الوعي القومى لا يرضاه ، وكذا فإن الشريعة الإسلامية كما تبين من الآيات والأحاديث ، تمنعه ولا ترضاه ..

أما تحديد النسل بمعنى تنظيمه بالنسبة :

(أولا) للسيدات اللاتى يسرع إلهن الحمل .

(ثانيا) بالنسبة لذوى الأمراض المنقولة .

(ثالثا) بالنسبة للذين تضعف أعصابهم عن مواجهة المسؤوليات .

أقول : إن تنظيم النسل لشيء من هذا ، وهو تنظيم فردى لا يتعدى مجاله شأن علاجى تدفع به أضرار محققة ، والتنظيم بهذا المعنى لا يجافى الطبيعة ولا يأباه الوعي القومى ولا تمنعه الشريعة ، إن لم تكن تطلبه وتحث عليه .

ذلكم أن القرآن حدد مدة الرضاع بحولين كاملين ، وحذر الرسول صلى الله عليه وسلم من أن يرضع الطفل من لبن الحامل ، وهذا يقتضى إباحة العمل على وقف الحمل مدة الرضاع ، وإذا كانت الشريعة تتطلب كثرة قوية لا هزيلة ، فهى تعمل على صيانة النسل من الضعف والهزال ، وتعمل على دفع الضرر الذى يلحق الإنسان فى حياته ، ومن هنا قرر العلماء إباحة منع الحمل - مؤقتا - بين زوجين - أو دائما بهما أو بإحدهما داء من شأنه أن ينتقل فى الذرية والأحفاد ، وهكذا نرى أن الشريعة تحافظ على قوة الأمة ، وقوة أفرادها ، وتباعد بينها وبين أسباب الضعف ، فإن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف .

أحاديث الأستاذ الأكبر

والجمهورية العربية المتحدة مع هذه المشروعات الضخمة الصناعية والزراعية أشد حاجة إلى النسل الكثير القوى .

وهذا يتبين لنا أن الشريعة الإسلامية تبيح « تنظيم النسل » لا تحديده .

* ما رأى فضيلتكم في كيفية حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ومشكلة إسرائيل ؟

وهل توجد قرابة بين اليهود والعرب ؟ وهل يمكن العيش في ظل الخلافات والمنازعات الدائمة

بين العرب واليهود ؟

لا حل لهذه المشكلة إلا بأن يعود اللاجئين إلى أوطانهم التي منها أخرجوا بغيا وعدوانا ، وأن يتخلى الاستعمار عن دسائسه ، فهو الذي أوجد هذه المشكلة وأثار هذا الخلاف ؛ ليستطيع أن يعيش في الشرق العربي ؛ لأنه لا يستطيع أن يعيش إلا مع هذا الخلاف وذلك الانقسام ، ولو ترك الاستعمار العرب واليهود لعاشوا في تآلف وتعاون إخوة متحابين كما كانوا يعيشون قبلا ، وكما يعيشون اليوم في الأقطار العربية المختلفة .

وإذا كان الناس جميعاً يرجعون إلى أصل واحد ، يأبها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، ، « يأبها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » ، ويناديهم المولى دائما في القرآن ، إثارة لمعانى الود ، وتقريباً للنفوس « يا بني آدم » ، « يأبها الناس » ، فيردهم إلى أصل واحد ، ويربطهم برحم واحد ، ويخلق عليهم وصف الإنسانية منبع العلم والحكمة ؛ فإن واجب رجال الاستعمار إن كانوا يؤمنون بمعنى الإنسانية الفاضلة التي يزعمون أنهم وضعوا حقوقها وأنهم حراس عليها ، إن واجبههم يقضى عليهم بالتخلي عن موقفهم من إثارة نار العداوة والبغضاء بين العرب وغيرهم ، وأن يتركوا للعرب أرضهم التي جعل الله لهم فيها معاش ، وطلب منهم أن يعمروها ، فيعود الوئام والسلام إلى هذه المنطقة بل إلى الإنسانية كلها ، وهذا ما تتطلبه الأديان ، وتدعو إليه الشرائع ، وهذه دعوتنا نعلنها على زعماء الأديان وقادة السياسة ، وهي دعوة السناء إلى أهل الأرض ، وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ، ؛ حتى يستقر السلام ، ويظهر العالم من البغي والعدوان ، ويعيش في أمن ورفاهية وطمأنينة .

وفق الله الجميع لخدمة الإنسانية ، وأزال عنها كابوس البغي والعدوان .

الأستاذ الأكبر يشرح رسالة الأزهر في العصر الحديث

وكتب مندوب « المساء » يقول :

بدأت حديثي مع الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر ، بسؤال عن الوسائل العلمية التي يراها كقيمة بأداء الأزهر رسالته في عصرنا الراهن فأجبنى بقوله :

رسالة الأزهر رسالة ضخمة فهي ليست من الرسائل المحلية ، وإنما هي أعم من ذلك وأشمل . فهي رسالة تتجاوز ظاهر الحياة إلى باطنها ، وتتجاوز توصيل المعرفة للفرد والجماعة إلى تنمية العلاقات بين الشعوب الإسلامية من ناحية ، ونشر ثقافة الإسلام في جميع ربوع العالم من ناحية أخرى .

والأزهر في وضعه الحاضر لا يؤدي هذه الرسالة إلا بالأسلوب التقليدي القديم وإلا في نطاق ضيق محدود ، ونحن الآن أمام هذا الوضع بين عاملين . . إما أن تعدل الأوضاع وتيسر للأزهر مهمته ، وإما أن نبقى في ظل هذه الآفاق الضيقة ، ونخضع للأساليب القديمة ، ونظل هكذا حتى يفوتنا القطار ، ثم ندب الحظ بعد ذلك ونعتب على الأيام .

وقد لمست والحمد لله من السيد الرئيس عنايته الشاملة بالأزهر ، ورعايته له ومساعدته على أن ينهض برسائله ويؤديها خير أداء ، وأمام هذه الروح الكريمة لم يبق أمامنا إلا أن نسارع لتحقيق أمل المسلمين في العالم الإسلامي في هذا المعهد الكبير .

تخرج علماء أفذاذ :

ومن أجل تحقيق هذه الغاية ، لا أريد أن يخرج الأزهر المتعلمين فيه تخريجاً مدرسياً فقط ، وإنما نعمل على أن يخرج أئمة في اللغة وفروعها ، وأئمة الفقه والأصول ، لا نريده تخريجاً تلتزم فيه مخلفات الماضي من آراء ومذاهب ، بل يجب أن نجتهد وأن نؤمن بأن حاجة اليوم في الفقه واللغة وعقائد الدين غيرها بالأمس .

قلت لفضيلته : إن الرأي السائد أن باب الاجتهاد قد أغلق وأن لا مجال للاجتهاد الآن ، فرد علي في غضب وقال :

أحاديث الأستاذ الأكبر

هذا غير صحيح إنه إفلاس من الذين يذيعون مثل هذا القول . . غير صحيح ما يقال من أن السابقين جاءوا على كل ما يمكن أن يجيء به الزمن ، وما يحدث للناس من أفضية وحاجات ، علينا أن نؤمن بأن فضل الله لم يكن وقفا على الأولين .

تعديل المناهج :

قلت هل أفهم من هذا أنكم بصدد تعديل مناهج الدراسة . فأجبنى قائلا :
هذا إجراء لا بد منه ، وعندنا كنوز مطمورة أو ضائعة في غمرة نظام التأليف القديم ، فالفقه الإسلامى كما تعلم ثروة من ثرواتنا الغالية ، ولكن محاسنه غير واضحة المعالم فى الكتب الموجودة الآن ، ولا بد من تنظيم هذا الفقه تنظيما ييسر الانتفاع به لكل من يريد الانتفاع .
وعلى سبيل المثال أسوق لك أننى فى مؤتمر لاهائى الذى عقد فى سنة ١٩٣٧ للقانون المقارن ، قدمت بحثاً عن المسؤولية المدنية والمسؤولية الجنائية فى الشريعة الإسلامية ، وقدمت لهم نوعاً جديداً من المسؤوليات لا تعرفه القوانين ، موجود عندنا فى الفقه الإسلامى وهو المسؤولية السلبية ، وهو تقصير الإنسان فى عمل توجبه الإنسانية ، وذلك كما لو منع إنسان الماء عن آخر حتى مات . أو ترك مبصر أعشى يتردى فى هاوية ولم ينتقذه ، فالشريعة الإسلامية تحاسب على هذا العمل ولا تعفى صاحبه من المسؤولية .

هذا النوع من المسؤولية الإنسانية فى زوايا كتب الفقه غير مبرز وغير واضح لمن يريد الوقوف عليه .

تنظيم الفقه الإسلامى :

وواجبنا أن نعيد تنظيم الفقه الإسلامى ، وأن نوضح مقاصده ، وأن ننظم مسأله .
وليس هذا فحسب ولكنه جزء من مهمتنا ، وعلينا بعد ذلك واجب آخر لا يقل أهمية عن هذا الواجب ، وهو ربط الفقه بالحياة العامة ، ومعرفة رأيه فى كل مسألة من المسائل المستحدثة .
وعلى هذا النحو سيكون نظرننا لجميع مناهج التعليم فى الأزهر حتى نسمو بها ، ونفيد منها ونستفيد .

التنظيمات الجديدة :

وقلت لفصيلته : أريد أن أعرف المغزى من وراء التنظيمات الإدارية الجديدة التى صدرت أخيراً فأجاب بقوله :

أحاديث الأستاذ الأكبر

هذا التنظيم كان ضرورة لا بد منها لتنسيق الأعمال وتوزيع الاختصاصات ، فلكليات الأزهر لم يكن لها من قبل إدارة خاصة بها ، وكانت شئونها موزعة هنا وهناك بين الإدارات المختلفة بالأزهر ، فعملت على أن تستقل هذه الكليات بإدارة خاصة تعنى بشئونها وتنظيمها وتسيير أمورها ، وسيكون مديرها على صلة وثيقة بعمداء الكليات ، وكذلك الحال بالنسبة لشئون المعاهد الدينية مع مدير إدارتها .

قلت : وهل سيتبع هذا التنظيم إعادة النظر في تكوين هيئات التدريس بالكليات ؟

فقال فضيلته :

بطبيعة الحال ، سيكون من اختصاص مجلس الجامعة الأزهرية إعادة النظر في هيئات التدريس وتنظيمها من جديد ، تنظيماً يحقق الغاية المنشودة ، ويزيل كل أسباب الشكوى ، ويعمل على حفظ حقوق الأساتذة .

تعديل قانون الأزهر :

وقلت الأستاذ الأكبر : إن التنظيم الجديد سيستدعى بالطبع تعديلات في قانون الأزهر فقال :

إن قانون الأزهر يحتاج إلى مراجعة عامة ، لا فيما يتعلق بهذه التنظيمات والاختصاصات فحسب ، ولكن في كل ما يتعلق بشئون الأزهر .

واستطرد فضيلته قائلاً : إن نظام التعليم والمناهج الحديثة التي سيدرسها الطلاب مع إتقانهم للغات الأجنبية ، ستؤهلهم لأن يكونوا أفذاذاً في ناحيتهم ، مطلوبين للعمل في كل مكان ، ومن لم يجد منهم عملاً في الداخل سيجد أمامه في كافة أنحاء العالم الإسلامي مجالاً للعمل والخدمة العامة .

والذي أطلبه من إخواني الأزهرين جميعاً ، أساتذة وطلاباً أن يؤدي كل واجبه على وجه يرضى الله ويرضى الضمير ، مع شعور بالمسؤولية الكبيرة الملقاة على عاتقهم نحو وطنهم العربي ، ونحو العالم الإسلامي . فالعمل الخالص لوجه الله أساس كل نجاح .

فإنه لما وضع رجال ثورتنا هذه المبادئ الخالصة لوجه الله نصب أعيانهم ، مد الله إليهم يد المعونة ووفقههم ، ووصلت البلاد على أيديهم إلى ما نراه اليوم من عز وسؤدد .

حديث فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت

شيخ الجامع الأزهر ، مع مندوب صحيفة الشعب

جلست إلى الشيخ الأكبر . . إلى شيخ الجامع الأزهر . . إلى إمام المسلمين ورائدهم . . إلى الصيحة القوية التي ظلت تدوى أعواما طويلا ، مطالبة بالخروج بالأزهر من روتينه العتيق ، ومساريره لتطورات العصر الحديث بما يستحق من علوم وآداب .

وكان لابد من سؤال أبدأ به حديثي ليكون أول رد في حديث الشيخ الأكبر الشيخ محمود شلتوت بعد توليه منصبه الكبير . قلت لفضيلته :

* ما هي رسالة فضيلتكم في العهد الجديد ؟

— إن الحديث عن رسالة الأزهر ليطول بقدر ما سلخ الأزهر في الحياة العامة من قرون ناوأته فيها الأحداث ، فصمد أمامها ، ووقف دونها محافظا على كيانه وقوته ، مؤديا مهمته في الحفاظ على اللغة والدين ، متخطيا العقبات التي اعترضت طريقه ، حتى سلينا هذه الأمانة في عصرنا الحديث ، إنني إذ أحدثك عن رسالة الأزهر فإنما أجمل لك القول في نواح خاصة أحدد لك بها هذا الموضوع فيما يأتي :

١ — رسالة الأزهر في ذاتها ، وما يجب أن يكون عليه الأزهر حتى تؤدي هذه الرسالة .

وإن رسالة الأزهر في ذاتها هي تراث الفكر الإسلامي العميق الأصيل ، بل هي الحياة الإسلامية السليمة ؛ لأن مصدر هذه الثقافة هو القرآن الكريم وأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ، إن الأزهر بقيامه بهذه الرسالة إنما يحقق أمل المسلمين ، ويحمي آمال العروبة التي خدمها ، وقام على نهضتها والحفاظ على تراثها عن طريق دراسة القرآن العربي المبين ، الذي جعل الله له القدرة على أن يجعل من غير المسلم مسلما ، واستطاع أن يجعل من غير العربي عربيا ، وبذلك التقت العروبة والإسلام في صحن الأزهر وفي أروقته ، وفي كل مكان تنبض فيه الحياة العلمية . وإن مهمة الأزهر لم تسكن في يوم ما مهمة تخريج مدرسين ومعلمين فقط ، إنما تنظم أول ما تنظم أمرين هما أهم ما يجب أن يناط بالأزهر :

أولهما : تخريج أئمة مبرزين في اللغة وفروعها ، ورجال بحث واجتهاد سليم ، وابتكار مفيد ، وإذن لا نريده تخريجا نلتزم فيه مخلفات الماضي من آراء ومذاهب ، بل يجب أن

أحاديث الأستاذ الأكبر

نجهد ونؤمن بأن حاجة اليوم في الفقه واللغة وعقائد الدين غيرها بالأمس ، وأن فضل الله لم يكن قصرا على أولئك الأولين .

ثانيا - تخرج دعاة ومرشدين أقوياء في العلم والإدراك والتدين ، لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن الدعوة إلى الله .

ومن هنا يتضح لنا جميعا ما يجب أن يكون عليه الأزهرى - من أنه ليس أستاذ فصل أو فرقة ، إنما هو قبل ذلك أستاذ علم وبحث ، وأستاذ دعوة وإرشاد . وبذلك كانت مدرسته الشعب كله ، والعالم الإسلامى أجمع ، وكان طلابه المسلمين في جميع بقاع الأرض بكل طبقاتهم وأجناسهم ولغاتهم وأقطارهم ، وهذا هو ما يجب أن يشاد عليه صرح الأزهر في نهضته في عهد النهضة المباركة للجمهورية العربية المتحدة .

ومن هنا يتبين أن رسالتى هى تحقيق هذه الآمال ؛ ليؤدى الأزهر مهمته السامية نحو وطننا العربى والإسلامى ، هذه وجهتى وتلكم طريقي ، وإننى والمسلمين فى أنحاء الأرض لنتجه إلى الله فى تحقيق هذه الرسالة على يد الشاب المؤمن القوى الرئيس جمال ، الذى أحيا موات هذه الأمة ، وجعل فى كل ناحية نهضة ، لنتجه إلى الله أن يديم له التوفيق فى خدمة لقتنا وديننا وقوميتنا ، بما يمد به الأزهر من عون وتوجيه .

برنامج الأزهر

• فى محاضرة عامة عام ١٩٤٢ تحدثم عن برامج الأزهر وطالبتهم ببحثها وتغييرها ، فهل لازتم عند هذا رأى ؟

- أجل يا أخى : فإننى متمسك بنظرى فى وجهة الإصلاح ، ولا أحيد عنه إلا لما هو أكثر صلاحية ، وإننى وإن كنت قد أبدت وجهة نظرى فى إصلاح الأزهر فى الوقت الذى أشرت إليه ، فإن الأزهر اليوم لسعيد بأن تحقق له هذه الآراء ، وأن تجد لها مجالا من الحياة ، إذ قد شغ من الشرق على العالم كله نور الإصلاح الذى حملته ثورة مصر الحديثة ، على يد قائدها وبطلها الذى يولى الأزهر عنايته الكبرى ؛ إيماننا منه بدينه وعنايته القوية .

هذه هى وجهتى فى إصلاح الأزهر كما قدمت ، وكما ذكرت فى « رسالة الأزهر » ، التى بينتها فى المؤتمر الثقافى فى الصيف الماضى - وهى مهمة كبيرة ، وعبء يحتاج إلى التعاون ، وإن

أحاديث الأستاذ الأكبر

ثقتى فى إخوانى وأبنائى الذين يتعاونون معى ، ويشاركوننى تحمل هذا العبء بعد إيمانى بالله وتوجهى إليه ، ثم معاونة رجال الحكومة وعلى رأسهم الرئيس العظيم ، وهم أمل هذه الأمة ، وروح هذه النهضة . لتجعل الأمل قوياً فى أن يصل إصلاح الأزهر إلى غايته التى يعلق المسلمون عليها آمالاً كباراً .

رسالة الجامعة الأزهرية

* الجامعة الأزهرية - ولا شك - من أقدم الجامعات فى العالم فإذا أعدت لها لتؤدى رسالتها فى عهدكم نحو المسلمين فى جميع بقاع العالم ؟

— الأزهر يا أخى هو الجامعة الوحيدة فى العالم التى تضم أمم الأرض بين أحضانها ، وتحنو عليهم وتوجههم ، ثم يعودون إلى أوطانهم التى نفروا منها مفقدين لقومهم . الأزهر فيه السودانى والمغربى ، والحبشى والسنغالى والزنجانى ، وفيه النيبى والاندونيسى والفلبينى ، وفيه التركى واليونانى والألبانى ، واليوغسلافى والروسى ، وفيه الصينى والهندى ، وفيه الخ . وأود أن يعلم الناس جميعاً أننى معنى كل العناية بمعهد البحوث الذى يضم هؤلاء جميعاً ، فإنهم رسل بيننا وبين بلادهم ، بل هم نشرات حية إلى الأمم المحبة للسلام فى الأرض ، ومن أجل ذلك كله عنيت كل العناية بإصلاح مناهج الدراسة فى هذا المعهد ، بحيث يفيد كل وافد إلى الأزهر ، ويهياً لأن يعيش فى بيئته على الوجه الذى يحقق له حياة سعيدة ، فأمرت بتكوين لجان لبحث المناهج فيه ، ورسم الخطط التى تحقق هذه الغايات جميعها ؛ وذلك ليحقق الغاية التى لأجلها بعث المسلمون بأبنائهم إلى الأزهر . وحتى يكونوا نشرات متطورة إلى أممهم ، رابطين بيننا وبين أممهم بألوان الصلات والود ؛ بما يحقق السلام فى الأرض .

وأما البحوث التى يرسلها الأزهر إلى البلاد العربية وغير العربية ، فإننى حريص على ألا أرسل إلا الصالح الذى يستطيع أن يؤدى رسالة الجمهورية العربية المتحدة فى عصرها الزاهر ، ونهضتها المباركة ، ولعلك عرفت بعض ذلك عند ما تكلمت معك عن مسابقة اللغات ومعهد الإعداد والتوجيه .

الكتب الصفراء

* الكتب الصفراء تشغل الآن كثيراً من الأذهان ، فهل لكم رأى فيها يوضح الرأى والاتجاه حيالها ؟

أحاديث الأستاذ الأكبر

— إن الكتب الأزهرية القديمة التي تركها لنا الأولون ، والتي خرجت جهاذة العلماء ذات قيمة علمية ، ولا دخل للون الورق فيها بياضا أو صفارا ، وإنما قيمة الكتاب فيما يحويه من أفكار سليمة أو غير سليمة ، وإنما لا ننكر أن بعض الكتب تأسير موضوعاتها ، ولا طريقة عرضها روح العصر ، ولذلك فإنني حريص كل الحرص على أن يوجه الطلاب إلى النافع منها ، وأن تقوم اللجان التي ستؤلف لبحث المناهج والكتب بالعمل على أن تصل الطالب ببيئته وبالجو المحيط به ، من ناحية دينه ووطنه وقوميته ، فإن عقلية الأزهرى تتسع لما توجه إليه من علوم ومعارف ، فأولى بها أن توجه التوجيه الصالح .

ويذكرني هذا الحديث بما دار حول « غطاء الرأس » واختلاف الرأى فيه . وكان ردى « أن العبرة بما فى الرأس وليس بما يغطى الرأس » .

مسائل تربوية

* لقد اجتمعتم بالسيد كمال الدين حسين ودام الاجتماع وقتا غير قصير . فهل دار بينكما حديث حول الثقافة والتعليم ؟ أم كانت الزيارة للتهنئة بالشفاء وخالص التمنيات ؟

— إن السيد كمال الدين حسين من خيرة الشباب الناهض الواعى ، وقد تحدثنا فى كثير من المسائل التربوية ، وقد شكرت لسيادته حرص الحكومة على تثقيف أبناء الأمة تثقيفا دينيا ، وما أجمال هذا الحرص عندما يأتى من الحكومة والأزهر فى وقت واحد .

ترجمة القرآن

* هناك محاولات فردية يبذلها البعض لترجمة القرآن الكريم . . فما رأيكم فى ذلك ؟ وهل يقومون من جانبكم بهذا العمل الجليل وتحمل مسئولياته ؟

— إننى معنى كل العناية بإصلاح نظام جماعة كبار العلماء ، حتى تؤدي مهمتها ، وتحقق الغرض من وجودها ، وسيهيا لها فى القريب العاجل إن شاء الله النظام الذى يمكنها من أداء مهمتها فى الثقافة التى يرجوها المسلمون على أيدي علماءهم ، ويوم أن يتكامل هذا النظام سيكون ضمن مهمة الجماعة وضع تفسير سهل لميسر للقرآن الكريم . . منبع النور والهداية ، ثم يترجم هذا التفسير إلى اللغات الشرقية والغربية ؛ ليقضى على ما غرسه الاستعمار فى عقول كثير من أبناء المسلمين من أفكار خاطئة جعلتهم شيعا وأحزابا . . وغير ذلك من المشروعات المساعدة فى الوصول إلى هذا الهدف العظيم .

العصية المذهبية

* يتخذ الاستعمار من العصية المذهبية وسيلة للتفرقة بين المسلم والمسلم ، فهل وضعتهم أمام أعينكم هذا الاعتبار ، وحاربتهم وقضيتهم على هذه العصية كوسيلة من الوسائل الاستعمارية التي يجب التخلص منها ؟

— يا أخى إن الاستعمار كما قدمت لك قد غرس مبدأ « فرق تسد » ، واستغل بعض الخلافات المذهبية فى تنفيذ هذا المبدأ ، وإننى أرجو أن يهيا للأزهر الوقت الذى يستطيع فيه التقريب بين المذاهب المختلفة ، فكلها يتجه إلى غاية طيبة ، والكل يتفق فى المنبع الذى ينهل منه ، وهذه الخلافات إنما جرت للمسلمين نتيجة لآراء المتأخرين المتعصبين من الفقهاء ، وفى المناهج التى أرجو أن تحقق إن شاء الله فى الكليات . من الفقه المقارن وغيره ، ما آمل أن يقضى به على هذه العصية التى أثرت فى وحدة المسلمين .

النشاط الرياضى والاجتماعى

* يقولون إن العقل السليم فى الجسم السليم ، فهل فى برنامج فضيلتكم ما يقوى الأبدان من نشاط رياضى واجتماعى إلى جانب الثقافة النظرية ؟ . .

— فى علوم الأزهر وجهة البحث العميق ، والاستنباط من المصادر الأولى الشرعية واللغوية ، مع المقارنة بين الآراء والأفكار ، فيما قد يكون فى المسألة من مذاهب وآراء ، وهو كثير فى على الأحكام والعقائد .

وإننى وأنا المؤمن بأن ما للتربية الرياضية والاجتماعية من أثر محمود فى بناء الفرد الصالح للمجتمع ، فقد عנית العناية الكاملة بالنشاط الرياضى والثقافى والاجتماعى ، وقضيت على المركزية فجعلت كل معهد مستقلا فى ميزانية النشاط يوجهها فى طريق مصلحة الطلاب وخدمتهم ، تحت إشراف مراقبة أشد فى الأزهر لهذا الغرض . وهى تقوم بمهمتها خير قيام . وأحب أن أنبه إلى أن النشاط الرياضى يختلف أنواعه ونواحيه فى كليات الأزهر ومعاهده قائم على أتم وجه ، ولا أقول إنه بلغ الكمال فإننى معنى بأن يزيد ويتكامل ؛ فإن الدين الإسلامى يحث على هذا ، ويذم إليه إذ أن العقل السليم فى الجسم السليم ، « والمؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » .

أحاديث الأستاذ الأكبر

وأما النشاط الاجتماعى فهمة أساسية من مهمة الأزهر ، وذلك فضلا عن الدراسات الاجتماعية التى أقبل عليها طلاب الأزهر ، واتجهوا إليها فأثبتوا فيها تفوقا وتقدما ، وإن المجلس الأعلى لرعاية الشباب الذى يعنى بهذه النواحي ، ليجد فى الأزهر الحامات الطيبة الأصيلة ، وإننا نرجو أن يعنى المجلس إن شاء الله بزيادة ميزانيته فى الأزهر فى العام القادم ، فقد اتويت أن أنشئ فى الميزانية الجديدة مراقبة مستقلة للتربية العسكرية والنشاط الرياضى والاجتماعى ، وأظن أن الإقليم الجنوبى قد رأى القوة العسكرية التى أبداهها طلاب الأزهر فى العرض العام الذى أقيم فى يوم عيد النصر ، كما شهدنا أخيراً فى العرض العام الذى أقيم بمناسبة مؤتمر الشباب الآسيوى الإفريقى ، الذى يضم مختلف الجنسيات الممثلة فى الأزهر ، والتى تسهم فى نشاطه الثقافى والرياضى والاجتماعى . ولعل ذلك كله قد لمسته حينما قرأت كتابى « منهج القرآن فى بناء المجتمع » فإن للقرآن الأثر القوى فى خلق المجتمع الحى القوى السليم .

سنن القبول

• يتردد أن فى النية تعديل سنن القبول بالأزهر فما الغرض من هذا التعديل ؟ .

— إن ما سمعته صحيح فالتفكير جاد فى أمر تخريج الأزهرى ذى القدرة على مواصلة الدرس والتثقيف ، وخاصة بعد ضم جمعيات المحافظة على القرآن الكريم إلى الأزهر . وسيدرس هذا الموضوع ويبت فيه عند إعادة النظر فى المناهج الدراسية .

معهد الفتيات

• سمعنا عن فكرة إنشاء معهد للفتيات ولم نستبعد هذه الفكرة ؛ لأن فى التاريخ الإسلامى ما يثبتنا بوجود قاضيات ومشروعات ومحدثات فى الدين . . فما رأى فضيلتكم فى هذا الشأن ؟

— إلى الآن لم نصل إلى الوقت المناسب لإنشاء مثل هذا المعهد . . ثم إن بعض الوعاظ فى بعض المساجد يقومون بإلقاء الدروس على السيدات فى أوقات معينة ، ولعل ذلك يكون النواة والتمهيد لإنشاء مثل هذا المعهد فى الوقت المناسب .

أحاديث الأستاذ الأكبر

معهد المحلة الكبرى

• يقولون إن معهد المحلة الكبرى لم يفتح حتى الآن . وكان من الممكن أن يكون ذلك منذ بدء الدراسة أو بعدها بقليل . فما الداعي لهذا التأخير ؟

— إن افتتاح مثل هذا المعهد أى خلقه وتكوينه يحتاج إلى وقت حتى لا يكون عملنا ارتجاليا ، ونواجه المشكلات الواحدة تلو الأخرى بعد التعجيل فى افتتاحه .

إنما نحن سائرون فى استكمال أجهزته وهيئة تدريسه وأدواته ؛ حتى يبدأ ويسير دون عقبات أو مشكلات (كان هذا الحديث قبل افتتاح المعهد) والآن قد تم بفضل الله ، ثم بمعونة السيد الرئيس جمال عبد الناصر ، افتتاح هذا المعهد افتتاحا كاملا ، كما يريده المسلمون عامة ، وشعب الجمهورية العربية المتحدة خاصة ، وذلك تحقيقا لخطوط الإصلاح العريضة التى رسمها فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر .

• تدريس اللغات الأجنبية فى الأزهر خطوة جريئة . فما الداعي للتعجيل بها وإجراء المسابقات فى هذه اللغات ؟

— أنت تعرف والمسلمون جميعاً أن الأزهر هو قبلة الأنظار فى جميع الأقطار ، يفد إليه الطلاب من كل صوب ، ومن مختلف الجنسيات والبيئات ، ولما كان كثير من المسلمين فى مختلف أنحاء الأرض لم تمكنهم ظروفهم الخاصة من تلقى ثقافتهم العربية والإسلامية من منابعها الأولى فى الأزهر ؛ لأن الاستعمار عمل جاهدأ على إبعادهم عن لغة القرآن وتعاليمه ، التى تبعث فى نفوسهم معانى العزة والكرامة ؛ لذلك فهم يتوجهون إلى مشيخة الأزهر بطلبات كثيرة يعربون فيها عن مسيس حاجتهم إلى الأزهر ، بمدم بعلمائه حيث يزودونهم بمصادر الثقافة الإسلامية بلغاتهم الخاصة ، ورسالة الأزهر تقتضيه أن يجيب هذه الرغبات ، مع ملاحظة أن يكون العالم المبعوث إلى هذه الجهات ملما بلغتهم فوق إلمامه بالثقافة الإسلامية . لذلك قد اتجهت لتحقيق هذا الغرض من طريقين . أولهما : اختيار من يصلح لأداء هذه المهمة من المتخرجين فى الأزهر المجيدين للغات الأجنبية ، لبعثهم إلى هذه الجهات . وذلك عن طريق مسابقة أجراها الأزهر فى شهر ديسمبر الماضى . وكانت نتيجتها طيبة ، تبعث الأمل فى أن الأزهر بإذن الله سيحقق أمل المسلمين فيه ، وستعقد هذه المسابقة فى كل ستة أشهر لاختيار الصالح من المتقدمين ليكون رسول الأزهر إلى إخوانه المسلمين .

أحاديث الأستاذ الأكبر

وقد نجح في هذه المسابقة تسعة وثلاثون أزهرياً في اللغات الثلاث « الإنجليزية والفرنسية والألمانية » وستتخذ الإجراءات السريعة لبعث المتفوقين منهم فوراً ، وأما الباقيون من الناجحين فسيلاحظون بمعهد « الإعداد والتوجيه » الذي يعتبر الأول من نوعه في تاريخ الأزهر ، والذي سيفتح أبوابه في الفصل الدراسي الثاني من هذا العام ، حتى يتم إعدادهم فيه إعداداً يلبون فيه بلغات البلاد التي يبعثون إليها ، وبعاداتها وتقاليدها ومذاهبها التي اتخذت سلاحاً في تقطيع ما بين المسلمين من صلات الرحم الثقافي الإيماني . . ويلبون أيضاً فيه بالثقافة الإسلامية الواسعة .

وأما الطريق الثاني فقد رأينا تدريس اللغات الأجنبية في المعاهد الدينية ، ومعهد البحوث الإسلامية والكتليات الأزهرية ، وذلك ليتزود الطالب الأزهرى مع ثقافته الدينية باللغات الأجنبية التي تمكنه مستقبلاً من أداء مهمته نحو إخوانه الذين لا يتكلمون العربية . وقد أدخلت فعلاً بالمعاهد الدينية والكتليات .

نداء

وإنني لا توجه إلى إخواني وأبنائي الأساتذة والطلاب ، في أن يكونوا معاوناً لي في تحقيق هذه الغاية ؛ بأن يؤمن كل منهم بواجبه ، ويخلص الإخلاص كله في أدائه ، وأن يحرصوا على أداء الأزهر لرسائله نحو وطنهم العربي والإسلامي . وليكن لهم في رسولنا الأسوة الحسنة ، وفي زعيمهم وبطل نهضتهم ورجال ثورتهم القدوة الصالحة . والله المستعان ، عليه توكلت وإليه أنيب .

فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر يقول :

الإسلام دين الوحدة

دعا الإسلام إلى الوحدة ، وجعل المحور الذي يتمسك به المسلمون ويلتفون حوله هو الاعتصام بحبل الله ، وقد جاء ذلك في كثير من آيات الذكر الحكيم ، وأصرحها في ذلك قوله تعالى في سورة آل عمران « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » .

نهى عن التفرق ، والتفرق بعمومه يشمل التفرق بسبب العصبية ، وقد صح « لا عصبية في الإسلام » ، وبسبب المذهبية . وقد انبثقت المذاهب الفقهية الإسلامية على كثرتها واختلاف طرقها من أصول واحدة هي « كتاب الله وسنن نبيه » .

الاجتهاد في الشريعة الإسلامية :

وقد كان للاجتهاد في الأحكام مجال واسع تفرقت به المذاهب وتعددت ، وعلى رغم تعددها واختلافها في كثير من الأحكام ، وتعدد الآراء في المسألة الواحدة ، فقد كان الجميع يلتقون عند حد واحد وكلمة سواء ، هي الإيمان بالمصادر الأولى وتقديس كتاب الله وسنة الرسول ، وقد صح عن جميع الأئمة : « إذا صح الحديث فهو مذهبي » ، واضربوا بقولي عرض الجائط ، .

من هنا تعاون الشافعي ، والحنفي ، والمالكي ، والحنبلي ، والسني والشيعة ، ولم يندر الخلاف بين أرباب المذاهب الإسلامية إلا حينما نظروا إلى طرق الاجتهاد الخاصة وتأثروا بالزغبات ، وخضعوا للإيحاءات الوافدة فوجدت نقوب نفذ منها العدو المستعمر ، وأخذ يعمل على توسيع تلك الثقوب ، حتى استطاع أن يلج منها إلى وحدة المسلمين ، يمزقها ويفرق شملها ويبعث العداوة والبغضاء إلى أهلها ، وبذلك دبّت فيما بينهم عقارب العصبية المذهبية ، وكان من آثارها السيئة ما كان مما يحفظه التاريخ من تنازع أهل المذاهب بعضهم مع بعض ، وتحين الفرص لإيقاع بعضهم لبعض ، والدين من ورائهم يدعوهم : هلبوا إلى كلمة الله « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا إن الله مع الصابرين » .

انتهى زمن هذه العصية :

هذا وقد مضى زمن تلك العصية الجاهلية ، وانطوت صفحاتها المظلمة ، وعرف المسلمون أن اختلاف الأشقاء لا يمكن أن يدوم ولا أن يطرد ، فلا بد أن يأتي عليهم يوم يحقّقون فيه نسبهم إلى أبيهم ، وينتمون فيه إلى أصلهم الذي انبثقوا منه وقرعوا عنه ، وأخذت هذه الروح تنمو ، وتضيق شدة الخلاف بين أهل المذاهب حتى اقتدى الحنفي بالشافعي ، والسني بالشيعة ، وتبودلت المنافع بينهم ، واتصلت الآراء وأخذ كل ينتفع بما في مذهب الآخر ، حتى وصلنا إلى وقتنا هذا ، وقد رأينا كتباً وخاصة كتب الحديث المعبرة تعرض لمذاهب أهل السنة ومذاهب الشيعة المعتدلة من إمامية وزيدية ، وقد ترجح غير مذهب أهل السنة .

ولا أنسى أني درّست المقارنة بين المذاهب بكلية الشريعة بالأزهر ، فكنت أعرض آراء المذاهب في المسألة الواحدة — وأبرز من بينها مذهب الشيعة ، وكثيراً ما كنت أرجح مذهبهم خضوعاً لقوة الدليل .

ولا أنسى أيضاً أني كنت أفتي في كثير من المسائل بمذهب الشيعة وأخص منها بالذكر ما نجد الناس في حاجة ملحة إليه ، وهو فيما يختص بالقدر المحرم من الرضاع ، كما أخص بالذكر ما تضمنه قانون الأحوال للشخصية الأخير ، ونذكر على سبيل المثال المسائل الآتية :
أولاً — الطلاق الثلاث بلفظ واحد فإنه يقع في أكثر المذاهب السنية ثلاثاً ولكنه في الشيعة يقع واحدة رجعية ، وقد رأى القانون العمل به ، وأصبحت الفتوى بمذهب أهل السنة لا يقيم لها وزن في نظر القضاء الشرعي السني .

ثانياً — رأى قانون الأحوال الشخصية في تنظيمه الأخير أن الطلاق المعلق منه ما يقع ومنه ما لا يقع تبعاً لقصد التهديد أو قصد التطليق ، ولكن مذهب الشيعة يرى أن تعليق الطلاق مطلقاً قصد به التهديد أو التطليق لا يقع به الطلاق وقد رجحت هذا الرأي ، وكثيراً ما أفتيت به ، وكثيراً ما أذعته ، وكتبته في أحاديثي المتعلقة بالطلاق وأجوبة السائلين عن إيقاع الطلاق . وكم وكم . . . الخ .

والباحث المستوعب المنصف سيجد كثيراً في مذهب الشيعة ما يتوسى دليله ويلتم مع أهداف الشريعة من صلاح الأسرة والمجتمع ، ويدفعه إلى الأخذ به والإرشاد إليه .

أحاديث الأستاذ الأكبر

دراسة الفقه بجميع مذاهبه المعروفة

ومن هنا قرر رأى إن شاء الله على أن أعمل على دراسة الفقه الإسلامى فى كلية الشريعة بجميع المذاهب الفقهية المعروفة الأصول البينة المعالم ، والتى من بينها دون شك مذهب الشيعة : إمامية وزيدية .

وقد استجابت جماعة التقريب - القائمة فى مصر من سنتين ، والتى شاركت فى تأسيسها من أول نشأتها ، وشاركت فى رسالتها ودعوت إليها - لفكرة القضاء على العصبية بين أهل السنة والشيعة ، والرجوع بأهل المذهبين إلى الالتصام بحبل الله ، والالتفاف حول المحور المقدس فى رسالة محمد (كتاب الله وسنة الرسول) فطُبعت كتاب (مجمع البيان) .

وقد دعا إلى طبعه من قبل أستاذنا المغفور له الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الجامع الأزهر الأسبق ، وقد كتبت مقدمته ، والكتاب لإمام من أئمة الشيعة وهو (الإمام السعيد أبو الفضل ابن الحسن الطبرسى) من كبار علماء الإمامية .

وبنى وبين كثير من أئمة الشيعة الإمامية رسائل تلاقى عند حد وجوب التقريب ، ونزع ما بين الطرفين من عصبية أتهمها الأعداء والمستعمرون بين الشعوب الإسلامية فى مصر وإيران والعراق .

ونذكر هنا من بين هذه الرسائل المكاتبة التى تبادلتها مع السيد المغفور له سماحة الإمام الأكبر ، محمد الحسين آل كاشف الغطاء الشيعى النجفى صاحب كتاب (أصل الشيعة وأصولها) الذى طبع فى مصر ، وكانت تلك المكاتبة فى جمادى سنة ١٣٦٧ هـ ، على صاحبها أفضل السلام وأزكى التحية ، وقد نشر كتاب سماحته إلينا وردنا عليه فى كتابه المذكور (الطبعة العاشرة) فيما بعد صفحة ٥٦ .

وهنا نحن أولاء ندعو باسم الله مرة أخرى ، وباسم كتاب الله وباسم الوحدة الإسلامية وباسم الاعتصام بحبل الله : ندعو علماء الفريقين إلى التقارب والمصافحة وأكرهمهم عند الله أسبقهم إلى ذلك ، حتى تسد الثغوب التى فتحت فى الماضى للمستعمر ، ويعود إلينا مجدنا وشعارنا وهو الوحدة الإسلامية .

وفق الله الجميع لما يرضى الله ، ويحقق هذه الوحدة ، وينقى من بين أعضائها خبث المستعمرين ، وذس الدسائس ، ويخلص الإسلام للمسلمين ، ويخلص المسلمين للإسلام ؟

الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعية

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

الجزء الثامن - القاهرة : شعبان سنة ١٣٧٨ - فبراير (شباط) سنة ١٩٥٩ - المجلد الثلاثون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شهر شعبان

إذا تحدثنا عن الأشهر والأيام والأمكنة ، وعن قيمتها في نظر الإسلام فحديثنا عنها في واقع الأمر هو حديث عما ارتبط بها من ذكريات وأحداث كانت لها دلالتها في تصوير بعض مبادئ الإسلام نفسه . ومن ذلك حديثنا اليوم عن شهر شعبان : فتروى عائشة رضي الله عنها في حديث لها تقول فيه : « لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يصوم من شهر أكثر من شعبان . فإنه كان يصوم شعبان كله . وفي رواية كان يصوم شعبان إلا قليلا » .

فحرص النبي صلى الله عليه وسلم على صوم شعبان أو صوم أكثره ، يعطى ما للصوم عامة من أهمية في حياة الإنسان وحياة المجتمع ، ثم ماله من أهمية على وجه الخصوص في شهر شعبان . وأهميته على وجه العموم ؛ لأنه وسيلة يعنى بها الإنسان نفسه وقلبه

ويَهْدِبُ بِهَا لِسَانَهُ وَسُلُوكَهُ . ثُمَّ هُوَ وَسِيلَةٌ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ يَلْقَى بِهَا الْإِنْسَانُ أَزْمَاتَ الْحَيَاةِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ ، وَمَا أَكْثَرُهَا وَمَا أَشَدُّهَا فِي بَعْضِ الْأَحْيَاءِ ، أَمَّا أَهْمِيَّةُ الصَّوْمِ فِي هَذَا الشَّهْرِ بِخُصُوصِهِ فَهِيَ : فِي أَنَّهُ تَمْهِيدٌ لِأَدَاءِ وَاجِبِ الصَّوْمِ الْمَفْرُوضِ : وَهُوَ صَوْمُ رَمَضَانَ . فَإِذَا صَامَ الْإِنْسَانُ بَعْضَ أَيَّامِ هَذَا الشَّهْرِ قَلَّتْ أَوْ كَثُرَتْ . فَسَيَشْعُرُ بِأَنَّهُ قَدْ أَعَدَّ نَفْسَهُ لِقَبُولِ صَوْمِ رَمَضَانَ ، كَمَا أَعَدَّهَا لِأَدَائِهِ إِعْدَادًا فِيهِ رِضَاءٌ نَفْسِيٍّ وَعَدَمُ مَشَقَّةٍ فِي الْأَدَاءِ .

* * *

وَمَا يَرْتَبِطُ بِشَهْرِ شَعْبَانَ أَيْضًا وَلَهُ أَثَرٌ فِي تَوْكِيدِ بَعْضِ مَبَادِيءِ الْإِسْلَامِ ، مَا يَحْدِثُنَا بِهِ تَارِيخُ الْإِسْلَامِ عِنْدَ مَا اتَّصَلَ الْمُسْلِمُونَ بِغَيْرِ الْمُسْلِمِينَ وَالتَّقَوَّاهُمْ فِي بَعْضِ الْمَوَاقِعِ وَالْحُرُوبِ . فَهُوَ يَحْدِثُنَا أَنَّهُ فِي الْأَيَّامِ الْأُولَى لَوْلَايَةِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التَّقَى جَيْشَ الْمُسْلِمِينَ بِجَيْشِ الْفَرَسِ فِي شَعْبَانَ ، فِي مَوْقِعٍ يُعْرَفُ « بِالنَّارِقِ » ، فِي أَرْضِ الْفَرَسِ ، وَكَانَ عَلَى رَأْسِ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ أَبُو عُبَيْدِ بْنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ . فَلَمَّا انْتَصَرَ الْمُسْلِمُونَ اتَّضَحَ لِأَبِي عُبَيْدٍ أَنَّ قَائِدًا كَبِيرًا مِنْ قَوَادِ الْفَرَسِ وَقَعَ فِي الْأَسْرِ ، وَأَمْنَهُ أَحَدُ الْمُسْلِمِينَ ، أَيْ وَعَدَهُ بِسَلَامَةِ حَيَاتِهِ مِنَ الْقَتْلِ . وَهَذَا أَشَارَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَبِي عُبَيْدٍ بِقَتْلِ هَذَا الْقَائِدِ فَكَانَ جَوَابُ أَبِي عُبَيْدٍ « إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ أَنْ أَقْتُلَهُ : وَقَدْ أَمَنَهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ ، وَالْمُسْلِمُونَ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ ، مَا لَزِمَ بَعْضُهُمْ فَقَدْ لَزِمَ كُلُّهُمْ » . وَمَا صَنَعَهُ أَبُو عُبَيْدٍ هُنَا هُوَ تَطْبِيقُ عَمَلِيٍّ لِمَا فَعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَبْلِ « فَيُرَوَّى - فِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ - عَنْ أُمِّ هَانِيٍّ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهَا قَالَتْ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : زَعَمَ ابْنُ أُمِّی عَلَى (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّهُ قَاتَلَ رَجُلًا قَدْ أَجْرَتْهُ (أَمْنَتْهُ) فَلَانُ بْنُ هُبَيْرَةَ - تَعْنِي (جَعَلَهُ ابْنُ زَوْجِهَا هُبَيْرَةَ بْنُ وَهَبٍ الْخَزُومِيُّ) ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَجَرْنَا (أَمْنَا) مِنْ أَمْنَتِ يَا أُمُّ هَانِيٍّ » .

فَمَا وَقَعَ مِنْ أَبِي عُبَيْدٍ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ أَنَّهُ احْتَرَمَ عَهْدَ لِأَحَدِ الْمُسْلِمِينَ ، أَعْطَاهُ الْيَوْمَ لِمَنْ وَقَفَ مِنْهُمْ بِالْأَمْسِ مَوْقِفَ الْعَدُوِّ الْمُحَارِبِ اللَّدُّودِ - وَهُوَ عَهْدُ تَأْمِينِ سَلَامَتِهِ وَالْإِبْقَاءِ عَلَيْهِ حَيًّا لَا يُؤْذَى وَلَا يُضَارُّ - هَذَا الَّذِي وَقَعَ مِنْ أَبِي عُبَيْدٍ يَدُلُّ دَلَالَةً وَاضِحَةً عَلَى أَنَّ الرُّوحَ الْإِسْلَامِيَّةَ ، وَهِيَ رُوحُ الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ عِنْدَ الْمَقْدَرَةِ ، وَعِنْدَ النَّصْرِ كَانَتْ سُنَّةَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ فَهِمُوا إِسْلَامَهُمْ وَاتَّبَعُوهُ فِي شُؤْنِ حَيَاتِهِمْ ، ثُمَّ يَدُلُّ دَلَالَةً أُخْرَى عَلَى أَنَّ الْفَرْدَ

المسلم في المجتمع الإسلامي له كيانه وله احترامه ، لا يلغيه المجتمع ولا يضحى بإرادته ورأيه ؛ لأنها إرادة المسلم الذي يشعر في نفسه بمقومات مجتمعه ويحرص على كيانه كما يحرص على وجود نفسه ، ولذلك ما يلتزمه بعضهم يلتزمه البعض الآخر كما قال أبو عبيد نفسه : « والمسلمون كالجسد الواحد ما لزم بعضهم فقد لزم كلهم » .

هذه الذكريات التي يرويها تاريخ الإسلام والتي ترتبط بشهر شعبان من شأنها أن تعيد إلى عقولنا صورة صحيحة سليمة لمبادئ الإسلام ، ومن شأنها أيضا أن تقوى في قلوبنا الإيمان به كنظام سليم للحياة الإنسانية التي لا عوج ولا انحراف فيها .

اليوم تحاول أن تغزو المسلمين - تغزو أسماعهم وعقولهم وقلوبهم - اتجاهات يحاول بعضها أن يلغى اعتبار الفردية في مجتمعه ، ويحاول البعض الآخر منها أن يجعل الفرد كل شيء ، يهون في سبيل فرديته وأنا نيته المجتمع الذي يعيش فيه .

ولكن الإسلام كما يبدو من هذا المبدأ وهذا التطبيق له الذي رويناه الآن - كما جدى ذكريات شعبان - يوضح لنا مدى احترام الفرد في مجتمعه ، ثم مدى حرص الفرد على هذا المجتمع .

الإسلام يريد فردا بناءا متعاوناً ، ويريد مجتمعا مكونا من أفراد لهم حريتهم ومشيتهم ، ولكن يعمر قلوبهم الإيمان بوجود هذا المجتمع وبالمثل التي يسعى إليها .

يقول القرآن الكريم : « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » . يريد أمة واحدة في مقوماتها وأهدافها ، أمة واحدة في عبادتها ربا واحدا ، أمة واحدة في تعاونها وتماسكها ، ولكن لأفرادها حريتهم ومشيتهم . حرية بعيدة عن الفوضى ومشيتة بعيدة عن الهوى والأنانية .

الركنور محمد البرهي

مدير عام الثقافة الإسلامية بالأزهر

مسايرة القرآن للطبيعة الانسانية

من أهم سور القرآن الكريم في جانب العناية بلفت الأنظار إلى المعاني النفسية التي تسيطر على الناس ، والتي تؤثر في تصرفاتهم واتجاهاتهم ومستقبلهم على وجه واضح ؛ سورة الأنفال . نزلت هذه السورة بعد غزوة بدر التي كانت مبدأ انتصار المسلمين وبروزهم في الجزيرة العربية كدولة يحسب حسابها ، ولم يكن المسلمون قبل ذلك إلا جماعة من اللاجئين المضطهدين انجازوا إلى بلد آمن كثير من أهله بما آمنوا به فأوهم ونصروهم ، وتقاسموا وإياهم مساكنهم وأسباب معيشتهم ، فعرف هؤلاء وهؤلاء باسم المهاجرين والأنصار : الأولون لهجرتهم ، والآخرون لنصرتهم .

كانت المثالية تسود هذا المجتمع قبل غزوة بدر على نحو رائع يحدثننا به أهل التاريخ ، وأصحاب السيرة والحديث ، وناهيك بمجتمع يصل التعاون فيه إلى أن ينزل الرجل عن إحدى زوجتيه فيطلقها لكي يمكن ضيفه من فرصة الزواج بها مكثفياً بالآخرى ، ثم لا ينزل عن زوجة ما ، ولكن يخير ضيفه بين الزوجتين كي يختار هو من تروقه منهما ، فينزل له عنها بالطلاق ، فيتزوجها .

وقد سجل القرآن الكريم هذا الخلق التعاوني الإيثاري الذي يبدو في مثل هذا المظهر فقال : « والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم » .

فهناك حب متبادل بين أفراد المجتمع : الأنصار يحبون المهاجرين ، ولا يشعرون في أنفسهم بأية غصاضة أو أي حقد عليهم فيما أوتوه ، بل يؤثرونهم على أنفسهم أعظم الإيثار ، والمهاجرون يحبون الأنصار فيرفعون أكف الضراعة إلى الله تعالى أن يغفر لهم ولإخوانهم ، وأن يظهر قلوبهم من عوامل الغل والحسد التي تخالج المحروم حين يلقى صاحب النعيم ، وهكذا يظل الجميع محبة وسلام نابعان من القلوب ، باديان في مظاهر التعاون الكامل ، والترحام التام ...

هكذا كان مجتمعهم قبل بدر ، يوم كانوا مضطهدين يخافون أن يتخطفهم الناس .
وما أحسن ما كان يتمثل به أبو بكر الصديق رضى الله عنه من شعر طفيل الغنوى
فى بنى جعفر بن كلاب ، فقد روى المرباني فى كتاب الشعر بإسناد قال : لما تشاغل
أبو بكر الصديق رضى الله عنه بأهل الردة استبسطته الأنصار فقال : إما كلفتمونى أخلاق
رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فوالله ما ذاك عندى ولا عند أحد من الناس ، ولكنى
والله ما أوتى من مودة لكم ولا حسن رأى فىكم ، وكيف لا نجبكم ؟ فوالله ما وجدت
لنا ولكم مثلاً إلا ما قال طفيل الغنوى لبنى جعفر بن كلاب :

جزى الله عنا جعفرا حين أزلقت بنا نعلنا فى الواطئين فزلت
أبوا أن يملونا ولو أن أمنا تلاقى الذى لا قوه منا ملت
هم خلطونا بالنفوس وأجشوا إلى حجرات أدفأت وأظلت !

* * *

تعرض هذا المجتمع المثالى المتضامن المتراحم ، لأول مرة ، إلى ما تعرض له كل
المجتمعات من الوقوف أمام عوامل التحيص والابتلاء ، ومجابهة الحوادث الطارئة التى
تستدعى تفكيراً وتقديراً ، وموازنة وترجيحاً ، والتى تشتجر فيها دوافع الرغبة البشرية
فى إثارة السلامة والغنىمة ، ودوافع الواجبات الدينية والوطنية إلى التضحية وإنكار الذات ،
وكان ذلك قبيل غزوة بدر ، وفى أثنائها ، وبعدها .

يصور القرآن الكريم موقف التردد فى الإقدام على أخطار ملاقاتة المشركين فى بدر ،
وينسب هذا الموقف إلى فريق من المؤمنين فيقول :

« كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ، وإن فريقا من المؤمنين لسكرهون ، يجادلونك
فى الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون . »

وإننا لنلح الجو المكسفر الذى تشير إليه هاتان الآيتان ، فنذكر أنه كان هناك
كراهية شديدة للانبعاث إلى القتال ، وأن فريقا من المؤمنين كان يحمل لواء المعارضة ،
وأن هذه المعارضة كانت من القوة والعنف بمنزلة كبيرة ، وما ظنك بمعارضة للرسول
صلى الله عليه وسلم يصفها الله تعالى بأنها جدال له عن الحق بعد ما تبين ، ويصور مظهر
أصحابها وهم يلحون فيها ويلجون بأن مثلهم كمثل الذين يساقون إلى الموت وهم يشاهدونه

عيانا ، ثم ما بالك بمعارضة يقال في الانتصار عليها ، وإبطال ما يدعو إليه « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ، تصويراً لما احتاج الأمر إليه من الحسم بأن يكون الإخراج من الله لرسوله ، وبأن يعبر عن الله في هذا المقام باسم الربوبية إيذاناً بما في هذا الإخراج من لطف الحبيب لحبيبه ، وبأن يؤكد هذا الإخراج الرباني بأنه متلبس « بالحق » ، كل هذا يدل على أن الجوقبيل هذه الغزوة كان جواً مليئاً بالمعارضة والخوف والتردد ، وأن هذه الغزوة ما كانت لتتم لولا لطف من الله وتدير لرسوله ولدينه وللمؤمنين .

ثم يأتي بعد ذلك في القرآن الكريم تسجيل لموقف الإغراء الذي اقتضى الأمر أن يغري الله به المؤمنين ، وأن ينشط فيهم عوامل الأمل حتى تغلب عوامل اليأس ، وأن يفسح المجال في هذا الأمل حتى للرغبات الشخصية البشرية لتطفأ بهم في الحث على تحقيق أمر الله ، كل ذلك ندركه حين نسمع قوله تعالى :

« وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم ، وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ، ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ، ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون ، (١) .

تستطيع أن تدرك من هذا ما قاله المفسرون في أسباب النزول ، من أن القوم لم يكونوا يرغبون في قتال المشركين ، وإنما كانوا يقصدون طائفة العير التي كانت قادمة بالتجارة إلى مكة وعليها أبو سفيان بن حرب ، وأن أبا سفيان أحس بذلك فأرسل إلى قريش أن أدركوا عيركم وأموالكم قبل أن يغير عليها محمد وأصحابه ، وأن قريشاً نفرت للنجدة ، وأن المسلمين وجدوا أنفسهم بذلك في موقف جديد : أيحولون وجوههم إلى الطائفة المحاربة وهي ذات الشوكة ، أم يعدودون من حيث أتوا فإنهم لم يكونوا قد خرجوا للقتال ولا استعدوا للقتال ، وهذا هو موقف التردد الذي وقفوه ، والذي عرفناه .

ولقد أوحى الله إلى رسوله بوعد وعده المؤمنين وقطعه على نفسه : أن ينظرهم بإحدى الطائفتين ، طائفة العير أو طائفة النفير .

وهنا نقف وقفة يسيرة أمام ما يدل عليه هذا الوعد الإلهي :

إن الله تعالى هو خالق الإنسان ، وهو الذي يعلم ما توسوس به نفسه ، والإنسان

بطبيعته يكره القتال لأنه ينظر فيه إلى الجانب المؤدى إلى فئائه وبطلان سعيه ، فهو لا يخف إليه ، بل يحتاج إلى حث عليه ، وترغيب فيه ، ودعوة إليه باسم المعاني التي يؤمن بها ، أو باسم الرغبات التي يحب تحقيقها ، لذلك نرى القرآن الكريم يتحدث عن القتال وهو ناظر إلى هذه الطبيعة البشرية ، رام إلى علاجها ، فهو يقول « كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون » [١] .

فقد احتاجت معالجة هذه الطبيعة الإنسانية إلى عدة أشياء جاءت بها هذه الآية الكريمة : احتاجت إلى بيان أن القتال فريضة مكتوبة ، ولا تجد التعبير عن المفروض بلفظ « الكتابة » إلا حيث يكون الأمر محتاجاً إلى قوة في الإيجاب لثقله في التكليف ، مثل « كتب عليكم الصيام » و« كتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس » [٢] « كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين » [٣] إلى غير ذلك [٤] ، واحتاجت إلى الاعتراف بأن القتال مكروه وهو كره لكم ، وهذا الاعتراف فيه فائدة تمهيدية لعلاج النفوس من هذه الكراهية ، فإنك إذا اعترفت لمن تريد علاجه بالحقيقة التي يحس بها ولو كانت مرة أو كانت مما لا يلتزم وما تريده عليه ، فإنه يأنس إليك ، ويستمع لتوجيهك ، إذ يعلم أنك منصف ، وأنت لا تنازع فيما لا مجال للزاع فيه ، فهي طريقة تربوية قائمة على الصراحة وعدم الهروب من مواجهة الواقع ، ثم تدرجت من هذا الاعتراف إلى بيان أمر لا تنكره النفوس ؛ لأنها جربته مراراً ؛ ذلك هو أنه ليس ما يكرهه الإنسان شراً دائماً ، ولا ما يحبه الإنسان خيراً دائماً ، فعسى أن يكون وراء المكروه خير والإنسان يجمله ، وعسى أن يكون وراء المحبوب شر وهو لا يعلمه ، والله وحده هو الذي يعلم عاقبة الأمور ، فإذا أمر بشيء أو نهى عن شيء ، فإن أمره ونهيه هما المصلحة والخير بدون شك .

هذا المعنى ، أو هذه الحقيقة ، وهي أن القرآن الكريم ينظر إلى النفوس وما هو من طبيعتها ، وأن الله تعالى ، وهو العليم الحكيم الرحمن الرحيم ، لا يمكن أن يسوس عباده سياسة قوامها التغاضي عن فطرتهم وما يعلمه من طبائعهم - هذا المعنى هو الذي اقتضى عدل الله أن يرعاه حين أوحى إلى رسوله بوعده المؤمنين إحدى الطائفتين : العير أو النفير

[١] الآية ٢١٦ من سورة البقرة . [٢] الآية ٤٥ من سورة المائدة . [٣] الآية ١٨٠ من سورة البقرة . [٤] راجع ص ٢١ من كتابنا دعائم الاستقرار في التشريع القرآني .

فهذا الوعد بالظفر من شأنه أن يثبت القلوب ، وأن يهزم عوامل التردد ، ثم مجيئه على هذا النحو من الإبهام بين الطائفتين ؛ من شأنه أن يوسع آفاق الأمل أمام المؤمنين ، وأن يراعى اختلاف الناس فيما يستوهم ويأخذ بألبابهم ، فليس كل الناس مثالياً إلى الحد الذى يصلح معه أن يناشد الجميع باسم المثالية : وقد يقول قائل : كيف وقف القرآن هذا الموقف منهم وهو إنما قام على أساس تقديس المعانى الروحية ، وتقدير القيم الخلقية ، فهل يتفق مع هذا أن يلاحظ ما فى بعض النفوس من الميول الشخصية ، وأن يهمل فى مثل « إحدى الطائفتين » مراعاة لها ؟ قد يقول هذا قائل ، والجواب أن ملاحظة القرآن وجميع أصول الإسلام للميول الشخصية ، وإنشاء التشريع على الجمع بينها وبين ما هو من جنس المعانى الروحية ، والقيم المثالية ؛ إنما هو حيث لا تكون الماديات والشخصيات ممنوعة أو حراما أو منافية للبإدى الفاضلة ، وفى قضيتنا هذه نجد المؤمنين أمام أعداء لهم أخرجوهم من ديارهم وأموالهم ، وأصبحت بينهم وبينهم عداوة تخولهم حق مصادرة ما يستطيعون مصادرتها من أموالهم ، فالذين كانوا يرون أن يتجهوا إلى طائفة العير ، لم يخرجوا بهذا عن دائرة معاقبة المشركين وإيلاهم وإن كان فى ذلك نفع مادى لهم ؛ فإنه من حقهم ، وليسوا به خارجين على مثلهم ومبادئهم . لذلك ليس هناك يأس فى مسيرة القرآن لهم نوعا من المسيرة بهذا الإبهام فى الوعد بإحدى الطائفتين ؛ حتى يتسع أمام الجميع كما قلنا أفق الأمل كل على حسب ما يستوهم ، وحتى يبدو المؤمنون جميعاً فى موقف ثابت متوحد أمام أعدائهم دون تردد فى الإقدام على ملاقاته ، وبذلك يتم تدبير الله تعالى ، ويتم لطفه الخفى الذى تأتى به إلى نصر المؤمنين ، والله الحكمة البالغة .

وينبغى ألا يفوتنا أن القرآن مع ذلك لم يترك المؤمنين لهذا الأمل الشخصى ، وإن كان مباحا ، ولكنه سائرهم عليه نوعا من المسيرة كما قلنا تدرجا بهم ، ثم أعلى شأن المقصد الأكبر الذى من أجله دبر ، ومن أجله لطف ، وهو إحقاق الحق وإبطال الباطل ، وقطع دابر الكافرين . وذلك حيث يقول « ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين . ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون » .

وناهيك بالتوجيه العظيم الذى يوحى به قوله جل شأنه « وتحبون » « ويريد الله » .

محمد محمد المدنى

أستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة القاهرة

الْبَيِّنَاتُ

عمل المرء لغيره

- ١ -

صلاح العمل عند الله - الأعمال أصناف ثلاثة -
عمل الولد من عمل والديه - موت الولد العاق أيسر
البلايا به !! - من شكر الوالدين

عن أنى هُريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا ماتَ الإنسانُ انقطع عمله إلا من ثلاثة : إلا من صدقةٍ جاريةٍ ، أو علمٍ يُنتفعُ به ، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له .
رواه مسلم (*)

كثير الجدل قديماً وحديثاً - ولا يزال قائماً - في مشوبة الله تعالى وجزائه لعبده على عمل غيره ... فرجونا من الله أن يهدينا سبيل الرشاد ، حتى نخلص إلى الحق من بين هذه المعركة الثائرة ، وأن يشرح بالحق صدورنا لا تزال بالجدل ضائقة حائرة ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

لا جدال في أن من أصول الإسلام البينة ، ألا يقبل عند الله عمل غير صالح ، سواء

(*) في كتاب الوصية ، بهذا اللفظ ليس غير ، وهو الذى رواه ابن القيم في كتابه « الروح » ، لكن بلفظ « ثلاث » من غير هاء ، ورفع النوى في شرحه لمقدمة مسلم بلفظ : إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية . الخ ، ومن الغريب أن ينسب صاحب كشف الخفاء إلى أبى داود والترمذى والنسائى والبخارى فى الأدب المفرد ويترك « مسلماً » ولعله سهو منه أو من الناسخ ، ومن الخطأ نسبته إلى الشيخين أو إلى البخارى وحده فإنه لم يخرججه فى « صحيحه » وهو المراد عند الإطلاق .

أعماله المرء لنفسه ، وهو ما قدمنا الحديث عنه في الجزء الأسبق ؛ أم عمله المرء لغيره ، وهو ما نعرض له في هذا الحديث ؛ ولا جدال كذلك في أن صلاح العمل عند الله سبحانه ، إنما هو بينائه على العلم المأثور ، وخلوصه من الشرك أكبره وأصغره ، حتى لا يلتفت به عامله إلا وجه ربه الأعلى .

ومن الأوليات التي يعرفها كل مسلم أن الإسلام بنى على الإيمان والعمل ، والتعاون على البر والتقوى .

وبما يجب التنبيه عليه في هذه المقدمة إحقاقاً للحق وإيضاحاً له ، أن عمل العبد قد ينتهي بانتهاء أجله ، وقد يمتد إلى أمد قريب أو بعيد بعد أجله ، وربما كان عظيم الخالدا لا ينقطع أثره . . وقد يكون المرء سبياً في عمل غيره له فينسب إليه كأنه عمله ، ويلحقه ثوابه وأجره من غير أن ينقص شيء من أجر العامل نفسه ، ومن هنا كان الدال على الخير كفعله . . . وإذا فالأعمال أصناف ثلاثة :

١ — عمل المرء لنفسه كسباً وسعيًا وتحصيلًا من طريق متصل مباشر ، لا وساطة فيه ولا سبب ، كصلاته وصيامه وحجه ، وسائر أعماله البارة التي تنتهي بموته ، أو يمتد أثرها بعده إلى ما شاء الله لها أن تمتد ، مسجلة في صحيفته ، كعمله النافع ، وتأليفه الراشد ، وحبه الخير على أهله . .

٢ — وعمل لم يعمل المرء لنفسه ، ولكنه كان سبياً فيه أو داعياً له ودالاً عليه ، ولولاه ما نبت هذا العمل ولا أثر ، كمن أنقذ كافراً ، أو أرشد حائراً ، أو هدى ضالاً ، أو علم جاهلاً ، أو دعا إلى الرشيد حاكماً ، أو رد إلى العدل ظالماً . . لا يجرم أن له أعمالاً مباشرة متصلة ، هي الإنقاذ والإرشاد والهداية والتعليم والدعوة والرد ، وله وراءها أجور آثارها الحسنة إذ كان سبياً فيها ، ولولاه لهدمها الكفر وما بعده . .

٣ — وعمل لم يعمل المرء ولم يكن له فيه سعى ولا سبب ، اللهم إلا السبب العام ، وهو الإيمان بالله وبما جاء به خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم .

والحديث شاهد عدل على أن المرء ينتفع بعمله الذي امتد أثره بعد موته ، كما ينتفع بعمله الذي انقطع ثوابه بموته ، وعلى بطلان ما ذهب إليه شرذمة من أهل الكلام والبدع

زعموا أن الميت لا ينتفع بعد أن فارق حياته بشيء ألبتة ؛ وشاهد عدل كذلك على أنه ينتفع بما كان سببا فيه وداعيا له ؛ فإن استثناء هذه الأعمال الثلاثة من جملة عمله دليل على أنها منه وأن سبب العمل والسعي فيه يلحقه به ، لا جرم أن الولد من كسب الوالد وسعيه ، وأن ما يعمل من الصالحات فلأبيه وأمه في صحائفهما مثل أجره ؛ إذ كانا السبب في وجوده وتربيته ومن هنا كان من أعظم الأعمال أثرا ، وأجلها قدرا ، تنشئة الأولاد على الهدى والاستقامة وتربيتهم على الصالحات التي يدخرها الوالدان لأنفسهما ، وليس عليهما بعد بلوغ الجهد والوسع في التربية على الهداية ، ألا يتهدى الولد ، فإن التوفيق للهداية بيد الله وحده ، وقد قال لنبية صلوات الله عليه وسلامه : « إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء » .

ويؤيد هذا الحديث ويفصله ما رواد ابن ماجه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما نشره ، وولدا صالحا تركه ، ومصحفا ورثه ، ومسيحدا بناه ، وبيتا لابن السبيل بناه ، ونهرا أجراه وصدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته » .

والاقتصار على الثلاثة في حديث مسلم ؛ لأنها أصول الصالحات المذكورة التي يرد إليها غيرها ، ويقاس عليها أمثالها ؛ أولأن الله أعلمه بالثلاثة أولا ثم أعلمه بما زاد عليها ثانيا ، « وقل رب زدني علما » .

وفي الحديث التحريض على وقف الخيرات والمبرات الدائمة التي يبقى ذخرها وأجرها ما بقيت أعيانها . . .

وتقييد العلم بالمنتفع به ؛ لأن العلم الذي لا ينتفع به لا يثمر أجرا ، بل ربما كان وزرا وبلاء وإثما على صاحبه ! ومن سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء * .

* اقتباس من حديث جرير بن عبد الله رضى الله عنه . رواه مسلم ، وشرحناه في جزء رجب من المجلد ١٨ عام ١٣٦٦ .

ولإنما وصف الولد بالصلاح ؛ لأن الأجر قلما يكون من غيره ، اللهم إلا أجر الصبر على مصيبته والنكبة به والجهاد في تقويمه !! لا جرم أن فسق الأولاد وعقوقهم من أشد البليات والمصائب والفتن التي يمتحن الله بها آباؤهم !! وإن موتهم لأهون هذه البليات وأيسرها على ذويهم !!

* * *

ولا يلحق الوالد شيء من أوزار ولده وسيئاته ، إذا كانت نيته في تربيته تحصيل الخير له والعمل على ما ينفعه في دينه ودنياه ، ولم يكن معينا له على فساد . . .

وليس دعاء الولد شرطاً في حصول أجر الوالد ومشوبته ؛ فإن الأجر ثابت للوالدين كلما عمل ولدهما الصالح عملاً صالحاً وإن لم يدع لهما ، كمن غرس شجراً ، أو أجرى نهراً ، أو وقف خيراً . . . فإن له أجرهما سواء دعا له من انتفع به أم لم يدع له .

ولإنما ذكر الدعاء تحريضاً للولد على الدعاء لوالديه ، برأيهما ، وشكراً لهما ، ووفاء لبعض حقوقهما عليه ، وامثالاً لأمر الله تعالى ، واقتداء برسله صلوات الله وسلامه عليهم ، فقد قال جل ثناؤه : « وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً ، وحكي عن شيخ رسله وأنبيائه نوح عليه السلام دعاءه لوالديه خاصة ، وللمؤمنين عامة ، فقال عز من قائل : « رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين وللمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تباراً » . لا جرم أن الولد يؤجر على الدعاء لوالديه ، وأن الوالدين ينتفعان بدعاء ولدهما ، علاوة على انتفاعهما بكل عمل صالح يعملانه .

* * *

أما بعد ، فما هو ذا الحديث شمل صنفين من أعمال العباد ، أجمع المسلمون على مشوبتهما وعظم آثارهما والانتفاع بهما . . . وبقي النظر في الصنف الثالث ، ندخره للجزء القادم ، فما أجدره بجزء مستقل . والله المستعان على قول الحق واتباع سبيل المؤمنين ، ولا حول ولا قوة إلا به ؟

طه محمد الساكت

تشريع الزكاة

كما عني الإسلام بتطهير العقيدة من شوائب الشرك وإخلاص العبادة لله موجد هذا الكون ، عني أيضاً بتربية المجتمع وتنشئته تنشئة تدعو إلى ارتباطه برباط المحبة وتوثيق الصلة بين أفراده وشعوبه بصلة الأخوة ، وقد ظهرت آثار عناية الإسلام بهذا المجتمع في كثير من تشريعاته الحكيمة وفي مقدمتها تشريع الزكاة الذي فرض للفقراء نصيباً مقدراً في أموال الأغنياء ، وحاجة الفقراء إلى هذه الزكاة قد تكون ماجة إذ يكون الحرمان شديداً بحيث لا يتنوق الفقير حلاوة اللذيذ من الطعام ، ولا يلبس ما يعتمد عليه في دفع وطأة البرد القاسي ، وقد تكون حاجته أشد وأشد حينما تتكاثر عليه المطالب لتربية أولاده ، أو علاجهم ومحاربة أمراضهم وأمراضهم ، فإذا ما أمدد الغني بما يستطيع من المساعدة بما فرض الله في ماله ، أو زاده على ذلك ، شعر الفقير بهذا العطف والحنو والعناية بشأنه واهتمام أخيه الغني بإصلاح حاله ، وبذلك يفيض قلبه حبا للغني وإخلاصا ، ويتبادل معه المعونة الصادقة فيما يكون بينهما من عمل ، ويسود الوفاق جميع الشئون التي تربط بينهما ، فيرقى المجتمع ويتضاعف الإنتاج ويرتفع مستوى المعيشة لجميع أبناء الشعب ويعمهم السرور والسعادة .

فبالزكاة يمكن أن يدرك كثير من الشرور عن المجتمع بجميع طبقاته ، وبها تمكن المساهمة في تسليح جيش قوى أو إقامة قواعد محصنة لدرء الخطر عن الوطن إذا ما جمعت حصيلتها أو كمية كبيرة من حصيلتها .

لمثل هذا شرعت الزكاة التي هي إحدى دعائم الإسلام الخمس والتي هي فرض عيني من فروضه ، وكانت فرضيتها في السنة الثانية من الهجرة ، وثبتت بكتاب الله وسنة رسوله وإجماع المسلمين ، وصارت معلومة من الدين بالضرورة ، فمن أنكر وجوب الزكاة وكان ممن يخفى على مثله حكمها ، كأن كان حديث عهد بالإسلام ، أو نشأ بعيداً عن المسلمين عرفناه وجوبها وأخذناها منه إن كان عنده مال .

أما من أنكر وجوب الزكاة وكان ممن لا يخفى عليه حكمها كسلم عاش بين المسلمين ثم منع الزكاة جحداً لوجوبها ، صار بهذا كافراً تجرى عليه أحكام المرتدين فيستتاب ، فإن تاب وإلا قتل .

أما مانع الزكاة بخلاؤها مع اعترافه بوجودها فإنه لا يكون كافراً ولكنه عاص يعزر وتؤخذ منه قهراً ، هذا إذا لم يكن له منعة وشوكة ، أما إذا منع الزكاة اعتماداً على منعته وشوخته ، فإنه يجب على الإمام والمسلمين قتاله حتى تزول منعته ويذعن للإمام ويؤدي الزكاة ؛ لما ثبت في الصحيحين أن الصحابة حينما منع الزكاة من منعها من المسلمين في أول عهد أبي بكر ، اختلفوا في حكم قتال مانعي الزكاة ، وكان رأى أبي بكر رضي الله عنه أنه يجب قتالهم ، وأقام للناس الدليل على وجوب قتالهم ، فلما ظهر لهم الدليل واقتنعوا بحجته وافقوه في الرأى ، وقتلوا معه مانعي الزكاة حتى زالت شوكتهم وأذعنوا للإمام وأدوا الزكاة ، وصار ذلك إجماعاً للمسلمين .

ويعتمد وجوب الزكاة أول ما يعتمد على ملكية المال الذي تجب فيه ، والمال أحد السكيات الخمس التي أجمعت الأديان على حرمتها ووجوب المحافظة عليها ، وهي : النفس والمال والعرض والدين والعقل ، فمن قتل دون شيء من هذه الخمس فهو شهيد كما صرح بذلك الأحاديث .

فالملكية الفردية محترمة في دين الإسلام وسائر الأديان ، وكتاب الله تعالى قد أضاف الأموال إلى ذوبها في آيات بلغت من الكثرة حداً كبيراً « خذ من أموالهم صدقة » ، « فإن أنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم » ، « وفي أموالهم حق للسائل والمحروم » ، « جاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم » ، « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم » ، « إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا » ، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة ، وكذلك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تفيض بنسبة المال إلى صاحبه ، وقد خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فقال في خطبته على رؤوس الأشهاد : ألا وإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا حتى تلقوا ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، ألا فيبلغ أذنكم أقصاكم ، ألا هل بلغت اللهم اشهد .

وقد ظهر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلاف في أنه هل يجب على المسلم إنفاق كل ما فضل من ماله عن حاجته ، فعن أبي ذر يجب على المسلم ذلك وخالفه في ذلك سائر أصحاب رسول الله ، ومنشأ ذلك الخلاف قوله تعالى : « يأبى الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله » ، والذين يكنزون الذهب

والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، فمن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال : إن قوله والذين يكنزون الذهب خاص بالأحبار والرهبان المتقدم ذكرهم ، وكان هذا رأى معاوية حينما شجر بينه وبين أبي ذر الخلاف في الشام ، وجمهور أصحاب رسول الله يرى أن الآية عامة تشمل المسلمين ، ولهذا أشفقوا منها أول ما نزلت ثم زال خوفهم .

أخرج ابن أبي شيبة في مسنده وأبو داود وأبو يعلى وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في سننه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما نزلت هذه الآية : والذين يكنزون الذهب والفضة ، كبر ذلك على المسلمين وقالوا ما يستطيع أحد منا أن يمتنع بعده ما لا ولده فقال : عمر أنا أفرج عنكم فانطلق وتبعه ثوبان فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله إنه قد كبر على أصحابك هذه الآية فقال إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب بها ما بقى من أموالكم ، وإنما فرض الموارث من أموال تبقى بعدكم فكبر عمر رضى الله عنه .

وروى مرفوعا عن أبي هريرة (إذا أدبت زكاة مالك فقد قضيت ما عليك) . وروى موقوفا على ابن عباس وعمر وابن عمر وجابر : أى مال أدبت زكاته فليس بكنز ، ومثل هذا لا يكون من قبيل الرأى فهو بتوقيف من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأخرج أحمد والبخارى وغيرهما عن ابن عمر إنما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة ، فلما نزل جعلها الله طهرة للأموال ثم قال : ما أبالى لو كان عندى مثل أحد ذهباً أعلم عدده وأزكيه وأعمل فيه بطاعة الله .

قال ابن عبد البر وردت عن أبي ذر آثار كثيرة تدل على أنه كان يذهب إلى أن كل مال بمجموع يفضل عن القوت وسداد العيش فهو كنز يذم فاعله ، وأن آية الوعيد نزلت في ذلك ، وخالفه جمهور الصحابة ومن بعدهم وحملوا الوعيد على ما نعى الزكاة وأصح ما تمسكوا به حديث طلحة وغيره - ونصه عند البخارى ومسلم عن طلحة (جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد ثائر الرأس نسمع دوى صوته ولا نفقه ما يقول حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو يسأل عن الإسلام فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس صلوات في اليوم والليلة . فقال : هل على غيرهن ؟ قال : لا إلا أن تطوع . وصيام شهر رمضان . فقال : هل على غيره ؟ قال : لا إلا أن تطوع . وذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة فقال : هل على غيرها ؟ قال : لا إلا أن تطوع . قال فأدبر الرجل وهو يقول والله

لا أزيد على هذا ولا أنقص منه. فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلح إن صدق قال: ابن عبد البر وإن نصوص الكتاب تأمر بالقصد والاعتدال في الإنفاق ، لا بإتفاق كل المال من ذلك قوله تعالى : « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » ، وقوله : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتتعد ملوما محسورا » . ومن الأدلة أيضا على رأى جمهور أصحاب رسول الله حديث سعد بن أبي وقاص عند مسلم وغيره ونصه عن عامر بن سعد عن أبيه قال عاذنى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع من وجع أشفيت منه على الموت. فقلت: يا رسول الله بلغنى ماترى من الوجع وأنا ذومال ولا يرثنى إلا ابنة لى واحدة. أفأتصدق بثلثى مالى؟ قال: لا. قلت: أفأتصدق بشطره؟ قال: لا. الثالث ، والثالث كثير. إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس . فما تقدم من نصوص الكتاب والسنة أدلة قوية على أنه لا يجب على المسلم إنفاق ما فضل عن حاجته من المال ، ولعل ذلك إنما كان أول الأمر كما صرح بذلك ابن عمر فيما ذكر عنه سابقا ، وقد نسخ هذا بتشريع الميراث ، فهو كما نص على ذلك في الحديث إنما يكون فى الأموال التى تبقى بعد موت ذويها ، وقد أشار الحديث إلى أن الزكاة طهرة للبال فكل مال أدبت زكاته ليس بكنز كما وردت بذلك النصوص وكما قرره العلماء .

فالكنز هو المال المجموع الذى لم تؤد زكاته وقد توعد الله فاعل ذلك بقوله : « يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم » وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما من رجل لا يؤدى زكاة ماله إلا جعل له يوم القيامة صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجهه وظهره .

وروى البخارى عن أبى هريرة مرفوعا « من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زببتان يطوقه يوم القيامة فيأخذ بلهزمته يقول: (أنا مالك أنا كنزك » وقد ذكر العلماء أن أبا ذر أخذ بالعزيمة التى وردت أولا بوجوب إنفاق ما فضل عن الحاجة ولم تبلغه الرخصة فبقى على مذهبه ، فقد أخرج أحمد والطبرانى عن شداد بن أوس قال كان أبو ذر رضى الله عنه يسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمر فيه الشدة ثم يخرج إلى باديته ثم يرخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ، فيحفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك الأمر الرخصة فلا يسمعها أبو ذر فيأخذ أبو ذر بالأمر الأول الذى سمع قبل ذلك اه ، والسبب الحقيقى لتشده استعداده الفطرى لتحمل الشدائد والأخذ بالعزائم

فإنفاق ما فضل عن الحاجة عزيمة الخواص وليس هو المشروع لكل الناس ، فإن نصوص الكتاب والسنة تنافي وجوب إنفاق كل ما يملك المرء كما تقدم ، ولعله من باب حسنات الأبرار سيئات المتبرين كما يذكر ذلك العلماء .

وسواء قلنا إن شريعة الإسلام رأسمالية محضة ، أم قلنا إنها رأسمالية اشتراكية فإنها على كلتا الحالين قد جعلت للفقراء حقا مقعدرا في مال الأغنياء : هو الزكاة .

والشرط الأساسي لوجوب الزكاة أن يكون المال الذي تجب فيه مملوكا لمن تجب عليه ملكا تاما ، فلا تجب الزكاة فيما ملك قبل قبضه ، كمؤخر صداق المرأة ، وكل مبيع قبل القبض ، وكالأجرة قبل مضي مدة الإجارة .

والمال الذي تجب فيه الزكاة أربعة أنواع : الذهب والفضة ، والزروع والثمار ، والنعم : الإبل والبقر والغنم ، وعروض التجارة من أى مال .

وهذه الأموال قسبان : أموال ظاهرة وهى الزروع والثمار والأنعام ، وأموال باطنة وهى الذهب والفضة وعروض التجارة ، وكان الإمام يبعث السعاة لجمع الزكاة فى المحرم من كل عام ، وكانوا يجمعونها من الأموال الظاهرة والباطنة إلى زمن الخليفة عثمان حيث كانت تجمع من الأموال الظاهرة فقط ، أما الأموال الباطنة فتمد جعل ملاكها وكلاء عنه فى أخذ زكاتها من أموالهم وصرفها إلى مستحقيها ، وصار الأمر من حينئذ على هذا . ومذاهب الأئمة لا توجب دفع الزكاة إلى الإمام إلا فى الأموال الظاهرة دون الباطنة ، وجعلوا من الباطنة زكاة الفطر .

وهل يشترط لوجوب الزكاة البلوغ والعقل : المالكية والشافعية والحنابلة لا يشترطون ذلك فتجب الزكاة فى مال الصبي والمجنون ، وقال أبو وائل وسعيد بن جبيرة والحسن البصري والنخعي لازكاة فى مال الصبي والمجنون مطلقا . وقال أبو حنيفة لازكاة فى مالهما إلا للمعشرات من الزروع والثمار ، ونرى الأخذ برأى من لا يوجب الزكاة على الصبي والمجنون ؛ لأنها ليسا من أهل التكليف ؛ ولأنها عبادة محضة وليسا مخاطبين بها كالصلاة والصيام ، فلا زكاة فى أموال القصر المودعة فى المصارف بمعرفة المجالس الحسينية حتى لا تستهلك أو يستهلك جزء كبير منها ، وفى الجزء القادم إن شاء الله بقية لأحكام الزكاة .

عبد الرحمن عيسى
مدير التفيتش بالأزهر

أمة ورسالة

جل الأمم الآن إن لم يكن كلها يسعى لرفع مستوى معيشته ، وتسكير الضرورات والمرفهات لمختلف الطبقات . .

وهذا شيء حسن . فمن ذا الذي يكره العافية والسعة والاستراوح ؟ .

إن كدح الناس للحصول على مزيد من خير الله ، والاستمکان في أرضه عمل مفهوم البواعث . إلا أننا لا نرضى لأبناء آدم ، ولا يرضى عاقل لنفسه أن تكون الغاية القصوى من الحياة هي البطن المملآن . والبدن المزدان ، فذلك هدف حيواني لا إنساني .

ووقوف الحكومات والشعوب عنده هبوط بقيمة العالم ورسائله ، ونزول عن المكانة التي أرادها الله له ، وذهور عن الحق الذي يقول لنا في استنكار . .

« أحسبتم أنما خلقتكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون . فتعالى الله الملك الحق » .

إن للإنسانية غاية أرقى من توفير الخبز لأكليها !

غاية ترادف النبيون لتوضيحها . ثم جاء عميدهم الخاتم ، صاحب الرسالة العظمى ، ليصنع أمة تمثلها وتقوم عليها ، وترفع عليها في الآفاق ...

وظيفة هذه الأمة بين شتى الأجناس والأوطان أن تدعم الخير وأن تعلى صوت المعروف وأن تحمى شارة الإيمان ، وأن تجعل من كيانها موئلاً للفضائل . . . !

وأن تكره الآثام وتتنكر لفاعليها ، وتعقب على أخطائهم وخطاياهم بالتنفيذ والرد ..

وظيفة هذه الأمة حراسة وحى السماء وإبقاء مناره عاليا يومض بالإشعاع الهادى كي يهتدى به السارون في ظلمات البر والبحر . .

والأمة التي تحمل هذا العبء أو تتولى هذا المنصب أو ترشح لهذا الشرف هي الأمة الإسلامية . .

وقد أوضح الله ذلك في كتابه العزيز « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون

بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون». وقال: «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله».

وبين أن منزلة الناس أجمعين من هذه الأمة كمنزلة هذه الأمة من رسولها ..

فسكما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله معلما ومبشرا ونذيرا، وكما أخرج هذه الأمة بإذن الله من العمى إلى الهدى. فعلى أتباعه أن يشيعوا الحق الذي شرفوا به؛ وأن ينشروا الرسالة التي نزلت بينهم، وأن يكونوا جسراً تعبر إليه الهداية لتعم أرجاء الأرض «وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا»، والسلف الصالح الذي تلقى آيات القرآن وسعد بصيحة النبي صلى الله عليه وسلم فهم وظيفته على هذا النحو: فهم أن أداء الدعوة واجب، وأن إبلاغ رسالات الله حق، وأن حبس أنوار الإسلام في حيز من الأرض جريمة ...

وعلى ذلك الأساس تكونت الأمة الإسلامية تكونا متميز الطبيعة والحركة، مستبين المبنى والمعنى، تزوج مثلها العليا مع قواها المادية، كما يزودج الروح والجسد، لا يتصور بينهما فكاك.

* * *

وشعور المسلمين بفرائض الإسلام عليهم جعل نشاطهم الأدبي يتخذ عدة طرائق، تنتهى كلها بخدمة دينهم في الداخل والخارج:

(أ) فتعلم الإسلام وتعليمه أحياء ألوف المدارس لحفظ القرآن وتعهده ولفقه السنة، وصيانة كل ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم من توجيهات عامة.

(ب) واستدعى ذلك نهضة شاملة لآداب اللغة العربية وقواعدها حتى ساوت علوم اللغة علوم الدين في درجتها، ولا عجب فإن الوسائل والمقاصد متلازمة الوجود، والإسلام إذا ضمرت العربية وذبلت فهو مهدد بأفتك الأخطار، وسترى مصداق ذلك فيما نقصه عليك بعد حين.

(ج) استبحرت المعارف التشريعية، وتكونت مذاهب في صور العبادات وقوانين المعاملات من أقوى وأزهى ما عرفت الدنيا.

(د) انتشرت دراسات الخلق والسلوك مع ما يسمى «بالتصوف»، وشاعت بين العامة والخاصة شيوعا واسع النطاق.

(هـ) تطوع المسلمون من تلقاء أنفسهم للحفاظ على المجتمع ضد السيئات والمناكر ؛
 إذ أن طبيعة الإسلام تلزم كل مؤمن بإقرار المعروف ومطاردة المنكر ، والقوى الشعبية
 لا السلطات الحكومية هي التي تولت حياة الأمة من شرور كثيرة ، وإن كانت الحكومات
 - من الناحية التنفيذية - هي صاحبة الاختصاص ، وقيام الجماهير في الداخل بذلك الواجب
 أبقى شعائر الإسلام حية في المجتمع ، وجعل أمام العصاة والمنحليين حواجز مرهبة ، وفسح
 المجال أمام السطوة الأدبية على الضباط والعواطف .

وكانت السعادة العظمى لأي مسلم أن يشرح صدر إنسان للإسلام ، وأن ينقله من كفره
 القديم إلى رحاب هذا الدين .

والمسلم الذي يوفق إلى إدخال شخص ما في الإسلام تراه مبتهج النفس ، بادی البشر ،
 متألق الجبين .

وتعاون الجماعة المؤمنة غالباً على كفالة القادم الجديد ، وتوثيق الأواصر العاطفية معه .

* * *

وقد امتد الإسلام إلى أغلب البقاع المعروفة في العالم ، ونشبت جذوره بألوف مؤلفة
 من المدائن والقرى في آسيا وإفريقيا وأوروبا .

وتراخت العصور عليه وهو ينساح في أرض الله بقوة رائعة ، ليس لها مدد إلا حماس
 المؤمنين ، وقدرتهم على الإقناع بالحق والمقاومة للباطل .

وقد عرضت للأمة الإسلامية فترات انهزمت فيها أمام أعدائها .

أو بتعبير أدق ، انهزمت فيها أمام نداء الواجب الذي يملئ عليها ضرورات الوفاء
 لرسالتها ، فكان تفريطها في جنب الدعوة - التي زكت بها سبياً في ذهاب ريحها وانهار
 مجدها ، لقد انحلت الخلافة التركية الأخيرة عن نيف وثلاثين دولة مبعثرة في قارات الأرض
 ينتسب أغلبها إلى الإسلام انتساباً اسمياً ، وتضطرب دعوته في أنحائها اضطراباً بعيد المدى ،
 يحتاج شرحه إلى قليل من الإسهاب .

يا عجبا ، كيف تبددت هذه القوة العظيمة . وأقفرَت تلك المعالم النضرة ؟

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحى مقفر العرصات

الواقع أن ذلك الانكسار لم يقع بغتة ، ولم تلتق أسبابه فجأة .

إن الأمة الإسلامية - كما قلنا - صاحبة رسالة ، وحاملة دعوة ، ووريثة وحى يجب أن تبلغه بالعلم ، وأن تظهره بالعمل .

بيد أنها نسيت ذلك أو تناسته . وضعف أخذها به ، ووقاؤها له على اختلاف الليل والنهار . واطرد هذا التفريط أولا في شكل متواليات حسائية ، وأخيرا في شكل متضاعفات هندسية . وقد تقفه بين الحين والحين نهضات المصلحين . وصيحات المذكرين ، إلا أن الأمر عز على العلاج في العصور الأخيرة فلم تستفق هذه الأمة إلا والأجانب قد أحاطوا بها ، وأنشبوها أظافيرهم في أعناقها ، وشرعوا في الإجهاز عليها .

ولولا عناية من السماء مسعفة لكانت اليوم تحت أطباق التراب .

وظهرت بوادر الانفصال بين الأمة ورسالتها في أكثر من ميدان .

ففي حقل التعليم ذبلت الدراسات الإسلامية ، ونبتت خلالها أشواك كثيرة .

وفشت الظنون والخرافات والإسرائيليات والنصرانيات والإغريقيات ، حتى لكان حصاد هذه الدراسات طين لا قبح ، وحسك لا تمر ! .

والعلم الإسلامى اليوم متوار فى معاهد خاصة ، بعد ما عزل عن الحياة العامة ، وساء تقويمه ، وقل التعويل عليه .

وفى حقل التشريع ساد القحط كل ناحية ، وعجز الفقه سنين عددا أن يحكم المعاملات المتجددة ، وأن يضبطها باسم الله فى مجراها العتيد .

ووقف الاجتهاد عند صور انقضى زمانها وأهلوها .

فلما زحفت الحياة الحديثة كان من الشلل بحيث لم تقم له حركة ، أو يحسب له حساب وهو الآن محبوس فى بعض قضايا الأسرة ، معزول أتم العزل عما وراها من نشاط اجتماعى ، محلى أو دولى ! .

وتبع هوان المعرفة الدينية انسحاب يكاد يكون شاملا من آفاق الحياة كلها ، وتضعضت قاعدة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، أمام مدنية وافدة عارمة تحل الجرام وتحرم الحلال . . .

وتوقف - بداهة - سير الدعوة الإسلامية فى الأرض ، وجهادها القديم لإدخال الناس أفواجا فى دين الله . . . وكيف لا تتوقف وهى تكافح لتحفظ بحياتها فحسب أمام سياسات

ماكرة وعداوات فاجرة . ويمكننا أن نؤمى إلى عدة أمور ، هى فى نظرنا مظهر لتفريط المسلمين التاريخى فى رسالتهم ، وتقصيرهم فى خدمتها :

١ — ضعف أجهزة الدعاية الخارجية للإسلام ، أو انعدامها ، وترك تعليم الأجانب لجهود الأفراد ونشاطهم الخاص .

ومعروف أن انتشار الإسلام فى أواسط إفريقيا ، وأغلب آسيا يرجع إلى ذلك الجهاد الفردى المسالم الدءوب .

وهو جهاد لم ترسمه خطط منظمة ، ولم تستفد من أرباحه عيون يقظة ، بل لم تحرس ثمراته قوى معدة .

والسبب فى هذا التقصير المعيب ، أن الدول الإسلامية كثيراً ما شغلها منافع خاصة أو سياسات قصيرة النظر ، بل كثيراً ما قامت على أنقاض المثل الدينية الرفيعة .

وهذا الاعتلال فى أداة الحكم أضر بسير الإسلام فى أرجاء الأرض أبلغ الضرر ، والواقع ، أن كثيراً من الحكومات الإسلامية فى التاريخ القديم ، كانت عقبات فى طريق انطلاق الدعاة لأداء واجبهم على نحو واضح ونهج مرسوم .

٢ — مع أن أمما كثيرة عربها الإسلام ومحا عنها خصائصها اللغوية والثقافية القديمة ، فإن العربية لم تلق ما ينبغى لها من رعاية وحفاوة ، خصوصاً فنون الأدب المختلفة . فقد غلبت العجمة على عصور طويلة ، واصطبغت بها أداة الحكم حيناً من الدهر ، وتولى المناصب الكبرى أناس عاطلون من حلية البيان وسلامة المنطق ، وأوت الكتاب والبلاغة والشعر إلى طبقات من المحترفين والمرتزة .

ثم انتهى الأمر فى القرون الأخيرة إلى أن علماء الإسلام — وفيهم جمهرة من خريجي الأزهر — كانوا غرباء على الأدب ، بل كانت حاستهم البيانية ميتة .

وغريب أن تكون معجزة الإسلام الكبرى آية بلاغية ، وأن تكون اللغة العربية أساس هذا الدين وترجمان عباداته ، ومع ذلك تهون إلى هذا الحد .

والواجب أن تعود للأدب مكانته ، وأن تتضافر الجهود على تقوية مادته ، وتجلية رونقه ، وإمداده بأسباب النماء والازدهار .

٣ — هناك خلافاً عليّة ، ومذهبية ، حفرت فجوات عميقة بين المسلمين ، وقطعتهم في الأرض أما متدبرة ، وهم في واقع أمرهم وطبيعة دينهم أمة واحدة .

والدارس لهذه الخلافات يتكشف له على عجل أنها افترقت افتعالاً ، وبولغ في استبقاء آثارها وتفتيق جراحاتها ، ونقل حزازات شخصية أو نزعات قبلية إلى ميدان العقيدة والتشريع ، وذلك ما لا يجوز بقاؤه إن جاز ابتدؤه .

وكما زادت حصيلة العلم الديني ، وتوفرت مواد الدراسة الصحيحة انكشفت هذه الخلافات ، واتحدت الأمة الإسلامية منهجاً وهدفاً .

ولذلك نحن نرى التقريب بين هذه المذاهب فرضاً لا بد من أدائه ، وأخذ الأجيال الجديدة به ، كما نرى ضرورة إحسان النظر في دراسة التاريخ الإسلامي ، وتنقيته من الشوائب التي تعكر صفاءه .

٤ — الأمة صاحبة الرسالة لا تنسى وظيفتها الاجتماعية في تصرفاتها العالمية والمحلية على سواء .

بل هي تستصحب أهدافها الروحية والثقافية في علاقاتها القريية والبعيدة ، وتؤكد شخصيتها المعنوية في كل اتجاه .

وتسخر أدواتها الخاصة في بلوغ غايتها كما يسخر الجسم أجهزته ومشاعره في تيسير مآربه ، ويقضى ذلك أن تساق وجوه شتى من النشاط العام لخدمة الإسلام وجمع القلوب عليه . وإذا كان الله جل شأنه قد جعل لتأليف القلوب سهماً من الزكاة المفروضة فما ذلك إلا رمز للتوصل بضروب البر المختلفة كي يقبل الناس على الدين : وكى تدرك العامة أنه دين يعطى ولا يأخذ ، ويبذل الفضول للبحاثين ، ولا يرزؤهم شيئاً .

وبعض الأديان الآن تفسد عقائدها المعلولة وسط مساعدات كثيرة .

وكان حرياً بالمسلمين أن يسبقوا إلى نشر الحق وإلى تربيته في القلوب بألوان العون المادي والأدبي التي كلفوا بها .

بيد أنهم للأسف تركوا الحق يخدم نفسه بنفسه ، وينصر قضاياه اعتماداً على ما فيها من صواب .

ونسوا أن تلفيق الشبه وتجميع الحيل يمكن أن يصد الجماهير عن الإيمان ، ويعلق أبصارهم بخدع لا قيمة لها .

وقد كان ذلك من أسباب انحسار المد الإسلامى فى بعض الأقطار .

إن قصة تفریطنا فى رسالة الإسلام طويلة الفصول ضافية الذیول ، ولسنا بصدد سردها وإنما نشیر إلى نقاط محدودة منها — مهیبین بأولى النهى ألا یجروا أخطاء الماضى وهم یهدون لمستقبل مرموق .

والإسلام أعداء لاتهدأ لهم نفس ، ولا ینسکر لهم ضغن ، وهم ینشئون الأذى إنشاء ، فهل نعينهم على أنفسنا باستدامة الأخطاء ؟

إن طماعية خصومنا فى تحطيم دیننا ، وفى صرفنا عنه أكدتها ألوف الدلالات والأعمال ! وقد استعمل الاستعمار ما ظفربه من غلب ، فزادت جهوده لکی ینسى المسلمون أن لهم دعوة واجبة الأداء . بل لکی ینسى المسلمون أن لهم دینا واجب الاتباع .

إنه یرید أن یضربوا صفحا عن القرون التى خلت ، والتاریخ الذى مضى ، والحضارة التى أشرقت لها ظلمات الدنیا دهرا طویلا . . . ! !

ومن أخبث المؤامرات لصرف المسلمین عن دینهم ، الدعوة إلى تغییر الكتابة العربیة . إما إلى الحروف اللاتینیة كما فعلت تركيا بعد ارتداد حکامها ، وإما إلى حروف أخرى تحمل مكان هذه الحروف التى عرفناها وعرفها آباؤنا وخطوا بها ألوف الألوف من المجلدات والرسائل . . ولم ذلك ؟

قال الخبثاء : للتفاوت القائم بین لغة النطق وطریقة الكتابة .

وهذا أقبح تعلیل یمکن أن یدکره إنسان دارس للغات .

فإن التفاوت القائم بین ما یکتب وما ینطق هو أقل ما یمکن فى العربیة ، وأسوأ ما یمکن فى الانجلیزیة والفرنسیة . . .

إن صیغ الأفعال الفرنسیة - وعددها ثمانية عشر فعلا - تحمل كل صیغة منها عدداً من الحروف المیتة یمبلغ الستة أحياناً ، تسکتب ولا تنطق ، وتنتشر فى اللغة كلها كما تنتشر العثرات فى طریق ردى .

وإلى جانب هذا فإن الحروف الساكنة تتجمع مثنى وثلاث فى أوائل الكلمات وأواخرها بصورة مزرية لا يمكن تعليلها ، ولا يمكن أن يرتبط بها معنى محترم . أو غير محترم وإتقائها للذهن فى علم الإملاء لاشك فيها .

ويطرد كذلك فى هذه اللغة إغفال النطق بعلامات الجمع فى الأدوات والأسماء ، كما يطرد النطق بحروف كثيرة على غير ما تكتب به .

ومع هذه المقابح فاللغة الفرنسية فى نظر البعض أيسر من اللغة العربية ، ويجب أن نحول لغتنا .

لتوافق لغة الكتابة مع ما ينطق . .

ونحن لا ندرى ما يقال لهذا الجور ، ولا ما يوصف به هذا التبجح ! !

والغرض من هذا النشاط ظاهر . وهو فصل مسلمى اليوم عن تاريخهم الروحى والثقافى بعد إلقاء ستار كفيف على ماضيهم العلى كله . . .

وفى هذا الميدان نفسه يعمل آخرون من ذوى الثقافة الانجليزية . واللغة الانجليزية من ناحية الكتابة والإملاء أحط من زميلتها الفرنسية ، ولولا قوة أهلها ما انتشرت . . ولكن التبشير الاستعمارى يغطى كل عيوبها ، ويطيّل الألسنة فى قدح لغتنا وذم قواعدها وإهانة حروفها . .

والغرض ؟ هو حفر فجوة غائرة بين ماضينا الإسلامى وحاضرنا .

بين ثقافة القرآن وروحه ، وهجوم الغرب الأخير المفعم بالمفان والخواذع . . . ! !
وهاك ما نشرته إحدى الصحف اليومية :

قالت الصحيفة : إن الدنيا تتطور ، وهى تجرى تحاول أن تلحق بالمستقبل . .

والمستقبل عبارة عن سرعة وصواريخ ، سرعة على الأرض ، وصواريخ تندفع إلى الشمس ، سرعة حتى فى أسلوب العرض والقراءة والشراء .

اختزال لسكل التفاصيل .

فالصيغة التلغرافية هي المفهومة المقررة الآن .

إننا نتسابق مع الزمن نحاول الجرى مع عقرب الثواني قبل عقرب الدقائق . . .
وتسأل أيها القارىء : ماذا بعد هذه الصيحات المفتعلة كلها ؟ فإذا الاقتراح الذى يرحب
به الكاتب ويروج له : أن المجمع اللغوى يفسكر فى اختصار حروف لغة سيديويه !!!
إن الدنيا تجرى وتلثم من شدة الجرى كما يقول الكاتب ، فيجب أن نغير حروف
اللغة العربية وحدها .

أما اللغتان الانجليزية والفرنسية ، وسائر اللغات الأخرى فإن الدنيا بالنسبة لها واقفة ؛
إنها لغات مقدسة القواعد أو لعلمها لغات سبقت الدنيا الجارية !!
إنى لأستغرب الصفاقة التى كست هذه الوجوه . . . !

* * *

ونعود إلى موضوعنا . .

إن أمتنا لم تكن ذنباً لإحدى « الامبراطوريات » التى ظهرت فى التاريخ ، ولن تكون
ذنباً لإحدى الجهات القائمة الآن فى العالم .
إن أمتنا أمة ذات رسالة لا يجوز أن تتخلى عنها ، ولا أن تبجل قيمتها ، ولا أن تتقهقر
عن حملها .

وهذه الرسالة تثمر الخير لأصحابها ، وللناس طراً .
إنها رسالة الحق والسلم والعدالة .

إن الإسلام يوطد مكانة الإنسان فى الأرض إذ يحسن صلته بالسماء ، وهو إذ يعد بالآجلة ؛
فلكى يصلح هذه الدار العاجلة ، ويضمن ما بعدها « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون
علواً فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين » .

وإذا كانت حاجة العالم إلى إرشادات ربه لا تنقضى ، فإن بقاء أمتنا وبقاء رسالتها معها
ضرورة إنسانية ملحة .

ومن ثم ، وجب أن تدور جميع أجهزتنا العاملة لتحقيق هذه الغاية ، ولننضى قدما فى تلك
السبيل ، سبيل الإسلام الحنيف ، ودعوته الجليلة .

محمد الغزالى

مدير التفيتش بوزارة الأوقاف

منهج السلوك في الاسلام

١ — تهذيب سلوك الأفراد وتوجيههم نحو المثل الأعلى هو الأسلوب الصحيح لإيجاد عناصر صالحة تستطيع أن تقوم بدور خطير في الحياة وتسهم بتصيب كبير في تزويدها بما هو أنفع وأرشد .

والدين بما له من سلطان على القلوب والنفوس وتأثير على المشاعر والأحاسيس وبما وضع من خطط عملية وتوجيهات حكيمة يستطيع أن يحقق هذه الغاية ويبلغ هذا القصد دون تعثر أو انحراف .

والدين في جملته وتفصيله ما هو إلا إرشاد لما يجب أن يكون عليه الإنسان ليأخذ من السكال بحظ وافر في هذه الحياة وليعد نفسه لجوار ذى الجلال في حياة أرقى وأبقى .

وقد جاء الإسلام ليضع المنهج الرشيد في هذه الكلمات المباركة « يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ، وجاهدوا في الله حق جهاده » . فالعبادة وفعل الخير والجهاد في الله هي دستور المسلم ورسالته في الحياة .

٢ — وعبادة الله الواحد تنتظم إفراده بالحب والتوقير ، وإخلاص العمل له دون التفات إلى غيره ، والتوكل عليه فيما دق وجل من الأمور ، وإسلام الوجه إليه والرضا بقضائه وقدره ، وتعظيم أمره ونهيه ، وبذل النفس والمال ابتغاء وجهه الأعلى .

والعبادة على هذا النحو لا تتم إلا بفقهه في دين الله ومجاهدة للنفس وحملها على الفضائل ؛ حتى تزكو وتسمو وترتفع عن الدنيا والخطايا .

وهذا الضرب من الرياضة الروحية يضمن على الحياة ثوب الجمال ، ويظلمها بظلال المحبة والسلام ؛ فتقطع الخصومة ، ويرتفع النزاع ، ويحل الوفاق محل الشقاق ، ويتقارب الناس ويتآلفوا ، ويسعى الفرد لخير الجماعة ، وتحرص الجماعة على إصلاح الفرد وإسعاده ، ومن ثم تبدو الحكمة واضحة في جعل العبادة غاية الحياة ، وفي أن الله لم يخل جيلا من الأجيال ولا أمة من الأمم من نذير يحجر فيهم باسم الله « لا إله إلا أنا فاتقون » . كما تبدو في أن هذه الدعوة

إنما كانت تأتي بعد فساد الضمير الإنساني، وبعد أن تتحطم كل القيم العليا في نفس الإنسان، وأنه في حاجة إلى معجزة تعيده إلى فطرته السليمة؛ ليصلح لعبارة الأرض وخلافة الله فيها.

٣ — والتعاليم الإسلامية تستهدف تحقيق الخلق العالى، والأدب الرفيع، وإشاعة الخير والرحمة والبر والإحسان، يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، ومن أجل هذا المعنى نجد الارتباط الوثيق بين عقيدة الإسلام وتشريعاته، وبين هذا المعنى، فكلها وسائل لصقل النفس وتهذيبها وإقامتها على الصراط السوى.

فالعقيدة من إيمان بالله وتقديس له من شأنها أن توقظ حواس الجسد، وترى ملكة المراقبة، وتبعث على طلب معالى الأمور وأشرفها، وتأنى بالإنسان عن محقرات الأمور وسفاسف الأعمال.

والله سبحانه هو الكمال المطلق والرحمة الواسعة، ولا يدخل في حظيرة قدسه إلا من تخلق بأخلاقه واتصف بصفاته، وفي الحديث: «تخلقوا بأخلاق الله».

وجميع العبادات والمعاملات وكل أوامر الله ونواهيه إنما تتجه هذا الاتجاه، وتدور في هذا الفلك، «لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط».

فالآية تقرر أن الغاية من إنزال الكتب وإرسال الرسل إقامة الحق والعدل في الأرض، ولا يدع الإسلام أى جانب من جوانب الخلق الحسن إلا ويدعو إليه بقوة، ويحث عليه في حماس.

ومقياس الإيمان الخلق. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وخياركم خياركم لنسائهم». وقد يجهد المرء نفسه في عبادة يستمد منها دوام الثواب بحيث لا ينقطع لا في ليل ولا في نهار؛ فيديم صيام النهار فلا يفطر، وقيام الليل فلا يفتّر، ولا ريب في أن المواظبة على هذا، والمثابرة عليه من عمل الصديقين. وليس كل إنسان بقادر عليه ولا يستطيع له. ولكن الإسلام يفتح باب هذا الخير من طريق الخلق فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم».

وإنما يثقل ميزان الفرد أو يخف حسب قيمته الخلقية. يقول الرسول صلوات الله

وسلامه عليه : « ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق ، وإن الله يبغض الفاحش البذى » .

وتفاضل الناس واقتسامهم المنازل والدرجات عند الله بحسب الحالة الخلقية التي وصلوا إليها ، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محمًا ، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا ، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه » .

والخلق إنما يصدر عن نفس سمحة وضمير حي ، فكما يبدو حسنه في الأمر الكبير ، يتجلى كذلك في الأمر الذي يبدو وكأنه لا شأن له .

فالإحسان إلى المصطفى خلق حسن ، والابتسامة في وجه الصديق خلق حسن كذلك ، وإن النفس الفاضلة التي تنطلق على سميتها لاتفرق بين هذا وذاك . يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لاتحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلق أخاك بوجه طليق » .

ونار الله الموقدة إنما يطفئها نصف ثمرة أو كلبة طيبة ؛ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة » .

وغفران الله يغمر المذنب الدنس إذا تفجر في قلبه نبسح البر والرحمة ؛ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « بينما كلب يطيف بركية قد كاد يقاتله العطش ، إذ رآته بغى من بغايا بنى إسرائيل فنزعت موقها فاستمتت له به فسمته فغفر لها به » . وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين .

والإحسان هو غاية من الغايات التي يريد الإسلام أن يجعلها جزءاً من الطبيعة الإنسانية ؛ بحيث يصدر الإنسان عنها في كل ما يأتي وما يذر . . يقول الرسول صلوات الله عليه : « إن الله كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحداكم شفرة وليرح ذبيحته » .

وإدخال السرور على الناس والاهتمام بضروراتهم من أقرب القربات ، سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الأعمال فقال : « إدخال السرور على المؤمن ، قيل وما إدخال السرور على المؤمن ؟ قال سد جوعته وفك كربته وقضاء دينه » .

وهكذا يمضى الإسلام يضع الأسس الأدبية لحياة راقية رفيعة يمكن أن يكون عنوانها تلك الحكمة النبوية المشرفة « الناس عيال الله ، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله » .

ولا يستفى الإسلام بأن يطبع الناس على فضائل الأخلاق ومحاسن الآداب ، بل يفرض إلى جانب ذلك فريضة الجهاد من أجل استقرار هذه المبادئ والتمكين لها ، حتى تكون القاعدة العامة والعرف الذى تتقيد الجماعة به وتصدر عنه .

وهذا الجهاد يقتضى التعب والنصب والعرق والدموع والصبر والمصابرة ؛ لأن تثبيت معالم الخير ، ومحاربة الانحراف والشذوذ ، والعادات السيئة والتقاليد الفاسدة ، والأهواء المضلة والعقائد الزائفة ، ليس بالأمر السهل الذى يتم بكلمة تذايع أو مقال ينشر .

ومن أجل ذلك أطلق الشارع على محاربة المنكر أيا كان لونه ، ومحاولة تغييره لفظ الجهاد المأخوذ من الجهد والمشقة ، وجعل ثواب المجاهدين المغفرة والجنة .

وقد ورد فى الحديث أن الجهاد هو رهبانية المسلمين : ، أى أن حقيقة الرهبانية فى هذا الدين ليست فى اعتزال الناس ، ولا فى الانطواء على النفس ، ولا فى هجر ما أحل الله من الطيبات من الرزق ، وإنما هى توضيحه كريمة من أجل الحق ، واقتحام للشدائد فى سبيل الإنسانية ، وتحمل للتبعات الجسام إعلاء لسكامة الله .

فهى عمل إيجابى ، ومخاطرة يتعرض الإنسان فيها لإتلاف نفسه وإزهاق روحه ؛ أداء للواجب وانتصاراً للحق .

هذه هى الخطة التى جاء بها الإسلام ، والتى اتخذها سلفنا الصالح منهجاً عملياً لسلوكهم ، فعاشوا فى ظلمة أسعداء آمنين ، قدموا للدنيا أحسن ما عندهم وأخذوا منها أحسن ما فيها . ثم خلف من بعدهم خلف جردوا هذه الألفاظ من معانيها ، فبعثت ألفاظاً ميتة لا تحيى نفساً ، ولا تنير قلباً ، ولا تهذب خلقاً .

فهل للمسلمين أن يحيا هذه الألفاظ بإحياء نفوسهم حتى يهبهم الله الجدة والحياة ؟

السيد سابق

مدير الثقافة بوزارة الأوقاف

الروحية الحديثة دعوة هدامة

- ٢ -

كانت تربطنى بالأستاذ أحمد فهمى أبى الخير صلة قديمة إذ كان أحد أساتذتى الذين أحبهم وأحترمهم ممن تلقيت عليهم العلم فى مرحلة الدراسة الثانوية . وكان الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير قد رزق وقتذاك بمولود سماه (لبيب) بعد طول تشوف وانتظار وحرمان . ثم لم يلبث أن توفى ابنه فى عام ١٩٣٧ وهو بعد فى المهد فحزن عليه حزنا شديداً . ووقع فى يده وقتذاك كتاب انجليزى لأحد المشتغلين بالروحية والاتصال بالموتى وهو كتاب ON the Edge of the Etheric تأليف فندلاى J. Arther Eindlay فارتاحت نفسه الحزينة له ووجد فى دعاواه عزاء عن فقد ابنه وترجمه إلى العربية تحت عنوان : (على حافة العالم الأثيرى) . ودفعه إعجابه بما جاء فى الكتاب ، وتعلقه بأمل الاتصال بابنه ، إلى أن يبدأ فى ترسم طريقة مؤلفه . وقرأت الكتاب وقتذاك وكنت على صلة بترجمه قبل وفاة ولده ، وشاركته الإعجاب به . فقد مهد لدعاواه بمقدمة بارعة فى الكشف الطبيعية الحديثة التى حطمت الذرة واقتحمت ظلماتها وانتهت إلى أن العالم ليس إلا حركة ، فهو مجموعة من الموجات التى تختلف كما وكيفما ، والتى يمكن أن تتداخل ، ويمكن أيضاً تحويلها وتغييرها من مادة إلى أخرى حسب ما اصططحنا على تسميتها فى واقعنا الحسى المحدود . وقرن المؤلف ذلك بأن حواسنا لا تدرك من هذه الاهتزازات أو هذه الموجات إلا أقلها ، وأن ما تدركه لا يكاد يمتاس فى تفاهته وضآلته إلى ما لا تستطيع إدراكه ، وأن بعض هذا الذى لا تدركه قد أمكن إدراكه بوسائل علمية مختلفة . ثم انتقل المؤلف من ذلك إلى أن للروح وجوداً حقيقياً مستقلاً ، وأنها تتداخل مع الجسم المادى الملبوس وتتخلله وتطابقه مطابقة تامة ، ولكنها فى اهتزازها خارجة عن المدى الذى تستجيب له حواسنا . وانهت إلى أن عجز الحواس عن إدراكها لا يعنى إذن أنها غير موجودة ، أو أن من غير الممكن إدراكها بوسيلة من الوسائل التى تغلب بها على المجهول ، ونوسع بها المدى الضيق الذى تنحصر فيه حواسنا بحكم الفطرة التى فطرت عليها . وبهذه المقدمة البارعة التى تلبس ثوب العلم ، والتى تبعد عن المؤلف تهمة الشعوذة والمخادعة ، وتنقى

عن الموضوع الذى يمهّد له بهذا الكلام شبهة الخرافة ، استطاع المؤلف أن يستدرج القارىء لقصصه الغريبة فيما رواه عن تجاربه المزعومة وعمّا خلص إليه من صور فيما بعد الموت .

وكنّت وقتذاك أجتاز طوراً من أطوار الشباب التى يشتد فيها الولع باقتحام المجهول وخوض ظلماته والكشف عن جوانبه الغامضة ، وكنّت شديد الولع باستكشاف ما وراء هذه الحياة الفارغة التى تسكد لتفاهة شأنها أن تكون وهما من الأوهام أو حلماً من الأحلام القصيرة العابرة فى عمر طويل مديد ، لذلك وقع منى هذا الكتاب بعد أن فرغت منه موقع الإعجاب . وزادنى به إعجاباً أن مؤلفه - وهو مسيحى - ينفى عن المسيح عليه السلام صفته الإلهية ويؤكد أنه بشر رسول على ما يؤكده الإسلام . وظننت أنى قد اهتديت للحل الذى يريح من كل شك ويقطع دابر كل دعوة إلى المادية والإلحاد والكفر برسالات الله سبحانه وتعالى إلى رسله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام ، بل يصحح ما علق ببعض هذه الرسالات من بدع وضلالات .

وأقبلت على مشاركة الأستاذ أحمد فهمى أبى الخير تجاربه فى الاتصال بالأرواح منذ بدء هذه التجارب ، بدأنا بطريقة الكوب والمنضدة ، فلم أجد فيها ما يبعث على الطمأنينة والإقناع . ثم لم يلبث أن دخل فى هذه التجارب ممرض فى مستشفى القصر العينى كان يدعى يس محمد عبد الله - ولا أدرى كيف عثر به الأستاذ أبو الخير - فتحوّلت الجلسات منذ ذلك الوقت إلى الاعتماد على وسيط الغيبوبة ، وانضم إلينا فى هذه المرحلة الشيخ طنطاوى جوهرى رحمه الله ، وحاولنا أن نصل إلى مشاهدة شىء من حالات التجسد أو الصوت المباشر التى يطنطن بها دعاة الروحية ويرونها الدليل القاطع على صدق دعاوهم فلم تنجح فى شىء من ذلك ، واكتفى الأستاذ أبو الخير بتحويل الجلسات إلى ما يسميه أصحاب هذا الفن بالعلاج الروحى ، ولا يزال واقفا حيث تركته لم يحصل هو ولا أى دائرة أخرى فى مصر - على كثرة الدوائر التى تتحلل الصفة الروحية الآن - على حالة من حالات التجسد أو الصوت المباشر أو نقل المجلوبات البعيدة أو غيرها مما تقرأ عنه فى كتب الروحيين الأوروبيين والأمريكيين . والسبب فى ذلك هو أن هذه الحالات لا وجود لها فى حقيقة الأمر . فهى ألعيب محكمة متقنة تقوم على حيل خفية بارعة ، وسيعلم القارىء من بعد أنها ترمى إلى هدم الأديان كلها - وفى مقدمتها المسيحية - على غير ما تكشف عنه النظرة الأولى الساذجة ، وأغلب ظنى أن إصبع الصهيونية العالمية الهدامة ليست بعيدة عنها .

ولم تسترح نفسى إلى ما كان يجرى من حولى فى هذه الاجتماعات من حركات وإشارات ، ولم يطعن عقلى إلى ما أرى وما أسمع ، ولم يلبث هذا الشك أن أصبح يقينا بأن هذا الذى يجرى من حولى ليس إلا ضربا من الدجل والشعوذة ، فاكتمت وقنذاك بأن أنسحب فى هدوء ، وخلاصة ما حدث وقنذاك مما صرفنى عن هذه التجارب هو أنى لم أطمئن إلى الضوء الأحمر الخافت الذى كان كل شىء يجرى فيه ، ولم أستطع تعليل الحركات المتشنجة وأصوات النفخ المزعج والشخير المنسكر التى تخرج من فم الوسيط عند قيامه بالعلاج الروحى المزعوم ، ولم أستطع أن أسيغ ما قيل فى تعليل ذلك من أن العلاج يتم بإشعاعات غير منظورة ، تأتى من عالم الروح عن طريق الوسيط . فالإشعاعات لا تستلزم هذه الأصوات التى لا تصلح إلا لأن تكون وسيلة من وسائل الاسترهاب ، وزاد فى عجبى وفى شكوكى أن الوسيط - وكان وقنذاك هو المدعو يس - كان يتفوه فى غيبوته المزعومة برطانات غامضة ، زاعما أن هذا الخليط المضطرب من الأصوات هو اللغة التى يفاهم بها الأرواح فيما بينهم ، وكان من السهل على أى مدقق أن يكتشف أن هذه الأصوات المتنافرة التى تخلو من أى ضرب من ضروب النظام أو التناسق لا يمكن أن تكون لغة ، وظل الشك يرادنى زمنا حتى فوجئت فى بعض الجلسات برجل غريب يقتحم علينا اجتماعنا زاعما أن قوة خفية قد ساقته إلى ذلك المكان ، ثم لا يلبث أن يقع فى غيبوبة فيرقد إلى جانب الوسيط الأول ويتبادل معه الرطانة .

وعند ذلك وجدت الفرصة سانحة للكشف عن حقيقة الأمر ، فأخرجت إبرة ذات رأس مما تعودت وقنذاك أن احتفظ به فى ثنية الصدر بمعطنى ، ودفعتها خلصة فى ساق الوسيط الجديد وكررت ذلك مرتين فتململ ولم يلبث أن أتبع ذلك بكلمات وحركات أدركت منها أنه يتمتع بكامل وعيه . ولم يلبث هذا الرجل الغامض أن اختفى فجأة كما ظهر فجأة . واستوضحت الأستاذ أبا الخير حقيقة فقال لى : إنه دجال لا خير فيه وأنه لم يجئ إلا طمعا فى مغنم يصيبه من وراء عمله . ثم إنى لقيت الرجل بعد ذلك مصادفة أثناء زيارتى لأحد أصدقائى بمنيل الروضة فى سنة ١٩٣٩ قبيل نشوب الحرب . ولم أجد صعوبة كبيرة فى استدراجه فقد كان حنقه على الأستاذ أبى الخير لا يقل عن حنق الأستاذ أبى الخير عليه . لذلك لم أكد أسأله جلية أمره حتى اندفع فى الكلام بلا تحفظ يقص على كل ما حدث أثناء غيبوته المزعومة فى تلك الجلسة التى اختفى على أثرها ، وقدم لى من الدلائل ما تأكدت معه أنه لم يكن غائبا عن الوعى كما كان يتظاهر . وهذا يعنى أن الوسيط الآخر الذى يقوم

بالعلاج الروحي المزعوم لا بد أن يكون مخادعا مثله ؛ لأنه كان يبادل الرطانة في أثناء تظاهرها بالغيوبة . واستتجت وقتذاك أنه كان طامعا في أن يشارك في المغامر والمكاسب التي توهم أن القائمين على هذه التجارب يجنونها من وراء العلاج الروحي ، وأن الأستاذ أبا الخير لم يلبث أن تخلص منه حين تبين منه هذه النية .

والمهم في الأمر هو أن هذا المحتال كان يرطن الوسيط الأول الذي يبنى عليه أبو الخير كل نتائج بحوثه الروحية . فإذا ثبت أنه دجال فلا بد أن يكون الآخر دجلا مثله . ولا بد أن يكون ما نحن فيه باطلا من أوله إلى آخره . وقد صارحت الأستاذ أبا الخير بكل ماحقته فلم أجد منه إقبالا على كلامي أو إصغاء إليه ، ورأيت فيه إسرافا في حسن الظن بالوسيط يتجاوز في تقديري ما ينبغي أن يقسم به البحث العلمي الدقيق ، فاكثفت وقتذاك بأن أعتزل اجتماعاته في هدوء ؛ لما كنت أكنه له من تقدير واحترام منذ تلبذت عليه ؛ ولأنني قد رجحت حينذاك أنه ضحية لخداع الوسيط وثقته به وأنه غير مشترك في هذا الخداع ؛ ولأنني كنت لا أزال وقتذاك مخدوعا بدعوى الروحانيين لا تتجاوز شكوكي شخص الوسيط ، فكنت أقول لنفسي : إن فشل تجربتنا لا يدل على فساد الدعوى ، ولعل مواصلة التجربة تؤدي إلى نتائج سليمة . ولم ألبث أن نقلت إلى فرع كلية الآداب بالإسكندرية في العام التالي سنة ١٩٤٠ فانقطعت صلتى بالجامعة إلا ما كان من زيارات متباعدة كلما سمحت الفرصة أثناء وجودي في القاهرة . ولكنني تتبعت أخبارها في الصحيفة التي أصدرتها من بعد باسم (عالم الروح) والتي ظل الأستاذ أبو الخير يفضل بإرسالها إلى مشكورا حتى الآن .

فعرفت منها أنه قد استبدل بالوسيط الأول وسيطاً آخر يدعى محمد أبو سريع عيد وهو صانع يعمل في تبييض الجدران وطلاء الأبواب . ثم انتهى إلى جماعة من المثقفين الذين أشرت إلى أسماء بعضهم منذ قليل ، فاستغلوا صفتهم هذه التي تمسكهم من إملاء ما يشاءون باسم الأرواح ، وانحرفوا إلى الدعاية للفرعونية وتمجيدها في شتى نواحيها الحضارية والثقافية ، بل الدينية أيضا ، حتى أصبحت بعض أعداد مجلة «عالم الروح» الشهرية مسخرة لهذا الغرض وحده في كل مقالاتها .

وأتاح الله لي بمنه وفضله بعد من أسباب الهداية ما ملأ نفسي يقينا وما أقامني على الجادة ، وكفاني التعرض لهذه المجازفات الخطرة المهلكة . وأعدت النظر في هذه المزاعم الروحية

فإذا هي شعبة من الدعوات المربية التي تأخذ الناس من كل جانب ، والتي تلبس مختلف الأثواب ، وتحفى حقيقتها تحت مختلف الأسماء ، محاولة بذلك أن تغطي كل الميادين ، وتغلغل إلى كل الاتجاهات . فهي تارة تنتحل اسم العلم ، وهي تارة أخرى تنتحل اسم السلام أو الرحمة أو الإنسانية أو محاربة الإلحاد والمادية . وهي أبعد شيء حقيقة وهدفا عن كل ما تستتر تحته من أسماء وأغراض . وهالتي الأمر حين تبينت حقيقة أمرها ، وكثرة المخدوعين بها والواقعين تحت سلطانها ، من الأبرياء الذين لا تزال تستدرجهم حتى تستل من صدورهم الإيمان ، وتسلبهم إلى خليط مضطرب من الظنون والأوهام ، يتزعزع معه كل ما استقر في نفوسهم من عقائد دينية ومعايير أخلاقية . عند ذلك أيقنت أن في عنقي أمانة لا تبرأ ذمتي إلا بأدائها ، وهي أن أشهد بما علمت وأكشف عما عرفت من أمر هذه الدعوة الهدامة . فلعل في مقال هذا الذي أكشف فيه عن أباطيل هؤلاء الهدامين إبراء لذمتي من تبعة كتمان الحق ، وقياماً بواجب الشكر على بعض نعم الله سبحانه وتعالى علي .

وبعد ، فإنني أستمح القارىء عذرا عن إقحام شخصي في هذا الحديث ، فما إلى التحدث عن نفسي قصدت . ولكنني أردت أولا أن أدل بشهادة يأثم قلبي بكتمتها ، ثم إنني أردت أن يعلم القارىء وأن يعرف المشتغلون بهذه الأوهام أني لا أجازف بالخوض فيما لا أعرفه ، وأنى غير مدفوع في كلامي هذا بالتشبث بالمألوف الموروث والإعراض عن كل جديد ، على ما يزعمه ويكرره أصحاب كل ضلالة تساق تحت اسم جديد . ومن الواضح أن كلامي غير موجه للغشاشين والمخادعين والمضللين والمغرضين من طلاب المغانم شهرة كانت أو مالا . فهؤلاء لا حيلة لي معهم ، وأمرى وأمرهم إلى الله سبحانه وتعالى . وكل ما أستطيعه إزاءهم هو أن أنبه الناس لشرمهم وأكشف الغطاء عن ألاعيمهم . أما المخلصون والباحثون عن الحقيقة من المشتغلين بهذه التجارب ، بمن استهواهم بريقها الخداع ، وظاهرها المزيف ، ودعاواها المزورة ، فالإلهام يساق الحديث . والأمل كبير في أن يراجعوا أنفسهم ، ويعيدوا النظر فيما قرءوا وما شاهدوا ، وفيما يقرءون وما يشاهدون ، في ضوء ماسوف أكشف عنه أثناء مناقشة حججهم وأساليبهم وفضح أغراضهم . وإلى الجزء القادم إن شاء الله ؟

الدكتور محمد محمد حسين

أستاذ الأدب العربي الحديث بجامعة الإسكندرية

كلمة

حول الاحتفال بليلة النصف من شعبان

كتب الأستاذ الشيخ محمد البنا في العدد الثاني عشر من مجلة لواء الإسلام لستها الحادية عشرة كلمة في حكم الاحتفال بليلة النصف من شعبان ، وما ورد فيها من الصلاة والدعاء اللذين يفعلهما المسلمون في مساجدهم وبيوتهم مع أهلهم لم يصب فيها كبد الحقيقة التي ينشدها المسلمون من الدعاء الهادين ؛ لأنه ظن أن الأحاديث الواردة فيها - وقد ذكر بعضها - صحيحة سالمة من التجريح ، مع أنها على ما نقل عن الحافظ ابن حجر لا تساوى سماعها ، وبكل أسف أرخى العنان لقلبه فجمع به وند عن طريق الرشاد الذي يدعو إليه القرآن الكريم ، فرمى صفوة العلماء أئمة الدين بالحماقة وسوء التصرف والبعد عن الحكمة وتفريق كلمة المسلمين ؛ لأنهم اختلفوا في حكم الاحتفال بليلة النصف من شعبان هل هو موسم ديني مشروع أو غير مشروع ؟ حيث قال ما ملخصه : إن ما يفعله المسلمون في هذه الليلة في مساجدهم وبيوتهم مع أهلهم من الصلاة والدعاء وقراءة القرآن تقليد لا أراه منافياً للدين أو مراغماً لسنة من سنن سيد المرسلين ، وفي الاحتفال بهذه الليلة تذكير الناس بالإقلاع عن الرذائل والتحلل بالفضائل ، والأولى أن يدعو الإنسان في هذه الليلة بما ورد مع قراءة سورة يس .

ثم قال عن اختلافهم في حكمه : والعلماء قدوة للناس فإذا أوقدوا بينهم نار الخلاف لأمر صغير كانوا قدوة سيئة وشرأ مستطيراً ، وإذا غلبت الحكمة والتوا على هدف واحد بالتفاهم والتعاون كانوا مثلاً صالحاً وخيراً للعالمين ، كيف وقد عرف من أخلاق سيد الخلق أنه كان لا يزجر أحداً إلا عن معصية ، وليس في هؤلاء العلماء من يدعى أن الدعاء في هذه الليلة منكر والابتهال إلى الله فيها معصية ، وماذا عليهم لو قالوا كما يقول عقلاء الأمة : إن ما ورد صحيح ، لو قالوا ذلك لساد الوفاق وارتفع الشقاق وكان ذلك هو الحكمة وفصل الخطاب .

وللرد على كلمته أقول للأستاذ محمد البنا : إن الدين رسم إلهي وتشريع سماوي ، شرعه العليم الحكيم على لسان رسوله بما يليق لعبادته وشكره ومصالح عباده ، فبين العبادات وكيفيتها

وزمانها ومكانها ومواسم اجتماعها ، فليس للرأى والقياس العقليين فيه دخل ، فن أحدث زيادة أو نقصا في عددها أو كيفيتها أو أحدث مواسم أو اجتماعات أو أحكاما من حلال أو حرام فقد جعل نفسه شريكا لله في التشريع كالأخبار والرهبان ، أو افترى الكذب على الله إن نسب ذلك إليه تعالى ، وهذا ابتداع في الدين فهو ضلالة ، فقول الأستاذ محمد البنا : إن هذا « تقليد » اعتراف صريح منه بأن هذا الاحتفال غير مشروع ، وأنه تقليد لمبتدعيه كتقليد الكتائبين للكهنه في طقوسهم الدينية ، وقوله : لا أراه منافيا للدين ، قول بالرأى في الدين ، وتشريع بما لم يأذن به الله ، فهو ضلالة وفتنة . روى عوف بن مالك الأشجعي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (تفرق أمتي على بضعة وسبعين فرقة ، أعظمها فتنة قوم يقيسون الدين برأيهم ، يحرمون ما أحل الله ، ويحلون ما حرم الله) ، وقال عمر بن الخطاب « إياكم وأصحاب الرأى فإنهم أعداء السنن ، أعييتهم الأحاديث أن يعوها وتفلتت منهم أن يحفظوها ، فقالوا بالرأى فضلوا وأضلوا » .

ويؤيد ما ذكرته من أن التشريع الديني لا دخل للرأى العقلي فيه ما وقع بين علي كرم الله وجهه وبين رجل آخر ، وهو أن رجلا يوم العيد في الجبابة أراد أن يصلي قبل صلاة العيد فنهاه على فقال له الرجل : إني أعلم أن الله لا يعذب على الصلاة ، فقال له علي : إني أعلم أن الله لا يثيب على فعل حتى يفعله رسول الله أو يبحث عليه . فما أشبه قول الأستاذ محمد البنا بقول هذا الرجل فيرد عليه بما قاله علي رضي الله عنه ، وروى أن رجلا سأل مالك بن أنس من أين أحرم ؟ فقال له مالك من حيث أحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال له الرجل : فإن أحرمت من أبعد منه ؟ فقال له مالك : لا تفعل فإني أخاف عليك الفتنة . فقال الرجل : وأي فتنة في ازدياد الخير فقال له مالك : يقول الله تعالى « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة » ، وأي فتنة أعظم من أنك ترى أنك خصصت بفضل لم يختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ودعوى الأستاذ البنا أنه ورد في ليلة النصف من شعبان صلاة ودعاء وقراءة قرآن دعوى غير مطابقة للواقع ، بل كل ما ورد فيها ابتداع الضالين المضلين على ما سنيها .

وقوله وقد عرف من أخلاق سيد الخلق أنه كان لا يزجر أحدا إلا عن معصية ، فيقال له أي معصية أعظم من الابتداع في الدين وافتراء الكذب على الله وتشريع ما لم يأذن به الله ؟

والله يقول : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ، والنبي يقول في خطبته « وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » وعن مالك « من أحدث في هذه الأمة شيئا لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن محمداً خان الرسالة ، لأن الله يقول : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ، فما لم يكن يومئذ ديننا لا يكون اليوم دنيا » وعن حذيفة بن اليان وابن مسعود « كل عبادة لم يتعبد بها أصحاب رسول الله فلا تعبدوها ، فإن الأول لم يدع للآخر مقالا ، فاتقوا الله يا معشر القراء وخذوا طريق من كان قبلكم » . وعن ابن عمر « كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة » .

والاحتفال بليلة النصف من شعبان بالطريقة التي يفعلها المسلمون في مساجدهم وبيوتهم مع أهلهم لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم بفعل أو قول ، ولم يجعل الشارع هذه الليلة من مواسم الاجتماع الدينية ، ولم يتعبد بها أصحاب رسول الله ، بل هو محدث في سنة ٤٤٨ هـ . فهو بدعة ضلالة .

وقوله وفي الاحتفال بهذه الليلة تذكير الناس بالإقلاع عن الرذائل والتحلي بالفضائل ، سهو من الأستاذ البنا عن مواقع التذكير يحتاج الى تنبيهه بأن تذكير الناس بذلك من قبيل الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو مطلوب من القادر على ذلك في جميع الأوقات لا في خصوص ليلة النصف من شعبان ، فتخصيصها بذلك بدعة ضلالة .

وقوله وماذا على العلماء لو قالوا كما يقول عقلاء الأمة إن ماورد صحيح ؟ هذه عبارة نائية عن حدود آداب المناظرة ، ولا يليق صدورها من رجل أعد نفسه للإرشاد إلى مكارم الأخلاق مع الأئمة المحدثين الحفاظ الذين بذلوا حياتهم وعقولهم لتأييد الحق من الدين ونبد الباطل الذي ألصقه المبتدعة به : كالعز بن عبد السلام وتقي الدين بن الصلاح وأبو بكر ابن العربي وأبي شامة شيخ الإمام النووي وابن تيمية ، وغيرهم من أعلام المحدثين الذين بلغوا درجة الاجتهاد ، ويصفهم بأنهم غير عقلاء ومفروقون للأمة الإسلامية ؛ لأنهم اختلفوا في الاحتفال بليلة النصف من شعبان هل هو موسم ديني له صلاة خاصة ودعاء وقراءة قرآن ؟ وكان عليهم أن يتفقوا على مشروعيته وصحة أحاديثه وإن ثبت عندهم أنها موضوعة . فأذكر الأستاذ محمد البنا - والذكرى تنفع المؤمنين - بأن الاختلاف الذي هو تبادل الرأي للوصول إلى الحق للعمل به دنيا أو دنيا جاز شرا مقبول عقلا ، وقد خلق الله الإنسان متفاوت العقل

مستعدا لتبادل الرأى ؛ لتحصيل العلم الذى تتحقق به إنسانيته ويصلح به أن يكون خليفة فى الأرض ليعمرها . فطلب الأستاذ البنا من أعلام الأمة نبذ الاختلاف وتبادل الرأى بينهم كطلب ألا يكون الإنسان إنسانا ، وفى القرآن الكريم كثير من الاختلاف بين بنى الإنسان بل وبين الملائكة ، فقد اختلف موسى مع أخيه هارون ومع الخضر ، واختلف النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه فى كثير من الشئون الدينية والدنيوية ، واختلف السلف بعضهم مع بعض ، وما الشورى فى الإسلام إلا تبادل الرأى ، وما القضاء فى الخصومات إلا بعد تبادل الرأى بين المتخاصمين أمام القاضى ، وما اختلاف العلماء فى مشروعية الاحتفال بليلة النصف من شعبان وعدم مشروعيته إلا تبادل الرأى لإقرار الحق ونبذ الباطل الذى لا تقره الشريعة الإسلامية . فهم عقلاء الأمة وقودتها ، وشمس هدايتها وجامعو شتاتها ومنظمو عقدها ، فجزام الله خيرا . وأختم كلمتى بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم « لا تزال أمتى بخير ما وقر صغيرها كبيرها ورحم كبيرها صغيرها وحفظوا لعالمهم حقها » ، نسأل الله أن يجعلنا من الذين يحفظون حقوق علمائهم ويجنبنا الانحراف عن صواب آرائهم .

وليك نبذة مما قاله حفاظ الحديث وأهل التعديل والتجريح فى حكم الاحتفال بليلة النصف من شعبان وما رد فيها وتاريخ حدوثها .

(قال القرطبي فى تفسير قوله تعالى « إنا أنزلناه فى ليلة مباركة » من سورة الدخان مانصه : قال القاضى أبو بكر بن العربى وجمهور العلماء : إنها أى الليلة المباركة ليلة القدر ، ومنهم من قال إنها ليلة النصف من شعبان ، وهو باطل ؛ لأن الله تعالى قال فى كتابه الصادق القاطع « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن » فنص على أن ميقات نزوله رمضان ، ثم عين نزوله الليل هاهنا بقوله « فى ليلة مباركة » ، فمن زعم أنه فى غيره فقد أعظم الفرية على الله ، وليس فى ليلة النصف من شعبان حديث يعول عليه لا فى فضلها ولا فى نسخ الآجال فيها ، فلا تلتفتوا إليها) ١ . هـ .

وقال جمال الدين القاسمى فى كتابه « إصلاح المساجد » نقلا عن كتاب « الباعث على إنكار البدع والحوادث » لأبي مامة شيخ الإمام النووى فى حكم صلاة رجب : وقد جزم حفاظ الحديث بوضع أحاديثها . ثم قال : وما ذكره الحافظ أبو الخطاب فى أمر صلاتى رجب وشعبان من أنهما بدعتان وحديثهما موضوع هو كان سبب تبطيلهما فى بلاد مصر بأمر سلطانها الكامل محمد بن أبى بكر بن أيوب رحمه الله ؛ فإنه كان مائلا إلى إظهار السنن وإماتة

البدع . وقال في بدعة زيادة التنوير في ليلة النصف من شعبان ونشر فضائلها وقراءة أدعية فيها : وهو من بقايا ما كان ابتدع فيها سنة ٤٤٨ هـ من الصلاة الألفية ، يقرأ فيها قل هو الله أحد ألف مرة ، في مائة ركعة تلي بعد الفاتحة عشر مرات سورة الإخلاص ، وكانت تنور المساجد لأجلها ويجمع الألوف لأدائها ، إلى أن أبطلها الملك الكامل ، ثم قال : قال ابن وضاح عن زيد بن أسلم : ما أدركنا أحدا من مشايخنا ولا فقهاءنا يلتفتون إلى ليلة النصف من شعبان ولا فقهاءنا يلتفتون إلى حديث مكحول ولا يرون لها فضلا على سواها ، وقال الحافظ أبو الخطاب بن دحية تروى الناس الأغفال في صلاة ليلة النصف من شعبان أحاديث موضوعة ، وكلفوا عباد الله بالأحاديث الموضوعة فوق طاقتهم من صلاة مائة ركعة ، وقال أهل التعديل والتجريح : ليس في ليلة النصف من شعبان حديث يصح ، فحفظوا عباد الله من مغتر يروى لكم حديثا موضوعا يسوقه في معرض الخير ، فاستعمال الخير ينبغي أن يكون مشروعا من النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا صح أنه كذب خرج عن المشروعية ، وكان مستعمله من خدم الشيطان ؛ لاستعماله حديثا على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينزل الله به من سلطان . ثم قال : وما أحدثه المبتدعون وجروا فيه على سنن المجوس واتخذوا دينهم لها ولعبا من الوقيد ليلة النصف من شعبان ، لم يصح فيها شيء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نطق بالصلاة فيها والإيقاد وصدق من الرواة ، وما أحدثه المتلاعب بالشرعية الحمدية راغب في دين المجوسية لأن النار معبودهم ، وأول ما حدث ذلك في زمن البرامكة فأدخلوا في دين الإسلام ما كان أصلهم عليه من عبادة النيران . ثم قال : وأما دعائها المشهورة فلم يرد من طريق صحيح ولا غيره ، وإنما هو من جمع بعض المشايخ ، اه كلام العلامة القاسمي رحمه الله .

وعن النجم الغيطي في فضائل ليلة النصف من شعبان : (أن ما يروى في هذه الليلة من الأحاديث باطل وموضوع) اه .

وقد أنكر الإمام الشيخ محمد عبده الاحتفال بليلة النصف من شعبان وأحاديثها ودعائها أشد الإنكار في درس التفسير الذي كان يقرؤه في الأزهر على ملاء العلماء والعظماء . ومن أهم ما استند إليه المبتدعون لهذا الاحتفال تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام في يوم النصف من شعبان ؛ فالاحتفال بليته تذكير بهذا الحادث العظيم وفي بهجة المحافل عن

المواهب اللدنية (روى الإمام أحمد عن ابن عباس بإسناد صحيح أن تحويل القبلة كان في رجب ، قال الواقدي وهو أثبت) أى من القول بأنه في شعبان . وقال الحافظ أبو الخطاب وهو الصحيح وجزم به الجمهور (١٥٠ هـ . على أنه لو ثبت قطعاً أنه في شعبان لم يكن هذا مسوغاً لجعلها موسماً يحتفل به دينياً ؛ لأن كل احتفال ديني لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة كالجمعة والعيد والحج ، ولم يكن له مسوغ شرعي ، كالتعاضد والاعتبار أو التأسي والاستبصار بذكر حوادثه وأسبابها وما نجم عنها كذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، يكون عبثاً وتشريعاً بما لم يأذن به الله فيكون بدعة ضلالة ، وعلى علماء المسلمين أن يقاطعوا هذا الاحتفال ، وجميع الاحتفالات المبتدعة ، كاحتفالات المولد التي ابتدعتها أرباب طرق التصوف الباطلة ، التي شوهت جمال الدين المحمدي وسرت ضوؤه ، وأسأت سمعته لدى أعدائه بما اشتملت عليه من المفاصد وجعلت الأمة الإسلامية شيعاً وأحزاباً متفرقة متعادية ؛ لأنهم على غير المنهج النبوي ، فهم لا يرون إلا أكل أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ؛ فإن شهود العلماء لهذه الحفلات وهذه الموالد بدون إنكارها وهم أئمة الدين مما يؤهم العامة أنها من الدين وهو منها براء ، بل وعلى العلماء خصوصاً الوعاظ منهم أن يبينوا للناس أنها فتنة وإلا كان عليهم إثم السكوت والإقرار على الباطل . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : « وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة قالوا من هي يا رسول الله ؟ قال : من كان على ما أنا عليه وأصحابي » . أسأل الله أن يوفقنا إلى اتباع هدى النبي صلى الله عليه وسلم .

عمر عبد الوهاب الجندي

شيخ معهد دسوق سابقاً

صحابة الرسول

شم الحرائن أبطال لبوسهم
من نسج داود في الهيح سرائيل
ليسوا مفاريح إن نالت رماحهم
قوما وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا
كعب بن زهير

من تاريخ السنة النبوية

(١)

حجية السنة ووجوب العمل بها

السنة معناها في اللغة الطريقة والعادة المتبعة ، وأما معناها في عرف المحدثين والأصوليين ، فهي قول النبي صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره ، والمراد بتقريره سكوته وعدم إنكاره لقول أو عمل رآه أو علم به ، صدر ممن هو خاضع لحكمه وسلطانه ، فهذا السكوت يكون تقريراً لمشروعية ذلك القول أو العمل ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم لا يقر أحداً على باطل ، أما إذا صدر ذلك القول أو العمل ممن ليس خاضعاً لحكمه وسلطانه ، فلا يكون عدم إنكاره تقريراً لمشروعيته .

والسنة بهذا المعنى الاصطلاحي ، هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم ، فقد أجمع أهل الحق من أئمة المسلمين وعلمائهم ، على أن السنة النبوية حجة شرعية يجب العمل بها ، وقد تحدث القرآن عن هذا الأصل في آيات كثيرة ، وأظهره في أساليب متنوعة ، فيها إيجاب وإلزام ، وفيها ترغيب وترهيب ، فأوجب علينا أمثال أمره واجتناب نهيهِ ، والافتداء به في قوله وفعله ، والالتقاء لحكمه والتسليم لقضائه ، كما في قوله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » ، « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً » ، « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكوك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلبوا تسليماً » ، « فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول » قال العلماء : معناه إلى الكتاب والسنة ، وجعل طاعة الرسول طاعة الله عز وجل كما في قوله « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا » وجعل اتباعه مستتبعا لحب الله لنا ورضائه عنا كما قال تعالى « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » ، وحذرنا من مخالفة أمره وأوعد المخالفين بسوء العذاب ، كما قال تعالى « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وأكده في كثير من الأحاديث ، كقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري ومسلم « فإذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم »

وفيا رواه البخارى « من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله » وقوله صلى الله عليه وسلم « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنة رسوله » .

فحجية السنة النبوية معلومة من الدين بالضرورة ، والإيمان بها أصل من أصول الدين ، والعمل بها واجب كالعمل بالقرآن الكريم ، لا يخالف فى ذلك إلا من ضل سواء السبيل ، فكل حديث روى بطريق النقل الصحيح وتضمن حكما تشريعا ، فإنه يكون حجة شرعية فيما دل عليه من إيجاب أو نذب ، أو تحريم أو كراهة أو إباحة ، بشرط ألا يكون مناقضا لصريح العقل ، أو للنصوص القرآنية الصريحة ، أو الأصول الشرعية المجمع عليها ، أما إذا كان مناقضا لشيء مما ذكر ، فإن قبل التأويل بما يرفع عنه هذه المناقضة ، وجب تأويله مع المحافظة على قوانين اللغة العربية فى أوضاعها ودلالاتها ، وإن لم يقبل التأويل وجب رده وعدم الأخذ به ؛ لأن هذه المناقضة التى لا تقبل التأويل المعهود فى الأساليب العربية ، تدل على أنه حديث موضوع محتلق كما قال أئمة الحديث .

فما كل راو بعدل ضابط ثقة ، وما كل مروى بحديث صحيح ، بل الرواة منهم العدول الضابطون الثقات ، ومنهم الضعفاء وأهل الغفلة ، ومنهم الواضاح أصحاب الأهواء والغايات ، والأحاديث الجارية على أسنة الرواة منها الصحيح المعروف ، ومنها الضعيف المنكر ، ومنها الموضوع المختلق ، هذا هو الحق الذى ينطق به واقع الحال فيما روى من أحاديث وسنن ، فإن كل من عرف أحوال الصحابة الذين نقلت عنهم أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم وعرف أحوال التابعين الذين نقلوا عنهم هذه الأحاديث ، وعرف أحوال الأئمة الذين رووها عنهم وجمعوها ودونوها فى دواوينهم ، وأحاط خيرا بمدى عناية هذه الصفوة القوية فى عقائدها وأخلاقها وتدينها ، والممتازة فى حفظها وعدالتها وضبطها ، بحفظ هذه الأحاديث والثبوت فى روايتها والتحدث بها ، ووقف مع ذلك على تاريخ المسلمين وما عرض لهم من أحداث وفتن ، وما تكشف عنه هذه الأحداث والفتن ، من أحزاب وشيع ، وأهواء وابتداع ، وعرف كيف هيمن على تفكير هذه الشيع طغيان التعصب والهوى ، ووقف على أحوال الطوائف التى كانت تكيد فى الخفاء للإسلام والمسلمين ، فإن كل من عرف ذلك معرفة رسوخ وثبت ، فإنه يحكم حكما جازما لا يرق إليه الشك والارتياب ، بثبوت الصحة ووجوب الصدق ، فى مجموعة كبيرة من الأحاديث والسنن ، التى جاءت مبينة لمقاصد القرآن ومتممة لشرائع الإسلام ، كالأحاديث التى رواها الأئمة الراشدون وتلقاها الأمة بالقبول ، وتوارثها

المسلمون جيلاً بعد جيل ، وبوقوع الكذب والاختلاق من الوضع في كثير من الأحاديث كالأحاديث التي وضعها الزنادقة لإفساد الدين ، والأحاديث التي وضعها أهل الأهواء تعصبا لمذاهبهم وانتصاراً لأهوائهم ، كما يشير إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم « يكون في آخر الزمان دجالون كذابون ، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم ، لا يضلونكم ولا يفتنونكم ، غير أن هذه الطوائف على كثرتها وتعدد اتجاهاتها وتباين أغراضها ، لم يخف أمرها على أئمة السنة وحفاظها ، بل عرفوهم معرفة الناقد البصير ، وكشفوا للمسلمين عن سوء مقاصدهم وخبث طوياتهم ، وبينوا لهم ما في هذه الأحاديث التي وضعوها من زيف وبطلان ، فجزاهم الله عن الإسلام وسنة نبي الإسلام أحسن الجزاء .

أثر السنة في التشريع الإسلامي :

للسنة النبوية أثر كبير في التشريع الإسلامي . إذ هي المصدر الثاني له بعد القرآن كما قلنا ، ويتجلى هذا الأثر العظيم في الجوانب الآتية :

« الجانب الأول » : تبين القرآن وتوضيح أصوله وقواعده . كما قال تعالى « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » فالذكر هو القرآن المنزل من عند الله بلفظه ومعناه ، وهو الدستور الإلهي الذي أودع الله فيه الأصول العامة ، لإصلاح العقائد والأخلاق والأعمال . ونظمها في آياته القدسية بأبلغ الأساليب العربية وأدق التراكيب البلاغية ، ثم أفاض على نبيه بيانها بسنة المطهرة ، تارة بالسنة القولية وتارة بالسنة العملية ، كبيان كيفية الصلاة وأعدادها وأوقاتها ، ومقادير الزكاة وأوقاتها التي تؤدي فيها ، وأنواع الأموال التي تؤخذ منها ، ومناسك الحج وأحكام العقود والمعاملات ، وغيرها من شرائع الإسلام التي جاء القرآن بأصولها ، وجاءت السنة النبوية ببيانها وتفصيلها ، كما يتجلى ذلك في كتب الحديث التي عني جامعوها بفقهاء الحديث النبوي ، فالموطأ ، وجامع الترمذي وسنن النسائي وسنن أبي داود ، والكتب الجامعة لأحاديث الأحكام ، كالمتنقي لابن تيمية وبلوغ المرام لابن حجر .

فالسنة النبوية هي التي وضحت مبادئ التشريع القرآني وأصوله ، وبينت كيف كان يعمل الرسول وأصحابه بهذه المبادئ والأصول ، وكيف كان أثرها في حياتهم المدنية والاجتماعية .

« الجانب الثاني » : استقلالها بتشريع كثير من الأحكام العملية، كما يدل لذلك قوله تعالى :
« وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » وقوله تعالى « ويعلمهم الكتاب والحكمة »
قال العلماء الكتاب هو القرآن الكريم ، والحكمة هي السنة النبوية ، وما رواه أبو داود
والترمذى من قوله صلى الله عليه وسلم « يوشك رجل منكم متسكئاً على أريكته ، يحدث
بحديث عني فيقول ، بيننا وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه ، وما وجدنا
فيه من حرام حرّمناه ، ألا وإن ما حرم رسول الله مثل الذي حرم الله — زاد أبو داود في
روايته — ألا إني قد أوتيت الكتاب ومثله معه » . فقد دل هذا الحديث بمجموع طرقه
ورواياته على ثلاثة أمور « أحدها » أن السنة مصدر تشريعي كالقرآن الكريم ، وأنه صلى
الله عليه وسلم أوتي من هذا الوحي الباطني وهو السنة ، مثل ما أوتي من الوحي الظاهري
وهو القرآن الكريم ، فالقرآن منزل من عند الله بألفاظه ومعانيه . والسنة معانيها وهي من
الله تعالى ، وألفاظها الدالة على هذه المعاني من عند النبي صلى الله عليه وسلم وإنشائه ، كما يدل
على ذلك عموم قوله تعالى : « وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى » فلم تكن أحاديثه
صلى الله عليه وسلم ، تصدر عنه على نهج خطباء العرب وشعرائهم ، وإنما كانت روحه
العلوية تتلقى من الملأ الأعلى ، ما شاء الله من معاني الحكمة ، ثم يصوغها في تراكيب تعبر عن
هذا الوحي الباطني الإلهي ، بخلاف خطباء العرب وشعرائهم ، فإن أرواحهم كانت تستمد
المعاني التي تجيش في صدورهم ، من عواطفهم وأحاسيسهم ، وما يحيط بهم من العوامل
والمؤثرات ، ثم يعبرون عن هذه المعاني ، بالأساليب التي تتفق مع هذه العواطف والأحاسيس
والمؤثرات ، « وثانيها » التحذير من مخالفة السنن التي سنّها الرسول مما لم يذكر في القرآن
الكريم ، فالاحتجاج والعمل بالقرآن مع الإعراض عن السنة ، إنما هو ضلال في الرأي
وفساد في العقيدة وإلحاد في الدين ، « وثالثها » أنه لا حاجة في الاجتماع بالحديث إلى عرضه
على كتاب الله كما زعم بعضهم ، بل هو حجة شرعية قائمة بنفسها ، وأما ما يروى من حديث
« إذا جاءكم الحديث عني فأعرضوه على كتاب الله فإن وافقه فخذوه » فقد قال فيه القرطبي
نقلاً عن الخطابي ، إنه حديث باطل لا أصل له ، ونقل ابن عبد البر في كتاب جامع العلم أنه
من وضع الزنادقة والخوارج .

« الجانب الثالث » : هو ما جاءت به السنة النبوية من الأخلاق الفاضلة ، والآداب

السامية ، والحكم البالغة ، والمواعظ الشافية ، فهى الناصح الأمين فى نصحه ، والمرشد الصادق فى إرشاده ، والقائد الحكيم فى قيادته ، والرائد الذى لا يكتذب أهله ، والسلسل العذب الذى يحيى موات القلوب التى لم تستحكم فيها غباوة الجهل ، ولم تحجبها عن منهل حجب الأهواء والشهوات ، وهى النور الإلهى الذى ينفذ إلى أعماق النفوس المستعدة للخير والهداية فيملاً جوانبها هداية ونورا ، فليس شئ بعد القرآن أهدى للنفوس ، وأنجح فى شفاء الصدور وطهارة القلوب ، وأقوى فى تمتة مكارم الأخلاق ومواهب الخير والكمال ، من دراسة السنة دراسة رائدتها الإخلاص للدين والعلم ، والوصول إلى مكشوف حقائقها وأسرارها . وغايتها ترقية الأرواح وتركيز النفوس ، وتقوية الأخلاق وإصلاح الأعمال ، وقوامها البحث العلى الذى لا تشوبه شوائب الأغراض والأهواء ، ولا تتحكم فيه عصبية المذاهب وتقديس الآراء ، ولا تلتوى به مسالك الزيف والانحراف ، ولا تذهب بفائدته معوقات الجدل الذى لا نفع فيه ولا جدوى ، فإذا تكملت لدراسة السنة هذه العناصر التى لا بد منها ، فحدث عن مواقع الغيث ومواهب الخير ولا حرج ، حدث بما شئت وشاء لك الحديث ، عما ثمره هذه الدراسة من طهارة القلوب وصفاء النفوس ، وكمال الأخلاق واستقامة السلوك والإحاطة بأصول التشريع الإسلامى وفروعه ، والوقوف على أغراضه ومقاصده ، واحكم وأنت صادق فى حكمك ، بأن كل قلب لا يمتلئ بتعظيم شأن السنة النبوية ، ولا يستضىء بنورها وهداياها ، ولا يعرف حق حفاظها ورواتها من الإجلال والإكبار ، لهُو قلب هواء لاخير فيه ، ولا يقين له ولا طمأنينة ، ولا نور فيه ولا هداية .

هذه هى خلاصة الجوانب التى تجلئ أثر السنة فى التشريع الإسلامى ، وتبين منزلتها من الكتاب العزيز ، وتقيم الحجة الواضحة على أن الكتاب والسنة صنوان لا يفترقان ، وكيف يفترقان وقد جمع الله بينهما فى العقيدة والعمل ، فمن فرق بينهما أو حاول التشكيك فى هذا الميراث النبوى ، فقد ضل فى عقيدته وعمله ضلالا بعيدا .

عناية المسلمون بالسنة :

عرف المسلمون الأولون أن السنة النبوية المطهرة ، هى معصم المسلمين وقبلة أنظارهم بعد القرآن الكريم ، ولهذا عنى بها علماء المسلمين وأئمتهم عناية كبرى ، فلم يدعوا جانباً من جوانب حفظها وجمعها ، وتدوينها وشرحها ، إلا جاءوا فيه بأقصى ما تحتمله طاقة البشر ، فقد

قيض الله لها من خيرة الحفاظ المتقنين . والرواة الصادقين ، وأعلام الأئمة الراشخين ، رجلاً عرفوا من توجيهات القرآن وتعاليم الإسلام ، أن الوجود الدنيوي بكل ما يتطلبه من عمل وكفاح ، وما يصل إليه من رقي وكمال ، وما ينطوي عليه من حكم وأسرار ، إنما هو إعداد لوجود أخروي هو أرقى من هذا الوجود ، وحياة أبدية هي أكمل من هذه الحياة فارتفعت بهم هذه المعرفة عن الرضا بالحياة الراكدة العاطلة ، وسمت بهم عن التطلع إلى المجد الرخيص المبذل ، وفتحت أعينهم على أبواب هذا الإعداد ومسالكه ، وملأت قلوبهم بأجل المقاصد وأعظم الغايات ، ورأوا بنور بصائرهم ، واستقامة تفكيرهم ، أن الاشتغال بحفظ السنة وتدوينها ، واستخلاصها من كل دخيل مكذوب ، واستخراج ما انطوت عليه من علوم وفنون ، من أشرف المقاصد وأنبل الغايات ، فوهبوا حياتهم وجهودهم لخدمتها والعناية بها ، واتخذوا من رياضها مسارح لعقولهم وأفهامهم ، وبذلوا في سبيلها كل ما تحتله الطاقة البشرية من جهد عقلي واحتمال جثماني ، فسهرت عيونهم والجهال في نوم يغطون ، وتعبت أجسامهم وطلاب المال والجاه في لهو يلعبون ، لأن نفوسهم كانت كباراً :

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

فكانت نوراً لعقولهم ، وغذاء لأرواحهم ، وسكناً لأفئدتهم ، ورائداً لهم في تدينهم وسلوكهم ، ومرجعاً لهم في فتاويهم واجتهادهم .

وبهذه الجهود التي تواصلت حلقاتها ، وسارت مع السنة في جميع عصورها وأطوارها ، والتي لم تعرف لكلام نبوي من قبل ، حفظوا على السنة جلالها وقداستها ، ونفوا عنها تحريف الغالين في الدين ، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ، وصارت ميراثاً خالداً في المسلمين ، وتراثاً باقياً في العالمين ، وبذلك كانوا حماة الدين الصادقين ، والأئمة الهداة الراشدين ، ومصدقا لما رواه البيهقي من قوله صلى الله عليه وسلم : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » . وتتجلى مظاهر هذه الجهود في ثلاثة أطوار : وهي طور الحفظ والاعتقاد على الذاكرة ، وطور الجمع والتدوين ، وطور الشرح والتفسير ، وتفصيل ذلك فيما يأتي إن شاء الله .

يس سويلم طه

شيخ معهد الزقازيق

من أبطال التاريخ :

أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز

رضى الله تعالى عنه

يقف التاريخ وقفات طويلة ، عند كثير من الخلفاء والحاكمين المنصفين ، ويسجل لهم من صفات المجد والفخار ، ما لا يلبىه الجديان ، ولا يحويه الليل والنهار ، ولقد كان أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز - نضر الله تعالى تاريخه - من بين هؤلاء العادلين ، الذين دونوا تاريخهم بمداد من الفخر ، على صفحات من نور .

مولده ونشأته :

ولد عمر بن عبد العزيز بالمدينة المنورة ، على المشهور ، في السنة الثالثة والستين من الهجرة النبوية ، وأمه أم عاصم ، بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، رضى الله تعالى عنه ، ونشأ بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، نشأة عزيزة كريمة ، قل أن تهياً لسواه ، ثم أرسل به إلى أبيه عبد العزيز بن مروان ، وإلى مصر حينذاك ، فكث بها عمر مدة ، يزورها مع نسيمها ، ويتمتع بخيراتها ، وينعم بحميل مشاهدتها ، وصافي سمائها ، ورائع حسناتها وأمارها . فلما بلغ سن التعلم أرسله والده إلى المدينة ، محط الثقافة الإسلامية ، وموطن علماء اللسان العربي إذذاك ، ومقر البتمة الباقية من أصحاب الرسول الأعظم ، صلى الله عليه وسلم ، وغيرهم من كبار التابعين ، وجعل صالح بن كيسان رحمه الله ، مؤدبه الخاص ، فأخذ عمر علومه من المنايع العذبة الفياضة ، واستقاهها من المواد الصافية .

زواجه وحكمه :

ولما ذاع فضله أعجب به الخليفة ، عبد الملك بن مروان ، فزوجه بنته فاطمة ، ولما مات عبد العزيز في السنة الخامسة والثمانين من الهجرة ، بعد أن حكم مصر باسم الأمويين زهاء عشرين عاماً ، ولي الخليفة عمر حاكماً على خنصرة ، وهي بلدة كبيرة تابعة لحلب ، ففرح أهلها كثيراً بحكمه ، لما سمعوه عنه وودع الخليفة الحياة ،

وولى الأمر بعده ابنه الوليد ، وضح أهل المدينة بالشكوى من واليهم ، فلم يجد الوليد أصلح لهم ، ولا أعلم بشئونهم من عمر ، الذى نشأ بينهم ، وأقام طويلا فيهم ، فولاه عليهم ، ثم ضم إليه بلاد الحجاز كلها ، فحكها عمر قرابة ست سنوات ، من سنة سبع أو ثمانية للهجرة ، إلى سنة ثلاث وتسعين منها ، وتوخى الحق فى أموره ، واختار حاشيته عشرة من الأئمة المشهورين فى المدينة بالصلاح والتقوى ، وكان يرجع إليهم فى الشئون العامة ، وحفر الآبار الكثيرة ومهد الطرق القديمة ، وشق أخرى جديدة ، وهدم المسجد النبوى ، وبناءه ووسعه وجمله ، وسار فى الناس سيرة حميدة ، قربته من نفوسهم ، ومكنت حبه فى قلوبهم ، فأطاعوه وانصرفوا إلى أعمالهم ، وأمسى الأمن فى الحجاز حديث القاصى والدانى ، ونزع الناس إليه من كل صوب وحذب ، فرأى من ظلم الولاة وكان أهل العراق أسرع من سواهم ، فأقبلوا على الحجاز أفراداً وجماعات ، هاربين من الحجاج بن يوسف واليهم ، فأكرمهم عمر وسهل لهم سبل الإقامة والمعيشة ، وكتب للخليفة يصف له قسوة الحجاج ويندد بأعماله ، فكتب الحجاج للوليد يشكو عمر ، وية قول : إن حاكم الحجاز يحمى ثوار العراق ، الأمر الذى يزلزل أركان الحكم بالعراق ويزيد الفتن اشتعالا .

وكان الخليفة مطمئنا إلى بلاد الحجاز وطاعة أهلها ، حريصا أشد الحرص على تهدئة الأحوال فى العراق ، فعزل عمر ، وولى مكانه حاكما بركة والمدينة ، فبادرا بطرد العراقيين إلى بلادهم ، وشددوا على كل من يؤوى عراقيا ، أو يعاونه .

عمر فى الشام :

رجع عمر ، رحمه الله ، إلى بلاد الشام ، حيث الأهل والعشيرة ، والجاه العريض والثراء الواسع ، ولم يؤلمه العزل ؛ لأن له من جاهه وحسبه وغناه ما يكفيه عن كل ولاية - ولكن الذى كان يحز فى نفسه أن يرى الأمويين يؤيدون الطغاة ويمالئونهم على ظلم الرعية ، حتى ضج الناس بالشكوى ، واستعان الحكام ببعض القبائل على بعض ، ورجعت العصبية التى استأصل الإسلام جذورها إلى ما كانت عليه .

وبرى عمر من كل ذلك إلى الله ، وانقطع للطاعة والعبادة ، وأعرض عن الدنيا وأقبل على مولاه يرجو رحمته ويخشى عذابه ، وضرب فى مضمار الورع والزهد بهمهم وانفر ، ورثه عن جده لأمه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضوان الله تعالى عليه ، ونما فيه أئمة المدينة وزهادها .

توليته الخلافة وزهده في مال المسلمين :

ولقد امتاز عمر بعلبه ووقاره ، وسيرته العطرة في الحسك ، وتقواه وصلاحه ، ورحمته بالمحكومين . واشتد الوجع بالخليفة سليمان بن عبد الملك ، وتوقع الناس موته ، ولم يكن هناك من يصلح للجلوس على الخلافة إلا عمر ، فدخل وفد من العلماء ، وذوى المكانة والرأى على سليمان ، ورغبوا إليه أن يعهد بالخلافة لعمر ، فنزل على رأيهم وكسب وصيته بذلك ، ودعا وجوه الأمويين لإقرارها ، ولم يوضح لهم اسم من اختاره ، فوافقوا عليها وكل منهم يدور بخلده أن الوصية له ، وصعدت روح الخليفة لبارئها ، في العام التاسع والتسعين للهجرة ، وفضت الوصية فإذا هي لعمر ، فاستبشر الناس وأقبلوا إليه مهئين ومبايعين ، وسار فيهم سيرة الخلفاء الراشدين ، حتى عده بعضهم خامس هؤلاء المهديين .

ولقد وجد أمير المؤمنين من سبقه من خلفاء الأمويين يتناولون من بيت المال ما يشاءون ، ويعطون أقاربهم ما يريدون ، ويسكنون القصور الفخمة ويركبون الجياد المطهمة ، ويلبسون الثياب الفاخرة ، ويستعملون العطور الذكية ، ويستكثرون من الحرس ويحيطون أنفسهم بضروب مختلفة من الآهية ، فرد عمر إلى بيت المال ما أخذوه بغير حق ، وأمر ببيع الخيول وأثاث القصور ، والثياب والعطور ، وجواهر زوجته ، ورد أثمان ذلك لبيت مال المسلمين ، وصرف الحراس ولم يبق منهم إلا من تمس الحاجة إليه ، وخاف أن يكون في ضيعته شيء مخصوب أو حرام ، فضمها لبيت المال ، مع خاتم نفيس كان قد أهدها إليه بعض الخلفاء الأمويين .

ولقد حرم أمير المؤمنين على نفسه وأهله أن يأخذوا شيئاً من مال المسلمين ، لإعطاءه القليل ، الذى قدره كثير من المؤرخين بما يساوى مائة جنيه في العام ، وكان ما يصيب عمر منها في اليوم يقارب خمسة قروش !!!

شفقته بالرعية وخوفه من الله :

ليس هناك أدل على شفقته بالرعية ، ورحمته بالمحكومين ، مما روته زوجته السيدة فاطمة بنت عبد الملك بن مروان ، قالت : دخلت على عمر يوماً في مصلاه فرأيت به يبكي ، والدموع تسيل على لحيته ، فسألت ما يبكيك ؟ فقال : يا فاطمة لقد تقلدت أمر أمة محمد عليه الصلاة والسلام ، فتفكرت في الفقير الجائع ، والمرضى الضائع ، والغازى المجهود ،

والمظلوم المقهور ، والغريب الأسير ، والشيخ الكبير ، وذى العيال الكثيرة والمال القليل ، وأشباههم فى أقطار الأرض وأطراف البلاد ، فعلبت أن ربى سيسألنى عنهم يوم القيامة ، وخشيت ألا أجد حجة أدلى بها أمام الله ، فبكيت !!!

ولقد رتب رحمه الله للفقراء معونات ثابتة وفرض للرضى عطاء خاصا ، وجعل للهوالى منحا تساعدهم على العتق ، وأمر بمقتضاء الديون عن الغارمين ، وأقام ببعض النواحي أماكن عامة ، يلجأ إليها من أتعبه السفر وأضناه الرحيل ، يقيم بها يوما وليلة ، أو يومين وليلتين ، فى رعاية الهوالى يمدده بما يحتاج إليه ويبلغه مأمنه .

ولقد كانت أعمال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، تنطق بعظيم خوفه من الله سبحانه ، وكان يقسم نهاره ومعظم ليله ، بين النظر فى أمور الرعية وعبادة مولاه وتعليم الناس ، حتى اعتراه الضعف وأصابه النحول ، وإذا ذكر فى مجلسه الموت وما بعده اضطربت أوصاله ، وانهمرت دموعه ، وأبكى من حوله . فإذا أوى إلى فراشه تقلمب فيه ساعات لا يألف النوم جفنه ، ويحاسب نفسه على ما قدمت وأخرت ، ويقول : ياليت بينى وبين الخلافة بعد المشرقين .

ودخل عليه بعض المقربين إليه ، فى آخر عهده بالدنيا ، وأول عهده بالآخرة ، وقالوا يا أمير المؤمنين إن أولادك كثيرون ، فلا تتركهم يقاسون متاعب الحياة وشظف العيش ، فأوص لهم بشئ ، فقرأ قول الله تبارك وتعالى : « إن ولي الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين » [١] .

فلن أوصى لهم بشئ ، من كان منهم صالحا فالله يتولاه ، ومن كان خارجا على حدود الله فلا أعينه على خروجه ، ثم استدعاهم وأسمعهم مثل ذلك ، ثم ودعهم قائلا : انصرفوا عصمكم الله تعالى ، وأحسن الخلافة فيكم [٢] .

عدله وإضافه :

لقد أقام أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز من نفسه حارسا للعدل لا يغفل ، وحاميا للإنصاف لا يقصر ، وميزانا للحق لا يحايى ولا يجامل ، وجعل الناس أمامه سواء ، لا فرق

[١] الآية رقم ١٩٦ من سورة الأعراف .

[٢] جعلكم خلفا حسنا .

بين غنيهم وفقيرهم ، وكبيرهم وصغيرهم ، وعظيمهم وحقيرهم ، وقريبهم وبعيدهم ، وحرهم وعبدهم ، فلاغرو أن ضربت الأمثال بعدله ، وسارت الركبان بإنصافه . وتلف الناس أن يروا ذلك العدل العمري الماثور أو يظفروا ببعضه ؛ لتستقيم أمورهم ، وتنظم شئونهم ، ويسعدوا في حياتهم بالرغد والرفاهية ، والسعادة والطمأنينة .

فقد استهل خلافته بعزل الولاة والحكام الظالمين ، من أمويين وغير أمويين ، ولم يثنه عن ذلك شفاعاة ، ولا رحم ماسة ، ولما عزل رئيس الحرس تراحم عليه الأمويون لينتار أحدهم ، فأعرض عنهم واختار عمرو بن مهاجر الأنصارى ؛ لأنه كان يكثر من تلاوة القرآن العظيم ، وابتعد بطاعته عن الرياء والسمعة ، وكان الموالى يحاربون قبله فى صفوف المسلمين ولا ينالون من الغنائم شيئاً ، فجعل لهم منها أنصبة معينة ، ولقد عرف فضله العلويون ، وحمايته لهم ، ومنعه سب على فوق أعواد المنابر ، وكان قد درج على ذلك الخلفاء الأمويون قبل عمر ، فكانوا يسبون علياً فى نهاية الخطبة ، فأبطل أمير المؤمنين هذه العادة وأمر أن تحتم الخطب بقول الله عز شأنه .

« إن الله يأمر بالعدل والإحسان ، وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون ^(١) » أو بقوله جل جلاله : « ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم » (٢) ولقد استطاع أمير المؤمنين بعدله وإنصافه ، أن يملك قلوب رعيته ، ويمحو الأحقاد من النفوس ، ويميت العصية الجاهلية ، التى أو شككت أن تقضى على دولة المروانيين وتقوض دعائم الحكم فيها ، لولا أن تداركها الله تعالى بأعدل الأمويين .

وفاته :

ومما يملأ النفوس أسى ولوعة أن المنية لم تمهله فاختطفه الموت فى العام الواحد بعد المائة من الهجرة ، وقد قضى فى حكمه الصالح سنتين وخمسة أشهر ، وعمره تسع وثلاثون سنة وستة أشهر ، ودفن بدير سمعان قرب حمص ، فاشته الجزع لوفاته ، وتبارى الشعراء والأدباء فى رثائه ، رضى الله تعالى عنه ونصر تاريخه .

أحمد على منصور

أستاذ البلاغة والأدب بمعهد شبين الكوم

رسالة الأزهر

« ٧ »

تابع الرسالة العلمية :

الواقع أن المتحدث عن رسالة الأزهر العلمية ، إنما يتحدث عن رسالة مصر العلمية ؛ ذلك لأن الأزهر قدرت له ظروفه التاريخية أن يحمل هو رسالة العلم ، وأن تسمى باسمه ، وتنسب إليه . فتمد ورث هذا المعهد تراث الجامع العتيق (عمرو بن العاص) ورسالة جامع ابن طولون ، ورسالة جامع الحاكم ، ورسالة المدارس التي أنشأها السلطان الأيوبي لتدرس فيها المذاهب الأربعة بعد أن عطل الأزهر من كل حاية عليية حتى من خطبة يوم الجمعة . ويبدو أن تركيز رسالة مصر العلمية كلها في الأزهر هي النسق الذي انساق إليه تفسيري في كتابة الرسالة العلمية لهذا المعهد ، حتى أنني في متالى السابق استقام لى أن أعد المدارس التي أنشأها السلطان صلاح الدين بعد تعطيل الأزهر - استمراراً لرسالة الأزهر (المعنوى) وإن بعدت عنه ظاهراً كبنية مركبة من طوب وأحجار .

وخلاصة القول أن الرسالة العلمية لمصر قدر للأزهر أن يكون اسمه هو مظهرها ، وهو العلم عليها ، وهو المنطوق باسمه دون المساجد العلمية جميعاً . وقع ذلك في الماضى البعيد ، ووقع في أقرب الأزمنة الحديثة ، فلقد كان قبل تأسيس الكليات الأزهرية مساجد عدة تلتق فيها الدروس العلمية ، مثل جامع محمد بك أبى الذهب ، وجامع القلعة ، وجامع الحسين . وجامع الفاكهاني ، وجامع المؤيد وكثير غيرها ، ومع هذا التعدد في الأسماء كانت النسبة إنما هي للأزهر . سواء في مصر أو في بلاد العروبة جميعاً .

بدأ الأزهر - كمعهد - يستعيد سيرته الأولى أيام كان معهد الفواطم . بدأ يستعيد ذلك في عهد الظاهر بيبرس البندقدارى ، مستمراً في أداء رسالة العلم إلى يومنا . فما الذى كان يدرس به من أنواع العلوم ؟ من العسير أن نحدد له في هذه الأزمنة منهاجاً معيناً ؛ لأنه كان معهداً حراً يدرس كل من أراد الدراسة في أى علم من علوم ذلك الوقت ، ويتخذ له فيه

(عموداً) كما كانوا يصطلحون يومئذ ، هذا ولأن هذا العهد لم يكن عهد وضع مناهج مكتوبة محددة حتى ندور حول البحث عنها ، نلتبسها في أى مرجع تاريخي يعينها لنا تعييناً بصفة قاطعة . ولكن الباحث لا يعدم وسيلة لأن يجد ما يقربه مما يريد . فقد وجدت منها ما كان يدرس في هذا المعهد يقترب من أن يكون هو منهج الدراسة في الأزهر في هذه العهود المتباعدة .

ذلك المنهج هو ما أخذته من أوثق المصادر . إننى أخذته من الإمام جلال الدين السيوطى لا من ترجمة غيره له ، وإنما من ترجمته هو لنفسه ، فقد عد العلوم التى صنف فيها الثلاثئة كتاب ما بين مطول كالإتقان فى تفسير القرآن . وكلزهر فى علوم العربية وما بين وجيز مختصر . عد الرجل أنواع العلوم التى ألف فيها ، ومن يؤلف فى علم يكون - بالطبع - قد درسه حق دراسته ، لا سيما فى هذا العهد الذى هو عهد تحقيق وتدقيق فى كل ما كان يدرس من العلوم ، هذه العلوم هى : التفسير وتعلقاته ، والحديث وتعلقاته ، والفقه وتعلقاته ، والأجزاء المفردة : ويريد بها رسائله القصيرة فيما لا يحتاج إلى تطويل : وفن العربية وتعلقاته والأصول ، والبيان ، والتصوف ، وفن التاريخ ، وفن الأدب .

هذا هو المنهج الذى رسمه لنا السيوطى فى أهم العلوم التى ألف فيها ، ومما لا ريب فيه أن هذه العلوم كانت تدرس بالأزهر كأصول للدراسة العامة . ومعروف أن الشيخ السيوطى كان من علماء القرن التاسع الهجرى .

هناك علوم أخرى جاءت فى ترجمة معاصره وأخ وزميل ، هو شيخ الإسلام زكريا الأنصارى ، فقد عثرت على ترجمة له فيها : أنه درس بالأزهر علوم الطب والهندسة ، والحساب ، والجبر والمقابلة . ورأى أن هذه العلوم كانت تدرس فى الأزهر لا على أنها علوم أصيلة ، وإنما هى توسع فى المعرفة بطريقة نظرية بحتة لا تطبيق فيها وليست كما كانت تدرس فى عهد ابن سينا والسكندى والرازى ، وغيرهم من الفلاسفة الذين قد تخصصوا لها ووعوها حق وعيها وطبقوها فيها العلم على العمل قدر الطاقة . وإلا فكيف استسيغ أن يعد الطب مثلاً علماً من علوم الأزهر فى عهد السيوطى والأنصارى - ليدرس نظرياً فى (متن) من متون العلوم التى شاع استعمالها فى ذلك الوقت - كأساسات وجيزة لمختلف العلوم ؟

إذا رجعنا برسالة العلم في مصر إلى عهد سابق على هذا العهد لوجدنا أن كثيراً من مسائل الفقه الإسلامي قد تناول أصول الحكم ، مثلاً كان يدرس في مدرسة الإمام الشافعي بجامع عمرو بن العاص ، فإنه تناول هذا الموضوع بالبحث ، مثل أن يفتي بأن الخلافة يجب أن تكون في قریش ، وهو يتابع في ذلك الرأي أهل السنة ، وأن كل قرشي أخذ الخلافة بالسيف واجتمع عليه الناس فهو خليفة . ولا ريب أن هذا فقه في نظام الحكم والحكومة ، كان يدرس بالأزهر لا على أنه دراسة للأوضاع الحكومية التي كان يجب التوسع في دراستها إلى أبعد الآفاق ، وأن تؤلف فيها الكتب من الأزهريين الذين يحملون وحدهم مشعل العلم والمعرفة يومئذ اقتداء بالإمام الشافعي ، واقتداء بمن سبقه من العلماء الفلاسفة مثل المعلم الثاني أبي نصر الفارابي في كتابه (آراء أهل المدينة الفاضلة) ، وإنما كان يدرس ما كان يدرس منها بالأزهر على أنه مسألة فقهية (من المذهب) وكفي ، كالوضوء والطهارة ! ! ولو أن علماء الأزهر اقتدوا بالآئمة والفلاسفة ، بل وبالفاطميين أيضاً في نشر مذهبهم الديني الذي يحمل في ثناياه مقومات سياسة الحكم على مذهبهم ، لكونوا من ذلك تكويناً سياسياً يضيء للناس سبيل الرشd في عهود الممالك الظلمة العتاة ، الذين استغلوا جهل الناس بأحكام سياسة الحكم ، فأشبعوا رغباتهم الوحشية ظلماً للناس وجبروتاً .

لا أنكر أن من بين العلماء الأزهريين في القرن السابع الهجري من وصلت به رفعة الخلق إلى وصف مظالم الحكام ، وإلى الانقعة والكبرياء عليهم ، مثل الشيخ الصعدي القوصي (ابن دقيق العيد) ، فكان يخاطب السلطان بما يخاطب به من دونه - بقوله (يا إنسان) . ثم يأتي قبول منصب القضاء إلا بعد إلحاح بالغ غايته ، ثم يعزل نفسه منه ، ثم يعيدونه إليه شبه مرغم ، لأنه في زمن حكم المالك الفاسد الظالم الذي وصفه كثيراً في شعره . ومنه قوله :

أهل المناصب في الدنيا ورفعتها	أهل الفضائل مردولون بينهم
قد أنزلونا لأننا غير جنسهم	منازل الوحش في الإهمال عندهم
فما لهم في توقي ضيرنا نظر	وما لهم في ترقى قدرنا هم
فليتنا لو قدرنا أن نعرفهم	مقدارهم عندنا أو لو دروه هم
لهم مريحان من جهل وفرط غنى	وعندنا المتعبان العلم والعدم

ومثل الشيخ جلال الدين المحلى الذى كان لا يأنف من شىء أنفته من مجالسة الطلبة من الحكام ، وكانوا يتقربون إليه فلا يقترب منهم ، وكانوا يذهبون إلى داره لزيارته فيأبى عليهم الإذن بدخول مجلسه . وليس لذلك ترجمة فى العالمين الجليلين اللذين ضربت بهما المثل - إلا أن العلم الدينى ومعرفة أسرار الإسلام رفعا لهما إلى أعلى المراتب النفسية ، أمام من خضعت لهم رقاب الناس . وامتلات قلوب الأقوام منهم رهبة وفزعا . وهكذا يفعل العلم بالخواص من أهله .

وسنزيد ذلك بياناً فى الموضوع الآتى إن شاء الله ؟

عن الشيخ

عضو نقابة الصحفيين

والمحرر الأدبى بجريدة الشعب

« الشيخ سالم طلبه حجازى »

جاءتنا كراسة جيدة من الأستاذ عبد الحميد المسلوت ، أستاذ الأدب بسلكية اللغة العربية ، فى تأبين المرحوم العالم الجليل : الشيخ سالم طلبه حجازى ، نشرت صفحة زاهرة عن جهاده المشكور من أجل الدين والوطن ؛ فقد شارك - رحمه الله - كما جاء فيها - بحماس الشباب ، وحرارة الوطنية ، فى الحملة على الاستعمار ، وكان نصيبه الاعتقال ، كما ألهب الشعور بما حرره قلبه فى كثير من المجالات الأدبية والسياسية ، ونصب نفسه لمحاربة عصابات المبشرين التى كانت منتشرة حينذاك ، واعتمد فى إبطال كيدهم على المنطق والحجة والبرهان ، فهدى الله به الكثيرين ، وممكنه من رد دعوى المبطلين ، وظل يشارك - رحمه الله - طوال حياته فى الدعوة للخير ، ومساندة جمعيات المحافظة على القرآن الكريم . جزاه الله عن الإسلام والمسلمين والوطن خيرا ، وأنزله منازل الأبرار .

مدح علي بن الحسين بين الفرزدق والحزین الكناني

— ٢ —

تعرض الحصرى فى زهر الآداب لعل بن الحسين وذكر قصته مع هشام بن عبد الملك أو الوليد أخيه ثم ساق القصيدة وعددها عنده ثلاثون بيتاً ، تتفق مع أبيات ديوان الفرزدق فى أكثرها ، وتزيد عليها أربعة أبيات ، ثم ذكر قصة الحزين الكناني مع عبد الله بن عبد الملك ، ونسب البيتين (فى كفه خيزران - يغضى حياء) له . ثم ردد ما ذكره ابن رشيق فى العمدة .

ومن الممكن أن يصل الباحث إلى النتائج الآتية :

- ١ — أن البيتين (فى كفه خيزران - يغضى حياء) للحزين وليس للفرزدق .
- ٢ — أن القصيدة المشهورة فى مدح علي بن الحسين للفرزدق ، وأنه ارتجلها أمام هشام ابن عبد الملك .
- ٣ — لم يذكر أحد ممن رجحنا إلهم أن الكناني مدح علي بن الحسين إلا ما ورد فى بعض طبعات الحماسة ، وربما كان هذا صنيع أبى تمام ، وربما كان من زيادة الناشر اعتماداً على شهرة القصيدة فى علي بن الحسين .
- ٤ — أن الحزين ارتجل البيتين اللذين رجحنا نسبتهما إليه أمام عبد الله بن عبد الملك فى المدينة ثم أدخلهما فى قصيدة مدحه بها وهو فى مصر ، يدل على ذلك روايتا الأغاني والتوفيق بينهما ، كما يدل على أنه مدحه وهو فى مصر مطلع القصيدة حيث ذكر أنه جاب البلاد من يمن إلى العراقين إلى الجزيرة أعلاها وأسفلها إلى الحجاز (حيث تحلق عند الجرة اللم) إلى دمشق ثم أتى مصر حيث وجد النائل العم خياه بالسلام وأنشده مدحته .
- ٥ — أن القصيدة التى قالها الفرزدق أو علي وجه الدقة ارتجلها والتى تزيد فيها الرواة لم تنسب لأحد غيره فى علي بن الحسين إلا للعين المنقرى حسب رواية ابن رشيق .

٦ — أن الشعر نسب إلى جماعة من الشعراء غير الفرزدق والحزین ، نسب لداود ابن سلم فی قثم بن العباس حسب رواية الأغاني والعمدة ، ونسب لخالد بن يزيد مولى قثم فيه حسب رواية الأغاني أيضاً .

٧ — أن الممدوحين الذين جاءوا في هذا الشعر هم علي بن الحسين وعبد الله بن عبد الملك وقثم بن العباس وعبد العزيز بن مروان .

٨ — صنيع التبريزي شارح ديوان الحماسة يدل على أن أبا تمام ذكر « في أصل الحماسة » الممدوح لأنه - أعني التبريزي - بنى كلامه على أن الممدوح علي بن الحسين فلم يذكره في شرحه اكتفاء بذكره في أصل الديوان .

٩ — صنيع صاحب الأغاني في تدوينه قصيدة الفرزدق يدل على أنه ينوي الإحاطة بالقصيدة كلها ، لا أنه يريد أن يكتفي ببعض أبياتها ، وهذا يدل على أنه لم يكن في حفظه غير ما ذكره ، وأن ما أضيف إليها - أو بعبارة أخرى - ما ورد فيها زائداً على ما ذكره أبو الفرج لم يكن يعرفه هذا المؤلف .

١٠ — ما رواه الأصمعي لا ينهض دليلاً ، فهو لم يقل أن الرجل أنشأ ، وإنما قال (ناداه) فلا مانع أن يكون أخذ البيت الأول من قصيدة الفرزدق وضم إليه البيت الثاني .

وأرى - وأظن أن الكثير ممن يقرأون هذا البحث يوافقوني - على أن البيتين المشهورين إنما أضيفا إلى قصيدة الفرزدق من محي علي بن الحسين وهم عدد الرمل والخصي والتراب ؛ ولأنهما بيتان من عيون الشعر ، أو لعل الفرزدق أغار عليهما - وكان في الشعر غوارا - فأضافهما لنفسه ، وحوادث الفرزدق في الإغارة على شعر غيره كثيرة .

حدث محمد بن سلام قال ، قال جميل من قصيدة :

وكننا إذا مامعشر جحفوا بنا	ومرت جوارى طيرهم وتعيفوا
وضعنا لهم صاع القصاص رهينة	وسوف نوفيها إذا الناس طففوا
ترى الناس ماسرنا يسرون خلفنا	وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

قال : فشد الفرزدق على هذا البيت وقال ، أنا أحق به منك ، وقال : لاتعد فيه ولم يكثر له .

وروى محمد بن سلام أيضاً عن كردهن البصري أن عريفهم عون بن ثعلبة علق بالفردق وقال : يا عدو الله ، سرقتنا قول صاحبنا الأعلم العبدى ، وذكر تسعة أبيات ، ثم قال ابن سلام : وهذه الأبيات للأعلم كلها فأدخلها الفردق فى قصيدته (عزفت بأعشاش) مع ماسرق من جيل فيها ، فقال له الفردق - أى لعون بن ثعلبة - اذهب نخذهما من الرواة ! . قال ، نغلى سبيله .

وعلى يحيى بن المنجم صنيع الفردق هذا بأنه إذا مر به شعر جيد رأى نفسه أحق به من قائله لفضله عليه فى الشعر ؛ ولأنه من جنس جيده لا ردىء غيره . وقد لقيه أبو عمرو بن العلاء فى المربد فقال : يا أبا فراس ، أحدثت شيئاً ؟ قال الفردق ، خذ ، ثم أنفذه :

كم دون مية من مستعمل قذف ومن فلاة بها تستودع العيس
فقال أبو عمرو : سبحان الله ، هذا للتلبس ، فقال الفردق : اكتبها ، فلبضوال الشعر أحب إلى من ضوال الإبل .

هذه حال الفردق ، ونوادره فى هذا الباب كثيرة ، فيترجح عندى أنه حين وقع على البيتين فى شعر الحزين - ولم يكن الحزين من فحول طبقة - اهتبهما فى قصيدته المرتجلة ، فسارت فى الناس ، ولم يتنبه لها إلا القليل ، كصاحب الأغاني .

والعجب من صاحب الأغاني حيث رد هذا المديح فى البيتين اللذين أشاد بهما ابن قتيبة بدليل فى غاية الضعف ، حيث يرى أن هذا الشعر لا يمدح به مثل على ؛ لأن له من الفضل المتعالم ما ليس لأحد .

فأولاً : البيتان من الشعر الجيد ، ولا سيما البيت الثانى (يغضى حياء) حتى أن ابن قتيبة جعلهما مما جاد معناه وحسن لفظه ، وحتى أضيفا إلى الفردق ، أو اغتصهما هو على ما أرجح .

وثانياً : أن الشعر لا يرد لأنه دون مقام الممدوح ، ولو كان ذلك صحيحاً لقضينا على كثير من المدائح النبوية بالوضع ؛ لأن أكثرها دون مقامه صلى الله عليه وسلم ، وأين الشعر الذى يليق به والبوصيرى يقول - وهو محق - :

غاية المدح فى علاك ابتداء ليت شعرى ما تصنع الشعراء

وثالثاً : كان على صاحب الأغانى ألا يغفل عن المقام الذى قيلت فيه القصيدة ، فالفرزدق مرتجل ، والمرتل يقول ما يليق بالمدح وما لا يليق ، على فرض تسليمنا بأن هذا المدح غير لائق .

وأما ما تنفع به ابن عبد ربه - وكان معجبا بنفسه - من تفضيله بيته (فنى زاده عز المهابة ذلة) على بيت الكنانى (يغضى حياء) فلعمري ليس بذاك ، وبيته لا يقع بجوار بيت الكنانى ولا قريباً منه .

بقى أن قصيدة الفرزدق على حسب ما رويت فى ديوانه تشتمل على أبيات ضعيفة لا تليق بمثله ، والقصيدة كلها بعيدة عن طابع الفرزدق من إثارة الخشونة ، والغريب من الألفاظ ، ولكن يعلل هذا بأنها مرتجلة ، وهذه المسحة على هذه القصيدة ملبوسة فى كل ما ارتجله الفرزدق من مقطعات ، والارتجال غير الروية ، وفى ذلك يقول ابن الرومى :

نار الروية نار غير منضجة وللبديهة نار ذات تلويح
وقد يفضلها قوم لسرعتها لكنها سرعة تمضى مع الريح

لكننا - مع ذلك - لا يمكننا أن نقر أبياتاً وردت فى القصيدة بلغت درجة من الضعف لا نعقل أنها تصدر عن شاعر كالفرزدق ، فالشاعر - وإن ارتجل - يحتفظ ببعض خصائصه على أن القصيدة على حسب رواية الديوان تبلغ سبعة وعشرين بيتاً ، وعلى حسب رواية زهر الآداب تبلغ ثلاثين بيتاً ، وما عرفنا الفرزدق حين يرتجل يصل إلى هذا الحد أو إلى قريب منه فمن المرجح عندى أن القصيدة أضيف إليها كثير ، وأنها كانت حين ارتجلها الفرزدق فى الحجم الذى دونه صاحب الأغانى أو تزيد قليلاً ، وهذا القدر هو الذى يتفق مع طبع الفرزدق ، وينم على روحه ومشربه ، ويتمشى مع طريقته التى ألفها .

(وبعد) : فهذه نظرة سريعة فى هذه المدحة ، اعتمدت فيها على بعض الكتب التى تيسر لى الاطلاع عليها ، ولعل هناك من الكتب . أو من الباحثين من ينبئنا بغير هذا أو أن يضيف إليه جديداً ، وفوق كل ذى علم عليم ؟

على العمارى

نقد الكتب

القرآن المقدس

Der Heilige Qur-ân

تقرير عنه بقلم

المكشور محمد عبد الله ماضى

مدير المعاهد الدينية

نشرت هذه الترجمة البعثة الأحمدية في زيورخ وهامبورج ، تحت إشراف
حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد ، الخليفة الثانى للمسيح الموعود
(كذا .) مرزا غلام أحمد ، والرئيس الأعلى للحركة الأحمدية الإسلامية .

الطبعة الأولى سنة ١٩٥٤ بمطبعة أتوهرسوفتس (Attoharassowits)

بفيس بادن من مدن ألمانيا الغربية

هذه الترجمة أو هذا الكتاب يحتوى على مقدمة مفصلة وعلى ترجمة معانى القرآن باللغة الألمانية ، والمقدمة كتبها رئيس الطائفة الأحمدية الحالى « حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد » ، أما الترجمة نفسها فقد اختبرتها فى مواضع مختلفة ، وفى كثير من الآيات فى مختلف السور ، فوجدتها من خير الترجمات التى ظهرت للقرآن الكريم ، فى أسلوب دقيق محتاط ، ومحاولة بارعة لأداء المعنى ، الذى يدل عليه التعبير العربى المنزل لآيات القرآن الكريم ، وقد نبه المترجم إلى أنه ليس فى الاستطاعة نقل ما يؤديه الأسلوب العربى المحكم ، من الروعة البلاغية وسمات الإعجاز التى هى من خصائص القرآن إلى لغة أخرى ، فهى خصائص انفرد بها كتاب الله المنزل فى أسلوبه العربى ، الذى نزل به من عند الله على نبيه المرسل . والذى لا تبديل فيه ولا تحريف ، فهو يمثل كلام الله فى معناه وفى مبناه ، ولهذا فمن باب الاحتياط جعل النص

العربي بجوار الترجمة الألمانية ؛ حتى يستطيع القارئ أن يقارن ويختار بنفسه المعنى الذى تطمئن نفسه إلى صحته .

وعلى وجه الخصوص اختبرت ترجمة الآيات التى تتعلق بالقتال والجهاد فى سبيل الله ؛ بحثاً عما عساه يكون قد ضمن الترجمة مما يتصل بما يراه الأحمدية فى الجهاد ، ويخالفون به جماعة المسلمين حيث إنهم يقولون : « إن الجهاد يجب ألا يقوم على امتشاق الحسام ، بل يجب أن يقوم على وسائل سلمية ، وعلى هذا أظهر الأحمدية دائماً ولا هم لحكومة الاستعمار البريطانية . » .

اختبرت ترجمة هذه الآيات المشار إليها ، فوجدتها سليمة لا تتضمن أدنى الإشارات إلى هذا الذى كنت أخشى أن تتضمنه .

وفى المقدمة أورد كاتبتها بحوثاً إسلامية فلسفية قيمة ، وقسمها إلى قسمين تحدث فى القسم الأول منهما عن حاجة البشرية التى اقتضت نزول القرآن ، وبين أن الإسلام كان من تعاليمه وحدة الإله ، وكان من عوامل توحيد البشرية ، فذكر أنه لما ارتقت البشرية وأصبح الناس على اتصال يكونون جماعة واحدة ، أصبحوا فى حاجة إلى تعاليم سماوية شاملة ، تشمل الناس جميعاً ، وتصلح لهم فى كل زمان ومكان ، وتدفعهم على قدرة الله وعظمة رب الناس كافة ، فكان القرآن هو الذى أدى تلك الرسالة جميعها ، كما تحدث عن كتاب العهد القديم (التوراة) ، وكتاب العهد الجديد (الإنجيل) ، وبين أنه نالهما التحريف والتبديل فأصبحا معه لا يمثلان كتب الله المنزل ، وذكر بعض المتناقضات فيهما وبعض المبادئ التى تخالف العقل ، وبعض الخرافات ، وبعض القواعد الخلقية غير الثابتة ، كما تحدث عما ورد فى التوراة والإنجيل من التبشير بظهور النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، إلى غير ذلك مما أورده صاحب المقدمة فى القسم الأول .

وفى القسم الثانى من المقدمة كان الحديث عن : بناء القرآن - فذكر المؤلف ما سبق أن تعرض له ، من بيان أن القرآن هو الكتاب المقدس الذى يمثل كلام الله المنزل ، والذى حفظه الله من كل تحريف وتبديل ، وتحدث فى هذا الصدد عن المحافظة على القرآن بكل الوسائل المختلفة فى عهد الرسول من كتابة الوحى وتقييده ، ومن وعى الحفاظ له وتحدث كذلك عن ترتيب الآيات والسور ، مبيناً أن ذلك كان بوحي من الله نزل على نبيه ، وتابع الحديث عن الأمور الآتية :

بعض النبوءات المصدقة التى وردت فى القرآن .

- تشخيص تعاليم القرآن .
- العقيدة عن الله الحى .
- الأنبياء والملائكة والشيطان وفكرتها فى القرآن .
- الخير والشر فى القرآن .
- الروح فى القرآن .
- المعجزات النبوية فى القرآن .
- الصلاة ومساجد الإسلام .
- الصيام والحج .
- الزكاة والصدقة .
- الحقوق والواجبات الاجتماعية .
- النظام الاقتصادى .
- حقوق المرأة .
- مسألة الرق .
- النفس الإنسانية أو الروح .
- طريق القرآن المرسوم لتكوين الحياة الروحية .
- طبيعة الإله .
- الله رب الشعوب جميعها .
- الله هو عاة العلل فى الوجود .
- صفات الإله وبيان أنه لا تناقض بينها .
- أسماء الله الحسنى .
- الإنسان كنقطة ارتكاز للحياة .
- الغرض من خلق الإنسان .
- قانون الطبيعة وقانون الشريعة .
- القانون الخلقى والقانون الاجتماعى .
- القرآن هو الكتاب المقدس الكامل .

الحياة بعد الموت ، . . . إلى غير ذلك من البحوث الدينية . . . !

وإذا صرفنا النظر عن بعض التليجات العامة غير الصريحة المتصلة بمذهب الأحمدية في الجهاد، والتي وردت في صحيفة (١٣٤) من المقدمة تحت عنوان « المنازعات الدينية ». فإننا نجد أن المقدمة بقسميها اشتملت في الجملة على بحوث إسلامية رائعة . ونقلت صورة من الأفكار والتعاليم الإسلامية المتعلقة بالقرآن ، في ثوب وإطار إسلامي إلى اللغة الألمانية .

ولكن !

نعم ولكن مع الأسف الشديد ختمت هذه المقدمة بفصل عن المسيح المنتظر (مرزا غلام أحمد) وعن ابنه الذي بشره الله به من قبل مولده (مرزا بشير الدين محمود أحمد) . هذا الفصل الذي قد تضمن المبادئ الأحمدية التي تخالف تعاليم الإسلام ، والتي تدعى أن (مرزا غلام أحمد) هو المهدي المنتظر يتجسد فيه المسيح والنبي في وقت واحد ، فيدعى الأحمدية « أن (مرزا غلام أحمد) كان نبيا ينزل عليه الوحي ولكن رسالته لم تكن منفصلة عن رسالة محمد عليه الصلاة والسلام ، وإنما كانت امتدادا لها ، فلا يظهر بعد النبي محمد عليه الصلاة والسلام رسول آخر يأتينا بمبادئ سماوية جديدة ؛ لأن القرآن تضمن كل المبادئ السماوية ، ولكن يظهر المسيح المهدي ليعيد للإسلام سلطانه من جديد ، وليعيد لمبادئ الإسلام قوتها وليظهر صدقها ، ويكون ظهوره دليلا على صدق آيات القرآن التي أخبرت بظهور المسيح كما تحدثت بذلك السنة النبوية . (١) »

ولقد ظهر المسيح والمهدي المنتظر المزعوم وهو حضرة (مرزا غلام أحمد) من سنة ١٨٢٥ - سنة ١٩٠٨ ميلادية .

كما ادعى ذلك وأخبر به عن رب العالمين مؤسس الحركة الأحمدية الإسلامية في الإسلام ، فلقد أوحى إليه من الله من مدة تزيد على السبعين عاما أنه بعث لخدمة الإسلام وخدمة نبي الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام ، وللعمل على رفعة اسم الله في الأرض . أخذ بالوحي أن الله أعطاه النبوة على شرط أن يبلغ تعاليم القرآن السماوية ويعمل على تنفيذها وألا يأتي بكتاب جديد ؛ لأنه يعتبر خليفة لرسول الإسلام محمد عليه السلام (٢)

[١] ص ١٥٧ من المقدمة الألمانية .

[٢] ص ١٥٨ من المقدمة الألمانية .

ثم يتابع المؤلف حديثه عن بعض ما يدعى أنه أوحى إلى (مرزا غلام أحمد) ، مقتبساً ذلك من كتاب « حقيقة الوحي » ومن كتاب « براهين أحمدية » الذى ألفه « مرزا غلام أحمد » ، وانذى ظهر المجلد الأول منه عام ١٨٨٠ وزعم المؤلف فيه أنه المهدي مع أنه لم يطالب أتباعه للبيعة إلا فى ٤ مارس ١٨٨٩ .

ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن الصعوبات التى لاقاها (مرزا غلام أحمد) ، حينما أعلن اختياره للنبوته وبعثته ، وعن مقدار تأييد الله له ، ووحيه إليه بأنه سيؤيده بواسطة العلامات الكبرى ، وأنه سيعلو اسم الله بدعوته ، ويدوى فى أقصى أنحاء الأرض ، ويذكر أن دعوة هذا النبي المزعوم تأيدت ، وأنها ستمتد جذورها وتتسع ، وأن خلفاءه سوف يصلون إلى درجة القرب من الله ، كما أوحى بذلك إلى (مرزا غلام أحمد) .

ثم يذكر المؤلف أنه أوحى إلى (غلام أحمد) أن الله سيرزقه فى ظرف تسع سنوات ومن تاريخ نبوته بولد ، وسيحقق الله على يد هذا الولد الكثير من التنبؤات التى تنبأ بها ، وأنه سيحمل اسمه إلى أنحاء الدنيا ، جميعها وسيخطو سريعا من نصر إلى نصر ، وسيبارك بروح من الله .

ثم يعيد الحديث عن تفصيل الصعوبات التى لاقاها (غلام أحمد) حينما جهر بدعوته وأعلن عن رسالته ، فيبين كيف قامت ضده عاصفة من المعارضة من كل جانب ، فتحالف ضده المسلمون والهندوس والمسيحيون والسك ، وأجمعوا أمرهم على إسقاطه والقضاء عليه ، ويدعى أن هذه المعارضة الإجماعية القوية كانت دليلا على اختيار الله له وبعثه إياه ، لأن مثل هذه المعارضة القوية الإجماعية لا تكون إلا للأنبياء الصادقين فى دعواهم ، فهم وحدهم الذين عليهم أن يتحملوا مثل هذا الكفاح ، ثم يختم هذا بقوله « ولكن الله قوى هذا الوحيد المحارب من كل طائفة ، حتى أخذ أعداؤه الأقوياء يسلبون ، ويتبعونه واحدا بعد الآخر ، فكثرت أتباعه رويدا رويدا ، وكان له شأن يذكر فى البنجاب ، ثم فى الهند جميعها ، ثم فيما وراء ذلك من أنحاء العالم .

وبهذه النتيجة يصل المؤلف إلى صدق (مرزا غلام أحمد) فيما ادعاه .

وفى الحديث عن ابن المسيح الموعود الذى بشر به (مرزا غلام أحمد) يتحدث هذا الابن (مرزا بشير الدين محمود أحمد) ، عن موت مؤسس الحركة (مرزا غلام أحمد) ،

سنة ١٩٠٨ ، وعن موقف خصوم الدعوة منه ، وتوقعهم بعد موته لحلول نهاية هذه الحركة واقتراب انحلالها بموته ، ثم عن اختيار (مولوى نور الدين الخليفة الأول لمرزا غلام أحمد) ، وعن وفاته سنة ١٩١٤ ، وبعد ذلك يأخذ الابن الموعود في الحديث عن نفسه في تلك الظروف ، ويبين أنه كان حينذاك مجرداً من كل الإمكانيات المادية ، وأنه كان له خصوم أقوياء ، مدعياً أنه في هذه الظروف العصيبة أوحى الله إليه بمساعدته ونصره ، مذكراً بوعد الله الذي وعده أباه (مرزا غلام أحمد) ، في أنه سيرزقه بغلام سيدوى اسمه في كل الأرض ويحمل علم الرسالة ، ثم يعقب على هذا ويقول : « فتحقق وعد الله وأصبحت كلمة الله هي العليا ، ومع كل صباح منحت ما جعل نجاحي كبيراً ، وكل يوم ينتضى يترك ما يعجل بالقضاء على خصومي ، وكأن الله جعلني أداة لنشر الحركة الأحمدية في كل بقاع الدنيا ، ومع كل خطوة باركني الله بتوجيه من عنده ، وفي فرص ومناسبات كثيرة فضلني الله بوحيه . وأخيراً حل اليوم الذي أوحى الله فيه إلي : أنني الابن الموعود الذي وعد الله به المسيح المنتظر (مرزا غلام أحمد) وقد وعده الله بقدومي في عام ١٨٨٤ ، قبل مولدى بخمسة أعوام ، ومن هذا اليوم أخذت المعونة والمساعدة من الله تتزايد بأسرع مما سبق ، واليوم يمارس المبشرون بالأحمدية نشر الإسلام وكفاح الإسلام في كل القارات » .

ثم يقول : « ولقد جعل الله القرآن الذي كان قد أصبح للسلبين كتاباً مغلقاً - جعله الله لنا معشر الأحمدية ببركة النبي المقدس (محمد عليه السلام) وبواسطة المسيح المنتظر (مرزا غلام أحمد) كتاب هداية ، وفتح لنا مغاليقه من جديد ، وغدت ينايسع المعرفة تفتح لنا بواسطة القرآن ، ويستطرد فيقول : وعندما تنشد وتمتحن دائماً تعاليم القرآن بالنسبة للتطورات العلمية الحديثة المتجددة يلهمني الله ، ويوحى إلي بالجواب الصحيح الذى تتضمنه تعاليم القرآن . فلقد اختارنا الله لرفع علم سيادة القرآن » .

وهكذا نجد أن الحديث في هذا الفصل الأخير من المقدمة كان إنكاراً وخروجاً على العقيدة الإسلامية ، التى تقرر أن محمداً عليه الصلاة والسلام كان خاتم الأنبياء ، وأن رسالته كانت خاتمة الرسالات (فمرزا غلام أحمد) فيما ذكر المؤلف نبي أوحى إليه وأيد بروح الله ، كما أن المؤلف نفسه (مرزا بشير الدين محمود أحمد) صاحب المقدمة ، والرئيس الأعلى لطائفة الأحمدية الحالى ، والخليفة التالى لوالده ، يدعى لنفسه أيضاً أنه يوحى إليه .

وبهذا يكون المؤلف قد « وضع السم في العسل »؛ فأفسد بذلك هذا العمل القيم الذي نوهنا به في شأن الترجمة نفسها، والبحوث الدينية الفلسفية القيمة التي وردت بالمقدمة .
ولذلك فإننا نقول : إن هذه الترجمة أو هذا الكتاب بوصفه الحالى وبما تضمنه من الحديث المشار إليه عن (مرزا غلام أحمد) وعن ابنه ينبغى مصادره .
وحبذا لو كان من المستطاع فصل هذا الجزء الأخير عن الترجمة، وعن المقدمة، والعمل على نشرها دون هذا الجزء ؛ فإنه لو أمكن ذلك لكان فيه خير كثير .

الدكتور محمد عبد الله ماضى

المدير العام للمعاهد الدينية

رئيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية ببيروت

يشكر فضيلة الأستاذ الأكبر

« ويشيد بالتعاون الأخوى بين الجمهورية العربية المتحدة ولبنان الشقيق »

حضرة صاحب الفضيلة شيخ الجامع الأزهر المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد . فبيد السرور والامتنان استلنا كتابكم الكريم بتاريخ ٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٨ الذى تكرمتم فيه بإعادة ندب الشيخ معوض عوض ابراهيم للوعظ والإرشاد فى لبنان . ويسرنا أن نجد فى فضيلتكم دوماً وأبداً ، كما وجدنا لدى حكومة الجمهورية العربية الموقرة ، بشخص وزارة التربية والتعليم ، وفى مختلف السلطات العليا كل عضد ، وسند لمشروع جمعيتنا الثقافى الإسلامى فى بيروت والأوقاف ، هذا المشروع الذى يعتبر الدعامة الوحيدة للإسلام والعروبة فى الساحل اللبنانى ، ونرى لزوماً علينا أن نشير إلى أن هذه الصلات ، التى ما برحتم تعملون فضيلتكم على توثيقها يعود تاريخها إلى نيف ومائة عام تقريباً ، عند ما كانت مختلف جامعات القاهرة تتقبل مجاناً فى صفوفها بعثات الجمعية المدرسية ؛ لإتمام التحصيل العالى فى مختلف الفروع ، وفى الختام نرى لزوماً علينا أن نشيد بالخدمات الجللى التى ما برح الأزهر الشريف يقدمها فى مختلف الحقول والميادين ، ليس للعالم العربى فى الشرق فحسب ، بل فى كافة أقطار المعمورة ، أخذ الله بيدكم وأبتاكم ذخراً للإسلام والمسلمين والعرب قاطبة . ووفقتنا الله وإياكم لمافيه جمع الكلمة وتوثيق الصلات ، بين كافة الأقطار العربية والإسلامية . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته امضاء

(رئيس جمعية المقاصد الخيرية ببيروت)

نقد كتاب

« أعضاء على السنة المحمدية »

- ٧ -

في ص (١٢٣) جعل مراجعة موسى لنبينا محمد عليهما الصلاة والسلام في حديث الإسراء والمعراج من الإسرائيليات ، وجعل الذين يعتقدون صحة ذلك واعتبرهم من حشوية آخر الزمان إلى آخر ما نضج به قلبه من نيز وسباب ، وللرد على هذا أقول لهذا المؤلف :

إن الرمي بالقول على عواهنه من غير حجة وبرهان لا يليق بالباحث المنصف المثبت ، وهل يقتضى ذكر موسى عليه السلام ومراجعته للنبي عليه السلام ليلة المعراج كى يخفف الله سبحانه على أمته الصلوات أن يكون من الإسرائيليات ؟ وعلى منطق المؤلف تكون كل الأحاديث التي ذكرت فضيلة لموسى أو لنبي من أنبياء بنى إسرائيل من الإسرائيليات ، وأعتقد أن هذا لا يقوله عاقل فضلا عن باحث ، وبحسب القارىء ما ذكرته في المقال السابق من موقف علماء الإسلام من أخبار بنى إسرائيل ، ولو أن حديث الإسراء والمعراج كان مرويا عن كعب الأحبار أو غيره من علماء بنى إسرائيل لجاز في العقل أن يكون ذكر موسى عليه السلام من دسهم ، أما الحديث مروى عن بضعة وعشرين صحابيا ليس فيهم ولا فيمن أخذ عنهم أحد من مسلبة أهل الكتاب فقد أصبح الاحتمال بعيداً كل البعد إن لم يكن غير ممكن في منطق البحث الصحيح ، وقد ذكر الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتابه « التنوير في مولد السراج المنير ، الصحابة الذين روى عنهم حديث الإسراء والمعراج فوصل بهم إلى خمس وعشرين صحابيا واعتبر الروايات الواردة فيه متواترة ونقل كلامه الحافظ الناقد ابن كثير في تفسيره ووصفه بالإفادة والجودة (١) فهل يجوز عند العقلاء أن يكون للدس مجال في هذا ؟ وقد خرج حديث المعراج البخارى ومسلم وغيرهما من أصحاب الكتب المعتمدة من طرق متعددة وقد استعرض هذه الروايات الإمام ابن كثير في تفسيره

فليرجع إليه من يريد زيادة اليقين ، ولم أر - فيما أعلم - عن أحد من أهل العلم الموثوق بهم أنه ذكر أن مراجعة موسى لنبيين عليهما السلام دسيسة إسرائيلية ، فهل خفي على علماء الأمة جميعهم ما تخيله هذا المؤلف ؟ !!! وكان الأولى به أن يبحث عن السر في المراجعة وحكمتها بدل التشكيك فيها ومحاولة بيان استلزامها لنفي علم الله عز شأنه وعلم رسوله مبلغ احتمال الأمة وقدرتها على أدائها قبل التخفيف . وأى ضرر في أن يعلم موسى عليه السلام بما سبق إليه من تجربة الناس ومعالجة بني إسرائيل أشد المعالجة ما خفي على نبيينا عليه الصلاة والسلام حتى أشار عليه بالرجوع إلى ربه وطلب التخفيف حتى يرتب عليه المؤلف ما زعم ؟ ثم من قال إن فرض الصلوات خمسين وتخفيفها إلى خمس بسبب المراجعة تستلزم أن يكون الله سبحانه لا يعلم مبلغ قوة احتمال عباده على أدائها حتى رتب عليه ما رتب ؟ إن الله سبحانه يعلم كل ما كان وما يكون ، ويعلم أن نبيه محمداً صلوات الله وسلامه عليه سيسأله التخفيف على العباد ، وبسبب هذا السؤال سينخفض الصلوات من خمسين إلى خمس ، ولذلك سر وحكمة وهي إظهار رحمة الله سبحانه وتعالى بهذه الأمة ومنته عليها بالتخفيف عليها بدليل قول الرب تعالى « أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي » كما أن فيها إظهار منزلة النبي عند ربه بقبول شفاعته في التخفيف عن أمته وبيان رأفته ورحمته بأمره باستماعه إلى مشورة أخيه موسى ولا تسل عما في المراجعة من تكرار المناجاة بين العبد والمعبود والمحبة والمحبوب .



في ص (١٢٨) قال « الإسرائيليات في فضل بيت المقدس » وذكر بعضها منها .

وفي ص (١٢٩) ذكر أن الأحاديث الصحيحة كانت في أول الأمر في فضل المسجد الحرام ومسجد الرسول ولكن بعد بناء قبة الصخرة ظهرت أحاديث في فضلها وفضل المسجد الأقصى واعتبر ذكر المسجد الأقصى في حديث « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى » من الإسرائيليات الموضوعة واستند في دعواه إلى ما روى عن ابن عباس أن امرأة اشتكت شكوى فقالت : إن شفاني الله لأخرجن فلاصلين في بيت المقدس فبرئت ثم تجهزت تريد الخروج فجاءت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرتها بذلك فقالت : اجلسي فكلتي ما صنعت وصلي في مسجد رسول الله ، فإني سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « صلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا مسجد السكعبة » قال : ولو أن المسجد الأقصى كان قد ورد فيه تلك الأحاديث لما منعت ميمونة هذه المرأة من أن توفى بنذرهما !!!

وللجواب على هذه المزاعم نقول :

١ — إننا لا نتكر أنه وضع في فضل بيت المقدس والصخرة أحاديث وآثار كثيرة ولكن الذى نتكره حقاً أن يكون ذكر بيت المقدس في حديث « لا تشد الرحال » من قبيل الوضع والدس ، وأعتقد أنه من الإسراف فى الحكم والشطط فى البحث أن يجرّد باحث بيت المقدس من الفضيلة ويعتبر كل ما ورد فيه من صنع بنى إسرائيل وكيف وفضل بيت المقدس لم يثبت بالأحاديث الصحيحة فحسب ؟ ولكنّه ثبت ثبوتاً قطعياً بالقرآن المتواتر الذى لا يتطرق إليه الشك قال تعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير » . فلم يعد ثمت مجال للحدس والظن الذى لم يتم على أساس ولا يستند إلى دليل ، وبيت المقدس قبلة الأنبياء السابقين ومهاجرهم ، وثانى المساجد التى وضعت فى الأرض وشرفت ، بناء حفيد الخليل يعقوب عليهما الصلاة والسلام وجده نبي الله سليمان عليه السلام ، وإليه توجه المسلمون فى صلاتهم بعد الهجرة بضعة عشر شهراً ، فكيف يستبعد المؤلف أن يذكر هو ومسجد مكة والمدينة فى حديث وإن كان دونهما فى الفضل ؟ والمساجد الثلاثة يجمعها أنها آثار وتحمل ذكريات مجيدة لبعض أنبياء الله ورسله الكرام ، ولو أن المؤلف كان باحثاً حقاً لنقده من جهة سندّه ومتنه نقداً علياً صحيحاً بدل أن يلقى بالقول جزافاً .

٢ — هذا الحديث رواه الإمامان الجليلان : البخارى ومسلم فى صحيحهما ، وهما من هما فى علو كعبهما فى التصحيح ، ومعرفتهما التامة بالرجال والعلل ، ونظرهما الثاقب فى الكشف عن خفايا الأحاديث وعلمها ، ورواه غيرهما كابن حبان فى صحيحه ، وأبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجه فى سننهم ، ورواه أحمد والبخارى فى مسنديهما ، والطبرانى فى المعجم الكبير والأوسط ، وروى عن جمع من الصحابة كعمر وأبى سعيد الخدرى وأبى هريرة وأبى بصرة الغفارى وأبيه وأبى الجعد (١) وقد تلقى الأئمة هذا الحديث بالقبول ، واحتج به أئمة فطاحل

لا يحصيهم العد ولا يشق لهم غبار في النقد والبصر بالأحاديث من عصر السلف إلى وقتنا هذا ،
فهل كل هؤلاء خفي عليهم ملاح وظهر لهذا المؤلف ؟!!!

٣ — أما ما ذكره من قصة المرأة التي نذرت أن تصلي في بيت المقدس إن شفاها الله الخ .
فما يضحك الشكلى ! ومن قال يامن زعمت أنك طوفت في عشرات الكتب والمراجع
إن الفتوى على خلاف ما يدل عليه حديث أو العمل على خلافه يكون دليلا على كذبه ؟
لو كان الأمر كذلك لحكمنا على كثير من الأحاديث بالوضع والاختلاق .

قال العلامة ابن الصلاح « وهكذا نقول : إن عمل العالم أو فتياه على وفق حديث ليس
حكما منه بصحة ذلك الحديث ، وكذلك مخالفته للحديث ليس قدحا منه في صحته ولا في رايه
والله أعلم » (١) والسيدة ميمونة استندت في فتواها إلى هذا الحديث الذي يثبت أن الصلاة
في المسجدين أفضل من الصلاة في المسجد الأقصى فيكون أداء النذر في الأفضل أولى
ولا سيما أن فيه راحة من مشقة السفر وهي امرأة .

قال الإمام العيني « واستدل قوم بهذا الحديث - حديث لا تشد الرحال - على أن
من نذر إتيان أحد هذه المساجد لزمه ذلك وبه قال مالك وأحمد والشافعي في البويطي ،
وقال أبو حنيفة لا يجب مطلقا ، وقال الشافعي في الأم : يجب في المسجد الحرام لتعلق
النسك به بخلاف المسجدين الآخرين ، وقال ابن المنذر : يجب إلى الحرمين وأما الأقصى
فلا واستأنس بحديث جابر أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إني نذرت إن فتح الله عليك
مكة أن أصلي في بيت المقدس قال صل ههنا (٢) ، فمدار الفتوى في حديث جابر والسيدة
ميمونة على أن من نذر الصلاة في مفضل أجزأه الصلاة في الأفضل ولا عكس (٣) .
وها نحن نرى أن الشافعي رحمه الله في الأم أوجب أداء النذر في المسجد الحرام دون
المسجدين الآخرين المشرفين مع أن الشافعي ممن يرى صحة حديث « لا تشد الرحال » ، وعلى منطق
المؤلف في البحث كان يلزم أن نقول استنادا إلى رأى الشافعي في الأم : إن فضيلة المسجدين :

١ — مقدمة ابن الصلاح ص ١٢١ ط حلب .

٢ — عمدة القارى ج ٧ ص ٢٥٣ .

٣ — المغنى والشرح الكبير ج ١١ ص ٣٥٢ .

مسجد المدينة ، والأقصى غير ثابتة وإن ذكرها في الحديث اختلاق ، وهو منهج في البحث سقيم لم نر له مثيلا في القديم ولا في الحديث .

* * *

في ص (١٣١) ذكر تحت عنوان « اليد اليهودية في تفضيل الشام » حديث الصحيحين المرفوع ولفظه « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك » قال : روى البخاري هم بالشام .

ونحن لا تنسك في أن بلاد الشام وغيرها من بلاد الإسلام قد وضعت فيها أحاديث كثيرة بداعي العصبية الوطنية ، وقد سبق أئمة الحديث وصيارفته إلى بيان ذلك من منذ مئات السنين ، ولكن الذي تنسكه على المؤلف الطعن في الأحاديث الصحيحة بالظن من غير تثبت ، أو اعتمادا على تأويل مؤول للحديث .

وليس أدل على هذا من ذكره هذا الحديث واعتباره من صنع اليد اليهودية ، وأي فائدة تعود على اليهود من هذا ، وبلاد الشام ليست بلادهم وإنما هي بلاد العرب قبل أن تكون بلادا لهم ؟ وهل يعقل من اليهود في سبيل التزلف إلى بني أمية أن يضعوا هذا الحديث الذي يدل على بقاء الإسلام وبقاء سلطانه ، وبقاء هذه الطائفة الثابتة على الحق من الأمة المحمدية إلى يوم القيامة ؟ وكيف وهم يدعون أنهم شعب الله المختار - كذبا وزورا - وأنهم أحق الشعوب بالبقاء ، لقد وصفهم المؤلف بالدهاء والمكر ، فكيف يضعون أحاديث تعلى بنيان أعدائهم وتقوض بيتهم من أساسه ؟ الحق أن المؤلف يريد منا أن نلغي عقولنا .

وهذا الحديث رواه الشيخان في صحيحيهما ، رواه البخاري في « كتاب الاعتصام » عن المغيرة بن شعبة عن النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون » والرواية التي أشار إليها المؤلف رواها البخاري في باب بعد علامات النبوة بباين ، عن عمير بن هاني أنه سمع معاوية يقول : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون » قال عمير : فقال مالك بن يخامر : قال معاذ : وهم بالشام فقال معاوية : هذا مالك يزعم أنه سمع معاذ يقول وهم بالشام .

ورواه مسلم في صحيحه عن ثوبان وعن المغيرة بن شعبة وعن معاوية وعن جابر بن عبد الله وليس في رواية مسلم عن معاوية « قال معاذ وهم بالشام » ورواه غير البخاري ومسلم .

ومما ينبغي أن يتنبه إليه أن قول معاذ ليس من الحديث المرفوع كما يوهم صنيع المؤلف وإنما هو تأويل لمعاذ في الحديث ، أما المرفوع فليس فيه هذه الزيادة ، قال البدر العيني في شرحه على البخاري « وحديث مالك هذا - يعني مالك بن يخامر عن معاذ - غير مرفوع » وقد فسر البخاري هذه الطائفة فقال بعد إيراد الترجمة للحديث : وهم أهل العلم ، وعن علي ابن المديني أنه قال : هم أصحاب الحديث ، وكذا روى عن الإمام أحمد ، وقيل غير ذلك ، وهكذا نرى أن الأئمة من لدن الصحابة اختلفوا في تعيين المراد من هذه الطائفة ، فتخرج الإمام البخاري لهذه الرواية عن معاذ في فهم الحديث لا ينهض دليلا للطعن في الحديث الصحيح واعتباره من دسائس اليهود .

وكذلك قول بعض العلماء في الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه عن سعد ابن أبي وقاص مرفوعا « لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة » أن المراد بهم أهل الشام لا ينهض للطعن في الحديث ، وذكره مع أحاديث نبه العلماء على وضعها في قرن واحد .

ومن عجيب أمر هذا المؤلف أنه يعتمد في نقل بعض الأحاديث التي توافق هواه على كتب الأدب كنهاية الأرب ، وكتب التاريخ « كالمعجب في تلخيص أخبار المغرب » على حين يطعن في أحاديث في الصحيحين بالوضع ما دامت على غير هواه ، ولا أدري كيف غاب عنه أن كتب الأدب والتواريخ ونحوها تجمع الغث والسمين والمقبول والمردود فكيف يعتمد عليها فيما ينتقل ؟ ألا إن المعول عليه في السنة هي كتب الحديث المعتمدة التي تبرز الأسانيد أو تعزو الأحاديث وتميز بين الصحيح والضعيف والمقبول والمردود ؟

محمد محمد أبو شهبه

الأستاذ بكلية أصول الدين

تعليقات

حول مؤتمر الأدباء

حينما أراد ابن عبد ربه الأندلسي أن يبتدىء الحديث عن العلم والأدب في كتابه «العقد»، افتتح ذلك بقوله: «ونحن قائلون بحمد الله وتوفيقه في العلم والأدب، فإنهما القطبان اللذان عليهما مدار الدين والدنيا. وفرق ما بين الإنسان وسائر الحيوان، وما بين الطبيعة الملكية والطبيعة البهيمية؛ وهما مادة العقل، وسراج البدن، ونور القلب، وعماد الروح...». ثم يقول: «والطفل الصغير لو لم تعرفه أدبا، وتلقته كتابا، كان كأبله البهائم وأضل الدواب»؛ !:

ومن مثل هذا البيان نستطيع أن ندرك مكانة الأدب في الحياة، وتأثير الأدب في المجتمع ولقد شاء الله للأدباء في الأمة العربية أن يجتمعوا منذ سنوات فيكونوا لهم جماعة، ويعقدوا مؤتمرا يتدارسون فيه شئون الفكر والأدب؛ ولقد تلقيت دعوة كريمة من حكومة الكويت الشقيقة للاشتراك في الدورة الرابعة لمؤتمر الأدباء التي انعقدت في الكويت، وبدأت يوم السبت ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٥٨ وانتهت في يوم الأحد ٢٨ من الشهر المذكور، وتفضل الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر فأصدر قرارا بقبول هذه الدعوة وبالاشتراك في المؤتمر؛ وكان هذا الاشتراك فرصة للالتقاء بمجموعة ضخمة من أدباء الأمة وشعرائها ومفكرها وذوى رأى فيها، فوق اشتراكى في مناقشات المؤتمر واقتراحاته وبعض لجانه.

ولقد كان للمؤتمر موضوعان رئيسيان خصهما بالعناية والبحث: الأول منهما هو البطولة كما يصورها الأدب العربي في مختلف عصوره، والآخر هو مشكلات الكتاب العربي، وتشمل النثر والتوزيع والترجمة وبعث التراث... وقد بحث المؤتمر الموضوع الأول عن طريق بحوث تلقى، ويعقبها تعقيبات ومناقشات ومقترحات، وبحث الموضوع الثانى عن طريق لجان تقدمت في نهاية بحثها بتوصيات، ويبدو من هذا أن الموضوع الأول قد لاقى من كثرة المشتركين في الكلام والسامعين له أكثر من الموضوع الآخر الذى كان أمره محصورا داخل نطاق اللجان..

وعلى الرغم من النظام الذى كان مستتباً فى المؤتمر بفضل الجهود الكبيرة التى بذلتها حكومة الكويت ودائرة المعارف فيها ، وعلى الرغم من النجاح الذى ناله المؤتمر بصفة عامة ، ليس هناك ما يمنع من إبداء بعض الملاحظات التى لاحظتها ، وقد يكون فى تسجيلها وفاء بحق التاريخ من جهة ، وحق التوجيه الخالص من جهة أخرى .

ألاحظ أن أصحاب البحوث التى دارت حول البطولة لم يعرفوا البطولة تعريفاً كافياً شافياً ، أو تعريفاً « جامعاً مانعاً » كما نقول فى الأزهر ، فقد عرف بعضهم البطولة بأنها الشجاعة ، وأنها سمو وتشوف للكمال ، ورياضة للروح والجسم ، وتعبير عن طاقة قوية منفردة . وهذا باحث ثان يقرر أن البطل هو ذلك الفرد الذى تتمثل فيه رغبات مجموع من الناس وآماله ، والذى يدرك بإحساسه المرهف وذكائه الوقاد وعبقريته النادرة مطامح مجتمعه وأمانيه ، فإذا به فى طليعة من يسعى لهذه المطامح ، ويكافح لتحقيق هذه الأمانى !! . وهذا ثالث يعرف البطولة بأنها مثل أعلى لا يزال البشر يسعون إليه ، وعنوان بارز من عناوين المجد والرفعة المعنوية ما فتئ الإنسان يحرص على شرف الانتساب إليه والاتصاف به ، وروح ما انفكت المجتمعات تنفخه فى أجيالها !! . . وهذا باحث رابع يعرف البطولة بأنها بطولة رأى وكفاح من دون هذا رأى ، وبطولة تجرد وجهاد فى سبيل هذا التجرد !! .

وهكذا ظل الأعضاء الباحثون فى أغلب جلسات المؤتمر يطلعون علينا بتعاريف للبطولة بعضها يتقارب ، وبعضها يتضارب ولذلك قلت فى إحدى مناقشاتي : إن تنظيم البحوث عن البطولة كان يقتضى أن تبدأ هذه البحوث ببحث عن تعريف البطولة وتبيان المراد بها ، حتى يستمر الأعضاء فى ذلك على منهج وطريق ، وأبدت خشيتي أن نخرج من جلسات المؤتمر دون أن نتفق على تعريف للبطولة ، لأن كل باحث يصورها من زاوية رأيه الخاص أو اتجاهه المعين .

وقد يتصل بهذا الموضوع أن الباحثين فى المؤتمر لم يعنوا بأن يشيرُوا إلى المصادر والمراجع القديمة والحديثة التى بحثت موضوع البطولة ، أو كانت تحوم حول حماها من قرب أو بعد ، ولذلك اقترحت على المؤتمر أن يعنى بوضع قائمة تتضمن الكتب التى تحدثت عن البطولة والفروسية والفتوة بطريق مباشر أو بطريق غير مباشر ، وأنا أذكر من هذه الكتب كتاب « الفروسية » لابن القيم ، وكتاب « غرر الخصائص الواضحة » للوطواط ،

وديان الحماسة لأبي تمام ، وديوان الحماسة لأبي عباد البحتري المتوفى سنة ٢٨٤ . وديوان الحماسة لأبي السعادات الشجری العلوی المتوفى سنة ٤٥٢ ، وكتاب الحماسة البصرية لأبي الحسن البصري المتوفى سنة ٦٤٧ ، وديوان الحماسة للعسكري ، وديوان الحماسة لأبي الحسن شميم الأندلسي المتوفى سنة ٦٥٣ ، وكتاب الفتوة عند العرب لعمر الدسوقي ، وكتاب أيام العرب في الجاهلية ، وقصص العرب لعلی البجاوی وأبو الفضل إبراهيم ، وكتاب الملامية والصوفية وأهل الفتوة لأبي العلا عفيفي ، وكتاب المروءة لبشر فارس ، وكتاب الفتوة والفتيان قديماً وحديثاً لمصطفى جواد ، وكتاب بطل الأبطال لعبد الرحمن عزام ، وكتاب صور من البطولة لمحمد أحمد الحوفي ، وكتاب الأبطال لسكارليل . الخ

* * *

ومن غرائب البحوث في هذا المؤتمر أن باحثاً قد ألقى بحثاً صبغته بصبغة التفسير المادى الصرف للتاريخ ، وأسرف في الخروج على الموضوع المخصص له ، وقد قرر في هذا البحث أن حركة « القرامطة » من « حركات البطولة القليلة المثال في المجتمع الإسلامي » ، وأنها حملت لواء الإصلاح الاجتماعي ، وكانت أروع حركات الإصلاح وأكثرها تنظيماً ، ! .

يقول الباحث هذا عن حركة « القرامطة » التي ظهرت في عهد المعتضد في البحرين والعراق والشام ، والتي أشعل أعصابها نار الفتنة التي أصابت المسلمين بالبلايا ، وأضاعته الأمن من طريق المسلمين إلى بيت المقدس ، وأحرقوا مسجد الرصافة ، وقتلوا الكثيرين ، وسلبوا البلاد والقرى .

والقرامطة هم الذين أعملوا التعتيل والتخريب في البصرة ، وقطعوا الطريق على الحجاج ، وأخذوا منهم الجمال وما أرادوه من الأمتعة والأموال والنساء والصبيان ، وحبسوا الكثيرين منهم في الصحراء ، حتى ماتوا جوعاً وعطشاً من حرارة الشمس ؛ وفعلوا مثل ذلك التخريب والتعتيل في الكوفة والأنبار ، وعثوا في أرض الجزيرة نهباً وقتلاً .

والقرامطة هم الذين كانوا يكفرون المسلمين ، ويقولون : إن لهم إماماً هو « المهدي » . ووصل بهم الأمر أن زعيمهم كان يأمر الرجل بقتل أخيه فيقتله ، وكان إذا كره رجلاً يقول عنه : « إنه مريض » - يعني أنه قد شك في دينه - ويأمر بقتله ! .

والقرامطة هم الذين هاجموا مكة يوم التروية سنة ٢١٧ ولم يرعوا للبيت الحرام حرمة

أو كرامة ، بل نهبوا الحجاج وقتلوه في المسجد الحرام ، وفي جانب الكعبة نفسها ، وخلصوا الحجر الأسود من مكانه ونقلوه إلى « هجر » . وخلصوا باب الكعبة أيضاً ، ورموا الكثير من القتلى في بئر زمزم ، والباقيون دفنوه في المسجد الحرام بلا غسل ولا كفن ، وأخذوا كسوة البيت فتمسوها بينهم ، ونهبوا دور مكة ! . ومن العجيب مع هذا أنهم كانوا ينسبون أنفسهم للتشييع لآل بيت الرسول عليه الصلاة والسلام .

يقول المؤرخ المنصف المرحوم الشيخ محمد الخضرى في كتابه « تاريخ الأمم الإسلامية » تعليقاً على ذلك ما نصه : « ولم يحصل في التاريخ أن انتهكت حرمة هذا البيت إلى هذا الحد ، حتى إن المهدي عبيد الله العلوى لما علم ذلك كتب إلى أبي طاهر ينكر عليه ذلك ويلومه ، ويلعنه ويقيم عليه القيامة ، ويقول : « قد حققت على شيعتنا ودعاة دولتنا اسم الكفر والإلحاد بما فعلت ؛ وإن لم ترد على أهل مكة وعلى الحجاج وغيرهم ما أخذت منهم ، وترد الحجر الأسود إلى مكانه ، وترد كسوة الكعبة ، فأنا برىء منك في الدنيا والآخرة ... » ولما وصله هذا الكتاب أعاد الحجر الأسود ، واستعاد ما أمكنه من أموال أهل مكة فردّه وقال : إن الناس اقتسموا كسوة الكعبة وأموال الحجاج ، ولا أقدر على منعهم . »

ولم يرد القرامطة الحجر الأسود إلا مضطرين خائفين ، بدليل أنهم قد طولبوا برد هذا الحجر قبل ذلك ولكنهم رفضوا ، وهذا هو المؤرخ المعتدل الشيخ الخضرى يقول في موضع آخر : « لم تزل القرامطة على حالهم في الإفساد والعيث واعتراض الحجاج ، وفي سنة ٢٣٢ أرسل محمد بن ياقوت رسولا إلى أبي طاهر - زعيم القرامطة حينئذ - يدعو إلى طاعة الخليفة ليقره على ما بيده من البلاد ، ويقلده بعد ذلك ما شاء من البلدان ، ويحسن إليه ، ويلتمس أن يكف عن الحاج جميعهم ، وأن يرد الحجر الأسود إلى موضعه بمكة ، فأجاب أبو طاهر إلى أنه لا يعترض الحاج ، ولا يصيهم بمكره ، ولم يجب إلى رد الحجر الأسود إلى مكة ، وسأل أن تطلق له الميرة من البصرة ليخطب للخليفة بهجر ؛ فسلم الحاج إلى مكة هذه السنة ولم يعترضهم القرامطة ؛ ولكن في سنة ٢٣٣ اعترضهم فخرج جماعة من العلويين بالكوفة إلى أبي طاهر فسلأوه أن يكف عن الحاج فكف عنهم ، وشرط عليهم أن يرجعوا إلى بغداد فجمعوا ، ولم يصح هذه السنة من العراق أحد ، وحار أبو طاهر إلى الكوفة فأقام بها عدة أيام ، ورغل عنها ، ... »

وهكذا نرى أن القرامطة كانوا يبعثون ويطغون كلما تهيأت لهم الفرص ، وينكشون أو يتراجعون إذا لم تواتهم فرصة ، ومهما يكن فقد كان منهم ما كان من الكوارث العظمى التي حلت بالأمّة الإسلامية كما يعبر الشيخ الخضرى فى موضع ثالث .

أمثل هذه الحركة يقال عنها إنها حركة بطولة ، وإنها كانت أروع حركات الإصلاح وأكثرها تنظيماً ؟ ! ... ولو فرضنا وتصورنا أن كلاما كهذا يقال فى مؤتمر هدام أفصح أن يقال فى مؤتمر عربى للأدباء العرب فى بلد عربى إسلامى هو الكويت ؟ ! ...

وقد وقفت فى نفس الجلسة التى ألقى فيها البحث السابق ، وناقشت صاحبه فيما ذهب إليه ، كما ناقشه غيرى بعد ذلك . وكان من المضحك أن نسمع متحدثا يصف محاولة « سجاح » ، المتنبئة الكذابة بأنها بطولة ! . . نعم « سجاح » ، التغلبية التى كان لها مع « مسيلة » ، الكذاب مواقف مخجلة وأنباء مخزية ، وعلى الرغم من تزايد الكاتبين عن « سجاح » نجد أن ما ذكرته المصادر المتزنة عنها شئ يستحى منه الإنسان وهو يطالعه فكيف هو يقول أو يحكم بأنه بطولة ؟ ! ... ولماذا إذن لم يعد هذا الباحث « مسيلة » من بين الأبطال ، وقد كان مسيلة فى ادعائه وتنبيهه وكذبه أرفع ذكراً وأوسع خطراً من « سجاح » ؟ ! ...

ووقف باحث آخر يتحدث عن ابن هانىء الأندلسى وكيف صور البطولة فى شعره ، فيقول : « لذلك نراه يرفع من منزلة المعز مثلاً ، ويسمو به عن مستوى البشر العام ، حتى يكاد يخرجهم عن دائرتهم ، فجاء شعره طامخاً بصفات البطولة النادرة ، ومغالياً فى تشخيص آثارها ، ويكفى أن أذكركم بالقصيدة الشهيرة :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار
وكأنما أنت النبي محمد وكأنما أنصارك الأنصار ،

وهذان البيتان صريحان فى أن قائلهما لم يتقيد بأصول الدين ، ولم يلتزم الأدب مع الله ، بل شط شطط الزنادقة والملحدّين ، فنسب إلى ممدوحه - وهو بشر - صفات الألوهية الصريحة ، بل تبجح فجعله أقوى من الأقدار ، وفوق هذا فأسلوب المديح سمج نافر ؛ لأن المبالغة المجنونة الكذب التى جاءت فيه قبخته وشوّهته ؛ ولا يكفى فى التعليق على هذا أن يقال : « إنه يسمو بممدوحه عن مستوى البشر العام » ؛ وهل هناك مستوى خاص لم يسم به عنه ؟ ... ولا يكفى أن يقال : « حتى يكاد يخرجهم عن دائرتهم » ... لأنه قد أخرجهم عن دائرتهم فعلاً ، بل بلغ

به حقه أن جعل مشيئته فوق مشيئة الأقدار ، وجعله « الواحد القهار » !! .. وإذا كان هذا الممدوح قد بلغ هذه المرتبة الخيالية التي توهمها تبجح المادح ، فكيف يقال إنها بطولة وقد أوغلت في التقمق الكاذب على حى الألوهية ؟ ! .

رفقا بموازن الحكم الأدبي ورفقا بالدقة في التعبير ، أيها الأدباء !! ... أيقال هذا في جمع له مكانته وقيمه ؛ ثم لا نقف لتفنيده وإظهار كلمة الحق أمامه ؟ ... « تلك إذن قسمة ضيزى » !! .

وبينا يسرف أحد الباحثين في الحكم حين يقول : « وتخليد الأبطال إنما أريد به رفعمهم إلى مستوى الآلهة ، وذلك تسليم مطلق بقدرتهم الخارقة » ، نجد باحثا آخر يناقضه فيبخس الحقيقة والواقع التاريخي بخسا شديدا حينما يقصر أمر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على البطولة والعبقرية فقط ، دون أن يدخل في حساب حكمه على الرسل أنهم أنبياء ورسول يوحى إليهم !! ...

الأول يتوسع توسعا مؤلما فيقرر أن تمجيد ذكريات الأبطال رفع لهم إلى مستوى الألوهية ، ويستعمل في ذلك لفظ « إنما » الذى يفيد القصر والحصر ، فكأنه لم يخلد الناس بطلا من الأبطال إلا ليجعلوها لها أو كإلاله ؛ والآخر يهضم الرسل حقهم الأصيل ، وصفتهم المميزة وهى أنهم بشر صنعهم الله على عينه ؟ وعصمهم بالنبوة والرسالة ، وأوحى إليهم ما أوحى ...

وبطبيعة الحال وقفت لأناقش ، لا بروح رجل الدين الغيور فقط ، بل بروح المنصف الذى يهوله أن يرى الحقائق تشوه وتحرف ... واقترحت على المؤتمر أن يخصص بحث لتفصيل الحديث عن « بطولة الأنبياء » ؛ لأنها بطولة من نوع خاص ، اقترحت أن يكون هناك موضوع مستقل للحديث عن « بطل الأبطال محمد عليه الصلاة والسلام » ؛ لأنه بطل العرب جميعا وبطل المسلمين بأسرهم فوق أنه نبي رسول !!

وقد جاءت إشارات عابرة فى أحد البحوث عن البطولة فى القرآن ، ولم تكن تلك الإشارات غرضا أساسيا للباحث كما ذكرت خلال المؤتمر ، ولذلك اقترحت أن يخصص بحث للحديث عن « ألوان البطولة كما يصورها القرآن الكريم » . وهذا فوق قيمته الأدبية يحقق غرضا له قيمته ومكانته وهو حسن الجمع بين العقيدة والأدب ، حتى يستمد الأدب

في بعض نواحيه من نبع الأدب الديني ، وحتى تتوثق الصلة بين رجل الدين ورجل الأدب ، ليلتقيا على شرعة سواء في خدمة العقيدة السامية والأدب الكريم ؛ ولعل هذا كان من بين الدوافع التي دفعتني إلى أن أقترح على المؤتمر جعل شخصية معنوية للأزهر الشريف ، فيوجه المؤتمر في الدورات القادمة الدعوة إلى الأزهر ليكون له وفد في هذه الدورات يشارك في بحوثها ويسهم في حسن الجمع بين رحاب الدين ورحاب الأدب ... وقد أبنت أن الأزهر الشريف بعمره الطويل الذي زاد على ألف عام قد حفظ التراث العربي والتراث الأدبي بجوار حفظه للتراث الديني ، وكان الأزهر خلال هذا العمر المديد حصنا حصينا لعلوم العربية وموارثها الأدبية ، وما زال الأزهر ينهض برسالته حتى اليوم ...

ولاحظت أن مستوى الحفاظ على اللغة العربية السليمة وعلى قواعدها الأصلية يوحى بإهمال عدد كبير من الأدباء ، فهم في بحوثهم وإلقاءهم لا يعنون العناية الواجبة بسلامة العبارة ولا بجودة الأسلوب ، ولا بالضبط اللغوي أو الصرفي للألفاظ ، ولا بمراعاة النحو في الكلام ، وقد تأذت النفوس والآذان مما سمعته أحيانا كثيرة من لحن وخطأ وتحريف ؛ وكان هذا داعيا إلى أن أقدم باقتراح ظاهره الدعابة وباطنه الجدد ، وهو أن يقف المؤتمر جلسته دقائق حدادا على المرحوم « سيديويه » حتى تهدأ عظامه في قبره !!! ...

إن اللغة من أقوى الدعائم في ميدان الأدب وميدان القومية وميدان الوحدة ، فالواجب علينا أن نعطيها حقه من الرعاية والعناية ، وإذا كان هذا واجب الأمة العربية كلها ، فإنه على الأدباء أوجب ولهم أزم ؛ لأنهم ألسنة هذه الأمة ، وهم الذين يترجمون أفكارها وعواطفها بالكلمة والتبيان . والأدب فكرة وصورة ، وكلها كانت الفكرة جليلة احتاجت إلى عبارة سليمة وكريمة ، فلا تنسوا واجب اللغة والنحو أيها الأدباء !!! ...

ومن الأمور الشكلية التي كانت في المؤتمر أن كثيراً من المتحدثين كانوا يبدؤون حديثهم بقولهم : « تحية أدبية » أو « تحية الأدب » أو « تحية عربية » أو « تحية العروبة » ؛ وكنتا نتساءل : وما تحية الأدب ! وما تحية العروبة ؟ ... ألا يصح أن نتفق عليها حتى نردها بدل الاقتصار بعبارة مبهمه كهذه ؟ ... وما المانع من أن تكون تحية الأدب والعروبة هي تحية الإسلام وتحية العرب المؤمنين وتحية الإنسانية الفاضلة كلها ، وهي تحية : « السلام عليكم ورحمة الله » ؟ .

إننا لا نريد أن تظل تلك الفجوة المصطنعة بين القومية العربية والإسلام ، وليس واجبنا أن نبحث عن وجوه التمايز بينهما ، إن كان هناك وجوه اختلاف ، بل واجبنا أن نركز أسباب الاتفاق والوفاق والاتساق بين القومية والعقيدة ؛ لأن القومية تكسب هذا قوة واعتزازا ؛ ولأن العقيدة تكسب هذا تمكنا من نفوس العرب المؤمنين .

أحمد الشرباصي

المدرس بالأزهر الشريف

أضواء

* * *

طريق السؤدد

بدراسة القرآن الكريم ، وما يتصل به من مصادر الرسالة الإسلامية ، وإعداد الأزهر لذلك على الوجه الأكمل ، نصل إلى الخير ، وإلى السعادة ، وتمتعد الجمهورية العربية المتحدة قمة المجد .

الأستاذ الأكبر الشيخ

محمود شلتوت

* * *

أتباع ديوى

إن أتباع ديوى يعيشون على أرض هذا الوطن غرباء ، وأن لهم أن يدركوا مقومات هذا الوطن العزيز ، وتوجيه هذه الثورة البناءة ، إن هم أرادوا تنظيم التوجيه ، وإيجاد وعى سليم عن طريق التربية .

الدكتور محمد البهى

* * *

اتحاد العرب والمسلمين

كل ما قصد إلى توهمين اتحادنا (نحن العرب والمسلمين) ، وبث روح الفرقة والعصية ، والشعوبية الجاهلية بيننا ، لا يخدم إلا أهداف العدو ، ولا يورثنا إلا الضعف .

الدكتور محمد محمد حسين

الأدب والعلوم

إنتاج المياه الثقيلة

أتم أحد الخبراء الألمان بتكليف من حكومة الجمهورية العربية المتحدة ، وضع مشروع لإنتاج المياه الثقيلة ، والمعروف أن هذه المياه تستخدم في صنع القنابل الذرية .

تعمير الصحارى

تكونت لجنة بوزارة حرية الجمهورية العربية المتحدة ، لدراسة تعمير الصحارى ، وطلبت من سفارتى الجمهورية فى موسكو وواشنطن موافقتها بالمطبوعات والنشرات الخاصة بتعمير الصحارى .

زراعة الأشجار الخشبية

قرر المسئولون بالإقليم المصرى ، تعمير زراعة الأشجار الخشبية على جوانب الطرق الرئيسية ، للإكثار من خشب الأثاث والمصنوعات الأخرى .

التخطيط العلمى للجامعات

تقرر تشكيل ٥٠ لجنة للتخطيط العلمى لجامعات الجمهورية العربية المتحدة .

وقف تدريس الكتب

التي تتضمن مساسا بالقومية العربية

قال الأستاذ أحمد حلى المدير المساعد للتعليم الأجنبى : إن ٦٤ مدرسة أجنبية فى الإسكندرية تضم ٢٤ ألف طالب وطالبة ، تقدمت بإقرارات تتضمن عدم تدريس أى كتاب فيه مساس بالروح القومية العربية ، كما تم جمع الكتب المخالفة لهذا الشعور وأعدمت .

مؤسسة للثقافة العالمية

أعلن السيد وزير الشؤون الاجتماعية التنفيذى بالإقليم المصرى ، فى مؤتمر اتحاد العمال ، أنه سينظر بعين الاعتبار ، إلى المشروع الخاص بإقامة مؤسسة للثقافة العالمية .

مدرسة لتدريس اللغة العربية بفينا

قررت حكومة الجمهورية العربية المتحدة ، منح إعانة مالية لإحدى الجمعيات بالنمسا ؛ لبناء مدرسة لتدريس اللغة العربية بفينا .

دائرة معارف عن آسيا وإفريقيا

يقوم مجلس الفنون والآداب بإعداد دائرة معارف عن آسيا وإفريقيا .

٣٠٠٠ مدرسة ابتدائية

تنشئها الدولة في ٢٠ عاما

تعد الوزارة المركزية للتربية والتعليم بالجمهورية العربية المتحدة ، مشروعا يحتاج إليه المباني المدرسية في المرحلة الابتدائية ، في السنوات العشرين القادمة على أساس بناء ١٥٠ مدرسة كل عام ، منها ٥٠ مدرسة بدل مدارس قائمة قديمة ، و ١٠٠ مدرسة جديدة .

نفقات الطلبة اليمنيين

تعتبر معونة ثقافية

تقرر اعتبار نفقات الطلبة اليمنيين بالكليات والمعاهد والمدارس العسكرية ، في الجمهورية العربية المتحدة بالإقليم الجنوبي معونة ثقافية .

إعفاء طلبة جزائريين

من رسوم الدراسة

أعفت حكومة الجمهورية العربية المتحدة ، تسعة طلاب جزائريين ملحقين بكلية البوليس من الرسوم طوال سنى الدراسة .

أول قرية

يعاد تخطيطها بالإقليم المصرى

قامت إدارة تخطيط القرى في وزارة الشؤون البلدية والقروية بالإقليم المصرى ، بإعداد مشروع تخطيط القرى ، وستكون قرية « بنى هلال » بمديرية الشرقية القرية الأولى التى تطبق عليها دراسات هذا المشروع .

الكون كتاب ...

والقرآن كتاب

جاء فى حديث نشر لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت ، شيخ الجامع الأزهر : أن على الناس أن يريحوا أنفسهم من تكلف تطبيق القرآن ، أو تفسيره ، أو احتوائه على مظاهر الكون ، فالكون كتاب ... والقرآن كتاب . والقرآن يدفع بالناس إلى البحث عن مظاهر الكون ، وتقصى سنن الله فيه ، وليس من شأن الرسائل الإلهية سوى ذلك ، فلا تحملوها أكثر مما حملها الله .

جامعة حرة بالإقليم المصرى

تقرر إنشاء جامعة حرة فى الإقليم المصرى ، وستدعى الشركات والمؤسسات الكبرى للمساهمة فى تكاليف هذه الجامعة الجديدة ، التى ستحل مشكلات القبول ، واغتراب الطلبة فى الخارج ، كما توفر النقد الأجنبى ، فضلا عن أنها ستضع الطلاب تحت رقابة أسرهم .

التدخين

يسبب ضعف النظر

أعلن الدكتور « جيمس دوجارت » الجراح البريطانى ، أن التدخين يسبب ضعف النظر ، وأن معظم المصابين بالعمى الجزئى ، هم من مدمنى التدخين .

إنشاء المجلس الأعلى للشباب

عيد الوحدة

معهم بهذه الذكرى ، وتعالى دعاؤها مع دعائهم بأن يصون الله تعالى الجمهورية العربية المتحدة ؛ لأنها سند القومية العربية وصنو التحرر والعزة في الوطن العربي الكبير .

بعثة لبنانية

لتهنئة الرئيس بعيد الوحدة

قررت الحكومة اللبنانية إيفاد بعثة رسمية برئاسة السيد رشيد كرامي رئيس الوزراء ؛ لتهنئة الرئيس جمال عبد الناصر بعيد الوحدة ، وستضم البعثة السيد بيار الجميل وزير الأشغال ورئيس حزب الكتائب ، وبعض الشخصيات اللبنانية .

مؤتمر شباب آسيا وإفريقيا

افتتح صباح يوم الاثنين ٢٤ رجب ١٣٧٨ (٢ فبراير ١٩٥٩) مؤتمر شباب آسيا وإفريقيا ، المنبثق عن مؤتمر تضامن الشعوب الآسيوية والإفريقية في العام الماضي .

فقد الصباح الباكر أخذت وفود ٣٦ دولة من شباب القارتين ، طريقها إلى قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة ، حيث مكان الاجتماع ، فاستقبلها شباب الجمهورية العربية المتحدة : « بإقليمها » ، بالهتاف

احتفل إقليم الجمهورية العربية المتحدة في ٢٣ رجب ١٣٧٨ الموافق أول فبراير الحالي بعيد الوحدة الأول ، وشاركهما في هذه الفرحة وهذا العيد شعوب العرب في كل مكان .

ويذكرنا هذا العيد بالتصميم الصادق ، الذي بعث هذه الجمهورية الفتية إلى الوجود ، ففاجأ بها أبنائها خصوم الوحدة من مستعمرين وانفصاليين ورجعيين ، هذا التصميم الذي رعى ولا يزال رعى جمهوريتنا ، ويدعم بنيانها ويؤكد سلامتها ، ويحقق لها النجاح تلو النجاح في كل خطوة تخطوها وفي كل إصلاح تقدم عليه .

وقد بثت هذه الوحدة الإحساس في نفس كل عربي بالقوة الذاتية وبالقدرة على إزالة كل أدران الماضي ومخلفاته .

وبعثت الثقة بأن وطن العرب لهم ، وثرواتهم من حتمهم ، وبأن تلاعب النفوذ الأجنبي بأقدارهم أصبح أو يسكاد يصبح خرافة عفا عليها الزمان . ولهذا لم يقتصر الاحتفال بقيام الوحدة على أبناء الجمهورية العربية وحدهم ، بل شاركهم هذه الفرحة أجزاء أخرى من الوطن العربي ، وابتهجت

وهذا نصها : إلى إخواني من شباب آسيا وإفريقيا : في اجتماعكم الأول ، الذي يضم زهرة شباب آسيا وإفريقيا وأملها المنشود ، أبعث إليكم بأخلص تحياتي ، متمنياً لكم النجاح في تحقيق الأهداف السامية التي اجتمعتم من أجلها ، وفي توطيد دعائم التضامن بين شعوبكم ، وتقوية أواصر المحبة والإخاء والتعاون في سبيل تحقيق الرخاء لشعوبنا ، والحرية للشعوب كلها ، والسلام للعالم أجمع .

الرئيس جمال عبد الناصر

يخطب في مهرجان الشباب العربي

في الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم الأول لمؤتمر شباب آسيا وإفريقيا ، ألقى الرئيس جمال عبد الناصر - في مهرجان الشباب العربي ، الذي أقيم بالنادي الأهلي ، بمناسبة افتتاح المؤتمر - خطاباً سياسياً جامعاً ، استمع له السادة الوزراء والسفراء وغيرهم من كبار الدولة ، وشباب المؤتمر الآسيوي الإفريقي ، وعدد ضخم من أبناء الجمهورية العربية المتحدة باقليمها . وقد عدد الحاضرين بما يقرب من مائة ألف شخص ، غصت بهم مدرجات النادي الأهلي ، والسرادات الواسعة ، التي أعدت في الأماكن الخالية من ملاعب النادي . وحيا الرئيس في خطابه العظيم ، شباب آسيا وإفريقيا ، وأكد أن مؤتمرهم

والتصفيق ، وعزف الموسيقىات ، وإطلاق الحمام الذي يرمز إلى السلام . والمؤتمر في ذاته تعبير مجسم عن وحدة الكفاح ، التي جمعت الشعوب الآسيوية والإفريقية ، التي قاست الاستعمار . وعاشت لتقاوم ما خلفه من تأخر وانحلال ، ومن تعصب وتفرقة ، ومن ضعف جهل . وهذه الشعوب على اختلاف أجناسها ، وتباين نظم حياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمذهبية ، قد اجتمعت على نصرة الحرية ، واحترام الحق ، وإقرار السلام . ومثلها في هذا المؤتمر شبابها ، لأن الشباب هم قوة الشعوب ، وهم الذين سيقرون المستقبل لها وللإنسانية كلها ؛ ومن هنا كانت صيحة التضامن الآسيوي الإفريقي ، صيحة إنسانية ضخمة ، أفزعت أعداء الحرية ، وأثلجت صدور مجيها . وقد لوحظ لأبناء الأزهر ، في احتفالات المؤتمر مع إخوانهم طلبة جامعات الجمهورية العربية المتحدة نشاط حيوي مبارك ، كان له أثره في لإنجاح المؤتمر ، وإدخال السرور على نفوس ضيوفهم من شباب الشعوب الآسيوية والإفريقية الصديقة .

برقية الرئيس إلى مؤتمر الشباب

بعث الرئيس جمال عبد الناصر بالبرقية التالية ، إلى مؤتمر الشباب حيث تليت ،

فلسطين بدلا من «إسرائيل»

أوصت اللجنة السياسية التابعة لمؤتمر الشباب الآسيوى الإفريقى ، بإطلاق عبارة «فلسطين المغتصبة» على الجزء المحتل من فلسطين بدلا من إسرائيل .

جيش الجمهورية العربية المتحدة

نشر لىكل عربى

زار السيد / إبراهيم شعبان وزير الدفاع الليبى بعض الوحدات العسكرية فى الإقليم الجنوبى ، وصرح سيادته عقب ذلك : بأن هذه الزيارة تركت فى نفسه أثرا عميقا ، وأطلعتة على مدى التقدم العظيم الذى أحرزته القوات المسلحة العربية ، مما يجعل كل عربى يزهو فخرا .

العرب أمة واحدة

أدلى السيد / عبد الرحمن البراز عميد كلية الحقوق ببغداد ، بشهادته فى محاكمة البطل العربى عبدالسلام عارف ، ومما جاء فيها قوله : أنا أومن بأن الأمة العربية أمة واحدة ، وأن ما أصبنا به من نكبات فيما مضى ، وما قد تعرض له فى المستقبل سببه فرقنا ، وأن حق الأمة العربية فى التكتل حق طبيعى وأساسى ، وأنا أدعو إلى ذلك .

عبد الناصر

أقوى من الأساطيل والجيش
فى محاضرة ألقاها النائب اللبنانى ، أميل

تثبيت لمبادئ مؤتمر باندونج عن تقرير المصير والحرية والمساواة والتضامن .

وقال : إن الاتحاد هو سلاح الأمة العربية ضد الاستعمار والسيطرة والتحكم والاستغلال ، كما أعلن سيادته أن الجمهورية العربية المتحدة ، هدفها توحيد الأمة العربية كلها ، ونصرة الشعوب المغلوبة على أمرها . وعلى أثر انتهاء الرئيس من خطابه الرائع ، تعالت المتهافتات بحياة الرئيس جمال عبد الناصر : رجل السلام ، وزعيم الحياذ الإيجابى ، وبطل الوحدة .

إذاعة خاصة بالجامعة العربية

استعان مؤتمر الأنباء العربى ، بالإدارة الهندسية بإذاعة الجمهورية العربية المتحدة ، لوضع مشروع جهاز للاستقبال والإرسال اللاسلكى ، خاص بالجامعة العربية .

تركيا والجامعة العربية

اعتذرت الجامعة العربية من عدم تحقيق رغبة إحدى شركات البترول التركية ، فى الاشتراك فى المؤتمر الأول للبترول العربى . وصرح السيد محمد سلمان ، المشرف على إدارة البترول فى الجامعة بأن المجلس الاقتصادى العربى ، حدد الدول التى تشترك فى المؤتمر ، وهى الدول العربية ، وأمارات الخليج ، والشركات التى تتعامل معها .

وبمقتضى هذه الاتفاقية ستقدم روسيا للجمهورية العربية المتحدة ، قرضاً يبلغ ٤٠٠ مليون روبل للبدء فى بناء السد .

رفض الشعوب العربية للأنظمة الاجتماعية

المخالفة لأنظمتها لا يعتبر عملاً عادياً

قال السيد حسين العوينى ، وزير خارجية لبنان فى حديث له : إن لكل أمة خصائصها ، ولا يحق لأى أمة أن تخضع أمة أخرى لمبادئ ابتكرتها ، ولا أن تتدخل فى شئونها . وإذا كان التعاون بين شعبنا العربى والشعوب الأخرى مفروض لخير الجميع ؛ فإن رفضنا مبادئ أو تقاليد دولة ما - بما لا يتفق مع مبادئنا وتقاليدنا - لا يعتبر عملاً عادياً تجاه هذه الدولة .

أندونيسيا

تؤم المؤسسات الهولندية

قررت الحكومة الأندونيسية تأميم جميع المؤسسات الهولندية ، وعددها ٣٨٧ مؤسسة زراعية تشمل مزارع التبغ والمطاط والسكر .

بعثات باكستانية للأزهر

أبدى السيد سفير باكستان فى القاهرة للمسؤولين بالأزهر ، رغبة حكومته فى إفراح المجال لبعثات باكستانية قادمة إلى الأزهر .

البستاني ، فى جامعة اكسفورد ، فى معرض الحديث عن الرئيس جمال عبد الناصر قال : إن الرئيس عبد الناصر هو بطل العرب الوطنى العظيم ، وعلى بريطانيا ألا تعترض إذا اختاره العرب زعيماً لهم ، فقد أثبت الرئيس جمال عبد الناصر أنه أقوى من الأسطول السادس ، ومن القوات البريطانية .

جيش التحرير الجزائرى

يخترق خط الدفاع الفرنسى

اعترفت القيادة الفرنسية بأن مئات من الجنود الوطنيين الجزائريين ، اخترقوا خط الدفاع الفرنسى المعروف باسم خط موريس المكهرب ، وكان الفرنسيون قد بالغوا فى تحصينه مما جعلهم يعانون مراراً استحالة اختراقه .

القواعد الأمريكية بليديا

طلب الرسمىون الليبيون من أمريكا ، فتح باب المفاوضات لتعديل اتفاقية عام ١٩٥٤ الخاصة بالقواعد الأمريكية والمعونة المالية التى تقدمها أمريكا لليبيا .

موافقة روسيا على اتفاقية

السد العالى

وافقت الهيئة النيابية العليا فى روسيا على اتفاقية بناء المرحلة الأولى للسد العالى ،

الفهرس

صفحة	الموضوع	بقلم
٤٩٣	شهر شعبان	الدكتور محمد الهوى مدير عام الثقافة
٥٩٦	من الدراسات النفسية فى القرآن : مسابقة القرآن للطبقة الانسانية :	الاسلامية بالأزهر
٦٠١	السنة : عمل المرء لغيره	الاستاذ محمد محمد المدنى أستاذ الشريعة
٦٠٥	تفسير الزكاة	الاسلامية بجامعة القاهرة
٦١٠	أمة ورسالة	الاستاذ طه محمد الماكت
٦١٩	منهج السلوك فى الاسلام	» عبدالرحمن عيسى مدير التفتيش بالأزهر
٦٢٣	الروحية الحديثة دعوة هدامة - ٢ -	» محمد الغزالى مدير التفتيش بوزارة
٦٢٨	كلمة حول الاحتفال بيلة النصف من شعبان	الادواق
٦٣٤	من تاريخ السنة النبوية - ١ -	» السيد سابق مدير الثقافة بوزارة
٦٣٨	من أبطال التاريخ : أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز	الدكتور محمد محمد حسين أستاذ الأدب العربى
٦٤٧	من تاريخ السنة النبوية - ١ -	الحديث بجامعة الإسكندرية
٦٥٣	نقد الكتاب : القرآن المقدس	الاستاذ عمر عبدالوهاب الجندى شيخ معهد
٦٦٠	نقد كتاب أضواء على السنة - ٧ -	دسوق سابقا
٦٦٦	تلميحات : حول مؤتمر الأدباء	» يس سويلم طه شيخ معهد الرقازيق
٦٧٤	الأدب والمعلوم	» أحمد على منصور أستاذ البلاغة والادب
٦٧٦	العالم الاسلامى	بمعهد شبين الكوم
		» حسن الشيخة المحرر الادبى بجريدة
		الشعب
		» على العمارى
		لدكتور محمد محمد عبد الله ماضى مدير الماهد
		الدينية
		الاستاذ محمد محمد أحمد أبوشهبة الاستاذ بكلية أصول
		الدين
		» أحمد الشرباصى المدرس بالأزهر
		للمجلة



مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
المسئول
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة

ت : ٤٦٢١٤

يشارك في التحرير
عبد الرحمن محمد العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللدرسين والطلبة تخفيض خاص

الجزء التاسع - القاهرة في شهر رمضان سنة ١٣٧٨ - مارس سنة ١٩٥٩ - المجلد الثلاثون

مجلد
١٩٥٩
دور ١

فهرس

صفحة

صفحة

بقلم ح . م



للأستاذ الدكتور سليمان دنيا

٧٦٥ دور من أدوار التاريخ في الكتابة عن الأندلس

للأستاذ عباس محمود العقاد

٧٧٢ يارسل الله : أنت ، أنت !

للأستاذ محمد علي الحوماني

٧٧٤ الإسلام ونقبة المسلم [كتاب] تأليف

أندريه سرفيه

عرض وتعليق الأستاذ الدكتور أحمد فؤاد

الأهواني

٧٨١ آراء وأحاديث : الأستاذ الأكبر يستقبل شهر

رمضان ويمنى المسلمون به ، تحقيق صحنى لدى

فضيلة الأستاذ الأكبر ، موجز الحديث الذي

دار بين الأستاذ الأكبر وسفير كندا بالقاهرة ،

الكلمة التي ألقاها الأستاذ الأكبر على شباب

آسيا وإفريقيا .

٧٩٤ الأدب والعلوم

٧٩٩ الكتب : تاريخ الجامع الأزهر ، سلسلة الثقافة

الإسلامية

٨٠٣ أبناء الأزهر

٦٨١ الأزهر كدين لله ولغة العرب لا يتخلف

للأستاذ أحمد حسن الزيات

٦٨٥ لغة التعبير : اللغة العربية

للأستاذ عباس محمود العقاد

٦٨٩ منهج فقهي سليم : أصول المعاملات الحديثة

للأستاذ محمد محمد المدني

٦٩٧ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا

للأستاذ محمد عرفة

٧٠١ الإسلام وحاجة الإنسانية إليه

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

٧٠٧ ابن سهل الأندلسي

للأستاذ كمال الدسوقي

٧١٢ نظرية ارتقاء الأنواع وانفصاف بعضها من بعض

عند مفكرى الإسلام

للأستاذ الدكتور على عبد الواحد وافي

٧١٨ الحركة الموسوعية في الإسلام

للأستاذ حسين على الداوق

٧٢٤ أسرار القسم في القرآن الكريم

للأستاذ عبد الوهاب حمودة

٧٢٧ التعليم الديني في السودان

للأستاذ على العمارى

٧٣٢ موسيقى القرآن بين الترتيل والتلحين

للأستاذ أحمد الشرباصى

٧٣٩ عصر نبذ الإله الواحد فوق في شرك آلهة شتى

للأستاذ فتحي عثمان

الأزهر كدين الله ولغة العرب لا يتخلف

بقلم أحمد حسن الزيات

مؤمن، وإنما أتيت من قبل التمرد الطاغى على القديم لقدمه لا لفساده، ومن تعصبك العنيد للجديد لجذته لا لصلاحه !
إنك مصاب بالألرجيا للأزهر، لأنه مادام، دام التراث الغالى وتمثل الماضى المجيد، والألرجيا مرض لا يزال مجهول السبب فلا طب له ولا حيلة فيه . وإذن يكون جوابى عما سألت رداً لا يقطع اللسان، ومناقشتى إياك فيما قلت جدلاً لا ينعش المكابر . وإنك لتعلم عن طريق اعتقادك بالقرآن وعلمك بالتاريخ، أن الدين قوام الجماعة الإسلامية، وأن اللغة نظام القومية العربية، وأن رعاية الدين وحماية اللغة هما رسالة الأزهر . ومادام الإسلام يتجدد بحكم طبيعته على الزمن، واللغة تتسع بفضل مرونتها على الحضارة، فإن الأزهر لابد أن يتجدد مع الدين ويتسع مع اللغة وإن لم يفعل فما بلغ رسالته .
ولعلك لا تنسى أن الأزهر منذ اضمحلت الخلافة، واستعجمت الثقافة، نخشع السلطان واختلف اللسان وكاد يرفع القرآن، كان وحده هو المنار الذى أضاء الطريق، والحصن الذى حفظ التراث، والمتجعب الذى أوى إليه طلاب

لقتنى منذ أيام فى طريقى إلى إدارة الأزهر أستاذ جامعى يعرفه الناس بعداوته للثقافة الإسلامية، وكرهته للآداب العربية، فقال لى وهو يقلص شفتيه عن ابتسامة ذات معنى : ماذا عسى أن تصنع لمجلة الأزهر وهى إن كانت لسانا لحاله فلا بد أن تكون مرآة لجموده وصورة لتخلفه ؟ وما دامت الثقافة الغربية قد نسخت الثقافة الشرقية، واللغة العامية قد هزمت اللغة الفصحى، فإن الأزهر وهو مدين بوجوده وبقائه للدين واللغة لم يعد إلا طلالاً من الاطلال وأثرأ من الآثار، والطلل يوقف عليه للذكرى، والأثر يحتفظ به للتاريخ ؟
فقلت له وأنا أجزيه على ابتسامة غاضبة بابتسامة عاتبة : إن رأيك فى ثقافة الإسلام وحضارة العرب ورسالة الأزهر قد يكون رأى الكثير من فتن قلوبهم واقعية الفكر فى أوربا، وسحرت عيونهم مادية العلم فى أمريكا فلو راو وسهم عن رسالة الله الخالدة التى تجدد فيها كل دين، وتكمل بها كل شرع، فلم يدركوا منها إلا ما يدرك الأرمد من ضوء النهار !
ولكنك من دون هؤلاء لم تؤت من قبل الجهل لأنك عالم، ولا من قبل الإلحاد لأنك

في جمع القلوب والشعوب على المحبة والتعاون ؛
فإن نور الدين الذي يضيء البصيرة ، كنور
الشمس الذي يضيء البصر ، لا يغير من طبعه
تطور الزمن ولا اختلاف الناس ، وكلما تشعبت
الأمر وتفرقت السبل واستهمت المسالك
افتقد الركب النور الإلهي الذي يهدي إلى سبيل
السلام ويرشد إلى طريق الحق .

وهذه النهضة العامة التي تهز الوطن العربي
هزا أحوج ما تكون إلى الدين ينفضها بروحه
حتى لا تضرب ، وإلى الأدب ينضجها بنداها
حتى لا تجف . ونحن العرب لا نستطيع أن نفصل
بين حضارتنا والدين اتعاظا بالفشل المروع
الذي أصيبت به الحضارة المادية الغربية ،
وإيماننا بأن لنا رسالة روحية اصطفاها الله
لأدائنا جيلا بعد جيل ، ليمتد الاتصال بين السماء
والأرض ، ويدوم المدد بين الله والإنسان .
أنا معك في أن انفلاق الذرة في الغرب دفع
العالم إلى الأمام بسرعة الصاروخ ، وأن انفجار
الثورة في مصر رج النيام في الشرق رجة الزلزال ،
وأن الأزهر لا يستطيع أن يواكب ركب
الإنسانية الثائر الطائر ما لم يركب مركبه ويسرع
إسراعه ، ولكن من ذا الذي قال إن السرعة
التي تنتقل بها الروح أو الفكرة أبطأ من السرعة
التي يصل بها الصوت أو الضوء ؟ إن الأزهر
لا بأس عليه ألا يرسل الطائرة وألا يطلق القذيفة ،
فإن دعوته وكتبته تنفذان من أقطار السموات

الفقه والعلم من جميع أقطار الأرض ، فوجدوا
في كنفه العيش والأمن والسكنا والهدوء ،
ثم صدروا عنه صدور الشعاع عن الشمس ،
يحملون نور الله إلى كل قلب ، وحرارة الإيمان
إلى كل نفس ، وكان منهم الزعماء في كل نهضة ،
والقادة في كل ثورة .

كان الأزهر منذ زحف الاستعمار إلى الشرق
طلعة الجهاد القومي في ميادينه المختلفة ، فلم
يتخلف أبداً عن مكانه من الصف الأول .
كان ينبه الوعي الغافي ، ويجمع الرأي
الشثيت ، ويصل ما تقطع من الأسباب بين
ديار الإسلام وأقطار العروبة .

وما أحسبك تجهل أن العرب حاولوا
الوحدة مرتين في تاريخهم الطويل : مرة في
القرن السادس بعد أن فرقهم العصبية الجاهلية
فقالوها بالإسلام ، ومرة في القرن العشرين بعد
أن مزقهم النعرة التركية فأوشكوا أن ينالوها
بالأدب . والدين والأدب يملكهما الأزهر
جميعاً لأنه وريث النبوة وخليفة الدعوة .

تقول : إن الزمن قد استحال وإن العالم قد
تغير ، وإن العلم المادي قد انبسط سلطانه
على الأرض ، وإن الوسائل التي كانت تغنى
بالأمس ، أصبحت لا تغنى اليوم ، وأنا لا أنكر
أن سنة الله في الكون أن يتقدم دائماً وأن
يترقى أبداً ، ولكني أنكر ألا يكون للوسائل
الروحية من دين وأدب ما كان لها قبلاً من الغناء

اتبع الأول وكان يتحرق أسفا على تعويقه عن مقصده ، وأيد الثاني وكان يضيق ذرعا بطول تردده ، وعاون الثالث وكان يرتض أسى على كسف يده .

وكان هو وثلاثة من إخوان الرأى يجتمعون فى دار (الرسالة) فيتشاكون ما حاق بالأزهر من ركود ريجه وانحسار ظله . ويشفقون على بنبوغ الثقافة الإسلامية أن يصد تياره ما ارتكم فى مجراه من الخطام البالى والغناء الدخيل . وكانوا كسائر طلاب الإصلاح يرصدون الأفق الغائم ليرقبوا القائد المنتظر الذى يبعث الحياة فيه ويدبر الفساده . وكان هذا الرجل قد تفرد بدعوة الإصلاح الأزهرى بعد فشل دعائه من قبله ، فرسم الخطط، وسن المناهج ، وكتب الرسائل ، وجبر المقالات ، وقدم التقارير ؛ ثم جعل للإسلام النقي الواضح قولا فى كل مسألة ، ورأى فى كل معضلة ، وتوجيها فى كل قصد ، تارة بلسانه فى الإذاعة ، وأخرى بقلبه فى الصحف .

ذلك الرجل الرابع هو الشيخ محمود شلتوت الذى اختارته (ثورة الإصلاح العام) شيخاً للأزهر ليدفع به إلى مكانه الخالى من صف القيادة العامة .

وتلك مشيئة الله يا أستاذ ليدوم نور الهدى مشرقا من هذه المنارة ، ويظل دين الله روحاً لهذه الحضارة .

والأرض قبل أن تنفذ منها الطائفة النفاثة والقمر المصنوع .

على أن الأزهر يعتريه ما يعتري السكان الحى من نقص السكال وضعف القدرة ؛ فقد بلغ فى العصر المملوكى ذروة مجده العلى وسلطانه القومى ، ثم أدركه فى العصر التركى ما أدرك العرب جميعا من الغفوة التى أشبهت الموت فنام على موروث عله ومأثور طريقته ، حتى صحا على مدافع نابوليون تقصف أبواب القاهرة ، فبعث فى مصر روح المقاومة وتبوأ منها مكان القيادة .

ورأى الذين زاروا الغرب من أهله أن فى أوربا علما أوسع من عله ، وتعلما أرقى من تعليمه ، ففكروا فى إصلاحه ليظل مرجع الأمر للمسلمين والعرب . وكان من بين أبنائه التابعين النابهين ثلاثة انفردوا بمحاولة هذا الإصلاح ، ولكنهم منوا جميعا بالعجز عنه لاستبداد (القصر) يومئذ بسياسة الأزهر ، يحريه على هواه وينزله على حكمه ، ففضى محمد عبده بحسرة من بغى عباس ، ومضى المراغى بخيبة من هوى فؤاد ، وخرج عبد المجيد سليم بنزوة من نزق فاروق .

وكان هنالك رجل رابع جمع إلى عنفوان الشباب عنفوان الفكر ، فأدرك بحاسة المصلح الموهوب ما أدركوا من سوء الحال فى الأزهر فاتجه بعقله وقلبه إلى المشاركة فى إصلاحه .

لِغَةُ التَّعْبِيرِ، اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ

لِلْإِسْتِاذِ عَبَّاسٍ مُحَمَّدٍ الْعَقَّادِ

أوطانهم من كلماتهم وألفاظهم كما تترامى لنا أطوار المجتمع العربي من مادة ألفاظه ومفرداته في أسلوب الواقع وأسلوب المجاز .

ونبدأ بالمجتمع نفسه فنعلم أن المجتمع العربي في قوامه الأصيل إنما كان مجتمع رحلة ومرعى ، وأن السمكات التي تدل على معنى الجماعة في لسان العرب قلبا تخلص من الإشارة إلى الرحلة والرعاية . فالأمة هي الجماعة التي تقوم مكانا واحداً أو تأتم بقيادة واحدة .

والشعب هو الجماعة التي تتخذ لها شعبة واحدة من الطريق ، والطائفة هي الجماعة التي تطوف معا . والقبيلة هي الجماعة التي تسير إلى قبة مشتركة ، والفصيلة هي الجماعة التي تنفصل معا ، والفرقة هي الجماعة التي تفارق في مسلك واحد ، والفتة هي الجماعة التي تنقسم إلى ظل واحد ، والجيل من الناس هم الذين يشتركون في مجال واحد ، والبيئة هي الموطن الذي يبيت إليه أحبابه بعد الرحلة عنه ، والنفر من القوم من ينفرون معا للقتال أو لغیره ، والقوم في جملتهم هم الذين « يقومون » قومة واحدة للقتال خاصة ، ولهذا أطلقت أولاً على الرجال ثم شملت الرجال والنساء ، ومن هنا

يقال عن الشاعر البليغ إنه هو الشاعر الذي نعرفه من كلامه ، وإن لم يقصد إلى تعريفنا بسيرته وترجمة حياته ؛ لأنه يصف لنا شعوره بما حوله من الأحياء وسائر الأشياء ، ومتى عرفنا من كلامه ما يحب وما يكره وما يرتضيه وما ينكره ، وما يحرك طبعه وفكره أو يمر بهما في غير اكتراث ، فقد بدت لنا حقيقة جليلة سافرة ، وكان لسان الحال فيها ، بحق ، أصدق من لسان المقال .

واللغة على عمومها أولى أن يقال فيها هذا الذي يقال عن الشاعر البليغ ؛ لأن اللغة هي قوام التعبير الناطق بين جميع المتكلمين بها ، فإن لم نعرف منها حقائق أحوالهم فما هي بأداة وافية بوسائل التعريف .

فليس من الغلو في وصف اللغة المعبرة أن يقال إنك تضع معجمها بين يديك فكأنما قد وضعت أمامك قواعد تاريخها ومعالم بيئتها ، ولم تدع لمراجع التاريخ والجغرافية غير تفصيلات الأسماء والأيام .

واللغة العربية في طليعة اللغات المعبرة بين لغات العالم الشرقية أو الغربية ، فلا يعرف علماء اللغات لغة قوم تترامى لنا صفاتهم وصفات

الطريق ، وكذلك الرميل من صحبته الزاملة ،
والقريب الذى يقترب من منزلك ، وتناسبه
كلمة « العدو » للخصم الذى يعدوك أو يعدو
على جوارك .

وتتبع هذا المعنى ، أو نتقراه ، فى المعانى
المجازية ، فنقول المذهب للطريقة الفكرية
كما نقول المنهج والمثرب والنحو والمصدر
والمورد والمقام والمقامة ، ونطلق السيرة
على الترجمة وهى من سار يسير ، ونطلق القصة
على الحكاية وهى من قص الأثر ، ونطلق
الأثر على الخلفات وهى من بقايا المواطىء
والأقدام .

وقد قلنا : تتبع ، وتتقرب ، وقلنا المجاز
وكلها بما لوحظت فيه هذه الدلالة فى أصولها .
فالتتبع من السير وراء الراحل ، والتقرب
من البحث عنه حيث كان مقره ، والمجاز من
العبور . وما التعبير نفسه فى أصوله ؟ هو العبور .
ولا بد من مناسبة قريبة أو بعيدة تنتهى
إلى هذه الدلالة فى الألفاظ المعبرة عن الجماعات
والأمكنة .

فنحن نقول « الجيش » من جيشان الحركة
فى الأمكنة المتعددة أو المكان الواحد .

ونقول الجند ، والراجع أن الأصل فيه
يرجع إلى « الجند » وهى الأرض الغليظة التى
لايسهل طروقها ، كأنهم استعاروه لمناعة
المكان الذى يحميه المقاتلون المسلحون
أو المستعدون للقتال .

قوله تعالى « ولا نساء من نساء » بعد
قوله : « لايسخر قوم من قوم » . . . ومنه
قول زهير :

وما أدرى ولست أخال أدرى

أقوم آل حصن أم نساء
وإذا لاحظنا هنا المعنى فى دلالة أسماء
الأمكنة فهى دلالة مطردة على هذا المثال
فى أكثر البقاع التى تسكن أو يرحل منها
وإليها . .

فالمنزل حيث ينزل الإنسان ، والبيت
حيث يبيت بالليل ، وكذلك الموقع والمرجع
والمأوى ، وكذلك المسافة بين مكان ومكان
إنما هى الموضع الذى يساف ترابه للاهتمام
إلى الطريق .

وقد يدل اسم المكان بمادته على عيشة
« المشاع » فى البداية الأولى ، فيطلق اسم
« القصر » على المكان الذى يبنى مقصوراً
على بانيه ، خلافا للبيوت والخيام التى تقام
فى كل مكان .

واسم المكان قبل كل شئ مامعناه ؟ معناه
من « التمكن » خلافا للنقلة والمستقل بغير
استقرار .

ويلاحظ هذا أيضاً فى الكلمات التى تدل
على العشير أو على الرابطة الاجتماعية
بين الآحاد .

فالصاحب هو من يمشى معك فى السفر ،
وكذلك الرفيق الذى يؤخذ مع الطريق وقبل

والقصبة والريشة مما يقبله العرب ويتخذون منه القلامات ، فيحق لنا أن نفهم أننا بصدد هذه الكلمة أمم لفظ أصيل في لغة العرب ، لا ينقلونه من لفظ آخر في لغة أجنبية .

وأذكر أن طبيباً فاضلاً تقيناً في الإسكندرية فأخذ على بعض ما كتبت يومئذ عن القانون ، أن كلمة « القانون » دخيلة في العربية وأن « الشريعة » أحق منها بالاستعمال في كتابتنا ما دامت نظائرها ميسورة لدينا .

قلت للطبيب الفاضل : إن الكلمة من بضاعتنا التي ردت إلينا ، وأن القانون اليونانية ليست هي إلا القناة بصيغة التصغير عندهم ، لأن الغالب في لغتهم على معنى القانون أنه مستعار من القصبة التي توضع بها الحدود وتقاس بها المواقع ، وهم يطلقون في اللغات الغربية كلمة Ruler على المسطرة التي ترسم الخطوط والحدود وعلى الحاكم الذي يقيم الأحكام ، ونحن في الشرق نستخدم القصبة للقياس والفصل بين المواقع ، وتسمى عاصمة الحكم « قصبة » ، في بعض اللهجات .

فالقانون Canon تصغير للقناة Cane لأن القناة الصغيرة هي التي تستخدم عندهم استخدام المسطرة لوضع الحدود والفصل بين الرسوم ، وإذا رجعنا إلى القناة أمكن أن نقول إن القانون هو « قناتنا » قد رجعت إلينا بعد أن صيغت عندهم في صيغة التصغير ، ولسنا نجزم بأن كلمة Cane مأخوذة من العربية بغير

ونعتقد أن النظر إلى ألفاظ اللغة من هذه الناحية متم لكل دراسة من دراساتها ، سواء منها ما يراد للتاريخ أو لتحقيق أصالة الكلمات أو لتقرير قواعد « البلاغة » ... وهي كذلك من التبليغ أو البلوغ إلى المسكان .

فإذا التبس علينا أمر كلمة من الكلمات ، فلم نعلم في ظاهر الأمر أي من ألفاظ العرب الأصلية أم من الدخيل عليها ، فلدينا هذا المقياس الحاضر نقيس به دلالة الكلمة ونردها إلى حياة العرب ، وإلى المعهود من تعبيرها عن معالم تلك الحياة ، فلا يطول بنا العناء في الرجوع بها إلى أصل معقول نظمنا إليه .

قيل - مثلاً - إن كلمة « القلم » مأخوذة من « كلوس » اليونانية وعز الاستناد في هذا القول إلى مرجع من مراجع التاريخ المحقق غير مجرد الظن القائم على التشابه في مخارج اللفظين ، وهو لا يدل على السابق إلى وضع الكلمة من اللغتين .

ولكننا نستطيع أن نرد الكلمة إلى القلم أو التقليم من القلامة في اللغة العربية ، فرى أنها أصيلة في هذه اللغة بهذا المعنى ، وتنقص المادة فنعلم أنها لا تتقل بجمليتها من لغة إلى لغة . فسادة القاف والميم وما يتوسطهما مطردة في الدلالة على الشق والقطع ، ومنها قلم وقرم وقسم وقصم وقضم وقلم وهي آخرها في ترتيب الأبجدية .

ونعود إلى الشيء الذي « يقلم » فنعلم أن القناة

نفهم من تكرر المادة في أمثال هذه الألفاظ أنها نشأت في اللغة ، ولم تنقل إليها بعد تداولها في لغة أخرى .

ففي الإنجليزية يدل لفظ «كت» على القطع كما يدل عليه لفظ «كسيه» باللغة الفرنسية ، والمشابهة بين اللفظين وبين «القط» بهذا المعنى في اللغة العربية ظاهرة للسماح . ولكن القاف والطاء وما يثلثهما في لغتنا شائعة في الدلالة على القطع بأنواعه ، ومنها قطب وقطر وقطف وقطم ، ويلحق بهذه الملاحظة أن القاف والتاء والقاف والذال والقاف والصاد تؤدي معنى قريباً من هذا المعنى ، فلا وجه للقول بالاستعارة في أمثال هذه الألفاظ .

ومن الجائز أن يمتد القياس إلى أغراض أخرى في المقارنة بين الكلمات واللغات تحرياً لأصولها ، أو للعلاقة بين معانيها ومعيشة أبنائها ، ولكن البحث على هذا المثال ضرورة لأحميد عنها في اللغات التعبيرية واللغة العربية في مقدمتها ؛ فإنه بحث يجمع بين أغراض التاريخ وأغراض البيان وأغراض الدراسات النفسية والاجتماعية ، ولا نحسب أن في اللغة العربية كلمة يطول الخلاف عليها مع الاحتكام بها على هذا النحو إلى أصولها ودواعيها من حياة الناطقين بالضاد ، وأولها كلمات الفصحاة والبلاغة والنحو والصرف والإعراب ؟

عباس محمود المقاد

خلاف ، ولكننا نجزم بأن «القناة» كلمة لم يأخذها العرب من اليونان ؛ لأن الألفية من النخل ومن عيدان الشجر ومن مسایل الماء ومن أسنة الرماح أصول عريقة في حياة العرب لا تستعار .

وإن من أنفع ما تنفعنا به هذه المقارنة أن نعمل عليها حين تشابه الكلمات باللفظ ، أو تتقارب بالمخرج بين لغتين أو لغات عدة . فإن لم نستطع أن نعرف أيها السابق إلى وضع الكلمة فلعلنا مستطيعون أن نعرف أنها أصيلة أو مستعارة في لغتها بالمقابلة بين تعبيراتها وأحوال معيشتها .

وقد كان زميلنا العالم المجتهد الأستاذ عبد القادر المغربي ، يرى أن كلمة المرج في العربية مأخوذة من كلمة «المرغ» الفارسية ، فكان مما يشككنا في هذا الظن أن مادة «مرج» و «مرغ» و «مرت» في اللغة العربية متقاربة في مدلولها وأنها على صلة بالمرع والمرعى على قدم الحاجة إلى المرعى في بلاد العرب ، فإن لم نستطع أن نجزم باستعارة الفرس كلمتهم «المرغ» من العرب ففي وسعنا أن نجزم بأن العرب أصلاء في كلماتهم غير مستعيرين .

وهناك كلمات تتشابه في مخارجها بين أبعد اللغات ؛ لأنها قد نشأت من الحكاية الصوتية التي تتمثل الأصوات كما تقع في الآذان ، وقد

مَنْهَجُ فِقْهِ سَلِيمٍ فِي أَصُولِ الْمَعَامِلَاتِ الْحَدِيثَةِ

للأستاذ محمد محمد المدني

تشرع للناس بعد أن لم تكن، وتتغير أحياناً بتغير الزمان والمكان، وتقبل النسخ في عهد الرسالة. وإذا أردنا أن نعبر عن هذا المعنى بالعبارة الفنية عند علماء الأصول قلنا: إن العقائد من باب الأخبار، والأخبار لا تقبل النسخ؛ لأن النسخ هو الإزالة والتغيير، والواقع يخبر عنه أو يوصف، ولكنه لا يغير ولا يرفع. فالألوهية وصفاتها حقائق ثابتة، والرسالة والوحي والكتب السماوية حقائق ثابتة، والبعث بعد الموت والحساب والثواب والعقاب حقائق ثابتة، والجنة والنار والنعم والعذاب، كل ذلك حقائق ثابتة، ليس للدين فيها دور يقوم به إلا دور الكشف عنها، والاستدلال عليها، والإقناع بها، فلا هو بالذي أنشأها، ولا هو بالذي يبدلها أو يزيلها وينسخها.

ومن هنا قالوا:

- * إن العقائد لا تقبل النسخ
- * ولا تتغير بتغير الزمان أو المكان.
- * ولا يسوغ أن تكون محل اجتهاد.

إن الشريعة الإسلامية لها ميادين ثلاثة في حياة الناس تصول فيها وتجول، ولها في كل ميدان من هذه الميادين أسلوب يختلف عن أسلوبها في غيره.

أما الميادين الثلاثة فهي:

١ — ميدان العقائد.

٢ — وميدان العبادات.

٣ — وميدان المعاملات.

وأما أسلوبها في كل ميدان من هذه الميادين فهو على الترتيب:

١ — أسلوب الخبر الواصف.

٢ — وأسلوب المنشئ المجدد.

٣ — وأسلوب الناقد المذهب.

* * *

بيان ذلك:

١ — أن العقائد التي يفرض علينا الدين أن

نؤمن بها ما هي إلا حقائق ثابتة في نفسها لها وجود واقعي، وهي تفرق في هذا عن المبادئ والأحكام التي هي من قبيل الإنشاء والتي

ثم يعبد الله بذلك ، وفي هذا يقول القرآن الكريم ناعيا على المشركين « أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله » (١) . وبهذا الأصل أبطلت البدع في الدين والعبادات وما يتصل بها ، فكل من أراد القربة فعليه أن يتقرب إلى الله بما شرعه الله ، ومن تقرب إليه بما لم يشرعه ، ولو كان مظهره طاعة وقربة ؛ فإنه مبتدع متلاعب بالدين .

ومثل ذلك كما لو قال قائل : سأصلي الظهر خمسا بدل أربع ، أو أصلي المغرب أربعاً بدل ثلاث ، أو أجعل الركعة الواحدة ذات ركوعين بدل ركوع واحد ، أو أتجه إلى بيت المقدس ، أو إلى المدينة بدل اتجاهي إلى الكعبة ، أو أصوم شعبان بدل رمضان ، أو نحو ذلك ، فكل هذا افتتات على الدين ، وعلى حق المعبود في أن يرسم طقوس عبادته ، ولا يرتضى سواها .

* * *

٣ — وأما موقف المشرع في ميدان المعاملات ؛ فإنه يختلف اختلافا جوهريا عن موقفه في كل من ميدان العقائد ، وميدان العبادات :

إن الشريعة ليست هي التي أنشأت للناس صور التبادل والتعاون والتعامل ، ولكنها

(١) الآية ٢١ من سورة الشورى .

٢ — أما العبادات فهي تختلف عن العقائد في أنها إنشاءات أنشأها الله تعالى ، ورسم حدودها ، وهياها على صور خاصة ، وطلب من عباده أن يعبدوه بها .

فالصلاة عبادة منشأة مؤلفة من أفعال خاصة وأقوال خاصة على ترتيب خاص . والصيام إمساك عن الطعام والشراب وجميع الشهوات في زمان مخصوص .

والحج مناسك معينة لها رسومها وأوقاتها وأمكتتها وأركانها وشروطها . وهكذا . . .

ومن الواضح أنها ليست كالعقائد أي ليست حقائق واقعية مهمة المشرع أن يكشف عنها ، وإنما هي صور ركبها وهياها ورسمها وأنشأها بعد أن لم تكن ، وهذا محض حقه باعتباره هو الإله المعبود ، فمن حقه أن يشرع لعباده ما يعبدونه به ، وعليهم أن يرجعوا إليه في معرفة ذلك كما وكيفاً ومكاناً وزماناً .

ولهذا يقول أهل الشريعة في إحدى قواعدهم المشهورة : « لا يعبد الله إلا بما شرع » .

فالأصل في العبادات والقرب أنها ممنوعة حتى يرد من الشارع ما يدل على طلبها ، ويبين لنهاياتها ورسومها الخاصة ، ولا يجوز لأحد أن يؤلف عبادة من عنده ، أو يتصرف في صورة من صور العبادة المشروعة ،

فيها ؛ فهي مقبولة ، ولا اعتراض عليها . وهذه المعاملة فيها ضرر بين ، أو تؤدي إلى الشحنة والبغضاء ، أو تنافي الفضيلة وما يجب من التعاون على البر والتقوى ؛ فهي غير مقبولة .

وهذه المعاملة ليست خيرا كلها ، وليست شرا كلها ، فإذا استطعنا أن نخلصها إلى الخير أو نتجاوز عن بعض ما فيها من الضرر أو الغرر ملاحظة للصالح العام ، وأخذنا بجانب التيسير على الناس وتقدير حاجاتهم ؛ فلا بأس من الترخيص بها ، والنزول على حكم العرف والمجتمع في قبول التعامل عليها .

هذا كان موقف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، أى موقف الإسلام ، من مجتمع المدينة ووجوه التعامل فيه : وقد عقد ابن قيم الجوزية فصلا في كتابه « أعلام الموقعين » ذكر فيه أمثلة من إقراره صلى الله عليه وآله وسلم لأفعال الناس في المدينة ، كإقراره إياهم على تجارتهم التي كانوا يتجرونها ، وهي على ثلاثة أنواع : تجارة الضرب في الأرض ، وتجارة الإدارة ، وتجارة السلم ، وكإقرارهم على صنائعهم المختلفة من نجارة وخياطة وصياغة وفلاحة ، وكإقرارهم على ما يتعاملون به من الدراهم ، وربما كان عليه صور الملوك الذين ضربوها ، ولم يضرب

جاءت فوجدت صوراً يتعامل الناس بها ، فكان لها موقف منها ، غير موقف الإنشاء والرسم ، وغير موقف الإخبار والوصف ، وذلك الموقف هو موقف الإقرار ؛ أو التعديل ، أو الإلغاء ، وهو الذي سميناه في أول هذا البحث « أسلوب الناقد المذهب » .

وهي لا تتدخل في هذا الميدان إلا بمقدار ماتحمي مثلها ومبادئها التي جاءت بها ، من العدل والتيسير ، والرحمة ، ودفع أسباب التشاحن والبغضاء ، وربط أفراد المجتمع برباط من المحبة ، والتعاون على البر والتقوى ، لا على الإثم والعدوان .

إن هذا هو ما حدثنا به تاريخ التشريع الإسلامي عن موقف النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم إلى المدينة ، وكان فيها مجتمع ، وفيها أسواق ، ولها صور معينة في البيع والشراء والتعامل والتعاون بالمزارعة ، والمساقاة ، والمضاربة ، والسلم ، والقرض ، والرهن ، والهبة ، والعمرى ، وغير ذلك . فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي أنشأ ذلك باسم الشريعة ، ولم ينزل الله تعالى في شيء من ذلك آية أو آيات تضيف إلى ما كان لو نا آخر لم يكن .

ولما كان موقفه موقف الناقد المذهب فقط : هذه المعاملة تحقق مصالح الناس ولا ضرر

بيع جنين الناقة ، وهذا من باب النهى
عن بيع المضامين والملاقيح ، والمضامين هي
ما في بطون الحوامل ، والملاقيح ما في ظهور
الفحول .

فهذه كلها بيوع جاهلية نهى رسول الله صلى
عليه وسلم عنها (٢) .

وقد يكون النهى في بعض الأحيان واقعا
على سبيل المشورة فلا يعد من باب التحريم
ولكن من باب الكراهة .

ومن ذلك ما روى عن زيد بن ثابت قال :
كان الناس في عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم يتبايعون الثمار قبل أن يبدو صلاحها ،
فإذا جذ الناس وحضر تقاضيمهم قال المبتاع
أصاب الثمر الزمان ، أصابه من^ث ، أصابه قشام ،
ومراض ، لعاهات يذكرونها ، فلما كثرت
خصومتهم عند النبي قال كالمشورة يشير بها
عليهم . لا تنبيعوا الثمار حتى يبدو صلاحها
وبهذا الحديث أيد الكوفيون قولهم بجواز
بيع الثمار قبل أن ترهى ، فقالوا إن النهى
فيه على طريق المشورة فقط لا على سبيل
التحريم والمنع .

وقد ترد السنة بالتعديل والتهديب
ومن ذلك ما رواه أحمد والشيخان وأصحاب
السنن من حديث ابن عباس قال : قدم النبي
صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون في

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا خلفاؤه
مدة حياتهم دينارا ولا درهما ، وإنما كانوا
يتعاملون بما ضربه غير المسلمين (١) .

وكما أقر النبي صلى الله عليه وسلم بعض
المعاملات نهى عن بعض آخر ، فقد صح أنه
نهى عن بيع الملامسة ، وعن بيع المنابذة ،
وعن بيع الحصة ، وعن بيع حبل الحبلية ،
وعن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها .

وكانت صورة بيع الملامسة أن يلبس
الرجل الثوب ولا ينشره ، أو يبتاعه ليلا
دون أن يعلم ما فيه .

وسبب تحريمه الجهل بالصفة .

وصورة بيع المنابذة أن يبتذل واحد
من المتبايعين إلى صاحبه ثوبه على غير تأمل
منهما ويقول كل واحد منهما : هذا بهذا .

وصورة بيع الحصة أن يقول المشتري
أى ثوب وقعت عليه الحصة التى أرى بها
فهو لى ، وقيل أيضا إنهم كانوا يقولون إذا
وقعت الحصة من يدى فقد وجب البيع ،
وهذا قار شبيه بما يحدث الآن في بعض
الأسواق والموائد .

وأما بيع حبل الحبلية ففيه تأويلان :
أحدهما أنها كانت بيوعا يؤجلونها إلى أن تنتج
الناقة ما في بطنها ، ثم ينتج ما في بطنها ، والغرر
من جهة الأجل في هذا بين ، وقيل إنما هو

والمعاملات الصالحة حتى يقوم دليل على البطلان والتحرير ، والفرق بينهما أن الله سبحانه لا يعبد إلا بما شرعه على ألسنة رسله ، فإن العبادة حق على عباده ، وحقه الذي أحققه هو ورضى به وشرعه ، وأما العقود والشروط والمعاملات ، فهي عفو حتى يحرمها ، ولهذا نعى الله سبحانه على المشركين مخالفة هذين الأصلين ، وهو تحرير ما لم يحرمه ، والتقرب إليه بما لم يشرعه ، وهو سبحانه لو سكت عن إباحتها ذلك وتحريمه لكان ذلك عفو لا يجوز الحكم بتحريمه وإبطاله ؛ فإن الحلال ما أحله الله ، والحرام ما حرمه ، وما سكت عنه فهو عفو ، فكل شرط وعقد ومعاملة سكت عنها فإنه لا يجوز القول بتحريمها ، فإنه سكت عنها رحمة منه من غير نسيان وإهمال « (١) » .

* * *

وهناك أمر ينبغي ألا يغيب عنا ونحس بصدد موقف الإسلام من المعاملات التي رأى الناس يتعاملون بها ، ذلك هو ما اصطلاح الفقهاء والأصوليون على تسميته بالتخييص : فإنه مع الاعتراف بأن الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، قد نظر إلى بعض المعاملات نظرة أساسها الرفق بالناس ، وتقدير ما تدعو إليه الحاجة من تسامح وتيسير ، فأباح هذه المعاملات

الثمار السنة والسنتين ، فقال « من أسلف فليسلف في كيل معلوم ، ووزن معلوم إلى أجل معلوم » .

فالكيل المعلوم ، والوزن المعلوم ، والأجل المعلوم ، هي التعديل الذي عدل به الإسلام هذه المعاملة ، لأنهم كانوا يسلفون في ثمار نخيل بأعيانها ، فلا يدرى هل تأتي هذه النخيل بالقدر الذي يوفى أو لا تأتي إلا ببعضه ، أو لا تأتي في العام الأول بشيء أصلاً فيؤخر الوفاء لعام قابل ، وفي هذا ما فيه من الغرر المؤدى إلى الاختلاف والمشاحنة .

ومن ذلك حديث ابن عمر في الصحيحين وغيرهما : « أنهم كانوا يتبايعون الطعام جزأفا بأعلى السوق فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعوه حتى يحولوه — وفي رواية « حتى ينقلوه » — وقال : من ابتاع طعاماً فلا يبعه حتى يقبضه »

* * *

ومن هنا نرى أهل العلم بالشرعية كما وضعوا في جانب العبادات القاعدة التي ذكرناها ، وهي « لا يعبد الله إلا بما شرع » ؛ وضعوا في جانب المعاملات قاعدة أخرى مقابلة لها تقول : « المعاملات طلق حتى يرد المنع » .

وفي هذا وذاك يقول العلامة ابن القيم الجوزية : « الأصل في العبادات البطلان حتى يقوم دليل على الأمر ، والأصل في العقود

وكيف يعتبر ترخيصاً أى تخفيفاً وإحلالاً بعد التحريم والقرض أنه هو القاعدة ، وأن حكم الحل مصاحب له من قبل بمقتضى الإباحة الأصلية ، وبمقتضى القاعدة الآتية الذكر فى المعاملات ؟ .

إن منطق هذه القاعدة ، وهى كون الأصل فى المعاملات الحل يجعلنا نقول إن الذى حرم هو الذى استثنى من الحل ، ويبقى كل ما وراءه حلالاً .

هلى أننا لو سلمنا أن هناك ترخيصاً بالمعنى الذى ذكره ، أى استثناء لبعض الصور من أصل محرم كما يقولون ، فإن للمشكلة حلاً فقهيًا آخر هو أن نأخذ برأى من يميز القياس على الترخيص إذا فهم هنالك أسباب أعم من الأشياء التى علقت الرخص بالنص بها .

ويوضح هذا أن المساقاة مثلاً جائزة عند الجمهور خلافاً لأبى حنيفة ، والذين يجيزونها يعتمدون على حديث أخرجه البخارى ومسلم عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دفع إلى يهود خيبر نخيل خيبر وأرضها ، على أن يعملوها من أموالهم ولرسول الله صلى الله عليه وسلم شطر ثمرها ، وأبو حنيفة يقول إن المساقاة مخالفة لأصول ممنوعة ، منها المزبنة ، وبيع ما لم يخلق ، وكراء الأرض ببعض ما يخرج منها وهو المعروف عند الفقهاء بالخابرة .

مغضياً عما يلابسها من بعض الغبن أو الغرر أو الجهالة ؛ فإننا نجد الجهره الكبرى من علماء المذاهب الإسلامية يقفون أمام هذه المعاملات موقف من يعتبرها استثناء وترخيصاً على خلاف القواعد العامة ، ويرتبون على ذلك أن أحكامها خاصة لا تنسحب على غير الصور التى وردت فيها ؛ ولذلك يكثُر فى كلامهم أن يقولوا : هذه رخصة والرخصة يقتصر فيها على ما ورد ، ولا تعدى موضعها ، ويضعون الشروط والأوصاف للحالة التى ورد فيها الترخيص بعينها حتى لا ينتقل الحكم إلى غيرها . وهذا مسلك فيه من الحرج والتضييق ما لا يتفق وروح التشريع فى المعاملات ، ومظاهر التطور الزمنى فى الحاجات والضرورات .

وهو بعد عكس للفتية التى شرحناها آنفاً من أن المعاملات على الإباحة حتى يرد النهى ، فالشارع لم يستعمل أسلوب النهى العام المطرد فى المعاملات حتى يسوغ لنا إذاً أن نأصوّر تخرج على هذا العموم أن نعتبرها استثناء وترخيصاً ، إنما العموم الأصلى للإباحة ، وما جاء على خلافها إنما هو التعديل والاستثناء ، وإذن فالمنع من بعض الصور هو منع جزئى شخصى لا يبرى إلى غير الصورة أو الصور الممنوعة مهما تعددت ، فكيف يعتبر ما وراء هذه الصورة أو الصور استثناء وهو لم يدخل فى عموم ،

وأشبه ذلك ، فإنها راجعة إلى أصول حاجية أو تحسينية أو ما يكملها ، وهي أمور عامة ، فلا خاص في الظاهر إلا وهو عام في الحقيقة .

وقد علق على ذلك شارحه المرحوم الشيخ عبدالله دراز بقوله : « فعموم النهي عن الغرر ، وعدم مسئولية الشخص عن فعل غيره ، وفساد المعاملات المشتملة على الجهالة في الثمن أو الأجرة مثلا ، يشمل بظاهره هذه المسائل ، ولكن لما كان لها في الواقع علل معقولة تجعل حكمها مغايرا لحكم العموميات المذكورة ، وقد أخذت حكمها المعقول على خلاف حكم ما يشملها في الظاهر ، أطلقوا عليها أنها مستثناة ، وقالوا إنها خاصة ، وهي في الحقيقة قواعد كلية أيضا أثبتت على أصول من مقاصد الشريعة الثلاث » (١) .

وبهذا يتبين أن تسمية الفقهاء لبعض ما أبيح مع اشتماله على ما يقتضي تحريمه « رخصة » إنما هي تسمية ملاحظ فيها مجرد مغايرة حكم الصورة المباحة لمقتضى النهي الشامل لها ، وإلا فهي في الحقيقة أصل كلي متفق مع روح التشريع في التيسير ودفع الحرج .

قال الجمهور نعم إنها مخالفة للأصول ، ولكنها رخصة ثابتة بهذا الحديث .

ثم اختلفوا في محل المساقاة ، فالذين يرون أن الرخصة يقتصر فيها على ما ورد قالوا لا تكون المساقاة إلا في النخل فقط ؛ لأن المحل الذي ورد فيه الترخيص هو النخل ، والذين يجيزون القياس في الرخص قالوا : تجوز المساقاة في كل أصل ثابت من نخل أو كرم أو رمان أو تين أو زيتون أو ما أشبه ذلك ، بل زاد المالكية أنه في حالة الضرورة تجوز المساقاة حتى في الأصول غير الثابتة كالمقاتي والبطيخ مع عجز صاحبها عنها ، وفي بيان سبب الخلاف يقول ابن رشد : « فعمدة من قصرها على النخل أنها رخصة فوجب ألا يتعدى بها محلها الذي جاءت به السنة ، وأما مالك فرأى أنها رخصة ينقدح فيها سبب عام فوجب تعدية ذلك إلى الغير » (١) .

وبهذا يتبين أنه قد يقاس على الرخص . وقد بين الشاطبي في كتابه الموافقات ذلك حيث ذكر أن الشريعة عامة « وإن فرض في نصوصها أو معقولها خصوص ما ، فهو راجع إلى عموم ، كالعرايا ، وضرب الدية على العاقلة ، والقراض ، والمساقاة ، والصاع في المصرة ،

(١) انظر ص ٧٨ ج ١ من الموافقات وتعليق المرحوم الشيخ عبدالله دراز عليها في نفس الموضوع .

[١] بداية المجتهد لابن رشد ص ٢٠٣ ج ٢ طبعة صبيح .

الدعامة الثانية : أن الأصل في المعاملات الإباحة ، فلا يجوز المسارعة إلى تحريم صورة من صور المعاملات المحدثه حتى يتبين أن الله حرمها .

الدعامة الثالثة : أن اشتغال المعاملة على ناحية من نواحي المنع والتحريم لا يكفي في القول بتحريمها ، بل لابد من دراسة هذه الناحية ، ودراسة حال الناس في شأنها ومدى ما تشتمل عليه من منفعة أو مضرة ، فقد يظهر أن منفعتها غالبية على مضرتها ، أو أن مضرتها من النوع الذى يمكن التغاضى عنه تيسيراً على الناس ، فيسلك بها مسلك الترخيص ، أو أنها من المعاملات التى يمكن تهذيبها وتقويم العوج فيها .

بهذا المنهج نستطيع أن نعيد الشريعة إلى مجال التعامل والاقتصاد بعد أن نأخذ عن هذا المجال منذ جمد المتأخرون من أتباع الفقهاء على ما ورثوا دون أن يتابعوا النظر ، أو يحاولوا درس الجديد من ألوان المعاملات . والله الموفق للصواب ؟

محمد محمد المدنى

أستاذ الشريعة الإسلامية

في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة

و ثمرة هذا البحث أننا نستطيع أن نرسم على ضوءه منهجاً فقهيًا في دراسة المعاملات الحديثه ، يقوم على دعائم ثلاث :

الدعامة الأولى : أن من حق المجتمع الإسلامى أن يبتكر ما شاء من ألوان المعاملات ، وأن يجارى النشاط الاقتصادى العالمى بالمساهمة فيه حسب الطرق الحديثه دون تحرج ، وأن الله لم يوجب على الناس أن يلتزموا صوراً خاصة من المعاملات لا يتجاوزونها ، وليست الصور التى يبيحها أهل الفقه والحديث إلا ألواناً من المعاملات يمكن أن يضاف إليها ويحذف منها ويعدل فيها ، فى ظل أصول الشريعة من رعاية المصالح ، وحفظ النفوس والأموال والأخلاق وعدم الحرج والتعسير .

والمسلمون إذا عرفوا ذلك وعملوا بمقتضاه ، يدفعون عن أنفسهم ودينهم تهمة طالمأ أخذ إليها الأجانب والمغرورون بهم ، فإنهم يقولون : إن الشريعة الإسلامية تمنع المؤمنين بها من مجازاة عالم الاقتصاد الحديث ، وتوجب عليهم أن يظلوا على أساليبهم القديمة فى التجارة وشروط الشركات المعقدة التى ضيق بها الفقهاء على الناس ، وما دام المسلمون يرون هذا ديناً واجب الاتباع فسيبقون عاجزين عن مجازاة الأساليب الحديثه ، قابعين وراء أساليب القرون الخالية .

نفحات القرآن

وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عرفة

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ، يردوكم بعد إيمانكم كافرين ١٠٠ * وكيف تكفرون وأنتم تلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ؟ ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم ١٠١ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ١٠٢ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ، وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ، وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٠٣ * وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ١٠٤ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتِ ، وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠٥ * » .

هذه الآيات الكريمة من سورة آل عمران عظيمة الجدا ، كثيرة الفائدة ؛ فهي تحذر المسلمين من معاول لا تزال تنقض مجتمعهم وتحاول هدمه ، وهي سعاية الأعداء فيهم ، ونشر النائم بينهم . ولا سلامة لمجتمعهم إلا بعصيانهم والتحذر منهم ورد نصحهم عليهم ، وكيف يرجي النصح من ينطوى على غل وضغن وحسد وحقن ؟ ثم أمرهم الله بأوامر فيها قوة المجتمع وعون على دفع كيد الكائدين : أولها : تقوى الله حق تقاته باتباع أوامره ، واجتناب نواهيه ، وأن يلزم المؤمنون الإسلام ، حتى لا يموتوا إلا وهم مسلمون .

ثانيها : أن يعتصموا بحبل الله جميعا وهو كتابه وعهده الذي عهد إليهم فيه من الألفة والجماعة .

ثالثها : أن يذكروا نعمة الله عليهم إذ جعلهم إخوانا متحابين بعد أن كانوا أعداء متباغضين ؛ وذلك أنه جعلهم وحدة اجتماعية . جمعهم على دين واحد ورب واحد ، فصاروا إخوانا متعاونين على دفع الأعداء ، يردون

غضة طرية، وفيها العظة والإرشاد لما فيه
نفعكم، والنهي والتحذير عما يضركم، وفيها
الأمر بالاجتماع والآفة، والتحذير من
الانقسام والفرقة .

ومن يتعلق بأسباب الله فيتمسك بدينه
وطاعته، فقد وفق لطريق واضح ومحجة
مستقيمة لا أمت فيها ولا اعوجاج .

والاعتصام من العصم وهو المنع، فكل
مانع شيئاً فهو عاصمه، والمنع به معتصم به .
قال الفرزدق :

أنا ابن العاصمين بنى تميم
إذا ما أعظم الحداث نابا
ولذلك قيل للحبل عصام، وللسبب الذي
يتسبب به الرجل إلى حاجته عصام. قال الأعشى:

إلى المرء قيس أطيل السرى
وأخذ من كل حي عصم
يعنى بالعصم الأسباب وهي الذمة والأمان .

روى الواحدى بسنده في سبب نزول هذه
آيات عن عكرمة قال : كان بين هذين الحيين
من الأوس والخزرج قتال في الجاهلية، فلما
جاء الإسلام اصطالحوا وألف الله بين قلوبهم،
وجلس يهودى في مجلس فيه نفر من الأوس
والخزرج فأشدد شعراً قاله أحد الحيين في
حربهم، فكأما تدخلهم من ذلك شيء. فقال الحى
الآخرون وقد قال شاعرنا في يوم كذا : كذا
وكذا، فقال الآخرون وقد قال شاعرنا في يوم

من أرادهم بسوء . أراد منهم أن يذكروا ذلك
دائماً ليعلموا فرق ما كانوا عليه وما آلوا إليه .
فيعلموا أن الخير الذى نالوه والشر الذى نجاهم
الله منه إنما كان بنعمة الإسلام؛ فيحافظوا
عليه ويعضوا عليه بالنواجذ ولا يفرطوا
فيه .

رابعها : أن تكون منهم أمة يدعون إلى
الخير، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر،
فتحافظ على هذه القواعد أن تنهار فينهار البناء .
وبذلك يكون المجتمع الإسلامى قوى البنيان
متين الأركان، كالجبل الأشم ينحدر عنه
السيل ولا يرقى إليه الطير .

يبين الله لئليه والمسلمين في هذه الآيات :
أن من أهل الكتاب من اليهود والنصارى
من هم منطوون لهم على غش وغسل وحسد
وبغض، وأن الحيلة تقضى ألا يقبلوا منهم رأياً
ولا نصحاً، فإنهم يشنون النيسة بين المسلمين
متنصحين، وهم السم الناقع والبلاء النازل، فإن
أطاعوهم أضلّوهم وردوهم بعد إيمانهم كافرين
يتعادون ويتقاتلون .

ثم قال : « وكيف تكفرون وأتمتم تلى
عليكم آيات الله وفيكم رسوله ؟ ومن يعتصم
بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » .

المراد بالاستفهام هنا الإنكار والتعجب :
أى من أين يتطرق إليكم الكفر والضلال
وأتمتم تلى عليكم آيات الله على لسان نبيكم

من الأوس ، وجابر بن صخر أحد بني سلبية من الخزرج ، فقتلوا وقال أحدهما لصاحبه إن شئت رددتها جذعا . وغضب الفريقان جميعا وقالوا رجعا . السلاح ! السلاح ! موعدهم الظاهرة . وهي حرة فخرجوا إليها ، فانضمت الأوس والخزرج بعضها إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية . فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم . فقال يا معشر المسلمين أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله بالإسلام ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم ، فترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا ؟ الله الله .. ! فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم ، فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا ، وعانق بعضهم بعضا ، ثم انصرفوا مع رسول الله سامعين مطيعين . فأنزل الله عز وجل « يا أيها الذين آمنوا ، يعني الأوس والخزرج وإن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب » يعني شاسا وأصحابه « يردوكم بعد إيمانكم كافرين » .

فهذا شاس بن قيس اليهودي الذي انطوى صدره على غل وحقد على المسلمين ، قد غاظته ألفتهم واجتماعهم ، ففكر فيما يفرق جمعهم ويصدع ألفتهم . وأي شيء أبلغ من أن يذكرهم بحروبهم في الجاهلية ، وما قالوا فيها من أشعار يفخر فيها بعضهم على بعض ، ويعير فيها بعضهم بعضا بمن قتل منهم ؛ وذلك يبعث الأضغان

كذا كذا وكذا ، فقالوا تعالى نرد الحرب جذعا كما كانت فنادى هؤلاء بآل أوس ، ونادى هؤلاء بآل خزرج ، واجتمعوا وأخذوا السلاح واصطفوا للقتال ، فنزلت هذه الآية فجاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى قام بين الصنفين فقرأها ورفع صوته ، فلما سمعوا صوته أنصتوا وجعلوا يستمعون ، فلما فرغ ألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضا ، وجعلوا يكون .

وقال زيد بن أسلم : مر شاس بن قيس اليهودي ، وكان شيخا قد غبر في الجاهلية ، عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم ، فمر على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج في مجلس جمعهم يتحدثون فيه ، فغاظه ما رأى من جماعتهم وألفتهم وصلاح ذات بينهم في الإسلام ، بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة ، فقال قد اجتمع ملائكة بني قيلة بهذه البلاد . لا والله ما لنا معهم إذا اجتمعوا بها من قرار . فأمر شاسا من اليهود كان معه فقال ائمتهم فاجلس معهم ، ثم ذكرهم بعات وما كان فيه ، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار . وكان بعات يوما اقتتل في الأوس والخزرج . وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج . ففعل فتكلم القوم عند ذلك . فتنازعوا وتفاخروا حتى تواتب رجلان من الحيين : أوس بن قبطي أحد بني حارثة

ثم لا يمنعها ما لاقت منه بالأمس أن تعود
فتصدقه اليوم ، فهل آن للسليين أن يحذروا
كيد الأعداء ، وتنصح البعداء ... !
الأصيحة توقف النائمين ، وتنبه الحامدين !
ألا قارعة من تلك القوارع تقرر أسماعهم !
ألا زجرة من تلك الزواجر توقف قلوبهم !
ألا نفحة من تلك النفحات تفتح عيونهم على
الأعداء والأصدقاء ... ! فيروا هؤلاء الأعداء
المنتصحين على حقيقتهم يصدعون الجمع ،
ويفرقون الشمل ، ويروا الضعف الناشئ عن
الفرقة ، والمصير السيئ المحتوم بالتشتت
والانقسام ، فيعصوا الأعداء المنتصحين ويأبوا
الشمل ويرأبوا الصدع ، قبل أن يهتمهم العدو
الفاغرفاه ... ! وما ظلمهم الله ولكن كانوا
أنفسهم يظلمون ؟

محمد عرف

عضو جماعة كبار العلماء

القديمة من مراقبها ، والإحزن الكامنة من
مكائنها وكذلك كان .

لا تظنوا أيها المسلمون أن شاس بن قيس
قد هلك وانقضى ، بل هو حي يرزق تجدونه
في كل بيت وفي كل بلد وفي كل مملكة يمشي بينكم
بالنيمة ، ويخوف الأخ من أخيه ، والولد
من أبيه ، حتى يفرق جمعكم ، ويشعب ألفتكم .
ومن عجب أن هذا الداء ساير الأمة
الإسلامية من يوم وجدت إلى يومنا هذا ،
ولا يزال داؤها العضال هو شاس بن قيس !
ينفث سمومه كالأفعى ؛ فيحل العقد الوثيقة
والروابط المحكمة بين المسلمين ويفصم عرى
التعاون والتراحم بينهم .

ومن عجب أن الله تقدم إلى هذه الأمة من
يوم وجدت ، فعرفها هذا الداء وعرفها الدواء ،
في تلك الآيات الذهبية . فلم تفظن له ولم ترد
كيد في نحره وخذعت بدسائسه فيها ، فنال
منها ما أراد من تمزيق ألقها وتصديع وحدتها .

مثل المصلح في الأمة كالمصباح في الصحراء لا ينثر ضوءه إلا إذا تركته الرياح آمنة .

* * *

مثل المتكبر كمثل الرجل فوق قمة الجبل يرى الناس صغاراً وهم يرونه صغيراً .

* * *

المتصل بمال السلطان كالسفينة في البحر ، إذا أخذت منه في جوفها أخذها في جوفه .

* * *

الأرض لولا الرياض واحدة والناس لولا الفعال أمثال

الإسلامُ وَحَاجَةُ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَيْهِ

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

كانت الإنسانية تتطلع زمناً طويلاً إلى دين جديد ؛ دين يدعو إلى العقيدة الحقة ، وبين للناس الشريعة العادلة السمحة ، والأخلاق الفاضلة ، والنظم التي تقوم بها الأمة . وكان هذا الدين هو الإسلام آخر الرسالات الإلهية ، فليس لنا أن نتنظر ديناً آخر توحى به السماء ؛ كما كان رسوله صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل والمصطفين الأخيار ، فليس لنا أن نرجو ظهور رسول آخر من لدن الله العلي الحكيم . ما الذي نرجوه إذن لإصلاح هذا العالم الذي نعيش فيه ، بعد أن أفلست كل نظمته السياسية والأخلاقية ، والاقتصادية والاجتماعية ، وبعد أن نجحت فيه فلسفات تدعو إلى إنكار وجود الله ، والتحلل من شريعته ومن الأخلاق الفاضلة ؟

ويكونون في سرهم وعلايتهم مثلاً طيبة وقدي صالحة تدعو بنفسها إلى الإسلام . هذا الدين لا يزال العالم في حاجة شديدة إليه ، ولا خلاص للإنسانية مما تعانيه إلا بالإيمان به واتباعه ؛ فهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والداعي إلى الحق وإلى الصراط المستقيم .

وما أشبه اليوم بالأمس ! فقد ظهر الإسلام والعرب والعالم كله في أشد الحاجة إليه ، فآتاهم العقيدة الحقة بعد أن ضل القوم فيها ضلالاً بعيداً ، والشريعة الصحيحة بعد طول ما عصفت بهم النزعات والأهواء ، والنظم الصالحة لبناء أمة قادرة على أن تسهم في بعث العالم ونهضته ووحدته ، وكان من هذه الشريعة والنظم ما نسميه « الفقه الإسلامي » .

إنه لا شيء إلا هذا الدين الإسلامي تؤمن به حقاً ونفهمه حقاً ، ونعمل بما أتى به من عقيدة وشريعة وخلق ونظم ، ويكون له منا دعاة وزعماء مخلصون لله ورسوله : دعاة وزعماء يجعلون حياتهم وقفاً على الدعوة إليه ، ويرون سعادتهم في القيام بهذا الواجب النبيل المقدس

هذا ، وقد كنت على عزم أن أتناول بالبحث في مجلة الأزهر ، في هذا العهد المبارك بإذن الله وفضله ، الفقه الإسلامي ووجوب تجديده وتطوره على أسس كتاب الله وسنة رسوله ، واجتهاد فقهاء الصحابة والتابعين .

أو مدلولاً خاصاً لا تعدوه ، وهو القول بإله واحد خلق السموات والأرض وما بينهما ، وإليه وحده يرد الأمر كله ، وهذا في مقابلة القول بإلهين اثنين أو آلهة متعددة .

على حين أن الإسلام لا يدعو إلى توحيد الخالق فحسب ، بل إنه قام على مد الوحدة في كل أمر وشئ . في الناحية الإلهية ، والناحية السياسية ، والناحية الاجتماعية ، إلى غير هذا وذاك كله من نواحي العالم والحياة .

فقد جاء والناس في العالم كله يعبدون آلهة شتى ، فكان أول ما عني به رفض هذه الآلهة جميعاً ، وتقرير أنه ليس إلا إله واحد هو مالك الأمر كله ، فليس هناك آلهة كثر كما يرى المشركون بعامّة ، ولا إله للخير وآخر للشر كما كانت عليه الديانة الثنوية بفارس ، ولا آلهة ثلاثة على ما يعتقد النصارى بعد أن حرفوا التوراة والإنجيل .

وقد قرر القرآن العظيم هذه العقيدة التي قام عليها في آيات كثيرة ، ومن هذه الآيات قوله تعالى : « قل هو الله أحد » ، « وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً » ، « وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم » ، « قل إنما هو إله واحد وإني بريء مما تشركون » .

ومن هذه الآيات أيضاً قوله تعالى مخاطباً النصارى الذين كفروا بالمسيحية الصحيحة

ولكنني رأيت من الخير أن أبدأ بالحديث عن خصائص الإسلام : الدين العام الخالد على مدى الأزمان .

هذا الدين الذي ندعو إليه جاهدين ، والذي لا خلاص للعالم إلا بما جاء به من أخوة وإنسانية ، بعد أن انقسم العالم إلى معسكرات يتربص بعضها ببعض الدوائر ، وبعد ما اتنابه من محن وويلات لا يدرى طريق الخلاص منها !

على أنه ليس من اليسير أن يستقصى الباحث كل خصائص الإسلام ؛ هذه الخصائص التي صار بها خاتم الرسالات الإلهية ، كما صار الدين الحق الذي ارتضاه الله للعالم والناس جميعاً حتى تقوم الساعة ويكون الملك لله تعالى وحده .

ولذلك نكتفي هنا أن نتحدث بإيجاز عن بعض هذه الخصائص التي تفرد الإسلام بها ، وهي أنه دين الوحدة الدينية ، والوحدة السياسية ، والوحدة الاجتماعية ، ودين العقل والوضوح ، ودين الحرية ، ودين الإنسانية وهو لذلك كله دين ودولة ونظام ، والدين الذي صدع بحقوق الإنسان منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً ونصف من الزمان .

الإسلام دين الوحدة الدينية :

نعم الإسلام هو دين الوحدة لا التوحيد فقط ، فإن كلمة « التوحيد » قد أخذت معنى

« ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيراً لكم » ، وقوله في آية أخرى : « لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ، وما من إله إلا إله واحد . ومن العجيب حقاً ، الدال على فساد العقل وضلاله وعدم التمييز بين الحق والباطل ، أن أولئك المشركين - وقد جاءهم القرآن بعقيدة التوحيد وأقام عليها الأدلة العقلية والحسية التي لا ريب فيها - كانوا يقولون كما حكى القرآن عنهم : « أجعل الآلهة إلها واحدا ، إن هذا لشيء عجيب ! » يقولون هذا وهم يرون أن ما زعموه آلهة لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى عنهم شيئاً ، وأنها لن تستطيع أن تخلق ذباباً ولو اجتمعوا له وكان بعضهم لبعض ظهيراً . ولكنه ضلال العقل ، وفساد الحس ، وسلطان التقاليد . ولم يكتف الإسلام بتقرير هذه « الوحدة » في الإله الذي يستحق العبادة ، بل بين لنا أنه وسائر الأديان السماوية التي سبقتها « وحدة » واحدة ، وأنها جميعاً رسالة واحدة من الله تعالى للبشرية عامة يكمل بعضها بعضاً طبقاً لسنة التدرج في التعاليم والتربية ، وكلها يصرف إلى غاية واحدة وإن اختلفت وسائل الوصول إليها باختلاف الأزمان والناس . ولنسمع في هذا إلى قوله تعالى في سورة البقرة : « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق

ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم ؛ لا نفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون . » ومثل هذا قوله تعالى في أواخر هذه السورة نفسها : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله . » ولنسمع كذلك في هذه الناحية إلى ما جاء في سورة الشورى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » ، ثم إلى أمره تعالى في السورة نفسها لرسوله أن يقول : « آمنت بما أنزل الله من كتاب ، أي بالقرآن وسائر الكتب السماوية السابقة زماناً عليه . ففي هذه الآيات - ولوشئنا لآتيناً بالكثير أمثالها في هذه الناحية - دليل أى دليل ! ، على أن الإسلام يعتبر أن رسالات الأنبياء جميعاً عليهم الصلاة والسلام « وحدة » لا تحتل التفرقة ، وأن من لم يؤمن بإحداها لا يكون مسلماً قط ، وأنه - نتيجة لهذا - يكون الناس جميعاً أمام هذه الديانات والشرائع وأمام الله سواء ، بلا تفرقة بين أتباع هذا أو ذاك من الرسل ، ما داموا جميعاً يؤمنون برسالة خاتم الرسل والأنبياء .

عامة إذ لا يخالف فيها دين دينا ، ولذا يكون من صالح العالم كله أن يظل متبعا لها في كل زمان ومكان .

وهو دين الوحدة السياسية

ذلك من الناحية الدينية الإلهية ، ومن الناحية السياسية نرى أن الله تعالى قد من على العرب بالإسلام وهم قبائل متفككة الروابط ، متقطعة الوشائج والأوصال ؛ فبعضهم لبعض عدو ، وبعضهم لبعض حرب ، وكان من هذا ما عرفه التاريخ باسم « أيام العرب » أى حروبها في العصر الجاهلي .

وكان لبعض البلاد العربية « إمارات » عليها أمراء يحكمونها ويلون أمورها ، ولبعضها ضرب من الاستقلال ، وإن كانت تتبع سياسيا دولة الفرس أو دولة الرومان ، فإذا صنع الإسلام بتلك القبائل وهؤلاء الأقوام المتفرقين ؟

كان أن صنع منهم أمة واحدة حقا ، لها رئيس واحد ، وتبج سياسة واحدة ، وتستهدف غاية واحدة ؛ وهذه الغاية في نشر الدين الحق للإنسانية جميعاً ؛ وذلك ليكون هاديا إلى الخير في الدنيا والآخرة .

وكان من أوائل ما صنع الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الناحية ، وهو يدرك تمام الإدراك رسالته وأهدافها وغايتها ، أن عمل

والإسلام بعد هذا ، لم يقل كما قال أتباع موسى وعيسى عليهما السلام : « لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى » بل رد على هذه المقالة بما يفصل بين الأديان وأصحابها ومتبعيها ، فقال : « بلى » من أسلم وجهه لله وهو محسن ، فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

كما قال قبل هذه الآية : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين ، من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا ، فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

ومن البدهى أن الإيمان بالله يقتضى الإيمان بكل رسله وبما جاءوا به ، ومنهم طبعاً خاتم الأنبياء والمرسلين .

وهذا الأصل الذى تضمنته هاتان الآيتان الأخيرتان ، يقرر صراحة ما جاء به الإسلام من « الوحدة » فى الدين ورسالات الله لأنبيائه ورسله ، وما يتبع ذلك من « الوحدة » فى الحقوق والواجبات ، وفى المسؤولية والجزاء فى الدنيا والآخرة .

ومن هنا نرى الإمام « الشاطبى » يلاحظ فى كتابه « الموافقات » أن السور المسكية من القرآن قررت من الأصول والتشريعات الأمور السككية العامة ؛ يعنى الأمور التى لا تخص فردا دون فرد أو فريقا من الناس دون فريق ، والتى تبقى دائما أبدا لأنها كلية

وهكذا مضى الأمر أيام مجد الإسلام والعرب والمسلمين ؛ فلم يكن إلا خليفة ورئيس واحد للأمة كلها ، على اتساع الدولة الإسلامية وترامى أطرافها ، وكان هذا محافظة على « الوحدة » السياسية للأمة كلها .

وفى هذا السبيل ، سبيل الاستمساك بوحدة الأمة السياسية ، يرى فقهاء القانون الدستوري والإدارى فى الإسلام أنه لا يجوز أن يكون خليفتان فى الأمة الواحدة ، حتى إنه ليجب قتال من يخرج على « إمام » عصره طالبا الخلافة لنفسه بغير وجه حق .

فأين هذا مما نحن عليه اليوم من تجزئة الأمة الإسلامية العربية إلى دول ، حتى صار فى كل بلد رئيس وعلم ، مع الحاجة القصوى إلى الاتحاد وجمع السكمة وتوحيد القوى !

وهو أيضا دين الوحدة الاجتماعية

وإذا تركنا الجانب السياسى إلى الجانب الاجتماعى ، نرى « الوحدة » التى قررها الإسلام فى هذه الناحية بلغت من الروعة والجلال حد الإعجاب ، وصارت مثلاً فريداً يتحدى التاريخ والأمم جميعاً .

فليس فى الإسلام تقسيم أبنائه إلى طبقات ، على خلاف الديانة البرهمنية فى الهند التى تجعل متبعيها طبقات على رأسها البراهمة أو الكهنة ، وفى الحضيض السفلى أو الانجاس . وليس بين المسلمين من يقول : نحن أبناء الله

على إزالة ما كان بين الأوس والخزرج بمدينة « يثرب » من عداوة ظلت دهوراً طويلاً مشبوبة الأوار ؛ وذلك بأن وحد بينهم وجعلهم « الأنصار » له على أعدائهم من المشركين ، وهذا على ما هو معروف من تاريخ فجر الإسلام .

ثم كان ، بعد أن هاجر إلى « المدينة » ، أن آخى بين المهاجرين والأنصار ، فصاروا إخواناً فى الدين وفى كل شئ ، وبدأ واحدة فى الجهاد فى سبيل الله ودينه الذى ارتضاه لهم وللناس جميعاً ، يؤلف الدين بين قلوبهم ، ويتعاونون فى السراء والضراء .

وكان من أثر هذه « الوحدة » السياسية ، التى جاء بها الإسلام وعمل لها الرسول والمؤمنون ، أنه لما لحق صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى ، واجتمع المسلمون فى « سقيفة بنى ساعدة » لاختيار خليفة له ، رأى الأنصار أن لهم حقاً أن يكون الخليفة منهم لسابق نصرتهم للإسلام ورسوله .

ولكن أبا بكر الصديق رضى الله عنه والمهاجرين جميعاً مع عرفانهم فضل الأنصار وما أثرهم ، ذهبوا إلى أن يكون الخليفة من قريش مما أثر عن الرسول ، وهنا قال « الحباب بن المنذر » من الأنصار : منّا أمير ومنكم أمير ، فتمال عمر بن الخطاب : هيئات لا يجتمع اثنان فى قرن ! وكان أن انتهى الأمر بتولية أبى بكر الخلافة .

وأحباؤه، ولن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى، كما يزعم اليهود والنصارى .

بل إن الإسلام يقرر في صراحة لا لبس فيها، وفي قوة لا هوادة معها، « وحدة » الناس جميعاً من الناحية الاجتماعية . ومن ثم، يتساوى أبنائه جميعاً في الحقوق والواجبات؛ لا فرق بين جنس وجنس، ومهما اختلفت الأحساب والأنساب .

فقد حيا الإسلام من أول الأمر النعرة الجاهلية، والتفاخر بالأصول والأنساب، وإذ أبان أن أصل الناس جميعاً واحد؛ وهذا إذ ينادى كتابه الأول : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم »، وإذ لا يزال صوت رسوله المصطفى يجلجل بقوله : « كلنكم لآدم، وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » .

ومن أجل هذا، ليس هناك طبقات في الإسلام سببها الجنس أو النسب أو الجاه مثلاً، وليس فيه تشريعات للعربي وأخرى لغير العربي كما كان الأمر عند اليونان والرومان، بل المسلمون جميعاً « وحدة » واحدة من هذه الناحية أيضاً، تحكمهم شريعة واحدة؛ لا فرق بين الشريف وغير الشريف، أو الغنى والفقير، ولا بين الحاكم والمحكوم، وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم

في حادثة معروفة : « لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » !

بل إنه لا فرق في هذا كله بين المسلمين وبين غيرهم من المقيمين بدار الإسلام وتحت لوائه، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقرر أن لهم ما لنا من حقوق وعليهم ما علينا من واجبات . وإن كان لهم أن يتحاكموا إلى شرائعهم في مسائل « الأحوال الشخصية »، فقد أمرنا الرسول بتركهم وما يدينون به . وكذلك نجد الإسلام ساوياً بين هؤلاء وبين المسلمين في وجوب أن تعين الدولة مالياً من يحتاج منهم إلى العون والمساعدة؛ ليعجزه عن العمل أو لأنه لا يجد إليه سبيلاً، وقد كان من عمر بن الخطاب أنه أمر في كتاب عام له أن يعطى العاجز عن العمل منهم ما يكفيه هو وعياله ما أقام بدار الإسلام .

وهكذا كما رأينا، جعل الإسلام كل أبنائه « وحدة » واحدة في كل حال، من الناحية الدينية والسياسية والاجتماعية، وهذا ما لا نجد في دين آخر؛ وذلك لأنه دين « الوحدة » الجامعة الشاملة، ودين الإنسانية عامة .

محمد يوسف موسى

أستاذ ورئيس قسم الشريعة الإسلامية
بمحقوق عسین شمس

فِي التَّحَايِلِ الْبَنَفْسِيِّ بِالدَّبِّ .

الشَّاعِرُ الذَّلِيلُ مِنْ سَهْلِ الْأَنْدَلُسِيِّ

لِلأُسْتَاذِ كَالِ الدَّهْوِيِّ

دعامة الإسلام العزة والقوة .

ودعامة المسيحية الرحمة والشفقة .

ودعامة اليهودية الذل والإشفاق .

الحرص والخوف ، والاستعباد ، وذلك لما باعدت بين العبد والرب ، وما جعلت من الصعوبات والعراقل دون التقرب إليه أو الطمع في نيل ثوابه ورضوانه .

فأنت ترى أنه بيننا الإسلام يجعل المرء بعقله وعمله وإيمانه على صلة مباشرة بالله أساسها العزة والكرامة ؛ فالمسيحية تصل العبد (بالرب) عن طريق الاقتداء والتشبه (بالابن) في التضحية والفداء ونكران الذات ؛ وعموما بتمثل (الروح القدس) ؛ أما اليهودية فتوحى بقطع الصلة المباشرة أو بالواسطة بين العبد والرب ، وتوسع البون بينهما إلى حد يئأس معه الناس من أى أمل أو تفاهم أو غفران .

ومن هنا كان سلوك أصحاب هذه الأديان صدى واضحاً لما وقر في نفوسهم ، وتوارثوه عن أجدادهم ، من مقتضيات العمل للدنيا والآخرة . فاليهودى يئأس من الآخرة مقبل

هذا يحمل ما انتهت إليه دراسات الأديان المتقارنة .

فبينما الإسلام يبعث في النفس الاعتزاز بالذات ، ويعلى من شأن السكيان الفردى بما يدعو إليه من الاعتداد بالرأى ، والحرية في الفكر ، وسلوك أى السبيلين إلى الخير أو الشر بمحض الرغبة والاختيار .

إذا المسيحية دين التسامح والخضوع - التسامح مع النفس ومع الغير خصوصاً فيما هو حق لك - ابتغاء المحبة ، واجتناب العداوة والبغضاء وإيثاراً للسلام النفسى والإنسانى . والخضوع إلى حد التكفير والاستغفار حتى عن سيئات الغير ، بمن قد لا تعرف من بنى البشر اقتداء بحياة السيد المسيح التى كانت كلها نبلا وسمواً وتضحية . .

أما اليهودية فقد طبعته أتباعها - بما نشأت عليه من - تقاليد صارمة قاسية ، وما جاءت به من تعاليم مهلكة - بطابع

بلغ من إمكان تكلفه - إلى القلب والشعور :
 كم ليلة بها - والنجم يشهد لى
 صريع شوق إذا غالبته غلبا
 مردداً فى الدجى لهنى ! ولونظمت
 نجومه ؛ رددت من حالى عجبا

.....

ماذا ترى من محب ما ذكرت له
 إلا شسكا أو بكى أو حن أو طربا
 يرى خيالك فى الماء الزلال إذا
 رام الورود ، فيروى وهو ماشربا !
 وابن سهل على قلة ما شعر ؛ لموته حدثاً ؛
 ثم على قلة ما بقى لنا من شعره ؛ لضياح أغلبه ؛
 شاعر مقل غرير - يدور فى فلك بعينه من
 الأفكار والألفاظ والأهداف الشعرية ،
 ولكن الطرافة والتجديد اللذين يصادفهما
 المرء أحياناً فى ثنايا شعره بما يوحى بالخسارة
 من فقدته فى هذه السن التى هى بداية النضج .
 استمع إليه يصف معشوقه :

لحظ يرى القتل منى نفسه
 والعاد أن يترك قلب الخلى
 صور من نور ومن فتنة
 والناس من ماء ومن صلصل
 منسلب الحيلة والصبر لا
 يأوى إلى عقل ولا معقل
 ذو ضنة يمنع بذل المنى
 قولاً ؛ ومهما قال لم يفعل

على الدنيا بحرص ونهم ، والمسيحى معرض
 عن الدنيا ؛ يميل إلى الرهينة والانطواء
 والسكينة مهما يكن حظه من الجاه والمجد ؛
 أما المسلم فيجمع بين العمل للدين والدنيا فى
 اعتدال وجرأة وشجاعة .

خطرت لى هذه التحليلات وأنا أتسلى بقراءة
 ديوان ابن سهل الإسرائيلى الأندلسى هذا الشاعر
 العاطفى الرقيق - الفريد فى نوعه - الذى مات
 غرباً عن أربعين سنة (٦٠٩ - ٦٤٩) هـ .
 وعجيب من اليهودى أن يكون شاعراً ! فما
 أبعد عباد المادة والواقع الحى الملبوس عن
 رياضة الخيال واصطناع الأدب والفن - لذات
 الأدب والفن - أنا أفهم أن يكون من اليهود
 علماء فى الذرة ، وأن يشغلوا فى جامعات أوروبا
 وأمريكا كراسى كثير من العلوم والرياضيات ،
 بل أن يحتسروا فى فرنسا علماً كالاجتماع طيلة
 القرن التاسع عشر - وحتى الآن - يتولاه
 فوكونيه عن ديركليم عن أوجست كونت ،
 فيفسدونه بماديتهم أبشع إفساد ... أفهم هذا
 ولا أنكره بقدر ما لا أسيغ أن أجد بين
 اليهود شاعراً ... وشاعراً فى العربية !

ولسكن إبراهيم بن سهل لا شك شاعر ،
 وشاعر وجدانى يمكن أن يعترف به تاريخ
 الأدب العربى ، وآية كونه شاعراً حقيقياً
 أنه لم يرض من فنون الشعر العربى - على
 كثرتها - إلا الغزل ؛ الفن الذى يحتاج - مهما

الأرض قد لبست رداء أخضرأ
والطل ينثر في رباهها جوهرأ
هاجت نخلت الزهر كافورأ بها
وحسبت فيها الترب مسكا أذفرأ
والنهر ما بين الرياض تخاله
سيفأ تعلق في نجاد أخضرأ
وأبرز ما يستوقفك في شعره عدا ما ذكرنا
استغلاله الألفاظ وتلاعبه بها وتفننه
في رصفها - حتى الألفاظ الفنية المستعملة
في النجو والعروض وعلوم اللغة - مما يؤذن
في النهاية بأن الشاعر دخیل على العربية حديث
العهد بدراستها واستدكار علومها ؛ فهو
يظهر براعة متسكفة :

لك الثناء ، فإن يذكر سواك به
يوماً ؛ فكألرابع المعهود في البذل

* * *

خفضت مكانی إذ جزمت وسائلی
فكیف جمعت الجزم عندی والخفضا؟

* * *

تنأى وتدنو والتفتاك واحد
كأنفعل يعمل ظاهراً ومقدراً

* * *

إذا اليأس ناجى النفس منك «بلن» ولا ،
أجابت ظنوني «ربما» و «عسائى»

* * *

يا شرك الألباب كن بجملأ
واستح من منظرك الأجلأ
أخشى عليك العار من قولهم
معتدل القامة لم يعدل
أبيت فردأ منك ؛ لكسنى
من المنى والذكر في محفل
وقد رثى من سهري في الدجى

شقيقك البدر ولم ترث لى
فشاعر اشبيلية ووشاحها - كما سعى إبراهيم
ابن سهل ؛ تقديرأ لآثره في الشعر ومكانه بين
الشعراء - خصوصاً الأندلسيين - رجل
ذو حس صاف ووجدان مشرق ؛ صفاء
المدينة التى توجهته وإشراقها ؛ الحب فيه
طبيعة ، والطبيعة عنده حب :

انظر إلى لون الأصل كأنه
لا شك لون مودع لفراق
والشمس تنظر نحوه مصفرة

قد خشت خدأ من الإشفاق
لاقت بحمرتها الخليج فألفا

خجل الصبا ومدامع العشاق
سقطت أوان غروبها محمرة

كالكأس خرت من أنامل ساق

وله في الوصف هذه القطعة التى لم تخل منها
محفوظات أحدنا أو أبنائنا ؛ لبساطتها وسهولة
انسيائها وجمالها .

صعوبة قتله (وأين هذا من الثأر العربي !)
 مما يتكرر في كثير من شعره :

إني له عن دمي المسفوك معتذر
 أقول حملته في سفكه تعباً
 نفسى تلذ الأسى فيه وتألفه

هل تعلمون لنفسى بالأسى نسبا
 وتبحث في شعره عن تبرير لهذا اليأس
 القتال في الحب ماسبيه ؟ وهل ضاقت بالحب
 الوسائل وأعوزته الحيل ؟ وهل الذى خلق
 هذا الحبيب الذى لا يعترف بوجوده لم يخلق
 غيره ؟ فتفهم إيمان الشاعر بأن كل شيء مقدر
 بقضاء يسبق كل حيلة أو وسيلة ، وأن لا يبدله
 في رفع هذا الذل والمهانة في الحب ، فضلا عن
 غيره من الشئون :

حديث عنقاء : صب أدرك الأمل
 حظى من الحب أنى بعض من قتلا
 أما لقد نصح العذال ، لو قبلوا
 السيف من لحظ (موسى) يسبق العذلا
 طلبت حيلة برء من محبته
 فنص لي لحظة الأمراض والعللا

* * *

أشكو إلى الخدق المراض ، وضلة
 أن يشتكى هدف إلى سهم مضى
 بلوى على القلب المعذب جرهما
 لحظى الظلوم ولحظ موسى والقضا

وأبادر فأقول إنه لم يرعنى في شعر ابن سهل
 كل هذه المزايا بقدر ما راعى هذه الذلة
 والمهانة في الحب التى أوحى إلى بالفكرة التى
 قدمت بها بين يدي هذا المثال : حقاً إن التذلل
 في الحب والاستسلام للهوى شيء لا يعاب ،
 ولكن لابن سهل هذا الذل الناشئ عن طبع
 فيه أصيل :

يقولون لو قبلته لاشتفى الهوى
 أيطمع في التجميل من يعشق البدر
 ولو غفل الواشون قبلت نعله
 أنزهه أن أذكر الجيد والثغرا
 ومن لى بوعد منه أشكو بخلفه

ومن لى بعهد منه أشكو به الغدرا
 فأنت ترى أن حب الشاعر حب سلبى ذليل ،
 حب بينه وبين التجميل ما بين السماء والأرض ،
 حب حظ صاحبه منه مجرد ثم النعل ، مجرد
 التماس الشكوى من الخلف والغدر ؛ حب كله
 عليه غرم وليس له فيه أى غنم ، وهو فى عرف
 الشعر مما يستملح لو لم يصدر عن روح اليأس
 والهوان التى تناولت تحليلها . فلاستسلام إذا
 صدر عن القوى المنتصر كان حلياً ، أما إذا صدر
 عن الرعيد الجبان لم يعد إلا ضعفاً وجبناً .

والشاعر نفسه يعبر عن ذله وهو أنه على المحبوب
 - وهو يعنى من باب أولى ذله ذل اليهود على
 سائر الناس - معذراً لقاتله عن أنه قد جشمه

عجائب لم تدرك : فعنقاء مغرب

وإقبال موسى ، أو زمان الصباردا

وإن الشاعر ارتداد مشكلته النفسية تعقيداً

بأن يسلم . وسواء أكان إسلامه حقيقة أم رثاء

الناس فإنه ارتداد عن دين آبائه وأجداده

أملته ضرورة - ومهما يكن ارتد عن دين

ذليل إلى آخر أقوى وأعز ؛ فإن عقله الباطن

لا يزال يتهمة بالخيانة بقدر ما يصدمه الواقع

الحى بأنه دخيل على الإسلام .

لقد أعلن إبراهيم إسلامه وأسلم فعلاً ،

فقرأ القرآن ودرس العربية وخالط المسلمين

ومدح النبي محمداً - وقال الشعر العربي ،

ولسكن ذلته اليهودية قد تضاعفت بإسلامه

وازدادت تعقيداً : استمع إليه يعترف :

تسليت عن موسى بحب محمد

هديت ولولا الله ما كنت أهدي

وما عن قل قد كان ذاك وإنما

شريعة موسى عطلت بمحمد

واختلف المؤرخون في حقيقة (موسى)

الذى لم يرد في ديوان ابن سهل غير اسمه ،

ولم يتغزل إلا فيه ولم يتغن إلا به . فقالوا

هو نبي اليهودية وقالوا هو صبي أحبه ، وأغلب

ظني أن الصباية بموسى والتعذب في حبه والتألم

لفراقه وتمنى وصاله الميئوس منه الذى أيسر

منه العنقاء والعجائب ورجوع الصبا ...

كل هذا تنفيس عن هجر دين (موسى) وتكفير

عن الخروج عليه والارتداد عنه .

وإلا فكيف نعلل عكوف الشاعر على

الغزل المصطنع المتكلف لا يعدل عنه ؟

لو أن موسى هذا كان له حسن يوسف وكان

هو على صلة آثمة به أفما كان لهذه الصلة نهاية

بأن يكبر الصبي مثلاً وتنقطع علاقته به فيحل

غيره محله ؟ أو ليسكن الشاعر منحرفاً يعيش

الغلمان ؛ ألم يتح له مرة واحدة أن يحب

أو يخالط امرأة فيعدل عن التعلق بموسى هذا ؟

إن اسم موسى في شعر ابن سهل ليس من

الشعر ، إنما يهتف في ذهنى وتحليلى لنفسيته

بأنه دخيل على العربية والإسلام . ولك أن

تعترض بأن كثيراً من أدباء العربية وشعرائها

في المشرق كانوا أعاجم دخلاء ؛ فأجيبك بأن

فصاحة ابن سهل ورقته وتمكنه من اللغة

والدين الجديد - إن صح - لم تخنه . إنما

الذى فضحه ما لازمه وتضاعف عليه من

ذل اليهودية .

فليس كالعربية لغة تريك المطبوع والمصنوع .

واقراً عينيته في مدح النبي صلى الله عليه

وسلم لتثبت مما أقول !

كمال دسوقي

نَظَرِيَّةُ ارْتِقَاءِ الْأَنْوَاعِ وَانْتِشَاعِ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ

عِنْدَ مُفَكِّرِ الْإِسْلَامِ

لِلْأُسْتَاذِ الدُّكْتُورِ عَلِيِّ عَبْدِ الْوَاحِدِ وَافِي

أَنْ يَذْكُرُوا لَهَا أَشْبَاهًا وَنَظَائِرَ عِنْدَ بَعْضِ الْقَدَامَى مِنْ بَاحِثِي الْفَرَسِ وَالْهُنُودِ وَالْيُونَانِ ، وَلِبَعْضِ الْمُحَدِّثِينَ السَّابِقِينَ لِدَارُونٍ مِنْ عُلَمَاءِ الْقَرْنَيْنِ الثَّامِنِ عَشَرَ وَالتَّاسِعِ عَشَرَ وَخَاصَّةً لَامَارِكُ الْفَرَنْسَى (١) .

وَلَسَكِنْ لَمْ يَفُظْنَ أَحَدُ مِنْهُمْ إِلَى أَنْ يَجْمَلَ النِّظَرِيَّةَ وَكَثِيرًا مِنْ تَفَاصِيلِهَا ، حَتَّى مَا تَعْلُقُ مِنْهَا بِأَصْلِ الْإِنْسَانِ وَصَلَتْهُ بِفَصَائِلِ الْقَرْدَةِ ، قَدْ قَالَ بِهِمَا مُفَكِّرٌ عَرَبِيٌّ ظَهَرَ قَبْلَ دَارُونٍ بِنَحْوِ خَمْسَةِ قُرُونٍ : ذَلِكَمُ هُوَ الْعَلَامَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ خُلْدُونٍ (٢) .

١ - هُوَ جَانْ بَابْتِيست لَامَارِكُ Jean Baptiste Lamarck Chevalier de من أشهر علماء فرنسا في علوم الطبيعة والحياة ووظائف الأعضاء . ومن أشهر مؤلفاته التي بسط فيها نظرية ارتقاء الأنواع كتاب « فلسفة علم الحيوان » Philosophie Zoologique وتاريخ الحيوانات عديدة الفقرات Histoire des Animaux sans vertèbres ولد سنة ١٧٤٤ وتوفي سنة ١٨٢٩

٢ - ولد ابن خلدون بتونس سنة ١٣٣٢ وتوفي بمصر سنة ١٤٠٦ (انظر تاريخ حياته ومكانته العامة وإنشاءه لعلم الاجتماع في كتابنا : « ابن خلدون منشئ علم الاجتماع » . - مكتبة نهضة مصر بالفعالة) .

يَقْتَرِنُ اسْمُ دَارُونِ (١) بِنَظَرِيَّةِ ارْتِقَاءِ الْأَنْوَاعِ ، وَانْتِشَاعِ أَعْلَاهَا مِنْ أَدْنَاهَا (٢) وَتَفَرُّعِ الْإِنْسَانِ عَنِ الْقَرْدَةِ الْعَلِيَا (٣) أَوْ تَفَرُّعِهَا هِيَ وَالْإِنْسَانُ عَنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ مَجْهُولٍ . وَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ الْبَاحِثِينَ فِي « عِلْمِ الْحَيَاةِ » (٤) حِينَمَا يَعْرِضُونَ لِنَظَرِيَّاتِ دَارُونِ

١ - هُوَ شَارْلُ رُوبَرْتِ دَارُونِ Charles Robert Darwin من أشهر علماء الإنجليز في علوم الطبيعة والحياة ووظائف الأعضاء ، ولد سنة ١٨٠٤ وتوفي سنة ١٨٧٢ ومن أشهر مؤلفاته التي بسط فيها نظريته كتاب « أصل الأنواع » وقد تابعه في مذهبه هذا عدد كبير من الباحثين

مِنْ أَشْهَرِهِمْ مِنَ الْإِنْجِلِيزِ هُكْسَلِي Huxley « ١٨٥٠ - ١٨٩٥ » وَهَرِبَرْتِ سَبَنْسِرِ Herbert Spencer « ١٨٢٠ - ١٩٠٣ » ٢ - اشتهرت هذه النظرية باسم النظرية الارتقائية Evolutionnisme واشتهر أنصارها باسم الارتقائيين أو أصحاب مذهب النشوء والارتقاء Evolutionnistes.

٣ - يُطْلَقُ اسْمُ الْقَرْدَةِ الْعَلِيَا Anthropoides على أنواع من القرود مجردة من الذبول وتشبه الإنسان شَبْهَا كَبِيرًا فِي تَكْوِينِهَا الْجَسْمِيِّ ، وَمِنْ أَشْهَرِهَا : الْغُورِيلَا ؛ وَالشِّمْبَنْزِيَّةُ ؛ وَالْجَيَّبُونُ ؛ وَالْأُورَانْجُ - أَوْ طَانْجُ .

٤ - هُوَ مَا يُسَمَّى بِعِلْمِ الْبَيُولُوجِيَا Biologie

« اعلم ، أرشدنا الله وإياك ، أنا نشاهد هذا العالم بما فيه من المخلوقات كلها على هيئة من الترتيب والإحكام ، وربط الأسباب بالمسببات ، واتصال الأكوان بالأكوان ، واستحالة بعض الموجودات إلى بعض ، لا تنقضى عجائبه في ذلك ولا تنتهى غاياته . وأبدأ من ذلك بالعالم المحسوس الجمثاني . وأولا عالم العناصر المشاهدة ، كيف تدرج صاعداً من الأرض إلى الماء ثم إلى الهواء ثم إلى النار متصلاً بعضها ببعض . وكل واحد منها مستعد إلى أن يستحيل إلى ما يليه صاعداً وهابطاً ويستحيل بعض الأوقات . . ثم انظر

وبحسبنا دليلاً على ذلك أن نورد فيما يلي بعض ما جاء على قلم ابن خلدون خاصاً بهذا الموضوع ، وسنضع خطأ تحت ما يشير منه إشارة صريحة إلى ارتقاء الأنواع واستحالة بعضها إلى بعض وإلى انطباق هذا القانون على الإنسان وصلته ببعض فصائل القردة . فقد جاء في المقدمة السادسة من الفصل الأول من الكتاب الأول من مؤلفه الشهير في التاريخ الذى سماه « كتاب العبر ، وديوان المبتدا والخبر ، فى أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر » (١) ما يلي :

« الكتاب الثالث فى تاريخ البربر ومن إليهم . »
« وسادسها » هو ما سماه المؤلف « التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً » وهو القسم الذى ترجم فيه المؤلف لنفسه .
وقد جمعت الأقسام الثلاثة الأولى فى مجلد واحد اشتهر باسم « مقدمة ابن خلدون » .
هذا ، ولأهمية هذه المقدمة ، وعظيم مكانتها فى عالم الاجتماع ، ولما أصابها فى مختلف طبعاتها من حذف وتحرير ، ولحاجتها فى كثير من المواطن إلى الشرح والتعليق ، قنا بنشرها ، مع التمهيد لها ، ونشر الفصول والفقرات الناقصة من طبعاتها ، وتحقيقها ، وضبط كلماتها ، وشرحها ، والتعليق عليها ، وعمل فهرساً « طبعته لجنة البيان العربى » . وقد ظهر من هذه الطبعة جزآن يشتملان على نحو ألف وخمسةائة تعليق ، ويفتتح أولهما بتمهيد للمقدمة يقع فى نحو مائتى صفحة من القطع الكبير ، وسيظهر فى المقدمة فى جزءين آخرين إن شاء الله .

[١] يشتمل هذا المؤلف على ستة أقسام .
« أحدها » الخطبة أو الديباجة أو الافتتاحية وتشغل نحو سبع صفحات . « وثانيها » تمهيد يشغل نحو ثلاثين صفحة ، وقد سماه المؤلف « المقدمة فى فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والإلماع لما يعرض لهؤرخين من المغالط والأوهام . . » « وثالثها » هو ما سماه المؤلف « الكتاب الأول فى طبيعة العمران فى الخليفة . . » ، ويشغل هذا القسم نحو ستمائة وخمسين صفحة ؛ ويشتمل على تمهيد فى نحو سبع صفحات ، وعلى ستة فصول رئيسية ينظم الفصل الأول منها ست مقدمات ، وينظم كل فصل من الفصول الخمسة الأخرى عدة فصول فرعية . والنص الذى سنذكره قد ورد فى المقدمة السادسة من الفصل الأول من هذا القسم . « ورابعها » هو ما سماه ابن خلدون « الكتاب الثانى فى أخبار العرب وأجياهم ودولهم منذ بدء الخليفة إلى هذا العهد . . » . وخامسها هو ما سماه المؤلف :

والفكر بالفعل ؛ وكان ذلك أول أفق من الإنسان بعده » (١) .

وأشار ابن خلدون كذلك إلى هذا المعنى نفسه بعبارة أكثر وضوحاً في فصل من الفصول التي تزيد بها طبعة باريس للمقدمة (طبعة كاترمير) عن الطبقات المتداولة في العالم العربي (٢) ، وهو الفصل الذي جعل عنوانه : « علوم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام » (وهو الفصل الخامس من الباب السادس ، حسب طبعة باريس) ؛ وذلك إذ يقول :

« وقد تقدم لنا الكلام في الوحي أول الكتاب في فصل المدركين للغيب ، وبيننا هنالك أن الوجود كله في عوالمه البسيطة والمركبة على ترتيب طبيعي من أعلاها وأسفلها متصلة كلها اتصالاً لا ينخرم ، وأن الذوات التي في آخر كل أفق من العوالم مستعدة لأن

إلى عالم التكوين كيف ابتدأ من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة بديعة من التدرج : آخر أفق المعادن متصل بأول أفق النبات مثل الحشائش وما لا بذله ؛ وآخر أفق النبات مثل النخل والكرم متصل بأول أفق الحيوان مثل الحزون والصدف ، ولم يوجد لهما إلا قوة اللمس فقط . ومعنى الاتصال في هذه المكونات أن آخر كل أفق منها مستعد بالاستعداد الفطري (١) لأن يصير أول أفق الذي بعده . واتسع عالم الحيوان وتعددت أنواعه ، وانتهى في تدرج التكوين إلى الإنسان صاحب الفكر والروية ، ترتفع إليه من عالم القردة (٢) الذي اجتمع فيه الكيس (٣) والإدراك ، ولم ينته إلى الروية

[١] في بعض النسخ « بالاستعداد القريب » ، وفي بعضها « بالاستعداد الغريب » ، وكلتا الكلمتين تحريف لكلمة « الفطري » .

[٢] في جميع النسخ السابقة لطبعتنا « عالم القدرة » بالدال قبل الراء . وهو تحريف شنيع غير معنى العبارة تغييراً تاماً ، بل جردها من الدلالة ، وأخفى نظرية هامة قال بها ابن خلدون وسبق بها دارون وغيره من جماعة الارتقاويين بنحو خمسة قرون ، وإن اختلف رأيه عن رأيهم من بعض الوجوه .

٣ في جميع النسخ السابقة لطبعتنا : « الحس والإدراك » وصوابه « الكيس والإدراك » ، كما ورد في نسخة خطية محفوظة في دار الكتب المصرية وذلك لأن مجرد الحس تشترك فيه الحيوانات جميعاً ، وإنما يمتاز أرقاها بالكيس وهو الحدق .

[١] صفحات ٣٥٢ - ٣٥٤ من طبعة لجنة البيان العربي .

[٢] وذلك أن طبعة باريس للمقدمة ، وهي الطبعة التي أشرف عليها المستشرق كاترمير Quatremère وظهرت سنة ١٨٥٨ ، تزيد عن الطبقات المتداولة في العالم العربي « وكلها منقولة عن طبعة الهوريني التي ظهرت سنة ١٨٥٨ كذلك » بأحد عشر فصلاً فرعياً ، كما تزيد عنها في ثانياً بعض الفصول المشتركة بينهما وفي خواتمها بفقرات كثيرة . وجميع الزيادات التي تخص بها طبعة باريس منقولة عن نسخ خطية موثوق بها .

الارتقائيين ، وإن اختلف رأيه عن رأيهم من بعض الوجوه .

* * *

هذا ، وفكرة تقسيم الكائنات إلى مراتب يتصل آخر كل مرتبة منها بأول المرتبة التالية لها ليست من مبتكرات ابن خلدون ، بل قد سبقه إليها كثير من الباحثين من قبله ، واستخدموا في تقريرها بعض الألفاظ ، والعبارات التي استخدمها وقسموا الكائنات إلى الأقسام نفسها التي قال بها .

فقد قرر هذه الفكرة القزويني (وهو سابق لابن خلدون) في كتابه « عجائب المخلوقات » إذ يقول : « إن المعادن متصل أولها بالجناد وآخرها بالنبات . والنبات متصل أوله بالمعادن وآخره بالحيوان . والحيوان متصل أوله بالنبات وآخره بالإنسان . والنفوس الإنسانية متصلة أولها بالحيوان وآخرها بالنفوس الملكية . »

وأشار إلى هذه الفكرة نفسها من قبل القزويني ، ابن الطفيل في كتابه « حن بن يقطان » وأشار إليها من قبل ابن الطفيل ، ابن مسكويه (المتوفى سنة ٤٢١ هـ) في كتابه « تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق » . فقد ذكر مراتب الجناد والنبات والحيوان واستخدم لفظي « الأنثى » ، « والاتصال » ، اللذين استخدمهما ابن خلدون . فمن ذلك قوله :

تقلب إلى الذات التي تجاورها من الأسفل والأعلى استعداداً طبيعياً كما في العناصر الجسمية البسيطة ، وكما في النحل والكرم من آخر أفق النبات مع الحززون والصدف من الحيوان ، وكما في القرودة التي استجمع فيها البكس والإدراك مع الإنسان صاحب الفكر والروية . وهذا الاستعداد الذي في جانبي كل أفق من العوالم هو معنى الاتصال فيها ، (١) .

* * *

ولعل الذي جعل الباحثين لا يفتنون لرأي ابن خلدون في استحالة الأنواع بعضها إلى بعض ، وفي انطباق هذا القانون على الإنسان وصلته بفصائل القرودة ، أن كلمة « عالم القرودة » في النص السابق قد حرفت في جميع طبعات المقدمة المتداولة في العالم العربي في العصر الحاضر إلى كلمة « عالم القدرة » ، فجاءت العبارة على هذا الوضع : « واتسع عالم الحيوان وتعددت أنواعه ، وانهى في تدرج التكوين إلى الإنسان صاحب الفكر والروية ، ترتفع إليه من عالم « القدرة » الذي اجتمع فيه الحس والإدراك ولم ينته إلى الروية والفكر بالفعل وهو تحريف شنيع غير معنى العبارة ، بل جردها من الدلالة ، وأخفى نظرية هامة قال بها ابن خلدون وسبق بها دارون وغيره من جماعة (١) طبعة كاترمير ص ٢٧٢ من المجلد الثاني .

ولكن من عدة وجوه : فمنها ما قارب رتبة الإنسان بصورة جسمه مثل القرد . ومنها ما قاربها بالأخلاق النفسانية كالفرس في كثير من أخلاقه ، وكالفيل في ذكائه ، والبيغاء الهزاز ونحوها من الأطيوار السكثيرة الأصوات والألحان والنغمات ، وكانحل لطيف الصنائع ، إلى ما شاكل هذه الأجناس . والقرد لقرب شكل جسمه من جسم الإنسان صارت نفسه تحاكي أفعال النفس الإنسانية ، أما الفرس بأخلاقه ، والفيل بذكائه ، وهذه الطيور بنغماتها وموسيقاها ، فقد صارت في آخر مرتبة الحيوان مما يلي رتبة الإنسان ؛ لما يظهر فيها من الفضائل . (١)

وأشار إلى هذه الفكرة نفسها من قبل هؤلاء جميعاً أرسطو في نظريته في ترتيب الكائنات وتدرجها في سلم العالم ، فأدنى درجات السلم في نظره هي الأجسام اللاعضوية ، وفيها تضعف الصورة حتى لتكاد تكون هيولى بلا صورة ، وأول ما يسعى إليه الجسم العضوى (وهو التالى في المرتبة للأجسام اللاعضوية) تحقيق شخصه ونوعه ، وأحط درجات السلم في الأجسام العضوية هو ما اقتصر على الغذاء والتناسل وهو النبات ، ثم يليه

« فلذلك هي في أفق الجمادات » ، وقوله « ويصير في أفق الحيوان » ، وقوله : « وأول هذه المراتب من الأفق الإنسانى المتصل بآخر ذلك الأفق الحيوانى مراتب الناس . . . » .

وأشار إلى الفكرة نفسها من قبل ابن مسكويه « إخوان الصفاء » في رسائلهم التى ظهرت بين سنتى ٣٣٤ و ٣٧٣ على الأرجح ، وذلك إذ يقررون أن أول مرتبة الحيوان متصل بآخر مرتبة النبات ؛ وآخر مرتبة الحيوان متصل بأول مرتبة الإنسان ؛ كما أن أول المرتبة النباتية متصل بآخر المرتبة المعدنية ؛ وأول المرتبة المعدنية متصل بالتراب والماء . فأدون الحيوان وأنقصه في نظرهم هو الذى ليس له إلا حاسة واحدة ، وهو الحلزون وأكثر الديدان التى تكون فى الطين وفى البحار وأعماق الأنهار ، إذ ليس لها سمع ولا بصر ولا ذوق ولا شمع ، فهذا النوع حيوان نباتى ؛ لأن جسمه ينبت كما ينبت بعض النبات ، ويقوم على ساقه دائماً وهو من أجل أن يتحرك جسمه حركة اختيارية حيوان . ومن أجل أنه ليست له إلا حاسة واحدة فهو أنقص الحيوان رتبة فى الحيوانية . وقد يشاركه النبات فى تلك الحاسة ؛ فللنبات حاسة اللمس فقط ؛ ويتمثل هذا فى إرساله جذوره نحو المواضع الندية وامتناعه من إرسالها نحو الصخور واليابس . أما مرتبة الحيوان مما يلي رتبة الإنسانية فليست من وجه واحد

[١] رسائل إخوان الصفاء جزء ٢ صفحتى ،

١٤٤ ، ١٤٥ ، وجزء ٣ صفحتى ٢٢٢ ، ٢٢٥ ،

٤ صفحتى ٢٧٨ ، ٣١٧ .

عقليا ومنطقيا ، حتى إن بعضهم ليضع الفيل والفرس والنحل والبيغاء وبعض الطيور الذكية في مرتبة قريبة من الإنسان وفي أعلى مراتب الحيوانية ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك في مذهب إخوان الصفاء . أما ابن خلدون فيقصد الارتقاء من الناحية العضوية البيولوجية .

(وثانيهما) أنه لم يقل أحد من هؤلاء باستحالة هذه الكائنات بعضها إلى بعض ، أما ابن خلدون فقد قرر في عبارات صريحة أن الكائنات الأخيرة من كل مرتبة قابلة بطبعها لأن تستحيل إلى الكائنات الأولى من المرتبة التي تليها ، وأنها قد تستحيل إليها بالفعل ، كما ورد في النصوص السابق ذكرها . وهذين الوجهين نفسيهما تقرب نظرية ابن خلدون من نظرية دارون ومن تابعه من جماعة الارتقاءيين المحدثين بقدر ما تبعد عن آراء من عرض لهذا الموضوع من قبله ؟

دكتور

على عبد الوارث

الحيوان إذ يزيد عنه بالإحساس ، ويتبع الإحساس الشعور باللذة والألم . وانتقل هذا الرأي إلى فلاسفة الإسلام وعلى رأسهم الفارابي في كتابه « آراء أهل المدينة الفاضلة » ، إذ يقول : « إن ترتيب هذه الموجودات هو أن يتقدم أولا أحسها ، ثم الأفضل فالأفضل ، إلى أن تنتهي إلى أفضلها الذي لا أفضل منه ، فأحسها المادة الأولى المشتركة ، والأفضل منها الإسطقسات ، ثم المعدنية ، ثم النبات ، ثم الحيوان غير الناطق ، ثم الحيوان الناطق ، وليس بعد الحيوان الناطق أفضل منه (١) .

ولكن ابن خلدون تختلف نظريته عن هؤلاء جميعا من وجهين : (أحدهما) أن الرقي عند هؤلاء هو رقي في المرتبة فحسب ، فهم يحاولون ترتيب الكائنات من الأسفل إلى الأعلى ترتيباً

[١] انظر كتابنا « فصول من آراء أهل المدينة الفاضلة » صفحتي ٢٩ - ٣١ .

من الحكم المأثورة

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم .
الموت لا يكون إلا مرة والموت أحلى من حياة مرة

الحركة الموسوعية في الإسلام

للأستاذ حسين علي الباقوي

السكّاني (المتوفى ١١٨٩ هـ) ، أحد مؤسسي علم النحو واللغة مجلداً كبيراً باسم (خلق الدنيا وما فيها) بدأ فيه باللوح والقلم ثم ذكر السموات والأرض والعوالم الأخرى بسرد الآثار والأخبار ، واستند في ذلك إلى الحديث والمؤلفات العلمية الأخرى الموجودة يومئذ . (١)

وكتب أبو حاتم ابن حيان البستي (٣٥٤ هـ) كتاباً في (وصف العلوم وأنواعها) في ثلاثين جزءاً .

ومن أقرب المؤلفات إلى الشكل الموسوعي ما ألفه أحمد بن أبان بن سيد الأندلسي (٣٨٢ هـ) وهو عالم فاضل ، ولغوى كبير يكنى أبا القاسم كان صاحب الشرطة بقرطبة (٢) وكان في أيام المستنصر (٣) . روى عن أبي علي البغدادي وأخذ عنه كتاب (النوادر) ، وروى عن سعيد

إن أغلب مصنفات علماء المسلمين وفلاسفتهم تقع على شكل موسوعات . ولما لم يكن في العصور الوسطى الاختصاص بمعناه المعروف في الوقت الحاضر أخذ المفكرون وبوجه خاص الفلاسفة يتبعون خطى أرسطو ، ويرون وضع مؤلفات تحوى شتى أنواع العلوم كالفارابي وابن سينا وأضرابهما . وقد عبر الشاعر العربي عن هذا الاتجاه بقوله :

أحرص على كل علم تبلغ الأملا
ولا تموتن بعلم واحد كسلا
التحل لما رعت من كل فاكهة

أبدت لنا الجوهرين : الشمع والعسلا
انبعت الحركة الانسكوبيدية تطور الحياة في العالم الإسلامي ، وتنوعت كلها تغيرت عناصر الحياة في هذا العالم ، فبدأت بشكل بسيط إلى أن اتخذت شكلها الحقيقي الوافي في كتاب (العالم) لأحمد بن أبان ، وفي رسائل إخوان الصفا .

ويقتضى تنظيم البحث أن نبداً أولاً باستعراض الموسوعات العامة ثم نتطرق إلى الأنواع الخاصة منها .
وضع الشيخ أبو الحسن محمد بن عبد الله

[١] حاجي خليفة : كشف الظنون و

H. Z Ulken : Islam 365 .

[٢] ابن بشكوال : كتاب الصلة ص ٧ المجلد

الأول . مجريط ١٨٨٢

[٣] الضي : بغية المتلمس في تاريخ رجال أهل

الأندلس ص ٥٢٢ مجريط ١٨٨٤ .

علمية للقرن الرابع الهجري (١) حازت عند جماعة من الحكماء والجهابذة قبولاً كثيراً وعرفوا مقامها فأحلوها محلها الرفيع واعتنوا بالتنويه بها والتنبيه عليها .
تقسم الرسائل إلى أربعة أقسام : منها رياضية تعليمية وهي أربع عشرة رسالة ، ومنها الرسائل الجسمانية الطبيعية وهي سبع عشرة رسالة ، ومنها الرسائل النفسانية العقلية وتشتمل على عشر رسائل ، ومنها الرسائل الناموسية الإلهية والشرعية والدينية وهي إحدى عشرة رسالة (٢) .

تعددت النظريات التخمينية فيها لعدد من الباحثين فمن قائل إنها تنسب إلى عالم في ما وراء الطبيعة من علماء المعتزلة (٣) . ومنهم من عزاها إلى الإمام جعفر الصادق (٤) وبعضهم اعتبرها من إنتاج أبي القاسم مسلمة المجريطي القرطبي المتوفى ٣٩٨ هـ (٥) . وبما لاشك فيه أن هذه الرسائل تعبر عن آراء

ابن جابر الإشبيلي وغيرهما وأخذ عنه أبو القاسم ابن الإقبلي .
كان ابن سيد مولعاً بالآداب واللغات وروايتهما وتصنيفهما مقدماً في معرفتهما وإتقانها وكان مطلق القلم بالتصنيف ، فمن آثاره كتاب (العالم) (١) ، وهو يقع في مائة مجلدة ، ومرتب على الأجناس ، ابتداء فيه بالكلام عن الفلك لكونه أعظم الأجسام وختمه بالذرة (٢) . وله كتاب (العالم والمتعلم في النحر) (٣) وكتاب شرح فيه مؤلف الأخفش وغير ذلك (٤) .

وعلى نفس الشاكلة في القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) تجد رسائل إخوان الصفا فإن هذه الرسائل وكتاب (العالم) يعتبران أقدم الانسكلوبيديات المكتوبة في العالم . أما المؤلفات السابقة لها فإنها ليست بمستواهما من حيث الاستيفاء والشمول .
كانت هذه الرسائل دائرة معارف فلسفية

[١] O'Leay ; Arabic thought and Its Place History. P. 165. 1922.

[٢] مقدمة الرسائل ص ١ - ١٥ .

[٣] Flügel ; Z,D M G 20.

[٤] ابن حجر : الفتاوى ص ٩٣ طبعة القاهرة .

[٥] In Casiri 1, No. 364.

[١] القفطي : أنباء الرواة ص ٣٠ - ٣١ .

[٢] حاجي خليفة : نفس المرجع .

[٣] القفطي : نفس المرجع ص ٣١ .

[٤] السيوطي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة .

راجع : روضات الجنات ص ٦٥ - وسلم

الوصول ص ٦٢ ومعجم الأدباء : ٢ : ٢٠٣ .

الوافي بالوفيات ج ٢ مجلد الأول ص ٨٠ .

وكذلك كتاب (الفنون) لأبي الوفاء بن عقيل البغدادى (٥١٣ هـ) .

ولابن عقيل تصانيف كثيرة فى أنواع العلوم وأكبر تصانيفه كتاب (الفنون) وهو كتاب كبير قال ابن الجوزى : هذا الكتاب مائتا مجلد وقع لى منه نحو من مائة وخمسين مجلدة ، وقال الحافظ الذهبي فى تاريخه لم يصنف فى الدنيا أكبر من هذا الكتاب . حدثنى من رأى منه المجلد الفلانى بعد الأربعائة ، هذا وفى رواية أخرى أنه ثمانمائة مجلد (١) .

وألف أبو الفرج بن الجوزى (٥٩٧ هـ) فى فنون شتى وخلف مؤلفات يزيد عددها على مائة كتاب (٢) وكتابه (النجى) أقرب كتبه إلى الشكل الانسكلوبيدى العام ، وهو فى أنواع من العلوم كالقراءة والسير ونحوه (٣) ومن التصانيف القيمة فى هذا الباب كتاب (حدايق الأنوار فى حقائق الأسرار) للإمام نجر الدين الرازى (٦٠٦ هـ) الواعظ البليغ والفقيه الشافعى الكبير أورد فيه موضوعات ستين علماً ألفه للسلطان علاء الدين تكشى الخوارزمى (٤) .

وكتاب (درة التاج لغرة الدياج) فارسى للعلامة قطب الدين محمود بن مسعود الشيرازى

(١) ابن رجب : كتاب الذيل على طبقات الحنابلة

ص : ٧١ ، ١٨٣ ، ١٨٨ .

(٢) جورجى زيدان : نفس المرجع .

(٣) حاجى خليفة : نفس المرجع ج ٢

(٤) كشف الظنون ، وتاريخ آداب اللغة العربية

ج ٣ .

واتجاه زمرة من الفلاسفة والمفسرين من رجال القرن الرابع كانوا أعظم المختصين فى العلوم والفنون فى عهدهم بما فىهم متدينون مخلصون متكلمون ومتصوفة ، وبجانهم زنادقة ملحدون (١) .

حاولت هذه الزمرة جمع الأفكار الفلسفية والاجتماعية التى كانت قد تطورت فى العالم الإسلامى حتى العهد الذى عاشوا فيه وهدفت إلى تنظيم هذه الأفكار والمزج بينها فأوجدت مصنفات موسوعياً ضخماً مبسطاً استهدفت فيه قبل كل شىء مقاومة تيار الانحطاط الذى أصاب المجتمع العباسى ؛ وذلك بنشر مقومات ومشارب أخلاقية وعناصر ثقافية راقية ، سلكوا فى تحقيقها طريقة علمية وحاولوا فيها التوفيق بين أفكار سقراط وأفلاطون وأرسطو وفيثاغورث والفارابى من جهة ، وبين بعض المبادئ الشيعية من جهة أخرى لذلك يطلق على مذهبهم فى الفلسفة الإسلامية مذهب التوفيق والاختيار Eclectisme (٢) ومن الكتب المهمة أيضاً مفاتيح العلوم للخوارزمى (٣٧٨ هـ) ألفه لأبى الحسن عبد الله بن أحمد العتبى (٣) ، وكتاب طبقات العلوم (لأبى المظفر الأبيوردى) (٥٠٧ هـ)

(١) H.Z. (apud ; Der Islam 1932.)
Ulken : Op. cet. 365.

(٢) 2 Sosyoloji Dergisi No. 6-7.

(٣) جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢

ص ٢٣٢ .

كذلك في العالم الإسلامي طراز من التأليف الانسكلوبيدي يدعى غالباً بـ (الأمالي) . والأمالي جمع الإملاء وهو أن يحضر العالم ويحضر حوله تلامذته بالمحابر والقراطيس فيتكلم العالم منتقلاً من بحث إلى بحث ومن شعر إلى شعر بطريقة التداعي الحر ويكتب التلاميذ فيصير كتاباً يسمونه الإملاء والأمالي والمؤلفات من هذا الطراز كان يطلق على البعض منها اسم (التعليق) (١) .

وثمة ما يسمى (بجالس) وهي أجمع من الأمالي لأن الموضوع لم يكن خاصاً بالرئيس فحسب ، بل فيما يدور بين من يضمهم المجلس كجالس ثعلب فهي أوفى من الأمالي إلى حد بعيد .

وكتب كثير من الفلاسفة نماذجهم الفلسفية على الطريقة الانسكلوبيدية ، ويذكر من هذا النوع كتاب (تعليم الصنائع) للفارابي ، وإحياء علوم الدين للغزالي وكتاب الشفاء والنجاة لابن سينا ، أو كتاب السكليات والجوامع لابن رشد .

ووضع العلماء المتخصصون التراجم والأنساب والتذكرة على هيئة انسكلوبيدية ، وكتباً حول جماعي الحديث وتدقيق سيرهم باسم علم أسماء الرجال . ووضعت مجلدات ضخمة حول النحاة والأدباء والحكماء والفلاسفة

(المتوفى ١٠٧١ هـ) وهو المشهور بـ (النموذج العلوم) جامع لجميع أقسام الحكمة النظرية والعملية (١) ألفه لدياج بن فيلشاه (٢) . ولا ينبغي أن ننسى بهذه المناسبة كتاب (إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد) لشمس الدين محمد الأنصاري الذي أصبح مصدراً لمطالعة شكو برى زاده في (موضوعات العلوم) . وكذلك يتطلب التطرق إلى كتاب (إتمام الدراية لقراء النقاية) لجلال الدين السيوطي الكاتب الذي بلغ عدد مؤلفاته أكثر من (٣٠٠) كتاب ورسالة (٣) .

ومن أجل ما يذكر من الجهود في هذا المضمار ، ومن أقربها إلى الإلمام بمخاديف ثقافة العصر مقدمة ابن خلدون . تشكل المقدمة كتاباً مستقلاً بذاته بحيث إنها في مضمونها لا تتصل بالتاريخ برابطة ، تحوى معلومات واسعة الأطراف غزيرة الفائدة ، يقول عنها المسيو مونييه R. Maunier أستاذ علم الاجتماع في كلية الحقوق بباريس ، بأنها مركب عظيم من القوانين الكونية ودائرة معارف لعولم العصر (٤) .

(١) كشف الظنون ، وتاريخ أدب العرب > ٣

(٢) 2 H.Z. Ulken. Ibid.

(٣) حسن فهمي بك : السكتب العربية المطبوعة في مكتبة الجامعة باستانبول .

(٤) مباحث علمية : من منشورات الجامعة العثمانية في حيدر آباد ص ٧٢ .

(الأصحاب) وعز الدين بن الأثير الجزري (٦٣٠ هـ) (أسد الغابة) .

وكتب حول سير المفسرين كتب أشهرها كتاب (طبقات المفسرين) للسيوطي (٩١١ هـ) وكتب كثيرة حول سير الفقهاء منها كتب خاصة باسم طبقات الحنابلة والشافعية والمالكية والحنفية وأهم ما كتب في طبقات الحنفية كتاب لعبد القادر القرشي (٧٥٥ هـ) باسم الجواهر ، وكتاب للقاضي نجم الدين إبراهيم بن علي الطرسوسي (٧٥٨ هـ) باسم (وفيات الأعيان من مذهب أبي حنيفة النعمان) ، وكتاب لقاسم بن قوتلوبوغا الحنفي (٨٧٩ هـ) باسم (تاج التراجم في طبقات الحنفية) ، ويحدر بالذكر من العهد العثماني كتاب (الشقائق النعمانية) وأذيا لها .

وأهم ما كتب في طبقات الصوفية كتاب (حلية الأولياء) لأبي نعيم (٤٣٠ هـ) وكتاب (تذكرة الأولياء) لفريد الدين العطار ، وكتاب (نفحات الأنس) لملاجي وما يتعلق بالأدب يحدر ذكر كتاب (الشعر والشعراء) لابن قتيبة و (معجم الأدباء) لياقوت الحموي ، وفي تراجم المفكرين الآخرين كتاب (طبقات القراء) للجزري ، وكتاب (عيون الأنبياء في طبقات الأطباء) لابن أبي أصيبعة وكتاب (طبقات الحكماء) لابن القفطي ، ولا ين صاعد والشهرستاني آثار

والمفسرين والقراء والمتكلمين والمتصوفة الكبار ، والطبيين والرياضيين ، والفقهاء والمحدثين . وكثير غيرهم ممن نبغوا في مختلف الاختصاصات ، وحققوا أنسابهم ومؤلفاتهم وسيرهم .

ومن الذين كتبوا في البلدانيات المفكر الكبير والمتكلم الشهير الجاحظ (٢٥٥ هـ) فوضع كتابه (الأمصار) والزحشرى (٥٣٨ هـ) فكتب (الأمكنة والجبال والمياه) وياقوت الحموي (٦٣٠ هـ) فكتب معجم البلدان (١) وهو خزنة علم وأدب وتاريخ وجغرافية . وقد لخص هذا المعجم صفي الدين بن عبد الحق (٧٣٩ هـ) فاقصر فيه على الجغرافية وسماه (مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع) وابن فضل الله العمري (٧٤٨ هـ) فكتب (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار) وهو موسوعة في بضعة وعشرين مجلداً من الكتب الهامة في الأدب والتاريخ والجغرافية والتاريخ الطبيعي وغيرها (٢) .

وكتب في التراجم مؤلفات قيمة جداً فكتب ابن سعد (٢٣٠ هـ) (الطبقات في سير أصحاب الرسول) وكتب ابن عبد البر النري القرطبي (٤٦٣ هـ) (الاستيعاب في معرفة

(١) H. Z. Ulken :Op. Cit. 366.

(٢) جورجى زيدان ، الوافى بالوفيات للصفدى .

جليلة في هذا الشأن ، وثمة كتب حول مذاهب الكلام لابن حزم والباقلاني ، وكتب في الأنساب للسكبي والبلاذري والسمماني وابن الغوطي ، وتعتبر كتب ابن خلكان (وفيات الأعيان) والصندي (الوفاء بالوفيات) ، وابن حجر (الدرر الكامنة) والسخاوي (الضوء اللامع) والحلي والمرادي من ضمن هذه الكتب الجليلة في التراجم .
وقد تألفت في العهد الأخير (دائرة المعارف) للبستاني وأخرى لفريد وجدى . ويوشر بترجمة (دائرة المعارف الإسلامية) ونشرت منها أجزاء .
وينبغي ألا يعزب عن الذهن من العهد العثماني كتاب (موضوعات العلوم) لطاشكوبري زاده و (سفينة الراغب) لمؤلفه راغب باشا و (كشف الظنون) لحاجي خليفة وقد تضاعف عدد المؤلفات من هذا النوع بعد التنظيمات حتى ألف شمس الدين سامي

(قاموس الأعلام) ، والمترجم عاصم افندي (أوقيانوس) أو ترجمة القاموس ، وألف خواجه اسحق قاموس العلوم الرياضية ، وبدأ أمر الله افندي بترتيب موسوعة باسم (محيط المعارف) ، إلا أن المنية واقتته بعد نشر الجزء الأول ولم تكمل الأجزاء الأخرى . واستطاع رضا توفيق نشر بضعة أجزاء من (قاموس فلسفة) . وفي الأيام الأخيرة حدثت حركة تأليف انسكلوبيدي بجد ونشاط أبرز مافيه لجنة ترجمة (دائرة المعارف الإسلامية) ولجنة أخرى لوضع موسوعة أخرى باسم (اينونو انسكلوبيديس) وتبدل اسمها الآن فسميت بـ (تورك انسكلوبيديس) (١٠)

م.ج. علي المرفوعي

دفنت معارف كركوك بالعراق

(١) H.Z, Ulken: Op. cit. 368

رأى بعض العرب سيفاً فقال : ما أجوده لولا قصر فيه . . .
فقال صاحبه : نصله بخطوة . . . فقال الرجل : تلك الخطوة أشق من مشية إلى الصين .

أسرار القسم في القرآن الكريم

للاستاذ عبد الوهاب جموده

فعرّب الجاهلية عرفوا القسم واستخدموه في كلامهم وأحكامهم . فلما نزل القرآن بلغة العرب وعلى ما ألفوه من أساليبهم ؛ ليكون مفهوما لديهم حديدا إلى نفوسهم حتى إذا ما ظهر عجزم عن الإتيان بسورة من مثله كان ذلك عن أمر عرفوه ، وأسلوب ألفوه ، وإنما عجزوا ؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد . فهو ليس من صنع البشر ، وإنما هو كلام خالق القوى والقدر . يقول نولده في دائرة المعارف البريطانية . وفي كتابه « تاريخ القرآن » : « كان غرض محمد الوحيد في السور المكية تحويل الناس بطريق الإقناع عن عبادة الأصنام الباطلة إلى عبادة إله واحد . هذا هو الهدف الأساسي في دعوته مهما تشعب الموضوع . إلا أن محمدا بدلا من أن يتوجه إلى عقول سامعيه يقنعها بالبراهين المنطقية ، لجأ إلى الفن الخطابي ليؤثر على عقولهم من طريق الخيال والوجدان » .

نحن نعرف أنه من الأسلوب الخطابي الاستدلال بالحلف والأيان . وهذا خطأ من نولده في زعمه هذا من أن القرآن المكي خلو من الحجاج بالبراهين العقلية والمناقشة بالأدلة المنطقية . وقد روج هذا الزعم بعض

يستعمل القسم بين الإنسان والإنسان لدفع الشك بما يحدثه من التأكيد والتوثيق ؛ لأن الفكرة الأولى فيه هي أن الإنسان المقسم يحلف إما بشيء عظيم في نفسه ، أو بشيء عظيم في نفس السامع أو بهما معا ، ويكون القسم عندئذ رباطا متينا ؛ لأنه يوحى بصدق المقسم وجده ؛ وذلك لاعتماد السامع أن القسم الكاذب ينتهي إلى هلاك صاحبه ، وهذا ناشئ في البدء من ارتباط القسم بفكرة القداسة وهي فكرة دينية محضنة ؛ ولذلك كان المعبود هو موضوع القسم الأول .

على هذا جاء الحلف عند العرب في الجاهلية ، فقد كانوا يتقسمون بأكثر شيء قداسة لديهم ، فحلفوا بالله ، ولقد سجل عليهم القرآن ذلك في مواضع متعددة فقال تعالى « وأقسموا بالله جهد أيمانهم » وأقسموا بأصنامهم التي كانت تقربهم إلى الله زلفى كالللات والعزى ومناة . ثم اتسعت الفكرة لديهم فلم تعد قاصرة على المعبود بل شملت بيوت العبادة ومناسك الحج ، والإبل التي تحمل الحجاج والقرايين التي تقدم للآلهة . شملت كل أولئك ؛ لأن فيها قبسا من قداسة المعبود وعليها مسحة من عظمتهم في نظرهم .

الإنسان أشد تأثراً بما يسمع مما لو فاتحته بما تريد من طريق الجدل والفتاش ؛ لأن الإقناع العتلى فيه انتصار حاد لعقل على آخر ، ومن الصعب على النفوس الجاححة العقيدة ، كنفوس العرب في جاهليتهم ، أن تقر لأحد المجادلين ، بالغبلة أو تسلّم له بالانتصار من طريق الإخام . بل كثيراً ما يكون السامع غير عارف بأصول الإقناع العقلي ؛ فلا فائدة إذن من فتح هذا الباب أمامه والدخول عليه من هذا الطريق الذي يجهله .

فالقسم في أوائل السور يعطيها نضرة في بهجتها ، وروثاً في ديباجتها فتلع الأقسام في قصبات السور ، كالغرة البارقة . بل هي أشبه شيء بالمطالع الحسنة في القصيدة الجيدة ، وفي هذا رعاية للجانب المستمع ؛ لكيلا ينفر فيفسد أذنيه . ومن كمال الحجة تلين القول وتأليف القلب ، فقد أمر الله الأنبياء بهذا كما قال تعالى لموسى وهرون حين أرسلهما إلى فرعون (فتولا له قولاً ليأمن به) .

وقد أشكل أمر القسم في القرآن الكريم على كثيرين : فذهب فريق من الناس إلى القول بأن القسم لا يصدر إلا عن شك الناس في صدقه ، فهو يلجأ إلى اكتساب الثقة باليمين ، وهنا لا يليق بجلال الله ، وهو قول مردود إذا تذكرنا شيئين .

أولاً - أن القرآن نزل بلغة العرب وخطبهم بالأساليب التي عرفوها ومنها القسم .

الباحثين المعاصرين على غير أساس في بحثهم وثبتت من قولهم ، فقد جاء في القرآن المسكى الإقناع بالحجة والجدل والبرهان ولا سيما في السور الأخيرة من العهد المسكى ، ورسم القرآن للنبي صلى الله عليه وسلم أساليب الدعوة تختلف باختلاف من يدعوهم ، فتمال تعالى في سورة النحل وهي مكية : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن) .

يقول الغزالي في كتابه « القسطاس المستقيم » : « إن المدعو إلى الله تعالى بالحكمة قوم ، والموعظة قوم ، والمجادلة قوم ؛ فإن الحكمة إن غذى بها أهل الموعظة أضرت بهم كما تضر بالطفل الرضيع التغذية بلحم الطير . وإن المجادلة إن استعملت مع أهل الحكمة أشمأزوا منها كما يشمئز طبع الرجل القوى من الارتضاع بلبن الآدمي . »

وقد جاء القسم في القرآن الكريم فاتحة للسور المسكية خاصة في خمس عشرة سورة نحو (والصفات ، والذاريات ، والسماء ذات البروج ، والسماء والطارق) ووقوع القسم في ابتداء السور له أثره النفسى ؛ فإن البدء به هو جذب لانتباه السامع ؛ لوقوع القسم على سمعه في شيء من الرهبة . فإذا حدث ذلك صحبه تهوؤ نفسى لتلقى ما يقال . خصوصاً وأن ما يقال مبنى على قسم والقسم شيء يهول . وفي هذه الحال يكون

الطبيعية؛ للتوصل منها إلى خالقها، والتأمل فيها تأملا يبين مبلغ نعمتها، وأنها غير جديرة بالعبادة، وإنما الجدير بالعبادة هو خالقها : كآلة، بهم بالسما ذات البروج، والسماء والطارق، والشمس وضحاها، وكآلة، بهم بالفجر وليال عشر، وبالنجم إذا هوى، وما أشبه ذلك .

رابعا - من أسرار القسم أنه لو كان الاستدلال على أمور لا تتعلق بها الرغبة أو الرهبة، مثل ما نرى في العلوم الطبيعية والرياضية، كان ذكر الأدلة فيها أولى بالتصریح. فأما والاستدلال على أمور نفسية، من حث واستنكار وزجر وردع، فالاحتياج أكثر إلى إيراد الأدلة على وجوه مختلفة : من أساليب القول متفاوتة في الوضاحة والطلاقة والقوة والحدة، سريعة التأثير قريبة الإقناع ؛ لأن أكثر الآراء الاعتقادية إنما هي نتيجة التلقين. والتلقين هو في الحقيقة يتوقف على قوة الإقناع وأساليب التأثير .

هذا إلى أن في القسم إيجازا في الاستدلال، والعرب لذكايم كانوا يحبون الإيجاز، وطبيعة لغتهم تساعدهم على ذلك، ولذلك لا ترى شيئا من القرآن إلا ومعناه أوفر من اللفظ ؛ فإن أطنب قولا من وجه، أو جزه من وجه آخر، فهو لا تنقض عجائبه ولا تفنى أسرارها .

ثانيا - لم يكن الغرض من القسم في القرآن دائما التأكيد، بل يكون أحيانا بيان شرف المقسم به وعلوقدره؛ حتى يعرف الناس مكانته ورفعة منزلته : كالقسم بحياة النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (اعمرک منهم لني سكرتهم يعمهون)، وكآلة، بهم بالنفس اللوامة في قوله تعالى (لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة)، وكآلة، بهم بالأماكن التي أنبت الأنبياء، وكانت موطن إنزال الوحي إليهم : كما في قوله تعالى (والتين والزيتون وطور سينين، وهذا البلد الأمين) .

فأقسم سبحانه بهذه الأمكنة الثلاثة العظيمة، التي هي مظاهر أنبيائه ورسله أعجاب الشرائع العظام .

فالتين والزيتون المراد منبتهما وهو أرض بيت المقدس؛ فإنها أكثر البقاع زيتونا وتينا. قال ابن القيم في كتابه « التبيان » :

« إن منبت هاتين الشجرتين حقيق أن يكون من جملة البقاع الفاضلة الشريفة، وهو مظهر عبد الله ورسوله وكتبته عيسى بن مريم، كما أن طور سينين هو الجبل الذي أوحى إلى موسى فيه . وهذا البلد الأمين هو مكة .

ثالثا - أحيانا يكون الغرض من القسم توجيه النظر إلى الآيات المكنونة، والمشاهد

(للبحث بقية)

عبد الوهاب محمود

التعليم الديني في السودان

للأستاذ على الماري

- ١ -

وليس معنى هذا أن جميع السكان عرب ، وإنما معناه أنهم الكثرة الكاثرة ، والعدد الأوفر ، وفي أيديهم الآن ومنذ زمن بعيد مقاليد الأمور في السودان .

جاء في تاريخ السودان لنعوم شقير ما يأتي « وأما العرب فهم معظم سكان السودان وأكرمهم أصلاً ، وأوفرهم عقلاً ، وأرقاهم حضارة ، وقد هاجروا إليها بعد الإسلام عن طريق مصر أو البحر الأحمر فاستولوا عليها تدريجاً وسكنوا أطيب بلادها وأسسوا فيها عدة ممالك ، سيأتي ذكرها ، وهم إما حضر أو بادية ، أما الحضر فأكثرهم على النيل الكبير والنيلين الأزرق والأبيض وفي الجزيرة بينهما . . . وأما البادية فأكثرهم في البطانة وصحارى البيوضة وكردوفان ، ودارفور . . . واسم العرب في السودان إنما يطلق على بادية العرب فقط ، وأما حضرهم فيعرفون بأسماء قبائلهم أو بأسماء البلاد التي يسكنونها ، وهم يرجعون في أنسابهم إلى الصحابة وآل البيت وغيرهم من الأصول الشريفة (٢) » .

لعل أصدق تعبير وأوجزه في وصف الشعب السودانى أنه شعب عربى متدين . يعرف ذلك حق المعرفة أولئك الذين قدر لهم أن يعيشوا فترة من الزمن في ربوع تلك البلاد ، وأن يعرفوا العادات والتقاليد والأخلاق التي تميز شعب السودان عن غيره من الشعوب .

فإذا ذهبنا نستنطق التاريخ وجدنا تأييداً قوياً لهذه القضية ، وأسعفنا بالدليل تلو الدليل على عراققة هذا الشعب في العروبة ، واستجابته الصادقة لتعاليم الدين .

فالمؤرخون يكادون يجمعون على أن اتصال العرب بالسودانيين كان قبل الإسلام بزمن غير قصير ، فمما هو ثابت أن تجار العرب دخلوا السودان عن طريق البحر الأحمر ، وعن طريق مصر في العصور القديمة ، وفي عهد البطالسة والرومان ، غير أن دخولهم السودان بعد الإسلام سواء عن طريق مصر أو البحر الأحمر أو من الغرب كان في هيئة جماعات كبيرة كبطون أو بدنان من القبائل (١) .

[١] التريفة في السودان ج ١ ص ٢٠ لعبد العزيز عبد المجيد .

[٢] نفس المرجع ص ٥٢ .

هذه الأمثال ما لا تحريف فيه من مثل قولهم
(يا حائر حفرة السوء وسع مرافدها) وله
نظائر كثيرة .

وقد دخل الإسلام بلاد السودان في أول
عنده بمصر ، قال المقريزي في خطبه « وفي
سنة ٢١ هـ بعث عمرو بن العاص عبد الله بن
سعيد بن أبي السرح في عشرين ألفاً إلى النوبة
فمكث بها عبد الله بن سعد زماناً وصالحهم ،
وقرر عليهم شيئاً معلوماً من المال . »

وقد جاء في كتاب الصلح الذي عقده
عبد الله مع النوبة ، ما يصرح بأن المسلمين
بنوا هنالك مسجداً ، وأن المسلمين سينزلون
بهاذه البلاد ، ويحسن أن تقتطف من هذا
الكتاب بعض الفقرات ، لأنه أول وثيقة
تاريخية تتضمن دخول المسلمين بلاد السودان
« عهد من الأمير عبد الله بن سعد بن أبي
السرحد لعظيم النوبة ، ولجميع أهل مملكته ،
عهد عقده على الكبير والصغير من النوبة من
حد أرض أسوان إلى حد أرض علوة . إن
عبد الله بن سعد جعل لهم أماناً وصدقة جارية
بينهم وبين المسلمين من أهل صعيد مصر
وغيرهم من المسلمين وأهل الذمة ، إنكم
معاشر النوبة آمنون بأمان الله وأمان رسوله
محمد النبي صلى الله عليه وسلم ألا نخاربكم
ولا ننصب لكم حرباً ولا نغزوكم ما أقمتم
على الشرائط التي بيننا وبينكم ، على أن تدخلوا

على أن اللهجات العربية السائدة في السودان
لا تندع مجالاً للشك في عروبة هذا القطر الشتيق
فإننا لو أنعمنا النظر في كلامهم لظهرت لنا
السمات العربية الأصيلة فيه ، وهذا طبعي
ما دام القوم - لاسيما البادون منهم - لم يختلطوا
بغيرهم من الأمم ، وقد ألف أحد علماءهم
كتاباً سماه (العربية في السودان) عنى فيه
برد كثير من الكلمات المستعملة عندهم إلى
أصلها العربي ، وربما كان هذا ممكناً في كل
البلاد العربية غير أننا نلاحظ أن الكلمات
السودانية لم تبعد كثيراً عن أصلها العربي ،
كما نلاحظ أن الكلمات الدخيلة قليلة بالنسبة
إلى مثيلاتها في الأقطار العربية الأخرى ،
ولعل ذلك يكون أكثر وضوحاً في الأمثال
الشائعة هناك فإن الأمثال هي القدر الوحيد
المشترك بين الفن ولغة التخاطب ، أعنى أننا
إذا أردنا أن نعرف مدى تغلغل اللغة العربية
في عامية أى قطر من الأقطار ، وأردنا أن
ندرس بجوار ذلك فنا أدبياً ، فليس أمامنا
إلا الأمثال التي تجري على ألسنة العامة ، فهي
فوق إيفائها بما نريد من الدلالة على قوة
الصلة أو ضعفها بالعربية الفصحى ، توقفنا
على معان سامية نظرب لها ونعجب .

وقد أطلت النظر في الأمثال السودانية ،
بعد أن جمعت منها قدراً صالحاً فبين لي أنها
لا تبعد عن الفصحى إلا بمقدار يسير ، ومن

المسيحية بعد اتصالحهم بالمسلمين نحو سبعة قرون - حين أحسوا فى أنفسهم القوة على نقض هذا العهد نقضوه ، وهدموا المسجد . ولكن المسلمين لم يشتمهم وقوف النوبيين فى وجه الإسلام عن دخول السودان من جهات أخرى ، فقد هاجروا فى القرن الأول الهجرى إلى قبائل (البجة) . وهم بادية الصحراء الشرقية بين النيل والبحر الأحمر - وعلوهم الإسلام ، وكان (البجة) على الوثنية . كذلك انصل العرب بعد الإسلام بسكان دارفور ، وقد كانوا على الديانة (الفثشية) فعلموهم الإسلام ، فقبلوه بقبول حسن ، وبالغوا فى التمسك بأدابه وفضائله .

وكان من عادة المسلمين أنهم إذا دخلوا بلاداً بنوا فيه مسجداً ، (تؤدى فيه الصلوات ، ويعلم فيه القرآن ، ويكون منتدى لهم يعقدون فيه مجالس شوراهم ويجهزون منه سراياهم ، فاستنار السودان بنور القرآن فى كل مكان ، وكان لمديرية دنقلة فى ذلك القديح المعلى إذاك لأنها فى بداية الطريق ، ففازت بالسبق فى هذا المضمار ، وأسست فيها مساجد كثيرة (١) . ولعل من الإنصاف ألا نجعل الفضل كله أو أكثره لدنقلا ، فإن جهات أخرى من السودان كانت فيها مساجد كثيرة لهذه

بلدنا مجتازين غير مقيمين فيه وندخل بلدكم مجتازين غير مقيمين فيه ، وعليكم حفظ من نزل بلدكم أو بطرفه من مسلم أو معاهد حتى يخرج عنكم ، وأن عليكم رد كل آبق خرج إليكم من عبيد المسلمين حتى تردوه إلى أرض الإسلام ، ولا تستولوا عليه ولا تمنعوا منه ، ولا تعرضوا لمسلم قصده وجاوره إلى أن ينصرف عنه . وعليكم حفظ المسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم ، ولا تمنعوا منه مصليا ، وعليكم كنسه وإسراجه وتكريمه ، فإن أتم أو يتم عبداً لمسلم أو قاتم مسلماً أو تعرضتم للمسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم بهدم ... فتدبرئت منكم هذه الهدنة والأمان » .

هذا أول مسجد بنى فى أرض السودان ، وقد كان فى مدينة (دنقلة) وقد سألت عن هذا المسجد بعض سكان هذا الإقليم فلم ينبئنى أحد بخبره ، ويبدو أنه لم يستمر طويلا ، ذلك أن النوبيين كانوا حين حاربهم المسلمون على المسيحية التى وفدت إليهم من مصر فى منتصف القرن السادس الميلادى . وكانوا قبل ذلك على الوثنية يعبدون الكواكب ، وينصبون لها التماثيل ، وقد ظلوا على النصرانية حتى أوائل القرن الرابع عشر الميلادى ، فاعتنقوا الإسلام ، ولكنهم بقوا محافظين على لغتهم . فيبدو أنهم - وقد ظلوا على

[١] من مقال للعالم الفاضل الشيخ مجذوب جلال الدين بمجلة معهد أم درمان ص ١١ العدد الأول .

في أول وقتها ، ولا تكاد ترى شاباً يتهاون في هذا الفرض الإسلامي ، وكما يحافظون على الصلاة يحافظون على غيرها من شعائر الدين . ومن أبرز صفاتهم الأمانة ، وقد أقيمت في مدينة أم درمان زهاء ست سنوات ما سمعت بحادث سرقة ، ولا اختلاس ، ولا (نشل) .

كما أني لم أسمع في هذه المدة بحادث قتل إلا مرة واحدة وكان القاتل غير سوداني ، وهم يسمرون في مجالسهم بالاستماع إلى المدائح النبوية ، ولهذه المدائح شأن كبير في حياتهم ، ينظمونها ، ويتغنونها بها ، ويجمعون عليها ، ولأحد مداحهم ديوان عنوانه (أبو شريعة في مدح صاحب الشريعة) وهو قصائد منظومة باللغة العامية ، وكثير منهم يحفظون هذا الديوان ، وينشدون منه في مجالسهم الخاصة والعامية .

ومن مظاهر تدينهم إكرامهم للعلم والعلماء فهم يعظمون العلماء ويجلونهم ، ومن عاداتهم الغريبة أن العالم إذا زارهم وأراد الرحيل قدموا له الهدايا ، وكثيراً ما تكون نقوداً يجمعونها له ، وأشد غرابة من ذلك أن الرجل منهم إذا زار عالماً قدم له شيئاً من المال حين ينصرف عنه ، وقد شهدت من ذلك حادثة ، فقد كنت جالساً في حجرة شيخ علماء السودان بمعهد أم درمان ، فأقبل رجل

الأغراض ، بل ربما مر عهد من العهود كان الفضل كله لغير دنقلة من بعض أقاليم السودان وكان ملوك دارفور ، في عهدهم الزاهر فضل أي فضل على التعليم الديني في السودان ، وكذلك كان ملوك الفونج ، « وكان في دارفور مساجد جمّة في كل بلدة مسجد أو أكثر يعلم بها الكتابة والقرآن ، وكان لكل عالم مسجد قرب منزله يصلي به الصلوات الخمس ، وفي لصقه خلوات للجوارين يعلم بها العلوم الشرعية ، وله (حاكورة) هبة من السلطان ، يعيش هو وتلاميذه من ريعها ، وكان بعضهم يجيء إلى مصر لتلقى العلوم في الأزهر ولهم رواق معروف رواق دارفور » (١) .

وقبل أن نتحدث عن أساليب التعليم الديني في السودان ومنهجه ، والعلوم التي شاعت دراستها زعمود إلى تدين أهل السودان ، ليسكون ذلك عوناً لنا على فهم عنايتهم بالتعليم الديني منذ دخل الإسلام في بلادهم .

السودانيون - إذا استثنينا فئة قليلة ممن أضلهم الاستعمار - محافظون أشد المحافظة على تعاليم الإسلام ، فهم يؤدون الصلاة في أوقاتها لا يشغلهم عنها شاغل ، ومن المؤلف حتى في العواصم الكبرى أن ترى جماعات المصلين أمام المحلات التجارية وفي الميادين العامة إذا كان المسجد بعيداً ، وهم يقيمون الصلاة

من هذه الصفات حبهم للضيف ، وشدة احتفائهم به ، وإعداد منازلهم - في بعض الجهات - إعدادا كاملا لاستقبال الضيف مهما كان عددهم ، ومن تلك الصفات محافظتهم على الجار ، وصيانتهم للأعراض ، والعفة عما في أيدي الناس ، ذكر نعوم شقير في كتابه قال : ومن غريب أخلاقهم أنه إذا أتى الجذب واشتد الجوع أغلق الواحد منهم بابه على نفسه وأولاده وانتظر الموت جوعا ولم يسأل أحدا خوفا من التعبير بذل السؤال .

وفهم صبر عجيب على الشدة ، فالمرضى مهما اشتد ألمه لا ينطق بكلمة تدل على تألمه ، وقد شهدت هنا عملية أجريت لعالم كبير من علمائهم من غير مخدر ، ولم نسمع له أنه ، ولا توجعا فلما سألته في ذلك ، قال : أتريد أن ينقل عني ابني هذا أنى رفعت صوتي من الألم ؟ !

والمسوق إلى القتل لا يبدي أقل جزع أو خوف ، ومن هذا القبيل أن الرجل منهم إذا كان سائرا وحدث خلفه ضوضاء لا يلتفت كمن به جزع ، بل يتحول بجميع جسمه في غاية الهدوء .

والسودانيون في المذهب سنيون وفي العقائد على مذهب الإمام الأشعري ، وللصوفية في أخلاقهم آثار وآثار ، ولذلك انتشرت الطرق الصوفية عندهم وعظم احترامهم لها .

على الامامى

المدرس بالأزهر

(للحديث بقية)

سوداني يزوره فلما هم الرجل بالانصراف أخرج من جيبه قطعة من ذوات الخمسة القروش ووضعها على مكتب شيخ العلماء وسلم وانصرف ، وأدرك الشيخ - وكان لبقا فطنا - ما يدور بنفسه ، فقال : هذه عادة أهل السودان ، يرون ذلك من إكرام العلماء ، ثم نادى على حاجبه وأمره بأخذ تحية الضيف التي قدمها للضيف !

ومما يكاد يكون فيصلا في إكرامهم للعلم والعلماء ، أن أحد رجال التعليم كان يريد بناء مدرسة فطاف في بلاد السودان يجمع المال لهذا الغرض ، وقابلته بعد أن حضر من رحلته فوجدته غاضبا ، فقلت له في ذلك فقال : أتصدق أنى لم أستطع أن أجمع من الناس في هذه الرحلة الطويلة غير عشرين ألفا من الجنهات ... لقد قل الخير في الناس !

وقد أدركنا كبار الأساتذة في معهد أم درمان لا يتحركون من مقاعدهم في فصول الدراسة إذا كانوا يدرسون تفسيراً أو حديثاً إذا زارهم غريب مهما كان مركز الزائر ، وذلك لإجلال كلام الله ، وحديث رسوله .

والسودانيون يشتهرون بصفات يرجعها بعضهم إلى ما فيهم من دماء العروبة ، وأرى أن للإسلام دخلا كبيرا في هذه الصفات ، وأيا ما كان فهي شواهد على عروبتهم وحسن إسلامهم .

موسيقى القرآن

بين الترتيل والتلحين

للأستاذ أحمد الشرباصي

عريق القدم ، فقد روي أن نبي الله داود عليه السلام كانت له معزة يتغنى عليها ، فيبكي ويستبكي ، وكان يقرأ الكتاب المنزل عليه وهو « الزبور » بسبعين لحناً ، وكان يقرأ قراءة تطرب منها الجوع ورووا عن رسول الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام أنه أحب الصوت الحسن ، ولما اتفق المسلمون على كلمات الأذان للصلاة كلف النبي بلالا بأن يرددها ويرتلها واصفاً له بأنه « أندى صوتاً من غيره ، كما وصف النبي أبا موسى الأشعري وكان حسن الصوت - بقوله « لقد أوتيت مزماراً من مزامير داود » .

ويروي صاحب « التاج الجامع للأصول » أنه جاء في رواية : دخلت دار أبي موسى الأشعري فما سمعت صوت صنج ولا بربط ولا ناي أحسن من صوته ، والصنج آلة من نحاس كالطبقتين يضرب بأحدهما على الآخر والربط بوزن جعفر - آلة موسيقية كالعود والناي هو المزمار . فلما سمع أبو موسى ذلك قال : لو علمت يا رسول الله أنك تسمع لحبته لك تحبباً (أي لحسنه تحسبنا وزينته تزيينا)

الموسيقى هي لغة البشر الطبيعية العميقة الجذور في النفوس والقلوب ، وحب الناس للصوت الجميل أمر معروف مشهور ، ولا ينكر تأثير هذا الصوت إلا لعليل أو مكابر ، وقد كثر حديث الكتب الفنية والأدبية عن هذا التأثير وذلك الحب ، ثم سرى الحديث من كتب الفن والأدب إلى كتب الدين ، والعقائد ، فرى كتباً كثيرة قد ألفها فقهاء أو علماء عن السماع وعن أحكام السماع ، ونرى رجلاً كالغزالي يفرد للسماع وللغناء والموسيقى باباً طويلاً في كتابه « إحياء علوم الدين » ، وهو ينتصر للسماع ويشيد بروعة الأصوات الجميلة ، ويرد على الذين يحرمون السماع ويحاربون الصوت الجميل ، كما نرى ابن القيم يصنع نحو هذا الصنيع في كتابه « زاد المعاد » وكل من الغزالي وابن القيم معروف بفقهه وتدينه وغيرته على الإسلام وكذلك نجد في كتب الصوفية وفي الكتب التي وضعها عنهم الواضعون فيضاً من الحديث عن الموسيقى والأصوات والغناء والسماع . واقتحام الموسيقى لبنة الدين أمر قديم

« الرحمن ، علم القرآن ، خلق الإنسان ، علمه البيان ، الشمس والقمر بحسبان ، والنجم والشجر يسجدان ، والسماء رفعها ووضع الميزان . أليس من اتساق الصوت هذه النون المسبوقة بألف المسدة التي تأتي في نهاية كل آية ؟ . وأليس اختيار حرف النون هنا لونا من ألوان هذا الاتساق ؟ .

وقل نحو هذا في قول الله عز وجل : « والشمس وضحاها ، والقمر إذا تلاها ، والنهار إذا جلاها ، والليل إذا يغشاها ، والسماء وما بناها ، والأرض وما طحاها ، ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها ، أرأيت هذه الهاء المفتوحة المنطقية التي ختمت بها كل آية من آيات هذه السورة ؟ ألا تراها فاصلة لازمة مكررة ، فيها موسيقية وفيها اتساق ؟ .

وفي سورة القمر نرى هذا الإيقاع الموسيقي حين نسمع الحديث عن نوح عليه السلام : « فدعاه ربى أنى مغلوب فانتصر ، ففتحن أبواب السماء بماء منهمر ، ونجونا الأرض عيوننا فالتقى الماء على أمر قد قدر ، وحملناه على ذات ألواح ودسر » . فهذه الراء الساكنة التي تحدث في اللسان ذبذبة حين النطق بها تعطي الكلام ريننا وموسيقية خاصة ؛ ولأن حرف الراء حرف له موسيقيته وذبذبته نجده كثير

وهذا عمر بن الخطاب القوي المتشدد في دينه كان يسمع قراءة أبي موسى الأشعري وهو يتلاحق فيقول عمر معجبا به : « من استطاع أن يتغنى بالقرآن غناء أبي موسى فليفعل » :

وقد اشتهر طائفة من صحابة النبي رضوان الله عليهم بحسن الصوت وحلاوة النبرة ، فمنهم أبو موسى الأشعري الذي أوتى زممارا من زمامر داود ، وعقبة بن عامر الذي وصفوه بأنه كان من أحسن الصحابة صوتا ، وبلال بن أبي رباح مؤذن السماء وصاحب الصوت الندى الرخيم ، وأبو بكر الصديق صاحب الصوت الرفيق الحزين ! ...

وهذا هو القرآن الكريم الذي أمر الله المسلمين بأن يرددوه ويرتلوه ترتيلا ، إننا ننظر إليه فنجد فيه كثيرا من الخصائص الموسيقية ، كاتظام الفاصلة في كثير من المواطن ، ووجود الانسجام الصوتي والإيقاع الموسيقي ، ولنقرأ مثلاً قول الله تعالى : « والنجم إذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى ، ذو مرة فاستوى ... » . أليس من الانتظام والانسجام هذا الحرف المنطلق بالمدة المفتوحة ، وهو الواو في أغلب هذه الآيات ؟ .

وفي سورة الرحمن نسمع القرآن يقول :

لأننا نستطيع في سهولة أن نسعى علم « التجويد » وهو علم الترتيل القرآني باسم « علم الموسيقى القرآنية » ! .

وهذا العلم يتضمن أحكام تلاوة القرآن ، وتبيان مخارج الحروف ، وشرح صفاتها المختلفة ، ويتعرض لبحث المد بأنواعه ، وبحث الإخفاء والإظهار ، والفك والادغام ، والجهر والهمس ، والغن والإمالة ، والقلملة والإشمام ، والوقف والوصل ، والتفخيم والترقيق ، وتعليق الصوت وخفضه ، وغير ذلك من موضوعات هي من صميم المسائل الصوتية ؛ لأنها تتعلق بكيفية النطق وهيئة الأداء ، والمسائل الصوتية هي من صميم الموضوعات الموسيقية .

ومهمة « علم التجويد » أو « علم الموسيقى القرآنية » هي الهداية إلى الطريقة المثلى لترتيل القرآن الكريم ، إذ أن الله تبارك وتعالى يقول : « ورتل القرآن ترتيلا » والترتيل هو ضبط النطق ، وإتقان التلاوة ، وتجويد القراءة ، وتحسين الصوت ، ومناسبته لفحوى الكلام ؛ ويقال إن الإمام عليا سئل عن الترتيل فأجاب : « الترتيل تجويد الحروف ، ومعرفة الوقوف » .

وقد وضع العلماء منذ العصور السابقة كثيراً من الكتب التي تبحث في علم التجويد ومسائله ، وعندى أنه يجب على الموسيقيين

الورود في فواصل الآيات القرآنية ، فجنده - مثلاً - يأتي في نهاية أغلب الآيات الموجودة في سورة الإسراء ، وفي نهاية أكثر الآيات الواردة في سورة الفرقان ، وفي نهاية كل آية من آيات سورة القمر ، وعدد آياتها خمس وخمسون ، فكأن حرف الراء جاء خمسا وخمسين مرة متتابعة ؟ .

وجاء حرف الراء في نهاية أغلب الآيات الواردة في سورة الدهر ، وفي نهاية جميع الآيات الواردة بسورة القدر ... الخ .

وأحيانا نرى حرفا محذوفا من آية لسكى يتوافر هذا الاتساق الصوتي ، كما في قوله تعالى : « والفجر ، وليال عشر ، والشفع والوتر ، والليل إذا يسر » . فالأصل :

« يسرى » ، حذفت منها الياء لتتفق الفواصل ؛ وأحيانا نرى حرفا يزداد لنفس الغرض ؛ كما في قوله تعالى : « إذ جاءكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وأظنن بالله الظنون ، هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا » ، فالأصل هو « الظنون » ، ولكن زيدت في آخر الكلمة ألف المد لتتفق مع نهاية الآية المرافقة المختومة بكلمة « شديدا » ! .

وبعض الناس يقرر أن التلحين الموسيقي والاتساق الغنائي مما لا يمكن أن يلتق مع ما يسمونه بالترتيل القرآني ، وهذا غير صحيح ؛

البارحة؟ (أى اسررت) ، لقد أوتيت مزماراً من مزامير داود (أى لقد أعطيت لحنا من حسن صوت داود عليه السلام ، وكان صوت داود فى نهاية الحسن) .

أظن أن هذه الأحاديث تضيق كثيراً مسافة الخلاف بين أنصار التلحين وأنصار الترتيل ، وتخفف حدة العداوة بين الفريقين ، فإن الترتيل المستحب يتضمن بمقتضى هذه الأحاديث شيئاً من التلحين والتغنى والتطريب والترجيع .

وقد ذكروا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتغنى بالقرآن ، ويرجع صوته به أحياناً ، كما رجع يوم الفتح فى قراءته : « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً » ، وكان يمد قراءته ويقطع فيها أى يحزنها .

وذكر الطبرى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان يقول لأبى موسى الأشعرى : ذكرنا ربنا ، فيقرأ أبو موسى ويتلاحق ؛ ويقول عمر : من استطاع أن يتغنى بالقرآن غناء أبى موسى فليفعل .

وكان عقبة بن عامر كما ذكرنا - من أحسن الناس صوتاً بالقرآن ، فقال له عمر : أعرض على سورة كذا . أى أقرأها على ، فعرض عليه بصوته وتلحينه ، فسكى عمر وقال : ما كنت أظنها نزلت ! .

وقد رووا أن الإمام أبانخيفة وأصحابه

أن يدرسوا هذا العلم دراسة واسعة ، لأنه من صميم صناعتهم ، ولأنهم عن طريق هذه الدراسة يستطيعون أن يدركوا الصلة القوية الوثيقة بين علم التجويد وبين الموسيقى ؛ وإذا كنا قد طالبنا من قبل - ونطالب الآن - رجل التلاوة القرآنية بأن يكون على شيء من الدراية للقواعد الموسيقية ليتفهمها فى ضبط تلاوته ، فمن الواجب أن نطالب رجل الموسيقى بأن يفهم قواعد التجويد ومسائله ؛ لأنها من صميم الموسيقى والنغم الصوتى .

وهناك طائفة من الأحاديث النبوية تشير فى وضوح وجلاء إلى أن تلاوة القرآن تحسن إذا كان فيها حلاوة صوت وجمال تغنى ، فمن هذه الأحاديث قول النبى صلى الله عليه وسلم : « زينوا القرآن بأصواتكم ، وقوله : « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » وقوله : « أحسن الناس قراءة من قرأ القرآن بتحزن فيه » وقوله : « ما أذن الله (أى ما استمع) لشيء كإذنه لئبى حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به » وقوله : « تعلبوا القرآن وغنوا به واكتبوه » والذى نفس بيده هو أشد تفصيلاً من المخاض من العقل ، واستمع النبى ليلة لقراءة أبى موسى الأشعرى - كما سبقت الإشارة - فأعجب بقراءته ، وأخبره فى الصباح قائلاً : لو رأيتنى وأنا أستمع لقراءتك

الألحان المحددة التي كانت معروفة للأغاني ، والتي لا تناسب جلال القرآن ولأرواح وعظه وتذكيره ، إذ أن هذه الألحان بقواعدها المعروفة وهيئاتها المستكلفة المحددة لا تتلاءم مع عظمة القرآن ورسالته ، وإذا كنا نقول : إن للقرآن موسيقى ، فنحن نقصد موسيقى القرآن الملائمة لجلاله وجماله من ناحية تحسين الصوت به والتطريب في إلقائه وإثارة العواطف والمشاعر بترتيبه وتلاوته :

وأظن أنه لا يخالف أحد يفقه روح الإسلام ويعرف جلال القرآن في وجوب امتناع التالى للقرآن عن استخدام لحون أهل الفسق في تلاوة القرآن وترتيبه ، وعن اتخاذ القرآن المجيد كالأغاني التي يراد منها مجرد اللهو والطرب فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم « اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل الفسق والكبائر ، فإنه سيحى أقوام يرجعون القرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح » .

ومن المشاهد أن بعض القراء المرتلين للقرآن الكريم هنا وهناك يسيئون التصرف في السرتيل ، إذ يسرفون في التطريب ، ويعتسفون في التلحين ، ويخرجون عن حد الأدب والنوق ، وأحياناً يخطئون من ناحية اللغة ومن ناحية النطق ومن ناحية التجويد ، ومن ناحية إعطاء المعنى المقصود ، فقد

كانوا يسمعون القرآن بالألحان ، وكذلك روى عن الإمام الشافعى أنه كان يستمع القرآن بالألحان ، وذكر ابن القيم في (زاد المعاد) تعليل المجيزين لقراءة القرآن بالتلحين فقال : « لأن تزيينه وتحسين الصوت به والتطريب بقراءته أوقع في النفوس ، وأدعى إلى الاستماع والإصغاء إليه ، ففيه تنفيذ للفظه إلى الأسماع ومعانيه إلى القلوب ، وذلك عون على المقصود ، وهو بمنزلة الخلوة التي تجعل في الدواء لتنفذه إلى موضع الداء ، وبمنزلة الأفاويه والطيب الذي يجعل في الطعام لتكون الطبيعة أدعى له قبولا ، وبمنزلة الطيب والتحلل وتجميل المرأة لبعليها ؛ ليكون أدعى إلى مقاصد النكاح ؛ قالوا : ولا بد للنفس من طرب واشتياق إلى الغناء ، فعوضت عن طرب الغناء بطرب القرآن ، كما عوضت عن كل محرم ومكروه بما هو خير لها منه ، كما عوضت عن الاستقسام بالأزلام بالاستخارة التي هي محض التوحيد والتوكل ، وعن السفاح بالنسكاح ، وعن القمار بالمراهنة بالنصال وسباق الخيل ، وعن السماع الشيطاني بالسماع الرحمانى القرآنى ، ونظائره كثيرة جداً » .

نعم هناك فريق من الفقهاء مثل الإمامين أحمد ومالك يرى أن قراءة القرآن بالألحان بدعة ، ولم تعجبهم هذه القراءة وكرهوها ، ولعل هذا الفريق يقصد بالألحان هنا تلك

وفصل النزاع أن يقال : التطريب والتغنى على وجهين : أحدهما ما اقتضته الطبيعة ، وسمحت به من غير تسكلف ولا تمرين وتعليم بل إذا خلى وطبعه واسترسلت طبيعته جاءت بذلك التطريب والتلحين ، فذلك جائز ، وإن أعان طبيعته فضّل تزيين وتحسين كما قال أبو موسى للنبي صلى الله عليه وسلم : لو علمت أنك تسمع لخبرتته تحبيراً .

والحزين ومن هاجه الطرب والحب والشوق لا يملك من نفسه دفع التحزين والتطريب في القراءة ، ولكن النفوس تقبله وتستحليه لموافقة الطبع وعدم التسكلف والتضنع ، فهو مطبوع لا متطبع ؛ وكلف لا متكلف ، فهذا هو الذى كان السلف يفعلونه ويستمعونه ، وهو التغنى الممدوح المحمود ، وهو الذى يتأثر به السامع والتالى ، وعلى هذا الوجه تحمل أدلة أرباب هذا القول كلها .

والوجه الثانى ما كان من ذلك صناعة من الصنائع ، وليس فى الطبع السباحة به ، بل لا يحصل إلا بتكلف وتضنع وتمرين ، كما يتعلم أصوات الغناء بأنواع الألحان البسيطة والمركبة على إيقاعات مخصوصة وأوزان مخترعة ، لا تحصل إلا بالتعليم والتسكلف ؛ فهذه هى التى كرهاها السلف وعابوها وذمواها ومنعوا القراءة بها ، وأنكروا على من قرأ بها ، وأدلة أرباب هذا القول إنما تتناول هذا الوجه .

يهمزون - فى سبيل التطريب المدبرف - ما ليس بهموز ، وقد يزيدون فى المدح حتى يختل أو يعتل ، وقد يققون حيث يجب الوصل ، وقد يصلون حيث يجب الوقف . . وهكذا . وهنا أذكر أنه كانت تعجبنى تلاوة المرحوم الشيخ محمد رفعت ، كما تعجبنى تلاوة الشيخين الشعشاعى والحصرى أطال الله حياتهما ، وهناك من غير شك كثير من المحسنين للتلاوة ولست أحصى ولكنى أضرب المثل . .

والواجب على كل مرتل للقرآن الكريم أن يتذكر قبل أن يتلو ، وأن يتذكر وهو يتلو أنه يرتل كلام الله ، وكتاب الله ، وقرآن الله وأنه يبلغ عن الله قيوم السموات والأرض ورب العالمين جميعاً ، وأنه يرتل لا للإضحاك أو التسلية ، بل ليذكر ويهتدى ويرشد ، وليذكر كل مرتل حين يرتل قول الله عز وجل « الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ، ذلك هدى الله يهتدى به من يشاء ومن يضل الله فما له من هاد . »

ليتذكر أن هناك تطريباً يراد به التأثير ، وتطريباً يراد به الإلهاء ، وأن الأول منهما هو الأليق بجلال القرآن ورسالته ؛ وهما هو ذا ابن القيم بعد أن ذكر أدلة المبيحين للتغنى والترجيع والتطريب والتلاوة ، وأدلة المانعين لذلك ، أراد أن يفصل فى النزاع بين الطائفتين فقال :

وبهذا التفصيل يزول الاشتباه ويتبين الصواب من غيره ، وكل من له علم بأحوال السلف يعلم قطعاً أنهم برآء من القراءة بالألحان الموسيقية المتكلفة التي هي إيقاع وحركات

موزونة معدودة محدودة ، وأنهم أتقوا الله من أن يقرءوا بها ويسوغوها ، ويعلم قطعاً أنهم كانوا يقرءون بالتحزين والطرب ، ويحسنون أصواتهم بالقرآن ، ويقرأونه بشجى تارة ، وبطرب تارة ، وبشوق تارة وهذا أمر في الطباع تقاضيه ، ولم ينه عنه الشارع مع شدة تقاضى الطباع له ، بل أرشد إليه ونادى إليه ، وأخبر عن استماع الله لمن قرأ به ، وقال : ليس منا من لم يتغن بالقرآن

وفيه وجهان : أحدهما أنه إخبار بالواقع الذي كلنا نفعله ، والثاني أنه نفي لهدى من لم يفعله عن هديه وطريقته صلى الله عليه وسلم .

وإذن فليقرأ القراء كتاب الله عز وجل ، ولا يقرءوا ترسلاً ، ولا يحسنوا به صوتهم ما استطاعوا ، ولا يتغنوا به ما قدروا ، ولا يلمسوا بتطريبيهم وتلحينهم مواطن التأثير والزرع والعظة ، ولكن ليحفظوا مع هذا جلال القرآن المجيد ، وليتذكروا دائماً أنه كلام العزيز الحميد ؟

أحمد البرباصي

المدرس بالأزهر الشريف

من روائع تمثيله صلوات الله عليه قوله في تقييد الحرية إذا أضرت بالغير : إن قوما ركبوا سفينة فاقسموا ، فصار لكل منهم موضع ، فأراد أحدهم أن ينقر موضعه بفأس . فقالوا له : ما تصنع ؟ قال هو مكاني أصنع به ما أشاء ، فإن أخذوا على يده نجا ونجوا ، وإن تركوه هلك وهلكوا .

عَصْرُنْبِذَالِإِلَهِالْوَاحِدِ فَوْقَ فَوْقَ فِي شَرِكِ إِلَهَةٍ شَتَّى

لِلْأُسْتَاذِ فَيْتْحِي عُثْمَانِ

السلطان؟ أفعل الصلاح فيكون لك مدح منه ،
لأنه خادم الله للصلاح ، ولكن إن فعلت الشر
نخف ، لأنه لا يحمل السيف عبثاً إذ هو خادم الله
منتقم للغضب من الذي يفعل الشر ، لذلك يلزم
أن يخضع له - ليس بسبب الغضب فقط ،
بل أيضاً بسبب الضمير ، فإنكم لأجل هذا
توفون الجزية أيضاً ، إذ هم خدام الله مواظبون
على ذلك بعينه . فاعطوا الجميع حقوقهم :
الجزية لمن له الجزية ، الجباية لمن له الجباية ،
والخوف لمن له الخوف ، والإكرام لمن له
الإكرام » (١) .

إن شرارة الحرية تريد أن تحرق طغيان
الفرد ولو كان إلهاً ، وتريد أن تنزل كل الملوك
عن تيجانهم وعروشهم ...

« سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً ،

وقالت أوروبا ، نريد أن نعيش أحراراً ...
فهل نجحت أوروبا في أن تحتفظ بحريتها ،
وهل استطاعت أن تعيش بغير دين أو إله ؟؟

(١) رسالة بولس إلى أهل رومية ١٣ : ١ - ٧

وقع المجتمع الأوروبي في أزمة ...
وجاء عصر النهضة فانفجرت الأزمة ، وتمرد
الناس على كل رابطة تربطهم بطاغية : سواء
أكان دوقاً إقطاعياً أم كاهناً دينياً ... ثم جاء
عصر الثورة الفرنسية والنهضة الصناعية فاشتعل
البركان ضد الملوك ...

وكانت النتيجة الحتمية لرد الفعل أن يلهب
الحماس ضد كل علاقة تبعية بعد أن أضاء نور
الحرية ، فرأى الهامجون في انطلاقهم أن يشنقوا
آخر ملك بأمعاء آخر قسيس ، وأن يتمردوا
على الله أيضاً : أفليس هو ملك الملوك الذي
استمد منه الملوك والكهان سلطانهم الذي طالما
أذلوا به الرقاب وسفكوا الدماء ونهبوا
الحقوق ؟؟ .

« لتخضع كل نفس للسلطين الفاتمة ؛ لأنه
ليس سلطان إلا من الله ، وأالسلطين الكائنة
هى مرتبة من الله ، حتى إن من يقاوم السلطان
يقاوم ترتيب الله ، والمقاومون سيأخذون
لأنفسهم دينونة ، فإن الأحكام ليسوا خوفاً
للأعمال الصالحة بل للشريرة ، أفتريد أن لا تخاف

والمجتمع الأوربي - ومثل ذلك في أمريكا ،
هل استطاع العالم الغربي أن يعيش بغير إله
وبغير دين ؟

إن فكرة الإله ليست إلا تركيزا للاهتمامات
والدوافع والعواطف حول محور أساسي ،
تتلور عنده كل المطالب الجزئية والمشاعر
العرضية . وتكون هي المقياس والميزان لكل
خاطر أو سلوك .

والفرد الذي يعيش لنفسه ، إنما يؤله
ذاته ... ففي كل فكرة وعمل ، يزن
الأمور وفقا لمصلحته الشخصية ، وقد يتسع
أفقه فيكون مركز اهتمامه أسرته وأطفاله .
والفرد الأناني على هذا النحو لم يتحرر من
الانقياد لإله ، بل إن هواه يطالبه بما لا يطالبه
به رب السموات والأرض ، وهو في سبيل
عبادة إلهه يقيد نفسه بالكثير ، ويتنازل
عن الكثير ، ويتحمل من المخاطر الكثير .
* إن الفرد الأناني يقيد نفسه (بوجوب)

إرضاء مطالب ذاته فوراً ... ولا يعترف
بعقبة تجزئه ، أو اعتبار يستحق أن يدخله
في تقديره . إنه أمام إلحاح من ضغوط مزاجه
وهو لا يستطيع أن يؤجل أو يلغى مطالبه ...
كيف وليس في تقديره إلا حساب ذاته ؟ ؟
نحن إذن أمام إنسان مسعور ، توره
رغباته وشهواته ، ولا يزال يلح عليه الطلب

ماهو الدين ؟؟ وما أبرز خصائصه ؟؟
إن روجيه باستيد Bastide يقول « للدين
تعريف لا تدخل تحت حصر ، وكل فيلسوف
يعرض علينا تعريفه ...

فهربرت سبنسر Spencer يعرف الدين
بأنه الشعور بأننا نسبح في خضم من الأسرار ،
وماكس مولر Mul er يعرفه بأنه الشعور
بالللهائي ، وشليمر مارشر Scheleirmarcher
يعرفه بالخضوع لوجود لا يناله إدراكنا ،
وفيورباخ Feuerbach يعرفه بالغريزة التي
تدفننا نحو السعادة ... ويقول دوركايم
Durkheim : إن العنصر المشترك حقيقة بين
جميع الديانات معنى أكثر اتساعاً من ذلك
وهو معنى الأمور المقدسة ، (١)

ولنكتف الآن من عناصر الدين وخصائصه
بعضين أساسيين متميزين :
١ -- الاعتقاد (بإله) معبود يكون
مركز الاهتمام الكلي وقبلة الاتجاه الرئيسي
في الفكر والعمل .

٢ -- الاعتقاد (بعالم الغيب) الذي
يجاوز نطاق الحس ، لكن يكون موضع
(الإيمان) الذي يعتبر هذه الغيبات مسلمات
حقيقية ثابتة .

فلننظر الآن في جوانب الفكر الأوربي
(١) مبادئ علم الاجتماع الديني - ترجمة الدكتور
قاسم ص ٢٣ - ٢٧ .

وهو يدفع ضريبة البشرية بآلامها وتضحياتها ونقائصها ولكن في حدود الحلقة المفرغة والأفق المحدود والمجال الهزيل الذي ربط نفسه به .

إنه جحيم الدنيا يتحدر في دركاته الملحد ، وتكلفه أهواله من الهزات والقلقل والنقائص أضعاف ما يتطلبه الإيمان بيوم الحساب !

« إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليا حكيما » .

* * *

وماذا وفر الناس على أنفسهم إذن حين كفروا بربههم ؟ .

آمنوا بأنفسهم ، فكلفتهم فوق ما يكلفهم دين الله . . . ولربما اتسع نطاق عقائدهم ومذاهبهم فأمنوا (بالجماعة) أو (الأمة) أو (الدولة) وحدها دون سواها ، فإذا بالحرب الضروس تقوم بين جماعة وجماعة ، أو بين أمة وأمة ، أو بين دولة ودولة . . . صراع بين الآلهة التي آمن بها من يريدون أن يؤمنوا بغير (إله) ، فكم كنا فوق (جبل الأولمب) حيث لا تكف آلهة الإغريق الأسطورية عن القتال ! وتناثرت المذاهب فوق الرؤوس المتطايرة في الصراع ، فإذا بنا أمام

ويندفع إلى الإجابة فلا الطلب ينتهى ولا الإجابة تسعفه في كل الظروف فبينما نجد إله السموات والأرض دحيا لا يكلف نفسا إلا وسعها ، إذا بإله الهوى لا يقبل معذرة ولا يرضى بتسوية .

إن الفرائض التي تفرضها أهواء الملحد لأضخم في كثير من أوامر الله الكبير المتعال ، والفرد الأناني يتنازل عن الكثير في سبيل عبادة هواه . . . يتنازل عن نزعاته الاجتماعية ، ولا يأبه لمكانه من قلوب الناس أو منزلته من المجتمع ، ويتنازل عن أشواقه الخفية ومنطقه العقلي ، ويتنازل عن تقدير ما يسمى بالصالح الآجل أو الحساب النهائي ، ويغض النظر عن منفعة الجماعة التي تعود على جميع الأفراد ومنهم هو ذاته . . . إنه يعيش في الساعة التي هو فيها !

إن النواهي التي تفرضها أهواء الملحد ، وتحتم عليه أن يسقطها من اعتباره ، هي تضحيات وخسائر أكبر مما يريده الله الرحيم من العباد .

والفرد الأناني يتحمل الكثير من المخاطر في سبيل عبادة هواه . . . يتحمل مخاطر بدنية وعقلية ونفسية ، ويعيش في جحيم من الاضطراب والتخليط ، وقد يتعرض في سبيل تكليف عاجل من (وحى) إله الهوى إلى سفك دمه أو تعكير صفوه أو إلغاء عقله ،

دون نفاذ فعلي إذا كان ثمة متسع من الوقت قبل وقوعه ، وإما بأن تمحو ما يترتب عليه من الآثار ، أو تضعه في قالب طبيعي إذا كان قد نفذ بالفعل وكان جبره ممكنا ، وإما بأن تلزمني بالتكفير عنه إذا لم يمكن جبره بحال .. وإذا كنت من أرباب الصناعة فليس ثمة ما يمنعني من استخدام الأساليب وطرق الصناعة التي كان يستخدمها الناس في القرن الماضي ، ولكنني لو فعلت ذلك للحقني الدمار ما في ذلك شك . ولو فرضنا أنني تمكنت في الواقع من الخروج على هذه القواعد ومن خرقها بنجاح فلن أتمكن من ذلك إلا بشرط أن أضطر إلى صراعها ، ولو فرضنا أنني استطعت التغلب عليها في نهاية هذا الصراع فإنها سوف تشعرني بقوة قهرها إلى حد كاف ، وذلك بسبب ما سألقاه من مقاومتها . وليس ثمة مجدد إلا واصطدمت محاولاته بمقاومة من هذا القبيل ، حتى لو كان مجددا سعيد الطالع [١] ، فأين يذهب الإنسان ؟

هل في وسعه أن يعيش بغير دين وإله ، إلا إن استطاع أن ينخلع من كيانه ودوافعه ، وإن استطاع أن ينتزع نفسه من السكون والحياة ؟ ؟

أديان جديدة بأسماء أخرى تملك على أتباعها مشاعرهم وتأخذ عليهم عقولهم وتفكيرهم ، وإذا بنا أمام عصديات جديدة بجنونة تسوق البشر إلى مجازر صليبية جديدة باسم (سيادة الجنس) أو ضرورة (المجال الحيوي) أو انتصارا (لفلسفة من الفلسفات) .. فاشية أو استعمارية ، فردية أو جماعية . . . أو ، أو . . . حتى قال القائلون نحن في هذا القرن العشرين نخوض (أزمة التمهذب ism) وتطالعا الرايات تحف فوق رؤوسنا كل منها تريد أن تنتزع لنفسها الولاء والانقياد . . . أو (العبادة) - مع الاعتذار لأعداء الدين ! والولاء الجماعي كلف الناس ما كفهم الهوى الفردي من شطط . . . وليقل لنا ذلك دوركايم حتى نصدقه :

« تمتاز الظاهرة الاجتماعية بأنها خارج شعور الفرد ، وتمتاز أيضا بقوة أمرة قاهرة هي السبب في أنها تستطيع أن تفرض نفسها على الفرد أراد ذلك أم لم يرد . حقا إنني لا أشعر بهذا القهر أو لا أكاد أشعر به حين أستسلم له بمحض اختياري ، وذلك لأن الشعور بالقهر في مثل هذه الحال ليس مجدياً ، ولكن ذلك لا يحول دون أن يكون القهر خاصة تتميز بها الظواهر الاجتماعية ، ويدل على ذلك أن هذا القهر يؤكد وجوده بقوة متى حاولت مقاومته بالمقاومة . . . وذلك إما بأن تحول

عبادة موجود افتراض "مموه وخشية ما يعزى إليه من القدرة ، والانتقياد الأعشى لأوامره وتعذر الجدل فى تعاليمه ، والرغبة فى نشر هذه التعاليم وعد كل من يرفض ، اعتناقها عدوا ، ويظل ذلك الشعور الدينى من جوهر واحد على الدوام ، سواء أطبق على إله خفى أو على صنم حجرى أو على مطلب أو فكر سياسى ، وتجد فى ذلك الشعور ما فوق الطبيعة وما هو معجز على السواء ، والجماعات تلبس مثل هذه القدرة الدينية ما يغيرها على التعصب من صبغة سياسية ، أو زعيم منصور حيناً من الزمن . ولا يكون الإنسان متديناً إذا عبد إلهاً فقط ، بل يصبح متديناً أيضاً

عند ما يضع جميع منابع نفسه وجميع انتقيادات إرادته فى خدمة قضية أو موجود

غدا غاية المشاعر ورأئدها ويمكن أن

يقال إذن : إن جميع المعتقدات ذات

صبغة دينية . . .

لا بد للجماعات من دين ، ولا تستقر المعتقدات السياسية والإلهية والاجتماعية بالجماعات إلا باكتسابها شكلاً دينياً على الدوام

فيكون به فى حى من الجدل ، ولو أمكن حمل الجماعات على الإلحاد لا كتسب هذا الإلحاد ما فى الشعور الدينى من شدة تعصب ولا ضحى

« يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان » .

« قل أئدعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونزد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران »

« ألا إن الله من فى السموات ومن فى الأرض وما يتبع الذين يدعون من الله شركاء إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون » . « مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شىء ذلك هو الضلال البعيد » .

* * *

وإذا كانت الحضارة المادية قد نصبت للأفراد آلهتهم التى لا يخطئون فى قصد ، ولا ينفكون من ربقتها فى سلوك ، فإن لهذه الفلسفة المادية (غيبها) الذى يحاول أن يرضى فى الإنسان أشواقه الخفية أو يحاول الإنسان باستسلامه لهذا الغيب أن يرضى أشواقه الخفية .

كتب جوستاف لوبون عن (الأصبغة الدينية التى تصبغ بها عقائد الجماعات) يقول : « ولهذا الشعور مميزات بسيطة جداً ، وهى

الضخمة ويكلف بالصيغ والتراكيب ويتشدق بالمصطلحات العلمية والفلسفية ويتوهم المراهق أن فكره معين لا ينضب في حين أن كتابه تكشف عن الضحالة والافتقار إلى وضوح الفكر . . . ولذلك ما يكاد يقع على مبدأ على أو مذهب فلسفي يرضى تطلعه ونزعة ، إلى التحرر ، حتى يتحمس له تحمسا هو أقرب ، إلى التعصب ، منه إلى الفكر العلي الرزين . فإن كان يفيد من الثقافة العلمية الموضوعية أو الأفكار الفلسفية المتحررة ، فهو لا يفيد اتجاهها موضوعيا أو منطقيا في التفكير ، بل يفيد منها ما يؤيد طموحه إلى عقيدة مطلقة ورأى نهائى . وليس بخاف علينا انتشار كتب وآراء بعينها بين جمهور المراهقين في الشطر الأخير من المراهقة من أمثال دارون ونيشة وماركس ، وليس بخاف كذلك كيف أن كتابات هؤلاء كانت لدى بعض المراهقين بمثابة كتب مقدسة تحتل في نفوسهم ما تحتله الكتب السماوية لدى المؤمنين من مكانة رفيعة .

ونحن نجد الدليل على ذلك من مذكرات رجل مثل (سلامة موسى) فهو يقول :
(... ولكننى أذكر أنى وأنا دون العشرين أحسست أن نظرية انتطور تأخذ مكانا دينيا فى نفسى ، وأنها قد حملتني واجبا روحيا ،

فى وجوهه الظاهرة ضربا من العبادة بسرعة . ولما فى تطور المذهب الوضعى مثال طريف على ذلك : ويشابه هذا المذهب ذلك العهد من Nihilisme الذى روى دستوفيسكى لنا قصته فقد سطعت أنوار العقل على هذا العرض ذات يوم فظلم صور الآلهة والقديسين التى كانت تزين هيكل معبده الصغير ، وأطفأ الشموع ولم يبدد من الوقت ثانية ! ! ! . . . فأحل محل الصور المحطمة كتب بعض الفلاسفة الملحدون كبوخز ومولشوت ثم أشعل الشموع ثانية بوزع ! ! .

أجل : لقد تحول موضوع معتقداته ، الدينية ، ولكن أيمكن أن يقال . إن مشاعره الدينية تغيرت ؟ ؟ ! » (١) .

هذه الحقيقة التى أبرزها الفيلسوف لوبون يقرر ها علم النفس بالنسبة للفرد ، وعلم الاجتماع بالنسبة للجمتمع على السواء . يقول الدكتور عبد المنعم المليجى عن

نفسية المراهق .

« ونحن نعلم أن المراهق - برغم إطلاقه العنان لتفكيره واستطلاع ، يرى العالم من خلال مشاعره وتصورات . . . واكتساب بعض العلم بالعلوم والفنون المختلفة دون أن يتمثلها تمثلا كافيا يضع تحت تصرفه مادة يستغلها فى الجدال والحاجة ، فيتلاعب بالألفاظ

لأن الدين قد وجد قبل وجود الأوطان ولأن الحاجة النوعية بيولوجية تتحقق أغراضها في كل زمن وتوافر أسبابها في كل حالة ولا زال الإنسان بعد تحقق أغراضها ، وتوفر وسائلها في حاجة إلى الدين . وغرائز الإنسان النوعية واحدة في كل فرد من أفراد النوع وكل سلالة من سلالاته ، ولكنه في الدين يختلف أكبر اختلاف ، لأنه يتجه من الدين إلى غاية لا تنحصر في النوع ولا تتوقف على غرائزه دون غيرها ، وليس الغرض منها حفظ النوع وكفى ، بل تقرير مكانه في هذا الكون أو في هذه الحياة . فالإنسان يتعلق من النوع بالحياة ، ويتعلق من الدين بمعنى الحياة ... فالإيمان ضرورة كونية لا تخلقه مشيئة أحد من الآحاد ، ولو كان في قدرة الرسل والأنبياء . فإذا أجمع الناس على الاعتقاد كيفما كان اختلافهم في الجنس والزمن والموطن والمصلحة - فليس هذا عمل فرد ، ولا هو مما يقع بين الحين والحين عرضا واتفاقا من فعل الحيلة والتدبير ، ولكنه باعث من صميم قوى الكون ، لا يفلح الرسل والأنبياء في نشر دعوته ما لم يكن في تلك الدعوة مطابقة لحكمة الخلق وسر التكوين ...

وقد رأيت أناسا يبطلون الأديان في العصر الحديث باسم الفلسفة المادية ، فإذا بهم يستمدون من الدين كل خاصة من خواصه

وقد نما هذا الواجب في نفسي إلى واجبات [١] وهكذا يشغل الفرد (الفراغ النفسي) ويسد (الجوعة الروحية) بأى بديل يستغرقه نفس الاستغراق .

وكذلك الأمر بالنسبة للمجتمع أيضا ، جاء في كتاب ما كيفر ويبيع عن قواعد الدين وقواعد السلوك :

« ... إن بعض العبادات الخلقية مثل عقيدة أوجست كونت بشأن (المذهب الوضعي) أو جمعية الثقافة الخلقية المعاصرة تدعى أنها دينية أيضا ، وإلى جانب ذلك يوجد ما يمكن أن نسميه (الديانات البديلة) حيث ترتبط الخصائص العاطفية التي تصاحب أداء الواجبات الدينية بعناصر لادينية - بل مضادة للدين ، كما هي الحال في بعض تعبيرات الشيوعية أو في أى دستور اجتماعي غير ذلك [٢] » .

فأين يهرب الناس من نوازع أنفسهم ؟؟ ألا يتواضعون للحقائق ويتأملون رصيد التجارب الإنسانية الذي خرج منه الأستاذ العقاد بتقريره الدقيق « الدين لازمة من لوازم الجماعات البشرية ... »

ولم يكن الدين لازمة من لوازم الجماعات البشرية ؛ لأنه مصلحة وطنية أو حاجة نوعية ،

« ١ » تطور الشعور الديني عند الطفل والمراهق

ص ٣٠١ - ٣٠٢ .

« ٢ » المجتمع - ترجمة الدكتور علي عيسى ص ٣٣٣ - ٣٣٤

عن كل ما اعتقده الإنسان في جميع الأزمان ، ولا سيما عقائد الأديان والأوطان . وإدخروها للزمن كله بل للأبد كله ، ولكنهم لم يصطدموا صدمتهم الأولى في الحرب العالمية الأخيرة حتى لجأوا إلى الوطن وإلى الديانة . . .

وخفى هذه العبرة البالغة أن أسرار العقيدة أعمق وأصدق مما يدور بأوهام منكريها ، وأنها ذخيرة من القوة وحوافز الحياة تمد الجماعات البشرية ب زاد صالح لا تستمدّها من غيرها ، وأن هذه الذخيرة (الضرورية) خلقت لتعمل عملها ولم تخلق ليعبث بها العابثون كلباطاف بأحدهم طائف من الوهم أو طارت برأسه نزعّة عارضة لا تثبت على امتحان « ١ »

هذه الصورة الدقيقة للأديان البديلة الكلية الشاملة totalisme يبرزها « نهرو » ، كذلك حيث يقول .

« ما هي الماركسية ؟ إنها طريقة لتفسير التاريخ والسياسة والاقتصاد والحياة والنزعات البشرية ، وهي نظرية ودعوة لعمل ما ، وفلسفة تتناول جميع نواحي النشاط الإنساني ، ومحاولة لجعل التاريخ بماضيه وحاضره ومستقبله نظاما منطقيا يحمل في طياته مصائر محتومة كالقدر ، ولكن الناس يشكون في كون حياتهم منطقية بهذا الشكل ومعتمدة على قواعد مقطوعة ميتوت فيها « ٢ » وكمن نبوءات ماركس لم تصب التحقيق ؟ ؟

وكل لازمة من لوازمه ، ولا يستغنون عما فيه من عنصر الإيمان والاعتقاد التي لا سند لها غير مجرد التصديق والشعور ، ثم يجردونه من قوته التي يدهنها في أعماق النفس لأنهم اصطنعوه اصطناعا ولم يرجعوا به إلى مصدره الأصل .

فالمؤمنون بهذه الفلسفة المادية يطلبون من شيعتهم أن يكفروا بكل شيء غير المادة وأن يعتقدوا أن الأكوان تنشأ من هذه المادة في دورات متسلسلة ، تنحل كل دورة منها في نهايتها لتعود إلى التركيب في دورة جديدة وهكذا دواليك ثم دواليك إلى غير انتهاء .

ويطلبون منهم أن ينتظروا النعيم المقيم على هذه الأرض متى صحت نبوءتهم عن زوال الطبقات الاجتماعية ، فإن زالت الطبقات الاجتماعية في هذه السنة أو بعدها يبضع سنوات فتلك بداية الفردوس الأبدي الذي

يدوم ما دامت الأرض والسموات وتنتهي إليه أطوار التاريخ كما تنتهي بيوم القيامة في عقيدة المؤمنين بالأديان . ولا يكلف دين من الأديان أتباعه تصديقا أعرب من هذا التصديق ولا تسليما أتم من هذا التسليم ، ولا يخلو دين الفلسفة المادية من شيطانه وهو الرأسمالية الخبيثة ، فكل ما في الدنيا من عمل سوء أو فكرة سوء فهو كيد من هذا الشيطان الماكر المرید . . . ولما طبقت هذه العقيدة على أيدي أصحاب الفلسفة المادية خيل إليهم أنهم ظفروا بحقيقة الحقائق واستغنوا بها

« ١ » من مقدمة الفلسفة القرآنية .

« ٢ » لمحات من تاريخ العالم - طبع بيروت ص ١٦٨ .

يريد الإنسان أن يتحرر من الخوف حتى من الله . فإذا به يخاف من القطة السوداء ، ورقم ١٣ ، وتشكيكة عجيبة من أوهام التشاؤم ويتفائل بتشكيكة أخرى أعجب من ألوان المبشرات !!

« والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات ، من يشأ الله يضلله ، ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم »

« سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق . وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها ، وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ، وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ، ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين . والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة ، حبطت أعمالهم ، هل يجزون إلا ما كانوا يعملون ؟ »

« فذلکم الله ربکم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ ؟ فأتى تصرفون . »

« أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ؟ ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتوها أنتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان ، إن الحكم إلا لله ، أمر ألا تعبدوا إلا إياه ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعملون » ؟

فتحمي عثمانه

لا ملجأ من الله إلا إليه . . . تلك عبرة الواقع ، وما أفدح الثمن الذي دفعته البشرية للتخلص من الدين والإله . . . لقد وقعت فيها أرادت أن تتوقاه . . . وآمنت بأضعاف ما أرادت أن تتحرر منه حين تكفر بالله .

أما المؤمن بالله ، فهو كافر بكل ما عداه : يؤمن بالله فيتحرك من كل الضغوط والنزوات ، وتنطلق قواه التي لا ترسخ لغير فطرها ، والتي يكسبها الإيمان قوه دافعة إذ يرضى الأشواق الخفية ويحطم أغلال الآلهة الباطلة الظاهرة ويوازن بين شتى الدوافع والاحتياجات :

فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

وكم تبدد طاقات الناس بين الضعف الكبير والكبر المغرور . . . وكم تضيق في التخبط والتمزق قوى كانت تأتي بريح أو فرلو أنفقت في الاعتقاد المستدير المتجه إلى قبلة واحدة ومعبود ليس له شريك .

« قل إن كان آباؤكم ، وأبناؤكم ، وإخوانكم ، وأزواجكم ، وعشيرتكم ، وأموال اقترمتموها وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها ، أحب إليكم من الله ورسوله ، وجهاد في سبيله ، فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لا يهدي القوم الفاسقين » .

منه زحالات الإسلام

السيد أحمد خان

مؤسس جامعة عليكره

دون أن يحقق أهدافه . وحاول اسماعيل جاسبرنسكى أن يقنع حكومة روسيا باتباع موقف ودى مع المسلمين الروس بينما قام مدحت (باشا) بتكوين حكومة دستورية في تركيا افتتح السلطان عبد الحميد نفسه أول برلمان فيها .

أحمد خان يهرب للعمل . . .

في مثل هذه الظروف هب السيد أحمد خان لقيادة حركة النهضة في شبه القارة الهندية الباكستانية . والسيد أحمد هو سليل عائلة عريقة في دلهى ، وقد ارتقى مناصب الدولة حتى عين وزيراً لآخر ملك من ملوك « الحصن الأحمر » . وقد ألجأته الظروف إلى العمل في شركة الهند الشرقية وأن يظل في خدمة « التاج » ، بعد عام ١٨٥٧ . وقد أنقذ حياة عدد كبير من البريطانيين والبريطانيات وعرض نفسه في سبيل ذلك للأخطار . وشاءت الحكومة الجديدة أن تكافئه على هذه الخدمات

بلغ تدهور الشعوب الإسلامية أدنى درجاته في القرن التاسع عشر ، وما أن ابتدأت موجة المد ترتفع قليلاً حتى هبت بعض الشخصيات اللامعة تقود حركة التقدم في شتى الأقطار الإسلامية . وكان منهم من قاد حركات على نطاق دولي وآخرون قصرُوا جهودهم على الميدان القومى . وكان بعض هذه الحركات يقوم على أساس دينى ، والبعض الآخر على أساس دستورى ، وحركات تقوم على أساس ثورى أو سلبى لاتعداه . فمحمد بن عبد الوهاب ، زعيم الحركة الوهابية في نجد ، كان زعيماً دينياً لم يعبأ بالشئون السياسية والاقتصادية أما محمد أحمد ، الذى ادعى بأنه المهدي ، فقد شن حرباً في السودان قامت على أسس دينية سياسية ، كان القصد منها تحرير السودان من السيطرة الأجنبية . أما ثورتا عرابي في مصر والشيخ عبد القادر في الجزائر فلم تأتيا بالنتيجة المطلوبة . وحارب الشيخ شامل حكومة القيصر في جبال داغستان (القوقاز) سنوات عديدة

تشير إلى الاتجاه الذى يسلكه عقله المفكر . فقد أراد من المسلمين أن يطرحوا رداء اليأس والقنوط ويحاولوا إنقاذا ما يمكن إنقاذه . وكان من الطبيعى ألا يصادف نداءه هذا أذانا صاغية لدى أمته فى بادىء الأمر وخاصة وأنها كانت سادرة فى خمولها وجهلها ، ناظرة بعين الازدراء إلى ذلك التطور الذى كان يصيب شتى مرافق البلاد ولا يستفيد منه إلا الهندوس فإذا ما هاجم القادة الاجتماعيون ، والزعماء الدينيون دراسة اللغة الانجليزية والعلوم الغربية فإنهم إنما كانوا يفعلون ذلك تعبيراً عن خواطر الأمة وتنفيذا عن حقد دفين لم يكن له ما يبرره .

وابتدأ عمله الحقيقى بعد استقالته من وظيفته الحكومية لدى بلوغه التاسعة والخمسين ، وقد بدأ هذا العمل فيما أطلق عليه « حركة عليكرة » وكان فى ذلك الوقت قد تمكن من التفرغ لمتابعة تحقيق الحلم الذى طالما راوده . واستهل هذا العمل بإنشاء جمعية عليكرة العلمية وذلك لسكى يفتح أذهان بنى قومه ويبصرهم بشئون التقدم العلمى الذى وضع زعامة العالم فى أيدي الدول الغربية . وابتدأت ترجمة هذه الكتب العلمية من الإنجليزية إلى الأوردية كما ألفت كتب عديدة حول الموضوعات الهامة كالتاريخ والدين ، ألفها بعض العلماء المشهورين . وإذا كانت عظمة الزعيم تقاس بالرجال

ولكنه رفض عطاياها الضخمة مكنتها بما كان يناله من معاش ضئيل . وظل يعمل فى خدمة الحكومة حتى عام ١٨٧٦ . وبعد أن شاهد حالة الرعب التى سادت عام ١٨٥٧ وأعمال الانتقام التى كان يقودها الحكام الجدد للقضاء على المسلمين فى الهند ابتداء عقله الكبير ذو الحساسية الشديدة يبحث عن وسائل لقيادة حركة النهضة . ولما كان موظفا حكوميا فقد حيل بينه وبين الاشتراك فى نواحي الحياة العامة ، إلا ما تعلق منها بالشئون الثقافية . واختط السيد أحمد لنفسه طريقا مناسباً للظروف ، وكانت جميع القرائن توحى بأن هذا الطريق سيؤتى أكله . وذلك لما عرف عن السيد أحمد من عبقرية نادرة . وقد شعر السيد أحمد منذ البدء بأنه إذا رغب مسلبو شبه القارة الهندية فى إنقاذ أنفسهم من الفناء فإن عليهم أن يتعلموا اللغة الانجليزية وأن يشتركوا فى إدارة دفة البلاد بالقدر الذى يسمح به البريطانيون لرعاياهم من الهنود . كما أنه طلب من المسلمين أن يقدروا مدنية أسيادهم الجدد وثقافتهم حق قدرها ، وأن يدرسوا مختلف العلوم التى جعلت الغرب يسبغهم بمراحل طويلة ويتركهم فى المؤخرة . واستهل السيد أحمد أعماله بافتتاح مدارس ثانوية وعليا فى بنارس وجازيبور ومراد آباد . وكانت هذه البداية محدودة ولكنها كانت

التي تنطوي عليها كتاباته الدينية في إمكانية تفسير الدين تفسيراً منطقياً بحتاً . وتشمل هذه المبادئ كذلك أن الدين إذا كان ديناً حقاً فيجب ألا يتعارض مع مكتشفات العلم الحديث لأنه يؤمن باستحالة تعارض ما يصدر عن الله جل جلاله من عمل وما يوحى به من الكلام . وقد أكتسبت هذه الآراء السيد أحمد صفة « الرجل الطبيعي » وهي صفة غامضة ترادف في معناها كلمة « الملحد » ، وهذا خلاف الواقع . ولكن السيد أحمد لم يسمح لهذه المعارضة الشديدة بأن تنال من عزمته ، واحتفظ بروحه العالية حتى النهاية . بل إن هذه المعارضة الشديدة قد زادت عزيمته مضاعفة من جهوده حتى قضى عليها . ولم يمض جيل واحد على وفاته حتى وضع زعماء مدرستي « ديوباند » و « فرنجي محل » أيديهم في أيدي أتباع مدرسة عليكرة في حركتهم الجديدة .

مكتبة سياسية

ويحتل كتابه « أسباب العصيان الهندي » الذي أسرف في إطرائه مستر هيوم ، مكانة مرموقة على الرغم من صغر حجمه . وقد ألفه السيد أحمد رداً على كتاب « مسلمي الهند » الشهير الذي ألفه و . هنتر وانتقد فيه المسلمين وطلب فيه من الحكومة أن تأخذ حذرهما منهم . وقد وضع هذا الكتاب

الذين يحيطون به فإن شخصيات شيراغ على ، وحالى ومحسن الملك ، وذكاء الله ونذير أحمد وغيرهم من الخلفاء والمساعدین لجديرة بأن تمنح الرجل صفات العظمة . ولم يقتصر عمل السيد أحمد على حث الآخرين على النهوض بالأدب الأوردي بل إنه ألف بنفسه كتباً كثيرة باللغة الأوردية ، وقدم للبلاد أسلوباً حديثاً لهذه اللغة . ولم يشأ السيد أحمد أن يقصر ميدان نشاطه على الطبقة المثقفة المتعلقة بل أراد أن يشمل هذا النشاط جميع طبقات الشعب ، فأنشأ لهذا الغرض مجلة أسبوعية سماها « تهذيب الأخلاق » وراح يحاول فيها تهذيب فكرة الإسلام التي كانت قد علقت بها الشوائب في ذلك الحين . وقد أحدثت هذه الصحيفة نشوة خاصة بين طبقات المتدينين .

وكانت الخدمات الدينية التي قدمها السيد أحمد متعددة متشعبة أُنارت بصيرة بني قومه الذين كانوا يغضون في سبات عميق . ومن بين هذه الخدمات صحيفة « تهذيب الأخلاق » التي غزت جميع الأوساط ومنها تعليقاته العالية على القرآن التي ضمنها ستة مجلدات قبل وفاته ، ومنها كتابه الجريء ومقالاته عن حياة محمد الذي ألفه ونشره في لندن . وقد ألف السيد أحمد خان هذا الكتاب رداً على كتاب « حياة محمد » للسير ولیم مویر . وتلخص المبادئ

مسترا . هيوم ، قال لصاحب زاده افتاب أحمد خان : « إننى لم أشعر بحاجتنا إلى معرض للآراء فى الهند إلا بعد قراءة كتاب السيد أحمد خان (أسباب العصيان الهندى) » وتلا ذلك تأسيس حزب المؤتمر الهندى الوطنى . أما النصيحة التى قدمها السيد أحمد خان للمسلمين بعدم الانضمام إلى حزب المؤتمر فقد جاءت بعد تأسيسه بفترة طويلة ، وكانت وليدة تجارب مريرة ، فقد بدأ حركته بتشييد الهندوس والمسلمين بعينى الدولة ، ولكنه ما أن اكتشف أن الهندوس يعملون على إزالة كل أثر للثقافة الإسلامية وعلى إزالة معالم اللغة الأوردية حتى غير موقفه وطلب من المسلمين الابتعاد عن هذا الحزب .

وقد جاء دفاعه المجيد عن تمثيل الهنود فى الهيئات التشريعية بعد أن راقب عن كשב كيفية إدارة الحكم الديموقراطى فى البلاد والسياسة التى يتبعها زملاؤه الهندوس فى المجلس التشريعى . وقد ألقى السيد أحمد خان فى يناير عام ١٨٨٣ خطاباً أثناء مناقشة مشروع قرار اللورد ريبون عن الحكم الذاتى فقال :

« إن نظام التمثيل النيابى عن طريق الانتخاب يعنى تمثيل رأى أغلبية الشعب ومصالحها . وهذا النظام هو أصلح النظم للبلاد التى تضم

للبريطانيين ، بما فيه من تحليل رائع أخاذ ، فداحة الأخطاء التى يرتكبونها فى الهند ، وأبان لهم مسئوليتهم عن الحوادث التى وقعت عام ١٨٥٧ . فهو يقول أن أسباب وقوع هذه الحوادث ترجع إلى عدم إشراك الهنود فى إدارة شئون بلادهم وانعدام الاختلاط الاجتماعى بين الحكام والمحكومين وتدخل الحكومة فى الشئون الدينية تدخلا غير مرغوب فيه . و جدير بالذكر أن السيد أحمد خان كان يطبع هذه الآراء الجريئة وينشرها فى وقت كانت كل الهند تن فى تحت وطأة الأحكام العرفية . وعلى الرغم من جميع الخلافات التى كانت قائمة بين الهندوس والمسلمين حول المسائل الدينية والنظرة الاجتماعية فإن السيد أحمد خان كان يشعر دائماً بأن العمل المشترك لا بد وأن يؤدى فى النهاية إلى وحدة وتفاهم فى الميدان السياسى . وقد قام زعيم حركة عيسكرة بقيادة حركة المطالبة بحقوق الهنود وحريتهم فى المجلس التشريعى للحاكم العام ، على الرغم من ضالة ما يعرفه من اللغة الإنجليزية وكان ذلك قبل أن يسمع أحد « بالمؤتمر الهندى الوطنى » بسنوات عديدة ، ولا يزال خطابه الشهير عن الحكم الذاتى فى الهند يجد صدى لدى جميع الذين يطالبون بالحرية . ويروى أن مؤسس « المؤتمر الهندى الوطنى » ،

دواوين الحكومة بقدر الإمكان والاستعاضة عنها باللغة الهندوسية . وكان السيد أحمد يقول دائماً : إنه ابتداء يشعر بعد هذا القرار بأنه قد أصبح من المتعذر على المسلمين والهندوس أن يكونوا أمة واحدة ، كما أصبح من المتعذر على طرف من الطرفين العمل من أجل الطرفين معا . وهذه هي كلماته في هذا الموضوع : « في هذه الأيام التي اشتد فيها الصراع بين اللغتين الأوردية والهندوسية في بنارس قابلت مستر شكسبير ، المندوب البريطاني هناك ، وكنت أحدثه عن شؤون تعليم المسلمين وهو يستمع إلى والدهشة تلو وجهه ثم قال : هذه هي المرة الأولى التي أستمع فيها إليك وأنت تتحدث عن تقدم المسلمين وحدهم . لقد كنت دائماً حريصاً على أن تتكلم عن مصالح بني قومك جميعاً . فقلت : لقد اقتنعت الآن بأن هاتين الأمتين لن يقدر لهما الاتحاد حول أى موضوع أبداً . »

نضال من أجل التعليم :

وكان السيد أحمد يعتمد أن حاجة المسلمين إلى تعليم صحيح يقوم على أسس سليمة تزيد على حاجتهم إلى كفاح سياسي . ولهذا فقد أسس أعظم مركز للتعليم الإسلامي الحديث والثقافة الإسلامية في شبه القارة الأوروبية - جامعة عليكرة الإسلامية - وقد ابتدأت هذه الجامعة كمدرسة صغيرة تضم اثني عشر

عنصراً واحداً يمثل عقيدة واحدة . أما في بلد كالهند حيث لا يزال التمييز العنصري سائداً ، وحيث ينعدم تمازج العناصر المتفرقة ، وحيث التمييز الديني لا يزال على أشده ، وحيث عجز التعليم عن تقديم الفرص المتكافئة لجميع العناصر ، فإنني أعتقد أن اتباع مبادئ الانتخابات المعروفة لتمثيل مختلف المصالح في المجالس المحلية والمجالس الإقليمية لن يؤدي إلا إلى نتائج وخيمة لا تقتصر على الناحية الاقتصادية وحدها . إننا لا نستطيع أن نأمن عثرات هذا النظام الانتخابي المألوف ما دامت الخلافات قائمة بين العناصر والأديان ، وما دام التمييز العنصري يشكل عاملاً هاماً من عوامل التكوين الاجتماعي السياسي في الهند ، ويؤثر على سكان الهند في المسائل التي تتعلق بإدارة شؤون البلاد ورعاية مصالحها . ففي مثل هذه الحالة ستتحكم طائفة الأغلبية في مصالح الأقلية الضئيلة . »

ونقتطف فيما يلي نبذة من ترجمة حياة السيد أحمد التي ألفها « حالي » وهي تعطينا صورة واضحة عن رجل سياسي تنبأ بوقوع حوادث في المستقبل انتهت بتأسيس دولة الباكستان : « اتخذ بعض زعماء الهندوس في بنارس عام ١٨٦٧ قراراً بوقف استخدام اللغة الأوردية التي تكتب بأحرف فارسية في

وتبدأ شبان المسلمين يدخلون وظائف الحكومة وميدان الأعمال الحرة . وارتقى البعض أرقى مناصب الدولة وتزعم البعض الآخر ميادين القانون والطب والهندسة والصحافة وغيرها من المهن . ولم يكن هذا ليحدث بدون هذه الحركة التي رفعت شأن المسلمين بعد أن طال عليهم الأمد وهم في الحضيض من الناحيتين الاجتماعية والسياسية . وضمت حركة عليكرة فضلا عن الطلاب الذين قدموا إليها من شتى أنحاء الهند طلابا من بورما والملايو وسيلان وجنوب إفريقيا وشرقها وأفغانستان . وانبعثت عن هذه الحركة حركتا «خدام الكعبة» و «حركة الخلفاء» ، وقد نظم حفلة تنصيب نائب الملك في عام ١٩٠٦ النواب محسن الملك خليفة السيد أحمد في عليكرة وكان ظهور حزب الرابطة الإسلامية نتيجة منطقية لهذه الحركة وكان زعماء هذا الحزب يستنيرون بآراء نواب وقار الملك في عليكرة .

وليس هناك أدنى شك في أن جميع مظاهر نهضة المسلمين في شبه القارة تعود في أصلها إلى حركة عليكرة . لقد أحيا السيد أحمد بحركته هذه نظاما من الفوضى ، وكون كتلة إسلامية في العالم من بين أنياب البؤس وأعدّها لتكون مصيرها على صورة «باكستان» .

تليذا ، واتخذت أول مقر لها في أحد مساكن الضباط المهجورة في معسكر عليكرة . ثم نمت حتى أصبحت الكلية المحمدية الإنجائية الشرقية عام ١٨٧٦ ، وكان مؤسس هذه المدرسة يهدف من وراء هذا المشروع إلى تكوين «قرطبة» جديدة في الشرق تحث على البحث الحر والتسامح وتدرس خير ما في الشرق والغرب معا ، وتحاول خلق فرع من الثقافة الإسلامية والعلوم الغربية ، لقد شاهد السيد أحمد أكسفورد وكمبرج ودرس فيهما فائدة نظام الحياة الجامعية : وقد وقفت سياسة الحكومة العامة والقوانين التي تقيد تقديم المساعدات المالية للدارس دون تحقيق هذا المشروع . ولذا فقد قنع السيد أحمد بتأسيس أكبر كلية داخلية في البلاد ، وترك للمستقبل مسألة تحويل هذه الكلية إلى جامعة أحلامه .

وابتدأت بإنشاء هذه الكليات حركة عليكرة ، وهي أكبر حركة من نوعها صادفت نجاحا كبيرا في العالم الإسلامي . وقد وضع السيد أحمد نصب عينيه منذ البدء ألا يقتصر نشاط هذه الكلية على الإقليم الذي أنشئت فيه وتحقيقا لهذا الغرض قام بزيارة لجميع المراكز الإسلامية في الهند وحث مسلمي جميع الأقاليم في المؤتمر التعليمي الإسلامي على فتح المعاهد التعليمية في مناطقهم . وازداد نجاح الحركة

الإسلام والفلسفة

للاستاذ الدكتور سليمان دُنيا

ولن يحملنى كل ذلك على أن أتعصب أو أتحمّل ؛ لأن قدسية العلم التى أراها تسمو على الجملامة ، أرى أن التعصب لها بغير حق امتنان لها وافتيات عليها .

والآن ، هل فى تأليف الغزالى لكتاب « تهافت الفلاسفة » ما يصحح القول بأنه هو والإسلام معا عدوان للفلسفة ؟ لنأخذ الأمر مسألة مسألة ، ولننظر أولاً فى موقف الغزالى من الفلسفة ، ولأضع بين يدي القارئ النص التالى من كتاب « تهافت الفلاسفة » يقول الغزالى ص ٧٧ ط ٣ دار المعارف :

« ليعلم أن الخلاف بينهم وبين غيرهم من الفرق ثلاثة أقسام :

قسم يرجع النزاع فيه إلى لفظ مجرد كتسميتهم صانع العالم ، تعالى عن قولهم ، جوهرًا ، مع تفسيرهم الجوهر بأنه الموجود لا فى موضوع ، أى القائم بنفسه الذى لا يحتاج إلى مقوم يقومه ، ولم يريدوا بالجوهر المتحيز ، على ما أراده خصومهم .

ولسنا نخوض فى إبطال هذا ؛ لأن معنى القيام بالنفس إذا صار متفقاً عليه ، رجع الكلام فى التعبير باسم الجوهر عن هذا المعنى

يبدو أن كتاب الغزالى المعنون « تهافت الفلاسفة » قد جر على الغزالى الاتهام بأنه عدو للفلسفة ، وجر على الإسلام بالتالى تهمة العداء للفلسفة .

فهل صحيح أن صاحب « تهافت الفلاسفة » عدو للفلسفة ؟ وأن الإسلام عدو للفلسفة كذلك ؟

أريد أن أعرض رأى فى هذه المسألة آملاً أن يصل صوتى إلى آذان كان لأصحابها كلام عاجل حول هذه المسألة ، فى مجلس ضمى بهم ، ولكنه مع عجلته صريح فيما يريدون .

والظروف التى اضطرتهم إلى العجلة فيما يقولون هى نفسها التى حالت دون تعقيبى على ما يقولون . ولكن إذا كانت فرصة التعقيب الشفوى قد فاتت ، فلا أحب أن تفوت الفرصة كلية ؛ ذلك لأنى لا أعرف الجملامة فى العلم ، فللعلم عندى قدسية تسمو على الجملامة ؛ ولأن نفسى لا تطاوعنى أن أقف من آراء تبينت لى صحتها موقفاً سلبياً وهى تهاجم ، ولا أن يعرف الناس عنى هذا الموقف .

وضعف أمره ؛ فإن هذه الأمور تقوم عليها براهين هندسية حسابية ، لا يبقى معها ريبه ، فمن يطلع عليها ويتحقق أدلتها حتى يخبر بسببها عن وقت الكسوفين وقدرهما ومدة بقائهما إلى الانجلاء ، إذا قيل له : إن هذا على خلاف الشرع لم يسترب فيه ، وإنما يستريب في الشرع . وضرر الشرع ممن ينصره لا بطريقه أكثر من ضرره ممن يطلعن فيه بطريقه ، وهو كما قيل عدو عاقل خير من صديق جاهل .

فإن قيل : فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الشمس والقمر لآيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله وإلى الصلاة » . فكيف يلائم هذا ما قالوه ؟ قلنا : وليس في هذا ما يناقض ما قالوه ؛ إذ ليس فيه إلا نفي وقوع الكسوف لموت أحد أو لحياته والأمر بالصلاة عنده ، والشرع الذي يأمر بالصلاة عند الزوال والغروب والطلوع ، من أين يبعد منه أن يأمر عند الكسوف بها استحباباً ؟

فإن قيل : فقد روى أنه قال في آخر الحديث : « ولكن الله إذا تجلى لشيء خضع له » ، فيدل على أن الكسوف خضوع بسبب التجلى . قلنا : هذه الزيادة لم يصح نقلها ، فيجب تكذيب ناقلها ، وإنما المروى ما ذكرناه ، كيف ولو كان صحيحاً لكان

إلى البحث عن اللغة . وإن سوغت اللغة إطلاقه رجوع جـسـواز إطلاقه في الشرع إلى المباحث الفقهية ؛ فإن تحريم إطلاق الاسامي وإباحتها يؤخذ مما يدل عليه ظواهر الشرع . ولعلك تقول : هذا إنما ذكره المتكلمون في الصفات ، ولم يورده الفقهاء في فن الفقه . فلا ينبغي أن تلتبس عليك حتماتق الأمور بالعادات والمراسم ، فقد عرفت أنه بحث عن جواز التللفظ بلفظ صدق معناه على المسمى به فهو كالبحت عن جواز فعل من الأفعال .

القسم الثاني : ما لا يصدم مذهبهم فيه أصلاً من أصول الدين وليس من ضرورة تصديق الأنبياء والرسل — صلوات الله عليهم — منازعتهم فيه كقولهم : إن الكسوف القمري عبارة عن انمحاء ضوء القمر بتوسط الأرض بينه وبين الشمس ، من حيث إنه يقتبس نوره من الشمس ، والأرض كرة ، والسماء محيط بها من الجوانب ؛ فإذا وقع القمر في ظل الأرض انقطع عنه نور الشمس .

وكقولهم : إن كسوف الشمس معناه وقوع جرم القمر بين الناظر وبين الشمس ، وذلك عند اجتماعهما في العقدة تين على دقيقة واحدة . وهذا الفن أيضاً لسنا نخوض في إبطاله ؛ إذ لا يتعلق به غرض ، ومن ظن أن المناظرة في إبطال هذا من الدين ، فقد جنى على الدين

عن القسم الأول من أوجه الخلاف بين من ينصب نفسه مدافعاً عن الدين، وبين غيره ممن لا يتخذ الدفاع عن الدين غرضاً من أغراض تفكيره، يهتم بالمعاني أكثر مما يهتم بالألفاظ وإذا كان قد انتهى آخر الأمر إلى ضرورة الرجوع إلى الفقه لأخذ إذن منه باستعمال ألفاظ مستحدثة في مجالات الدين، فهو يعلم أبلغ العلم - لأن له أبحاثاً في الفقه تنبئ عن تضلعه فيه - أن الفقه لا يمنع من هذا الاستعمال؛ لأن من أقواله الراجحة، أن هذا الاستعمال مباح، متى سلم المعنى.

ولنترك القسم الأول؛ فإن خطره فيما نحن بصده من أمر، ضئيل، ولنتقل إلى القسم الثاني، وهو - عند الغزالي - كل أمر من الأمور التي لا تعالج أصلاً من أصول الدين. وما أوسع مجال هذا القسم وأبعد مداه، فهو يشمل المسائل الطبيعية كلها، يشمل بحث الأرض وما تحتويه من معادن وعناصر ونبات وحيوان، وإنسان، ويشمل السماء وما تحتويه من كواكب وأفلاك وهواء، ويشمل المنطق والرياضيات.

وإذا كان الاستثناء معيار العموم، كما يقول رجال النحو القديم، فإن الاختصار على إخراج المسائل التي تعالج أصول الدين، من مجال هذا القسم إيدان بشموله وعمومه؛ فإن المسائل التي تعالج أصول الدين معدودة محدودة.

تأويله أهون من مكابرة أمور قطعية، فكم من ظواهر أولت بالأدلة العقلية التي لا تنتهي في الوضوح إلى هذا الحد؟ وأعظم ما يفرح به الملاحدة أن يصرح ناصر الشرع بأن هذا وأمثاله على خلاف الشرع فيسهل عليه طريق إبطال الشرع إن كان شرطه أمثال ذلك.

وهذا لأن البحث في العالم عن كونه حادثاً أو قديماً. ثم إذا ثبت حدوثه فسواء كان كرة أو بسيطاً، أو مسدساً أو مثمناً، وسواء كانت السموات وما تحتها ثلاث عشرة طبقة كما قالوه، أو أقل أو أكثر، فنسبة النظر فيه إلى البحث الإلهي كنسبة النظر في طبقات البصلة وعددها، وعدد حب الرمان، فالمتقصد كونه من فعل الله فقط، كيفما كان.

القسم الثالث: ما يتعلق النزاع فيه بأصل من أصول الدين كما أقول في حدوث العالم وصفات الصانع وبيان حشر الأجساد والأبدان، وقد أنكروا جميع ذلك.

فهذا الفن وظواهره هو الذي ينبغي أن يظهر فساد مذهبهم فيه دون ما عداه.

وليعذرني القارئ إذا أثقلت عليه بذكر نص طويل كهذا؛ فإن المتقصد أن نذكره في الأمر، وأن نضع حيثيات حكمنا كاملة بين يديه، والتلخيص وحكاية الرأي في غير عبارة صاحبه يفوتان هذا القصد.

ومن النص يتبين أن الغزالي في حديثه

يا عجباً كل العجب ؟ ! ! كيف يقال عن
يوجب تأويل النصوص الدينية إذا عارضت
أموراً يقطع العقل بصحتها إنه عدو للفلسفة
وإني لأتساءل في دهشة : هل مسائل الفلسفة
قطعية ؟ أم ليست بقطعية ؟ فإن كانت قطعية
فالغزالي الذي يقال عنه : إنه عدو للفلسفة
يرى ضرورة التمسك بها وصرف النصوص
الدينية التي تتعارض معها عن ظواهرها ؛
فإذا ينظر منه أن يقول — لكي يرضوا عنه
ولكي لا يكون في نظرهم عدواً للفلسفة —
أكثر من هذا ؟ .

وإن لم تكن مسألتها قطعية ، فهل يريد
دعاة التجديد — وقت ما يكونون هم أنفسهم
في حيرة من أمر بحوثهم — أن يسبّتهم
الغزالي إلى الإيثار بها لكي يرضوا عنه
ولا يتهموا بعداوة الفلسفة ؟ .

أستطيع القارىء عذراً إذ أخرج به قليلاً
عن الحدود التي رسمتها للبحث وهي الوقوف
مع كتاب التهافت لمعرفة هل يستحق الغزالي
من أجله أن يصير عدواً للفلسفة ؛ لأضع بين
يده فقرات من كتاب مقاصد الفلاسفة الذي
ألفه الغزالي ليكون تمهيداً لكتاب تهافت
الفلاسفة ، حيث تبين هذه الفقرات رأى
الغزالي صراحة في تمكين العقل من البحث
في فروع الفلسفة المختلفة ، يقول الغزالي ص ٣
ج ١ صبيح :

وفي هذا المجال الفسيح يعطى الغزالي للعقل
البشري حرية مطلقة يبحث ، ويفتش ويستنتج
ويقرر كل ما يعن له من أمر . ويحرم الغزالي
تحريراً باناً قاطعاً أن يتدخل إنسان في هذا
المجال باسم الدين . ويسلك الغزالي في بيان
ذلك التحريم مسلوكاً يشعر بأن مصلحة الدين
نفسه تقتضي بعدم التعرض للباحثين في هذه
المجالات ؛ ليكون ذلك أدخل في إقناع من
تحملهم الغيرة المفرطة على الدين أن يزجوا
باسمه في كل شأن من الشؤون ، بعدم التعرض
باسم الدين للباحثين في هذه المجالات ،

وإذا كانت هذه المجالات واسعة كل السعة
تتناول العلوم كلها وفروع الفلسفة كلها ما عدا
فرعاً واحداً منها يسمى ما وراء الطبيعة وبعض
مسائل تلابسه ، وإذا كان الغزالي يعطى للعقل
حقاً مطلقاً في أن يتصرف في هذه المجالات
كما يشاء وكما تهديه المناهج الصحيحة ، فلا يرضى
الإنصاف أن يقال عن الغزالي : إنه عدو للفلسفة
لأنه ألف كتاباً اسمه « تهافت الفلاسفة » اللهم
إلا أن يكون الكتاب يقرأ من عنوانه .

فأية جرأة يمكن أن تساند العقل وتقف
بجانبه أكبر من قول الغزالي : « كيف ولو كان
صحيحاً ما قيل من أن الرسول صلى الله عليه
وسلم قال : « إن الكسوف خضوع بسبب
التجلى » لكان تأويله أهون من مكابرة أمور
قطعية ، فكلم من ظواهر أولت بالأدلة
العقلية التي لا تنتهي في الوضوح إلى هذا الحد ،

وفي قول الغزالي عن الإلهيات « فأكثر عقائدهم فيها على خلاف الحق ، والصواب فيها نادر » دون قوله « فأكثر عقائدهم فيها على خلاف الدين » ، ما يشير أيضا إلى أنه يلتزم الحق والصواب ويبحث عنهما ، فهل يقال عن يبحث عن الحق والصواب : إنه عدو للفلسفة إلا أن تكون الفلسفة تبحث عن شيء غير الحق والصواب ؟

وفي قول الغزالي عن المنطقيات « إنها على منهج الصواب » ، ما يشير إلى أن الغزالي يحترم المنطق الذي كان معروفا في عهده ، وهو المعروف بالمنطق الأرسطي ، ولشد ما أنا مندهش من أن تحدث إليهم في مقال هذا ، أن أجدهم يقولون : إن الغزالي عدو لمنطق أرسطو وله تأليف في نقده وتزييفه ، ولم يك ذلك القول منهم يعني أن الغزالي بلغ شأوا يجعله قادرا على أن يستدرك على أرسطو ويصحح بعض أخطائه ، وإنما كان يعني أن الغزالي بلغ من السخف مبلغا جعله يتناول على أرسطو . نعم لشد ما أنا مندهش أن أسمع عن الغزالي ذلك ، وهو الذي يقول عن منطق أرسطو في كتاب « مقاصد الفلاسفة » : إنه منهج الصواب . وهو الذي يقول أيضا عن هذا المنطق نفسه في كتابه « تهافت الفلاسفة » ص ٨٣ :

« نه تمولهم : إن المنطقيات لا بد من إحكامها

« إن علومهم أربعة أقسام : الرياضيات . والمنطقيات . والطبيعيات . والإلهيات .

أما الرياضيات : فهي نظر في الحساب والهندسة ، وليس في ، مقتضيات الهندسة والحساب ما يخالف العقل ولا هي مما يمكن أن يقابل بإنكار وجحد ، وإذا كان كذلك فلا غرض لنا في الاشتغال بإيراده .

وأما الإلهيات ، فأكثر عقائدهم فيها على خلاف الحق ، والصواب نادر فيها .

وأما المنطقيات : فأكثرها على منهج الصواب ، والخطأ نادر فيها ، وإنما يخالفون أهل الحق فيها بالاصطلاحات والإيرادات دون المعاني والمقاصد ، إذ غرضها تهذيب طرق الاستدلالات ، وذلك مما يشترك فيه النظائر .

وأما الطبيعيات : فالحق فيها مشوب بالباطل والصواب فيها مشتبّه بالخطأ فلا يمكن الحكم عليها بغالب ومغلوب ، وسيتضح في كتاب التهافت بطلان ما ينبغي أن يعتمد بطلانه .

وفي قول الغزالي عن الرياضيات « وليس في مقتضياتها ما يخالف العقل ، ولا هي مما يمكن أن يقابل بجحد » ، ما يشير إلى أنه يتخذ العقل وسيلة في قبول ما يقبل ورفض ما يرفض ، وكيف يقال عن يحكم العقل فيما يقبل ويرفض : إنه عدو للفلسفة إلا أن تكون الفلسفة تأتي حكم العقل ؟

كتاب « معيار العلم » الذى هو الملقب بالمنطق عندهم .

وكتاب « معيار العلم » الذى هو منطق صرف على نهج أرسطو مطبوع موجود ، وهو شاهد ماضى على أن الغزالى ألف فى تأييد منطق أرسطو واحتكم إليه فى أعنف خصوماته .

نعود إلى القسم الثالث والآخر من الأقسام التى أوردنا الأول والثانى منها . ويحد الغزالى هذا القسم بأنه الذى تصطدم فيه أفكار الفلاسفة بأصل من أصول الدين ، وحتى فى هذا القسم لا يقول الغزالى للفلاسفة : أتم تقولون كذا ، والله يقول بخلافه ، فأتم كاذبون والله صادق ، نعم لم يقل الغزالى للفلاسفة ذلك ، ولو أنه فعل لما جاز لنا أن ننسى ما فتح أمام العقل من ميادين متعددة فسيحة جعله فيها حراً طليقاً من كل قيد ، ونذكر له فقط مسائل معدودة قيد فيها العقل بقيود ، وننتعه من أجل ذلك بأنه عدو للعقل والفلسفة ، فما بالنا وهو لم يفعل ، بل حتى فى مسائل هذا القسم التى يرى أن الفلاسفة فيها يخالفون أصول الدين ، لم يلجأ إلى قدسية الدين يصوغ منها ردوده على الفلاسفة ، وكيف والدين خصم ، والخصم لا يكون حكماً ، نعم لم يلجأ الغزالى إلى الدين يفرض قدسيته على خصومه ، بل لجأ إلى العقل نفسه ورضيه حكماً بين الفلاسفة والدين :

هو صحيح ، ولكن المنطق ليس مخصوصاً بهم وإنما هو الأصل الذى نسميه فى فن الكلام « كتاب النظر » فميروا عبارته إلى المنطق تهويلاً ، وقد نسميه « كتاب الجدل » وقد نسميه « مدارك العقول » فإذا سمع المتكلم المستضعف اسم المنطق ظن أنه فن غريب لا يعرفه المتكلمون ، ولا يطلع عليه إلا الفلاسفة ونحن لدفع هذا الخيال ، واستئصال هذه الحيلة فى الإضلال نرى أن نفرد القول فى مدارك العقول فى هذا الكتاب ونهجر فيه ألفاظ المتكلمين والأصوليين ، بل نوردنا بعبارات المنطقيين ونصبا فى قلوبهم وتقتنى آثارهم لفظاً لفظاً ، ونناظرهم فى هذا الكتاب بلغتهم — أى عباراتهم فى المنطق — ونبين أن ما شرطوه فى صحة مادة القياس فى قسم البرهان من المنطق ، وما شرطوه فى صورته فى كتاب القياس ، وما وضعوه من الأوضاع فى إيساغوجى وفاظيغورياس التى هى من أجزاء المنطق ومقدماته لم يتمكنوا من الوفاء بشئ منه فى علومهم الإلهية .

ولكننا نرى أن نورد « مدارك العقول » فى آخر الكتاب ، فإنه كالآلة لدرك مقصود الكتاب ، ولكن رب ناظر يستغنى عنه فى الفهم فتؤخره حتى يعرض عنه من لا يحتاج إليه ، ومن لا يفهم ألفاظنا فى آحاد المسائل فى الرد عليهم ، فينبغى أن يتبدى أولاً بحفظ

ولكنها طرائق ومناهج إذا صحت قبل ما تأدت إليه ، كان ما تأدت إليه ما كان .

* * *

هذا هو الغزالي كما يطل علينا من كتاب التهافت، فهل أنا صادق في تصويري له؟ أريد أن أعرف. وإن أك صادقا، فهل هو في هذه الصورة، كما نعتة الناعتون، عدو للفلسفة ولنطق أرسطو؟ أريد أن أعرف أيضا .

وأنتقل بعد هذا إلى الكلام عن الإسلام نفسه، فهل الإسلام عدو للفلسفة؟ إن فيما قلناه عن الغزالي ما يتيح لنا القول في وضوح بأن الإسلام ليس عدو للفلسفة؛ لأن المجالات التي أباحها الغزالي للعقل لم يكن الغزالي هو مصدر لإباحتها، ولكن الذي أباحها هو الدين، فالدين هو الذي أباح للعقل حرية التصرف في هذه الآفاق الفسيحة بين الأرض والسماء .

وتعويل الغزالي على العقل في نقاشه مع الفلاسفة بخصوص المسائل التي خالفوا فيها أصول الدين، دليل على طوعية أصول الدين للعقل، إذ لو كانت هذه الأصول على غير مة تضي العقل لما تأتى للغزالي أن يناصرها بالعقل .

ولترك الغزالي جانبا، ونتجه إلى القرآن رأسا، وحسبنا أن نجد القرآن لا يكتفى بأن يخول الناس حق تحكيم عقولهم في مشاكلهم بل يجعل عقولهم حكما بينه عز شأنه وبينهم .

فماذا يغضب الناس من الغزالي إذا كان قد استطاع أن يكشف عن أن العقل قد تخلى عن الفلاسفة في المسائل التي صادموها فيها شيئا من أصول الدين؟ هل يغضبهم منه أنه كشف عن أن أفكار الفلاسفة التي صادمت أصول الدين ليست جديدة بأن تسمى فلسفة؛ لأن العقل قد تخلى عن نصرتها وتأييدها؟ هل يغضبهم أن يكون الغزالي قد توصل إلى معرفة أن للعقل حدودا إذا جاوزها ضل؟ وهل البحث في قيمة العقل لإلجأ في صميم الفلسفة؟ حتى ولو تأدى البحث فيه إلى عدم الاغترار به، والوقوف به عند حدوده؛ إذ العبرة في الفلسفة ليست بالنتائج ولكنها بالمناهج والطرائق. وقديما قال أرسطو :

(إن من ينكر الميتافيزيكا يتفلسف ميتافيزيكيا)

وقال: (فلنتفلسف إذا اقتضى الأمر أن نتفلسف، فإذا لم يقتض الأمر التفلسف، وجب أن نتفلسف لنثبت أن التفلسف لا ضرورة له) .

وحديثا قال بعض الفلاسفة الميتافيزيكيين عن خصومهم الوضعيين :

(إنهم الفلاسفة الذين يفاخرون بأنهم ليسوا بفلاسفة، إن موقفهم من إنكار الفلسفة موقف فلسفي لا محالة) ؛
ذلك لأن الفلسفة ليست أفكارا معينة ،

رسالة وجوابها بين إمام الشيعة وإمام أهل السنة

صدر عن جامعة (مدينة العلم) بالكاظمية في العراق رسالة سماحة الإمام الخالصي الكبير ، شيخ شيوخ الشيعة يهني فيها فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت بتوليته مشيخة الجامع الأزهر ، فأجابه الأستاذ عنها برسالة مشرقة الرأي سامية الدلالة .

والرسالتان تعبران عن فكرتي الإمامين في الإصلاح الديني والاجتماعي ، واتجاههما فيه إلى توحيد الكلمة وتأليف الأمة ، وتنقية الدين بما علق به من شوائب البدع والباطيل . وإليك نص الرسالة والجواب :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

الرسالة

وبعد : فقد بلغني خبر جلوسكم على أريكة لإدارة الأزهر الشريف والإشراف على سير علمائه ومدرسيه وطلابه ، وتربيتهم وإروائهم من منهل علمكم الزاخر ، وما تقدم الناس به إليكم في بقاع العالم من التبريك والإطراء والثناء .

سماحة العلامة المفسر المحدث الفقيه المتبحر الأستاذ الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر .
أدام الله أيام حياته ، ونفع المسترشدين بهداه وعميم بركاته .

استسلم لعدوان الغير عليه ولم يدافع عن نفسه كان غير جدير بالبقاء ، فالذين يريدون من الدين أن يتلقى الهجمات والطعنات مستسلماً لا يحاول أن يدافع عن نفسه ؛ كي لا يرمى بالجمود والرجعية ، يريدون له الفناء ؟

المكنون سليمان دنيا
الأستاذ بكلية أصول الدين

وذلك حيث يقول : (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) ففي هذه الآية تقرير لمبدأ حاجة العباد لله ، فماذا بعد هذا من تقدير يمكن ، للعقل ؟ وكلمة أخيرة أسوقها بين يدي أولئك الذين لا يريدون أن يعادى الدين من يعاديه أقول لهم : إن الدين ، ككل قانون آخر ، مثله مثل الكائن الحي ، والكائن الحي إذا

عن كل بدعة وخرافة ، لنسترشد بآرائكم ونسير معكم في طريق واحدة عسى أن يكون ذلك معينا على سرعة الوصول إلى الغاية المقصودة وهي معرفة الإسلام كما هو ، وإظهاره لأهل العالم على اختلاف شعوبهم ومللهم ونحلهم كي يكون لهم ملجأ ومنجى من المهلكات والبوائق التي تهدد أهل العالم بالفناء .
 وأسأل الله تعالى أن يرينا الإسلام كما أرسل ، والقرآن كما أنزل ، ويوفقنا لإزالة الاستار الكشيفة عنه ، لتظهر أنواره المشعة ويخرج الناس به من الظلمات إلى النور ، ولو كره الملحدون والمشركون والغافلون المبعدون .
 وإني منذ رأيتكم في دار المرحوم الشيخ عبد المجيد سليم (رضى الله عنه) ، عند زيارتي للقاهرة ، كنت أجد في نفسى شعورا بأنكم من الذين وفقهم الله لهداية عباده ، وقد ظهرت آثار ذلك . وأسأل الله التمام ، وأشكره على الإحسان والإيناف . وأن يديم حياتكم لإنقاذ الأمة وإزالة النعرات الطائفية وجمع الكلمة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

ه شعبان المبارك ١٣٧٨ هـ .

محمد الخالصي

وانتظار ما سوف تقومون به من الإصلاح الشامل العميم في الأزهر وفي جميع الديار ، ولم أكن بين أولئك الناس ؛ لأنى أرى في شخصكم منزلة تسمو على تلك الأريكة وتعلو . ويجدر أن أبارك للأزهر بكم لا لكم به ، وكنت أشاركهم في انتظار الإصلاحات الشاملة لأقدم إليكم بالشكر ، وتقدير مساعيكم الجميلة ، ومازلت في الانتظار حتى قرطت سمعى إذاعة صوت العرب بدرر منتورة من كلماتكم في توحيد كلمة المسلمين ؛ وإظهاركم الحق باتباع الكتاب والسنة بنفسيهما ، لا بما يقوله الرجال عنهما ، ومن وراء ذلك تمام الكلمة ، وإتلاف الفرقة ، وجمع الشمل ، وتوحيد الصفوف تحت راية التوحيد الخالص ، والإسلام الصحيح المنزه عن شائبة البدع والأوهام ؛ حتى يظهره الله على الدين كله ، ويزيل عن العالم ما حدث من اضطراب في الآراء والأفكار المؤدى إلى البوار والدمار . وهيات أن تقوم للعالم إدارة أو يحصل له استقرار إلا بالإسلام ، ويعغينى عن الاستدلال وبسط المقال عليكم بالحال ، ومن الضروري لنا ولجامعتنا أن نقف على آرائكم في الوصول إلى توحيد كلمة المسلمين ، وإظهار الإسلام بحقيقته مجرداً

الجواب

الروح بينهم جميعاً هو روح الأخوة التي قررها الله تعالى في كتابه الكريم حقيقة ثابتة حيث يقول : « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ، واتقوا الله لعلمكم ترحمون ، » .

إن هذه الآية الكريمة يا سيدي الأخ ترسم للمؤمنين خطة الفلاح لو عملوا بها ، فهي كما لا يخفى عليكم تثبت الأخوة بين المؤمنين لإثبات الحقائق ، ولا توردها مورد الأمر يؤمر به ، وينهى عن التفريط فيه ، كما هو الشأن في مختلف الأوامر والنواهي التشريعية . فينبغي أن يدرك المؤمنون ذلك ، ويعملوا أنهم إخوة وإن باعدت بينهم الأيام ، أو قطعت بينهم السياسة الماسكة ، فتلك حقيقة ثابتة والحقائق لا تمحى ولو طال على نسيانها الأمد ، وهي تدعو بثباتها إلى نفسها وتنتظر من تجافوها أو أغضوا عنها لعارض من عوارض الدهر أن يعودوا إليها .

ثم تعقب الآية الكريمة على هذه الحقيقة بما هو أَلَزَم مقتضياتها من وجوب الإصلاح بين الأخوين إصلاحاً عاماً شاملاً مبنياً على دعائم هذه الأخوة ، منبثقة من عاطفتها القوية ، وتدعو إلى تقوى الله تعالى في ذلك ولا شك أن التقوى تلزم أصحابها بأن يكونوا مخلصين في تحقيق واجب الإصلاح ، عاملين عليه بكل ما يستطيعون من قوة ، فإذا وجدت

حضرة الأخ الجليل صاحب الساحة الأستاذ العلامة المجاهد في سبيل الله الشيخ محمد الخالصي أدام الله توفيقه والنفع به .

سلام الله عليكم ورحمته وعلى جميع إخواننا المؤمنين من تلاميذكم وحواريكم وسائر من تحبون .

أما بعد : فقد تلقيت ببالغ الغبطة كتاب سماحتكم الذي حيتمنى فيه بمناسبة تعييني شيخاً للجامع الأزهر الشريف ، وتفضلتم بإبداء كريم ارتياحكم وعظيم أملككم وخالص دعائكم بأن يحقق الله للأمة الإسلامية ما نحن مشتركون في الحرص عليه ، والدعوة إليه من توحيد الكلمة وتأليف القلوب تحت راية القرآن العظيم والسنة المطهرة .

لقد أعاد إلى كتابكم الكريم ذكرى لقائنا الأول في منزل أستاذنا المغفور له الشيخ عبد المجيد سليم ، وما كان لكم من حديث عذب يفيض إيماناً وغيرة على الإسلام والمسلمين ، وإنكم يومئذ كنتم في جملة إسلامية ودعوة إصلاحية تريدون بها أن تجمعوا المسلمين في طائفتهم العظيمة : السنة والشيعية على ميثاق واحد ، يعرفون أصوله التي هي أصول الإسلام فيتعاهدون عليها ، ويعذر بعضهم بعضاً فيأوراءها على أن يكون

حملوها : أن يكونوا فى العالم أمة داعية إلى الخير ، أمرة بالمعروف ، ناهية عن المنكر وأولئك هم المفلحون ، لا أن يكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم .

وأسأل الله لى ولك وجميع إخواننا المؤمنين أن يجعلنا من عباده المتقين ، حتى نستحق أن نكون أوليائه « إن أولياؤه إلا المتقون » . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

تحريراً فى

٢٠ من شعبان سنة ١٣٧٨ هـ

٢٨ من فبراير سنة ١٩٥٩ م

محمود شلتوت

شيخ الجامع الأزهر

الرغبة فى الإصلاح ، واقترنت بتقوى الله وارتسام أوامره ونواهيه وصراعه المستقيم إخلاصاً فى تحميةها ، وسبيلاً إلى تدعيمها كانت رحمة الله تعالى مرجوة أن تنال المؤمنین فإن رحمة الله قريب من المحسنين .

تلك يا أخى فى الله هى غایتنا ، أما وسيلتنا إليها فبث الدعوة إليها ، عن طريق العلم الخالص المنصف الذى لا يعرف التعصب ولا يرمى إلى الفلج بالمجادلة والمخاصمة ، وتلوين الحقائق بغير ألوانها ، إن من أعز أمانينا أن يتعارف المسلمون ؛ لأنهم إذا تعارفوا تكشفوا ، وإذا تكشفوا اتواصفوا الداء . وبحشوا عن الدواء وما الدواء لو علوا إلا الالتفاف حول كتاب ربهم ، والاهتداء بسنة رسولهم ، والاطلاع على أقوى صورة بالأمانة التى

قال ابن المقفع :

على العاقل ألا يصاحب من الناس إلا إذا فضل فى العلم والأخلاق فيأخذ عنه ، أو موافقاً له على صلاح ذلك فيؤيد ما عنده وإن لم يكن له عليه فضل ، فإن الخصال الصالحة من البر لا تحيا ولا تنمى إلا بالموافقين والمهذبين والمؤيدين : وليس لذى العقل قريب ولا حميم هو أقرب إليه من وافقه على صالح الخصال فزاده وثبته . ولذلك زعم بعض الأولين أن صحبة بليد نشأ مع العلماء أحب إليهم من صحبة لبيب نشأ مع الجهال .

ما يقال عنه المسلمين والعرب

دور من أذوار التاريخ في الكتابة عن الأندلس الإسلامية للأستاذ عباس محمود العقاد

عرض تحليلي لكتاب | الأندلس ، أو أسبانيا في ظل
المسلمين | الذي صدر سنة ١٩٥٨ لمؤلفه الأستاذ | أدوين هول |

القرون الوسطى . فكان القائمون على ثقافة
الغرب يتبعون خطة « الإخفاء والطمس »
لمصادرة العلوم الإسلامية ، ويتمعدون
مطاردتها وإبعادها ، وإن شهدوا بفضلها
واعترفوا بمحاسنها ، لأنها مصدر قوة للإسلام
وآية من آيات « سحره » الذي يجتذب إليه
قلوب المتعلمين من غير المسلمين .

ومضت القرون الوسطى ببقاياها فجاء
بعدها عصر الكشف والتنقيب عن المجهولات
في كل باب من أبواب المعرفة الإنسانية ،
فانكشفت في هذا العصر مفاخر الحضارة
الإسلامية في الشرق والغرب ، وكان للحضارة
الأندلسية نصيبها الأوفر من عناية القوم
لاتصالها بمواطنهم في صميم القارة الأوروبية ،
وهنا تفرقت مواقف المؤرخين والنقاد من
الغربيين مع تفرق المقاصد والمصالح أو تفرق
النظرات والآراء :

أعجب من زوال دولة الإسلام في الأندلس
بقاء آثارها سارية حتى اليوم في كل ناحية من
نواحي الحضارة الأوروبية ، ويكفي أن نذكر
من آثارها قيام دعوة الإنسانيين منذ القرن
الثاني عشر للبلاد ، ثم قيام دعوة النهضة
ودعوة الإصلاح الديني وما يليها من الثورات
الاجتماعية والسياسية ، لنعلم بعد هذا الإجمال
السريع أن آثار الإسلام في الأندلس قد
أحاطت بأصول كل حركة من حركات الثقافة
الغربية الحديثة .

وقد كان للمؤرخين الأوروبيين مواقف
مختلفة ، متناقضة ، في تقدير تلك الآثار
بين الإنكار والاعتراف ، وبين التهوين
والإكبار .

كان موقف العداء والمحاربة أسبق تلك
المواقف في عصر « التعصب الديني » من بقايا

ورغبات القراء ويجرون مع العصر في مجراه
الغالب عليه ؛ وهو « النزعة العالمية » التي تؤثر
الاطلاع على شئون العالم قديمها وحديثها
وتتوسع في طلب الأخبار والمعلومات من جميع
المصادر والجهات .

فالذين يكتبون اليوم عن الأندلس
الإسلامية يجمعون بين النزعة العالمية ونزعة
« الهوى الشخصية » ، ولا ينسون مطالب
النشر التي تتحرى ميول القراء ولا تقوم
على التوجيه والإملاء من جانب الدول ،
أو جانب الهيئات التي تشبهها في اصطناع
الدعاية .

من أحدث المؤلفات التي ظهرت في هذا
الدور - سنة ١٩٥٨ م - كتاب « الأندلس
أو أسبانيا في ظل المسلمين » لمؤلفه الأستاذ
أدوين هول Edwin Hole المستشرق
المعروف .

عمل هذا المؤلف بمصر وسوريا وتركيا
والبلقان ، ثم اغتنم فرصة العمل في وكالة
« ملقة » القنصلية فعكف على دراسة الحضارة
الأندلسية من قريب وقضى في هذه الدراسة
زهاء خمس سنوات ، خرج منها بهذا الكتاب
الموجز الذي يقع في نحو مائتي صفحة
ويشتمل على أحدث الأقوال والآراء
في تاريخ هذه الحضارة ، وجملة ما يقال

فمنهم من كان ينظر إلى موضوعه من خلال
النزاع بين الكنيسة والمنشقين عليها فينتصر
لمن حرمتهم الكنيسة واضطهدتهم ، وفي
مقدمتهم أحرار الفكر المتأثرون بالثقافة
الإسلامية ، ولا بد - مع الدفاع عن هؤلاء -
من الدفاع عن فلاسفة الإسلام وعلماؤه وقادة
الفكر والمعرفة في بلاده .

ومنهم من كان ينظر إلى هذا الموضوع
التاريخي من خلال النزاع على حقوق السلطة
القائمة فيتخذ من المواقف ما يناسب هواه :
إن كان من أعوان السلطة فهو من المحافظين
الجامدين ، وإن كان من أعوان الحرية فهو
في الجانب المقابل للحفاظة والجمود .

ومنهم من كان يعمل لحساب الاستعمار
السياسي فهو ينكر فضائل الإسلام أو يشهد
لها الشهادة التي تقف عند حدود الماضي
ولا تتمعدها إلى الحاضر الذي غلبت فيه
سيادة المستعمرين . فلا حرج عنده
من الشهادة للإسلام بالعظمة التي صلحت
في زمانها لتعظيم قومها ، ولكنها ذهبت
مع زمانها فهي الآن في خبر كان .

منذ الحرب العالمية الثانية تغيرت هذه
المواقف جميعا وخلقتها مواقف أخرى أقرب
إلى الإنصاف والاستقلال النظري ؛ لأنها
تصدر عن بواعث « عامة » يقل فيها التوجيه
والإملاء ويستلهم أصحابها مطالب النشر

« الكتاب » أعز الهدايا التي يخطب بها ود الخليفة بين ملوك القارة وأمرائها ، وكانت السفارة الناجحة في بلاط قرطبة سفارة الملك الذي يزود رسوله بتحفة من تحف العلم والحكمة ويقول المؤلف في سياق كلامه عن الكتب : « إن الرغبة في المعرفة كانت مستفيضة لحدود لها . وقد حدث أن الامبراطور البيزنطي أرسل إلى عبد الرحمن الثالث كتاب : « ديو سترميدس » في العقاقير . . . فعهد إلى جامعة الطب بترجمته وحل رموزه ، وكان الحكم ابن عبد الرحمن نفسه من كبار العلماء يشترك في البحث ويبعث بالوفود إلى أطراف البلاد لشراء المخطوطات ودعوة العلماء إلى بلاطه حيث يعاملون معاملة السخاء والحفاوة . فأصبحت أسبانيا قطبا قويا يجذب أساطين العلم من كل مكان . »

وظل الكتاب في المغرب الإسلامي ذخيرة مضموناً بها على الضياع حتى في أيام الإذبار والأفول بعد زوال الدولة في شبه الجزيرة الأندلسية . فلما استولى الإفرنج على سفينة محملة بالكتب والأمتعة لمولاي زيدان المراكشي في القرن السابع عشر ، أرسل الأمير يطلب الكتب ولم يحفل بما عداها من حوالة السفينة ، ويقول المؤلف إن المسألة أحييت على محكمة التفتيش وأرادت هذه المحكمة أن تبدى بعض السماحة في جوابها على الأمير

عن أقواله وآرائه أن الرجل أنصف حضارة الأندلس الإسلامية فيما فهمه وتأقن له أن يحكم عليه ، ولكن جهل منها بعض جوانبها - ولا سيما جانب الشعر والأدب - فأحال فيه التبعة على غيره وبلغ بذلك غاية ما يستطيعه جاهل الشيء من إنصافه وتقديره .

يكاد المؤلف أن يقول عن جانب الثقافة من حضارة الإسلام في الأندلس أن الدولة الإسلامية قد صنعت الخوارق في ترقية العقول والأذواق ، وإن ولاية الأمر فيها كانوا يعدون عدو الجياد حيث سار اللاحقون بهم في خطوهم الهزيل ، فيتعبرون وهم يدرجون .

ففي كلمة « الكتاب » تلخص المعجزة التي صنعتها الدولة الإسلامية في القارة الأوروبية . قال المؤلف عن مكتبة الخليفة « الحكم » إن عدد كتبها ومجاميعها قدر بنحو أربعمئة ألف كتاب ومجموعة . وقد حاول الملك الفرنسي شارل الملقب بالحكيم بعد الحكم بأربعة قرون أن ينشئ مكتبة فلم يستطع أن يجمع فيها أكثر من تسعمائة كتاب ، ستائة منها تبحث في اللاهوت .

وقد تجاوزت آفاق القارة الأوروبية من مشرقها إلى مغربها بسمعة الخلفاء المسلمين في طلب العلم والتحصيل والحرص على اقتناء الكتب النفيسة والمدونات النادرة ، فكان

المعاشرة الطيبة في البيئة الإسلامية وغيرها من البعثات الأوربية ، ولعل السياسة التي اشتغل بها المؤلف في مهام القناصل والرسول المحسنين الذين يتولون أعمالهم بين الأعداء والأصدقاء في أيام الحروب والقلق هي التي اتجهت به إلى البحث عن نصيب « الأندلسي المشفق » من مهام « الدبلوماسية » في تلك العصور المحفوفة بالظلمات والأخطار .

نقل المؤلف عن مخطوطة وجدت بمدينة فاس مما اطلع عليه المستشرق ليفي بروفنسال أخبار أول سفارة تبودلت بين الإمبراطور البيزنطي تيوفيلوس والخليفة عبد الرحمن الثاني فقال في فصل العلاقات الخارجية :

« أراد تيوفيلوس أن يثير حفيظة عبد الرحمن الثاني فذكره بذبح العباسيين لآبائه وأحب أن يرضيه بالزراية من خلفاء بغداد فلم يسمهم بالأسماء التي اشتهروا بها كالمؤمن والمعتصم بل نسبهم إلى أمهاتهم من جوارى القصور ... ولكن الزناد لم ينقدح لأن آباء عبد الرحمن نفسه لم يكونوا ممن ينكرون التمرى بالإمام ، فأجابه جواباً مفزعاً في قالب المجاملة مع التحفظ والاحتجاج ، وكل أمر السفارة إلى الشاعر النابه يحيى ابن الحكم البكري الذي كان لرشاقته وجماله يلقب بالغزال .. » .

قال المؤلف : « وقبول الوفد في القسطنطينية

المغربى ، فقررت أن ترد إليه كتب العلم والجغرافية وما إليها ، وأن تحجز الكتب الدينية التي قد تعزز سطوة الإسلام ، ورفع الأمر إلى مجلس الوزراء فرفض أكثر أعضائه اقتراح محكمة التفتيش ، وأشاروا بإحراق الكتب العلمية والدينية على السواء ، وتوسط النقيب المستشار المركزى فيلادا De Velada عند الملك لإنقاذ هذه الذخيرة ، فأمر الملك بحبسها وإغلاق الأبواب عليها في مكان حصين ، ويفيض المؤلف في استقصاء أخبار المكتبة الأندلسية من مصادرها ، ولكنه يعنى في شرحه لآثارها وتعاليمها بجانب يقل المعنيون به من المؤرخين الغربيين ، فلا يدع القارىء يفهم من الإفاضة في ذكر الكتب والمطالعين عليها أن المدرسة الأندلسية مدرسة معقولات ومحفوظات ، قصارها أن تخرج الفقهاء والحكماء وتحشوا أذهانهم بمسائل العلم والآداب أو بمسائل الطب والهندسة وصناعات المرافق النافعة ، ولا يدع القارىء يفهم أن المقبلين على المطالعة في إبان الدولة كانوا من تلك الزمرة التي يطلق عليها الأوربيون اسم « ديدان الأوراق » بل المفهوم من نواذر الكتاب وطرائفه أن الاطلاع على تلك الأوراق قد كان زاداً من أزواد المعيشة الصالحة ، والحياة الإنسانية : حياة الحس والعاطفة وحياة السلوك الملهب ، والسياسة العملية وما توحىه من آداب

الغزال أن تسمح له برؤية الحسان من خواتين المملكة ، فجعل ينظر إليهن من الفروع إلى الأقدام ، ثم قال ليلتي بحكمه المنتظر : لهن في الحق لجماليات ، ولكن لا وجه للمقارنة بينهن وبين المملكة التي تتزده محاسنها وشمائلها عن النظيرات ولا يحسن وصفها غير المجيدين من الشعراء ، وعرض عليها أن ينظم هذا الوصف في قصيد من شعره يتغنى به الأندلسيون ، فوثبت الملكة فرحا ومنحته هدية نفيسة من حلاها ، فأبى أن يأخذها وقال : إنها على نفاسها وعلى اعتزازه بما تمنحه الملكة من هدية كائنة ما كانت ، بحسب أنها قد وفته فوق حقه من النعمة ، ومنحته غاية ما في الوسع أن تمنحه بسماحها له أن يتعمق النظر إلى طلعتها ، وأنها إن شامت أن تضاعف له العطاء فحسبها أن تزيده حظا من النظر إليها . ولم تكن الملكة تنتظر ما هو أحب إليها من ذلك ، فلم تزل تدعوه إلى مجلسها كل يوم لتسأله عن مشاهداته ورحلاته وما وعاه من التواريخ والقصص ، ثم تبعث إليه بعد انصرافه بالتحف الثمينة من الأنسجة والعطور . . . »

* * *

وليس في كتابه « الأندلس في ظل الإسلام » غير القليل مما لم يرد في المطولات من أخبار الترف والبذخ وظواهر الرغد والرخاء التي اشتهر بها ذلك الفردوس المفقود ، ولكن

بالخفاوة الملكية ، ولكن الإمبراطور أضرى في نيته أن يضطر الغزال إلى الانحناء بين يديه على الرغم مما هو معلوم من تعذر ذلك . فأمر بفتح باب صغير في غرفة العرش لا يدخله القادم قائما . فلما أقبل الغزال جلس عند الباب وتقدم زاحفا حتى بلغ ساحة العرش فنهض على قدميه ، وكان الإمبراطور قد أحاط نفسه بعرض حافل بالأسلحة والنفائس يريد أن يروع السفير ويهوله ، ولكنه لم يروع ولم يستهول ما رآه بل معنى على أثر وقوفه في إلقاء رسالته وسلم الإمبراطور خطاب مولاه وودائع التحف والهدايا من المصوغات والآنية الفاخرة ، فكان لها أجمل الوقع في نفس الإمبراطور وكففت للوفد الأندلسي طيب المقام وحسن الخدمة ، واهتم السفير اهتمامه الخاص بأهل البلد فخير علماءهم بالمشكلات الفكرية والمناقشات الذكية ، وكال الضربات الموفقة لقادتهم وفرسانهم ، وشاع خبره حتى انتهى إلى مسامع الملكة فأرسلت تستدعيه إلى حضرتها ومثل أمامها فسلم منحنيا وأمعن النظر إليها كالمشده ، فأمرت الترجمان أن يسأله : أترأه يعين النظر إليها لجمالها أو لغرابة مرآها ؟ فكان جوابه الحاضر : أنه قد رأى الحسان حافات بمليكه فلم ير منهن من تضارعها في جمالها ، ودار الحديث بعد ذلك على هذه النعمة المحبوبة ، واستجابت الملكة لرجاء

عنها ، وهو بلاغتها الشعرية الشائقة : بلاغة
الموشحات والألحان .

يقول صاحب الكتاب في الفصل الذى
خصصه للكلام على الشعر الأندلسى :

« إن أكثر هذه المنظومات مما لا يطيقه العقل
الغربى ، وهو رأى يصرح به الخبراء بتلك
المنظومات . ولا نعرف من هو أحق بالحكم
عليها من جارسيا جوميز garcia gomez
الذى يجمع بين الأستاذية فى العلم والذوق
المرهف لفهم القريض ، وهو يقول فى فصل
عقده للكلام على ابن قزمان أحد الشعراء
المتأخرين : إن الصناعة اللفظية هى موضع
العناية الكبرى فى الأدب العربى ، بين نثر
مقيد بالأسجاع وبين ألوان من المجازات
والأشباه والطلاوات واللوازم ، تعوزها
الحرارة والشعور ، وكأنما هى كلها عرض من

العروض المقنعة بالبراقع ، حيث البسمات لآلى*
والعيون أزهار بنفسجيات والرياحين جواهر
والجداول*سيوف . وأن القارى* ليجتهد
اجتهاده بين ترجمات بير Peres أو شاك
Schack فينوء ذهنه بما يطبق عليه من النسق
المتفق المتواتر ! خصور كالأغصان تنبثق من
آكام الرمال ، أو شاعر يشبه نفسه بالطير
الذى أثبل ندى الممدوح جناحيه فأعياه أن
يطير ، أو برق يومض بين الغمام كأنه ضرام
العشق فى قلب الشاعر يتوهج من خلل دموعه ،

هذا الكتاب الحديث يورد أنباء البذخ
والترف ، ويتخللها هنا وهناك بنادرة أو عبرة
تم على إدراك لمعنى الحياة ، موكل بالصفو
الرفيع من لذات الروح وأشواق العاطفة
الإنسانية ، يتفقدده الأندلسى المثقف
ولو خلصت له متعة الجاه والثراء ، ومسرة الملك
والسلطنة . . . فكان عبد الرحمن الناصر
« يقيم نفسه مقام الحكم المطاع بين ملوك
المسيحية ، ويستقبل فى عزته وعليائه وفودهم
المتنازعة ، كما يستقبل الملوك أنفسهم أحيانا
وقد حنوا أعناقهم العصية لمراسم الاستقبال
فى بلاط الخلافة . ولكنهم وجدوا بين
أوراقه بعد وفاته أنه لا يذكر من أيام حكمه
الطويل - نحو خمسين سنة - غير أربعة عشر
يوما يعدهما من أيام الصفو التى لا تشوبها
سجاسة » .

* * *

كانت حضارة متاع ونعمة ، وكانت حضارة
عقل وفهم وعاطفة .

كانت حضارة « إنسانية » كاملة ، تلك
الحضارة التى وصفها صاحب كتاب « الأندلس
فى ظل الإسلام » متوخيا لها الإنصاف غاية
ما يستطيعه الكاتب الأوروبى المعتز بحضارته
العصرية فى القرن العشرين .

أما الذى فاتته أن ينصفه من تلك الحضارة
فهو الذى فاتته أن يفهمه من خيرة المسأثورات

لهذا الشعر ولا يحاول أن يرجع بالعجب إلى نفسه قبل أن يتهم أمة كاملة بضلال الحس وسوء التعبير ، وهي - فما يعلم - من الأمم التي تفخر بلسانها وتنكر العجمة من ألفاظها ومعانيها .

ولقد كان من أقرب التفسيرات إلينا أن نرجع بأخطاء المستشرقين في فهم الشعر العربي إلى الفارق الأبدي والمزعوم ، بين أذواق الشعراء في لغاتهم على تباينها ، وكنا نستقرب ذلك التفسير لولا أننا نعلم أن قراءنا يتذوقون شعرهم كما يتذوقون شعرنا ، وأن الفوارق الكلامية لا تحول دون ظهور المعاني الإنسانية لمن يلمسها في مواطنها ويتجرى أن يزنها بموازينها وأن ينفذ إلى مواطنها . فليس بين الأذواق الإنسانية من فاصل في تمييز فنون البلاغة الخالدة ، وإنما هو الفاصل بين « الحفظ » والذوق يحول دون الفهم الصحيح في اللغة الواحدة فضلا عن اللغات المتعددة ، وهذا هو الفاصل بين المستشرقين « الحفاظ » وبين محاسن الشعر العربي في ظواهره وخفائيه .

على أن العذر مهاد لمن لا يستحسن ؛ لأنه يجهل ولا يدعى أنه يعلم ، وإنما اللوم على من يسعى النية قبل أن يسعى الفهم ، فلا يرجى منه إنصاف .

عباس محمود العقاد

ونصفها - أو أكثر من نصفها - قوالب منقولة يحكيها النظامون من وحى الذاكرة . » وهذا الخطأ الذريع في الحكم على الشعر العربي شائع غالب على أقوال المستشرقين ، نفهمه ولا نرى صعوبة في فهمه إذا ذكرنا أن الغالب على هؤلاء المستشرقين أنهم من زمرة الحفاظ يشتغلون بجانب « الحفظ » من الأدب ولا يشتغلون بلباب الأدب في لغاتهم ولا في لغات غيرهم من المشاركة أو المغاربة . فهم لا يحسنون الحكم على شاعر من أبناء جلدتهم وأحرى بهم ألا يحسنوا الحكم على الشعراء من أبناء اللغات التي تخالف لغاتهم في تراكيبها ومصطلحاتها ، ومن أبناء الأمم التي تخالف أهمهم في أمرجتها وعاداتها ، وقد ينظر الكثيرون منهم إلى القصيدة الرائعة فيقفون عند مجازاتها ويشعرون « بالربكة » التي يشعر بها عندنا من يقول مثلا : هات الاسطوانة ! فيحضر له السامع قرصا من أقراص الغناء المسجل ، فيختلط عليه الأمر بين ما توقعه من لفظ الكلمة وما رآه بعد ذلك من حقيقة المسمى .

وكذلك يشعر المستشرق بالربكة حين يتوقف بذهنه عند مجازات التشبيه فيحسبها مقصودة لذاتها ويتعبد بقشورها اللفظية دون ثمراتها وبذورها ، فلا يدري كيف يطرب العربي

يَا رَسُولَ اللَّهِ

أَنْتَ أَنْتَ

لِلْأُسْتَاذِ مُحَمَّدٍ عَلَى الْجُومَانِي

وتعالى مهيمنا يتلقى
حكمة الكون من أبي الأكوان
ثم أهوى يرق هذى الأناسي
حديث الملائك الرباني
فإذا فوق كل نهد من الأرض
جلال من روعة القرآن
أنت أنطقت هذه المقل الخر
س بما شئت من فنون البيان
فعيون من البصائر يجتز
ن إلى الحق ضلة الأوثان
وعيون من الضمائر تجتاز
إلى الروح عصمة الأبدان
وعيون من السماء يهمن
فيكلاّن دفعة الربان
وعيون من الثرى يتفجر
ن ، ففي كل جنة عينان
تستمدان من معين أبي القا
سم رى المسدله الظمآن
أنت آمنت يوم كانت محاريب
« يهوذا » صفرا من الإيمان

أيهذا الباني وعيت فأحكمت
بناء الأذان في الآذان
إذ تحسست من وجودك حتى
جلت في كنهه بغير كيان
وتغلغلت في النواميس حتى
دان منها لوعيك الخافقان
أنت أسست دولة الفكر فاعتز
بك العلم شاخ البنيان
ومشت حولك الملائك يملو
ن على الدهر سورة الإنسان
وتعالى هتافهم بالتسايع
عذارى النشيد والألحان

أنت غذيت كرمه الفن فاهتز
ت دواليه غضة الأفنان
وترامت منها عناقيد زهراء
المجاني بدبعة الألوان
كساعب طائر الفكر منها
جنحته قوادم العقبان

فتنادت عوالم الأرض لبي
ك وثابوا إليك بالإذعان
وتداعى لديك إيوان كسرى
وهوى عنه صاحب الإيوان
بم كنت المؤمل الفرد فى الخا
ق وكنت الميمى الروحانى؟؟
أسوى أن بين جنبيك عين
ين يرى الكون بعض ماتريان
تبصران الحياة أبهاء كسرى
تسداعى على يدى سلمان؟؟

أنت آثرت أن تقيم على الفقر
دعاه الرقى والعمران
فلبست الأيام لم تزه بالمع
طف من خزها ولا الطيلسان
ولست الحصى فتاه على الدر
وأزرى بروعة المرجان
وآثرت الهيجاء تعصف بالفرد
س وتحتاج هيكى الرومان
فترامى إليك بالنصر من بيدها
ته كل جائع عريان
فإذا أنت بالجياح تدك الأ
رض من قيصر إلى ساسان
ولذا بالتراث تحت «أبى ذر»
مدلا على «أبى سفيان»

محمد على الحوماني

فبعثت الإسلام مخضوضرالوا
دى نقى الجيوب والأردان
وترامى إليك من كل فج
كل ظمأى قريحه الأجفان
فأغثت النفوس حتى روت وا
ردها جنسة بلا رضوان
ومسحت الجفون حتى رأت خا
لقها مقالة بلا إنسان
فإذا أنت قائل بالغ الحجة
فى قوله بغير لسان

أنت يا واضع الموازين بالقس
ط لنا أنت سر كل اتزان
علبتنا صراحة فيك أن نص
لمح بين الضمير والإعلان
علبتنا أن السياسة قلب
ولسان صنوان متحدان
إن من جرد السياسة فى النا
س عن الدين لج فى البهتان
إن زعم الغبى : لادين للسا
نس فينا ضرب من الهذيان
أبى تقص فى ساسة المثل العليا
بما يشرعون من أديان؟؟

أنت جاهرت بالحقيقة ، والبأ
غى على الحق ثائر البركان

مَائِقَالُ عَنِ الْإِسْلَامِ

الاسلام و نفسية المسلم

Islam And The psychology of The musulman

تأليف

andre Servier

أندريه سرفيه

٢٧١٠ صفحة من الحجم المتوسط

عرض له وتعليق عليه

للدكتور أحمد فؤاد الأهواني

من ٣٥٠ مليون مسلم من أتباع الرسول
ويوافقه لويس برنارد ، كاتب المقدمة ، على
هذا الرأي ، إذ يقول : إن الغرض من الكتاب
« خدمة قضية فرنسا في شمال إفريقيا » .
ويضيف بعد ذلك لويس برنارد : « أن الشيء
الوحيد الذي أبدعه العرب هو دينهم وهذا
الدين هو العقبة الرئيسية بينهم وبيننا . وفي
سبيل حسن التفاهم مع رعايانا المسلمين ،
ينبغي علينا أن نتجنب بكياسة أى شيء قد
يؤدى إلى تقوية عصبيتهم الدينية

بمعنى آخر ، وبلغه أكثر صراحة ، إن
الطريق لخدمة الاستعمار الفرنسى في شمال إفريقيا
هو هدم الإسلام الذى يقف عقبة في سبيل

صدر الكتاب فى عام ١٩٢٢ ، وظهرت
الترجمة الإنجليزية عام ١٩٢٤ ، وهذه
الترجمة الإنجليزية هى التى نرجع إليها فى
عرض الكتاب . وصدرت الترجمة الإنجليزية
بمقدمة قصيرة من قلم لويس برنارد lowis
Bernard . ويقع الكتاب فى ستة عشر فصلا .

* * *

الغرض الذى يهدف إليه المؤلف قد صرح
به فى الفصل الأول ، حيث يقول إن فرنسا
دولة إسلامية كبيرة Muhammadan power
حيث إنها تحكم أكثر من عشرين مليوناً من
المسلمين ، غير أن هذه الملايين العشرين
متحدون بتضامنهم الدينى مع كتلة متينة مكونة

تحقيق أغراض المستعمرين . وليس هذا خسب بل إنه يقف عقبة في سبيل الاستعمار الأوربي على جميع الشعوب الإسلامية .

ومن أجل ذلك شرع المؤلف يبحث في الأسباب التي تجعل المسلمين متماسكين فيما بينهم وتدفع بهم إلى مكافحة الاستعمار . ورأى أن البحث المجدى ينبغي أن ينصرف إلى تحليل نفسية المسلم .

فالإسلام دين وأمة Country وإذا كانت الأمة الإسلامية لم تغلح في تهديد الإنسانية حتى الآن ، فذلك يرجع إلى سقوطه في هاوية من التأخر والانحلال يجعلها من المستحيل أن تناضل قوى العلم وتقدمه في العالم الغربي (ص ٢) .

وعلى الرغم من جمود الإسلام ، فإن قبضته القوية على عقول المسلمين أدت إلى الشلل العقلي الذي يصاب به المسلمون ، وإلى انحطاط عقليتهم . ومع ذلك فلا يزال الإسلام مؤثرا في العالم والدليل على ذلك إسلام ملايين كثيرة أخيرا في الصين والتركستان والملايو وإفريقية . ولكن القساوسة يقاومون هذا التيار في إفريقية بنجاح .

من أجل ذلك يجب دراسة الإسلام دراسة بصيرة ، لا لوضع سياسة تواجه المسلمين في المستعمرات الإفريقية فقط ، بل في جميع أنحاء العالم الإسلامي . وذلك بمعركة عقلية

المسلم ونفسيته . فالمسلم ليس شخصا منعزلا يقف عند حدود الأرض التي يعيش فوقها ، إذ أن المسلمين هم أولا مواطنون مسلمون ، وينتمون أخلاقيا ودينيا وفكريا إلى العالم الإسلامي ، وعاصمته مكة وحاكمه - نظريا - أمير المؤمنين . (ص ٣) .

لقد نسجت هذه العقلية على مر الزمن ، وصيغت ، في المذهب الديني للرسول . ولما كان هذا المذهب ليس شيئا آخر سوى إفراز للعقل العربي Secretion of the Arab Brain فينبغي دراسة التاريخ العربي لفهم العالم الإسلامي .

والعرب أعداء الحضارة . وما اكتسبوه في ظل الأمويين والعباسيين إنما يرجع إلى نقل علوم اليونان والرومان ، وبفضل المواطنين غير العرب الذين كانوا يعيشون في ظل الإسلام ، أو دخلوا الإسلام حديثا ، ولقد فقد السوريون والمصريون والبربر بعد إسلامهم ما كان لهم من نشاط وذكاء تحت حكم الإغريق والرومان (ص ٥) .

فكيف فقد العرب أنفسهم - وهم الذين علموا الغرب في العصر الوسيط العلم والفلسفة - كل ما كان لهم من بريق ، وانزوا في غياهبات الجهل ؟

الجواب عن ذلك هو نفسية المسلم ، والدين الذي يعتنقه ، مما أصابه بالشلل والجمود ،

الفلسفية العالية ، فقد مزق وقطع كل شيء .
وهذا الأثر المخرب هو الذى يفسر انحطاط
الأمم الإسلامية ، وعجزهم عن الانفصال
من البربرية . وهو يفسر كذلك الصعوبات
التي يواجهها الفرنسيون في شمال إفريقيا .

* * *

في هذا الفصل الأول بيان واضح لخطئة
الكتاب ، وليست فصوله التالية إلا تدليلا
على هذه القواعد العامة التي بسطها المؤلف ،
والتي نجملها فيما يأتي :

- ١ — حاجة الاستعمار إلى فهم نفسية
المسلمين للتغلب عليهم .
- ٢ — تماسك المسلمين جميعا برابطة
الإسلام .
- ٣ — الإسلام إفراز لعقلية العرب .
- ٤ — عقلية العرب فقيرة ، لآخيا لها
ولا ابتكار ، ولا حضارة .
- ٥ — لا فضل للعرب وللمسلمين على
الحضارة مطلقا .
- ٦ — ينبغي محاربة الإسلام وهدمه
ليتسنى التغلب على الشعوب الإسلامية وحكمها
بعد ذلك بسهولة .

* * *

الفصل الثاني عرض لعقلية العرب ونفسياتهم ،
وأهم صورة للصحراء التي نشأوا فيها . ونزع
عن العرب كل فضيلة ، ونسب اليهم كل رذيلة .

حيث كان هذا الدين يسيطر على كل شيء
في الحياة .

ومع ذلك فكل ما نقل عن العرب في العصر
الوسيظ ، لم يكن إلا ترجمة كتبت بحروف
عربية لفلسفة اليونان الإسكندرانية . وبعد
فليس هناك حضارة عربية ، وإنما هناك
حضارة يونانية ، أو رومانية . أما فتوحات
العرب وانتصاراتهم الباهرة ، فلا تدل على
شيء ، كما لا يدل انتصار المغول تحت راية
جنكيز خان .

ثم إن العربي لا خيال له ، بل هو محدود
بما يراه بحواسه ويحفظه بذاكرته ، فهو عاجز
عن تصور ما وراء الحس . (ص ١١)

والدين الإسلامى نفسه ليس مذهبا أصيلا
فهو جمع وتلفيق من التقاليد اليونانية
والرومانية والتعاليم المسيحية . وعند ما تمثل
العربي هذه المادة المختلفة المتباينة ، نزع عقله
عنها كل ما فيها من حلية شعرية ، ولم يستطع
فهم ما فيها من رمزية وفلسفة ، ثم أخرج منها
مذهبا دينيا باردا ، جامدا كأنه نظرية هندسية ،
وهي : الله والرسول ، والإنسانية (ص ١٢) .

« والخلاصة (ص ١٣) لقد نقل العرب
عن الأمم الأخرى كل شيء : الأدب والفن ،
والعلم ، بل الأفكار الدينية . ولقد مرت
هذه الثقافات كلها من خلال عقله الضيق ، ولما
كان عاجزا عن السمو إلى منزلة التصورات

وما بساطة الإسلام إلا انعكاس لعقلية العرب ، على حين أن عقائده مستمدة من الأديان الأخرى : فالوحدانية من الصابئة ، وكذلك الصلاة والصوم في رمضان .

ولسنا ندرى كيف يجمل المؤلف أن الصابئة كانوا يعبدون السكواكب إلى جانب قولهم بإله واحد . ولكنه التعصب الأعمى ضد الإسلام مما جعله يزيّف التاريخ .

وهنا نصل إلى نهاية ما يمكن أن يبلغه الحقد على صاحب الرسالة ، حين يقول إن محمداً كان بدوياً من مكة ، ولكنه بدوى منحل .

Mobamet was a Bedowin of mecca' But a debenerate Bedowin. ص ٤٣ . كان يبكي كالنساء ، وكان عصبياً وكان فقيراً معدماً « اضطر إلى الاشتغال برعى الغنم ، فلما شعر بحطة هذه المهنة قبل أن يكون مساعداً لتاجر اقشعة يسمى « سائب » (١) » Sapi و ساقط الصدف سائب ومساعدته الجديد إلى « حياشا (٢) Hayacha وهى سوق هامة في جنوب مكة حيث تعرف محمد بنجديجة التي كانت تتاجر في القوافل . فدخل خدمتها ، أولاً كسائق جمل ، ثم كمدير ، ثم « كشريك » ص ٤٦ .

وقد سقنا هذه العبارة بتمامها لنبين جهل المؤلف بالتاريخ ، أو تزييفه له إن كان على

فهم محبون للسلب والنهب ، وسفك الدماء . ونسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم قوله لأحد أسرى بدر ، حين أمر بقتله وطلب الأسير منه الرحمة « أحمد الله أنه متع عيني برؤية قتلك » . فلما سأله الأسير ومن يرمى أولادى من بعدى ، أجابه الرسول « فليذهبوا إلى النار (ص ٢١) » .

والحديث واضح الضعف ، وهو من تشنيعات المستشرقين للطعن في الرسول ، والطعن في الإسلام (١) .

ولأنود أن نشير إلى طعن المؤلف على الرسول الكريم من جهة تعدد الزوجات ، واللهفة على النساء ، فهو كلام معروف من المستشرقين . يقول المؤلف إن النبي وهو في الثالثة والخسين وقع في غرام عائشة ، وهى فتاة صغيرة في الثامنة من عمرها « ص ٢٥ . وتعرض المؤلف كذلك لزواجه من زينب ، ليثبت أن العرب جميعاً يحبون الانهماك في اللذات الجنسية ، وأن هذه الصفة من صفاتهم الأصلية المنافية للحضارة .

ومن صفات العرب انعدام الخيال والبساطة

١١ | هو عقبة بن أبى معيط ، وكان من جيران النبي في مكة ، وكان من نفر الذين يؤذون النبي وهو في بيته يصلى ، ولم يسلم قط ، حتى بعد أسره . في السيرة لابن هشام ، عن ابن اسحاق « فقال عقبة حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله . فن للصبية يا محمد ؟ قال أنار - السيرة - ص ٢٨٨ .

١ | لعله يريد عمار بن ياسر .

٢ | لعله يريد الحزورة .

الحالى من الخيال أن يتمثله من العقائد المسيحية . ص ٦١ .

ولم يهتم محمد بالأخلاق ، بل كان اهتمامه الأول بالسياسة ، فقد كان رئيس حزب يكافح لغرض سلطانه ، واعتمد فى الوصول إلى أغراضه على القوة Force ص ٦٤ .

ولما كان المؤلف يكرر الفكرة ويعيدها خلال الكتاب ، فقد نسي أو تناسى أن الإسلام لم يكن الذى انتشر أولاً بقوة السلاح ، بل بالدعوة والإقناع . جاء فى القرآن الكريم .

« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » وقال تعالى : « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي » . ونسى أن انتشار الإسلام فى أمم

كثيرة ، حتى فى الوقت الحاضر ، لم يعتمد أبداً على السيف ، مثل إسلام أندونيسيا والصين ، وكثيرين من أهل إفريقيا ؛ وذلك لأن

الإسلام هو دين الحق ، وهو أكثر الأديان موافقة للعقل ، وأكثرها دعوة إلى الفضيلة

والعدل والأخلاق الكريمة . وهل يمكن أن يدوم الإسلام هذه القرون الطويلة لو لا أنه

يدعو إلى تهذيب الأخلاق ، والسمو بالفرد . وهذا خلاف ما يقوله المؤلف : « ليس

الإسلام فى ذاته مذهبا يدعو إلى تكميل الفرد ، وإنما هو مذهب يدعو إلى الانضمام مع

أولئك الذين يعترفون بمحمد على أنه رسول الله » ص ٦٥ ، وبذلك نزع عن الإسلام

كل فضل .

علم به ، ثم محاولته الطعن فى شخصية الرسول واتهامه إياه بالوصولية ، ونفى صفة النبوة عنه ، وصفة « الرجولة » ، وكل ذلك لتحويل أنظار

المسلمين عنه . ونحن نعلم صبر الرسول على أذى المشركين ، ومشاركته فى الغزوات ، وشجاعته غير أن المؤلف يقول عنه إنه كان

« يتهاوى فى ساحة القتال ، وإن بعض العرب رآه يبكى كالنساء . وجملة القول إن قريشا كانت

تنظر إليه على أنه شخص أدنى منهم » ص ٤٧ ،

They looked upon him as an inferior being

أما نزول الوحى ، فالمؤلف يرجعه إلى أحلام محمد وأوهامه وخيالاته وإلى مزاجه

العصبى وإلى النوبات التى تصيب فى الغالب أهل المناطق الحارة ، وإلى حالة من التهويم ، حين

يكون الإنسان بين النوم واليقظة half-sleep

تفضى به إلى الأحلام وإلى رؤية الرؤى .

ص ٤٩ .

ومن البدهى وقد طعن المؤلف فى محمد ، أن يمتد طعنه إلى القرآن ، وإلى الإسلام .

وقد سبق أن ذكر ذلك إجمالاً ، وفى الفصل الخامس يذكره تفصيلاً . « فالإسلام هو المسيحية

وقد اصطنعتها العقلية العربية ، أو بوجه أكثر دقة ، هو كل ما استطاع عقل « البدوى »

(يريد الرسول عليه الصلاة والسلام)

لا إلى الأسباب التي توهمها المؤلف بل إلى صدق العقيدة الإسلامية وتهذيبها للنفس وتصفيها لها . أما الأمر الثاني ، فيخالف كل ما عرفه التاريخ عن المسلمين ، فإن روح الاستشهاد Martyredom في سبيل الإسلام ، هي العلة الحقيقية في انتشاره وبخاصة في الصدر الأول . يريد المؤلف أن يرمي المسلمين بالجن . وإذا قد نزع المؤلف عن الإسلام كل فضل ، فهو يتول : « إنه من الخطأ البين الزعم بأن الإسلام قد اتخذ طريقه إلى عقول الناس منجذبين اليه بسحر عقائده » (ص ٨١) يريد أن يقول إنه فرض بالحرب والقتال ، وذلك بصدد الحديث عن هزيمة الفرس والروم أيام أبي بكر وعمر . وهنا يظهر جليا التناقض في كلامه ، إذ كيف يصف الجيوش العربية بسوء النظام ، والتنظيم ، والتماسك ، ثم تنتصر على الجيوش المجيشة التي تبلغ من العدد عشرة أضعاف ؟ ولقد نسي أنه وصف المسلمين من قبل بالتضامن ، وهو هنا يصفهم بعدم التضامن . ونسى أنه وصفهم بعدم الاستشهاد ، فكيف يحاربون دون أن يموتوا شهداء ؟

أما عرضه للأحداث التاريخية في زمن الخلفاء الراشدين ، والأمويين والعباسيين ، فإنه يلتمس لها أسباباً تحط من شأن المسلمين ، وترميهم بكل نقيصة ، ويصور الحكم الإسلامي أنه صادر عن الزنات .

ويبدو أن السر في حقن المؤلف على الإسلام هو فشل المبشرين من المسيحيين الذين يبذلون غاية جهدهم في نشر المسيحية بين زنوج إفريقية ، بإزاء القوة الساحقة للإسلام بغير تبشير . وهو يزعم أن المسلمين في أوغندا ، وفكتوريا نيانزا اتبعوا أسلوباً في الدعاية (البروباجندا) يفصح عن الروح الحقيقية للإسلام ، أي ملاطفة شهوات الشر عند الزوج ص ٦٥ .

يقول المؤلف (ص ٧٠) إن محمداً باعتباره سياسياً مخضكاً ، أراد أن يرضى كل إنسان ، فلم يفرض لإسلامه سوى شرطين ، الاعتراف بالإسلام والإقرار برسائله . وغاب عن بال المؤلف أن أبا بكر حارب المرتدين الذين قبلوا الإسلام وأقروا بنبوة محمد ، ولكنهم رفضوا إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة . حاربهم لأن « الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » .

وفي هذه الآية ما يرد به على المؤلف فيما زعمه من أن الإسلام ليس دين أخلاق ، بل دين سياسة فقط .

ثم يقول بعد ذلك إن هم الرسول أن يضم الأتباع تحت لوائه وذلك بأمرين : الأول نشر روح التضامن بين المسلمين ، والثاني تحريمه الاستشهاد . ص ٧١ — ٧٢ .

أما الأمر الأول فصحيح ، وهو راجع

وقد دعا إلى ذلك بصراحة ، بعد تحليل الحركات الوطنية ، وبخاصة في مصر ، بزعامة مصطفى كامل ومحمد فريد ، وأحمد لطفي السيد ، وأن هذه الحركات الوطنية إنما يرجع السر في نجاحها إلى التمسك بالإسلام ، وأن هذه الحركات الوطنية تنعكس على المسلمين في تونس والجزائر ومراكش وتسبب للمستعمرين قلقاً شديداً .

فما السبيل إلى إيقاف هذه الحركات في الدول العربية ؟

السبيل في نظر المؤلف هو مساعدة تركيا ، اعتباراً من قلب الإسلام (في الوقت الذي كان يكتب فيه هذا الكتاب) . لأن الأتراك « أقل المسلمين إسلاماً » . (ص ٢٦٢)

The least Islamized of all Musulmun people.

وفي هذا الفصل الأخير تعاليل للحركات التي نشاهدها اليوم على مسرح الاستعمار الأوربي ، من احتضان الغرب لتركيا ودخولها في حلف بغداد ، واتفاقها مع إسرائيل ضد العرب . ولهذا السبب نظن أن الكتاب له أهمية كبيرة تفضح أساليب المستعمرين وخططهم بإزاء العالم الإسلامي كله .

أحمد فؤاد الأهواني

ولا يعنينا كثيراً رأى المؤلف في العرض التاريخي للأمم الإسلامية ، إذ ليس هذا هو المقصود من الكتاب ، ونقفز إلى ص ١٨٥ حيث يصور عقلية العرب بعد ذلك العرض لتاريخهم السياسي ، ويذكر أسباب انحطاطهم وسقوطهم .

فهناك أسباب عامة : منها أن العرب لم يكونوا أبداً أهل سياسة يستطيعون وضع الأهداف الكبيرة مع الصبر على تحقيقها .

ومنها عجز العربي عن الاختراع ، والتقدم ، فهو ليس مهندساً . بل مقلداً .

ومنها أن العربي ليس إدارياً ، ولا منظمًا ، فهو يحكم بمساعدة الأجانب .

ومنها أنه بربري لا ينشئ حضارة .

ومنها أن الدين عقبة في سبيل التقدم .

* * *

وفي ص ١٩٧ ، يزيد المؤلف نظريته القائلة بأن الإسلام عقبة في سبيل التقدم فيقول : « أن القرآن مكتوب بلغة ممتدة لا يستطيع المسلم أن يفهمها إلا بدراسة خاصة » . وهنا بداية الخطة التي يريد المؤلف أن يعلنها ، أي الطعن في العرب الذين يتكلمون اللغة العربية ، وفي إسلامهم ، والاتجاه إلى مسلمين لا يتكلمون اللغة العربية ، ومن ثم لا يفهمون القرآن ، وهم الأتراك .

آراء وأحاديث

الأستاذ الأكبر يستقبل شهر رمضان
ويهنئ المسلمين به

في أول ليلة من شهر رمضان المعظم أذاع صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر
من [صوت العرب] على العالم الإسلامي هذا الحديث الجامع بصوته المعبر
المؤثر وأسلوبه القوي النابض بدأه بقوله .

عربي وعجمي ، ولا بين أبيض وأسود ،
بجامعة الإسلام يجتمعون ، وبظلال أخوة
الإيمان يستظلون ، وإلى حنان أمهم مصر
العربية الإسلامية يسكنون ويطمثون .

في فيض من هذا كله ، أفتح « صوت
الأزهر » الذي سيوجه إليكم إن شاء الله بين
برامج « صوت العرب » كلمات المنبثقة من تعاليم
الإسلام الراشدة التي لا هدف لها إلا إسعاد
البشر ، والأخذ بأيديهم إلى كل ما يهديهم
ويصلح بهم .

أيها السادة :

إن الصوم ولا شك يوحد بين المؤمنين
في مشارق الأرض ومغاربها ، في أوقات النوم
والبقظة ، وفي أوقات الأكل والشرب ،
وفي أوقات الذكر والتسبيح والعبادة ،
وهو يوحد بينهم في إحياء المراقبة القلبية

أيها السادة :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته

وبعد : ففي مطلع هذا الشهر المبارك ،
وباسم الإسلام الذي هو دين الوحدة
والتوحيد ، ودين العلم والعمل ، ودين العزة
والكرامة .

وعلى موجات هذا الصوت الأثيري الجدير
« صوت العرب » صوت الدعوة إلى الحرية
والثقة بالنفس ، والإيمان بالعروبة والإسلام .

وبلسان الأزهر الشريف الذي ظل أكثر
من ألف عام موردا عذبا للثقافة الإسلامية ،
وموئلا حصينا للحرية الفكرية ، والذي
يلتقي فيه المسلمون من كل شعب ، ومن كل
مذهب ، طلابا للعلم ، روادا للبحث ، إخوانا
متعاونين ، لا فرق بين شرقي وغربي ، ولا بين

ولله رب العالمين ، فترى المؤمن فيه خاشعاً ، قائماً ، محبباً ، داعياً مستغفراً ، مرتلاً لوحيه وقرآنه منبهاً إلى ربه ، ثم هو بعد ذلك يصلهم بماضى ذكرياتهم المجيدة - يذكرهم بأن النصر حليف الصبر ، وأن الوحدة رائد الغلب ، حينما يمر بهم السابع عشر من شهر رمضان ، ويذكرون به غزو الحق للباطل في موقعة بدر التي تركز بها سلطانهم في جزيرة العرب ، والتي امتد بها سلطان التوحيد حتى أشرفت الجزيرة بنور ربها ، « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون » .

وحيثما يذكرون أن القرآن الذى جمع كلمتهم ، وربط قلوبهم ووجههم إلى سبيل العزة والسيادة ، وقضى أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين نزل في رمضان ، شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .

وفيه يذكرون ذلكم الحادث العظيم الذى عاد به أولياء الله وأنصاره والمؤمنون به إلى بلدهم الذى منه أخرجوا بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ذلكم الحادث هو فتح مكة ، الذى سجله القرآن أبلغ تسجيل ، وجعله سبيلاً للغفرة والسكينة تملأ قلوب المؤمنين « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً : ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، ويتم نعمته عليك ، ويهديك صراطاً مستقيماً . وينصرك الله نصراً عزيزاً ، هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ؛ ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ، ولله جنود السموات والأرض ، وكان الله عليهما حكيماً » ، « ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ويكفر عنهم سيئاتهم ، وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً . فما أجمل أن يسمع المؤمنون وهم على عتبة هذه الفريضة أن أنبؤا إلى ربكم واعبدوه ، ووجدوا منهاجكم فى الحياة ؛ لتصلوا إلى هدفكم الموحد ، وغايتكم المشتركة النبيلة « يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله والرسول ، إذا دعاكم لما يحييكم » ، « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » ، « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .

وإذا كان رمضان وما وقع فيه من أحداث ، وما نزل فيه من هداية ركزت سلطان الحق ، وزعزعت عروش الباطل ، وزلزلت كيان الضلال والبهتان ، وربطت قلوب الموحدين بالله من أكبر نعم الله على عباده المؤمنين ، التى أخرجتهم من الظلمات إلى النور ، وهديتهم إلى صراطه المستقيم ، فإن أبلغ الشكر على تلك النعم ما كان من جنسها : هداية وإرشاد وتقوى وإيمان ، واعتصام بحبل الله ، وجمع للشمل

وحيثما يذكرون أن القرآن الذى جمع كلمتهم ، وربط قلوبهم ووجههم إلى سبيل العزة والسيادة ، وقضى أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين نزل في رمضان ، شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .

وفيه يذكرون ذلكم الحادث العظيم الذى عاد به أولياء الله وأنصاره والمؤمنون به إلى بلدهم الذى منه أخرجوا بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ذلكم الحادث هو فتح مكة ، الذى سجله القرآن أبلغ تسجيل ، وجعله سبيلاً للغفرة والسكينة تملأ قلوب المؤمنين « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً : ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، ويتم نعمته عليك ، ويهديك صراطاً مستقيماً . وينصرك الله نصراً عزيزاً ، هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ؛ ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ، ولله جنود السموات والأرض ، وكان الله عليهما حكيماً » ، « ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ويكفر عنهم سيئاتهم ، وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً . فما أجمل أن يسمع المؤمنون وهم على عتبة هذه الفريضة أن أنبؤا إلى ربكم واعبدوه ، ووجدوا منهاجكم فى الحياة ؛ لتصلوا إلى هدفكم الموحد ، وغايتكم المشتركة النبيلة « يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله والرسول ، إذا دعاكم لما يحييكم » ، « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » ، « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .

تحقيق صحفى

قامت به محررة فى جريدة أخبار اليوم لدى فضيلة الأستاذ الأکبر شيخ الجامع الأزهر، اشتمل على رأى الإسلام فى طائفة من الأمور الاجتماعية والنسائية .

قالت المحررة :

وأشرق وجه الشيخ شلتوت بابتسامة كلها تسامح .. كلها حب .. كلها رضى ، وقال بصوت لا يرتفع عن الهمس إلا قليلا :

يا ابنتى : إن البشرية فى كل عصر .. وفى كل طبقاتها .. فيها الخبيث الممقوت ، والطيب المحبوب .. وما خلعت البشرية من الخبيث قط ، وما خلعت البشرية من الطيب . قط وعلى العاقل أن يتفقد الخير والشر ، وأن يمحصر حياته ويسلك سبيل الهدى والرشاد ، بما يحفظ قيمته ويعلى كرامته . هذا مبدؤنا ولا فرق بين هذا الجيل وغيره فى خضوعه لهذا المبدأ .

قلت لشيخ الأزهر : الدين الإسلامى دين

لما عجزت ثلاثة أشهر عن مقابلة فضيلة الأستاذ الأکبر شيخ الجامع الأزهر أرسلت إليه أقول : أريد أن أعرف إن كان سبب امتناعكم عن مقابلتى هو أننى فتاة ؟ فجاءنى الرد فى اليوم التالى « إن فضيلة الأستاذ الأکبر قرر أن يقابلک ، لـكى يثبت لك أنه لا فرق عنده فى المعاملة بين فتى وفتاة » .

قلت لفضيلة الأستاذ الأکبر الشيخ محمود شلتوت : أريد أن أعرف رأى فضيلتكم فى شباب هذا الجيل .. أهو أفضل أم أسوأ من شباب الجيل الماضى .. وما رأيكم فيه من الناحية الأخلاقية .

أوائلها - والله يهديننا جميعا إلى سواء السبيل ، ويوفق قادتنا إلى خير الإسلام والعروة .

أيها الأخوة :

أحييكم أحييكم ، وأهنيكم أهنيكم ، وأدعوكم إلى كلمة الله ودعوة رسوله النبى الأمين ، وكل عام وأنتم بخير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

وتوحيد للكلمة ، وتحمل بالصبر والمصابرة والمرابطة .

فإلى جميع إخوانى المسلمين أقدم أطييب التحيات ، وأعمق التهانى القلبية ، وأضرع إلى الله أن يتم عليهم نوره ، وأن يكمل لهم وحدتهم حتى يعم خيرها الإنسانية كلها ، وأن ينتفع بهم آخر الإنسانية - كما انتفع بأوائلهم

الفهم ولا نحكم فيه رغباتنا وشهواتنا ، والإسلام على وجه عام يدعو إلى التقدم وإلى النهوض وإلى العزة والكرامة والقوة والمجد . وحسب الشباب من فتیان وفتيات أن يفهموا هذا وأن يعملوا على التحلى به .

قلت : أريد أن أعرف . هل يمنع الإسلام اشتغال المرأة . وإذا لم يكن يمنع فهل هناك أعمال معينة بالذات يحرمها عليها ؟ مثلاً . هناك ضجة في هذه الأيام بسبب عدم تعيين الفتيات في السلك الديبلوماسى . فهل يسمح الإسلام بأن تمثل المرأة بلادها في الخارج . وأن تعيش هناك وحدها بلارقيب ؟ قال : اسمعى . سأضع لك قاعدة عامة تطبقها على كل ما يتعلق بأمر المرأة في هذا الخصوص . فالإسلام يعمل أساساً على حفظ الأخلاق وصيانة الأعراض وعلى ألا تبرز الاثني بمظاهر الإغراء التى من شأنها إثارة الغرائز . فكل اجتماع لا يتحقق فيه هذا المعنى عمل بمقوت . وكل عمل يفتح على الفتاة أبواب الريب والغرائز البشرية عمل بمقوت . وللفتاة داخل هذا الإطار أن تقوم بما يشفقها ، وبما تحتاج إليه في معاشها وتنظيم أسرتها وتربية أطفالها حين الزواج ومشاركة مجتمعا . أما الجزئيات فأمرها بعد هذا الأصل هين . ومن السهل أن تعرف كل فتاة ما يحفظ كرامتها ويصون عرضها .

يسر ومن مقتضاه التطور مع الزمن فهل يمكننا أن نطوع النصوص الدينية لمقتضيات العصر فيما يتعلق بكثير من الأوضاع الاجتماعية التى أصبح من الصعب تنفيذ نصوص الشريعة بخصوصها تنفيذاً حرفياً ؟

قال : اضربنى مثلاً . .

قلت : مثلاً الطريقة التى تلبس بها السيدات في هذا العصر تختلف كثيراً عن الطريقة التى قررتا الشريعة . والسيدة التى ترتدى ثيابها على الطريقة الإسلامية في هذه الأيام لابد أن تصادف حرجاً ومضايقات في كل مكان تذهب إليه . . بل إن ذلك قد يمنعها من تلقى العلم أو العمل . . فما هو الحل في رأيكم للتوفيق بين النصوص الدينية وبين مقتضيات العصر ؟ وهناك مشاكل أخرى مثل العلاقات الاجتماعية التى أصبحت تربط الشبان بالشابات مثل الاختلاط في الجامعة ، وفي العمل وفي الأندية وهناك أيضاً مسألة مشاهدة الأفلام السينمائية الغرامية والاستماع إلى الأغاني العاطفية ؟

فرد شيخ الأزهر وفي صوته انفعال :

لا أحب أن أسمع أن الجيل الجديد من الشباب يتطلب كذا ولا بد أن نطوع أحكام الإسلام لمقتضيات هذا الجيل . لأن تطويع أحكام الإسلام لغير الجهة التى حددها خروج بالإسلام عن وضعه وإفساد لتعاليمه . إنما علينا أن نفهمه حق

ومظاهر قدرته وأفعيله في خلقه . وكلّم الله من آيات في الأرض والسماء يستطيع المسلمون الناهيون المؤمنون أن يغرسوا شجرتها في قلوب التلاميذ . وهناك جهة أخرى، وهي أن تعمل الحكومة وجميع معاهد التربية والتعليم على تهيئة الفرص للتلاميذ في القيام بواجبات الإيمان العملية وأداء الشعائر الإسلامية من الصلاة والصوم وكل ما من شأنه أن ينمي الإيمان في القلوب . فالمطلوب أمران علم ومعرفه ، وعمل وتدريب ، وبذلك ينهض الشباب مؤمنا قويا في قوله وعمله وحياته . . وما دامت دراسة الدين في مدارسنا ومعاهدنا دراسة شكلية صورية لا تصل إلى القلب ، وما دمنا نسخر من الصلاة ومن المصلين ومن الصوم والصائمين كذلك فمحال أن نصل إلى الهدف ، وهو تقوية الإيمان في قلوب الشباب . وإذن ستظل أمتنا وشعوبنا تعاني من وجود شباب ورجال يعمل الإيمان في قلوبهم كما يحب الله ويحب الرسول : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، أولئك هم الصادقون » ، فالمطلوب إيمان يبعد عنه الشك والريب . ولا يفوتنا كبح جماح الصحافة «ولا مؤاخذه» والمجلات التي تعرض صور الإغراء في إفساد الأخلاق والآراء الشاذة الواغدة إلينا من بور أو من آفاق تضرر لشعوبنا العربية

قلت : يعني يجوز للفتاة أن تعمل في أى مهنة ما دامت تحفظ كرامتها وتصون عرضها ؟ قال : نعم . . قلت : هل يجوز للفتاة أن تعمل بالوعظ والإرشاد ؟ قال : نعم . . قلت : وما هو رأيكم في الوسيلة التي يمكن بها محاربة موجة الإلحاد التي تحتاج العالم : وما هو السبيل إلى إعادة الإيمان للقلوب التي أصبح يهزها الشك . قال : هذا سؤال جدير أن تشرّب إلى الإجابة إليه الأعناق ، وجدير أن يجتمع في سبيل الإجابة العملية عنه رجال التربية ورجال التعليم ورجال الحكم . ولا أريد أن يغرس رجال الحكم الإيمان في القلوب بالقوانين وإنما أريد أن يكونوا قدوة عملية يقتدى الناس بهم وبأمرهم في الإيمان وآثاره ومظاهره ، وأن يسدوا النواخذ التي تفقد منها إلى الشباب دواعي الإلحاد . فالعقيدة أسمى ما يملكه الإنسان في حياته ، والشباب المشمر في وطنه المكافح هو من قوى إيمانه ، ومن هنا نرى أن بيئات التعليم ملزمة بغرس شجرة الإيمان في قلوب التلاميذ من مبدأ نشأتهم حتى تنمو بنموهم وتزدهر وتثمر ، ولا أريد الإيمان التلقيني ، وإنما أريد الإيمان النابع من القلب بلفت الأنظار إلى سنن الله في الكون

يصغر ثم يكبر ويكبر ثم يصغر ويتخذ أشكالا مختلفة ، وراعتهم هذه الظاهرة ولم يعرفوا عن أسبابها شيئا اتجه بعضهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسألونه عن الهلال ما باله يبدو صغيرا ثم يكبر يطلبون كشف هذه الحقيقة الكونية .. فكان جواب الحكمة الإلهية أن أخذت بهم عن البحث في هذا الجانب إلى بيان الثمرة والحكمة المترتبة على صغر القمر وكبره ، ونرى ذلك فيما يتعلق بشرح الآية الآتية وهي قوله تعالى : « يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج ، وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى ، وأتوا البيوت من أبوابها ، واتقوا الله لعلكم تفلحون » . والآية تشير إلى أن التوجه إلى بحث الكائنات أو تفسير الشرائع السماوية بالسنن الكونية إتيان للبيوت من ظهورها ... فعلى الناس أن يريحوا أنفسهم من تكلف تطبيق القرآن أو تفسيره أو احتوائه على مظاهر الكون ، فالكون كتاب والقرآن كتاب ، والقرآن يدفع بالناس إلى البحث عن مظاهر الكون وتقصى سنن الله فيه ، وليس من شأن الرسالات الإلهية سوى ذلك فلا تحملوها أكثر مما حملها الله .

* * *

قلت للأستاذ الأكبر : ترى ما هو رأى الدين ورأى فضياتكم في الحب ؟
قال في تجاهل : الحب ألوان متعددة .

الإسلامية كل الشرور وما هي ببعيدة عنا . . باسم الحرية وما هي بالحرية ، وإنما هي الفوضى الممقوتة والحياة المكذوبة والفجور المنكر . وهذه يدى أمدتها لعقلاء الصحفيين وفي مقدمتهم الأستاذ على أمين راجيا أن نتعاهد على إخلاء الطريق للإيمان الحق ليصل إلى قلوب أبنائنا وبناتنا وأسرنا ، فنبني بذلك أمة قوية لا يفكر الأعداء في اقتحام أسوارها . ونرجو الله بعد هذا أن يوفقنا جميعا لما يحفظ كياننا ويغرس معانى الاستقرار في نفوسنا والله المعين والمستعان .

* * *

قلت : يريد الناس أن يعرفوا رأى الإسلام في محاولة الوصول إلى القمر . . هل هي حلال أم حرام . . وهل هناك في القرآن الكريم آيات فيها ذكر لهذه المحاولات التي يبذلها الإنسان للوصول إلى السكواكب الأخرى ؟

قال : هذا جانب بشري تركه الإسلام في ذاته وفي وسائله للعقل البشرى ولم يحدد له طريقا ولم يبين له فيه حقيقة . نعم حث الإسلام بوجه عام على النظر في الكائنات وعلى البحث في ملكوت السموات والأرض في الشمس وآثارها ومحورها ودورانها والقمر وآثاره ومحوره ودورانه . وترك ما وراء ذلك للعقل البشرى . وليس من شأن الديانات السماوية أن تكشف الحقائق الكونية . وأقرب مثال لنا أن القوم في زمن التنزيل حينما رأوا القمر

والأولاد، وأنه يطلب من المصلحة أو المؤسسة التي يعمل فيها الزوج المطلق أن تتعهد بأن تدفع هذه النسبة آلياً للزوجة المطلقة عند الطلاق، وبذلك يقل عدد قضايا النفقة المنظورة أمام المحاكم ونحى الزوجات من استهتار الأزواج، وعلى الزوج المطلق أو الزوجة المطلقة أن ترفع الأمر إلى القضاء بعد ذلك إذا كان لديه اعتراض على قيمة هذه النسبة المعينة كمنفعة. وسكت شيخ الأزهر قليلاً ثم قال : واضح أن هذه الفكرة ترمى إلى هدف معين محدد هو صيانة المطلقة من التردد على أبواب المحاكم التماساً لحقها في مؤخر الصداق وقد فاتتها الإقامة بالطلاق في حظيرة الزواج، وليس من شك في أن الإسلام يعمل بكل تشريعاته على حفظ كرامة المرأة : متزوجة أو مطلقة، وهى فكرة بعد هذا لا تمس شرعية الطلاق ولا تمنع الزوج من حقه في أن يطلق، وإنما هى مجرد تنظيم يقصد به حفظ حق المستحق كما يقصد به صون كرامة المرأة بعد طلاقها وفوات الإنفاق عليها. والإسلام في تنظيماته كلها يدور حول محور حفظ الحقوق وحفظ الكرامات للرجال والنساء. وكمن تنظيمات مثل هذا التنظيم تضمنها قانون الأحوال الشخصية «لائحة المحاكم الشرعية»، وما كان القصد منها سوى حفظ الحق وتمكين صاحبه منه. فقانون تحيد يدسن الزواج وعدم سماع الدعوى بالزواج العرفي

قلت في إصرار : أنا أعنى بالحب تلك العاطفة التي تنشأ بين قتي وفنأة .

قال : لو كنت أثق أن الفتيان والفتيات لا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا أن الصحافة لا تتخذ من تصريحات أمثالنا طريقاً لدعوتها الخاصة التي تريدها، لتحدثت معك في جواب هذا السؤال . ولكنى تعودت من الصحافة أنها تجعل من «الحبة قبة»، وأن تنسب الرأي الذي تريده إلى الكلمة التي أدل بها مهما كانت دلالة الكلمة، فتخرج عن الفائدة المرجوة لنا وللصحيفة ولما نريده للشباب.. فلذلك أرجو إعفائي من الحديث في هذه المسألة .

قلت : ولكننى أعددك ألا أحرف كلمة واحدة من كلماتك .

قال : لا . . . لن أتكم في هذا الموضوع . . . سأليني في موضوع آخر أكثر جدية .

قلت : إذن . . . سيكون سؤالى الأخير جاداً للغاية وهو . . . ما رأى فضيلتكم في الفكرة التي نادى بها على أمين والتي طالب فيها بحماية المرأة المطلقة من الانتظار طويلاً والتسكع على أرصفة المحاكم حتى يحكم لها القضاء بمؤخر الصداق والنفقة، وذلك عن طريق إصدار قانون يقضى بمنع المأذون من تسليم الزوج ورقة الطلاق إلا إذا تسلم منه إذن بريد بقيمة مؤخر الصداق، وطالب فيها أيضاً بأن يحدد القانون نسبة معينة من دخل الزوج كمنفعة للزوجة

حقوقها وبذلك تنعم الأسرة وتقوى وتصبح
لبنة قوية في بناء الأمة وكم رأينا من زوجات
طلعن وفارقت أزواجهن وهن فقيرات فتشردن،
وأخشى أن أقول : « بعن واشترين بأغلى
الأثمان وأحقر الماديات » .

وقت واقفة بعد أن أخذت من وقت
فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر
أكثر من ساعة . . . وعند الباب أثنى صوته
الهامس قائلا : « عديني يا ابنتي ألا تحرفي شيئا
من حديثي » .

والفتت إليه : « وحنيت رأسي في صمت ،
« وخرجت » .

ولعل الأستاذ الأكبر قد علم الآن أنني قد
وفيت بوعدى له . . . وهل كنت أستطيع
أن أخلف وعدا قطعته على نفسي أمام
شيخ الإسلام .

من شاه

المحررة بصحيفة أخبار اليوم

الذى لم يدون في وثيقة . . . هذان وأمثالها
من باب هذا التنظيم الذى يرمى إلى حفظ الحق
وحفظ الكرامة . وفي خصوص ضمان راحة
المطلقة من جهة المعاش جاءت آيات في سورة
البقرة تحتم مراعاة هذا الجانب بعد الطلاق فيها
قوله تعالى : « وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن
فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ،
وليس من شك في أن هذا التنظيم مما يدخل
تحت التدرج بالمعروف ومنها طلب تقديم
المتعة للزوجة المطلقة بعد الطلاق وفي ذلك
يقول الله تعالى « وللطلقات متاع بالمعروف
حقا على المتقين » والمراد ما تعارف في أسرة
المطلقة ، والنظرى كيف عبر عنه بالحق ، وكلمة
على واعتبره من علامة التقوى والإيمان
القوى بعد التعبير عنه باللام (وللطلقات)
فهذه آيات ، وهناك نصوص أخرى كلها
صريحة أو توحى بتركيز هذه الفكرة على أصول
شرعية قوية ، وما علينا إلا أن نفهم كتاب
الله وإرشاد رسوله في تكوين الأسرة وحفظ

من حكم الصوم

يروى أنه قيل ليوסף الصديق عليه السلام : لم تجوع وفي يدك خزائن الأرض ؟
فقال : أخاف أن أشبع فأنسى الجائع .

وقيل للأحنف بن قيس : إنك شيخ كبير ، وإن الصيام يضعفك . فأجاب الأحنف :
إنى أعده لسفر طويل ، والصبر على طاعة الله سبحانه أهون من الصبر على عذابه .

موجز الحديث

الذى دار بين الأستاذ الأكبر وسفير كندا بالقاهرة

« إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده . . . » ومن ذلك في القرآن كثير .

ثم سأل السيد السفير عن العلاقة بين المؤمنين بالله وكيف ينبغي أن تكون لمقاومة المادية في كل صورها الاعتقادية والفكرية والسياسية . وأجاب فضيلة الأستاذ الأكبر : بأن الموقف بالنسبة للمسلمين في غاية الوضوح والبساطة .

فالإسلام يؤكد في غير موضع من القرآن وحدة الدين الإلهي ، ويقرر في أكثر من مناسبة وحدة الإنسانية ، ويدعو إلى الأخوة الصادقة والتراحم ، وينعى على المتفرقين من اليهود والنصارى تناقضهم ، ويحثهم على أن يجتمعوا مع المسلمين على كلمة سواء . « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله » .

والقرآن الكريم في آياته الواضحة ينادى جميع الشعوب والأجناس بقوله « يا أيها الناس ، يا بني آدم » ويكرر ذلك دائما ، فهو لا يفرق بين جنس جنس ، ولا بين لون ولون ، وإنما يدعوهم لأب واحد وينسبهم إلى إنسانية واحدة ، تعبد ربا واحدا وتسعى إلى هدف مشترك لسعادة الجميع . وأكثر من هذا يبيح الإسلام

سأل السيد السفير عن طبيعة العلاقات بين الإسلام وبين غيره من الأديان الإلهية الأخرى .

فعلق فضيلة الأستاذ الأكبر على ذلك بقوله : إن الإسلام لا يرى أن هناك أديانا أخرى تختلف عنه في الجوهر ؛ لأن دين الله واحد ، جاء من مصدر واحد ، هو المعبود الواحد . وليس هناك - في نظر الإسلام - أديان سماوية مختلفة ، وإنما فقط هناك رسالات متعددة : كان لكل منها ظروف اجتماعية وثقافية وإنسانية خاصة . وهناك رسل عديدون جاء كل منهم استجابة من السماء لعوازل أرضية خاصة ، تقلبت على تاريخ البشرية . أما دين الله فهو واحد وسيبقى كذلك إلى ما شاء الله .

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه .

« قولوا آمنا بالله وما أنزلنا إلينا ، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن لهم مسلمون » .

بما قرره الإسلام أولاً من حيث المبدأ أو بما اتخذته الأزهر أخيراً من خطوات عملية نحو تعليم اللغات الأجنبية ، حتى يستطيع طالب الأزهر وخريجيه وابن الإسلام أن يتغلغل في ميادين الثقافة الأجنبية ويفهم ما عند غيره من أفكار وقيم وتجارب تساعده على القرب منهم والتعاون معهم .

وبعد أن أشار فضيلة الأستاذ الأكبر إلى بعض الأمثلة في هذا الصدد قال : إن على غيرنا أن يسيروا في اتجاه مماثل فيتعللوا لغتنا ويدرسوا ثقافتنا ويعرفوا ما عندنا من عقائد ومبادئ وقيم حتى يقفوا على حقيقة أمرنا ، وحتى يمكن أن نلتقي معهم في منتصف الطريق ، ونعاون على إسعاد البشرية ، والتخفيف من آلام الإنسانية ، ونكون بحق أصحاب رسالات إلهية ومن المؤمنين بالله رب الإنسانية جمعاء .

وما كاد فضيلة الأستاذ الأكبر يفرغ من حديثه حتى قال السيد السفير إنه سعيد بأن كندا قد بدأت فعلاً تسير في هذا الطريق وضرب لذلك مثلاً بـ « معهد الدراسات الإسلامية » في جامعة ماكجل بمونتريال ، الذي أنشأه ويشرف عليه شقيق السيد السفير ، والذي يتكون أساتذته وطلابه من مجموعة مختارة من المسلمين والمسيحيين .

ثم استأذن السيد السفير في السؤال (عن خطر الشيوعية في البلاد الإسلامية) .

فقال فضيلة الأستاذ الأكبر إن الشيوعية

زواج المسلم بالكتاتبية وجعل أخوال ابنه من غير المسلمين ، وهذا كله دليل واضح على مدى فهم الإسلام لمشكلة الإنسانية واتخاذ الخطوات الإيجابية لحلها والتقريب بين المتنافرين ، وبناء مجتمع عالمي قائم على حسن التفاهم والأخوة والمساواة .

وعندئذ قال السيد السفير : إذا كان الأمر كذلك فما هي الوسائل الفعالة لتنفيذ هذه التعاليم الحكيمة للتقريب بين المؤمنين بالله ولصالح الإنسانية ؟ .

وأجاب فضيلة الأستاذ الأكبر : إن الوسائل الإيجابية ليست في عقد مؤتمر ولا في لقاء عابر ، وإنما هي أهم من ذلك وأعمق . ثم ذكر فضيلته أنه أخبر بعض الصحفيين الإيطاليين أنه لا يوافق على فكرة البابا ، في عقد مؤتمر عالمي لممثلي الأديان ؛ لبحث وسائل حسن التفاهم والتعاون بينهم ؛ لأن المؤتمرات - أيا كانت طبيعتها - تبدأ بكلام وتنتهي بكلام لا تتبعه نتائج عملية .

وبعد أن ذكر فضيلته الأمثلة على ذلك قال : إن الطريق الإيجابي هو طريق الفكر المستنير والثقافة الرشيدة ، طريق التفاهم المباشر ؛ وذلك بأن يسعى كل فريق لمعرفة ما عند الفريق الآخر من مبادئ وقيم وتعاليم ، معرفة بصيرة بعيدة عن الهوى . ثم ذكر فضيلته أن المسلمين قد بدأوا فعلاً السير في هذا الاتجاه الموضوعي

أدعوهم أن يتذكروا دائماً أن صواعق العدالة الإلهية أشد تدميراً وقتكاً من صواعق الإنسان ، وأنهم ان لم يكفوا عن ظلم الشعوب الصغيرة واستعمارها فيسيكون مصيرهم مصير قوم نوح وعاد وشمود وما ذلك ببعيد والتاريخ يعيد نفسه والله لا يغفل عن دعوة المظلوم أبداً . سنهض الشعوب الصغيرة وترتقى وتنتقم لنفسها وكرامتها إن لم يسرع قادة الدول الكبرى بتغيير سياستهم ومساعدة الضعفاء على التحرر والإستقلال . إن حل الموقف اليوم في أيدي الدول الكبرى فهي تستطيع أن توصل سياسة البطش والظلم والعدوان ولكن ذلك سيكون على حساب الإنسانية كلها لأن الشعوب المظلومة ستنتقم لنفسها يوماً ما وتستمر الأزمة ويدوم التوتر . أما إن غيرت الدول الكبرى موقفها واستغلت التقدم العلمي والحضارى فى أغراض سلبية إنسانية فإن الإنسانية ستكون سعيدة هائلة . وآئذ يسود مبدأ الأسرة الإنسانية الواحدة وهو المبدأ الذى قرره الإسلام كواحد من تعاليمه الخالدة .

وكانت الساعة قد بلغت الثانية عشرة والنصف تقريباً فشكر السيد السفير فضيلة الأستاذ الأكبر من أعماقه وعبر لفضيلته عن بالغ سروره بهذا الحديث الممتع وتمنى له عاجل الشفاء ودوام الصحة لخدمة الإسلام والسلام والإنسانية .

نبات فاسد لا ينمو إلا فى أرض فاسدة وتربة ميتة . وهى مهما تطفلت لا تستطيع أن تعيش فى بلد إسلامى ؛ لأن الإسلام فيه الغذاء وفيه العلاج ، وطريقنا لمقاومة الشيوعية هو طريق الإسلام . ندعو الناس - وقد دعوناهم فعلاً إلى التمسك بتعاليم الإسلام وتطبيق تعاليمه فى شتى جوانب الحياة وهى كفيلة لا بإسعاد المسلمين وحدهم ولكن بإسعاد البشرية كلها .

وبعد ذلك سأل السيد السفير عما إذا كان الجيل الحاضر بين المسلمين أكثر تدنياً أو أقل من الجيل الماضى مثلاً .

وعلق فضيلة الأستاذ الأكبر على ذلك بقوله : إن التدنيس لا يقاس بالأجيال ولا بالسن ولا بالزمان أو المكان ، وإنما هو تنشئة صالحة فى بيئة طيبة تحت قيادة رشيدة مؤمنة . وهذا كله يوجد دائماً حيث يكون هناك إسلام صحيح ومسلمون صادقون .

وأخيراً سأل السيد السفير عن الكلمة التى يمكن أن يتوجه بها فضيلة الأستاذ الأكبر إلى الأفراد والشعوب لتخفيف أزمة التوتر العالمى .

فقال فضيلته : إننى أدعو أبناء الشعوب الصغيرة المستضعفة ألا يفقدوا ثقتهم بالله ، ولا يضيعوا إيمانهم فيه فهو عادل لا يهمل الظالم وإن أمهله . وعلى هؤلاء أن يلتفتوا حول رسالة السماء إذ هى المنقذ الوحيد للبشرية . أما كلمتى إلى قادة الشعوب الكبرى فهى أنى

الكلمة التي ألقاها الأستاذ الأكبر

على شباب إفريقيا وآسيا

أبنائي وإخواني :
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
هذه هي تحية الإسلام تحمل أسى المعاني
التي ننشدها ونسعى إليها ، تحمل السلام وهو
هدفنا جميعا وتحمل الرحمة التي ينبغي أن تكون
في قلب كل مؤمن بحقوق الإنسان .
إن الشباب حياة تتفجر منها كل القوى .
وأتم اليوم بتضامنكم واتحادكم وتراصكم
 واجتماعكم ، لأشد قوة وأعز جانبا وأمضى
عزما وأشد بأسا .
لقد فرق بينكم الاستعمار يا أبناء آسيا
 وإفريقيا ، وأبى إلا أن يمزق بلادنا وبلادكم ،
 ويجعلها أجزاء متناثرة ، فأيتهم إلا أن تنضوا
 تحت قوله تعالى « يا أيها الذي آمنوا ادخلوا
 في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان
 إنه لكم عدو مبين » ، وتكونوا وحدة ترد
 سيوفهم إلى نحورهم ويعود بغيهم عليهم .
لقد وحد بين إفريقيا وآسيا كفاح
 ونضال ، وديانات روحية ، ورسالات سماوية
 وشباب وقوة ، وجهاد في ميادين الحرية .
والآن وقد تقاربت صفوفكم ، وتضامنت
 آراؤكم ، ويجمعكم التطلع لمستقبل باسم ، وأيام

زاهرة تملئ فيها مبادئ السلام ليعيها الذين
 شربوا من دماء الإنسانية وهم يدعون حمايتها
 والزود عنها .
أتم اليوم في الأزهر الذي تلاقت في حلقات
 دروسه الدينية العديدة ، أبناء آسيا وإفريقيا
 يجمعهم ويكون منهم كتلة متراسة تفهم معاني
 الحرية ، وتأبى الضيم وتنتصر للظلم وترد
 كيد الظالمين .
الأزهر الذي يسره استقبالكم ، يسره
 أن يلقى كل منكم أخا من إخوانه في الجنس
 والوطن في الأزهر المعمور .
لننا جميعاً نرجع إلى أصل واحد يجمعنا
 ويدفعنا إلى التضامن ، التضامن منبع القوى
 الدافقة ، والقرآن الكريم نادى الناس
 بما يشعرهم بهذا المعنى فتال « يا بني آدم »
 ويا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى
 وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » .
أيها الشباب .
لقد لبس الاستعمار كل لون يعرض به نفسه
 ليغزو وحدتكم ويفرق شملكم ، ويضرب
 بعضكم ببعض ، ولترسخ أقدامه وتدوم حياته
 في أوطانكم ، تدخل مرة باسم التضامن ،
 وباسم التحالف ، ولكنها لغة رديئة لم تعد

وإن الأزهر ليعاهدكم جميعا على أن يكون
في خدمة شعوب آسيا وإفريقيا يستقبل أبناءهم
ويبعث إليهم بالأساتذة وكل متطلع للثقافة
يزودهم بكل ما يحتاجون إليه في التبصير بشئون
الإسلام الذي يجمع الجميع إلى هدف واحد
هو خير الدنيا وسعادة الآخرة .

والأزهر يعلن على الملأ أن الإسلام غني
بتعاليمه وآرائه الإصلاحية عن تلك الآراء
والمذاهب التي تفقد تارة من هنا وتارة من
هناك وليس لها من هدف سوى تفريق شملنا
وتوهين عزمننا وصرفنا عن قوميتنا التي بها
حياتنا ، والتي قيض الله لإحيائها ، وتوجيه
قلوبنا إليها ، ذلكم الشباب القوي في إيمانه
وعزيمته ، الصادق في نيته ، راشد العروبة
والإسلام جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية
العربية المتحدة .

حياكم الله وأدام التوفيق لرعيم النهضة
التضامنية والقوة الإخائية وراشد القومية
العربية السيد الرئيس جمال عبد الناصر المؤمن
بحقوق الإنسانية جمعاء .

والسلام عليكم ورحمة الله

صالحة ، ولا مجدية ؛ لأننا في يقظة تزايد
وفي وعي يثب إلى ذرى مجده .

ومرة أخرى لبس ثوب الاقتصاد ودخل
به . ولكنه ارتد على عقبيه وانهمز أمام
صلابتكم وقوتكم .

احذروا هؤلاء وهؤلاء ، واضربوا فوق
الأعناق واضربوا منهم كل بنان إذا كنتم قد
أظهرتم والحمد لله قوتكم في الإيمان بحقوقكم وبرهنتم
للعالم على مدى هذه القوة في الذود عن أوطانكم
وعن أرضكم التي جعلها الله لكم ، فلتعمل
أيديكم القوية في البناء والتعمير ، وفي كل ما
يعود على البشرية والإنسانية من خير .

وإن الإسلام لمسلى بتعاليمه التي تكفل
للشريعة جمعاء الخير والسعادة وتضمن لشعوب
الأرض والسلام والرخاء .

إن الإسلام لا يضيق صدره بما فيه
صلاح الشعوب جميعا وقد صاحت به في الماضي
ووسع كل شئونهم وكل ما يحتاجون فلنصلح
به حاضرنا ومستقبلنا .

أحييكم من الأزهر مهد الثقافة وجامعة الأمم
الإسلامية والعربية الإفريقية والآسيوية ،
وأدعو الله أن يشمر مؤتمركم ثمرته التي يعلق
عليها كل محب للسلام أملا كبيرا .

الأدب والعلوم

دائرة معارف عربية

من العجيب أن يكون لكل دولة من دول الحضارة دوائر معارف شتى منها الكبير والمتوسط ، ومنها العام والخاص ، ولا يكون للتراث العربي على ضخامته وتنوعه دائرة معارف تجمعها وتضمه وتسهل للناس الاطلاع عليه : نعم إن هناك دائرة المعارف الإسلامية التي وضعها المستشرقون من علماء هولندا

وفرنسا وألمانيا وإنجلترا ولكنها لم تترجم كاملة إلى اللغة العربية ولقد اهتمت

بريد المجلة

سيفتح هذا الباب ابتداء من العدد القادم ليتصل منه القراء بالمجلة يسألونها وتجييبهم ، ويستفتونها وتفتيهم وتتيح لهم الفرص ليتعرف بعضهم إلى بعض .

في العهد الأخير وزارة الثقافة والإرشاد بوضع موسوعة عامة تستعين فيها بجميع دوائر المعارف في العالم وعددها ١٧ دائرة في إنجلترا وأمريكا وفرنسا وإيطاليا وروسيا وأسبانيا وستحشد لها ٤٥ رجلاً من مديري الجامعات والعلماء والأساتذة من العرب والأجانب ، يضعون الخطط ويعدون البحوث ويختارون المختصين وينفذون المشروع وقد قيل إن الوزارة

أرصدت لها من المال مليون جنيه على عشر سنوات وستبدأ العمل فيها قريباً .

أكثر جامعات العالم

تدرس اللغة العربية

احتلت اللغة العربية مكانة ممتازة في جامعات الأمم بعد أن أصبح للعرب صوت مسموع في سياسة العالم . ففي الولايات المتحدة ست جامعات تعلم اللغة العربية . وقد جعلت الحكومة

الأمريكية معرفة العربية شرطاً في شغل المناصب الدبلوماسية في الشرق .

وفي يوغوسلافيا تعلمها جامعات بلغراد وزغرب وسيراجيفو وسكوبلا .

وفي روسيا ثلاث جامعات تدرسها وهي : جامعة موسكو وجامعة لينينغراد وجامعة قازان بطشقند .

وفي الهند تدرس العربية إجباراً في المرحلة الابتدائية واختياراً في المرحلة الإعدادية ،

أما المنظمة العالمية لحرية الثقافة فهي هيئة مستقلة تضم طائفة من أهل الفكر والعلم من الأمم المختلفة وغرضها كما تقول تعزيز التبادل الثقافي وتحرير الفكر على نطاق عالمي .

في مسابقة الشعر والأغاني

في عيد الوحدة

أعلن المجلس الأعلى للأدب والفنون والعلوم الاجتماعية عن مسابقة في الشعر والأغاني ، فتلقي من الشعر مائتي قصيدة ومن الأغاني مائتي أغنية فخصتها لجنة خاصة ثم قدمت تقريرها إلى المجلس ، فأقام حفلة لتوزيع الجوائز على الفائزين افتتحها السيد وزير التربية والتعليم المركزي بكلمة وجهها إلى الشباب . ثم قدم السيد يوسف السباعي الشعراء المشرة الأول فألقى كل منهم قصيدته ، وكان الفائز الأول أحمد عبد المجيد الغزالي ، والثاني أحمد مخيمر ، والثالث محمد التهامي . أما الأغاني فقد سقطت كلها من عيون الغربال .

ومن قول الغزالي في أول قصيدته :

صحا الشرق وانطلق المارد

وهز الورى صوته الراءد

وضجت مآذنه بالنسدام

وشع بها فخره العائد

بنى الشرق من يعرب لا تنوا

فقد زحف الجند والقائد

وفي المرحلة العالية ٣٧ كلية تشتمل على أقسام لدراسة العربية منها كلية عليكرة .

وفي إيطاليا تدرس اللغة العربية في جامعة روما وفي (معهد الدراسات الشرقية) بها ، وهناك معهد آخر للدراسات العليا الشرقية في نابلي . ومنذ شهرين أخذت جامعة بالرمو تدرس اللغة العربية وذلك غير المعاهد الشرقية التي تدرسها وتدرس غيرها في لندن وباريس من قبل .

المنظمة العالمية لحرية الثقافة

في النصف الأول من هذا العام ستقيم المنظمة العالمية لحرية الثقافة سلسلة من الحلقات الدراسية جعلت لها موضوعا رئيسيا واحدا وهو « التقاليد والتطور » وخصصت ثلاث حلقات لدرس هذا الموضوع في أوروبا ! في رودس وفيينا والبندقية .

أما حلقات الشرق الأوسط فهي في كراتشي عن الإسلام والعالم المعاصر . وفي القاهرة : « الإدارة العامة والكفايات المهنية » وفي بيروت : الأوضاع التشريعية وتجاوبها مع التطورات الحديثة . وفي بغداد : التقدم الاقتصادي والاجتماعي في الدول العربية . وفي الخرطوم : التقدم القومي والنظم التقليدية . وفي شیراز : مسؤوليات رجال الفكر وأوضاعهم في المجتمع المعاصر .

لقد شادها وحدة للشعوب

فبورك صانعها أنشأه

إن علماء العالم أصبحوا يجدون في نشاط القاهرة العلي حافزاً يدعوهم إلى زيارتها ، ويجدون في إقليم مصر علماء يستحقون أن يعا بلوهم ويتناقشوا معهم .

إن ٧٥ عالما زاروا المركز القومى للبحوث بالدقى . . من كل بلاد العالم وفي كل فروع العلم ، وأدهشهم المعركة التى تدور الآن على أرض الجمهورية بين علماءها وبين مشاكل الزراعة والصحة والهندسة والطب ، وأدهشهم التقدم البارح الذى يحرزها العلماء العرب ، فى تخطيط البلاد على أسس علمية ، ولم تعد بلاد العرب ، كما كانوا يعتقدون ، مراكز للجهل والخرافات ، وتماشيح النيل وجمال الأهرام ، وأساطير الصحراء .

ومن أمثلة الذين جاءوا القاهرة . . علماء من روسيا وألمانيا وفرنسا والمجر وبورما والولايات المتحدة والنمسا واليابان والسويد واستراليا والهند وبولندا ومن الأمم المتحدة واليونيسكو .

ومن العلماء العالقة الذين جذبهم مغناطيس القاهرة ، جون ماينيك مدير مركز بحوث مالهوس ، وريتشارد فيويج رئيس جمعية الطبيعة الفنية بألمانيا ، وسير جونيك أستاذ البترول بالجمعية العلمية السوفيتية بالاتحاد السوفيتى ،

والدكتور فلاكا بجامعة جراتز بالنمسا ، والدكتور هوايت من منظمة الكنولك للبحوث العلمية بأستراليا ، وبيل لونجىال نائب رئيس جامعة بودابست بالمجر ، والبروفسور ناوتو كامياما رئيس معهد البحوث العلمية بطوكيو باليابان والدكتور اينجا أرفيدسون بمعهد الأرضاد بالسويد ، والبروفسور كريشنان مدير معمل الطبيعة القومى فى نيودلهى بالهند ، والبروفسور ايفريت هاو أستاذ الهندسة الميكانيكية بجامعة كاليفورنيا بالولايات المتحدة وغيرهم كثيرون من علماء العالم ! !

ترجمة القرآن

للغات الإفريقية

تم ترجمه القرآن الكريم إلى اللغات الإفريقية قريبا . أمضى الإمام محمد أمين بكر فى هذا العمل أربع سنوات . ستساعد الترجمة الأطفال المسلمين الذين لا يعرفون اللغة العربية على تعلم شعائر الدين . والإمام محمد عميد مدرسة سيمونز تاون الإسلامية .

منبر وكرسى مصحف

لمسجد فى أمريكا

أعدت وزارة الأوقاف منبراً وكرسى مصحف ، لإهدائهما للمعهد توليد ، فى الولايات المتحدة الأمريكية وتبحث الوزارة

العلماء والقراء للوعظ والارشاد إلى البلاد العربية والإسلامية لإحياء ليالى شهر رمضان المعظم .

٨٠ مؤتمراً علمياً

يبدأ انعقادها يوم ٢ مارس

حدد يوم ٢ مارس لبدء عقد ثمانين مؤتمراً لمناقشة التقارير التي أعدها لجان السياسة العلمية بالمجلس الأعلى للعلوم . وذلك في مختلف فروع العلم . وستحدد بعد ذلك السياسة العلمية للبلاد .

هدية من الهند

أهدت حكومة الهند للجمهورية العربية ١٥٠ كتاباً في الأدب والفن قلم السفير الهندي بتسليمها إلى ثروت عكاشة وزير الإرشاد التنفيذي . قال السفير : إن هذه الكتب تزيد الروابط بين البلدين ، وقال الوزير إن تنمية الفكر ترفع مستوى الإنسانية . أقيم حفل شاي بهذه المناسبة حضره يوسف السباعي وكبار رجال وزارة الإرشاد .

إجراءات جراحات القلب

بعد تشليج المريض

توصل بعض الأطباء في جامعة ديوك إلى طريقة جديدة لإجراء الجراحة في القلب ،

موضوع إيفاد واعظ ومؤذين لهذا المسجد بناء على مشاورات دارت بين الوزارة والملحق الثقافي الأمريكي .

برامج دينية جديدة

تقدمها الإذاعة في رمضان

تقدم المراقبة الثقافية في إذاعة القاهرة مجموعة من البرامج الدينية الجديدة منها « أحسن القصص » ، « ومن بيوت الله » ، « ومجالس وأسمار » .

أما أحسن القصص فمادته مستوحاة من قصص القرآن الكريم . وبرنامج « من بيوت الله » سيتناول موضوعه ما يدور في بيوت الله من نشاط ديني في ليالى رمضان المباركة .

أما برنامج « مجالس وأسمار » فسيكون صوراً حية للأسمار العربية ، وكذلك الندوات التي كانت تحفل بها مجالس العرب في أزهى عصور الإسلام وما كان يجري في قصور الخلفاء من محاورات أدبية وطرائف وحكم .

بعثات الوعاظ والقراء

للبلاد العربية خلال رمضان

اتفق الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر مع الأستاذ كمال رفعت وزير الأوقاف بالنيابة على إيفاد بعثات من

في الأسبوع الماضي وسيبحثونها من جهاتها
الثلاث : الفلسفية واللغوية والآثرية .
ويحاولون الحصول على ماترب منها إلى بعض
المتاحف والمعاهد الأجنبية .

موسم ثقافى

للجامعة الأزهرية

قرر فضيلة الشيخ محمود شلتوت شيخ
الجامع الأزهر تنظيم موسم ثقافى يقام كل
عام تلقى فيه المحاضرات الثقافية بقاعة
المحاضرات الكبرى بالجامعة الأزهرية .
يلقيها صفوة من رجال الدين والأدب والعلم
من الأزهر والجامعة وجميع اللغة العربية ،
وسيحدد موعد الموسم الثقافى الأول متى تم
الإعداد له والدعوة إليه .

المرشحون

لجائزة الدولة التقديرية

بلغ عدد المرشحين لجوائز الدولة التقديرية
فى الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية ثمانية :
طه حسين وأمين الخولى فى الأدب . ولطفى
السيد ، وعبد الواحد وائى ، وعبد الحكيم
الرفاعى ، ومحمود كامل فى العلوم الاجتماعية ،
وحسن فتحى ومنصور فرج فى الفنون ،
ويجب أن يفوز ثلاثة منهم . ومقدار الجائزة
لكل فائز ٢٥٠٠ جنيه وميدالية ذهبية .

بخفض درجة حرارة المريض إلى ما يقرب
من الصفر قبل إجراء العملية التى تكون فى
هذه الحالة سهلة . إذ تكون الدورة الدموية
قد توقفت وكذلك نبض القلب .

لجنة دولية

لدراسة المخطوطات القبطية القديمة

عثر فى أحد الأديرة القديمة بنجع حمادى
عام ١٩٤٦ على ١٢ مجلداً من أوراق البردى
مكتوبة باللغة القبطية القديمة منذ ١٩٠٠ سنة
وقد دل البحث الأولى فيها على أنها تشتمل
على مذهب دينى فلسفى كان شائعاً
فى الإسكندرية القديمة وفى مصر يومئذ وكان
معروفاً باسم (المنوسطية) ومعناها المعرفة ،
ثم انتشر مذهبهم فى اللغة العربية باسم
(مذهب العارفين بالله) وخلاصة هذا المذهب
الاعتقاد بآله واحد تأتى معرفته عن طريق
العقل لا عن طريق الإيمان ، وهذه المعرفة
كفيلة بتخليص الروح من الآلام وتطهيرها
من الآثام .

وهذه هى الفكرة العامة المعروفة عن
هذا المذهب حتى الآن ، ولعل هذه المخطوطات
تلقى ضوءاً على جميع جوانبه فيتضح ويكشف
عن حياة الإسكندرية قبل خمسة عشر قرناً .
لذلك اهتم وزير الثقافة بهذه المخطوطات
وألف لدراستها لجنة دولية من علماء أوروبا
 وأمريكا وإفريقيا وفادوا إلى القاهرة

الكتيب

كتاب تاريخ الجامع الأزهر

بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان

٣١٦ ص . مؤسسة الخانجي بالقاهرة

صدر أخيراً كتاب في « تاريخ الجامع الأزهر » ، بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان وكان المؤلف قد أصدر قبل ذلك في ١٩٤٢ (١٣٦١ هـ) كتاباً عن تاريخ الأزهر في العصر الفاطمي مع تسكلة له حتى العصر الحاضر ، وذلك لمناسبة حلول عيد الأزهر الألفي يومئذ .

ولكن المؤلف يخرج في كتابه الجديد من هذا التخصيص الذي قصده في مؤلفه السابق إلى التعميم ويقدم إلينا تاريخاً شاملاً للجامع الأزهر منذ إنشائه في فاتحة العصر الفاطمي حتى يومنا . ويشمل الكتاب أربعة عشر فصلاً كبيرة تتضمن تاريخ الجامع الشهير في مختلف العصور والدور الأعلى الخطير الذي اضطلع به خلال القرون ، ومختلف الأنظمة الدراسية التي توالى عليه ، ومختلف المواد والعلوم التي كانت تدرس به ، والكتب الدراسية التي كانت متداولة به في كل عصر . كما يتضمن سير طائفة

كبيرة من العلماء الذين تولوا التدريس به في مختلف العصور ، وطائفة من أعلام العلماء الوافدين عليه من المشرق والمغرب .

ويعنى المؤلف عناية خاصة . فضلاً عن تبيان مكانة الأزهر ، ومآثره العلمية على كر العصور ، والدور العظيم الذي لعبه في تكوين الحركة الفكرية بمصر الإسلامية ، وفي حماية اللغة العربية والعلوم الإسلامية ولا سيما خلال العصر التركي ؛ يعني بإبراز المكانة المرموقة التي كان يشغلها الأزهر في الحياة العامة ، والدور القومي العظيم الذي اضطلع به في قيادة الأمة في مختلف المواقف ، ولا سيما أثناء الاحتلال الفرنسي . ففي هذا الفصل الذي يشغل وحده من الكتاب خمسين صفحة ؛ تبدو شخصية الأزهر في القيادة الوطنية والشعبية في أروع صورها ، ويبدو علواؤه وطلابه على رأس حركة الكفاح القومي ضد المحتلين ، وهي حركة لبث الأزهر يرعاها ويضرم وقودها حتى انتهت بجلاء المحتلين عن البلاد .

ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن حركة التطور والإصلاح التي مر بها الأزهر في العصر الأخير وعن نظمه المحدث حتى يومنا .

وموضوع الأستاذ « محمد أبو زهرة » عن الوحدة الإسلامية ، فالإسلام كما يرى المؤلف دين الوحدة ، كما هو دين الوجدانية ؛ (وهو كما يقرر الوحدة الدينية يقرر أيضا الوحدة السياسية بين الشعوب التي آمنت به) فقد ربط بين الشعوب التي آمنت به برباط وثيق من الأخوة الإسلامية ، (تسكافاً دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد واحدة على من سواهم . وإذا كانت الأهواء قد فرقت شمل الأمة الإسلامية حتى صارت دويلات ، إلا أن مبدأ الوحدة الإسلامية لم تزل له قدسيته) والمسلمون جميعاً مسئولون أمام الله والتاريخ عن تحقيق مبدأ الوحدة الإسلامية .

وكان موضوع الدكتور عثمان خليل أستاذ القانون العام بجامعة القاهرة ، عن : « الديمقراطية الإسلامية » ويرى الدكتور أن التراث الإسلامى فى شأن الحكم هو حلقة أصيلة فى صميم سلسلة التطور التى مرت بها الفكرة الديمقراطية المجردة خلال القرون المتعاقبة (والمندلول اللفظى للديمقراطية : هو أنها « حكومة الشعب » إلا أن الأفكار قد تشعبت فى فهم معنى (حكومة الشعب) . وإذا كانت الديمقراطية تعتمد على أساسين هما ، الديمقراطية السياسية ، والديمقراطية الاجتماعية ، فإن من الواضح أن للديمقراطية

كل ذلك بأسلوب جزل تطبعه نزعة علمية واضحة يغلب عليها التحقيق والاستيعاب . ويختتم الكتاب بطائفة من الوثائق والبيانات والإحصاءات الهامة ، عن أساتذة الجامع وطلابه وميزانيته ومكتبته وأروقته وحاراته ، وعن مدينة البعوث الإسلامية وصلات الأزهر بالعالم الخارجى .

وليس من شك فى أن هذا السفر الجديد الذى يقدمه الأستاذ عنان إلى المكتبة العربية يعتبر أوفى مرجع على تاريخ الجامع الشهير وعن نظمه ومآثره العلمية .

سلسلة الثقافة الإسلامية

هذه السلسلة الشهرية يصدرها المكتب الفنى للنشر بالقاهرة ، ويشرف عليها الأستاذ محمد عبد الله السمان . وهى تهدف إلى تقديم زاد من الثقافة الإسلامية الخالصة ، لإبراز القيم الإسلامية العظيمة ، وقد اختير للإسهام فيها الأعلام من الكتاب الإسلاميين ، الذين لهم مكانة فى الميدان الفكرى الإسلامى .

وقد صدر منها إلى الآن : سبعة أعداد للأساتذة : الشيخ « أبو زهرة » والدكتور عثمان خليل ، والأستاذ الأكبر الشيخ شاتوت ، والدكتور محمد يوسف موسى ، والدكتور محمد البهى ، والدكتور سليمان دنيا ، والدكتور عبد الحليم محمود .

أستاذ الشريعة بكلية الحقوق : « الإسلام ومشكلاتنا الحاضرة » .

وقد تناول البحث جانباً مهماً من المشكلة الاقتصادية ، ناقش على ضوء الإسلام أعمال « البورصة » ، وعمليات القطن ، والأسهم والسندات والتأمين على الحياة .

أما منهج الدكتور في هذا البحث ، فيتركز في إيمانه ، بأن الإسلام جاء ليكون ديناً عالمياً إنسانياً ، ولذا كان لا بد أن يكون في طبيعة رسالته ما يجعلها حقاً صالحة للإنسانية كلها في كل جيل وعصر ، وبأن رسالة الفقيه تقتضيهما عميقاً للكتاب والسنة ، وإحاطة بأدلة الأحكام ، ومعرفة بعلم هذه الأحكام ومسالكها . .

وكان موضوع الدكتور محمد البهي مدير عام الثقافة بالأزهر ، عن الإسلام والفلسفات المعاصرة .

تحدث الدكتور في هذا البحث عن ماهية الفلسفة المعاصرة ، وحللها تحليلًا دقيقاً ، واعتبر أن قيمتها في جانب العلم والتطور الصناعي ، وليس لها قيمة ما ، جانب الضمير والدفع الذاتي للإنسان ، إذ لم تصل بالمجتمع الاشتراكي إلى أن يكون ذا ترابط فعلي واقعي كما لم تصل بالمجتمع الرأسمالي إلى تقليل الهوة بين طغيان الرأسمالية واستغلال من ليسوا أصحاب رموس الأموال ، أما الفلسفة

الإسلامية تراثاً جليلاً في هذين المجالين ، وقد كانت ولا ريب - أحب ما يتصور الإنسان ، إذ امتدت منذ أمد بعيد ، إلى شتى صور الديمقراطية التي عرفها الإنسان إلى اليوم . وكان موضوع الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت عن : الإسلام ، والوجود الدولي للسلمين . . والأستاذ الأكبر يرى أنه قد كان للسلمين باعتبارهم جماعة ، أحداث كبرى في المرحلة الإسلامية الأولى ، هي بمثابة عناصر قوية في بناء الوجود الدولي لهم ، وكان شأنهم في تذكرها شأن كل مجتمع بشري يتحسس مواضع الضعف في سيره فيقيمها ، وعوامل القوة فيقيمها ، والإسلام عقيدة وشريعة ، أقامتا معاً بناء عالمياً إنسانياً ، للإسهام في مد البشرية بإشاعات تضيء لها الطريق إلى الخير والحق والجمال .

وإذا كان هذا البناء قد تعرض - ولا زال - لكثير من العواصف ، فيجب أن يعلم المسلمون أنهم مسئولون عن صيائمه ، ويجب أن تكون المبادئ التي اعتنقوها أقوى أسلحتهم ، والمبادئ السليمة القوية ، متى تركزت وآمنت بها القلوب ، وامتلات بها النفوس ، كانت طاقات كبرى من التضحية والفدائية ، وأصبحت أعز لدى أصحابها من نفوسهم وأموالهم ، ومن كل ما يملكون . . وكان موضوع الدكتور محمد يوسف موسى

والذين تحملهم الغيرة المفرطة على الدين حتى إنهم لا يريدون للناس أن يتحركوا إلا إذا صادفوا في الدين نصاً يأذن لهم بالتحرك، هؤلاء يتجاوزون بالدين حدوده التي رسمها الله له . .

أما موضوع الدكتور عبد الحليم محمود أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين فهو عن : أوروبا والإسلام . . وهذا البحث جاء نتيجة لمسئمة الدكتور خلال سنواته التي قضاها في جامعة السوربون من تباين العقلية الغربية نحو الإسلام ، لاسيما العقلية الناضجة التي تضطلع بتدريس مادة تاريخ الأديان بالسربون ، وإذا كان الكتاب قد كتبوا كثيراً في علاقة الشرق بالغرب سياسياً ، واقتصادياً ، ولكن التفكير في صلاتهما دينياً لم يسترع عنتهم إلى الحد المناسب لجلال الموضوع وخطره . ويرى الدكتور أنه من الممكن للإسلام أن يغزو الغرب ؛ فلنطلقه إمكانيات كبرى تؤهل لذلك ، ولكن حين يتوافر الدعاة الذين يتمتعون بأفاق واسعة وثقافات عالية ، وحين تتوافر التجهيزات لترجمة البحوث الإسلامية إلى لغات الغرب لاسيما بحوث الكتاب المنصفين منهم الذين أنصفوا الإسلام ، سيكون ذلك أدعى لقبوله لديهم .

المعاصرة في الشرق الآن ، فليست فلسفة أصيلة فيه ولا منبثقة من حاجات وضرورات الحياة ، بل هي فلسفة أوجدتها الغرب ودعت إليها ظروفه الخاصة .

أما فلسفة الإسلام ، فهي فلسفة تحررية تقدمية ؛ لأن مبادئه هي مبادئ البشرية الناضجة المهيبة ، ولو كان للإسلام في حياتنا ما يجب أن يكون ، لسكننا في غنى عن استيراد الفلسفات المعاصرة وتنازعها وصراعها .

وكان موضوع الدكتور سليمان دنيا أستاذ الفلسفة المساعد بكلية أصول الدين : « عن الدين والعقل » ، ويرى الدكتور أن الدين نظام وثقافة ، وقانون وعمل ، والإسلام قام في تشريعه على أساس رعاية مصالح الإنسان في حياته باعتبارها طوره الراهن ، إلى جانب رعاية مصالحه في حياته الآخرة باعتبارها طوره اللاحق ، والدين والعقل يلتزمان دائماً في رحاب الإسلام ، إذا ما فهم العقل على أنه قوة في الإنسان تكشف له عن الواقع ، لا على أنه الانطلاق المتحرر من كل قيد .

والذين يدرسون الإسلام دراسة واعية ، يؤمنون إيماناً كاملاً ، بأنه لا يقف في سبيل نهضة ، ولا يعوق وثبة ، ولا يعرقل حضارة ،

أَنْبَاءُ الْأَزْهَرِ

برقية شكر من السيد رئيس الجمهورية
إلى فضيلة الأستاذ الأكبر

أرسل السيد الرئيس جمال عبد الناصر إلى فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر برقية شكر هذا نصها :
تلقيت بخالص التقدير برقيتكم المعربين فيها باسمكم وباسم رجال الأزهر عن أصدق التهاني وأكرم المشاعر بمناسبة العيد القومي ، وإنا لتوجه إلى الله بقلب مفعم بالرجاء أن يشد أزر العرب والمسلمين حتى ترتفع منارة القومية العربية ويتحقق ما نرجوه لها جميعا من شرف المنزلة ورفع المكانة ، ويسرنى أن أكتب إليكم وإلى السادة رجال الأزهر بأجمل الشكر مقرونا بأطيب التمنيات .
جمال عبد الناصر

جامعة شيلي

فضيلته العلية التي يبذلها خدمة للعلم وقصدا لتوجيه الناس إلى المبادئ الإنسانية القويمية التي اشتمل عليها الإسلام الخفيف ، ولقد حيا الدكتور ماركوس فضيلة الأستاذ الأكبر تحية عميقة ملؤها الاحترام والتقدير قائلا : إن تحيتي إليكم إنما هي تحية الأكاديمية الكبرى في شيلي ، تحية العلم والمعرفة والخبرة وقوة البحث ، إن من رأتى من جامعة شيلي يحيمكم أعظم من تحيتي إليكم وأقوى من تقديري

تمنح الأستاذ الأكبر درجة زميل فخريه استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر الدكتور ماركوس دى باريار ممثل أكاديمية العلوم السياسية والإدارية بجامعة شيلي وقد جاء الدكتور ليقدم لفضيلة الأستاذ الأكبر درجة الزمالة الفخرية من الأكاديمية تقديرا لجهود

أن نكون أسبق منكم في البدء بهذا التواصل وذلك الود الذي يدعم الصلات العلمية ولكنسه حظكم جعلكم أسبق في هذا المضمار الذي يعتبر السبق فيه شرفاً لا يعد له شرف .

ثم قال الدكتور : وأنا غفور بأن أكون نقطة لتوصيل الصلات العلمية .

فقال فضيلة الأستاذ الأكبر : كل الذين يدعون إلى سلام دائم وأمن مقيم يمدون القناطر بينهم وبين غيرهم والإسلام يدعو إلى السلام والأمن ويقم شائج المحبة بين الناس وأنت اليوم نقطة بين أشخاص ولكنها مع هذا تعتبر صلة وثيقة بين دول وقارات برابط من أقوى الرباط لا تنفصم عراه ولا تفك روابطه .

وتلك ذخيرة نحفظها لجامعة شيل وهيئاتها العلمية باعتبارها تقديرآ للهيئات العلمية ونسجل أن الاختلاف في الدين لم يمنعها من أن تمتد يدها للأزهر حصن الدين المبكين واللغة العربية لغة القرآن والسنة .

فقال الدكتور : إنني أشعر بالفخر لأنني سأتمثل الكلمات العظيمة والمبادئ السامية التي أدلى بها الأستاذ الأكبر لاشيل والمسلمين جميعاً . فقال فضيلة الأستاذ الأكبر بلخهم تحياتي وليعلموا أن الإسلام ينظر إلى العلم باعتباره فكرة بقطع النظر عن الدين ، ولقد رفع الله شأن العلماء وأعلى من قدرهم فجعل لهم

لكم وإنه لشرف عظيم أعطته لي الأكاديمية لأقدم للأستاذ الأكبر عضوية الشرف لأكاديمية العلوم السياسية والإدارية ، كما كان لي عظيم الشرف في أن أكلف بأن أكتب بحثاً عن الجامعة الأزهرية ينشر في شيل ويكون محل دراسة وبحث .

كما ساعد مقالاً أنشره في جريدة ميركيرو التي هي أوسع الصحف الشييلة انتشاراً .

وهنا قال فضيلة الأستاذ الأكبر : يا أخي حياك الله وحيا لك ما بذلت من جهد ومشقة إيماناً منك ومن وراءك بحق العلم والعلماء . والجماعات البشرية والأمم والدول ترابط بروابط السياسة والاقتصاد والجنس وروابط أخرى كثيرة ولكن أقوى هذه الروابط كلها وأسماها وأبقاها على الزمن وأوثقها صلة وأكثرها إنتاجاً إنما هي روابط العلم .

وإنني لأشكركم وأشكر أعضاء الأكاديمية جميعاً على هذا التقدير الشخصي الذي قد يكون من الدوافع التي تدفعني لمضاعفة الجهد في البحث والإنتاج بحثاً يؤكد أواصر الود بين العلماء على أنني أرفع درجة هذا التقدير إلى درجة أعلى وأسمى من ذلك فأسميه تعاوناً واتحاداً يبني جيلاً ترفرف عليه رايات السلام ويحفه الإنتاج والرخاء .

إن العلم رحم بين أهله لأنه يوحد الناس جميعاً ويربط بين العقل والعلم وكم كنت أتمنى

مختلطين بالشيليين ، وقد أدخلت اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية وستدخل الأسبانية وخاصة لأنه بيننا وبين الأسبانيين وشائج وصلات علمية وثيقة ولو كان في وقتكم سعة لأطلعناكم على بعض الكتب التي تدرس في الأزهر كأثر من آثار أسبانيا ، فالفقهاء الذين ألفوا لهم عندنا إنتاج عظيم والأدباء كذلك ، فالرباط بيننا قوى ومن ثم لا تعجب لقوة الصلة بيننا وبينكم .

فقال الزائر : لكم كنا نود أن نجلس معكم كثيرا ولكن حرصنا على وقتكم يجعلنا نحافظ عليه شاكرين لكم مقدرين لجهودكم والأمل كبير في أن نرى علماء الأزهر في شيلي يوجهون إخوانهم المسلمين وعددهم كثير جداً يتطلعون إليكم وإلى علمكم وتوجيه الأزهر .

وكان يقوم بالترجمة الأستاذ عبد القادر حافظ مدير شئون أمريكا اللاتينية في مصلحة الاستعلامات .

وقد انصرف الزائر شاكرًا حسن للقاء .

روحانية خاصة حتى أن القرآن ليذكر العلماء بعد ذكر الله والملائكة ، قال تعالى : « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط » . لأنه من الألوهية خلق العالم والعلماء ينظمون الخلق وبهذا يكون الالتقاء عندنا حية خاصة هي الروحية المنظمة . ويسرني جداً أن تتبادل جمهورية شيلي مع جمهوريتنا العربية المتحدة في عهد البطل الشاب المؤمن القوى رجل السلام جمال عبد الناصر - أن تتبادل الجمهوريتان نواحي العلم والتشريف كما آمل أن تقدم لهم قريبا ما تؤكد به ودنا العلى رداً على ما بددونا به إن شاء الله .

فقال الدكتور ماركوس : إن جالية عربية كبرى في شيلي اختلطت بهم ومنهم العلماء والأطباء والمهندسون ويذكرون الأزهر بأنه الموجه الأول في العالم الإسلامي أفلا ترون فضيلتكم أن تمدوا إليهم يد العون الثماني ؟

فقال الأستاذ الأكبر : أنت ستري قريبا هذا التبادل وهذا العون ، ستري علماء الأزهر

تعاون الأزهر ووزارة الأوقاف

على إحياء شهر رمضان بالبلاد العربية والإسلامية

وزارة الأوقاف بشأن الوعاظ والقارئین الذين سيذهبون إلى البلاد العربية الإسلامية لإحياء شهر رمضان المبارك تم الاتفاق بين السيد وزير الأوقاف وفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر على

رغبة في تنسيق العمل بين الجامع الأزهر

(ب) دراسة التخطيط العام والمفاسد المنتشرة والعادات الممقوتة .
(ج) تلقى بحوث السادة المفتشين والوعاظ .

(د) صبغ موضوعات الدعاية للإدارات الثقافية الشعبية والخدمات في وزارات الثقافة والإرشاد ولشئون الاجتماعية والصحة ، والداخلية ، والزراعة ، بصيغة دينية والارتفاع بما لديها من وسائل النشر والدعاية .
(هـ) تبسّع ما ينشر في الكتب والصحف والمجلات والنشرات لرد على ما ينشر من طعون في الإسلام ، وتوضيح ما اشتمل عليه من مبادئ سمحة في العقائد والتشريع .

(د) إخراج دراسات إسلامية سهلة ميسرة لبعض المشكلات والشخصيات .
ثانيا : تكوين لجنة عليا للوعظ العام من بين الوعاظ الممتازين
ثالثا : تكوين لجنة عليا للمصالحات .
رابعا : إنشاء دراسة سنوية تلقى فيها سلسلة من المحاضرات على السادة الوعاظ .
والوعاظ .

خامسا : إجراء مسابقة تشجيعية للمفتشين والوعاظ .

سادسا : إعداد دفتر تحضير لكل واعظ ، حتى يكون تحت يد المفتشين .

سابعا : يسمح للوعاظ « بعد » إذن وزارة الشؤون الاجتماعية يجمع التبرعات لإقامة « مكتب للوعظ والإرشاد

تكوين لجنة برئاسة فضيلة الأستاذ الشيخ محمد نور الحسن وكيل الجامع الأزهر ويمثل الأزهر في هذه اللجنة .

١ - السيد الدكتور محمد البهى
مدير الثقافة الإسلامية

٢ - السيد الأستاذ الشيخ عبد الله المشد
مدير الوعظ
ويمثل وزارة الأوقاف :

١ - السيد الأستاذ البهى الخولى
مراقب الشؤون الدينية
٢ - السيد الشيخ سيد سابق
مدير الإدارة الثقافية

على أن تختار هذه اللجنة المبعوثين إلى البلاد العربية والإسلامية وأن تضع لهم المنهاج الذى سيسرون عليه ويعتمد قراراتها فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر .

قرارات

أصدر فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر القرار الآتى تدعيا للوعظ وتمكيناً له من أداء مهمته وتنفيذ سياسة فضيلته فى الإصلاح :

أولا : إنشاء مكتب فى لإدارة الوعظ والإرشاد من بين السادة المفتشين والوعاظ يختص بما يأتى .

(١) الإشراف على مجلة نور الإسلام ورفع مستواها .

- والثقافة الإسلامية ، في كل عاصمة
من عواصم المحافظات والمراكز -
على أن يكون لهذه التبرعات صندوق
خاص أشرف على حساباته إدارة
الحسابات بالأزهر ويكون خاضعا
لتفتيش وزارة الشؤون الاجتماعية
وديون المحاسبة ، وعلى أن تودع
التبرعات في أحد المصارف .
- هذا وقد أمر فضيلة الأستاذ الأكبر بنقل
الوعاظ المقيمين على درجات تذكارية إلى
درجات أصلية حتى يستفيدوا بذلك من الترقية
والعلاوات الدورية في مواعيدها المحددة وضم
مدة خدمتهم السابقة كما أمر فضيلته بالكتابة
إلى من لم يكن قد استوفى الاجراءات القانونية
لتقديمهم إلى إدارة المستخدمين في مدى أسبوع
وذلك لتمكينهم من أداء أعمالهم على وجه
يحقق المصلحة العامة .
- كما أصدر فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود
شلتوت شيخ الجامع الأزهر قرارا بنذب
الأستاذ أحمد عبد المعطي نصار المدرس بمعهد
القاهرة مديراً لمكتبه .
- كما وافق فضيلته على حركة الترقيات الآتية :
إلى الدرجة الأولى الأستاذ الشيخ عبد الله
المشد مدير الوعظ والإرشاد .
- وإلى الدرجة الثالثة الأساتذة المدرسين
- ١ - أحمد أبو العلا حسين
٢ - إبراهيم حسن قنديل
- ٣ - عبد اللطيف محمود أمبابي
والأساتذة المراقبين .
- ١ - أحمد محمد النحراوى
٢ - بيومى الشوشى
٣ - محمود عطية
- وإلى الدرجة الرابعة الأساتذة
المدرسين .
- ١ - حسن شلبي
٢ - أبو زيد سليمان
٣ - عبد العليم محمد شعيب رزق
والأساتذة المراقبين .
- ١ - محمد محمد بركات سلامة
٢ - أبو العلا طه
٣ - اسماعيل جمال الدين
- وإلى الدرجة الخامسة الأساتذة
المدرسين .
- ١ - عبد الحميد محمد على ندا
٢ - عبد المولى عبد العزيز هلول
٣ - محمد أحمد شحاته نوفل
والأساتذة المراقبين .
- ١ - على اسماعيل محمد اسماعيل
٢ - أحمد محمود أبو حسين
٣ - ابراهيم محمد ابراهيم بدير
- وإلى الدرجة الخامسة الكتاتبية
الأساتذة .
- ١ - السيد حسين سرحان الديب
وإلى الدرجة السادسة الكتاتبية

الأساتذة .

- ١ — محمد العبدى أمين الدفتار .
- ٢ — صلاح الدين على سليمان .
- ٣ — عبد الله إبراهيم الشربيني .
- ٤ — على بكر رزق .
- ٥ — محمود على سليمان .
- ٦ — سيد مهدي يوسف .

كما وافق فضيلة الأستاذ الأكبر على إيفاد
جماعة من الوعاظ الممتازين للسفر إلى الوجه
القبلى للوعظ العام واللجنة مكونة من :

- ١ — فضيلة الشيخ على جعفر
مفتش وعظ القاهرة
- ٢ — فضيلة الشيخ خلف السيد
مفتش وعظ الزقازيق
- ٣ — فضيلة الشيخ محمد إبراهيم السعدنى
مفتش وعظ دمنهور
- ٤ — فضيلة الشيخ محمد الأباصيرى
واعظ المنصورة

- ١ — محمد على مغيث
- ٢ — محمد على عمارة .
- ٣ — نصر أمين نصر .
- ٤ — محمد عبد الغفار حنفى .
- ٥ — طاهر الخولى .

وإلى الدرجة السابعة الكتابية الأساتذة :

- ١ — عبد العزيز سنجق .
- ٢ — محمد إبراهيم القمري .
- ٣ — عبد المطلب على محمود عطيه .
- ٤ — حسين مراد .
- ٥ — صلاح الدين البكرى .
- ٦ — كامل عبد الواحد قطب .
- ٧ — محمد عبد القوى حسن .
- ٨ — بيومى الفار .

وإلى الدرجة الثامنة الكتابية السادة :



مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن شيخنا الأزهر في أول كل شهر جمادى الأولى

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
المعاون
إدارة المطابع الأزهر
بالقاهرة

ت : ٤٦٤١٤

يشارك في التحرير
عبد الرحمن محمد العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدمنين والطلاب تخفيض خاص

الجزء العاشر - القاهرة في شهر شوال سنة ١٣٧٨ - أبريل سنة ١٩٥٩ - المجلد الثلاثون

الفهرس



١٢٤٤٦
دور

الأستاذ على العماد

الأستاذ محمد إبراهيم الجبوشي

٩٠٤ رسالة وجوابها :

بين الأستاذ الأكبر وصاحب العرفان

٩٠٧ دعوة المنارة

الأستاذ عباس محمود العقاد

٩١٤ ملخص عن الإسلام والمسيحية بين الشرق والغرب

٩١٥ وقالت أجرني : قصيدة

الأستاذ محمود حسن إسماعيل

٩١٨ أنا شعب عربي : قصيدة

الأستاذ إبراهيم محمد نجما

٩٢٠ بريد المجلة :

العالم الأدب الذي فقدناه - الكتب

السموية - إلى الشيخ أحمد العبداني - (من

صاحب السمو الشيخ على آل ثاني) - الجمعة

الأخيرة من شهر رمضان - المصحف المرتل -

بويضة أو بيضة

٩٢٧ الكتب : محمد ، الرسالة والرسول تأليف الأستاذ

الدكتور نظمي لوتا (تعليق الأستاذ محمد عبده

السمات) - الشاعر البائس عبد الحميد الديب

تأليف الأستاذ الدكتور عبد الرحمن عثمان .

٩٣٣ الإسلام والمسلمون في صف العالم :

الشيوعية والإسلام - المسلمون في الديف -

لو كان هناك شعور بالإسلام .

صفحة ٨١٠ مثل من الإلهاد الأحمر

للأستاذ أحمد حسن الزيات

٨١٣ الخلق والصنع

للأستاذ عباس محمود العقاد

٨١٨ التوجيه القرآني والمجتمع الحديث

للأستاذ الدكتور محمد البهي

٨٢٨ تحقيق في أسفار العهد الجديد

للأستاذ الدكتور على عبد الواحد وبني

٨٣٥ ابن خلدون في مصر

الأستاذ محمد عبد الله عنان

٨٤٠ المادة بين العلم التجريبي والفكر المجرد

للأستاذ الدكتور سليمان دنيا

٨٤٤ الإسلام والقومية العربية - ١ -

للأستاذ محمود البايدي

٨٥٦ الحاجة إلى الدين بالإسلام

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

٨٦٢ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا - ٢ -

للأستاذ محمد عرفة

٨٦٨ موقف الأديب من اللغة

للأستاذ الدكتور تمام حسان

٨٧٨ أسرار القسم في القرآن الكريم - ٢ -

للأستاذ عبد الوهاب حمودة

٨٨٢ الربيع عند الشعراء

للأستاذ الدكتور أحمد أحمد بدوي

٨٩٠ حول حقوق المرأة : بقايا من رواسب الجاهلية

للأستاذ أحمد الشرباصي

مَثَلُ مِنَ الْجَادِ الْأَحْمَرِ

بقلم : أحمد حسن الزيات

منذ أسبوعين اثنين أذاع راديو موسكو حديثاً للمحرر الأول في مجلة العلوم السوفيتية قال فيه : إن القمر الروسى الذى انطلق أخيراً بين أجرام السماء مزوداً بالأجهزة العلمية الدقيقة التى تبصر وتسمع وترصد لم يرسل بين أنبائه ما ثبت من قريب أو بعيد تلك الدعوى التى ادّعتها الأديان المختلفة من وجود ملكوت أعلى فى السماء يستوى على عرشه إله ، وتحف من حوله ملائكة ، ويظوف بأبوابه رسل ، وتقوم على أرجائه الجنة والنار ، وتصدر عن محكمته الأفضية والأقدار . فلم يكن هناك إذن إلا وهم جسمه الجهل فى عقول الناس ، أو خداع تذرعه الطامحون إلى ملك الأرض !!

فى السماء ، وسمع الملائكة وهم يسبحون الله فى غيابات الفضاء ، وشم روائح الأجساد وهى تحترق فى سكير جهنم ، وذاق ثمار الجنة وهى تتدلى من شجر الخلد ، ولمس خدود الحور وهن يتخطرن فى خمائل عدن ؟

قطعة من الجاد يبلغ وزنها طنًا وبعض طن، أفلحوا فى قذفها إلى ما وراء الجاذبية الأرضية فاتخذت لها مداراً اضطرارياً حول القمر أو حول الشمس ، فجالها محدود وبقاؤها موقوت ؛ وما كان محصور المسكان أو موقوت الزمان استحال عليه أن يحيط باللانهاية أو يشعر بالأبدية .

وماذا تعرف الهباءة عن الأفق الذى لا ينتهى ، أو القطرة عن المحيط الذى لا يحد ؟ !

وليت شعرى ماذا كان ينتظر هذا الأحمر الأحر من قره أن ينبئه به ؟ أكان ينتظر منه أن يقول له إنه رأى الله جالساً فوق كرسيه إن الإله الذى (وسع كرسيه السموات والأرض) لا يجوز فى العقل أن يحتويه منها موضع ، وإن الجنة التى (عرضها

همها الأول إطفاء النور الإلهي في القلوب بإشاعة الإلحاد ونشر الإباحية وتسليط الغرائز وتحكيم الشهوات وإثارة الفن ، لتكون النفوس مهياة بعد ذلك لقبول كل مبدأ وسلوك أى مسلك . وكان الإسلام هو عدوها الألد ؛ لأنه الدين العلي الذي ينظم الدنيا بالدين في السياسة والاجتماع والاقتصاد ، فألف بين القلوب ، وأخى بين الناس ، وسأوى بين الأجnas ، وعالج الفقر وهو علة العمل بما لو أخذ به المصلحون لوقاهم شرو هذه الحروب ، وكفاهم أخطاء هذه المذاهب : عالجها بالسفارة بين الغنى والفقير على أساس الاعتراف بحق الملكية والاحتفاظ بحرية التصرف ، فلا يُدفع مالك عن ملكه ، ولا يعارض حر في إرادته ، وإنما جعل للفقير في مال الغنى حقاً معلوماً لا يكمل دينه إلا بأدائه . فالأرض التي تشرق بهذه المبادئ لا تستطيع خفافيش الشيوعية أن تعيش فيها . لذلك عبأت لهدم الإسلام قوى الباطل وأسلحة الضلال فافترت عليه الأكاذيب ، وطيرت حواليه الشكوك ،

وقالت في كتبها وصحفها وإذاعتها : إن الإسلام لا يعرف العدل لأن القرآن يقول : « والله فضل

السموات والأرض) لا يدخل في الإمكان أن يستوعب طولها موقع ، وإن (اللعبة) التي تطفل بها العلماء على مسابح الأجرام إنما تمسكها قدرة الله لا قدرة الإنسان ، وتديرها قوة (النظام) لا قوة العلم ، فهي شاهد إثبات لا شاهد نفي ، ودليل إيمان لا دليل كفر ، ولكن المسألة ليست مسألة عقل ولا علم ، إنما هي الشيوعية التي كفرت بالله وأمنت بماركس ، وفرطت في الروح وأفرطت في المادة ، وأرادت أن تسلب بنى آدم في جميع أقطار الأرض نعمة الحرية وعزة الإرادة ولذة الاقتناء ؛ لتجعلهم قطعياً واحداً من العبدان على جباههم سمة (المطرقة والمنجل) ، يعملون كما تعمل الآلات ، ويأكلون كما تأكل الأنعام ، ثم يهلكون كما تهلك الدواب ، وتلك هي حياة كل شيوعى وحاله : أرض ولا سماء ، ويوم ولا غد ، وطريق ولا غاية ، وعمل ولا تبعة ، ودنيا ولا أخرى !!

* * *

لقد رأت الشيوعية أن الأديان هي العقبة السكّاء في سبيل إرادتها وقيادتها فجعلت

بعضكم على بعض في الرزق» ، ولا يعرف المساواة لأن القرآن يقول: « ورفعنا بعضكم فوق بعض درجات » ، ولا يعرف الحرية لأنه قيد كل شيء بقيد : قيد الرزق بالملكية ، وقيد المرأة بالزوجة ، وقيد تصرف النفوس بالعقيدة ، وقيد تداول الأموال بالإرث ، وزعمت أنها براء من كل هذه (النقائص) لأنها تقول : كل شيء مشاع ، وكل أمر مباح ، وكل شهوة طليقة ، فالزراع والمصانع والنساء وسائل عامة للإنتاج العام ، يُعطى كل على حسب كفايته ، ويأخذ كل على حسب حاجته !

وهكذا يزعم الشيوعيون أنهم أعلم من الله بأحوال خلقه ، وأعدل منه على تقسيم رزقه ، فهم لذلك ينكرون دينه ، ويغيرون شرعه ، ويحاولون أن ينسخوا ما خلفه الأنبياء والحكماء

من الشرائع والعقائد والقيم ، ليأتوا بنظام آخر لا يقصدون به العدل المطلق ولا الخير العام ، وإنما يقصدون به طغيان بشر على إله ، وسلطان شعب على عالم .

وما أدري لم كتب الله على العراق الحبيب أن يكون في ماضيه وحاضره مباءة للنحل

وفي هذه الأيام تجددت في العراق البابكية باسم الشيوعية ، فدعت إلى الإلحاد والإباحية جبرا بعد الخفوت ، وقهرا بعد الخيلة ، وأخذت تهاجم الله وكتابه ، والإسلام وأهله بسفاهات من القول البذيء والفعل الفاحش ، وهي فتنة حمراء لن يحترق في لظاها إلا الطامعون [البقية في الصنعة التالية]

الْخَلْقُ وَالصَّنْعُ

لِلأَسْتَاذِ عَبَّاسٍ مُحَمَّدٍ الْعَقَّادِ

وصل الاختراع الصناعي إلى غاية «الخصائص» الإلهية ، ولا غاية لهذه الخصائص أعلى وأبعد من خلق السماء ، وخلق الحياة .

قالوا بعد اختراع القذيفة المسماة بالقمر الصناعي إن هذا الاختراع قد انتزع حصة السماء من جانب القدرة الإلهية ، وأثبت أن الكواكب الدوارة عمل من أعمال الصناعة في قوامه وتكوينه ، ولا عبرة بالكثرة أو بالكبر والفخامة بعد ذلك !

ومن العجيب أن يخطر هذا الخاطر على فكر يحتكم إلى العقل والواقع كما يقولون ، إذ لو جاز أن يكون اختراع « القمر الصناعي » دليلاً مبطلاً للخلق الإلهي لاستغنى الماديون عن انتظار هذا الاختراع ، ولوجدوا من قبله ألوفاً من الأدلة تساويه في هذه الدلالة وتزيد عليه .

من دعاوى الماديين أنهم يستأثرون بالعقل ويهتمون المتدينين بالسذاجة والاستعداد لقبول الخرافة وتصديق العقائد بغير دليل . فإذا كانت السذاجة هي الخلو من العقل فالمادية في الواقع مذهب يحمل طابع السذاجة على وجهه ؛ لأن المادى يستطيع أن يفهم أن العقل نافذة طارئة على هذا الكون وأنه عنصر يأتي بعد عناصر المادة في تاريخ الوجود ، وفي أثره بين الموجودات .

وحقيقة الأمر أن خرافات المنكرين أشد وأكثر من خرافات المصدقين ، ومن خرافات «المادية» المنكرة في هذا العصر أن الاختراعات العصرية تلغى القدرة الإلهية وتفسر الخليفة تفسيراً يبطل وجود الإله الخالق ، بعد أن

البعيدة . يمثل هذا الدنس أقبل الفيض الإلهي فظهر ماؤه النقي كل رجس ، وجرف تياره القوى كل حاجز . « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » .

أحمد من الزبات

الخداعون الذين أضرموها ببقاب الشعوبيين ووقود الروس ، ولكن الإسلام الذي تغلب على كل نحلة وفتنة نجمتا في العراق من قبل ، سيتغلب على هذه الفتنة اليوم ، فإن له منبعين من كتاب الله وسنة رسوله لا يزالان يتدققان بالصفاء والطهر ، فكما تلوّث مجاريه

بغير فائدة تجارية أو اقتصادية مما تتولاه الشركات ويكتتب له المساهمون . فإذا لم تكن هناك دولة غنية تنفق على القذائف والصواريخ والأقمار الصناعية ؛ لاعتبارها إياها من الأسلحة التي ترصد لها تكاليف الدفاع والقتال ، فليس من المنطوق أن تتصدى لهذا العمل شركة مساهمة ، تجمع المال للتجارة وتوزيع الأرباح على أصحاب السهم ، وعليها قبل أن تتقن صناعة الأقمار والصواريخ وما إليها أن تنفق مئات الملايين بين الشك واليقين ، وقد يكون الشك أغلب من اليقين ! فالقمر الصناعي إذن ليس بالفتح العقلى الذى ألهم عقل الإنسان شيئاً جديداً فى مسألة الخلق والوجود ، ومسألة القدرة الإلهية والقدرة الإنسانية ولكنه تكرار واستطراد لكل عمل من أعمال الصناعة عاجله الإنسان ، وقد عملا وتفكيراً منذ مئات القرون ، وقد تكون « فكرته » أيسر وأقرب من فكرة المقلاع واللولب والدراجة يوم ظهرت لأول مرة على أيدي المخترعين .

إن اختراع « القمر الصناعي » إذن لم يززع دعائم « العرش الإلهي » كما وهم الماديون المفكرون ، ولكنه خليق - إذا صح التفكير - أن يحدد فى الأذهان تساءلها القديم عن تلك الحكمة التى خلقت من يصنع الأقمار الصغار ، وخلقت « الجاذبية » التى

إن الفكرة التى يقوم عليها اختراع الشراع أو اختراع اللولب المعروف بلولب أرخميدس أدق وأسبق من الفكرة التى قام عليها اختراع القمر الصناعى فى العصر الحديث ، وليس فى اختراع هذا القمر الصناعى نظرية واحدة لم تتمثل فى تسخير الرياح والجاذبية بصنع السفن الشراعية ، وليس هناك نظرية واحدة من نظرياته لم تتمثل فى لولب أرخميدس الذى يستعين بمعظم قوانين الحركة على جلب الماء من الأسفل إلى الأعلى بالحركة اللولبية . والقمر الصناعى إنما يقوم على الموازنة بين الجاذبية وبين قوة الدفع من المركز فى الاجسام المتحركة ، وليس فى هذه الموازنة شيء جديد لا يعرفه العالم الذى ينظر إلى « نحلة » الطفل اللاعب أو مقلاع الحجر والحبل أو الفنجال الذى يمتلئ بالماء ولا تسقط منه قطرة وهو يدور فى أيدي الحواة .

كل أولئك علم قديم ، بل تطبيق للعلم قبل أن يعرفه علماءه المختصون . وقد كان من المستطاع إبداع القمر الصناعى قبل القرن العشرين ، لولا أمران لا علاقة لهما بالمعرفة العلمية ولا بالقدرة الفكرية ، وهما :

(أولاً) تطور الآلات التى تستخدم فى أوقاتها حسب الحاجة إليها .

(ثانياً) وجوب الاتفاق على الاختراع

لا تتولد من اللحم إلا إذا وصل إليها بيض الذباب والحشرات التي تقع على غشاء الحرير، فأعلن في سنة (١٦٦٨) أن الحشرة - مهما تبلغ من الدقة - لا تتولد بغير مولد حتى ينقل جرثومة الحياة في بويضات تفرخ على اللحم كما تفرخ على غيره، وتأيدت هذه التجربة بمباحث المخترع الهولندي لويينهوك Leeuwenhoek الذي اخترع المجهر ورأى به جراثيم الحياة التي لم يكن ريدى الإيطالي يراها بعينه، ثم تقرر هذه الحقيقة وراء كل شك بعد اكتشافات باستور في القرن التاسع عشر وظهور الخلايا الحية التي تتولد منها جميع الأحياء، أو جميع الكائنات العضوية، كما اصطالحوا على تسميتها تمييزاً لها من المادة التي لا حياة فيها.

وبعد هذه الكشف انقسم العلماء إلى فريقين في القول بأصل الحياة: فريق الحيويين الذين يحزمون باستحالة تركيب الحى من الأجسام المادية بغير جرثومة مولدة، وفريق الآليين الذين يقولون إن تركيب الأجسام الحية بالوسائل الكيمية والآلية مستطاع يتيسر متى تيسرت وسائله التي وجدت في الزمن القديم قبل مئات الملايين من السنين. ولم لا تيسر الآن؟ لم لا توجد الآن أوائل الخلايا الحية التي تطورت منها سائر الخلايا قبل وجود الأحياء العليا؟

لا تزال سرّاً من الأسرار، لا مدار بغيره للنجوم الصغار، ولا للنجوم الكبار.

يعتقد الغربيون في أساطيرهم أن القمر يثير الجنون، وأن له سلطاناً على عقول المهوسين وأصحاب الأهواء.

والظاهر أن الأقمار الصغار، ورثت عندهم هذه الخاصة على الأقل من القمر الكبير، فما ذاع خبرها حتى انطلق معها وهم الواهمين وغرور المغرورين، فأعلنوا أنهم سيخلقون الحياة، في المعمل كما صنعوا فيه القمر، وأن إثبات هذا الخلق، الحى وشيك أن يتم في مدى سنوات، ولن ينتهى القرن العشرون حتى يكون في العالم «كائنات» حية من صنع الكييمين والبيولوجيين، أو علماء الحياة.

منذ ثلثمائة سنة نشأت هذه المسألة في بيئة البحوث العلمية، بعد أن كانت في عداد الأقاويل والتخمينات.

هل يمكن توليد الحى من الأجسام التي لا حياة فيها؟

أول من نفى إمكان ذلك بالدليل المستمد من البحث العلمى طبيب إيطالى، يسمى ريدى (Redi) خامره الشك في تجارب بعض المجتهدين الذين حسبوا أن الهوام تتولد من اللحوم بغير جرثومة حية، فعزل اللحم وغطاه بالحرير الشفاف، وثبت له أن الهوام

الأجسام الحية، ولكن هذه المادة البولية خاصة بأجسام الأحياء .

وشعر الآليون بنجدة أخرى حين ظهرت الخلايا التي تسمى « بالفيروس » ؛ لأنها في درجة متوسطة بين الجماد والنبات ، فقال قائلمهم : إن هذا « الفيروس » هو أول درجة من درجات الأحياء ظهرت على الكرة الأرضية ومنها تطورت جراثيم الأحياء .

إلا أن « الفيروس » لا يمكن أن يكون أول درجة من درجات الحياة ، إذ قد ثبت للآليين أنفسهم أنه مخلوق طفيل لا يعيش على حدة ، ولا ينمو في غير الكائنات العضوية ، التي يتعلق بها ويغذى حياته من حياتها ، فلا بد أن تسبقه في الوجود تلك الكائنات العضوية التي يستكثرون ظهورها من مادة خالية من الحياة .

وقد ينجلي لنا مبلغ البعد الشاسع بين دعوى الآليين وبين طاقة علم الكيمياء حين نعرف الفرق بين خلايا « الناسلات » من الوجهتين الكيميائية والحيوية :

فالناسلات : هي خلايا دقيقة لا ترى الألوف منها بالعين المجردة ، تتشابه في تركيبها الكيميائي ولا توجد في إحداها مادة معدومة في غيرها .

ولكن الفرق بين الناسلة Gene والناسلة الأخرى ، أكثر وأعظم من أن تحصره الكلمات ؛

قالوا : إن هذه الخلايا لا تدوم طويلا لو وجدت اليوم ؛ لأن البحار مملوءة بالأحياء التي تلتهم عند ظهورها ولا تبقى عليها حتى يتم لها التطور كما تم قبل ملايين السنين .

ولا بد أن يسأل السائل : ألا يوجد مكان على الأرض تمكن فيه طائفة من الخلايا سلبت من افتراس الأحياء البحرية الكبيرة كما سلبت مثات الأحياء الصغار التي لا تستطيع الاختباء من مفترسيها كما تستطيعه الخلايا الدقاق ؟

ألا يوجد لتلك الخلايا أثر في التربة الساقية أو الحفريات المتحجرة ، أو المعادن المهملة ، على صورة من الصور التي تدل عليها وإن ذهبت منها الحياة ؟

وليس عند العلماء الآليين جواب مقنع لهذه الأسئلة ، ولكنهم شعروا بشيء من النجدة حين تمكن بعض العلماء الآليين في ألمانيا من توليد تركيبة عضوية (سنة ١٨٢٨) وهي مادة البولية Vrea وكل ما في هذه التركيبة المصنوعة أنها توجد في الأجسام الحية أو الأجسام العضوية ، ولكن هل هي مادة حية تولد الحياة ؟ وهل هي ذات جرثومة تعيش وتقدر على التولد والتوليد ؟

كلا . إنما مثلها في جميع تركيباتها مثل العناصر التي توجد في الأجسام الحية وفي غير

التي شملت كل ما كان في الدماغ ؟ .

هذه المسافة البعيدة بين الخلايا الناسلة من الوجهتين الكيمية والحيوية تدلنا على مبلغ التطوح في دعوى الآلئين المنكرين .

ولكنهم - على هذا - يتطوحن غاية التطوح ثم لا يصلون إلى نتيجة تستحق هذا العناء الطويل .

إن الناس كانوا يؤمنون بالله يوم كانوا يعتقدون أن الجرذان تتولد من طينة الغيطان ، وسيؤمنون بالله يوم يحصل ما لا يخطر على البال لو صدق ظن الآلئين المنكرين وثبت لهم أن خلايا الأحياء تتولد في معامل الكيماة .

فلم يلزم أن يكون السكون بغير خالق لأن ذرة منه تصنع ؟ ولم تكون قدرة الإنسان منافية لقدرة الله ، ولا تكون دليلا على قدرة الله ؟ وكيف يكون التقليد مبطلا للفضل الأصيل أو يكون صنع الشيء على مثال ومن مادة قائمة مساويا لصنعه على غير مثال ومن غير مادة لها قوام ؟ .

إن مسألة الخلق والصنع باقية حيث كانت عند آخر شوط ينتهي إليه الآليون المنكرون لو بلغوه ، ولكنهم لن يبلغوه ؟

عباس محمود العقاد

لأن كل ناسلة تحمل في طياتها عناصر الوراثة التي يختلف بها إنسان عن إنسان : وقد يكون منها الأصل الذي ينشأ منه خال على الخد أو إصبع زائدة في اليد أو القدم ، أو علامة جلدية على الذراع ، أو ملسكة ذهنية لا يدرى أحد أين تكون .

وربما كان الفرق بين خلية وخلية كالفرق بين الفيلسوف ابن سينا والقدم الغبي الذي لا يتعلم ولا يجدى فيه التعليم ، فكيف يمثل الكيماة هذه الفوارق الحيوية في مزيج الكيماة . وكيف تظهر في لفائف المخ مثلا كلمات اللغة التي يعرفها هذا ولا يعرفها ذاك ، أو التي يجملها الإنسان الواحد في زمن ويتعلمها في زمن آخر ؟

ولا بد - على كل حال - لمن يدعى أن التركيب الكيماة يجمع كل صفة من الصفات في البنية الحية أن يعترف بأن خلق المخ بمحتوياته الكيماة يحفظ كل ما فيه من المعاني والأفكار والكلمات . فهل في وسع من يدعى ذلك أن يجعل صاحب المخ الذي يحكيه المعمل بتركيبه الكيماة يتكلم اللغات التي يتكلمها العارفون بها ؟ هل تؤدي محاكاة مخ الإنسان الصيني إلى وجود إنسان يتكلم الصينية ؟ فإن لم تكن هذه المحاكاة مؤدية إلى ذلك فأين كانت كلمات اللغة قائمة في غير الأمزجة الكيماة

التوجيه القرآني والمجتمع الحديث

للأستاذ الدكتور محمد البهي

المجتمع الحديث :

يتميز المجتمع الحديث بأمرين أساسيين :
يتميز بالحضارة المادية الصناعية ، وبالتوجيه
الفكري الممثل في نزعاته الفلسفية المختلفة .
والمجتمع الحديث هنا هو المجتمع الغربي ،
سواء ذلك المجتمع الذي ينتهي إلى الكتلة
الغربية ، أو ذلك الآخر الذي يكون الكتلة
الشرقية .

١ - أما الحضارة الصناعية فهي حضارة
الآلة والبحث العلمي التجريبي . وقد خطا
تطور الآلة خطوات فسيحة في حياة المجتمع
الحديث ، كما تقدم البحث العلمي التجريبي تقدما
عبر عنه انفجار الذرة ، وإطلاق الصواريخ
والأقمار الصناعية في الفضاء العلوي في محيط
كوكب القمر ؛ لرصد طبقات الجو وكشافته
رصدًا قريبًا من واقعه ، أو رصدًا يعبر عن
واقعه كما هو .

جديدها نتيجة مباشرة لتقدم البحث العلمي
التجريبي . وإذن العلم التجريبي في مجال الطبيعة
هو القوام الذاتي للحضارة الصناعية التي يتميز
بها المجتمع الحديث . هو القوام الذاتي لآلة
الحرب ووسيلة السلم على السواء . إنه القوام
لصنع الطائرة وإحداث نوع النفثة منها ،
ولصنع السفينة وإيجاد ما يسير بالذرة منها
فوق الماء أو تحته ، ولصنع السيارة سواء
ما يصلح منها للسير على الأرض فقط ، أو ما
تتجاوز صلاحيته الأرض إلى السير فوق الماء
والأرض معا . إن العلم التجريبي في مجال
الطبيعة هو الذي جعل من الطائرة ما يحمل
الإنسان في سرعة البرق الخاطف من مكان
إلى مكان رغبة في تيسير أمر التنقل البعيد
المدى عليه ، وهو نفسه الذي جعل من
الطائرة ذاتها وسيلة لإهلاك الإنسان وإبادته
ودك مسكنه الذي يأوي إليه ، وحرقت
ممتلكاته التي يفتن بها .

هو الذي جعل من السفينة ما يسير فوق
الماء أو في قاعه خدمة للإنسان . فاخترع سفن
الركاب والبضائع وصيد الأسماك والأصداف

وإذا كانت الحضارة الصناعية في المجتمع
الحديث هي حضارة الآلة والبحث العلمي
التجريبي ، فالآلة في تطور قديمها وفي اختراع

حضارة صناعية قوامها العلم التجريبي - وهي طابع المجتمع الحديث - لم تبق في عزلة عن تقدير الإنسان ، كما كان يقدر بالأمس على أنه أسمى الكائنات . بل هزت قيمته من هذه الزاوية ، ووضعت تقيمه في الميزان .

٢ - أما الأمر الثاني الذي يتميز به المجتمع الحديث فهو التوجيه الفكري الذي يتمثل في النزعات الفلسفية المختلفة التي تتجاذبه والتي يخاصم بعضها بعضا ، والتي اصطنع المجتمع الحديث الحرب الباردة بسبب ما بينها من اختلاف ومفارقات :

(١) هناك النزعة التي تؤمن بالمجتمع دون الأفراد ، وهي النزعة التي يضحي الفرد عن طريقها بماله من حرية في الرأي ، وحرية التعبير عنه ، وحرية الاعتقاد ، وبماله من حرمة أو حق في التملك في سبيل المجتمع أو الدولة .

هي النزعة التي تجعل من عقل الإنسان وروحه أمراً تابعا لجسمه . وللبنية التي يولد وينمو فيها هذا الجسم .

هي النزعة التي تنكر الله ؛ لأنه قوة روحية تجردت عن الجسمية وملابسات الجسم . هي النزعة الشيوعية .

فالشيوعية فلسفة ونزعة فكرية ليس بمجالها الاقتصاد خصب . وإنما هي نزعة موجهة ، لها

تحملة فوق الماء وتحصل له من قاعه ما يقتات أو يترين به . وهو نفسه الذي جعل من السفينة نفسها قوة ضاربة تبديد الإنسان أينما وجدته ، تصيبه من فوق الماء أو من تحته ، فاخترع البارجة والمدمرة والغواصة .

هو الذي جعل من السيارة وسيلة لراحة الإنسان وترفه ، فاخترع سيارة الركوب ، وتقل الأثقال ، وسيارة الرحلات في الجبال وعلى رمال الصحراء . وهو نفسه الذي اخترع الدبابة الخفيفة والثقيلة ، وقاذفة اللهب .

العلم التجريبي الحديث سخر الأرض والماء والهواء للإنسان ، وهو نفسه الذي يستخدم الأرض والماء والهواء ضد الإنسان . يقيم العمران ويبيد العمران . يوجد أسباب الرفاهية للإنسان . ويغدر بالإنسان ويشقيه . يجعل الإنسان سيذا ، ويذل الإنسان ويستعبده . يمكن الإنسان من الإنسان ، ويدفع الإنسان إلى ظلم الإنسان . ولذا كان العلم التجريبي معبود الإنسان في المجتمع الحديث : محرابه المعمل وكنهته رجاله ، وطقوسه استسلام العقل البشري لقيادته . ومن شدة استسلام العقل البشري في المجتمع الحديث للعلم التجريبي كاد يعيش الإنسان للعلم ، ولم يعد هذا العلم في خدمة الإنسان ، وكادت الآلة تفضل الإنسان ، ولم يعد الإنسان ذا فضل على الآلة .

والمشاهد، وتكفر بما وراء الحس والشاهد وتراه خداعاً أو خرافة. فالاعتقاد بالله خدعة أو خرافة، ولأنها لا تؤمن إلا بالحس والمشاهد ترى أن الواقع المحسوس هو مصدر المعرفة الصحيحة، وأن وحى الحس هو الوحي الصادق. ولذا العلم التجريبي، وهو ما ينشأ عن التجربة في المحسوس، هو اليقين الذي لا ينكر، ويجب الإيمان به في مقابل الإيمان بالله وبوحي رسالته.

وفي جانب القيم الخلقية لا ترى ثباتاً لها وإنما تراها متطورة. وما يأتي به الغد هو أفضل مما كان بالأمس. والحديث الخلقى مثلاً عن حرمة الشخص في ماله وعرضه، وعن وجوب صيانة هذه الحرمة له، هو حديث في هذا الوقت معاد؛ لأنه يتصل برجعية الدين التي فرضت مقاييس خلقية أصبحت عديمة الجدوى الآن. إذ مبدأ التطور - وهو مبدأ الحياة - يعطى الأفضلية للحاضر في مواجهة الماضي، وللستقبل في مواجهة الحاضر. والحديث عن علاقة الرجل بالمرأة في جانب من جوانب هذه العلاقة، سواء عما يقال من شرعية هذه العلاقة بالزواج أو عدم شرعيتها بغير زواج، أو ما يقال عن اختلاف في وضع أحدهما بالنسبة للآخر، أو في وضعهما معاً بالنسبة للأولاد، هو من رواسب الماضي التي لا يستسيغها مبدأ التطور.

مكان العقيدة في التوجيه، بعد ما رسم الفكر الفلسفي خطوطها في جوانب الحياة الإنسانية. هي في جانب الفرد تحد من حريته وتفرض عليه قبول الجبر. ولذلك تصغر من قيمته. وإن قيمته فلا تقيم فيه إلا مادته الجسمانية دون عقله وروحه. فليس الذي له من عقل وروح سوى ظاهرة تنفعل فيطورها بنشأة الإنسان المادية التي يساعد عليها وضع المجتمع الاقتصادي الذي يعيش فيه.

وهي في جانب المجتمع أو الدولة تمنح المجتمع أو الدولة سلطة مطلقة في قهر الأفراد على الطاعة، وتتيح لها اتخاذ التدابير التعسفية ضدّهم في سبيل الإبقاء على النظام الشيوعي للدولة. وكرامة الأفراد، وحرمايتهم، وكيانهم الشخصي، أمور لا وجود لها في ظل المجتمع؛ لأنها من القيم والمثل التي ينخدع بها العقل دون الواقع!

وفي جانب الاقتصاد نقل مطلق للإقطاع الزراعى، ولرأس المال في الصناعة من الأفراد إلى الدولة، وتشغيل من الدولة للأفراد ثانية في المصانع والمزارع. يؤجر الأفراد حسب إمكانياتهم في الإنتاج كما وكيفا. وحصيلة الفرق بين الأجر وما تغلّه المزارع وتنتجه المصانع يبقى في حوزة الدولة، التي هي قيمة قوامه مطلقة على أفرادها.

وفي جانب الاعتقاد لا تؤمن إلا بالحس

والدولة هي كل الوجود الذي يفنى فيه الأفراد .

والشيوعى هو الكافر بالله والمؤمن بالعلم ، وهو المجبر على التنازل عما يملك ، وعما له كإنسان : من حق التفكير والتعبير . هو المؤمن بالفناء فى غيره ولكن ليس عن اختيار ، وهو المضحى بحقه لغيره ولكن دون طوعية . وفرق إذن بينه وبين الصوفى . إذ هذا يتنازل عن دنياه برضى منه ، ويفنى فى الله بحبته إياه وهو فى تنازله عن الدنيا وفنائه فى الله . ذلك الإنسان : الحر المختار . لم يخرج عن إنسانية ، ولم يتبدل إلى تميز آخر يشاركه الحياة ولكن ليست له ميزة الإدراك والإرادة .

تعتمد النزعة الشيوعية على قانون التطور . ولكن لماذا تؤمن بوقوف التطور عند حد المجتمع العالى ذى الطبقة الواحدة ، وهو مجتمعها القائم ؟ لم لا يتحول هذا المجتمع العالى يوما إلى ملكية ، فإقطاعية ، فرأسمالية مرة أخرى ؟ وتلغى الإيمان بالله وتؤمن بالعلم ، بالعلم الذى رأيناه يكون مرة فى خدمة الإنسان ورفاهيته وسلامته ، ومرة فى سبيل شقوته وإهلاكه وفنائه ، ولكن ماهو صمام الأمان عندها ضد أن يكون العلم فى سبيل شقوة الإنسان وفقره ومذله وقلقه واضطرابه ؟

سلبت مافى يد الإنسان مما يملك وجعلته ذا حاجة إلى غيره ، وإن كان الدولة . وأفرغت

التطور خضع له المجتمع فى الانتقال من الملكية الاستبدادية الممثلة فى الحكام والعبيد ، إلى الإقطاع الممثل فى المزارع الكبيرة والمستأجرين ، إلى الرأسمالية الممثلة فى المصانع والعمال ، إلى المجتمع ذى الطبقة الواحدة وهو المجتمع العالى .

كذلك هو المبدأ الذى يجب عن طريقه أن يتحول الفرد ويذهب فى المجتمع ، وتلغى بذلك شخصيته لتبقى شخصية المجتمع .

وهو المبدأ نفسه الذى خضعت له المعرفة فتحولت من رسالة السماء إلى موازين العقل ، إلى تجربة الواقع والحس . كذلك هو المبدأ الذى يجب أن يتحول عن طريقه الإيمان من الله إلى العلم التجريبى . وتتحول العبادة والقداسة إلى هذا دون ذاك . كما تتحول المقاييس الخلقية من اعتبارات الدين ومثالية العقل الإنسانى إلى الوجودية فى السلوك والتقييم الخلقى .

وهنا تخلص النزعة الشيوعية إلى تبرير إلغاء حرية الفرد وإلغاء ملكيته ، وإلى نقل الإيمان بالله وحده إلى الإيمان بالعلم وحده وإلى تغيير القيم الأخلاقية فى السلوك .

كما تخلص إلى تبرير سيادة الدولة سيادة مطلقة إزاء الأفراد فيما يملكون ، ويعتقدون ، ويفكرون ، وفيما ينتقلون وقيمون .

العلم هو الإله !

هذه الحرية الفردية في المجتمع الديمقراطي الحديث ساعدت على نمو الفردية والانانية ، وكادت تحول المجتمع إلى مجتمع بدائي في السلوك والترابط ، لولا ما هنالك من سلطات قضائية ونيابية وتنفيذية ، وهي السلطات التي تعد مظهر المجتمع صاحب المدنية .

الفردية أو الانانية في المجتمع الديمقراطي الحديث أوصلت الرأسمالية إلى الاحتكار والتحكم في الطبقتين العاملة والمستهلكة على السواء ، وجعلت لها سيادة غير مباشرة وتوجيها من خلف الستار على السلطات الثلاث القضائية والنيابية والتنفيذية ، تلك السلطات التي يفترض فيها أن تكون سلطات عليا مستقلة . كما مكنت لها من التحكم في توجيه الرأي العام عن طريق الكتاب والصحافة ، والإذاعة ، والتلفزيون .

وبذلك آل المجتمع الديمقراطي الحديث ، عن طريق الحرية الفردية فالانانية ، إلى عصابة تتحكم فيما عداها من أفراد المجتمع ، على نحو ما آل إليه الأمر في المجتمع الشيوعي - عن طريق نقل الحرية الفردية والملكية الفردية إلى الدولة - إلى عصابة باسم الدولة تتحكم فيما عداها من أفراد المجتمع ، وأصبحت هنا عصابة وهناك عصابة ، والفرق بين العصابتين أن إحداها سافرة والأخرى مقنعة .

وإذا كان المجتمع الشيوعي ألغى القيم

قلبه من الإيمان بالقيم الخلقية ، وملأت نفسه بأن السيد عليه هو الحس والشاهد ، وأن القيادة لهذا دون أن تكون لعقله ، وأخرست لسانه الناطق وأوقفت مشيئته من الانطلاق في اتجاه آخر غير الاتجاه الذي تمليه الدولة . وركزت الحرية والمشيئة والتوجيه والمال في الدولة . تلك الدولة التي تأخذ ولا تعطي ، وتقبل التضحية ولا تجازي عليها ، تلك الدولة التي ليست راعية ولا مسؤولة فيما ترعى ؛ لأنها دولة بغير أفراد !

(ب) وهناك في مقابل النزعة الشيوعية في المجتمع الحديث نزعة الرأسمالية أو الديمقراطية الغربية ، وهي نزعة تضاد النزعة السابقة في تقييم الفرد وتقديره . وبقدر ما تهدر الأولى حياة الفرد ، وحرمة ، وحرية في سبيل المجتمع ، بقدر ما تترك الثانية من مصالح المجتمع في سبيل حرية الفرد . تتركه ينمو حيث يشاء ، ويتصرف حسبما يبدوله ، وإن كان في إطار من الحدود والقيود . لا تمنعه الحركة ، ولا تعوقه دون تخطيط الاتجاه الذي يتحرك فيه . تتركه يؤمن في دائرة الاعتقاد بما يريد ، ويمارس من ألوان حرية التفكير والتعبير عما يفكر ما يرغب في ممارسته منها . والدولة من وراء هذه الحرية ترعاها ؛ لأنها في خدمة الأفراد . وليس الأفراد في خدمة الدولة إلا بقدر ما ترعى مصالحهم وتضون حريتهم .

من المساعدات الفنية والاقتصادية للبلاد العربية ، تضاعف هذه الدول نفسها المساعدة في السكم والنوع لإسرائيل .

والفلاسفة الذين قيموا هذا النظام أو ذاك من الوجهة الفلسفية هم من مفكرى اليهود . والشيوعية الدولية التي ينادى بها النظام الاشتراكي الشيوعي لا تفرق عن الحكومة العالمية التي تنادى بها الدول الديمقراطية الغربية . فالهدف واحد ، والوسيلة مختلفة . الهدف هو إضعاف القوميات في المناطق المختلفة كي تذوب الشعوب الصغيرة ، وتضع إمكاناتها البشرية والاقتصادية في خدمة إحدى الكتلتين: إما الشيوعية الشرقية أو الديمقراطية الغربية . وهنا لانجرب إذ رأينا كلتا الكتلتين تحارب القومية العربية ، بينما كلتاهما تعلن المحافظة على استقلال الشعوب الصغيرة ، وتمكين الشعوب الأخرى التي تحت الوصاية أو الاحتلال من حق تقرير المصير . فاستقلال الشعوب في عرف الكتلتين هو فصل بعضها عن بعض ، كي يسهل امتصاصها واحدة إثر الأخرى .

الرأسمالية إذن عادت بالمجتمع الديمقراطي الحديث إلى مجتمع تسيطر عليه الفردية والأنانية والتخلف في القيم والمثل العليا ؛ لأنه كلما سيطرت الأنانية كلما خف وزن القيم والمثل العليا . إذ هذه القيم والمثل هي حوافظ

الأخلاقية في حياة الأفراد ، ألغائها بناء عن منطق خاص لفكرة فلسفية اعتنقها ، فإن المجتمع الديمقراطي الرأسمالي تغاضى عن اعتبار هذه القيم في حياة الأفراد وأهمل النظرة إليها بناءً أيضاً عن منطق خاص لفكرة فلسفية يتشبث بها الرأسماليون ، وهي أن الشعب كلما انصرف إلى إشباع رغباته ومارس مقدارا أوسع من حريته الشخصية كلما انصرف عن التفتيش والبحث عن تلك العصابة المستترة ، التي تحكم بغير حكومة وتحتكر بدون قانون وعرف ، إلا قانون السيطرة عن طريق المال واكتنازه في يد حفنة خاصة متشابهة في المنزع والاتجاه ، ومتعاونة على تحقيق هدف معين .

والعصابة هنا وهناك في المجتمعين هي حفنة من اليهود تؤثر أن تعمل في صمت ووراء حجب ، من غير إيمان بهذا النظام أو بذاك ، وهذا هو السر في محافظة النظامين على قيام إسرائيل وبقائها بأنواع المساعدات الحيوية المختلفة ، إذ في الوقت الذي عقدت فيه تشيكوسلوفاكيا من بلاد الكتلة الشيوعية صفقة الأسلحة مع مصر ، عقدت روسيا نفسها مع إسرائيل صفقة من البترول لا تقل في القيمة والحجم عن صفقة الأسلحة ، وفي الوقت الذي تقدم فيه الدول الديمقراطية الغربية — تحت ضغط الرأي العام — بعضا

الذى يضع القرآن أسسه العامة وخطوط نظامه فهو المجتمع الذى يقوم على « العدل والتوازن » ، ويهدف إلى الخير ومنع الأذى والضرر . هو المجتمع الذى يقوم على المشاركة فى السراء والضراء ، ويدعو إلى الحرص على هذه المشاركة والدفاع عنها . وبالوقوف على وضع هذا المجتمع يتحدد موقف التوجيه القرآنى من المجتمع الحديث فى الشرق والغرب .

التوجيه القرآنى والحضارة الصناعية :

التوجيه القرآنى ينشد الحضارة الصناعية القائمة على العلم التجربى . يقول الله فى كتابه الكريم : « وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ، وترى الفسك مواخر فيه ، ولتبتغوا من فضله . . . » . « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ، وإليه النشور . . » فهو إذ يعبر هنا فى مواجهة الإنسان بأنه سخر للإنسان ما عدها فى السكون ، يطلب منه أن يتمكن وأن تكون له السيادة عليه . ولا تكون سيادة على شئ لجاهل به ، إنما تم السيادة حيث يكون له علم يكشف عن جوانبه . والعلم التجربى هو ذاك العلم الذى يسعى للكشف عن جوانب السكون .

والتوجيه القرآنى إذ ينشد الحضارة

للعلاقات الإنسانية فى أحسن صورها بين الأفراد ، وهى علاقات المشاركة فى السراء والضراء ، والتعاون فى سبيل بقاء هذه المشاركة والدفاع عنها .

والنزعة الشيوعية ألغت مباشرة اعتبار هذه القيم ، ووضعت مكان الدفع الذاتى لها - وهو دفع الضمير والخشية من الله - دفع القانون والسلطة الخارجة عن ذات الإنسان ، لمشاركة الأفراد بعضهم لبعض فى الإنتاج للدولة ، وتقديم ما تطلبه من خدمات فى صور جماعية .

والإيمان بالله فى المجتمع الديمقراطى لا يؤتى ثمره طالما تكون هناك أنانية وفردية . وهو بعد قد ألغى صراحة ، وإلغاء مباشراً ، فى المجتمع صاحب النزعة الشيوعية .

وهنا إذن قدر مشترك بين المجتمعين :

١ : عدم وجود أثر للقيم والمثل العليا ، سواء فى ظل سيطرة الديمقراطية ، أو سيطرة الاجتماعية الاشتراكية .

٢ : وعدم وجود أثر للإيمان بالله ، سواء فى ظل حرية الإيمان به أو فى ظل الحجر على الإيمان به . أما الاختلاف بينهما فهو فى الشعار فقط . شعار الشيوعية : الفرد للمجتمع . وشعار الديمقراطية : المجتمع للفرد .

المجتمع القرآنى :

هذا هو المجتمع الحديث . أما المجتمع

على العلم التجربي ، هداية الله للإنسان .
 « الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس
 من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط
 العزيز الحميد » . « إن هذا القرآن يهدي للتي
 هي أقوم ، ويبشر المؤمنين الذين يعملون
 الصالحات أن لهم أجراً كبيراً » . وبذلك
 يجمع المؤمن به بين سيادة العلم وهداية الله .
 وهداية الله تخطيط لسلوك الأفراد وعلاقاتهم
 بعضهم ببعض .

التوجيه القرآني والزعات الفلسفية :

وهنا تنتقل إلى التوجيه القرآني وموقفه
 من المجتمع الحديث فيما له من نزعات فلسفية
 مختلفة ، رأيناها متبلورة في اتجاهين متقابلين :
 اتجاه : الفرد في سبيل المجتمع ، واتجاه :
 المجتمع في سبيل الفرد .

القرآن الكريم يقول : « إنما وليكم الله ،
 ورسوله ، والذين آمنوا ، الذين يقيمون
 الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون . ومن
 يتول الله ، ورسوله ، والذين آمنوا فإن حزب
 الله هم الغالبون » فأفادت هذه الآية أن هنا
 ثلاث حقائق : الله ، ورسوله ، والذين آمنوا
 بالله وبرسوله . أما الله فهو غاية المؤمنين ،
 وأما رسوله فهو صاحب رسالة الله بينهم ،
 وأما المؤمنون فهم أفراد اجتمعوا على الإيمان
 بالله وبرسوله . وهنا في النقطة الأخيرة تتحدد
 في نظر القرآن قيمة الفرد المؤمن في مجتمع

الصناعية القائمة على العلم التجربي ؛ بغية تمكين
 الإنسان من سيادته على الكون ، ينشد العلم
 الدقيق بالكون أيضاً للاعتراف بالله
 وبوحدانيته في العبادة والربوبية ؛ لأن في
 الاعتراف بالله وفي قوة الإيمان به يمكن
 صمام الأمان من أن يتجه علم الإنسان
 بالكون إلى تدمير الكون ، ومن أن تتحول
 سيادته به على الكون والانتفاع به إلى أن
 يكون عبداً له ، شقياً تحسا به . فقوله هنا :
 « لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه
 حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه
 ولتبتغوا من فضله » ، وقوله : « فامشوا
 في مناكبها وكلوا من رزقه » - يدل على أن
 غاية العلم الذي يمكن لسيادة الإنسان على
 الكون هي خدمة الإنسان وإسعاده ، وليس
 إذلاله وشقوته .

الإيمان بالله وحده هو الذي يقيم العلم ،
 ويجعله نعمة وذا فضل على الإنسان . هو
 نفسه الذي يحول دون أن يقيم الإنسان
 من العلم معبوداً لا شريك له . وبالتالي
 يحفظ للإنسان قيادته له وسيادته عليه .
 وبذلك يبقى الإنسان هو ذلك الكائن المحترم :
 « ولقد كرمنا بني آدم » ، « وعلّمناه من لدنا
 علماً » ، وليس الإنسان الذي يخضع للآلة
 التي ينتجها العلم التجربي .

التوجيه القرآني يضيف إلى حث الإنسان

« من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فلنجينه حياة طيبة » . « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما . والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما . إنها ساءت مستقرا ومقاما . والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما . والذين لا يدعون مع الله ألها آخر ، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاما » .

والعمل الصالح هو العمل من أجل توازن العلاقات والعدل في الترابط . وإذا تحقق التوازن في العلاقات ، والعدل في الترابط لا يصير استقلال الفرد إلى أنانية ، ولا يتحول اعتبار كيانه الخاص إلى فردية هدامة . وبالتالي لا يصير الوضع في المجتمع القرآني إلى ذلك الوضع الذي صار إليه المجتمع الديمقراطي الرأسمالي .

ولكي يحفظ التوجيه القرآني وضع المؤمن في مجتمع المؤمنين به - وهو وضع المستقل صاحب العلاقات المتبادلة على أساس من الإيمان بالله وبهدايته - جعل القرآن نفسه هو الفيصل والحكم عند الاختلاف بينهم في الأفهام أو في الاتجاه . فيقول الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى

المؤمنين ، كما تتضح علاقة الفرد بالمجتمع ، وعلاقته بالمجتمع بالفرد .

القرآن في توجيهه خطابه ، أو في إخباره لم يتجه به إلى « مجتمع المؤمنين » كما لم يخبر عن هذا « المجتمع » بلفظ « المجتمع » . بل كان تعبيره دائما بلفظ « المؤمنين » في صيغة الجمع . وهذا يدل على أن الفرد في جماعة المؤمنين له شخصيته وله كيانه الخاص ولكن بما أنه ضمن الجماعة المؤمنة فله حقوقه من الآخرين وعليه التزاماته وواجباته نحو الآخرين وهنا يمكن أن نقول : إن القرآن ضد إفساء الفرد في المجتمع ، وبالتالي ضد إهدار حريته وإلغاء اعتبار كيانه الخاص . وذلك يستتبع حتماً أنه ضد انتقال ملكية الأفراد إلى ما يسمى بالمجتمع . فهو ضد النزعة الاشتراكية الشيوعية . وفضلا عن أنه ضدها فهو يدعو إلى تركيز إيمان الإنسان في الله وحده ، لا في شيء آخر سواه .

ولكنه لا يدع اعتبار كيانه الفرد الخاص يتدرج به إلى أن يكون ذا فردية وأنانية ، كما تركت الديمقراطية الرأسمالية الفرد يتطور إلى أناني ، وترك النظام الديمقراطي نفسه يتطور إلى عصابة تمارس الاحتكار والتحكم فيما عداها . لأنه إلى جانب الإيمان بالله الذي يدعو إليه دعا إلى العمل الصالح ، وزوج تقريرا في كل الآيات التي تحدثت عن أوصاف المؤمنين بين الإيمان بالله والعمل الصالح

بأنه ليس فحسب التمسك بهدايه الله كما جاء في كتابه . ولكنه قبل ذلك في عدم الحاجة وراء ذات الإنسان وضميره - من سطوة القانون أو رقابة السلطة التنفيذية - إلى دافع يدفعه نحو السلوك المستقيم، ونحو الغاية العامة للمجتمع، وهي السيادة والخير معا .

وبجانب أنه تفادى ذلك - وما تفاداه شر خطير - فإنه يدعو في تشجيع إلى العلم وما يأتي به العلم من ثمرات لرفع مستوى الإنسان، على أن يظل الإنسان ذا سيادة وقيادة .

إن التوجيه القرآني للمجتمع المؤمنين به توجيه مستقل، لاهو شرقي ولا غربي، يكاد زيته يضىء ولولم تمسسه نار، نور على نور، يهدي الله لنوره من يشاء .

دكتور محمد البرهي

مدير عام الثقافة الإسلامية بالأزهر

الأمر منكم (أصحاب الاجتهاد) فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا .

فلم يرض أن تتحكم نزعة إنسانية في توجيه المؤمنين ، حتى يتغير الوضع الذي ارتضاه الله لهم . وهو وضع الحر الكريم ، صاحب المعاونة والمشاركة فيما يعود على المؤمنين جميعا من خير وعزة وكرامة . بل أحال النزاع إلى ما أوحى به الله إلى رسوله .

* * *

وهذا تفادى التوجيه القرآني لمجتمع المؤمنين ماتدعو إليه النزعة الاجتماعية الاشتراكية (الشيوعية) ، وما تصير إليه الديمقراطية الرأسمالية معا من عدم وجود أثر للقيم والمثل العليا في حياة المجتمع ، وعدم وجود أثر للإيمان بالله فيها وأثر الإيمان .

كان الناس في مكة ، بعد هجرة الرسول قد مكثوا أياما لا يدرون أين توجه الرسول صلى الله عليه وسلم ، حتى سمعوا صوته يتغنى بهذه الآيات :
جزى الله رب الناس خير جزائه

رفيقين حلا خيمتي أم معبد

هما نزلا بالبر وارتحلا به

فأفلح من أمسى رفيق محمد

سلوا أختكم عن شاتها وإنائها

فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد

فلما سمعوا ذلك أدركوا أن وجهته المدينة .

تحقيق في أسفار العهد الجديد

بين اللغات التي ألفت بها والتي ترجمت إليها
وما وقع فيه من سوء الفهم في هذا الصدد من أنطواء

للأستاذ الدكتور علي عبد الواحد في

طوائف الناطقين بها أن انشعبت إلى عدة لهجات . وترجع لهجاتها هذه إلى مجموعتين رئيسيتين يفصلهما الفرات وصحراء الشام : إحداهما مجموعة اللهجات الآرامية الشرقية وتشمل اللهجات الآرامية ببلاد العراق ، والأخرى مجموعة اللهجات الآرامية الغربية وتشمل اللهجات الآرامية بسورية وفلسطين وشبه جزيرة سيناء ... وما إلى ذلك .

وتنقسم المجموعة الشرقية إلى لهجات كثيرة يهمنها منها في موضوعنا اللهجة النيرانية ، فقد ترجمت إليها أسفار العهد الجديد من اللغة اليونانية كما سيأتي بيان ذلك .

وتنقسم المجموعة الغربية كذلك إلى لهجات كثيرة يهمنها منها في موضوعنا اللهجة التي يطلق عليها علماء اللغة اسم « الآرامية الفلسطينية الحديثة » وهي التي كتب بها أقدم إنجيل في العهد الجديد وهو إنجيل متى ، والتي استخدمها المسيحيون بسورية وفلسطين في

يطلق اسم « العهد الجديد » ، على مجموعة أسفار مقدسة عند المسيحيين . وقد كتب سفر واحد من هذه الأسفار ، وهو إنجيل متى ، باللغة الآرامية ثم ترجم إلى اليونانية ، وأما باقيها فقد كتب باليونانية ، ثم ترجم إلى الآرامية .

ولذلك سنمهد لبحثنا بكلمتين موجزتين عن هاتين اللغتين .

— ١ —

نظرة مجملة في اللغة الآرامية

أصبحت اللغة الآرامية ، بعد تغلبها على اللغتين الأكادية والعبرية ، أي منذ أواخر القرن الرابع ق م ، اللغة السائدة في جميع بلاد العراق من جهة ، وفي سورية وفلسطين وما إليهما من جهة أخرى . فقد كانت إذن اللغة التي يتكلم بها المسيح ويتكلم بها أهل فلسطين في عهده . وقد نجم عن اتساع مناطقها وتعدد

— ٣ —

العهد الجديد

اعتمد المسيحيون من أسفارهم سبعة وعشرين سفراً قرروا أنها هي وحدها الأسفار المقدسة أى الموحى بها ، وأطلقوا عليها اسم « العهد الجديد » للمقابلة بينها وبين ما اعتمد من أسفار اليهود المقدسة التي أطلقوا عليها اسم « العهد القديم » .

وبجانب هذه الأسفار التي يتألف منها العهد الجديد توجد أسفار مسيحية أخرى قررت كنائس المسيحيين وبجامعهم عدم إدخالها في أسفار هذا العهد ، ويطلقون عليها اسم « الأسفار الخفية » "Apocryphe" du grec "Apokruphos" de "Apokruption" cacher وبعض هذه الأسفار الخفية يعتقد المسيحيون أنه موضوع كيانجيل برنابا (١) St Barnabé الذي جاءت فيه بشارة المسيح بالرسول محمد عليه السلام (٢) ، وكتاب

١ | القديس برنابا من التلاميذ الاثني عشر والسبعين وهو قريب الرسول مرقس مؤلف أحد الأناجيل الأربعة المعتمدة التي سيأتى ذكرها .

[٢ | هي البشارة التي أشار إليها القراآت الكريم إذ يقول « وإذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل إني رسول الله إليكم مصداقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » ، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين » آية ٦ من سورة الصف .

ترجمة أسفار العهد الجديد من اللغة اليونانية كما سيأتى بيان ذلك (١) .

— ٢ —

نظرة مجملة في اللغة اليونانية

كانت اللغة اليونانية القديمة لغة الحديث والكتابة في جميع البلاد اليونانية الأصل وفي جميع مستعمرات اليونان بأوروبا وآسيا وإفريقيا ، كما كانت لغة الكتابة والثقافة في كثير من البلدان غير اليونانية اللسان وخاصة في بلاد العراق والشام وفلسطين وشمال إفريقيا وفي مصر نفسها ؛ فقد كان المصريون منذ عهد البطالسة إلى الفتح العربي ، يتكلمون القبطية ، بينما كانوا يستخدمون اليونانية في شئون الكتابة والثقافة والآداب والعلوم .

وباللغة اليونانية ألفت جميع أسفار العهد الجديد ما عدا إنجيل متى ، فالراجح أنه أُلِف بالآرامية كما سيأتى بيان ذلك ، وإلى اللغة اليونانية تمت أقدم ترجمة لإنجيل متى في العهد الجديد (حوالى سنة ٦٠ ميلادية) من أصله الآرامى ، ومن اللغة اليونانية ترجمت أسفار العهد الجديد إلى اللغة اللاتينية ، وعن اليونانية واللاتينية ترجمت هذه الأسفار إلى معظم لغات العالم قديمها وحديثها .

[١ | انظر تفصيل الكلام عن اللغة الآرامية في الباب الثالث من كتابنا « فقه اللغة » | الطبعة الرابعة صفحات ٥٢ — ٦٧] .

البنات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون [١]» ؛ وإذ يقول : « إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يسكلمهم الله يوم القيامة ولا يزيكهم ولم عذاب أليم [٢] » ، ومن هذا يظهر أن السفر قد يكون « خفيا » و « مقدسا » في آن واحد عند اليهود ، ولكن لا يمكن أن يجمع بين هاتين الصفتين عند المسيحيين .

وتتمة : أسفار العهد الجديد خمسة أقسام : (القسم الأول) الأناجيل الأربعة ، وهي : إنجيل متى ؛ وإنجيل مرقس ؛ وإنجيل لوقا ؛ وإنجيل يوحنا .

١ — أما إنجيل متى فتؤلفه هو الرسول متى St matthieu وهو أحد الحواريين الاثني عشر [٣] Les douze apôtres ،

(١) آية ١٥٩ من سورة البقرة .

(٢) آية ٧٤ من سورة البقرة .

(٣) تطلق كلمة « الحواريين » على الذين صاحبوا المسيح ورووا عنه بطريق مباشر ، وعددهم اثناعشر حواريا . ولم يكن منهم في المبدأ الرسول متى صاحب هذا الإنجيل . ولكن بعد أن استبعد منهم يهوذا الإسخريوطى Judas iscariote (الذي تقول الكتب المسيحية إنه خان المسيح ، وأرشد الرومان إلى مقره وسهل لهم صلبه ، —

« أعمال الرسل » ، (أى تاريخ الحواريين) المنسوب لبرنابا كذلك ، فإن المسيحيين لا يعترفون بصحة ما جاء فيهما من حقائق ولا بصحة نسبتها إلى برنابا ؛ وبعضها الآخر يعترف المسيحيون بصحة ما جاء فيه من حقائق وبصحة نسبته إلى صاحبه ، ولكنهم يعتقدون أنه غير مقدس — فلكمة الخفي عند المسيحيين تطلق على غير المقدس من الأسفار سواء أكان صحيحا أم موضوعا .

وهذا يختلف الاصطلاح المسيحي في مدلول كلمة « الخفي » عن الاصطلاح اليهودي . وذلك أن اليهود ، مع إطلاقهم كلمة الخفي على جميع الأسفار التي لم يدخلوها في العهد القديم ، يعتقدون أن بعض هذه الأسفار مقدس أى موحى به ، ولكن رأى أحبارهم وجوب « إخفائه » في الهيكل وقرروا أنه لا يجوز أن يقف عليه الجمهور . وإلى هذا يشير القرآن الكريم إذ يقول في صدد اليهود : « قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتحفون كثيرا [١] » ، وإذ يقول : « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب [٢] » ، وإذ يقول : « إن الذين يكتمون ما أنزلنا من

(١) آية ٩١ من سورة الأنعام .

(٢) آية ١٥ من سورة المائدة .

لهذا الإنجيل كان الرسول يوحنا صاحب الإنجيل الرابع الذى سنذكره (١) .

٢ — وأما إنجيل مرقس فمؤلفه هو القديس مرقس St-marc وهو أحد التلاميذ أو الأنصار (٢) ، وقد ألفه حوالى سنة ٦٣ أو ٦٥ باللغة اليونانية لا باللغة اللاتينية كما

[١] انظر في ذلك مثلاً ابن خلدون صفحتى ٥٩٠ ، ٥٩١ من الجزء الثانى من طبعة لجنة البيان العربى إذ يقول: « كتب متى إنجيله في بيت المقدس بالعبرانية وتقلده يوحنا بن زبدي منها إلى اللسان اللطىنى » وانظر تعليقتنا رقم ٧٣٨ على هذه العبارة .

[٢] يقول التاريخ المسيحى إنّه قد تألف من السابقين الأولين إلى المسيحية بجانب الحواريين الاثنى عشر اثنتان وسبعون أطلق عليهم اسم التلاميذ أو الأنصار لأهمّ كانوا ملازمين لصحبة المسيح والأخذ عنه أو عن الحواريين ولأنهم قد قاموا بنشر المسيحية والدعوة إليها ومن هؤلاء القديس مرقس الذى صاحب الرسول بولس « من كبار الحواريين الاثنى عشر ، وينسب إليه في العهد الجديد أربعة عشر سفرًا سيأتى ذكرها » والقديس برنابا « الذى ترجمنا له في تعليق سابق » ، ثم صاحب الرسول بطرس كبير الحواريين الاثنى عشر وينسب إليه في العهد الجديد سفران سيأتى ذكرهما « وتبعه إلى روما . وبعد استشهاده الرسول بطرس شخص مرقس إلى مصر ونشر فيها المسيحية وأنشأ بها بطريركة الإسكندرية « الكرازة المرقسية » التى يتولاها الآن بطريركة الأقباط بمصر . وقد اختاره أهل البندقية « فينسيا » حامياً لمدينتهم . وله في البندقية كنيسة تعد من أجل كنائس العالم وأغناها وأدقها عمارة وأغناها بالآثار الفنية . ولد في بيت المقدس واستشهد في مصر حوالى سنة ٦٧ م .

وإنجيله هو أقدم الأناجيل الأربعة جميعاً ، إذ يرجع تاريخ تأليفه إلى سنة ٦٠ بعد الميلاد . وقد ألفه متى باللهجة الآرامية الفلسطينية الحديثة كما سبقت الإشارة إلى ذلك في الفقرة الأولى من هذا البحث . ولكن هذا الأصل الآرامى لم يصل إلينا ، وإنما وصلت إلينا ترجمته إلى اللغة اليونانية التى تمت عقب تأليفه مباشرة أى حوالى سنة ٦٠ بعد الميلاد . ولا يظهر في هذه الترجمة إلا آثار ضئيلة للهجة الآرامية التى كتب بها . وتشتمل هذه الآثار في نحو ست عشرة كلمة آرامية مدونة بحروف يونانية — ولا يعرف بطريق يقينى مترجم هذا الإنجيل إلى اليونانية . وقد أخطأ مؤرخو العرب في صدد هذا الإنجيل خطأين إذ قرروا أنه قد ألف باللغة العبرية وأنه قد ترجم بعد ذلك مباشرة إلى اللاتينية ، ولا ندرى علام اعتمد هؤلاء المؤرخون فيما ذكروه من أن أول مترجم

— وتقاضى منهم أجراً على ذلك ، وجازاه الله على فعلته ، بأن أماته شرمية ، ونشر دمه وأمعاه في مساحة واسعة من الأرض تسمى « حقل الدماء » اجتمع نحو مائة وعشرين من كبار المسيحيين تحت رئاسة الرسول بطرس . ووقع اختيارهم على اثنين يكمل أحدهما عدة الحواريين الاثنى عشر ، وهما برساباس الملقب جوستوس Barsabbas, justus ومتى Matthieu ، ثم ضربوا القرعة بينهما فخرج سهم متى ، فاختر حوارياً — وقد استشهد حوالى سنة ٧٠ ميلادية .

يوحنا (١) St-jean أحد الحواريين الاثني عشر باللغة اليونانية مباشرة حوالى سنة ٩٠ بعد الميلاد.

ويشتمل كل إنجيل من هذه الأناجيل على تاريخ المسيح ونشأته ورسائله وتبشيريه بدينه ومعجزاته وما حدث له وقصة صلبه وبعثه (أو قيامته كما يعبر المسيحيون)، عقب دفنه وتاريخ المسيحية في أول عهودها. وما إلى ذلك، كما تشتمل على بعض ما أثر عن المسيح من أقوال يتمثل معظمها في نصائح وعظات خلقية ويشتمل قليل منها على بعض أحكام تشريعية ينسخ بها بعض أحكام التوراة، وهى تقرر ألوهية المسيح وأنه ابن الله، كما تقرر عقيدة التثليث وقصة صلب المسيح، وأنه صلب ليفدى العالم ويظهره من الخطيئة التى

يذكر مؤرخو العرب، وكان تأليفه إياه تحت إشراف أستاذه الرسول بطرس وإرشاده، وقد رجع إليه فى بعض حقائقه واستمد منه بعض الذكريات وبعض حقائق التاريخ.

ولا ندرى عظام اعتمد بعض مؤرخى العرب إذ ذكروا أن هذا الإنجيل قد كتبه بطرس نفسه ونسبه إلى تلميذه مرقس (١).

٣ — وأما إنجيل لوقا فمؤلفه هو القديس لوقا St-luc وهو أحد التلاميذ أو الأنصار (٢) وكان تأليفه إياه فى العصر نفسه الذى ألف فيه مرقس إنجيله السابق ذكره أى حوالى سنة ٦٣ أو ٦٥ م. وقد ألفه باليونانية مباشرة لا باللاتينية كما يزعم بعض مؤرخى العرب (٣).

٤ — وأما إنجيل يوحنا فتمد ألفه الرسول

[١] هو الرسول يوحنا من كبار الحواريين الاثني عشر. وكان أبوه زبدي Zébédée من الدعاة الأولين للمسيحة، وكانت أمه سالومي Salomé قديمة شهيرة ورد ذكرها فى الأناجيل، وهى قريبة مريم العذراء أم المسيح. وقد جاءت من زبدي بالرسول يوحنا الذى تتحدث عنه وبالرول يعقوب الكبير أو جاك الكبير، ويعقوب الكبير هو كذلك من كبار الحواريين الاثني عشر وقد استشهد سنة ٤٤ م، وليس له أى سفر فى العهد الجديد. ويقول التاريخ المسيحى إن المسيح نفسه قد بارك هذين الأخوين منذ طفولتهما لما قدمتهما إليه أمهما - السومى فوضع أحدهما على فخذه الأيمن والآخر على فخذه الأيسر وباركهما، وتقول كذلك إن يوحنا كان أحب الحواريين إلى المسيح وأقربهم إلى قلبه — وتوفى يوحنا بين سنتي ٩٨ و ١٠٠ م.

[١] انظر فى ذلك مثلا ابن خلدون إذ يقول فى مقدمته (آخر ص ٩١ وأول ص ٩٢ من الجزء الثانى من طبعة لجنة البيان العربى) : « وكتب بطرس إنجيله بالبطنى ونسبه إلى تلميذه مرقس » وانظر تعليقنا رقم ٧٤١ على هذه العبارة

[٢] انظر فى شرح كلمة «التلاميذ» أو «الأنصار» Disciples التعليق الأسبق. — وقد صاحب لوقا الرسول بولس وأخذ عنه، واستشهد سنة ٧٠ م. [٣] انظر مثلا ابن خلدون إذ يقول فى مقدمته (ص ٩١ من الجزء الثانى من طبعة لجنة البيان العربى) : « وكتب لوقا منهم إنجيله بالبطنى إلى بعض أكابر الروم » وانظر تعليقنا رقم ٧٣٩ على هذه العبارة.

واستشهاد في سبيل عقيدتهم ونشر دينهم . . .
 وهلم جرا . ويسميه بعض مؤرخي العرب
 « الإبريكسيس في قصص الرسل » وهو
 تعريب للكلمة اليونانية بركسيس Praxis
 بمعنى الأعمال .

(القسم الثالث) رسائل الرسل بواس
 (من كبار الحواريين الاثني عشر ، استشهد
 سنة ٦٧ م) ، وعددها أربع عشرة رسالة
 كتبها باليونانية وبعث بها إلى عدة بلدان
 وشعوب وأفراد لبيان أصول العقيدة
 والآداب والأحكام المسيحية وللأمر
 بالمعروف والنهي عن الفحشاء والمنكر والبغى . وهي رسالة إلى
 الرومان ، ورسالتان إلى أهل كورنثوس ،
 ورسالة إلى أهل غلاطيا ، ورسالتان إلى تلميذه
 تيموثاوس ، ورسالة إلى تلميذه تيطس ،
 وأخرى إلى تلميذه فيليمون ، ورسالة إلى أهل
 إفسوس ، ورسالة إلى أهل فيليبي ، ورسالة
 إلى أهل كولوس ، ورسالتان إلى أهل
 تسالونيكي ، ورسالة إلى العبرانيين . - وقد
 ظهر للمحدثين من الباحثين والنقاد أن من هذه
 الرسائل ثلاث رسائل موثوقا بصحتها .
 وبصحة نسبتها إلى بولس وهي رسالته إلى
 الرومان ورسالتاه إلى أهل كورنثوس ،
 وأربع رسائل مقطوعا بعدم صحة نسبتها إليه :
 وهي رسالته إلى أهل إفسوس ورسالتاه إلى

ارتكبا آدم إذ أكل من الشجرة ، والتي ظلت
 عالقة بالإنسانية حتى طهرها منها المسيح بدمه ،
 فهي بذلك تختلف كل الاختلاف عن الإنجيل
 الذي يذكر القرآن أنه كتاب مقدس أنزله
 الله على عيسى . وقد أشار القرآن في أكثر
 من موضع إلى أن هذا الإنجيل قد حرف
 وبذل وزيد عليه ونسى كثير منه في الأسفار
 التي يتداولها أهل الكتاب باسم الأناجيل .
 والأناجيل الثلاثة الأولى متقاربة في تاريخ
 تأليفها (أولها حوالي سنة ٦٠ والآخرا
 حوالي ٦٣ أو ٦٥ م) . ولا يكاد يختلف
 أحدها عن الآخرين فيما يشتمل عليه . ويمتاز
 عنها الإنجيل الأخير ، وهو إنجيل يوحنا
 الذي تأخر تأليفه عنها بأكثر من ربع قرن ،
 يزيد من التفصيل في كثير من العقائد والتاريخ
 الديني وبعنايته بالرد على الأخطاء والبدع
 الدينية التي استحدثت في عصره .

(القسم الثاني) كتاب « أعمال الرسل »
 Actes des Apôtres (ويقصد بالرسائل
 الحواريون والأنصار) ، وقد ألفه باللغة
 اليونانية القديس لوقا (مؤلف الإنجيل الثالث
 المتقدم ذكره) حوالي سنة ٦٣ بعد الميلاد
 (أى في العصر نفسه الذي ألف فيه إنجيله) .
 وهو سفر في تاريخ الحواريين والأنصار ،
 وما بذلوه من جهود في نشر المسيحية ، وما قاموا
 به من معجزات ، وما لاقوه من اضطهاد وتعذيب

(امبراطور الدولة الرومانية الغربية من ٨١ إلى ١٩٦ م) .

هذا ، وقد ترجم العهد الجديد ترجمة حرفية من اليونانية إلى السريانية (وهي إحدى شعب اللهجات الآرامية الشرقية كما سبق بيان ذلك في الفقرة الأولى من هذا البحث) على يد آباء الكنيسة المسيحية السريانية، وتم ذلك في الفترة الواقعة من القرن الثاني إلى الرابع بعد الميلاد . وترجم المسيحيون بفلسطين العهد الجديد من اليونانية إلى اللهجة الآرامية الفلسطينية الحديثة التي أشرنا إليها في الفقرة الأولى من هذا البحث ، وهي اللهجة التي كانت مستخدمة في منطقتهم ، وذلك بعد أن استعملوا في توافيقهم وشؤونهم الدينية عن الكنيسة السريانية . وقد تم لهم هذا الاستقلال في أواخر القرن الخامس الميلادي . واستغرقت ترجمتهم هذه فترة طويلة تمتد من القرن الثامن إلى الحادي عشر بعد الميلاد .

وجاءت ترجمتهم حرفية كترجمة السريانية ، بل تزيد في حرفيتها عن هذه الترجمة وتقل عنها في مبلغ تمثيلها لروح اللغة الآرامية وأساليبها ، وذلك على الرغم من أنها تمت في الموطن الأول الذي ظهر فيه المسيح ونبتت منه الأناجيل .

وفي القرون المسيحية الأولى ترجمت أسفار العهد الجديد من اليونانية إلى اللاتينية . وعن اليونانية واللاتينية ترجمت هذه الأسفار إلى معظم لغات العالم قديما وحديثا ؟

دكتور على عبد الوارث وافي

تيموثاوس ورسائله إلى تيطس ، وأن ما بقى من هذه الرسائل مشكوك في صحة نسبته إليه .

(القسم الرابع) الرسائل الكاثوليكية ، وهي من نوع رسائل القسم الثالث ، وألفت مثلها باللغة اليونانية ، وعددها سبع رسائل ، وهي : رسالة الرسول يعقوب الصغير (من الحوارين St-jacques lemineur) ؛ ورسالة أخيه St jude (وهو كذلك من الحوارين الاثنى عشر) ؛ ورسالتان لبطرس الرسول (كبير الحوارين الاثنى عشر ، وإليه يرجع أكبر قسط من الفضل في نشر المسيحية في الدولة الرومانية الغربية ، وهو الذي أسس كنيسة روما التي يتولى شئونها بابوات الكاثوليكية . ولد سنة ١٠ قبل المسيح وقتله نيرون امبراطور روما سنة ٦٧ على الأرجح) ؛ وثلاث رسائل ليوحنا صاحب الإنجيل الرابع السابق ذكره .

(القسم الخامس) رؤيا يوحنا أو أبوكاليس يوحنا (apokalupsis كلمة يونانية معناها الوحي أو الرؤيا ومنها الكلمة الفرنسية apocalypse) وهي رؤيا رآها الرسول يوحنا صاحب الإنجيل الرابع السابق ذكره ، وأوحى إليه فيها بأهم ما سيحدث للمسيحية وللعالم إلى قيام الساعة ، ومن ذلك خبر الدابتين الغريبتين اللتين ستخرج إحداهما من الأرض والأخرى من الماء وتسلطان الناس . وقد ألف هذا الكتاب باليونانية في عهد الامبراطور دوميسيان Domitian

ابن خلدون في مصر

تدريسه بالأزهر والمدرسة القمحية

وأثره في التفكير المصري

للأستاذ محمد عبد الله عنان

وقد العلامة الفيلسوف ولي الدين عبد الرحمن ابن خلدون على مصر في أواخر سنة ٧٨٤ هـ (١٣٨٢ م)، وأقام بها ثلاثة وعشرين عاماً حتى وفاته في سنة ٨٠٨ هـ (١٤٠٦ م).

وكانت مصر يومئذ موئل التفكير الإسلامي في المشرق والمغرب، ولبلاطها شهرة واسعة في حماية العلوم والآداب. وكانت الحركة الفكرية المصرية يومئذ في أوج قوتها وازدهارها، وقد اجتمعت في ظلها جمهرة من أكابر العلماء والكتاب. وكان الجامع الأزهر، كعهده دائماً، قبلة الوافدين من كل قطر: وكان لعلماء المغرب بنوع خاص صلة وثيقة بالجامع الشهير، وقد لبث رواقهم القديم - رواق المغاربة - الذي ما يزال قائماً حتى يومنا، عصوراً، ندوة من أهم ندوات الأزهر العلمية. وإذا فقد كان طبيعياً أن يحتل ابن خلدون، وقد سبقه صيته إلى مصر، مكانته في أروقة الأزهر وبين علمائه.

وكان قدومه إلى مصر، بعد أن عاف أحداث السياسة وتقلباتها، شبه فرار، مما كبده خلال هذه الفترات العاصفة من حياته، ومما كان يخشاه من تجددتها، إذا بقي في وطنه وسعياً إلى ذلك الاستقرار الهادي الذي لم يظفر به في تونس أو غيرها من حواضر المغرب. وقد ظفر ابن خلدون بمكان يشهد من هدوء ودعة، فاكاد يستقر في القاهرة،

ويشير ابن خلدون إلى ذلك في «التعريف» أو ترجمة حياته بقوله: «واتكال على طلبه

المدرسة القديمة من المدارس التي أنشأها السلطان صلاح الدين ، وتقع على مقربة من جامع عمرو ، وكانت من مدارس المالكية ، ولها أوقاف جلية ، منها ضياع بالفيوم تغل القمح ، ومن ثم فقد سُميت بالقمحجية . وكان ابن خلدون قد سعى منذ مقدمه إلى الاتصال بالسلطان وهو يومئذ الملك الظاهر بربق ، وساعده على تحقيق أمنيته أمير من البلاط يدعى الطنبغا الجوباني ، فأكرم السلطان وفادة المؤرخ وشمله برعايته ، وأغدق عليه أو على قول المؤرخ « ووفر الجراية من صدقاته ، شأنه مع أهل العلم » . ولما توفى علم الدين البساطي ، مدرس المدرسة القمحجية ، عين السلطان ابن خلدون مكانه لتدريس الفقه المالكي ، وكان ذلك في أوائل شهر المحرم سنة ٧٨٦ هـ .

وفي اليوم الخامس والعشرين من شهر المحرم المذكور ، افتتحت الدراسة بالمدرسة القمحجية ، وألقى ابن خلدون درسه الأول بها ، ولم يكن افتتاحاً عادياً ، بل كان احتفالاً فخماً شائعاً ، شهده الأمير الطنبغا الجوباني ، والأمير يونس الدوادار نيابة عن السلطان ، كما شهدته القضاة الأربعة . وجمهرة كبيرة من رجال الدولة ، ومن الأعيان والعلماء . وافتتح ابن خلدون ذلك الحفل الحاشد بخطاب بليغ يورده لنا بنصه في « التعريف » . وقد

العلم بها « أي بالقاهرة » يلتزمون الإفادة مع قلة البضاعة ، ولم يسعوني عذرا ، فجلست للتدريس بالجامع الأزهر بها . وكان جلوس المؤرخ الفيلسوف بالجامع الأزهر ، حادثاً عليها خطيراً ، نوهت به جميع الروايات المصرية المعاصرة واللاحقة . ودرس عليه يومئذ جماعة من أكابر العلماء المصريين ، مثل ابن حجر ، والقلقشندي ، والمقرئزي ، وكان ابن خلدون محاضراً بارعاً يأخذ سامعيه بذلاقة وطلاوة أسلوب ؛ وقد نوهت بهذه الصفة سائر الروايات المصرية المعاصرة . فوصفه ابن حجر ، بأنه « كان لسنا فصيحاً » ؛ ووصفه الجبال البشبيشي ، بأنه « كان فصيحاً مفوها جميل الصورة » . وقال الدكرائي « إن محاضرته إياها المنتهى » .

وبالرغم من أن المؤرخ عين بعد ذلك بتليل للتدريس بالمدرسة القمحجية حسبما نذكر بعد ، وأجريت عليه الرواتب المجزية ، فإنه لم يترك دروسه بالأزهر ، وقد كان يدرس الحديث ، والفقه المالكي ، ويشرح للخاصة من تلاميذه نظرياته في العمران والعصبية ، وأسس الملك ، ونشأة الدول ، وغيرها مما عرض إليه في مقدمته الشهيرة ، وكانت كلها من الموضوعات الطريفة التي لم يكن للعلماء عهد بها من قبل . ولم يمض قليل على ذلك حتى خلا منصب التدريس بالمدرسة القمحجية . وكانت هذه

واتبع فيه أسلوب الترسل المسجع الذي كان ذائعاً يومئذ بالمشرق، والذي يحمل عليه ابن خلدون نفسه في مواضع كثيرة من مقدمته . ويتحدث ابن خلدون في خطابه بعد الديباجة عن فضل العلماء في شد أزر الدولة الإسلامية وعن تغلب الدول . ثم يشيد بما لدول السلاطين المصرية من فضل في نصرة الإسلام وإعرازه ، ومن همم عالية في إنشاء المساجد والمدارس ، ورعاية العلم والعلماء والقضاة ؛ ويدعو بعد ذلك للهالك الظاهر ويشيد بعزمه وعدله وعقله ؛ ثم يعطف بعد ذلك على نفسه وما أوليه من شرف المنصب في تلك العبارة الشعرية : « ولما سبحت في اللج الأزرق ، وخطوت من أفق المغرب إلى المشرق ، حيث نهر النهار ينصب في صفحة المشرق ، وشجرة الملك التي اعتز بها الإسلام ، تهتز في دوحه المعرق ، وأزهار الفنون تسقط علينا من غصنه المورق ، وينابيع العلوم والفضائل تمدنا من فرائده المأخوذ ، أولوني عناية وتشريفاً ، وغمروني إحساناً ومعروفاً ، وأوسعوا بهمتي إيضاحاً ، ونكرتي تعريفاً » ، ويختتم ابن خلدون خطابه بالإشادة بذكرى السلطان صلاح الدين مؤسس هذه المدرسة ، وما كان له في سبيل الذود عن الإسلام من عظيم الجهاد ، ثم يدعو كرامة أخرى للسلطان وللأمة الإسلامية وللحاضرين .

وإنه لمنظر شائق ذلك الذي يقدمه إلينا ابن خلدون ، عن مجلسه الأول في ذلك اليوم المشهود ، ومن حوله الأمراء ، والقضاة ، والعلماء ، يستمعون إلى الدرس الأول ، لذلك المفكر والمحدث المبدع . وهو يحرص على تدوينه ، كما يحرص على تدوين الأثر الذي يعتقد أنه أحدثه في نفوس الحاضرين إذ يقول : « وانقض ذلك المجلس ، وقد شيعتني العيون بالثجلة والوقار ، وتناجت النفوس بالأهلية للنائب ، وأخلص الاحترام في ذلك الخاصة ، والجمهور » ، وفي ذلك ما يدل على ما كان يشعر به ابن خلدون في كبرياء وثقة من أنه كان شخصية ممتازة ، تجب إحاطتها بمظاهر خاصة من الرعاية والتكريم .

ثم عين المؤرخ بعد ذلك في وظيفة جليلة أخرى ، هي مشيخة خانقاه بيبرس ، وهي يومئذ أعظم الخوانق ، أو ملاجئ الصوفية ولها أوقاف ومراتب واسعة ، فزادت جراته واتسعت موارده . والظاهر أنه انتقل على أثر ذلك من مسكنه القديم بحي بين القصرين إلى منزله الفخم الواقع على النيل ، على مقربة من جزيرة الروضة .

واستمر ابن خلدون يضطلع أعواماً طويلة بالتدريس بالجامع الأزهر والمدرسة القمحية ، ويضطلع في نفس الوقت ، بالقيام بمنصب قاضي قضاة المالكية ، الذي ولّيه وعزل منه

وأقسامهم في تجريجه ، ومع ذلك فقد كان ابن خلدون يحظى في نفس الوقت بتقدير فريق كبير من العلماء المصريين ، بل لم يتردد خصومه أنفسهم في التنويه بعجميته وغزير علمه .

ومن الغريب أن نجد الحافظ ابن حجر ، وقد كان كثير الطعن على ابن خلدون والتعريض به ، يتقدم مع جماعة من أصحابه إلى ابن خلدون في طلب إجازته ، وما زال هذا الاستدعاء الذي كتبه ابن حجر بخطه محفوظا إلى اليوم في بعض كتب ابن حجر الخفية المخطوطة بمكتبة أيا صوفيا باستانبول وقد أصدر المؤرخ لابن حجر وأصحابه الإجازة المطلوبة مكتوبة بخطه ، ومهورة بتوقيعه وإليك نصها :

« الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، أجزت لهؤلاء السادة ، والعلماء القادة أهل التحصيل والإفادة ، والفضل والإجادة ، والإبداع في الكمال والإعادة ، جميع ما سألوه ورجوه من الإجازة وأملوه ، على شروطه المعتمدة عند العلماء البررة ، وأخبرهم أن مولدي في غرة رمضان عام اثنين وثلاثين وسبعمائة ، والله تعالى ينفعنا وإياهم بالعلم وأهله ، ويجعلنا من سالكى سبيله ، وكتب بذلك عبد الرحمن ابن محمد بن خلدون الحضرمى المالكي في منتصف شعبان عام سبعة وتسعين وسبعمائة .

مراراً وتكراراً ، ونحن نعرف ما لقيه ابن خلدون خلال ذلك من خصومات أدبية وشخصية كثيرة ، سلبها المناصب والنفوذ ، وما كان يبديه ابن خلدون من كبرياء وصلابة وإعراض عن الشفاعات في أعمال القضاء .

وقد كان من الطبيعي ، أن يلقى ابن خلدون وقد ظفر بأرفع مناصب التدريس والقضاء وما تدره من الأرزاق الواسعة ما لقي من بوادر الخصومة والحسد ، ويحدثنا المؤرخ عن ذلك بإفاضة وصراحة في « التعريف » ، ويشرح لنا عوامل تلك الخصومة التي كدرت صفو الأفق من حوله ويشرح لنا بالأخص موقفه في مزاوله القضاء وكيف أنه كان ياتزم العدالة المطلقة ويسوى بين الخصمين دون النظر إلى أى اعتبار ، وكيف أنه لم يوفق في اتباع هذه الطريقة الصارمة ، نظر لما كان يسود القضاء بمصر يومئذ من عوامل الفساد والتأثير ، ونفوذ الكبراء ، وأثر الشفاعات ، وتشهد الروايات المعاصرة كلها بحزم ابن خلدون ونزاهته في مزاوله القضاء .

وقد تردد صدى هذه الخصومة في كتابات كثير من العلماء المصريين المعاصرين ، أمثال القاضي جمال البشيرى ، والحافظ ابن حجر ، وبدر الدين العيني وغيرهم . ثم بعد ذلك في كتابات شمس الدين السخاوى ، وقد كان أشد الكتاب المصريين وطأة على ابن خلدون

وقد ترك ابن خلدون أثره العميق في التفكير المصرى المعاصر ، وكان مؤرخ مصر الكبير تقى الدين المقرئى أشد الكتاب المصريين تأثراً بمنهجه وأسلوبه ، ويتحدث المقرئى عن شيخه ابن خلدون بمنتهى الخشوع والإجلال وينعته « بشيخنا العالم العلامة قاضى القضاة » ، ويرجعه في كتابه « درر العقود الفريدة » ، بإفاضة ، ويعرب عن عميق إعجابه وتقديره للقدمة ويقول لنا : « إنه لم يعمل مثلها ، وإنه لعزیز أن ينال بجهد منالها ؛ إذ هى زبدة المعارف والعلوم ، ونتيجة العلة والسليمة والفهوم ، توقف على كنه الأشياء ، وتعرف حقيقة الحوادث والأنباء ، وتعبر عن حال الوجود ، وتنبئ عن أصل كل موجود . وترجمة المقرئى لابن خلدون هى أصدق دفاع مصرى عن المؤرخ إزاء الحملات العنيفة التى وجهت إليه من خصومه ، وفى مقدمتهم الحافظ ابن حجر ، التى تردد صداها فيما بعد ، فيما كتبه السخاوى فى « الضوء اللامع » .

ويبدو تأثر المقرئى بمنهج ابن خلدون وتفكيره ، قويا واضحا فى كتابه « إغاثة الأمة بكشف الغمة » ، وهو الذى يتحدث

فيه عن محن مصر وأسباب خرابها منذ أقدم العصور حتى عصره ، وفيه ينحو فى الشرح والتعليل منحى شيخه وأستاذه ، ويحاول على طريقة ابن خلدون أن يستخرج القوانين والظواهر من الحوادث المتشابهة ، بل هو يستعمل ألفاظ ابن خلدون وتعبيراته مثل « أحوال الوجود » ، و « طبيعة العمران » ، وما إليها ، ويقتبس كثيرا من آرائه فى طبيعة الملك ، وعوامل فسادة ، وأثر الظلم فى خراب العمران ، وغير ذلك من نظرياته العمرانية والاقتصادية ، بل نجد هذا التأثير الذى به ابن خلدون فى المدرسة المصرية ، يمتد إلى خصومه أنفسهم ؛ فنرى السخاوى وهو أشد خصوم المؤرخ ، وأكثرهم تحاملا عليه ، متأثرا بنظريات ابن خلدون وأسلوبه . ويبدو ذلك جليا فى كتابه « الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » ، حيث يتحدث بطريقة فلسفية عن التاريخ وأثره فى دراسة أحوال الأمم ، وذلك بنفس الأسلوب الذى يتحدث به ابن خلدون فى مقدمته .

محمد عبد الله عفاة

كتاب الله

قال الحسن رضى الله عنه : رحم الله رجلا خلا بكتاب الله ، فعرض عليه نفسه ، فإن وافقه حمد ربه ، وسأله الزيادة . وإن خالفه أعتب وأناب ورجع من قريب .

المادة بين العلم التجريبي والفكر المجرد

للأستاذ الدكتور سليمان دنيا

يقرر العلم : « أن المادة لانفنى » ويقرر رجال الدين : « أن العالم حادث ، وجد من عدم ، ويمكن أن يصير إلى عدم » ويرى جمهور المتعلمين من المتدينين أن لاسبيل إلى إنكار ما أثبتته العلم ، كالاسبيل إلى تكذيب ما ينسب إلى الدين . ولكنهم لا يدرون إلى أى حد يلتقى العلم مع الدين بخصوص هذا الأمر ، وإلى أى حد يختلفان ؛ ولذلك فهم تارة يتحمسون للعلم فيشرحون قضيته شرحا يخرج بها عن الحدود التى رسمها لها العلم نفسه ، وهم بذلك الشرح - من حيث يدرون أو لا يدرون - يتحيفون من حقوق يعترفون بها للدين ، وتارة أخرى يستشعرون قدرة الله شاملة قاهرة ، لا يعجزها شيء ولا تعجزه عن شيء ، ويندفعون فى حماس ديني لا يبالون معه أن يتنكروا للعلم ولما يعترفون هم أنفسهم أنه حق ثابت لاسبيل إلى إنكاره ، ولو أنهم فهموا الأمر على حقيقته لأمكن لهم أن يتحدثوا عن العلم بما لا يشعرون معه بافتيات على الدين ، وأن يتحدثوا عن الدين بما لا يشعرون معه أنهم يعارضون العلم .

فالعلم فى هذه المسألة لا يعادى الدين ولا يعاديه الدين ، ولعل العلم فى جميع مسائله ، حين يكون باتا قاطعا ، لا ظانا مفترضا ، لا يعادى الدين ولا يعاديه الدين .

والأمر فى مسألة المادة أن العلم حين يتحدث عن عدم فناء المادة ، إنما يتحدث عن مدى سلطته وسلطة الإنسان الذى يستعمله فقط ؛ ذلك أن العلم حين يسلط النار على قطعة من الشمع مثلا ، حتى يبدو للعين أن جزءا كبيرا منها قد ذهب وتلاشى ، يكشف بأجهزته التى تدرك مالا تدركه العين المجردة ، أن هذا الجزء الذى ظن أنه فنى وتلاشى كلية ، قد تحلل إلى عناصر بسيطة خفى إدراكها ، لا أنه فنى وتلاشى .

والعلم إذ يقرر ما وصل إليه فى تجربته تلك ، إنما يقرر حادثة جزئية : يقرر أن النار التى أشعلها بواسطة غاز الأكسوجين مثلا لم تستطع أن تنفى الشمعة . وهذه النتيجة التى ينتهى إليها العلم فى مثل هذه التجربة لا يمكن أن توصل إلى نتيجة كلية قائلة : « المادة بجميع أنواعها لا يمكن أن تنفى بأية وسيلة من الوسائل » ذلك لأن إجراء تجربة على الشمع لا تسوغ القول بأن جميع أنواع المادة كالشمع فى ذلك ، والقول بمساواة جميع أنواع المادة - مما اكتشفناه وما لم نكتشفه من أنواعها - للشمع فى ذلك ، مجازفة لا توصل إلى يقين ، هذا إلى أن العلم ليس من شأنه أن يتحدث إلا فى حدود تجربته . كما أن القول بأن جميع الوسائل - مما اكتشفناه وما لم نكتشفه - فى مثل

أو عدم إمكان وجود وسيلة أخرى سوى النار ، تكون سلطتها أقوى من سلطة النار . وليس في هذا القدر ما يمكن أن يتعارض مع ما يقول به رجال الدين - من أن العالم وجد من عدم ، وأنه يمكن أن يصير إلى عدم - في قليل أو كثير ؛ لأن رجال الدين حين يقولون ذلك ، لا يريدون أن الإنسان هو الذى أوجده من عدم ، وأنه هو الذى يمكنه أن يصيره إلى عدم ؛ حتى يكون حكمهم بالوقوع والإمكان مناقضا لحكم العلم بعدم الوقوع وعدم الإمكان ، وإنما يريدون أن الله هو الذى يفعل ذلك ، وليس يلزم من عجز البشر وعجز وسائله عن تحقيق أمر من الأمور ، أن يعجز الله - عند من يعتقد أن هناك إلها قادرا ، والحديث معه - عن تحقيق ذلك الأمر ، فالمقارنة بين قدرة الله وبين قدرة البشر مقارنة فاسدة ، والوقوف بقدرة الله عند الحد الذى تقف عنده قدرة البشر ، ذهاب إلى أن الله بشر ، أو إلى أن البشر آلهة .

والذى ينبغى التنبيه له هو أن العلم لم يدع التعميم ولا سبيل له إلى التعميم ، وأنه في حكمه يقف عند المواد التى أجرى عليها تجاربه ، وعند الوسائل الخاصة التى استعملها في هذه التجارب . ولم يدخل ضمن وسائل العلم طبعاً قدرة الله ، فجمال حكمه هو نطاق تجربته فقط ، فهو باختصار يقرر أن الإنسان ووسائله

قوة النار التى ولدناها من الأكسوجين ، مجازفة لاسبيل معها إلى يقين ، وهو أيضاً قول خارج عن مهمة العلم التى يتحدث فقط في حدود تجربته .

والأمر الذى ينبغى أن يتأكد في نفس القارىء ، هو أن العلم ليس من وظائفه التعميم والإطلاق ، فهو إنما يعطى حكمه على خصوص المادة التى أجرى عليها تجربته ، وعلى خصوص الوسيلة التى استعملها ، بالشروط التى توافرت له والتى أجرى تجربته في نطاقها . أما الإطلاق والتعميم فإتسا هو من وظيفة الفلسفة التى يقال عنها - بين ما يقال - : إنها تبدأ حيث ينتهى العلم ، فهى تجمع النتائج المتشابهة وتصوغ منها حكماً كلياً ، ويقوم العقل في هذه العملية بدور قد يسلم له ، وقد لا يسلم له ، وندع المجال الفلسفى الآن ، لنعود إليه فيما بعد .

وتابع حديثنا عن العلم الذى يعطى بحكم وظيفته أحكاماً جزئية ؛ ففي الحكم السابق : مادة الشمع لا تفنى بنار الأكسوجين ، وإنما تتحلل فقط ، يعطى العلم حكماً جزئياً بعجز نار الأكسوجين عن إقناء الشمع ، أو بعجز الإنسان عن الظفر بوسائل يتوصل بها إلى إقناء الشمع ، أو بعجز الإنسان ووسائله المعروفة له عن إقناء الشمع . وليس من شأن العلم أن يقول أكثر من ذلك ، فليس يدخل في حدود سلطته أن يقول بإمكان

ولا ينبغي أن يغيب عنا أن من يقول ذلك، يذهب - أو يجب أن يذهب - إلى أن المادة واجبة الوجود بذاتها؛ لأن ما تأتى طبيعته الفناء ليس إلا الواجب؛ وأما الممكن فلا تستعصى طبيعته على العدم، وأما المستحيل فلا يوجد أبداً، وثلاثها هى كل ما هنالك.

والذى يرى أن المادة واجبة الوجود ينكر وجود الإله؛ إذ لا حاجة بالمادة إذا كانت واجبة الوجود إلى موجد يوجدها. والذى يجعل المادة واجبة الوجود يوصد الباب فى وجه من يحاول إثبات وجود إله، ولذلك كان القول بإمكان المادة هو السبيل إلى إثبات وجود الإله عند الفلاسفة الإلهيين؛ إذ مادام العالم يمكننا فى نظرهم فلا يصح أن يكون هو مصدر وجود نفسه؛ إذ الممكن هو ما كان وجوده من غيره، لا من ذاته.

أما علماء الكلام فقد جاوزوا القول بإمكان المادة إلى القول بحدوثها، وعن طريق إثبات حدوثها أثبتوا وجود الإله؛ لأن كل موجود من عدم لا يمكن أن يكون هو موجد نفسه.

* * *

فالتخلاف إذن فى أن المادة تفتى أولاً تفتى، إما هو بين فلاسفة ماديين ينكرون وجود الله، ويرون أن المادة واجبة الوجود بذاتها

عاجزان عن إفتاء المادة، ورجل الدين يقرر أن إعدام المادة ووجودها من عدم يدخلان فى نطاق قدرة الله. ولا تعارض بين هذين القولين؛ لأن رجل الدين لم يحكم على قدرة الإنسان، ورجل العلم لم يحكم على قدرة الله، ولا سبيل لرجل العلم أن يحكم على قدرة الله؛ لأن مجال العلم هو المادة التى تخضع للتجارب؛ وقدرة الله لا تخضع للتجارب.

* * *

لكن إذا كان الحال بين رجال الدين ورجال العلم هو ما رأيت، فالحال بخلاف ذلك بين رجال الدين ورجال الفلسفة، فالفلسفة ومن طبيعتها التعميم والإطلاق تتخلص من القيود والشروط التى يلقي رجال العلم أحكامهم فى نطاقها، فهى تلقى قضية المادة، عامة غير مخصصة ولا مشروطة، تقول: «المادة لا تفتى»، وهى لا تفتى - كما كان العلم يعنى - أن الإنسان ووسائله يعجزان عن إفتاء المادة، وإنما تعنى أن الفناء والمادة متقابلان تقابل العدم والوجود، فكما لا يجامع عدم شئ وجوده، ولا وجود شئ عدمه، لا يجامع المادة الفناء، ولا يجامع الفناء المادة؛ فالجمع بينهما كالجمع بين الضدين أو بين النقيضين. والأحكام العقلية لا تقبل الاستثناء، فمن وجهة نظر الذاهبين إلى هذا الرأى، يستوى فى هذا الحكم جميع القدر.

ولا عدمه ، فقدمها وأبديتها عندهم يرجعان إلى علة خارجة عن ذاتها ، هي الإله .
فالصراع إذن بين كون المادة يمكن أن تنفى أو لا يمكن أن تنفى ، هو صراع بين الفكر لا دخل للعلم التجريبي فيه ، فلعلباء الكلام دليلهم العقلي على أن المادة مع إمكانها حادثة أى وجدت من عدم ، ولل فلاسفة الإلهيين دليلهم العقلي على أن المادة ممكنة ، أى ليست مقتضية للوجود بذاتها ولكنها عندهم غير حادثة ، وللباديين شبههم الساذجة على أن المادة واجبة الوجود بذاتها فلا هى حادثه ولا هى ممكنة وربما عدت في مقال آخر إلى بيان وجهة نظر كل فريق ؟

دكتور سليمان دنيا

أستاذ الفلسفة المساعد

بكلية أصول الدين

في طرف ؛ وبين علماء الكلام الذين يرون أن العالم حادث ، والفلاسفة الإلهيين الذين يرون أن العالم ممكن ، في طرف آخر ، وهذا الطرف بقسميه يعترف بوجود الإله . أما العلم فليس طرفا في هذه الخصومة رغم أنه يقول . إن المادة لا تنفى ؛ لأنه إذ يقول ذلك إنما يقوله حكما جزئيا في نطاق خاص هو قدرة الإنسان ، لا حكما كلياً عاما شاملا لقدرة الإله .

ومما هو جدير بالذكر أن الفلاسفة الإلهيين إذ يقولون : إن المادة قديمة لم تكن في وقت من الأوقات معدومة . وإنما أبدية لن تكون في وقت من الأوقات معدومة ، لا يقولون : إنها واجبة ، بل يصرحون بأنها ممكنة ؛ وإنهم إذ يصرحون بأنها ممكنة لا يستطيعون أن يردوا الأمر في قدمها وأبديتها إلى طبيعتها ؛ لأن الممكن مالا تقتضى ذاته وجوده

الحق والباطل

إن الحق لن ينقلب باطلا مهما قل متبعوه ، وإن الباطل لن ينقلب حقا مهما كثر مشايعوه !

الإسلام والقومية العربية

لأستاذ محمود البايدي

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ؛ إن أكرمكم عند الله أتقاكم »
[القرآن]

ليس لرأيهم مستند على ؛ ولأن الرسالة الإسلامية — في نظره — وإن وحدت العرب وقضت على أسباب بغضائهم وانقساماتهم ، لسكنها لم تجعل منهم أمة بالمعنى العلى لهذه الكلمة ؛ لأن الأمة فيما زعموا تمثل مفهوماً تاريخياً لم يظهر ، إلا في عهد الرأسمالية ! وهذا زعم باطل .

والواقع أن التيارات الفكرية التي هبت وما تزال تهب من أوروبا على الوطن الإسلامي منذ منتصف القرن التاسع عشر إلى اليوم ، هي التي حملت إلى بلادنا فكرة القومية فيما حملت .

والظاهر أن هذه الفكرة ، قد عملت عمل الخيرة في أذهان الفئة المثقفة من سكان هذا الوطن . وعندما استطاعت هذه الفكرة ، كغيرها من الأفكار التي لها مثل قوتها أن تهز الشعوب العربية هزاً عنيفاً مثلما هزت شعوب الإسلام الأخرى ، بدأ هذا السؤال

الإسلام ، كذهب للحياة ، ظل وسيظل في عراك وخضام مع المذاهب الأخرى ، مادام الأساس الذي قام عليه ، يختلف كل الاختلاف عن الأساس الذي قامت عليه هذه المذاهب . لذلك ، فإنه كلما قام مذهب جديد أو نظرية حديثة ، ينشط التساؤل العالمى ليقول : ما هو موقف الإسلام من هذا الحدث ؟

يقول مؤرخو الحركات القومية : إن القومية ولدت في القرن التاسع عشر ، فهي حديثة عهد في الذهنية السياسية ، ولهذا وجدنا من الكتاب (١) العرب من يزعم بأن الأمة العربية ليست قديمة العهد ، فإنها لم تولد إلا في أواخر القرن الماضي كغيرها من الأمم الحديثة ، على اعتبار أن مفهوم الأمة هو مفهوم القومية ، حتى أنه ليعتبر أن الذين يعتقدون بأن الأمة العربية قديمة العهد تكونت مع ظهور الإسلام مخطئون ؛ لأنه

[١] طاهر خياط المحامي بعلب . نحو عروبة متحررة ص ١٢٢ في المتن والهامش ، مطبعة الشرق بعلب سنة ١٩٥٦ .

وهكذا لا تجد أى اتفاق بين العلماء على تحديد مفهوم للقومية ، يدفع عنها الغموض والإبهام وأحسب أنهم لن يتفقوا .

ولا بأس أن نعطي القارىء مثلاً من هذه التعاريف التي تقرب مفهومها من ذهنه . فقد جاء في دائرة المعارف البريطانية (الطبعة ١١) في مقال (القومية) ما يلي : « القومية ، مفهوم يعتوره بعض الغموض .

ولكنه يستعمل في معناه الدقيق في الحقوق الدولية للدلالة على حالة ثابتة تعين التبعية في داخل الأمة أو الدولة . وبمعنى أكثر شمولاً ، يستعمل في المناقشات السياسية والبحوث للدلالة على مجموعة مندمجة ، موحدة ، من الأشخاص الذين يحسون فيما بينهم ، وحدة في الجنس ، والأرض ، واللغة ، وسواها ... ولو لم يعترف أحياناً بهذه المجموعة بصفاتها دولة ، أو وحدة سياسية . وهذا المعنى الأخير ، أطلقت كلمة قومية في كثير من الأحيان على شعوب كالإيرلنديين والأرمن والتشكيكيين والعرب والسوريين ... إن القومية بهذا المعنى تمثل شعوراً مشتركاً ووجداناً عميقاً موحداً ، ورغبة منظمة ، أكثر مما تمثل صفات مميزة ، يمكن حصرها في تعريف دقيق .

أما التعريف الذي يظن أنه أكثر شهرة من غيره ، وأكثر دوراناً في المؤلفات .

أكثر إلحاحاً وأشد دوراناً على شفتي كل عربي وكل مسلم ، هذا السؤال هو : ترى ما هو موقف الإسلام من القومية ؟ أعتقد أن هذا السؤال ما زال بلا جواب إلى اليوم ! ولو أن بعضهم قد أبدى رأيه فيه مجرد إبداء رأى .

ولكى نجيب نحن على هذا السؤال ، لابد من التمهيد إلى ذلك . هذا التمهيد يتألف من عدة أسئلة وأجوبتها في مثل ما هي القومية ؟ ما تعريفها ؟ ما أركانها ما عناصرها ؟ ما تاريخها ؟ ما نتائجها ؟ .

ماهية القومية وتاريخها

لم يتفق العلماء في الغرب بعد على ماهية القومية . وبالتالي لم يتفقوا على تعريف جامع مانع لها . وهذا الخلاف ليس سطحياً كما يمكن أن يتوهمه بعضهم . بل هو خلاف عميق . ذلك أن بعضهم يقرر أن القومية قائمة على أساس مادي ، بينما بعضهم يؤكد أنها ليست أكثر من شعور نفسى .

كذلك يختلفون على تصورها ، فيذهب بعضهم إلى أنها هي (الدولة) وبعض يذهب إلى أنها (الأمة) وبعض آخر يتصورها على أنها (الوطنية) !

منهم من يقول إنها تكون تكويناً طبيعياً . ومنهم من يقول إنها تكون بفعل إرادى !

غير أننا نجد أن النظرية الفرنسية قد اتجهت اتجاهها آخر ، وكان الباعث عليه المصالح السياسية والاقتصادية واستقرت على ما يسمونه بنظرية الإرادة أو المشيئة .

فقد قال (أوليفيه) [١] ، إن نظرية القوميات لا ترجع بمبادئها الأولية إلى الإحساس والوجدان . بل إنها تنحصر في مبدأ اشتراعى فكري صرف . وهذا المبدأ يقول بأن كل مجتمع من الناس يعرف باسم « شعب » هو شخصية مستقلة ، سيادة ، حرة ، تتمتع بحقوقها الكاملة في التصرف بذاتها ، وتقرير مصيرها ، سواء في الداخل أم في الخارج .

أما في الداخل ، فلها ملء الحرية في التحالف مع من تشاء ، وبالشروط التي تراها أكثر ملاءمة لها ، بل لها الحق في الانضمام إلى أى دولة أو الاندماج - إن كانت صغيرة - مع أى جزء آخر ، لدعم كيائها وحماية أراضيها . إن إرادة السكان تنتج عنها ، ولا شك ، تجمعات كبرى ، ولكن ليس ثمة ما يمنع من أن تؤدي هذه الإرادة إلى إنشاء أوطان صغرى ، أو المحافظة على كيانات صغيرة ، على أن تكون قد نمت نمواً طبيعياً ، إن نظرية القوميات تنطبق على هذا المزيج الطباقى على ذلك ، وهى ليست مستحيلة التطبيق على

القانونية ، فذلك هو التعريف الإيطالى للأستاذ باسكال ما نسينى عندما أطلقه في محاضراته في جامعة تورينو عام ١٨٥١ وقال فيه .

« الأمة ، مجتمع إنسانى طبيعى ، مؤسس على وحدة الأرض ، والمناخ ، والتقاليد ، واللغة ، المندفعة كلها اندفاعاً حيويًا ، باتحاد كامل ، متفاعل بين الحياة وبين الوعى الاجتماعى » .

وقد شاع هذا التعريف حتى اكتسب وضوحاً أكثر في المؤلفات القانونية التى صدرت بعده ، فقد جاء في أحد هذه المؤلفات تعريف القومية كما يلي :

« الأمة ، هى اجتماع سكان مقاطعة واحدة لهم لغة واحدة ، وقوانين واحدة ، وأصول واحدة ، يجمعهم انسجام جسدى ومؤهلات أخلاقية واحدة ، ووحدة في المصالح ، تفاعلت منذ زمن طويل ، وانصهار الوجود الناتج عن حقب زمانية موعلة في القدم ، تعود إلى ما قبل التاريخ الجلى ، وبكلمة (قومية) نفهم وجود (الأمة) [١] .

وتكاد تكون هذه التعاريف قريبة من الدستور العلمى في تعريف القومية أو الأمة .

(١) براديه فورديره ، الحقوق السياسية والاقتصاد الاجتماعى .

(١) إميل أوليفيه ، الامبراطورية الحرة .

من الوحدة السياسية التي تجمع بين الناس أو تفصل بينهم ، فالقومية تولد فيهم بواسطة اللغة ، والتقاليد ، والتاريخ المشترك ، والعادات والآداب ، أخوة تفصلهم عن الأجناس الغريبة ، وتصور لهم قبح الرابطة التي تجمعهم بشعب ليس شعبهم ، (١) .

ولكي تكون الصورة : التي نضعها أمام بصيرة القارئ واضحة أكثر فأكثر عندما يعبر عنها أناس مختلفون ، لابد لنا من تقديم تعريفها في نظر العالم الشيوعي الاشتراكي قال جوزيف ستالين :

« إن الأمة الحديثة ، جماعة من الناس ثابتة ، ليست عرضية ، تألفت تاريخياً : وهي ذات لغة مشتركة ؛ وذات أرض مشتركة ؛ وذات حياة اقتصادية ؛ وذات تكوين نفسي مشترك يجد له تعبيراً في الثقافة المشتركة : »

وإذا عرفت أن هذه التعاريف على شهرتها سواء منها التي ذكرنا والتي ضربنا عنها صفحا لم يطبق واحد منها تماماً ، اتضح لك أن الأمم لا تسير بمقتضى هذه التعاريف .

وأوضح مثال لذلك تعريف القومية الذي صاغه قلم ستالين عام ١٩١١ - ١٩١٢ المشار إليه آنفاً ، وهو كما ترى يخالف تمام المخالفة ما سارت عليه الأمور في الاتحاد السوفياتي

أية حالة قومية طبيعية ، وفي سياسة القوميات ليس ثمة من حدود طبيعية جغرافية .

فالحدود الحقيقية ، هي إرادة السكان . أما الحدود الأخرى فجدران سجون وللقوميين الحق في تحطيمها ساعة شاءوا !

ولا بأس بأن نضع تحت بصر القارئ عينة من تعريف القومية في النظرية الألمانية فنجد أن فلاسفة الألمان وعلماءهم يحاولون الدقة العلمية على عاداتهم ، ولكنهم يفرقون في هذه الدقة قال (نختة) عن القومية : « إنها القوة المقدرة المحتومة التي تقود الفرد ، ثم أوضح فكرته بتفصيل أكبر فقال :

« إن من ينطق بلغة واحدة ، هو كل ، وحدته الطبيعية الصادقة المحض ، وأوجدت من قبل بين أجزائه روابط عدة غير منظورة ومثل هذا الكل ، لا يمكن أن يتقبل في وسطه شعباً آخر ، من أصل آخر ، يختلف عنه باللغة فلا يختلط به . ولا يمكن أن يريد الاختلاط به أو الاندماج ، واللغة في أفضل صفاتها وأسمى درجاتها ، إنما هي اللغة الأم التي تتحد في جوهرها مع الجنس ، إنها اللغة الألمانية ، اللغة الأصلية غير المستعارة ، إنها ليست كالفرنسية المشتقة من اللاتينية . »

وقد أفرغ القانونيون الألمان هذه النظرية في كتبهم التي تتناول الدولة فقال (نيوبوهر) :

« إن القومية الموحدة لها أسمى كثيراً

[١] هذه هي القومية . أرنولد فان جينيب ورينيه

جوهانيه . ترجمة محمد عبتاني . بيروت ١٩٥٣ .

بأن الدولة السوفياتية المتعددة القوميات ،
هى دولة هزيلة ، وكانوا يبنون أملهم على
حدوث انشقاق بين شعوب الاتحاد السوفياتى
ويتنبشون للاتحاد السوفياتى بالانهيار الحتمى .
« إن نظام الدولة السوفياتى الذى انتصر
على محن الحرب الفاشستية ، وأصبح للعالم
بأسره قدوة ومثالا للتساوى الحقيقى فى الحقوق
والوحدة الحقيقية بين الأمم ، يقيم الدليل
على انتصار الأفكار اللينينية والستالينية
فى المسألة القومية . »

أركان القومية أو عناصرها

يختلف مؤرخو القومية أشد الاختلاف ،
حول الأركان التى تقوم عليها فكرة القومية
فبعضهم يقول : إن أركانها على التوالى وحسب
الأهمية (الجنس أو العرق) ثم (الأرض)
ثم (اللغة) ثم (الدين) ثم (الأسر المالكة)
ثم (الأبطال وعظماء الرجال) .

وبعضهم يحصر الأمر فى (الجنس والأرض
واللغة والدين) مع اختلاف فى الترتيب من
حيث الدور والأهمية .

وبعضهم يسقط من حسابه الجنس والدين
ويجمع الأمر فى اللغة والأرض والتاريخ
والاقتصاد .

وبعضهم يسقط الجنس والدين والأرض
ويحتفظ باللغة والتاريخ وشيئا اسمه المصير

فى عهده إلى اليوم . إذ قامت الدولة السوفياتية
على القوميات المختلفة وعلى تعدد اللغات ،
واختلاف التاريخ وتقاليد الحياة . ونجد
مصادق ذلك فى خطب أقطاب السوفيات .

ففى مناسبة الذكرى الثانية والعشرين للثورة
الاشتراكية فى السادس من تشرين الثانى ١٩٤٥
ألقى (مولوتوف) نائب رئيس مجلس مفوضى
الشعب للاتحاد السوفياتى خطابا قال فيه :

« إن دولتنا التى تتألف من قوميات عديدة
مع اختلاف فى اللغة وتقاليد الحياة والثقافة
والتاريخ ، قد أصبحت أمنا اتحادا كما أصبحت
الشعوب السوفياتية ، أكثر قربا بعضها من
بعض ولم يكن باستطاعة أية دولة ، أخرى
متعددة القوميات ، أن تثبت أمام المحن التى
واجهناها خلال الحرب . »

مثل هذا التقرير للحقائق الواقعية ، تجده
فى إحدى فقرات تقرير ، لقطب آخر من
أقطاب السوفيات (ج . م . مالىنيكوف)
نائب رئيس اللجنة المركزية للحزب الشيوعى
فى الاتحاد السوفياتى ، الذى تلاه فى المؤتمر
التاسع عشر للحزب ، المنعقد فى تشرين الأول
من عام ١٩٥٢ حيث جاء فيه .

« إن نظام الدولة السوفياتى ، هو نموذج
للدولة المتعددة القوميات . ولقد كان
الكثيرون من أعدائنا والمشتنعين علينا فى
المعسكر البورجوازي ، لا يكفون عن التردد

الاجتماعى الذى يدور حول تلبس الذات السياسية المستقلة للأمة .

ففى أوروبا حيث كان مفهوم الدولة يختلط بمفهوم الأمة ، وكان مفهوم الأمة خليط من القوميات المختلفة ، كان الملك بمعنى المالك لرقاب شعبه ولأرض الدولة ، يتصرف بها تصرف صاحب العقار بعقاره ، فيبيع ويهب ويهدى مقاطعات برمتها لمن شاء من ملوك عصره بما شاء من عوض أو من غير عوض ، تبعاً لأهوائه ونزواته ، أو تبعاً لتقاليد الإرث وأنظمة الزواج فى بلاطه . فى هذا الوسط ، حيث كان الملوك مصدر السلطة والقانون ، كانت تتمثل المدن والبلاد والسكان من مملكة إلى أخرى ومن حكم ملك إلى حكم ملك آخر ، تبعاً لمشئته الملوك وظروف زواجهم وشروط وراثتهم ، دون مبالاة بمشئته شعوبهم ؛ لأن الكنيسة كانت تظاهرهم دوماً وتضفى على تصرفاتهم هذه رداء من القدسية الدينية وتخصص الدماء من أجل ذلك .

فى هذا الوسط الذى يجعل حقوق الملوك مقدمة على حقوق الأمم والشعوب ، ظهر صوت أحرار العلماء ينادى بالعكس تماماً ، متأثراً بفكرة حقوق الأمة عند المسلمين . تلك الحقوق التى كانت قد اختمرت فى أذهان الصفوة من علماء أوروبا بفعل ذلك الجوار

والمصلحة ؛ لتبرير اتجاه معين ، وليس انسياقاً مع العلم .

ومع هذا التباين والاختلاف ، نجد أن الأمر المتفق عليه والذى لا شذوذ معه هو ركن (اللغة) فقد أجمع مؤرخو القومية على أن اللغة هى الركن العلى فى موضوع القومية . ونحن من جانبنا نرى أن القومية تبلور حول العناصر الثابتة الأربعة وهى : (اللغة) و (الأرض) و (الدين أو الثقافة) و (التاريخ) وكل ما عدا هذه العناصر ، فهى فروع وتبع وليست أصلاً من الأصول الثابتة .

نابج القومية فى الغرب

نستطيع أن نقرر استناداً إلى ما نعرفه عن سير التاريخ والحضارات فى العالم إلى حدود عصر النهضة الأوروبية ، أن القومية وإن قدر لها أن تولد عرفياً فى أحضان القرن التاسع عشر ، إلا أن أصولها عميقة الجذور فى القدم ، فهى لا ترجع إلى هذا العصر ولا إلى غيره من العصور ، بل ترجع إلى أول انقسام تخلف عن أول مجموعة بشرية اجتماعية ، فاكْتَسَب هذا الفرع الاجتماعى بعض المميزات . وإن ولادتها عرفياً فى أحضان القرن التاسع عشر ، لا يعنى إلا بروز الذات المشبعة بالأنانية والأثرة بشكل أقوى فى الذهنية السياسية . وهو ما يعبرون عنه بالوعى

عن أجزائها الضائعة لتؤلف منها أمة منسجمة، تحكم نفسها بنفسها . فإذا لم تستجب الدولة لهذه الرغبة بالانفصال ، جرى تنفيذه بالقوة ، كما هو الواقع . وهكذا ولدت (القومية) وسمى القرن التاسع عشر ، على هذا الاعتبار (عصر القوميات) .

تاريخ القومية في الشرق

أما في الشرق ، وأقصد الشرق الإسلامي ، فقد سارت الأمور فيه على خلاف ما سارت عليه في الغرب ، لاختلاف الأسباب والأوضاع التي انبعثت منها القومية .

ففي هذا الوطن ، لم يكن للبلوك حقوق تختلف عن حقوق الأفراد ، كما لم يكن لهم حق التصرف فيما تحت أيديهم من المدن والبلاد والعباد ، مثلاً لم تكن لبلاطاتهم تقاليد إرثية أو زواجية خارجة عن القانون العام ، ولا كانوا كذلك مصدر القانون والسلطات - بل كانت الشريعة الإسلامية هي القانون النافذ ، وحموق الأمة ، هي المحور الذي تدور عليه هذه الشريعة ، ونجد مصداق ذلك في المبدأ الشهير (التصرف على الرعية منوط بالمصلحة) وهي مصلحة الأمة لا مصلحة الملوك أو مصلحة البلاط . ومعنى الرعية هنا ، ليس كما صوره بعضهم ، بل معناه الأمة الواجب مراعاة مصلحتها ليس إلا .

الطويل الأمد للحضارة العربية التي كانت تشع بقوة من مراكزها في جنوب أوروبا ، من أسبانيا العربية المسلمة ومن صقليا ثمانية قرون .

حدثنا التاريخ ، كم من الدماء سفكت في سبيل القضاء على حقوق الملوك وامتيازات رجال الدين وحواشيهم من الأشراف ، للظفر بحقوق الأمة . وبعد هذا الظفر والتسليم للأمة بأنها مصدر السلطات كافة ، انفسح المجال أمام العلماء للتساؤل ، ولكن ما الأمة ؟

وإذا كانت النزعة العلمية التحليلية قد قويت ، برز للوجود عدد من النظريات وفيها الإجماع والتأكيد على (الوحدة) أي أن الأمة وحدة في الجنس والعرق والدم ، وحدة في اللغة ، وحدة في الشعور ، وحدة في الدين ، وحدة في العادات والتقاليد ، وحدة في الأرض الخ . ومن هذه النظريات التي تفرض في الأمة الواحدة ، أول ما يفرضه ، التجانس والانسجام ، اعتبرت الفئات غير المنسجمة ، فئات غريبة عن جسم الأمة ، حتى قوى منع أفرادها أن يكون لهم من الحقوق ما للأفراد الآخرين ، بل قبح وجودهم أو الاعتراف بهذا الوجود !

ولما كانت الدول القديمة ، تضم أمماً متعددة ، صارت كل واحدة من هذه الأمم ، تنادى بالانفصال ، ثم تفتش هي بدورها

من الثابت أن العرب لم يحاولوا الانفصال عن الدولة العثمانية إلا بعد اليأس المير . فقد استيقظت القومية التركية أولاً ، ولم يعد من الممكن التفاهم معها ؛ لأن الروابط الدينية التي كانت تجمع بين العرب والترك ، أخذت تنحل في نفوس الفئة الموجهة من الترك لتحل محلها الرابطة القومية . وقد تبع ذلك حوادث مؤسفة أكدت أن الرابطة الدينية بين العرب والحكام من الترك لم تعد تجمعهم بل على العكس أصبح في نظر بعض القوميين الأتراك ، أن العرب هم علة تأخر الأتراك بما أعطوهم من مثل وبما منحوهم من عقائد وتقاليد .

ومع ذلك ، فإن العرب لما عقدوا مؤتمرهم الأول في باريس بين ١٧-٢٣ حزيران ١٩١٣ انتهوا إلى طلب الإصلاح في الولايات العربية ولم يبحثوا في الانفصال . وقد ركزوا طلبهم للإصلاح في منح اللامركزية الإدارية لهذه الولايات واعتبار اللغة العربية لغة رسمية فيها وفي مجلس النواب ولكن دون جدوى .

يقول الأستاذ ساطع الحصري : لقد اتفق الترك مع العرب على تنفيذ هذه الإصلاحات أولاً ولكنهم نكلوا بعدئذ . ثم جاءت الحرب العامة الأولى فنجى العرب فكرة هذه الإصلاحات جانباً ، ليتفرغوا لشئون الدفاع عن البلاد ، فتجدد أبناء العرب

وعليه فإن الانفصالات التي وقعت لبعض البلاد عن الخلافة وفيها بعض القوميات (إيران مصر . الأندلس . إلخ ...) كانت انفصالات سياسية وليست قومية .

وأما انفصال البلاد العربية عن الدولة العثمانية ، فقد كان هو الانفصال الوحيد الذي قام على أساس القومية ، ومع ذلك فقد دفعت إليه دفعاً واضطراباً ، أى لم يقع لإنشاء .

وتوضيح ذلك أن الدولة العثمانية ، كانت من الدول القديمة التي تضم أما متعددة ، ذات قوميات مختلفة ، تتباين لغاتها ، وتقاليدها وعاداتها ، ناهيك عن عقائدها ، كالعرب والترك ، واليونان ، والبلغار ، والرومان ، واليوغوسلاف ، والألبان ، والأرمن ، والشركس ، والأكراد و . إلخ ...

وقد استيقظ أول ما استيقظ من هذه القوميات ، تلك التي لها عقائد تخالف عقيدة الإسلام ، بتأثير الحركات القومية في الغرب تارة وبتشجيع الدول الأجنبية ودساتئها تارة أخرى ، حتى سرت العدوى إلى الأتراك أنفسهم ، مع أنهم العنصر الحاكم في الدولة العثمانية . وكان آخر من استيقظ على دق طبول القومية في الدولة العثمانية بطبيعة الحال هم العرب ؛ لأنهم كانوا أكثر شعوب الدولة تسامحاً وفهماً للروابط الدينية مع الأتراك .

كان مما قاله رئيس المؤتمر عبد الحميد الزهراوى إلى مراسل جريدة الطان الفرنسية: «إن المؤتمر ليس له صفة دينية، وكل أعماله تنحصر فى الدائرة المحدودة له من البحث فى شئوننا الاجتماعية والسياسية. ولذلك ترى عدد أعضائه المسلمين والمسيحيين متساوياً، وعلى كل حال فإن فكرة الاتحاد بين المسلمين والمسيحيين قد ولدت وأيدتها حوادث بيروت الأخيرة». وكان مما قاله فى الخطاب الذى ألقاه فى المؤتمر:

«إن الرابطة الدينية عجزت دائماً عن إيجاد الوحدة السياسية. وأنا لا أرجع إلى التاريخ لأبرهن على هذا. بل حسبي ما لدينا الآن من الشواهد الحاضرة. انظر إلى الحكومتين العثمانية والفارسية، كيف لم تقو رابطتهما الدينية على إزالة خلاف بسيط من بينهما، وهو الخلاف المتعلق بالحدود.

والعاطفة الإسلامية لم تقدر مرة من المرات أن تحمل أميراً مسلماً على التنازل عن حقوقه لأمر آخر من المتدينين بدينه، حتى لو كان هذا خليفة».

وقد أراد ندره مطران أن يؤكد أن العصية الجنسية أقوى من العصية الدينية، فكان مما قاله فى خطابه فى المؤتمر:

«إذا كانت النعمة الجنسية فضيلة فى النفس،

إلى جانب إخوانهم الترك لمقاتلة العدو المشترك. ولكن ظهر فيما بعد أن هؤلاء الترك قد استغلوا ظروف الحرب وبيتوا النية «على الانتقام من زعماء العرب الذين وضعوا ذلك الاتفاق، بغية نسف فكرة تلك الإصلاحات من أساسها (١)».

ولتحقيق هذه الفكرة وتمهيداً للنوايا الخفية (*) التى كان يضمها السفاح جمال باشا تذرع بمحاكمة أعضاء المؤتمر محاكمة عرفية، بحجة اتصالهم بالعدو، ثم علمهم على أعواد المشائق.

وهكذا، كانت هذه القافلة أمثال شكرى العسلى وعبد الكريم الخليل وعبد الحميد الزهراوى والشيخ أحمد طيارة وعبد الغنى العيسى وندره مطران وغيرهم، أول ضحايا القومية العربية.

لا يهمننا تفصيل هذه الوقائع بقدر ما يهمننا مفهوم القومية العربية عند المؤتمرين.

فاذا رجعنا إلى خطبهم فى قاعة المؤتمر وإلى تصريحاتهم للصحف، أدركنا أن الدين ليس من أركان القومية عندهم.

[١] ساطع الحميرى. محاضرات فى نشوء الفكرة القومية، الطبعة الثالثة ص ٢٢٨.

[٢] كشفت وثائق وزارة الخارجية السوفياتية بعد الثورة أن جمال باشا خاطب الروس فى استعداده للتضامن على السلطة العثمانية لقاء معاونته بإعلان سوريا ملكية مستقلة وراثية له ولأولاده من بعده.

هل للعرب حق جماعة ؟ إن الجماعات في نظر علماء السياسة ، لا تستحق هذا الحق ، إلا إذا جمعت على رأى علماء الألمان : وحدة اللغة ووحدة العنصر ؛ وعلى رأى علماء الطليان : وحدة التاريخ ووحدة العادات ؛ وعلى مذهب ساسة الفرنسيين : وحدة المطبخ السياسي . فإذا نظرنا إلى العرب من هذه الوجوه الثلاثة علمنا أن العرب تجمعهم وحدة لغة ووحدة تاريخ ووحدة عادات ، ووحدة : مطبخ سياسي : الحق العرب بعد هذا البيان ، أن يكون لهم على رأى كل علماء السياسة دون استثناء ، حق جماعة ، حق شعب ، حق أمة .

« تتساءلون عن ماهية هذا الحق جماعة الأمة العربية . فيبانا لهذا الحق أقول : أول حق لجماعة الشعوب ، حق الجنسية . »

« فنحن عرب قبل كل صبغة سياسية . حافظنا على خصائصنا وميزاتنا وذاتنا منذ قرون عديدة ، رغما عما كان يتبأنا من حكومة الآستانة من أنواع الاضطهاد ، كالامتناسص السياسي أو التسخير الاستعماري ، أو الذوبان العنصري . فكل ما تذرعت به الآستانة من

الوسائل ، لم يؤد إلى غير نتيجة واحدة . وهو الحرص على مكانة حق الجماعة وإحياء هذا الحس الشريف النبيل : (حس الجنسية) . فاقفاء للباضى نقرر مناهضة كل ما يشول إلى إضعاف هذه القومية ، والتذرع بكل ما فيه

فلست أدري أمة أشد تأثراً بعواملها في الأمة العربية . لما قدم أبو عبيدة بن الجراح وخالد ابن الوليد بجيوش العرب المسلمين إلى الشام ، وجدوا حراساً على أبوابها من الفسانيين ، وهم عرب نصارى ، يتقدمهم ملكهم المسيحى جبلة بن الأيهم . إلا أن هؤلاء بدلا من قتال المسلمين والوقوف في وجوههم ، عطفوا عليهم عطفة الأخ ، فتركوا الجامعة الدينية والرابطة السياسية اللتين كانتا تقضيان عليهم بمساندة الروم . وخطبوا ود وولاء الناطقين بلسانهم من بنى أمتهم العرب ، فهمدوا لهم السبل وفتحوا الطرق ، ومكنوهم كل التمكن من فتح البلاد . إن لعمرى فيما أبداه نصارى غسان في العصية العربية في هذا الشأن الخطير ، لأعظم شاهد على أن العرب متحمسون بالجنس قبل الدين ، وهى فضيلة الشعوب الحية . فضيلة الشعوب التى لا تريد أن تموت . »

ولكى نستقصى مفهوم القومية وأسباب انبعاثها عند أعضاء المؤتمر يجب أن نرجع إلى خطاب عبد الغنى العريسى . فما قاله في هذا الخطاب المعنون « حقوق العرب في المملكة العثمانية » :

« الحق في كل تكوين سياسى قائم على نوعين : حق فرد وحق جماعة . والجماعات كثيرة . وأجلها مكانة جماعات الشعوب . فلشعوب حق غير حق الأفراد . »

العثمانية أسموه (الانتداب) على البلاد المتخلفة
فتم لها اقتسام هذه البلاد ، فلسطين والعراق
لبريطانيا ، وسوريا ولبنان لفرنسا ، وبذلك
قضيا على الدولة العربية الفتية ، متخلين عن
شرف وعودهم بدعم استقلال البلاد العربية .
وهكذا اضطرت هذه البلاد أن تكافح
من جديد عدواً جديداً للفوز بالقومية
العربية .

ولما قدر لبعض هذه البلاد أن تتخلص
نهائياً من العدو وتحرر من سلطة الأجنبي
تألفت القومية العربية أيما تألق .
ولما كتب أبناء هذه البلاد بأيديهم قانونهم
الأساسي (الدستور) اتضح أن مفهوم القومية
العربية في بعض (١) هذه الدساتير ، يخرج
الدين عن أن يكون أحد أركان هذه القومية ،
بينما يؤكد دستور (٢) آخر أنه ركن عتيد
من أركانها .

نتائج القومية في الغرب

أوضحنا في البحث السابق العوامل التي
أدت إلى ظهور القومية في أوروبا . وكان
من أبرزها تمتع الملوك بسلطة مطلقة في التصرف
في أرض الوطن وسكانه بيعاً وشراءً وهبة
ومقايضة . وكان العامل الثاني في البروز تأييد

حياة لخصائص العرب وميزات العرب .
فتمحن كتلة حية ، قائمة بذاتها وخاصتها ،
لا تدع أية قوة تمس هذا الركن الركين ...
فنصرح في هذا اليوم بملء الأفواه : أننا خلقنا
لأنفسنا ... والبلاد العربية لا تكون بعد
اليوم سداً للطامع الأجنبية وبلاد أخرى .
بعد أن اتضحت اتجاهات الترك للانتقام
من زعماء العرب وخاصة أعضاء المؤتمر ،
وتأييدت مؤامرتهم على القومية العربية بإعدام
أولئك الزعماء في دمشق وبيروت في شهر
أيار ١٩١٦ . عندئذ أعلن الحسين بن علي
شريف مكة استقلال البلاد العربية بمنشور
أذاعه بعد أيام (١٠ حزيران ١٩١٦) .
وخاض غمار الحرب ضدهم ، مغترباً بوعود
بريطانيا المكتوبة ! .

ولما وضعت الحرب العامة الأولى أوزارها
اتضحت معالم القومية العربية تمام الوضوح
فقامت في سوريا أول دولة عربية حديثة
وتوج المؤتمر السوري فيصل الأول ملكاً
عليها .

ولكن الدول التي كسبت الحرب ضد ألمانيا
وتركيا وعلى رأسها بريطانيا وفرنسا استطاعت
بدساتنهما ونفوذهما تنفيذ الاتفاق السري
بينهما المعروف باتفاق (سايكس - بيكو)
فمنحهما مؤتمر الصلح المنعقد في باريس نوعاً
من الحكم على الأراضي المنسلخة عن الدولة

[١] الدستور السوري الصادر في ١٩٥٠ .

[٢] الدستور المصري .

والطبقات المتسلطة التي تكون في وضع ممتاز . وكانت النتيجة من وجه آخر ، أن أبطلت القومية إغراء آخر شبيهاً بالسابق ، هو إغراء استعمال السلطة السياسية لفرض دين واحد على جميع أفراد الدولة . وربما كان قول القرآن الكريم : « لا إكراه في الدين » ، ذا صلة بهذا الموضوع .

« إنه لو أمكن الإبقاء على الصلة بين الدين والدولة ، دون أن يؤدي هذا المعنى إلى محافظة متعصبة تجرح وتبطل أى فكرة أو نظرية جديدة ، على أساس أنها معارضة للبادئ الدينية المصطلح عليها أو للعرف الديني المؤلف ؛ ولو أمكن كذلك أن تخلص الصلة بين الدين والدولة من العصية ومن السياسة الاجتماعية الرجعية ؛ لو أمكن هذا كله ، لكانت هذه الصلة قوة حقيقية في المجتمع . ومهما يكن من شيء ، فالظاهر أن التاريخ يدل على أن كل هذه الأخطار كانت قائمة ، حيث كانت الهيئات الدينية تتدخل في الإدارة السياسية . »

نخلص من ذلك لنقول : إن مثل هذه النتائج التي يشير إليها الكاتب المذكور ويعتبرها سارة ، كانت خاصة بأوضاع الحياة الداخلية للمجتمع العربي . أما الوطن الإسلامي فلم يعرف في داخله تلك الأوضاع المشار إليها ، ليكون للقومية نظير تلك النتائج . والآية

الكنيسة لهذا التصرف تأييداً كاملاً مقروناً بإضفاء الصبغة الإلهية المقدسة عليه ، مهما بلغ من فداحة وظلم ، دون أن يحسب للشعب أى حساب .

ولهذا كان من أولى نتائج هذا الكشف الدموي المرير الذي خاضته الشعوب الأوروبية في سبيل الحصول على حقوقها ، هو فصل الدين عن الدولة ، تخلصاً من طغيان الملوك ووفقاً للذابح التي كانت تخوضها الكنائس المختلفة بعضها . ضد بعض باسم الدين وضد المؤمنين من أتباعها على السواء .

ونترك القلم لتفصيل هذا الأمر إلى الأستاذ هارولد ب . سميث نائب رئيس قسم الديانات في كلية دوستر بولاية إهايو في أمريكا حيث يقول :

« عندما سار الغرب في طريق فصل الدين عن الدولة مستبدلاً به القومية ، خرج منها بنتائج مختلفة . ففي بعض الأحوال كانت النتيجة تقليل سلطان الدين ووطأته على الحياة الدينية المشتركة للأمة . وكانت النتيجة في حالات أخرى ، حماية الأقليات الدينية من ضغط الأغلبية الدينية القوية سياسياً . كذلك كان من آثارها تقدم إطلاق الحرية للمنظمات الدينية ، لتصبح وعياً يقظاً في ضمير المجتمع ، دون أن تغرى ذلك الإغراء المخاتل المستر على إعطاء قدسية إلهية للنظام القائم ،

الحاجة إلى التدين بالإسلام

للاستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

الإسلام هو دين والوحدة، الدينية والسياسية والاجتماعية، كما قلنا في الكلمة السابقة، وهو على هذا دين الفطرة السليمة، ودين العقل والوضوح، ودين الحرية والإخاء والمساواة، إلى آخر الخصائص التي يتميز بها هذا الدين الحنيف من غيره من الأديان الأخرى.

وإذا كان تاريخ الإنسانية بما فيها من أمم وشعوب يثبت هذا الذي نقول، وإذا كانت الأديان السابقة نفسها تثبت بكتبها، فإن القرآن يؤكد في آيات كثيرة. فهو يقول، مثلاً، في سورة الأنبياء: «ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرنا للآتين».

ويقول في سورة المائدة: «وقفنا على آثارهم (أى آثار الرسل والأنبياء السابقين)

ولكن مع هذا كله، فإن الأمر الجدير بالنظر والتقدير، والذي له أهمية لا يقدر قدرها في النجاح الحق في هذه الحياة، وفي السعادة في الدار الآخرة، هو التدين بالدين والعمل به، لا مجرد الانسحاب إليه.

نعم! إن كل دين سماوى فيه هدى ونور؛ فيه هدى للناس فيما يختلفون فيه من أمر العالم

ويستهدف هذا الدفاع بالدرجة الأولى سلامة اللغة العربية والوطن العربى، اللذين أصبحا هدفاً للتدمير والتخريب.

ولا شك أن في سلامة العربية والوطن العربى سلامة الإسلام لا محالة.

محمود الميايمى

(تمة البحث في العدد القادم)

القرآنية التي أثبت الكاتب نصها، تعبر بوضوح عن القانون الذى كان يسود هذا الوطن.

ولهذا فلا ينتظر في البلاد العربية التى يسودها مفهوم هذا القانون، أن تكون لتقوية نتائج كالتى حصل عليها المجتمع الغربى. وأما النتيجة المنتظر حصولها من المناذاة بالقومية العربية، فهى تقوية الدفاع عن كيان الأمة العربية ولم شتاتها.

من عقائد واضحة سهلة الفهم والإدراك ، ومن عبادات تنظم صلة العبد بربه على نحو لا عسر فيه ولا حرج ، وأصول محكمة عادلة تقوم عليها المعاملات بين الناس ؛ فلا ينبغي بعضهم على بعض ، وأخلاق ينبغي أن يأخذ بها الأفراد والجماعات أنفسهم ، ونظم ينبغي أن تحكم شؤون السلم والحرب وسائر العلاقات الدولية ، إلى آخر ما نعرف مما جاء به الإسلام في هذه النواحي وغيرها مما لا بد منه لصلاح الفرد والمجتمع في كل زمان ومكان .

* * *

هذا ، وقد كان لهذه العقائد والأصول والمبادئ الإنسانية التي قام الإسلام عليها ، وكان لما قام عليه هذا الدين من المساواة والعدالة والإحسان ، كان لذلك أثر بالغ في سرعة انتشاره ، وحسن تقبل الناس له في أقطار العالم المختلفة ، كما كان ذلك من العوامل الحاسمة ، والأسباب القوية ، فيما أدركه الإسلام والعرب من عز ومجد وسلطان سعد به العالم الذي عاش تحت لوائه .

وإذا كان لا بد من شهادة غير المسلمين لهذا الذي تقرر ونؤكد ، فإننا نكتفي هنا بشهادة واحدة أداها « تايلور » المؤرخ الإنجليزي إذ يقول (١) :

(١) راجع كتاب الدعوة إلى الإسلام ، للسير توماس أرنولد ، الترجمة العربية ص ٦٧ .

بعيسى بن مريم مصداقاً لما بين يديه من التوراة ، وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ، ومصداقاً لما بين يديه من التوراة ، وهدى وموعظة للبتقين .

إلا أن هذه الكتب المقدسة قد نالها من التحريف والتبديل ما لا نرى ضرورة لكلام عنه هنا ، وما أذهب غير قليل من ذلك الهدى والنور والفرقان بين الحق والباطل . ومن ناحية ثانية ، قد نزل كل من التوراة والإنجيل لأناس محددين في زمن محدود ، وقد انتهى هذا الزمن ببعثة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم للعالمين كافة .

ولذلك ، لم يكن كل من هذين الدينين ، اليهودية والمسيحية ، من أول الأمر دينا عالميا للناس جميعا في كل زمان ومكان . ومن ثم ، لم يكن فيهما من التشريعات وأصول الفضائل ومقاييس الأخلاق ما يبنى بحاجات الناس جميعا على اختلاف الأمم والعصور .

ومن أجل ذلك كله ، وفضلا عن ضياع وجه الحق فيما جاء به هذان الدينان بفعل الأهواء وتطاول الزمن ، كان لا بد من دين جديد يكون خاتم الأديان السماوية ، ويكون لهذا السبب دينا عالميا ، وفيه من التشريعات والنظم ما يناسب البشرية في كل عصر ، وكان الإسلام هو هذا الدين الذي وفي بذلك كله . ويسكني هنا أن نشير إلى ما جاء به الإسلام

وما أشبه اليوم بالأمس ، والليلة بالبارحة
إن الإنسانية ، مثلها مثل الفرد ، قد تصاب
في سيرها بالأمراض التي تبرأ من بعضها
أحيانا وتنتكس أحيانا أخرى ، وقد يعمرى
عليها الواقع فتحسب أن بعض أعراض
المرض هي مظاهر العافية وأمارات تبشر
بعودة الصحة والقوة .

ومن ثم ، فهي لا تسكاد تعرف المرض
الذى استحكم فيها وهي - لذلك طبعاً - لا تبحث
عن العلاج الناجع له ، ولهذا تمكن له من
نفسها وهي لا تدرى حتى يوشك أن يقضى
عليها ، ونعتقد أن ذلك هو ما نحن فيه في هذا
العصر .

وفي الحق ، ماذا ترى في العالم الغربي ،
على اختلاف شعوبه وأمه ودوله ، وقد خرج
من حضانة الأديان السماوية وتكر لها وتحرر
من قواعد العدل والإنصاف والأخلاق ،
هذه القواعد التي يجب أن تقوم عليها الأفراد
والأمم والشعوب والدول .

نرى القوم في ذلك العالم الغربي ، في أوروبا
 وأمريكا ، قد استبدلوا بعبادة الله الواحد
الأحد ، عبادة آلهة شتى ترجع في مجموعها
إلى المادة والقوة في مختلف ضروبها ، ونرى
تحللاً مما عرفته الإنسانية من مقدسات
في ناحية العقيدة والأخلاق .

كان الناس في الواقع مشركين ، يعبدون
زمرة من الشهداء والقديسين والملائكة ؛ كما
كانت الطبقات العليا مخنثة يشيع فيها الفساد ،
والطبقات الوسطى مرهقة بالضرائب ، ولم يكن
للعييد ومن في مستواهم أمل في حاضرهم ولا
مستقبلهم ، فأزال الإسلام ، بعون من الله
هذا كله ، كما أزال هذه المجموعات من الفساد
والخرافات .

لقد كان الإسلام حقاً ثورة على المجادلة
الجوفاء في العقيدة ، وحجة قوية ضد تمجيد
الرهينة باعتبارها رأس التقوى ، وقد بين
أصول الدين التي تقول بوحدانية الله وجلاله
وعظمته ، وأن الله رحيم عادل يدعو الناس
إلى الإيمان به والامتنال لأمره وتفويض
الأمر إليه .

وأعلن أن المرء مسئول عما يعمل ، وأن
هناك حياة أخرى ويوما للحساب ، وأعد
للأشرار عقاباً أليماً ، وفرض الصلاة والزكاة
وفعل الخير ، ونبذ الفضائل الكاذبة والدجل
الديني ، والنزعات الأخلاقية الضارة ،
وسفسطة المتنازعين في الدين .

وأحل الشجاعة محل الرهينة ، ومنح العبد
رجاء ، والإنسانية إحياء ، ووهب الناس
إدراكاً للحقائق الأساسية التي تقوم عليها
الطبيعة البشرية .

أيضا لا ريب فيه ، ولكن هذه الأمم والشعوب والدول لا تجسد إلى الأمن والاستقرار سبيلا ، فهم يلهثون ويلهثون وفي شقاء دائم مقيم .

فهم منقسمون على أنفسهم إلى معسكرات مختلفة متعارضة ، وبعضهم لبعض عدو يتربص به الدوائر . ولهم مع هذا وذاك ، صاروا عبيدا للآلات التي صنعوها بأيديهم ، ومسخرين للعلوم التي كشفوها وظنوا أنها وسيلة الهناء والسعادة ، فإذا بها وسيلة التدمير والهلاك !

ذلك ، بأنهم تركوا الدين وتعاليمه وراءهم ظهرياً ، وجعلوا أخلاقهم وعلاقاتهم وليدة المجتمع الشره الظالم الذي خلقوه وأصبحوا يعيشون فيه ولا يستطيعون عنه حولا ، وهذا بدل أن تكون هذه الأخلاق والعلاقات نابعة من الدين الذي أنزله الحكيم العليم بالنفوس وما يصلحها ، وما يجلب الهناء والسعادة لها .

* * *

ولست الحال في الشرق والبلاد العربية بأحسن منها كثيراً في الغرب وأمريكا ، فقد انحرف الكثير منا عن الدين في غير قليل من شئون الحياة ، والأمر من الواضح بحيث لا يحتاج إلى حديث طويل أو تدليل ، فهو

ونرى حياة مادية خالية من المعاني الروحية النبيلة السامية ، وطغاة يسوقون الأمم والشعوب إلى حروب فاتكة تقوم على تسخير العلم في سبيل الطغيان والاستبداد . كما تقوم على أشد ما عرفته البشرية من آلات التدمير ؛ وشعوباً حائرة لا تدرى غايتها من هذه الحروب ، ولا مصائرهما التي تنتهي إليها .

لقد تقدمت العلوم بلا ريب بفضل الغرب وحضارته ، ولكن هذه الحضارة التي علمتنا كيف نسبح في الماء بالغواصات الجبارة ، وكيف نظير في الهواء وفوق السحاب بفضل الطائرات القوية العملاقة ، عجزت حتى اليوم عن تعليم ناسها وشعوبها كيف يسيرون على الأرض في طريق الخير بغير عوج أو التواء أو تعثر !

إنهم اليوم في حيرة بالغة ، وقلق واضطراب شاملين ، وكل ذلك يأخذ عليهم عقولهم وقلوبهم . وأصبح الضمير هناك لا يطمئن إلى عقيدة أو مبدأ أو نظام ، فلم يعد يجد اليقين الذي ينفى إلى ظله في جو من الهدوء والراحة والاستقرار .

وإن الغرب بما فيه الولايات المتحدة الأمريكية ، يملك من القوى المادية والعلمية ما قد يستطيع به أن يسيطر على الشرق ، وهذا ما لا ريب فيه ؛ وإن شعبه وأمه ودوله لتنتج كثيراً وتربح كثيراً ، وهذا

ومن هذا البحث تطالعنا حقائق واقعة تحزن قلب المسلم العامر قلبه بهذا الدين وشريعته ، ويكفيها أن تشير إلى بعض هذه الحقائق الواقعة المؤلمة وكلها تتعلق بالأعراض والدماء التي لها خطرهما في التشريع الإسلامي .

١ - من المعروف أن عقوبة القتل العمد ، الإعدام قصاصا ، وأن عقوبة القتل الخطأ ، دفع الدية ، وأن هذه الدية لا تختلف في مقدارها باختلاف الأشخاص في المنزل ، فإن الإسلام قد سوى بين الناس جميعا في الحقوق والواجبات والتبعات .

ولكن الأمر في بعض القبائل والعشائر في العراق مثلا جد مختلف ، بل مناقض لحكم الله ورسوله في هذا الأمر الخطير . فإن عقوبة القاتل عمدا ومع سبق الإصرار نفية عن حدود العشرة سبع سنوات ، وإعطاء أرضه لأهل القتل يستغلونها هذه المدة . وإذا كان القاتل من عشيرة غير عشيرة القتل ، كانت العقوبة - ولا تنسى أن القتل هنا كان عمدا أيضا - دفع الدية دون إمهال .

وهذه الدية يختلف قدرها من قبيلة إلى أخرى ، كما لا تدفع كلها لأهل القتل ؛ بل يدفع لهم الثلثان فقط ، والباقي يوزع بين الأقارب إلى الدرجة الخامسة في القرابة ، أو إلى الظهر الخامس حسب تعبير الكاتب نفسه ، كما أن الدية تتضاعف فيما يخص الرؤساء .

ملبس مشاهد وأمر واقع ، ومرجع هذا إلى أننا قد فتننا المدنية الغربية زمنا طويلا . ونحمد الله هذه الأيام أن برئنا من هذا الداء الذي كان عضالا ، وأن تيقظ العرب وفتنوا إلى أنفسهم ، وعرفوا ما يملكون من تراث روحى عظيم ، وقوى معنوية ومادية حرية بأن تجعلنا حقا خير أمة أخرجت إلى الناس ، وبأن تعيدنا إلى متسام الصدارة والتوجيه كما كنا في ذلك الزمن المجيد .

ولكن مهما طوينا الحديث في هذه الناحية فإتينا تشير إلى أمر جدير بالملاحظة والتدبر ، ولعل في ذلك عظة وتذكرة لقوم يعقلون .

والأمر أنه لا يزال في البلاد العربية الإسلامية من يعتبر المحافظة على ما جاء به الإسلام من شريعة وآداب رجعية ليس من العقل أن نعود إليها ، بل لا يزال في بعض هذه البلاد أحكام من الجاهلية الأولى ، ولها قد استها وسيطرتها على الآخذين بها ؛ كأن الإسلام لم يقرع آذانهم ، ولم يمس قلوبهم وعقولهم .

فقد ظهر منذ سنوات بحث قيم موجز للدكتور عبد الجليل الطاهر ، وقد ألقاه على طلاب قسم الدراسات الاقتصادية والاجتماعية بمعهد الدراسات العربية العالية بجامعة الدول العربية ، واسم هذا البحث هو : « البدو والعشائر في البلاد العربية » .

ومن هذه الحقوق أيضا ، أن له الحق في قتلها إذا أرادت الزواج من غيره دون إذنه وموافقته ، ثم لا يكون مطالبا بدفع الدية أو بديل منها .

هذه بعض الأحكام والقواعد التي تسير عليها قبائل في بلاد عربية إسلامية ، ولعلنا لا نعدو الواقع إذا قلنا : إن لهذه الأحكام والقواعد الجاهلية ما يشبهها في أقاليم وبلاد أخرى من الوطن العربي الإسلامي .

وبعد : إن لنا من هذا ، ومن نواح عديدة أخرى ، أن نقرر حقا بأن العالم اليوم في حاجة ماسة إلى الإسلام لا بكل مقوماته ؛ نعني عقيدته ، وشريعته ، وأخلاقه وآدابه ، وتقاليده الصالحة .

ولاحل لما نحن فيه إلا بالعودة حقا إلى هذا الدين الذي به خرج العالم فيما مضى من الظلمات إلى النور ، ومن الضلال إلى الهدى ، والله يهدي من يشاء إلى الصراط المستقيم .

الدكتور محمد يوسف موسى

رئيس وأستاذ قسم الشريعة الإسلامية
بمحقق عين شمس

٢ - وهناك عقوبات خاصة بحالات إهانة العرض أو انتهاكه ، وهى عقوبات تعارفوها مع معارضتها تماما للإسلام . مثلا ، إن وقع اعتداء على امرأة متزوجة كانت العقوبة أن يدفع المعتدى امرأة لأهلها ، أو عشر ليرات حسب العرف الجارى .
ولو اغتصب رجل نهارا امرأة ، كان من حق قبيلتها أن تقتل الغاصب أو أحد أقاربه حتى الجد الخامس ، وأن تستحل أموالهم مدة ثلاثة أيام .

٣ - إذا خطف شاب فتاة ليتزوجها وظفر به أهلها وقتلوه ذهب دمه هدرا . وإن كانت متزوجة ، حق لأهلها قتلها وقتل الخاطف أيضا إن ظفروا به ، فإن لم يظفروا بهما ، أو احتميا بقبيلة ذات جاه ومنعة ، كان على أهل الخاطف بمقتضى العرف العشائرى أن يؤدوا إلى أهل المرأة ثمانى نساء قد يستعاض عن بعضهن بالدية .

٤ - ولابن العم حقوق على ابنة عمه من آثار الجاهلية الأولى حقا ، ومنها أنها عند ما تولد تسكون زوجة له (لعله يريد تعتبر أنها ستكون زوجة له) ، إلا إذا تنازل عنها فتستطيع في هذه الحالة أن تزوج بمن تشاء ، وفي هذه الحالة لا بد من موافقته قبل الإقدام على زواجها .

مَنْ هَدَى الْكِتَابَ الْغَيْرَ

واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا

للأستاذ الشيخ محمد عرفة

- ٢ -

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » .

يقول يا أيها الذين آمنوا خافوا الله حق خوفه وراقبوه بفعل ما أمر واجتناب ما نهى وتقوى الله حق تقواه أن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى . « ولا

تموتن إلا وأنتم مسلمون » مذعنون مخلصون لربكم أى داوموا على الإسلام حتى إذا جاءكم الموت جاءكم وأنتم مسلمون فإن قيل كيف أمر

بتقوى الله حق تقواه وهذا أمر لا يقدر أن عليه وهو من قبيل التكليف بما لا يطاق؟ قيل إن ذلك نسخ بقوله تعالى « فاتقوا الله ما استطعتم »

وروى ذلك عن سعيد بن جبير قال إنها لما نزلت اشتد على القوم العمل فقاموا حتى

ورمت عراقيهم وتقرحت جباههم فأنزل الله تخفيفاً عنهم « فاتقوا الله ما استطعتم » .

والظاهر أنه لا نسخ وأن التكليف كلها مأخوذ فيها شرط القدرة والاستطاعة، فالمعنى

اتقوا الله حق تقاته فيما تستطيعون .

وروى عن ابن عباس ما يفهم منه عدم النسخ فقد فسرهما بأن يجاهدوا فى الله حق

جهاده ، ولا تأخذهم فى الله لومة لائم ، ويقوموا لله بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم

وأبنائهم . فهى بمعنى الآيات التى جاءت بهذه الأمور الثلاثة ولم يقل أحد بنسخها .

« واعتصموا بحبل الله جميعاً » وتعلقوا بأسباب الله جميعها ، يريد بذلك وتمسكوا بدين

الله الذى أمركم به وعهده الذى عهد إليكم فى كتابه من الألفه والاجتماع على كلمة الحق .

والحبل هو السبب الذى يوصل به إلى البنية والحاجة ، ولذلك سمي الأمان حبلاً لأنه

سبب يوصل إلى زوال الخوف والنجاة من الفزع والذعر .

ومنه قول أعشى بنى ثعلبة :-
وإذا تجاوزها حبال قبيلة

أخذت من الأخرى إليك حبالها
ومنه قول الله « إلا بحبل من الله وحبل من الناس » .

فهذا هو الإسلام عصم خالدا من الفرقة
وانقسام الكلمة ، فإذا أخذ المسلمون به
عصمهم كذلك ، وكما هو عاصم من الفرقة
والانقسام عاصم من الفحشاء والمنكر ،
وعاصم من غضب الله ومن ناره وعقوبته ،
ومن البلاء والفتن التي تصيب الناس بذنوبهم .
والقرآن هو قانون الله الذي ضمن أوامره
ونواهيه ، فإذا مس المسلم طائف من الشيطان
تذكر أمر الله ونهيه فعصمه ، فكلا الإسلام
والقرآن عاصم ، فصح أن يقال اعتصموا
بجبل الله الذي هو الإسلام ، واعتصموا
بجبل الله الذي هو القرآن .

ولا تفرقوا كما كنتم متفرقين في الجاهلية ،
يعادى بعضكم بعضا ويحاربه ، وإدراك ذلك
يكون بالامتناع عما يكون عنه التفرق وترك
ما يصدع الوحدة ويزيل الاجتماع والألفة .
نهى الله عن التفرق؛ لما في التفرق من زوال
الوحدة ، والوحدة هي القوة . والقوة هي
الغلب والامتناع . والحق بحاجة إلى قوة تذب
عنه وعن أهله ؛ ليسلم لهم حقهم وليستطيعوا
نشره في العالمين .

وقد قال الشاعر ينصح بنيه عند الموت .
كونوا جميعاً يا بني إذا اعترى
خطب ولا تفرقوا أحاداً
تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسراً
وإذا انفردن تكسرت أفراداً

واختلف العلماء في المراد من الجبل فقال
بعضهم القرآن والعهد الذي عهد فيه ، قال
قتادة : جبل الله المتين الذي أمر أن يعتصم به
هو القرآن ، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه
وسلم (عليكم بكتاب الله فإن فيه نبأ من قبلكم
وخبر من بعدكم ، وحكم ما بينكم ، من يدهه
من جبار قصمه الله ، ومن يتبغ الهدى في غيره
أضله الله ، وهو جبل الله المتين ، وأمره
الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذي
لما سمعه الجن لم يتناءوا أن قالوا « إنا سمعنا
قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد » هو الذي لا تختلف
به الألسنة ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا
تنقضى عجائبه) .

وقيل هو الإسلام وقيل هو الجماعة .
والظاهر أن المراد به القرآن أو الإسلام ،
وهما عاصمان للمسلم من الشرور والآثام
والفرقة والانقسام .

يروى أن أبا بكر مات وخالد بن الوليد
قائد جيش المسلمين في حرب الروم ، فلما
تولى عمر بن الخطاب عزل خالد بن الوليد
وولى أبا عبيدة وأرسل إلى خالد بذلك فقال:
الحمد لله الذي أمات أبا بكر وكان أحب إلينا
من عمر ، واستخلف عمر وكان أبغض إلينا
من أبي بكر وألزمنا طاعته ، ثم تنحى عن
قيادة الجيش ، وحارب جنديا مع المقاتلين ،

قلنا إن علماء الإسلام من القديم إلى الآن قد قصرُوا في حق الوحدة الإسلامية وأخوة الإسلام والتعاون الإسلامي فلم يبحثوها بحثاً مستقصى ويبينوا أسبابها وموجباتها ، وما الموانع التي تحول دونها ، وما الدور العظيم الذي قامت به في التاريخ ، وما حيل الأعداء في تشتيت الوحدة وقطع المحبة وبث الإحن والأضغان ، قصرُوا في ذلك وقصرُوا في أن يقيموا مجعاً مهمته أن يثبت المحبة ويحافظ على الوحدة ، إنهم شغلوا بالطهارة ونواقض الوضوء وموجبات الغسل فأعطوها من العناية ما لم يعطوه لجمع كلمة المسلمين وبث المحبة بينهم ، كأن الأخوة الإسلامية أقل شأنًا من نواقض الوضوء وموجبات الغسل ، مع أن الأخوة الإسلامية فيها عزهم ونصرهم وبقاؤهم .

كنا نريد أن تفرد بالتأليف وتسائط عليها الأضواء ويدعى لها حتى يعلم المسلمون شأنهم ، ويكونوا على بينة من أمرهم وتدرس في جميع معاهد التعليم .

ولعلنا نقوم ببعض هذا الواجب ويكمل العلماء ما بدأناه وبحسبنا أن نبدأ وبحسبنا أن ننبه .

« واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمة إخوانا ، .

وخير ما يديم الوحدة بين المسلمين هو المحبة ، وخير ما يحقق المحبة هو العدل ، وشر ما يفرق الناس هو البغض ، وشر ما يجلب البغض هو الظلم والجور ، وقد أوصى الإسلام بالتحاب والعدل والرحمة ، ونهى عن التباغض والتظالم بعد أن وحد المسلمين وجمعهم على عبادة إله واحد ، ووحد مشاعرهم وعقائدهم ومثلهم العليا ، ونهى عن العصبية المفرقة وجعل لهم عصبية واحدة ، هي الإسلام وأن يستظل المسلمون جميعاً بظله ويقفون تحت رايته الخفاقة . فإن قيل :

إذا كان الإسلام كما ذكرت فما الذي جعل المسلمين أحزاباً متعادية أو شيعاً متفرقة ، فهذا سني وهذا شيعي ، وهذا معتزلي وهذا خارجي . الخ ؟ .

وما الذي جعلهم يتعادون حتى على الأمور السياسية ؟ وما لهم وهم محبوسون في المصيدة ، يتعادون ويتنازعون ، وقد تركوا عدوهم المشترك الذي لا يريد منهم إلا أخذ أرضهم وطردهم منها يتشردون تحت كل سماء ، وفوق كل أرض كما فعل بإخوانهم في فلسطين ؟ .

إن من طاردتهم الذئاب والسباع والحيات والأفاعي لا يحسن بهم أن ياهو عن ذلك كله ، ويشغلوا بنزاعهم الداخلي عن الخطر المحدث بهم ؟ .

أن يكون أعز شيء لديكم؛ بمنزلة ما كونكم أمة وحافظ على وجودكم وبقائكم .

« وكنتم على شفا حفرة من النار فأنتقم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » شفا الحفرة حرفها ، ويقال أيضا شفة والمعنى أنهم لو ماتوا على ما كانوا عليه وقعوا في الغار هكذا قال المفسرون وهذا تقصير بالآية .

والظاهر أن المراد بالحفرة التي كانوا على وشك أن يتردوا فيها : المصير الذي كان ينتظرهم في الدنيا والآخرة ؛ لما كانوا عليه من البغضاء والتفرق ، وذلك يؤدي إلى حربهم وتقاضيتهم وذهلهم لأعدائهم . وما كانوا عليه من ظلم وفساد وجهل بالله وذلك يؤدي إلى عذاب الله .

فشبّهت حالهم لذلك بحال من هم على حرف حفرة يشكون أن يتردوا فيها ، فجاء منقذ فأخذ بحجزهم وحال بينهم وبين التردى في الهاوية ، فهو تمثيل ولا يخفى ما فيه من جمال إذ عرض هذه الصور المحسة من الحفرة والنار وقوم على حرفها يشفق المشفق أن يتردوا فيها ؛ والنفس تأنس بالمحسّات ؛ لأنها ألفتها في أول وجودها وإذ عرض ذلك بطريق التشبيه المطابق والنفس تلتذ بالتشبيه والمحاكاة ، وبمطابقة التشبيه وجوده ، ولا سيما إذا كان تشبيه قصة بقصة في مغزاها ، والمغزى هنا إنجاء محقق بعد توقع هلاك كان محققاً ،

ذكرنا الرواية التي تقول إن هذه الآيات نزلت في الأوس والخزرج ، لما كاد اليهود يوقدون بينهم نار الحرب بعد أن أطفأها الله بالإسلام ، فيكون معنى الآية : واذكروا أيها المؤمنون من الأوس والخزرج نعمة الله عليكم ؛ إذ كنتم أعداء في جاهليّتكم ، لكم أيام مشهورة ينال فيها بعضكم من بعض ، فتكون بينكم ترائنا ودماء . تورثكم أحمقادات وأضغانا ، فجاء الإسلام ففصل صدوركم من الغل ، وظهر قلوبكم من الحقد ، فأصبحتم بنعمة الله إخوانا ، بينكم من المحبة والالفة ما بين الأخوة من النسب .

والرواية التي ستأتى عن قتادة تفيد أنها ليست في الأوس والخزرج خاصة بل هي عامة ، وعلى ذلك يكون المعنى : واذكروا أيها الذين آمنوا نعمة الله عليكم ، إذ كنتم أعداء في جاهليّتكم ، تقوم الحرب بين القبيلة والقبيلة ، فتمكث ماشاء الله من السنين . فألف بين قلوبكم بالإسلام فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وتكون الآيات نزلت في تحذير المسلمين ؛ أن يختلهم الذين أوتوا الكتاب عن دينهم ، بمجادلتهم فيه وإلقاء الشبه إليهم فإن أطاعوهم كفروا . وقد طلبت الآيات تقوى الله حق تقاته ؛ ليستعينوا على الثبات على دينهم ، ثم قالت : لهم إن هذا الدين أنفس ما حزنموه ، وأجل ما منحنموه ، فقد حولكم من أعداء إلى إخوان تغلبون ولا تغلبون ، وتبالون ولا ينال منكم . وشى هذا شأنه يجب

كانوا أعداء متباغضين . وما تبع ذلك من عزهم وقوتهم ؛ لأنهم أدركوا العصرين : عصر الجاهلية وعصر الإسلام ، وعلبوا ما في التفرق من الذلة وما في البغضاء من القلة ، ثم ما في الأخوة الإسلامية من الاتحاد والتعاون ، وما في الاتحاد والتعاون من القوة والمنعة ، والدفاع عن البيضة ورد الأعداء الطامعين . كذلك من كانوا على مقربة من عهد الجاهلية كالتابعين .

روى ابن جرير الطبري بسنده عن قتادة في تفسير قوله « وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته » .

(كان هذا الحى من العرب أذل الناس ذلا وأشقاه عيشا ، وأبينه ضلالة وأعراه جلودا وأجوعه بطونا ، على رأس حجر بين الأسدین : فارس والروم ، لا والله ما فى بلادهم يومئذ من شيء يحسدون عليه ، من عاش منهم عاش شقيا ، ومن مات ردى فى النار ، يؤكلون ولا يأكلون . والله ما نعلم قبىلا يومئذ من حاضر الأرض كانوا فيها أصغر حظا وأدق شأنا منهم ، حتى جاء الله عز وجل بالإسلام ؛ فورثكم به الكتاب وأحل لكم به دار الجهاد ، ووضع لكم به من الرزق ، وجعلكم به ملوكا على رقاب الناس ، وبالإسلام أعطى الله ما رأيتم ، فاشكروا نعمه فإن ربكم منعكم يحب الشاكرين وإن أهل الشكر فى مزيد الله ، فعالى ربنا وتبارك . (١٥) .

وهو فى المثل أظهر ؛ لأنه فى أمر حسى ، ومن يشك فى توقع هلاك قوم كانوا على شفا حفرة من النار ، وأن من أخذ بحجزهم ومنعهم من التردى قد نجاهم ؟ وفى المشبه أخفى وهو حال العرب من جهل وبغضاء كادت تردى بهم ، وحالهم بعد الإسلام من محبة واجتماع قد نجتهم ، وتشبيهه الأخفى بالأظهر يكسبه ظهوراً ، ويعيد النفس للاقتناع به . وهذه اللذة العقلية تعدها أيضا للاقتناع ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ، كهذا البيان المقنع البليغ يبين الله لكم آياته إرادة أن تزدادوا هدى .

يذكر الله المسلمين بنعمه عليهم إذ ألف بين قلوبهم ، وأخى بينهم بعد العداوة والبغضاء ، وكأن الله يذكرهم بنعمته هذه ، نعمة المحبة بعد العداوة ، ونعمة تأليف القلوب بعد تنافرها واختلافها ، يذكرهم بعزم بعد ذلهم ، وبغناهم بعد فقرهم ، وبسيادتهم على الأمم بعد أن كانوا مسودين ، وبقيادتهم بعد أن كانوا ممتودين . يذكرهم بالبعث الروحى بعثهم بعد أن طالت عليهم الغفلة وطال عليهم الندم ، نعم هذا كله جاءهم بعد أن تألفت قلوبهم ، وتصافت نفوسهم ؛ بفضل الإسلام : هذا الدين الجديد . وكان من أنزل فيهم القرآن أعرف الناس بقيمة نعمة تأليف القلوب بعد تفرقها ، وجعلهم إخوانا متحابين بعد أن

رب إن هذه الأمة التي ذكرتها بنعمتك عليها
 إذ ألفت بين قلوبهم بعد العداوة والبغضاء ،
 وجمعتهم بعد الفرقة والشقاق ؛ فأصبحوا
 إخواناً متحابين بعد أن كانوا قوماً متباغضين ،
 وأصبحوا جميعاً بعد أن كانوا متفرقين ، قد
 عادوا إلى سابق أمرهم وما كانوا عليه في
 جاهليتهم : فرقة وتباعد ، وحزبية وانقسام ،
 وعداوة وشحناء ، وشنآن وبغضاء ، وإن الأمم
 الأخرى تذكى بينهم نار العداوة كلما أطفأها
 المصلحون وأولو الرأي عادوا فآو وقودها !
 رب إنا نلتئم نسونك ونرجو أن تعصمها
 من الفرقة والتباعد ، والحقد والتباغض !

رب إنه وهى بنيانها ، وضعف سلطانها ،
 وانهارت أركانها ، وإن هذا الانقسام والتفرق ،
 والعداوة والشنآن يزيدا ضعفا على ضعف ،
 ووهنا على وهن . وإن الأمم تداعى عليها ،
 تداعى الأكلة إلى قصعتها فاققسموها أشلاء
 وتوزعوها فرقا ، وما لها إلا أن تتوحد وتلم
 شعنها ، وترأب صدعها وتحاب فيما بينها ،
 فتعود إليها قوتها ويرجع إليها مجدها ، وترد
 عنها أيدي الطامعين وغارة المغيرين ، ولكن
 من لها بأن تعلم ذلك ثم بأن تفعله ؟

محمد عرفه
 عضو جماعة كبار العلماء

« الرجل وعشيرته »

في نهج البلاغة : إنه لا يستغنى الرجل - وإن كان ذا مال - عن عشيرته ودفاعهم عنه
 بأيديهم وألسنتهم ، وهم أعظم الناس حيطة من ورائه ، وألمهم لشعته ، وأعطفهم عليه عند
 نازلة . ولسان الصدق يجعله الله للبر خير من المال يورثه .
 ألا ، لا يعدل أحدكم عن القرابة يرى بها الخصاصة بالذى لا يزيد إن أمسكه ،
 ولا ينقصه إن أهلكه .

ومن يقبض يده عن عشيرته فإنما يقبض منه عنهم يد واحدة . وقبض منهم عنه أيد
 كثيرة . ومن تلى حاشيته يستام من قومه المودة .

موقفُ الأديبِ من اللغة

للدكتور تمام حسان

مهاجمة من أهانه إن كان هو شاباً قوى العضلات عدواني الطبع ، وقد تدفعه إلى البكاء إن كان ضعيفاً مستخدماً ، وقد تدفعه إلى إهانة مثلها يردّها بها يجعلها سوقية مسفة إن كان سليل اللسان ساقط الهمة ، وقد تدفعه إلى اصطناع الحلم وافتعال الإغضاء إن كان رجلاً واسع الحيلة حسن التأني ؛ ولكنه إذا كان ذا نفس فنانة متمرسه بالأدب فزع إلى قلبه وورقه ، فكتب قصيدة في الهجاء ، أو في الفخر ، أو في التباهي بالحلم .

يمكن بهذه النظرة أن نفهم طبيعة العمل الأدبي من الناحية النفسية ؛ فالعمل الأدبي الأصل نتيجة انفعال نفسي معين ، أو استجابة لهذا الانفعال الذي سميناه من قبل مثيراً ؛ غير أننا نلاحظ أن هذا العمل الأدبي يختلف في طبيعته عن الاستجابات الأخرى التي قد يثيرها نفس المثير . فالانفعالات المختلفة تمتاز بطابع رد الفعل من السرعة والاقتضاب ، وهذا ما نلاحظه فيما أشرنا إليه من ردود مختلفة على الإهانة : كالمهاجمة ، أو البكاء ، أو الإهانة الماثلة . أما العمل الأدبي فطابعه التريث ، والتعمد ، واستدامة الحالة الانفعالية

المعروف أن النفس الإنسانية أبعد شئ عن الاطراد والخضوع للقواعد ، وأن هذه النفس تتكيف بكيفيات لا تلتقي أولها بأخرها ، وأن هذه الكيفيات أو الاتجاهات النفسية نتيجة لعوامل متشابهة من التربية والبيئة . فالإنسان عرضة للبؤثرات التي تؤثر في تكوينه النفسي وهو جنين في بطن أمه ، ثم بعد أن يولد ، وفي عهد الطفولة ، والمراهقة والشباب ، والرجولة ؛ فلا يزال ما يصادفه في حياته ينعكس على تركيبه النفسي حتى آخر لحظة من حياته .

ومادام الإنسان يحيا في مجتمع فلن يستطيع الهرب من التعرض للتجارب المختلفة : ما يسر منها وما يسوء . وإذا كان لنا أن نستخدم اصطلاحات السلوكيين من علماء النفس فإن هذه التجارب التي يمر بها الإنسان تعتبر مشيرات يتطلب كل منها استجابة معينة ، ولكن عدم اطراد النفس الإنسانية ، وعدم خضوعها للقواعد يجعل المثير الواحد بعينه يثير استجابة ما عند امرئ ، واستجابة أخرى تخالفها عند شخص آخر ، واستجابة ثالثة عند ثالث . فالإهانة يسمعها المرء موجهة إليه قد تدفعه إلى

وحين نذكر الصواب نذكر العرف ،
والمعايير ؛ لأن فكرة الصواب والخطأ نفسها
توحى بمقياس تكون مطابقته هي الصواب ،
ومخالفته هي الخطأ . فإذا علمنا أن اللغة
بمجموعة من الأجهزة التي صنعها المجتمع
وتعارف عليها ، وأن أصوات اللغة تنظم في
جهاز صوتي ، وأن صيغها تنظم في جهاز
صرفي ، وأن أبوابها تنظم في جهاز نحوي ،
وهلم جرا . . . ، وإذا علمنا أن كل جهاز من هذه
الأجهزة قد حددته العرف تحديداً دقيقاً ،
ورصد له من وسائل المحافظة عليه ما لا يمكن
الاستهانة به ، وإذا علمنا أن المجتمع نفسه غيور
أشد الغيرة على هذه المعايير العرفية ، أدركنا
أن الأديب ليس له من الحرية ، في الإبداع
اللغوي ما يحلو لبعض الناس أن ينسبه إليه ،
وأن التعبير الأدبي محكوم بعرفية الصيغة ،
وعرفية الكلمة ، وعرفية التركيب ، وعرفية
الإيقاع ، والعرفية البيانية ، ثم هو محكوم
فوق كل أولئك بعرفية المسالك الأدبية .
وستناول ذلك على الترتيب .

إن اللغة العربية قد حددت لنفسها صيغاً
صرفية معينة سنّها العرف ، فكانت هذه
الصيغ قوالب تضغط الكلمات فيها ، وتتخذ
لنفسها مظهراً عربياً يناسب إيقاع النطق
العربي ، ولا يبدو غريباً على الأذن العربية
حين تسمعه .

المعينة التي في النفس طول المدة اللازمة لإنتاج
النص . وإنما يتفاضل الأدباء بمقدار
ما يستطيعون استدامة هذه الحالة الانفعالية ،
أو بعبارة أخرى من لغة السلوكيين ، بمقدار
إطالة مدة الإثارة . وإن القدرة على إطالة
مدة الإثارة في نفس الأديب لتعتبر ناحية من
ناحيّتي تكوينه الفني اللتين لا يمكن أن ينجح
بدونهما ، أما الناحية الأخرى فهي قدرته
على استعمال اللغة استعمالاً يجتمع له فيه
الصواب والجمال .

ويظن البعض أن الإبداع الأدبي حين
يتصل بشكل الأدب وموضوعه إنما يتصل
بهما دون قيد ولا شرط ، وأن الأديب بحكم
كونه مبدعاً يتمتع بحرية الخلق والابتكار ،
وأن العلاقة بين الأديب وبين مجتمعه هي علاقة
الفاعلية المطابقة بالقابلية المطلقة ؛ فالأديب
يستوحى ويبدع ، والمجتمع يتلقى ويستمتع ؛
وما دامت اللغة وسيلة التعبير عن هذا الوحي
الأدبي فقد خيل لقوم أن الإبداع يمس لغة
الأديب كذلك . ولست أرى شيئاً أبعد عن
الحق من هذا الزعم ؛ لأن للتعبير الأدبي
مطلبين إذا لم يتحققا له في النص فقد صفة
الأدب ، وانحط إلى المستوى السوقي وأصبح
من الذوق الفني بمكان الشمال من الجنوب .
ذاتك المطلبان هما الصواب ، والجمال .
وسنحاول هنا أن نبين موقف الأديب من
صواب النص ، وموقفه كذلك من جمال النص .

فجعل الكلمة على وزن «فعلول»، وخرج بها عن نقطة الإنجليزى إلى وزن يناسب المعايير الصرفية العربية ويقول حافظ :

فياويل القناة إذا احتواها
بنو التاميز وانحسر اللثام
فيحول الكلمة الإنجليزية إلى وزن «فاعيل»؛
لأن نقطة الإنجليزى لا يناسب الصرف
العربى . ويقول :

طاحت بها تلك المدافع تارة
لما أمرت وتارة زبلين
فيحول الاسم الألماني إلى وزن «فعليل»
ويقول :

وأقيموا للعسف فى كل شهر
(كنستبلا) بالسوط يفرى الأديما
فيسلك بالكلمة مسلكا يناسب الإيقاع
الصرفى العربى .

وليس الأمر مقصوراً على الشعر وحده ،
ولكن النثر كذلك قد شهد الكثير من التعريب
والمقصود بكلمة التعريب هنا ما ذكرناه
من ضغط الكلمات الأجنبية فى القالب الصرفى
العربى ، حتى تبدو كأنها عربية الأصل
والاشتقاق . ومن ذلك الفلسفة ، والهرطقة ،
والهيولى ، والنيروز ، والسرائط والقسطاس
والسندس ، والإستبرق ، والموسيقى ،
والبوطيما ، وحشد آخر من الكلمات الرومية
والمفارسية والهندية ، دخلت إلى اللغة العربية
والأدب العربى من خلال مخالطة العرب لهذه
الأمم . وإذا كان لنا أن نستخلص من هذه

والأديب ملزم بمراعاة عرفية هذه الصيغ
فى الكلمات ذات الاشتقاق العربى ، وهو ملزم
كذلك بمراعاة ذلك قدر الطاقة فى الكلمات
الأجنبية التى يستعملها فى النص . انظر إلى
قول داود بن رزين الواسطى :

قوموا لمنزل لهُو
وظل بيت كنين
فيه من الورد والزر
جس والياسمين
وريح مسك زكى
وفائح المرزجون

وستجد أن المرزجون ، قد تحول عن نقطه
الفارسية إلى وزن «الحيزبون» ، وهو وزن
عربى أصيل . ولست أطيل النظر إلى الترجمس
والياسمين ؛ لأن لفظيهما قد اشترا فى العربية ،
حتى لم يعودا أجنيين عنها . ثم انظر شوقي
كيف حرف لفظ «كوك صو» ، ليتناسب
مع طريقة البناء العربى فى قوله :

تحية شاعر يامام جكسو
فليس سواك للأرواح أنس
وليس فى وزن الشعر هنا ما يلزمه بأن يغير
صيغة الكلمة الأصلية ، ولكن المعيار الصرفى
هو السبب فى هذا التغيير . وهو يقول
لكرومر :

أو كنت عضوا فى الكلوب ملأته
أسفا لفرقتكم بكا وعويلا

الكلمات نتيجة ما ، فإن هذه النتيجة هي أن الصيغ الصرفية يحددها العرف ، ولا يرضى عن كلمة إلا إذا صيغت صياغة صرفية سليمة . وليس للأديب قدر كبير من الحرية في هذا المجال ، لأن المجتمع الذي خلق العرف يقف لحمايته في وجه كل من يعبث به ، ولو كان من أشهر الأدباء . على أن العرف بدوره يتطور بتطور الحياة الاجتماعية . ولقد دفعنا الجرى وراء الحضارة الغربية إلى استخدام مصطلحات ، وأسماء أعلام في صحافتنا وكتبنا العلمية ، والقصاص المترجمة عن الأدب الغربي ، ففقلنا هذه الكلمات بألفاظها الأصلية في معظم الحالات ، ووجد القارئ العربي نفسه أمام تجربة من نوع جديد ، هي قراءة كلمات أجنبية بحروف عربية ، فذهب القارئ في قراءة هذه الكلمات مذاهب تختلف بين القرب من نطقها الأجنبي حيناً ، وبين مسخها في صورة تقرّبها في نظره من العادات النطقية العربية . وفي شعر شوقي وحافظ حشد من الأسماء الأجنبية التي وردت في صورتها الأصلية حيناً ، ومحرقة في كتابتها حيناً آخر ، ويختلف نطقها قرباً وبعداً من العادات النطقية العربية ، بحسب موقعها من النص ، وبحسب صورتها الكتابية .

حد معين في الارتجال اللغوي ، وفي تحوير الكلمات من الناحية الصرفية ؛ وإنما يلجئه العرف إلى ما يسمى بالصوغ القياسي لمفرداته التي يستعملها في النص . وأقصد بالارتجال هنا اشتقاق لفظ من مادة ما على مثال صيغة صرفية حددها العرف ؛ أما خلق كلمات جديدة لا مادة لها في اللغة ، واختراعها اختراعاً ، فهذا من الندرة بحيث لا أرى ضرورة لأن أخوض فيه هنا . ولا شك في أن ارتجال ألفاظ على مثال الصيغ اللغوية مأخوذة من مادة مستعملة في اللغة يعتبر ظاهرة من ظواهر النشاط الأدبي والعلمي ، ومنبعاً من منابع ثروة اللغة . ولكن العلماء أشد جراً في هذا الميدان من الأدباء ؛ لأن الأسلوب العلمي خاضع لعرف ضيق الدائرة ، يتكون مجتمعهم من عدد من العلماء ، قل أو كثير . وإن محدودية الدائرة العرفية هنا لتعين على سرعة تطور التعارف ، وسرعة قبول الألفاظ المرتجلة ، ويساعد على ذلك أيضاً أن العلم في تحول وتطور دائم ، فلا تكاد نظرية علمية تقبل قبولا مطلقاً إلا ريثما تنقضي نظرية علمية أخرى .

أما الأدباء فيجول بينهم وبين مثل هذه الجراءة في ارتجال الألفاظ سعة الدائرة العرفية ، وبطء التطور في المجتمع الأكبر الذي يكسبون له ، إذا قيس بما لاحظناه في مجتمع العلماء ،

ولقد حدد العرف العربي كلمات اللغة ومفرداتها ، وضمنها بطوق المعاجم ، فصار الأديب بها خاضعاً لمعايير معينة ، واقفاً عند

لا أراها إلا عرضاً من أعراض عدم اكتمال
الملكة الأدبية في الأديب من ناحية ، وعدم
نضج الذوق الأدبي في جمهوره من ناحية
أخرى . ومن ذلك مثلاً قول الراجز :

الحمد لله العلى الأجل

المانح الفضل الوهوب المجزل

وهو يلجأ هنا تحت ضغط الضرورة
الشعرية إلى فك المدغم في غير موضع الفك .
ومنه قول العجاج :

ورب هذا البلد المحرم

والقاطنات البيت غير الريم

أوالفا مكة من ورق الحى

ولفظ « الحى » هنا بفتح الحاء وكسر الميم
ومدها ، والمقصود به الحمام ؛ أى أن لفظ
« الحمام » قد لحقه التحوير والمسح حتى صار
في صورة « الحى » .

ويذكرنى هذا بما تصادفه الألفاظ من مسخ
وتشويه في مواويل الريف والصعيد ، حيث
يتحول الاستمتاع بالنص إلى كد للذهن في
سبيل الكشف عن المقصود بالمفردات
المشوهة .

ليس الأديب إذأ حراً في خلق ألفاظه
أو الخروج بها عن دائرة العرف ، بل إنه
لينبغى له أن يلزم جانب العرف ، ما دام
يخاطب بأدبه المجتمع الذى صنع هذا العرف ،
والذى يفرض أقصى العقوبات على من

ثم التزام هذا المجتمع الأكبر بموقف محافظ
حيال اللغة إذا وازنا بينه وبين مجتمع العلماء
كذلك . والذى يبدو لى أن جهرة الأفعال
الرباعية في اللغة قد بدأت تأتى عن طريق
الارتجال اللغوى في عصر سابق على بداية
ما تناوله تاريخ الأدب من العصر الجاهلى ؛
لأن هذه الأفعال الرباعية في معظمها تستعمل
جنباً إلى جنب مع ثلاثيات من نفس مادتها
قريبة منها في المعنى ، وقد بينت ذلك بشيء
من التفصيل في كتابي « مناهج البحث في اللغة »
ومن أمثلة ذلك : دحرج - درج ، وسقلب -
قلب ، وزغرد - غرد ، والمنحوتات كطلبق ،
وحوقل ، ودمعز ، وبسمل . وقد روى
أن رؤية كان يرتجل ، وأن بما ارتجله لفظ
« اقعنسس » ، وأخذه من « قعس » ، في قوله :

تقاعس العز بنا فاقعنسس

وقد ارتجل الإسلام بعض الاصطلاحات ،
وارتجل العباسيون في ترجمتهم عن اللغات
الأجنبية ألفاظاً كثيرة ، ولا زلنا نرتجل
إلى الآن ، كلما جد علينا جديد من مسميات
الحضارة ، ومظاهر الحياة الاجتماعية ؛ وأكثر
الجهات ارتجالاً في عصرنا هذا مجمع اللغة
العربية .

وثمة ظاهرة أخرى من ظواهر مخالفة
عرفية الكلمة هي تحوير شكل الكلمة ، والبعد
بها عن صيغتها الأصلية . وتلك ظاهرة

بحور إيقاعية محددة التركيب والترتيب والزخافات والعلل، لا يستطيع الشاعر العربي أن يخرج عليها، إلا إذا كان مخاضاً بمستقبله الأدبي. ولقد كانت المحافظة على الأوزان التقليدية في الشعر العربي عنصراً هاماً جداً؛ مما كان النقاد يعرفونه باسم «عمود الشعر». وكلنا يعرف المصير الذي صارت إليه المحاولات المختلفة للإبداع في هذه الناحية، وأشهر هذه المحاولات ابتداء أوزان الموشحات الأندلسية. ويشهد هذا الجيل من طلاب الأدب محاولة أخرى للخروج على الأوزان التقليدية إن تكون في النهاية أسعد حظاً من سابقتها.

قلنا إن المقصود بعرفية الإيقاع أوسع في مدلوله من مجرد الأوزان الشعرية، وإنما يتناول كذلك الإيقاع في الكلام العادي، والنثر الأدبي. والإيقاع في النص المنشور يرتبط بظاهرة لغوية هامة جداً هي ظاهرة «النبر». والمقصود بالنبر أن يجعل المتكلم صوتاً من أصوات الكلمة أوضح في السمع من بقية أجزائها، كالهزمة في «أحمد»، والميم الثانية في «محمود»، واللام الأولى من «استقلال»، والقاف من «مقاتل». وينتظم موقع النبر من الكلمة في قواعد لا تقل صرامة ولا تحديداً عن قواعد الصرف، ولا عن قواعد النحو. ومن شاء أن يطالع على هذه القواعد فليقرأها في كتابي «مناهج البحث في اللغة».

يخالفونه ويخرجون عليه؛ ومن هذه العقوبات المقاطعة، والإهمال، والسخرية، وغيرها.

وتأتى بعد هذا عرفية التركيب. وإن لكل لغة طريقته المحددة في الصياغة؛ وفي اللغة العربية مثلاً ما يسمى «حفظ الرتبة»، فلا يأتى الوصف قبل الموصوف، ولا التوكيد قبل المؤكد، ولا المعطوف قبل المعطوف عليه، ولا البديل قبل المبدل منه، ولا يعود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة، ولا يأتى المفعول به قبل الفاعل عند خوف اللبس، ولا الخبر قبل المبتدأ في هذه الحالة كذلك، ولا تتقدم الصلة على الموصول، ولا الفاعل على الفعل، وهلم جرا.. والأديب ملزم بأن يراعى ذلك ويحرص عليه كل الحرص، وإلا عرض نفسه للعقوبات الاجتماعية التي أشرنا إليها. وليس تأثر الأديب بالمعايير هنا قاصراً على الارتباط بشكلية التركيب ارتباطاً متعمداً، وإنما يتناول كذلك ارتباطاً شبه آلي غير متعمد بطريقة معينة من طرق هذا التركيب تعتبر أسلوباً خاصاً بالأديب، ولكننا سنترك الكلام عن الأسلوب إلى موضعه من هذا المقال.

وثمة ما يمكن أن يسمى «عرفية الإيقاع». وليس الإيقاع هنا خاصاً بالشعر فحسب، وإنما يتناول النثر كذلك. وللشعر العربي

والتشبيه ، حددتها كتب البيان في صورة تشبه القواعد . وإن الأديب ليراعى هذه المعايير العرفية البيانية في إنتاجه ، ولا يستطيع الخروج عليها . هذا على الرغم من أن أسس النقد الأدبي يجب ألا ترتبط بالقواعد من هذه الناحية بالذات ؛ لأن الذوق الأدبي شخصي نفسي ، والنفس الإنسانية - كما قلنا - أبعد شيء عن الاطراد والخضوع للقواعد . ولقد كنت ولا أزال أرى أن علوم البلاغة العربية قد منبت بالفشل باعتبارها أساساً من أسس النقد ؛ لأنها حاولت أن تخضع النقد للقواعد . وسيكون الفشل نصيب كل محاولة نقدية أخرى تحاول إخضاع الذوق للقاعدة .

أما عرفية المسالك الأدبية التي يسلكها الأديب فمنها التزام الشعراء العرب بمقدمة غزلية يققون فيها على الأطلال ، ويكون الأحباب الراحلين ، ثم التخلص بعد ذلك من هذه المقدمة إلى الغرض المنشود . ومنها بدء الخطبة بحمد الله والثناء عليه ، ثم الدخول في الغرض . ومنها الوقوف أو الركوب أثناء الخطبة . وإن كل مخالفة لهذه القواعد العرفية كانت تستحق التسجيل في نظر التاريخ باعتبارها ظاهرة غريبة ، كخطبة زياد البتراء ، وخروج أبي نواس على المقدمة الغزلية إلى مقدمة أخرى خمرية .

وإذا أراد القارئ وسيلة يفهم بها ارتباط النثر في النص المنشور ، بفكرة الإيقاع ، فليستمع إلى أجنبي يوناني أو طلياني مثلاً يتكلم اللغة العربية ، فيمد قصار الحركات ويطيلها ، ويقصر من أصوات المد ويبتها ، وسيرى القارئ حينئذ أن الذي ينكره من كلام هذا الأجنبي ليس إلا فقدانه الإيقاع التقليدي العربي في الكلام العربي .

ولقد نشأ الأدب العربي في مبدأ وجوده على الرواية والمشافهة ، وارتبطت الفكرة السمعية التي في الرواية بهذا الأدب ، حتى إن النقاد العرب يطلقون على جمال الإيقاع في النص المنشور اصطلاح « السلاسة » . فالكلام السلس هو الذي يبدو فيه جمال الإيقاع إلى جانب اعتبارات سمعية أخرى ، كعدم التنافر ، والبعد عن الحوشية والغرابة ، وفي المزهري للسيوطي ترتيب للخارج بحسب القرب والبعد والتوسط ، وتحديد للتنافر وعدمه في الكلمة عن طريق تجاوز هذه المخارج في الكلمة الواحدة . والذي يهمننا من كل هذا أن الأديب لا يستطيع الخروج على العرف في هذه الناحية كذلك ؛ لأن الخروج على العرف يعنى بالنسبة إليه عدم احتفال المجتمع بأدبه على أقل تقدير .

وهناك عرفية بيانية أيضاً ، تنضح في تحديد شكلية خاصة للبحر ، والاستعارة ، والمكناية ،

تلقت نظره بجمالها ؛ لأنه تعلم في نشأته أن الزهرة بشير بالثمرة ، ولم يتعلم أنها منبع من منابع المتعة الجمالية ، أما المدنى الذى تعود منذ صغره أن يستمع إلى تقدير من حوله لجمال الأزهار ، فإنه يشب وقد انعكست أهواء من حوله على نفسه ، فيرى الجمال مثلهم في الأزهار ، ويراه في كل شيء اعتبروه جميلاً ، ومثل ذلك يقال عن النص الأدبى ، فالذى تعود على أن يسمع الناس يعجبون بنص معين ، لابد أن يرى الجمال في هذا النص ، والذى شب وهو يرى المحيطين به يستحسنون طريقة خاصة في صياغة الجملة ، لابد أن يستحسن معهم هذه الطريقة ، والذى نشأ ولم يحتك بالأدباء ولا بمعلمى الأدب ، يظل موقفه من الأدب موقف الذى لا يبالى به ولا يغمس فيه ، وهذا هو السبب الرئيسى في وجود شركة في الإحساس بجمال شيء ما ، وبتبجح شيء آخر بعينه ، أى أن العرف الجمالى إنما ينشأ عن طريق التربية والبيئة .

وهنا نتساءل عما إذا كان العرف الجمالى محدد بدقة كالعرف اللغوى ، الذى تضبطه القواعد أو أنه عرف يتسم بالثركة في الاتجاهات العامة ، دون دقائق التفصيلات . الذى يبدو لى كذلك أن العرف الجمالى عرف اتجاهات عامة ، وأن الشخصين قد يتفقان على رؤية الجمال في الرشاقة ، والابح في الهزال بوجه

لقد بينا عند هذا الحد موقف الأدیب من صواب النص ، ونود الآن أن نبين موقفه من جمال هذا النص ، والجمال في كل صوره بما يخضع في دعوى وجوده للهوى لا للدليل ، فتقديره ذاتى أولاً وقبل كل شيء . أما المقاييس والمعايير ، والنظرة الموضوعية إلى الجمال ، فسكانها فلسفة الجمال ، لا الإحساس الشخصى بالجمال . ونود هنا أن ننظر في صلة الجمال بالعرف العام ، وما إذا كان ثمة شيء يتفق الناس جميعاً على وصفه بالجمال ، وشيء آخر يتفق الناس جميعاً على وصفه بالقبح . وهل الجمال قائم بالجميل ، أو هو معنى ينبعث عن النظرة الخاصة إلى هذا الموصوف بالجمال ، نظرة تحدها البيئة والتربية ؟ الذى يبدو لى أنه كما لا تسكن السماعية في المسموع وإنما يحدها تأثير الأذن به ، وكما لا تسكن الإبصارية في المنظور وإنما يحدها تأثير العين به ، كذلك لا يمكن الجمال في الجليل وإنما يحده تأثير النفس به ، فإذا كان الجمال تحديدا لموقف النفس ، وكانت النفس الإنسانية غير مطردة في أهوائها كما ذكرنا ، فما الذى يجعل جمهوراً من الناس يجمع على الإعجاب بمنظر طبيعى بعينه ، أو قطعة موسيقية ، أو قصيدة شعرية ؟ الجواب كما نخيل إلى أن التربية تتدخل في هذا الجمال ، إن الفلاح في حقله قد تعود بحكم تربيته وبيئته أن يرى الأزهار كل يوم فلا

لأنأتى طفرة واحدة ، وإنما يثابر المرء على تكوين أسلوبه بحفظ النصوص ، وكثرة القراءة ، والتمرس بالكتابة . فلا يزال يحفظ ثم ينسى ، ويقرأ ثم يترك ما قرأ . وهو لا يفتن إلى أن الذى نسيه عقله الذاكر لا يزال مخزنًا فى عقله الحافظ ، وأن كل محفوظاته وقراءاته تتجه مباشرة إلى جهازه العصبى ، فتتظم فيه مسلكية أدبية خاصة تتضح عند مباشرة الإنتاج ، وتتصل بمجموع ما حفظ وما قرأ ، صلة المحلول الكيمىائى الناتج عن التفاعل بين مواد مختلفة بمجموع هذه المواد ، فهو ليس مادة منها ، وليس مجموعها ، وليس له خصائص أى منها ، وإنما كانت جميعا من وسائل تكوينه ، وقد جاء مختلفا عنها جميعا . فهذا هو الأسلوب الأدبى الناشئ عن القراءة والحفظ والمران على الإنتاج .

ولكل امرئ محفوظاته وقراءاته ، والموضوع الذى يستحوذ على اهتمامه ، والكاتب الذى يعجبه ، والشاعر الذى يحفظ له ، وله بعد ذلك مزاج خاص ، وتربية تختلف عن تربية غيره ، وتجارب نفسية وحسية لا تتفق لسواه ، ومن ثم كان لكل إنسان أسلوبه الأدبى الخاص . فما النواحي التى تتضح فيها فردية الأسلوب ؟ الذى لا شك فيه أنها ليست النواحي العرفية التى شرحناها

عام ، ولكنك إذا عرضت عليهما صورة فتاة ذات قوام ممشوق فقد يرى أحدهما فيها جمال الرشاقة ، ويرى الثانى قبح الهزال ، وإذا عرضت بيتا من شعر المتنبى على رجلين فقد يجد فيه أحدهما جمال براعة الفكرة ، ويرى الثانى قبح التوائها . فالصلة بين الأديب وبين العرف الجمالى صلة بينه وبين الأصول العامة لهذا العرف فقط ، ويظل الهوى الشخصى فى تقدير جمال الأدب بعد ذلك سيد الموقف فى النقد الأدبى . ومن هنا اهتمنا كل محاولات تعقيد النقد بأنها مخالفة لطبيعة الأشياء ، وجزمتنا لها جميعا بالفشل .

وإذا نظرنا إلى جمال النص فى إطار عنوان هذا المقال « موقف الأديب من اللغة » وجدنا أن أهم ما ينصرف إليه كلامنا هنا هو جمال الأسلوب . فكيف يتكون هذا الأسلوب ؟ وما معنى فرديته وبعده عن العرف ؟ أو بعبارة أخرى ، كيف يصح لنا أن ندعى أسلوبا خاصا لكل أديب ؟ نحن نقول : إن لفنان أسلوبا معينًا فى مخالطة الناس ، وله أسلوب خاص فى مشيته ، وهو ذو أسلوب فى علاج المصاعب ، ويعجبنى أسلوبه فى تربية أولاده ، وإن أسلوبه الأدبى غاية فى الجمال ؛ ونقصد بالأسلوب فى كل أولئك طريقته الخاصة التى تميزه عن غيره . وإن اكتساب المرء طريقة معينة أو أسلوبا خاصا فى إنتاج الأدب

بالحجاز ، ومنهم البسيط ، ومنهم عاشق المحسنات اللفظية . كل أولئك أمور فردية في الأسلوب بعيدة عن حدود العرف ، ويجد الأدباء فيها فسحة لإظهار شخصياتهم الأدبية المتميزة في أساليبهم التي يمتاز بعضها عن بعض .

ونخلص من بعد إلى أن موقف الأدیب من اللغة يمكن أن ينظر إليه من زاويتين : أما الأولى منهما فهي القواعد اللغوية التي حددها العرف ، والأدیب هنا متقيد لا حرية له ، وكل خروج منه على المعايير في هذه الناحية لابد أن يصادف أشد السخط من المجتمع الذي صنع هذه المعايير ، ويقوم على حفظها مع أتم الحفاظ والغيرة . وأما الناحية الأخرى فهي الناحية الأسلوبية ، التي يجد الأدیب فيها نفسه مختاراً بين ما يأخذ وما يدع من التراكيب وطرق التعبير ، والأدیب هنا حر يختار لنفسه أو يختار له ذوقه الذي حددته التربية والبيئة ، ما يمتاز به شخصيته الأدبية من الأسلوب . وهذه هي الناحية الفردية في مقابل العرفية فيما يتصل بالشكل وإن شئت فقل هي الذاتية في مقابل الموضوعية .

من قبل ؛ وذلك لأن العرف اجتماعي والأسلوب شخصي . فلا يتفاضل الأدباء في اختراع الصيغ ، ولا في ارتجال الكلمات ، ولا في اختراع قواعد للتركيب اللغوي ، ولا في ابتداع إيقاع ، ولا في إبداع أسلوب بياني ، ولا في افتعال مسلك جديد في الشكليات الأدبية ؛ لأن كل أولئك محدد من الناحية العرفية ولا حيلة للأدیب فيه . إن النواحي التي تظهر فيها فردية الأسلوب هي التي لم يتناولها العرف بالتحديد ، وإنما ترك الخيار فيها للأدیب . فالعرف مثلاً حدد لنا نوعين من أنواع الجملة ، أحدهما الجملة الاسمية ، والثاني الجملة الفعلية . والأدباء يترددون بين هذين النوعين ؛ فمنهم من يكثر في كتابته من إيراد الجملة الاسمية ومنهم من يعشق الجمل الفعلية ، ومن الأدباء من يفضل أن يأتي باسم الإشارة بين الموصوف وصفته فيقول : تليذني هذا النجيب ، ومنهم من يفضل تأجيل اسم الإشارة إلى ما بعد الوصف فيقول : تليذني النجيب هذا ، ومن الأدباء من يلجأ إلى المبالغة ومنهم من يمجها ، ومنهم من يحزم بأحكامه على الأشياء ، ومنهم من يترفق أو يشكك ومنهم من يعتمد إلى موضوعه مباشرة ، ومنهم من يدور حوله ولا يكاد يلجه ، ومنهم الصريح المكشوف ، ومنهم الغامض المبهم ، ومنهم الجاد الصارم ، ومنهم المازح الخفيف الظل ، ومنهم من يولع بالحقيقة ، ومنهم من يولع

دكتور تمام مـ

أستاذ مساعد بكلية دار العلوم
جامعة القاهرة

أسرار القسم في القرآن الكريم

للأستاذ عبد الوهاب حمودة

- ٢ -

جاءت امرأة - هي أخت أبي سفيان - فقالت
متهمة : يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك
قد تركك ، لم أره قريبك منذ ليلتين أو ثلاثاً ،
فأنزل الله عز وجل :

« والضحى والليل إذا سجى ، ما ودعك
ربك وما قلى . وللآخرة خير لك من الأولى
ولسوف يعطيك ربك فترضى » .

فأحزنه صلى الله عليه وسلم تعبيرها وعدم
رؤيته جبريل مع مريد حبه إياه ، فنزلت
السورة لإيناسه وإزالة وحشته ونفي ما زعموه
على أبلغ وجه .

فأقسم تعالى لنبيه على أن تلك الفترة لم تكن
عن ترك ، ولا عن قلى . وأشار سبحانه
في القسم إلى أن ما كان من إشراق الوحي على
قلبه أول مرة هو بمنزلة الضحى - وهو ضوء
الشمس في شباب النهار - تقوى به الحياة
وتنمو به الناميات ، وما عرض بعد ذلك
من فترة ، فهو بمنزلة الليل إذا سكن لتستريح
فيه القوى ، وتستعد فيه النفوس لما يستقبلها
من العمل .

من أسرار القسم في القرآن الكريم أنه لا بد
أن تكون هناك مطابقة بين القسم والمقسم
عليه وانسجام فني بين صورة القسم وجوابه .
وهذا ملحوظ من ملاحظ البلاغة الإيجازية
في القرآن ، لأن الكلمة لا تفسر بالعقل وحده
بل تفسر كذلك بالقلب والخيال ، فينبغي لمن
يريد أن يتذوق بلاغتها أن يستخرج من
أجوافها كل الصور التي ترتبط بمعانيها ، وكلما
ازداد القارىء معرفة بالحياة والعالم ، ازداد
قدرة على التعمق في الألفاظ ، واستخراج
ما في أحشائها من معنى مدخر ، ومن مرام
فنية كمينه .

فلأمر ما أقسم الله تعالى بالضحى والليل إذا
سجى في هذا المقام . وللوقوف على سر ذلك
ينبغي أن نبحث أولاً عن الأحداث التي
كانت سبباً في نزول هذه السورة ، ثم عن
الظروف التي اكتنفها ، ثم عن نفسية الرسول
صلوات عليه حينذاك .

ورد في الصحيحين أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم اشتكى فلم يقم للهجد ليلتين أو ثلاثاً

ومن أعجب الأقسام في ذلك ، القسم بالخييل وهي أعز شيء لديهم ؛ لأنهم أمة قتال وإغارة ، خياتهم قائمة عليها ، وأكثروا في شعرهم من أوصافها فقال تعالى :

« والعاديات ضبحا ، فالموريات قدحا ، فالمغيرات صبحا ، فأثرن به نقعا ، فوسطن به جمعا ، إن الإنسان لربه لڪنود ، وإنه على ذلك لشهيد ، وإنه لحب الخير لشديد . »

فأقسم الله بالخييل وهي مغيرة ، ووصف النقع الذي تثيره بحوافرها ؛ ليدكرهم بنعمته عليهم ويطلبهم بالشكر عليها ، والاعتراف بوحدايته وعظيم آلائه .

ليس هذا فقط هو سر القسم بالعاديات - وهي الخيل تضبح في عدوها « والضبح صوت أنفاس الخيل عند جريها » فيسمع صوت أنفاسها في أجوافها والشرر يتطاير من حوافرها عند جريها - وبالمغيرات على العدو وقت الصباح فتفاجئه بهجومها فتثير غبارا وتتوسط جمعا .

بل أقسم بالخييل متصفة بهذه الصفات لينوه من شأنها ويعلى من قدرها في نفوس المؤمنين .

ثم ليطابق بين القسم والمقسم عليه ، فإن المقسم عليه هو ڪنود الإنسان لنعمة ربه ، وجحوده لآلائه وڪفرانه بنعمائه ، وفي ذلك جموح من القلب وعنف في الطبع ، وشراسة

وتخصيصه تعالى الوقتين بالإقسام إيشير سبحانه بجالها إلى حال ما وقع له عليه السلام ويؤيد عز وجل نفى ما توهم فيه .

فكأنه تعالى يقول : الزمان ساعة فساعة ، ساعة ليل وساعة نهار ، ثم تارة تزداد ساعات الليل وتنقص ساعات النهار وأخرى العكس ، فلا الزيادة لهوى ، ولا النقصان لقل ، بل كل لحكمة وكذا أمر الوحي : مرة إنزال وأخرى حبس ، فلا كان الإنزال عن هوى ولا الحبس عن قلى بل كل لحكمة .

وفي ذلك تسلية منه تعالى لرسوله صلوات الله عليه فكأنه سبحانه يقول : انظر يا محمد إلى هذين المتجاورين لا يسلم أحدهما من الآخر بل الليل يغلب تارة ، والنهار أخرى ، فكيف تطمع أنت أن تسلم من الخلق ومن تنغيصهم .

ثم في استعمال الفعل (ودع) وهو مأخوذ من التوديع . والتوديع أصل مأخذه من الدعة وهو أن تدعو للسافر بأن يدفع الله تعالى عنه ڪآبة السفر ، وأن يبلغه الدعة وخفض العيش كما أن التسليم دعاء له بالسلامة .

ففي استعمال (ودع) هنا من اللطف والتسلية والتعظيم والتبجيل ما لا يخفى ؛ فإن التوديع إنما يكون بين الأحباب ومن تعز مفارقهم .

في الخلق ، وغرور من النفس واقتتان بالقوة .
وهذه كلها من أوصاف الخيل حين عدوها
ولغارتها .

ثم ختم السورة بما يلائم إثارة النقع .
وقدح النار من الصخر وإخراج النفس بشدة
وسرعة فقال تعالى :

« أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور ، وحصل
ما في الصدور » .

فألفاظ السورة كلها ألفاظ حية متحركة ،
وفي صورتها نشاط وثورة وأخذ ورد وكر
وفر وهجوم ودفع وإثارة لما كان مستوراً
وبعثة لما كان مجموراً وجمع لما كان مبثراً .
والذي يدعوننا إلى كل هذه التليجات
والإشارات هو اعتقادنا أنه لا بد أن تكون
هناك مطابقة بين القسم والمقسم عليه كما صرح
بذلك مراراً ابن القيم .

وهنا إشكال في أسلوب القرآن قد يلبيل
أفكاراً كثيرة ويدخل عليها حيرة واضطراباً
وذلك هو دخول (لا) على فعل القسم في
مثل قوله تعالى (لا أقسم بيوم القيامة) وقوله
(لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد) .

فالجواب عن هذا أن دخول (لا) على
فعل القسم مستفيض في كلامهم وفي أسلوبهم
وأشعارهم ، وهو صورة من صور التأكيد ،
فإنهم يزيدون حروفاً في الكلام يقصد بها
التأكيد وزيادة التشييت .

يقول شاعرهم وهو امرؤ القيس :

فلا وأبيك ابنة العامرى

لا يدعى القوم أنى أفر

(فلا) زيدت لمجرد التوكيد وقوية
الكلام .

وقد قرئ * (لأقسم بيوم القيامة) على أن
اللام للابتداء والتوكيد ، وأقسم خبر لمبتدأ
محذوف معناه لأننا أقسم .

وعند الزخشرى أن يكون الكلام إخباراً
لا لإنشاء . والمعنى في ذلك أنه لا يقسم بالشئ
إلا إعظاماً له فيكون المعنى في الآية . لا أعظم
يوم القيامة بالقسم بل بأكثر من ذلك كما قال
تعالى (فلا أقسم بمواقع النجوم ، وإنه لقسم
لو تعلمون عظيم) فعلى هذا تكون (لا) للنفي
ويكون منفيها الفعل (أقسم) .

وقال أبو حيان في تفسيره :

والأولى عندي أنها (لام) أشبعت فتحها
فتولدت منها ألف كقوله : أعوذ بالله من
العقرب . وهذا وإن كان قليلاً فقد جاء
نظيره في قوله تعالى (فاجعل أقتيدة من الناس)
بياء بعد الهمزة وذلك في قراءة هشام .
فالمعنى فلا أقسم كقراءة الحسن وعيسى .

ولنختتم هذا البحث بمثال جلي يبين مبلغ
صلة القسم بالمقسم عليه وهو إقسامه سبحانه
وتعالى بالعصر في قوله (والعصر إن الإنسان

لني خبر إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات
وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) .
في سورة التكاثر بين الله تعالى انشغال

الناس بأمور دنياهم ومعاشهم وانهما كهم
في أموالهم وأولادهم . وقرر أنهم مسئولون
عن النعيم ورغد العيش الذي هم فيه مقيمون .
وأقسم على أثر ذلك بالعصر وهو الدهر

في رأى الجمهور . أقسم به على أن هذا الإنسان
خاسر ، واستثنى من ذلك الخسران فريقا ،
والمستثنى هنا هو الأصل والهدف ، ولكن
أسلوب الكلام دعا إلى تأخير الأهم والأصل

ليشوق الأسماع إليه فاستثنى سبحانه من
الخسران (الذين آمنوا و عملوا الصالحات)
وهم الذين أحسنوا علاقاتهم مع الله تعالى
(وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) والحق
هو الخير المطلق ، والصبر هو المثابرة على
طلبه ، والتواصى هو تفسير لعلاقة الإنسان

بأخيه الإنسان هذه العلاقة التى بناها سبحانه
على التعاون ، وهو آخر نظام تصلح عليه
حال الإنسانية وتستقر ، وفي سبيله تقوم
المبادئ وتتوطد .

فتحقيق التعاون بين طبقات الإنسانية
وأفرادها هو ما عبر عنه القرآن بالتواصى
بالحق وبالصبر .

وإنما أقسم الله في هذا المقام بالعصر لأنه
مرشح هذا التعاون في أدواره المختلفة ، وعد
الإنسان الفردى الأناى خاسراً ، لأنه عضو
أشل فى المجموع الإنسانى .

وفى القسم بالعصر إشارة إلى أنه أعم من
القسم بالعمر ، وأنه إن كان الإنسان يحلف
بالعمر وهو جزء بسيط من العصر ، فما أخرى
أن يكون العصر قطعياً دافعاً .

هذا إلى أن العصر من الأوقات التى كانت
لها أهمية فى حياة العرب التجارية وله فى قلوبهم
مكانة حيث يستريحون فيه بعد تعب النهار
فى الكد والسعى ، فهو سبحانه قد أقسم إذن
بوقت له فى نفوسهم أثر واضح وفى أذهانهم
التجارية مركز يانع .

وبعد فعجائب القرآن الكريم لا تنتهى ،
وأسرار بلاغته لا تنقضى .

عبد الوهاب صمودة

« المجلة فى المملكة العربية السعودية »

نوجه أنظار السادة قراء المجلة بالمملكة العربية السعودية الشقيقة - الذين بعثوا إلينا
فى طلبها - إلى أن المجلة توزع بمعرفة مؤسسة التعاون العربى الثقافى بالرياض ، أول شارع
محمد عبد الوهاب .

الرَّبِيعُ عِنْدَ الشَّعْرَاءِ

لِلأَسَازِ الدُّكُورِ أَحْمَدُ أَحْمَدُ بَدَوِي

لفصل الربيع أثر كبير في نفوس الناس ،
ففيه يعتدل الجو بعد أشهر طال بردها ،
ويخرج الناس إلى الرياض يستمتعون بأريجها
ونضارة أزهارها ، ويشعرون بحياة دافقة
وآمال متفتحة .

وقد عبر الشعراء عن إعجابهم بهذا الفصل ،
وتركوا لنا شعراً رائعاً يصور هذا الإعجاب ،
ومن هؤلاء الشعراء خمسة لهم في فصل الربيع
شعر خالد لا يزال نستمتع به إلى اليوم ؛ وهم :
أبو تمام ، والبحتري ، وابن الرومي ، وابن
هاني ، وشوقي .

والربيع عندهم هو الفصل الذي يعقب
الشتاء ، وأبو تمام يحدد مقدم هذا الفصل
في قوله :

نزلت مقدمة المصيف حميدة

ويد الشتاء جديدة لا تكفر (١)
فالربيع هو الجزء الأول المحمود من الصيف ،
لم يخلص للحر ، كما أنه لم يخلص للشتاء ، بل
يتراوح زمنه بين مطر وصحو ؛ ويسجل أبو تمام
هذه الظاهرة إذ يقول :

مطر يذوب الصحو منه ، وبعده

صحو يكاد من الغضارة يطر (١)

غيثان : فالأنواء غيث ظاهر

لك وجهه ، والصحو غيث مضمّر

والشاعر يعبر عن إحساسه عندما يجد

الصحو يتلاشى في رفق كأنه يذوب في المطر ،

ويجد الصحو ليس جدباً كأيام الصيف ،

ولكنه مليء بذرات المياه تكاد تتجمع فتمطر ،

ويريد أبو تمام أن يعمق في نفوسنا هذا

الشعور ، ويزيدنا إحساساً به ، فجاء ببيتة

الثاني يصف الغيثين : الظاهر ، والمضمّر .

وإن كان البيت الأول في وصف هذه الظاهرة

أكثر شاعرية من بيته الثاني بهذا الصحو

الذائب ، وتلك الغضارة التي تكاد تمطر .

ويتجه الشاعر إلى وصف ظاهرة أخرى ،

هي تغير وجه الأرض بازدهار الرياض ،

فيرى أن الدنيا كانت تظل دائمة الهجة لو دام

حسن هذه الرياض :

ما كانت الأيام تسلب بهجة

لو أن حسن الروض كان يعمر

ينظر إلى ما على وجه الأرض من مظاهر
جمال الأزهار تصوغها الأرض فتفتح لرؤيتها
القلوب ، وتهفو إليها الأبصار ، ويصور
أبو تمام ذلك الجمال في قوله :

أضحت تصوغ بطونها لظهورها
نوراً تكاد له القلوب تنور
من كل زاهرة ترقرق بالندى

فكأنها عين إليك تحدر
تبدو ، ويحجبها الجيم كأنها
عذراء تبدو تارة وتحفر ^(١)

حتى غدت وهداتها ونجاشها
فتئين في خلع الربيع تبخر
مصفرة ، محمرة ، فكأنها

عصب تيمن في الوغى ، وتمضر ^(٢)
من فاقع غصن النباتات كأنه
در يشقق قبل ، ثم يزغر

أو ساطع في حمرة ، فكأنما
يدنو إليه من الهواء معصر
صبغ الذي لولا بدائع لطفه

ما عاد أصفر بعد إذ هو أخضر
وقد استرعى نظر الشاعر من بين ألوان
الأزهار اللونان : الأصفر ، والأحمر ؛
ولعلمهما من أكثر الألوان شيوعاً ، وأشدّهما
أسراً للأبصار .

أولا ترى الأشياء إن هي غيرت
سمجت ، وحسن الأرض حين تغير
ويحس أبو تمام بما حدث للأرض في هذا
الفصل من تغير ، ويشعر بهذا الضوء الخافي
ترسله الشمس ، وتخفف من شدته أزهار
الربى ، فيبدو الكون كأنما هو مضاء
بنور القمر .

لقد أعجب أبو تمام بهذا الكون الباهر
الجمال : بغيثه وصحوه ، وروضه وخنو
ضوئه ، فهتف من أعماق قلبه بأن الدنيا
في غير أيام الربيع قد خلقت ؛ ليشي الناس
في مناكبها ، ^(١) ويأكلوا من رزق الله ، فإذا
جاء الربيع لم تعد أرضا يسعى فيها إلى الرزق ،
ولكن صحيفة قد صورت وأجيد رسمها ،
لتبتهج برؤيتها العيون والقلوب ؛ وذلك
إذ يقول :

يا صاحبي تقصيا نظريكما
تريا وجوه الأرض كيف تصور
تريا نهراً مشمساً قد شابه
زهر الربى ؛ فكأنما هو مقمر
دنيا معاش للورى ، حتى إذا

حل الربيع فإنما هي منظر
لمح الشاعر ظواهر الوجود بعامة في هذا
الفصل من العام ، وسجل ما لمح ، ثم وقف

[١] الجيم : النبت الكثير .

[٢] العصب : ضرب من البرود .

[١] مناكب : جمع منكب ، وهو ناحية كل
شيء وجوانبه .

كما أعجبه الشجر قد اكتسب بورقه وزهره ،
فأصبح كأنما اكتسب بثياب موشاة منمنمه ،
وذلك إذ يقول :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا
من الحسن ، حتى كاد أن يتسكلا

وقد نبه النيروز في غسق الدجى
أوائل ورد كن بالأمس نوما
يفتقها برد الندى فكأنه

يدث حديثا كان قبل مكتما
ومن شجر رد الربيع لباسه
عليه . كما نشرت وشيا منمنما

أحل ، فأبدى للعيون بشاشة
وكان قذى للعين إذ كان محرما

ورق نسيم الريح ، حتى حسبته
يجيء بأنفاس الأحبة نهما
والشاعر في البيت الأخير يصف نسيم
الربيع الهادى وما يبعثه في النفس من
بهجة ، كذلك التي يحس بها المرء إذا اقترب
من أنفاس الحبيب .

وقد أجاد الشاعر في عرض صورته ، عندما
رسم لنا الربيع ضاحكا يكاد يتكلم ، وكأنما
الربيع ينبه الورد في غلس الدجى ، كي
يستيقظ في الصباح الباكر ، ليرى جمال
الحياة من أول النهار ، ولا يفوته منها وقت
وإن قصر ؛ وعندما نشر الوشى المنمنم على
الأشجار ، وعندما أثار فينا الشعور بلذة

والشاعر جيد الخيال في شعوره بالزهرة ،
تبدو وتختفي كأنها عذراء يملؤها الحياء ،
وفي إحساسه بالوهدات والنجاد كأنها تتبختر
في رياض رائعة الجمال ، وفي تصويره الزهر
الغض كأنه در شقق وزعفر .

ولكننى آخذ على الشاعر أن هذا المنظر
الساحر في فصل الربيع ، لا يثير في النفوس
ذكر الحرب التي ثارت في نفس أبي تمام
عندما جعل الوهاد والنجاد كأنما خلع عليها
برود مما يلبسه اليمينيون والمضريون في
حروبهم . وجدير بمثل هذا المنظر ذى الضوء
الهادى ، والأزهار تشبه العذارى أن يبعث
في النفس الطمأنينة والهدوء .

لقد صور أبو تمام الأرض في الربيع
لوحا مصورا ، يهوج بالأزهار الحمراء
والصفراء ، يسطع عليه ضوء رقيق ، ويظله
صحو يكاد يمتطر ، أو مطر يذيب صحو السماء .
أما البحترى فقد راعه من جمال الربيع
أزهاره وأشجاره ونسيمه ، فيرى الربيع
جديراً بأن يختال بحسنه ، وبصوره كأنه
قادم ينبه الورد من نومه ، فيفتتح مديعا
حديث الجمال . ولم يتجسه البحترى اتجاه
أنى تمام في وصف أزهار الربيع يأخذ عينه
ألوانها المتنوعة أو غزارتها ، أو حركتها
الرشيقة ، ولكن ملك عليه قلبه هذه البقطة
المتفتحة بعد طول الرقاد .

ويعود الشاعر مصوراً هذا المنظر الذي يروق، راسماً الأرض بأنها روض من النوار والزهر، وهو يشبه أبا تمام أيضاً، ولكنه لا ينجح نهجه في الوقوف عند الألوان والأصباغ بل يجعل ولا يفصل، ولا يعرض للأزهار من ناحية أخرى، كذلك التي عرض لها البحترى.

وإذا كانت الدنيا تدبخر تها عند أبي تمام، وتختال ضاحكة تكاد تتكلم عند البحترى، فإنها، عند ابن الرومي تبرز، ولا تخفى من زينتها شيئاً كالآتي لاتدع شيئاً من زينتها عند ما تريد أن تغرى رجلاً.

والشعراء الثلاثة متفقون إذأ في شعورهم بما يكمن في هذا الكون من حيوية متدفقة.

أما ابن هاني فيصف الربيع بقوله:

أولؤ دمع هذا الغيث أم نطق؟

ما كان أحسنه لو كان يلهتقط

أهدى الربيع إلينا روضة أنفا

كما تنفس عن كافوره السفط (١)

غمائم في نواحي الجو عاكفة

حفل تحدر منها وابل سبط (٢)

أنفاس الحبيب، لندرك جمال أنسام الربيع. ولكنني أشعر بقلق في استخدام الشاعر للاصطلاحين الفقهيين: من الإحلال والإحرام ولا سيما أن الإحرام ليس تجرداً من ثياب. صورة الربيع عند أبي تمام أتم وأوفى من صورة البحترى، وإحداهما تتم صاحبتهما، أما ربيع ابن الرومي ففيه:

أصبحت الدنيا تروق من نظر

بمنظر فيه جلاء للبصر

ثنت على الله بآلاء المطر

فالأرض في روض كأفواف الحبر (١)

نيرة النوار، زهراء الزهر (٢)

تبرجت بعد حياء وخفر

تبرج الآتي تصدت للذكر

والشاعر هنا كأبي تمام يرى الدنيا في الربيع باعثة للسرور في عين من يراها. ولكن أبو تمام يرى الدنيا في الربيع كأنما خلقت لإمتاع العين فحسب.

ويرى ابن الرومي أن هذا المنظر الساحر الذي أصبحت فيه الأرض إنما هو مظهر لشكر الأرض لله على ما أنعم به عليها من مطر الشتاء.

(١) الألف من الرياض: ما لم يرعه أحد.

والسقط: ما يعأ فيه الطيب وما أشبهه

من أدوات النساء.

(٢) حقل: مليئة بالماء، والوايل: المطر الشديد

والسبط من المطر: الغزير.

[١] ثوب أفواف: فيه خطوط بيض على الطول

والحبر: جمع حبرة، وهي ضرب من برود اليمن.

[٢] الزهراء: المشرقة اللون.

عندما تحدث عن الروضة الأنف ، يفوح
عبيرها ، وعن الريح تحمل إلى الأنف عطر
ألوان من الطيب ، قد اختلطت بماء الورد .
وأغلب الظن أن الشاعر يصف بذلك آخر
الشتاء عندما بدأت الأزهار تتفتح ، فظن
الربيع قد أقبل ، مع أنه لا يزال على بعد
خطوات .

وأبو تمام أدق منه عندما وصف غيث
الربيع وصحوه وكأنهما يتداولان النهار
فيما بينهما ، والبحترى أدق منه عندما جعل
أنسام الريح رقيقة ، كأنها أنفاس الأحبة ،
ولم يصور بينها وبين السحاب ملحمة عنيفة .
وإن كان ابن هاني قد تنبه إلى طيب رائحة
الجو ، وأنها تحمل إلى الجو أنفاسا معطرة ،
ووجد في ذلك هدية الربيع إلى السكون .

وينشئ مشوق قصيدة طويلة في الربيع ، يرى
فيها مقدمه مدعاة لالتباس المتعة ، وانتهاج
لذاذ الحياة ، إذ يقول :

صفو أتيح ، غخذ لنفسك قسطها
فالصفو ليس على المدى بمتاح
ويرى السكون جديراً بأن تتجاوب فيه أغاني
البهجة ، وأن يشترك الإنسان والطير في ترديد
الألحان والتغريد :

ما بين شاد ، في المجالس أبكة
ومحجبات الأيك في الأدواح (١)

[١] الأيك : الشجر الكثير المثلث والأدواح
جمع دوحة ، وهي : الشجرة العظيمة .

بين السحاب وبين الريح ملحمة
معامع وظي في الجو تختلط (١)
كأن تتهانها في كل ناحية
مد من البحر يعلو ، ثم ينهبط (٢)
وللجديدين من طول ومن قصر
حبلان : منقبض عنا ، ومنبسط (٣)
والأرض تبسط في خد الثرى ورقا
كما تنشر في حافات البسط
والريح تبعث أنفاسا معطرة
مثل العبير بماء الورد مختلط (٤)
لا لإخال ابن هاني قد وفق في تصوير الربيع
كما وفق زملاؤه السابقون ، فإن ذلك الوصف
أقرب ما يكون إلى وصف الشتاء : فهذه الغمام
العاكفة في نواحي الجو ، والحافلة بالماء ،
والتي يتحدر منها المطر قويا دافعا ، وهذه الريح
التي يدور بينها وبين السحاب معارك عنيفة
تسل فيها السيوف ، إذ يرى البرق في السماء ،
وهذا المطر الغزير يهبط في كل ناحية كأنه
مد البحر ، كل ذلك خليق أن يبعث في النفس
صورة الشتاء بسحب المتراكمة ، ورعده وبرقه
وأماطاره .

ولكن الشاعر خلط ذلك بمظهر للربيع

[١] اخترط السيف : سله .

[٢] التهان : تنابع المطر وانصبابه

[٣] الجديدان : الليل والنهار .

[٤] العبير : أخلاط من الطيب .

في ذلك يعود بلا ريب إلى حديقته المتأنقة ،
حول داره ، تزدهم بهذه الأزهار في تلك الأيام
الحافلة بالجمال . وإن كنت أرى أن إدخال
الياسمين في تلك الباقة مدد لأيام الربيع إلى
فصل الصيف ؛ لأن الياسمين يكثر ويغزر في
فصل الصيف .

وفي وسط هذا المهرجان من الجمال والبهجة
يمر بالشاعر خاطر حزين عند ما يتأمل أشجار
الورد ، فيرى الورد متفتحا فوق غصونه كأنه
يشكر خالقه ، ويصير أشجاره عالية بين أزهار
الروض يميزها بين الأزهار شوكتها كأنه
سلاح لها يحميها ، ويحس بالنسيم كأنه يقبل
صفحته كما تمر الشفاه بخدود الملاح ؛ ولكن
هذا الجمال الضاحي لا يلبث إلا ريثما ينزل به
الليل فيبدد حسنه وبهائه ، فيتأمل الشاعر
ذلك ، ويرى أن الحياة قصيرة المدى واستمتع
إليه يقول :

الورد في سرر الغصون مفتح
متقابل يثنى على الفتحاح
ضاحي المواكب في الرياض يميز
دون الزهور بشوكة وسلاح (١)
مر النسيم بصفحته مقبلا
مر الشفاه على خدود ملاح
هتك الردى من حسنه وبهائه
بالليل ما نسجت يد الإصباح

[١] الضاحي : البارز ، الظاهر .

غرد على أوتاره يوحى إلى
غرد على أغصانه صداح
ويمضى « شوقى » إلى أهم مظهر من مظاهر
الربيع ، وهو اخضرار النبات ، وازدهار
الروض . وقد تخيل الشاعر الربيع ملك
النبات تلتقاء الأرض بالأعراس والأفراح ،
ولما كان ملكا فله أعلام منشورة ، هى هذه
الأزهار بسيقانها العالية ، وألوانها الحمراء
والبيضاء ؛ ومن الواجب لهذا الملك أن تلبس
الخنائل لمقدمه أجمل ما تزين به :
ملك النبات ، فكل أرض دائرة
تلقاه بالأعراس والأفراح
منشورة أعلامه من أحمر
قان ، وأبيض فى الربى لماح
لبست لمقدمه الخنائل وشيها
ومرض فى كنف له وجناح
وربما كان لقرب « شوقى » من دور
الملكية ومظاهرها أثر فى هذا الخيال ، فقد
قربه إليه ما يراه من مشاهد الجمال ، ومظاهر
الفرح والبهجة ، والأعلام المنشورة وارتداء
مستقبلى الملك أجمل ما يملكونه من الحلل .
ثم يأخذ الشاعر فى تعداد تلك الأزهار
التي تزدهم بها الخنائل من نرجس وأقحوان ،
ومشور وورد ، ونسرين وجلنار ، وبنفسج
وياسمين ، وربما كان شوقى أول من جمع هذه
الباقة من الأزهار فى فصل الربيع ، والفضل

في صفائه وتألقه كالدر ، و « الياسمين » نقي
لطيف كسريرة الرجل الصالح الكريم ، وهكذا
استطاع شوقي بهذه التشبيهات أن يبين عن
إحساساته إزاء هذه النباتات .

ولا يقف شاعرنا في وصف مهرجان الطبيعة
في الربيع عند حدود الأزهار ، بل يشرك
في هذا المهرجان أيضاً هذه النباتات الدائمة
الاخضرار كالسرو والنخل ، وهومن النباتات
التي كان شوقي معجباً بها أيما إعجاب .

ولم يلق شوقي بنظرة إلى الأرض يتأمل
جمال نباتها فحسب ، ولكنه كما بي تمام رفع
بصره إلى السماء يتأمل الفضاء ؛ فراه كلوح
رسام أبدع في تصوير مناظره ، ففي أحد ألواحه
نجد سحبا منها الضخم لا يكاد يتحرك ، ومنها
ما يسبح في الفضاء خفيفاً كأنه الطائر ، وفي
أحد ألواحه نرى الشمس مجلوة كأنها العروس :

وترى الفضاء كحائط من مرمر
نضدت عليه بدائع الألواح
الغيم فيه كالنعام : بدينة
بركت ، وأخرى حلقت بجناح
والشمس أبهى من عروس برقعت

يوم الزفاف بعسجد وضاح
والماء بالوادي يخال مساربا
من زئبق ، أو ملقيات صفاح (١)

ينبيك مصرعه ، وكل زائل
أن الحياة كغدوة ورواح
ولكن هذا الخاطر الحزين لا يلبث أن
يزول ، عند ما انتقل الشاعر من وقوفه أمام
الورد المتفتح فوق الغصون ، وقد تناثرت
على الأرض أوراق بعض أزهاره ، إلى
ما بجوار الورد من يقائق النسرين ، والجلنار
والبنفسج :

ويقائق النسرين في أغصانها
كالدر ركب في صدور رماح (١)
و « الياسمين » لطيفه ونقيسه
كسريرة المتنزّه المساح
متائق خلل الغصون كأنه
في بلجة الأفنان ضوء صباح (٢)
و « الجلنار » دم على أوراقه
قاني الحروف ، كخاتم السفاح (٣)
وكان محزون « البنفسج » ثاكل

يلقى القضاء بخشية وصلاح
ومما هو واضح في هذه الأبيات رغبة
الشاعر في التشبيه ، وهو بذلك يسجل الأثر
النفسي لما يراه من هذه الأزهار ؛ « فالنسرين »

[١] يقائق : جمع يقق ، ويقال . أبيض يقق أى
شديد البياض ، والنسرين : ورد أبيض
عطرى الرائحة .

[٢] البلجة : آخر الليل .

[٣] الجلنار : زهر الرمان .

[١] الصفاح : جمع صفح ، وهو عرض السيف .

الشاكيات وما عرفن صباية
الباكيات بمدمع سماح
إن جمال الربيع الساحر يذكر شوقى بجمال
الشباب ، وما يملأ أيامه من البهجة والمرح ،
ولكن الشباب لا يلبث أن ينقضى كأنه زهرة
من أزهار الربيع ، يعجل إليها الفناء ولا
يرى أنه قد أتى بذلك إنما .

إني لأذكر بالربيع وحسنه
عهد الشباب وطرفه المراح
هل كان إلا زهرة كزهوره
يجل الفناء لها بغير جناح
ولشوقى وصف آخر للربيع بدأ به القصيدة
التي ألقاها في حفلة افتتاح المؤتمر الذى انعقد
لتسكريمه ومطلعها :

مرحباً بالربيع فى ريعانه
وبأنواره وطيب زمانه

ولعلنا نوفق فى القريب إلى الموازنة بين
قصيدتيه فى أخيلتهما ومعانيهما وطريقة
عرضهما . وشوقى من أكثر شعراء العربية
إنجاء بفصل الربيع ، وإشادة بجماله ، ولبعض
شعرائنا الأحياء آثار فى ذلك نرجو أن
ندرسها ، وأن نعقد بينها الموازنات ، ونعرف
ما بين بعضها وبعض من الصلات بمعونة الله ؟

بعثت له شمس النهار أشعة
كانت حلى « النيلوفر » السباح
يزهو على ورق الغصون نثيرها

زهو الجواهر فى بطون الراح
وهكذا كان مهرجان الطبيعة فى هذا الفصل
عامراً بألوان الجمال ، تزدحم فنونه بين
الأرض والسماء ، لا يكاد الشاعر يرفع بصره
إلى السماء ، ليرى جمال الفضاء ، حتى يهبط مع
أشعة الشمس الساقطة على المياه ، ترقص تحت
أشعة الشمس ، كأنها زئبق أو صفاح ملقاة ،
وعلى « النيلوفر » فيستقبلها ورقه ، وتشرق
كما تشرق الجواهر .

ولكننى لست أدري ما الذى جعل
« شوقى » يضم إلى صور هذا المهرجان الباسم
صورة السواقى فى القرى باكية ناذبة شاكية .
والسواقى ليست من خصائص فصل الربيع ،
وإذا كان فصل الربيع لا يخلو من هذه السواقى
فى القرى أفلا تتأثر هى أيضاً بجمال هذا
الفصل ، ولا يوحى صوتها إلى سامعه أنها
كالنواذب تئن وتنوح . ولذلك أرى أن هذه
الصورة الحزينة شاذة فى وسط هذا المهرجان
الضاحك الزاخر بألوان الجمال ، وذلك إذ
يقول :

وجرت سواق كالنواذب بالقرى
رعن الشجى بأنة ونواح

أحمد أحمد بروى

وكيل كلية دار العلوم

حول حقوق المرأة

بقايا من رواسب الجاهلية

للأستاذ أحمد الشرباصي

« اتقوا الله في المرأة »

من حديث شريف

الملكة المطلقة من غيره ، حتى لا يقال إن فرداً من أفراد الشعب - مهما كان - قد تزوج الماسكة ، ولو كانت ملكة سابقة !! ...

إن هذا يذكرنا بأن هناك مواريث ثقيلة من ظلم الرجال للنساء ، وتحكم الأزواج في الزوجات ، حتى بعد انفصام عروة الزواج ، بلا مسوغ من دين أو عقل . ولقد كانت هذه المواريث طاغية باغية في ظلمات الجاهلية ، فأقبل الإسلام العظيم الحنيف المنصف ليزيلها عن كاهل المرأة الرقيق الضعيف ؛ وبرغم هذا بقي هناك من الرجال من يحاول اتخاذ المرأة سلعة تباع وتشترى ...

لقد كان الطلاق في الجاهلية لا نظام له ولا ضابط ، فالرجل يطلق المرأة ثم يراجعها وهي في عدتها ، بلا عدد أو توقف ؛ وحدث أن قال رجل لامرأته في بدء الإسلام : والله

لعل أخطر الأمور التي يأتيا الإنسان في حق الدين أن يعطى نفسه حق التحليل لما حرم الله ، أو التحريم لما حل ؛ لأن هذا يعد تدخلا في اختصاص الخالق جل جلاله : « ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين » . وإذا استباح الإنسان - كائنا من كان - أن يشرع للناس ما ليس من الدين ، فقد بلغ الأمر مبلغه من الفوضى والاضطراب .

ولقد نشرت الصحف أن أحد الملوك قد طلق زوجته وفارقها منذ زمن ، ولكنه يحصر على منعها من الزواج بأحد ، ويشترط عليها ألا تتزوج حتى يتزوج هو ... ومتى يكون زواجه هذا ؟ الغيب يعلمه الله ! ...

وهذا يذكرنا بما فعله ملك طاغية من قبل ، إذ طلق زوجته أيضاً في ظروف مؤسفة ، ثم طلب من شيخ علم من شيوخ الإسلام أن يصدر له فتوى خاصة تقضى بتحريم زواج

امراته السابقة عند رجل غيره ، فكان يمنعها من الزواج ، ويصد عنها الأزواج بضروب من الصد والمنع ، جاء الإسلام فأبطل هذا الظلم وهذا الإجحاف ، فقال القرآن : « وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أذكى لكم وأطهر والله يعلم وأتم لا تعلمون » . فمن ذا الذي يريد أن يشارك الله في حكمه ليحل حراما أو يحرم حلالا ؟ « أخكم الجاهلية ييغون ؟ ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون » ؟ ! .

ومن المؤسف المؤلم أنه لا يزال في أجزاء من بلادنا من يعضل الفتاة قبل زواجها بصورة لا يرتضيها دين ولا عقل ، وذلك أن يكون للشباب بنت عم فيعلن أنه يريد زواجها وقد لا يكون بينهما وفاق أو انسجام ، وقد ترفض الفتاة زواجه لهذا العذر أو ذاك ، فإذا حدث هذا فإن التقاليد العنيفة المعتسفة تقف في وجه هذه الفتاة ، فتصددها عن الزواج بأى شخص كان ، فإذا أن تزوج ابن عمها « الحاكم بأمره » ! وإما أن تظل « عانسا » بلا زواج حتى يتزوج ابن عمها ... ومتى يتزوج ؟ ... لا يدري ذلك أحد ، وربما أصر على عدم الزواج نكاحية فيمن رفضت الزواج منه !! .

لا أطلقك فتبني ، ولا أويك أبدا . قالت له : وكيف ذلك ؟ قال : أطلقك فكلما همت عدتك أن تنقضي راجعتك ... فذهبت المرأة المسكينة فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ، فنزل قوله تعالى : « الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان » .

وقال الإسلام لأتباعه : إذا أوقعتم الطلاق على المرأة لداع دعا إلى ذلك ، وقاربت انتهاء العدة ، فإما أن تعيدوها إلى عصمتكم برفق وطريق أليف معروف ، وإما أن تخلوا سبيلها بمعروف ، وإحسان ، حتى تستطيع المرأة المطلقة التي انتهت عدتها زواج رجل آخر إذا أرادت ... يقول القرآن : « وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ، ولا تمسكوهن ضاررا لتعتدوا ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ، ولا تتخذوا آيات الله هزوا ، واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ، واتقوا الله ، واعلموا أن الله بكل شيء عليم » .

وفي موضع آخر يقول مخاطبا الرجال في حسن معاملتهم لمطلقاتهم : « ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن » .

ولقد كان من عادة الجاهلية الجهلاء أيضا أن الرجل يعضل زوجته المطلقة ، أى يمنعها أن تتزوج غيره أنفة منه ، وكبرا أن يرى

عدتها ، ولو كان الوضع بعد طلاقها أو موت زوجها بأيام ، والقرآن المجيد يقول : «وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ...» ولقد أفتى النبي صلى الله عليه وسلم امرأة (وهي سديعة الأسلمية) بأنها حلت للزواج حين وضعت حملها ، وكانت قد ولدت بعد موت زوجها بنصف شهر ! . .

إن الإسلام يقرر أن الزوج إذا طلق زوجته ثلاث تطليقات ، وبانت منه بينونة كبرى ، فإنها لا تعود إلى عصمته إلا إذا تزوجت غيره زواجا صحيحا ، وطلقها أو مات عنها ، وانقضت عدتها ، وفي هذه الحالة يجوز له أن يراجعها ؛ وجعل الإسلام ذلك تأديبا للرجل وتهذيبا ، حتى يرعى حرمة الزواج ، ولا يتقدم على فسخ عقده فضا نهائيا إلا عند الدافع الضروري الذي لا مفر منه .

وكان الإسلام يريد أن يقول للزوج المطلق : إن الزوجة لم تكن زوجة كي تصير ألعوبة في يد زوجها ، يطلقها كل حين ، فيحرمها متعة اطمئنان الحياة الزوجية ، واستقرار المعيشة المشتركة ، بل كانت هذه الزوجة زوجة لتسعد بحياة زوجية ، فيها إرضاء لحسها ونفسها ، وقلبها وعقلها ، فإذا تكرر من الزوج التخلي لها حتى بلغ ثلاثا ، كان من حكم الله أنه يحرم عليه إعادة

إن المرأة ميلها الجنسي ، ورغبتها الطبيعية في الرجال كـرغبة الرجال في النساء ، وليس بعيب من المرأة أن تطلب إرضاء هذه الرغبة بطريق مشروع سليم ، بل إنه ليجب عليها إرضاء هذه الرغبة بالطريق المشروع إذا أيقنت أنها سترضيها بطريق غير مشروع ... وماذا تفعل فتاة جميلة شابة مترفة إذا طلقت وعاشت بلا رجل مثلا ؟ . . ألا يكون هذا مدعاة لسوء الظن والريب فيها ؟ . . ألا يفتح هذا أبواب الانحراف والزلل أمامها ؟ . . لو كان المطلق رجلا عاقلا ومنصفا لرحب بتزوج مطلقة طلاقا نهائيا من زوج آخر ، بدل أن تبقى بلا زواج ، فتشور حولها الشكوك والتهم ، ثم يقول الناس عنها بالحق أو بالباطل : هذه مطلقة فلان تفعل كذا وكذا ؛ فيناله شيء من عارها وشنارها ، ولو أنها تزوجت من بعده لنسبها الناس إلى زوجها الثاني وتركوا زوجها الأول : «وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون» .

والإسلام يذكر في هذا الباب أنه متى انتهت عدة المرأة المطلقة ، وانتهت علاقتها بزوجها الأول ، فلا مانع يمنعها شرعا ولا عقلا من أن تزوج بغيره ، بل يكون ذلك في الغالب أستر لها وأصلح ، والعامية تقول : «ظل الرجل ولا ظل الجبل» ! ... ولو كانت المرأة حاملا من مطلقتها ووضعت حملها بعد ذلك انتهت

ويضرب المفسرون مثلاً للتعريض قول النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت قيس: «كوفي عند أم شريك، ولا تسبقيني بنفسك»..! وكذلك يروى أن الرسول قال لأم سبله - وهي متأيمه من أبي سبله - : «لقد علمت أني رسول الله، وخيرته، وموضعى في قومي». وقال أهل السنن كانت تلك خطبة!...

وروت سكينه بنت حنظلة أن محمد بن علي ابن حسين استأذن عليها ولم تنقض عدتها من مهلك زوجها فقال: «قد عرفت قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقرابتي من علي، وموضعى في العرب». فأجابته: «غفر الله لك يا أبا جعفر! إنك رجل يؤخذ عنك، تخطبني في عدتي؟». فقال: «إنما أخبرتك بقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن علي». ...! أى أنه لم يصرح وإنما اقتصر على التلميح.

وإنما أمر الإسلام بعدم الزواج أثناء العدة لكي يتحقق المطلوب منها وهو استبراء الرحم وما تعلق به، وبعد تمام العدة يجوز للزوج الجديد أن يتم زواجه منها...

ذاك حكم الإسلام، وفيه إنصاف للمرأة وصيانة لحقها في الحياة، فإذا بعد الحق إلا الضلال؟! «والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب»...!

أحمد الترابصي

إلى عصمته حتى تتزوج زوجاً غيره، وتحيا معه حياة زوجية صحيحة. وإذا فرضنا وطبقها الزوج الثاني - وهذا نادر - أو مات عنها فإن الزوج الأول يجوز له بعد هذا أن يعيدها إلى عصمته!...

ولا شك أن الزوج يغار ويأنف أن تكون زوجته حليمة لزوج آخر، ومن أجل ذلك يجب عليه أن لا يعرضها لهذا الوضع، فإذا حدث هذا بحاقته أو بظروفه السيئة، فلا يجوز له أن يقف في وجه زوجته المطلقة، بل لها أن تتزوج غيره، ولا يجوز له هو - أى الزوج الأول - أن يستردها ويعيدها إلى عصمته إلا إذا تزوجت بسواه!!...

هذا، ولقد أباح الإسلام للرجل الراغب في زواج المرأة المتوفى عنها زوجها أو المطلقة نهائياً بلا رجعة، أن يعرض لها بحديث زواجه منها وهي ما زالت في العدة، حتى إذا انتهت عدتها شرع في زواجها، يقول الله تعالى: «ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم، علم الله أنكم ستذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا إلا أن تقولوا قولاً معروفاً، ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله»! . يقول القرطبي عند حديثه على هذه الآية: «أى لا وزر عليكم في التعريض بالخطبة في عدة الوفاة، والتعريض ضد التصريح، وهو إفهام المعنى بالشيء المحتمل له ولغيره».

التعليم الدينى فى السودان

للأستاذ على المارى

— ٢ —

الضعيف مادام القوى يدين له بالولاء ، وينفذ كل رغباته (١) .

وقد ترسم الاستعمار الإنجليزى هذه الخطا واحدة واحدة ، فزحزح فريقاً من السودانيين عن موقفهم الصحيح من الدين وحسن الخلق بما جعل أحدهم كتبهم يصرح فيقول : « إننا نجعل أنفسنا فلا أستبعد ألا يرضى بعضنا عن بعض أو صاف صادقة لبعض الأفراد والجماعات وفى هذا كل الخطر .

نحن مرضى ، ولا خطر علينا من تشخيص الداء ، ووصفه للحصول على الشفاء ، إنما الخطر كل الخطر فى المكابرة والادعاء ، والزعم بأننا أصحاء أشداء ، وإنه لمن أجدى الأمور لنا أن نعرف أنفسنا كما هى فنصلح ما فيها من عيوب ، وهى وإن كانت عيوباً تمت إلى أسباب بعضها طبيعى وبعضها طارىء استوجبه اضطراب أحوال البلد فى السنين الماضية فإنها كالأمرض التى لا يستعصى علاجها .

١١ | انظر فى ذلك كتاب الاستعمار الجزء الأول للأثير مصطفى النهابى .

ولما تمكن الاستعمار الإنجليزى فى السودان عمل - كدأبه فى كل بقعة يحل فيها - على إفساد الأخلاق ، ومحاربة العقيدة الإسلامية .

والاستعمار أينما حل يحمل معه رذائل ، ووسائل لإشاعة الرذائل بين الشعب المستعمر حتى يسهل عليه إخضاعه ، فهو يفسى الدعارة والخمر والميسر بغية إفساد السكان جسماً وعقلاً ، وهو يجعل الوظائف الحكومية التى يتخلل عنها وقفا على المتملقين الجهلاء المطاوع الأذلاء من أبناء المستعمرة ، وبهذا يفسد أخلاق الشباب ويجعلهم كرهين للعلم والثقافة ، وهو يقتل الاعتماد على النفس حيث يتبعض المستعمر على شئون المستعمرة ويجعل أبناء البلاد مجرد منفذين ، وهو يفسد ضباط السكان فيجعل بعضهم عيوناً على بعض ، ويحرض بعضاً على بعض ، ويقرب الخائنين ويعرض عن المتمسكين بوطنيتهم وبضمايرهم وبأخلاقهم ، ثم إنه ينشر الرشوة بين أبناء المستعمرة ويمكن للقسوى من أن يستغل

الأمراض صح حكمتنا على الشعب السودانى فى جملته أنه شعب متدين ، لكن الخطر يأتى من أن سكان المدن هم المتصرفون فى مقادير هذا الشعب وهم الذين يوجهون حركة التعليم فيه .

ولا ننس أن نذكر هنا أن الإنجليز كانوا يعملون جاهدين على نشر النصرانية فى بلاد السودان ، وهم كغيرهم من الاستعماريين يرون الإسلام أعدى أعدائهم ، حتى كان (غوردن) أحد قوادهم المشهورين ، يرى أن رسالته فى الحياة هى تنصير جميع المسلمين وقد ابتلى السودان بهذا الاستعماري الحقود .

وكما بلى الإسلام بالاستعمار ، بليت كذلك اللغة العربية به ولم يعد هنا من يحسن النية بأى شعب مستعمر ، ومحاربة اللغة لا تقل عنفا عن محاربة الدين ، وقد كان أول هدف للإنجليز فى السودان أن يقضوا على اللغة العربية فجعلوا التعليم فى المدارس بلغتهم وكانت أوراق الامتحانات العامة ترسل إلى إنجلترا لتصحيح فيها وفتنوا جمهرة من المتعلمين فأخذوا يعيرون العربية وينفرون منها ؛ ويتآمرون على قتلها وفى ذلك يقول شاعرهم :
أرى الضاد فى السودان أمست غريبة

وأبناؤها أمست لها تتجههم

تولت وما دمع عليها بفائض
وما أحد منهم لها يتألم

ومع ذلك فإننى لا أنسى أن أذكر لهذه المناسبة أننا من أكثر الشعوب تهيؤا للإصلاح بعد الهنود (١) .

كما دفع بعض الشعراء السودانيين أن ينكروا على قومهم بعدهم عن الدين ويحثوهم على الأخذ بيد الفضيلة ، وفى ذلك يقول أحد شعرائهم :

بعدنا عن الدين الحنيف وهديه
فيا ويلنا إن دام هذا التباعد
إذا رمت إصلاحكم فتدينوا
وإن رمت بنيانكم ففساندوا
وإن لم تكونوا قادرين فحاولوا
وإن لم تكونوا واجدين تواجدوا
ويقول :

خذوا بيد الفضيلة وانشروها
فإن من المعرة أن تهونا (٢)
ومن الحق أن نقول إن هذه العيوب والأمراض كما يراها صاحب ديوان الطبيعة ، والبعد عن الدين وهوان الفضيلة كما يراها صاحب ديوان الفجر الصادق ، أقول إن كل هذه كانت فى المبدن أظهر منها فى الريف فإذا كانت أكثرية الشعب السودانى تسكن القرى وهذه الأكثرية لم تتمكن منها هذه

[١] مقدمة ديوان الطبيعة لحزرة الملك .

[٢] ديوان النجر الصادق للشاعر الشيخ عبد الله عبد الرحمن .

وبهذا أمكن للإسلام أن ينشر تعاليمه بسهولة وساعده على ذلك أن الفاتحين من المسلمين نظموا الحياة السياسية والاجتماعية في السودان وأوجدوا فيه إدارة منظمة استقر بها الحكم ونشروا مبادئهم العادلة ، فاستتب الأمن ، وزاد الرخاء ، وأمن الضعيف غائلة القوى .

وأقدم مظهر للتعليم الديني في السودان هو مكاتب تحفيظ القرآن ، وتسمى في السودان (الخلاوى) جمع خلوة . وقد كانت منتشرة انتشاراً واسع المدى حتى لا تخلو قرية أو حلة منها ، ولها نظام يختلف بعض الشيء عن المكاتب عندنا فهي - أولاً - تلتحق بمسجد فكل من بنى مسجداً ألحق به خلوة ، يقوم عليها فقيهه - ويسمى عندهم الفكي - وقد يكون هو صاحب المسجد ، وهو يحفظ القرآن للتلاميذ ، ولا تقتصر الخلوة على أبناء القرية أو الحلة ، بل تضم تلاميذ من البلاد المجاورة وربما وفد بعضهم من بلد بعيد ، ويقوم أهل القرية بإيوائهم وكسوتهم والإنفاق عليهم إلى أن يحفظوا القرآن ، ومن عادتهم أن يقرأوا القرآن على ضوء النار ، فهم يحفرون حفرة في وسط الخلوة ويضعون فيها الحطب ويوقدونه ويقرءون على ضوءه وقد تستمر هذه النار موقدة لسنين طويلة ، وقد حدثني من أثق فيه من علماءهم أن خلوة أم ضبان - وهي بلدة تقع شرق

وساءت متاماً فهي تشكل حزينه وعيت جواباً فهي لا تتسكلم ونبتت بالسودان قوما تأمروا على اللغة الفصحى أساءوا وأجروا هذه مقدمات أو ضحت بعضها في هذا المقال وأوضحت بعضاً آخر في المقال السابق وهي تعطينا فكرة بحالة صحيفة عن التعليم الديني في السودان ، فهو يسير مع هذه المقدمات طرداً وعكساً - كما يقول المناطقة - وحيث هانت اللغة العربية نرى تخلفاً في التعليم الديني وحيث أجلبها قومها ، وأحلوها من أنفسهم المحلل اللائق بها ، نرى ازدهاراً وتقدماً في التعليم الديني .

ومنذ نزل الإسلام بلاد السودان وهو يذثر لغته وتعاليمه، وإذا كان قد وجد النصرانية في بعض الجهات السودانية فتمد وجد الوثنية في أكثر الجهات ، فمجاهل إفريقية لم يدخل فيها دين يحمل كتاباً منزلاً قبل الإسلام ، وقد كان إقبال الزنوج عليه عظيماً ، فالزنجي لا يستطيع (أن يعيش طويلاً بلا ديانة ، فحياته الروحية دائمة التعطش إلى التعبد ... لذلك فإننا نجد يسعى حثيثاً للانضمام إلى الدين الأكثر شيوعاً بين الأهالي ، والمسلم انطرتة ، وهو الإسلام (١) » .

[١] من مقال مترجم عن الألمانية في مجلة « العالم الإسلامي » .

الخرطوم وبينهما مسيرة ساعة فى السيارة هذه الخلوة لا تزال نارها موقدة منذ مائتى سنة .

والسودانيون يقرءون القرآن بقراءة أنى عمرو فى بلاد الشايتمية ، وبقراءة ورش فى مديرية دنقلا ، ومما يؤسف له أنى لاحظت أثناء إقامتى فى أم درمان خطأ فى تلقين التلاميذ، فهم يحفظون بعض الآيات ملحونة . وبعضهم لا يفرق بين القراءات فيقرأ الآية الواحدة بقراءتين أو أكثر ، كما لاحظت قلة الحفاظ بين طلبة المعهد .

وبجانب تحفيظ القرآن كان الفقيه يدرس بعض علوم الشريعة كالفقه والتوحيد وربما اتخذ من المسجد أو من بيته مدرسة يعلم فيها، وكان التلاميذ يلتفون حوله ، ويمتثلون أوامره ويطيعونه أشد الطاعة .

وكان تلاميذ الشيخ يبلغون الألف فى بعض الأحيان ، ومن أولئك الشيخ أرباب بن عون الذى شدد إليه الرحال فى علم التوحيد والتصوف .

والمذهب السائد فى الفقه - فى السودان - هو مذهب الإمام مالك ، وأهم الكتب التى تدرس فى هذا المذهب هى رسالة ابن أبى زيد القيروانى ، وهى مشهورة عندهم (بالرسالة) أما المذهب الشافعى « فأول من أدخله فى السودان الشيخ محمد بن على بن قرقم تلميذ

الخطيب الشربيني ، قدم من مصر فى النصف الثانى من القرن العاشر الهجرى واستقر فى دار (بربر) وجاء معه بمذهب الشافعية وقام بتدريسه وأخذ عنه كثير من الطلبة (١) ، .

وأما المذهب الحنفى فدخل السودان حين أنشئت كلية الحقوق التابعة لجامعة الخرطوم وجعل فيها قسم للشريعة ، وقد كان رؤساء هذا القسم دائماً من العلماء المصريين الأحناف .

ظلت الدراسة مقتصرة على الخلاوى والمساجد ، ويحكى الفقيه محمد ضيف الله فى مقدمة كتابه (الطبقات فى خصوص الأولياء والصالحين ، والعلماء والشعراء فى السودان) يقول : (ولم تشتهر فى تلك البلاد - قبل تأسيس مملكة القونج - مدرسة علم ولا قرآن ، ويقال إن الرجل كان يطلق المرأة ويتزوجها غيره فى نهاره من غير عدة حتى قدم الشيخ محمود العركى من مصر وعلم الناس العدة ، وسكن البحر الأبيض . . .

وفى أوائل النصف الثانى من القرن العاشر ولى الملك عمارة أبو سكيكين . . . وفى أول حكمه قدم الشيخ ابراهيم البولاد من مصر إلى ديار الشايتمية ودرس فيها خليلاً والرسالة وانتشر علم الفقه فى الجزيرة . . . ثم قدم الشيخ محمد المصرى دار بربر ودرس فيها علم التوحيد والنحو والرسالة) .

إنشائها : « قد رأى المجلس الخصوص أن تؤسس بالاقاليم السودانية مدرسة إنقاذاً لأولاد أهلها والمستوطنين بها من جحيم الجهل فيمتازوا باكتساب العلوم والمعارف على أن يقبل ويقيد فيها مائتان وخمسون غلاماً ، واستحسن أن يولى رفاعة بك ناظراً على هذه المدرسة ، وأن يصطفى مدرسوها من هنا » (١) .

وكان هذا القرار في ١٥ رجب عام ١٢٦٦ . ولما جاءت المهديّة ، أوجبت على الناس الجهاد ، وحرمت عليهم في سبيل ذلك الاشتغال بأى شيء غير الجهاد ومن ذلك العلم ، ولم يسمح للناس إلا بحفظ القرآن ، وتلاوة رواتب المهدي ، وقد حدثني غير واحد من السودانيين أن العالم من علمائهم كان يخفى الكتاب بين طيات ثوبه كما يخفى الآخرون أى شيء محظور ، بل كان يلجأ إلى الأماكن غير المطروقة وربما إلى بيوت الخلاء ليقراء في كتاب ، فلما انتهت المهديّة عاد العلماء يدرسون في بيوتهم وفي مساجدهم دراسات إسلامية ، حتى كانت سنة ١٩١٢ م فقام كبير من علماء السودان هو الشيخ أبو القاسم أحمد هاشم بجمع الطلاب في المسجد الكبير بأمر درمان ، وأخذ يدرس لهم بمساعدة بعض إخوانه ، وأخذ يزداد عدد الطلاب ، وعدد المدرسين حتى أصبح معهداً له شأنه ، ولكنه لقي أشد العنت من

ونستفيد من هذا النص ومن نصوص أخرى كثيرة أن أصحاب الفضل في نشر العلوم الإسلامية في السودان على طريقة منهجية سليمة هم العلماء القادمون من مصر سواء كانوا مصريين رحلوا إلى السودان أم كانوا سودانيين وفوا على مصر ثم عادوا إلى قومهم ليعلموهم وإنا لنجد في أسماء علمائهم لقب (الأزهري) ومن أشهر علمائهم الذين جاءوا إلى مصر وتعلّوا في الأزهر الشيخ حسين الزهرا قاضي الإسلام في عهد المهديّة ، وكان من أهم دعاة المهديّة بجزيرة سنار والشيخ عمر الأزهرى وقد تملّك منصب القضاء في حكومة المهدي وكثيرون غير هذين .

على أنه ليس معنى ذلك أنه لم يكن في السودان علماء غير هؤلاء ، بل الحقيقة كما يقول بعض المؤرخين أنه لم يخل بيت من بيوت الأشراف في السودان من فقيه يرجع الناس إليه في أحكام دينهم ، وإنما معناه أن الذين نشروا العلم بطرق صحيحة هم الأزهريون الذين أخذوا العلم عن كبار المشايخ في الأزهر ، وقد كان عدد قليل من السودانيين يفسد إلى الحرمين الشريفين حيث يتأق علومه هناك ثم يرجع إلى السودان ناشراً فيه أصول الدين وتعاليم الإسلام .

أما أول مدرسة رسمية في السودان فكانت في عهد عباس باشا الأول ، وجاء في كتاب

المستعمرين ، فضيقوا عليه فى النفقات ، ولم يجعلوا للتخرجين فيه شأنًا يذكر فى الوظائف ويكفى أن تقارن ميزانية المعهد بميزانية الإرساليات التبشيرية سنة ١٩٤٩م فقد قدرت ميزانية مدارس الإرساليات فى ذلك العام بمبلغ عشرة ومائتى ألف من الجنيهات ، فى حين لم تزد ميزانية المعهد العلى الدينى عن واحد وعشرين ألفاً .

وقد أنشئ هذا المعهد على نظام الأزهر القديم ، إبتدائى وثانوى وعالى ، والكتب التى كانت تدرس فيه هى نفس الكتب التى كانت تدرس فى الأزهر . غير أنه حدث فى سنة ١٩٤٨م أن قام طلاب المعهد بإضرابات رغبة فى إصلاح أحوالهم وأحوال المدرسين ، وأحوال المتخرجين فى المعهد فأمرت الحكومة الإنجليزية بإغلاق المعهد ثم أجرت فيه إصلاحاً - كما زعمت - فقللت من العلوم الدينية والعربية وأدخلت اللغة الإنجليزية ووسعت منهج العلوم الرياضية ، وتقبل قدامى المعهد هذا التغيير بشئ كثير من الضيق والريبة ، والآن حول القسم العالى فيه إلى كليات ، والدراسة الآن قائمة فى كليتين إحداهما للغة العربية والأخرى للشريعة . ومنذ عهد غير بعيد فتح قسم الشريعة بكلية الحقوق أبوابه للحائزين على الشهادة الثانوية من المعهد ليكونوا طلاباً فيه

وكما أن تلاميذ الخلوة كانوا ينزلون ضيوفاً على أهل الخلوة كذلك كان طلبة المعهد العلى بأم درمان أو على وجه الدقة كان أكثرهم . فإن الطلاب إلى هذه السنة سنة ١٩٤٨م لم يكن لهم أى عون من الحكومة فكانوا يفدون من كل أنحاء السودان لينزلوا فى أم درمان عند أقربائهم أو ذوى معارف أهلهم وربما نزل الطالب عند رجل لا تربطه به أية صلة ، بل كان يتسابق أهل المروءة إلى إيواء طلبة العلم ، ينفقون عليهم ويكسونهم ويشترون لهم الكتب ويعاملونهم كأبنائهم ، وكانوا يفردون لهم حجرات خاصة فى منازلهم ، وربما أعدوا لهم منازل خاصة فيها كل أسباب الراحة ، وكان أحد التجار فى أم درمان يؤوى خمسة وثلاثين طالباً ، ويجرى عليهم النفقة ويسكنهم منزلاً خاصاً بهم . وهذا شئ لا أعرفه فى بلد آخر غير السودان ، وقد سمعت عن قصص كثيرة فى هذا الصدد تدل على كمال المروءة ، ومتهى السكرم ، وغاية الحفاوة بطلاب العلم .

وقد تضائل هذا التقليد الجليل منذ أجرت الحكومة نفقات على طلاب المعهد وأعدت لهم مسكناً مع سوء الحال الاقتصادية فى السنوات الأخيرة ، ولكن لا تزال بقايا منه قائمة فى أقاليم السودان .

حَقِيقَةُ السَّيِّدِ أَحْمَدَ خَانَ

لِلأَسَازِ مُحَمَّدِ اِبْرَاهِيْمَ الْحَيُوشِيِّ

كتب الأستاذ م. ح. تحت عنوان من رجالات الإسلام . مقالا ضافيا ينظم فيه عقود الثناء للسيد أحمد خان ، ويلصق به صفة المصلح الإسلامي في شبه القارة الهندية ويرجع إلى جهوده اساس النهضة الإسلامية

في الهند . وبالتالي في دولة الباكستان الإسلامية . هذه هي الخطوط العامة التي أخذ ينسج تحتها وسداها الأستاذ . م . ح . في تمجيد رجل جر كثيرأ من الوبال على

وفي السودان معاهد أخرى أنشأها الأهلون على نفقاتهم الخاصة ، وتمدها الحكومة ببعض العون وهي تنيف على الخمسين معهدا .

والذي لا يزال يحز في النفس أن الحكومة الإنجليزية كانت قد ضاءلت من شأن الخلاوى التي يحفظ فيها الأولاد القرآن الكريم ، فحوت كثيرأ منها إلى مدارس أوليه ، ومنحت نظارها رواب فقل بذلك حفظة القرآن ، ولا أدري إذا كانت الحكومات التي جاءت في عهد الاستقلال قد تنهت لهذه الخدعة الاستعمارية أم لا يزال الأمر كما رسمه الإنجليز ؟ .

ولا أجهل أنه كان من كبار رجال وزارة المعارف السودانية قبل الاستقلال وبعده تلاميذ للإنجليز ، بل هم أشد تحمسا من

أستاذتهم لكرهية التعليم الديني ، وعسى أن يتخلص السودان من بقاياهم . ولا يمكن للباحث في التعليم الديني في السودان أن يغفل الإشارة إلى ما كان للطرق الصوفية من آثار محمودة ، وإرشاد الناس وتعليمهم ، وما تم على أيديهم من إقامة الزوايا والمساجد والخلاوى . وإن كان لهذه الطرق أثر سيئ في عقائد الناس ، وقد بدأت طبقة المتعلمين تتحلل من سلطة هؤلاء ولكن سلطانهم على العامة لا يزال قويا ، ولا يزال الاعتقاد فيهم وفما يمكن أن يفعلوه كبيرا ، والزمن والتعليم كفيلان بأن يبصرا الناس بالطريق القويم ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

علي الموماري

المدرس بمعهد القاهرة

ودينه لقاء مركز أو جاء يقدمه له أعداء بلاده ودينه .

وقد كافأه الإنجليز على هذه اليد التي لا تندي واعتبروه ركنا ركيناً لهم في شبه القارة الهندية فمدوا إليه أيديهم بالتأييد المادي والأدبي حتى يقوم بالدور الذي أعدوه له ، وينهض للرسالة التي نصب نفسه للقيام بها ، من توهين عقيدة الإسلام في نفوس المسلمين ، وبذر بذور الريبة والشكوك في قلوب أبنائه ومحاولة جذب طائفة من أبناء المسلمين في شبه القارة الهندية إليه ، وإغرائهم بالمناصب والجاه ليكونوا له أعواناً في هذه السبيل التي ينسرها الإسلام أشد الإنكار ، وينفر منها كل النفور .

وفي ظني أن السيد أحمد خان رأى من خلال نظراته الانتهازية أن الثورة على الإنجليز لن تبلغ غايتها ، فأحب أن يقدم لهم يداً تشفع له عندهم ، وترفعه إلى مصاف خدمتهم وليست هذه الانتهازية من أخلاق المصاحين وأصحاب الدعوات .

وليت السيد أحمد خان وقف عند هذا الحد إذن لقلنا إنها نزوة غلبت على الرجل في ساعة من ساعات الضعف التي تنتاب طلاب الشهرة ومحبي الرياسة ، فتدفعهم إلى ارتكاب الأخطاء في حق بلادهم وذويهم .

الإسلام والمسلمين ، وكان خنجراً مسموماً في أيدي المستعمرين وأعداء الإسلام يحاولون به الإجهاز على ما تبقى لهذا الدين من رمق يدافع به الفناء في هذه البلاد التي نسكت بالاستعمار الغربي فأزال الحكم الإسلامي عن ربوعها ، وأجرى دماء المسلمين أنهاراً ، تسكيلاً بهم وتحطياً لشوكتهم ، وتنقيساً لأحقاده التي لا تنطفئ على الإسلام ورجاله . ويجدر بنا أن نعرض لبعض مواقف السيد أحمد خان ، ونقف على طرف من آرائه عليها تكشف لنا عن حقيقة الرجل وكنهه ، ويبدو لنا من خلال أعماله وأقواله بدون بهرج أو زخرف ، ومن ثم ينكشف للناس أمره ، وتبطل تلك الدعاوى العريضة ، التي تحاول جاهدة - بأي دافع لست أدري - أن تضفي عليه ثوب المصلح ، وتلبسه لبوساً ليس من أهله .

إننا لا نستطيع بحال من الأحوال أن نرى رجلاً خان أمته ، وكان حرباً عليها ، وعونا للمستعمرين الغاصبين على إذلالها وتحطيم عزتها يسلك في نظام المصلحين ، ويعد في أحباب الدعوات ، وإن نسينا فإن التاريخ لن ينسى للسيد أحمد خان موقفه العبداني من ثورة الهنود على الاستعمار البريطاني ، وبذله أقصى الجهد في سبيل حمايتهم والذود عنهم ، ومجاهرتهم بالعداء لبني وطنه

التعصب الدينى ، ليطفئوا بذلك نار حمتهم ،
ويبددوا جمعهم ، ويمزقوا شملهم ، وساعدوا
تلك الطائفة على إنشاء مدرسة «عليكرة»
ونشر جريدة لبث هذه الأباطيل بين الهذيين
حتى يعم الضعف فى العقائد ، وتهن الصلات
بين المسلمين فيستريح الإنجليز فى التسلط
عليهم ، (١)

هذا ما كتبه أكبر المدافعين عن الإسلام
وأعلام صوتا فى عهد السيد أحمد خان
وهو صريح فى خروجه على الإسلام ، وسعيه
فى الكيد له ، فكيف يتسنى لنا بعد هذا
أن نرى من يقول عن السيد أحمد خان إنه
من رجال الإصلاح الإسلامى الذين حلوا
لواءه ورفعوا رأيه ؟

ويبدو أن السيد الكاتب قد اغتر بما كتبه
المستشرقون عن حركة السيد أحمد خان ، ووقع
فى الخطأ الذى وقع فيه من قبل الأستاذ أحمد
أمين فى كتابه «زعماء الإصلاح» ، وليس بخاف
علينا جميعا محاولات المستشرقين الدائبة فى بث
سمومهم ، ونشر ظلال الشك فى قلوب المسلمين ،
وإضافتهم ثوب الإصلاح على كل خارج
على الإسلام .

وتكشف طوايا السيد أحمد خان الدفينة
ضد الإسلام من كتاباته التى حاول جاهداً

ولكن الرجل تطوع لخدمة سادته الإنجليز
وقدم لهم ما عجزوا هم عن تحقيقه ، فبدلوا له
ما شاء من العون والتأييد ليبلغ ما يريد من
كيد الإسلام وتفريق المسلمين ، فحمل معوله
وأخذ يعمل الهدم فى صرح الإسلام المنيع ،
سالكاً طريقاً تخفى على كثيرين ، وتغرى
بعض ضعاف الأحلام ، وهو فى مأمن من
حماية الإنجليز له ، وتشجيعهم له على المضى
فى طريقه عساه أن يحقق ما أعجزهم من بث
الفرقة والوهن فى صفوف المسلمين الهنود
وعقائدهم .

وعمد الرجل إلى نشر أفكاره الضارة
بطريقة منظمة فى ظل الاستعمار وعلى عينه ،
فأنشأ مدرسة «عليكرة» وأصدر صحيفة تروج
لدعوته فى صفوف المسلمين الهنود ، وقد تنبه
السيد جمال الدين الأفغانى لخطره وفساد
طويته ، فنشر مقالا يحذر منه ويكشف
عن مداخله وتأيد المستعمرين له قال فيه :
وما دام الاعتقاد المحمدى والعصية الملية
فيهم «المسلمين» ، فلا تؤمن بعثتهم إلى طلب
حقوقهم فاستهدوا «الإنجيز» طائفة ممن
يتسمون بسمة الإسلام ، ويلبسون لباس
المسلمين ، وفى صدورهم غل ونفاق ، وفى قلوبهم
زيغ وزندقة ، وهم المعروفون فى البلاد الهندية
«بالدهريين الطيبعيين» فاتخذهم الإنجليز أعوانا
لهم على إفساد عقائد المسلمين . وتوهين علائق

[١] الفكر الإسلامى الحديث للدكتور محمد البهى ص ١٥٥ .

في الهند ، وقيام غلام أحمد بدعوته المارقة عن الإسلام .

أيعقل بعد هذا كله أن نسمح لقائل أن يقول عن السيد أحمد خان إنه من زعماء الإصلاح الديني في الإسلام . بعد ما رأينا جهده في الكيد للإسلام ، وتوهين عقائده وهذا هو السيد جمال الدين الأفغاني يصرح بأنه ما ألف رسالته : « الرد على الدهريين » إلا ليبطل مزاعم هذا الرجل ، وينبه المسلمين إلى ضلال دعواه ، فيقول : « ولما كنا بحيال الدين في الهند سنة ١٨٧٩ أحسننا من بعض ضعاف العقول اغترارا بترهات الرجل وتلامذته فكتبنا رسالة في بيان مذهبهم الفاسد ، وما ينشأ عنه من المفاسد وأثبتنا أن الدين أساس المدنية وقوام العمران ؟ (١) »

وبعد : فهذه خاطرة أثارها مقال الأستاذ م . ح . أردنا من ورائها أن يقف المسلمون على الحقائق التي تتعلق بتاريخهم ، ونبذ الدخلاء عن تاريخ الإسلام حتى يتبين من يعمل للإسلام ويدود عن حماه من ضل السبيل وتنسكب الطريق ؟

محمد ابراهيم الجيوشي

المشرف على الشؤون الدينية بالإذاعة

أن ينفث من خلالها سمومه تحت ستار البحث العلبي والإصلاح الديني .

فتراه في تفسيره للقرآن الكريم يقرر أمورا خطيرة لو أمعنت النظر فيها لوجدتها تهدف في جوهرها إلى صرف النظر عن مناوأة المستعمرين ، كما يبدو ذلك جليا عند تفسيره لآيات الجهاد في القرآن الكريم وتهوينه من فرض القتال على المسلمين والتقليل من شأنه ، تحت ستار التعاون العالمي والتسامح الإنساني مما ترى نظائره في دعوى الجمعيات السرية أمثال الماسونية التي تهدف إلى القضاء على الإسلام ، وتفكيك العرى بين أبنائه متخفين وراء الأستار الكاذبة والشعارات المضللة .

ثم يذهب السيد أحمد خان بعد ذلك كله - نتيجة لما سار عليه من المنهج الطبيعي في تفسير القرآن الكريم يذهب إلى القول بنفي المعجزات لأنها خوارق غير طبيعية ثم يخطو خطوة أخرى أشد وأنكى حين يقرر أن النبوة غاية إنسانية يصل إليها المرء بالرياضة النفسية والمجاهدة (١) ، ومعنى هذا نفي الوحي والتلقي عن السماء ، وقد كان السيد أحمد خان بأرائه هذه مهدداً لظهور المذهب القادياني

[١] الفكر الإسلامي الحديث للدكتور محمد البهي

[١] الفكر الإسلامي الحديث للدكتور محمد البهي

رسالة وجوابها

بينا الأستاذ الأكبر وصاحب العرفان

الرسالة

أخى فى الله تعالى وولى فيه عز وجل: فضيلة
الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ
الجامع الأزهر أيدك الله فى مساعيك وسددك
فى مراميك .

والسلام عليك وعلى المتخلفين بأخلاقك ،
المقتفين أثرى ، وعلى من حملتهم على جادتك المثلى ،
ونجحت لهم سبيلك المستقيم ، وعلى من قاموا معك
أو قمت معهم فى مهمة التقريب بين المذاهب
الإسلامية ، تسورون شرفات الشرف ،
وتتوقلون فى معارج العز ، قتبون فى الإسلام
خطط الدعة والسلام على أسس سيد الأنام
وخاتم الرسل الكرام عليه وعلى آله أفضل
الصلاة والسلام . فما أكرم مقامكم عند الله
تعالى وما أشرف منقلبكم إليه .

أشهد أنكم نصحتم بهذا الله تعالى وكتاباه
عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم
ولأئمة المسلمين ولعلمائهم . وإن الدين بكنهه
وحقيقته يتمثل فى هذا النصح .

لقد عشقت الأذن ثم تبعها العقل والقلب
لما سمعناه وقرأناه لكم وعنكم : علم غزير

وفضل عميم ؛ ولذلك كان سرورنا عظيما حينما
أسندت لكم مشيخة الأزهر ، فقال القوس باريها
وأعطيت المسؤولية إلى ابن بجدها ، والذي
يعرف بإخلاص كيف يتحمل عبثها وهما هى
المقدمات الحسنة تدل على النتائج الباهرة ،
فحين قرأنا تصريحكم لجريدة الشعب المصرية
قلنا : شنشنة أعرفها من أخزم . هذا من
فضل ربى ، فأنا باسم علماء الشيعة جميعا فى
لبنان وسورية والعراق وإيران ... الخ أمد
يدى مصافحا وأفتح قلبى وصدرى داعيا
ومؤيدا ، وأعدكم أن أعمل فى مجلتى وبنفوذى
الدينى والدينى للوصول بكافة الطرق إلى
ما تصبو إليه نفسك ونفسنا من العودة
بالمسلمين جميعا إلى جوهر الدين وتعاليمه
السامية ، إلى كتاب الله وسنة رسوله لافرق
بين سنى وشيعى . وأن نعمل معا على النصح
والإرشاد لنعود بالغلاة والمتخلفين إلى الحظيرة
الإسلامية الصحيحة .

ما أجل كلمتكم فى قضية السنة والشيعة :
عرفتم - مع الله بعرفكم وعوارفكم - مذهب
الإمامية بكنهه ، وأدرستموه بكل حواسكم ،
فلم تأخذكم لومة لائم فى الاعتراف به ، لا فى

صاحب العرفان :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته - أما بعد :
فقد تلقيت بمزيد الغبطة والارتياح كتابكم
الذي ضمنتموه اغتباطكم بإسناد مشيخة
الأزهر إلى ، وشهادتكم لي بأني من الناصحين
لله عز وجل ولكتاباه ولرسوله صلى الله عليه
وآله وسلم ، ولأئمة المسلمين وعامتهم ، وذكركم
ما كن من تأييدي لوحدة المسلمين على كتاب
ربهم وسنة نبيهم ، لافرق بين سني وإمامي
وزيدي .

وإني أيها الأخ الجليل لأحمد الله تعالى على
ما أولاني من نعمته ، وأسأله التوفيق
لما يرضيه ، وأن يجعلني أهلاً لما ظنتم بي من
الظن الحسن ، فإن المرم مسئول عما استرعاه
الله ، رهين بالنصح لله وأداء أماناته ، كما أشكر
لكم هذا الروح الكريم الذي استقبلتم به أمرى ،
وهذه الثقة العالية التي قويت بها قلبي وأدعو
الله تعالى أن يجزيكم عن الأخوة والوفاء
والمواظرة على الحق موفور الجزاء .

إن المسلمين يا أخى قد استناموا في كثير
من حقب تاريخهم إلى سوء حالهم الناجم عن
فرقتهم وتقطع الروابط بينهم ، والاستجابة
إلى نداء عدوهم الماكر المتربص بهم ، وقد
طال عليهم الأمد في ذلك حتى ضعفوا
واستكانوا وظنوا أنهم قد أحيط بهم ، لولا
أن قيض الله لأمة الإسلام في كل شعب قادة

تحريره وتقريره ولا في إقامة الدليل على العمل
به كغيره من مذاهب الجمهور . ولعل الله
يهدي بك هؤلاء المرجفين الذين يحملوننا من
أوزار الغلاة الكفرة ما يعلم الله عز وجل
أنا براء مما يافكون . وعسى أن يكون ما قد
رأيتموه من عملكم الإيجابي بتدريس فقه
الإمامية بالأزهر الشريف سدا لهذه الفجوة
التي اصطنعتها الأوهام وإنهاء لهذه الجفوة
التي خلفتها الأهواء .

وفي الختام نرجو أن ترسلوا رسمكم الكريم
لنزين به صدر العرفان مع تاريخ حياتكم
وكلمة موجهة إلى المسلمين جميعاً من سنة
وشيعه في أقطار الأرض بواسطة مجلة العرفان
المنتشرة في جميع أنحاء العالم : تدعوهم فيها إلى
الوحدة والتآلف وإلى كلمة سواء .

والسلام عليكم طليعة الأمة وحملتها مشعلها
وعلى جمالها وقائد ثورتها ، وعلى المجاهدين
بين يديه وعلى من تهوى قلوبهم إليه ورحمة
الله وبركاته .

الحب المخلص

أحمد عارف الزين

صاحب العرفان

الجواب

إلى السيد الأخ المجاهد في سبيل الله يعلمه
وقله وحيد سعيه : الشيخ أحمد عارف الزين

الموفق الذي أقر آمونا السلام عليه في كتابكم: جمال عبد الناصر .

إن قيام جمال عبد الناصر في الأمة إنما هو فرصة سانحة يجب أن تنتهز لمصلحة الإسلام ، ولمصلحة الأوطان الإسلامية ، ولمصلحة الشعوب التي تؤمن بالقرآن وبخاتم النبيين ، إن هذه المصالح كلها تتلخص الآن في مبدأ واحد يجب أن يرسخ في القلوب هو الائتلاف ونبد الخلاف .

فساد به يا أخى في صحيفتك ، واجهر بدعوتك ، وقل لإخواننا وإخوانك من المسلمين في أى شعب كانوا ، وعن أى مذهب كانوا : إننا جميعا مسلمون ، كلنا سنة ، لأننا جميعا نأخذ بالسنة ، وكلنا شيعة لأننا ندين بحب آل البيت حبا منبثقا من حبنا لرأس هذا البيت ، وإن الله ينادينا جميعا فيقول : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

محمود شلشوت

شيخ الجامع الأزهر

مصلحين ودعاة راشدين - شهد الله أنك يا صاحب العرفان منهم - فكانوا يبصرونهم بعاقبة أمرهم ، ويدعونهم إلى إصلاح ذات بينهم ، وإلى الوقوف صفا واحدا أمام أعدائهم المهاجرين بلادهم ولثة أفتهم ولديهم ، وشاء الله تعالى أن تنبعث فيهم « جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية » تلك الجماعة التي عرفت كيف تشخص داء المسلمين ، وكيف تصف لهم الدواء ، فكنت والحمد لله من مؤسسيها الأوائل ، ووجهت معها نداءها الأعظم المستمد من كتاب رب العالمين « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » فاستمع إليه الشيعي والسني واستجاب له العربي والعجمي ، تبادل العلماء في كل شعب رسائل العلم ، ورسائل الدين يبحثونها في ظل من الأخوة الإسلامية التي أثبتها الله في كتابه للؤمنين ، لا يهدفون إلا إلى الحق ولا يريدون إلا الوصول إلى حكم الله الذي هم به جميعا مؤمنون ، لم يعد يقام للعصية وزن ، ولا يحسب للشقاق المذهبي حساب .

إن الله تعالى قد أذن لهذه الدعوة المباركة أن تسرى في المسلمين ، وجعل مسراها في عهد مبارك هو عهد الرجل الذي ضرب مثلا عمليا مصدقا لما يستبشر به المسلمون دائما ، من أن أمة محمد ما تزال بخير ؛ ذلكم هو الرئيس

مَا يُقَالُ عَنِ الْإِسْلَامِ

دعوة المنارة

الأستاذ عباس محمود العقاد

عرض تحليلي لكتاب (دعوة
المنارة) لمؤلفه «كنيث كراج»

كما يقتضيها تقدم الزمن في مناهج الكتابة
ودواعي المعرفة والاطلاع .

فالمؤلفون الأسبقون كانوا يؤلفون كتبهم
وهم ينظرون إلى الفتح والغلبة ، ويطمعون
في إقناع الشرق والغرب معا بضرورات الفتح
والغلبة من وجهة السياسة ووجهة الثقافة
على سواء ، وليس هذا المطمع من مطامع
كتاب الغرب اليوم ، فإنهم يعلنون أن إخضاع
الأمم الإسلامية في هذا العصر لسلطان الحكم
الأجنبي مطلب عسير كثير التكاليف قليل
الأمل في البقاء ، وغاية ما ينظرون إليه
أن يلتمسوا الأسباب إلى كسب المودة وتقريب
مقاصد السياسة ومقاصد الثقافة إلى هذا
الجانب أو ذاك من جوانب الدعوات
العالمية .

كذلك كان المؤلفون الأسبقون يجمعون

كتاب جديد من الكتب الكثيرة التي
تصدرها مطابع الغرب في هذه السنوات
عن الإسلام والأمم الإسلامية ، وعما يتصل
بها من المسائل العالمية ، ولا سيما مسائل
العقائد ومذاهب الاجتماع .

وقد كثرت هذه الكتب في الربع الثاني
من القرن العشرين كثرة لم يسبق لها مثيل
في غير أيام الاستشراق الأولى ، وهي الأيام
التي اتفقت فيها جهود الباحثين في اللغة والدين ،
وجهود المبشرين ، وجهود الدعاية الاستعمارية
على غاية واحدة ، وهي الغلبة على بلاد
الإسلام .

ولكن حركة التأليف الحديثة عن الأمم
الإسلامية تخالف الحركة الأولى ، في عدة أمور
تقتضيها أحوال الزمن ، وتغير العلاقة بين الأمم
الإسلامية ودول العالم الغربي بشطريه ،

أقل الكتب غلطا في النقل والرواية ، كاتبه لا يعتقد عقيدة الإسلام بطبيعة الحال ، ولكنه يحاول أن يفهمها أحسن ما يستطيع هذه المحاولة رجل يدين بدين آخر ، وينشأ في غير البيئة الإسلامية ولا يشعر بشعور أهلها ، وكثيراً ما يجتهد في تصوير هذا الشعور من الناحية « الموضوعية » كما يقولون في مصطلحاتهم ، ثم يشفع ذلك بشرح الخلاف بين الآراء والميول حسب الخلاف بين الأديان والأوطان .

واسم الكتاب يدل عليه في جملة ، فهو يسميه دعوة المنارة The Call of the minaret ويعنى بها مئذنة المسجد ، ويتوخى في فصوله أن يجعل دعوة الأذان أساساً لدعوة الإسلام ؛ لأنها هي الدعوة التامة إلى هذا الدين ، منوعاها إجمالا لم يخرج بالتفصيل عن غاياتها وآمادها .

فالأذان - أو نداء المنارة - يقوم على الشهادة بالتوحيد والشهادة بنبوة محمد عليه السلام ، والدعوة إلى الصلاة ، والدعوة إلى الفلاح ، ويحيط بما اشتملت عليه هذه الكلمة من الفرائض والسنن والآداب ، فلا يستوفيا المسلم الصادق إلا كان مستوفيا لكل ما يندبه الإسلام إليه .

وقد جعل كل فقرة من فقرات الأذان عنوانا لفصل من فصول الكتاب ، وأثبت

على تشويه الحقائق وهم في أمان من التكذيب ؛ لأنهم كانوا يكتبون عن بلاد يعلمون أن العارفين بها قليلون ، وأن أصوات أبنائها لا تعبر حدودها إلى ما وراءها ، وكانوا يفهمون أن قراءهم سيسخون الأعاجيب والتناقض التي يغرقون في خلقها أو المبالغة فيها ، بل كانوا يفهمون أن قراءهم ينتظرون من كل كاتب عن الشرق أن يزودهم بأكبر زاد من غرائب ألف ليلة وليلة وأسرار الكشوف المجهولة على غرار تلك الأسرار التي تعودوها من كتاب الرحلات في القرون الوسطى .

أما قراء القرن العشرين فهم يتطلعون إلى زاد من أخبار الشرق غير ذلك الزاد العتيق ، ولا يأمن الكاتبون لهم إذا هم بالغوا في الإغراب والتلفيق أن يأتي بعدهم - أو معهم - كاتبون آخرون ينتفضون ما أبرموا ، وينكشون ما لفقوا ويكشفون القناع عما وراء تلك المبالغات من الوقائع والأخبار .

فالوفاة الغربي اليوم حريص على سمعة الدقة العلمية والملاحظة الصادقة ، ويميل له في هذا الحرص أن مناهج البحث قد تقدمت مع الزمن ، فتعلم الكاتب باختياره وبغير اختياره أن يتجنب الشطط ، ويلتمس التشويق من باب غير باب الاقتراء والتزويق .

والكتاب الذي بين أيدينا الآن ، من

الكلمة العربية إلى جوار الكلمة الإنجليزية ، وألم بالمعاني المتعددة لها عند تعدد هذه المعاني أو تعدد أقوال المفسرين في شرحها ، ومن الأمثلة على طريقتيه في هذا الشرح كلامه على شهادة أن « لا إله إلا الله » وهو فاتحة الفصول .

قال بعد الإشارة إلى ما يقابل كلمة « إله » في اللغات السامية: إن « الله » و « الإله » في اللغة العربية تفيد أن معنى الإله الواحد الذي لا إله غيره ، وله - سبحانه وتعالى - صفات يسميها بالصفات الجلية ترجمة للصفات الحسنى، يؤمن بها المسلم ليستوفي معاني السكال الإلهي في اعتقاده .

ومن أمثلة اجتهاد المؤلف في دراسة هذه المعاني أنه يشير إلى رأى بعض الغربيين في تكرار وصف الرحمة في البسملة فيقول إن التكرار هنا لا غنى عنه ؛ لأن « الرحمن » أقرب إلى أن تكون اسما من الرحمة وأن الرحيم أقرب إلى أن تكون صفة مشتقة من مادة الكلمة نفسها ، ثم يقابل ذلك في اللغة الإنجليزية بما يفيد معنى « خالق الرحمة الرحيم » ، أو معطى الرحمة الرحيم ، وليس بعد شهادة التوحيد كلمة أجرى على ألسنة المسلمين من البسملة التي يستحب بها كل افتتاح .

ومن معاني « القيوم » التي نقلها المؤلف معنى الاكتفاء بالذات ومعنى القيام، ومعنى

القوامة ، فالمسلم يعنى حين يصف الإله بالقيوم أنه مستغنى بذاته عن كل ما عداه ، وأنه قائم أبدا بتدبير الخلق ، وأنه قوام جميع الكائنات . وإذا أجاز المسلم لنفسه أن يصف الخالق بأسماء يوصف بها المخلوق ، فالمعنى مختلف - لغة وفهما - في الحالتين ، فالإنسان الشكور هو العارف بنعمة الله عليه ، والله شكور لأنه يحمد للإنسان هذه المعرفة ويعلمها ، ويكون العبد مؤمنا لأنه يوقن بالله ، ويكون الإله المعبود مؤمنا لأنه حقيق بالإيمان ، وكل ما وصف به الإله في الدين الإسلامي من أسماء المطلق ينشئ المشاركة ولكنه لا ينشئ تبعة المخلوق وعمله الذي يناط به الثواب والعقاب .

وأما الصفات التي تدم في الإنسان وتحمد في الإله كالجبروت والكبرياء فإنما تدم في المخلوق لأنها مجاوزة لحدود وتحمد في الإله لأنها في حدودها ترد من يجاوزها ، وقد تتقابل الصفات الإلهية فيسمى الإله بالأول والآخر والظاهر والباطن الإحاطة بالسكال الذي لا تحيط به الحدود . قال : « وربما أجملت صفات التوحيد الأولى كلمة الرب التي كان النبي - عليه السلام - يرددها في عظامه الكبرى ،

ويلغ المؤلف بالتحفظ أشده حين يعرض للكلام على « محمد ، صلوات الله عليه في شهادة

قال بعد الإشارة إلى ما يقابل كلمة « إله » في اللغات السامية: إن « الله » و « الإله » في اللغة العربية تفيد أن معنى الإله الواحد الذي لا إله غيره ، وله - سبحانه وتعالى - صفات يسميها بالصفات الجلية ترجمة للصفات الحسنى، يؤمن بها المسلم ليستوفي معاني السكال الإلهي في اعتقاده .

ومن أمثلة اجتهاد المؤلف في دراسة هذه المعاني أنه يشير إلى رأى بعض الغربيين في تكرار وصف الرحمة في البسملة فيقول إن التكرار هنا لا غنى عنه ؛ لأن « الرحمن » أقرب إلى أن تكون اسما من الرحمة وأن الرحيم أقرب إلى أن تكون صفة مشتقة من مادة الكلمة نفسها ، ثم يقابل ذلك في اللغة الإنجليزية بما يفيد معنى « خالق الرحمة الرحيم » ، أو معطى الرحمة الرحيم ، وليس بعد شهادة التوحيد كلمة أجرى على ألسنة المسلمين من البسملة التي يستحب بها كل افتتاح .

ومن معاني « القيوم » التي نقلها المؤلف معنى الاكتفاء بالذات ومعنى القيام، ومعنى

على كتب اليهود والنصارى ، واقتباسه منها ما كان يعليه من عقائد الاديانتين ، ويستضعف كل قول يرد العقائد الإسلامية إلى هذا الاطلاع إلا أن المؤلف قد التبس عليه الأمر فيما نحسب فوهم أن حكم القرآن الكريم في مسألة صلب السيد المسيح مطابق لعقيدة «المعرفين» المشهورين بين أصحاب المذاهب المسيحية الأولى باسم الظاهريين Docetists ؛ لأن إنكار هؤلاء لصلب السيد المسيح قائم على اعتقادهم أن الروح الإلهي لا يحل في جسد من أجساد المادة ، وأن الجسد الذي تراهي به السيد المسيح للناس منذ ولادته كان « طيفاً نورانياً ، يشبه الأجساد الآدمية في الصورة ويخالفها كل المخالفة في التركيب ، وكل ما عاينه الناس من صورة السيد المسيح منذ ولادته لم يكن هو كيان المسيح حقاً وإنما كان مثالا منظوراً بالعين لحقيقة روحانية لا تراها العيون ، وذلك هو معنى التشبيه عند المعرفين Gnostics المشهورين باسم الظاهريين ، وليس هو - كما يعلم المسلمون - بمعنى التشبيه الذي ورد في الآية : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » ؛ لأن الظاهريين لا ينفون حصول الصلب للسيد المسيح نفسه ، وإنما ينفون أن الصلب أصاب جسداً صحيحاً كالأجساد المادية الإنسانية التي يحيا بها الناس وعامة الأحياء .

« أن محمداً رسول الله » فيشير غير مرة إلى تأكيد الإسلام « لبشرية » النبوة واشتغال وصف « الإنسان » للنبي ولسائر الأنبياء ، ولكن المسلم يرتفع بفضائل نبيه إلى الذروة العليا من السكالم الإنسانية والغاية التي لا تعلوها غاية من مراتب التنزيه التي تدركها المخلوقات ، ويتحرى المؤلف في هذا الفصل أن يسند الصفات النبوية إلى كتاب السيرة من المسلمين الأقدمين والمحدثين ، ومنهم من كتب عنها في هذا العصر من الهنود والمصريين .

ويبدو تحفظ المؤلف في نقل أخبار النبي من تعليقه على آية النجوى من سورة المجادلة حيث أمر المسلمون الذين يناجوناه عليه السلام ، أن يقدموا بين يدي نجواهم صدقة تيسر لهم ؛ فإن المؤلف لا يجعل هذه الصدقة - كما جعلها بعض المترجمين للقرآن الكريم - رسماً مفروضاً على إلقاء الرسول بـل يقول في التعقيب عليها : « إن لقاء النبي كان ميسوراً في كل آونة ، ولكن في الأيام الأخيرة قد كثر ضغط شواغله واتسع مجال توقيره فكان من المستحب أن يمهّد للاقائه بعمل من أعمال الإحسان » .

ويورد المؤلف مختلف الأقوال في أمية الرسول فيذكر منها أنه لم يكن يكتب ، كما يذكر منها أنه بعث إلى أمة غير ذات كتاب ، وينق ما زعمه أناس من المبشرين عن اطلاعه

ولكن الصدقة اختيارية والزكاة قاعدة من قواعد البناء الاجتماعي في الإسلام ، وقد ظهرت في المجتمع الإسلامي بمكة قبل الهجرة فذكرتها السور المسكية ووصفتها .

قال: « وندع المصطلحات جانباً فنقول: إن الزكاة مفهومة بين دعاة الإسلام في العصر الحاضر على أنها أساس فلسفة عامة تقوم على التبعة الاجتماعية ، وأنها هي الشاهد الروحاني على الواجب الذي تنطوي عليه المسكية ، وكلما شرعت الحكومات العصرية في التقريب بين الناس ، أو تقريب المساواة الاقتصادية بينهم بفرض الضرائب التصاعدية ، وتقرير إعانات الفقراء وما إليها ، كانت هذه المشروعات بمثابة تطبيق للفكرة التي تدل عليها فريضة الزكاة ، ويعلم المؤمن أنه بعد أداء هذه الإعانات مطالب بأداء الزكاة ولكنه يغتبط بـ سريان النظام وإحاطته بمبادئ »

الضريبة ، ودلالته على شعور الدولة بأفة الفاقة . وإن هذه الدعامة الثالثة من دعائم الدين الإسلامي لتعتبر من الناحية الإسلامية علاجاً لشرور الرأسمالية وشرور الشيوعية في وقت واحد . إذ هي تكسب أذى رأس المال وتجعل الشيوعية خطرة لا ضرورة لها .

ويلح المؤلف في فصوله على فكرة واحدة يعود إليها بعد كل استطراد من مبحث إلى مبحث ، وبعد كل متارنة بين عقيدة وعقيدة ،

ونظن أن اللبس إنما سبق إلى ذهن المؤلف من توارد كلمة الشبه في الآية وفي فلسفة المعرفين الظاهريين .

ويفرق المؤلف بين معنى الفلاح المقصود في دعوة الأذان وبين معنى « الخلاص » الذي يدين به المسيحيون ، فإنه يعلم أن المسلم لا يعتقد الخلاص المرهون بعمل غيره ، وأن الخلاص في اعتقاده ، إنما يكون بعمله وتكفيره عن ذنوبه ، ولكن « الفلاح » كلمة قد تجمع النجاة وحسن الحال والخير واليسر والعقيدة الصالحة ، ولا يراد بها التكفير عن الخطيئة بل تراد بها السعادة الروحية والاجتماعية ، أو سعادة الإنسان فيما بينه وبين ضميره ، وسعادته فيما بينه وبين أهله وقومه .

ويفيض المؤلف في بيان « الفلاح الاجتماعي » كما تطلبه العقيدة الإسلامية وكما تؤديه فرائضها وأحكامها ، فيقول: « إن حيازة الملك لا تعتبر حيازة زكية ، مطهرة إذا كان قوامها مجرد التحصيل دون التزام بواجب من الواجبات ، ويستخدم القرآن كلمة أخرى للزكاة ، هي كلمة الصدقة التي تكاد ترادف الزكاة في المعنى مع ما تفيد من الصدق والصدقة ، أو من الاستقامة والمودة ،

وفي الديانتين الإسلامية والمسيحية ، وتلك هي فكرة التفرقة بين الإسلام والمسيحية في عقيدة الخلاص وعقيدة الفلاح ، ووجهته في هذه التفرقة بين مضامين كلامه وبين أقواله الصريحة أن عقيدة الخلاص تشتمل على ناحية روحانية لم تشتمل عليها عقيدة الفلاح وأبعد ما يكون الفارق بينهما في أمر الخطيئة والفداء وارتباطهما بضمير بني آدم وسواء . وقد عرض في صدد هذه المقابلات لكتابنا « عبقرية المسيح » فقال إن مؤلف عبقرية المسيح يقرر « أنه لا يوجد سند تاريخي يعول عليه بعد حادث اعتقال السيد المسيح ، ويتخطى مسألة الصلب ومسألة الصعود من الأموات ، ثم يعزو انتشار المسيحية إلى غير التلاميذ وموافقة رسالتهم لأحوال العالم في تلك الحقبة . ومع أن الكتاب مفرغ في قالب النهاية يلوح منه أنه يدل على رغبة خالصة مشبعة بالتوقير في إدراك حقيقة المسيح في نطاق الإسلام ، فهو تفسير للإنجيل بغير استرسال إلى القمة التي تنتهي عندها التعاليم إلى غايتها وتولد منها البشارة التي قامت عليها الكنيسة ، فهو شهادة لانزال مع ذلك تهتف بالانزول من الصليب ، وهي على ما تدل عليه من استعداد حسن مقياس لمسافة البعد بين كثيرين من المسلمين - حتى أصحاب النية الطيبة منهم - وبين المسيح الذي

يدين به المسيحيون . »

وليس في العالم الإسلامي من يأبى علما

الغربي من وجهة النظر التي طالما أعرض عنها منذ قرون ، ويخطر لنا ذلك كلما اطلعنا على دراسة للإسلام يتخرج كاتبها من حملات الافتراء والتلفيق التي كانت إلى سنوات قليلة مقبولة ، بل مطلوبة عند الأكثرين من قراء الغرب المثقفين وغير المثقفين ، فإن الأذن التي تأنف من قبول الطعن وتنفر من الطاعن وشيكة أن تتفتح للقول الحسن ، وأن تتفتح من بعده للقول المقنع والدليل المبين .

* * *

وبعد : فقد آن في ختام هذا التلخيص السريع لدعوة المئارة أن نلخص القول عن مؤلفه في بضعة سطور .

مؤلف هذا الكتاب الدكتور كنيث كراج Kenneth Cragg الذي كان أستاذًا للفلسفة بجامعة بيروت ، ثم عمل أستاذًا للغة العربية والإسلاميات بمؤسسة هارفورد منذ سنة ١٩٥١ ، وقد ألف كتابه هذا بعد سياحات متباعدة في الشرق الأدنى ، وتولى تحرير المجلة التي تصدر في بيت المقدس باسم العالم الإسلامي ، ونما في تحريرها مثل هذا المنحى الذي نراه في كتاب « دعوة المئارة » جامعاً للتحفظ والمحافظة ؟

من العلوم ينتفع به أحد من أبناء الأمم الإنسانية ، وليس في الدين الإسلامي ما يصد عن معرفة يفتح لها العقل والضمير . فإذا قصرت جهود المسلمين عن نشر المعرفة كما ينبغي أن تنشر فإنما هو قصور الوسيلة وليس هو بقصور العقل الإسلامي عن الإيمان بأسرار خلاص الروح وهداية الضمير ، فليس لضمير الإنسان مرتقى للهداية والخلاص أرفع من المرتقى الذي يفتحه له دين ينوط خلاص الإنسان بعمله ، وينهضه بأهاته وتبعته ، ولا يسوى في بلوغ الخلاص بين من يعمل ومن لا يعمل ، أو بين من يسعى إليه بفداء الجسد والروح ومن يتلقاه منحة تساق إليه .

ولقد خطر لصاحب « دعوة المئارة » أن الأوان قد آن لتقريب العالم الإسلامي من وجهة نظره ، وخطر له ذلك ؛ لأن المسلمين في هذا العصر يبحثون وينظرون ولا يعرضون عن دراسة الكتب الغربية التي كانوا فيما مضى يتعوذون من فتح صفحاتها إلى زمن قريب . ويحق لنا نحن - من الوجهة الإسلامية - أن نقول : نعم قد آن الأوان لتقريب العالم

ملخص عن الاسلام والمسيحية بين الشرق والغرب

وعلى الرغم من هذه الأسئلة الواضحة
فالكاتب لا يجيب عنها إجابات واضحة ، وإن
كان يقرر أن الدافع وراء التطورات الأخيرة
المتعددة الجوانب في آسيا الصغرى وإفريقيا
الشمالية هو الإسلام ، الذي يمتد بثبات من
جاكرتا إلى الدار البيضاء ويكثر أنصاره كل
يوم . ثم ذكر « أهمية التعايش بين الإسلام
والمسيحية » وأشار إلى المهمة الضخمة التي يجب
أن تضطلع بها « المسيحية الأوروبية » وإلى
أن جانباً من العالم الإسلامي - كإندونيسيا -
يشعر بفضل الغرب عليه . وقرر الكاتب
أن الإسلام هو دين التوحيد الوحيد الذي
يستطيع في القرن العشرين أن يجعل شعوباً
بأسرها تدين به ، وقال إن هذه ظاهرة تدعو
الأوروبيين إلى التفكير .

وقد حذر الكاتب من تهوين شأن الإسلام
وحضارته ، وإيجابته مع الحياة وقرر أن
الإسلام أكثر الأديان استقلالا وإبداعاً
في قانون الشعوب ، وأنه لا يسمح لغير المسلم
بالسيادة على أرض إسلامية وأن ذلك هو سر
النزاع الإسرائيلي . ثم دعا الغرب إلى إعادة
(البقية في صفحة ٩٢٠)

نشرت صحيفة سالزبرجر ناخرينجتن وهي
من أوسع الصحف النمساوية انتشاراً
وأكثرها اتزاناً في الرأي ، مقالا عن
« الإسلام وهل ينتمي إلى الشرق أم الغرب »
والمقال في أصله كان بحثاً قانونياً لأحد كبار
رجال القضاء النمساوي نشر في المجلة القضائية
ثم حوره صحفي مشهور ووضع له بعض
العناوين الفرعية وصاغ منه مادة صحفية جذابة .
وقد مهد الصحفي للبحث بقوله إن آسيا
الصغرى وإفريقيا الشمالية لا تنتميان إلى
الشرق ، وإنما هما مهد الحضارة الأوروبية
وأن عالم هذه المنطقة أخذ يصحو وإن كان
أحد لا يعرف إلى أين سيتهجه هذا العالم .
ثم تساءل الكاتب :

١ - هل يتهجه العالم نحو تكتل أوربا
وإفريقيا ، أم نحو تكتل إفريقيا وآسيا .

٢ - هل المسيحية والإسلام متجهان
إلى التعاون كقوة روحية هائلة ، أم إلى الصراع
الذي سينجم عنه الضعف بعد ذلك ؟

٣ - أيهما أكثر رجاءاً المسيحية
أم الإسلام ؟

مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَيْدِ وَالْحَدَّادِ

وَقَالَتْ أَجَرْنِي!

لِلأَسَازِ مَجُودِ حَسَنِ اسْمَاعِيلِ

وَقَالَتْ : أَجَرْنِي ! فَقُلْتُ : اخْصِيْ

فَمَنْ غَيْرُ رَبِّ السَّمَاءِ الْمَجِيدِ !

تَعَامَيْتِ حَتَّى رَكَبْتِ الظَّلَامَ

عَلَى هَوْدَجٍ مِنْ ضَبَابِ الْغُرُورِ

جَنَاحَاهُ مِنْ شَهَوَاتِ الْحَيَاةِ

وَمَنْ يَأْسِهَا فِي إِقْمَاءِ الْمَصِيرِ

هَوَى بِكَ فِي قَاعٍ لَيْسَ بِهِمِ

تَدْوِيرٍ فِيهِ يَخْطُو الضَّرِيرُ !

دَعْنِي .. فَهَالِي يَدٌ فِي أَسَاكِ ! !

وَلَا عَبَرْتَ فِي طَرِيقِ خُطَاكِ

وَلَا خَفَّنِي فِي طَرِيقِ ثَوَاكِ

تَكَرَّرَتْ .. حَتَّى وَهَى سَاعِدَاكَ

فَأَقْبَلْتُ نَادِبَةً تَسْتَجِيرُ ! !

تَكَرَّرَتْ فِيَّ ، وَصَوَّرْتَنِي

لَوَجْهِ الْحَيَاةِ كَمَا تَشْتَهِي ..

فَنِي الرَّوْضِ .. كُنْتُ نَدِيمَ الرَّبِّ

وَأَنْتِ الَّتِي بِالشَّذَى تَسْكُرِينَ !

تَقُولِينَ : هَذَا رَيْعُ الْجَمَالِ !

فَاطْمَأْ .. وَأَنْتِ الَّتِي تَشْرَبِينَ !

وَأَسْرَى بِدَرْبِ الْحَيَاةِ الْعَمِيقِ

فَارْنُو .. وَأَنْتِ الَّتِي تَعْبُرِينَ

أُنَادَى .. وَلِلَّسْرِ يَمْضَى صَدَاكَ
وَأَشْدُو .. وَبِالسَّحْرِ يَحْطَى غِنَاكَ
وَأَشْقَى وَمَا كَانَ إِلَّا شَقَاكَ
وَأَدْعُو .. وَمَا كَانَ إِلَّا دُعَاكَ
يَدَايَ إِلَى اللَّهِ مَبْسُوطَةٌ

وَأَنْتِ الَّتِي طَيْهَا تَضْرَعِينَ !
لَبِسْتُ بِنَى الشَّبَحِ الْمُسْتَعَارِ
وَزَوَّرْتَنِي بَيْنَ زُورِ الْحَيَاةِ
أَصْلَى فَأَسْمَعُ فَحَّ الذُّنُوبِ
عَلَى شَفَتَيْكَ يُسَلِّي الْعَصَا
وَأُبْكِي بِدَمْعِكَ لَكِنِّي
أَرَى لَكَ سُخْرِيَّةً مِنْ أَسَا

تَلَثَّمْتُ بِي فِي هُدُوءِ الظَّلَامِ
وَفِي الْهَوْلِ أَلْقَيْتَنِي فِي دُجَاهِ
وَجِئْتُ تُنَادِينَ غَوْثَ الْهَلَاكِ
وَمَنْ؟ مِنَ الْمَشْكِيِّ مِنْ لَظَاكِ؟
وَمَنْ غَدَا رُزُؤُهُ مِنْ نَدَاكِ

وَمَنْ غَدَا دَعْوَةً فِي سَمَاكِ ..
مَضِيْعَةً أَرْجَعْتَهَا الْغُيُوبُ
إِلَى صَدْرِهَا مِنْ طَرِيقِ الْإِلَهِ !

دَخَلْتُ بِنَى الْحَنَانِ فِي مَرَّةٍ ..
وَكَانَ اتِّجَاهِي إِلَى الْمَعْبَدِ
وَكَانَتْ صَلَاتِي قَبْلَ الصَّلَاةِ

مَزَامِيرَ عُلُوبَةِ الْمَوْرِدِ
نَخَطَفَتْهَا مِنْ دَمِي لِلرَّحِيقِ
وَقُلْتُ لِي: الْيَوْمَ قَبْلَ الْغَدِ !
إِذَا كُنْتُ لِلنُّورِ صَبَّ الْحَسَانِ

فَقَرَّبَ شَفَاهَكَ مِنْ مَوْقَدِي ..
وَقَرَّبْتُ .. حَتَّى طَوَّانِي هَوَاكِ
وَذَوَّبْتَنِي قَطْرَةً فِي صَفَاكِ
وَلَمَّا أَنْتَهَى السَّرُّ .. طَارَتْ خُطَاكِ
وَأَوَّمْتُ بُنُورَ بَعِيدِ عَصَاكِ
فَوَلَّيْتُ وَجْهِي إِلَى سُخْرِي

كَأَنِّي مَصْلِلٌ بِلَا مَسْجِدٍ !

وَأَوَمْتُ شَوْقًا لَعَلِّي أَرَكَ	فَلَا حَتَّ لِقَلْبِي سُفُوحٌ وَضَاءُ
لَعَلِّي أَرَى شَافِعًا مِنْ لِقَاكَ	وَرَوْضٌ عَرَفَنَاهُ مِنْذُ الْأَزَلِّ
لَعَلِّي .. بِقَبْضَةِ نُورٍ يَدَاكَ	أَزَاهِيرُهُ مُؤَمَّنَاتٌ أَبِيرُ
تُضِيءُ السَّيْلَ ! فَصَدَّتْ سَمَاكَ ..	وَأَطْيَارُهُ قَانَتَاتُ الزَّجَلِّ
وَحَلَفْتَنِي فِي الْفَلَائِ اسْتَجِيرُ ..	وَأَنهَارُهُ مِنْ ضَفَافِ الْمَتَابِ
وَأَزَمَعْتَ بَيْنَ رَيْعٍ وَظِلٍّ !!	تَحَدَّرْنَ بِاللَّذَمِ الْمُشْتَعِلِ
	فَأَلْقَيْتُ عُمْرِي بِأَعْتَابِهِ
	وَنَادَيْتُ حَتَّى تَلَاشِيَ الْأَمَلَ ..

محمود حسن إسماعيل

أنا شعبٌ عرني

للاستاذ إبراهيم محمد نجما

ليس في الإمكان أن أفعل إلا ما أريد
 ليس في الإمكان أن أحيى كما يحيا العبيد
 فأنا لا أقبلُ الضيمَ ، ولا أرضى القيودَ
 ويدي يُعنو لها الصخرُ ، ويخشاها الحديدُ
 وورائي مجد أبائي ، ولي مجدى الجديدُ
 هكذا دانت لي الدنيا ... من الماضى البعيد

أنا عملاقٌ قد استيقظَ من نومٍ عميقٍ
ورمى الأوهامَ والإِظلامَ ، في الكهفِ السحيقِ
وتجلىَّ رائعَ الخطوة .. في رَحْبِ الطريقِ
ملؤه عزمٌ فتي ، وبعينيه بريقُ
فاخشعُ يا أرضُ للسرِّ في حُطوٍ وثيقِ
واخضعي ياظلمةَ الأيامِ للفجرِ الطليقِ

* * *

أنا قد ثُرتُ على الظُّلمِ ، وحطمتُ حُصُونَهُ
ثورة قامت لكي تبني للشرق عرينَهُ
ثورة لم تعرف الشر . ولم تعرف جنونه
وطردت الغاصب المحتل .. من أرضي المصُونَهُ
وأقت العدلَ يقوى بالدعائمِ المتينِ
ثم أقسمت بربي وبلادي أنْ أصُونَهُ

* * *

أبدا لن يملك المحتل أرضي ... أبدا
أبدا لن تذهب آمالي وأعمالي سُدى
إنني أبني لنفسي ولمن يأتي غدا
علما لا يعرف البغضاء أو يلقي العدى
والذي يبذر جهدا ، سوف يخي رَعدا

* * *

إنني أزرع أيامي في أرضي القويهِ
ثم أروها بما ينبع من نفسي الفتيهِ
ذائدا عنها أعاصيرَ البلاد الأجنبيهِ

نازعا من بينها ما تفرس الأيدي الخفية
ثم تغدو هذه الأيام أغراسا جنية
يلتقى الحب لديها بسلام البشرية

باركى يا جنتي الخضراء سعي وكفاحي
باركى خطوى على الشوك رهيا كالرماح
أنا لو أجرح من أجلك ، أشدو بجراحى
إننى أسمى إلى دنياك فى عصف الرياح
ومعى شوق وإيماني وعزى وسلاحى
إن نيم غيرى ، فإنى فى ظلام الليل صاح

لست فردا حينا تهتف أعماق : أنا
أنا شعب عربي يتحدى الزمنا
قام بينى فوق هلمات المعالى موطننا
ودعا المجد ، قلباه ، وحيّا ، ودنا
فسلاما يا رفاقي ، وإخاء معلنا
وصراعا يا عدائي ... إن أتيتم أرضنا
قد عرقتم مالدينا ، وشهدتم بأسنا
إن تكونوا وحدكم أنتم ، فلسنا وحدنا
معنا الحق . وأسباب المعالى عندنا
وستبقى الوحدة الكبرى ، وتعالى مجدنا
فإذا خضنا لهيب الحرب ، فالنصر لنا

ابراهيم محمد نجما

بريد المجلة

وقد قال صفوة النقاد بعد موت حافظ
وشوقى :

قالوا قضى الشعر بعد الشاعرين ولم
يعمر بمثلهما ميسدانه الخالي
ونحن نقول - والأسف يملأ قلوبنا - لقد
حرم الأزهر من شاعريه ، وخلا ميدانه من
الشعراء الكبار ، وأصبح من أعز أمانينا
أن نجد لها خلفا .

المعلم الأديب المزي فخرنا به :

منذ عامين طوى الموت علما من أعلام
الأزهر هو الشاعر المرحوم محمد الأسمر ، وفي
هذا الشهر (شهر رمضان المبارك) مضى إلى
جوار ربه عالم من علماء الأزهر ، وأديب من
صفوة أدبائه ، وشاعر رائع الديباجة ، يجترى
الأسلوب ، هو أستاذنا المرحوم الشيخ عبد
الجواد رمضان .

الشاعر المبدع والكاتب الممت
مع والأروع الأزهر

الإسلام بالنسبة لأديان التوحيد الأخرى ،
وأن محمداً عليه الصلاة والسلام نهى عن
إرغام موحد على اعتناق الإسلام ، وحى
الأديرة المسيحية ، وكان ذلك غاية في النبيل
اتبعها بعض الحكام المسلمين مثل السلطان
سليمان وصالح الدين .

وختم الكاتب مقاله بقوله : إن هذا كله يبين
إلى أى مدى يستطيع المسيحيون الأوروبيون
أن يؤثروا فى الإسلام لكي يتحول بنفوذ
لصالح الغرب فى معركة الشرق والغرب ؟

(بقية المنشور فى صفحة ٩١٤)

النظر فى علاقة الأوروبيين بالمسلمين ، وخاصة
فى النواحي السياسية والقضائية التى لم تدرس
بعناية حتى الآن . والتعرف على الآثار العظيمة
التي خلفها العرب للحضارة ؛ لأن ذلك هو
السييل لإدراك قوة الكتلة العربية إدراكا
صحيحا .

وبعد أن ذكر الكاتب أن الخليفة عمر بن
الخطاب بذل جهده لإتقاذ مكتبة الإسكندرية
بينما عمد الصليبيون إلى حرق ما تبقى منها - قال
إن الأوروبيين يحاولون دائما إخفاء تسامح

الكتب السماوية

أرسل إلينا الأستاذ السيد كامل أحمد حسين كتاباً يقول فيه :

تعددت الآيات بالقرآن المجيد في عدد من السور بالقول عن الكتب التي أنزلت على الرسل ويدعوننا الإسلام بالإيمان بها ونحن لانعلم إلا الكتب التي أنزلت على موسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم . فما هي الكتب التي أنزلت على إدريس وعلى نوح وعلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ودود وسليمان عليهم وعلى رسولنا أذكى الصلاة والسلام وأين نجد هذه الكتب ؟

والقرآن ينص على كتب أنزلت على هؤلاء من ذكر الله وربما على غيرهم ممن لم يذكرهم الله ، غير أننا لانعلم لا بالتاريخ ولا بالنقل عن السلف كنه هذه الكتب وبما أن الدين الإسلامي يدعونا أن نؤمن بها فوجب علينا معرفتها ، وقد جئت بهذا إليكم رجاء توضيح هذا الأمر لنا أو السماح لأحد العلماء أن يكتب عنها وليبينها لنا وخاصة أن كتب التفسير المتداولة بيننا لم تخط شيئاً عنها . وبهذه المناسبة فكل كتب الديانات بالهند والصين واليابان وغيرها هي من بين هذه الكتب أو هي من بين الكتب التي لم يذكر الله أصحابها

عليه ما لم يعرف وقف عند علمه ، ولم أره على كثرة ما قرأت له ، وطول ماسمعت منه ادعى رأياً ليس له ، أو تعرض لفكرة دون أن ينوه بصاحبها .

وكان كاتباً حسن الترسل ، متخير الالفاظ ، معنياً أشد العناية بجزالة اللفظ ، وخفولة الكلمة ، وكان واضح الحجّة ، قوى البيان ، عف اللسان .

وكان شاعراً ، أنيق الشعر ، نبيل العواطف مع خلق جميل ، وتواضع جم ، تجالسه ، أو تسايه ، أو ترأسه فلا يشعر أنك أستاذ كبير وربما كنت كأصغر أبنائه ، ولكنه يشعر أنك كأكبر أصدقائه .

ولم يكن يحرص على الشهرة ، لذلك لم يجمع منشأته في كتاب ، ولا شعره في ديوان . وقد لزم بيته في السنين الأخيرة يقرأ القرآن ، أو يطالع في كتب التفاسير ، فإذا ذهبت إليه تزوره تلقاك بالبشر ، وغمرك بالأنس ، وجرى معك في شؤون السياسة والأدب والعلم ، يطالعك بالرأى السديد ، والفهم الثاقب ، والنظر البعيد .

رحمه الله رحمة واسعة كفاء ما قدم للإسلام وللعلم وللأدب وللأزهر من جليل الخدمات .

على العمري

من التوراة فيها هدى ونور ، وأوضح لنا أن التوراة أول كتاب أنزل ، وأنه كتاب موسى عليه السلام « ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى : بصائر للناس ، وهدى ورحمة لعلمهم يتذكرون ، وصرحت الآيات بأن التوراة ظلت كتابا يتوارثه الأنبياء المرسلون من بنى إسرائيل « يحكم بها النبيون ، الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله - التوراة - الآية » ولم يذكر في جانب التوراة أنها جاءت مصدقة لما بين يديها كما ذكر في جانب غيرها بعد .

٣ - ثم بين القرآن أن الإنجيل كان الكتاب التالى للتوراة وقد أنزل على عيسى عليه السلام بعد أحقاب من إنزال التوراة على موسى « ثم قفينا على آثارهم برسلنا ، وقفينا بعيسى بن مريم ، وآتيناه الإنجيل ، وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة ، وآتيناه الإنجيل ، فيه هدى ، ونور ، ومصدق لما بين يديه من التوراة ، وهدى وموعظة للبتقين » ففي جملتين من هذه الآية يتكرر وصف الإنجيل بأنه مصدق لما بين يديه - يعنى لما سبقه من الكتب ويصرح فيها بأن ما سبقه هو التوراة .

٤ - ثم ذكر القرآن كتابا ثالثا أنزل على رسول الله داود عليه السلام « وآتيناه داود

من الرسل الذين لم يذكرهم الله ؟ نرجو بياناً شافياً تأييداً لما هو مطلوب منا بالإيمان بها والسلام عليكم ورحمة الله ؟

فصل في أصول الدين

الجزية - شارع الربيع الجيزى

وقد أجاب صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد اللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء عن سؤاله بقوله :

١ - للقرآن الكريم عناية مشهودة بذكر الكتب السماوية ، وبالدعوة إلى الإيمان بها عامة وتسجيل الكفر على من تشكك أو شكك غيره فيها أو فى بعضها ، وقد وصف الله الإيمان الحق فيما ذكره من مناقب الرسول والمؤمنين الصادقين بقوله تعالى .

« آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه ، والمؤمنون : كل آمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ورسله - الآية » ووصفه بمثل ذلك فى حديث جبريل فى صورة إنسان ثم وجه إلى النبي أسئلة ، منها : وما الإيمان ؟ فقال النبي : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وأن تؤمن بالقدر خيره وشره الخ .

٢ - ومع أن القرآن حافل بالآيات فى ذكر هاتيك الكتب فإنه لم يذكر منها بالتفصيل غير ثلاثة : التوراة ، « إنا أنزلنا

وملائكته الخ وبين القرآن مخالفة، بل هي هي، أو الدين كله قائم على تلك الأصول، وكله إسلام فقط - إن الدين عند الله الإسلام - وتسمية الدين بأسماء غير هذا إنما هو من الناس بعد أن غيروا أو بدلوا، وتعصبوا، وتنازعوا، «إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم»، «ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه» فكلمة يهودية، أو نصرانية من قبيل التحزب، والانتقام.

وفي ذكر الكتب السماوية والدعوة إلى الإيمان بها تصديق للأنبياء والمرسلين من قبل «لا تفرق بين أحد من رسله».

وكذلك في ذكرها، وفي التصديق بها نبذ لجهود منكريها، وترفع عن مجاراتهم فيما كانوا يهرفون به من قولهم «ما أنزل الله على بشر من شيء».

هذا: وليس بلازم أن يكون لكل رسول كتاب. كما توهم البعض، بل كانت دعوة الرسل الأولين مبنية على الوحي. ومستمدة منه، ومؤيدة بالمعجزات، فمن الناس من آمن واهتدى، ومنهم من ضل وغوى، وكانت لله سنة فيهم بمهلهم حيناً، ثم يأخذ كلا بذنبه، حتى تقدمت الإنسانية نوعاً، وتطورت الحياة شيئاً فشيئاً أذن الله سبحانه أن ينزل التوراة على عبده موسى كما سبق، الخ.

أما الكتب الأخرى التي يزعمونها كتب دين في بلاد الهند، أو الصين، أو سواهما،

زبوراً، وكان كتاب داود - كما قال العلماء - كتاب تهذيب ووعظ، لا كتاب تشريع الأحكام، ولم يكن لرسل آخرين كما كانت التوراة، ولا كان ناسخاً لكتب سواه كما كان الإنجيل، ثم القرآن.

هـ - أما القرآن فهو كتاب محمد خاتم الأنبياء والرسل، وهو رابع الكتب السماوية وليس بعده أولاً غير هذه الأربعة كتب سماوية، ولو كانت لذكرها القرآن غالباً، كما ذكر هذه الثلاثة.

وفي صدد القرآن نفسه ذكر غير مرة بأنه مصدق لما بين يديه - يعني لما سبقه، وقد عرفنا أن ما سبقه هو الكتب الثلاثة - وأنزلنا إليك - يريد محمداً - الكتاب بالحق، مصدقاً لما بين يديه من الكتاب - يريد الكتب - ومهيئاً عليه، فاحكم بينهم بما أنزل الله، ولا تتبع أهواءهم الآن.

والمراد من الإيمان بالكتب الاعتزاز بها، وبأنها حق من عند الله دون تبديل فيها، أو تحريف منها، إذ المفروض فيها أنها كانت في أمم خلت قبل القرآن، وأنها لم تكن تعرضت لما يشوبها من مساس المحرفين... فنحن نؤمن بها على هذا الوصف كما تحدث عنها القرآن، وكما ذكرت لنا على لسان محمد - صلوات الله عليه وليس بين هذه الكتب فيما جاءت به من أصول الإيمان بالله

جراًتكم على نسبة ذلك إلى ، فذكرتم أقوالاً في التفسير لآيات الله غير ثابتة ، وذهبتم مذهب الجهمية في الإيمان ، وأنه تصديق القلب ولم تذكروا بقية الأركان . وذكرتم مسألة الغلو ولم تسلكوا فيها مسلك أهل الحق . وذكرتم التوسل بالذوات وهذا غير صحيح ، فإن التوسل الصحيح لا يكون إلا بالأعمال الصالحات . وذهب بكم الغلو إلى أن ذكرتم خروج اليد الشريفة لأحمد الرفاعي وخروج الصوت من القبر الشريف في حجة ثانية . ثم ختمتم الكتاب بطريقة النقشبندية وذكرتم كيفية الذكر عندهم والرابطة الشريكة إلى غير ذلك مما أعرضنا عن ذكره ؛ لأن المقصود إعلان إنكارنا نسبة طبع هذا الكتاب إلينا ، بل نحن نبرأ إلى الله من هذا الذي ذكرنا وأمثاله ، فلا يحل لك أن تبعث إلينا منه شيئاً ولا توزعه باسمنا . والسلام ؟

على بن عبد الله آل ثاني

حاكم قطر

الجمعة الأخيرة من شهر رمضان

أدى السيد الرئيس جمال عبدالناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة فريضة الجمعة الأخيرة من شهر رمضان في الجامع الأزهر الشريف وبصحبه : السادة الوزراء المركزيون والتنفيذيون ، وكبار العلماء ، وقد ضاق

فإنها كتب موضوعه من عمل الناس ، ومهما صادف الناس فيها من عبارات معجبة ، أو أفكار ناضجة فإنما هذه نفحات عقلية لا ترقى بها إلى احتسابها كتباً سماوية من عند الله وما كان من عند الله فهو الحق ، والحق أحق أن يتبع ، وليس بعد الحق إلا الضلال ، هكذا أنزل الله على خاتم رسله ، وأنزل عليه « وما أنت بهادي العمى عن ضلالتهم ، إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون » .

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

إلى الشيخ أحمد الامام الغداني

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ! فقد وصل إلى كتابكم ومعه نسختان من كتابكم المسمى « سؤدد الإسلام باتباع سيد الأنام » وذكرتم بخطابكم أنه طبع على شرف صاحب السمو الشيخ على آل ثاني حاكم قطر . وحيث أنكم نسبتم طبعه إلى قبل موافقتي وعرضه على . فهذا عمل غير صواب وخلاف الأمانة الدينية . فإنني رجل سلفي العقيدة صحيح المذهب ، فلا أعتقد ضلالات الجهمية وطرائق الصوفية المبتدعة ، ولا أسلك مسالك القبورية دعاة الأموات . وكتابكم اشتمل على جميع هذه الضلالات والجهالات . وعجبت من

ونحن الآن في يوم الجمعة الأخيرة من شهر رمضان المبارك ، وهى الجمعة التى درج عامة المسلمين على تسميتها بالجمعة اليتيمة لأن مثلها لا يعود فى رمضان ، ونحن الآن فى نفحات الذكرى العاطرة والالتماس لليلة القدر التى وصفها القرآن المجيد بأنها خير من ألف شهر وفى هذا اليوم المشهود المجموع له الناس ، ومن جوف هذا المسجد الكبير العتيق « الجامع الأزهر » الذى طاول القرون وصحب الأحداث ، والذى طالما انبعثت من داخله خلال العصور المتوالية والقرون المتعاقبة صيحات التحرير والانطلاق ، ودعوات الحق والخير والبر ... نتوجه إلى الله العلى الأعلى بقلوب تلتبس دواءها وغذاءها فى هدى القرآن ، ونفوس تجد تزكيتها وتعليتها فى شرعة الإسلام ؛ وعزائم تستضعف نفسها إذا انفردت وحدها ، وتعتز كل الاعزاز إذا وثقت صلتها ورباطتها بالله سبحانه وتعالى « والله العزة ورسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » ... نتوجه إلى الله مولانا وخالقنا أن يبارك لهذه الأمة فى وحدتها وأن يؤيدها فى كفاحها ونضالها من أجل جمع الكلمة وتأليف القلوب ، وأن يؤيد بعونه ونصره حريتها وكرامتها وغلبتها على كل من يريد بها كيدا ، أو يضمحلها حقداً أو يترصص بها الدوائر وأن يقهر بسلطانه الذين يلحدون فى آيات الله

الأزهر على سعتة بالآلاف التى سعت للصلاة وسماع الخطبة ، كما امتلأت الشوارع فى طريق موكب الرئيس بألوف من أبناء الشعب يهتفون للرئيس ويحيونه .

وقد ألقى فضيلة الأستاذ أحمد الشرباصى خطبة الجمعة ، وكان موضوعها « فى سبيل الحق » وقد تحدث فيها عن المكانة السامية للعقيدة التى يؤمن بها الإنسان ، وأن المبادئ تكون عديمة القيمة إذا لم يصاحبها كفاح موصول لتطبيقها وتحقيقها ، وأن تاريخ الأمة المساة حافل بشواهد النضال من أجل عقيدة الإيمان وضرب عدة أمثلة على ذلك ، ثم تحدث عن جهاد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكيف قضى حياته مناضلا فى سبيل المسلة الغراء والدعوة السمحة التى كلفه الله بها ليخرج الناس عن طريقتها من الظلمات إلى النور .

ثم قال إننا الآن فى مرحلة فاصلة من مراحل جهادنا ونضالنا ، ولذلك نحتاج إلى تكتل العزائم وتضافر القوى وتلاقى الأيدي كلها على إعزاز العقيدة ونصرة الوطن ومقاومة الذين يريدون لنا أن نكفر بربنا وقرآنا وموارثنا الدينية ، لأنهم لا يريدون لنا بذلك إلا الضلال والخسران .

ثم قال نحن الآن فى اليوم الخامس والعشرين من شهر رمضان الجليل العظيم ، شهر الصيام والقيام ، وشهر القرآن والفرقان

وعينية . فهل ورد مثل هذا الاستعمال عن العرب وهل تميزه القواعد ؟ أرجو الجواب على صفحات مجلة الأزهر .
والسلام عليكم ورحمة الله ؟

على محمد عثمان

مدرس

(المجلة) تصغير بيضة على بويضة مسموع عن العرب وعلى هذا السماع أجاز الكوفيون في كل مصغر فيه ياء ان متعاقبتان أن تقلب الياء الأولى منهما واوا فيقولون في تصغير شيخ : شويخ وفي بيت : بويت ، وفي عين : عوينة كما قال العرب في بيضة : بويضة . نص على ذلك الأشموني على الألفية عند شرحه قول ابن مالك (وردد لأصل ثانيا لنا قلب) .

تصويب في الجزء السادس

في السطر ١٥ من العمود الثاني ص ٧٨٩ ، ومن بعض النسخ التي تم طبعها في البداية ، سقطت أداه الاستثناء « إلا » من الآية الكريمة « قل يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله » فلزم التنويه لأهمية هذا التصويب والله الهادي إلى الصواب .

١ — ص

أو يتجرأون على حرمان الله ، أو يسعون في الأرض بالفساد ليهلكوا الحرث والنسل والله لا يحب الفساد . ثم دعا الأستاذ الشرباصي أن يوفق الله ولاية المسلمين للعمل بكتاب الله وسنة رسوله ، وأن يوفق ولاية الأمور لما فيه رضا الله ولما فيه خير البلاد والعباد . ثم أم المصلين بعد ذلك ، وانصرف السيد رئيس الجمهورية من الجامع الأزهر عقب الصلاة بمثل ما استقبل به من تحية وحفاوة .
أ — ش

المصحف المرتل

قدم السيد الأستاذ لبيب السعيد رئيس جمعية المحافظة على القرآن الكريم اقتراحا إلى فضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر يتخلص في أن يسجل القرآن الكريم تسجيلا صوتيا مجردا ، وذلك ليتمكن المسلم العادي من تلاوة آي الذكر الحكيم تلاوة مجردة في سهولة ويسر ، ومعنى الترتيل المرسل القراءة على نحو ما يكون في الصلاة . وقد أبدى فضيلة الأستاذ الأكبر ارتياحه ورضاه عن هذه الفكرة لأنها طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة من بعده .

بويضة أو ببيضة

السيد الأستاذ رئيس التحرير :

يصغر بعض الكتاب والعلماء بيضة على بويضة وعينا على عوينة والقياس ببيضة

الكتاب

نقد وتعرّف

محمد : الرسالة والرسول

للدكتور نظمي لوقا

المؤستاذ محمد عبد الله السمان

وصنفوا المؤلفات فيه ، والإسلام مع ذلك
رحب الأفق ، لا يحقد على من ينالون منه ، ولا
يتملكه الغرور لآراء من يرفعونه إلى القمة ،

ولا نطن أيضاً أن الدكتور نظمي
قد كتب هذا الكتاب من قبيل المجاملة ،
إذ ليس هناك ما يدعو إليها ، فهو مجموعة
من الآراء الناضجة والأفكار الواعية التي
تفاعلت في ذهنه وأعماق نفسه سنين عددا .

تحدث الدكتور إجمالاً أولاً - عن الأديان
الكتابية الثلاثة : اليهودية ، والمسيحية
والإسلام ، وقال عن اليهودية : وإن كانت
دين توحيد وتزيه ، بيد أنه اختص به شعب
معين دون سائر الشعوب ، فهو إذن ليس
الدين الذي يهتدى به الناس كافة ، ويجدون
فيه شبع حاجاتهم الفطرية إلى العقيدة . .

ثم تحدث عن المسيحية : وأنها دين القلب
الإنساني - والحياة الدنيا برمتها لم تدخل له

هذا كتاب جديد للدكتور نظمي لوقا ،
جديد من حيث الزمن والموضوع ، ونحن
نعرضه ونناقشه على صفحات مجلة الأزهر ،
لا من قبيل المجاملة لأن المؤلف مسيحي . .
والموضوع إسلامي بحث . . بل من قبيل
الإنصاف الأدبي لمادة الكتاب ، فالإسلام
قبل كل شيء عقيدة وفكرة ، والعقيدة
والفكرة إنما يلزمهما - ما عاشتا - الدراسة
والبحث لكل من توهله ثقافته واستعداده
لتكثيف القيم التي تنبثق منهما . ولا نطن أن
عقيدة الإسلام وفكرته بضاعة مكتكرة لصنف
من الناس ، فأعظم الناس ثقافة من علماء
الغرب قد عنوا في دراساتهم بالإسلام ،

الواحد . . جوهر واحد له ثلاثة أقانيم ، إلا أنه لم يرد على لسان المسيح في أقواله الواردة في بشارات حواريه ، كما لم يرد ذكر النبوة لله إلا على سبيل المجاز المطلق . . .

والإنسان وقف بعد اليهودية والمسيحية موقفا لم يحسد عليه كثيراً ، بسبب ما التصق به من وزر أبيه الأول آدم ، الذى اعتبر خطيئة باقية موروثه ، لا بد لها من كفارة وفداء حتى لا يذهب بحريرتها أبناء الجنس البشرى كافة ، فكان لا بد من عقيدة ترفع عن كاهل البشر هذه اللعنة ، وتطمئنهم إلى العدالة التى لا تأخذ البرى بالمجرم ، وقد حسم القرآن هذا الأمر حين أكد قبول توبة آدم ، وأنه لا تزر وازرة وزر أخرى .

وليس فى معنى النبوة الإسلامية تأليه ، وهى مسألة كانت تحتاج إلى توضيح وحسم ، وقد درجت شعوب الأرض على تأليه الملوك والأبطال . فكان الرسل أيضا معرضين لمثل ذلك الربط بينهم وبين الألوهية ، ولقد أكد القرآن بشرية الرسل ، حتى تسقط دعوى الناس فى التقصير عن الاهتداء به ؛ فلو كان يجرى عليه غير الذى يجسرى على البشر ، لكانت لبعضهم الحجة بأن استطاعتهم دون استطاعة هذا الرسول .

وفى يقين المؤلف : « أن تأييد دعوة حق يجب أن يقوم على العقل ، أما الخوارق غير

فى حساب . . لهذا بقيت فى حقبةتها بين قلة من الأفراد ميسرين لها ، وكانت نتيجتها المنطقية تلك الرهبانية المنعزلة عن الدنيا . . أما السواد من الناس فراحوا يلبسون أوثانهم الحسية وعقائدهم المادية ، ولم يستطيعوا الارتفاع إلى المستوى الروحى العالى الذى هو مضمون دعوة السيد المسيح .

وتحدث عن الإسلام الذى جاء والناس لم يزالوا بحاجة إلى عقيدة جديدة ، يجمع إليها العقل والقلب جميعا ، وتصحح ما تردوا فيه من الأخطاء فى تفهم ما سبق من عقائد ورسالات ، ولا بد أن يكون الدين الجديد عقيدة تصلح للكافة : العامة منهم والخاصة ، يشعر كل منهم أن له عقيدة يطمئن إليها ، وهى رباطه بالدنيا . . وبالأخرة ، بالله . . والإنسان ، فالناس أمة واحدة فى هذا الدين الجديد . . وهذا الدين المرموق هو دين البشر ، وكان الإسلام هو الذى انبرى للنهوض برسالة هذا الدين .

ولكن كيف نهض الإسلام بهذه الرسالة ؟

يرى المؤلف : « أن القرآن لم يدع شائبة من ريب فى مسألة وحدانية الله ، وفى ذلك نقض لعقائد الشرك ، وتصحيح لعقائد أهل الكتاب ، وإذا كان أتباع المسيح قد صاروا إلى القول بألوهيته وأنه ابن الله ، وأنه الإله

وأن كل ما التصق بالمسيحية بعد ذلك كان من عمل تابعيه . إذ لم يرد في نصوص أقواله ما يرر قيام الكهنوت ، ومن أسف أن الفكرة الدينية السابقة على المسيح استطاعت أن تتسلل إلى تعاليم المسيح وتسبغ عليها طوقسها واحترافها الدين وقوامتها على العقيدة ، وكانت نكبة وخيمة ، وكان لابد من مقيل لها يرد البشر إلى سواء السبيل .

وفي أوائل صفحات هذا الكتاب رد المؤلف ودحض محاولة الشك في نبوة محمد : « فمن اعترف بوحي من السماء إلى رسول من البشر لزمته الحجة ألا ينكر نزول الوحي على محمد من حيث المبدأ . ولا يتبقى بعد سقوط الاعتراض على الوحي من حيث المبدأ إلا النظر في مضمون ذلك الوحي ، فإن كان هذا المضمون حاويا آية صدقه في ذاته ، وليس فيه ما ينقض طمأنينة العقل أو يريها فلامفر من الإقرار بصدقه . . »

وتسامل بعد ذلك : هل تتكرر تلك النبوة على ذلك الأسلوب ؟ وأجاب : لاحاجة للبشرية بذلك التكرير ، فإن طور الأسلوب العقلي المجرد هو آخر أطوار البشرية ، لقد تمت فكرة التوحيد ، وتم خطاب العقل ، وتم البلاغ إلى الناس كافة ، وتمت كرامة الإنسان وصلته بربه ، وبدنياء ، وتركت لهم مصالحهم المرسلة يعالجونها على هذا الأساس حسبما

الطبيعية فسألة لاستاغ إلا في حالات انحطاط العقل البشرى ، وهذه قرينة على أن دعوة الإسلام جاءت موافقة للطور الطبيعي للبشرية تاريخيا ونضوجا ورشدا ، لأنها أتت إلى الهداية بأسلوب عقلي صرف يحترم نظرته وبدايته . وقد استشهد المؤلف بكلام للإمام محمد عبده في كتابه : الإسلام والنصرانية ، جاء فيه : إن الإسلام في هذه الدعوة لا يعتمد على شيء سوى الدليل العقلي والفكر الإنساني الذي يجرى على نظامه الفطرى . فلا يدهشك بخارق العادة ، ولا يغشى بصرك بأطوار غير معتادة . . »

والإسلام لا يلغى العقل ولا يجمد المادة ، ولكنه يضعهما في حدودهما ، فهما بغير القيمة الروحية لا يجديان الإنسان قتيلا ، وإن التقدم المادى بغير السمو الروحى عمى مطبق ، وإيس التنظيم الإسلامى لأمر الدنيا بنظام مقفل جامد ، بل هو التنظيم الجوهري الذى لبابه قول صاحب الرسالة الكريم : « لا ضرر . . ولا ضار . . »

وقد أثار الكاتب قضية الكهانة التى ألغاهها الإسلام تماما ، ويعتقد أن المسيح أعلن الحرب على مظهريات اليهودية ، وهدم شكائيات الطقوس ، ونادى بعبادة الضمير النقي - ولقد نقض الكهانة لأنها تناقض عبادة الضمير والصلة الخاصة المباشرة بين الإنسان والله ،

للقارىء أن المعلومات التي أثارها المؤلف سطحية ، ولكنه قد يدرك - لو تمنع - أن المؤلف قد ألقى عليها ضوءا من التحليل المنطقي ألبسها ثوبا من الجدة ، والمؤلف أيضا في بحثه كان ذا شجاعة أدبية حين تعرض لأصول من عقيدته التي ينتمى إليها ، لأن الأداة التي استعملها في صياغة هذا البحث كانت العقل والمنطق دون سواهما ، والعقائد السليمة لا يضيرها أن ترد إلى الحقائق التي قامت عليها ، وإنما يضرها الأثواب الزائفة التي يفرضها عليها جمود العقل وضيق الأفق ، وللكتاب بعد ذلك تقديره من الناحية الفنية والمجهود الأدبي الذي بذل من أجله .. !

محمد عبد الله السمان

الشاعر البائس عبد الحميد الديب

تأليف الدكتور عبد الرحمن عثمان

دراسة تحليلية للشاعر الشعبي عبد الحميد الديب كتبها أستاذ من أساتذة الأدب خالطه طويلا وبلاه كثيرا فوقف على خفي أسرارته ، ودرس دقائق حياته ، وروى جملة شعره ، وصوره للقارىء في مبادئه ومصادره ومغامراته ونزواته وعلاقاته مستعينا على جلاء الصورة بذكر القصيدة وما لابسها من الظروف التي قيلت فيها والأحوال التي دعت إليها وكل ذلك بقلم سلس ومنطق سليم وتشويق جذاب .

يستجسد لهم من الأمور ، فكل رسالة بعد ذلك قول معاد .. »

وفي معرض الحديث عن الوحي المحمدي ذكر المؤلف : أنه لم يطلب من رسول قبل محمد برهانا عيانيا على وحيه ، كي يطالب به محمد . « ولست أدري كيف فات المؤلف هذا ، فالواقع أن كل رسالة سماوية كان لها معارضون طالبوا بالبراهين العيانة كدليل على صدق نبوتهم ، لا سيما طه عهدي موسى وعيسى ، ومحمد نفسه طلب المعارضين لدعوته الآيات المادية مرارا : « وقالوا إن تؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا ، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ، وإن تؤمن لرقيق حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ، قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا . » وإن كان الله قد استجاب في غير رسالة محمد للمعارضين ، إلا أنه لم يستجب في رسالة محمد لهم ، لأن البشر كان قد وصل إلى طور الأسلوب العقلي المجرد ، ولذا وجب أن يكون العقل أساسا في الإيمان لا سيما وأن الخوارق لم تكن من قبل سبيلا للإيمان : وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون . وبعد - فهذا عرض سريع ، وقد يخيل

وقد كبر المؤلف كتابه على تسعة فصول ،
تحدث في الفصل الأول منها عن نشأة الشاعر
وأثرها في شخصيته وفنه ، وفي الثاني عن بدء
الحنّة التي أصابت الشاعر وتأثيرها فيه ،
وفي الثالث عن مشكلات الشاعر ومغامراته ،
وفي الرابع عن ثورته وحققه ، وفي الخامس
عن فكاهاته وأهاجيه ، وفي السادس عن
زواجه وما عاناه من كرار البيت ، وفي الثامن
عن حياته في الوظيفة ، وفي التاسع عن جملة
الرأى في أمر الديب .

والكتاب مصدر بمقدمة وجيزة للأستاذ
أحمد حسن الزيات أجمل فيها رأيه في
عبد الحميد الديب وفي الكتاب ننشرها فيما يلي :

* * *

كان الشاعر عبد الحميد الديب - غفر الله له -
نمطا وحده في شعراء العصر ، كان ظهوره
رجعة إلى نوع انقرض من الشعراء الهجائيين
المستهترين المسكينين الذين لم تهيمهم طبائعهم
للعمل الكاسب فأخلدوا إلى التبطّل ، وحملوا
عجزهم وعوزهم على لؤم الناس وظلم القدر ،
من أمثال أبي الشمقمق الذي يقول :

إن العيال تركتهم
بالمصر خبزهم الغضارة
وشرابهم بول الحار
مزاجه بول الحمار
ويقول :

ولقد أهزلت حتى
محت الشمس خيالي

ولقد أفلست حتى
حل أكلى لعيالى
من رأى شيئا محالا
فأنا عين المحال
وأبى فرعون الذى يقول :

وصية مثل فراخ الذر
سود الوجوه كسواد القدر
عاد الشتاء وهم بشر
بغير قص وبغير أزر

حتى إذا لاح عمود الفجر
وجاءنى الصبح غمدوت أسرى
وبعضهم ملتصق بصدري
وبعضهم منحجر بحجري
أسبقهم إلى أصول الجسدر

هكذا جميع قصتي وأمرى
أنا أبو الفقر وأم الفقر

وهؤلاء المقاليك المجان الذين جعلوا الشعر
وسيلة إلى العيش بالهجاء الفاحص ، والمدح
المكذوب ، والشكوى المستمرة ، كانوا
طبعيين فى المجتمع العربى القديم الذى كان
يفهم الشعر على هذا النحو . فلما ذهب بقايا
هذا النوع بذهاب خليل نظير ، وإمام العبد ،
وأحمد فؤاد وأضرابهم ، وأصبح للشعر فى
الأدب الحديث مفهوم آخر وأغراض أخرى ،
كان شعر الديب شذوذا فى نسق مطرد ،

المظلوم ، والزجرة عن الساخط ، ولم يفهم الشعر على أنه فن يلذ أو رسالة تؤدي ، وإنما فهمه على أنه سلاح يحصى ، أو شخص يصيد . وكان منشأ ذلك الفهم القديم للشعر الحديث أنه كان كأكثر الشعراء القدماء لم يعرف الحياة على أنها جدوك ، وإنما عرفها على أنها لهُو وصعلكة ؛ ولذلك قضى حياته البوهيمية البهيمية شهوان لا يناسم إلا على المسكر والمخدر ، ولا يتيقظ إلا على الجوع والظما .

ولعل حظ العاثر المتخلف لم ينهض به في حياته وبعد ماته إلا مرة واحدة ، تلك المرة هي التي أتاح له فيها قلم صديقه الدكتور عبد الرحمن عثمان ، فخلد ذكره بهذا الكتاب القيم ، ذلك الكتاب الذي لم يظفر بمثله شوقي ولا حافظ .

رسم الكاتب فيه صورة الديب فأقام هيكلها من شعره ، ثم جعل فيها اللون والظل والبروز مما عرف من سيرته ، واكتنه من سيرته ، وكشف من أموره ، فجاءت الصورة واضحة الملامح ، بيّنة الحدود ، واقعية الدلالة ، يترجم عنها بيان مشرق ، ويدل عليها منطق صائب . فإذا تأملت هذه الصورة أو قرأت هذا الكتاب بدالك الديب عريان على الفطرة بعجره وبحره ، بناه ، وقرمه ، بعوائه وجولانه ، بسرّه وعلمه ، وذلك غاية ما ترجمه من كاتب يكتب للتاريخ ، ومن كتاب يترجم لشاعر .

ونشوزا في نغم مؤتلف ، ولكنه كان ككل شاذ وكل غريب متجه الأنظار ومضطرب الألسن .

ذلك إلى أنه كان يجري على أسلوب الخطيئة وابن الرومي في قوة الهجاء ، وعلى أسلوب ابن حجاج وابن سُكرة في خش المجنون ، وكان يختلف عن هؤلاء جميعا بألوان من الصور والتشابه انتزعها من بيئته ، ونقلها عن واقعه .

نشأ الديب في أسرته الصغيرة الفقيرة كالنبذة البرية في الرملة الجافة ، لا يسكنها أصل راسخ ، ولا يسند لها جذع قوى ، ثم عاشت على علالة الجذب وبلالة الندى فاخضرت من غير نصارة ، وأشوكت من غير زهر ، وظلت في العراء تقاسي السموم والقيظ ، وتكابد السغوب والظما ، حتى اقتلعتها الريح وألقت بها هشيا في أخدود من أخاديد الأرض .

قست الطبيعة على الديب فلم تزوده بما تزود به الحى الكامل العامل بالكفاية الكافية لا بتقاء العيش السائغ الهنيء ، فكان رغبة جامحة لا تحققها قدرة ، وشهوة عارمة لا تضبطها إرادة ، ورأى نعم الله تفيض من حوله على من يراهم مثله أو دونه ، وليس له منها مورد ولا فضل ، فأطال لسانه الحقد ، ورفع عبقريته الجوع ، وألهب شعوره الألم ، وأمض نفسه الحرمان ، فصدر عنه شعره كما يصدر الأنين عن المجروح ، والصراخ عن

الإسلام والمسلمون في صحف العالم

للأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف

الشيوعية والإسلام

زعيم المسلمين في لامبور تأييده لهذه الدعوة المباركة ، وقال إن خطر الشيوعية لا يمكن السكوت عليه ، وفي سنغافورة قال الزعيم الإسلامي حاجي على معقباً على دعوة الشيخ الأكبر : إذا تعرض الإسلام للخطر من جانب الشيوعية ، فإن شعوب العالم أجمع - لاشعب سنغافورة وحده - ستهب لتلحق بها الهزيمة .

وفي الحق أن الشيوعية ليست بخطـر على الإسلام وحده ، بل إنها خطر على كل دين ومعتقد في العالم فالشيوعيون يصرحون جهاراً نهاراً بأن الأديان كلها ليست إلا خرافات وأساطير ورجعية ، ويقول : كارل ماركس في كتابه « رأس المال » إن وجود الله ماهو إلا انعكاس خيالي لضعف الإنسان أمام الطبيعة ، وقد وصف زعيمهم « لينين » الدين بأنه أفيون الشعوب ، وفي عام ١٩٤٩ نشرت مجلة « العلم والحياة » مقالا للستول عن الدعاية الروسية قال فيه : « إن الشيوعية والدين يتعارضان ولا يمكن أن يتفقا » .

كان موقف الشيوعية من الإسلام هو الموضوع الرئيسي في جميع صحف العالم طوال الأسابيع الماضية وكانت أحاديث المعلقين السياسيين كلها تدور حول موقف الإسلام بعد تلك الشنائع التي اقترفها عملاء موسكو في العراق الشقيق من انتهاك للحرمة المقدسة ، وإهدار لجميع القيم التي شرعها الإسلام لصيانة الكرامة الإنسانية .

ولقد كان الجواب واضحاً عن هذا التساؤل في ذلك النداء التاريخي الذي وجهه فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر إلى العالم الإسلامي بإعلان الكفاح المقدس ضد الشيوعية المخربة وضد الإرهاب الذي تفرضه لامتهان الجنس البشري وقد وجد هذا البيان الجريء صدهاء في العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه ، فأعلنت جميع الطبقات الإسلامية في سائر الأقطار والأمصار استجابتها لدعوة شيخ الإسلام والمسلمين ومن الملايو أعلن حاجي أرشد

للجيل الجديد بأن يعرف شيئاً عن الإسلام ، حتى لا يبقى للإسلام ذكر في تلك البلاد . إن الشر قد يأتي بالخير ، فلعل ما صنعه الشيوعيون في العراق قد جاء إنذاراً للمسلمين حتى يتدبروا موقفهم إزاء هذا الخطر ، ولعل في هذا عظة ترفع الغشاوة عن عيون بعض المخدوعين الذين كانوا يحسنون الظن بعدالة ماركس ومساواة لينين .

المسلمون في مالديف :

تحدثت الصحف في الأيام الأخيرة حديثاً مقتضياً عن ثورة قائمة بين الاستعمار البريطاني والمسلمين في جزر مالديف .

وجزر مالديف جزر صغيرة متناثرة في جنوب الهند وسيلان ، وتبعد عنها بما يقرب من خمسمائة ميل ، ويبلغ عددها مائتي جزيرة ، ويسكنها حوالى ٨٥ ألف نسمة كلهم يدينون بالإسلام ، ويعيشون من الصيد ، ورئيسهم الدستورى هو السلطان ، ويحكمهم مجلس من ٦٥ عضواً ينتخبون كل خمس سنوات . وكان سكان مالديف يعيشون عيشة هادئة آمنة ، قانعين بحياتهم البسيطة ، وبرزقهم من البحر ، فلما قررت سيلان تصفية القاعدة البريطانية فيها . قرر الاستعماريون البريطانيون بناء قاعدة حربية في جزر مالديف لصيانة مصالحهم في تلك المنطقة .

وعاد الاستعماريون يفتشون في دفاترهم

والشيوعيون بعد هذا يتعمدون الإسلام بحملة أشد وأقصى ؛ لأنهم يعرفون أن الإسلام بما فيه من تعاليم اشتراكية ، ومن مبادئ تزيل الفوارق المادية بين الطبقات ، وتربط حياة المجتمع الإنسانى برباط متين من الإخاء والعدالة والمساواة والمودة والمحبة ، إنما تقف سداً منيعاً أمام الشيوعية وأغراضها ، وأمام تلك الشعارات التى يتاجر بها الشيوعيون ، ويحاولون أن يخدعوا بها بعض البسطاء والحاquدين عن جهل من نقابات المجتمعات البشرية ، ولهذا نراهم يركزون دعاية قوية ضد الإسلام والمسلمين لعلهم أن يحطموا ذلك الطود الذى يقف فى سبيل أطعامهم وأغراضهم ومبادئهم .

ونحن لا يمكن أبداً أن ننسى ما صنعه وما تصنعه الشيوعية مع حوالى ثلاثين مليوناً من المسلمين شامت الأقدار أن يعيشوا في جحيم الاتحاد السوفيتى ، فأنزل بهم الشيوعيون الولايات ، وأذاقوهم من الهوان والعذاب ما لا يتحمله ضمير إنسانى أو وجدان مهذب ، ولكنها شناعات البربرية ووسائلها الهمججية ، فقد حرموا عليهم صلاة الجمعة ؛ لأنها تربطهم برباط الوحدة فى الشعور ومنعواهم من الاحتفال بعيد الأضحى ؛ لأنه يحى في موسم جنى القطن فيعطل العمال عن أعمالهم ، وصيروا المساجد إلى آثار تاريخية ، وهم لا يسمحون

مكانه إبراهيم ناصر رئيس الوزراء الحالي ، وطالب رئيس الوزراء الجديد مرتين بوقف العمل في إقامة القاعدة البريطانية في جزيرة جان ، ولكن المستعمرين البريطانيين مضوا في تجهيزهم وما زالوا يواصلون العمل في بناء القاعدة .

إن القاعدة البريطانية الجديدة ليست خطراً على جزر مالديف وحدها ، ولكنها كذلك تهدد بطريقة مباشرة الهند وأندونيسيا ، وجميع البلاد التي تطل على المحيط الهندي ، ثم هي خطر على آسيا كلها إذا صح ما تردد من أن البريطانيين سيزودون القاعدة بالأسلحة والمعدات الذرية ، وهذا ليس بعجيب من الاستثمار البريطاني العجيب .

والمعركة الآن قائمة : الاستثمار البريطاني سادر في تجهيزه وإرهابه ، وشعب مالديف صابر في كفاحه ونضاله بكل الوسائل التي في طاقته ، وإن من حق هذا الشعب المكافح في معركة الحرية والاستقلال على جميع المسلمين في أقطار الأرض أن ينهضوا لنصرته ، وأن يبادروا لتجديده قبل أن يقع فريسة في براثن الاستثمار البريطاني الذي لا يتورع أبداً عن التضحية بحرية الشعوب في سبيل أغراضه ومطالعه .

فهل أنتم أيها المسلمون فاعلون ؟ .

القديمة كما يقال : فزعموا أن هناك معاهدة عقدت عام ١٨٨١ م بين السلطان الذي كان يحكم جزر مالديف في ذلك الزمن وبين البريطانيين ، وعلى أساس هذه المعاهدة . زعم حاكم سيلان البريطاني أن له الحق في توجيه السياسة في جزر مالديف والإشراف عليها ، وطلب من رئيس وزراء مالديف أن يسمح ببناء قاعدة بريطانية في جزيرة جان ، وقبل أن يرد رئيس وزراء المالديف على هذا الطلب الاستعماري كانت هيئة من سلاح الطيران البريطاني قد حضرت وبدأت في العمل . وكان من الطبيعي أن يقف شعب مالديف ضد هذا العمل الاستعماري لبلادهم ، فانقض البريطانيون على الشعب الآمن في غير شفقة ولا رحمة ، وأخذوا يتعمدونه بكل وسائل الإرهاب والاضطهاد ، حتى إنهم اضطروا جميع سكان جزيرة جان ويبلغ عددهم ثمانية آلاف مسلم إلى الانتقال إلى جزيرة أخرى لإنشاء القاعدة البريطانية فيها دون أن يقدموا لهم أية مساعدة ، ودون أن يتخذوا أية ترتيبات أو احتياطات لإسكانهم في الجزيرة الجديدة .

واستمر شعب مالديف الحر في غضبته ، ولم يستسلم لأعمال الإرهاب والعسف ، ولما رأى من رئيس وزرائه الاستكانة أمام أعمال البريطانيين قرر عزله ، وعين

لو كان هناك شعور بالاسلام

لو كان هناك شعور صادق بالإسلام يعمر القلوب لم يحدث هذا أبداً ، فقد نكلت وكالات الأنباء أن تركيا وإيران وباكستان قد عقدت مع أمريكا اتفاقيات حربية ثنائية وقالت جريدة « الديلي تلغراف » البريطانية إن هذه الاتفاقيات الحربية التي وقعت في أنقرة قد حلت محل حلف بغداد ، وأعربت جريدة « دافار » الإسرائيلية عن سرورها بعقد هذه الاتفاقيات ، وقالت إنها خطوة حاسمة في تحقيق مشروع أيزنهاور ، وذكرت جريدة « هيرالد تريبون » الأمريكية أن أعضاء حلف بغداد قد أعطيت لهم ضمانات أوسع بمقتضى هذه الاتفاقيات ، وأن القوات الأردنية المسلحة ستتنضم إلى القوات المسلحة التابعة لحلف بغداد إذا اقتضى الأمر ذلك .

وإذا كان العرب قد رفضوا حلف بغداد وإذا كانوا كذلك قد رفضوا مبدأ أيزنهاور وحطموه ، فأنهم لا شك يرفضون هذه الاتفاقيات الثنائية الحربية ، ويرون فيها ما كان يتمثل في حلف بغداد وفي مبدأ أيزنهاور من خطر مباشر على كيانهم وعلى

مصالحهم ، والعرب لا شك هم قلب العالم الإسلامي ، وخط الدفاع الأول في الجبهة الإسلامية ، والدول التي وقعت هذه الاتفاقيات الحربية مع أمريكا ، هي تركيا وإيران وباكستان ، وهي لا تزال تذكر في فاتحة الدول الإسلامية ، ولا تزال تحسب في كتلة العالم الإسلامي ، فلو كان هناك شعور صادق بالإسلام عند حكام هذه الدول لما ارتضوا أبداً أن يقرتفوا هذا الجرم ، وأن يمثلوا هذا الخطر المباشر الذي يهدد إخوانهم المسلمين في العالم العربي .

نقول هذا ، ولأننا نغني بالحديث حكام تلك الدول ، لأننا نعتقد أن المسلمين في إيران وباكستان وتركيا بنحير ، وأنهم ما زالوا يعتنقون الإسلام عقيدة على أساس التداعي لأي أذى يصيب أى عضو من أعضاء الجسم الإسلامي المجيد في أرجاء آسيا وإفريقيا . وإن الروح الإسلامية في هذه الشعوب ستجعل من هذه الاتفاقيات مجرد حبر على ورق ، ويوم يجد الجسد ستظهر هذه الحقيقة واضحة للذين يدبرون ويقدرعون بعيداً عن شعوبهم ؟

محمد فراسي عبد المطلب

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة اجتماع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٤١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

يشتترك في التحرير
عبد الرحمن محمد العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدراء والطلاب تخفيض خاص

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

الجزء الحادي عشر والثاني عشر — ذو القعدة سنة ١٣٧٨ هـ — مايو سنة ١٩٥٩ م — المجلد الثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

١٢
٢٢٢٢



ديننا في محبة ووطننا في خطية

بفهم : أحمد حسن الزيات

فتح الحر من حكام العراق للشيوعية مصراعي الباب الشرقي للوطن العربي وقالوا لها : ادخلي جبهة ، ولا تسلي خفية . لقد مهدنا طريقك بالأجساد المسحوبة ، ورفعنا لواءك على المشائق المنصوبة ؛ وأظهرنا دينك على دين الله بتمزيق المصاحف في الشوارع ، وتقتيل العلماء في المساجد ، وتسليط الذهب والركب على الضمائر ، واقتراء الشبهة والأكاذيب على العتائد ؛ وجعلنا كلمتك هي العليا بالحاكم الذي لا يرعوى ، والقاضي الذي لا يستحي ، والجلاد الذي لا يكتفي ، والمدفع الذي يرش الموت ، والخنجر الذي يمج السم ، والهول الذي يخلع القلب ؛ فأعداؤك (القوميون) ، وهم تسعة أعشار الشعب ممن يؤمنون بالله ، ويخلصون للعروبة ، ويعملون للوحدة ، قد أنت عليهم ريحك العاتية فجعلتهم أبايد بين صريع في الطريق ، وطريح في السجن ، وحبيس في الدار ، ومشرذ في الفقر ، ولعلنا بهذه القرايين قد أخلصنا الدين لنبيك (لينين) الذي قال في بعض رسائله إلى مكسيم جوركي : « إن قتل ثلاثة أرباع العالم يهون في سبيل أن يصبح الربع الباقي شيوعيا ، » .

نعم يا حمر العراق ، أخلصتم الدين لآلهة النار والدمار والشر ، وأسرفتم في هذا الإخلاص حتى فعلتم بدار السلام والإسلام ما لم يفعله من قبل مزذك وبابك والمقنع وصاحب الزنج وشيخ الجبل وهولا كو حتى أوشكتم أن تجعلوا من البلاد كلها سجناً ومجزرة ! .

أحتماً بنى عمومتنا في العراق اشترىتم الشيوعية بالإسلام ، واستبدلتم الفرقة بالجماعة ، واستجرتهم لرجل من عامة الناس نفخه الشيطان وأسكره السلطان فجمع هواه بعقله جموح الفرس الحرون ، لا يسمع الصوت المهيّب ، ولا يطيع اللجام الكابح ! معاذ الله أن يصدق فيكم ما قاله الحمر عنكم من الفسوق بعد الإيمان ، فإن المؤمن لا يرتد عن دينه وهو سليم العقل . وإذا جاز الخبال على فرد فلن يجوز على أمة . وإذا كانت الحديعة قد جازت عليكم بالموازنة بين نظام ونظام ، ففعالوا نذكركم إن نسيتم أن الإسلام نظام إلهي شرعه فاطر الأرض وبارئ الخلق ومنزل الوحي دستوراً كاملاً تصالح عليه شؤون الفرد وأحوال الجماعة من كل جنس وفي كل عصر وعلى كل أرض ، يوحد الله ولا يشرك به أحدا من خلقه ؛ ويقدس الشرائع التي أنزلها الله ولا يفرق بين أحد من رسله ؛ ويؤاخى بين الناس جميعاً في الروح والعقيدة لا في الجنس والوطن ؛ ويسوى بين الإخوة في الحقوق والواجبات ، فلا يميز طبقة على طبقة ، ولا جنساً على جنس ، ولا لوناً على لون ؛ ويجعل للفقير حقاً معلوماً في مال الغنى يؤديه طوعاً أو كرهاً ليستقيم ميزان العدالة في المجتمع ؛ ويجعل الحكم شورى بين ذوى رأى ، فلا يحكم بأمره طاغ ، ولا يصر على غيه مستبد ؛ ويحرر العقل والنفس والروح ، فلا يقيّد النظر ولا يحصر الفكر ولا يقبل التقليد ولا يرضى العبودية ؛ ويأمر معتقديه بالإقسط والبر لمن خالفهم في الدين وعارضوهم في رأى ، ويوحد الدين والدنيا ، ليجعل للضمير السلطان القاهر في المعاملة ، وللايمان الأثر الفعال في السلوك .

وجملة القول فيه أنه النظام الذي يحقق الوحدة الإنسانية ، فلا يعترف بالعصية ولا بالجنسية ولا بالوطنية ، وإنما يجعل الأخوة في الإيمان ، والتفاضل بالإحسان ، والتعاون على البر والتقوى .

أما الشيوعية فليست عقيدة تقوم على الخير ، ولا طريقة تعتمد على الحق ، ولا رسالة تؤدي بالمعروف ، وإنما هي أطماع من عمل الشيطان وسوس بها في صدور جماعة من مغامرى الروس كابدوا استبداد القيصرية ، وقاسوا استعباد الارستقراطية ، فلم يكادوا

يثلون عرش المسبب . ويقوضون صرح المستعبد ، حتى أدركهم مركب النقص وأخذتهم سورة الانتقام ، فتعاسموا بينهم جبروت القياصرة وصلف الأشراف ، وسخروا كل ما تنتج العقول وتخرج المصانع وتنبت الأرض للجيش والأسلحة ليتخذوا عباد الله كلهم عبيدا ، ويجعلوا أرض الله كلها لهم ضيعة !

حزب من ستة ملايين قيصر قد أعد الحديد والنار والقلق والفزع والاضطراب والفوضى لتنفيذ هذه الخطة وبلوغ هذه الغاية ! فهل يقدر الله أن تنهزم القوى الخيرة أمام هذا الشر ، وتنحل المبادئ الصالحة أمام هذا الفساد ؟ لا يابى العمومة في العراق ، ولا إخوة العقيدة في كل قطر ، ان العقلية العربية معمرة فلا تقبل الهدم ، وإن العقيدة الإسلامية نيرة فلا ترضى الضلال ، وإن النحل الهدامة التي انتشر ظلامها حيناً في سماء العراق كانت خارجة عن الإسلام طارئة على العرب ، وإن الوطن العربي سيظل بفضل عقليته وعقيدته آمناً من كل سوء نابيا على كل فتنة .

ليس الخطر إذن من الشيوعية في أنها نظام يطاول شرع الله ، فشتان بين النور والظلام والبصر والعمى ، وإنما خطرهما في أن وسيلتهما الأولى في الدعوة بعد الإلحاد والإفساد إماتة القومية وإحياء العصية ، والعصية هي داء العرب الموروث كانت في تاريخهم الحافل بالأحداث والغير علة العلل في انحلال العقدة وانقسام الرأي وتعدد الدول . كانت هي النعرة التي قالت يوم (السقيفة) منا أمير ومنكم أمير ، وكانت هي الهامة التي خرجت من قبر عثمان وظلت تصيح على دار الخلافة : نحن هاشميون وأمويون ، نحن قيسيون ويمينيون ، نحن علويون وعباسيون ، نحن عرب وشعوبيون ، نحن اثنتان وسبعون فرقة تتقاطع في الدين وتتعادى في الدنيا ، وتزعم كل فرقة منها أنها هي الناجية ، نحن ثلاثة خلفاء في وقت واحد : عباسي على عرش بغداد ، وأموي على عرش قرطبة ، وفاطمي على عرش القاهرة ، ولكل خليفة منهم شأن يغنيه ، وعدوان مع الباغين على أخيه .

والعصية هي التي تنعق اليوم في مدن العراق تقول على السنة الفتنة الباغية : (قاسم هو الزعيم الأوحده) و (جمهورية عبد الكريم ، ما نصير أبدا إقليم) يريدون بما ينعقون أن الزعيم هو قاسم لا جمال ، وأن العراق أعظم من أن يصير إقليما ثالثا في الجمهورية العربية المتحدة كإقليم مصر وسوريا ، وحب الرياسة وشهوة الحكم هما شر أدواء العصية وبالا

وأشدّهما استفحالا في الشرق القديم والحديث ، ولو ذهبت تستقرى عوامل الشقاق والانشقاق بين العرب في جميع الأطوار والأقطار لما عدت ماركب في طباع السادة والقادة من حب الظهور ورغبة التفرد وريذة الحسد ، فإذا أردنا مخلصين أن ندفع الشيوعية عن ديننا ووطننا فلنعالج العصبية بما عالجها به الإسلام : نخفت في نفوسنا صوت الأثرة ، ونسكن في رؤوسنا عصف الهوى ، ونجدد في أذهاننا ما انطمس من معاني الإيثار والآخاء والقداء والمروءة ، ونحدد في أفهامنا ما انهم من هذه المبادئ الإسلامية الصريحة : « إنما المؤمنون أخوة » « وأمرهم شورى بينهم » « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » « المؤمن للؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » . الناس سواسية كأسنان المشط » وتلك هي المثل العليا للسلام والنظام والحكم تطلبها الشعوب المكروبة المستخرجة بالثورة بعد الثورة ، وبالحرب ، عقب الحرب ، فتحول بينها وبينها تصادم القوى وتعارض المنافع . وإذا ذهبت العصبية جاءت الوحدة كما كانت الحال في عهد الرسول وصاحبيه ، ولو أن معاوية لم يعدها لتوثيق أمره وتثبيت ملكه لظلت كلمة العرب واحدة وخلافة المسلمين جامعة ، على أن تحقيق الوحدة العربية كان عملا لم يقو عليه من قبل غير محمد ، ولن يقوى عليه من بعد غير رجل يسير على هدى محمد : يكون لغيره لا لنفسه ، ولأتمته قبل أسرته ، ولإنسانيته بعد وطنيته . تموت (أنا) في لسانه وتحيا في ضميره ، ويتحد في ذهنه وجود ذاته بوجود شعبه ، فهو يحس ألمه لأنه يجتمع شعوره ، ويدرك نقصه لأنه يجتلي عقله ، ويملك قياده لأنه مظهر إرادته ، وهو في سمو نفسه ونزاهة هواه ، يرتفع عن أوزار الناس وأقدار الأرض ، فلا يطمع لأن غرضه أبعد من الدنيا ، ولا يحقد لأن همه أرفع من العداوة ، ولا يحابي لأن فضله أوسع من العصبية ، وهو في ألمعية ذهنه وصلابة عوده وبعد همته يعظم على الأحداث ويعلو على الحوائل ، فلا ينضج رأيا إلا أمضاء ، ولا يرمى غرضاً إلا أصابه ، ولا يروم أمداً إلا أدركه - هذا هو الرجل الذي طالما انتظره العرب ليجمع لهم في شخصه الراعي الذي يطرد الذئب ، والخيط الذي يمسك العقسد ، والدليل الذي يحمل المصباح ، والقائد الذي يرفع العلم ، والأستاذ الذي يعلمهم كيف يصنعون الإبرة والمدفع ، ويشقون المنجم والحقل ، ويلاثمون بين المنفعة الخاصة والمنفعة العامة ، هذا الرجل الذي آناه الله هذه السجايا والمزايا هو الزعيم ، ففيمن تجدها بربك ؟ في عبد الناصر أو في عبد الكريم ؟

إفلاس مذهب لا طاقة للمادية الشيوعية بالبقاء للاستأذ عباس محمود العقاد

قام المذهب الشيوعي في روسيا قبل نهاية الحرب العالمية الأولى منذ اثنتين وأربعين سنة . فكل من في روسيا اليوم من رجال ونساء ولدوا في ظل هذا المذهب ، وتربوا على عقائده وآدابه ، وانعزلوا منذ طفولتهم إلى أن جاوزوا سن الرشد عن كل مذهب يعارضه أو يصدّه عن طريقه ، لا يستثنى منهم أحد غير الشيوخ الذين ناهزوا الستين وما بعدها .

فالذين بلغوا الأربعين من الرجال والنساء ولدوا بعد إعلان المذهب بسنتين ، فلم يعرفوا مذهبا غيره منذ تعلموا النطق بالحروف .

والذين بلغوا الخمسين كانوا عند قيام المذهب في الثامنة من العمر ، فتعلموا القراءة في مدارسهم ولم يتعلموا شيئا قبل أن يتعلموه ويعيشوا عليه .

والذين ناهزوا الستين كانوا في نحو الثامنة عشرة يوم قام المذهب الشيوعي في بلادهم ، مضى عليهم ثلاث سنوات منها في الحرب العالمية ، وبلغوا الأربعين فالتحق بهم فوقها وهم شيوعيون ظاهراً وباطناً ، أو شيوعيون بالتعليم والتربية والمعيشة ، لا يعرفون مذهبا يخالف الشيوعية ويدعو إلى عمل ينقضها .

أمة كل من فيها من رجال ونساء وشيوخ وشبان وأطفال تخضع للدعوة الشيوعية وللترية الشيوعية ، ولا تسمع شيئاً يعارض الشيوعية .

فإذا قلنا : إن الثورة الشيوعية أبقت على أحد من غير أنصارها فالذين أبقت عليهم هم الآحاد المتفرقون أبناء الستين وما فوقها ، لا يقدرّون على مناهضة المذهب بدعوة ولا نفوذ ولا وسيلة عملية أو أدبية يحسب لها حساب .

والغرض مع هذا بعيد الاحتمال . فإن الثورة الشيوعية أعلنت منذ قيامها « أن من

ليس معها فهو عليها ، وأبادت كل من توقف عن تأييدها وإن لم يكن له عمل في مقاومتها ولكنّه سواء كان فرضاً بعيد الاحتمال أو مقبولا في الحسبان لا ينتهى إلى نتيجة ذات بال ؛ وكل ما ينتهى إليه أن يكون عدد المخالفين للشيوعية في قلوبهم بضعة ألوف معزولين عن وسائل النفوذ بين الملايين من الرجال والنساء الأشداء يهودون أزمة الأعمال والآراء .

مائة وخمسون مليوناً ، أو يزيدون ، كلهم مولودون في ظل المذهب منقطعون عن مذاهب العالم ، عائشون في جوه نيفا وأربعين سنة .

تلك « وحدة مذهبية » لم يعرف لها نظير في تواريخ الأمم منذ كانت ، وتلك فرصة أتاحت للثورة الشيوعية لم تنهأ قط لحركة من حركات المبادئ والدعوات الاجتماعية ؛ فلو كان في هذا المذهب الشيوعي صلاح للاستقرار على دعائم الحرية وضمان الحقوق لوجب الآن أن يكون على غاية من الاستقرار والطمأنينة ، وأن يكون ولاته جميعاً من الكفاءة القادرين على تدبيره المخلصين في تنفيذه ، الصادقين في الإيمان به والقيام على شؤنه ، وإلا فكم من الزمن يمكن لتخريج الكفاءة المخلصين الصادقين ، ومن أى المذاهب تستعيرهم الشيوعية ، إن كانت لا تستطيع أن تنشهم في مهادها بين أبناء العشرين إلى أبناء الستين ؟

نعم - يجب أن تكون للذهب اليوم حكومته الحرة المطمئنة وحكامه الكفاءة المخلصون !! فهل هذا هو الواقع المشاهد في البلاد الروسية ؟ هل هذا هو الواقع المشاهد في أقوال الروس أنفسهم . بل في أقوال حكام الروس أنفسهم ، فضلاً عن أقوال الأعداء والمعارضين ؟ . كلا ، ليس هذا هو الواقع المشاهد كما يصفه حكام الروس ، ولا يفرغون من وصفه وإعادة وصفه منذ عهد ستالين إلى عهد خروشيشفيف الأول والآخر .

ستالين قضى على المئات والألوف بتهمة الخيانة والغدر بالشعب والعدوان على مصالحه وشرعية حكمه ، وخليفته خروشيشفيف يقول إنه كان ظالماً عاتياً سفاحاً يخوض في دماء الأبرياء ويفترى الكذب على خدام الأمة الأمانة ، ولكن خليفته هذا لم يلبث أن صنع بشركائه في الحكم مثل صنيع ستالين ، ولم يزل يقتل وينفي ويعزل ويلقي تهم الخيانة على زملائه وأعوانه قبل أن يفرغ من حملته على السياسة التي سماها سياسة البغي والإجرام والتلفيق والافتراء .

أعادل زعيمه ستالين أم ظالم ؟ وصادق خليفته أم كاذب ؟

كلا الأمرين سواء .

إن كان ستالين عادلا فهناك ألوف من رؤساء الشيوعية خونة أنذال مفسدون .
وإن كان ستالين ظالما فهناك حكومة تتولى أمور البلاد على سنة الإرهاب والغش والتضليل .
أما خروشيشف فصدقه طامة وكذبه طامتان ، ومحا كاته لستالين بعد الحملة عليه دليل عجيب ، على تأصل الشر في أركان الدولة إلى أعماق الجذور .

إن صدق هذا الرجل يدمغ المذهب الشيوعي في أساس تكوينه ، لأنه يرى أن الحكم الشيوعي يخول الحاكم المستبد طغيانا لم يخوله أعتى القياصرة في أظلم عصور الظلم والاستغلال .
وأشد من ذلك أن يكون كاذبا على زعيم وعلى أمة وعلى حكومة كاملة ولا يفتضح له كذب ولا يمتنع عليه بعد ذلك أن يتأدى في السياسة التي أنكرها كاذبا على جميع هؤلاء .

وعلى أى وجه من الوجوه لا مفر من الجزم بأن الشيوعية أفلست في سياسة مجتمعها غاية الإفلاس الذي يصاب به مذهب مجهول لسياسة المجتمعات ، وأن الشيوعيين في بلاد كلها شيوعيون لا يقدرّون بعد أربعين سنة أن يجدوا للحكم إلا باغيا كاذبا سفاحا ، بين قائم منهم بالأمر أو معزول ، وأن نظام الشيوعية من أساسه شر من كل نظام عرف في ظل الاستبداد ورأس المال ؛ لأنه لا يأتى أن تتولاه أداة حكومية قائمة على الإرهاب . والتضليل ، يتأتى فيها للحاكم الفرد ما ليس يتأتى ولا تأتى من قبل ، لأمثال ، نيرون وجنكيزخان .

هذا هو الواقع الذي تبديه لنا أعمال الحاكّمين في روسيا وأقوامهم ، ولا حاجة به إلى رأى يقول به عدو أو ناقد من بعيد .

مذهب قامت على قواعده أمة كاملة من الرضيع إلى الشيخ الذي جاوز الخمسين ، ولم يزل حكامه بين خونة وظلمة ، ولم يزل في وسع الإرهاب والتضليل أن يتيح لحاكمه المطلق أن يجنى على الأرواح والأعراض والأرزاق كما يشاء .

ومن الواضح أن التضليل هنا يستند إلى الإرهاب ولا يقوم على براعة الحيلة التي تجوز على غير المضطر للخضوع . فإن دعواهم - ظالمين ومظلومين - على السواء أظهر من أن يقبلها سامع برىء من الخوف أو التغفيل .

* * *

وليس هذا هو الواقع الذي تنكشف عنه نتائج الحكم في صميم البلاد الروسية وحدها ، بل هو الواقع في كل مكان بسطت عليه روسيا شيئا من نفوذها وحسبته بين ملحقاتها ونظرة

رأى السيد رئيس الجمهورية في الشيوعية

ونؤمن بأن لكل فرد في كل جماعة كيانا في ذاته ، وكيانا في أهله ، وكيانا في قوميته العامة وفي بلده ...

ونؤمن بحرية العمل وحرية الكسب وحرية النفقة فيما لا يعود على المجموع بمضرة! ونؤمن إلى كل ذلك بالأخوة الإنسانية ، وبالكافل الاجتماعي وبالإيثار القاسم على الاختيار لتوثيق الروابط الإنسانية .

ونؤمن بأن لكل فرد في الدولة حقاً وعليه واجبا يكفى* هذا الحق ، وأن على الدولة لكل فرد فيها واجبا ولها عليه حتماً يكفى* هذا الواجب ، فهي تبعات متبادلة بين الحاكم والمحكومين ، ليس فيها قهر ولا إذلال ولا تسلط ولا طبقات قليلة العدد من السادة وطبقة ضخمة من العبيد !

هذا ديننا وذاك دين الشيوعية ... فلتؤمن الشيوعية بما تشاء وتكفر بما تشاء ، فليس يعنيننا ما تؤمن به وما تسكفر ، إنما يعنيننا أن نؤكد إيماننا بديننا الذي ندين الله عليه وترسم دستوره فيما نعمل لأنفسنا ولقومنا . كل ما بيننا وبين الشيوعية في مذهب الحكم أو في مذاهب الحياة ، أن الشيوعية دين ولنا دين ، ولنا تاركين ديننا من أجل دين الشيوعية .

إن الشيوعية حين أصبحت نظاماً للحكم انقلبت إلى شيء آخر غير ما كان يأمله دعاؤها ، .. وما أكثر النظريات التي تفنن وتخدع ، حتى إذا دخلت في دور التطبيق العملي انحسر عنها لثامها ، وأسفرت عن حقائقها الآلئمة - كل ما كسبه الشيوعيون من شيوعتهم أنهم صاروا آلات في جهاز الإنتاج العام . وكانوا بشراً ذوي إرادة !

قد كفروا بالدين ؛ لأن الدين في عرف الشيوعية خرافة !

وكفروا بالفرد ، لأن الفرد في دين الشيوعية لا كيانه له ولا حقيقة لوجوده ، وإنما الكيان للدولة ! وكفروا بالحرية ، لأن الحرية نوع من إيمان الفرد بذاته ، وليس للفرد في النظام الشيوعي ذات ولا إرادة .

كفروا بالمساواة في نظام الدولة ، لأن الدولة في دستور الشيوعية طبقات تلتزم في هرم يتربع على قمته فرد ويحتشد ملايين الشعب في القاعدة !

ألا ما أبعد واقع الشيوعية من دعوة دعايتها ! ونحن المصريين . نحن العرب .. نحن المسلمين والمسيحيين في هذه المنطقة من العالم ... نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ...

ونؤمن بأن لكل عامل جزاء عمله ، ولا تزر وازرة وزر أخرى .

نداء من شيخ الأزهر إلى علماء المسلمين

وإلى تمسك المسلمين به قبل أن يستفحل الخطب ويعظم الخطر ، وحينئذ يتجرّد المسلمون من شخصيتهم ، ويصبحون أثرأ بعد عين ، يذكركم التاريخ ويسجل علينا جميعاً — نحن معشر علماء هذا العصر — الحزى والعار . وإنكم لتقرءون في كتاب الله عهد الله الذى أخذه الله عليكم بالبيان والدعوة ، فقال تعالى « إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب ، أولئك يلعنهم الله ، وyleعنهم اللاعنون ، إلا الذين تابوا وأصلحووا وينوا ، فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم » . « وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » . « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » و « يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحكيكم .. واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب » .

اللهم قد بلغت . اللهم فاشهد .

وفقنا الله جميعاً لما يحفظ دينه ، وثبت عقائده ، ويصون كتابه ، ويجمع شمل الموحدين . والسلام عليكم ورحمة الله ؟

محمود شلنوت

فى هذه الأيام العصية التى يقاسى محتها الإسلام . يتجه الأزهر إليكم جميعاً وقد سلخ - كما تعلقون - من حياته عشرة قرون كاملة فى خدمة الإسلام والمسلمين ، وفى العمل جاهداً على حفظ كتاب الله ودين الإسلام ، وتمكين عقائده من قلوب المسلمين . يتجه إليكم جميعاً باسم الدين وباسم الله أن تنعموا النظر القوى فيما يهدد الإسلام من خطر يقوض دعائمه ويزلزل أركانه ، ويعرض كتابه وأحكامه وأخلاقه للضمياع ، ويرجع المسلمين إلى الإلحادية والوثنية الجاهلية الأولى ، ذلكم الخطر الذى بدت تباشيره فيما يقتض مضاجع المؤمنين ، ويزلزل قلوبهم ويسلبهم حياة الأمن والاستقرار ، وحياة الحرية الإنسانية فى هذا الشعب الإسلامى العريق ، شعب العراق الذى احتضن الإسلام فى عهد الأوائل من أصحاب رسول الله . هذا الشعب الذى استشهد من أبنائه المشات والألوف فى سبيل نشر الدين والدعوة إليه وصيانتة من أيدي العابثين ، والملحدين ، يتجه إليكم مستصرخاً دينكم وإيمانكم فى أن تهبوا قومة واحدة ، وأن تعلنوا كلمة الله فى جميع الشعوب الإسلامية ليتخذوا عدتهم فى حفظ كيان هذا الدين . كل يعمل بما يطمئن إليه قلبه ويختاره ، من وسائل التوجيه والدعوة إلى صيانة الإسلام

(بقية المنشور على صفحة ٩٤٣)

عاجلة على المستعمرات الروسية ، وأشباه المستعمرات الروسية تريناً أنهم لا يبسطون نفوذهم على بلد يفصلهم منه حاجز من الحواجز الجغرافية . فكل مستعمراتهم وأشباه مستعمراتهم في آسيا وأوربة تقع من بلادهم على مد الذراع من قوة الإرهاب المسلح ، ولم يستطيعوا بالتضليل وحده أن يستغنوا عن الإرهاب المسلح أو الجاسوسية المسلحة ، ولهذا تمكن « تيتو » في يوغسلافيا من الخروج عليهم والاستخفاف بأنظمتهم وتعليماتهم ، فتحداهم وأفلح في تحديهم ، وهو يدين مع هذا بمذهب من المذاهب الاشتراكية . ١

وكلما استطاع هؤلاء الشيوعيون أعداء الاستعمار والاستغلال كما يقولون - أن يخضعوا بلدا غربيا بقوة السلاح ، حكموا فيه القمع والإرهاب تحكما لا يستبيحه شر المستعمرين في القرون الغابرة ولا في هذا القرن العشرين ، فالبلاد التي دخلها المستعمرون تعاني من عسفهم ما يثيرها عليهم للقاومة والانتفاض ولكنها على أية حال تقاوم ويسمع لها صوت وتذاع لها في العالم قضية . أما حيث نزل الروس فلا بقية بعد السيف للقاومة والانتفاض ، وخطتهم هنالك للحق والإبادة لن تكون أرحم من خطتهم في صميم بلادهم . أين بلجانيين ؟ أين برابا ؟ أين ملنكوف ؟ أين مولوتوف ؟ أين قبل هؤلاء مئات ومئات من الأنداد والنظراء ، ومن تخشى محاسبتهم أو مقاومتهم في وقت من الأوقات ؟ إن الحاكم الذي يزيل هؤلاء عن طريقه في وضع النهار ان يترك في بلاد المغلوبين رأسا يرتفع للحساب والمقاومة ، وان يدع فيها أحدا يهم بالحركة أو يقدر عليها إن هم بها .

غول من الوحشية والشيطنانية تبثلي به الأمم في هذا الزمن ولا سلامة لها منه إلا بالاعتناء عليه ، وتلك هي « تصفية الختام » للذهب الذي ملك أمة فلم يقدر على حكمها بغير الإرهاب والتضليل ، ويريد أن يحكم الأمم جميعاً والعياذ بالله - على هذا المقال ؟

عباسي محمود العقاد

فكاهة

سئل عالم تركي عن معنى قوله تعالى : (إنا لله وإنا إليه راجعون) فقال والله إني لا أعلم معناها ، ولكني أعلم أنها لا تقال في الأفراح !
وسئل مرة أخرى عن (قسورة) في قوله تعالى : كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة فقال : القسورة : الزرية !

مركز الأم في الإسلام

للاستاذ الدكتور محمد البهي

مقدمة :

لأن هناك عنصراً أساسياً في السكفالة يفقده المجتمع ، وهو عطف الأبوة وحنان الأم نفسها . فهما تسكفل المجتمع بالمساعدات المادية-للأبناء غير الشرعيين ، فليس له عطف الأب في الرعاية .

أما الأم فهي وإن كانت ولدت ابنها غير الشرعى ، تشعر في قرارة نفسها أن هذا الابن سيسب لها متاعب كثيرة ، أيسرها أنه يرتبط به في تصورهما عدم الوفاء من أييه في الظلام ، وهو الأب المجهول أو المنكر أو المتخفى والمهارب من المسئولية الأدبية والاجتماعية .

وعندئذ يقل حنانها على الولد أو يكاد ينعدم ، فتلقى به في الطريق ، أو تتركه في المستشفى ، أو تحول بينه وبين الاستمرار في الحياة في صورة ما .

والمجتمع الذى يقوم على الأمومة غير الشرعية إذن ، مجتمع مادى ، تنعدم فيه روح الأسرة والرعاية الإنسانية الخالصة التى تتمثل في عطف الوالدين الصريحين .

الأم هى التى ولدت ذكراً أو أنثى على السواء . وإن أمهاتهم إلا اللأى ولدنهم ، والأم التى يقف منها الإسلام الموقف الذى سنحدده هنا ، هى التى أنجبت الولد عن طريق زواج شرعى . هى التى قام بينها وبين زوجها عقد صحيح ترتب عليه التزاماته . ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، ويستحسن فى نظر الإسلام من أجل ذلك أن يكون هناك لإعلام بالزوجية ، سواء عن طريق ما يولم من وليمة . أو عن طريق إشاعته بين الأهل والجيران .

الإسلام لا يعترف بالأمومة غير الشرعية ، بمعنى أنه لا يقرها ولا يرتب عليها آثارها . لأنه لا يريد أن تشيع هذه الأمومة غير الشرعية فى المجتمع ، إذ بذلك تختلط الأنساب من جانب ، وتضيع الالتزامات التى على الرجل قبل الولد وأمه من جانب آخر ، والمجتمع حينئذ لا يستطيع بحال أن يتكفل بهذه الالتزامات نيابة عن الآباء ، المجهولين ؛

ونظرة الإسلام إلى المجتمع نظرة إنسانية .
 ينظر إلى المجتمع على أنه وحدة متفاعلة ،
 متجاوبة متعاونة على أساس من التعاطف
 والمودة والأخوة . د واذكروا نعمة الله
 عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم
 فأصبحتم بنعمته إخواناً ، وكنتم على شفا
 حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين
 الله آياته لعلكم تهتدون . . وليس المجتمع
 في نظره أنه مركب تركيباً مادياً ، ليس
 أفراداً بعضهم بجوار بعض ، دون أن تكون
 هناك لحمة من معاني الإنسانية الخالصة .
 الإسلام لا يريد مجموعة من القطعان تفقد فيما
 بينها أواصر القرى ، على أنها المجتمع .

الأم في الإسلام :

والأم التي يتحدث عنها الإسلام إذن
 ويقف منها موقف الرعاية ، ويحملها مسؤولية
 كبرى في تكوين المجتمع . هي الأم الصريحة
 التي جاء ولدها عن زواج صريح ، لم تفقد
 فيه كرامتها ، ولم تنزل بها أنوثتها إلى وضع
 الطريد أو الشريد ، أو على الأقل إلى وضع
 الساخط على الحياة المتشائم فيها .

وعناصر الأمومة في الإسلام إذن هي
 زوجة لها ولد . والزيجة التي يباركها الإسلام
 هي الزيجة التي تثمر الولد . يروى عن معقل

ابن يسار رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى
 النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله !
 أصبت امرأة ذات جمال وحسب ، وإنها
 لا تلد ، أفأتزوجها ؟ قال : لا ! ثم أتاه
 الثانية فنهاه . ثم أتاه الثالثة فقال : تزوجوا
 الودود الولود (وهى التى تعرف بالوراثة
 فى أهلها) فإنى مكاثركم بالأم . .

كشف هذا الحديث هنا عن الغاية التى
 من أجلها يبارك الإسلام الزيجة ذات الإنتاج
 البشرى ، وهى غاية تعود على المجتمع
 الإسلامى نفسه ، تلك الغاية هى نمو هذا
 المجتمع بحيث يكون ذا قوة يدفع بها
 العدوان ، ويحتفظ عن طريقها بماله من
 سيادة . والقوة التى يبيعها الإسلام قوة الكم
 والنوع معا أخشى أن تداعى عليكم
 الأم كما تداعى الأكلة على قصعتها . قلنا
 يا رسول الله أو من قلة نحن يومئذ . قال :
 لا ، بل أنتم كثيرون ، ولكن كثرة كغناء
 السيل فإذا كان الحديث السابق
 مجد الكثرة ، فهذا الحديث مجد النوع ،
 ويجمعهما معا تحمل الأم عبء مسؤولية
 القوة العددية والتنوعية التى ينشدها الإسلام
 لمجتمعه . وهى مسؤولية ليست هينة . فهل
 أعانها الإسلام على أداء هذه المهمة ؟
 أم تغاضى عنها وأهملها وبذلك يكون
 متناقضا مع نفسه ؟ إذ هو فى الوقت الذى

تقوم بعبء مسؤوليتها إزاء المجتمع الإسلامى،
وهى مسئولية خطيرة كما رأينا .

وهذه القاعدة : أن يكون البناء بالزوجية
قائما على اعتبار يتصل بأمر ذاتى فى الزوجة
كأم مقبلة ، وليس بأمر يخضع فيها . فليس
المال ، والجاه ، وجمال الوجه ، إلا عناصر
إغراء تنقلب إلى أسباب للكراهية ، إذا لم
يكن لصاحبة المال أو الجاه أو الجمال خلق
قوي تصون به قيمة مألدها من مال أو جاه
أو جمال ، وتجعله نعمة أخرى بالإضافة إلى
خلقة ، بدلا من يصير الأمر إلى زئمة تسبب
الشقاء للرجل والمرأة على السواء . وهو شقاء
الرجل بسبب حقه إذا لم يستأثر وحده
بالمال ، أو الجاه ، أو الجمال وشقاء المرأة
بسبب شعورها بأن الرجل لا يتدر فيها إلا
المال أو الجاه أو الجمال . فيوم يفرغ
مالها أو ينطفئ جاهها ، أو يذبح جمالها -
يوم يندم وفاؤه لها ، ويقل تقديره إياها .
وهذا الشعور بدوره يجعلها قلقه فى حياتها ،
مرتدة بين أن تعطى وتمنع من مالها وجاهها
وجمالها ، وبين أن تخلص لزوجها أولا تخلص
له . فإذا أثمرت زيجتها الولد كانت نفسها مع
ولدها هى النفس الحائرة التى لا تعرف استقرارا
فى علاقتها بزوجها وبولدها معا .

والمرأة ذات الدين هى التى تستطيع إذن
أن تكون متجاوبة مع المجتمع الإسلامى .

ينبغي القوة للمجتمع ويمجد مصدر هذه
القوة فى الأم ، يتخلى عنها فى الوقت نفسه .

الأم كزوجة :

أى شئ صنعه الإسلام للأم وهى
زوجة ، ثم وهى حامل ، ثم وهى مرضع ،
ثم وهى راعية وموجهة لمن أرضعته ؟ .
مراحل أربع فى حياة الأم ، تبتدىء بالعلاقة
الزوجية وتتطور حتى فطام الطفل وتوجيهه .

ينصح الإسلام الرجل فى مرحلة الزواج
بأن يتخير ذات الدين لتكون الأم المقبلة
لولده . ويروى فى ذلك أبو هريرة رضى الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« تسكح المرأة (أى يتزوجها الرجل)
لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ،
فاظفر بذات الدين تربت يداك » أى التصقت
بالتراب إن لم تظفر بها . وهذا تعبير يكفى
به عما ينتظر من بؤس وشقاء للرجل الذى
يتقاضى عن حال الدين لمن يتزوجها ،
ويؤثر مالها ، أو جاهها ، أو جمالها الجسمى .
وفى حديث آخر : « إياكم وخضراء الدمن !
قالوا : ومن هى يا رسول الله ؟ قال : المرأة
الحسنة فى المنبت السوء » .

ومن هذين الحديثين يضع الإسلام القاعدة
السليمة التى تبني عليها الأمومة الناجحة وهى التى

تحكما يبعده عن الاتجاه السليم غير البنائي .
 فإذا قدر للحامل أن تنفصل أو ينفصل
 عنها زوجها بعد استنفاد وسائل المراجعة
 لكل منهما ، أوجب لها الإسلام النفقة على
 الرجل طول مدة الحمل وإن كن
 أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن
 حملهن . وهذا بالانضمام إلى ما طلبه منه
 أن يكون تسريحها بإحسان . « أو تسريح
 بإحسان » أى يكون الانفصال عنها في تهذيب
 بحيث لا تؤذى ولا تضار في شعورها
 كإنسان كريم .

وبما أوجهه على الرجل من إنفاق طول
 مدة الحمل ، وبما طلبه منه من المعاملة بالحسنى
 إذا انفصل عنها على الإطلاق - رغب أن
 يحيط الأم بجو من الرعاية المادية والنفسية ،
 بحيث تتمكن من أداء رسالتها السكرية .

الأم في فترة الرضاعة :

فإذا ولدت الحامل فالرعاية التي يطلبها
 الإسلام لها كأم ، قائمة ومستمرة بعد أن
 تضع وتتعهد ابنها بالرضاعة . وهى تلك
 الرعاية التي يفرضها على الرجل قبل زوجته .
 فإذا قدروا انفصل عنها أو انفصلت عنه وقت
 الرضاعة - راعى ظروف الرضيع وظروف
 والدته التي ترضعه ، بحيث لا يضار أحدهما
 أوهما معا . قالت الآية السكرية : « والوالدان
 يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن

باعتبار أنه مجتمع قائم على نظام معين وله
 وضع خاص حددته تعاليم الإسلام . وتجاوبها
 مع المجتمع هو الذى سيكون لها القيام
 بمسئوليتها إزاءه كأم .

ففضيل الإسلام المرأة ذات الدين لتكون
 زوجة ، وأما فيما بعد - تدخل منه في بناء
 الزوجية ، على أساس من الرعاية العامة للأم
 عندما تؤدي دور الأمومة . ولو أنه أغفل
 هذا التدخل وأجل التوجيه في اختيار الزوجة
 لكثير عدد الأمهات في المجتمع من لا يستطيعن
 أن يؤدي دور الأمومة على النحو الذى يطلبه
 مجتمع قوى في كفه ونوعه .

الأم كأم :

فإذا ما تخطت المرأة نقطة البداية في حياتها
 كأم ، فقامت علاقة زوجية بينها وبين الرجل
 عندئذ يطلب الإسلام من الرجل أن يراها
 ويعاملها بالحسنى « فإمسك بمعروف أو تسريح
 بإحسان » .

ويروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي
 صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يفرك مؤمن
 مؤمنة (أى يغضب منها) إن كره منها خلقا
 رضى منها آخر » . وذلك حتى يكون لها نفس
 المطمئن الراضى . فإذا حملت عندئذ توفرت
 لها ولحملها الظروف الموانية لنمو جنين نمواً
 صالحاً بعيداً عن الأسباب التي تؤذى مستقبلاً
 في أعصابه ، وتحكم في غزائره وميوله ،

على السواء ، إذا ما أرضعت ولدها فترة كافية وقامت بحضانه فترة أخرى بعد الرضاعة . وتمكينها من ذلك جانب من رعاية الإسلام لها . وذلك عند ما فرض الإنفاق عليها وعلى الولد مدة الرضاعة وألزم به الرجل ، كما ألزمه بالإنفاق على الولد مدة الحضانه ، وبأجر والدته نظير قيامها بحضانه ، وإن كان ذلك العمل مما يلزم لها وتوق إليه من طبيعتها .

الأم في تربيته:

هنا بعد الزواج ، والحمل ، والولادة ، والإرضاع — تأتي الأم الموجهة التي شملها الإسلام برعايته حتى الآن . تأتي الأم التي ستصوغ ولدها وستعنى بتوجيهه حسبما يطلب المجتمع . والمجتمع آنئذ هو المجتمع الإسلامي صاحب النظام الخاص والأهداف المحددة المميزة له عن مجتمع آخر . تأتي الأم التي اختارها الإسلام زوجة . أو حدد على الأقل للرجل عنصر اختيارها . تأتي الأم ذات الدين ، التي تقي لدينها ولمثله أكثر مما تقي لمساها أو جاهها أو جمالها أو لآى عامل آخر من عوامل الإغراء الظاهري وإذا كانت ذات دين فلا شك أنها ستسير بتوجيه الولد المسلك الذى رسمه الإسلام للؤمن به ستسير به فى جانب العبادة المسلك الذى

يتم الرضاعة ، وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف . . . وقالت الآية الأخرى : . . . فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن ، واثمروا بينكم بمعروف . . .

ثم يأتي بعد ذلك دور الحضانه واختصاص الأم بها فترة تختلف فى الطول حسب نوع المولود لو فارقت زوجها وانفصل كل منهما عن الآخر .

حرص الإسلام على أن ترضع الأم ابنها ، وأن تختص هى وحدها بحضانه فى صغره ، لا لتساعده على نموه المادى . وإلا فهذا النمو المادى سيتحقق ما لو أرضعته أخرى ، أو قامت بحضانه غير والدته . وإنما قصد الإسلام من ذلك إلى تكوين العواطف الإنسانية الكريمة فى الطفل عن طريق الرضاعة من الأم وقيامها بأمر حضانه . هذه العواطف الإنسانية الكريمة هى عواطف الترابط بين إنسان وإنسان ؛ بين الأم هنا وبين الولد . ولكن إذا تكونت فى الإنسان الصغير عواطف الترابط بينه وبين إنسان آخر قريب منه وله - فإنه عند ما ينمو معه عواطف الترابط هذه ويتجاوز والدته إلى قريبه فى الأسرة وإلى جاره القريب والبعيد . وبذلك تقوم لمة الإنسانية فى المجتمع العام . والأم حينئذ هى مصدر النمو الجسمى والنفسى

دائرة سلوك الحيوان ويمثل الرشد في الإنسانية .

والأم في توجيهها الولد أكثر إيجابية فيه من الأب ؛ لأن ملازمتها له أطول ، ولا لأن اختلاطها به أكثر من اختلاط الأب به بل قبل ذلك لأنها مرت بحادثتين معه سوف لا تنساها طول حياتها وسوف لا ينساها الولد ، إذا وجه توجيهها سليما . والحادثتان هما : حادثة الحمل وحادثة الوضع ولذا تشير الآية الكريمة في سورة الأحقاف « ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا . حملته أمه كرها ووضعته كرها ، إلى هاتين الحادثتين تأكيذا لقوة الرابطة بين الأم وولدها ، سواء في أثر توجيه الأم على الولد ، أو في أثر وفاء الولد لأمه على وجه الخصوص .

وهذا نرى أن خط اتصال الأم بالولد خط مستقيم غير منقطع ، ترى فيه الأم من بدء علاقتها الزوجية بالرجل وكأى بها تحنو عليه وتصوب نظراتها في استمرار إليه وهو بين أحشائها أو بين يديها أو ملتصق بصدرها أو وهو يحبو في رحابها ، أو وهو يستمع إلى نصيحها وتوجيهها . إنها الأم التى أنتجت وإنه الولد الذى انبثق منها بعد أن كان نطفة فعلاقة فضخة .

لهذا تقديرا لهذه الأم المنتجة المثمرة يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه جاء

يؤكد صلته بالله وينمى عنده الحشية من الله . وبذلك يتسكون له ضمير يدفعه إلى السلوك المستقيم دفعا ذاتيا ، دون حاجة إلى أن يدفع من الخارج بسطوة القانون أو سلطة الحاكم : وتستسير به في جانب المداومة للغير مسلكت المعترف بوجود هذا الغير ، وبوجوب التعاون معه ، بباعث المشاركة في الإيمان والأهداف المشتركة . وبذلك تخف حدة أنانيته ، فلا يطغى على نفسه ولا على غيره ، أبأ كان ذلك الغير أو أما أو ذا قرابة أو ذا جوار له .

وباستقامة الولد في السلوك ، وبتكوين شعور المشاركة للغير ، عنده يتقبل في أطوار حياته المختلفة من مرحلة إلى مرحلة ، دون تعثر أو جمود أو تخلف . إذ أن عوائق التطور عند الإنسان من مرحلة طفولته إلى مرحلة رشده ونضوجه سيادة الأنانية عنده والذى يحد من هذه الأنانية لديه خشيته من الله ، وتعوده العادات الحسنة ، وهى تلك العادات التى تقوم على عدم إغفال شأن الغير في السلوك .

والأم بهذا التوجيه أرضت الله والمجتمع الذى تعيش فيه ، كما أرضت نفسها . فليس لها من رضاء نفس وراء أن ترى ولدها ناجحا ذا عزيمة وإيمان بالحياة وذا مستوى مهذب رفيع ، وهو مستوى الإنسان الذى تخطى

رجل إليه فقال : يا رسول الله ! من أحق الناس بحسن صحبتي ؟ قال : أمك . قال ثم من ؟ قال : أمك قال ثم من ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال أبوك .

والمجتمع ليس إلا فردا تنتجها الأم . وتوجيها لهذا الفرد تسهم فيه الأم بالنصيب الأوفر . هي بانية المجتمع إن كانت ذات توجيه سليم لولدها ، وهي عامل إفنائه الأول إن أساءت التوجيه . ولا تسىء التوجيه إلا إذا لم تدرك خصيصة المجتمع الذي تعيش فيه ؛ إلا إذا كانت متنافرة معه . ومن هنا كانت ذات الدين في المجتمع الإسلامى هي التي تدرك خصيسته ولذا كانت أولى بالتشويه والرعاية .

والأم في المجتمع الإسلامى - وهو مجتمع الإيمان بالله والعمل الصالح الخير - هي والرجل سواء . « ومن يحمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا » ، « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجينه حية طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » . والإيمان والعمل الصالح هما قوام المجتمع الإسلامى وخصيسته . وإن تميز أحدهما

في الإسهام في بناء هذا المجتمع وفي استمراره فهى الأم . وإن تميز أحدهما عن الآخر في السعى وفي الحركة فيه من أجل الأم ، وكى تنهض بأعباء الأمومة الإيجابية فهو الرجل . وإن كان هناك واحد منهما يمتن به على الآخر في هذه الدائرة - وهى دائرة العلاقة بينهما - فهى الزوجة المثلى والأم المثالية : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة » . فالزوجة في حياة الرجل هى مصدر استقراره واطمئنانه وهدوئه ووقايته من القلق والاضطراب ، كالبيت الذى يأوى إليه الإنسان ليقية أعاصير الجو وتقلباته .

وأخيراً : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » . هذا هو شعار الإسلام . فليس هناك نقص فى أحد منهما ، وإنما هناك انحراف فى فهم الإسلام ، أو فى تطبيقه ، أو فى كليهما معا إن بدا خلاف حول قيمة كل منهما .

دكتور محمد البهى

المدير العام للثقافة الإسلامية بالأزهر

والأم في المجتمع الإسلامى - وهو مجتمع الإيمان بالله والعمل الصالح الخير - هي والرجل سواء . « ومن يحمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا » ، « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجينه حية طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » . والإيمان والعمل الصالح هما قوام المجتمع الإسلامى وخصيسته . وإن تميز أحدهما

من الدراسات النفسية ...

تحت ضوء القرآن والسنة

للأستاذ محمد محمد المدني

عميد كلية الشريعة

في بعض ما يروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « أصدق الأسماء حارث وهمام » .

قالوا : والحارث : الكاسب العامل ،
والهمام : المرید القاصد .

يريد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الإنسان بمقتضى فطرته لا يتفك عن أن يكون مریداً ؛ لأنه حتى له استمسك بحياته

وتجاوب معها ، ولا بد له تبعاً لذلك من أن يكون ذا مراد يسعى إليه ، ويعمل على تحقيقه فإذا سمي إنسان باسم « الحارث » ، أو باسم « الهمام » فقد طابقت هذه التسمية وصفاً حقيقياً فطرياً في الإنسان فيكون قد سمي بما فيه حقاً وصدقاً .

ومن هذا القول النبوى الكريم ، ينبع أصل نفسى تربوى عظيم التفت إليه علماء النفس والتربية أخيراً ، ذلك هو أن الإنسان

ما دام حياً فلا بد له من إرادة وعمل - إرادة ما ، وعمل ما - فإذا لم تتجه نفسه إلى الحق اتجه إلى الباطل ، وإذا لم تشغل نفسه بعمل الخير انحدر إلى عمل الشر ، فلا واسطة ؛ لأن الواسطة هى فراغ النفس ، وتعطل صفات الفطرة . والغرض أن الحى « حارث » بفطرته ، أى عامل كاسب ، و « همام » بفطرته . أى مرید قاصد .

ولما كان فراغ النفوس محالاً ، حرص علماء النفس وحذاق المربين على أن يشغلوا الشباب بالأعمال الهادفة ، وألا يتركوهم ينحدرون بحكم هذه الفطرة إلى الأعمال الهائلة أو التافهة أو الفاسدة ، كما حرصوا على أن يملئوا القلوب بالعقائد الصحيحة ، والمبادئ السليمة ، والمثل القويمة ، لئلا يندفعوا إلى ما يناقض ذلك ؛ فإن الذى لا يؤمن لا بد أن يجحد ، والذى لا يمتلى قلبه بالفضيلة

يقول : « فذلکم الله ربکم الحق ، فماذا بعد الحق إلا الضلال ، فأني تصرفون » (١) .

وذلك واضح في أنه لا واسطة ، وأن من انصرف عن الحق عامداً أو غير عامد ، فقد وقع في الضلال معذوراً أو غير معذور .

ويوضحه قوله تعالى في سورة الحمد : « إهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » (٢) فالصراط المستقيم واحد خصص أولاً « بأل » التي للتعريف والعهد ، ثم خصص بالنعت الكاشف الموضح عن طريق إثبات أنه هو صراط المنعم عليهم ، ونفي أن يكون هو صراط المعاندين الذين حادوا عن الحق عمداً . أو الضالين الذين انحرفوا عنه جهلاً .

وإذن فن ترك الصراط المستقيم ، فقد حاد عنه إلى صراط الجاهلين ، أو صراط المعاندين . ويقول الله جل شأنه : « ومن يعيش عن ذكر الرحمن تقيض له شيطاناً ، فهو له قرين » (٣) .

وقد جاءت هذه الآية بأسلوب الشرط والجزاء ، وهما كالمقدمة والنتيجة .

والمعنى الذي نريد أن نلفت إليه هو أن

لا يلبث أن يقع في مهاوى الرذيلة ، والذي لا يسير في الطريق المستقيم ، لا بد أن يسير في طريق الضلال أو الفساد .

ومن هنا نشأت فكرة اتخاذ الأندية لتنظيم لهو برىء للشباب ، ونشأت فكرة تعليم الرياضة وشغل ذوى الأجسام الصحيحة بها ؛ لكيلا يستغلوا فراغة أجسامهم ، وصحة أبدانهم فيما يعود عليهم أو على المجتمع بالشر والفساد ، ونشأت تبعاً لذلك في المدارس والجامعات وجوه النشاط الجماعي ، ونشأت في المجتمعات فكرة التعاون والترغيب في عمل الخير ، لئلا يتجه فائض الأغنياء إلى مصارف أخرى ترضى الشيطان .

ومن هنا أيضاً يرى الخذاق من أرباب القيادة والتوجيه أن يغرسوا في النفوس بذور الإيمان بدعواتهم ، والثقة بنزاهة أغراضهم وأعمالهم ، وبأنهم على صراط مستقيم ؛ لكيلا يدرك النفوس فراغ منهم ، فتقصد إلى ملء هذا الفراغ بغيرهم ، وإلى التماس الزاد القلبي الإنسانى من دعوة غير دعوتهم ، وفكرة غير فكرتهم .

كل هذا توحى به إشارة الرسول صلوات الله وسلامه عليه إلى أن الإنسان « حارث هم » .

وفي القرآن الكريم آيات يفهم منها هذا الناظر الذي نظرناه : فالله سبحانه وتعالى

[١] الآية ٣٢ من سورة يونس .

[٢] الآيتان ٦ ، ٧ من سورة الفاتحة .

[٣] الآية ٣٦ من سورة الزخرف .

المادية ، أو لوساوس الليل الشيطانية ، في أن تنشُد فراغا من قلبه فتملأه وتسيطر عليه .
فالأية تجعل الصبر والتسبيح بحمد الله ، أى استشعار عظمته وجلاله ، واعتقاد إشارته على جميع ما سواه ، هما الحصانة من التأثير بقالة السوء يلقى بها الأعداء تثبيطا للصالحين ، وإرجافا عليهم ، وترشد إلى أن هذا هو السبيل المرجو إلى رضا النفس ، واطمئنان القلب .

فإذا قال قائل : كيف يتصور أن يظل الإنسان طول نهاره ومن آناء ليله ذا كراً مسجاً ، قلنا : إن الذكر والتسبيح لا يرد بهما عمل اللسان فحسب ، ولكن يراد بهما ذكر القلب وتسبيح القلب . والمرء قادر على أن يجعل عمله حين يعمل ، ونشاطه حين ينشط ، وسكونه حين يسكن ؛ ذكر الله ، وتسبيحاً لله ، إذا قصد بكل ذلك السير على الصراط المستقيم ، واتباع سبيل المؤمنين ، وبذلك يمتلئ قلبه بالله ، فلا يجد الشيطان منه فراغا ينفذ إليه .

وقريب من هذا قوله تعالى : « وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل ، إن الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين ، (١) » .

الله تعالى يقابل بين الحق والباطل ، والخير والشر ، والصالح والفساد ، على هذا النحو من الإيجاز مقابلة يفهم منها كل ذى عقل سليم أنه لا واسطة ولا فراغ ، فالإنسان إما في هذا الجانب أو ذاك .

هذا هو المعنى النفسى التربوى الذى يقرره القرآن الكريم ويبنى عليه وتنبئ عنه السنة وتومئ إليه ، وإن كان يعد جديداً عن الذين يغفلون عما عندنا ، وتنخطف أبصارهم لما يرد علينا من غيرنا .

وللقرآن الكريم فى الاتفاح بهذه الفطرة التى تهدي إليها دراسة النفس الإنسانية ، نهج مرسوم ، والسنة مقفية على أثره :

إنظر إلى قوله تعالى : « فاصبر على ما يقولون ، وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ، ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى (١) » .

فإن الله تعالى يأمر رسوله بأن يصبر ويسبح بحمده فى أول النهار وفى آخره ، ومن آناء الليل ، وفى أطراف النهار ، أى أنه يدعوهُ إلى أن يكون ذا كرا ربه ، مسجاً بحمده فى غالب أوقاته لا يغفل عن ذلك ؛ لسكيلا يترك الفرصة لشواغل النهار

فيقول : « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ، وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون » (١) فنعلم أن الذكرى تنفع المؤمنين ، وأن الاسترسال في العصيان بعد العصيان إنما هو مد من الشيطان .

وهذا هو السر في أن القرآن يذكر ، ويضرب الأمثال ، ويصرف الآيات ، ويتنزه كل فرصة تواتيه ليجذب القلوب ، ويسترعى الأنظار ؛ لأنه دعوة واعية مبصرة ، تعرف أن القلوب إذا لم تشغل بها شغلت بغيرها ، فإن الفراغ محال .

والسنة المطهرة تقف على أثر هذا النهج : فما أثر من ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا تفكروا في ذات الله ، ولكن فكروا في صفاته » .

إن رسول الله يعلم أنه لا بد للإنسان من التفكير في الإله ، ويعلم أن ذاته لا تدرك ، كما قال في كتابه الكريم : « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار » ، وهو اللطيف الخبير » [٢] . وإذن فلن ينال من يفكر في الذات إلا الحيرة والاضطراب ، فلذلك صرف عن التفكير فيها إلى التفكير في صفاتها

فليست الصلاة هي تلك المعروفة فقط ، ولكن كل تفكير في الله صلاة ، وكل اتجاه إلى الله صلاة ، وقوله تعالى : « إن الحسنات يذهبن السيئات » ، تعبير شامل للمعنى الذي ذكرناه ، وهو أن الحسنة تطرد السيئة ؛ لأنها تحتل مكانها ، وتدفعها عنه ، وقوله جل شأنه : « ذلك ذكرى للذاكرين » ، تنبيه على أن المراد بذلك هو إصلاح النفس البشرية عن طريق تذكيرها بالله والعمل الصالح لتستحضره أبداً ، ولا تنفلت عنه فيزغها من الشيطان نزغ .

ويوضح ذلك قوله تعالى ، معلماً رسوله كيف يتقى نزغ الشيطان : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ، وإما يزنغك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم » ، (١) .

يقول له : سر في طريقك والزم مثلك ، ولا تعباً بالجاهلين : جهل سفاهة أو جهل عمية وإذا راودتك الوسوس الشيطانية التي من شأنها أن تعترى البشر ، فاذكر ربك واجعله حصنك ومعذك ، إنه تعالى سميع لمن يستعين به ، عليم بذات نفسه .

وبعد هذا يذكر الله عز وجل هذا المبدأ مقارناً في شأنه بين المتقين وإخوان الشياطين

(١) الآيات ٢٠١ و ٢٠٢ من سورة الأعراف .

(٢) الآية ١٠٣ من سورة الأنعام .

(١) الآيات ١٩٩ و ٢٠٠ من سورة الأعراف .

لماذا أرق خالد ؟ لا بد أن يكون قد أدركه تفكير ما أقض مضجعه ، ولا بد أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد عرف لون هذا التفكير ! ولحج فراسة مما يعرفه من أحوال خالد ، لذلك أرشده إلى دعاء خاص فيه توجيه لفكره عن الله وقدرته وعظمته ، وخضوع كل شيء لجلاله وربوبيته ، ثم عن جوار الله وحصانه ، فإذا استبدل خالد بالتفكير الذى كان يؤرقه هذا التفكير ، فلا شك أنه يطمئن قلبا ، ويسرى إليه سكون الإيمان فينام آمناً مطمئنا .

فانظر كيف أدرك الرسول بثاقب بصره أن التفكير المقلق لا يطرده إلا التفكير المطمئن ، فلم يقل لخالد : إترك التفكير الذى فكرت ، وإلا لكان أمراً سلبيا لا يؤدي إلى الغاية ، ولكنه وجهه توجيه إيجابيا : إلى دعاء فيه إيمان ، ومن ثم أمن فنام ؟

محمد محمد المصطفى

عميد كلية الشريعة

بالجامعة الأزهرية

والمراد آثار الصفات لاحقائها أيضا خلافا لما يتخبط فيه كثير من المتفلسفين وأهل الكلام ، وذلك ما يرشد إليه القرآن الكريم فى مثل قوله تعالى : « الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا ، فترى الودق يخرج من خلاله ، فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون ، وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين ، فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها ، إن ذلك لحجى الموتى وهو على كل شيء قدير ، (١) .

ومما أثر فى السنة أيضا فى ذلك ما رواه خالد بن الوليد رضى الله عنه من أنه أصابه أرق فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ألا أعليك كلمات إذا قلت من نمت ؟ قل : اللهم رب السموات السبع وما أظلت ، ورب الأرضين وما أقلت ، ورب الشياطين وما أضلت ، كن لى جاراً من شر خلقك أجمعين ، أن يفرط على أحد منهم أو يطغى : عز جارك وتبارك اسمك) .

(١) الآيات من ٤٨ إلى ٥ من سورة الروم .

يا قاسم العراق ويك آمن!

أحمد أحمد جلباية

مبعوث الأزهر ببلنجان

بالمدافع أبناء عمك ، وتحول وطنك الغالى
إلى خرائب وتلال. الحناجر التى كانت تهتف
بحياتك جئت تجازيها بالشنق ، والأيدى
التي كانت تلتب من التصفيق لك أصبحت
تكافئها بالبتر ، والمبادئ التي من أجلها
قامت ثورتك أصبح ترديدها والعمل لها جريمة
لا تغتفر ، وعارا لا يغسله إلا الدم . والذين
بادروا إلى تأييدك وتسابقوا إلى غوثك ،

وحملوا أرواحهم على أكفهم من أجلك
أصبح جزاؤهم الحق عندك وعند زبائنتك
أن تربطهم بالسيارات ، وتجرحهم فى شوارع
بغداد ، فإذا دهاك يا قاسم ؟ ماذا دهاك ؟ ؟ .

ماذا دهاك يا قاسم العراق حتى تحاول ان
تفصم العروة ، والعروة وثقى . وأن تبيد
الامة ، وهى خير أمة . وأن تمحو الدين ،
وهو الدين القيم . وأن تمزق القرآن ، والقرآن
محفوظ . وأن تطفى النور ، ويأبى الله إلا أن
يتم نوره ولو كره أمثالك . وأن تريد للحنيفة

السمحة الهوان ، ولقد تمزقت دونها عروش ،
وتساقطت على حواشيتها الخضرة تيجان ،

ماذا دهاك يا قاسم العراق حتى حدث عن
الطريق الذى اختاره لك الله وذهبت تضرب
فى الأرض على غير هدى ، وقد التوت أمامك
المسالك ، والتفت حولك المهالك ؛ حتى
وجدت نفسك فى مسبعة رهيبه لا أول لها
ولا آخر ، حيث القانون للغاب ، والحكم
للناب ، وأنت الفريسة يا قاسم . فإذا دهاك
يا قاسم ؟ ماذا دهاك ؟ ؟ .

ماذا دهاك يا قاسم العراق حتى انقطعت
عن القافلة ، والقافلة تسير . وبعدت عن
الراعى ، والراعى بصير . وسرت خلف
دليلك ، ودليلك شيطان ، يغرك ويمنيك ،
ويضلك ويرديك ، ويتربص بك الدوائر ،
حتى إذا انقطعت من حولك الأصوات راح
يمزق بأظافره لحمك ، ويروى الأرض من
دمك ، والقتل فى شريعته طاعة ، والظلم فى
أخلاقه قربى ، والقوة فى رأيه حق ، فماذا
دهاك يا قاسم ؟ ماذا دهاك ؟ ؟ .

ماذا دهاك يا قاسم العراق حتى تخرب بيتك
بيدك ، وتصوب سهمك إلى صدرك ، وتحصد

وكنت كالميكروب ؟ حتى إذا سنحت لك
الفرصة انطلقت كالمسعود بعينين زائغتين ،
وفم يتقاطر منه الدم ، يريد أن يلتهم كل
ما حوله ، واستدرت كالحية الرقطاء على من
صنع لها الجميل وأشعل لها المدفئة .

لقد كانت أهداف هذه الثورة - وأغلب
ظني أنك لا تعرفها - أن تزيح الكابوس الجاثم
على صدر العراق الذي ظل يئن من تحته السنين
الطوال .

أن تفتح الأبواب والنوافذ ؛ ليستشرق
الشعب نسيم الحرية العليل .

أن تحطم الأسوار التي وضعها الاستعمار
ليعزل العراق عن الوطن الكبير .

أن تتخلص من أخطبوط العملاء والأذناب
والخونة الذين يتناوبون الحكم فيه لحساب
الأجنبي الغريب .

أن تسكر الأغلال التي تربطه بالأحلاف
والمعاهدات لتسير السفينة باسم الله مجريها
ومرساها .

أن تريح النفوس من الكبت والعسف
والطغيان ؛ لتندفع نحو التاريخ تضيف إلى المجد
التليد طريفا ، وإلى مفاخرنا الخالدات عزما
أكيدا وفتحا جديدا ونصرا مؤزرا .

أن تخرج من وراء القضبان العملاقة ،
الكبار الذين عذبوا وأهينوا وسجنوا وسيموا
وضاقت بهم المعتقلات ، أن تخرجهم حتى

وسارت تتحدى القرون واحدا بعد الآخر ،
وكم بليت في كل قرن بظالم ، فماذا دهاك يا قاسم ؟
ماذا دهاك ؟ ؟ .

ماذا دهاك يا قاسم العراق حتى تنسكرت
للقرابة ، وأسأت إلى الجوار ، ونسيت
العهود والمواثيق ، ووليت صدرك إلى غير
قبيلتك ، وذهبت تتلقى الوحى من ينكر وجوده ،
ويكفر بمصادره فيحل لك ويحرم ، يحل لك
الدماء ، ويحرم عليك الإخاء ، ويزين لك
الكفر ، ويغض إليك الإيمان ، ويفرق
بك ما تجمع ، ويوزع بك ما اتحد ، ويهدم
بك ما تم بناؤه أو كاد ، ولـكنك آثرت
أن تكون في يد العدو السلاح الذى أعطيناك
ليأبه بأيدينا ، وأن تكون في ظهورنا الخنجر
الذى وضعنا فيه السم بأنفسنا ، وأن تكون
في طريق الحياة النور الأحمر الذى ينذر
بالخطر ، وكنا نعدك لتكون في سماء الحرية
نبحا ساطعا يتألق فماذا دهاك يا قاسم ؟ ماذا
دهاك ؟ ؟ .

حدثني بربك : هل كنت في ثورة العراق
أصيلا أم كنت عليها دخيلا ؟ ؟ فإن كنت
الأول ، فما الذى غيرك ؛ فحولك من بر إلى
فاجر ، ومن مسلم إلى كافر ، ومن زعيم إلى
خائن ، ومن قائد إلى عميل ، ومن ملاك إلى
شيطان ؟ وإن كنت الثانى فكيف سريت
كالسم ، وانتقلت كالآلَم واختفيت كاللص

المسرح وبنفس الدور ، ثم كانت نهايتهم على يد الشعب يوم حكم عليهم بالإعدام .

تذكر أن الذين يبايعونك اليوم هم الذين سيبيعونك غدًا في سوق النخاسة عندما يتراءى لهم من هو أذل منك نفساً وأشد فتكاً وأكثر خيانة وأتعس عبودية . وأن الذين يحركونك كما يحركون قطع الشطرنج ، هم الذين من قبل حركوا لك الأساطيل وحشدوا لك الجنود وجعلوا ما لا قبل لك من الطائرات والدبابات ولكنك نسيت . . . فلماذا نسيت ؟ .

أتذكر يوم وقفت بشورتك في مهب الريح وفي مفترق الطرق تصفر من حولك الدروب وتضيق عليك الأرض بما رحبت ، حتى جمدت في منتصف الطريق من الهم . وفر الجرذان الحمر إلى بيوتهم من الفزع . فإذا بدولة تشق الظلام إليك كالفجر ، وتبدد الشكوك من رأسك كاليقين ، وتطرد الأشباح من حولك كالثقة ، وتجدد في نفسك الهممة كالأمل ، وتطل عليك وعلى ثورتك من بعيد كأنها ملاك الرحمة . لا شك أنك تعرف هذه الدولة فلماذا نسيت ؟ ؟ ؟ .

أتذكر غداة ثورتك حين هب أصدقاؤك لا لينجدوك وإنما ليمتلكوك ؟ ونفر حلفاؤك لا ليؤيدوك وإنما ليخلدوك ، وأسرع زملاؤك في حلف بغداد ليدمروا بغداد . فإذا بدولة

يزول عصر الطغام ، وينتهي عهد الأقزام ، ويذهب إلى غير رجعة حكم العبيد .

هذه هي أهداف ثورتك ، ولكن العصابة الخراء التي وضعوها على عينيك حجبت عنك نور الشمس ، فبت تنكر وجودها عن عمى . والشمس ساطعة (يارفيق) . ولكن وحدانية زعامتك التي خلعوها عليك أنستك حقائق الأحداث فبت تنساها عن عمد ، والحقائق ناطقة (ياسيادة الزعيم الأوحد) .

نسيت أن الشعب العربي كله صفق لهذه الثورة لأنها ثورته ، لأنها حصاد غرسه ونتاج فكره وثمره كفاحه ، فيها صلاح وجهه وصدى قوميته واندفاع دمه ومضاء روحه . صفق الشعب لهذه الثورة بحرارة حتى دميت يده ، وهتف لها من الأعماق حتى التهمت حنجرتة ، وأقام لها الأفراح والزينات ، وعاش الشعب العربي في عرس بهيج ، وبات في حلم لذيذ ، وراح يهني بعضه بعضاً ولكنك نسيت فلماذا نسيت ؟ .

نسيت أن الذين يحرقون لك البخور اليوم هم الذين لو عرفوك أيام عبد الإله لجعلوك هشياً .

وأن الذين يقدمونك اليوم على مسرح الخيانة ، لتقوم بدور البطولة في الدراما الحزينة هم الذين قدموا غيرك على نفس

يا قاسم العراق، فزحفت إليك في تحد، وعلينا في هيئة الأمم قضية مشهودة ولو ضبطت رصاصة واحدة لدفع باطلهم حقنا، لضل سعيناعن هداية، لألصقت بنا التهم ونحن براء، لصرنا مضغة في أفواه الأمم بلا جريمة، فهل تذكر كل ذلك أم نسيت؟؟؟

كلا لم تنس - يا سيادة الزعيم الأوحد - ولكنك وجدت العراق مريضاً فأردت أن تعالجه بالموت؛ ورأيت فيه كسراً فأحببت أن تجبره بالبر. وشاهدت فيه رمقا فكتمت أنفاسه ليسترخ. ولاحظت أن جماعة من الشعب لا يزالون خارج الأسوار فأنعمت عليهم بالاعتقال، ليكون العراق كله داخل سجن كبير وتكون أنت - يا سيادة الزعيم - سجنائه الأوحد، وجلاده الفرد؛ وعرفت أن سلفك الشهيد نوري السعيد قد قتل دون أن يتم ما بدأ، دون أن يؤدي الرسالة على وجهها الصحيح، وإن في طريقته أخطاء ما كان لمثله أن يقع فيها...

كان يهدم بالمعول فرأيت أن تهدم بالصواريخ... وكان يعتقل بالافراد فجئت تحصدهم بالآلاف، وكان ينخر كالسوس فكنت أنت كالسرطان... وكان يقتل الشعب فرادى فأحببت أن تنتهي منه بين يوم وليلة، وكان يريد أن يسلم العراق للاستعمار، فجعلته أنت نهبا مشاعا بين الشيوعية والرأسمالية

تركب الأخطار وتم بين الحديد والنار وتتحدى الأسطول السادس، والحصار المضروب وترسل إليك بباخرتين محملتين بالسلح وأنت أحوج ما تكون إلى السلاح. دولة تدفعها الرحمة وتهزها القراة ويفرض عليها الجوار. فتؤيدك بدون حلف، وتقف إلى جانبك بدون غرض، وترفع أول صوت في العالم بأن الاعتداء على العراق اعتداء عليها فهل تعرف الفرق بين الحلف والحياد؟ بين الطمع والتجرد؟ بين الغريب والقريب؟ هل تعرف هذه الدولة؟ لا شك أنك تعرفها فلماذا نسيت؟؟؟

أتذكر يوم كنت تتطلع في لهفة وحيرة حيناً إلى إقليمنا الجنوبي، وحيناً إلى البحر الأبيض؛ لتسمع كلة واحدة من رئيسنا جمال يهدى بها روعك، ويثبت بها قلبك؟. فإذا به يقطع رحلته من أجلك ويترك أفلاذ كبده في عرض البحر في سبيلك، ويطيير إلى دمشق والطائرات الأمريكية تحجب السماء... وقطع أسطولها تغطي سطح الماء، والجنود الإنجليز ينبشون من وراء حدودك الجنوبية في الأردن ومع ذلك يطير الرئيس إلى دمشق؛ ليكون إلى جوارك يعلن للبلأ أننا سنكون مع العراق ضد أى عدوان، ويأمر بأن يضع تحت تصرفك ثلاثين ألف رشاش وعدداً كبيراً من طائرات الميج، وطلبها أنت بنفسك

ليخرج فاضل الجمالى ونديم الباجهجي
وعبد الوهاب مرجان، وليدخل إليها الذين
عرضوا صدورهم لرصاص نوري السعيد
وبطشه . . .

ثم اثنتيت في لؤم إلى العرس البهيج فخلته
إلى ماتم، وإلى الحلم اللذيذ فقطعته بالكارثة،
وإلى التهانى الطيبة فجعلتها عزاء حاراً . وإلى
اليدين التي أنقذتك من غرق تعضها بحرارة،
وإلى الملاك الذي هبط عليك بالرحمة ترجمه
بالحجارة، وإلى الدولة التي وقفت وحدها
إلى جانبك تسامر عليها، وإلى السلاح الذي
حملناه إليك بلا مقابل ترفعه في وجوهنا،
وإلى الأبطال الميامين الذين قاموا بالثورة
وقدموا لك الرئاسة على طبق من ذهب -
وكنيت يومها تحتفى كالنعامة - قتت تكافئهم
بالإعدام، وإلى الشعب الذي هتف لك وصفق
وحملك على كتفه، جئت تمزق أضلاعه
بالرصاص، وتجره في شوارع بغداد . وإلى
المولى سبحانه وتعالى تضعه في قفص الاتهام،
وإلى الخليفة السمحة تسلط عليها المارقين
من أتباعك؛ يهتفون ضدها بأن لا عروبة
ولا إسلام . . . وإلى عاصمة الرشيد تغرقها
بالدماء، وتفرشها بالأشلاء، لتلقى على يدك مالم
تلقيه على يد هولاء .

إيه يارب (أولم يسيروا في الأرض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا

والصهاينة، وكان عبداً لشیطان واحد فصرت
عبداً لآلهة متعددين، وشركاء متشاكسين
وشياطين لا أول لها ولا آخر . وكان يحكم
الشعب بنفسه ويدير أموره بهواه، فأجبت
أن يحكمه من ليس منه، ويتحكم فيه الدخيل
عليه، ويصير أمر الموت والحياة فيه إلى الرعاع
والسفلة والمجانين . . . وكان يحارب الشيوعية
بالدين واللغة، فصرت تحارب القومية
العربية بالكفر والإلحاد والجحود . . .
وأردت أن لا يعيش العراق بدون نوري
السعيد فكنت صورته البشعة. كنت للعقرب
المقتول ذنبه المنتفخ من السم، وكنيت للألم
الهيّن البسيط جرثومة السل . وكنيت امتداداً
للرمد الذي صار عمي، وللشر الذي صار فتنة،
وللشرارة التي صارت حريقاً مروعا يأكل
الأخضر واليابس . حتى بتنا نرد :

رب يوم بكيت منه فلما
صرت في غيره بكيت عليه
وخرجت علينا بأهداف ثورتك فإذا بك
بدلاً من أن تزج الكابوس جئت تزيده هولاً
وشدة . بدلاً من أن تفتح الأبواب جئت
تغلقها بالشمع الأحمر . بدلاً من أن تتخلص
من الأخطبوط صرت تتقدم إليه الضحايا
والقرايين . بدلاً من أن تنقذ السفينة
أصبحت تغرقها في الوحل . وفتحت أبواب
السجون - كما يقول سفيرك في القاهرة -

أقوى من أيديهم تطوح بهم في عالم الزوال ،
 أين هم الآن ؟؟ منهم من قتل ومنهم من اعتقل ،
 ومنهم من فر ذهبوا ، فأصبحوا لا يرى
 إلا مساكنهم . . .

وكان قبلك ناس أوتوا أثارة من علم
 فجمحت بهم على غير هدى ؛ حتى ارتدت
 عليهم جهلا . . .

. . . رأوا النار من بعيد فظنوها نوراً ،
 وأرادوا أن يسلموها على الوطن الآمن .
 وجلبوا القتاد من كل صعيد فظنوه زهوراً ؛
 ليغرسوه في البلد الطيب . وجمعوا اليوم من
 التلال والخرائب وظنوها طواويس ليعلقوها
 في القصور الشم . وأرادوا أن يحبسوا الدين
 في المتاحف ، وأن يمحوا القرآن من المصاحف
 وأن يطفئوا نور السماء على الأرض . فماذا
 كان ؟؟ لم تحرق النار إلا أصابعهم ، ولم ينبت
 الشوك إلا في جلودهم ، ولم تنق اليوم إلا على
 مساعهم . . وارتد القرآن عليهم عمى يسرى

في الآذان التي ليس فيها قر في براءة وصدق
 وطهر : (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة
 اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار) .
 وبعد : فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟؟

لو كانت القوة لغة البقاء لما بقي على ظهر
 الأرض إنسان ، ولأكلت السباع لحوم البشر ،
 لو كانت القوة لغة البقاء لبقى فاروق حتى الآن
 يقول في كبر و صلف (أليس لي ملك مصر

هم أشد منهم قوة وآثارا في الأرض ، فأخذهم
 الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق) -
 أين (الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها
 الفساد) أين يا قاسم العراق ؟؟؟ أين ؟؟؟ .

لقد كان قبلك ناس أوتوا نصيباً من الأرض
 فادعوا الألوهية في السماء ، وورثوا مجموعة
 من الألقاب فظنوا أنهم يملكون الرقاب ،
 وأشرقت عليهم الدنيا بومضات من الحياة
 فحكوا على غيرهم بالموت . . . حكموا
 فجاروا ، وأسروا فقهروا ، وملكوا فاسترقوا ،
 وخافوا على ملكهم من الزوال فثبتوا عرشه
 على الجماجم . واستوحوا دستورهم من الغابة ،
 وقذفوا بفلسك في خضم هائج من الدماء ! أين
 هم الآن ؟ ؟ ؟ لقد خرت عليهم عروشهم
 فهلكوا ، وانكفأت بهم سفينتهم فغرقوا ،
 وأسدل عليهم الزمن ستاراً حالكا من النسيان .
 (فما بكيت عليهم السماء والأرض وما كانوا
 منظرين) .

وكان قبلك ناس فرضهم علينا الأجني ،
 ليسكونوا عينه التي تبصر ، ويده التي تبطش ،
 وقدمه التي يركلنا بها ، يستمدون قوتهم من
 ضعفنا ، وعزهم من ذلنا ، وبقاءهم من إبادتنا .

هم من بنى جلدتنا ويتبرءون منا ويعيشون
 معنا ولكن علينا . صبرنا على ظلمهم قادرين
 فأولوا صبرنا بالعجز ، وسكتنا على غيهم
 نأثرين ففسروا سكوتنا بالموت . فإذا بيد

إلى من قال في بغداد: لا عروبة ولا إسلام!

للأستاذ علي الطنطاوي

المستشار بمحكمة النقض

ولقد لبثت ساكتاً لا أتكلم مع المتكلمين،
أكره أن أنظر إلى القوم نظر الخصم،
وأخاطبهم خطاب العدو، وكنت أرجو
أن يفيثوا ويرجعوا فزجع كما كنا يداً
واحدة على إسرائيل، على عدونا، بدلاً
من أن نشغل عن عدونا بأنفسنا، ونكون
عوناً له علينا، حتى سمعت خبر العدوان على
تليذى الحبيب الذى جزوه على ما قام به
جزاء سنار، التليذ الذى نسيته فذكرنى

إن فى عنتى ديناً ثقيلاً للعراق الذى عشت
فيه من عمرى سنين نلت فيها من خيريه، وأكلت
فيها من خبزه، لا أستطيع أن أسكت فلا أوفى
قليلاً منه بالكلام عن العراق، ودينا
للأصدقاء الذين نالهم الأذى من يحكم اليوم
العراق، ودينا أكبر وأثقل للإسلام الذى
تطاولوا على اسمه، وامتدت ألسنتهم الدنسة
إلى الطعن به، وأيديهم الآثمة إلى تمزيق
مصحفه ...

القافلة تسير .. وأن البقاء للحق: (فأما
الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس
فيمكث فى الأرض) ثم ماذا وإن دم الشهداء
لا يضيع؛ لأنه نور وحق ..

(ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله
أموالاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) .

أحمد محمد حليمة

مبعوث الأزهر ببلن

وهذه الأنهار تجري من تحتي) لبقى الشيشكلي
حتى الآن يرغى ويزبد، يبرق ويرعد، ويحكم
ويستبد .. لبقى نورى السعيد حتى الآن ينشر
الذعر والرعب والفساد ولا أظنك تجهل .

فعد إلى عقلك واتعظ .. أنت فى غفلة
فتدبر .. أنت فى غفوة فتبصر .. أنت
فى غمرة فتذكر .. تذكر أنك تدفن كل يوم
بعضك .. وأن الديان لا يموت .. وأن

في القدس (من خمس سنين) لولب المؤتمر ، وكان له فيه أظهر الأثر ، والذي بعث الإيمان في نفوس شباب العراق بعد ما حسبناه قد مات في نفوسهم .

رأى هذا الصديق ما يجري في العراق من عدوان هذه الشيوعية الباغية القاهرة ، على الدين والحرية والحق وكل ما يعتز به البشر من الفضائل ، وعلم أن الساكت عن الحق شيطان أخرس ، فلم يرد أن يكون شيطانا فذهب إلى عربن الأسد ، وكان يعلم أن القتل في هذا المسعى أقرب إليه من الحياة ، ولكنه كان يروى قوله صلى الله عليه وسلم (أفضل الشهداء رجل قال كلمة حق عند ملك جائر فقتله بها) فقطع في منزلة الشهداء .

وكان العشية في داره ، وكان حوله أهله وأولاده ، وكانوا يرقبون الأذان ليفطروا (وكان ذلك في رمضان) فسمعوا الضجة ، وزلزلات الأرض ، لقد جاء المجرمون ودعوه ليخرج أو يدخلوا عليه ، فخمى عياله بنفسه وخرج ، فتناولوه بالسب والشتم من ألسنتهم وبالخناجر والسكاكين من أيديهم ، وتطلع ولده الصغير ليرى ما الخبر ، فبلغت القسوة من نفوسهم أن حملوه ورفعوه ليرى مصرع أبيه ، وعاد الولد يسأل أمه :

- ماما ، ليش ضربوا بابا ؟ متى يرجع بابا ليأكل معنا ، فقد أذن المغرب ؟ .

بنفسه وهو في أوج سلطانه ، وذروة عزه ، وجعل يقول لكل من يلقاه في دمشق لما جاءها إثر ثورة تموز (يوليو) ومن يلقاه في العراق من المحامين والأدباء لما ذهبوا إلى بغداد في المؤتمرات : أين فلان ؟ (أين على الطنطاوى) الذى كان لنا من توجيهاته ودروسه حافزا لما صنعنا ؟ يقول هذا كرمانه ونبلا ، وليس هذا واقعا ولا حقيقة ، وبلغنى ذلك وحاولت أن أتذكره فما ذكرته . لم أذكر الاسم لما سمعته من الناس ، ولا الصورة لما رأيته في الصحف ، حتى جاءنى رفيق من رفاقنا في العراق لما كنا مدرسين فيه (من بضع وعشرين سنة) فنظر إلى صورة طائفة من الطلاب كانت عندى ، فقال : هذا عبد السلام عارف ، فردت على هذه الكلمة ذكرياتى عنه كلها ، وعرفت التابيد الحبيب النجيب ، وكان طالبا في الفصل الذى تسلمته من الأستاذ الأثرى .

فيا أخى عبد السلام عارف ، عليك السلام من وراء القيود والسدود سلام القلب ، سلام الحب ، سلام الوفاء .

وقرأت في جرائد مصر خبر الفجيرة بالصديق العزيز العالم الذى قتله قاسم ، فأحسست لما رأيت الخبر كأن صدعا انصدع فى كبدى ، الصديق الكريم الوفى المخلص المؤثر على نفسه الذى عرفته فى السفر والحضر ، والذى كان

العروبة والإسلام ، بهما قامت من العدم ،
وبهما بلغت المجد الذى نطح النجم ، وزاحم
فى الخلود الدهر ؟

فماذا يبقى من العراق إن خلا من العروبة
والإسلام ؟

لا عروبة ولا إسلام يا أولاد الحرام ؟
كلا . بل عروبة وإسلام لا ينفصلان ، ولا
يختلفان : إسلام نبيه من العرب ولغة كتابه
العربية . والحج فيه إلى البلد العربى القفر
الذى لا تعدل منزلته فى قلوب أتباعه جنات
الأرض كلها ، وعروبة ما أعزها ولا سما بها
إلا الإسلام ، عروبة دستورها القرآن ما أحله
أحللناه ، وما حرّمه حرّمناه ، وما أمر به فعلناه .
عروبة قائدها ورائدها محمد عبد الله ورسوله ،
لا نخالف عن أمره ، ولا نتبع غير سبيله .
وتاريخها ، التاريخ الذى به غرّها وعزّها
تاريخ أمة محمد .

إن هذا الإسلام عجب من العجب ! إنه
يأخذ من كل أزمة قوة جديدة ، لقد استفدنا
قوة للإسلام مما يجرى اليوم فى العراق . كان
دعاة الشيوعية حين يدعون إليها المغفلين
من الناس يزينونها لهم ، ويروّنها الحسك
الشيوعى جنة فقد رأوا آيات هذه الجنة ،
إنها كجنة الدجال فيها ما تشقى به الأنفس
وتقضى به الأعين ، فيها الدماء الجارية ،

وصاح المؤذن : الله أكبر . الله أكبر .

« الله أكبر » على كل من طغى وبغى
واستكبر . وقضى صديق محمد محمود الصواف
الذى كان فى شباب العراق « ابن الأزهري
البكر » .

وأسدل الستار على فصل من المأساة التى
تمثلها الشيوعية على مسرح العراق ، والتى
لا تحصى من كثرتها فصولا .

وقرأت جريدة « الأيام » فى الشام ، من
أيام ، أنه قد صار هتاف هؤلاء الخونة
الأوغاد فى شوارع بغداد : « لا عروبة
ولا إسلام » .

لا عروبة ولا إسلام ؟ يا أولاد الحرام ؟
ماذا يبقى من العراق إن خلا من العروبة
والإسلام ؟ وأى أرجاء العراق يقرمكم على
هذا النداء ؟ أأولية السليمانية وأربيل وكركوك
التي تمتلئ كلها بزوايا النقشبندية حيث القوم
جميعاً شافعيو المذهب ، نقشبنديو الطريقة ،
لا يعرفون إلا الإسلام ؟
أم الفرات الأوسط ومن فيه شيعة « على »
المسلم العربى .

أم البصرة ، والبصرة دارة العربية ،
ومثابة علمائها ؟

أم بغداد ، وبغداد غرسة من غرسات

ضعاف الإيمان أنها نهاية الإسلام فأين المغول اليوم وأين التتر؟ .

وأين الصليبيون المستعمرون ، لما انتقلت جحافلهم من أوساط أوروبا إلى القدس ، وملكوا ديارنا نحواً من مائة سنة ، وأقاموا فيها دولاً ، وحسب ضعاف الإيمان أنها نهاية الإسلام فأين الصليبيون اليوم وأين دولهم في بلاد الشام ؟ .

لقد قال هؤلاء كلهم كما يقول الشيوعيون في بغداد : لا عربية ولا إسلام ، فذهبوا هم حتى صاروا أحاديث ، ثم نسيت عنهم الأحاديث فلم يعد يذكر أكثرهم ذكر وبقيت العربية في ظلال الإسلام .

مآثر العرب العرباء خالدة

والدهر يهدم والإسلام إسلام

إن الله قد تعهد بحفظ هذا الدين (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وما يتولى الله حفظه فلن يضيعه أحد ، وإن الله يدافع عن الذين آمنوا ، ومن يدافع عنه الله فلن يقدر عليه أحد .

لقد صنعت تركيا السكالية ما صنعت في محاربة الإسلام ، ودأبت على ذلك ثلاثين سنة ، وسخرت لذلك المدرسة والمحكمة والسوق

فيها البيوت الخالية ، فيها السجون الخالية ، فيها للإرهاب الغرف المبوثة ، فيها العهود المنكوبة ، فيها الجوع والخوف ونقص الأموال والأنفس والثمرات !

فأى أحق ، بل أى حمار ينخدع بدعوى الشيوعية بعد اليوم .

وستذهب الشيوعية من الأرض حتى لا يذكرها ذاكر ، ويبقى الإسلام ، لقد حاقت بالإسلام نكبات أشد وأقوى ، وحسب ضعاف الإيمان كما يحسبون اليوم أنها نهاية الإسلام ، فما هى إلا أن يتفض الإسلام انتفاضة يقطع بها جبالها ، ويلقى عنه أنقالها ، ويمشى في طريقه . إن فتنة القرامطة التى امتدت واشتدت حتى تصيد أهلها الحجاج من حول الكعبة ، وذبحوهم فيها فسالت دماؤهم من ميزاب الرحمة ، وقلعوا الحجر الأسود ، وكسروا عسكر الخليفة ، وفعلوا الأفاعيل ، وحسب ضعاف الإيمان كما يحسبون اليوم أنها نهاية الإسلام ؛ فأين القرامطة اليوم وأين من يعرف خبرهم ؟ .

أين مصيبة المغول والتتر لما استباحوا حى الإسلام ، على يدهولاكو أولاً ، وتيمورلنك ثانياً . وذبحوا رجاله ، وسبوا نساءه ، وهدموا مدنه ، وأسروا ملوكه ، وحسب

دمائهم حتى جعلوا هذه الأرض عربية مسلمة ،
ووضعوها أمانة في أعناقنا وإن نفرط إن
شاء الله في هذه الأمانة ، لا ندعها للشيوعية
الأجمعية الموحدة ولا لغير الشيوعية ، بل
سنحفظها حتى نسلها لمن بعدنا محمدية مسلمة
تترف عليها راية القرآن .

إنها لا تزال طائفة من أمة محمد على الحق
لا يضرها من خالفها حتى تقوم الساعة ، وإننا
نرجو أن نكون من هذه الطائفة .

وبعد يا سيدي رشيد عالي ! ويا أخى
عبد السلام عارف ! أسأل الله أن يفرج عنكما ،
ويرفع عنكما أيدي الظلمة البغاة أعداء الله ،
ويا أخى الشهيد السعيد الشواف عليك
رحمة الله وسلامه .

اللهم عليك بالقتلة الظالمين أعداء الدين ، اللهم
لأنهم لا يعجزونك ، اللهم لأنهم لا يعجزونك ،
اللهم من أراد الإسلام وأهله بخير فوفقه
لكل خير ، ومن أراد وأهله بشر فخذ أخذ
عزيز مقتدر . . . !

اللهم إنه دينك ، اللهم انصر دينك .

على المنطوى

المستشار بمحكمة النقض

والبيت ، وحسبت أنها قد نجحت وأنها قد
نشأت نشأ معاديا للإسلام ، قد محى الدين من
قلوب شبابيه ، كما محيت ألفاظ العربية من
ألسنتهم ، فها هي إلا أن أرخت الحبل قليلا ،
ووضعت السوط قليلا ، حتى امتلأت المساجد
بشباب المصلين ، وإذا الدين لا يزال قويا
كما كان ، ما صنعت هذه البراج وهذه القوانين
وهذه السنون في محاربه شيئا

فيا من تحكمون العراق ، إذا كنتم تظنون
أنكم تستطيعون أن تبدلوا العراق غير
العراق ، وأن تغيروا نفوس أهله ، وتمحوا
تاريخه ، وتمسخوه شيوعيا ، بعشرة آلاف
أزعر تطلقونهم في الشوارع ، وبمصرح هزلى
سميتموه محكمة - فأنتم في ضلال بعيد .

إنكم لا تستطيعون ذلك إلا إن قتلتم كل
نصير للإسلام عدو للشيوعية في العراق ، هم
أربعة ملايين وتسعمائة وتسعون ألفا من
الملايين الخمسة التي تسكن العراق ، هؤلاء
(فقط) هم الذين يكرهون حكمكم ويعلمون
أنهم عليكم وما عداهم المؤيد لحكمكم النصير
لكم ، وتزعمون بعد أن الشعب معكم .

لقد أراق أجدادنا العرب - الذين شرفهم
الله بحمل رسالة السماء - أراقوا أنهاراً من

نفاية القرآن

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

— ٦٧ —

دين، وكرامة، وتفاهم
لا شيوعية، ولا تبعية، ولا مدهانة

(١) أفغير الله أبتغي حكما ، وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلا ٤٤ .
(ب) أفغير دين الله يبغون ، وله أسلم من فى السموات والأرض ٤٤ .

ويفسح من صدره ، ويناقش مجادليه فى رفق حتى يقيم عليهم الحجة فى هواده ، وفى قوة ، فيستجيب للحق أناس ، وينأى عن الحق آخرون « ولو شاء الله لجمعهم على الهدى » .
٢ — وكان من حجاج الرسول أن يقول للقوم فى زياده عن الحق ما عليه ربه « أفغير الله أبتغي حكما ؟ » : أتريدون أن أتابعكم وأحتكم إلى غير ما أنزل الله ؟ وكيف — وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلا — يعنى فى دين الله كفاية لنا جميعا ، فلا وجه للعدول عنه إلى ما تواضعتم عليه .

وكان من مؤازرة الله لرسوله فى جهاده للبطلين ، ودحضه لمفرياتهم أن يزيده تمسكا بحقه واطمئنانا إلى نصرته ، فينزل عليه قوله سبحانه — أفغير دين الله يبغون — يعنى هل

١ — من المفروغ منه أن الدعوة الإسلامية كانت قديما بين أنصارها وخصومها سبب أخذ ورد ، وسبب دخول فى أزमत جائحة طالما انتهت بنصرة الحق على الباطل ، كما هى سنة الله فى تدبير هذا الكون ، وكما وعد الله عباده « إن الباطل كان زهوقا » .

وكثيرا ما كان يحتال خصوم الدعوة فى استدراج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى جانبهم ، وإخضاعه لتقاليدهم وأهوائهم ، أو زحزحته عن الأخذ بما أنزل الله عليه من دين وأحكام .

وكانت سياسة الرسول — صلى الله عليه وسلم — التى تلعبها من توجيهات ربه ، وكان يلقتها لأصحابه وأمتة أن يبسط من حله ،

من الغير بشيء من ذلك . . ولا نسمع لأحد باستدراجنا إلى الانحراف عن سبيلنا ، أو ديننا ، والتذهب بمذاهب تأباها تقاليدنا ، ولا نستريح إليها مهما تكن مألوفة عند سوانا .

هذا منهجنا الذى هتفت به ثورتنا وشعبنا ، وهو شعارنا الذى يتوشح به زعيمنا ورجالنا فى كل ما يتحدثون به عن الأمة ، ويعربون به عن أمانها ومصالحها . . وقد قطعنا نوطا غير قصير ، وأوضح مسلكنا فى غير شبهة ، ولقمنا ما لقينا من مقاومة أو تأييد . . . وشكرنا للبحسن إحسانه ، وعرفنا للسىء إساءته .

فإزاء هذا كله يكون من المؤسف أن تفجأنا سياسة جديدة تتحول بها حكومة صديقة إلى غير ما ظننا .

هـ — ظفرنا بصدقة الروس ، وانتفعنا بهم ، وشكرنا لهم أن وقفوا بجانبنا ، وهتفوا بحقنا وما برح كل منا - فيما وراء الاقتصاد والمعونة — على نظامه الاجتماعى ، ومازلنا على عقيدتنا وديننا ، ولم يدر بخلدنا أن يتهافت الروس على استدراجنا إلى مذهبهم الشيوعى ، وأن يشعرونا بأن معوتهم كانت شباكا تصيدون بها ، وأنها نصرة ندفع ثمنها من ديننا ، وأجادنا ، وحرقتنا . . . وفاتهم

يتبعون ديننا وضعيا غير دين الله الذى شرعه ودعا إليه ؟ وكيف يعدلون عن مطاوعته تعالى وهو الذى أسلم إليه ، وخضع لسلطانه كل مخلوق فى السموات والأرض .

وهذا جانب من المنهج الدينى الذى نرسمه فى شأننا مع الغير كلما جدت مناسبة لمثل هذا الجدل .

٣ — وقد تعاقبت الأزمان ، وتماوجت الأحداث ، والناس يرون من أعراض المجتمع البشرى فى يومه شبها قويا بما كان فى أمسه ، فيقوم للحق أنصار ، ويزور عنه آخرون .

٤ — ونحن اليوم لسنا بصدد دعوة جديدة ، وإنما نحن فى أعقاب ثورة متزنة : ثورة على الفساد كله ، وعلى الاستعمار والتحلل ، وفى إبان نهضة يقظة شاملة ، نسعى إلى أهداف مرموقة ونسلك إليها سبلا عدة ، ولسكنها السبل المشروعة .

ونحن فى وجهتنا إلى الغايات الكريمة لا ننحاز إلى الشبهات ، ولا ننجيد عن الجادة ، ونسظل جميعا بما لنا من دين سماوى ، ونسير فى ضوئه نحو إخوان إنسانى ، وتضامن عمرانى ، وتعاون حميد : فى الثقافة المجدية ، وفى الاقتصاد المادى مع كل هيئة أو حكومة ذات نجدة ومروءة . . لا نتأجلنا مع الغير بالأعيب ، ولا نعرف المداينة ، ولا نرضى

بها أمام العالم كله فإذا لم يكن للشالية التي وضحت في زعيمنا قدر عند السوفيت ، أو غيرهم ، أو إذا كانت الصداقة البريئة من جانبنا شركا للصيد في اعتبار أولئك الأصدقاء : فما حيلة الزعيم العربي إلا أن يترفع ، وأن ينبذ الصداقة المدخولة ، ويصارحهم بقول الرسول - صلوات الله عليه - لكم دينكم ولي دين - وهذا ملتقى الوطنية مع الدين ، وملتقى الإخلاص مع الصداقة ، وملتقى الوفاء مع الصراحة ، ولنا من جانب الله عون مكفول بعد ذلك وقبله ، « إن الله يدافع عن الذين آمنوا ، إن الله لا يحب كل خوان كفور » .

٧ - ثم ما هي الشيوعية التي يدعوننا إليها؟ قرأنا عنها شيئا، وسمعنا من دارسها كثيرا، وفيما قرأناه وسمعناه كفاية لفهمها ، والحكم عليها فالشيوعية - طبعا ليست ديناً ، ولا سياسة ، ولا اجتماعاً صحيحاً ، وإنما هي في حقيقتها أنانية وجشع ، وميول شهوانية تجسمت في صدور أناس من المتطرفين في عصور مختلفة ، وظهرت في ألوان عدة .

فهي كما يقول الفيلسوف الإسلامي جمال الدين الأفغاني مع الإيجاز : مذهب الطبيعيين الذين زعموا أن الدنيا وما فيها من كائنات خاضعة لنظام الطبيعة فلا إله ، ولا خالق ، ولا مؤثر في تلك الكائنات بوجود ، أو تطور ، أو فناء سوى الطبيعة وعلى ذلك

أنا حينما نظارد استعماراً ونرضى عنه باستعمار آخر إنما نكون كمن يتداوى من مرضه بالسهم الزعاف .

وشاعرنا يقول :

إذا استشفيت من داء بداء

فأقتل ما أهلك ما شفاك

٦ - ديننا يعلننا دائماً أن نحسن الصلة بالله ، وبالناس ، وأن نتعامل بالوفاء والصراحة مع من ينضوي معنا في عقيدة واحدة ، ومع من لا ينضوي .

لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوك في الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ، أن تبرؤهم ، وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين - العادلين .

وحينما اتجهت ثورتنا إلى الاستعانة بالسوفيت ، أو بغير السوفيت كان زعيمنا - جمال مستجيباً لمصلحة وطنه ، ومسترشداً بدينه : لا متجاهلاً ، ولا منحرفاً ، فهو يتعامل في جد ، ونزاهة مثالية ، وكان في خطواته مع السوفيت غير متكرر ، بل كان مسلماً صريحاً ، وسياسياً صدوقاً .

وكان على السوفيت أن يؤمنوا به كبدأ ، ويطمئنون إليه في يقين . . حتى لا ينكصوا معه في الموقف ، ولا تتأرجح بهم الميول ، وتميد تحت أقدامهم المبادئ التي تظاهروا

وطبعاً : كانت هذه الفلسفة مناقضة للدين ، عند اليونان ، وفاتنة للكثير منهم عن تدينه ، فانطلقوا حيناً من الزمن وراء فلسفة أبيقور ، حتى لعبت دورها في حياة الشعب اليوناني وزحزحتهم عن كثير جداً من تقاليدهم الأولى ، إلى ميوعة ، وتحمل ، وفساد ذريع .

ثم تسربت هذه الموجة الطاغية إلى الفرس ، وأخذت مجالها في الإفساد ، وتزعجها فيلسوفهم - مزدك - حتى أطاح بالفضائل كلها ، وضععت كيان الفرس بعد قوة ، وحضارة ، وكان لهذا التهدم والضعف دخل كبير في زحف العرب عليهم واحتلالهم بلادهم ، وانتشار الإسلام في ربوع تلك الدولة العتيقة التي أصبح لها شأن رائع في المحيط الإسلامي بما لها من ثقافة وحضارة .

ثم ظلت جرائم الفساد تنحدر من رأس إلى رأس ، وتسمى بأسمائها المختلفة ، حتى ظهرت في ألمانيا وفي محيط العمال ، وراجت بينهم باسم - تحسين حالة العمال الخاه ملخصاً .

٨ - ونحن نعلم أن الوسط العالي ، وخاصة في البلاد الصناعية كألمانيا أكثر الأوساط عدداً وأشد حساسية بالمجهود العملي ، وبالضنك المالى ، وأبعد عن الثقافة والهدوء .

ظهر فيهم - كارل ماركس - وكان مولده سنة ١٨١٨ وامتدت حياته إلى سنة ١٨٨٣ واستغل سخط العمال وحقنهم على أصحاب رؤوس الأموال ، وألهب فيهم روح التذمر ،

لا يكون هناك آخرة ، ولا حساب ، ولا جزاء ، وإنما هي حياة دنيوية تنتهى في كل شئ بالتدريج حسب طبيعتها . وما دام الأمر كذلك فالحياة كلها متاع مباح ، ولا يختص أحد دون أحد بشئ بل السكل شركاء في متع الحياة الخ .

وهذا بعينه هو مذهب الدهريين الذين يقولون بكل ذلك ، غير أن المؤثر عندهم هو الزمن وإذا انقضى زمن شئ ، أو زمن الدنيا فلن يعود لها وجود ، فلتسكن الحياة لإباحية مطلقة إذ لا خوف من حساب ولا جزاء الخ ثم قال : مع الإيجاز أيضاً .

وهذان مذهبان عريقان في الفساد ، والإفساد ، لبنا زمننا طويلاً يتعثر فيهما بعض المبطلين ، والجهلة ، ثم ظهرت بعدهما فلسفة - أبيقور - في اليونان ، وقد كان اليونان أهل دين ، يتحرجون من المآثم ، ويحترمون الحقوق الفردية ، ويرضون من الدنيا بما قسم لهم من حظ فيها ، ويدأبون في أعمالهم غير ساخطين ولا متمردين . فخرج فيهم أبيقور بفلسفة سماها حكمة ، وتبعه أناس سمو أنفسهم حكماء ، وسموا زعيمهم الفيلسوف الحكيم - أبيقور - .

كانت فلسفة أبيقور أو حكمته دعوة إلى التحلل من الدين واستباحة المنافع بكل ما يخص الغير من مال وغير مال الخ .

حزب الأكثرية ، وهو يعيش اليوم في غير دين ، ويتحدث عنها من خالطوا الروس في بيوتهم أحاديث غير مشوقة ، ويضربون الأمثال من الواقع على جفوة الشيوعية ، والامتعاض منها لدى المغلوبين على أمرهم هناك .

١٠ - وأياما كان: فنحن ندين بدين الله الحق ، ولا نجد في طبائعنا وميولنا جنوحا إلى شيء من هذا التطرف والمعاداة للأديان السماوية التي تربينا في ظلها ، فالمسلم على إسلامه ، وغير المسلم كذلك على دينه : حقوق مصونة ، وحرية مكفولة ، وعدالة وإخاء ورجوع إلى الله قدرا المستطاع .

واجتهاد وتنافس وعمل للدنيا في تعاون ومجانبة للطغيان ، بل رفيق ، ورحمة ، وقناعة بما يتاح من كسب .

إذ ليس في استعدادنا أن نتجاهل قول الله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا - ليتنفع بعضهم بخدمات البعض وهذه توجيهات تلائم الفطرة وتتنظم بها الحياة ، وبدونها يتذبذب المجتمع وتهتز قواعد الاقتصاد ، وإذا نجحت يوما تلك النظم التعسفية وهانت بجانبها اللادينية ، فإن العواقب غير مأمونة ، وكل ذلك لا يعجز الله أن يأخذ الدنيا بومضة من برق ، أو إعصار من الريح ، فتصبح دنيانا أثرا بعد عين ، كما فعل الله بأمم خالية كانت أشد منا بأسا وقوة ، والله عاقبة الأمور .

عبد المطلب السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

ووضع لهم نظاما يطالبون بتنفيذه وسماء - الشيوعية - ومعناه : إلغاء الملكية الفردية ، والمساواة بين الناس في الأموال وراجت هذه الدعوة بين العمال في ألمانيا ، وحسبها فرصة تفسح لهم مجال الرزق ، وتتيح لهم أن يملكوا نصيبا من أموال الأغنياء .

غير أن هذه الشيوعية تعثرت في معارضة المعارضين لها ، وتسكر في وجهها رجال الحكم في الغرب كله ، فاكثفوا عنها بتعديل نظام العمل وحالة العمال .

وبقيت فكرة الشيوعية مكتومة عند أنصارها حتى كانت الثورة الألمانية في روسيا أواخر القرن التاسع عشر - وكان ماركس قدمات سنة ١٨٨٢ .

٩ - ففي أواخر هذا القرن كانت روسيا مع اليابان في خصومة وحروب ، فانتهر العمال الروس هذا التلق ، وسخط الجماهير على الحكم القيصرى ، وتألفت جموعهم ، وهتفوا بالشيوعية الماركسية ، وقام على رأس هذه الحركة - لينين ، ووضع لهم نظاما شيوعيا مؤلفا من مبادئ ماركس ، ومن رغبات جديدة ، فاستهوى العمال ، وهون عليهم أن ينبذوا الدين ؛ لأنه يحول بينهم وبين مطاعمهم ولا يسمح لهم بالطغيان على أموال الغير أو الإسراف فيها يشتهون .

وظلت الشيوعية في مد وجزر بين دعايتها ومعارضتها ، وبقيت تحمل أسماء متنوعة ، وتلون في أوضاع مختلفة ، حتى تركزت ظاهرا فيما يسمى بالبلشفيك ، ومعناه :

الدين والإنسان

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

المصدق لما سبقه من كتب سماوية ، ورسوله هو الذى جاء مصدقا لما جاء قبله من رسل بعثهم الله لهداية الإنسانية ، وقد ضلت سواء السبيل ، وهو الذى جاء بالعقيدة الحققة بعد أن كان الناس منها فى أمر مريج ، كما جاء بالأمن والسلام وبحرية الإنسان وحماية سائر حقوقه الطبيعية .

هذه العقيدة فى الله الواحد الأحد ، الذى يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ، والذى ضمن للإنسان حرية وكرامته ، وللضعيف حقوقه إزاء المعتز بقوته وسلطانه ، فهو لهذا يتنصر للظلم متى آمن به ولجأ إليه ، وهو الذى وهب للعبد رجاء ، وللإنسانية إخاء ، وللناس إدراكا للحقائق الأساسية التى تقوم عليها الطبيعة البشرية .

ولنسمع فى هذا إلى بعض ما يقوله القرآن : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » ، « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ، « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » ، « وإذا سألك

الإيمان بدين ما حاجة من حاجات النفس البشرية متى كانت على فطرتها السليمة ، لا بد من تلبيةها ، بل لعله يكون فى طبيعته غريزة لا بد من أن تجد لها مظهرأ ومتنفسأ ؛ وذلك لأن الإنسان طلعة بطبعه . فليس فى تاريخ البشرية جماعة إنسانية إلا كان لها رأى فى تعليل ظواهر السكون وأحداثه ، وفى مبدأ الإنسان ومصيره . ومن ثم يكون لها تصور للتوارة التى تهيم على السكون ، وحيثئذ تؤمن بها وتدين لها ، وتحافها وترجوها ، وتقدم لها مختلف القربات والعبادات .

والإسلام هو الدين الحق ، وخاتم الرسالات السبوعية والشرائع الإلهية . وبه تمت نعمة الله على الإنسانية جميعها ، وفى هذا يقول كتابه العظيم : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً » ، كما يقول : « إن الدين عند الله الإسلام » ، ويقول : « ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه » .

ولا عجب فى شئ . من هذا : فالقرآن هو

إلى ذلك الوعود الكاذبة يلوحون لهم بها ، كما يلوح السراب في الصحراء المهلكة للمسافر الظمآن ، ثم لا يكون من وراء الطمع فيه ومحاولة الوصول إليه إلا الهلاك المحقق .

إن الشيوعية نظام أو فلسفة تقوم على إنكار الدين ، أى دين ، وبخاصة الإسلام الذى فصل الحقوق والواجبات بين طبقات الناس المختلفة ، ومن ثم فهى تعادى الدين وتحاربه بكل سبيل ، حرباً لا سلام معها ، ولا هوادة فيها ولا مهادنة ؛ لأنها لا تؤمن إلا بالمادة وبالقوة .

إنها لا تعترف بخالق الأرض والسماء ، ولا بقوة غيبية عليا تهيم على العالم ، وتوجه الناس إلى ما يصيرون إليه حسب إرادة أزلية وعلم بما كان وما سيكون . فالدين فى رأيها ليس إلا خرافة من الخرافات وأسطورة من أساطير الأولين . وما رجال الدين أو دعاة فى رأى الشيوعية إلا خدعة يمحرون بالناس ليستقيموا إلى ما يحل به من ظلم ، أو ينو بهم من استغلال الأقوياء لهم .

ومما جرى مجرى الأمثال التى تلوها السنة الشيوعيين ، وتؤمن بها عقولهم وقلوبهم قولة « كارل ماركس » ، المأثورة : « الدين هو أفيون الفقراء » ، وقولة « لينين » : « الماركسية هى المادة ، وهى - لهذا - معادية للدين » ، وقولة أحد أعلام الشيوعية الآخرين وهو يقدم

عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلمهم يرشدون .

والإسلام ، وكذلك كل دين سماوى بصفة عامة ، يمنع الإنسان من اتخاذ إلهه هواء ، ومن الانسياق لنزعات الشر والسوء والشهوات الجاحمة ، ويمنحه القوة على اقتحام المصاعب والشدائد ، ويمده بالعزيمة على المضى بنجاح فيما يريد من الخير ، ويحول بينه وبين اليأس إذا استحسنت حلقاته حتى يأتى الله بالفرج من عنده . والإسلام هو الذى يجعل الناس جميعاً إخوة متعاونين متحابين على اختلاف أجناسهم وألوانهم وطبقاتهم ، إلى آخر ما نعرف من المزايا التى لاتسعد الإنسانية بدونها . فأين هذا كله من الفلسفات الخاطئة الضالة ، والنزعات الشريرة الآثمة ، التى تجعل العالم جميعاً يصلها الأحياء ، التى فرقت بين الناس بعضهم وبعض ، وبين الزوج وزوجه ، والآب وأبنائه ؛ أين ما جاء به الإسلام والأديان السماوية من تلك الفلسفات التى جمحت كل مقدس ، وأنكرت القيم الإنسانية الرفيعة ، واتى امتهنت الإنسان وحرته ، وأضاعت قيمته وكرامته . وأصدق مثال لذلك كله هو الشيوعية التى يحاول أصحابها نشرها بالخداع ، والتفريب بالسذج من الشباب ، والكاذحين من العمال والصناع ، وسبيلهم

العاملة ، بل صارت شراً ووبالاً يجب بذل كل جهد للحد منه والوقوف دىن استشرائه . إنه لا يمكن أن يحيا العامل حياة إنسانية تحت هذا النظام الذى يسلب حريته ويجعله مسخراً كأنه آلة من آلات الإنتاج ، بل إنه صار حقاً فى روسيا وما والاها جزءاً من الآلة البشرية الهائلة ، وأصبح تحت رقابة طاغية مستبدة ، لا هم لها إلا سوقه بعضاً من حديد لىكى يعمل وينتج ، ثم لا يناله من ذلك الإنتاج الضخم إلا ما يسد رمقه ويكسو عورته ويجعله قائماً بالإنتاج ما بقى قادراً عليه .

وإلغاء الطبقات الاجتماعية فى نظام الشيوعية ليس إلا أسطورة أو وهما من الأوهام . وهو أمر يخالف كل المخالفة طبائع الأشياء ؛ فإن الله لم يجعل الناس سواسية فى العقل والتفكير والقدرة على العمل والنجاح فيه ، وهذا هو الواقع فعلاً فى كل زمان ومكان منذ وجد العالم والناس ؛ فمحاولة تغيير هذا الواقع منذ عهد البشر بالوجود ليس إلا عبثاً وأمرأ مقضياً عليه بالإخفاق ، لمناقضته للطبيعة وواقع الحياة .

وكل ما فعله النظام الشيوعى فى هذه الناحية حتى اليوم ، هو أن العمال ، وسائر الطبقات الضعيفة من الشعب قد استبدلوا بالذين كانوا سادة عليهم بحكم المولد وبحكم العرافة فى الحكم والسلطان ، سادة آخرين

لكتاب « لينين » عن الدين « الإلحاد جزء طبيعى من الماركسية لا ينفصل عنها » . والشيوعية وقد أنكرت كل دين من أساسه ، ولا ترى معبوداً إلا المادة والقوة على اختلاف مظاهرها تنكر طبعاً ما جاء به الإسلام بخاصة ، من أصول ومبادئ معنوية روحية ، وهى مبادئ لا يكون للإنسان وجود وكيان إلا بالاعتراف بها .

إنها تنكر ما جاء به الإسلام ، من عدل يتساوى فيه الضعيف بالقوى ، ومن رحمة تجعل الحياة محتملة والإنسانية متساندة . كما تنكر الحياة العائلية التى تقوم على الأسرة وما يربط بين أفرادها من الألفة والمحبة والتعاون والإيثار . وتنكر كذلك الحياة الأخرى التى يلقي الإنسان فيها جزء ما يعمل فى دنياه من خير أو شر ، إلى سائر ما يتصل بهذا كله من المبادئ والمثل الإنسانية العليا . وإذا كان دعاة الشيوعية الأولون يحملون بما كتبوه ودعوا إليه من قيام مجتمع لاطبقات فيه ، ولا سادة فيه ولا مسودين ، بل كل يعمل ويحيا حياة طيبة لا استعباد فيها ولا استغلال ؛ فإنها قد انقلبت شيئاً آخر حين دخلت دور التطبيق العملى ، وصارت نظاماً للحكم فى بعض البلاد ، وبخاصة روسيا وما والاها من البلاد والدول الأخرى ، ولم تحقق ما وعد به أولئك الدعاة الأولون من خير للشعب وللأيدى

والرسول صلى الله عليه وسلم يوصى بالضعفاء خيراً ، ويقول في هذا : « فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم » كما يوصى بالعمل والأجير ولو كان عبداً مملوكاً ، ويؤكد أنه خصم من يظلم الأجير والعامل ويخسه حقه ويقول في هذا : « وإذا كلفتموهم ما لا يطيقون فأعينوهم » .

وافتح سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه عهده بكلمة قال فيها : « الضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ له حقه ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله » . وكذلك كان يفعل رضى الله عنه هو وسائر الخلفاء الراشدين .

وإذا كان النظام الشيوعى لا يقيم وزناً للشعب بجانب السادة أصحاب القوة والجبروت ولا يعترف بحقوق الأولين إلا كما يعترف بحقوق للآلة المستخرجة تجعلها قادرة دائماً على العمل والإنتاج : ولا يبالى « لينين » أن يكتب إلى « مكسيم جوركى » أحد مشاهير الكتاب الروس رسالة يقول فيها : « هلاك ثلاثة أرباع العالم ليس بشيء ، وإنما المهم أن يصبح الربع الباقي منهم شيوعيين . . . » تقول إذا كان الأمر فى الشيوعية هكذا ، فإن الدين الحق غير ذلك كله ، إنه يعرف للفرد حقه ، كما يعرف لل مجتمع حقه ويعرف للوالى حقه ، كما يعرف للشعب حقه . ها هو ذا

بحكم القوة والإرهاب ، سادة لا يقلون عن الأولين ظلماً وبطشاً .

أما الدين الحق ، أما الإسلام فهو يعترف بالواقع حين اعترف بنظام الطبقات الاجتماعية ، ولكنه سوى فى الحقوق والواجبات على اختلاف ضروبها وأنواعها بين الفقير والغنى ، وبين الضعيف والقوى . ثم بعد هذه التسوية فرض فى أموال الأغنياء القادرين حقوقاً للفقراء والمحتاجين ، وذلك بنص القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، كما هو معروف .

ولم يجعل الدين الإسلامى للغنى فضلاً بسبب غناه ، ولا للثريف ميزة لنباله مولده ، بل وسع الجميع عدله ورحمته ، وانتصف من القوى للضعيف ، وأخذ من الغنى للفقير ، وحث الجميع على أن يعيشوا إخواناً تؤلف المحبة بين قلوبهم ويؤكد التعاون فى السراء والضراء ما بينهم من وشائج وصلات ، وذلك بأنهم جميعاً لآدم ، وآدم من تراب .

ها هو ذا القرآن الكريم يقول : « يأها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « كلسم لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » كما يقول : « والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه » .

قد جعلنا كلامنا من الزوجين سكنا للآخر وموضع طمأنينة له ، وجعل بينهما مودة ورحمة تعين على الحياة وتذلل ما يقوم فيها مصاعب ، ولأنهم ما جعلنا إلا أبناء قرة أعين لأبائهم وأوصى الذين جميع الناس بالرحمة والمحبة ليدوم ما بينهم من صلوات .

ولكن الأمر في الشيوعية على غير هذا كله ، فقد تناقلت الأخبار الواغدة من روسيا أن ليس لمسلم أو مسيحي هناك أن يكون أسرة ، تقوم على ما يوجبها الدين من أصول وشعائر ؛ بحيث يكون لها كيان وقومية ووجود مشروع ، وبحيث تضم الزوجين وما يكون لهما من أبناء يكون لكل منهم حقوقه وعليه واجباته ، بل الأمر هنالك اتصال ذكر بأنثى زمننا طويلا أو قصيرا ، ثم ما أيسر ما يكون الانفصال إن رغب أحدهما فيه ، وكفى بهذا هدمًا للخلية الأولى في المجتمع الصالح للحياة . وبعد ! لعل من أفضل ما نختم به هذا البحث هو هذه الكلمات التي هي ختام كتاب « حقيقة الشيوعية » ، وهي : إن الشيوعية هي انطلاق من كل قيود الروح ، واندفاع في طريق المادة يقطع كل سبب بالأخلاق الفاضلة ، ويجرى على كل فاحشة ، وينسى الله وثوابه وعذابه ، ويرد الإنسانية المتحضرة إلى بهيمية الغاية .

محمد يوسف موسى

رئيس وأستاذ قسم الشريعة الإسلامية
بحقوق عين شمس

أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : « والله لو هلك جبل بشط الفرات ضياعا لحشيت أن يسألنى الله عنه » .

كما خطب مرة فقال : « اللهم إني أشهدك على أمراء الأمصار ؛ فإنى إنما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم ويعملوا عليهم ، ويتسموا فيهم بينهم . . ثم أمر بعد هذا أن يرفع من يظلمه أميره أمره إليه ليتص له منه . وحينئذ قال له عمرو بن العاص وهو والى مصر : يا أمير المؤمنين ! أرايت إن أدب أمير رجلا من رعيتك أتقصه منه ؟ فقال عمر ومالى لا أقصه منه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يهص من نفسه ! » ومن نافلة القول أن نذكر هنا كيف كانت رأفته بالرقية ، وكيف كان يخدم بنفسه الضعفاء والمحتاجين فى كل حال ، فهذا شئ عرفه التاريخ ، ويذكره الناس حتى اليوم ، وقد كان يستوحى فى ذلك كله الإسلام وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم .

والشيوعية بعد ذلك كله لا تعترف بالأسرة التي تعتمد على الزواج المشروع ، بل لا تعترف بالحياة الأسرية بصفة عامة وعلى أى أساس تسكون ، وبهذا تصادم الطبيعة ، كما تصادم الدين ، وتقطع ما يجب أن يكون من صلة القربى وذوى الرحم .

إن الدين وإن الطبيعة والفترة السليمة

المذاهب المادية عاجزة عن تفسير نفسها

للدكتور سليمان دنيا

المنافسة الشريفة ويكتسبون ويتملكون ثم يؤدون بدورهم إلى غيرهم ، ممن يكونون قد أصيبوا بمثل ما أصابهم من قبل ، حقوقا تفرضها الأخوة ، وتؤكددها المروءة ، و يباركها الدين .

تلك الحرية التي لست أدري كيف يكون طعم الحياة بدونها ؟ إنى لأنصورها حياة كحياة البهائم والعجائز ؛ ذلكم لأن البهائم والعجائز لا تعرف ذلك الضرب من الحرية الذي تركز في فطرة الإنسان وصار مصدرا أصيلا لتصرفاته ، ومعيارا يصرف على وفقه شؤنه ، حتى صارت حرية الفعل عنده أهم لديه من نتائجه ، فما أيسر أن يتنكر الحر للفعل لأنه جرى على غير إرادته ، دون انتظار لما يترتب عليه من آثار ؛ وما ألد أن يتقبل الحر آثار فعله وإن كانت مريرة ؛ لأنه جرى على وفق تدييره .

تلكم هي طبيعة الإنسان لا سبيل إلى إنكارها ، ولا إلى تغييرها . ولكن الشيوعية أبى عليها تمردها على الإنسانية ، وعلى الوقائع التي لا سبيل إلى رفعها ، إلا أن تحل محل ذلك

المذاهب المادية - سما شيوعية ، أو وجودية أو ما شئت من أسماء - تقوم على أساس مشترك بينها هو إنكار وجود الإله ككائن مجرد عن المادة حي عالم قادر مريد ، إليه يرجع الأمر كله في تصريف شؤون الكون ؛ ويتبع ذلك بطبيعة الحال إنكار الرسل والرسالات وما وعدوا به من حياة بعد الموت ومن مسئولية أخروية ؛ لإثابة المطيع وعقاب العاصي .

تنكر المذاهب المادية كل ذلك ، وتنكر تبعاً له شرائع الله للناس ، ودينايته إلههم ، وتحل محل الإيمان بالله ورسله وكتبه جحودا مطلما بكل هذه الحقائق . وتحل محل دستور السماء الذي يكفل للناس حرية التملك والاكسباب والتصرف ، في حدود لا تتأدى إلى طغيان فئة على فئة ، أو استدلال فريق لفريق ، بل على أساس يجعل للعاجزين عن الكسب والاحتاجين حق العيش الكريم ، ويشعرهم بأن لهم حقاً مكفولاً وكرامة مصونة ، إلى أن يتخلصوا من أسباب عجزهم وحاجتهم وينزلوا إلى معترك الحياة يستدقون لذة

تدل عليه صنعته . هب أن هذه البداهة التى قيل : إنها مركوزة فى طباع العجاوات قد خفيت عليهم ، فما لهذا واعتبار الإنسان الذى يبرت الكشوف العلمية الحديثة الوقوف على تركيبه النفسى المعقد ، آلة صماء تسير بنفس الطريقة التى تسير بها الآلات الصماء ؟ .

وليعلم القارىء أنى إذ أقول : إن العجاوات قد ركز فى طباعها معرفة أن للأثر مؤثراً وأن للأثر العظيم مؤثراً عظيماً ، وأن للأثر الضئيل مؤثراً مثله ، لا أقصد التشنيع أو التهويل ، بل أكرر قولاً فرغ منه العلماء ؛ إذ قد تبين لهم أن الصوت الذى ينبعث من خلف حيوان أعجم يثير فى نفسه الفضول إلى التلفت خلفه ، لا ليرى الصوت الذى أدركه بأذنيه ، بل ليرى مصدره ؛ والحيوان يتلفت فى غير اكترات حين يكون الصوت غير مزعج ، أما إذا كان الصوت مزعجاً فإنه يتلفت فى خوف وذعر ؛ لأن الصوت الذى وصل إلى أذنيه قوياً عفيفاً أشعره أن مصدره عنيف مثله ، وأنه لذلك قد يكون خطراً عليه ؛ لأنه لا بد أن يكون فيه من العنف مثل ما فى الصوت الذى انبعث عنه ؛ وهكذا يدرك الحيوان أن الأثر العظيم لا بد له من مؤثر عظيم ؛ لهذا صح أن نقول : إن هذه البداهة التى هى مركوزة فى طباع العجاوات قد خفيت على

كله نظاماً يفترض أن الناس - والحرية من مقومات وجودهم - آلات صماء يسخرون كما تسخر الآلات . ويعطون من وسائل العيش ما يلزمهم فقط كآلات لا كإناسى ؛ فكما يلزم أن تطفى الآلات ببعض المواد الدهنية . حتى لا تتآكل أو تحترق ، يعطى الفرد فى النظام الشيوعى ما يحتاجه ليحيا لا ليسعد .

ولست أدرى أى الأمرين - فى الشيوعية - كان أصلاً للآخر ؟ هل تفلسفت فاتهتت تفلسفها إلى إنكار الإله والنبوت والبعث وما يتبعه من مسئولية وجزاء ، ثم أقامت نظامها المائى على أساس من تفلسفها هذا ؟ أم تلجج بخاطرها هذا النظام المائى أولاً ، ثم رأت أنه يقوم على النقيض من النظم التى أقامتها عدالة السماء ، فكان لا بد لها أن تتنكر للسماء وعدالته ؟ .

ولست أظن أن هناك ارتباطاً وثيق الصلة بين إنكار وجود الإله ، وبين محاولة تقويض أهم أصل من مقومات الطبيعة البشرية ، ألا وهو الحرية : حرية التصرف ، وحرية التملك ، وحرية الكسب ، وحرية الرأى فى الحدود التى لا تتجيف من حقوق الآخرين . فهب أن أخطأهم التوفيق ، وسدت عليهم منافذ التفكير السليم ، فلم يدركوا أن صنعة على أكبر جانب من العظمة والجلال ، لا بد أن يكون لها صانع له من العظمة والجلال بمقدار ما

المالى الذى يتجاهل ما للنفس البشرية من حقوقه فى الحياة والحرية ؛ فإن نظامهم العقيدى الذى ينكر الألوهية والنبوات وما جاءت به أشد من ذلك تخاذلا وتهاويا .

وقبل أن أقول كلمة موجزة عن تخاذل آرائهم العقيدية أحب أن أشير إلى أن الصورة التى قد يتخيلها بعض من لم يشاهدوا الآثار السيئة للنظام الشيوعى الاقتصادى والمتاعب الجمة التى يعانها أولئك الذين يرزحون تحت أثقاله ، ويتصورون بها الناس هنالك مقضى الحاجات ، متساوين فى الأقوات والأرزاق خالين من الهموم والمنغصات ، هى صورة شعرية لا تمت إلى الواقع بصلة ، فالناس هنالك يأكلون كما تأكل الأنعام والنار مشوى لهم .

وليعلم أولئك الذين قد يساعدهم ما هم فيه من فقر أو ضيق على أن يتوقعوا أن يكون فى النظام الشيوعى ضمان لهم من الضيق والفقر أنهم واهمون فى تصورهم ؛ لأنه لو كان الأمر كما يتصورون لما برم بالنظام الشيوعى الآن من يرزحون تحت أثقاله ممن كانوا من قبل فى فقر وضيق .

وليعلموا فوق ذلك أن فى نظام الإسلام ضمانا لحياة أكرم من الحياة فى أى نظام آخر وحسبهم أن يعرفوا أن عمر بن الخطاب كان يقول :

أولئك الذين أدركوا فى عهد الذرة ما أدركوا من خفايا الكون وأسرار الوجود ، ثم جللوا هذا الإدراك بعار لظنوا به وجوههم حين أنكروا أن يكون لهذه الخفايا ، وتلك الأسرار ، صانع له من أوصاف الكمال والجلال ما يتناسب وما لهذه الآثار ؛ وإنه ليزيدهم خزيا وعارا أن يردوا هذا النظام المحكم إلى المادة التى هى فى نظرهم عمية سماء غير مدركة ولا شاعرة .

أقول : هب أنه قد أخطأهم التوفيق فى إدراك هذا الأمر ، فأية علاقة بين ضلالهم فى مسائل الألوهية والنبوات ، وبين تنكرهم للطبيعة البشرية يحاولون أن يسلبوها أخص مقوماتها ، وأن يحولوها عن طبيعتها تحويلا ؟ إن الأمر - فيما أظن - ليس خطأ تفكير وضلال رأى ، ولكنه أمر متعمد مقصود ، بحيث أرادوا للناس أن يكونوا آلات سماء ، كان لابد لهم أن يتخلصوا من كل ما يقرر حقوق الإنسان فى الحرية والتملك والكسب ، والعيش الكريم . وأصبحت هذه الخطوة فى نظرهم ، خطوة الجحود والإنكار والتمرد على الأديان ضرورية لتأمين نظامهم المالى ؛ لأن الذى يحمى الإنسان من ظلم هذا النظام وعسفه إنما هو شريعة السماء التى كفلت لكل حى نوع الحياة التى تناسبه .

وإذا كانت الفطرة السليمة تأبى نظامهم

تصرفها وتدبرها . لا مناص إلا أن تقول :
إن المادة واجبة الوجود بذاتها ، وهى أصل
كل ما فى الكون من حوادث وأحداث .
فليت شعرى هل المادة عندهم ميتة لا حياة
فيها ولا شعور ؟ أم هى حية مدركة ؟

فإن تكن ميتة غير شاعرة ولا مدركة
فكيف تولد منها مدركون شاعرون ؟ .

وإن تكن حية مدركة ، فهل هى كذلك
ككل ؟ أم كل جزء من أجزائها حى مدرك ؟
فإن يك كل جزء من أجزائها مدركا -
والإدراك عند الماديين مادى - فكيف
يتسع كل جزء من أجزاء المادة ، بل كل
جزئى ، لأن ينطبع فيه صورة الوجود كله ،
وصورة كل ما جدد ويجدد من أحداث ،
وهى عند الماديين أحداث غير متناهية ؟
وكيف يتسع جزئى فى غاية الصغر لأن تطبع
فيه صورة الكون كله ، وصورة كل ما جدد
ويجدد من أحداث ؟ وإن تك المادة مدركة
ككل ، فالمادة ككل متفرقة بين أرض
وشمس وقمر ونجوم ، والإدراك مادى ،
فكيف يمكن أن يقوم إدراك واحد مشترك
بين هذه المتفرقات ؟ .

ثم ما شأن هذه القوانين التى تحكم المادة
وتسيطر عليها ، ولا سبيل لها إلى الإفلات
من سلطانها ، كقانونى الجاذبية والحركة ؟
هل المادة مصدرها ؟ وكيف يكون الشيء

« والله لو جاءت شاة بالعراق لوجدتنى
مسئولا عنها أمام الله يوم القيامة » ، فالإسلام
يعتبر الحاكم مسئولاً عن حاجات رعيته
ويبلغ من شمول مسئولية الحاكم فى الإسلام
أنه يعتبر مسئولاً عن حاجات شاة تكون فى
إقليم غير الإقليم الذى يقيم هو به . وحسبهم
أن يعلموا أيضا أن عمر كان يسير فى ظلام
الليل يتسمع للتأوهات والشكايات التى ينادى
بها الناس ربهم أو ينادى بها بعضهم بعضا
وهم فى خلوة بأنفسهم ؛ لأن فى الليل والظلام
والخلوة مشجعا على انطلاق الرغبات المكبوتة
والآهات الحبيسة ، فيسارع عمر إلى تحميةها
بنفسه .

ذلكم هو الإسلام ، وتلكم هى السعادة
فى ظلاله الوارفة ، إلى جانب ما فيه من إيمان
بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب
والنبيين ، وإنى لست أدرى كيف يمكن أن
تستقر بإنسان حياة ، وقلبه هواء : خال من
إيمان بالله ، خال من عقيدة حقه ، خال من ثقة ،
فى مستقبل هنىء خال من يقين مطمئن ؟
ولكن لعل الإيمان بأن لا إيمان . ولا عقيدة ،
ولا ثقة ولا يقين ، هو نفسه إيمان يغنى عن
الإيمان ، والعقيدة ، والثقة واليقين ، فتعالوا
ننظر هل قدمت الشيوعية وسائر المذاهب
المادية بين يديهما يصحح الإيمان بأن لا إيمان ؟
فماذا تقول المادية ؟ لا مناص إلا أن
نقول ما يتمضيها إنكارها لقوة وراء المادة

من ثلاثة صفوف من الخلايا العصبية المتشعبة أو النيورونات ، أول صف أطرافه منتفخة مكونة لما يسمى بالعصى والمخاريط التي هي الطبقة الخارجية من الشبكية الحساسة، والصف المتوسط حجم خلاياه أكبر نوعاً منها في الصف الأول، ثم الصف الثالث أو الداخلي، وخلاياه كبيرة جداً ، وهذا الصف الأخير ينتهي في الداخل ، أى من جهة الجسم الزجاجي بألياف عصبية رقيقة متراحة .

فمن وجهة التشرح والمنطق يجب على الضوء أن يؤثر أولاً على العصى والمخاريط بما أنها هي أول الجهاز الشبكي ، ولكنه حتى يصل إلى هذه العصى والمخاريط يتحتم عليه أن يخترق الشبكية الحساسة كلها ، وهو شيء حقيقة مغاير لنظام الحواس الأخرى ، كاللس والذوق والشم مثلاً ، حيث يشاهد أن أول الجهاز العصبي معرض مباشرة للنبيه الخارجي .

والألياف العصبية الرقيقة المتراحة المكونة للطبقة الداخلية في الشبكية الحساسة تتجمع وتكون العصب البصرى الذى يخرج من العين من الجهة الخلفية ، وبعد قليل توزع ألياف العصب البصرى إلى قسمين . قسم يبقى في جهته وقسم يهاجر في الجهة الأخرى ، ويحصل هذا في العضو المسمى بالتصالب البصرى ، ويعقب التصالب البصرى جبل عصبي في كل جهة يسمى بالطريق البصرى ، أو الشريط البصرى .

مصدر قانون يهره ويرغمه ؟ أم مصدرها شيء غيره ، وماذا عساه يكون ؟ .

وأخيراً أضع بين يدي القارىء تصويراً لشيء صغير جداً فى الكون هو عين الإنسان، كتبه واحد لا من رجال الدين ، بل من رجال العلم الآلى التجريبي ، قال :

« نستعرض أولاً - فى إيجاز - تركيب الجهاز البصرى - أى العين - وما يتبعها من الطرق العصبية داخل المخ فى الإنسان .

يدخل الضوء العين فيخترق طبقات شفافة متتابعة ، هى القرنية ، ثم الغرفة الأمامية ، ثم البلورية ، وهى جسم عدسى قابل لأن يزداد فى تحديه ، أو يقل ، حسب قرب الأشياء المضادة ، أو بعدها ، ثم الجسم الزجاجى حتى يصل على الطبقة الحساسة فى قاع العين ، أو الشبكية .

وتنقسم الشبكية إلى قسمين : غشاء خارجى رقيق أسود غير عصبي ، وغشاء داخلى عصبي حساس .

والغشاء الخارجى الأسود محاط من الخارج بطبقة تسمى المشيمية سوداء اللون ، كثيرة الأوعية ، ولوجود هذين الغشائين الأسودين كان تجويف العين مظلباً .

أما الطبقة الحساسة من الشبكية فهى مركبة

في الفحص المؤخر للبخ ، وتسمى بمركز الإبصار عند كثير من العلماء (١) .

هذا هو وصف موجز - كما يقول النص نفسه - لجزء من تركيب الإنسان ، فهل تصدق أيها العاقل أن يكون هذا الخلق الدقيق هو من عمل المادة ؟ وأية مادة هذه التي صورت عين الإنسان هكذا ؟ أهى النطفة ؟ أم الرحم التي أودعت فيها النطفة ؟ أم الأرض التي تمشى عليها صاحبة الرحم ؟ أم الغذاء الذي تتناوله ؟ أم المريح ؟ هل يستطيع المذهب المادى المنسكرو لوجود الإله أن يقول لنا : أى هذه المواد هو الذى صنع عين الإنسان ؟ سبحانك ربى صانع الكون . ما أظهر وجودك ! وما أعظم قدرتك !! وما أصدق قولك :

« ولقد خلقنا الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين » .

دكتور سلجانه دنيا

أستاذ الفلسفة المساعد فى كلية أصول الدين

ونظرة فى الشكل (١) تدل على أن الجهة النينى من كل شبكية عين - أى القسمين اللذين يصل عليهما الضوء الآتى من الجهة اليسرى من مجالى البصر - تكون أليافهما بعد التصالب الطريق البصرى الأيمن ، وأن الجهة اليسرى من كل شبكية عين - أى القسمين اللذين يصل عليهما الضوء الآتى من الجهة النينى - تكون أليافهما بعد التصالب الطريق البصرى الأيسر وتنتهى ألياف الطريق البصرى بالتفرغ أو بالتشجر ، نسبة إلى الشجرة - حول خلايا عصبية فى الأجزاء المسماة :

(١) وسادة السرير البصرى (٢) الجسم الركبى الوحشى (٣) الجسمين الرباعيين الأماميين ثم تخرج المجاور العصبية فى خلايا هذه الأجزاء وتكون أليافا عصبية متشعبة تسمى تشعع جراسيولية ، وهذه الألياف الأخيرة تنتهى بأن تشجر حول الخلايا العصبية فى البقعة المخططة وهى موجودة فى الجهة الأنسية

(١) يعنى الشكل المرسوم فى الأصل الذى نقلت

عنه .

(١) رسالة العلم . صحيفة خريجي كلية العلوم بالجامعة المصرية - العدد الثالث السنة الثانية - يناير سنة ١٩٣٥ .

اشتراكية الإسلام

خير وقاية للعالم من الشيوعية

للأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي

بذلك دائرة الانتفاع بها من جهة ، وبحول من جهة أخرى دون تجمع ثروات كبيرة في يد فئة محدودة من الناس . فبفضل هذا النظام الحكيم لا تلبث الثروات الكبيرة التي يتفق تجمعها في يد بعض الأفراد أن تتوزع ملكيتها بعد بضعة أجيال على عدد كبير من الأنفس ، وتستحيل إل ملكيات صغيرة ، وهذه هي أمثل طريقة لتقليل الفروق بين الطبقات ، وتقريبها بعضها من بعض ، وتحقيق الاشتراكية المعتدلة في أمثل صورها .

ولحرص الإسلام على الوصول إلى هذه الأغراض حظر كل تصرف يؤدي إلى الإخلال بقواعد الميراث . وفي هذا يقول الله تعالى بعد أن قرر هذه القواعد : « تلك حدود الله ، ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك الفوز العظيم » . ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين ، [١] .

عمدت الشريعة الإسلامية إلى حقوق المالك في ملكيته فقيدتها بقيود كثيرة ، وفرضت عليه في مقابلها عدة واجبات ، لكي تصون بهذا وذاك حقوق المجتمع ، وتعلم أظفار رأس المال ، وتحول بينه وبين السيطرة والنفوذ ، وتحقق تكافؤ الفرص بين الناس ، وتقلل الفروق بين الطبقات وتقربها بعضها من بعض ، وتحول دون تضخم الثروات وتجمعها في أيدي قليلة ، وتقرر الاشتراكية المعتدلة في أمثل صورها .

وترجع أهم الوسائل التي اتخذها الإسلام لتحقيق هذه الغايات النبيلة إلى تسع وسائل .

(الوسيلة الأولى) : تتمثل فيما قرره الإسلام من نظم حكيمة بصدد الميراث وما يتصل به . فقد وضع الإسلام للميراث نظاماً اشتراكياً جليلاً يكفل توزيع الثروات بين الناس توزيعاً عادلاً ، وبحول دون تضخمها وتجمعها في أيدي قليلة ، ويفتت رهوس الأموال إلى ملكيات صغيرة . وذلك أنه يقسم التركة على عدد كبير من أقرباء المتوفى ، فيوسع

[١] آيتي ١٣ ، ١٤ من سورة النساء .

وقرر أن الواقف إذا علق الوقف بموته ، بأن قال إذا مت فقد وقفت دارى على كذا ؛ فإنه يصبح وصية لا وقفا وتلزم من الثلث ، وإذا لم يعلقه الواقف بموته وجبت قسمته على الورثة بعد وفاة المالك كل على حسب فريضته ^(١) . وقد اعتمد على هذه المذاهب القانون المصرى رقم ١٨٠ لسنة ١٩٥٢ إذ ألغى جميع أنواع الوقف الأهلى وحظر لإجرائه وقرر أن كل وقف من هذا القبيل يعد باطلا فى المستقبل (٢) .

ومن أجل ذلك حظر الإسلام على المالك أن يوصى لأحد ورثته بما يعطيه أكثر من حقه الشرعى بعد وفاته ، وفى هذا يقول عليه السلام « لا وصية لوارث » ، كما حظر عليه أن يوصى لغير ورثته إلا فى حدود الثلث من تركته [٣] . وقد توخت الشريعة الإسلامية من هذا وذاك حماية القواعد

ومن ثم ذهب كثير من فقهاء المسلمين إلى تحريم الوقف الأهلى ، وهو أن يحبس المالك غلة ملكه بعد وفاته على فئة محدودة من أقربائه أو غيرهم بمقادير وشروط يعينها هو وفق ما يشاؤه وتشاؤه له أهواؤه ؛ لما فى ذلك من حبس للثروة عن التداول الطبيعى ومن إخلال بقواعد الميراث . ومن هؤلاء ابن عباس رضى الله عنهما فقد قال : إنه لما نزلت سورة النساء وفيها الفرائض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حبس عن فرائض الله ، أى لا مال يحبس بعد موت صاحبه عن القسمة بين ورثته وتمليكهم إياه . ومنهم كذلك القاضى شريح (وهو من كبار التابعين ومن أشهر فقهاء المسلمين ، وقد ولاه عمر رضى الله عنه قضاء الكوفة وظل بمنصبه هذا أمدا طويلا) فقد قال بعدم جواز الوقف وقرر أن شريعة محمد عليه السلام قد قضت على هذا النظام . ونص عبارته « أن محمداً قد جاء ببيع الحبس ، وهذا منه رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه يجوز بيع الوقف . ومن هؤلاء كذلك إسماعيل ابن الكندى الذى ولاه الخليفة المهدي قضاء مصر ، فقد ذهب إلى المذهب نفسه الذى ذهب إليه شريح . ومنهم كذلك الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان فقد ذهب إلى عدم جواز الوقف الأهلى فى صورته المعهودة لنا

[١] انظر البدائع للكاظمى والميدانى على القدورى فى باب الوقف .

[٢] انظر مقالا لى نشر بالأهرام قبل صدور هذا القانون بيضة أيام عنوانه : « الوقف الأهلى نظام فاسد يجب إلغاؤه » (أهرام ٢٨/٨/٥٠) ، وانظر كذلك فى هذا الموضوع مقالا نشر لى فى مجلة « الإصلاح الاجتماعى » عدد مارس سنة ١٩٤٤ بعنوان « الوقف الأهلى » .

[٣] انظر تفاصيل هذا الموضوع واختلاف الفقهاء بشأنه فى كتب الفقه .

بين أعباء الرجل الاقتصادية في الحياة وأعباء المرأة . فمسئولية الرجل في الحياة من الناحية المادية أوسع كثيراً في الأوضاع الإسلامية من مسئولية المرأة . فالرجل هو رب الأسرة ، وهو القوام عليها ، والمسكف الإنفاق على جميع أفرادها بالفعل إن كان متزوجاً ، أو سيصبح مكلفاً ذلك بعد زواجه ، وعلى الرجل وحده كذلك تجب نفقة الأقرباء . على حين أن المرأة لا يكلفها الإسلام حتى الإنفاق على نفسها . فكان من العدالة إذن أن يكون حظ الرجل من الميراث أكبر من حظ المرأة حتى يكون في ذلك ما يعينه على القيام بهذه الأعباء الثقيلة التي وضعها الإسلام على كاهله وأعنى منها المرأة رحمة بها وحداً عليها وضماناً لسعادة الأسرة . بل إن الإسلام قد بالغ في رعايته للمرأة وعطفه عليها إذ أعطاها نصف نصيب نظيرها من الرجال في الميراث مع إعفائه لها من أعباء المعيشة وإلغائها جميعاً على كاهل الرجل .

(والوسيلة الثانية) تتمثل في تحريم الإسلام لجميع طرق الكسب غير المشروع . فقد حرم الإسلام تحريماً قاطعاً جميع الطرائق التي تؤدي عادة إلى تضخم رؤوس الأموال بابتزاز الناس ، أو غشهم ، أو التحكم في ضروريات حياتهم ، أو استغلال عوزهم وحاجتهم ، أو عن طريق استغلال النفوذ

الاستراكية السامية التي وضعتها للبیراث ووقايتها من عبث المورثين وأهوائهم .

فأين من هذا النظام الاشتراكي الحكيم الذي وضعه الإسلام للبیراث وأحاطه بسياج قوى من الحماية ، أين منه نظم الغرب الحديث التي ينقل بعضها جميع ثروة المتوفى إلى البكر من أبنائه ، ويدع بعضها المالك حراً في أن يوصى بجميع ما يملك لمن يشاء ، فتجمعت من جراء ذلك ثروات ضخمة في يد أفراد محدودين من الناس ، وأثار هذا حفيظة الفقراء وأورثهم الحقد على المجتمع ونظمه ، فنشأت المذاهب المتطرفة الهدامة والاتجاهات الشيوعية الفاسدة ، واضطرب نظام الحياة الاقتصادية أيما اضطراب ، وأدى هذا إلى معظم الانقلابات والثورات العنيفة التي تعرضت لها أوروبا في العصور الحديثة .

وقد فرق الإسلام بين الذكر والأنثى في الميراث . فجعل للذكر في الغالب مثل حظ الأنثيين المساويتين له في القرابة [١] . وقد بنيت هذه التفرقة على أساس التفرقة

[١] توجد بعض أحوال يسوى فيها الإسلام بين نصيب الذكر والأنثى في الميراث كما في حالة وجود أبوين مع ابن أو مع بنتين فصاعداً فإن كلا الأبوين يأخذ في هذه الحالة السدس ، وكما في حالة وجود إخوة وأخوات لأم فإنهم يستحقون ثلث التركة يقسم عليهم بالتساوي لافرق بين ذكورهم وإناثهم.

الله ، فيأتى أحدكم فيقول هذا لكم وهذه هدية أهديت لى ، فهلا جلس فى بيت أبيه أو بيت أمه فينظر أيهدى إليه أم لا ؟ .

فترك ابن التتية ما أهدى إليه ولم يمسه وأضافه الرسول عليه السلام إلى بيت مال المسلمين . وطبق هذا المبدأ فى نطاق واسع من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر ابن الخطاب فى أيام خلافته . فقد كان يصادر ما كان يكسبه الولاة من أعمال لا يجوز لهم الاشتغال بها كالتجارة وما إليها ، وما كان يأتهم من هدايا وأموال نتيجة لاستغلال نفوذهم وجاههم . فعل ذلك رضى الله عنه مع ولاته على البصرة ، وفعله مع أبى هريرة نفسه عامله على البحرين ، وفعله مع عمرو بن العاص عامله على مصر .

(والوسيلة الثالثة) تتمثل فيما فرضه الإسلام من أنواع الضرائب والزكاة . فقد فرض الإسلام على مختلف أنواع الثروة وشقي مظاهر النشاط الاقتصادى من أنواع الضرائب والزكاة ما يكفل تحقيق العدالة الاجتماعية ، ويسد حاجات المعوزين ، ويحول دون تضخم الثروات .

هذا ، وتمتاز الزكاة فى أنها لا تفرض على ما تنتجه رؤوس الأموال فحسب ، بل تفرض كذلك على رؤوس الأموال المنقولة نفسها

والجاء والسلطان . وهذه هى أهم الطرائق التى تؤدى عادة إلى إيجاد الفوارق الكبيرة بين ثروات الأفراد ، فى تحريمها تحقيق للتوازن الاقتصادى من أمثل طريق .

فقد حرم الإسلام عمليات الربا تحريماً قاطعاً ، وجعلها من أكبر الكبائر ، وتوعد مرتكبها بحرب من الله ورسوله ، وحرم جميع المعاملات التى تنطوى على غش أو رشوة ، أو أكل أموال الناس بالباطل ، أو تطفيف فى الكيل والميزان . وحرم احتكار ضروريات الناس للتحكم فى أسعارها ، وفى هذا يقول عليه الصلاة والسلام : « من احتكر طعاماً أربعين يوماً فقد برىء من الله وبرىء الله منه » . وحرم الإسلام كذلك ، استغلال النفوذ والسلطان للحصول على المال ، وأجاز مصادرة الأموال التى تأتى عن هذا الطريق واستيلاء بيت المال عليها لإنفاقها فى المصالح العامة للمسلمين وعلى ذوى الحاجات منهم . وقد سن هذا المبدأ الجليل رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه . فقد أقبل يوماً على النبى عليه السلام رجل من الأزد يدعى ابن التتية كان النبى قد استعمله على الصدقة ، فقسم الرجل ما معه قسمين ، وقال للنبى هذا لكم وهذا أهدي إلى ، فظهر الغضب فى وجه النبى وقام وخطب الناس فقال : « أما بعد فإنى أستعمل رجلاً منكم على أمور مما ولانى

(والوسيلة السادسة) : تتمثل فيما قرره الإسلام من مظاهر التكافل والضمان الاجتماعيين فقد أوجب الإسلام على الأغنياء من الأقرباء ، الإنفاق على الفقراء والعاجزين عن الكسب من أقربائهم على ما هو مفصل في كتب الفقه وأوجب على أهل كل حي أن يعيش بعضهم مع بعض في حالة تكافل وتعاقد ، يرق غنيهم لفقيرهم ، ويسد شعبانهم حاجة جائعهم حتى لقد ذهب ابن حزم ومن تابعه من فقهاء المسلمين إلى مسؤولية البلد الذي يموت أحد أفراد جوعا ، فيؤدى أهله جميعا الدية متضامنين كأنهم شركاء في موته ، وفي هذا يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « أما أهل عرصة أمسوا وفيهم جائع فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله » .

وأوصى الكتاب في أكثر من آية وأوصت السنة في أكثر من حديث بالجوار القريب والجوار البعيد ، وأوجب الإسلام على بيت المال الإنفاق على الزمن ، وهو العاجز عن الكسب ، والشيخ الفاني والمرأة إذالم يكن ثمة من أقربائهم من تجب عليه نفقتهم ، ولا يفرق الإسلام في ذلك بين المسلمين وغير المسلمين ، فقد حدث أن عمر رضى الله عنه مر يوما بباب قوم وعليه سائل يسأل وكان شيخا ضير البصر ، ويبدو عليه

فإذا تعطل رأس المال المنقول عن الكسب فإنه لا يلبث أن يذهب كله زكاة بعد نحو أربعين عاما ، وذلك في الأموال التي تقدر زكاتها سنويا بربع عشرها ، وهى تشمل الذهب والفضة وعروض التجارة ، وحتى إذالم يتعطل رأس المال عن الكسب فإن متابعة أخذ الزكاة منه سنويا بالمقدار المقرر تلتقصه دائما من أطرافه ، وتحول دون تجمع ثروة كبيرة في يد صاحبه .

(والوسيلة الرابعة) : تتمثل فيما سنه الإسلام من صدقات موسمية ، فتمد شرع الإسلام للأغنياء في بعض مواسم تكرر كل عام أن يخرجوا من أموالهم صدقات للبعوزين ، ومن ذلك زكاة الفطر ، والضحايا التي يجب نحرها في عيد الأضحي ، والهدى الذي يجب أو يسن للحاج نحره ، وكلاهما يطعم الناحر وأهله منه ويتصدق بمعظمه على الفقراء والمساكين .

(والوسيلة الخامسة) : تتمثل في الكفارات التي أوجها الإسلام على مرتكبي بعض الخطايا والمخالفات ، فقد عمد الإسلام إلى عائفة من الخطايا والمخالفات التي يكثر حدوثها وجعل كفارتها التصديق على الفقراء والمساكين ، فجعل ذلك تكفيرا للحنث في اليمين والمعظم أنواع الفطر في رمضان ، ولطلاق الظهار وبعض المخالفات في مناسك الحج على ما هو مفصل في كتب الفقه .

والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم» أى حتى لا تكون الأموال وقفاً على الأغنياء منكم يتداولونها فيما بينهم. ويقصد بالأغنياء الأنصار. ويقول بعد ذلك : « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله ، إن الله شديد العقاب . للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله ، أولئك هم الصادقون [١] » .

(والوسيلة السابعة) : تتمثل في ترغيب الإسلام في التصديق على المعوزين فقد حُبب الإسلام إلى الأغنياء التصديق على الفقراء ، وجعل هذا من أكبر القرب وأعظمها أجراً ، وجعل اكتناز الأموال وعدم إنفاقها في سبيل الله من كبائر المعاصي ، وتوعد المكتنزين بأشد عقوبة يوم القيامة . والآيات القرآنية التي وردت في ذلك تجل عن الحصر ، ولا تكاد تخلو منها سورة من سور القرآن .

بل لقد جعل الإسلام هذا النوع من الإنفاق حقاً واجباً للفقراء . فقال تعالى يصف المؤمنين : « والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » وقال : « فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ، ذلك خير للذين

أنه غير مسلم . فضرب عمر بعضده ، وقال من أى أهل الكتاب أنت ؟ فقال يهودى . فأخذ عمر بيده وذهب إلى منزله وأعطاه مما وجده . ثم أرسل إلى خازن بيت المال ، وقال له : انظر هذا وضرباه ، فوالله . ما أنصفناه إذ أخذنا منه الجزية وهو شاب وتركناه يتسول وهو شيخ . إنما الصدقات للفقراء والمساكين ، وهذا من المساكين من أهل الكتاب . وأجرى له رزقا من بيت المال .

(والوسيلة السابعة) : تتمثل فيما أباحه الإسلام للإمام أن يتصرف في توزيع الأموال العامة على وجه يحقق التوازن الاقتصادي بين الطبقات ، ولو أدى ذلك إلى أن يخص ببعض الأموال طبقة دون أخرى . وقد سن هذه السنة الحكيمة وأنفذها عملياً رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه بوحي من الله تعالى في آي الذكر الحكيم . فقد منح عليه السلام جميع أموال الفء من بني النضير للمهاجرين خاصة ولرجلين فقيرين من الأنصار ، ليقرّب بذلك بين ثروات المهاجرين وثروات الأنصار ويحقق شيئاً من التوازن في ملكية الأموال بين هذين الفريقين اللذين كان يتألف منهما أول مجتمع إسلامي . وفي هذا يقول الله تعالى : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذى القربى واليتامى

مثل أحد ذهابا يموت وفي يده منه قيراطان لم ينفقهما بعد في سبيل الله .

ومن أجل ذلك قام أبو ذر الغفارى فى عهد عثمان بن عفان يدعو الأغنياء إلى أن ينفقوا فى سبيل الله والبر بالفقراء والمساكين وذوى الحاجة جميع ما فضل من أموالهم عن ضروريات حياتهم ، وينهاهم عن الترف والترف و اكتناز الأموال والترفع عن المستضعفين والفقراء من الناس .

ولم تشتمل دعوة أبى ذر هذه على إفراط ولا مبالغة إلا من ناحية واحدة : وذلك أنه كاد يوجب على الأغنياء أن ينفقوا جميع ما فضل من أموالهم عن ضروريات حياتهم فى سبيل الله وسد حاجات المعوزين ؛ على حين أن الإسلام قد حجب إلى الناس هذا المسلك ، كما تقدم بيان ذلك ، ولكسبه لم يوجب عليه إيجابا ، بل يعتبر المسلم مؤديا لواجبه المالى مادام لم يقصر فيما فرضته الشريعة أو أوجبته عليه من زكاة وضرائب ونفقة على الأهل . بيد أن هذا كما لا يخفى هو أضعف الإيمان ؛ ومن بعده منازل رفيعة فى الإسلام تتدرج فى سموها وقربها إلى الله حتى تصل إلى المثل الأعلى الذى حث عليه أبو ذر الغفارى وأوحت إليه به مثالية الإسلام .

وقد أخطأ كثير من الباحثين إذ يعدون

يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون (٢) . وكثير من آيات القرآن تدل على أن الإسلام ينظر إلى التملك على أنه مجرد وظيفة اجتماعية يقوم صاحبها بإنفاق ، المال على مستحقه ، وينظر إلى المالك على أنه مجرد مستخلف على ثروته من قبل الله لإنفاقها فى سبيله ، وفى هذا يقول الله تعالى : « آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير (٣) »

(والوسيلة التاسعة) : تتمثل فى ترغيب الإسلام فى إنفاق جميع ما زاد عن الحاجة فى سبيل الله . فقد حجب الإسلام إلى الناس أن ينسلخوا عما زاد من أموالهم عن حاجتهم وينفقوه كله فى سبيل الله فقد روى عن أبى أبى ذر الغفارى أنه قال : « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما نحو أحد (وهو جبل مشهور بالحجاز) وأنا معه ، فقال يا أبى ذر فقلت نعم : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ! قال ما يسرنى أن لى مثل أحد أنفق فى سبيل الله أموت وأترك منه قيراطين . قلت : أو قنطارين يا رسول الله ؟ قال بل قيراطين [١٣] » ؛ أى إنه ليؤمله أن يكون له

[١] آية ٣٨ من - سورة الروم

[٢] آية ٧ من سورة الحديد

[٣] رواه مسلم والبخارى والنسائى .

وإلى جعل المالك مجرد مستخلف في ماله
ينفقه فيما يحقق النفع للجتمع ويكفل الصالح
العام، وأن النظم التي قررتها الشريعة الإسلامية
في شئون المال، نظم اشتراكية حكيمة تشجع
على العمل وتعطي كل مجتهد جزاء اجتهاده من
ثمرات الحياة الدنيا، وتفسح المجال أمام
المنافسة والتفوق والطموح، وتذلّل السبل
لذلك؛ ولكنها من جهة أخرى تحقق تكافؤ
الفرص بين الناس، وتعمل على استقرار
التوازن الاقتصادي، وتحرص على تقليل
الفروق بين الطبقات وتقرّبها بعضها من
بعض، وتحول دون تضخم الثروات وتجمعها
في أيدي قليلة، وتقيم العلاقات الاقتصادية بين
الناس على أسس متينة من التكافل والتعاقد
والتواصي بالبر والخير والعدل والإحسان،
وتضع أمثل نظام للضمان الاجتماعي،
وتكفل لكل فرد حياة إنسانية كريمة، وتقي
العالم شرور الاتجاهات الشيوعية ومذاهبها
الهدامة: «ذلك الدين القيم ولكن أكثر
لا يعلمون».

على عبد الواهر وافي

تعاليم أبي ذر والتعاليم المشبهة لها في الإسلام
من قبيل الاتجاهات الشيوعية. والحق أنها
هي والشيوعية على طرفي نقيض. فهذه التعاليم
إذ تحث الملاك على أداء زكاة أموالهم وعلى
البر بالفقراء وذوى الحاجة، تعمل بذلك على
تثبيت الملكية الفردية وحمايتها من كل
ما يهددها من ثورة أو انتفاض من جانب
الفقراء والمحرومين، كما تعمل بذلك أيضاً
على انقضاء الصراع بين طبقات الأغنياء
والفقراء. على حين أن الشيوعية تعمل على
إلغاء مبدأ الملكية الفردية نفسه، وتنادى
بجمل الملكيات ملكيات جماعية، وتمهد
لذلك بإثارة الصراع بين الطبقات. ومن أجل
ذلك تعتبر دعوة أبي ذر الغفاري وجميع
التعاليم السمحة التي من طرازها من ألد
خووم الشيوعية ومن أشد ما يوضع في سبيل
انتشارها من معوقات.

ومن هذا كله يظهر أن الإسلام يهدف
بما سنه من أحكام في هذا الصدد إلى جعل
الملكية وظيفة اجتماعية لا متعة للمالك، وإلى
تغليب ناحية واجباتها على ناحية حقوقها،

لله نفقات

ذكر الجاحظ في «البيان والتبيين» أن داود عليه السلام قال: إن لله سطوات ونفقات
فإذا رأيتموها فداؤوا قروحكم بالدعاء فإن الله تبارك وتعالى يقول: «في الحديث القدسي»،
لولا رجال خشع، وصبيان رضع، وبهائم رتع، لصبيت عليكم العذاب صبا.

الشُّعُوبِيَّةُ الجَدِيدَةُ

للأستاذ علي المصاري

المُتأمل في تاريخ الإسلام يرى أنه دين كفاح ومناضلة ولد بين خصوم لد وأعداء زرق العيون ، غلاظ الأكباد ، قد تمكنت الوثنية من نفوسهم ، ورسخت العصبية في قلوبهم ، وسيطرت الضلالات على عواطفهم فدعاهم بالتى هى أحسن ، وصابرهم وأطال المصابرة ، وناشدهم الله والرحم ، فلما أعيته الحيلة فيهم ، وأخفق اللين في إقناعهم ، وصرح منهم الشر عريان متوثبا ، قعهم بالسيف وواجههم بالقوة ودانهم كما دانوا . ولكن الدين لم ينعم بالاستقرار بعد فتح مكة ، ودخول الناس فيه أفواجا ، إلا زمنا يسيرا ، فواجه ردة العرب ، ودعى إلى قوم ذوى بأس شديد ، قاتلهم حتى أسلبوا ، وناضلهم حتى ردهم إلى محجته البيضاء .

وشب ، واكتهل على ما نشأ عليه تشب نيران الفتن فيطفتها ، وتغرس بذور الشر في أرضه فيقتلها ، وتحيط به المكاره والمكائد فيقتضى عليها الواحدة تلو الأخرى ، نازله (القرامطة) بفوضاهم ، وسوء نخلتهم فتغلب عليهم ، وإن جهد في ذلك ، ولقى منهم عنقا ، وهجم عليه (النتر) بوحشيتهم وهمجيتهم فردهم على أعقابهم ، وجاءت « الصليبية » بأحقادها وأجنادها فانتصر عليها ، وسلط عليه الاستعمار الغربى جيوشه ومبشره - ولا يزال يسلط - فما لا نت قناته ، ولا وهن عوده ، وإذا كان يبدو في بعض المستعمرات مهبض الجناح ، فما هو إلا الجرة تحت الرماد لا تلبث أن تشع بنارها فتحرق كل يد امتدت إليها بسوء ، واليوم تطل الشيوعية بوجهها الكالح ومبادئها البغيضة ، على دياره فيعجب لها قواه ، وينازلها منازلة الواثق من النصر ، وسينتصر عليها كما انتصر على أخوات لها من قبل .

وقد اقترنت في هذه الأيام - كما اقترنت في الماضى - الشيوعية السافرة ، بالشعوبية الماكرة ، فهما مبدآن خطران ، إن اختلفا مدلولاً ، فقد اتحدا هدفاً ، وأنه ليحزننا أن تكون دولة إسلامية عربية مرتعا لهذين الوباءين الفتاكين ، وإن يقع شعب عريق في المجد ضحية لأخطارهما ، وإن كنا على ثقة

العرب ، أما صاحب اللسان فيخلط بين صنفين ذلك أن من الشعبوية من لا يفضل العرب على غيرهم ولا يفضل غيرهم عليهم ، وهؤلاء يستندون في دعواهم إلى مبادئ الإسلام ، ومنهم من يحتقر العرب ويفضل الأجناس الأخرى عليهم ، وهؤلاء يستندون إلى عصبية جنسية ثم شاع إطلاق اللفظ على الصنف الثاني وأصبحنا نفهم - كما صنع صاحب القاموس - من كلمة شعوبي أنه الذي يتعصب على العرب ويحاول أن يسلبهم كل فضيلة .

وقد قويت هذه النزعة في نفوس الأجناس غير العربية في العصر العباسي ، ولا شك أن أكبر وزرها يقع على كاهل الخلفاء العباسيين وإن كفروا هم عن هذه الزلة فقتضوا على دعاةها

استعان الدعاة الأولون لنقل الخلافة إلى أبناء العباس بغير العرب ، وقد يكون لهم بعض العذر في هذه الاستعانة إذ كانوا يرون أن الأمصار العربية ، من مكة والمدينة والبصرة والكوفة ودمشق ليست مكانا صالحا لبث دعوتهم .

وقد كان محمد بن علي بن عبد الله بن عباس قال لدعائه حين وجههم إلى الأمصار للدعوة أما الكوفة وسواها فشيعة على وولده ، وأما البصرة وسواها فعثمانية تدين بالكف تقول كن عبد الله القاتل ولا تكن عبد الله

أن الله ناصر دينه وخاذل أعداءه ، وأن مبادئ الإسلام بما فيها من قوة الروح ، وسلامة المنهج ، وشرف الغاية ، وقداسية التعاليم ، ستعلو كلبتها ، ويسطع نورها ، ويتغلب حقها على باطل المبطلين وحماقات المضللين وبلاهة المخدوعين (إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الآذلين ، كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز) .

ومن عجب أن هذه الشعبوية التي نبتت في أرض العراق هي صورة مكررة من الشعبوية القديمة التي عاشت على شواطئ الرافدين منذ أكثر من اثني عشر قرنا ، فهذه تشبه تلك في مظهرها وأهدافها وسيات القائمين بها والأمل قوي أن يكون مصير شعوبية القرن العشرين الميلاذي كصير شعوبية القرن الثاني الهجري والتاريخ يعيد نفسه (والله من ورائهم محيط) . ولعلنا نرسم الصورة الكاملة لهذه الشعبوية الناشئة إذا نحن رسمناها لتلك الشعبوية التي طويت في أعماق التاريخ .

جاء في لسان العرب : « والشعوبي هو الذي يصغر شأن العرب ولا يرى لهم فضلا على غيرهم ، وجاء في القاموس المحيط ، « والشعوبي بالضم مختقر أمر العرب ، وهم الشعبوية » . وعبارة القاموس أدق ، وعبارة اللسان أوسع ، فتعريف القاموس ينطبق على صنف واحد من الشعبوية ، وهم الذين يحتقرون

ولو جعلتم على الأحرار نعمتكم
 حتمكم السادة المنسوبة الحشد
 قوم هم الجذم والأنساب تجمعهم
 والمجد والدين والأرحام والبلد
 اذا قریش ارادوا شد ملكهم

بغير قحطان لم يبرح به أود
 لهذا كله أحس جماعة من الفرس بمكائهم
 في الدولة فأرادوا إستعادة مجدهم القديم ،
 ودارت هذه الفكرة في رؤس السادة والقادة
 ولكن الخلفاء تنهوا لهم ، فقتل أبو سلمة
 الخلال ، وأبو مسلم الخراساني ، وأوقع
 الرشيد بالبرامكة .

ولما لم تفاج الخطة عسكريا مهدوا
 لها سلميا ، فبدأوا يقولون بالمساواة بين
 العرب وغيرهم من الشعوب ، ثم تطرف
 جماعة منهم فأخذوا يسخرون من العرب ،
 ويؤلفون الكتب في مثالبهم ، وحمل الراية
 بشار بن برد والحسن بن هاني أبو نواس ،
 واسماعيل بن يسار الشاعر وكان أرسخ الناس
 عداوة وأشدهم للعرب نصبا - كما يقول ابن
 قتبية - السفلة والحشوة وأرباش النبط ، وأبناء
 أكرة القرى .

ولعل هؤلاء وأولئك من الشعراء والكتاب
 لم يدخل الايمان في قلوبهم ، بل ظلوا على
 دينهم القديم يظهرونه حيناً ويخفونه أحيانا ،
 فاتخذوا من تنقص العرب ، والغض من

المقتول ، وأما الجزيرة فخرورية مارقة
 وأعراب كأعلاج ، ومسلمون في أخلاق
 النصارى ، وأما أهل الشام فليس يعرفون
 إلا آل أبي سفيان وطاعة بني مروان ، عداوة
 راسخة ، وجهل متراكم ، وأما مكة والمدينة
 فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر ، ولكن
 عليكم بخراسان ، فإن هناك صدوراً سليمة ،
 وقلوباً فارغة لم تنقسمها الأهواء ، ولم
 يتوزعها الدغل .

غير أن من جاء بعده بالغوا في التنكر
 للعرب ، وإبعادهم عن شئون الدولة . فترى
 ابراهيم الأمام يوصى أبا مسلم الخراساني
 حين وجهه لنشر الدعوة بأن يأخذ حذره
 من مضر ، ويقتل من شك في أمره منهم ،
 فإنهم العدو القريب الدار ، بل يبالغ
 فيقول له : وإن استطعت ألا تدع بخراسان
 لسانا عربيا فافعل ، وأيما غلام بلغ
 خمسة أشبار تهمه فاقتله .

ولم يكن أمر العرب في عهد الخلفاء فيما
 بعد خيرا منه في مبدأ الدعوة ، فهذا يزيد
 المهلب يعيب على بني العباس تقريب الموالي
 وإبعاد العرب في رثائه للخليفة المتوكل على
 الله ، الذي قتل بيد الأتراك ، فيقول :

لما اعتدت أناسا لا حلوم لهم
 ضعتم ، وضعتم من كان يعتقد

والحق أن الذين عملوا على محاربة الإسلام من الفارسيين ، من ذوى رأى عدد قليل ، والحق كذلك أن الخلفاء العباسيين قبلوا الأمر بحزم وصرامة ، فقتلوا على الزندقة في مهبها ، وانتقموا شر انتقام من دعاة الشعوبية وعمدها .

واليوم تدأب صحف العراق ، وجماعة من الغوغاء وقادة الرأى على ترديد هذه الزعة الشعوبية ، فيذيعون أن العرب في العراق إنما هم طائفة من طوائف كثيرة ، ولا فضل لهم على غيرهم فليس لهم أن يفرضوا قوميتهم على سائر القوميات ، وبالتالي ليس لهم الحق في طلب الوحدة العربية لأن العراق ليس لهم وحدهم ، بل هو أيضاً للأكراد والأرمن والآشوريين واليزيديين وغيرهم ممن يطالبون عليهم الشعوب العراقية أو القوميات العراقية وقد ضل هؤلاء ضللاً بعيداً فإن أشد الناس تعصباً للقوميات لا ينكر أن أية أمة من الأمم ليست إلا خليطاً من جنسيات مختلفة ، وعلماء الأجناس يجعلون الأمة الفرنسية مثلاً للأمة الموحدة ومع ذلك يقولون أنها تتكون من أكثر من ستين عرقاً .

والإنجليز لا يدعون أنهم من سلالة واحدة ، ومع ذلك لم نر أحداً منهم قام ينادى بالقومية (السلبية) أو القومية (الزمندية) أو القومية (الجرمانية) ولم نسمع ألمانيا

تطالبهم وعاداتهم وسيلة إلى الطعن في الإسلام ، والتمرد عليه ، قال الجاحظ ، وربما كانت العداوة من جهة العصبية ، فإن عامة من ارتاب في الإسلام إنما كان أول ذلك من الشعوبية ، فإذا أبغض شيئاً أبغض أهله ، وإن أبغض تلك اللغة أبغض تلك الجزيرة ، وإذا أبغض تلك الجزيرة أحب من أبغض تلك الجزيرة فلا تزال الحالات تنتقل به حتى ينسلخ من الإسلام إذ كانت العرب هي التي جاءت به فكانوا السلف والقدوة (١) .

هذا فيمن أسلم أولاً ، أما الذين لم يتبطن الإسلام قلوبهم ، فهم على ما رأينا يتنفسون في ذم العرب ، فإذا استطاعوا أن يعلنوا عن أنفسهم تزندقوا ، فالتنظرة العابرة في أخبار الزندقة في ذلك العصر تدلنا بما لا يدع مجالاً للشك على أن الزندقة كان من أسبابها الرئيسية الزعة الشعوبية ، وقد ظهر مزدك الشيعي في فارس على عهد قباد وكسرى أنوشروان ، وكاد يقلب نظام المجتمع الفارسي رأساً على عقب لولا عزم أنوشروان وحزمه ، فلما تمكن الفرس من سياسة الدولة العباسية ، واستقروا سياسياً رأوا أن يبعثوا دياناتهم القديمة من مزدكية ومانوية ، ففشنت الزندقة .

(١) الحيوان ٧ ص ٢٢٠ ط. هرون. بعض تصرف.

نادى بالفصل بين الجرمانين الصقالية المتجنسين بالجنسية الألمانية والفرنسيين اللاجئين ، بل نرى الألمان - مع اختلاف السلالات التي تتكون منها ألمانيا - أشد الشعوب تعصباً للعنصرية ، فحين نقول أن العراق عربي لا نغني أن العرب وحدهم هم المكونون للشعب العراقي وإنما معناه أن الصبغة العامة للدولة هي العروبة ، ولا يخرج عن المنطق الطبيعي إلا من يريد أن يمزق وحدة الأمة ، وأن يمكن أعداءها منها ، وحين تتفرق بالأمة السبل ، وتختلف بها الشعوب تفضل طريقها التوهم ، وتصبح لقمة سائغة لمن يريد أكلها وهم - ولا كرامة - كثيرون وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « عليكم بالسواد الأعظم ، عليكم بالجماعة ، يد الله على الجماعة ، إياكم والشذوذ ، الشيطان مع الواحد ، وهو عن الاثنين أبعد ، والثلاثة ركب » .

وقد سمعت حديثاً عن رجل كان يعمل بالإذاعة العراقية في بدء الثورة ، قال : إن سيطرة الشيوعية ودالتها على حكومة قاسم ظهرت في الأيام الأولى ، وهذا ما كان بالضبط من بعض الفارسيين عند قيام الدولة العباسية ، ولكن الخلفاء العباسيين كانوا مسلمين وكانوا عرباً فقتلوا بسرعة وفي الوقت المناسب للخطر المحقق بدولتهم ، وظل الخلفاء

متنبهين يحطمون كل رأس يرفعه الشيطان ، أما قاسم فلا أدري بماذا أصفه ، أهو التجرد من الإسلام والعروبة ، أم هو الضعف والاستخذاء ، ورد الجليل ؟ أن الشيوعية القديمة لم تستطع في أزهي أوقاتها أن تمزق المصحف بل لم تستطع أن تقول فيه قولاً لا يليق بجلاله وقديسيته ، أما شيوعية قاسم فقد مزقت هذا الكتاب الكريم على مرأى ومسمع من رجال الحكم ، وبين ظهرائي مسلمي العراق ، واستعلنت أحقادها على الله وعلى كتابه ، ولا أدري ما الذي هيجها على هذا الكتاب المقدس ، وكيف عجزت أن تجد شفاء لما في نفوس أصحابها من الدخول ، والاضطغان على كل فضيلة إلا أن تنقح فتمزق كتاب الدهر .

لعل الذي غاظها من القرآن أنه كتاب : « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » . وأن فيه خبر من قبلنا ، ونبأ من بعدنا ، وحكم ما بيننا ، وأنه جبل الله الممدود ، وصراطه المستقيم ، وأن فيه توضيحاً للشكليات ، وفصلاً للتشبهات .

ولعل الذي غاظها منه أن الله تكفل بحفظه : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » وليس أحق من رجل قرم حقير

والنساء ، فتنادى بالتساوى بين الناس في
الآرزاق ، ونسيت أن الشيوعية لا تغنى
الفقير ، وإنما تفقر الغنى ، وتنادى بإباحة
النساء ففقرأ نشيدها العجيب (بعد شهر ،
ما كومهر ، والقاضى نذبه فى النهر) وتجاهلت
أن الحيوانات لا تزال - كما فطرها الله - تغار
ويدافع كل منها عن أنثاه ؛ فإذا أرادوا
للشعب العربى المسلم أن يكون دون الحيوان
فى هذه الفطرة فما ينبغى أن نجادلهم بالحجة ،
ولنما علينا أن ندافع عن ديننا وحرماننا
بكل ما نملك من قوى ، ولا يحق لمسلم أن تنام
عينه وبجوارنا شعب مسلم يراد له أن يتخلى
عن دينه ، وعن تقاليد الفاضلة ، ومبادئه
السمحة (يأبى الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم
من الكفار وليجذوا فيكم غلظة واعلموا أن
الله مع المتقين) .

على الممارى

يطاول عملاقاً جباراً فلا يجد متنفساً لروحه
إلا أن يكيل له السباب ، ثم يظن أنه بذلك قضى
عليه : « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ،
والله متم نوره ولو كره الكافرون » .

ولعل الذى غاظها منه أنه يدعو إلى الحق ،
ويهدى إلى الرشد ، ويجمع المسلمين على كلمة
سواء ، وليس آلم لصاحب المبدأ لمعتل
المختل من أن يجد المبدأ الذى يحاربه واضحاً
لاعوج فيه ولا أمت ، متيناً لاضعف فيه
ولا خور ، مقبولاً عند العقول الراجحة
والفطر السليمة ، فهذا ما يقض مضجعه ،
وينغص عليه حياته ، وما نقول لهم إلا ما قال
الله تعالى (قل موتوا بغيظكم) .

إن الشعبوية الجديدة تضيق ذرعاً بكتاب
الله ، وبكل تعاليم الإسلام ، لأن الفوضى
الأخلاقية التى تريدها لن تبسرها حتى تقضى
على هذه التعاليم ، الشعبوية الجديدة صورة
من المزدكية القديمة ، تريد أن تحل الأموال

نفثة مصدور

قال شاعر قديم :

فكل جديد خلق
فما أدري بمن أثق
ت سدت دوها الطرق
ولا دين ولا خلق

تولت بهجة الدنيا
وخان الناس كلهم
رأيت معالم الخير
فلا حسب ولا أدب

النَّظْمُ الْفَرْدِيَّةُ الْحَرَّةُ بين الإسلام والشيوعية للأستاذ محمد عبد الله عنان

لكي نعرف موقف الإسلام من الشيوعية يجب علينا أولاً أن نعرف ما هي الشيوعية ، وما الذي ترمي إليه بالنسبة للدولة والمجتمع . إن الشيوعية مذهب اجتماعي اقتصادي يرمي إلى تنظيم المجتمع على أساس الشيوع والإنتاج الجماعي ، أو عبادة أخرى ترمي الشيوعية إلى إلغاء الملكية الخاصة وحرمان الفرد من أن يكون مالكا ، أو متمتعاً بثمار مجهوده الخاص ، وترى أن تكون الدولة ، دون سائر الأفراد ، هي المسيطرة على الثروات القومية والخاصة .

الشيوعي ، إن حالة المجتمع الحاضر ، وما يتميز به من الفروق بين طبقات المجتمع ، وما تتأثر به الأقلية من التمتع بالثروات ، وتعاونه الأكثرية من شظف العيش ، يرجع إلى نظام الملكية الخاصة ، وأن هذا النظام في ذاته ، ليس نظاماً طبيعياً ، وإنما هو نتيجة لثورات عديدة قامت بها الطبقات القوية حتى استطاعت أن تخضع الطبقات الضعيفة لصولتها ، وأن تضع يدها على الثروات العامة ، وأن تخلق لها في المجتمع طبقة خاصة هي طبقة « البورجوازي » ، أو طبقة أصحاب الأموال .

وفي ظل المجتمع الشيوعي ، يعمل الفرد - ويكده - لا لحسابه الخاص ، ولكن لحساب الدولة أو المجتمع ، ولا يجني من عمله وجهاده إلا ما تسمح الدولة أن يعطى له ، وذلك وفقاً لما يقدر نظير عمله وإنتاجه ، والدولة وحدها هي صاحبة الرأي الأعلى في تقدير هذا الجزء . هذا ما ترمي إليه الشيوعية في جوهرها .

ولهذا يرى الشيوعيون ، أنه ما دامت أوضاع المجتمع الحاضر ، قد قامت نتيجة للثورة ، فيجب أيضاً أن تحطم وأن تلغى بنفس الوسيلة ، أي بطريق العنف والثورة ، وأن يحل المجتمع الشيوعي على أنقاضها . فلنر الآن ما هو موقف الإسلام من هذه المبادئ والتعاليم الشيوعية .

ويقول المركسيون ، أو أنصار المذهب إن الإسلام يخاصم الشيوعية في جوهرها

على المواهب والمزايا الشخصية ويحول دون
تفتح العبقريات الخاصة التي لا يمكن أن
تتفتح إلا في الآفاق الحرة الطليقة وفي معترك
الفاقة والطمح أي التفوق والسجال ،
والإسلام بتأييد الحرية الفردية والإنتاج
الفردى واستئثار الفرد بشمرة عمله ، عن
طريق تأييده للملكية الفردية وحمايتها ، يتجه
إلى تدعيم هذه الآفاق الحرة الطليقة ، التي
كانت وما زالت على كر العصور ، أئمن
وأسمى ، ما تطمح إليه النفوس البشرية
الكريمة .

ثم أن البشر ليسوا كلهم سواء ، كما يفترض
مبدأ الإنتاج الشيوعى ، والأفراد يتفاوتون
في تكوينهم العقلى والجسمى ، كما يتفاوتون
في المواهب والمزايا الخاصة ، وفي كفاية
الإنتاج . ومن المستحيل أن تحقق الحرية
الشاملة أو العدالة الاجتماعية التي يزعم
الشيوعيون أنها من مزايا المجتمع الشيوعى ،
وهذا ما وعاه الإسلام وأكده . فالإسلام
يفرق بين العاملين وبين غير العاملين ، ولا
يقر أن يحرم عامل من ثمرة عمله وكده ، وهو
كذلك يرى أن يترك البشر أحرارا ليعملوا
وينتجوا ، كل وفق مقدرته وكفاياته ، ولا
يقر بحال أن تؤخذ ثمار عمل العاملين لتمنع
للكسالى والمشعوذين ، وهو من خصائص
النظام الشيوعى .

الأساسى ، وهو مبدأ إلغاء الملكية الخاصة .
وذلك أن الإسلام يقر الملكية الخاصة
ويحيطها بمختلف الضمانات والحمايات
الشرعية .

وإقرار الملكية الشخصية هو إقرار لمبدأ
الفردية الذى يرى أن يترك الفرد حرا ليعمل
وينتج وفقا لمجوده وكفاياته ، وأن يتمتع
دون غيره بثمار هذا المجهود ، وبذلك يعترف
بشخصية الفرد المستقلة وبحقوقه ، وكرامته .
وقد قامت المجتمعات المتمدنة كلها منذ فجر
التاريخ على مبدأ الفردية ، ومبدأ الملكية
الخاصة ، وما زالت الأغلبية الكبرى من أمم
العالم ، تعيش حتى اليوم فى ظل هذا النظام
الفردى .

هذا من جهة الغاية . وأما من جهة الوسيلة
فإن الإسلام لا يقر أعمال الثورة والعنف
وهى التى تراها الشيوعية وسيلة وحيدة لتحقيق
مثلها . ولا يقر اغتصاب الأملاك والأموال
الخاصة ، باعتباره عملا منافيا للحق والعدل ،
وامتهانا صارخا على شخصية الفرد ، وهى التى
يحترمها الإسلام ، ويحلها مكانة خاصة من
الكرامة الإنسانية .

إن الفرد فى ظل المجتمع الشيوعى ، يفقد
شخصيته ، وكل مظاهر استقلاله ، ويغدو آلة
صماء للإنتاج الذى تفرضه الدولة . ومن المسلم
به أن هذا الإنتاج الآتى فى ظل الشيوع يبنى

فوق ذلك حق المحتاج في الحصول على الطعام أو الكساء أو المسكن أو الآلات الزراعية أو غيرها مما يحتاج إليه سواء بأجر المثل أو بدون أجر إذا كان في وسع صاحبها أن يستغنى عنها .

وفي هذه الأحكام الشرعية ، ما يدل دلالة واضحة على أن الإسلام يعنى بمحاربة الاستغلال الاقتصادي بجميع صورته ، سواء أكانت فردية أو جماعية ، وأنه لا يرى تناقضاً بين ضمان الحرية الفردية في تحييد الفرص المشروعة للاستثمار والكسب ، وبين حماية الطبقات الفقيرة أو المحتاجة من استبداد صاحب المال - إن هو جنح إلى الاستغلال غير المشروع .

وكذلك لم ينس الإسلام حق الفقراء والمعدمين على المجتمع ، فقد شرع الزكاة ركناً من أركانه الأساسية ، يجب على القادرين أدائها وفقاً لأحكام وشروط دقيقة . ولونظم أداء الزكاة في الأمم الإسلامية بطريقة صحيحة عادلة ، لكانت حصيلتها من أعظم الموارد لمحاربة الفقر والعوز ، وتخفيف آلام المعوزين والبؤساء في المجتمع الإسلامي .

بل لقد ذهب بعض الفقهاء المسلمين ، وفي مقدمتهم الفيلسوف ابن حزم القرطبي ، إلى أن للفقراء حقاً مقررأ في أموال الأغنياء ، وأنه يفرض على الأغنياء من أهل كل بلد ،

ولم يغفل الإسلام شيئاً مما تزعم الشيوعية أنها انفردت بالتفطن إليه من قيام الفروق الحادة بين طبقات المجتمع ، ومن محاولة الحد من استغلال الطبقات القوية للطبقات الضعيفة ، ومعالجة البؤس الذي تعانيه الطبقات الفقيرة .

ونلاحظ أولاً أن أحكام الموارث الشرعية هي وسيلة طيبة لتوزيع الثروات - ومنع تمكدها في أيدي قليلة - خصوصاً إذا ذكرنا أن الأسرة في المجتمع الإسلامي ، تمتاز بكثرتها العددية . وقد لبثت هذه الأحكام في كل عصر ، وكل قطر ، وسيلة من وسائل التوازن الاجتماعي والاقتصادي .

والإسلام لا يقر الاستغلال غير المشروع بأى حال ، ولكنه لا ينزع في محاربته إلى العنف والغضب كما تفعل الشيوعية ، بل يلجأ في ذلك إلى وسائل وأحكام سلمية عادلة ، فهو يحرم الربا ، ويحرم الاحتكار ، ويحث على محاربة المحتكرين المتواطئين على رفع أسعار الحاجيات والسلع ، ويجيز للوالى (أى الحكومة) في مثل هذه الأحوال ، إرغام المحتكر ، أو الجماعة المحتكرة على بيع السلع بثمان المثل - أو بعبارة أخرى فقد أجاز لولاة الأمر تسعير الحاجات في مثل هذه الظروف - وحماية المستهلك من الإرهاق والتعسف والاستغلال غير المشروع . وقرر الإسلام

وبالرغم من أن الدستور السوفيتي الجديد يعود
فينص من الناحية الشكلية على ضمان حرية
الاعتقاد، وحق مزاولة الشعائر الدينية، فإنه
في نفس الوقت يبيح للأفراد أن يقوموا
بالدعاية اللادينية ومهاجمة العقائد الدينية، وبث
الدعوة الإلحادية على هذا النحو هي - من أبرز
خصائص النظام الشيوعي في سائر البلاد التي
يسيطر عليها .

والخلاصة أن الشيوعية سواء بمبادئها
وغاياتها الاقتصادية، المنافية لكل الأوضاع
الحرّة العادلة أو بوسائلها العنيفة القائمة على
الغضب والقسر، والقضاء على شخصية الفرد
وحرياته وكرامته تصطدم ليس فقط مع الإسلام
وتعاليمه السمحة المستنيرة، ووسائله السلبية
في تنظيم المجتمع، ومعالجة مشاكله؛ ولكنها
تصطدم في نفس الوقت مع سائر النظم
الديمقراطية والفردية الحرة، وهي التي تعتنقها
وتدافع عنها معظم أمم العالم ؟

محمد عبد الله عنان

أن يقوموا بعول فقرائهم، ولولى الأمر
أن يجبرهم على ذلك إن لم تقم حصيلة الزكوات
أو في المسلمين بهم، فيقام لهم من القوات
الذي لا بد منه، ومن الكساء المناسب صيفا
وشتاء، وفي هذا الرأي ما ينم على اتجاه
النظام الاقتصادي الإسلامي إلى نوع
من الاشتراكية الإنسانية، ترتفع بوسائلها
الريقة المشروعة، على ذلك الطابع العنيف
الذي تتميز به الوسائل الشيوعية .

هذا كله من جهة النواحي الاقتصادية،
وتنظيم المجتمع، ولكن الشيوعية تمتاز فوق
ما تقدم من مثلها الثورية الهدامة بطابع ذميم
آخر، هو طابع الإلحاد الديني .

وقد ظهر هذا الاتجاه الإلحادي بأشنع
صورة، منذ قيام الثورة في روسيا،
حيث شجرت الحرب العنيفة على الدين،
وأغلقت معظم الكنائس، والمساجد في
المناطق الإسلامية، وألغى منصب البطريرق
وسمح للأفراد بنشر الدعوة الإلحادية وتنظيم
الحملات على الدين في الكتب والصحف وغيرها

من حسنات الحجاج

قال الحجاج : لئن أظفرتني الله سعيد بن زرارة وعبد الله بن زياد للتيمى لتقربت إلى الله
به مهما : مرت بالأول امرأة فقاتلت له : يا عبد الله كيف الطريق إلى مكان كذا ؟ فقال لها
يا هناء ! أمثلى يسكون من عبيد الله ؟ وخطب الآخر الناس يوما فأحسن فقال السامعون :
أكثر الله فينا مثلك . فقال : لقد كلفتم الله شططا .

الإسلام والقومية العربية

للأستاذ محمود البايدي

تمة ما نشر في العدد الماضي

القومية في نظرنا

فهو (الدين المشترك) (١) و (التاريخ المشترك) اللذان تطبعهما الحياة المشتركة المتفاعلة وتؤثر في مجراها تأثيراً بلياً .

فالقومية في نظرنا تتألف من عناصر أربعة أساسية : اللغة ، والأرض ، والدين ، والتاريخ .

أما لماذا أستطنا من تعريفنا الجنس أو العرق والعادات والاقتصاد وغير ذلك من العناصر التي جاءت في بعض التعاريف فلذلك أسباب .

ففيما يتعلق بنظرية الجنس أو العرق ، فلأنه ثبت علمياً أن ليس للعرق ولا للدم أى خصائص مميزة ثابتة . فضلاً عن عدم وجود أعراق صافية اليوم يمكن دراستها . والحقيقة أن العلماء الذين انحدوا بتقرير خصائص مميزة لبعض الأعراق كانوا أسيرى أوهام أوحاها إليهم التعصب الكريه مع ما وراء ذلك من المطامع السياسية .

[١] باعتبار أن الأديان السماوية كلها مصدرها واحد هو الله .

لقد ألمعنا في كلامنا السابق إلى أن القومية ليست حدثاً جديداً في تاريخ البشرية . وليست كذلك من مواليد القرن التاسع عشر وإنما كما قلنا ، يعود وجودها إلى أول تجمع بشرى ظهرت له مميزات ثابتة .

والقومية في نظرنا ، شعور عاطفى أكثر منه حقيقة مادية . أى أنها ليست شعوراً نفسياً فقط ، ولا هى حقيقة مادية فحسب . بل إنها خليط من الحقيقة المادية والشعور العاطفى معاً . وهذا الشعور العاطفى نفسه يتولد من الحقيقة المادية الثابتة .

والعنصر المادى الثابت فى القومية هو (اللغة المشتركة) التى يتفاهم بها أفراد الأمة ، وكذلك (الأرض المشتركة) التى عاش عليها هؤلاء الأفراد جنباً إلى جنب متفاعلين ، قروناً طويلة .

وأما العنصر النفسى أو العاطفى فى القومية

الآلفاظ ، فالذين أسقطوا الدين من عناصر القومية ووضعوا الثقافة المشتركة محله ، لم يفعلوا شيئاً أكثر من أنهم عبروا عن الدين في صيغة أخرى . كذلك فعل ستالين في تعريفه ، فإنه يقول : إن الأمة الحديثة أى (القومية) جماعة ثابتة ليست عرضية ، تألفت تاريخياً ذات تكوين نفسى مشترك ، يجد له تعبيراً فى الثقافة المشتركة ! . فإنه لم يفعل أكثر من التعبير عن الدين بالثقافة .

ونحن نعلم أن ليس من عامل يستطيع أن يجعل شعباً من الشعوب ذا تكوين نفسى مشترك كالدين أو الثقافة ؛ لأن الدين فى حد ذاته أحد طريق المعرفة . وليس ضرورياً أن يكون الدين والعلم متعارضان ، ليكونا شيئين مختلفين .

أما التاريخ فإنه لا غنى عن عده أصلاً من أصول القومية ، لأنه الجزء العملى من الحياة الاجتماعية والسياسية للأمة . والذين أغفلوا ذكره ، استعاضوا عنه باسم آخر ، إذا بحثه وجدته لا يخرج عن كنهه أو فرع من فروع ، فنحن رجحنا الاعتماد على الأصول ومن خالفنا ركن إلى الفروع .

النفاهات فى مفهوم القومية :

بين الغرب والعرب
وإذا أَوْضَحْنَا رأينا فى العناصر الأساسية

وفما يتعلق بنظرية العادات والتقاليد المشتركة ، فإنها ليست أصولاً وإنما هى فروع تولدت من أصل آخر هو الدين المشترك أو التاريخ المشترك . مثل ذلك مثل التكوين النفسى الذى يجد له تعبيراً فى الثقافة المشتركة ، فهو يتبع الأصل الذى يتمثل فى الدين أو التاريخ .

وفما يتعلق بنظرية الاقتصاد المشترك ، فالأمر كذلك ، إذ لا يعتبر الاقتصاد أصلاً من الأصول وإنما هو فرع يتبع أصلاً هو الأرض . والشعوب كافة ابتدأت حياتها الاقتصادية بفلاحة الأرض وزراعتها وعاشت من غلاتها . ولما انتقلت بعض الشعوب إلى الحياة الصناعية ، كانت الأرض هى الأصل أيضاً ، فمنها خرجت كافة المعادن التى أسست الحياة الصناعية . وأما مسألة الجمارك والنقد وحرية التنقل ووحدة التشريع الضرائبى التى يجعلها بعضهم من عناصر القومية أيضاً فهى لا تعدو هذا السبيل ، إنها فرع لا أصل .

وقد يتساءل بعضهم ، أنه إذا سلمنا بأن وحدة اللغة ووحدة الأرض أصلان من أصول القومية ، فلماذا جعلنا الدين والتاريخ من هذه الأصول فى الوقت الذى أسقطهما بعض التعاريف ؟ .

والجواب على ذلك هو أن أغلب تعاريف القومية تتفق فى المفهوم وإن لم تتفق فى

والتي تسكون القومية ، نجد أن هذه القومية من حيث أن نصفها عاطفة ، تغلو في التعصب وتفطر في الأنانية ، أو تتساعح ، بما ليس مختلفة تبعاً لرقى نظرة أصحابها ومعتقداتها بالنسبة للإنسانية . فالقومية في نظر الشعوب الغربية عاطفة نبيلة ، ولكنها في الواقع ضيقة ، شرسة ، متعصبة ، بل مفرطة في التعصب وبالتالي مغلفة نحو الإنسانية . ولا أدل على ذلك من شيوخ روح الاحتقار الشديد بين مختلف القوميات الغربية بعضها تجاه البعض الآخر . على ما بينها من الروابط العديدة . الأمر الذي يسمح لنا بأن نقرر أن روح النظرية الألمانية المتهمة بأنها وحدها ذات طابع ذاتي عميق ، اتهام مغالى فيه ؛ إذ يجب أن ينسحب هذا الوصف على هذه القوميات جميعاً وإن كان بنسب متفاوتة في العمق والشراسة . والتاريخ السياسي الغربي أكبر شاهد على ذلك ؛ لأنه غارق في الدم .

أما القومية العربية ، فعلى الرغم من الخلاف على إدخال الدين بين عناصرها ، فإن روحها إنسانية . أى أنها في مجال دفاعها عن كياناتها ، لا تحتقر القوميات الأخرى ، ولا تهاجمها ولا تسعى لتدميرها كما تفعل القوميات الغربية ، كلما آمنت في نفسها القوة . والآية الكريمة التي صدرنا بها هذا المقال تعبر أحسن تعبير عن روح القومية العربية .

وأعتقد جازماً ، أنه لقوة تغلغل روح العنصرية في القوميات الغربية ، لم تستطع روح الدين المسيحي الصحيحة على سماحتها ، أن تؤثر في هذه القوميات لتجعلها أقرب إلى الإنسانية . بل إننا نلاحظ بتأكيد أن روح المسيحية السامع لم يقو على تلطيف روح العنصرية الجنسية في هذه القوميات .

خذ مثلاً المسيحيين الملوين فإنهم اضطروا لبناء كنائس خاصة بهم لمنعهم من دخول الكنائس الخاصة بالبيض ؛ بقطع النظر عن منعهم من غشيان الأماكن العامة كالمدارس والمطاعم والننادق حتى بقوة القانون في بعض الولايات المتحدة . وبعبارة أخرى أن الروح اللا إنسانية الذي يقود القوميات الغربية هو المسئول عن إفساد روح الدين المسيحي .

أما القومية العربية فعلى خلاف ذلك .

تكن فيها الروح الإنسانية حتى لتظهر بوضوح في أعمال العرب وتصرفاتهم عبر التاريخ . وهى تدل فيما تدل على أن الإنسانية طبيعة من طبائهم . فلما أكرمهم الله برسالة الإسلام ، كانت هذه الرسالة ملائمة لطبائهم ، فوادت إنسانيتهم رسوخاً وعمقا . ولما فتحوا الأمصار ظهر ذلك وكأنه نفحة جديدة من نفحات الدين الجديد . لقد حفظوا لكل إنسان من حيث هو إنسان ، كرامته ، فلم ينهبوا رزقه ولا حاربوا لغته ، ولا حاولوا

التي تسكون القومية ، نجد أن هذه القومية من حيث أن نصفها عاطفة ، تغلو في التعصب وتفطر في الأنانية ، أو تتساعح ، بما ليس مختلفة تبعاً لرقى نظرة أصحابها ومعتقداتها بالنسبة للإنسانية . فالقومية في نظر الشعوب الغربية عاطفة نبيلة ، ولكنها في الواقع ضيقة ، شرسة ، متعصبة ، بل مفرطة في التعصب وبالتالي مغلفة نحو الإنسانية . ولا أدل على ذلك من شيوخ روح الاحتقار الشديد بين مختلف القوميات الغربية بعضها تجاه البعض الآخر . على ما بينها من الروابط العديدة . الأمر الذي يسمح لنا بأن نقرر أن روح النظرية الألمانية المتهمة بأنها وحدها ذات طابع ذاتي عميق ، اتهام مغالى فيه ؛ إذ يجب أن ينسحب هذا الوصف على هذه القوميات جميعاً وإن كان بنسب متفاوتة في العمق والشراسة . والتاريخ السياسي الغربي أكبر شاهد على ذلك ؛ لأنه غارق في الدم .

أما القومية العربية ، فعلى الرغم من الخلاف على إدخال الدين بين عناصرها ، فإن روحها إنسانية . أى أنها في مجال دفاعها عن كياناتها ، لا تحتقر القوميات الأخرى ، ولا تهاجمها ولا تسعى لتدميرها كما تفعل القوميات الغربية ، كلما آمنت في نفسها القوة . والآية الكريمة التي صدرنا بها هذا المقال تعبر أحسن تعبير عن روح القومية العربية .

الطوائف ، فعمدوا إلى إسقاطه من العناصر التي تكون القومية . ولكن بقي هذا التعصب طابع القومية الغربية ، فما معنى هذا ؟

الحقيقة أن المسيحية ديانته سمحة ، كالديانة الإسلامية ، والتعصب ليس في المسيحية ، ولكنه في الرسوبات الوثنية التي عمقها التراث اليوناني القديم خلال عصر النهضة الأوروبية ، ولهذا فإن إغفال الغربيين لعنصر الدين من أغلب تعاريف القومية ، لم يأت بما كان يقدر له من زوال التعصب أو تخفيف حدته ؛ لأن حقيقة الروح التي تسير القوميات في الغرب ناشئة عن العنصرية المتغلغلة في أعماق النفوس وليست منعكسة عن المسيحية الصحيحة .

يقول بعض أحرار الفكر من الغربيين : إن المسيحية ديانة لم تلائم الشعوب الغربية . وهذا صحيح ؛ لأنها ديانته شرقية سامية . والتفسير العلي لهذا التقرير ، هو أن المسيحية كإسلام ديانة إنسانية وروحها ثقافي العنصرية ، ولما كان طابع الروح الغربية مغلقاً ، أي عاكفاً على نفسه غير متفتح نحو الغير وغير متساح ، لم يستطع روح المسيحية أن يؤثر فيه إلا تأثيراً ضئيلاً جداً لا يعتد به . وحكاية ذلك ، أن اليونانيين القدماء ، والذين يعتبرهم الغرب آباء تراثهم الروحي ، كانوا يحسبون أنفسهم الشعب المختار وما عداهم من الشعوب برابرة ؛ حتى كان فيلسوفهم الكبير

أن يدمروا قوميته ، بل تركوه وشأنه ليعيش حراً ، له ما لهم وعليه ما عليهم . بل استعانوا به إن كان من أصحاب الصناعة وأهل العلم ، موفور الأجر ، موسع المكافأة ، شريف المنزلة ، لأن دستورهم (لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى) .

يقول (متر Mitz) (١) : « من الأمور التي نعجب لها كثرة عدد العمال والمتصرفين غير المسلمين في الدولة الإسلامية . حتى لكأن النصارى هم الذين يحكمون المسلمين في بلاد الإسلام . والشكوى من تحكيم أهل الذمة في أشياء المسلمين وأموالهم ، شكوى قديمة . »

ولهذا نقول للذين يتخوفون من استيقاظ القومية العربية وتفتحها في هذا العصر : لا تفرقنا روح القومية العربية بروح القوميات الغربية ؛ ولوقامت هذه القوميات على عناصر وأركان واحدة أو متقاربة ، لأن العبرة في الروح التي تسير هذه القوميات ، لا في تشابه الركائز التي ترتكز عليها .

لقد اتهم الدين في الغرب بأنه سبب التعصب الذميمة الذي يفرق بين أبناء الوطن الواحد ، بل بين أبناء الطوائف المسيحية نفسها ، بين الكاثوليك وبين الأرثوذكس وسائر

(١) متر : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع

يجد ما يوجب أن يقوم أى حد أو مانع بينه وبين هذه الأقوام . بشر واحد من نسل واحد تباينت لغاتهم وجلودهم وسخيمهم من هذه العوارض بسبب مساكنهم قياسا على قبائلهم . * مختلف مساكنهم فى أطراف جزيرتهم .

وبهذه العقلية البسيطة التى انعكست عن بيئة العرب وحياتهم سواء فى الجزيرة أو فيما وراء الجزيرة ، نبتت شجرة الإنسانية فى نفوسهم ، فلم يستسيغوا الحدود المصطنعة ولا الفضاء المخلق ، وتعلوا بفضائل النفس الكريمة ، ومجدوا القيم الأخلاقية الرفيعة ، حتى جاء رسول من أنفسهم يلخص رسالته بتواضع لإنسانى بليغ (إنما بعثت لأتم مكارم الأخلاق) .

ولو لم يكن العرب عند ظهور الإسلام أمة مطبوعة على كثير من فضائل النفس ومنها سعة الصدر وسماحة الخلق وكرم الطبع ، لما استطاع المؤرخ البصير أن يفهم كيف تسنى لهؤلاء الجياع العراة الضارين فى جزيرتهم بين فلول الرمال المحرقة ، أن يستقبلوا الشريعة الإسلامية بمثل ما استقبلوها به من حرارة الإيمان والنهوض بما أمرت به ، خصوصا من اعتبار شعوب الأرض كافة (خلق الله وعياله) وأن العمل الصالح هو الذى يميز بعضهم عن بعض . لا اللغة ولا الأرض ولا الجلود والسحن .

أرسطو يقول باطمئنان ظاهر : الحمد لله الذى خلقنى يونانياً لا بربريا ، ورجلا لامرأة ! هؤلاء اليونان كانوا يقصدسون المدنية وهى كل وطنهم (١) ، فنشأت عندهم حقوق المواطن وكذلك كان شأن الرومان ، أخذوا بهذه النظرية . وعندهم اقتبس الغربيون تعبير (الوطن الأم وحقوقه) فعمقت أحاسيس الوطنية الإقليمية الضيقة والعصية المفرطة ، حتى طبعت القوميات الغربية بطابعها ؛ فلا تقع على أى تسامح منها نحو القوميات الأخرى . بل نجد على الدوام أن طابع هذه القوميات يفيض بالمظاهر اللا إنسانية .

ومثل هذه الأحاسيس الشديدة الضيق ، لا تجد لها مقابلا فى النفسية العربية : لأن الصحراء ، وحياة الصحراء ، والتجوال فى ذلك المحيط الفسيح الذى ليست له حدود ولا أبواب ولا حرس ولا موانع ولا سدود كل ذلك جعل العربى لا يفهم أى حد لحريته ولا أى أفق لعقله يقف دونه . فهو لا يستطيع أن يسهم بأية حدود فى الأرض لقومه أو لقوم آخرين . كما لا يستطيع أن يسلم بأية موانع تقف دون تعامله مع أى صنف من أصناف البشر . فقد ضرب فى البر والبحر طويلا ، واتصل بكافة الأمم القريبة منه والبعيدة ، وأخذ وأعطى مع كل هذه الأمم ولسكنه لم [١] وكذلك كان العالم القديم قائما على المدنية .

مع روح القومية الغربية المتعصب ، فغلبت على أمرها تجاه صلاية القوميات الغربية وشراستها واضطرت أن تسير في ركابها أينما سارت ؛ بل زادت على ذلك أحيانا فأضنى رجالها على مذابح هذه القوميات المتطاحنه القداسه المسيحيه ، ولم تكسف بذلك ، بل قامت هي نفسها بزعامه أكليروس الكنيسة بمذابح دينية محضه اتسمت بكثير من القسوة والضرارة .

وإني لأقرر وأنا مرتاح الضمير ، أن مبعث هذه المذابح التي أغرقت أرض أوربا بسيول من الدماء وعصفت بأرواح آلاف الآلاف من الضحايا البريئه هو التعصب الكامن في روح القوميات الغربية لاني روح المسيحيه .

إن رجل الدين المسيحي الذي ينساق إلى التحريض على هذه المذابح ينسى تماماً تعاليم المسيحية الصحيحة ، ولا يفسر عمله هذا إلا بأن رواسب القومية الغربية أقوى في نفسه من أن تلاشيها هذه التعاليم . إن مقارنة بسيطه بين مسلك أكليروس الشرق وأكليروس الغرب يكشف السر الذي نحن بصده ١

ماموقف الاسلام من القومية الغربية ؟

إن اللغة — كما أوضحنا — أعظم مقومات القومية ، ومع ذلك فإن العرب لم يحاولوا أن

لهذه الأسباب لا يمكن أن تكتسب القومية العربية صفة الضيق ولا صفة التعصب على ما نعرف في القوميات الغربية .

لو أن الروح العربية كانت روحا متعصبة لفرضت باسم الإسلام على الشعوب التي دخلت الإسلام من غير المتكلمين بالعربية أن تهجر لغاتها ، وتتخذ العربية لغة رسمية . ولكن الواقع يدل على أن الروح العربية كانت إنسانية متسامحه ، حيث اكتفت من المسلمين غير العرب أن يفهموا رسالة الإسلام سواء بتعلم العربية بأنفسهم أو عن طريق الذين يتعلمونها من إخوانهم . وبعبارة فقهية : إن تعلم العربية قد اعتبر فرض كفاية لا فرض عين ، وهذا على ما نعلم سبب قول أبي حنيفة أكبر أئمة المسلمين بجواز الصلاة بغير العربية .

ونستطيع أن نقرر هنا أن القومية العربية ما دامت متسامحه ، فقد زاد الإسلام كدين في تسامحها ومكن لهذا التسامح في قرارة النفس العربية ، فبدأ تاريخ العرب في ظل الإسلام سواء في السلم أو في الحرب مثالا بارزا من التسامح القوي والديني على السواء ، وذلك للتعاون الوثيق والتلاقي الصحيح الذي وقع بين روح القومية العربية وتعاليم الإسلام .

أما المسيحية المعروفة بتسامحها ، فكانت أقل حظاً من الإسلام ، فلم تستطع التلاقي

تساح القومية العربية ، نلقت النظر إلى أن دراسة بعض المستشرقين قد أدت إلى تأكيد هذا التساح فنجده أن المؤرخ الألماني كريمر Kremer يقول : أن فضيلة التساح لم تكن خاصة بالخلفاء والرؤساء وحدهم ، بل كانت سارية في الشعب عامة . وقد عرض لتحليل طبيعة هذا التساح وتعرف أسبابه فنفى قاطعاً أن تكون له بواعث سياسية ، وأن يكون هدفه في نظر أولى الأمر المسلمين هو تسكين قلوب الرعايا غير المسلمين حتى لا يثور على الحكم ... وحتى ليقول أن هذا التساح لم يقتصر على عصر المسلمين القدامى فحسب ، بل شمل سائر العصور ... وينتهي في تحليله إلى هذه النتيجة : وهي أن المسلم يفصل فصلاً تاماً بين العقيدة ، التي يحترم حريتها عند الآخرين ، وبين المصالح الدنيوية التي تعتمد الكفاية والأمانه ، والتي لا تميز بين دين ودين في سبيل التعاون . (١)

وقد أيد هذه النتيجة المؤرخ الفرنسي غوتيه (Gautier) (٢) حين قارن بين التساح

(١) الدكتور عبد الله دراز في مقال « حضارة الإسلام وأثرها في الحضارة الحديثة » في العدد الرابع إبريل ١٩٥٧ من « المجلة » قلا عن كريمر في كتابه : « حضارة الفرق في عهد الخلفاء » .

Kultur eschi chti des Orients
unter den Chelifeu.

(٢) أخلاق المسلمين وعاداتهم

Onocuss A cantume des musul.

يدمروا لغات الشعوب التي دخلت تحت سلطانهم أو دخلت في الإسلام ، ولو أرادوا لما أنجزهم خلق المبررات والوسائل عن طريق فرض اللغة العربية بأمر سماوى أو باسم الدين كما تفضل القوميات الغربية متذرعة بشتى الذرائع .

ولا أدل على تساح القومية العربية من محافظة الفرس الإيرانيين على لغتهم إلى اليوم ، على الرغم من دخولهم الإسلام في وقت مبكر جداً واشتراهم في الحكم طول أيام العباسيين .

ناهيك عن الشعوب الأخرى التي دخلت الإسلام وحافظت على لغاتها دون أن تلقى أيما حرج في الاستمسك بلغاتها إلى اليوم . ولو كانت القومية العربية حقيقة متعصبة ، أو لا إنسانية ، كالقوميات الغربية ، لذابت تلك اللغات أمام حرارة الدين .

ولكن القومية العربية - كما قلنا وكما نؤكد متساحة إلى أبعد الحدود مع اللغات الأخرى حتى كان بعض الخلفاء يتعلمون بعضها ويتداولون بعض صيغها في كلامهم ؛ وحتى أن الأمويين المتهمين بالعصية قوميتهم أكثر من غيرهم ، لم يعربوا دواوين ما ليتهم سواء في الشام أو في العراق أيام الخليفة عبد الملك بن مروان إلا بعد إنذارهم وتوقيعهم الأذى من جيرانهم البيزنطيين كما هو معلوم . ولكي لا نذهب بعيداً في التدليل على

فإن أمرها كان يهون عليهم لو بقيت محصورة في دائرة الاختلاف النظري . .

لهذا فإن الجواب الطبيعي للسؤال الذي وضعناه آنفاً وطال انتظاره ، هو أن الإسلام لا ينافي مبدأ القومية العربية ، فضلاً عن القوميات الأخرى إذا برئت من التعصب الجنسى .

إن ظهور القومية العربية في هذا العصر ، عصر القوميات ليس له إلا تفسير واحد ، هو المحافظة على كيان الأمة العربية (المائل جملة في لغتها) بعد أن فرقها الأحداث ، وأصبحت هدفاً للتخريب والتدمير الكاملين . وفي سبيل هذه المحافظة إنقاذ لآثار الإسلام الذي تحتضنه هذه القومية وتسأل عنه وحدها أمام العالم الإسلامي بلغاته المختلفة .

لو أن الشعوب المسلمة غير العربية تستطيع أن تحفظ على اللغة العربية كيانها من دون العرب ، لما كان العرب حاجة في الدفاع عن هذه القومية اليوم . ولكن ما العمل ؟ إن التخريب والتدمير الذي تستهدف له القومية العربية بات حقيقة واضحة . وقد كشفت عنه أحداث العالم اليوم ، إذ وضحت بشكل بارز النوايا الخبيثة المستترة وراء مشاريع الدبلوماسية الغربية التي كانت تصاغ منذ الحروب الصليبية بقصد تطويق العالم الإسلامي وتدميره . فلما بدأ مفهوم القومية العربية

الديني عند العرب وبين ما عرف عن التسامح الديني عند مسيحي الغرب فقال ... لم يفكر العرب ولا المسلمون يوماً ما ، حتى في أشد أوقات حميتهم الدينية أن يطفئوا بالدم ديناً منافساً لدينهم ... أنه مهما تكن الأسباب والبواعث على هذا التسامح الديني عند المسلمين ، فإنها فضيلة تستحق كل إعجاب وتقدير ... وإنه لمن الخطأ في القياس أن نقارن بين هذه الفضيلة عندهم وبين ما نسميه نحن أحياناً بالتسامح الديني عندنا ، فإن هذا التسامح المزعوم ليس له أدنى قيمة خلقية ، بل ليس له وجود حقيقي ، لأنه يقوم على أساس التحلل الديني وعدم المبالاة بشؤون العقيدة ، فلكي نقبل وجود ديانة أخرى في بلادنا يجب أن تكون ديانتنا قد ماتت من قبل في نفوسنا . أما المسلم فإنه يتسامح مع اعتزازه بدينه واستمسكه بعقيدته . أما ما يشاهد عادة في المستعمرات من مقت المسلمين للمسيحيين فرنسيين كانوا أم إنكليزاً أم هولانديين فإنما مرده إلى أنهم لا يمتقون فينا مسيحيتنا وإنما يمتقون أوربيتنا . فإن أوروبا منذ قرن أو يزيد أصبحت خطراً يهدد سلام الكرة الأرضية ، فالأوروبي عندهم رمز للتدخل الذي يجرح كبرياءهم ويحطم استقلالهم ويفسد أسلوب معيشتهم - أما عقائدنا الدينية وآراؤنا الفلسفية ، المخالفة لعقائدهم وآرائهم .

حتى غدت هذه اللهجات قوميات مختلفة تتخاصم وتتعادى ويدمر بعضها بعضا .

هكذا يريدون من وراء إقناعنا باتخاذ اللهجات العامية لغات شعبية محلية ، لتصبح أقطار بلاد العرب قوميات مستقلة ، قومية سورية وقومية عراقية وقومية مصرية وقومية حجازية وقومية يمنية وقومية تونسية وقومية جزائرية وقومية مراكشية و . . . الخ وهذه تنقسم إلى قوميات أخرى ، شمالية وجنوبية أو غربية وشرقية ويدسون أنوفهم على عاداتهم فتعادى هذه القوميات وتتخاصم ويستغل الأجنبي المستعمر هذا الوضع وتمزق القومية العربية التي تشدها العربية العظمى .

لقد هالهم بقظة القومية العربية ، فقاموا ينشرون الشبهات اللغوية للقضاء على العربية الفصحى ، عن طريق الترويج للهجات العامية المحلية الكثيرة العدد حتى ألف أحدهم كتاباً عنوانه (في متلوها لكتاب ؟) .

وإذ رأوا أن نشر اللهجات العامية على فرض الأخذ به ، لا يمكن أن يبنى بتدمير القومية العربية ، فكمدوا إلى هذا الحرف العربي الجميل فأرادوا تدميره أيضاً .

في عام ١٩٢٨ على ما أذكر ، زار المستشرقان الفرنسيان المعروفان بنيار وماسينيون الجامعة السورية ، وكان مما بشرأ به واقترحا في هذه

في الظهور جلياً ، وجدنا بيننا سواء من المخدوعين أو من المساجورين من يقول : السوريون ليسوا عرباً بل فينيقيون ودعوا للفينية . ثم وجدنا من هؤلاء سواء كان مخدوعاً أو مساجوراً من يقول : إن المصريين ليسوا عرباً بل فراعة ودعوا للفرعونية مع أن الفينية والفرعونية لا أثر لهما اليوم في عالم الحياة ! كل ذلك بقصد هدم اللغة العربية ؛ حتى لا تكون ذلك الحبل المتين الذي يشد هذه الشعوب إلى بعضها بعضا .

ولم يكتفوا بذلك ، فقام من هؤلاء من يقول : إن اللغة العربية ، لغة صعبة ، وقاصرة عن أن تفي بحاجة العصر ، لأنها لغة الخواص والملوك وليست لغة الشعب ! ودعوا لاتخاذ اللغة العامية لغة رسمية ، بقصد تدمير العربية الفصحى ، لتحل محلها اللهجات العامية المحلية . فلا يعود السوري يفهم العراقي ولا المصري ولا الحجازي ولا النوبي ولا التونسي ولا الجزائري ولا المراكشي وبالعكس بل لا يمكن لسكان القطر الواحد من هذه الأقطار أن يتفاهموا لوجود خلافات في هذه اللهجات العامية بين شمال وجنوب ! كما حدث في أوروبا يوم خلت هذه اللهجات العامية المحلية محل اللغتين اللاتينية والجرمانية فنشأت عنهما الفرنسية والإيطالية والألمانية والإنكليزية والإسبانية والهولندية و... الخ

ليس هنا مجال الرد على مثل هذا التقرير الفاضح ، لأن صاحبه فقد منطقته ، كما فقد كرامته بتقرير مثل هذا الهذيان !

وتحت ستار تبشير العلم وتبشير العربية قام آخر (١) فقال في كتاب خصصه للدعوة لاتخاذ لهجة عربية عامية مكتوبة بأحرف لاتينية متسائلا : ولكن ماذا سيحل بالتراث العربي القديم ؟ فأجاب : إن هذا أخطر ما تواجهه أمة تحاول أن تحل لغتها العامية محل لغتها الفصحى . وقد جابه غيرنا هذا السؤال . ولكن الحياة أجابت عنه : ماله قيمة بقائية يبق ، وما هو حرقى بالخلود يخلد ، وما فيه فكر وعاطفة يعيش مادام هناك فكر وعاطفة ولك ، أن تعكس فتقول ما ليس له قيمة يموت هذه سنة الحياة .

ثم قال « ولكن للناس أن يسألوا : وماذا سيحل بالقرآن الكريم ؟ وأجاب أن القرآن الكريم (٢) ، سيبقى على

الزيارة أن يخذوا العرب حذو جارتهم تركيا بإلغاء الحروف العربية واقتباس الأحرف اللاتينية ، وأذكر أن الأستاذ فارس الخوري رد عليهما بمقال طويل نشرته إحدى الجرائد السيارة ضمنه تغنيداً علياً ، لهذه النصيحة الجريئة وغمز نواياهما الخبيثة بإيراد البيت الآتي :

كناطح صخرة يوما ليوهنا

فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وإلى اليوم مازال هذا المشروع حياً كغيره من مشاريع الاستعمار ، يلحون به ليجدوا منفذاً في النفوس العربية ، حتى انتقل التبشير بهذه المشاريع الهدامة تحت ستار العلم من المستشرقين إلى أبناء العرب الذين لديهم استعداد لترويج مثل هذه المشاريع الخنزيرة . فقال أحد هؤلاء (١) : « لن نستطيع أن نكون أمة علمية ، لنا مصانع ولنا كتب ولنا لغة علمية ، إلا إذا ألفنا هذه الكتب بالحروف اللاتينية ، وليس بالحروف العربية ! ذلك لأن العلوم الآن لاتينية ، تصنع كلماتها أي أفكارها لأن الكلمات أفكار - من مقاطع لاتينية تفهم عند النظرة الأولى . وهي حين تخرجها بالحروف العربية لا تفهم . » !

[١] الدكتور أنيس فريجة أستاذ اللغات السامية في جامعة بيروت الأمريكية . نحو عربية ميسرة . مطابع الوطن في بيروت ١٩٥٥ ص ١٩٧ - ٢٠٠

(٢) كلمة حق أريد بها باطل . لأن الخلود الذي يقصده الكاتب هو أن تبقى نسخة القرآن العربية لم تتحرف ليس إلا . كحادث لهذه التوراة الإنجيلية التي يشير إليها . إذ ما الفائدة منها إذا تغيرت لغة الناس وأحرفهم !

[١] سلامه موسى . مجلة العلوم . بيروت عدد

كانون الثاني ١٩٥٧ .

ثم يوضح « إن الفارق بين هذه الكنائس التي احتفظت بلغاتها القديمة وبين الإسلام عظيم جداً وذلك لأن العامة المحكية لا تختلف عن لغة القرآن الكريم اختلاف السريانية عن العربية أو الإغريقية أو عن العربية اللاتينية عن الفرنسية فلن تكون لغة القرآن الكريم غريبة [١] على إفهام الناس ، وسيظل الناس (٢) يتعلمونه ويحفظونه غيباً ويدرسون حرفه ونحوه وسحر بيانه كما يفعلون اليوم . وسيظلون يقرأونه ويستظهرونه تبركا ويشعرون وهم يرتلونهم يرفعون قلوبهم إلى الله بالصلاة !

ثم أضاف « هذا فيما يتعلق بالمستقبل القريب ، ولكن ماذا سيحدث في المستقبل البعيد ، بعد مئات من السنين ؟ هنا ندخل في نطاق الحدس والتخمين ، ولكن يتراءى لى أن في ذلك الزمن البعيد لن تكون الحياة الروحية وفقاً على الكلمة ولفظ وشكل الكتابة ، بل تكون الروح الإنسانية قد انعتقت من الحرفية وخرجت إلى آفاق روحية مستمدة من روح الدين والفلسفة والفن الموسيقي . سيكون التوكيد على الحياة الفضلى ،

[١] كيف لا تكون غريبة ولغة القارى وقتئذ عامة وأحرف لاتينية ، ولغة القرآن عربية فصيحة وأحرفها عربية ! ولكنه التضييل والافتراء [٢] يقصد المتخصصين ، كما يجرى الأمر في الكنائس ، يقرأ القسيس الكتاب المقدس بلغة لا يفهمها المؤمنون الحضور !

ما هو عليه كما بقيت كتب دينيه عديدة رغم انحراف لغة الناس عن لغة هذه الكتب المقدسة . فقد حافظت على روعتها وجلالها ومقامها الدينى ! هاك لغة التوراة الإنكليزية المعروفة بترجمة الملك جايكس ، فإنها على قدمها تعتبر في الإنكليزية إلى جانب مقامها الدينى ، قطعة أدبية رائعة ، لها أثر بعيد الغور في الأدب الإنكليزى على مدى الأجيال . ولكنها (لغة التوراة الإنكليزية) لغة تخالف لغة الناس !

ثم قال : « وقل مثل هذا في لغة شكسبير ، فإنها حافظت على كيانها ومقامها ، وفي لندن اليوم مرت شهور يعرف oed vie لا يمثل فيه إلا روايات شكسبير بلغتها القديمة ، وبشعرها القديم وتعابيرها القديمة ، وإنك إذا قست هذه اللغة بلغة جرائد لندن أو إذا قستها بلغة الشارع في أكسفورد أو كمبريدج وجدت فروقاً شاسعة ، وها هي الكنيسة الكاثوليكية فإنها تعتبر الترجمة اللاتينية للتوراة لغة الكنيسة الرسمية ولا يكون القداس إلا باللغة اللاتينية ! وقل مثل هذا في الكنيسة الأرثوذكسية التي حافظت على اللغة اليونانية التقليدية ، والكنيسة المارونية التي احتفظت باللغة السريانية ، والكنيسة المسيحية الحبشية التي احتفظت باللغة السامية القديمة المعروفة بلغة الجفر .

الغربي وأمثاله ، ممن يروجون المشاريع الاستعمارية لهدم القومية العربية تحت ستار العلم .

ولا أريد أن أرد الآن على هذا الكلام الطويل الخبيث ، فلعل إليه رجعة . ولكن لا بد بأن أقول : إنه مشروع كامل ، يكفى وحده - لو قنع به العرب - لأن يدمر قوميتهم ، وبالتالي ، لأن يدمر كل ما بناه الإسلام .

لذلك ، فإنني إذ أحذر أبناء العرب مرة ، أحذر المسلمين ألف مرة ، أن يدخل في روعهم لحظة واحدة ، أن القومية العربية ، منافية للعقيدة الدينية في الإسلام ؛ بل هي السياج العملي الوحيد الذي يسبق هذه العقيدة ، ويحفظها من كل ما يراد بها من شر وتخريب وتدمير .

لأن القومية العربية ، لا تدعو إلى عصبية جنسية ، بل تدعو للحفاظ على كيان العرب الذي يمثل أول ما يمثل في أرضهم ، وفي لغتهم وفي كتابهم (القرآن) كي يبقى صالحاً لقراءة عامتهم وخاصتهم على السواء ، لا للتخصيص منهم ، كما يريد المتآمرون عليهم ؟

على الحياة القائمة على حسن المعاملة ، على المحبة ، على الإخاء . عندها يكون للناس الحرية أن ينظروا إلى الدين من خلال نظاراتهم ، لا من خلال نظاراتنا نحن ! .

وفي الختام يقول : إن أعرب ما في طبع الإنسان من الأنانية والحرص هو شعوره أنه خالد لن يموت ، وشعوره بأن أفكاره وعقائده ومثله وأسلوبه في العيش يجب أن تفرض على ذريته بالشكل الذي يريده ويألفه إلى ما شاء الله ، ولكنه اليوم بعينه ، نحن زائلون والحياة للأجيال القادمة ، وليس لنا أن نفرض عليهم ، وإن فرضنا فإنهم لن يعيروا أفكارنا أقل انتباه . وهذا ما نلاحظه بين جيل وجيل . ألا تحرص أن تفرض على ابنك عقائدك وعاداتك ومقاييسك وذوقك ونظرك إلى الحياة ؟ ولكن كيف ينظر ابنك إلى هذه العقائد والمقاييس ؟ قد يسارك بعض الطريق ، ولكنه في قرارة نفسه يضحك من حرصك هذا ويسير في طريقه الخاص وهذا هو سبب كل خصومة بين القديم والحديث ، ، ، ١٠ .

لقد أطلت النمل حتى أشفى نفوس القراء مما يخبئه لهم القدر ، لو طبقت مقاصد وأحلام هذا المدرس في إحدى جامعات الشرق

مكانة العلم ومنهاجه ومجالاته في القرآن

للدكتور السيد علي السيد

رئيس مجلس الدولة

في هذا الزمان ، الذي أخذت تدب فيه أفاعي الإلحاد ، لتنفث سمومها في السكبان العربي ، يكون لزاما على كل مؤمن يدين بالإسلام ، أن يحلّي مزاييا هذا النظام الكامل الذي ارتضاه الله للبشر كافة في دينهم ودينامهم ، وأن يكشف عن إعجاز القرآن وهو معجزة الإسلام الخالدة ، في مختلف تلك الشؤون . وفي هذا السبيل ، سبيل الله ، أتقدم بهذا البحث للمؤمنين والمحلدين على السواء ؛ ليزداد المؤمنون إيمانا ، وعسى أن يرجع المحذون إلى الله .

١ - مكانة العلم والعلماء في القرآن

كان في تقدير الحكيم العليم أن تكون الأرض مستقرا للإنسان ، يستخلفه عليها في أولاه ، ومستودعا يغادرها بعد حين إلى آخره .

قال تعالى : ، ولستم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين د ٣٦ البقرة ، وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع د ٩٨ الأنعام . ، وإن الآخرة هي دار القرار د ٣٩ غافر .

فالإنسان مستصلح للدارين : أوجده الله في الأولى ليؤدي مهمة ، فاستخلفه على الأرض ليعمرها ، وابتلاه في هذا الاستخلاف ليستصلحه للدار الآخرة .

قال تعالى : د وإذا قال ربك للبلائكة إني جاعل في الأرض خليفة د البقرة . وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليلوكم فيها آتاكم د الأنعام ١٦٥ هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقاما ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا ، (٣٩) فاطر . د إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا ، (٧) الكهف . د تبارك الذي بيده الملك وهو

على كل شيء قدير ، الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور ، الملك .

والإبتلاء فى هذا الاستخلاف هو خير وسيلة لأشرف غاية ؛ ذلك أن كنهان الإنسان فى الحياة هو بونقة التجربة والتماساة ، تتصارع فى نفسه خلالها نوازع الخير والشر ، وفى هذا الصراع تسكتمل للشخصية الإنسانية ذاتيتها المستقلة ، فالنفس التى تتعرض لشتى مشكلات الحياة فتعالجها بما ينبغى لها من حلول على هدى المثل العليا وأحكام الدين ، والتى تقاسى الألم والمرض والأسى ، فتصبر وتثبت وتطمئن وتسكن إنما تتعلم وتتطهر وتندرج فى طريق السمو الروحى ، فتخرج من التجربة إن اجتازتها بنجاح ، أكثر علما وأوسع آفاقا وأزكى عنصرا ، وأظهر معدنا ، على عكس النفس الغافلة المترفة الجزوع المتردية فى الجهالة والضلالة . وهذا الناموس الإلهى ، ناموس الاستخلاف فى الدنيا ، ثم الجزاء على قدر العمل فى الآخرة إن خيرا وخيرا وإن شرا فشر ، هو الميزان الحق الذى به يستقيم الأمر فى الدنيا دار الاستخلاف والفناء ، والذى به تستكمل الشخصية الإنسانية ذاتيتها وتتأهل للدرجة التى تستحقها فى الآخرة دار الجزاء والبقاء . يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم ، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ٨٦ ، الزلزلة) .

وتأمل فى قوله تعالى « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون .

ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين . أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا بساء ما يحكون . من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم . ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغنى عن العالمين . والذين آمنوا و عملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون ، ٢ - ٧ العنكبوت . وفى قوله تعالى « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين . من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون » ٨٣ - ٨٤ القصص .

* * *

وكان من رحمة الله بالناس أن هدامهم بالفتنة السليمة التى ركزها فيهم وبالرسل من حين إلى حين كلما انطمست فيهم البصيرة ؛ ليرجعوا إلى عبادة الله . قال تعالى : « ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاهها ، وقد خاب من دساها » الشمس .

وقال تعالى : « إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ، الإنسان . وقال تعالى :
« وهديناه النجدين » البلد . وقال تعالى : « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب
والميزان ليقوم الناس بالقسط » الحديد .

وتتابعت الرسائل وسائرت التطورات البشرية ، فكان الرسول يبعث إلى قومه يختصمهم
بدعوته « لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه » . « وإلى عاد أخاهم هوداً » . « وإلى ثمود أخاهم صالحاً »
« وإلى مدين أخاهم شعيباً » . وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه « العنكبوت » .
« ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه » الأعراف . « وإذ قال عيسى بن مريم
يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم » الصف .

* * *

ولما تطورت البشرية في بوتقة الصقل والإعداد فبلغت الدرجة التي تؤهلها لاستقبال
النظام الكامل الذي ينتظم شؤون الدين والدنيا معا ، بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم
بدين الإسلام هدى ورحمة للعالمين . « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » ١٠٧ الأنبياء .
« قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً » ١٥٨ الأعراف . « هو الذي أرسل رسوله
بالمهدي ودين الحق ليظهره على الدين كله » ٢٨ الفتح ، ٩ الصف ، ٣٣ التوبة دين يرد الناس
إلى حظيرة التوحيد بعد أن اختلت العقيدة ، وحرف الناس الرسالة أو عبدوا الرسول .
« قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد » الإخلاص .

دين يؤكد الإخوة البشرية ، ويحقق الكرامة الآدمية ، ويخطم التمييز العنصري فلا فضل
لعربي على عجمي إلا بالتقوى . « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً
وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، الحجرات دين يجمع بين القوة والسلام ،
والعلم والعمل ، والدنيا والدين .

دين يصلح للبشر كافة في معاشهم ومعادهم دين يقول عنه الدكتور نظمي لوقا المسيحي
في كتابه (محمد الرسالة والرسول) .

لقد تمت فكرة التوحيد ، وتم خطاب العقل ، وتم البلاغ إلى الناس كافة أحمرهم وأسودهم
وتمت كرامة الإنسان وصلته بربه وبدنيائه ، وتركت لهم مصالحهم المرسله يعالجونها على ذلك
حسبما يستجد لهم من الأمور ، فكل رسالة بعد ذلك قول معاد ، ليس فيه جديد يستفاد ،

وبسبب من طبيعة الرسالة ، ومن الحاجة الطبيعية للناس إليها ، كان من الطبيعي أن يكون هذا الرسول خاتم الرسل ، لأن رسالته كانت خاتم الرسالات ، .

قال تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً »

٣ - (المائدة)

وكان من الطبيعي ألا يحتكم هذا الدين الخالد إلا إلى العقل والمنطق والعلم ، لإثبات صدق الرسالة ، وتحقيق أهدافها ؛ ولا يعتمد على خوارق الطبيعة من المعجزات ، كما كان الحال بالنسبة إلى ما سبق من رسالات وذلك من وجهين : أن العلم نور يهدي للإيمان ، ثم يثبته ويقويه ، وهو قوة في الحياة التي هي للعمران كالأساس من البنيان ، والإسلام كما سلف البيان ، نظام يجمع بين القوة والسلام ، والدنيا والدين .

والعلم يخدم تلك الأغراض جميعاً بقوة ، ومن هنا كانت مكانة العلم والعلماء في نظر القرآن ، لحفل بالآيات التي تعلو من شأنهم .

قال تعالى : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » (٩ - الزمر) .
« وما يعقلها إلا العالمون » (٤٣ - العنكبوت) . « قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب » (٤٣ - الرعد) . « لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك » (١٦٢ - النساء) . « إنما يخشى الله من عباده العلماء » (٢٨ - فاطر) .
« إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً » (١٠٧ - الإسراء) .
« وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به » (٦٤ - الحج) . « ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد » (٦ - سبأ) .
« بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم » (٤٩ - العنكبوت) . « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » (١١ - المجادلة) . « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم » (١١٨ - آل عمران) . « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم » (الفلق) .
« وقل رب زدني علماً » (١١٤ - طه) .

وقال الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام : [١] فضل العلم على العابد كفضل على أدنى رجل من أمماني . [٢] طلب العلم فريضة على كل مسلم . [٣] اطلبوا العلم ولو بالطين . [٤] من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، وإنما أنا قاسم والله يعطي . [٥] لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه علىهلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها . [٦] لأن تغدو فتعلم باباً من العلم خير من أن تصلي مائة ركعة . [٧] لا ينبغي لجاهل أن يسكت على جهله ، ولا لعالم أن يسكت على علمه . [٨] من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام فينبه وبين الأنبياء في الجنة درجة واحدة . [٩] أفضل الناس المؤمن العالم الذي إن احتيج إليه نفع ، وإن استغنى عنه أغنى نفسه . [١٠] أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد ، أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل ، وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيا فهم على ما جاءت به الرسل . [١١] العلماء ورثة الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما ، وإنما ورثوا العلم . [١٢] إن الحكمة تزيد الشريف شرفاً ، وترفع العبد المملوك حتى يجلس مجالس الملوكة . [١٣] لكل شيء فترة فمن كانت فترة إلى العلم فقد نجح . [١٤] كونوا علماء صالحين ، فإن لم تكونوا علماء صالحين فجالسوا العلماء ، واسمعوا علماء يدلكم على الهدى ويردكم عن الردى . [١٥] إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب . [١٦] استرذل عبداً حظر عنه العلم . [١٧] يبعث العالم والعابد ، فيتمال للعابد : ادخل الجنة ، ويقال للعالم : اتعد حتى تشفع للناس .

* * *

بنور العقل والعلم وقف ستمراط على عتبة التوحيد ، إذ يقول : « إن كل جزء من أجزاء هذا السكون يتجه نحو غاية ، وتلك الغاية تتجه إلى غاية أعلى منها ، حتى يتم الوصول إلى نهاية مفردة وحيدة ، وليس من الممكن أن يحمل ذلك على المصادفة » .

-
- [١] إحياء علوم الدين للغزالي . وانظر بهامشه للغني للعراقي . [٢] الإحياء وأدب الدنيا والدين للماوردي [٣] الإحياء [٤] البخاري ومسلم عن معاوية [٥] الشيخان عن عبد الله بن مسعود . [٦] الإحياء [٧] الإحياء [٨] الإحياء [٩] الإحياء . [١٠] الإحياء . [١١] الإحياء وأدب الدنيا والدين . [١٢] المصدر السابق . (١٣) أدب الدنيا والدين (١٤) أدب الدنيا والدين . [١٥] المصدر السابق . [١٦] المصدر نفسه . ولا يخفى أن المراد العلم النافع (١٧) المصدر نفسه .

وكان سقراط رجلاً عالماً يستعمل عقله في أوسع نطاق ، حتى في الشك ليصل إلى الحق ، ومع ذلك كان يضغى لصوت غير صوت العقل أسماء الإشارة الإلهية ، ففسر الحياة تفسيراً دينياً ، وقال إنها ليست النهاية ، وفسر الموت وقال إنه دفن للجسد وحده ، أما الروح فلها الخلود ، وآمن بربوبية قادرة تدعو الناس إلى معرفة الحق وفعل الخير .

وانظر إلى الدكتور كرونين ، الذي بدأ ملحداً ثم اهتدى بالعلم ، إذ يقول : « إذا تأملنا هذا الكون وأسراره وعجائبه ، ونظامه ودقته ، وخصامته وروعته ، لا بد أن نفكر في الله خالقه . من ذا الذي يتطلع إلى السماء في ليلة صيف صافية ، ويرى النجوم اللانهائية ، تتألق بعيداً ، ثم لا يؤمن بأن هذا الكون كله ، لا يمكن أن يكون وليد المصادفة العمياء . » ؟

وعالمنا هذا ، وهو يدور في الفضاء ، في حركة دقيقة منتظمة ، وفي فصول متتابعة ، لا يمكن أن يكون مجرد كرة من المادة خالية من الدلالة ، ألقيت في الفضاء بلا معنى وبدون سبب .

انظر وبحث في العالم وتتبع سير الحياة ، فإنك ستواجه لغزاً غامضاً وسراً عميقاً . إذ لا يمكن أن يكون هذا قد نشأ من العدم ، فلا شيء يخرج من لا شيء .

وانظر إلى لابلاس العالم الفيلسوف إذ يقول : « إن القدرة التي شكلت الأجرام السماوية وحددت كشافاتها ، وأقطارها ومداراتها ، بنظام مستمر إلى الأبد ، لا يمكن أن تنسب إلى المصادفة . »

وانظر إلى أرثر كومبتون ، أحد حائزي جائزة نوبل في الفيزياء للكشف الذرية إذ يقول : « إنني في معلى ، لا أعنى بإثبات حقيقة الحياة بعد الموت ، ولكنني أصادف كل يوم قوى عاقلة ، تجعلني أحس إزاءها بأنه يجب على أن أركع احتراما لها . »

وانظر إلى العالم أدنجتون إذ يقول : « إن من وراء هذا الكون عقلاً مدبراً حكماً ، هو العقل الأعظم ، وروح سام ، هو الروح الأعظم ، هو الله سبحانه وتعالى . »

وانظر إلى أينشتاين ، أعلم علماء الأرض ، في الكون وظواهره إذ يقول : « إن أعظم جائشة من جائشات النفس وأجلها ، تلك التي تستشعرها النفس ، عند الوقوف في روعة أمام هذا الخفاء الكوني ، إن الذي لا يجيش نفسه لهذا ولا تتحرك عاطفته هو حي كمي ، إنه خفاء لا تستطيع أن تشق حجبته ، وظلام لا تستطيع أن تطلع لجره ، ومع هذا فتدرك

أن وراءه شيئاً هو الحكمة أحكم ما تكون ، وتحس أن وراءه شيئاً هو الجمال أجمل ما يكون ،
وهى حكمة ، وهو جمال ، لانستطيع أن تدركهما عقولنا القاصرة ، إلا فى صور لها بدائية
وأولية ، وهذا الإدراك للحكمة ، وهذا الإحساس بالجمال فى روعته ، هو جوهر التعبد
عند الخلائق . وإذ يقول : « إن الشعور الدينى ، الذى يستشعره الباحث فى الكون ،
هو أقوى حافز على البحث العلمى وأنبه حافز » ، وإذ يقول : « إن دينى هو إعجابى فى تواضع
بتلك الروح السامية ، التى لاحد لها . تلك التى تترامى فى التفاصيل الصغيرة القليلة التى تستطيع
إدراكها عقولنا الضعيفة العاجزة ، وهو إيمانى العاطفى العميق بوجود قدرة عاقلة مهمة
تترامى حيثما نظرنا فى هذا الكون المعجز للأفهام . إن هذا الإيمان يؤلف عندى معنى الله ،
(كتاب مع الله فى السماء للدكتور أحمد زكى) .

وانظر إلى السير جيمس جينز ، العالم الإنجليزى الشهير وهو يبين كيف انحسرت موجة
الإلحاد المادى التى طغت فى القرن الماضى فيقول : « أما الآن فالآراء متفقة إلى حد كبير ،
فى الجانب الطبيعى من العلم ، يكاد يقرب من الإجماع ، على أن نهر المعرفة بدأ يتجه نحو
حقيقة غير مادية وغير آلية ، وقد بدأ الكون يلوح أكثر شبهاً بفكرة عظيمة ، منه بآلة
عظيمة : ولم يعد العقل بعد دخيلاً ألقت به المصادفة فى عالم المسادة بل بدأ يحول بخاطرنا
أن من واجبنا أن نحسبه ونعده خالق العالم ، المسيطر عليه ، ولسنا نقصد بهذا العقل ،
بطبيعة الحال ، عقولنا الفردية ، بل نعنى ذلك العقل الكلى الذى توجد فيه على شكل فكر ،
تلك الذرات التى نشأت منها عقولنا ، وتلك المعرفة الجديدة تضطرنا إلى أن نعدل عن رأينا
السابق الفطير ، ونحن واجدون فى الكون دلائل على وجود قوة مدبرة مهيمنة ، يوجد بينها
وبين عقولنا الفردية شىء مشترك (الكون الغامض - ترجمة وزارة التربية) .

وانظر إلى العالم الأمريكى كريسى موريسون فى كتابه الذى سماه (الإنسان لا يقوم
وحده) الذى ترجمه الأستاذ محمود صالح الفلسكى بعنوان - العلم يدعو للإيمان ، أنظر إليه
إذ يدل من واقع مختلف الحقائق العلمية ، أن الله بارئ الكون وخالق كل شىء ، وإذ يرد
بمنطق العلم على جوليان هكسلى المادى الملحد الذى كان قد كتب كتاباً سماه (الإنسان
يقوم وحده) فيقول هذا العالم المؤمن فى مقدمة كتابه - إن وجود الخالق تدل عليه
التنظيمات اللانهاية التى تكون الحياة بدونها مستحيلة . وإن وجود الإنسان على ظهر الأرض
والمظاهر الفاخرة لذكائه . إنما هى جزء من برنامج ينفذه بارئ هذا الكون بمشيئته وقدرته

وإن تحطيم الذرة ، التي تعتبر أصغر قالب في بناء الكون ، إلى مجموعة من الجسيمات هي في نظامها كنظام المجموعة الشمسية سواء بسواء ، فتتألف من جرم مذهب هو النواه ، والكثرونات طائفة تدور في فلكها ، قد فتح المجال لتبديل النظرية القديمة عن الكون تبديلا جوهريا ، ولم يعد التناقض الميت للذرات الجامدة يربط تصورنا بما هو مادي بل أن المعارف الجديدة ، التي كشفت عنها العلم ، لتدل عل وجود جبار مدبر وراء ظواهر الطبيعة ، وهذا الضوء يقودنا إلى الاعتراف بوجود عقل أسمى ، ، أى إلى وجود الخالق .

وانظر إليه ، بعد أن عدد في إبحاز جميل ، كما يقول الدكتور أحمد زكى في مقدمة الترجمة المشار إليها (هذه الأنساق التي تجمع بين الخلائق جميعا ، بين الحى والحى ، والحي والجامد وعبر الأرض وفي السماء يربط ما بينها وبين الحياة على هذه الأرض ، فالصانع لابد واحد فهما كالمفتاح وقفله اتساقا ، لا يمكن أن يكون قد ابتدعهما إلا عقل مبتدع واحد) .

أنظر إلى هذا العالم المؤمن بالله إذ يختم كتابه فيما اختتمه به بقوله : إن كون الإنسان في كل مكان ، منذ بدأ الخليقة حتى الآن ، قد شعر بحافز يحفزه إلى أن يستنجد بمن هو أسمى منه وأقوى وأعظم ، يدل على أن الدين فطرى فيه ، ويجب أن يقر العلم بذلك ، ويجب أن تأخذنا الروعة والدهشة والإجلال لإجماع البشر في شتى أنحاء العالم على البحث عن الخالق والإيمان بوجوده أو ليست روح الانسان هي التي تشعر باتصالها بالله ؟ . إن وجود هذا الحافز هو برهان على قصد العناية الإلهية . إنها الفطرة السليمة المركوزة فيه ، والتي لا تقل شأنًا عن عقله العجيب ، هذا العقل الذي يملك قدرات واستعدادات قابلة للنمو والتقدم الذي لا حده ، إن أى اتحاد مادي للعناصر ما كان يمكن أن يتولد عنه أى رأى أو فكرة البتة ، ولكنه القبس الإلهي ، هذا الشيء غير المادى وغير الملبوس هو الذى أنتج ما أنتجه الإنسان من عجائب ، وهو يختلف في جوهره عن كل ما هو مادي مما صنع منه العالم ، فهو لا يرى ولا يوزن ولا يقاس ، ولكن نشعر به ، وبصلته بالمصدر الأعلى لوجوده إن تقدم الإنسان من الوجهة الخلقية ، وشعوره بالواجب إنما هو أثر من آثار الإيمان بالله ، والاعتقاد بالخلود ، وإن غريزة الدين تسكتشف عن روح الإنسان وعن ترقيته ، خطوة خطوة حتى تشعر بالاتصال بالله ، وإن دعاء الإنسان الغريزي لله ، بأن يكون في عونته هو أمر طبيعي ، وإن أبسط صلاة التسمو بالإنسان وتقربه من خالقه . إن الوقار والكرم والنبل والفضيلة والإلهام وكل ما يسمى بالصفات الإلهية ، لا يمكن أن ينبعث من الإلحاد .

لأنها المثل العليا التي بدونها تفلس المدنية ، وينقلب النظام فوضى ويضيع كل ضابط ، ويسود العالم الشر ، فعلمنا أن تثبت على إيماننا بالله ، وعلى محبته ، وعلى الأخوة الإنسانية ، فإن ذلك يسمو بنا نحو الله تعالى ، إذ ننفذ بذلك مشيئته ، ونثبت أننا جديرون حقاً بعنايته . إن خميرة التقدم تسير بالإنسان سيرا بطيئاً ، ولكن سيرة مؤكدة نحو زيادة الإدراك لما يجب أن تكون عليه علاقاته ببنى جنسه .

ثم انظر إلى المرحوم الدكتور على مصطفى مشرفة ، في كتابه « العلم والحياة » إذ يقول عن ارتباط العلم بالدين : « وعندي أن ما وصل إليه الإنسان من العلم ، وما ترتب على ذلك من قدرة واختراع ، إنما جاء على قدر الإنسان من العلم ، وما ترتب على ذلك من قدرة واختراع ، إنما يتفرعان عن حب الجمال ، فالحق والخير جميلان ، ولذلك من أجل الجمال أحبهما جميعاً ، ووددت لو استطعت أن أصور للقارىء فيض ذلك الجمال ، الذي يدركه طالب الحقيقة العلمية ، في ذلك التناسق البديع بين أجزاء الكون ، حتى إن السير جيمس جينز ليصفه بأنه فكرة عظيمة ، أو إن شئت فقل ففكرة جميلة ، ومن الخطأ الفاحش ، أن يصور العلم على أنه شيء مادي يعنى بالأجسام والمسافات والأبعاد وما إلى ذلك فتقط ، وأن يقال إن العلماء يقفون عند المظاهر المادية العامة . فالعلماء إذ يبحثون عن الحقيقة يسمون بعقولهم إلى المستهى ، وهم إذ يكشفون عن أسرار الكون ، تمتزج نفوسهم بالحق والجمال . »

ويقول في موضع آخر من كتابه « إننا إذا نظرنا إلى حقائق الحياة وجدناها تدفعنا دفعاً إلى الإيمان بالقيم الروحية ، بل إن العلم نفسه ليقوم على إحدى القيم الروحية الأساسية . ألا وهى حب الحق والشغف بالحقيقة ، فالعلم إذ ينظر إلى الحياة ، شغوف بأن يصورها تصويراً حقيقية ، وهو إذ يفعل ذلك ، يقدم للإنسان أجل خدمة . فتد قنمت أن اختلاف الناس فى تصورهم للحياة إلا أن يعرأ جميعا باستخلاص صورة حقيقة لها ، وهى الصورة التى يرسمها العلم . »

ومن سوء الحظ أن بعض علماء القرن الماضى وفلاسفته ، صور الحياة على أنها صراع بين القوى والضعيف ، وتكلموا عن مبدأ بقاء الأصلح ، وقد فهم ذلك على أنه بقاء الأقوى وهو تصوير مخلى لا يتركز على أى أساس علمى ، بل الحياة تتدرج نحو

السمو ونحو النور . وقد حدث في تاريخ البشرية ، أن تغلبت القوة المادية على المدنية الروحية ، ومن الأمثلة على ذلك ما حدث عند انهيار الإمبراطورية الرومانية الغربية في الغرب ، والدولة العباسية في الشرق . إلا أن مثل هذه الانتصارات ، إنما كانت انتصارات مؤقتة ، ساعد عليها انحطاط رجال الامم المغلوبة ، وابتعادهم عن المثل العليا الروحية . واليوم وقد امتزج العلم بحياة الامم والأفراد ، قد صار لزاما على رجال العلم أن يرفعوا لواء المثل العليا ، وأن يتعدوا عن الفلسفة المادية في جميع صورها وأشكالها ، كما صار لزاما على الشعوب أن يتقبلوا رسالة العلم ، وأن يستعينوا بها على محاربة الشر ، وقد بينت أن الأرض لا تزال رحبة ، تلسع للناس جميعا ، وأن القوى الموجودة على سطحها قوى عظيمة ، فإذا استعان بها الناس على قضاء حوائجهم ، وسخروها لخيرهم ورفاهيتهم ، مستعينين بالعلم وبالروح العلية كان لنا أن نتنظر للبشر مستقبلا يكفل طمأنينتهم وسعادتهم وسموهم .

وانظر إلى الدكتور أحمد زكي في كتابه « مع الله في السماء » ، إذ يقول « العالم هو أكبر عابد ، لأن العلم هو السبيل لمعرفة الله ، وهو السبيل الأول والأقوم ، وهو آخر سبيل يجوز أن ترتفع إليه رية ، وإن المعرفة في ذاتها عبادة لأن الباحث في العلم إذا استهدف في علمه الكشف ، ولو بعض كشف ، في بعض جوانب الألوهية فهو أكبر عابد ، وأكرم قائم وراكع وساجد . وإن القارئ للعلم يريد به استكناه حقيقته هذا القائم الأعظم على الكون والقائم فيه ، فهو يعبد الله على أسلوب هو في صفوف العبادات فوق الأساليب ، لأن العقل فيه يتحرك نحو الله عن علم ، ويمتلى به قلبه عن معرفة ، ويمتزج به قلبا وعقلا ، وجامعهما النور ... »

ويقول « إن العلم الحديث ولد منذ ثلاثة قرون ، والأضواء التي صبها على نواحي هذا الوجود كانت أضواء شديدة ، كشف بها لأعيننا ، وبالأخص لأفهامنا ، فيما لا تراه العيون الشيء الكثير ، واستعان الإنسان بكثير مما كشفه العلم في مطعمه ، وفي ملبسه ، وفي زرع ، وصناعته وتجارته ، وفي ريفه وفي حضره ، وفي صحته وفي مرضه ، وفي عمله وفي فراغه من عمله ووضع العلم مدنية غارمة تتضائل إلى جانبها ما مضى مما عرفناه من مدنيات ، ولكنها مدنية مادية ، وما أحرانا بإيمان العالم ، أن نجعلها مدنية روحية . ذلك الإيمان الذي يدرك ما في الكون من تنظيم وتنسيق ، ومن وراء ذلك عقل منظم ، منسق ، مدبر ، ونذكر أن هذا

النظام ، وإن هذا النسق فيه ، يجري على أسلوب واحد مهما اختلف المواضع من هذا الكون ، فنسلم أن العقل المنظم المنسق المدبر في هذا الكون واحد ، هو الله الأحد الفرد الصمد .

أنظر إلى أقوال هؤلاء العلماء ، من آمن منهم بعد إلحاد ، ومن زاده العلم إيماناً فوق إيمان ، ثم تدبر قوله تعالى : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » ٥٣ فصلت . « وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون » ٩٣ النمل . « خلق الإنسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون » ٣٧ الأنبياء .

ثم سبح اسم الله وأنت تتلو قوله تعالى : « قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون . سيقولون لله قل أفلا تذكرون . قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم . سيقولون لله قل أفلا تنقون . قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون . بل أتيناكم بالحق وإنهم لكاذبون . ما اتخذ الله من ولد وما كان منه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون » ٨٤ - ٩٢ (المؤمنون) . وقوله تعالى : « أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أله مع الله بل هو قوم يعدلون . أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً أله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون . أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أله مع الله قليلاً ما تذكرون . أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بين يدى رحمته أله مع الله تعالى الله عما يشركون . أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون . بل إدراك عليهم فى الآخرة بل هم فى شك منها بل هم منها عمون ٦٠ - ٦٦ النمل .

وقوله تعالى : « وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين . لو أردنا أن نتخذ لهموا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين . بل نتخذ بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق

ولكم الويل مما تصفون . وله من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون . يسبحون الليل والنهار لا يفترون . أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون . لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون . لا يسأل عما يفعل وهم يسألون . أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون . وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون . وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، ١٦ - ٢٧ الأنبياء .

الإسلام دين القوة والحياة ، يدعو المؤمنين إلى الأخذ بأسبابها ، ومن هنا كانت حكمة الحديث الشريف : المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير . أحرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ؛ ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان . (١)

فالإسلام لا يرضى للإنسان أن يسلك مسلك الزهانية والتبتل ؛ لما في ذلك من تعطل يتنافى مع عمران الأرض التي استخلفه عليها ؛ كما يأبى الإسلام تكالب الإنسان على الجمع لنفسه ؛ لما فيه من أثره وطغيان مادي ، وإنما يقيم نظامه على الاعتدال في القصد بين الدين والدنيا إلى الحد الذي يوفق بين حظوظ الجسد المعتدلة وحظوظ الروح المعتدلة بلا إفراط ولا تفريط .

وليس كالعلم قوة تحقق هذه الأغراض . فالعلم يكشف عن أسرار الكون ويسخرها لمنفعة الإنسان ويستخرج كنوز الأرض ويستغلها لخير البشرية . وبجودة العلم تستقيم السياسة فتتجه وجهة الخير ، والعلم يحفظ على الصناعة قوتها ويجدد شبابها ويعمل على إنهاضها وتقدمها ، والعلم أساس التقدم ، في كل أوجه النشاط الزراعي والمالي والتجاري والاقتصادي ، وهو حجر الزاوية في حسن القيام عليها ، والعلم أمضى سلاح في محاربة اللغات الثلاث : المرض والجهل والفقر .

من أجل ذلك كله حث القرآن على العلم ، ووجه النظر إلى بحث الكائنات وتعرف خصائصها وأسرارها والانتفاع بها في بناء الحياة .

وقد ربط القرآن في الوقت ذاته ، بين العلم والعبادة التي من أجلها خلق الله الجن والإنس .

وغنى عن القول أن من عبادة الله تحقيق إرادته فى عمارة أرضه ، وإظهار أسرارهِ الدالة على عظمته ووحدايته ، واستحقاقه وحده للعبادة ، والإحسان فى هذا كله إنما هو شكر الله على نعمائه ، وهو خير عبادة يتقرب بها العبد الشاكر إلى الله . أما إذا تنكب الجادة وسخر عليه فيما يحقق لنفسه الطغيان على بنى جنسه ، كان كافرا بنعمة الله .

ومثل الأول كمثّل سليمان عليه السلام ، وهب الله له حكما وعلما ، وسخر له الجن والريح ، وعلمه منطق الطير والحيوان . قال تعالى : « ولقد آتينا داود وسليمان علما » ١٥ (النمل) « وسليمان الريح عاصفة تجري بأمره » ٨١ (الأنبياء) . « وورث سليمان داود وقال يأيتها الناس علمنا منطق الطير » ١٦ (النمل) وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى » ١٩ (الزلزل) « قال هذا من فضل ربى ليبلونى أشكر أم أكفر » ٤٠ (النمل) . ومثله كذلك كمثّل ذى القرنين ، مكّنه الله فى الأرض وآناه من كل شىء سببا فأ تبع سببا . أقام العدل فى أرض الله ، وحارب الفساد والمفسدين واستعمل عليه فى إقامة السد ، لينع النّوم المستضعدين من شر يأجوج ومأجوج المفسدين فيها ، ولم يقبل خرجا على عمله شكرا لله على ما مكّنه فيه .

ومثل الثانى أى العالم الباغى الكافر بنعمة الله كمثّل قارون ، قال تعالى « إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيه من السكّنوز ما إن مفاطحه لنمو بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين . وابتغى فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين . قال إنما أوتيته على علم عندى أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا » - وقال تعالى : « نجسنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين . » ثم قال سبحانه : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين . » القصص .

٢ - منهاج العلم فى القرآن :

منهاج العلم فى القرآن ، هو منطق النظر والاستقراء ، أى هو المنهاج الصحيح فى لغة العلم الحديث ، وهو يقوم على المشاهدة والبرهان الحسى والتفكير المنظم المبني على الواقع أى على الحقيقة الخارجية .

ويقول المرحوم الدكتور على مصطفى مشرفه ، إن الغرب يزعم أن الفضل في صياغة هذا المنهج المستحدث يرجع إلى العالم الإنجليزي السير فرنسيس بيكون الذي ألف كتاباً باللاتينية عام ١٦٢٠ م سماه « Novum Organum » ، أى الأداة الجديدة . وقوام هذا المنهج المشاهدة والتجريب ، وامتحان المقدمات وتمحيصها ، وسلوك سبيل الحس والمشاهدة والعناية بالحقيقة الخارجية ، واطراح التقليد والإذعان .

والقرآن الكريم حافل بالآيات التي تأمرنا بالنظر في الظواهر المحيطة بنا ، وتحضنا على استخدام العقل والحواس معا ، والتأمل في ملكوت الله وقد سفه القرآن التقليد والإذعان ، وجرى الخلف وراء السلف دون نظر أو برهان .

« وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون » ١٧٠ - (البقرة) . ولذا لم يحتكم الإسلام في إثبات رسالته ، إلا إلى التأمل والمنطق والعقل ، وحظر اتباع الظن ، وجعل البرهان والحجة أساس الإيمان . قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرون . » ١٤٨ - الأنعام . وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغنى من الحق شيئاً ، يونس . وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً . (النجم) « ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً » ٣٦ الإسراء . وآيات النظر في القرآن كثيرة منها قوله تعالى « أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض ، ١٨٥ الأعراف . « أفلم ينظروا إلى السماء فبهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ، « فلينظر الإنسان إلى طعامه . أنا صببنا الماء صبا ، عبس « فلينظر الإنسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب . إنه على رجعه لقادر » الطارق . أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، الغاشية « فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها . ٥٠ الروم « انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه » ٩٩ الأنعام « قل انظروا ماذا في السموات والأرض » ١٠١ يونس « قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ، ٢ العنكبوت . فالقرآن يأمر باستخدام العقل وسائر الحواس استخداماً أساسه المشاهدة : فالعين يجب أن ترى ، والأذن يجب أن تسمع ، والعقل يجب أن ينظر ويفكر وهذا هو منطق الاستقراء ومنهاج ، العلم الصحيح . وقد نبه القرآن إلى هذه الحواس ودل على نعمة الله على

الإنسان إذ منحه إياها : « وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ، (٧٨ - النحل) . » ألم نجعل له عيين . ولسانا وشفتين . وهدينا النجدين ، (البلد)

كما نبه القرآن على ما يسمى في العلم الحديث بالمنطق الرياضي ، وهو غير المنطق العادي ، بل هو أعمق منه غوراً وأبعد أثراً ، وقواعده مبنية على البدايات الأولية التي أصبحت نظريات رياضية ، يعرفها كل رياضي ويستخدمها في استنتاجاته ، فيستخرج المجهول من المعلوم عن طريق الرموز ، مستعيناً بالبدايات في علوم الجبر والهندسة والرياضة .

ولعل هذا هو أعجب ملكات الإنسان . فهو يدرس رموزاً لا يهتم معناها ، ويستنتج بواسطة منطق الرياضيات وبالقلم والقرطاس نظريات للعمل بهذه الرموز ويصنفها أسفاراً في الرياضة البحتة حتى إذا جاء بعده مهندس كهربائي مثلاً استعمل هذه النظريات في تصميم شبكات التوصيل ومحطات التوليد ، وهو ضامن للنتيجة التي يصل إليها قلبه ، كما يضمن مثل هذه النتيجة الصحيحة عالم الفلك مثلاً إذا استعمل هذه النظريات في حساب أوقات الكسوف والخسوف قبل أن تحدث وبهذا المنطق الرياضي وبالقرطاس والقلم ، صنف ماكسويل قوانين الكهرباء المغناطيسية ، ومنها استنتج أن التذبذبات في المجال الكهربائي المغناطيسي تنتقل بسرعة الضوء وهي ١٨٠ ألف ميل في الثانية في كل أجزاء الكون . واعتمد العالم هارتز ، ومن بعده ماركوني ، على ذلك في الاختراعات اللاسلكية وفي إرسال هذه التوجات إلى كافة أنحاء العالم . وهذا العلم الحديث علم اللاسلكي ، إنما نبه عليه قلم ماكسويل في القرن التاسع عشر .

وبالقلم والقرطاس ، وبالاعتماد على المنطق الرياضي ، صنف أينشتاين قوانين النسبية ، ومنها استنتج أن المادة يمكن تحويلها إلى طاقة ، وبالعكس ، وأن وحدة المادة تعطى مربع سرعة الضوء من الطاقة ، واعتمد الرياضيون على معادلاته في فتح الذرة وتحويل المادة إلى طاقة رفعت الجبال ودكت الحصون وسيرت السفن وحفرت الأنفاق وأزالت المدن من الوجود (راجع كتاب العلم والإيمان لصالح خشبة) .

إذا علمت هذا فتدبر قوله تعالى « الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم » في أول سورة أنزلت على النبي الأُمي صلى الله عليه وسلم ، وتدبر كذلك قوله تعالى : « ن . والقلم وما يسطرون » . فأقسم سبحانه بالقلم والقرطاس ، وما كان هذا القسم العظيم إلا لعلم الله

بما أودعه إياهما من أسرار ستكون بالغة الأثر في مستقبل الإنسان . ألا نحني الرأس بعد ذلك إجلالا لإعجاز القرآن ، في هذا الشأن . ؟ ؟

٣ - مجالات العلم في القرآن :

كان إعجاز القرآن عاما شاملا ، لا يختص بعصر دون عصر ، ولا بقوم دون قوم ، ولئن أنزل في قوم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهم أرباب الفصاحة والبيان بعربية معجزة بهرتهم وبهتهم ، إنه كان أساساً ، كتاب نور وهداية وعلم وإرشاد ، احتوى من المبادئ السامية والمثل العليا ما تصح به النفس البشرية وتطهر وتنزى وتبلغ القمة في السمو الروحي ، كما احتوى من الأصول الكلية ما يصلح الناس ويصلح لهم في كل زمان ومكان ، واحتوى من الآيات الكونية ما ينبه الأذهان ويوجه النظر إلى البحث والتنقيب واستكناه حقائق الأشياء واستكشاف أسرار الكون وتطبيقها فيما ينفع الناس ، واستغلال ثروات الأرض وما أودعها الله من كنوز وقوى كونية .

قال تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » ، ٣٨ (الأنعام) « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للسبلين » ، ٨٩ (النحل) « ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل » ، ٥٩ (الروم) ٣٧ (الزمر) « ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين » ، ٨٢ (الإسراء) « ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » ، ٥٢ (الأعراف) « بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم » ، ٤٩ (العنكبوت) .

فالعلم في القرآن ، يشمل كل أنواع المعرفة ، ومجالاته تتصل بكل ما ينفع الناس : في دينهم وديناهم ، في معاشهم وفي معادهم في أجسادهم وفي أرواحهم . وهذا أمر طبيعي باعتباره نظاماً كاملاً خالداً للبشر كافة ، ينتظم شؤون الدين والدنيا معاً . وليس أبلغ في بيان هذه المجالات من قول صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم : « إن الله أنزل على القرآن أمراً وذاجراً ، وسنة خالية ، ومثلاً مضروباً ، فيه نبؤكم وخبر ما كان قبلكم ، ونبأ ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، لا يخلقه طول الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، هو الحق ليس بالهزل ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن خاصم به فليج ، ومن قسم به أقسط ، ومن عمل به أجر ، ومن تمسك به هدى إلى صراط مستقيم ، ومن طلب الهدى من غيره أضله الله ، ومن حكم

بغيره قصمه الله ، هو الذكر الحكيم ، والنور المبين والصراط المستقيم ، وحبل الله المتين ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ، ولا يزيغ فيستعجب . ولا تنقض عجايبه ، ولا يخلق على كثرة الرد ، (١) .

وفي الحديث : قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم إني منزل عليك توراة حديثة تفتح بها أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا ، وفيها ينابيع العلم ، وفهم الحكمة ، وربيع القلوب ، (٢)

ألا ما أحلى ذلك وأبلغه وأروعه . . .

وتأمل قوله تعالى في سورة البينة : « رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة ، وما الكتب القيمة إلا ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب كما بين الرسول صلى الله عليه وسلم . فليس إعجاز القرآن مقصورا على حسن تأليفه والثام كله ، وفصاحته ووجوه إعجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب ، مع ما خصوا به من البلاغة والحكم ، ولا على صورة نظمه العجيب المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها وسجعها ورجزها وهزجها وقريضها ، ومبسوطها ومقبوضها ، كما قال الوليد بن المغيرة لقريش عند اجتماعهم ، ولا على ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات فوق ، ولا على ما أنبأ به من القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع المندرسة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا من مارس العلوم من أهل الكتاب واطلع على الكتب المنزلة القديمة ، ولا على الروعة التي تلحق قلوب سامعيه عند سماعه ، والهيبة التي تعترهم عند تلاوته .

قال الله عز وجل : « تمشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله » ٢٣ (الزمر) .

وقال تعالى : لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله » (الحشر) ولا على كونه آية باقية لا تقدم ما بقيت الدنيا ، وقد تكفل الله بحفظه فقال : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » ٩ الحجر . « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ١٣ فصلت : وسائر معجزات الأنبياء انتقضت بانتقضاء أوقاتها ، فلم يبق إلا خبرها ، ولا على

أن قارئه لا يمل قراءته ، وسامعه لا يمتعه مسامعه ، بل الإكباب على تلاوته وترديده يزيده حلاوة ومحبة ، ولا على أن الله تعالى يسر حفظه لتعليمه وقربه إلى متحفظيه .

قال الله تعالى : « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » (القمر) ولا على مشكلة بعض أجزائه بعضا ، وحسن ائتلاف أنواعها والتثام أقسامها وحسن التلخيص من قصة إلى أخرى والخروج من باب إلى غيره على اختلاف معانيه ، بل إعجازه يشمل كذلك جمعه لعلوم ومعارف لم يعهدها العرب ولا علماء أهل الكتاب ، ولم يشتمل عليها كتاب من كتبهم فاحتوى حقائق الأشياء ، وكان أصلا لسائر العلوم (١) .

وليس المقصود من ذلك كما يقول المرحوم الشيخ المراغي : « أنه اشتمل على جميع العلوم جملة وتفصيلا بالأسلوب التعليمي المعروف ، وإنما المقصود أنه أتى بأصول عامة لكل ما يهيم الإنسان معرفته لصالح دينه ودنياه ، ولبلوغه درجة الكمال جسداً وروحاً ، وترك لأهل الذكر من المشتغلين بالعلوم المختلفة ليدينوا للناس جزئياتها » .

وكما يقول المرحوم الدكتور عبد العزيز اسماعيل في كتابه (الإسلام والطب الحديث) إن القرآن ليس بكتاب طب أو هندسة أو فلك ، ولكنّه يشير أحيانا إلى سنن طبيعية ترجع إلى هذه العلوم ، وبما أنه صادر من واضع السنن كلها ، كان جميع ما جاء فيه حقا لاشية فيه ، وإن لم يكن مدركا وقت نزوله إلا على طريق الإجمال والتأويل لعدم استبحار العلوم وقتذاك ، ولكن مع الترقى في العلوم قلبا كان يعتمد إلى تأويله ، وكثر ما وجب أخذه على ظاهره في ذلك العهد .

وقد حمد المرحوم الشيخ المراغي للمرحوم الدكتور عبد العزيز اسماعيل هذه النزعة العلمية التي لو تحلى بها كل مبرز في فرع من فروع العلم لاجتمع لدينا ذخير عظيم من هذه التطبيقات الثمينة تستفيد منه الثابتة الحديثة زيادة معرفة بإعجاز القرآن ، وإيقان بأن ما فرط في كتابه من شيء ؛ حمد له هذا المجهود كذلك المرحوم الأستاذ محمد فريد وجدى بقوله : « وهذا الكتاب يفتح للتدبرين آيات القرآن مجالا فسيحا لفهم آياته المشيرة إلى الكائنات الأرضية بما يسيغه العلم الحديث ويستهو عقول الذين يقصدونه ، فما أجدره أن ينتشر

(١) راجع نهاية الأرب في أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم ج ١٨ ص ٣٠٣

وما بعدها .

بين طلبة الجامعات ليسكون باعثاً لهم على تلاوة القرآن والاستهداء بنوره ، وما أخلقه أيضا أن يذاع بين طلاب العلم الديني ليجيب إليهم العلم الحديث ، ويثبت لهم أنه أصبح أداة لإظهار مكنونات الكتاب الكريم وإذاعة آياته وإثبات إعجازه .

وقد ظهرت بعد ذلك جهود محدودة في هذا الميدان ، كجهود الأستاذ صلاح الدين خشبة في رسالته (العلم والإيمان) . ومجهود الأستاذ محمد محمود إبراهيم في رسالاته التي ينشرها من حين لآخر بعنوان (إيجاز القرآن في علم طبقات الأرض) ومجهود الأستاذ عبد الرزاق نوفل في كتبه (الله والعلم الحديث) ، (والإسلام والعلم الحديث) ، (والقرآن والعلم الحديث) . وكذلك ما نبه إليه الدكتوران محمد جمال الفندى ومحمد يوسف حسن في كتابهما (قصة السموات والأرض) من معاني الآيات المتصلة بموضوع كتابهما . نحمد لهم ولغيرهم ممن لم تصل إلى علمنا جهودهم في هذا السبيل . وجزاهم الله خير الجزاء .

وقد اشتمل القرآن على ٦٢٣٦ آية منها حوالى ٧٥٠ آية كونية وعلمية ، احتوت أصولا وحقائق تتصل بعلم الفلك والطبيعة وما وراء الطبيعة والأحياء والنبات والحيوان ، وطبقات الأرض ، والأجنة ، والوراثة ، والصحة ، والصحة الوقائية ، والتعدين ، والصناعة والتجارة ، والمال والاقتصاد الخ . . واحتوت باقى الآيات على الأصول والأحكام فى المعاملات ، وعلاقات الأمم والشعوب فى السلم والحرب ، وفى سياسة الحكم ، وإقامة العدل ، والعدالة الاجتماعية ، والتضامن الاجتماعى ، وكل ما يتصل ببناء المجتمع ، وفى رسم شخصية المسلم الكامل خلقا وأدبا وعلميا ، وفيما يجب أن يحتذيه من المثل العليا ، وما يتحلى به من مكارم الأخلاق .

وهذا كله بخلاف العبادات والعقائد والتكاليف . وبخلاف القصص وما احتواه من مواعظ وأمثال ، وغير ذلك من شتى أمور الدين والدنيا ، بما كان محلا للدراسة والاستنتاج ، والتخريج ، والتأصيل ، والبحث والتنقيب ، وكان أساسا لعلم الفقه والتفسير والحديث والأصول والأخلاق والاجتماع ، والبلاغة والأدب وغيرها ، سواء أكانت عقلية أم نقلية ، وكانت معانيه دائما كالماء الصافى الزلال فى بللور الإناء ، ومهما تشكل الماء بلون الإناء بحسب الزمان والمكان ، فهو هو نفس الماء ، الذى لا يتغير لونه ، ولا ينضب معينه ، ولا يتسنى طعمه ، ويظل هو نفس القرآن الذى لا تبلى على الزمان جودته ، ولا تنقضى

عجائبه ، ولا يخلقه طول الرد كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام ، ذلك أنه من العمق والاتساع ، ومن العموم والشمول ، بما يقبل تفهم البشر له أيا كان مبالغهم من العلم ، وبما يبنى بحاجاتهم في كل عصر ، يتجاوب في يسر مع فهم أهل البداءة ، لأنه لا يلتوى على الأفهام ، ويهر في عمقه أهل المدنية الذين صعدوا في سلم الرقي ، وبرعوا في فنون العلم والمعرفة ، لأنه يزخر كما يزخر البحر ، وفي قاعه الدرر والآلاء لمن استطاع الغوص إليها في الأعماق ، أليس هو من عند الله ؟ : لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

ويضيق المقام عن الإفاضة في هذه المجالات ، فلا مندوحة من الاجتزاء والاكتفاء بإيراد بعض الأصول والحقائق في بعض المجالات على سبيل المثال لا الحصر .

قال تعالى : في سورة الإسراء : وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ، إما يلغن عندك الكبير أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا . ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا ، وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا ، وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ، ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ، إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيراً بصيرا ، ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئاً كبيراً ، ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالاتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً ، وأوفوا بالكيل إذا كنتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً ، ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً ، كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها . ٢٣٠ - ٣٨

وقال تعالى في سورة الفتح : محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيأثم في وجوههم من أثر السجود

ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزراع أخرج شطأة فأزروه فاستغلظ فاستوى على سوقه ، يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما .

هل تجدون أبلغ وأروع من هذا فى رسم الصورة المثالية للشخصية الإنسانية ؟ وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول : بعثت لأتمم مكارم الأخلاق (١) .

وثانيا : الأخوة البشرية وعدم التمييز العنصرى والعلاقات الدولية فى السلم والحرب . قال تعالى : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنا أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير ، الحجرات . وقال تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب » ٢ المائدة . وقال تعالى : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تنفى . إلى أمر الله ، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين . إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلمكم ترحمون ، الحجرات . وقال تعالى : « يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين » ٢٠٨ البقرة . وقال تعالى : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم ، ٦١ الأنفال . وقال تعالى : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ١٩٠ البقرة . وقال تعالى : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلاوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور ، الحج ٤٠ - ٤١ . وقال تعالى : « فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ، ٩٠ النساء .

وقال تعالى : « فإن لم يعتزلوكم ولم يقاتلوكم فإياكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث

تقفتموه وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا ، ٩١ (النساء) وقال تعالى : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير ، الأنفال وقال تعالى : « وإن نكشوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر منهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون . ألا تقاتلون قوما نكشوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم قاله أحق أن نخشوه إن كنتم مؤمنين ، التوبة .

وهذه الآيات تؤكد : الأخوة البشرية ، وعدم التمييز العنصري ، والتعاون والتعايش السليبين ، ومحاولة الإصلاح بين المتقاتلين ، ومساندة الفئة المظلومة على الفئة الباغية ، والدعوة إلى السلام في غير استسلام ، والحرب الدفاعية لا الهجومية ، والجهاد في سبيل الله .

الديمقراطية الاشتراكية التعاونية في الإسلام

قال تعالى : « وأمرهم شورى بينهم ، ٣٨ الشورى وقال تعالى : « وشاورهم في الأمر ١٥٩ آل عمران وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر . ذلك خير وأحسن تأويلا ، ٥٩ النساء وقال تعالى : « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، ولا يجرمكم شأن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ، ٨ المائدة . وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلبوا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون . فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم ، ٢٧ - ٢٨ - النور . وقال تعالى : « هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه ، الملك وقال تعالى : « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ، ٢٥٦ البقرة وقال تعالى : « أفأنت تسكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ، ٩٩ يونس وقال تعالى : ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ١٠٤ آل عمران . وقال تعالى : « وفي أموالهم حق للسائل والمحروم ، الذاريات . وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ، ٢٦٧ البقرة . وقال تعالى : « إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر ، الغاشية . وقال تعالى : « وما أنت عليهم بجبار ، ق .

هذه الآيات تضع أصول الديمقراطية الاشتراكية التعاونية : التي تكفل أن يكون الحكم

من الشعب وإلى الشعب وإصلاح الشعب ، وثبتت أركان التعاون والتضامن والعدالة الاجتماعية في المجتمع الإسلامي ، وتكفل الحقوق والحريات العامة ، وهي : المساواة أمام القانون بغير تمييز .

قال الرسول صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع : يا أيها الناس إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أبيض ، ولا لأبيض على أحمر ، فضل إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد (١) .

وقال : من آذى ذمياً فأنا خصمه ، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة (٢) .

وقال عمر لعمر بن وهب بن قيس اللخمي من ابن الأكرمين : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟ !

كما تكفل المساواة والعدل أمام القضاء ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم : إنما أهلك من قبلكم إنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها (٣) .

وتفرض الزكاة في مال الغني لصالح الفقير فالكل في حق الحياة سواء ، وتكفل حرية العقيدة ، وحرية الرأي ، وحرية المسكن ، وحقوق الأسرة ، وحق التملك وتكفل حرية العمل ، وسائر الحريات ، ولكنها حريات وحقوق نجد حدها الطبيعي في صيانة حقوق الآخرين وفي أنه لا ضرر ولا ضرار في الإسلام .

قال الرسول صلى الله عليه وسلم : كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وعرضه وماله .

وقال : إن قوماً ركبوا سفينة فاقسموا ، فصار لكل رجل منهم موضع فنقر رجل منهم موضعه بفأس فقتلوا له ماتصنع ؟ قال : هو مكاني أصنع فيه ماشئت . فإن أخذوا على يده نجا ونجوا وإن تركوه هلك وهلكوا .

(١) الحديث مشهور في كتب السيرة والتفسير وغيرها .

(٢) رواه أبو داود أنظر كشف الخفاء

(٣) رواه البخاري ومسلم عن عائشة ، من رياض الصالحين

ورسم نبي الإسلام ، عليه الصلاة والسلام ، الحد الفاصل لطاعة ولى الأمر ، فقال :
السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ، ما لم يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية
فلا سمع ولا طاعة (١) .

الحقائق الكونية والعلمية في القرآن :

سبق أن قسمنا أن القرآن حفل بالآيات التي تنبه الأذهان على ظواهر الكون تدليلاً
على بارئته ومصوره ، وإظهاراً لعظمته وقدرته ، وتبلياً لرحمته بخلائقه ، وتفصيلاً لآلائه
ونعمائه ، وحثاً على اكتشاف الأسرار والقوى الكونية وتطبيقها وتسخيرها واستغلال
كنوز الأرض وثرواتها فيما يعود بالخير على البشر ، وقد احتوت تلك الآيات على حقائق
كونية وعلمية في شتى مجالات العلوم : من فلك وطبيعة وما وراء الطبيعة ، وطبقات الأرض
والأحياء والنبات والحيوان ، والأجنة والوراثة والصحة والزراعة والتجارة والصناعة
والمال والاقتصاد الخ .

نذكر منها على سبيل المثال في بعض تلك المجالات مايلي :

(١) د أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناها وجعلنا
من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون . وجعلنا في الأرض رواسي أن تُميدَ بهم وجعلنا فيها
جبالاً سبلاً لعلهم يهتدون . وجعلنا السماء ستماً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون . وهو الذي
خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون ، ٣٥ الأنبياء .

د أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها ، رفع سمكها فسواها ، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها ،
والأرض بعد ذلك دحاها ، أخرج منها ماءها ومرعاها ، والجبال أرساها ، متاعاً ولأنعامكم ،
(النازعات) .

د تبارك الذي جعل في السماء بروحاً وجعل فيها سراجاً وقراً منيراً ، وهو الذي جعل
الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً ، ٦١ (الفرقان) .

« ألم نجعل الأرض كفاتاً ، أحياء وأمواتاً ، وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم
ماء فراثاً » (المرسلات) .

«والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون ، وجعلنا لكم فيها معاش ومن استمر له برازقين . وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم» (٢١ - الحجر) .

«قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ، ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين ، فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم ، (٩ - ١٢ فصلت) .

«إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض آيات لقوم يعقلون ، ١٦٤ البقرة .

«ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، (٦٥ الحج) .

« وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون ، والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ، (٣٧ - ٤٠ يس) .

« والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ، ومنهم من يمشي على رجلين ، ومنهم من يمشي على أربع ، يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير ، (٤٥ - النور) .

« وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ، صنع الله الذي أتقن كل شيء ، (٨٨ - النمل) . «ألم تر أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، ١٢ لقمان .

« خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار ، ٥ - الزمر .

وهذه الآيات البيّنات تتصل بمولد الكون وتمدده واتساعه المستمر ، وبكيفية خلق السموات والأرض ، وأنها كانت جميعاً في يوم من أيامه سبحانه وتعالى أصلاً واحداً

كالدخان (السديم) في حالة الرق والاتصال ، ثم أوحى إليها سبحانه وتعالى ، في يوم من أيامه بالفتق والانفصال ، فكان الفتق ثم الرق يومين من أيامه ، مر بهما كونه ، سماؤه وأرضه ، على ما شاء وقدر - وكيف دحا الله الأرض فصارت كالدهية أى البيضة ، وفي ذلك الإشارة إلى كرويتها المنبجعة ، وكيف مرت الأرض بعد ذلك بأربعة أيام لله ، أى أربعة أطوار ، قدر فيها أقواتها وأرزاقها ، مع الإشارة إلى النسبية في حساب أيام الله ، فهو كألف سنة مما يعده البشر أو كخمسين ألف سنة كما في سورة المعارج ، أو هو أكثر من ذلك على ما يقدره الله ، وكيف أن الحياة بدأت من الماء ثم تطورت وتنوعت وتفرعت في شتى الصور ومختلف الأشكال والألوان سواء في النبات أو الحيوان أو الإنسان ، وكان التزاوج وكان التطور من سنن الله في خلقه ، وأشارت الآيات إلى نواميس الجاذبية والحركة التي يمسك الله بها السموات والأرض ، ويسير بها الأجرام السماوية في أفلاكها ، ووصف الجاذبية بالعدم غير المرمية ، مع الإشارة الخاصة إليها ، لا من الناحية الوصفية ولكن من الناحية الحسائية ، فلا أقسم بمواقع النجوم ، ففي ذلك تنبيه إلى أثر الأبعاد في قوى التجاذب والدفع بين الأجرام السماوية ، وفي حركة دورانها في أفلاكها ، كما أشار إلى حركة دوران الأرض حول الشمس مما نتج عنه تكوير الليل على النهار وتكوير النهار على الليل ، وأن لو شاء الله لجعل الليل سرمداً والنهار سرمداً ، كما هو الحال مثلاً بالنسبة لكوكب عطارد ، فلقرب موقعه من الشمس صار في قبضتها ، لا ينفك عنها حولاً بحيث يصبح نصفه المواجه لها في نهار سرمدى ونصفه الآخر في ليل سرمدى ، كما أشارت الآيات إلى الموازين والضوابط التي تنتظم كل ما خلقه الله ، فخلقه بميزان وبقدر معلوم . وأشارت إلى أهمية الجبال في إرساء الأرض وثباتها فكانت لها بمنزلة الأوتاد وذلك حتى لا تميد بما عليها ، وكيف أودع الله الأرض أقواتها خلال تلك الأيام الأربعة ، أى الأطوار الأربعة ، كي تستقبل حياة الإنسان ، وهو الذي سخر الله له ما فيها . ولعل هذه الأيام الأربعة هي دهور الحياة في علم طبقات الأرض .

كل أولئك حقائق لا شية فيها لأنها من عند الله . وإنه ليطمئن قلبك إلى إعجاز القرآن إذا فهمت هذه الحقائق ، في ضوء العلم الحديث الذي لا يتعارض مع أية حقيقة منها . « أخرج منها ماءها ومرعاها ، (النازعات) » وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً . وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله

نسباً وصحراً وكان ربك قديراً» (٥٣ - ٥٤ الفرقان) . «وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون» (٩٩ الأنعام) . «ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير» (٦٣ الحج) . «وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنناه فى الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون . فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها غواكه كثيرة ومنها تأكلون» (١٨ - ١٩ المؤمنون) . «ألم تر أن الله يزعج سبحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار . يقلب الله الليل والنهار إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار» (٤٣ - ٤٤ النور) . «وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكولون . وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون . ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون» (٢٣ - ٣٥ يس) . «ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذى أحيها لمحى الموتى إنه على كل شىء قدير» (٣٩ فصلت) . «وضرب لنا مثلاً ونهى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم . الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أتم منه توقدون» (٧٨ - ٨٠ يس) . «أفرأيتم الماء الذى تشربون . أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون . لو نشاء جعَلْنَاهُ أَجْجاً فلولاً تشكرون» (الواقعة) . «أفرأيتم النار التى تورون . أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون . نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للبقين . فسيح باسم ربك العظيم» (الواقعة) .

وهذه الآيات البينات تتعلق بكيفية خلق الخلاف المائى للأرض وكيف أخرجه الله منها بتكاثف أبخرتها ، بعد برودة قشرتها . وبكيفية تسلسل دوران المياه بعد ذلك على سطحها وفى باطنها ، وفى حياة النبات والحيوان والإنسان ، وكيف يتكون الماء بالرياح التى تثير السحاب من مياه البحر الملح ثم يؤلف الله بينه ، ثم يجعله ركاماً يخرج الودق من خلاله ، ثم ينزله من السماء من كسف السحاب ، التى هى كالجبال فى أحجامها وأشكالها - ينزله بقوة الجاذبية ثم يسلسكه أنهاراً على سطحها وينابيع فى باطنها ، ويجعل بين البحرين :

حاجزا وحجرا محجورا لا يغيان ، وكيف يتحدد نطاق الأرض الميته أى الصحارى ، وهى التى لا يصيبها الماء ونطاق الأرض التى تحيا بالماء ، كل ذلك حسبما يشاء الله ، وكيف تتأثر جزئيات الأرض بالماء فتهتز وتربو وتنبت النبات الذى يحيا عليه الحيوان والإنسان ، وكيف يخرج الله النبات مختلف الألوان والأشكال فمنه الحب المتراكب ومنه الأعناب والنخيل والزرع صنوان وغير صنوان ، وهو يسقى بماء واحد . ثم كيف يهيج النبات ، ثم يصبح مصفرا ثم حطاما — وتتضمن الآيات الإشارة الخفية إلى التأثير الكيميائى للضوء فى حياة النبات المعروف بالتمثيل الخضرى (الكلوروفيل) وكيف تقوم الحياة على نواتج التعفن والتحلل من بقايا الحياة السابقة من نبات أو حيوان ؛ وكيف يرد الله بذلك على من ينكر البعث ، إنه يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ، ذلك أن الأرض بعد نزول الماء عليها تصبح مخضرة ويجعل الله من الشجر الأخضر نارا ، ومفتاح المعنى وصف الشجر بالأخضر وترتيب النار على خضرة الشجر ، فالخضرة (اليخضور أو الكلوروفيل) تساعد على النمو وعلى بناء السكبان الخشبى واختران ما فى هذا السكبان من طاقة تبدو نارا عند الاستيقاد . وبعد تفهم التمثيل الخضرى وأثره ، وكيف تقوم الحياة على نواتج التحلل والتعفن ، من بقايا النبات والحيون السابق الذى مات وتحلل تدحض حجة منكبرى البعث الذين يقولون كيف يحيى الله العظام وهى رميم ؟ فهذا بعث للنبات .

واقدر خلقنا الإنسان من سلاله من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فعلقنا العلقه مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين . ١٤ - (المؤمنون) .

يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأتى تصرفون ٦ - الزمر .

وهذه الآيات : تتصل بعلم الأجنة وتقرر حقائق كشف عنها العلم الحديث وفسرها المرحوم الدكتور عبد العزيز اسماعيل وغيره من العلماء المجتهدين :

د — الطريقة الصحيحة لتفسير القرآن فى ضوء العلم الحديث

وأرى لزما قبل أن أختتم هذا الحديث أن أنبه هنا على الطريقة الصحيحة فى تفسير أى الذكر الحكيم فى ضوء العلم الحديث .

وقد قال المرحوم الدكتور عبد العزيز اسماعيل في هذا الشأن : إن العلوم مهما تقدمت عرضة للزلل . فينبغي ألا يطبق على القرآن إلا ما يكون قد ثبت ثبوتاً قطعياً ولم يعد يقبل الشك . فكثير من النظريات العلمية عرضة للتغيير والتبديل ، وهذه لا يجوز تطبيقها على الآيات ولو اتفقت مع ظاهرها إنما يطبق منها ما يكون قد اجتاز دور النظريات وصار حقيقة علمية ثابتة لا شك فيها ويشير إلى قول المرحوم الشيخ المراغى : يجب ألا نجر الآية إلى العلوم كي نفسرها ، ولا العلوم إلى الآية ، ولكن إن اتفق ظاهر الآية مع حقيقة علمية ثابتة فسرناها . .

ثم يستطرد إلى القول بأن العالم كثير الاغترار بعلمه فإذا لم يتفق ظاهر الآية وما يعرفه من النظريات ركن إلى علمه وشك في الآية أو أوثها ، مع أن كل علوم العصر الحاضر لا تعد شيئاً مذكوراً بالنسبة لحقائق الأشياء ، فقد انتفع الإنسان بالكهرباء وبالحرارة والضوء ولكنه لا يعرف شيئاً عن حقائقها ، فهو يعرف كثيراً عن سننها وسيزداد معرفة بها بتقدم العلوم ولكنه لا يعرف من كنهها أكثر مما يعرفه عن الروح والحياة ونظام الكون . فكل آية لا تتفق ونظريات العلوم يجب أن تترك حتى تتقدم هذه العلوم . ولم أعثر للآن على آية واحدة لا تتفق وآية حقيقة علمية .

والواقع من الأمر أن الإنسان وإن كان طلمعة ، يبحث دائماً عن الحقيقة ، إلا أن مداركه محدودة وعرضة للزلل ولذا كانت نظراته إلى أساس طبيعة الأشياء تختلف من وقت لآخر . فمثلاً كان يفسر الكون وظواهره في القرن الماضى تفسيراً مادياً وآلياً ، ولكن العلم اتجه اتجاهاً مغايراً منذ أوائل القرن العشرين . فاتجه نحو ردمادة الكون كلها إلى موجات وأن هذه الموجات نوعان :

موجات معبأة أو حبيسة نسميها المادة ؛ وموجات طليقة نسميها إشعاعاً ، وليست عملية إفناء المادة إلا مجرد الإفراج عن الطاقة الموجبة الحبيسة وإطلاقها حررة تسبح في الفضاء ؛ ولكن العلم الطبيعى حتى الآن لا يتعدى دراسة السلوك الظاهرى للأشياء ، دون معرفة كنهها . وقد قال أفلاطون في جمهوريته « إن الحقيقة ليست إلا ظلالاً لصور ، وليست أقول ذلك على سبيل الحقيقة » .

والحق — أن الله سبحانه وتعالى هو الحقيقة المطلقة ، وكل ما في الوجود إنما هو من آثار صفاته وأن ما عداه باطل زائل ، وأنه وهو مبدع الكون ، سن النواميس وأطلتها فيه ، لا تشذ ، وإن تجد لسنة الله تبديلا . فكان منها الذي كان في كل زمان ومكان ، وهذا هو الأصل الذي سارت عليه الخليقة منذ الأزل ، وهذا في ذاته آية الوحداية والاحدية المنفرد بها الخالق جل شأنه .

وإن هذا الفهم — وهو فهم الدين — هو الذي يعطى الكون معناه الحقيقي ، وبهذا المعنى لا يعدو الكون أن يكون مظهرا من مظاهر الألوهية وإن شئت قلت إن الله سبحانه وتعالى هو الأصل ، وهو الغاية ، فكل شيء في الكون إنما هو إشعاع ، منه خرج وإليه يعود . وإن الدار الآخرة هي التي تفسر الدار الأولى ، وإن الإنسان مرتبط في أولاه بأخراه ، وفي أخراه بأولاه .

ومن هنا نعود على بدء ؛ لنفهم حكمة العزيز الحكيم في جعل الإنسان مستصلاحا للدارين ، ليحصد في أخراه ما زرعه في أولاه .

وتدبر بعد ذلك قوله تعالى : « وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون . يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون . أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون » ، ٦ — ٨ الروم .

الصبر على الجبر

رئيس مجلس الدولة

من شعر إقبال ترجمة الدكتور عبد الوهاب عزام :

يا أيها المسلم إن	الأرض والسماء لك
ضياؤك القدسي	أعلى من شرارات الفلك
ما جئت في الدنيا لتقضى	وهي بالخلد تدوم
هل تصبح الشمس أقل	قيمة من النجوم ؟

أصول الإسلام

والتقريب بين الأئمة وشرائعهم المختلفة

للأستاذ عباس طه

شرع الله الإسلام خاتماً للأديان ، وعهداً خالداً للإنسان ، فلم يدع أصلاً من الأصول المقربة بين العقائد الموحدة بين النزعات ، الجامعة بين مختلف المقاصد والغايات إلا أتى به الإسلام على قدر ما تسمح به الفطرة السليمة ، والطريقة القويمية ، والخطئة المثلى ، فدعا إلى تحكيم العقل في كل خلاف ، والرجوع إلى النظر في كل موضوع تعترك فيه الموروثات القديمة ، والميول الجديدة .

كل هذا ليتوصل الإسلام به إلى تخلص العقل من العوائد القائمة فيه ، وإذا تم للأمة أن تحترم حكم العقل الكامل المستضيء بنور العلم ، سهل إقامتها على الطريق السوى ، وتوجيهها إلى باحات الكمال الصورى والمعنوى من أقرب الطرق ، وأبعدها عن القواطع ، فأصبحت أرواحها خالصة من كل شائبة عبودية ، فإن لاح لها أصل جديد فيه خير أسرع إليه بأوسع الخطى ولم تتأخر عن القيام عليه . ولم تجحد في نفسها حرجاً من الاندفاع في تياره ، بل رأت أن من الدين أن تتجه إلى وجهته ، ابتغاء الاهتداء إليه وحياً إلهياً ، وإلهاماً ربانياً .

هذا على خلاف الأئمة الجامعة على القديم البالى ، المقدسة لكل ما نقل عن أسلافها بدون نظر فيه ، فهى كلها لاح لها أصل فيه

وهو لأجل أن يرفع من طريق العقل الخالص كل ما يعترضه من العوائد الوهمية أنحى على مبدأ التقليد فمقتضه ، وعلى أصل تقديس القديم الرث فهدمه ، ونهى على الواقفين مع هاتين العقبتين جمودهم ، فقال تعالى : زارياً بالمتقليدين « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ، وقد بالغ في الزرية بالتقليد إلى حد أن سماه عبادة ، وهذا نهاية ما يمكن أن توصم به نزعة من النزعات الخاطئة فقال تعالى : « اتخذوا

إلى بعض كنتيجة طبيعية لاختيار الأحق والأحسن ، والعقل المطبوع في جميع الأفراد واحد ، فيكون ذلك مقدمة لاقتراب بعض الأمم من بعض ، واجتماعهم جميعا على بساط واحد ، من البحث الحر ، وتكون النهاية توحدهم في المعقولات والعقائد ، لأن الحقائق لا تتعدد كما هو الصحيح .

ومن الوسائل التي تذرع بها الإسلام للتقريب بين الأمم المختلفة ما نص عليه كتابه في مسألة الإيمان برسالة محمد خاصة ورسالات المرسلين عامة فقد صرح سبحانه وتعالى أنه لم يرسل خاتم رسله بدين جديد ، ولكنه أرسله بالدين الذي أنزل على جميع من تقدمه من المرسلين فقال تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ، الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ، ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضى بينهم . وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب فلذلك فادع (أى لتوحيد الدين فادع) ، واستتم كما أمرت ، ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم ، لنا

حياتها لم تنزه بميزان عقلها ، ولم تنظره بعين مصلحتها . ولكن تنظر إليه من خلال تقاليدها ، فإن رأته ينطبق على ما ورثته من أقوال أسلافها اتبعته مرتابة ، ولم تحسن الاندفاع فيه ، شأن المستعبد المثقل بالقيود والأغلال ، وإن لم تجده ينطبق على ما عندها من هذه الأقوال ثارت عليه متأثرة بعوامل الجود ، وربما كان الأخذ مما يبطل شيئا من أصولها الأولية ، ولكنها لشدة كلفها بالقديم والقدماء تراح إلى معارضة كل جديد ، لا لعله غير كونه جديدا ، لم يعرفه آباؤها من قبل .

هذا من أكبر عوامل انحلال الأديان ، وصيرورة أهلها في مؤخرة الأمم في كل ضرب من مظاهر الحياة ، حتى الأخلاق التي يفخرون بأنهم أخص القاسمين بحقوقها ، والمهيمنين عليها فيكثر فيهم الختل والخطر ، والكذب والنفاق ، وسوء المسكة واللؤم ، وينتهى بهم الأمر لأن بعدهم مواطنوهم خطراً على الأخلاق والاجتماع فانظر كيف يدهورهم جودهم على التقليد إلى عكس ما كانوا يرمون إليه بتشدهم فيه ؟ من الأمور التي رمى الإسلام بها إلى تقريب الأمم المختلفة ، تحطيم صنم هذا التقليد الأعشى ، لأن العقول متى انتفضت من آثاره اندفعت إلى قبول كل ما تراه موافقا للعقل ، ملائما للحياة ، فيسيل بعضها

وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ، فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكففيكمهم الله وهو السميع العليم .

في هذه الآية نص صريح على وجوب الإيمان بجميع رسل الله وجميع كتبه التي أنزلها عليهم بلغات مختلفة ، وهذا أبلغ ما يعرف من الأصول المقربة بين البشر ، فإذا أجلت نظرك في جميع الأمم لا تجد ديناً لواحدة منها يعني دين واحدة أخرى ، فما ظنك بأديان الأمم كافة ، على حين أن المسلم لا يستطيع أن يكفر برسول أرسل لواحدة منها قال تعالى : « إن الذين يكفرون بالله ورسله ، يريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، يريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حتماً ، وأعدنا للكافرين عذاباً مهيناً » فالدين في نظر الإسلام كل لا يتجزأ أساسه الإيمان بالله وبجميع رسله ، من بلغتنا أسماؤهم ومن لم تبلغنا (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) فلا أتخيل أن في العالم أصلاً علياً يجعل الوحدة الإنسانية ماثلة في عقلية أمة ونفسيته مثل هذا الأصل ، فهو وضع إلهي محض ، يكشف

أعمالنا وأعمالكم ، لاجحة بيننا وبينكم ، الله يجمع بيننا وإليه المصير . نصت هذه الآية على أن وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم كانت إعادة ما سبق به الوحي على السنة جميع المسلمين من الدين الحق والصراط السوي ، خرفه أتباعهم وخرجوه عن حتماته .

ولا مشاحة في أن هذا التصريح يقتل من تشدد أصحاب الملل في مناقضة الإسلام ، ويلفتهم إلى ما يقول رسوله ، ويحملهم على النظر فيما بين أيديهم من الكتب ، وكل هذا مما يقرب بين الأمم ويجمع بين متفرقها ، لذلك جمع الإسلام في حظيرته في أقل من قرن بين أمم كانت على أشد ما تكون من الاختلاف والتباين ، فبعد أن كان من المحال أن ترى الفارسي إلا زرادشتياً ، والهندي إلا بوذا ، والصيني إلا كونفوشيوسياً أو لاوتسيا والسوداني إلا فتشياً ، أصبحت ترى حظيرة الإسلام جامعة بين جميع هذه الأمم ولو كان المسلمون الأولون دعاة باللغات الأوربية لكان له بين ربوعها اليوم شأن أي شأن .

وما قصد به الإسلام إلى التقريب بين الأمم إيجابه على الآخذين به الإيمان بجميع رسل الله وعدم التفرقة بينهم والإيمان بما جاءوا به من الكتب إجمالاً فقال تعالى : « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم

أما الفرق بين الإسلام وهذه المذاهب ، فهو أن الإسلام عرض الكتب السماوية الموجودة بين أيدي أصحابها ودل على وجوه التحريف فيها ، أو على سوء تأويلهم لها ، ودعا إلى الكتاب الذي جمعها جميعا ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو القرآن الكريم ؛ وأما تلك المذاهب فترى إلى توحيد الأديان بتأويل النصوص التي تختلف عليها ، تدرعا إلى التوفيق بينها ، وهذا التأويل يشعر بتكلف شديد ، وعنت ظاهر بالألفاظ لا يبتنى عليه الأيمان ، فتكون النتيجة تشكيك الناس في جميع الأديان .

ومن هذه المذاهب محاولة توحيد الناس في عبادة الله بحجة أن جميع الأديان تدعو للعبادة ، وهي في نظرهم توفى ثمراتها على أية ضروب كانت ، أما الكتب الموجودة بين أيدي الأمم فتترك لأهلها مع كل ما بنوه عليها من أهواء وأوهام .

فالنقاد البصير يرى أن مذهب الإسلام في توحيد الأمم هو خير المذاهب وهو دعوتها إلى كتاب جديد شامل لجميع ما تقدمه مما لم تمسه أيدي التحريف ، ذلك لأن التقدم العالمي كشف من أحوال تلك الكتب من ناحية ضعف رواياتها ، وضياح أصرها ، ومناقضة ما فيها لأبسط قواعد العلم ، ما لا يستطيع معه الإيمان بها فتكون النتيجة الطبيعية من تقرير

عن إلهيته وسمو مقصده ، وبعد غايته ، فهو من هذه الناحية ليس في حاجة إلى دليل يؤيده ، فهل بعد هذا غاية في قطع ذرائع الخلاف بين الأمم ، وحسم مادة التلاحي بينهم ؟ أليس هذا بجملة وتفصيله يجعل الإسلام ديننا عاديا ، وبهيمته لأن يكون نقطة اتصال بين الجماعات البشرية ، فتسكن الأرواح منه إلى عبيدة عادلة لا تذعب بأصحابها مذاهب الجور في هضم حقوق الأمم ، ولا تنزع بهم إلى تجريدها من خصوصياتها ؟ إنك بينما ترى اتباع الأديان الأخرى يتنازعون في أديانهم فيكفر بعضهم بأنبياء بعض ، ويهزأ الأولون بكتب الآخرين ، والآخرون بكتب الأولين ، تجد المسلمين في مستقر من العدل مكيين ، يؤمنون بجميع رسل الله وكتبه لا يبغضون أمة حقا ، ولا يهكرون لطائفة واجبا لم يؤمروا إلا بأمر واحد وهو أن يعدلوا فيؤمنوا بجميع كتب الله ورسله ، فمن لم يقبل ذلك من الناس كانوا من أهل الشقاق المؤثرين للخصام على الوفاق ، وليس هذا من الإسلام في شيء .

فلا مشاحة بعد هذا البيان في أن الإسلام هو الدين العام ، المؤاخى بين جميع الأنام ، وكل ما حدث بعده بأكثر من ألف سنة من المذاهب التي غرضها التوفيق بين الأديان تحت أسماء مختلفة فلن يبلغ مبلغه في هذا الباب .

ما في الكتب الموجودة من الحقائق المقررة في كتاب واحد ، وزاد عليها ما فتح الله به عليه ، ثم دعا إلى تداول كتابه المنقح ، وترك ما لديهم من الكتب الأولية المطبوعة بطوابع أزمانها المختلفة .

فهل كان يستطيع هذا العالم أن يقر كل طائفة على كتابها العلى على ما فيه مما يحافى روح العصر الحاضر ، وما وضعه الوضعون بين حقائقه من الأكاذيب والوساوس ؟ .

« أفغير دين الله يبعثون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون » . فإما طوعاً فباستخدام العقل وأعمال الفسك ، وإما كرهاً فتحت ضغط الحوادث والمثالات .

عباس ط
الحماي

تركها وشأنها ، خروج أهلها عن حظيرة الأديان جملة كافية ، ثم إن المذهب الإسلامى في هذا الشأن أرسخ قواعد ، وأشبه بسنة الوجود ، وأقوى على حملات الشبه والشكوك لأنه بعد أن قرر أن الأديان كلها وحى من الله وأن الذين أتوا بها كلهم رسل الله ، وأن كتبها كلام الله عاد فتقرر أن طول الزمان أوجب أن ينحرف الناس عن تلك الكتب ، وأن يتسامحوا فيها بالتحريف والتبديل ، والإسلام في هذه القضية موافق للنقد العلى كما رأيت ، بعد هذا أخذ الإسلام يدعو الناس إلى كتاب يجمع ما في تلك الكتب ويزيد عليها ما اقتضاه وما يقتضيه تطور الأمم ووعده بحفظه من التحريف والتبديل على مدى الأجيال .

كان شأن الإسلام في هذا كشأن عالم نبغ في أمة كانت من علومها على مذاهب شتى كل طائفة منها تنابز الأخرى باسم مذهبها العلى وعالمها الرسمى ، فجاء هذا العالم النابغ ، فجمع

كرم العرب

قال عروة بن الورد :

بوجهي شحوب الحق والحق جاهد
وأنت امرؤ عافى إنائك واحد
وأحسو قراح الماء والماء بارد

اتهزأ منى أن سمعت وأن ترى
فإنى امرؤ عافى إنائى شركة
أقسم جسمى فى جسوم كثيرة

مَا يَقَالُ عَنِ الْإِسْلَامِ

الإسلام بين أدبيان الأمم

للأستاذ عباس محمود العقاد

عرض تحليلي لكتاب | ديانات الإنسان |

لمؤلفه الدكتور | هستون سميث |

أستاذ الفلسفة بالجامعات الأمريكية .

في تأليف كتابه هذا عن ديانات العالم الكبرى ،
وهي البرهمية والبوذية ومذهب كنفشيوس
ومذهب الطاوية في الصين ، والإسلام واليهودية
والمسيحية .

وقد حاول جهده في الحق أن ينظر
إلى الإسلام ، وهو الذي يعنينا في هذا المقال ،
نظرة كاتب لا ينحصر في عقيدته ولا يتعصب
عليه لخالفته إياه بتفكيره أو بإيمانه ، فسار
على منهج المؤلفين العليين الذين يخجلون أمام
قرائهم من تشويه الحقائق وتبديل الوقائع
بمجاراة لذوى الجهل في تعصبهم الأعمى
أو لذوى الطمع في سياستهم التي لا تعمى
عن مصالحها ولكنها تفتح عيونها جميعاً
لشيء واحد لا ترى سواه ، وهو اقتناص
الفريسة واغتنام الأسلاب .

يقول مؤلف هذا الكتاب في مقدمته إنه
يود لو استطاع الناس أحياناً أن ينظروا
إلى جلائل الأمور ودقائقها بأعين غيرهم .
فإنهم يصححون بذلك آراءهم وآراء غيرهم
ويرون تلك الأمور من جوانبها المتعددة
فلا يقفون منها عند جانب واحد .

ويقول في تلك المقدمة إن بعض القراء
المحدثين قد تعودوا أن يصطنعوا قلة الاكتراث
للديانة في أفكارهم وفي أعمال حياتهم ،
فهؤلاء خلية ون أن يعطوا الديانة حقها
من الاكتراث إذا عرفوا مبلغها من الجد
ومبلغ العناية بها والغيرة عليها عند أصحاب
الديانات الأخرى .

وعلى هذه الخطة التي تمنها لقرائه جرى

يغضب المسلمين إذا أريد به نسبة الدين إلى محمد عليه السلام . فإن تسمية « المسيحية » بهذا الاسم معقولة عند أتباعها الذين يدينون بإلهية المسيح وصدور العقائد من قبله ، ولكن « المحمدية » يمثل هذا المعنى اسم لا يقبله المسلم وهو يؤمن بأن « تمدا » بشر يوحى إليه ، وأنه لا يملك مع الله شيئاً في دينه ولا دنياه .

وليس فهم الإسلام بمعنى الاستسلام أو خضوع المقاتل لمن ينتصر عليه صحيحاً في مدلوله ، وإنما أصل الكلمة من السلام والإنابة إليه ، ومدلول الإسلام على هذا هو « سلام الروح الشامل بتسليم حياة الإنسان جميعاً إلى الله » .

قال : إن محمداً قد ظهر في زمان تحسب فيه المعجزات بضاعة لازمة لا يعجز عنها أصحاب الولاية فضلاً عن أصحاب النبوة والرسالة . ولكنه أنى لدعوته أن يجعلها تجارة بهذه البضاعة ، ونادى غير مرة أنه يبشر وينذر ولا يتوسل إلى الهداية بآية معجزة غير آيات الكتاب المبين : « قل لا أقول لكم عندي خزانة الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنى ملك إن أتبع إلا ما يوحى ، إلى قل هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون » .

قال : وإن أثر دعوته آية من آيات التاريخ

وهذا هو الكتاب الثالث من كتب المؤلفين التي نذكرها في هذا الباب على هذه الخطة من « الحيدة العلية » في مسائل الأديان ، ويعنيها من هذه الخطة أنها تدل على استعداد في العقول بين قراء اللغات الغربية تحقيق بالتفات المسلمين إليه ، لأنهم - دون غيرهم - أقدر على البلاغ والإبلاغ في أمر الإسلام ، وعندهم من الدراية به وبمحاسنه ما ليس عند أحد من كتاب الغرب ، قصاره أن يتجنب في شرحه وتبليغه أن يفترى عليهم التهم والعيوب .

* * *

اسم الكتاب باللغة الإنجليزية « ديانات الإنسان » The Religions of man ومؤلفه الدكتور هستون سميث Huston Smith أستاذ للفلسفة بالجامعات الأمريكية ومحرر لأبوابها في المجلات الأدبية ، ولد في الصين وعاش في الشرق ، وعاش في بلاد الأمم التي درس أديانها وكتب عنها في هذا الكتاب .

* * *

بدأ كلامه عن الإسلام بتصحيح الآراء عن معنى اسمه كما يفهم المعنيون بالإسلاميات من الدارسين وعامة القراء ، فقال إن اسم « المحمدية » الذي بطلته الغربيون على الإسلام

يدين له بالحب والطاعة .

يقول الدكتور سميث إن الخاصة المميزة للإسلام لا تقوم على الأمثلة العليا التي يرفعها أمام أتباعه بمقدار قيامها على الوسائل العملية التي يرشد بها المسلم إلى إدراك تلك الأمثلة العليا ، « ولو كان بنو الإنسان قد بلغوا في عهد المسيح درجة من الارتقاء تمكنهم من الفطنة لمزيد من التهذيب لجعل أفكاره كما قال (أمير على) قائمة على نظم مفصلة ، ولكنه في الحالة التي وجد العالم عليها قد أبقى ذلك - على قول (أمير على) ليتولى تنظيم القوانين الأخلاقية » .

وقد أورد المؤلف هذه العبارات في أقوال الكاتب الهندي في سياق شرحه كأنه يصدر بها فكرة لا يعترض عليها ولا يناقشها ، ولكن يعبر عن رأيه حين يصف الوسائل العملية التي توسل بها الإسلام لإصلاح الأحرار الاجتماعية ورياضية الأمم على قوانين الأخلاق والمروءة ، وينوه المؤلف بالزكاة منها إلى مقدارها بالنسبة المتوية للثروة المماوكة ، فليست هذه النسبة محسوبة بمقدار الربح والموارد المتجدد ، ولكنها في جملتها تصل إلى جزء من أربعين جزءا من الثروة المملوكة على اختلاف المتاع والحطام ، وهو مقدار كاف لسداد خلة المجتمع في هذا الباب ،

لا يعرف لها مثيل فيها وعاء من أطوار الأمم قبل الدعوات الدينية وبعدها ، إذ لم يسبق فيها عرف من هذه الأطوار أن دعوة نقلت للأمم من حال إلى حال كما نقل الإسلام قبائل الجزيرة العربية إلى تلك الحضارة التي ارتقى إليها أتباع الإسلام خلال سنوات معدودات . وقد حكم النبي قومه في جزيرتهم وقام بالأمر زمنًا في المدينة . « فهو هنا ملك - لا على قلوب فئة من المحبين المخلصين وحسب ، بل على حياة مدنية مجتمعة ، هو قاضيا وقائدها ، وهو كذلك معلمها وهاديها ، وإن أعداءه أنفسهم ليعترفون باضطلاعهم بهذا العمل الجديد في براعة وكفاية ، وقد واجهته خطر، معقدة نادرة فإذا هو يواجهها بمقدرة نادرة على التدبير والإدارة . وقد أصبح قاضيا الأعلى ولكنه ما برح كما كان أيام خفاء أمره بنجوة من الزهو والبذخ ، وكان في وسعه أن يملك الدور والقصور ولكنه ارتضى له ولأهله بيتا من الطين يحلب فيه معزاته بيديه ويستقبل من شاء من صغار أتباعه ليل نهار ، وكثيرا ما كان يرى وهو يصلح ثيابه . . .

وقد حفظت عنه ماثورات أخباره أنه كان في حكمه يجمع بين العدل والرحمة ، يعاقب من جنى ويغفر لمن أساء إليه . . ويرى فيه أهل المدينة ولما لا يملك من يتولاه إلا أن

ولا يقل عن الزكاة شأن سياسة المجتمع ورياضته على الأخلاق الصالحة إن الإسلام يقرن الملكية بالعمل ويحرم الربا الذى كان يؤخذ أيام الجاهلية أضعا فمضاعفة بغير عمل يعملها صاحب الدين ، وشبهه بهذا الحكم فى سياسة المجتمع توصية الإسلام بتداول الثروة وكراهته لحصرها واحتكارها وإيجابه على المسلم أن يعمل للأمة عملا يستحق به لقمة من الطعام ، فلا يعز عليه أن يجيب إذا سئل وهو يتناول غذاءه : « هل ضنع للناس شيئا يستحق عليه أن يأكل ما بين يديه ؟ » .

ويمضى المؤلف على أسلوب كهذا الأسلوب فى شرح معلوماته عن الديانة الإسلامية ، ولكن يكاد ينتمل من الشرح - على مثل هذه الحيدة - إلى الدفاع الحسن عن قضية المرأة فى الإسلام ، فإن فى هذه القضية امتحانا عسيراً لإنصاف الكتاب من الغربيين كلما عرضوا للشبهات الشائعة عن الآداب الإسلامية فمن كان منهم سىء النية لم يعسر عليه أن يجارى نيته السيئة فى كلامه عن هذه القضية دون أن يتورط فى الادعاء المخلوق والافتراء المكشوف وقد يصطنع الإنصاف الظاهر إذا اكتفى بسرد الأحكام ولم يجاوز سردها إلى بيان أسبَابها ومسوغاتها . إذ كانت هذه المسوغات تخفى على كثير من قراء الغرب الذين يجهلون حالة العالم قبل الإسلام فى بلاد العرب وفى

غيرها من البلاد الشرقية والغربية ، وكل ما يعلونه أن هذا الدين قد أباح تعدد الزوجات وأمر بالحجر على النساء ، وأن شرائع العهد الحديث عندهم تحرم هذا وذاك ، فمن شاء أن يسيء النية ذكر الأحكام ولم يكلف نفسه أن يقابل بينها ما كان من قبل وما يكون الآن حيث لا نرى تلك الأحكام ، وهذا هو الصمت الذى يشبه الاختلاف الصريح مع النية السيئة ، وإن لم تظهر فيه دلائل الاختلاف المقصود .

لقد كان للدكتور سميت فضله فى اختيار موقف غير هذا الموقف المريب أو الموقف الصامت من قضية المرأة فى الإسلام . فإنه بدأ بتقرير الواقع عن زواج الجاهلية فقال : إن المسألة هنا لا تدور على الكثرة والقلّة فى عدد الزوجات ، لأن الزواج لم تكن له قداسة ولم يكن فى الحقيقة زواجا مرعى الحقوق ، بل كان ملكا كملك الرقيق وكان للرجل بعد الزوجة الأولى والثانية أن يتصل بمن شاء من النساء ، وإنما تدور المسألة هنا على مكان المرأة فى الاعتبار والكرامة وعلى حقوقها فى بيتها وبين أهلها وقومها ، وهذه هى المسألة التى يظهر فيها فضل للإسلام لا يستهان به ولا يقبل الإنكار .

قال الدكتور سميت : « إن الإسلام - لمجرد كونه أباح تعدد الزوجات - قد اتهم بتحقيق

لا من الدين . فلم يحز - كما يقول المسلم - أن يكون الإسلام مسئولاً عن هذه الحال .

« ويأتى الإسلام فى نظام الزواج بأكبر مساهمة له فى قضية المرأة . فإنه أحاط عقد الزواج بقداسته إذ جعله دون غيره رباطاً للعلاقة المشروعة بين الجنسين فى ديانة تعاقب الزانى بالرجم ، ولا يزال الفتى حتى اليوم يراقص فتاته مواجهة ولا يمس جسدها لأنه ممنوع بغير زواج ، وليس لاتهم الإسلام بين بعض الغربيين بأنه دين سهولة فى علاقات الجنس موقع صواب فى السمع ولا مراء . والمساهمة الأخرى فى الإسلام فى قضية المرأة أنه يعطيها حق الموافقة على زواجها ، فلا يستطيع حتى السلطان ، أن يلجأ بها كرها على غير قبول منها . ثم يأتى الإسلام بميثاق مكين للرابطة الزوجية وإن لم يمنع الطلاق منعاً باتاً إذ هو حلال بغيض فى أدب النبى صلوات الله عليه وإنما يلجأ إليه كما يلجأ إلى آخر الحلول فما من شيء يبغضه الله كما يبغض الزنا . وقد أوجب من التدبير الشرعى ما يصون عقد الزوجية ، إذ أوجب على الأزواج قبل الزواج أن يدخروا حصة كافية باسم المرأة تؤول إليها عند الطلاق ، ويحصل الطلاق بعد الاحتكام إلى الأهل والمصالحة على الوفاق وفترات من المهلة والإنتظار ، مما يراد به الإقلال من دواعى الفصل بين

المرأة فإذا نحن نظرنا إلى المسألة بحكمة الزمن الواجبة مقابلين بين منزلة المرأة قبل النبى وبعده فاتهمة باطلة ، إذ كان عقد الزواج أيام الجاهلية من الوهى والوهن بحيث يكاد لا يعترف به ، وكانت الاتفاقات الموثوقة تبرم وتتقض كل يوم ، والنساء محسوبات فى حكم المشايبة التى يجوز للأباء والأزواج أن يتصرفوا بأموالهن كما يحبون ، ولم يكن للبنات وراثة ولا حق من الحقوق ، وكثيراً ما كانت البنت الوليدة تدفن فى طفولتها ، وعلى هذه الحالة التى كانت ولادة الأثني فيها نكبة من النكبات البغيضة جاء الإصلاح الاجتماعى على يد محمد « صلوات الله عليه » فرفع من شأن المرأة كثيراً وامتنع وأد البنات وأعطين حقاً من الميراث لا يساوى حق الأبناء - نعم - ولكنهن إزاء ذلك معفيات من تكاليف البيت ، وذلك من قضاء العدل عنده (عليه السلام) .

« أما حقوق المرأة المدنية فى التعليم والانتخاب والعمل فالقرآن يفتح لها أبواب المساواة التى تنالها كلما تقدمت الأمم الإسلامية فى عاداتها ومعاملاتها . فإن كانت المرأة المسلمة لم تنل تلك الحقوق بعد قرن أو بضعة قرون كما نالتها المرأة الأوروبية فهذه أيضاً لم تنل حقاً منها قبل عصر الصناعة الحديثة ، وإنما نالت هذه الحقوق من الديمقراطية

وقد يحدث أن تصاب الزوجة بمرض يقعدها ويعطلها عن واجباتها البيتية ، كما يحدث في أعقاب الحروب أن يربى عدد الأنثى على عدد الذكور ، وربما أشار المثاليون في أمثال هذه الظروف بحل من حلول البطولة العالية يعتصم بها الرجال . إلا أن البطولة العالية ليست من الشرائع التي تعم بين الألوف من العامة والخاصة ، وإنما الخيار في المسألة بين زواج متعدد ينهض بتبعاته ويصون حياته وبين تعدد في العلاقات على غير شرع وبغير تبعه

* * *

وأعم من شبهات الغربيين على قضية المرأة في الإسلام شبهاتهم على القدرية أو الاستسلام « للقسمة » و « المكتوب » و « المقدر » الذي يجعل المسلم في رأيهم كالحجر الملقى أو الآلة المسخرة لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا يختار لها مصيراً إلى الإصلاح أو الفساد . وقد رأى بعض المتعصبين منهم أن يتهموا الإسلام بهذه « الآلية » العقيمة وأن يعيخوا عليه مع ذلك أنه الدين الذي يدعو أتباعه إلى حمل السيف وبذل الحياة وهما غاية ما يقدم عليه الإنسان في حياته من سعى وهمة ، وطاب لهم أن يجعلوا الإسلام مسئولاً عن هذين التقيضين لأنهم يريدونه مسئولاً عنهما على أية حال .

المرأة وزوجها جهد المستطاع . ويحق للمرأة كما يحق للرجل أن تعتمد إلى هذه الوسائل للتوفيق .

« وتبقى بعد ذلك مسألة التعدد ، فيسمح للمسلم بعدد من الزوجات ، تختلف الأقوال في حالات جوازها ، وإن كان لا خلاف على الحالة الفضلى وهي الاكتفاء بالزوجة الواحدة استناداً إلى نص القرآن على وجوب العدل بين الزوجات وسعوبته مع الحرص عليه . ولما كان العدل في القرآن لا يقصر المساواة على الأمور المادية بل يشمل المودة والعطف والرعاية فمن الواضح أن القرآن يفضل الاكتفاء بالزوجة الواحدة في عموم الأحوال كما كان مفهومهما منذ القرن الثالث للهجرة ويزداد الأخذ به مع الزمن . وقد ينص على ذلك في العقد اجتناباً للخلاف وتعهداً من الزوج ببنائه على شرطه . أما الآيات الأخرى التي تجيز للمسلم أن يجمع بين اثنتين إلى أربع ولا يزيد - والنبي قد عدد زوجاته - فإنها إذا أباح بها بعضهم أن يجمع بين عدد من الزوجات في جميع الأحوال لغير ضرورة فالهجرة المتزايدة من المسلمين ترى فيها مثالا لمرونة الإسلام واحتياطه لختلف العوارض والضرورات . إذ لا تخلو هذه الدنيا على ما هي عليه من نقص وخلل من حالات شتى يسكن فيها تعدد الزوجات خيراً وأسلم من الحالات الأخرى .

أن ينفذوا إلى أسرار الإعجاز القرآني كما يحسها المسلمون من المطلقين على روائع البلاغة عند الغربيين . ونحن نعتقد أن القوم معذورون في حيرتهم لسبب غير سبب المخالفة في الدين أو المخالفة في النظر إلى مصدر الكتاب الكريم . فإن القوم - فيما نرى - أشبه بمن يقرأ الكتابة بالصور ولا يخلص منها إلى مدلول تلك الصور من الحروف الأبجدية ، وكأنهم لا يزالون في عصر الصور « المهيروغلييفية » بعد أن أصبحت هذه الصور حروفاً تألف منها المعاني والكلمات ولا تلتفت العين إلى أشكالها وأشباهها إلا وهي عابرة مسرعة إلى الكلمة المركبة من رسوم تلك الأشكال والأشياء .

إن الجيم - مثلاً - لا تزال حافظة لشكل الرقبة التي تدل على الجمل ، ولكن القارئ العربي لا يفسر في الجمل وهو يقرأ الجيم ويضم إليها الميم واللام . وكذلك يفعل نحن قراء العربية حين نعبّر التقسييمات بالشموس والأقمار والبحار والأغصان وسائر المجازات التي تحكى لنا معانيها بالإيماء والإيحاء . فحين نفهمها بمدلولاتها - مباشرة - ولا نتوقف عند أشكالها ورسومها المحسوسة للعيون والاسماع ، أو نحن كما تقدم نعبّر دور الصور المهيروغلييفية إلى دور الحروف والمقاطع والكلمات ، ولا نشعر من أجل هذا

هذه الشبهة على السدريّة الإسلامية مما عرض له صاحب هذا الكتاب وجاوز فيه حد « الصمت » والحيدة المريبة ، فقال إن المسلم يؤمن أشد الإيمان بعظمة الله وقدرته وسلطانه في خلقته ، ولكنّه يحمل تبعته ويحاسب نفسه على هدايته وضلاله ويعلم من آيات كتابه الكثيرة أنه صاحب إرادة يتجه إليها الخطاب من الله « فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها » .

إلا أن العثرة الكبرى أمام هذا المؤلف وأمام غيره من كتاب الغرب ، من يعرف منهم العربية بعض المعرفة ومن يجهد كل الجهد ، إنما هي عثرة الحكم على بلاغة القرآن وبلاغة العربية على عردها في شعرها ونثرها وفي كلامها المطول وكلمها الوجيز ، ومنه ما يرتفع في البلاغة إلى الذروة التي لا يعلى عليها في كلام معروف بين أبناء الحضارة .

وقد أشرنا إلى هذه « العثرة الكبرى » عند تلخيصنا لكتاب الأندلس الإسلامية ، ونعود إلى الإشارة إليها بصدد التعليق الصريح الذي أورده مؤلف هذا الكتاب بعد رواية بعض الآراء الغربية المتواترة في هذا الموضوع ، ومنها آراء أناس يحسمون القول في رسالة النبي عليه السلام ويودون لو استطاعوا

بالخيرة أو البركة العقلية والحسية كلها عرضنا تلك التشبيهات المجازية وهي تتابع أمامنا واحدة تلو الأخرى بصورها الذهنية مجردة من صورها المحسوسة للأبصار والآذان . وعلى هذا النحو يسمع الموظف الذى يتلقى الإشارات البرقية شرطات ونقاطا يتبع بعضها بعضا على عجل وهو يكتب على الورق حروفا وكلمات يفهمها على الأثر كأنه يستمع إلى متكلم فى المذياع ، ولعل المراتنة صانعة فى «تبليخ» البلاغة العربية إلى أذهان الغربيين ما يعينهم على تقدير الآيات المعجزة التى يحارون فى تعليل إعجابنا بها واستيلائها على شعورنا ، وإن كانت المراتنة وحدها لاتغنى غناء السليقة المطبوعة والنشأة الطويلة والتلقين المسموع والموروث .

* * *

ويختم المؤلف كتابه بنظرة شاملة إلى مستقبل الإسلام بين الأديان ، فيقول : إنه فى هذا العصر - كما كان فى العصور الغابرة - أسرع الأديان إلى كسب الأتباع المصدقين ، وأنه على الرغم من قلة دعائمه وكثرة الدعاة إلى المذاهب المسيحية تكاد نسبة الداخلين فيه بين الإفريقيين تساوى نسبة عشرة إلى واحد ممن يتحولون عن عقائدهم البدائية إلى الأديان الأخرى .

إن المسؤولين عن مستقبل الإسلام فى عصرنا هذا عملا يلحق فى جلالته وعظمه بعمل أمثالهم فى عصر الدعوة الأولى ، ونحسب أننا نفيد من أقوال شراحه لآدم الغرب فائدة تساوى عناء الاطلاع على تلك الأقوال إذا تيقظنا فى أو أن اليقظة لتلبية الدعوة المقبلة :

إن الاستماع مفتحة من حولنا ، والسامعون يقبلون علينا . فهل من مسمعين ؟

عباس محمود العقاد

آراء وأحاديثهم

للأستاذ الأكبر

حديثه إلى الأهرام

قال فضيلة الأستاذ الأكبر ، الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر ، للأهرام ، ستخرج الشيوعية حتماً من العراق ، وسيقتضى على الصهيونية في إسرائيل بإذن الله ، وسترتفع راية القومية العربية فوق بغداد ، ونموق أرض الميعاد ، وسيصدق الله وعده ، وينصر أمانى عبده جمال عبد الناصر ، لأن تربة الشرق العربي غسلتها الأديان بماء الخلق والإيمان ، ولن تنمو فيها أية بذرة فاسدة .

ثم قال الأستاذ الأكبر : إن لب الشيوعية في العراق من أساليب الجهر بالسوء ، ولن يلبث أن ينطفئ لأن نور الله أقوى منه .

وهناك شيئان متلازمان متعاونان للفضاء على البشرية والأديان والمثل الإنسانية وهما الصهيونية والشيوعية . . والصهيونية معول يهدم الصلة بين أبناء البشرية ويمكن للطغيان والعدوان ، والشيوعية أشد المعاول هدماً للصلة بين الناس وبين الله .

وهذان الخطران لا يحلان بأرض إلا ضاع فيها الأمن وذهبت الطمأنينة والاستقرار . ومن هنا وجب على كل عربي مسلم في كل

قطر ، وكل بيت ، وكل شارع ، أن يحارب هذا الخطر بكل ما أوتي من قوة ، وأن يبذل كل ما يستطيع من جهد ومال ونفس ، لتطهير الأرض الطيبة ، أرض النبوات ومهبط الرسالات ، من هذا الدنس الشيوعي والصهيوني على السواء ، وقد أذن الله في رد هذا العدوان بما يدفع العدوان .

واستطرد فضيلة الشيخ يقول : إن التناقض بين مبادئ الإسلام ، والشيوعية واضح كل الوضوح ، فأول ركن من أركان الإسلام الاعتراف بوحدانية الله ، والشيوعية تهدم هذا الاعتراف من أساسه ، والذي لا يؤمن بالله يستبيح انتهاك الأعراض وقتل النفس وأكل أموال الناس بالباطل إذ لا وازع له من دين أو ضمير .

وقد حرصت الأديان كلها على احترام الحرمات الخمس لكل فرد ، وهي الدين ، والعقل ، والعرض ، والمال ، والنفس ، واعتبرت الاعتداء على أية واحدة منها في الفرد الواحد اعتداء على الإنسانية كلها .

قال الله تعالى : « من أجل ذلك كتبنا على

وقد قلت للسفير السكندى ، حين سألتني عن مدى انتشار الشيوعية في البلاد العربية والإسلامية ، إن أرضنا هي مهبط الأديان ومستقر الرضى والرسالات ، وقبيل غسلة الأديان تربتها بماء الطهر والخلق والإيمان .. وهى أرض « مالحمة » تقتل كل بذرة فاسدة ولا تقبل بذرة الشيوعية .. وإن تنمو فيها ، فكل بلد دخله الإسلام لن نقيم فيه الشيوعية ولن تعم طويلا ، ولن تستمر الشيوعية في العراق ، وسيتم إجلؤها والقضاء عليها حتما .

واستطرد شيخ الأزهر يقول : إن عهد المسلمين ببغداد منذ زمن بعيد أنها أرض الإسلام ومدينة الأخلاق ، وعرف العراقيون منذ دخل الإسلام بلادهم أنهم أشد تمسكا بدينهم ومحافظه عليه ، وأشد الناس تعصبا لعروبتهم وإيماننا بها ، وإنى على يقين من أنهم سيقذفون بالشيوعية خارج ديارهم ، وسيجدون من عروبتهم وإسلامهم قوة ومنعة وأمنا وسلاما ،

واتجه فضيلة الأستاذ الأكبر فى ختام حديثه إلى قاسم العراق ، فقال : لئن أريد أن أوجه كلمة خاصة أخاطب فيها إسلام قاسم وعروبة قاسم ، وأدعوه إلى أن يعود إلى الله ويسترد عروبته التى سلبتها الشيوعية ، ويؤمن إيماننا راسخا بأن يد العروبة البينضاء أظهر من أى يد استعمارية تهرأ ، وأن شعب العراق

بنى إسرائيل . أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ، فالمدىولية جماعية ، وكل فرد منا مسئول عن أى عدوان يقع على نفس أخيه أو عرضه ، فى أى مكان من الوطن الأكبر .. فإن وطن العروبة لا يتجزأ ، والإسلام لا يعرف حدودا من أجزاء الوطن العربى ، والقومية العربية .

ومضى شيخ الأزهر يقول : إن أحداث العراق الأخيرة تهز كل مسلم فى الوطن الإسلامى الكبير ، وإن حوادث الإرهاب التى يرتكبها بعض معتنقى الشيوعية فى العراق لا يرضى عنها الله ، ولا يرضى عنها رسوله ولا المؤمنون ، فإن استباحة المسلم قتل أخيه المسلم أو تعذيبه بغير حق ولجورد أنه يقول (ربى الله والعروبة وطنى) إجرام لا يرتكبه الشيوعيون أنفسهم فى بلادهم على هذه الصورة المثيرة .

قال تعالى :

(ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما) وماهى لإسحابة حمرام مظلمة فى سماء العراق العربى الحبيب لانتلبث أن تنقشع وتصفو السماء ، وتشرق أرض العراق بنور ربها وتغسل كل ما علق بها من أدران .

وأن يقدر ما أدى زعماء العراق الأحرار من تضحيات للإسلام وللوطن العربي والعراق الحبيب وأن يؤمن أن علماء العراق أشد علماء المسلمين حرصاً على دينهم ، وأنهم أولى الناس بالاتباع ، وأحقهم بالاستماع والانصياع .
فأما الزبا ، فيذهب جزاء وأما ما يذبح الناس فيمكتك في الأرض ، هداى الله وإياه ونجى العراق العربى من محتته ، وطهر أرضه من هذه الفتنة الهوجاء .

المسلم يرفض هذه الفوضى ، ويمقت العدوان وروح البغضاء ، وأن الإسلام عصمة من الخطأ والزلل .

وأن يحذر كل الحذر قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق) وأن يضع نفسه موضع من يصدر الأحكام عليهم ، وأن يدرس الأمور دراسة موضوعية من الوجهة الواقعية والوجهة التشريعية الإسلامية وأن يبتعد عن الهوى

نداءه الى العالم الاسلامى فى يوم فلسطين

إخوانى وأبنائى :

يجدها شيئاً فارتد بصره خاسئاً وهو حسير .

إخوانى وأبنائى :

إننا نستقبل هذا اليوم (الخامس عشر من مايو) بقلوب قوية ونفوس مطمئنة . فقد كان درساً لا ينسى ، كان درساً كشفنا به نيات أولئك الذين ذكروا مصالحهم ونسوا مصالح أوطانهم . أجل لقد كشفنا به عن نيات كان حجابها كشيء غطاؤها معتماً مظلماً . دميت منه نفوس ونفوس حزنا على ما رأيت وألما على ما أحاط بها ، ومع ذلك لم يخرجوا من الميدان الذى دخلوه إلا رجالاً يخطون بأيديهم للتاريخ ويرسمون لأمتهم أهدافها وغايتها ، وتاهت أشباح فى خضم من الأضاليل والأباطيل والوعود الخادعة التى جبروا وراءها حتى إذا جاءها كل واحد منهم لم

لقد استقبلنا هذا اليوم منذ أحد عشر عاماً بآراء غير متفقة ، وقلوب مختلفة ، وخطط مبشرة ذات اليقين وذات الشك . لا يحدوها إلا صالح الفرد لا صالح المجموع ، بما أدى بنا إلى نتيجة هذا شأنها وتلك حالنا من قيام دولة اليهود فى أرض العرب تفت سموم الصهيونية التى توهن الصلات بين الأفراد ، وتنتشر الفساد والخراب فى البلاد . وهام أولاء الذين تحملوا فداحة العبء ، وضائق عليهم الأرض بما رحبت ، فتردوا عن أوطانهم وأخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا هذا وطننا الذى نشأنا فيه وتلك ديارنا التى أقمنا بها .

ومساجد يذكر فيها اسم الله كشيرا ،
وليمنصرن الله من ينصره إن الله لقوى
عزيز ، ، وتعاونوا على البر والتقوى
ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، .

إن هؤلاء اللاجئين المشردين الذين أعوزهم
العائل والنصير، ومل أطفالهم العرى والجوع ،
يطلبون منا أن تكون حلولنا لقضية الإنسانية
حلولاً عاجلة وناجزة ؛ فإن فلسطين التي ضاعت
أمام الفرقة وجب أن تعود لأصحابها بيد الجماعة .
لقد أخرجوا من أرضهم بغيا وعدوانا بغير
حق بدسائس الاستعمار الذى لو ترك العرب
واليهود من غير إثارة ولا تفريق لعاشوا
جميعا فى تآلف وتعاون أخوة متحابين ، كما
كانوا يعيشون قبلا ، وكما يعيشون فى كل بلد
من البلاد العربية .

إن واجب رجال الاستعمار - إن كانوا
يؤمنون بمعنى الإنسانية الفاضلة التى طالما
زعموا أنهم وضعوا حقوقها وأقاموا من
أنفسهم حراسا عليها - إن واجبهم يقضى
عليهم بالتخلى عن هذه المواقف التى توقد نار
العداوة والبغضاء بين العرب وغيرهم ، وأن
يتركوا للعرب أرضهم التى جعل الله لهم فيها
معايش وطلب منهم أن يعمروها ؛ فيعود
السلام والوثام إلى هذا الجزء من العالم بل
يعود إلى الإنسانية كلها .

ولا نخرج لنا من هذا إلا أن نتعرف
موطن الداء ، ونجثه من جذوره بأن نعود
نحن العرب - أجمعين إلى وحدتنا التى تشد
أزرننا وتدفع بها أعداءنا - أعداء القومية
العربية ، ولا مناص لنا من هذه الوحدة ؛
فإننا أمة تجمعنا والحمد لله جمعة من تفاعل
الأحداث واتحاد اللغة ووحدة القبلة
ووحدة المشاعر . لا بل نحن أداة متكاملة
متجانسة متجاوبة اختصنا الله بهداية الناس
بأن جعل أرضنا مهبطا للرسالات التى تحمل
وحي الله فيأخذ بأيدينا يوم أن يحقق لها
الوحدة الشاملة لنقوى بها ونقضى بهذا
التنافر على أحلاف الشر وأبناء الشيطان
وأنصاره . ولكن الأمم الاستعمارية التى
طالما نادى بأنها ترفع الإنسانية وتحافظ
على حقوق الإنسان - هذه الأمم لا تريدنا
إلا متفرقين ؛ فهم يحرسون دائما على غرس
أسباب الفتنة والفرقة بيننا ، وبث أسباب
الخلافا بين صفوفنا . ونحن نقول لهم إننا
صف واحد وأمة واحدة ذات اتجاه واحد
وهدف واحد ، لم يعد للاستضعاف مكان
بيننا ولا للفرقة ثغرة فى صفوفنا .

ومن ثم فإننا نحس جميعا أن الوحدة
أصبحت من لوازم الحياة عندنا فى هذه
الحقبة من الزمن ، ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات

حديثه إلى مجلة « تايم » الأمريكية

ولما سأل فضيلته عن دور الأزهر قال :
إن للأزهر جانبين : جانباً يخدم اللغة العربية
لنفسهم القرآن وندرك مافيه من أسرار ،
والجانب الآخر فهم المبادئ التي اشتمل
عليها القرآن والعمل على نشرها ، إذ نحن
مكلفون بإبلاغها إلى الناس كافة حرصاً على
الإنسانية ورخائها ودعمها لكيانها ، فقد حمل
الإسلام ما تسعد به الإنسانية من آداب
وسياسة واقتصاد واجتماع وعلوم دنيا ودين ،
وللأزهر مركزان ثقافيان في واشنطن ولندن ،
غير ما هنالك من بعثات أخرى .

وتحدث فضيلته عن مدى تعاون الإسلام
مع الأديان الأخرى فقال : إن الإسلام يحترم
كل رسالة منزلة من السماء ، ويوثق الصلات
بين المسلمين وغير المسلمين ، وقد أباح
للمسلمين الزواج بالكتابيات وأباح طعام
أهل الكتاب وأحل ذبائحهم وزيارتهم
والتعاون معهم للخير العام . قال تعالى :
(ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين
قالوا إنا نصارى . ذلك بأن منهم قسيسين
ورهبانا) وقال : « وطعام الذين أوتوا الكتاب
حل لكم وطعامكم حل لهم » .

ثم قال فضيلته : إن منهاجى في الأزهر .
هو إعداد الأزهرى إعداداً يمكنه من التفاهم

سأله مستر وليام ماكيل عن رسالة الصحافة
فقال فضيلته : أنا أعتقد أن الصحافة لسان
من ألسنة الدعوة الحققة للترابط الإنسانى
وتوثيق عرى المحبة بين الناس أجمعين ، وتنقية
العلاقات الإنسانية وتصفيتها وتوجيهها لمثلها
العليا وقيمها الفاضلة وأدعو الصحافة فى كل
مكان إلى أن توجه العالم إلى الخير وأن يكون
دستورها قوله تعالى : (يأيها الناس إنا خلقناكم
من ذكر وأثى وجعلناكم شعوباً وقبائل
لتعارفوا) .

وسأل فضيلته عن رأيه فى الموقف الدولى
فقال : إن من خير المبادئ التى أخرجت
للناس مبدأ الحياد الإيجابى بين جميع
المعسكرات وهو المبدأ الذى دعا إليه الرئيس
جمال عبد الناصر ليصون منطقة الرسالات
السماوية ومهبط النبوات من التيارات
الدولية المتباينة . أما هذه المؤتمرات الدولية
التي تعقد لحل المشكلات بين المعسكرين فالخير
يرجى منها إذا كانت لخير البشرية ولم تكن
لتقسيم العالم إلى مناطق نفوذ والله سبحانه
وتعالى يقول : (لاخير فى كثير من نجواهم
إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح
بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة
الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً) .

وقال : إننى أدعو إلى التعاون العلى العام بين جميع الدول والجامعات . وأنا شخصيا بنى وبين جامعات أمريكا صلات علمية وثيقة فمثلا فى جامعة كولجان فى نيويورك كان الدكتور كينيت مورجان قابلى فى القاهرة وطلب إلى أن أكتب عن الإسلام (الصراط المستقيم) الذى قام بدوره بنشره ، وهكذا ترانى قد تعاونت معه حين طلب منى ذلك وكذلك مبدؤنا تعاون وتجاوب ما دام فى طريق الخير .

وإننى أعمل على وضع تفسير سهل ميسور لمعانى القرآن الكريم وترجمته إلى اللغات الأجنبية وأستمد فى تحقيق ذلك بعد توفيق الله على معونة رجال حكومة الجمهورية العربية المتحدة وعلى رأسهم السيد الرئيس جمال عبد الناصر .

وسئل فضيلته متى يفتح الأزهر أبوابه للمرأة لتعلم فيه وتنهل من دراساته الدينية ؟ فأجاب فضيلته :

إن هذا واجب دينى ، فعلىنا أن نعلم المرأة تعليما دينيا واجتماعيا لتقود الأسرة وتوجهها التوجيه السليم وتتجنب المزالق والزلل وحتى تسهم فى بناء مجتمع سليم صحيح أساسه الفضيلة والخلق القويم والدين الصحيح والعقيدة السليمة فيشرب لنا جيل صالح يرعى حقوق ربه ويحافظ فيؤدى حقوق الوطن عليه أداء صحيحاً .

مع الناس جميعاً فى مشارق الأرض ومغاربها بلغاتهم ، ولذلك جعلت اللغات الأجنبية إجبارية فى الأزهر وسأعمل على تقوية العلاقات مع المسلمين الذين لا يتكلمون العربية . وأحب أن أقرر هنا أن الإسلام لا يعرف إكراه الناس على اعتناقه ، بل ينفر من ذلك ويرفض إرغام أحد على التخلي عن دينه ، والإسلام يحتقر التعصب ويمقتة فلا تعصب للون ولا للجنس ولا لغير ذلك (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) والشريعة الإسلامية نفسها تنكر التعصب . ونبى الإسلام سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام يقول : (ليس منا من دعا إلى عصبية ، ولا عصبية فى الإسلام) وما روى أن الرسول بلغه أن أبا ذر الغفارى عير خادما له بسواد أمه فغضب عليه السلام لذلك وقال لأبى ذر : (إنك امرؤ فيك جاهلية . ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى والعمل الصالح) .

ومضى فضيلته يقول : لذلك أتوجه إلى أمريكا وشعبها مطالباً بسمح عار التفرقة العنصرية ، ويعرف الشعب الأمريكى والشعوب كلها أنه لا عبرة بسواد أو بياض ، وأن الناس عند الله كآسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لأبيض على أحمر ولا لأحمر على أبيض إلا بالتقوى ، ألا إن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا بطاعته والناس شريفهم ووضيعهم أمام الله سواء .

القول إلى سائر الدول القوية أن تعمل على نشر السلام وتوجيه قواها للتعمير لا للتدمير . وأنا مسرور بهذه الزيارة وأرجو أن تكون همزة وصل صالحة لتوصل ما قصدته إلى إخواننا في البشرية وإخوتنا في الإنسانية .

حديثه إلى الندوة . . .

قال مندوب الندوة بالقاهرة : ذهبت إلى الرجل الورع صاحب الصوت القوي، والرأى السديد ، والذي كان لتعيينه شيخاً للجامع الأزهر صدى طيب في العالم الإسلامي .

لم أستطع أن أقابله في مكتبه بإدارة الأزهر، فذهبت إلى منزله في مصر الجديدة، فيلا صغيرة متواضعة ليس عليها حراس على الرغم من منصبه الخطير ، الهدوء يسود المكان ، ويضفي عليه جلالا ، وعندما دخلت عليه في غرفة الاستقبال أحسست أني في حضرة عالم زاهد فعلا ، فالغرفة أثاثها قليل ، وقد جلس الشيخ على إحدى الكنبات متدبراً بشال كشميري وبالرغم من مرضه فإن عينيه لم تفقدا قوتهما ولا لمعانهما ولا إشعاعهما .

وبعد التحيات والتعارف ، توجهت إليه بأسئتي . . .

س : بدأ الأزهر الشريف في عهده الجديد يرسل مبعوئين دينيين في السفارات ، فهل يمكن اعتبار هذه الخطوة بداية بعوث تبشيرية مستقلة ؟

ولكم غنى الإسلام بالمرأة فأنشأ لها حقوقاً لم تكن لها . فورثها ، وكانت لا ترث (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً) .

وعلى وجه الإجمال أعطاها كل حقوقها في حدود العلم والشرف والفضيلة .

وسئل فضيلته في ختام حديثه عن رأيه في الصراع القائم بين الشيوعية والقومية العربية فقال : إئتني مؤمن بأن الإسلام والقومية العربية قد حكما على الشيوعية بالإعدام في أرض العرب . وأن أساس الإسلام الإيمان بالله وبالشرائع السماوية فكل مذهب ينافي ذلك فالإسلام يرفضه ، والمسلم حريص على دينه وعلى عقيدته فنحن مطمئنون إلى أن الشيوعية أو غيرها لا يمكن لها أن تعيش بيننا ولا أن تحيا في أراضينا ، وأنا أتوجه إلى أقطاب العالم جميعاً من سياسيين ودينيين بأن يتحدوا ويتجردوا من المسائل الفردية والأعمال الشخصية إنفاذاً للبشرية ونهوضاً بها . وعلى أمريكا القسط الأعظم من هذا ، بما لها من إمكانيات ، لقد عرفنا أمريكا بمبادئها ولسون وعرفناها داعية إلى الحريات حامية لها ، فأين هي والعالم يضطرم ويغلي كالرجل؟ لا .. ولا أقول أمريكا وحدها ، وإنما أوجه

وأحب أن يعنى المسئولون وأولو الأمر بدفع الأمة إلى دينها الصحيح ، وأن ينشأ الناشئة على التربية الدينية السليمة ، وأن ينهوا إلى ما فيها من معان سامية ومثل عليا يسرون عليها في حياتهم وأن الله ليزع بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن .

س : تشعبت مذاهب الأمة الإسلامية فهل يمكن توحيد هذه المذاهب ؟

ج : هذه دعوة سبق أن دعوت إليها كثيرا لأنى أومن أن الخلاف بين المسلمين ، وتفرق مذاهبهم ؛ وهذه العصية الجاهلية التى تبدو فى بعض الأحيان - مفرقة للشمل ، مبددة للقوى ؛ وقد استغلها المستعمرون وأذكروا نارها ليفرقوا كلبة الأمة الإسلامية ويبددوا شملها ولكن عقلاء المسلمين وكبار العلماء ، وقفوا بالمرصاد لهذه الدعاية الخبيثة ، فكونت جماعة التقريب بالقاهرة ولقد عملت فيها جاهدا من يوم أن أنشئت إلى يومنا هذا وللستقبل إن شاء الله راجين تحقيق أهدافها فى التقريب بين وجهات نظر المسلمين ؛ وجمع آرائهم رأب الصدع بينهم ؛ حتى تعود إليهم كلمتهم الموحدة ، وجمعهم القوى . وهما نحن أولاء قد خطونا خطوات مباركة فى هذا السبيل مؤمنين أن المصادر الأولى للدين الإسلامى إنما هى كتاب الله وسنة رسوله . والأزهر يرى من جانبه أن من واجبه

ج : إن مهمة الأزهر إنما هى الدعوة إلى الله فى جميع أنحاء الأرض برفق ولين ، د ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، ولقد طلبت دول كثيرة من الأزهر هداة ومرشدين وعلماء ومثقفين ؛ والأزهر يستجيب لها تحقيقا لرسالته وأداء لواجبه ، وأن ولاية الأمر فى الجمهورية العربية المتحدة ليؤيدون الأزهر ، ويمدونه بكل الأسباب التى تمكنه من أداء هذه المهمة ، وبهؤلاء الدعاة ترابط البلاد الإسلامية بعضها وتعز مع بعض جانبا .

س : ما هى الطرق التى تراها فضيلتكم كفيلة بنشر الوعي الدينى ؟

ج : لاشك أن تربية النشء تربية دينية هى خير ما نوجد به جيلا قويا يعتمد عليه الوطن فى نواحيه كلها لأن جيش المؤمنين أصلب عودا وأقوى على تحمل الأحداث ، والعقيدة الصالحة أثمن ما تقتنيه الأمم وأقوى سلاح يواجه به الشباب الحياة ؛ ولا أحب أن يكون إيمان الشباب إيمانا تلقينيا ، وإنما أريده إيمانا ثابتا ، عن طريق القدوة الحسنة من الذين يتطلع إليهم الشباب جميعا ، فى بيوتهم وفى مدارسهم ، وفى مجتمعاتهم التى يعيشون فيها ، وبهذا الوضع نجد أمامنا أمة مترابطة متأسكة الأطراف ، تحيا على قلب رجل واحد ، لا تهزها الأحداث ولا الأعاصير .

س : ما رأى فضيلتكم في تعليم المرأة . هل يكون نصيبها منه نصيب الرجل ؟ ؟

ج : إن الشريعة الإسلامية شريعة تثقيف وتعليم وتوجيه ، لا تفرق بين ذكر وأنثى ، ولا بين قتي وقتاة . ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولا عمل إلا عن علم ومعرفة ، والرسول يقول (خذوا نصف دينكم عن هذه الخمراء ، وراويات الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرات ، فالعلم مورد مباح للجميع - لكن أريد للفتاة التي تنهل من مناهل العلم أن تعمل كل ما يحفظ كرامتها ، ويصون لها عفتها ومن غير ما إبراز لفتاتها التي تثير بها الشباب ، وتدفعهم إلى الفتنه ، وتقوض دعائم الأمة وفي هذا الاطار للفتاة أن تتعلم وأن تتفقه وأن تنفع أمتها .

س : هل يمكن اعتبار الوحدة العربية خطوة أولى للوحدة الإسلامية ؟ وهل تقتصر دعوتنا الآن للوحدة العربية فقط أو نربط بين الدعوتين ؟ وما دور الأزهر الشريف في هذا المضمار ؟

ج : وسكت الشيخ قليلا ثم التفت إلى وقال ... هذا سؤال سياسى ، وأنا لا أجيِب عن الأسئلة السياسية .

وانتهت المقابلة ، وما زال صدى صوته بنبراته القوية يملأ قلى ثقة وأملا برجال الدين ورسالتهم السامية ؟

السهر على فكرة التقريب ، ولذلك سأعنى إن شاء الله بدراسة المذاهب البينة الأصول الواضحة المعالم ؛ حتى يقف علماءه على السبل المقربة ؛ وخاصة في عهد هذه النهضة المباركة والدعوات الطيبة التي تدعو إلى توحيد كلمة المسلمين والعرب .

س : قامت دعوة لتقنين الشريعة الإسلامية وفق الأصول القانونية المتبعة ، واستنباط الأحكام للسائل المستحدثة في حياتنا الحاضرة فما رأى فضيلتكم في هذا الرأى ؟ وكيف يمكن تحقيقه ؟

ج : إن الشريعة الإسلامية شريعة الزمن كله إلى أن تقوم الساعة صالحة لكل عصر وأوان ، وأن الفقه الإسلامى الملىء بالكنوز والذخائر ولكنه يحتاج إلى الفاهمين لأصول الشريعة وقواعدها الدارسين لحياة المجتمع ، المحيطين بأحوال التشريع وملابساته مع فهم صحيح دقيق لكتاب الله وسنة رسوله ، والأمة الإسلامية - والحمد لله - مليئة بالكثير من هؤلاء فإذا ما صحت النيات ، وخلصت الاتجاهات ، وجدنا الفقه الإسلامى مقننا تقنيا عصريا ، يجد فيه القاضى حاجته ، والمتقاضى طلبته . والشريعة الإسلامية لا تمنع شيئا من ذلك ؛ وفعلنا توجد الآن بعض المؤلفات جرى أصحابها على هذا النحو مما ييسر الاطلاع لكثير من محبي المعرفة .

مَحْنًا مِنْ شَجَرِ الْقِدْرِ وَالْحَدِيثِ

رَبَّاه ... بعض النور!

للاستاذ محمود حسن إسماعيل

إلى الظالمين للنور ، وأشواقهم تنشب بالظلام

حلت أُمسى وغدى وسرتُ نحو الموعِدِ
 حتى وصلت شاطئاً يهْمس بالتشهُدِ
 وترتوى آفاقه بالنور والتعبُدِ
 فقلتُ : طيرى واصعدى يافس .. حان مَوْرِدِ
 فأجهشتُ . وانتفضتُ بأعْظَمِ المستَشْهِدِ
 كلُّ الخطايا فى يدي ياربُّ أَجَلُ مَوْعِدِ
 فتَوَقَّبتى مَوْودَةً فى مهدها لم تولدِ
 مازلتُ أدعو اللهَ عُمراً ثانياً لجَسَدِ
 أعيدُ فيه سيرةً للروح منذ مَوْلِدِ
 نقيّةً من كلِّ ما يُقْضَى فى مَرَقِدِ
 بريئةً من كلِّ ما يشوى الرُوى فى خَلَدِ
 ويجعلُ الإيمان فى نفسى غريبَ البَلَدِ
 يعيش كالضوء السَّجين فى سكون المَعْبَدِ
 يديرهُ أغلالهُ لغايةٍ لم تُوجَدِ !
 معذباً كأنه سريرة المضطهدِ

أَوْ ظَلَمِي إِلَى سَرَابٍ ظَالِمِي مُصَفِّدٍ
أَوْ طَارَتْ عَلَى خَرِيفٍ هَالِعٍ مِبْدَدٍ
صَبَّ الْأَسَى فِي نَايِهِ أَنْيْنَ حُلْمٍ أَسْوَدٍ
يُظْفِرُ مِنْ قُضْبَانِهِ كَسْتَفِيثٍ مُتَعَدِّدٍ ..
أَوْ طَارِقُ أَسْرَارِ بَابٍ فِي الظَّلَامِ مُوَصَّدٍ
يَصِيرُ ثُمَّ يَمْحَى فِي الْيَأْسِ وَالتَّرَدُّدِ ..
أَوْ سَابِحٌ فِي لَجَّةٍ مَطْمُورَةٍ بِالزَّبَدِ
فِي جَيْبٍ إِعْصَارٍ عَلَى الْأَفْقِ يَتِيمِ الرُّشْدِ
يَزِنُ كَالْغَيْظِ بَصْدِ الظَّالِمِ الْمَقْيَّدِ ..
أَوْ بَاحِثٌ عَنْ أَمَلٍ فِي نَفْسِهِ مَفْقَدِ
أَضَاعَهُ الْأَمْسُ .. وَضَاعَ الْأَمْسُ فِي تِيهِ الْغَدِ ..
أَوْ حَاطَتْ عَلَى ظِلَامٍ قَلَقٍ مَسْهَدِ
بَغِيرِ نَارِ الْيَأْسِ لَمْ يَهْجَعْ وَلَمْ يُوسَّدِ ..
أَوْ تَائِبٌ لِلَّهِ لَمْ يُمَهِّلْ ، وَلَمْ يَنْتَدِ
تَبَقَّتْ أَشْوَاقُهُ مِنْ مُوقَدٍ لِمَوْقَدِ
وَالْمَعَاصِي حَوَّلَهَا أَجْنَةً لَمْ تُوَلَّدِ
تَنْزُّ فِي أَحْشَائِهَا بِجُنُودٍ لَمْ تَحْمَدِ .
أَوْ رَاحِلٌ بَغِيرِ تِيهِ الدَّرْبِ لَمْ يُزَوِّدِ
وَعَبْرَ لَيْلٍ كَافِرٍ الرَّاحَاتِ مَصْلُوبِ الْيَدِ
نَجُومُهُ مَبْهُوتَةٌ فِي أَفْقِهَا الْمَجْرَدِ
يُطِلُّ مِنْ شَعَائِمِ الْمَسْحُورِ أَلْفُ رَصَدِ

وَأَلْفُ شَيْطَانٍ بَغَى الْوَجْهَ بَاغَى الْجَسَدِ
 مُحْزَمٌ مِنْ الْخَطَايَا بِشَهَابٍ أَسْوَدِ
 يَخْطِفُ كُلَّ تَائِبٍ بِسَهْمِهِ الْمَسْدَدِ
 وَيَجْعَلُ الْعَصِيَانَ لِلنَّدَمَانِ أَشْعَى مَوْرِدِ
 وَيُفْرِقُ النَّاسِكَ فِي بَحْرِ أَثِيمِ الْمَدَدِ
 يَظْلُ وَالْإِيمَانَ فِي جَنْبِهِ نَوَاحِ الْيَدِ
 مَلُوحًا النَّسْكَ وَالصَّلَاةَ وَالتَّجُودِ
 وَكُلَّ زَهْدٍ وَتَقَى لِلرُّوحِ أَوْ تَعْبُدِ
 فَتَعْصِفُ الرِّيحُ عَلَى دَعَاةِ الْمَبْدَدِ !!

* * *

رَبَّاهُ .. بَعْضَ النُّورِ ! قَدْ طَمَّ الدَّجَى فِي خَلْدِي
 سَبَحْتُ بِالْإِيمَانِ فِي تَيْهِهِ عَمِيقِ أَبْدِي
 قَلْبِي إِلَى نُورِكَ نَشْوَانُ حُبِّ سَرْمَدِي
 مَنْطَقُ إِلَى سَمَاءٍ بِأَهْلٍ لَمْ يُوصَدِ ..
 وَجَسَدِي حَمَلٌ بِكُلِّ ذَنْبٍ مُبْعَدِ
 وَاصِلْتُ دَقَّ الْبَابِ ، حَتَّى كَادَ يَمْضِي مَوْعِدِي
 وَكَادَ يُقْلِنِي الشَّجَى وَالنُّوحُ حَوْلَ مَوْقِدِي
 رَبَّاهُ بَعْضَ التَّوْبِ وَالْغَفَرَانِ لِلْمُسْتَشْهِدِ
 رَزَعْتُ ذَاتِي ! وَأَنْتَهَتْ حَقِيقَتِي لِلْأَبَدِ
 وَجِئْتُ أَدْعُو اللَّهَ عَمْرًا ثَانِيًا لِحَسَدِي !!

محمود حسن اسماعيل

بريد المجلة

الأزهر يكرم السيد إدغام خالده

في صباح الثلاثاء ٢٠ من شهر شوال سنة ١٣٧٨ احتفل في قاعة الاحتفالات الكبرى بالأزهر بتكريم السيد أدهم خالد نائب رئيس وزراء أندونيسيا ورئيس جمعية العلماء بها ، وقد حضر الحفل فريق من علية القوم وكبار علماء الأزهر وعدد ضخم من طلابه وافتتح بتلاوة آي الذكر الحكيم ، ثم نهض الدكتور محمد البهي مدير عام الثقافة الإسلامية بالأزهر فقدم الضيف الكريم بكلمة موجزة ذكر فيها خدمته للإسلام وجهاده في تحرير بلاده وأشار إلى الشبه بينه وبين عالم الإسلام محمد ابن تيمية في جمعه بين حرية الفكر في بحوثه الدينية وقيادته للطوائف الإسلامية ووقوفه في وجه الغزوات التتارية والصليبية .

ثم قام صاحب الفضيلة الأستاذ وكيل الجامع الأزهر فألقى كلمة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت في الترحيب بالزائر الكريم وهذا نصها :
أخي في الله :

إني - إذ خاطبكم بهذا الوصف المحبب إلى نفسي ، وهو وصف الأخوة في الله - لأشعر

بارتياح عظيم ، ولذة كبرى ، لأن هذا الوصف الصادق يطابق واقعاً عملياً قرره القرآن الكريم في صورة قوية واضحة ، حيث يقول الله عز وجل : « إنما المؤمنون إخوة » .

ولذلك لأجد وصفا أعز على نفسي وأحب إلى قلبي من هذا الوصف الذي آثرت أن أخاطبكم به في هذا الحفل المبتهج بقدومكم المنعقد لتكريمكم :

لقد وصف الله المؤمنين في كتابه العزيز بأنهم خير أمة أخرجت للناس ، وأن بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، ولم يكن تفضيلهم إلا بأنهم أمة مبادئ ، ولم تكن عظمتهم إلا بأنهم مؤمنون بالله والإيمان بالله هو مبدأ الشعور بالكرامة لأنه هو الذي يشعر المؤمن بأنه مساو لكل من سواه ، في العبودية لله ، وهو مبدأ المراقبة والائمةوى ، لأن الذي يعلم أن له إلهاً يراه ، هو الذي من شأنه أن يراقبه ويخشاه .

بهذا كله كان المؤمنون أمة واعية قوية متكافلة على الحق والخير لا تأذن للشر

قرون بل تزيد، والتي مازالت تؤدي رسالتها السامية المقدسة في رعاية الله بتأييد الشباب القوى المؤمن بالله المحاهد في سبيل الله . الرئيس جمال عبد الناصر .

إن الله جمع بيننا في أخوة الإيمان ، وجمع بيننا في النضال من أجل الحرية والكرامة والاستقلال ، وجمع بيننا في الأهداف التي ترمي إليها من أجل خير البشر وحقهم في الإصلاح والطمأنينة والسلام ، وجمع بيننا في التحذير من الذين يتربصون بنا دوائر السوء : أن نطيعهم أو نركن إليهم ، أو ننخدع بهم . والآن يسرنى أن أرى في أنفسنا معنى جامعاً جديداً ، ذلكم هو التعاون العلى في ظل الإسلام وهدى القرآن ، وأن الأزهر الشريف الذى أتشرف بقيادته ليبارك هذا التعاون ويرجو له النمو والكمال إن شاء الله . وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ، والسلام عليكم ورحمة الله

وبعد ذلك قام السيد المحتفل به فشكر السيد سكرتير عام المؤتمر الإسلامى أن أتاح له بدعوته لزيارة الجمهورية العربية المتحدة أن يرى الأزهر حصن الإسلام والعروبة ومبعث النور والهداية ، ثم شكر الأستاذ الأكبر والسادة العلماء على جميل ترحيهم به وتكريمهم إياه ، ثم أخذ يلقى محاضرته عن (التضامن الإسلامى) .

ولا للباطل أن يجد مكاناً فيها ، كما كانوا أمة ائتلاف وأخوة واعتصام بحبل الله تربط بين قلوبهم روابط المحبة الصادقة الصافية في ظل الإيمان وهداية القرآن .

ولننا وإياكم لمرتبطن بهذه الرابطة القوية المشتركة ، لا فرق بين من يعيشون في ربوع أندونيسيا المجيدة ، ومن يعيشون في ظلال الجمهورية العربية المتحدة العتيدة ، كما أن هذه الرابطة نفسها هى العلاقة المقدسة بين المؤمنين ، في مشارق الأرض ومغاربها حيث تقام الصلاة وتؤتى الزكاة وينادى الله وحده على مآذن المساجد ، الله أكبر الله أكبر حتى على الصلاة حتى على الفلاح .

فإذا وجدتم - أيها الأخ الكريم - علائم البشر في هذا الحفل بادية ، وروح المحبة في جنباته رائحة غادية ، فما هذه إلا مظاهر ابتهاج الأخ بأخيه ، والولى لوليه .

ونحن نعتقد أن لنا إخواناً كثيرين فى أندونيسيا ، يشاركوننا بالأرواح ، وإن بعدت الديار وتفرقت الأشباح .

فرحبا بكم من إخوانكم ، وبين أصفياكم وأوليائكم .

وسلاماً وتحية لرئيس أندونيسيا العظيم المجاهد المناضل ، من الجامعة الأزهرية المجيدة التى حافظت على تراث الإسلام الخالد عشرة

ويشرف على حركة التوجيه الديني والثقافي في بلاده ، ويكافح لجعل الفسكرة الإسلامية مصدر التوجيه في المجال السياسي والوطني ، ويجاهد ليعقد للجمهورية العربية المتحدة لواء الزعامة على البلاد العربية والإسلامية .

والضيف العظيم يجيد اللغة العربية إجادة تامة إذ ينحدر من أسرة دينية عريقة ، ويعتبر من أنشط الزعماء في الوطن الأندونيسي يعمل بكل إخلاص على تشجيع الثقافة العربية والإسلامية في بلده .

الأزهر بمقر مؤتمرا لبحث شؤون فلسطين

دعا فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر إلى مؤتمر عام حضره رجال السياسة وأعلام الأدب وكثير من الهيئات والطوائف وفي مة ممتهم علماء الأزهر ورجال الاتحاد القومي .

وفي تمام الساعة الثامنة مساء انعقد المؤتمر في قاعة المحاضرات الكبرى برئاسة فضيلة الأستاذ الشيخ محمد نور الحسن وكيل الجامع الأزهر نائباً عن الأستاذ الأكبر

بمناسبة يوم فلسطين . . . يوم ارتكاب الجريمة النكراء والمأساة المروعة والاعتداء الغاشم على الحقوق الإنسانية . فقد اغتصبت أرض فلسطين العربية وسلبت أموالها واغتيل شعبها وشرذ من بقي حيا من أهلها . وقد استعرض المجتمعون أسباب تلك

فقال : إن التضامن الإسلامي ليس كالتضامن الذي يفهمه الغرب أو الشرق معتمدا على المادة والتسلح وإنما يقوم على أسس سماوية سليمة تهدف إلى سعادة الشعوب . وقال إن ثورة الأمة العربية وضعت حدا فاصلا للاستعمار فلم يعد يستطيع العبث بمقدرات الشرق ، وإن العالم كله اعترف بعدالة القضية المصرية ، وقد أسهمت أندونيسيا في الدفاع عنها دوليا وأعلن أن ٧٥ مليون مسلم في أندونيسيا يتبعون تيار الوطنية الذي يكتسح بقايا الاستعمار من الوطن العربي .

وبعد الفراغ منها قام صاحب الفضيلة وكيل الأزهر فتلا قرار مجلس الأزهر الأعلى بمنح السيد إدهام شهادة العالمية الفخرية من درجة أستاذ بناء على اقتراح الأستاذ الأكبر ، فقبلها شاكرًا . ثم مضى هو وكبار المحفلين إلى دار الأستاذ الأكبر فأجزل له الشكر على ما طوق به جيده من جميل ترحيبه وعظيم فضله .

والضيف الكبير له ماض مجيد في قيادة الحركة الاستقلالية في أندونيسيا وهو عضو في البرلمان الأندونيسي منذ عام ١٩٥٠ حتى اليوم ، وزعيم حزب نهضة العلماء أحد الأحزاب السياسية الأربعة الكبرى في أندونيسيا .

رسول الله فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم - نعم الشريك كان السائب ! كان لا يشارى ولا يمارى .

وقال صاحب الاصابة إن السائب بن الحارث قال الزبير بن بكار عنه عن عمه زعموا أنه كان شريكا للنبي صلى الله عليه وسلم بمكة . وقال المعلق على قول المؤلف (وسأقت الصدف سائب ومساعدته الجديد إلى حياشا Hayacha وهي سوق هامة في جنوب مكة ..)

قال المعلق : لعله يريد الحزورة . بيد أن السوق التي ذكرها المؤلف هي حباشة بالباء التحتية الموحدة لا بالياء المثناة التحتية ؛ فحباشة سوق من أسواق العرب كانت جنوب مكة وظلت تقام إلى عهد داود بن عيسى أمير مكة سنة ١٩٧ هـ كما يقول المؤرخ الأزرقى - ثم ألغاه بأمر من فقهاء مسكة على أثر اعتداء وقع على أمير لهذه السوق من قبل القبائل المجتمعة بها فخربت .

وليس غريبا على المؤلف الفرنسى أن يغلط ويخلط ولا سيما وقد كتب كتابه وهو يكاد يتميز من الغيظ حقدًا على الإسلام والمسلمين غير أنه في هذين الإسمين كان أقرب إلى الصواب أحمد على

مدير كلية الشريعة بمكة

الهزيمة من الفرقة والانقسام والخيانات الداخلية، والخارجية والمؤامرات الاستعمارية والصهيونية . ومن ضعف القوى الروحية والعسكرية ومن الحرص على مظاهر الملك والسلطان وانتهوا إلى اتخاذ القرارات الآتية:

١ - تأييد السيد الرئيس جمال عبد الناصر في سياسته الحياضية ودعوته إلى القومية العربية

٢ - الاستمرار في بث الوعي واليقظة في نفوس المسلمين والعرب حتى يعود الفلسطينيون إلى أرضهم العزيزة ، وأنه لا استقرار في الشرق ولا سلام مع بقاء هؤلاء مشردين .

٣ - الدعوة إلى الاستمسك بأسباب القوة المادية والروحية .

هو السائب لا عماد بن ياسر

ذكر الدكتور أحمد فؤاد الاهواني في مقاله القيم الذى نشره عن كتاب أندرية سرفيه في مجلة الأزهر وقد علق الدكتور على قول مؤلف الكتاب أنه - أى الرسول صلى الله عليه وسلم - كان مساعدا لتاجر أفشة يسمى سائب علق على هذا القول بالهامش بقوله : (لعله يريد عماد ابن ياسر) والصحيح أن الذى يقصده المؤلف هو السائب الذى قال عنه صاحب الاستيعاب (ابن عبد البر) أن عبد الله بن السائب قال: كان جدى أبو السائب ابن عائذ شريك

زعماء من الأزهر . .

إن مؤتمر التضامن الآسيوى الأفريقى قد لعب دوراً مثيراً فى تدعيم العلاقات بين القاهرة والحركات التحريرية فى قلب القارة الإفريقية ..

وهى علاقات قديمة .. علاقات ساهم مبعوثو هذه البلاد من درسوا فى الأزهر الشريف، فى وضع بذرتها الطيبة منذ سنوات طويلة ..

والشئ الذى لا يعرفه كثيرون أن عدداً كثيراً من متزعمى الحركات الوطنية فى القارة الأفريقية تلقى علومه فى الأزهر الشريف منهم . أحمد الشيخ موسى .. وهو أحد زعماء الحركة الوطنية فى الصومال الإنجليزى حصل على شهادة العالمية فى سنة ١٩٥٦ .

وكان الوحيد من أعضاء وفد بلاده الذى استطاع أن يصل إلى القاهرة للاشتراك فى مؤتمر التضامن الآسيوى الإفريقى .

أما بقية زملائه فقد منعهم الانجليز من السفر ..

ولما عرف الانجليز باشتراكه فى المؤتمر أصدر الحاكم البريطانى قراراً يمنع عودته إلى بلاده ..

• وزعيم آخر درس فى الأزهر الشريف اسمه على جلول .. لقد مثل السودان الفرنسى فى مؤتمر التضامن الآسيوى الإفريقى ...

وهو يشرف فى مدينة باماكو عاصمة السودان الفرنسى على مدرسة افتتحها على أثر عودته إلى بلاده بعد دراسته فى الأزهر لتعليم اللغة العربية ..

وكان الكولونيل موريس مدير الأمن العام الفرنسى فى مدينة باماكو قد حاول منعه من السفر للاشتراك فى المؤتمر الآسيوى الإفريقى ولكنه خدعه وسافر

المؤتمر المسمى والتسمية :

عقد المحمديون مؤتمرهم غير العادى من أعضاء مجالس العشيرة وفروعها بالقاهرة وبحضور ممثلى فروع الأقاليم وممثلى الفروع فى بعض البلاد العربية والإسلامية ؛ وبعد بحث الموقف الجديد بين الشيوعية والإسلام وبين العربوية والانمياح أصدر المؤتمر بالإجماع القرارات الآتية :

أولاً : تجديد بيعة السيد الرئيس جمال عبد الناصر على التأييد المطلق لسيادته فى موقفه الحازم من الشيوعية والإلحاد ومن دعوات المروق من العربوية والإسلام وتفدية موقفه هذا بكل ما يملك المحمديون من الدماء والأرواح والأموال والتوسل إلى الله أن يحفظه درعاً وافيئاً للإسلام والعروبة .

ثانياً : التوجه إلى المسلمين برجاء الابتغال إلى الله والقنوت فى الصلوات الخمس والجمع

والحياة الفاضلة وعلى الروابط والتاريخ والمواريث المقدسة .

خامساً : انتهاز هذه الفرصة لمضاعفة الجهد في الدعوة إلى فضائل الإسلام وروحانيته الكبرى وبيان كنوز أسرارهِ وحكْمه تشريعهُ ومدى ارتفاعه بمستوى الإنسان وتكريمه والعدالة المطلقة في قوانينه والأمن الشامل في الاعتصام به .

سادساً : دعوة الهيئات الدينية والاجتماعية والثقافية والأزهر والطرق الصوفية إلى التعجيل بعقد مؤتمراتهم لمواجهة الخطر الشيوعي والصهيونية التي تؤازره واتخاذ القرارات اللازمة لحماية الدين والوطن في هذه الفترة التاريخية الخطيرة .

سابعاً : الإلحاح في دعوة الهيئات الإسلامية بمصر لإعادة تكوين اتحادها العام على أصول جديدة يحفظ لكل هيئة ميزتها وتأخذ بيدها إلى غايتها وتتهيأ للاتحاد فرصة المقاومة الجماعية للدعوة الشيوعية وما يليها من المذاهب الهدامة والاتجاهات القاضية على موارِث الإسلام والعروبة مع دعوة الهيئات الإسلامية بالشام إلى الإسهام في هذا الاتحاد .

ثامناً : عقد مؤتمرات فرعية للعشيرة بمناطق يجمع العمال في الأقاليم والمدن لتحسينهم

بمختلف المساجد أن يقصم الله ظهور الجبارين المتعمردين على العروبة والدين وحماة الشيوعية الفاجرة بالعراق وأن يجعل بأسهم بينهم وأن يتغمّد برحمته الشهداء من علماء الإسلام وزعماء العرب وأن يتولى أسرهم وذرياتهم بحفظه ورعايته حتى تنجلي هذه الحُمة المبررة .

ثالثاً : مناقشة فروع العشيرة بالجمهورية العربية المتحدة ثم بالبلاد العربية والإسلامية مضاعفة الجهد في تبصير الناس أثناء الخطب والدروس وعقب الصلوات بالدمار الهائل الذي تضمره الشيوعية لدين الله ولكرامة البشرية فهي دعوة هدامة لا تعترف بألوهية ولا بنبوة ولا بكتاب سماوى ، ولا تحفظ للإنسانية حرمة ولا تعرف للقيم الأخلاقية وزناً ولا تؤمن إلا بالإرهاب والوحشية والفتك والدم والإباحية المجنونة ، فمقاومة هذه الدعوة فرض عين على كل مسلم ومسلمة لا يقبل الله عنها عذر معتذر .

رابعاً : استصدار نشرات عامة توزع في كافة أماكن التجمعات باستنكار أعمال الشيوعية بالعراق والتعريف بحقائقها ومبادئها وأهدافها وما أصاب المسلمين ومقدساتهم منها وبخاصة في الجمهوريات التي ضرب عليها الستار الحديدي مع عقد ندوات بمختلف الأندية لمناقشة هذه الدعوة وبيان خطرها على كل المعاني الرفيعة في البشرية

من المارقين . يحاربون العرب ويحصدون الإسلام . بمنجل ، البغي ، ويحطمون العروبة بمطرقة ، الظلم .

أيها العربي ! إن دين الله ومذهب الشيوعية ضدان لا يجتمعان . إن دين الله يحمي الأعراس ويصون النفوس ويحفظ الإنسان ، ويحفظ لكل امرئ بما جنى من سعي حميد وكسب مشروع (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) ويؤيد المساواة الصحيحة ، ويقوى إرادة الفرد ، ويؤكد العلاقات الاجتماعية ، ويحترم نظام الأسرة .

ومذهب الشيوعية يهتك الأعراس ويزهق الأرواح ، ويضيع الأنساب ، ويقضى على مواهب النابهين . ويدع حرية الفرد كريشة في مهب الريح ، تتقاذفها الأهواء ، وتنوشها الأطماع ، ويحطم العلاقات الاجتماعية . ويقطع الصلة بين الآباء والأبناء . فقل لهؤلاء (إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضرؤا الله شيئا وهم عذاب أليم) .

أيها العربي : تقرر الشيوعية أن الدين أفيون لتخدير الشعوب ، وتزعم أن الله من خلق الإنسان ، وتجعل للبادة في حياة الناس المكان الأعلى ، والمنزلة السامية ، وترى أن الديانات هي العقيدة الأولى في طريق التقدم المدني فقل لهؤلاء :

ضد الشيوعية والاتحلال الاجتماعي والديني واخذ بيعتهم على كفاحها واجتثاث أصولها .

تاسعاً : التوجه إلى الحكومات والشعوب العربية والإسلامية برجاء التعاون الجماعي على مكافحة الوباء الشيوعي والقضاء عليه في مهده قبل أن يجد سبيلا إلى الحياة في أية منطقة من مناطق العروبة والإسلام .

محمد زكي إبراهيم
رائد العشيرة المحمدية

نداء منه شيخ المهر العربي بدرمهر

(إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الآذلين ، كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوى عزيز ، لانجسد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) .

أيها العربي ! في هذه الآونة العصيبة ، تمر عاصفة إلخاذية رهيبة ، حول إقليم عزيز من الوطن الكريم . . .

إن بغداد التي شهدت الخلافة في أبيه خللها وأعظم عصورها ، ورأت أجماد الدين تعانق أجماد الدنيا ، وشعت منها أضواء الثقافة الإسلامية ، وأنوار المعرفة العربية . أصبحت اليوم تموج بأخلاق من الملحدن ، وأمشاج

بترحيكم بالتعاون الوثيق بين مشيخة الأزهر
الموقرة ومعارف الكويت في مجال نشر الثقافة
الإسلامية — وإنني أشكر لفضيلتكم ما
أبدىتموه من معاونة صادقة لمعارف الكويت،
سواء في وضع الأسئلة لامتحان المعهد الديني
الكويتي أو في اختيار الأساتذة للتعليم لدينا،
أو في استقبال طلبتنا الذين يدرسون
في الكليات الأزهرية . ويسرني أن أشيد
بالتفاتكم الكريمة في دفع تكاليف وضع
أسئلة الامتحانات لمعهد الكويت من
ميزانية الأزهر .

هذا ويطيب لي في الختام أن أدعو الله أن
يسدد خطاكم ويديم توفيقكم لخدمة الإسلام
والعروبة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عبد الله الجابر الصباح

رئيس معارف الكويت

(د أفن يمشى مكباً على وجهه أهدي .
أم من يمشى سوياً على صراط مستقيم ، « أو من
كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به في
الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها »
كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون ») .

أيها العربي: لقد مرت بنا من قبل أحداث
جسام . وخطوب عظام . أثبت الله بها الأمة
الإسلامية لبيلو صدق الإيمان من زيف
الآراء ، ويختبر قوة اليقين من ضعف الأهواء
(ونبلوكم بالشر والخير فتنة) .

وسينتصر شعب العراق على طغمة البغي .
وشردمة الفساد فالنصر دائماً للحق .

« فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع
الناس فيمكث في الأرض »

شيخ المعهد

عبد العزيز محمد سميح

إلى الأستاذ الأكبر :

من رئيس معارف الكويت

صاحب الفضيلة شيخ الجامع الأزهر
الشريف .

تحية من عند الله مباركة طيبة : وبعد لقد
تأثرت جمعية علماء سوس ببندائكم التاريخي
الموجه إلى المسلمين في سبيل الدفاع عن الإسلام

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر
الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته — وبعد
فقد تلتقيت بكتابكم الكريم الخاص

السرور ، ما علمته بلسانكم ، حين تشرف وفد
مديرى مدارسها بمقابلتكم ، عن استعداد
الأزهري الشريف لتزويد مدارسها بالأساتذة
لتلقين كتاب الله وتدريس الدين الحنيف .

وإذ تهنتكم الجمعية على هذا الموقف الشريف
ترجو الله تعالى أن يوحد صفوف المسلمين
ويهديهم إلى ما فيه سعادتهم الدنيوية والآخرية .
تارودنت الحسين وجاج

إننا نشكركم ، سائلين المولى عز وجل ، أن
يحقق على يديكم الآمال ، وأن يقيمكم ذخراً
للإسلام والعروبة .

وصى رئيس جمعية المقاصد الخيرية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد ، فإن جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية
في بيروت ، التي وقفت نفسها لتعليم أبناء
المسلمين في لبنان أمور دينهم ، قد سرها غاية

صائب سلام

رئيس جمعية المقاصد الخيرية

الإسلامية في بيروت

من طرائف الحكمة

الدنيا كالنار ، قليلها متاع وكثيرها بوار .

الدنيا كالماء المالح ، كلما ازدادت منه شرباً ازدادت عطشاً .

المتصل بمال السلطان كالسفينة في البحر ، إذا أخذت منه في جوفها أخذها في جوفه .

المصلح في الأمة كالصباح في الصحراء ، لا ينشر ضوءه إلا إذا تركته الرياح آمناً .

الكتاب

نقد وتعریف

مرآة الإسلام للدكتور طه حسين
بقلم الأستاذ محمود الشرقاوى

٣١١ صفحة . قطع متوسط طبع دار المعارف

بين جازع ومنكر وجلد يذكر قول الله تعالى :
إنك ميت ولمنهم ميتون وأمثال ذلك
من القرآن .

فإذا انتهينا بالقراءة إلى الصفحة المائة
والثلاثين ، انتهى بنا المؤلف في إنجاز شديد
وفي وضوح شديد أيضا إلى وفاة النبي هذه .
ثم نبداً بعد ذلك نرى في مرآته الصافية المعبرة
ما كان من أمر صحابة النبي وأمر الإسلام
بعد وفاته عليه السلام ، ثم ينتهي الكتاب
الأول من « مرآة الإسلام » بعد ذلك
بست عشرة صفحة حين ينصر الله أبا بكر
في حروب الردة . وحرب الكاذبين من المنتهين .
وحين نجد جزيرة العرب قد عادت كلها خالصة
للإسلام لا نسمع فيها غير كلمة التوحيد .

ثم يبدأ بعد ذلك الكتاب الثانى عن
أصل الإسلام : الكتاب والسنة ، التى ثبتت
عن النبي ثبوتاً قاطعاً أو راجحاً ، كما قال .

١ — كتاب عن حياة العرب فى الجاهلية ،
قراها ومدنها وصحاراها وقبائلها الكبيرة
وعلاقات العرب هؤلاء بمن حولهم من الناس
والحضارات . وعن صدر الإسلام وإرهاصات
النبوة وحياة الرسول وشبابه ونبوته ،
والقرآن والوحى والصحابة وحديث
الرسول وأثره فى المعاصرين له الذين عرفوه
وأخذوا عنه وتأدبوا بأدبه وتابعوا -
بكل ما يستطيعون من الجهد - سيرته ، وتخلقوا
بخلقها ، والذين عرفوه وأخذوا عنه وعاشروه
ولكنهم لم يتأدبوا بأدبه ولم يتابعوه . بل
خالفوا عن أمره وناقضوه وآذوه وآذوا
صحابته والمسلمين أذى شديداً ؛ لأن الله شاء
ألا يهديهم وألا ينفعهم بما بين أيديهم من
أعظم الهدى وأكرم المثل فاختاروا لأنفسهم
شراً ما يختار المرء لنفسه . ثم يذكر بعد ذلك
وفاة النبي وأثرها فى الصحابة وكيف تلقوها

حديثه عن الفتنة التي فرقت أمر المسلمين بقتل عثمان وحروب على وعائشة ومعاوية . وهي صراحة لا نجدها بمثل هذا الوضوح والإفصاح في غير هذه المواضع من الكتاب . وأبرز مثل وأقواه عن هذه الصراحة والإبانة ما تحدث به عن عائشة في موقعة الجمل ، وعن معاوية وصحبه وابنه يزيد من بعده .

ثم يبلغ الكتاب ذروته وينتهي إلى غايته من الصدق والعمق وقوة التأثير والتأثير عندما تقترب من نهايته في ذلك الحديث الرائع الصادق عن اختلاف المسلمين إلى فرق في السياسة ، وفرق في المذاهب والآراء . تبلغ بهم هذه وتلك مبلغ الخصومة والحرب وسفك الدم ، وكلهم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وكان حرياً بهذه الشهادة أن تعصم دماء بعضهم من بعض ، وحسابهم بعد ذلك على الله كما قال النبي عليه السلام في بعض الحديث . ولكن الله إذا أراد ب قوم سوءاً فلا مرد له .

وهو في ذلك يلخص في إيجاز شديد ولكنه واضح بين أمر هذه الفرق المختلفة من المعتزلة والمجسمة والمشبهة والمؤولة والمتصوفة والمرجئة والشيعة وأصحاب المنزلة بين المنزلتين ، وتأثير المسلمين في ذلك بما عرفوا من ثقافة اليونان وفلسفتها خاصة . ومن مجادلة اليهود والنصارى في دينهم .

وفي ذلك الفصل نجد حديثاً قيمياً دقيقاً واضح البيان عما سماه المؤلف « خصائص الإيمان والإسلام والإحسان وما يجب على من يتصف بها أن يعمل له لنفسه وللناس من الفضيلة والخير ، وأن يجتنبه من الأذى والشر . وفي هذا الفصل نجد الكلام عن الحديث وقبوله وحجته قصيراً معتمداً في القصر ولكنه واضح حاسم في الأخذ بالحقيقة والحذر في ذلك ، فعلى رغم ما بذل أهل الحديث من الجهد في تصفيته وتنقيته والتحري عن رواته في صدقهم وكذبهم وعدالة سيرتهم وضعف ذاكرتهم أو قوتها وقلة التثبت أو الأخذ عن لا يصح الأخذ عنه ، على رغم هذا كله « ظل من الواجب على كل مسلم حين يروى له الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أن يحتاط قبل الأخذ به ، وأن يعرضه على القرآن ، فإن كان لا يناقض القرآن في قليل ولا كثير ، ولا يناقض « المألوف » من سيرة النبي وعمله ، أخذه به ، وإلا وقف فيه » .

وبعد أن نقرأ حديث المؤلف عن دعوة الإسلام هذه التي بشر بها النبي عليه السلام وعاش لها وفصلها بالقول والعمل . يتقلم بنا الكتاب إلى حديث آخر عن تلك الفتنة المحزنة التي أصابت حياة المسلمين بعد مقتل عثمان .

صراحة في الحديث نجدها قوية واضحة في

التي تطلعها عن الإسلام نجد بعض الملاح مبسوطه معروضة متأثر بها النفس ويتألمها العقل . ونجد بعضها الآخر قويا مسيطراً بأسر النفس أسراً ويستولى على العاطفة استيلاء تاماً . نجد صوراً تفيض بالروعة والصدق والبراعة يكاد القارئ لا يستطيع حبس دمه أن ينساح على خده مسحوراً بها مأخوذاً بقوتها وروعها وصدق تصويرها ودقة اللمس فيها، كتلك التي صور فيها المؤلف عودة النبي من وفادته على ثقيف محزوناً مكروباً وقد آوى من التعب والجهد إلى ظل بستان من العنب ، وما كان بينه وبين عداس يوم ذاك . وتلك التي قص فيها قصة كعب ابن مالك الأنصاري وزميليه الذين تخلفا معه عن غزوة تبوك ، وكيف صدق كعب « رسول الله فلم يعتذر كذباً ، وكيف فوض النبي عليه السلام أمر كعب وأمر صاحبيه إلى الله . ثم أمر صحابته بجفوتهم وهجرهم خمسين يوماً حتى نزل فيهم قرآن غفر الله لهم فيه . وهي قصة رائعة حقاً لكعب . صورها قلم المؤلف تصويراً لا يجارى ولا يبارى في الصدق والعمق وبراعة الأداء لم أستطع معه حبس دمي كما لم أستطع حين قرأت حديثه عن عودة النبي من وفادة ثقيف . وكذلك تلك التي تحدث فيها عن حديث النبي

وهو في هذا الفصل الموجز الواضح البين قد تلخص بمقدرة فائقة هذه المذاهب المختلفة التي شق الناس وما زال بعضهم يشق في فهمها وإدراك معانيها عن تلك الكتب الكثيرة المعقدة التي تفصلها وتحدث عنها في توسع أو إيجاز ، أو توسط بين التوسع والإيجاز . وأشهد أني فهمت من حديثه هذا الواضح الدقيق عن قول المعتزلة في خلق القرآن أكثر وأدق وأوضح مما فهمت عن هذا القول فيما قرأت من الكتب في ذلك - وما هي بقليلة . وفهمت هذا الذي فهمته كثيراً دقيقاً واضحاً في صفحة وبعض صفحة من «مرآة الإسلام» .

ثم ينتهي الكتاب بصفحات موجزة أيضاً عن حاضر الأمة الإسلامية وعن السبيل إلى يقظتها ونهوضها ، وهو حديث يوشك أن يكون ثورة ، ستعود للحديث عنه في ختام هذا المقال .

وبسكني أن أقول إن هذه الأجاديث كلها نطالعتها في «مرآة الإسلام» بقلم طه حسين ، وما أنا بحاجة بعد ذلك لأن أصف ما فيها من الرقة والدقة والصفاء والخلاصة الأخاذة الأسرة والوضوح .

٢ - والمرآة من شأنها أن تظهر وتوضح وتبرز ، وليس من شأنها أن تعلل وتحلل وتظهر على الأصول والأسباب . وفي المرآة

كان خيراً لنا وللقرارىء أن نسمع فيها منه شيئاً من الإبانة والتفصيل والتعليل : كذلك القضية التي سجل فيها أن « أمراً ما » جعل المسلمين « يأخذون كثيراً من العلم عن زوجات النبي بعد وفاته » ، وكما كنا ننفيد ونفهم لو أن الدكتور المؤلف شرح لنا هذا الأمر .

وهناك أشياء تحتاج كذلك إلى شيء من الإفصاح والبيان ، فإن لم أفهم مثلاً قوله في إعجاز القرآن : « إن الذين يقرءونه أو يسمعونونه دون أن يؤمنوا به يكذبون على أنفسهم ... الخ (ص ١٥١ - ١٥٢) » وبعد هذه الصفحة نفسها أمور يمكن أن تناقش وتمتحن وتمحص .

٣ على أن هناك أشياء أخرى قرأتها ووقفت عندها ولعل لأهل العلم والخبرة فيها رأياً . فهو يرى أن السورة التي تتناول موضوعاً واحداً من سور القرآن « يرجع » أنها نزلت جملة (ص ٨٩) ، وكذلك تلك التي « تدعى موضوعاتها تداعياً شديداً ويلتزم فيها نسق بعينه » . وكذلك العكس . وما أدرى في سور القرآن ونزولها هل يمكن الفهم والاستنتاج والترجيح ؟ .. أم الأمر كما نعرف أمر توقيف لا مدخل فيه للفهم والاستنتاج والترجيح ثم نجد فوق ذلك آراء لا يذكرها الدكتور المؤلف على أنها « ترجيح » بل يذكرها بوضع يكاد أن يكون ملزماً قاصداً .

قبل موته عن ذلك العبد الذي خيره الله بين هذه الدنيا وما عنده فاختار ما عنده : ذلك الحديث الذي أدرك منه أبو بكر وحده أن رسول الله راحل عنهم إلى ربه فقال : بل نقديك بآبائنا وأمهاتنا . وتلك الصفحات الرائعة من أول الكتاب الثاني ، التي بين فيها أن معجزة النبي الكبرى هي القرآن .

وإلى جانب هذه الصفحات الواضحة البينة ، نجد يطوى بعض الأمور طباً ويتحاشى بذلك المسالك الشائكة والأمور التي يتجادل فيها أهل التفسير وأهل السيرة وأهل العقيدة فهو يروى قصة الإسراء وتكذيب قريش لها واستهواها قول النبي فيها ، يروى ذلك كله في سطور قليلة ولكنها تسير على القول بأن الإسراء كان بالجسد . وبذلك يتحاشى كل هذا الذي قيل من أنها كانت بإسراء الروح أو أنها كانت رؤيا منام . إلى آخر هذا الجدل الذي نجده عند أهل التفسير وأهل السيرة وأهل العقيدة . والدكتور المؤلف متلائم بذلك مع دعوته التي يدعو إليها في الكتاب . وهي أن نأخذ القرآن بظاهر لفظه ونفهمه كما فهمه صحابة الرسول يوم نزل على النبي ففلاهم عليهم . وأن نقف عند ذلك . ونجد كذلك من الأمور التي طواها وتحاشاها حديثه عن الإيمان .

ويعر كذلك مروراً عابراً على قضايا

من السخف لا ينبغي أن يقبل أو يطمأن إليه ،
ثم نجده يقول بعد ذلك بقليل إن العرب
لما يكادوا يتأثرون تأثراً ذابال بمن جاورهم
من اليهود والنصارى ، ويجعل حكمه هذا
شاملاً لأهل الوبر وأهل المدر على السواء .
ويقول إن قريشاً « لم يثبتوا ، وفروا »
عند ما قدم أبرهة لهدم الكعبة . ثم يقول قبل
ذلك بصفحة واحدة إن عبد المطلب « أشار
على قريش أن تخلى مكة وتلوذ بشعاف الجبال
وتخلى بين هذا الجيش وبين ما يريد » فقريش
على ذلك لم تحارب ولم تواجه أبرهة بقتال حتى
يقال إنها « فرت ولم تثبت » ، ولا أريد أن
أقول - وحاشى - إن في هذا الذى ذكرته
شيئاً من التناقض . وقصارى أن أقول إنه كلام
يحتاج ، كما يقول العلماء ، إلى « تحرير » .

وكذلك يقول الدكتور إن علياً رضى الله
عنه امتنع عن بيعة أبى بكر أول الأمر لأن
هذا منع فاطمة ميراث أبيها عليه السلام .
فغضبت لذلك وغضب معها على . وحديث
مطالبة فاطمة أبى بكر بميراث أبيها حديث
واقع صحيح نعرف جواب أبى بكر عنه وأنه
قال إنه سمع رسول الله يقول : « نحن معاشر
الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة » ، واقع
صحيح أيضاً أن فاطمة غضبت من أبى بكر
وغضب معها على وظلا مغاضبين له حتى ماتت
فاطمة بعد ستة أشهر . ولكن المؤرخين الثقات
- ونحن معهم - ينكرون أن يكون منع

فهو يرى مثلاً أن سورة يوسف « أنزلت جملة ،
وكذلك يقول القول نفسه في سورتي « هود ،
و « الأنفال » ، ويذكر لذلك أسباباً
شرحها . ولكننا حين نفتح المصحف
بين أيدينا على مطلع سورة يوسف نجده
يسجل أنها « مكية إلا الآيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٧
فمدينية » ، وحين نبدأ في القراءة من الآية
الرابعة - حيث تبدأ قصة يوسف نفسها - نجد
الآية السابعة في موضوع القصة أيضاً . وهى ،
كما نجد في المصحف مدينية . بين آيات مكية
« تحدث عن موضوع واحد ، وكذلك الأمر
في سورتي « هود ، و « الأنفال » ، فالأولى
منهما نجد المصاحف تسجل أنها : مكية ،
إلا الآيات ١٢ ، ١٧ ، ١١٤ فمدينية ، والثانية
يسجل المصحف أنها : « مدينية إلا من آية ٣٠
إلى غاية آية ٣٦ فمكية » .

وإني أسجل هذا الذى قرأته في « المرأة ،
ووقفت عنده لأقول إن أهل العلم والخبرة
قد يكون لهم رأى آخر .

ويقرر الدكتور المؤلف في صدر الجزء
الأول من الكتاب أن العرب كانوا يعرفون
كثيراً من شؤون الفرس والروم والحبشة
أيضاً ، ويذكر من تنصر من قريش كورقة
وزيد بن عمرو . كما يذكر شعر النابغة وزهير
والأعشى وأمية بن أبى الصلت الذى كاد أن
يسلم كما تحدث عنه النبي عليه الصلاة والسلام .
يقول « إن القول بعزلة الأمة العربية سخف

- ما نلى - عليها، ويلتزم، ويدعو لأن نلتزم،
هذه القاعدة في فهمه وتفسيره .

وهذه دعوة نعتقد أنها صواب وحق .
وأنها جاءت في وقت الحاجة إليها . فقد نجد
الآن اتجاهها أو رغبة أو لفة على تفسير القرآن
بالعلم أو في فهم الآيات التي تعرضت للكون
والحياة والخلق فهماً عليها . وهي نزعة نزعتها
في العصر الحديث المرحوم الشيخ طنطاوى
جوهري . فلقيت رواجاً وتقديراً في بعض
البيئات الإسلامية النائية . ولكنى أعتقد
أنها تنطوى على مخاطر نحن في غنية عنها وعن
تعريض القرآن والعقيدة لها .

وقد رأينا قبل مائة سنة مفسراً عظيماً يفسر
آية من كتاب الله مستخدماً ما عرف من العلم،
فتحدث عن تجربة وصل إليه خبرها عن
الطيران وأن من حاولها سقط بطائرته .
ففرح صاحبنا المفسر الشيخ وقال إن هذا
الذى حاول الطيران قد ذهب إلى حيث
ألقت ، و « وتلقفته جهنم » لأنه أراد أن
يستخدم الريح التي سخرها الله لسليمان وحده
وجعلها له معجزة وكرامة .

ولذلك ينكر الأستاذ الدكتور طه حسين
تفسير الإمام محمد عبده للطير الأبايل التي
ذكرت في سورة الفيل ، وأنها كانت من
المكروبات التي تحمل المرض . وكذلك نجد

أبى بكر فاطمة من ميراثه أباها هو السبب في
أن يحجب على البيعة عنه حتى تموت فاطمة .

٤ - - والدكتور المؤلف يستخدم القرآن
استخداماً جليلاً موفقاً في رسم الصورة عن
حياة النبي وعن سير الدعوة أول أمرها
خاصة ، وعن علاقة النبي عليه السلام باليهود
وما لقي منهم من شر وأذى ونكر .
وما صنعوا معه من المكر والخيل ، ومجادلته
لم وللنصارى عن إبراهيم وعيسى وغير ذلك
وتصويره لنفوس المناقذين وحياتهم وموقفهم
من النبي والمسلمين تصوير رائع سهل عميق .
وقد استخدم المؤلف آيات القرآن الكريم
أصدق استخدام وأجمله في مواضعها من ذلك
كله . كذلك استخدم شيئاً غير قليل من العلم ،
وعلم النفس خاصة في تحليل الصور التي عرضها
أو تحليلها . كذلك الذى فعل عند حديثه عن
رأس الشرك : عبد الله بن أبى بن سلول
وكيده للسليين وشفاء حقهده عليهم وعلى
النبي عليه الصلاة والسلام .

ويرى أن القرآن هو معجزة النبي الكبرى
والتحدى به ثم عجز قريش عن تقليده
والإتيان بمثله هما دليل صدقه والآية على
أنه من كلام الله ، وكذلك الملاءمة بين
موضوعات الآيات وبين صياغة القول ونسقه
ويرى - كما أشرنا من قبل - أن القرآن
يجب أن يفهم كما فهمته صحابة الرسول أول

صحيحة . ونحن نعرف أن ذلك قول الإمام ابن حنبل رضى الله عنه .

هـ - وفي « مرآة الإسلام » أشياء أحسست وأنا أقرأها أنها قد تشير إلى شيء . وأنها تثير بعض التأمل والتساؤل . من ذلك قول المؤلف إن العرب قبل الجاهلية لم يكونوا بدائيين ، بل كان لهم شيء من حضارة نالوها بحكم صلاتهم بمجاوريهم من الفرس والروم ، وأنهم كانوا يتصلون بأهل اليهودية والمسيحية كما كان أهل مكة يتصلون « بأهم متحضرة في الشام ومصر وفي العراق وبلاد فارس أيضاً . وكانوا « يرون » مذاهب هذه الأمم في الحياة ومذاهبهم في الدين أيضاً . فلم يكن من الممكن - كما يقول الدكتور - أن يؤمنوا بهذه السخافات التي كان يؤمن بها العرب الوثنيون . » وكذلك قوله إنه كان في مكة أجنب أكثرهم من المسيحيين وفيهم اليهودي والمجوسي . وأن قريشا كانت تحس ، قبل البعثة بقصور حياتها الاجتماعية عن إقامة العدل بين الناس ، ولذلك كان تحالف طائفة من خيارهم وسادتهم في حلف الفضول الذي شارك فيه النبي وأثنى عليه . فهل لهذه الحقائق والإشارات صلة بقضية الدين وتأثره بالبيئة . . . ؟

وفي المرأة أشياء كان فيها المؤلف حذراً حذراً يلائم المقام ولا يتعارض مع آراء

الدكتور طه متمشياً مع قاعدته تلك في تفسيره للآية الكريمة : « وما يعلم تأويله إلا الله » والراسخون في العلم يتولون أمنا به كل من عند ربنا ، فيجعل علم تأويله لله وحده . والراسخون في العلم يؤمنون به من غير علم بتأويله . وكما يضع هذه القاعدة في فهم القرآن - أو يختارها - كذلك يضع أو يختار قاعدة في علم الحديث وهي أن صحة السند ليست دليلاً على صحة الحديث نفسه . ويقول إن « القرآن جامع لما يحتاج له المسلمون ، وهو كما يتشدد هذا التشدد في فهم القرآن وفي تقبل الحديث يتشدد كذلك في فهم - أو في قبول - الإيمان وفي حقيقة العقيدة وأداء التكليف . فهو يرى أن « حسن النية وصدق الإيمان ، حين أداء العبادة شرط لصحة هذه العبادة . ويقول في ذلك كلاماً جميلاً وددت لو أقتبسه كله لولا أني أظلت إطالة لم تكن لي على بال . وخلاصة هذا الكلام الجميل أن لإخلاص النية لله فيما يؤدي الإنسان من الفرائض وما يأتي من أعمال الخير والبر شرط لصحة ما يأتي وما يدع ، وقبول ذلك من الله تعالى ، والنية لا تكون بالأسنة وحدها وإنما يجب أن تكون في أعماق القلوب ، بإخلاص النية وصدق الإيمان عند العبادة ليسا عنده شرط كمال فقط ولا قبول فقط ، بل هما « شرط صحة ، لهذه العبادة . وهي بدونهما فاسدة غير

فإذا بدأنا نطالع الصفحة التاسعة والثلاثين بعد المائة فنحن نبدأ الكتاب الثاني من «مرآة الإسلام» فنجد فصلاً جليلاً مفصلاً موجزاً معاً عن الأصل الثاني من أصل الإسلام: الحديث. وفي هذا الفصل الجليل المفصل الموجز نجد شرحاً بيناً واضحاً لمسائل من شئون الدين والعقيدة أغنانا بها المؤلف عن مراجعة عسيرة شاقة لعشرات من الكتب والشروح والحواشي والتقارير إلى آخر هذه الأسماء التي عرفها وعرفناها ويعرفها من يريد أن يقرأ هذه المسائل من شئون الدين والعقيدة في المؤلفات القديمة التي أبيض ورق بعضها وبقي ما في هذا الورق من العلم والجدل والخلاف كما هو.

نجد شرحاً بيناً واضحاً للسنة الفعلية والقولية وأن «ما ثبت منها» قد أمر المسلمون بأن يعتقدوه ويعملوا به، وأن النبي بحديثه هذا كان أول مفسر القرآن بالقول والعمل. ونجد شرحاً موجزاً ولكنه واضح عن الإيمان وأنه يزيد وينقص ولا داعي لتكلف الدليل على ذلك فقد نص الله على ذلك في القرآن. كما نجد شرحاً بيناً موجزاً عن فرق ما بين الإيمان والإسلام. وهو في هذه الأحاديث كلها لا يعتمد إلا على القرآن ولا يستدل بشيء غيره. ثم تيسير في أحاديث بارعة صادقة خلاصة مفيدة أشرنا إلى شيء

قررها من قبل في كتب سابقة له معروفة قلوبها الناس يوم قرأها بقليل من الرضى وكثير من الغضب؛ ولكنها كانت مثار اهتمام من هؤلاء وهؤلاء جميعاً، نجد لذلك مثلاً من قوله: «إن صح ما نسب إليهم من الشعر» يقصد بذلك الشعر الجاهلي. وهو يذكر في مكان آخر كلمة «الشعر» مجردة من نسبتها ووصفها. وهذه قضية قديمة يمسها الدكتور مسأً هيناً رقيقاً. ونجد لذلك مثلاً آخر حين يتحدث المؤلف عن الخصومة بين قريش وعبد المطلب وعن احتكامهم إلى الكهان في هذه الخصومة وعن تلك الآيات التي ظهرت لقريش. فيما يقول أصحاب الأخبار. فأقنعت هذه الآيات قريشاً بأن عبد المطلب ليس متكذباً ولا متكلفاً. وهو في هذه المواضع وأمثالها يكثر من ذكر كلمات: «فيما يقول الرواة» و: «قال أصحاب السيرة» و: «ويقال» و: «يحدث رواية السيرة» وأمثال هذه الجمل والكلمات. ويذكر بعض ذلك في حديث الغار يوم الهجرة ثم يتأمل بعد هذه الجمل الاعتراضية انتقالاتاً بارعة فيقول: «والشيء الذي لا شك فيه أن أبا بكر قد كان قلقاً في الغار يخشى أن يدركما الطلب» ثم يذكر قول الله تعالى: «إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار» الآية.

النشاط الثقافي للأزهر

محاضرات عامة وخاصة :

ليستمعوا إلى برامج المحاضرات التي نسقتها
الإدارة العامة للثقافة الإسلامية . .

والحياة التي سرت في أرجاء هذه القاعة
الفسيحة تسد فراغا كان أولو الغيرة يشعرون
معه بالضيق ، فإن الجامعات الكبرى بالشرق
الإسلامي - وفي طليعتها مثلاً الجامعات

بدأت قاعة المحاضرات الكبرى بالجامع
الأزهر تؤدي رسالتها المشدودة ودب النشاط
مضاعفا في هذا المكان العتيق ، فإذا هو بعد
ركود طال أمده يستقبل ألوف الوافدين

٧ - هذه نظرات في مرآة الإسلام ،
نقول بعدها إن هذا الكتاب هو أصلح
ما يمكن أن يوضع بين أيدي تلاميذ المدارس
وطلبة السنوات الأولى من الجامعات ومن
في مستواهم ليعرفوا منه ما لا بد أن يعرفوا
عن الإسلام ونزوله ودعوته . وعن القرآن
وحديث الرسول وأصول العقيدة . ثم هو
بعد ذلك خير ما يمكن أن يترجم إلى اللغات
الأوربية وغيرها ليعرف منه غير المسلمين
ما يجب أن يعرفهم به من ذلك . هذه المرآة
أعتقد أنها خير ما يمكن أن يترجم إلى اللغات
الأخرى للتعريف بالإسلام ، لولا أني أخشى
سوء الأثر وسوء الفهم من ترجمة فصوله
الآخيرة التي صور فيها انحراف المسلمين عن
قرآنهم ودينهم وسنة نبيهم .

منها من قبل ، حتى ينتهي بنا الكتاب إلى
« حاضر الأمة الإسلامية » فإذا نحن أمام
حديث مخلص يوشك أن يكون ثورة جارفة .
وتنبية وإنذار شديد الوقع قوى صادق
العاطفة يتلوه ما يراه صاحب المرآة - ونراه
معه - سبيلا لليقظة والنهوض وإصلاح
حاضر الأمة الإسلامية . وبذلك يوفي
الكتاب على غايته .

ولعل هذا الكتاب أول كتاب يقرأه
الناس للدكتور طه حسين وعن تلك الدار
التي أخرجته وطبعته خاصة نجد فيه خطأ
ولحناً وقصوراً في الفواصل ، وقد كان ذلك
محملاً لولا أنه أخفش في الكثرة ، ولولا أنه
تعدى حديث المؤلف إلى الخطأ في آيات
القرآن الكريم ، كما نجد في صفحات ٨٦ ،

على عبد الواحد وافي ، وكان الموضوع الذي تسلك فيه محاضرات الدكتور محمد البهي هو « الشيوعية - الاستثمار - الصهيونية » ، أما الأستاذ المدني فتحدث تحت عنوان « من القرآن » ، وتولى الدكتور وافي الكلام عن نظام الملكية في الاسلام .

ولا تزال دورات هذه الدراسة الأسبوعية تحفل بها قاعة المحاضرات . بين وفود متجددة من أنحاء القطر يذهب فريق ليحل مكانه آخر أما المحاضرات العامة فقد ألقى خلال هذا للشهر عدد منها مساء كل ثلاثاء ، فتحدث الأستاذ السيد على السيد رئيس مجلس الدولة عن الاسلام والعلم ، ومحاضرته منشورة في هذا العدد ، والأستاذ الدكتور مصطفى الحفناوى عن فكرة الدولة في الاسلام ، والدكتور محمد البهي عن الاسلام دين المستوى الكامل في الانسانية ، والدكتور على عبد الواحد وافي عن الاسلام في المجتمع العربي ، كما ألقى الأستاذ الحاج آدم خالد نائب رئيس وزراء أندونيسيا ، ورئيس حزب نهضة العلماء محاضرة حول التضامن الاسلامى . كما ألقى الدكتور / محمد عبد الله العربى محاضرة موضوعها - الإلحاد الشيوعى وآثاره فى النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

وألقى الأستاذ / محمد فريد ابو حديد محاضرة جيدة عن الموارث الثقافية فى حياتنا .

الأمريكية بالقاهرة ويروت - تولى قاعات المحاضرات اهتماما خاصا ، وتقدم لروادها زادا معينا من الأفكار والمشاعر ، فكان لا بد أن يضطلع الأزهر وهو الأمين على تراث العروبة والإسلام بعبء التوجيه الصحيح وأن يصل الأجيال المعاصرة بمصادر انبعاثها الروحى والعقلى مصفاة من كل شائبة ، وأن يدفع التيارات الدخيلة على ببقى ناحلاد نهضتها المرجوة بآمن من الزيغ والعتار . . وقد عنى المشرفون على القاعة بإقامة نشاطها الثقافى على تلك الأسس الواضحة . فقدموا لوفدين متميزين من المحاضرات .

(أ) البرامج التى يحتشد لسماعها جمهور الوعاظ وأئمة المساجد وتعتمد على التعبئة العلنية المنظمة وتشبه أن تكون استكالا للدراسات العليا التى يحتاج إليها الدعاة والخطباء فى صلاتهم بجمهور الشعب .

(ب) المحاضرات العامة ، وهى علاج لشتى القضايا الاجتماعية والتاريخية على ضوء الحقائق الإسلامية ، ويدعى لسماعها جمهور غفير من المعنيين بهذه الشؤون ، وغيرهم .

وانتظمت الدراسات العليا بالقاعة ابتداء من صباح ٥ شوال سنة ١٣٧٨ ، فى حصص رتيبة ، قام بالمجهود الأكبر فيها الأستاذ الدكتور محمد البهي ، والأستاذ محمد المدني ، والدكتور

النهضة الروحية في الأزهر

اجتمعت اللجنة المشتركة للتعبئة الروحية برئاسة فضيلة الأستاذ وكيل الجامع الأزهر الشيخ محمد نور الحسن وعضوية السادة : الدكتور محمد البهى مدير عام الثقافة الإسلامية بالأزهر والسيد مراقب عام الشؤون الدينية بوزارة الأوقاف والسيد مدير عام الوعظ والإرشاد بالأزهر والسيد وكيل قسم المساجد وذلك بعد ظهر يوم الاثنين الموافق ٢٨ من رمضان المعظم الموافق ٦ من أبريل سنة ١٩٥٩ وقررت ما يأتى :

١ - أن يعد الوعاظ والأئمة إعداداً قصير الأجل لمدة أسبوع على أن يوضع لهذا الإعداد برنامج مفصل ويقوم بهذا الإعداد أساتذة متخصصون ممن عرفوا بالبحث فى مثل هذه الموضوعات على أن تلقى المحاضرات بالأزهر وأن يقوم ثلاثة من الأساتذة المحاضرين بالقاء ثلاث محاضرات يومية .

٢ - أن تقام ندوات علمية يشترك فيها عدد من الأساتذة لمناقشة بعض الفكر والمبادئ التى تنتم بطابع الاعتداء على التوجيه الإسلامى والتى من شأنها أن تغرى الشباب وتنحرف به عن الصراط المستقيم . والأمكنة لإقامة هذه الندوات على سبيل المثال (قاعة المحاضرات) ، (الليسيه فرنسيه) (مدرجات

الجامعة) (قاعة الجمعية الجغرافية) (الشبان المسلمين) بعض أندية الضباط .

٣ - تقوم بعض المجلات الدينية كمجلة الأزهر . والمساجد . ونور الإسلام . بنشر الفكر الموجهة ضد الانحراف والمبادئ الخادعة التى من شأنها أن تفسد عقول الشباب واجتمع ومن أجل ذلك رأت اللجنة استمرار إصدار مجلة الأزهر فى شهرى ذى القعدة وذى الحجة بالإضافة إلى مجلتى المساجد ونور الإسلام . على ألا يقف هذا النشاط الكتابى عند حد هذه المجلات وإنما تزود المجلات الأسبوعية والصحف ببعض المقالات التى لها طابع على لمعالجة هذا الجانب ومواجهة آثاره الضارة .

٤ - وبجانب هذا كله ترى اللجنة الاتصال بمراقبة شئون الثقافة بالإذاعة للإسهام عن طريق المذيعين المجددين فى هذه الموضوعات فى برامجها وعلى أن يخصص بعض الوقت لإذاعة بعض الندوات السابقة .

بيان لعلماء الوعظ والإرشاد

عقد علماء الوعظ والإرشاد مؤتمراً عاماً بالجامع الأزهر برئاسة فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الله المشد مدير الوعظ واستعرضوا ما وصلت إليه الحالة فى العراق من طغيان الشيوعية الهدامة وسفكها لدماء الأحرار فأصدروا هذا البيان واتخذوا هذه القرارات :

من قلب العروبة (دمشق) فولزت قلوب
الهدامين والعملاء المأجورين .

أما هذه الدماء التي بذلها الأحرار في العراق
في سبيل دفع عدوان الشيوعية وفوضى
الإلحادية فهي دماء طاهرة زكية كتب الله
لأصحابها الخلود في جنات النعيم .

وليس جديداً على المسلمين أن يتمخضوا
في عقائدهم ومقدساتهم فطالما نازلتهم الشدائد
وتجمعت عليهم الأحداث فما وهوا لما
أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا .
وإننا لنهيب بجميع العرب والمسلمين
في شتى أقطارهم أن ينهضوا للدفاع عن دينهم
وأوطانهم وأن يبذلوا في هذه السبيل نفوسهم
وأموالهم حتى يؤدوا واجب الجهاد المقدس
الذي فرضه الله على المسلمين في مثل هذه
المواقف الحاسمة في تاريخ الإسلام

وهاهي ذى القراءات التي أصدرها المؤتمر :
١ - استنكار ما تقوم به حكومة العراق
ضد شعب العراق من إرهاب وتقتيل
وتخريب .

٢ - تأييد الرئيس المحبوب جمال عبد الناصر
في وقفته الخالدة ضد الشيوعية الباغية ونصرته
لدين الله ومقدسات العروبة .

٣ - تلبية نداء الأستاذ الأكبر شيخ
الجامع الأزهر بالعمل على أداء الرسالة
وتبليغ الأمانة في هذه الساعات الفاصلة
حتى يتم النصر لله ولرسوله وللمؤمنين .

في هذه الساعات الحاسمة من تاريخ الأمة
العربية يتمتع المسلمون بحوادث العراق
امتحانا يظهر ما في قلوبهم من غيرة على دينهم
ومقدساتهم وما لديهم من قوة كامنة يدفعون
بها الأخطار والشدائد ... لقد اختار أعداء
الإسلام وأعداء العرب ، العراق الإسلامي
ميدانا لجرائمهم ووحشيتهم ظنا منهم أن ذلك
يمكن لمبادئهم الهدامة وشیوعيتهم المخربة ..
وغاب عنهم أن وجه العراق وجه إسلامي
عربي ، منذ أشرق على العالم نور هذا
الدين العظيم ، والمسلمون اليوم في وعي كامل
ونهضة شاملة لا تنطلي عليهم إلا عيب الاستعمار
وهم مطمئنون إلى قوة مبادئ الإسلام
كما يعرفون عن الشيوعية خطرها الهدام
في إنفائها شخصية الفرد واتخاذها آلة صماء
تحركها دكتاتورية طاغية لا تؤمن بإله
ولا تعترف بشيء من القيم الروحية
والمسلمون لن يرضوا أن يكونوا عبيداً
لأحد ولا أتباعاً لقوة تستمد سلطانها
من المادية والفوضى .

إننا سنقف إلى جوار مبادئ الدين الخالدة
مؤيدين بالفطرة السليمة والحجة الواضحة
مقدرين مسئوليتنا في الدعوة . مجاهدين
في سبيل دفع الخطر الدخيل عن بلادنا .
وإن لنا من مبادئ الإسلام التي تحملنا
أمانتها أقوى حافز للكفاح ولنا في قيادة
الرئيس المحبوب جمال عبد الناصر مثل رائع
في وقفته الموقفة وصيحته المدوية التي أطلقها

الإسلام والمسلمون في صحف العالم

أكبر مركز ديني ؛ لما يتمتع به من سلطة وكثرة الطلاب الذين يتلقون علومهم الدينية فيه من أنحاء البلاد ؛ ولأن استعراض النظر إلى الشيوعية الملحدة التي وصفت بأنها أكبر خطر على شعب متدين كالشعب العربي يأخذ في حياته المدنية بتعاليم القرآن ، سيكون حافزاً لاتخاذ موقف سريع إزاء الشيوعية .

ثم أوردت الجريدة بعض الشواهد التي تؤيد دعوة شيخ الأزهر فقالت : إن موقف زعيم الحزب التقدمي في أوغندا الذي أعلن أن الشيوعية إنكار لكرامة الفرد ، وأن مضاعفة الجهود في تثقيف الشبان الإفريقيين في « براغ » تثقيفاً مناهضاً للدين على أيدي معلمين شيوعيين يؤكد أقوال الشيخ شلتوت .

الإسلام والشيوعية :

وتحت عنوان « الإسلام والشيوعية » قالت جريدة « البويولو » الإيطالية : لقد أعلن شيخ الجامع الأزهر في القاهرة هذه الحرب المقدسة على الشيوعية ، والأمر — كما ترى — يتعلق بحدث قد يؤدي إلى نتائج لم تكن متوقعة ، صحيح إن الحرب المقدسة

استمرت الصحف العالمية طوال النهر الماضي في اهتمامها بالحديث عن الموقف بين الإسلام والشيوعية ، وكان مدار الحديث عن النداء الذي أذاعه فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بتعبئة العالم الإسلامي ضد الشيوعية والعمل لإيقاد البشرية من هوة الفوضى والإلحاد ، وقد أثار المعلقون السياسيون أكثر من سؤال عن المدى الذي يمكن أن يبلغه الإسلام في هذا المجال ، والنتائج التي يمكن أن يحققها إذا دعاوى الشيوعية وأساليبها ، وقدرته على التمشي مع مطالب الحياة العصرية ، والاستجابة لما يؤثره الناس في مصالحهم العامة والخاصة ، ولوحظ أن الصحف الإيطالية كانت أكثر الصحف اهتماماً بهذا الموضوع ، وتناوله من نواحي متعددة .

نصبة الإسلام روحياً :

فقد قالت جريدة « السيكلو » الإيطالية : إن نداء الشيخ شلتوت سوف يجد آذاناً مصغية في جميع أنحاء العالم الإسلامي ؛ لأن جميع الأوساط العلمية الإسلامية تعتبر الأزهر

الإسلام من المعركة سليماً ؟ وهل لديه المرونة ورحابة الأفق حتى يتسع لشعب يسير نحو عصر صناعي عظيم على غرار ما فعلت الولايات المتحدة وبلدان غربي أوروبا . ثم تصدت الجريدة للإجابة عن هذه الأسئلة فأعربت عن شكها في قدرة الإسلام على مواجهة التحدي الشيوعي ، وزعمت أن أعظم نقطة ضعف في الجبهة التي يجب على الإسلام أن يقودها في مواجهة التحدي للشيوعية هي فشلها ، أو فشل العلماء المسلمين ، في إيجاد فلسفة دينية متطورة تناسب العصر الحديث أو خلق أدب قادر على نقل الأفكار الحديثة وترجمتها لأهله .

ومضت الجريدة فوجهت إلى الإسلام بعض الانتقادات هي في الحقيقة انتقادات للمسلمين في حياتهم لا إلى الإسلام في جوهره ، وقد اعتمدت الجريدة البريطانية في إيراد هذه الانتقادات على كتاب « حياة محمد » الذي ألفه المستشرق الفرنسي « درمنج » وهو كتاب مملوء بالأخطاء في الحكم على تعاليم الإسلام وتقدير أثرها في حياة المسلمين ، وإن كان مؤلفه قد كتبه بروح الإنصاف لنبي الإسلام الكريم ، وقد نقل الأستاذ عادل زعير هذا الكتاب إلى اللغة العربية ، وكان المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل قد اعتمد عليه عند ما بدأ يؤلف كتابه « حياة محمد » .

ليس من الضروري أن تعنى الحرب المسلحة ، ولكن الجدير بالملاحظة هو أن مبادأة الجامع الأزهر ترمى إلى تعبئة العالم الإسلامي بأسره تأييداً لأمانى الوحدة في العالم العربي . هذا هو المعنى الحقيقي للحرب المقدسة التي ينوون شهرها على الشيوعية ، وهناك دافعان يبرران هذه الحرب . أولاً : الخطر الذي يهدد بإلقاء العالم الإسلامي في هوة الإلحاد ، والثاني : حماية الإسلام من الخطر المقبل من العراق حيث يهدف الشيوعيون إلى القضاء على الدين الإسلامي ودفع سكان العراق إلى طلبات الإلحاد والكرامية ، ومن هنا ندرك أن الحرب المقدسة أعلنت كوسيلة لتنشيط وحدة الإسلام ضد أخطار الانحلال السياسي والديني وهو الرأي الذي ينادى به حكام الجمهورية العربية المتحدة . وختمت الجريدة مقالها قائلة : ونحن إذا لاحظنا أن آيات الجهاد في القرآن ، وهو الكتاب المقدس عند المسلمين تحدثت عن الحرب المقدسة في لهجة قوية نارية ، وأنه لا يمكن في هذه الحال مهادة العدو أدركنا أن الشرق أصبح ميداناً لمعركة بين عقيدتين .

الاسلام والتمرد الشيوعي :

أما صحيفة « جويش أوبزرفر » البريطانية فقد أثارت في الموضوع أكثر من سؤال ، فتساءلت قائلة : هل يقدر الإسلام على مواجهة التحدي الشيوعي ؟ وهل سيخرج

ويبدو أن كاتب المقال في الصحيفة البريطانية يحل كل الجدل حياة المسلمين ، وتعاليم الإسلام . الحقيقة التي يشير إليها ، وأنه اعتمد فيها أوردته من كلام على ما كتبه « درمنجم » ، وتلقفه مما كان يقال عن حياة المسلمين منذ نصف قرن ، ولو كان الكاتب على علم بحقيقة حال المسلمين اليوم ، وبما يمثل في تعاليم الإسلام ، من سماحة تتسع آفاقها لكل ما تنشده المدنية الحديثة من جد ، لأدرك أنه تحدث في قضية غير ذات موضوع ، وأنه أورد كلاما لا يمت إلى الحقيقة بسبب ، ونحن نقول لهذا الكاتب ولأمثاله من المرتابين : اطمئنوا ، فإن الإسلام أقدر ما يكون على مواجهة التحدي الشيوعي وكل تحد يتسكب طريق الخير . فإن الإسلام دين الإنسانية الكريمة ، وكل غايته إكرام هذه الإنسانية وإعزازها ودعمها ، ولن تهون الإنسانية أمام أية دعوى باطلة ، إلا إذا هان العالم كله .

مطامع روسيا في الدول الإسلامية :

وتناولت جريدة « نيويورك تايمز » الأمريكية موضوع الإسلام والشيوعية من ناحية ثانية ، هي الناحية السياسية ، فكتبت تحت عنوان « مطامع روسيا في الدول الإسلامية » ، تقول : من الأشياء الغريبة

وما أخذته الجريدة البريطانية على الإسلام في هذا الصدد مسألة إباحة الطلاق ، ومسألة تعدد الزوجات ، ووقوع الطلاق من جانب واحد ، وهي مسائل طال فيها الأخذ والرد ، فطالما شنع بها المتحاملون على الإسلام ، وطالما تصدى لتفنيدها المكافحون عنه ، حتى أصبح الحديث فيها من تافه القول ، وكأن الصحيفة البريطانية ترى أن تعدد الزوجات في الإسلام أشنع مما هو سائد في الاتحاد السوفيتي من الإباحية الجنسية ، والشيوع في الصلة بين الرجل والمرأة ، أو بما هو سائد في الولايات المتحدة التي يتحدث عنها وفي غرب أوروبا من تعدد الأزواج أو على الأصح تعدد المعاشرة الجنسية سواء بين الزوجة وأصدقائها ، أو بين الزوج وصديقاته .

ثم تحدثت الجريدة البريطانية عن قضية التجديد في العالم الإسلامي فقالت إن المجددين يجدون أنفسهم أمام جمهور غير مستعد أو غير قادر على تفهم إنتاجهم . وفي مطلع هذا القرن دعا المصلح العظيم محمد عبده إلى السير بأمور الدين في طريق التطور الإنساني إلا أن هذه الإمكانيات كما يوضح « درمنجم » لم تستغل استغلالا كاملا ، مع أنها لو استغلت فسوف تقود إلى نهضة اجتماعية ودينية ، وتتغلب على الجود الذي يعتبر في الحقيقة أكثر خطراً على تقاليد الإسلام الحقيقية من الإفراط في المدنية .

المسلمين الذين تخدعهم الدعاية الشيوعية عن حقيقة الشيوعية ومطامعها في البلاد الإسلامية وأهابت بالمسلمين أن يعتبروا بما صنعتها وما تصنعه روسيا مع إخوانهم الذين شاء لهم سوء الطالع أن يكونوا تحت حكمها .

والحقيقة أن الجريدة وإن كانت عاجلت الموضوع من وجهة النظر الأمريكية ، وحسبت حساب الغرب وتقوذه في هذا المجال إلا أنها كتبت على أساس صحيح حين أبرزت المقارنة الواضحة بين دعاوى الشيوعيين مع المسلمين خارج بلادهم وشنائعهم مع المسلمين داخل بلادهم ، ونحن نقول للجريدة الأمريكية إن هذه الحقيقة لا تخفى على زعماء المسلمين ولا على عامتهم ، غير أن المسلمين لا يقفون تجاه الشيوعية لحساب الغرب ، كما أنهم لا يقفون تجاه الغرب لحساب الشيوعية ، ولكنهم ينشدون شخصيتهم المستقلة ، ويطلبون حريتهم الخالصة ، وهذه الدعوة التي تنبعث من القاهرة اليوم بالوقوف أمام أطماع الشيوعية وأمام أطماع الغرب على السواء أكبر دليل على ذلك ، لقد انطلقت « الإسلامية » في طريقها ، ولن تكون « الإسلامية » في الغد إلا كما كانت في أمس . قوة خالقة متميزة في خدمة الإنسانية والحضارة ، وتثيت دعوة الحق والخير ؟

في وقتنا الحاضر أن الدول الإستعمارية الكبرى في العالم الإسلامي ، وهي روسيا والصين « ما زالت تقوم بدعاية ضخمة بين العرب الذين يعتزون بدينهم ، فقد استطاع عملاء موسكو وبكين أن يتوغلوا سياسيا في الدول العربية من العراق إلى مراکش ، وقد بدأت حكومة بغداد تعتمد اعتماداً وثيقاً على الاتحاد السوفيتي ، ويستطيع أى إنسان أن يدرك لأول وهلة زيادة النفوذ السوفيتي الصيني على طول شمال إفريقية باستثناء تونس .

ثم قالت الجريدة : ومن العجيب أنه على حين أن روسيا والصين الشيوعية تحاولان الظهور أمام الدول الإسلامية والحرية بأنهما أبطال الحركات الوطنية في كل مكان من مصر وسورية والعراق وعمان وعدن وإيران وأندونيسيا فأنهما في الوقت نفسه يقمعان جميع الحركات الوطنية الإسلامية داخل أراضيهما . ثم أوردت الجريدة ما قامت به روسيا من قمع شديد ضد الحركات الوطنية في أذربيجان وشمال القوقاز وأزبكستان وتركستان ، فضلاً عما صنعه من القضاء على دول إسلامية بأكملها . وقالت الجريدة إن في الاتحاد السوفيتي والصين الشيوعية أكثر من ٧٥ مليون مسلم يعدون في الدرجة الثانية بالنسبة لسكان هذه البلاد .

محمد فهمي عبد المطلب

وختمت الجريدة مقالها بالتنديد بزعماء

الفهرس

صفحة	صفحة
٩٣٧	ديننا في محنة ووطننا في خطر
٩٤١	للأستاذ أحمد حسن الزيات
٩٤٤	إفلاس مذهب
٩٤٥	للأستاذ عباس محمود العقاد
٩٤٧	رأى السيد رئيس الجمهورية في الشيوعية
٩٥٤	نداء من شيخ الأزهر إلى علماء المسلمين
٩٥٩	مراكز الأمم في الإسلام
٩٧٠	للأستاذ الدكتور محمد البهى
٩٧٥	تحت ضوء القرآن والسنة
٩٨٠	للأستاذ محمد المدنى
٩٧٦	يا قاسم العراق وياك آمن
٩٩٤	للشيخ أحمد أحمد جلياية
	إلى من قال في بغداد : لا عروبة ولا إسلام
	للأستاذ على الطنطاوى
	نفعات القرآن
	للأستاذ عبد اللطيف السبكى
	الدين والإنسان
	للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى
	المذاهب المادية عاجزة عن تفسير نفسها
	للأستاذ الدكتور سليمان دنيا
	اشتراكية الإسلام خير وقاية للعالم من الشيوعية
	للأستاذ الدكتور على عبد الواحد وافي
	القومية الجديدة
	للأستاذ على العمارى
١٠٠٠	النظم الفردية الحرة بين الإسلام والشيوعية
١٠٠٤	للأستاذ محمد عبد الله عنان
١٠١٦	الإسلام والقومية العربية - ٢ -
١٠٤٦	للأستاذ محمود اللبائدى
١٠٥٩	مكانة العلم ومنهاجه ومجالاته في القرآن
١٠٥٩	للدكتور الميد على السيد
١٠٥٩	أصول الإسلام
١٠٥٩	للشيخ عباس طه
١٠٥٩	الإسلام بين أديان الأمم
١٠٥٩	للأستاذ عباس محمود العقاد
١٠٥٩	آراء وأحاديث
١٠٦٨	للأستاذ الأكبر
١٠٦٨	رباه . . . بعض النور : قصيدة
١٠٦٨	للأستاذ محمود حسن إسماعيل
١٠٧١	بريد المجلة :
١٠٨٠	الأزهر يكرم السيد إدهام خالد - الأزهر
١٠٨٠	يعقد مؤتمر لبحث شئون فلسطين - هو السائب
١٠٨٠	لا عمار بن ياسر للأستاذ أحمد على - زعماء
١٠٨٠	من الأزهر - رسائل إلى الأستاذ الأكبر
١٠٨٠	الكتب : امرأة الإسلام للدكتور طه حسين
١٠٨٨	للأستاذ محمود الشرفاوى
١٠٨٨	النشاط الثقافى الأزهر
١٠٩٢	الإسلام والمسلمون في صف العالم :
١٠٩٢	للأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف

*These articles were translated and prepared
by Hammudah Abd al-Ati & Abd El-Muhsin
El-Biyali, both of the Islamic Culture Department,
AL-Azhar University.*

He is the sole aim of the believers, while His messenger is the conveyer of His message, as for the believers they are individuals who agreed with the belief in God and His messenger, and in this last point the value of the believing individuals in believing societies is defined from the Quranic point of view as well as the relationship between the individual and the society.

The Qur'an is against annihilating the individual in society and consequently against the abolition of his freedom and personality. This by necessity means that it is, unlike Communism, opposed to the transformation of individual property to the State. In addition to that, it urges man to concentrate his faith in God alone, and not in any other thing or being. Yet it does not allow man to develop his personality until it becomes egoistic and individualist. It is not like capitalist democracy which has amounted to egoism. Nor is it like the democratic system itself which has developed into a gang of monopoly and exploitation.

This unique attitude of the Quran is the natural result of the fact that its call for faith in God is almost invariably accompanied by a fervent appeal for good deeds. These good deeds are meant to maintain justice and balance in relationship.

And when these are maintained individual liberty cannot develop to the extent of egoism or destructive individualism nor can the Quranic society decline like that of capitalist democracy.

The Quranic guidance in order to assure the believing individuals in a believing society of his right position, a position of an independent man with mutual relations based on faith in God makes the Qur'an itself the deciding authority among its followers when ever they have to refer to some authority, it says: "O you who believe obey God and obey the messenger and those of you who are of (intellectual) authority; and if you have a dispute concerning any matter, refer it to God and the messenger if you are (in truth) believers in God and the last day. That is better and more seemly in the end." (Surah, 4. Verce, 56.)

Thus the Quranic guidance for those who believe in it is free from the defects and weaknesses of both Communism and Capitalist democracy. And above that, it encourages science and welcomes its result as a means to improve the lot of mankind and ascertain man's mastership over the universe. The Quranic guidance is neither Oriental, i.e., communist nor Occidental, i.e., capitalist. It is unique and independent.

Qur'anic Guidance and Industrial Civilization.

Qur'anic guidance encourages experimental science and protects man from the abuse of that science; the Qur'an says "And He it is who has Constrained the see to be of service that you eat fresh meat from thence and bring forth thence ornaments which you wear and you see the ships ploughing it that you (mankind) may seek of His bounty and that haply you may give thanks" (Surah, 16 V. 14).

"He it is who has made the earth subservient unto you, so walk in the pathes thereof and eat of His providance" (Surah, 76. V. 15).

The Qur'anic instruction, thus, cannot be realized by man without complete knowledge of what is to be subservient and useful to him, and while the Qur'anic guidance encourages experimental science it enjoins accurate understanding of Being, So that man can find the right way to God, His lordship, His uniqueness. The acknowledgment of God is the "*Balladium Sociale*" to avoid the destruction of the Universe over which he is supposed to exercise complete power.

Faith in God alone is the creator of science and it makes it a blessing

to man, accordingly man can retain his leadership, his authority and his dignity. The Qur'an dignifies man as it says "Verily we have honoured the children of Adam" (Surah, 17. V, 70), and the dignified man in the Quran is not the man who yields to the machine. The Quran gains encouragement of science with God's guidance "Lo! this Quran guides unto that which is straightest and gives tidings unto the believers who do good works that their's will be a great reward" (Surah, 17. V. 97), it also says "This is a Scripture which we have revealed unto you [Mohammed] that thereby you may bring forth mankind from darkness unto light, the owner of praise" (Surah, 51. V, 1,)

The Qur'anic Guidance and Philosophical Trends

Here we move to the Qur'anic guidance and its attitude towards philosophical trends of modern society crystallised in two opposite directions: the individual for society and the society for individual; the Qur'an says: "Your friend can be only Allah; and His messenger and those who believe for friends (will know that) Lo! the party of God, they are the victorious" (Surah 5. V. 55—59) This verse refers to three facts: God, His messenger and the believers in God and His messenger. As for God

aids to Arab nations, they double the very aids, whether in quantity or quality to Israel. The philosophers who evaluated the two systems, from the philosophical point of view, are Jews and international Communism. This international Communism supported by the communist social system is in parallel with universal government supported by western democratic countries. Thus we see that the target is one but the mean is different: the target is to subdue nationalities in the different spheres of the world; so little countries may be annihilated and their man-power and economic potentiality may be put in the service of one of the two blocks. There is no wonder, therefore, if we noticed that both blocks are fighting Arab Nationalism, whereas they declare that the independence of little countries should be maintained, and the right of destiny of the countries under Trusteeship or Occupation should be reserved. So independence in the two blocks view point is the separation of each other to be easily swallowed and dominated.

Capitalism, then has changed the modern Democratic society into another type being dominated by individualism, egoism and retrogression of values and ideals. The more egoism mastered, the sooner values and ideals became useless; because they are the defenders of the

human relations in its best form. Communism trend abolished the exercise of these values, inactivated the conscience and wiped up the fear from God. It suppressed all these by misusing law and authority. Faith in God in Democratic society cannot be fruitful so long as there are individualism and egoism. Yet these values have been concealed in the Communist society.

Apparently both Communist and Democratic societies are different in that they both go to the extreme, but in fact there exists a surprising harmony between them in regard to: (a) the absence of all results of moral values, (b) and the non-entity of any actual application of belief in God.

Qur'anic Society.

From examining these two ideologies we noticed that there was a gap to be filled and it is Qur'an that effectively fills this gap by laying down the solid bases. The Qur'anic society which is founded on justice and balance and seeks goodness with avoidance of harm. It is the Society which stands for complete cooperation, and in knowing the structure of this society, the attitude of the Qur'anic guidance, towards modern society, in Orient and Occident, is defined.

behave, and to move within certain scope of restraints and limits which do not hinder him from realizing his wishes and desires. It gives him liberty to believe and to exercise freely his own rights, taking, in the same time, care of the freedom because it is at the service of individuals.

This individual liberty, in the modern democratic society has greatly contributed in the growth of individualism and egoism, and was about to divert this society to a primitive one in behaviour and association, unless there are judicial, parliamentary and executive authorities which are considered symptoms of the civilised society. Individualism and egoism in modern democratic society mounted, by Capitalism, to monopoly and subjugation against the workers, and authorized it with an indirect sovereignty and hidden direction, over the three authorities, which are supposed to be ultimate and independent. It also gave it the privilege to steer up public opinion through writers, press, broadcasting and television.

Thus the modern democratic society as well as the communist society has established gang holding complete influence over the rest of society. And the difference between these two gangs is that one of each is unyield and the other is apparent.

While the communist society has

abolished the moral values in man's life according to particular logic of philosophical thought. The more the people fulfil their desire and exercise much of their own freedom, the more the Capitalist society diverts them from searching about that secret gang.

This gang has the authority of the government and it misuses the power of monopoly. It has the power of government without law or usage, save the law of domination through money and the keeping of money within the hands of similar group alike in trend and way, and cooperating for the realization of certain aim.

The gang in both societies is a squadron of Jews preferring to work in silence and behind curtain without having faith in both regimes. And that is why the two systems are so desirous to protect Israel and safeguard its rise through different and vital aids.

Therefore, when a weapons agreement was signed between an Arab state and any nation of the communist block, simultaneously an oil agreement was signed in the welfare of Israel. It is as valuable as weapons agreement. And while the western democratic countries offer, under the pressure of the public opinion, some technical and economic

Idealism of human reason to the Existentialism in behaviour and moral values.

Here the Communist trend justifies the abolition of liberty, the ownership right of the individual, the transformation of faith in God and concentrate it on science only, the change of moral values in the conduct, and the absolute sovereignty of the state over the individuals as well as their human right; and the result is: Science is God.

The State is the supreme authority including all individuals.

The Communist is that who does not believe in God and believes in science, who has been compelled to abdicate his human rights, who has been forced to dissolve in the State, who sacrifices unwillingly his rights. Then we must differentiate between "the Communist" and the "Mystic" whereas we see the latter gives up world lusts satisfactorily and melts in God complacently, we find that he is still free, choosing, having complete humanity and not transfiguring to some body else participating life with him and not having the power of reasoning and will.

The Communism doctrine believes in the principle of evolution but: why does it believe in it to the stage of labour unique - class society? what

would prevent this society to divert once again to monarchy; feudalism or capitalism? It eliminates faith in God and believes in science which we saw that it is once in man's service, luxury and security and once more in his unhappiness his destruction, and his annihilation. But what is its, "*Balladium Sociale*" to prevent science from being a factor for the unhappiness, poverty, humiliation, anxiety and disturbance of man.

It plundered human being of his possessions and made him in need to some thing else, it emptied his heart of belief in moral values and filled it with the idea of being mastered and directed by the sensation and not by reason, it restricted his tongue suspended his will. Communism has concentrated man's liberty, will, guidance and wealth in the State's hand that takes and does not give and accepts sacrifice without enumeration, which is not looking after or responsible for any thing because it is a state without individuals.

B — In equivalence to Communism is Capitalism or the Western. Democracy which is on the contrary of Communism. It treats the human being with great consideration; and so long as the first violates & encroaches, man's life, consecration and freedom for the sake of Society, the latter gives him more than he deserves: he is allowed to live, to

are non-entities in the domain of the Communist society, because they are values and ideals that affect mind but not reality.

With regard to economy it transforms completely the agrarian feudalism, as well as the industrial capitalism from the individuals to the State on the one hand, and imposes work upon them in farms and factories on the other hand. They are hired and paid according to their own capacity of production in quantity and quality, and the outcome of the residue after the wage as well as the harvests of farms and production of factories, is to be kept in possession of the State which has absolute influence upon the citizens.

As to belief Communism believes only in sensation and pays no attention to what is left behind sensation, because it is a mere illusion or superstition. Sensation is the only source of correct knowledge and its inspiration is thoroughly true. Therefore the experimental science, which is the "Son in law" of sensational experiments, is the only truth that cannot be denied and should replace faith in God and His revelation.

The moral values in Communism are not static, but they are subject to developments. Its future has a great effect on the past, i. e. what will happen to-morrow is better than what had happened yesterday, and the

ethical discourse concerning the consecrations of man in his property as well as honour, and the necessity of maintaining these rights are a tedious talk because it concerns the reactionary religions which have decided vain moral criteria, because the evolution principle gives superiority to the present in regard to the past, and to the future in face of the present. The discourse about the relation between man and woman, in any particular side, whether legal by marriage or not, is a remainder of the past which cannot be accepted by the evolution principle. Society has surrendered to evolution in the transition period from the dictatorial Royalty, represented in rulers and slaves, to Feudalism represented in big estates and tenants to Capitalism represented in factories and workers, to the One Class Society, that is labourers society. According to the evolution principle, the individual ought to be melted in the society, so his personality is abolished for the sake of society.

It is the same principle to which knowledge has yielded and secured its aspirations from the judgement of reason and the experiment of reality as well as sensation instead of securing it from the Heaven's message. It is also the principle through which faith, in God, His worship and holiness, have to divert into experimental science as the moral criteria divert from the consideration of religion and the

It makes of him master and slave in the meantime.

Therefore experimental science has become the idol of man in modern society : its niche is the laboratory, its vicars are the scientists and its rituals are the capitulation of human mind. Man has been living almost for science which is no longer confined to the service of mankind, and the machine is about to excell them. Thus, we see that industrial civilization is based on experimental science; such civilization is the distinguishing phenomenon of modern society, and has not left the status of man, who was considered previously the most supreme creature, without effect. On the contrary it has shaken the values of mankind.

Philosophical and Intellectual Trends

The second characteristic feature of modern society is intellectual instruction represented in the different philosophical doctrines which have caused disputes and cold war because of the divergence of views among them.

a. There is the trend that believes in State rather than individuals, it is the trend through which man is to sacrifice his freedom of thought, his expression of belief and his consecration of ownership for the sake of the State. It is the

doctrine that binds mind and soul to the body, and to the environment in which that body exists and grows. It is the doctrine which refuses the existence of God. It defies God as a spiritual force free of embodiment and of the circumstances encompassing the body. This doctrine is called "Communism".

Communism is not a philosophy and ideological doctrine dealing only with economy, but it is a conductive doctrine with the power of faith as regards guidance, after having been laid down by the philosophical thought, in the different aspects of human life. As for the individual, it restricts his liberty and imposes upon him the acceptance of determinism ; so it reduces his values, if it happens to evaluate him, and such evaluation is bound to his corporeal matter and not his mind and soul which are but a phenomenon inter-acting, in its evolution, with the material origin of human being, helped by the economic situation of the society in which he lives.

As for the State or society it grants it an absolute authority to impose submission and obedience upon individuals. It allows the State or the Society to take drastic measures against them in order to maintain the Communist "System" in power. But the individual's dignity, their sacred beliefs and their personality

THE QURANIC GUIDANCE

and

MODERN SOCIETY

by

Dr. Mohammed El-Bahay

Director General, Cultural Department

Modern Society: Modern society

is distinguished by two principal features: The industrial materialistic civilization, and the intellectual guidance represented in the different philosophical trends. We mean by modern society that of the west, whether it belongs to the democratic block or the Communist one.

Industrial Civilization:

The principle of industrial civilization is based on mechanism and experimental scientific research. The development of mechanism, as well as the experimental scientific research, have occupied a great space in the life of modern society, through the splitting of atom and the launching of satellites and artificial moons into the sphere of planet moon, for astrological purposes. Experimental science in the physical field is the main pillar upon which industrial civilization is built as it is the only way leading to the construction of peaceful instruments. It is in parallel with the construction of destructive weapons, as well as the manufacture of different types of planes and Jets, the

building of steamers with atomic energy as well as submarines, the production of automobiles to be used on the earth and others to be used in the air & water. Through the experimental science we can travel by aeroplane to every far point of the globe in a speedy and comfortable manner. Through the same invention, i. e. the aeroplane, our properties are burnt and our lives are lost.

Experimental science has guided us easily to float on waters and beneath the bottom of the sea to serve mankind. Also it has helped us to invent destroyers & submarines. Therefore cruiser, destroyer and submarine were invented. Modern science has provided man with luxurious and comfortable life; it made cars, trucks, touring cars as well as tanks and spitfires. It has harnessed earth and air for the use of man, and it is the same modern science which utilised land, water and air against man. It constructs civilization and causes its destruction. It supplies man with happiness and unhappiness,

worthy of them, and that when you judge between people you judge with justice, (Surah, 4-V-58).

As for consultation the Quran says : " O you who believe be upright for Allah bearers of witness with justice; and let not hatred of people incite you not to act equality. Be just". (Surah, 5, V, 8).

" And consult them (in important matters) . (Surah, 3 V 258).

"And whose affairs are (decided) by council among them" (Surah 42. V. 37).

As for the sources of legislation the Quran says : " Oyou who believe , obey Allah and obey the Messenger and those in intellectual authority from among you, then if you quarell about anything, refer it to Allah and the Messenger". (Surah, 4-V,59)

" And that you should judge between them by what Allah has revealed, and follow not their low desires, and be cautious of them lest they seduce you from part of what Allah has revealed to you ". (Surah, 5-V. 49)

Islam has not stopped within the margin of these principles, but has urged individuals to regard their God and not break the Alms and to try their best to keep these principles into force by oppsoing the ruler's wish if it is not matching with Islamic principles. the Quran refers to that by saying "And obey Allah and His messenger end dispute not one

with another, lest you get weak - hearted and your power depart and be steadfast. Surely Allah is with the steadfast" (Surah. 8-V.46).

At last, this is Islam, the religion of God which He appeases it to His creatures; to organise their lives, and to bring them forth from darkness to light in order to keep them out of the present world crises.

These beliefs inspired from the Islamic religion make us decide that those individuals who are not adopting such principles and beliefs are not true Muslims and they should be deprived of their Islamic rights. This is our call to-day for which we draw the attention of all hearts to follow:-

We have to conclude our call by quoting the following Qurānic quotation. "Clear proofs have indeed come to you from your Lord; so whoever sees, it is for his own good; and whoever is blind, it is to his own harm. And you not be keeper over you" (Surah. 6. V.105).

Has not the time yet come for the believers that their hearts should be humble for the remembrance of Allah and the Truth that is revealed, and (that) they should not be like those who were given the Book before, but time was prolonged for them, so their hearts hardened, and most of them are transgressors " (Surah. 57. V. 61).

in some cases is sin; and spy not nor let some of you backbite others. Does one of you like to eat the flesh of his dead brother? (Surah, 49, V. 12).

(B) As for the moral principles of visiting, Qur'an says "O you who believe, enter not houses other than your own houses, until you have asked permission and saluted their inmates. This is better for you that you may be mindful - But if you find no one therein, enter them not, until permission is given to you; and if it is said to you, Go back, then go back; this is purer for you. And Allah is Knower of what you do" (Surah, 24 — V. 27 — 28).

(C) As for the sexual dissension, Qur'an says: "Say to the believing men that they lower their gaze and restrain their sexual passions. That is purer for them. Surely Allah is Aware of what they do. And say to the believing women that they lower their gaze and restrain their sexual passions and do not display their adornment except what thereof. And let them wear their head-coverings over their bosoms" (Surah, 24, V. 31).

(D) As for the moral principle of social parties and assemblies, Qur'an says "O you who believe when it is said to you, Make room in assemblies make room. Allah will give you ample. And when it is said, Rise up, rise up (Surah, 58-V, 11).

(E) As for the moral principle concerning the hearing of news, Quran says: "O you who believe, if an unrighteous bring you news, look carefully into it, lest you harm a people in ignorance, then be sorry for what you did" (Surah, 49, V. 6).

(F) Quran implies to a serious social value by saying "O you who believe, let not people laugh at people, perchance they may be better than they. Neither find fault with your own people, nor call one another by nick-names - Evil is a bad name after faith, and whoso turns not, these it is that are the iniquitous" (Surah, 49 V. 11).

(G) As for the treatment of the peaceful unbelievers, Qur'an says: "Allah forbids you not respecting those who fight you not for religion, nor drive you forth from your homes, that you show them kindness and deal with them justly. Surely Allah loves the doers of justice" (Surah, 60, V. 8).

XIV Jurisdiction:- Ruling System and the sources of legislation, are the basic principles which have been stipulated and established by Islam for decent life. Justice and consultation were the foundations on which Islam relied and when directing the muslim thinkers to approach the sources for legislative resolutions.

The Quranic guidance as regards justice says: "Surely Allah Commands you to make over trusts to those

as a means for humiliating people, for destroying thier homes and for blundering their properties or forcing people to adopt certain religion, the Qur'an says "There is no compulsion in religion, the right way is indeed clearly distinct from error. So whoever disbelieves in the devil and believes in Allah, he indeed lays hold on the firmest handle which shall never break and Allah is Hearing, Knowing" (Surah, 2. V. 256).

X. Equality.

Islam stipulated that there is no difference among mankind in obligations & duties, and equality should prevail "O people, keep your duty to your Lord, who created you from a single being and created its mate of the same (kind), and spread from these two many men and women. And keep your duty to Allah by whom you demand one of another (your rights) and (to) the ties of relationship. Surely Allah is ever a Watcher over you (Surah, 4 V. 1)

XI. Legislation.

Islam outlined legislations that organize the human life through stipulating personal opinion and through freedom of thought. It gives the human mentality the right to discuss, to laydown laws according to the interest of the society. In this matter Islam aims at reserving human dignity and security.

XII. The Formation of Society:

Obligations and rights are excha-

nged in the Islam. The individual is considered an element for the welfare of the society. Islam gives its follower the right to defend his properties and life. On the other hand Islam has obligated the rulers (i.e., the governments) to safeguard his life, wealth and honour. Therefore we can gather that Islam has exchanged obligations and rights.

XIII. Ethics.

Islam has urged man to follow moral values and has prohibited him strictly from doing any vice, so that manqind might get out of the present deterioration.

(A) As for the common behaviour Qur'an says "And turn not your face away from people in contempt, nor go about in the exulting. Surely Allah loves not any self-conceited boaster. And Pursue the right course in the going about and lower the voice. Surely the most hateful of voices is braying of asses (Surah, 13, V. 18-19).

(a) And follow not that of which you have not knowledge. Surely the hearing and the sight and the heart of all of these it will be asked. And go not about in the land exultingly, for you can not rend the earth, not the mountains in height. All this, the evil there of, is hateful in the sight of your Lord. (Surah 17. V. 36, 37, 38).

"O you who believe, avoid most of suspicion, for surely suspicion

pure earth, and breaking the fast is permissible in cases of travel, illness pregnancy sucking and old age.

Islam being a practical religion and based on facts, as previously outlined, depends on good health to teach its followers to learn, to struggle for their faith and to work for the interest of the community.

VII. MIND

Mind should be kept revived because it is the measure of good and evil in this life. Islam has prohibited all things that spoil it. We quote here—under a Quranic quotation in this respect :—

“O you who believe, intoxicants and games of chance (and sacrificing to) stones set up and (dividing by) arrows are only uncleanness, the devil's work ; shun it that you may succeed”. (Surah 5 Verse 90).

And the Prophet said : “Anything that leads to intoxication is forbidden”

VIII. The Maintenance of Body and Soul

Islam allows man to eat and drink, to enjoy life according to his own potentiality without extravagance. In this connection the Quran said :—

“O children of Adam attend to your

adornment at every time of prayer and eat and drink and be not prodigal ; surely He loves not the prodigals. Say : Who has forbidden the adornment of Allah, which He has brought forth for His servants, and good provisions ? Say : These are for believers in the life of this world, purely (theirs) on the Resurrection day. Thus do We make the messages clear for a people who know. My Lord forbids only indecencies, such of them as are apparent and such as are concealed, and sin and unjust rebellion and that you associate with Allah that for which He has sent down no authority, and that you say of Allah what you know not” (Surah 1. V. 31-32-33).

IX Power : Islam ordains its followers to strengthen themselves and to be cautious and ready for any hostile eventualities. The Quran outlines that by saying “And make ready for them whatever force you can and horses tied at the frontier, to frighten thereby the enemy of Allah and your enemy and others beside them, whom you know not — Allah knows them. And whatever you spend in Allah's way it will be paid back to you fully and you will not be wronged” (Surah. 8. V. 60). This verse indicates that power from the Islamic viewpoint is not but a means for imposing peace and reforming societies. It is not considered in Islam

are believers. And if you do not, then be apprised of war from God and His messenger; and if you repent, then you shall have your capital. Wrong not and you shall not be wronged. And if (the debtor) is in straitness, let there be postponement till (he is in) ease". (Surah. 2, Vs. 278-280)

In addition to all that, Islam makes it clear that lavishness is the cause of evil and universal destruction. In the qur'an we find verses such as these : "And how many a town which was iniquitous did we demolish and raised up after it another people ! So when they felt Our might, Lo ! they began to flee from it. Flee not (it was said unto them) and return to the easy lives which you led and to your dwellings that you may be questioned. They said : O woe to us ! Surely we were unjust. And this cry of theirs ceased not till We made them as reaped corn, extinct." (Surah 21, Vs-11-15) " Till when We grasp their luxurious ones with the punishment, behold ! they supplicate. Supplicate not this day ! Assuredly you will not be helped by Us. My revelations were recited unto you but you used to turn back on your heels. (Surah 23, Vs. 64 - 66) "And We never sent a warner to a town but those who led easy lives in it said: We are disbelievers in that with which you are sent. And they said: We have more wealth and children, and we cannot be punished". (Surah. 34, Vs. 34 - 35).

Thus Islam combats lavish and wasteful expenses of those who are in a position to spend be they possessors or just custodians, and authorizes the rulers to arrest all actions of such nature. This is a precautionary measure to preserve the property in which God has made man a mere regent and to purify the hearts of the deprived and poor people of envy and hatred bound to proceed from seeing the course of life led by squanderers.

V. HONOUR:

Islam has commanded that honour should be maintained as a symbol of dignity and for extirpating the seeds of sexual disorder which abolishes family system and breaks the unity among individuals. It decided that the authority in the sexual life is similar to the individual ownership. Both are the elements for the peaceful and honest life. By ignoring any of them the human bounds will be dissipated, and man will envisage absolute libertinism or brutal cruelty.

VI. HEALTH

Islam has commanded that health must be looked after very carefully, its reservation is commanded, contagion is warned of, and remedy is recommended. And those who suffer from illness are permitted to perform their ritual purity with

of worship in a thoroughly detailed and equal manner, so that people may be united in feeling as well as in purpose.

III. Knowledge : Islam urges for science and knowledge. It frees human mind from the fetters of blind imitation and intellectual stagnation. It instigates the mind to discover the secrets of God in His universe in all its aspects, earth and sky, marine and air. All this is designed to strengthen faith in God through the knowledge of His creatures and make people happy by means of using the secrets of the universe which God has rendered subservient to man.

Thus Islam exalts the ranks of scientists and scholars who explored the unknown aspects of the universe and put in the service of man what they discovered. The Qur'an says: "Say: Are those who know and those who know not alike?" (Surah 39, V. 9)

"The erudite among His bondmen fear God alone" (Surah 35, V. 28) "God will exalt those of you who believe, and those who are given knowledge, to high ranks" (Surah. 28, V. II).

IV. Wealth : Islam demands the making of wealth and considers it to be the substance of life and makes it, when obtained through lawful means, - agriculture, commerce and industry, - equal to the worship of God; "But when the prayer is ended then disperse in the land and seek

of God's bounty, and remember God much, that you may be successful" (Surah. 63, V. 10) "He it is Who made the earth subservient unto you, so walk in the paths thereof and eat of His providance. And unto Him will be the resurrection (of the dead)".

(Surah, 67, V. 15).

Conversely, Islam ordains maintenance of property and combats lavish and extravagant expanses. It strictly forbids exploiting the condition of people in need to property and gives the disable poor as well as the common interest a right to it. Regarding this point the Qur'an says: "And give the kinsman his due, and the needy, and the wayfarer, and squander not (your wealth) in wantonness. Surely the squanderers are ever brothers of the devils, and the devil is ever ingrate to his Lord. (Surah, 17, Vs. 26-27). "And be neither penurious nor prodigal, lest you be rebuked, denuded,, (Surah 17, V. 39) "And spend in the way of God and cast not yourselves to perdition with your own hands and do good (to others). Surely God loves The doers of good." (Surah 2, V.195) "And swallow not up your property among yourselves by false means, nor seek to gain access to the judges, so that you may swallow up a part of the property of men wrongfully while you know". (Surah 2, V. 188) "O you who believe! observe your duty to God and relinquish what remains of usury, if you

he is a useful member of his national society. Each of these two personalities entitles man to certain rights and tasks him with certain duties. The happiness of man is never realized unless body and soul both enjoy their rights completely and until man makes a balance between his duties and rights in regard to himself and his society without excessiveness or carelessness. All beliefs, injunctions, morals and laws of Islam are meant to provide man and his society with happiness. And in the light of his general and practical principle and for achieving such a supreme aim Islam has advanced the following teachings.

I. Belief: Islam demands faith in God, the source of goodness and origin of being, to whom everything is to be referred and to whom worship, glorification and supplication should be confined. This is meant to avoid subjection of man to another and to make him enjoy the sense of dignity without going astray by placing mediators between him and God. Islam further demands belief in the Day of Judgement, the angels, the Scriptures and the prophets through whom He conveyed His message to mankind and showed the straight path leading to their happiness in this life and the Here After. The Qur'an says: "It is not righteousness that you turn your faces to the East and the West; but righteous is he

who believes in God and the last day and the angels and the Scripture and the prophets" (Surah 2, V. 177).

II. Worship: Islam draws the lines of worship of which it enjoins different forms, physical and fiscal, to strengthen faith and be a means of thoughtfulness of God and thanks to Him for His graces. It enjoins (i) five daily prayers during which man stands in the presence of God to seek His aid and experience His greatness and liberate himself in repeated periods from the yoke of his material life; (ii) fasting of one month every year, the month of Ramadan, in recognition of the grace of God's revelation of the Qur'an and to accustom man to patience without which life would be unbearable; (iii) alms-giving, which is the distribution of a certain percentage of the property in the way of God and for the common interests, in recognition of the grace of property and in execution of the social duty; and (iv) pilgrimage to decree the general slogan of faith which slogan is taking refuge along with other believers in God free from the attraction of property, relatives, children and luxurious life, seeking God's content, remembering the Day of Judgement, uniting all monotheists and commemorating the early reformers whom God had chosen to save His bondmen from the ditch of sins and wrongness. Islam enjoins these forms

THIS IS ISLAM

BY

His Eminence Shaykh

MAHMOUD SHALTOUT

Rector of Al-Azhar University

In a previous article we argued that the world is entangled in a universal catastrophe on account of which the world is suffering different kinds of evils and defects. This notion is unquestionable. Peoples everywhere supplicate with complanits over the disasters emerging from moral looseness and the rejection by man of God. These disasters have inactivated the conscience, suppressed human virtue and authorized evil and despotism to destroy the soul, desecrate the honour and dignity of man, usurp his property, enslave his conscience and fetter his freedom, which is God's natural gift to man and with which he is born as superior to all other creatures and beings.

We suggested then that the only way out of this catastrophe is to get rid of the systems invented by man and dictated by his lust and capricious inclinations. Such systems were made without taking into consideration the interests of man or the sequences of his human nature. Thus they came inconsistent, disruptive and people-dividing systems.

There is no doubt that as long as man cherishes such systems they

will lead the universe to a wide-spread danger and cause war throughout the world so much so that man will not be able to breathe comfortably or peacefully.

In our opinion and in view of the long, costly and bitter experience the world has had, there is only one solution to this problem, and that is to adopt the Divine system, i. e., the system of religion which God Himself perfected and invited people to adopt, so that they can save their lives, enjoy happiness and gain the content of God.

The Qur'an, to prove this, says : "If they (the Jews and the Christians) had observed the Torah and the Gospel and that which was revealed into them from their Lord, they would surely have been nourished from above them and from beneath their feet" (Surah V, Verse 66).

The Divine order of life is based on the principle that man is composed of soul and body, each of which has certain rights to enjoyment, and that the individual is in possession of a personality of his own independent of his fellow-men and also has a social personality by which

"every thing is publicly exposed and permissable, and every passion is free". Farms, factories, and women are public utilities for mass production and every one will be paid according to his own capacity and will be given according to his need.

Thus Communists pretend that they are completely aware of the conditions of human beings than God Himself, and more just than He in distributing sustenance; so they denied His religions, distorted His law and tried to abrogate laws, tenets and values which prophets and philosophers bequeathed to mankind, to introduce another "system" by which they do not seek absolute justice and common good, but rather aim at placing man over God and the domination of one people over all other peoples.

I do not know why our sister state IRAQ has been destined in the past and the present to be a swamp in which the abnormal sects and destructive principles grow like a poisonous plant or come in as an epidemic disease, hence they pass through it to threaten the spirit of Islam, and to dissipate the unity of Arabism. The "Karamita" in the past had said what the Communists reiterated today "No reality is beyond this existence and every thing is permissable". It was "Babik El-Karmy" who had sowed that bad seed for the first time in the Islamic Orient in the third century A. H., followed by "Abdullah

Ibn Maymoun" and afterwards by Alhasan Ibn El-Sabbah,

These three persons attracted the adorers of world lust and the stooges of the "forbidden" of the simple-minded and low-spirited people, to eat from the forbidden fruits; they indulged in passions and participated in women and properties and for this purpose they disturbed peace. "Nowadays the Babikies" revived in Iraq under the name of Communism, it propagated atheism in public after secrecy, and libertinism by force after tactfulness to attack God, His Scripture, Islam and its followers by base words and bad deeds. It is a Communist dissension in the flame of which the greedy and deceivers only will be burnt who have set it by the match of cosmopolitanists using a Russian fuel. But Islam which triumphed over every sect and dissension before in Iraq, will triumph over this dissension to-day because it has two sources: the Scripture of God and the tradition of His prophet which are still pouring in purity and sanity. The more its deep strains are defiled the sooner the Divine inundation flows to purify with its pure water all stains and spots, and to remove by its strong tide all barriers. "Then, as for the foam, it passes away as scum upon the banks. while, as for that which is of use to mankind, it remains in the earth". (Surah 13, V.17)

it is Communism which has no faith in God but maintains complete faith in Marx; it gives its back to Spiritualism and tendered exceedingly towards Materialism. Communism wanted to rob mankind off the grace of liberty, the power of will and the happiness of possession to make them a herd of slaves and serafs branded with "Hammer and Scythe" working as machine, eating and perishing as animals. In such a way of life and condition every communist lives: earth without sky, day without morrow, way without destination, work without responsibility and life without revival.

Communism has realised that religions are an impassable obstacle on the way of its will and leadership; therefore, it concentrates on extinguishing the "Divine Elumination" by propagating hearesy, and spreading libertinism, by exploiting the influence of passions and instincts, by fomenting dissinsions and disorder so as minds will be ready to accept every principle or behaviour. It considers Islam its bitterest enemy; because it is the practical religion which completes and perfects life with religion in faith, sociology, politics and economy, that it befriends all hearts of the people and equalizes, in brotherly manner, all human races, and treats the acutist problem of poverty in such a way that if it is adopted by reformers they would avoid all evils

of wars and defaults of all these doctrines. It solved this problem by giving the poor the right to a religious tax "alms-giving" payable by the rich on basis of recognition of ownership right and the right of enterprise; so that owner would never be expelled out of his belongings, and no free man would never be questioned. It has authorised that the poor is to recieve a certain percentage in the wealth of the rich without which the rich's faith will be incomplete. Such a land that shines with these principles will be an inconvenient place on which the communist bats can exist; and that is why Commuism has mobilized all malicious powers and misleading weapons in the attempt to destroy Islam, so it lied against it, spread doubt around it, and said in its publications, press and broadcast that Islam does not know justice because the Quran says: "We have exalted some of you in rank above others" nor does it know equality because the Quran says: "God has exalted some of you in sustenance above others", nor does it know freedom because it restricted every thing by a restraint: it chained woman to husband, sustenance to what man possesses only, behaviour to belief and transformaton of properties to inheritance.

Communism claims to be exempted from all these "defects" as it says

An Example of Communist Atheism

by

AHMED HASSAN EL ZAYAT

Editor - in - Chief

A few weeks ago Moscow radio broadcast an article by the Editor-in-Chief of the Soviet Sciences Review in which he said that the Russian Satellite recently launched amidst celestial planets, equipped with the minute optical and astrological scientific instruments, did not send any information whatsoever to prove the allegation of the different religions concerning the existence of a Supreme Kingdom having God on His throne, surrounded by angels, with prophets wondering through His door, in which Paradise and Hell exist, and from which Doom and Fate are decided. Accordingly the editor concluded that there was nothing but the fancy formed by ignorance in the minds of people or an illusion exploited by the ambitious people to justify their own desire to dominate the Globe.

I wonder what information did this Communist idiot expect his Satellite to tell him? Did he expect his Satellite to say that it had seen God on His throne, and heard angles extolling Him in the darkness of the skies, and felt the smells of burning bodies in Hell fire, and tasted the fruits of Paradise hanging from their immortal trees, and touched the cheeks of

seraphim strolling boastfully in the hedges of Eden??

This Satellite, which they have successfully launched beyond the gravity of the earth, is a block of stuff, weighing about one ton and a half, which compulsurily made its orbit round the moon or sun, its sphere is limited and its existence is temporary: and how can it be that the limited in space and time comprehends infinity or appreciate eternity? What a molecule knows about the infinite horizon? Or what a drop of water knows about the unlimited ocean? God Whose throne extends over heavens and earth cannot reasonably be confined to one particular position, and the Paradise which is as wide as to include heavens and earth together can not possibly be measured by any means.

The "Toy" which has been launched by scientists to intrude amidst celestial planets is only held by God's power not by human power, it is regulated by the force of the "Godly System" and not that of science; it is evidence of affirmation not a negation witness, and a proof of faith not a demonstration of blasphemy. It is not the question of reason or science but

